

مكتبة دار الفقه الإسلامي

المعجم

في فقه الإمام أبي حنيفة

الشيخ

شمس الدين محمد بن أبي بكر

بن

مروان القيس

أول من وضع هذا المعجم

بسم الله الرحمن الرحيم



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المعجم

في فقه لغز القرآن وسير الأئمة

المجلد السابع



تأليف وتحقيق

فقيه القرآن يجمع البحوث الإسلامية

بإشراف

مدير القسمة

الأستاذ محمد واعظ زاده الحلي شانهي

المعجم في فقه لغة القرآن و سؤ بلاغته / تأليف و تحقيق قسم القرآن
بمجمع البحوث الإسلامية : بإشراف و إشراف معتمد واعظ زاده الخراساني -
مشهد: مجمع البحوث الإسلامية ١٤٢٤ق. = ١٣٨٢ش.

ISBN 964-444-570-8 (شابک ج ٧)

ع

ISBN 964-444-179-6 (شابک دوره)

فهرستبررسی بر اساس اطلاعات فيها.

عربی

١. قرآن - - و از نه نامها. ٢. قرآن - - دایرةالمعارفها.
الف. واعظ زاده خراساني، معتمد، ١٣٠٤ - . به بنیاد پژوهشهای اسلامی.

٢٩٧/١٣

BP ٦٦ / ٤ / م ٥٧

٨٦٩٧ - ٧٨٨ م

کتابخانه ملی ایران



کتابخانه مجلس شورای اسلامی

المعجم

في فقه لغة القرآن و سؤ بلاغته / ج ٧

تأليف و تحقيق، قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية

إشراف: الأستاذ معتمد واعظ زاده الخراساني

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ق. / ١٣٨٢ش

١٠٠٠ نسخة

الطبعة: مؤسسة الطبع التابعة للأمانة الرضوية المقدسة

التمن ٥٠٠٠٠ ريال

حقوق الطبع محفوظة للمؤشر

مراكز التوزيع

مجمع البحوث الإسلامية، الهاتف (مشهد) ٢٢٥٣٠٠١٢، ص. ب ٣٦٦ - ٩١٧٢٥

شركة بفتنر، (مشهد) الهاتف ٧ - ٨٥١١١٣٦ الفاكس ٨٥١٥٥٦٠

Web Site: www.islamic-ri.org

E-mail: info@islamic-ri.org

المؤلفون

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

ناصر النجفي

قاسم الثوري

محمد حسين مؤمن زاده

حسين خاكشور

السيد عبد الحميد عظيمي

السيد جواد سيدي

السيد حسين رضويان

علي رضا غفراني

محمد رضا نوري

وقد قُوض عرض الآيات وضبطها إلى أبي الحسن الملكي و محمد الملكوتي و مقابلة النصوص إلى محمد جواد الحويزي و عبد الكريم الرحيمي و أبي القاسم حسن پور و تنضيد الحروف إلى حسين الطائي في قسم الكمبيوتر.



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسنادی

المحتويات

المقدمة.....	٩	ت ج ر.....	٦٣١
ب هل.....	١١	ت ح ت.....	٦٥٩
ب هم.....	٥١	ت ر ب.....	٦٨١
ب و.....	٦٩	ت ر ف.....	٧١٣
ب وب.....	١١١	ت ر ق.....	٧٢٥
ب ور.....	١٤١	ت ر ك.....	٧٣١
ب ول.....	١٥٥	ت س ع.....	٧٦١
ب ي ت.....	١٧١	ت ع س.....	٧٧٥
ب ي د.....	٢٢٣	ت ف ث.....	٧٨٥
ب ي ض.....	٢٤١	ت ق ن.....	٧٩٣
ب ي ع.....	٢٩١	ت ل ك.....	٨٠١
ب ي ن.....	٣٢٧	ت ل ل.....	٨١٩
حرف التاء.....	٤٦٩	ت ل و.....	٨٢٩
قايوت.....	٤٧١	الأعلام المنقول عنهم بلا واسطة و	
ت ي ب.....	٤٨٩	اسماء كتبهم.....	٩١٩
ت ب ر.....	٥٠٣	الأعلام المنقول عنهم بالواسطة.....	٩٢٥
ت ب ع.....	٥١٣		



مرکز تحقیقات کتابخانه و اسناد ملی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

نحمد الله تعالى على نعمائه كلها، ونصلّي ونسلم على رسوله المصطفى نبينا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين .
ثم نشكره تعالى على أن وقفنا التأليف المجتهد السابع من موسوعتنا القرآنيّة: «المعجم في فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته» وتقدّم به إلى رواد العلوم القرآنيّة، والمختصّين بمعرفة لغاته، وأسرار بلاغته، و رموز إعجازه، وطرائف تفسيره.
وقد اشتمل هذا الجزء على شرح (٢٨) مفردة قرآنيّة من حرف الباء، ابتداء من (ب هل) و انتهاء بـ (ت ل و)، وأوسع الكلمات فيه بحثاً و تنقيباً هي (ب ي ن) .
نسأله تعالى، و نبتهل إليه أن يتمّ علينا نعمته ويكمل لنا رحمته و يساعدنا و يأخذ بأيدينا، و يسدّد خطانا بما يضارع الأمل في استمرار العمل، إنّه خير ظهير، وبالإجابة جدير.

محمّد واعظ زاده الخراساني

مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلامية ٨٢



مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

ب ه ل

تَبْهَل

لفظ واحد، مرة واحدة، مدنية

النصوص اللغوية

وامرأة باهلة: لازوج لها.

(٤١: ٥٤)

وامرأة: حي من العرب.

الكسائي: الباهل من الإبل: التي لا يسهل عليها.

(القطامي: ١: ١١٦)

والجمع: الباهيل.

الأحمر: يقال: هو الضلال بن تَهْل، غير

مصرف، معناه الباطل، مثل تَهْل.

(الجهوري: ٤: ١٦٤٣)

الأموي: التَهْل: المال القليل. (الأزهري: ٦: ٣٠٩)

أبو عمرو الشيباني: التَهْل: الإبل التي لا حمار

(الأزهري: ٦: ٣١٠)

عليها، واحدها: باهل.

تَهْل من قولك: تَهْل وتَهْل، إتباع.

(ابن منظور: ١١: ٧٢)

الأصمعي: يَتَهْل: يَلْعَنه، يقال: يَهْل الله، أي لعنه

(الكثير اللغوي: ٢٠١)

الله.

التهلول: الضحك من الرجال.

الخليل: باهلت فلاناً، أي دعونا على الظالم مثلاً.

ويَهْلته: لعنته.

وابتهل إلى الله في الدعاء، أي جَد واجتهد.

وامرأة بهيلة: لغة في البهيرة.

والأتهل: شجر يُقال له: الأيرس، وليس بحريّة

محضة، ويسمى بالعربية: عَرَّهراً.

والباهل: المتردد بلا عمل، وهو أيضاً: الراعي

بلا عَمَل، وأتهل الراعي إبله: تركها.

والباهل: الناقة التي ليست بمصروورة، لبثها مباح

لمن حلّ ورحل، وإبل تَهْل.

ورجل تهلول: حيي كريم، وامرأة بهلول.

والتَهْل: الشيء اليسير الحقير، يقال: أعطاه قلبلاً

تَهْلًا. [ثم استشهد بشعر]

والتَهْل: واحد لا يُجمع.

المُبَاهِل: الإبل التي لا صرار عليها، وهي المُبَهَّلَة.

(الأزهرى ٦: ٣٠٩)

اللُّحْيَانِي: [البَهْل] هو الضَّلَال بن بَهْلَل، مأخوذ من الإيهال، وهو الإيهال.

وبَهْلَل الوالي رعيته، واستبيلها، إذا أهملها. [ثم استشهد بـ]

(الأزهرى ٦: ٣١٠)

أبو عُبَيْد: في حديث ابن عباس: «من شاء باهله أن الله لم يذكر في كتابه جُذًا وإنما هو أب».

وفي حديث آخر: «من شاء باهله أن الظهار ليس من الأمة، إنما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ المجادلة: ٣.

قوله: باهله، من الإيهال وهو الدعاء، قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ تَبْتَلِ فَتَعْلَمَ نَقْتَهُ عَلَى الْيَكَابِينِ﴾

آل عمران: ٦١. [ثم استشهد بـ] يقول: دعاء عليهم بالموت، ومنه قيل: بَهْلَة أمة

عليه، أي لعنة الله عليه، وهما لغتان: بَهْلَة أمة عليه، وبَهْلَة الله عليه.

ابن الأعرابي: الباهل: الذي لا صلاح منه، وناقته باهل: مُسَيِّبة، وتكون التي لا صرار عليها.

نحوه أبو عبيد. يقال: تباهل القوم، إذا تلاحنوا.

ويقال: عليه بَهْلَة الله، أي لعنة الله. ومبتهلًا: أي مجتهدًا في الدعاء.

ويقال: هو الضَّلَال بن بَهْلَل، كأنه المُبَهْل المُهْمَل ابن بَهْلَل.

(الأزهرى ٦: ٣١١)

الحَزْبِي: وقيل: سبأ الله وبَهْلَك، يعني لعنه.

(٢: ٦٦٠)

الرَّجَّاج: معنى الإيهال في اللغة: المبالغة في الدعاء. وأصله: الالتعان. ويقال: بَهْلَك الله، أي لعنه الله ومعنى لعنه الله: باصده الله من رحمته.

يقال: ناقته باهل وباهلة، إذا لم يكن عليها صرار. وقد أهمل الرجل ناقته، إذا تركها بغير صرار. ورجل باهل، إذا لم يكن معه عصا.

فتأويل البَهْل في اللغة: المبالغة والمفارقة للشيء.

يقال للحُرِّ وما في يده لا يمترض عليه فيه: قد بهلت. فلتأنا أهله، إذا خلبته.

ويقال للعبد أيضًا: أهله فهو مُبَهْل، إذا خلبته.

ابن دُرَيْد: البَهْل: اللعن، يقال: عليهم بَهْلَة الله، أي لعنة الله. وتباهل القوم، وابتهلوا، إذا تلاحنوا.

ويقال: ابتهلوا إلى الله عز وجل، إذا أخلصوا له الدعاء.

وناقته باهل، أي لا صرار عليها، وبه سميت باهلة أم هذه القبائل التي تُنسب إليها.

ويهلل: ضحكك باسر.

أبو بكر ابن الأثير: قال قوم: المُبَهْل معناه في كلام العرب: المُسَجِّع الذَّاكِر لله.

وقال قوم: المُبَهْل: الذَّاكِر. (الأزهرى ٦: ٣١١) الثَّقَالِي: [قيل: إِبْهَلًا وبَهْلًا، في معنى واحد. (٥٦: ٢)

والمُهَيْلَةُ: التي لا حيرار عليها، وهذا مثل (٢: ٣٨٩)

السيراقي، الهيلول: السيد الجامع لكل خير.

(ابن سيده ٤: ٢٢٣)

ابن هانئويه: الهَيْل: واحدها باهل وباهلة، وهي

التي تكون مُهَيْلَةً بغير راع. (ابن منظور ١١: ٧١)

الأزهري: حدثني بعض أهل العلم أن ذؤيب بن

العُتْمَة أراد أن يطلق امرأته، فقالت: أتطلقني وقد

أطعمتك قأدومي، وأبتنتك مكتومي، وأنتيك باهلاً غير

ذات حيرار؟ قال^(١): جعلت هذا مثلاً لمايها، وأنها

أباحث له ماها.

واستهيل فلان الحرب^(٢): إذا احتلبها بلا حيرار. [تم]

استشهد بشعر]

ويقال: باهلت فلاناً، أي لاغته، وعليه هَيْلَةٌ الله

وهَيْلَةٌ الله، أي لمة الله.

واستهيل فلان في الدَّعاء، إذا اجتهد، ومنه قول الله

جل وعز: ﴿لَمَّا تَبْتَلِمْ فَتَجْعَلْ لَقَعَتِ الْغَى عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

آل عمران: ٦١. أي يجتهد كل منا في الدَّعاء ولنغن

الكاذب منا. (٦: ٣٠٩)

القاصح: [قال نحو الخليل وأضاف:]

والأهبل: حمل شجر.

وأهبل الزاعي ليله: تركها من الحلب.

واستهيلها فصيلة: انزع أصغرتها ليرضعها.

والهَيْل: الإبل لارعاة لها.

وامرأة هيلول، بين الهَيْلَةِ، وجمعه: بهاليل، سُموا

بذلك لأنهم يستهلون بالطعام تَهَيْلَ الفيوت بالمطر، وهو

تفجيرها به.

وأعطاه قليلاً تَهَيْلاً، ولا يجمع.

والإيهال في الزرع: أن يترغ القوم من البذر،

ويُرسلوا الماء فيها يذروا.

وفلان يهبل مال، أي يُترسل إليه.

ويقولون: إنه لمكني ميهولاً، للمحر. فأما المبد فتهيل.

وهو الضلال بن يهبل ويهبل، أي لا يدرى من هو.

ويقولون: تهلاً وتهلاً - إنباعاً - أي لا تفعل.

ويهبل - في معنى بلة - أي دغ. (٣: ٤٩١)

البحروري: الهَيْل: اليسر.

والهَيْل: اللعن. يقال: عليه هَيْلَةٌ الله وهَيْلَت. أي

لعنه الله

وناقة باهل: لا حيرار عليها.

فلقت امرأة من العرب زوجها: أنتيك باهلاً غير

هَيْلَةٍ عيرار. وكذلك الناقة التي لا حيرار عليها، وكذلك

التي لا يمت عليها، والجمع: هَيْل.

وقد أهلتها، أي تركتها باهلاً، وهي مُهَيْلَةٌ، ومباهل

في الجمع.

ومنه قول في بني ضيان: استهلتها التواحل، لأنهم

كانوا نازلين بشط البحر لا يصل إليهم السلطان، فعملوا

مانعاً ووا.

ويقال: تهلته وأتهلته، إذا خلّيته وإرادته.

والمباهلة: الملاعبة.

والابتهاال: التضرع، ويقال في قوله تعالى: ﴿لَمَّا

(١) أي قال بعض أهل العلم.

(٢) هكذا في الأصول، والذي في النسخ هائلاً، وهو أظهر.

تَبْتَلُ أَي تُخْلِصُ فِي الدَّعَاءِ. (٤: ١٦٤٢)

أَبُوهِلَالُ: الفرق بين التَّهْلُ واللَّعْن: أَنَّ اللَّعْنَ هُوَ الدَّعَاءُ عَلَى الرَّجُلِ بِالتَّهْدِ، وَالتَّهْلُ: الاجتهاد في اللَّعْنِ. قَالَ الْمُبَرِّدُ: يَهْتَلُهُ اللَّهُ، يُنْهَى عَنْ اجتهاد الدَّاعِي عَلَيْهِ بِاللَّعْنِ، وَهَذَا قِيلَ لِلْمُجْتَهِدِ فِي الدَّعَاءِ: الْمُتَهْلِلُ. (٣٨) ابن قَارِسٍ: الْبَاءُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصُولُ ثَلَاثَةِ أَحَدِهَا: التَّخْلِيَةُ، وَالثَّانِي: جِنْسٌ مِنَ الدَّعَاءِ، وَالثَّلَاثُ: قَلَّةٌ فِي الْمَاءِ.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَيَقُولُونَ: يَهْتَلُهُ، إِذَا خَلَّتْهُ وَإِرَادَتُهُ. وَمِنْ ذَلِكَ الثَّاقَةُ الْبَاهِلُ، وَهِيَ الَّتِي لَا يَمُنُّ عَلَيْهَا. وَقَالَ: الَّتِي لِاحْتِرَارِ عَلَيْهَا.

ومنه حديث المرأة لبعولها: [وقد تغدوني كغلام الأزهرى]

وَأَمَّا الْآخَرُ فَالِإِهْهَالُ وَالتَّضَرُّعُ فِي الدَّعَاءِ. وَالمباهلة يرجع إلى هذا، فَإِنَّ الْمُتَبَاهِلِينَ يَدْعُو كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى صَاحِبِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَبْتَلُ فَتَنْجَلُ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ٦١.

وَالثَّلَاثُ: التَّهْلُ، وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ. (١: ٣١١) الْهَزَوِيُّ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَبْتَلُ﴾ أَي نَلْعِنُ. يُقَالُ: عَلَيْهِ يَهْتَلُهُ اللَّهُ، وَيُهْتَلُهُ، أَي لَعْنَتُهُ.

ومنه حديث أبي بكر: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا فَلَمْ يُعْطِهِمْ كِتَابَ اللَّهِ فَعَلَيْهِ يَهْتَلُهُ اللَّهُ». يُقَالُ: مَا لَهُ؟ يَهْتَلُهُ اللَّهُ، أَي لَعْنَهُ اللَّهُ.

وَابْتَهَلَ فِي الدَّعَاءِ، أَي اجْتَهِدَ. وَمَعْنَى الْمَبَاهِلَةِ: أَنْ يَجْتَمِعَ الْقَوْمُ إِذَا اخْتَلَفُوا، فَيَقُولُوا: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِ مَتَا. وَمِنْهُ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَنْ شَاءَ بَاهَلْتُهُ أَنْ الْحَقَّ

مَعِيَ». (١: ٣٢٦)

الرَّؤْمُفَشَرِيُّ: أَبْهَلَ الثَّاقَةَ: تَرَكَهَا عَنْ الْحَلْبِ، وَثَاقَةُ بَاهِلُ: غَيْرُ مُصْرُورَةٍ يَحْلُبُهَا مَنْ شَاءَ.

وَأَبْهَلَ الْوَالِي الرُّهَيْتَةَ، وَاسْتَبْهَلَهُمْ: تَرَكَهُمْ يَرْكَبُونَ مَا شَاءُوا، لَا يَأْخُذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَأَبْهَلَ عَبْدٌ: خَلَّاهُ وَإِرَادَتُهُ.

وَمَا لَكَ يَهْتَلَا سَهْتَلًا، أَي تُخَلِّي فَارِغًا، وَمِنْ يَهْتَلُهُ: لَعْنُهُ، وَعَلَيْهِ يَهْتَلُهُ اللَّهُ.

وَبَاهَلْتُ فَلَانًا مَبَاهِلَةً، إِذَا دَعَوْتُمَا بِاللَّعْنِ عَلَى الظَّالِمِ مَنَكَا. وَتَبَاهَلَا، وَابْتَهَلَا: التَّخَفَا، ﴿ثُمَّ تَبْتَلُ...﴾ آل عمران: ٦١.

وَهُوَ يُهْلُولُ، وَهُوَ يَهْلِيلُ، وَهُوَ الْحَبِيبُ الْحَرِيمُ. [ثم استشهد بشعر]

وَمِنْ الْجَازِ: رَجُلٌ بَاهِلٌ: مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ عَمَلٍ وَرَاحٍ بَاهِلٌ: يَمْسِي بَيْنَ عَصَا، وَابْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ: تَضَرَّعَ، وَاجْتَهِدَ فِي الدَّعَاءِ اجْتِهَادَ الْمُتَهْلِلِينَ. [ثم استشهد بشعر]

(أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٣٢) ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ شَاءَ بَاهَلْتُهُ أَنْ اللَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي كِتَابِهِ جَدًّا، وَإِنَّمَا هُوَ أَبٌ».

المباهلة: مُفَاعَلَةٌ مِنَ التَّهْلَةِ وَهِيَ اللَّعْنَةُ، وَمَأْخُذُهَا مِنَ الْإِهْهَالِ وَهُوَ الْإِهْهَالُ وَالتَّخْلِيَةُ، لِأَنَّ اللَّعْنَ وَالطَّرْدَ وَالْإِهْهَالَ مِنْ وَاحِدٍ وَاحِدٍ، وَمَعْنَى الْمَبَاهِلَةِ أَنْ يَجْتَمِعُوا إِذَا اخْتَلَفُوا، فَيَقُولُوا: يَهْتَلُهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِ مَتَا.

(الْفَائِقُ: ١: ١٤٠) ابْنُ سَيِّدِهِ: التَّهْلُ: الْعَنَاءُ بِمَا تَحْلُبُ. وَأَبْهَلَ الرَّجُلُ: تَرَكَهُ. وَأَبْهَلَ الثَّاقَةَ: أَهْلَهَا.

وناقة باهل بيته البهل: لاجرار عليها، وقيل:
لاخطام عليها، وقيل: لايمة عليها، والجمع: بهل وبهل.
وبهلت الناقة تبهل بهلاً: حل صرارها وترك ولدها
يرضعها. [ثم استشهد بشر]

والابتهاال: الاجتهاد في الدعاء، وإخلاصه
عز وجل، وفي التنزيل: «ثُمَّ تَبْهَلُ فَتَجْعَلُ لَفَنَةً أَوْ عَلَى
الْكَاذِبِينَ» آل عمران: ٦١.

وبهل: اسم للسنة الشديدة، ككهل.
وباهلة: اسم قبيلة، وقد يُجعل اسماً للحَي، قالوا:
باهلة بن أعصر. (٤: ٢٣٣)

الزاعب دأصل البهل: كون الشيء غير مُراعى.
والباهل: البعير المقل عن قيده أو عن يمينه، أو المقل
ضرحها عن جرار.

قالت امرأة: أتيتك باهلاً غير ذات جرار، أي لم
لك جميع ما كنت أملكه، لم أستاذ بشيء دونه.
وأبهلت فلاناً: خلّيته وإرادته، تشبيهاً بالبعير
الباهل.

والبهل والابتهاال في الدعاء: الاسترسال فيه
والتضرع، نحو قوله عز وجل: «ثُمَّ تَبْهَلُ فَتَجْعَلُ لَفَنَةً
أَوْ عَلَى الْكَاذِبِينَ» آل عمران: ٦١.

ومن فسر الابتهاال باللعن، فلأجل أن الاسترسال
في هذا المكان لأجل اللعن، [ثم استشهد بشر] (٦٣)
ابن الأثير: وحديث ابن الصّفاء: «قال الذي بهله
بريق» أي الذي لعنه ودعا عليه، ويريق: اسم رجل.

وفي حديث الدعاء: «والابتهاال أن تمدّ يديك جيماً
وأصله التضرع والمبالغة في السؤال. (١: ١٦٧)

الفيومي: بهله بهلاً من باب «نفع»: لعنه. واسم
الفاعل: باهل، والأنثى: باهلة؛ وبها سميت قبيلة،
والاسم: البهلة وزان «خرفة».

وباهله مباحلة من باب «فعل»: لعن كل من سنها
الآخر.

وابتهل إلى الله تعالى: ضرع إليه. (١: ٦٤)
الفيروز أبادي: البهل: المأل القليل، واللعن،
والشيء اليسير.

والبهل: القناء بما يُطلب.
وأبهله: تركه، والناق: أهلها.

وناقة باهل: بيته البهل: لاجرار عليها، أو لاخطام،
أو لايمة، الجمع كبرد وركع.
وكفرحت: حل صرارها، وترك ولدها يرضعها.

وقد أبهلتها هي مثيلة ومباهل.
واستهلها: احتلبها بلاجرار. والوالي الرعية:
أهلهم، والبادية القوم: تركتهم باهلين، أي نزلوها
فلا يصل إليهم سلطان، ففعلوا ما شاءوا.

والباهل: المتردد بلاعمل، والزاعي بلاعضا،
وبهاؤ: الأجم.

وكتفتته: خلّيته مع رأيه كأهله، أو يقال: بهلت
للحر، وأبهلت للبعد.

والله تعالى فلاناً: لعنه.
والبهلة ويضم: اللعة.

وباهل بعضهم بعضاً وتبهلوا وتباهلوا، أي تلاعنوا،
والابتهاال: الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه.
والضلال بن بهل كفتته وجعفر، غير معروفين،

أي الباطل.

والإيهال: إرسال الماء فيما بذرته.

والأيهل: تحمل شجر كبير ورقه كالطرفاء، وثمره كالنبت، وليس بالقرظ كما توهم الجوهري. دغائه يسقط الأجنة سريعاً، ويبرئ من داء السلب طلاءً بحلّ، وبالمسل يُتقي الفروح الخبيثة.

والبُهلول كُسر سور: الضحالة، والسيد الجامع لكل

خير.

ويَهْلًا، أي مهلاً.

وامرأة يهيلة: بهيمة.

وكأثير: ابن عريب بن حيدان.

وباهلة: قبيلة.

(٣٥٠: ٣٦)

القعدناني: «البُهلول» ويقولون: فلان يَهْلون،

ويعنون به الأبله والمتوه، وهي كلمة عامية.

وفي المعاجم كلمة «البُهلول» التي تعني:

١- الضحك من الرجال، عن الأزهري.

٢- الحبي الكريم، عن الأزهري، وابن عباد.

٣- السيد الجامع لكل خير، عن السيرافي. [تم]

استشهد بشعر]

ويقال: امرأة يَهْلول أيضاً، جامع الكرماني،

وتهذيب الأزهري، واللسان، والمد.

أما جمع البُهلول فهو: يَهْلِيل، [تم استشهد بشعر]

(٨١)

المُصْطَفَوِي: والذي يظهر من تحقيق موارد

استعمال هذه المادة، إن الأصل الواحد فيها هو: التخلية

والتركة. وحقيقة اللّمن: الطرد والتبديد، وكذلك

«الابتهاال» بمعنى التضرّع، فإنه في صورة طرد النفس وتركها، والتوجّه إلى الله المتعال، وهذا هو الفارق بين الابتهاال والتضرّع. وتستعمل بحرف «إل» إذا كانت بمعنى التضرّع. وأما الماء القليل: فكأنه بمناسبة كونه حلياً ومتروكاً.

فالتخلية والتركة محفوظة في جميع موارد استعمال هذه المادة.

والفرق بين البُهْل واللّمن: أن «اللّمن» مفهومه الطرد، و«البُهْل» كما نقلناه عبارة عن التخلية والاعتراف. و«اللّمن» فيه مفهوم الميغوضية، بخلاف «البُهْل» فهو أعم. «لَمْ تَبْهَلْ فَسَجَعَلْ لَحْتُ» الله على الكاذبين» آل عمران: ٦١، أي نترك التسايلات الشخصية والتوجهات النفسانية، وتتوجّه إلى الله المتعال متضرّعين، ويطلب في تلك الحالة الخاصة الصّاحبة. اللّمنة من الله على الكاذبين.

فحقيقة هذه الجملة: الدّعاء على الكاذب ببعده من رحمة الله، وقرينه في حال التضرّع والابتهاال والتوجّه التام.

فظهر أن «الابتهاال» في الآية الشريفة بمعنى تخلية النفس وتركها، ليحصل الخلو والتوجّه التام، حتى يطلب اللّمن للكاذب، وليس بمعنى اللّمن أو غيره، كما في بعض التفسير.

(١١: ٣٣٠)

التفصيص التفسيري والتاريخية

نبتل

قَدْ حَاجَلَك فِيهِ مِنْ بَعْدِ حَاجَاةٍ لَمْ مِنَ الْعِلْمِ لَقُلْ
تَقَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَلُ فَتَعْلَمَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ.

آل عمران: ٦٦

النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي مَحْتَدِ بِهِ، إِنْ كَانَ
الْعَذَابُ لَقَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَوْ قَتَلُوا لَأَسْتَوْجِلُوا
عَنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ» (الطبري ٣: ١-٢)

[وفي هذا المعنى روايات أخرى]

لحمه ابن عباس: (الطبري ٣: ١-٢)

إِنْ كُلُّ بَنِي بَنِي يَسُودَ إِلَى أَبِيهِمْ إِلَّا أَوْلَادَ فَاطِمَةَ
فَإِنِّي أَنَا أَبُوهُمْ. (المروسي ٣: ١٤٨)

الإمام الحسن ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِحَسَنٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
حِينَ جَعَلَهُ كَفَرًا الْكَافِرُ وَحَاجَّوهُ: «قُلْ تَقَالُوا...»
الآية.

فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَنْفُسِ مَعَهُ أَبِي، وَمِنْ
الْبَنِينَ أَنَا وَأَخِي، وَمِنْ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ أُمِّي مِنَ النَّاسِ
جَمِيعًا، فَتَحَنَّنَ أَهْلُهُ وَلَحْمُهُ وَدَمُهُ وَنَفْسُهُ، وَنَحْنُ مِنْهُ وَهُوَ
مِنَّا. (البحراني ٢: ٤١٠)

ابن عباس: تَضَرَّعَ فِي الدَّعَاءِ. (البنوي ١: ١٤٥٠)
نَجَّهْدُ. (الدَّرْ الْمَشُور ٢: ٣٩)

إِنْ ثَمَانِيَةِ مِنْ أَسَافِ الرِّبِّ مِنَ أَهْلِ نَجْرَانَ قَدِمُوا
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْهُمْ الْعَاقِبُ، وَالسَّيِّدُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:
«قُلْ تَقَالُوا نَدْعُ...» إِلَى هَوْلِهِ: «ثُمَّ نَبْتَلُ»، بِرَيْدِ نَدْعُ

اللَّهُ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الْكَاذِبِ، فَقَالُوا: أَخْرَجْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،
فَهَذَبُوا إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنِقَاعَ
فَاسْتَشَارُوهُمْ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يَصَالِحُوهُ وَلَا يَلْعَنُوهُ،
وَهُوَ النَّبِيُّ الَّذِي نَجَّهْدُ فِي التَّوْرَةِ، فَصَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى
أَلْفِ حُلَّةٍ فِي صَفَرٍ وَأَلْفٍ فِي رَجَبٍ وَدِرَاهِمٍ.

(الدَّرْ الْمَشُور ٢: ٣٩)

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: هَذَا الْإِخْلَاصُ، يُشِيرُ
بِأَصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ، وَهَذَا الدَّعَاءُ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَذْوِ
يَنْكَبِهِ، وَهَذَا الْإِبْهَامُ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا.

(الدَّرْ الْمَشُور ٢: ٤٠)

ابن الزبير: ...فَدَعَاهُمْ إِلَى التَّصَدَّقِ، وَقَطَعَ عَنْهُمْ
الْحُجَّةَ بِطَلَا أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَخَبِيرٌ مِنَ اللَّهِ عَنْهُ، وَالْفَصْلُ
مِنْ التَّصَدَّقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ مَلَاحِظَتِهِمْ،
إِنْ رَدُّوا عَلَيْهِمْ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ،
دَعَا نَظَرَ فِي أَمْرِنَا، تَمَّ نَأْيُكَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيهَا دَعْوَتَنَا
إِلَيْهِ.

فَانصَرَفُوا عَنْهُ، ثُمَّ خَلُّوا بِالْعَاقِبِ، وَكَانَ ذَارِأَهُمْ،
فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ مَا تَرَى؟

قَالَ: وَاللَّهِ يَاعَمَّشَرُ النَّصَارَى، لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا
نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ،
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ: مَا لَعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ، فَبَقِيَ كَيْبَرُهُمْ،
وَلَا تَبَّتْ صَفِيرُهُمْ، وَإِنَّهُ لَلِاسْتِخْصَالِ مِنْكُمْ إِنْ فَطِمْتُ، فَإِنْ
كُنْتُمْ قَدْ آيَمْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ، فَوَادَعُوا الرَّجُلَ، ثُمَّ انصَرَفُوا إِلَى
بِلَادِهِمْ حَتَّى يَرِيكُمْ زَمَنُ رَأْيِهِ.

فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ رَأَيْنَا إِلَّا

نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا. ولكن ابث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيتنا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضا. (الطبري ٣: ٣٠٠)

جابر بن عبد الله: قدم على النبي ﷺ العاقب والتيد فدعاهما إلى الإسلام. فقالا: أسلمنا يا محمد. قال: كذبتا إن شئنا أخبرتكما بما يمنعهما من الإسلام. قالاً: لهات، قال: حب الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير.

فدعاهما إلى الملاعة فوعدها إلى الغد. فدعا رسول الله ﷺ وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيئا وأقرأ له، فقال: والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهما ناراً.

(الدر المختار ٢: ٢٨)

الشغبى: أمر النبي ﷺ بملاعتهم، يعني بملاعة أهل نجران بقوله: «لَنْ خَافَكُمُ فِيهِ...» فتواعدوا أن يلاعنوه، وواعدوه الغد، فاطلقوا إلى التيد والعاقب، وكانا أعقلهم فتابعاهم، فاطلقوا إلى رجل منهم عاقل، فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله ﷺ فقال: ما صنعتُم؟ وندمتهم، وقال لهم: إن كان نبياً ثم دعا عليكم، لا ينضبه الله فيكم أبداً، ولئن كان ملكاً فظهر عليكم لا يستيقمكم أبداً. قالوا: فكيف لنا وقد واعدنا؟ فقال لهم: إذا غدوتم إليه، فترض عليكم الذي فارقتموه عليه، فقولوا: نعوذ بالله، فإن دعاكم أيضاً، فقولوا له: نعوذ بالله، ولملّه أن يعيقكم من ذلك.

فلما غدوا، غدا النبي ﷺ محتضناً حسناً، أخذاً بيد

الحسين، وفاطمة تمشي خلفه، فدعاهم إلى الذي فارقوه عليه بالأمس، فقالوا: نعوذ بالله، ثم دعاهم، فقالوا: نعوذ بالله مراراً. قال: «فإن أبيتم فأسلحوا ولكم ما للمسلمين، وعليكم ما على المسلمين، كما قال الله عز وجل، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاهرون، كما قال الله عز وجل».

قالوا: ما نملك إلا أنفسنا. قال: «فإن أبيتم فإني أنبذ إليكم على سواء، كما قال الله عز وجل» قالوا: مالنا طاقة بحرب العرب، ولكن تؤذي الجزية، قال: فجعل عليهم في كل سنة ألفي حلة، ألفاً في رجب، وألفاً في صفر، فقال النبي ﷺ: «قد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير تعلم الشجر، أو الصافير على الشجر لو تئوا على الملاعة».

(الطبري ٣: ٢٩٩)

نحوه الكلبي ومقابل.

الإمام الباقري: الساحة التي تباهل فيها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. (المروسي ١: ٣٥٢) يأبى الجارود، ما يقولون لكم في الحسن والحسين ﷺ؟

قلت: ينكرون علينا أنها ابنا رسول الله ﷺ.

قال: فبأي شيء احتججتهم عليهم؟

قلت: احتججتنا عليهم بقول الله تعالى لرسول الله ﷺ: «قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ». (المروسي ١: ٣٤٨) عطاء: (ندع) الله باللمعة على الكاذبين.

(الواحدي ١: ٤٤٥)

قتادة: بلغنا أن نبي الله ﷺ خرج ليلاً من أهل

نجران، فلما رأوه خرج، هابوا وفرقوا، فرجعوا.

لما أراد النبي ﷺ أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين، وقال لفاطمة، أتبعينا، فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا. (الطبري ٣: ٣٠١)

زيد بن علي عليه السلام: قوله: ﴿فَقُلْ تَقَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ الآية، كان النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين. (الطبري ٣: ٣٠٠)

السدي: فأخذ، يعني النبي ﷺ بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعلي: أتبعنا، فخرج معهم. فلم يخرج يومئذ النصارى، وقالوا: إنا نخاف أن يكون هذا هو النبي ﷺ، وليس دعوة النبي كغيرها، فتخلفوا عنه يومئذ، فقال النبي ﷺ: «لو خرجوا لاحترقوا».

فصالحه على صلح، على أن له عليهم ثمانين ألفاً. لما عجزت الدراهم في المروض، الحقة بأربعين، وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً، وثلاثاً وثلاثين بغيراً، وأربعة وثلاثين فرساً غازية كل سنة، وأن رسول الله ﷺ ضامن لها حتى تؤدبها إليهم. (الطبري ٣: ٢٠٠)

الكشي: يجتهد ويبالغ في الدعاء. (البغوي ١: ٤٥٠) الإمام الصادق عليه السلام: رفع اليدين وتقديمها، وذلك عند الذمعة. (القروسي ١: ٢٥٠)

والابتهاال: تبسط يديك وذراعيك^(١) إلى السماء. والابتهاال حين ترى أسباب البكاء. (القروسي ١: ٢٥٠) [في حديث عن أبي مسروق^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال:]

قلت: إنا نكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩، فيقولون: نزلت في أمراء السرايا، فنحتج عليهم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ إلى آخر الآية. المائدة: ٥٥، فيقولون: نزلت في المؤمنين. ونحتج عليهم بقول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَشْتَلِكُمْ غَيْرُ إِلَّا السَّوْدَةَ فِي الْغُزَى﴾ (التوري: ٢٣، فيقولون: نزلت في قريبي المسلمين.

قال: فلم أدع شيئاً مما حضري ذكره من هذا وشبهه إلا ذكرته، فقال لي: إذا كان كذلك فادعهم إلى المباحلة، قلت: وكيف أصنع؟ قال: أصلي نفسك ثلاثاً وأظنه قال: وضّم واغتمل به وأبرز أنت وهو إلى الجبان^(٣). فبك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثم أنصفه، وأبدأ بنفسك، وقل:

اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع عالم النيب والشهادة الرحمان الرحيم، إن كان أبو مسروق جحد حقاً وأدعى باطلاً فأنزل عليه حباً من السماء وعذاباً أليماً، ثم ردة الدعوة عليه، فقل:

وإن كان فلان جحد حقاً وأدعى باطلاً فأنزل عليه حباً من السماء أو عذاباً أليماً، ثم قال لي: فإنك لا تلبث أن ترى ذلك فيه، فوافقه ما وجدت خلقاً يميني إليه.

(القروسي ١: ٢٥١) [في حديث مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتسعدها، قال عليه السلام:]

وأما الزابعة والثلاثون: فإن النصارى ادعوا أمراً

(١) وفي نسخة: يديك وذراعيك.

(٢) في نسخة: أبي مسروق.

(٣) الضمراء.

لأنزل عز وجل فيه: ﴿وَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ...﴾ إلخ، فكانت «نفسى» نفس رسول الله ﷺ، و«النساء» فاطمة و«الأبناء» الحسن والحسين.

ثم ندم القوم فألوا رسول الله ﷺ الإغفاء فغفا عنهم، وقال: «والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو باهلونا لمسخهم الله قرمة وخنازير».

(القروسى ٦: ٣٤٩)

وفيه روايات كثيرة عن الأئمة من آل البيت ﷺ، فلاحظ.

مُقاتِل: تخلص في الدعاء. (أبوالفتوح ٤: ٣٦٦)

محمد بن المنكدر: [في حديث عن جده عبدالله]

لما قدم السيد والعاقب أسقفا بجران في سبعين راكبا، وافدا على النبي ﷺ كنت معهم، فبينا كُزِّبَ بهم، وكُزِّر صاحب نفقاتهم، إذ عثرت بخلته، فقال: تعس من نأته الأبعد، يعني النبي ﷺ، فقال له صاحبه وهو العاقب: بل تعست وانتكست! ليقال: ولم ذلك؟ قال: لأنك أنتعست النبي الأمي أحمد، قال: وما علمك بذلك؟ قال: أما تقرأ من المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح: أن قل لبني إسرائيل: ما أجهلكم! تنطيطون بالطيب لتطيطوا في الدنيا عند أهلها، وأهلكم وأجوافكم عندي كالجيفة المنتنة، يا بني إسرائيل آمنوا برسولي النبي الأمي الذي يكون في آخر الزمان، صاحب الوجه الأحمر والجمل الأحمر، المشرب بالثور، ذي الجناح الحسن والنياب الخشن، سيد الماضين عندي وأكرم الباقين علي، المستن بسنتي، والعائر في دار جنتي، والمجاهد بيده المشركين

من أجلي، فبشر به بني إسرائيل، ومُر بني إسرائيل أن يمزروه وأن ينصروه.

قال عيسى عليه السلام: قدوس قدوس، من هذا العبد الصالح الذي قد أحبه قلبي ولم تره عيني؟ قال: هو منك وأنت منه وهو صهرك على أمك، قليل الأولاد، كثير الأزواج، يسكن مكة من موضع أساس وطبي إبراهيم، نسله من مباركة وهي ضرة أمك في الجنة، له شأن من الشأن، تنام عيناه ولا ينام قلبه، يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة، له حوض من شفير زمزم إلى مغيب الشمس حيث يغرب، فيه شرايان من الرحيق والتسليم، فيه أكواب عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظما بعدها أبدا، وذلك بتفضيلي إياه على سائر المرسلين، موافق قوله فعله وسريته علانيته.

ظروني له وطوبى لأئمة، الذين على ملته يحبون وعلى سته يموتون، ومع أهل بيته يميلون، آمنين مؤمنين مطمئنين مباركين، ويظهر في زمن قحط وجذب فيدعوني، فقرخي السماء عزاليها حتى يرى أثر بركايتها في أكفافها، وأبارك فيها يضع فيه يده. قال: إلهي سمع، قال: نعم هو أحمد، وهو محمد رسولي إلى المخلق كافة، وأقربهم مني منزلة، وأحضرهم عندي شفاعا، لا يأمر إلا بما أحب، وينهى لما أكره.

قال له صاحبه: فأني تقدم بنا على من هذه صفته؟ قال: نشهد أحواله وننظر آياته، فإن يكن هو هو ساعدناه بالمسألة ونكفّه بأموالنا عن أهل ديننا من حيث لا يشعرون بنا، وإن يكن كاذبا كفينا بكذبه على الله عز وجل.

قال: ولم إذا رأيت العلامة لا تشبهه؟ قال: أما رأيت ما فعل بنا هؤلاء القوم، أكرمونا ومولونا ونصبوا لنا الكنائس، وأعلوا فيه ذكرنا، فكيف تطيب النفس بالدخول في دين يستوي فيه الشريف والوضيع، فلما قدموا المدينة قال من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ: ما رأينا وفداً من وفود العرب كانوا أجمل منهم، لهم شعور وعليهم ثياب الحر، وكان رسول الله ﷺ متاء عن المسجد، فحطرت صلاتهم، فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ تلقاء المشرق، فلما قضا صلاتهم جلسوا إليه وناظروه.

فقالوا: يا أبا القاسم حاجتنا في عيسى، قال: هو عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه، فقال أحدهما: بل هو ولده وثاني اثنين، وقال آخر: بل هو ثالث ثلاثة: أب وابن وروح القدس، وقد سجلت في قرآن نزل عليك يقول: فعلنا وجعلنا وخلقنا، ولو كان واحداً لقال: خلقت وجعلت وفعلت، فتخفى النبي ﷺ الوحي فنزل عليه صدر سورة آل عمران إلى قوله رأس السنين، منها: ﴿وَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ حَاجَّتِكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ إلى آخر الآية، فقص عليهم رسول الله ﷺ القصة وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: قد والله أتاكم بالفصل من خبر صاحبكم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد أمرني بمباهلتكم، فقالوا: إذا كان غداً يباهلناك، فقال القوم بعضهم لبعض: حتى ننظر بما يباهلنا غداً بكثرة أتباعه من أوباش الناس، أم بأهله من أهل الصفوة والطهارة؟

فأتهم وشيخ الأنبياء وموضع نهلم.

فلما كان من غد غدا النبي ﷺ بيمينه على ﷺ وياره الحسن والحسين ﷺ ومن وراءهم فاطمة ﷺ، عليهم الشار التجرائية، وحلى كنف رسول الله ﷺ كساء قطواني رقيق خشن ليس بكثيف ولا لين، فأمر بشجرتين فكسح ما بينهما ونشر الكساء عليهما، وأدخلهم تحت الكساء، وأدخل منكبه الأيسر معهم تحت الكساء، معتمداً على قوسه النبع، ورفح يده اليمنى إلى السماء للمباهلة.

واشرأب الناس ينظرون، واصفر لون السيد والعاصب، وكذا حتى كاه أن يطيش عقولها، فقال أحدهما لصاحبه: أباهله؟ قال: أو ما علمت أنه يباهل قوم قتلوا فناءً صغيرهم أو بقي كبيرهم، ولكن أرى أنك غير مكثرت وأعطته من المال والسلاح ما أراد، فإن الرجل محارب، وقل له: أبهولاء تباهلنا، لتلا يرى أنه قد تقدمت معرفتنا بفضلته وفضل أهل بيته.

فلما رفع النبي ﷺ يده إلى السماء للمباهلة قال أحدهما لصاحبه: وأي رهبانية؟! دارك الرجل، فإنه إن فاه بهله لم نرجع إلى أهل ولا مال، فقالا: يا أبا القاسم أبهولاء تباهلنا؟ قال: نعم، هؤلاء أوجه من على وجه الأرض يمدي إلى الله عز وجل وجهه، وأقربهم إليه وسيلة، قال: فبصبصا يعني ارتعدا وكترأ، وقال له: يا أبا القاسم نطيك ألف سيف وألف درع وألف حبة وألف دينار كل عام، على أن الدرع والسيف والحبة عندك إعارة حتى يأتي من وراءنا من قومنا فنطعمهم بالذي رأينا وشاهدنا، فيكون الأمر على ملاء منهم، فيأتم

الإسلام وإثما الجزية وإثما المقاطعة في كل عام.

فقال النبي ﷺ: قد قبلت ذلك منكما أما والذي بعثني بالكرامة لو باهلتوني بمن تحت الكساء لأضرم الله عز وجل عليكم الوادي نارا تأجج حتى يساقها إلى من وراءكم في أسرع من طرفة العين فأحرقتهم تأججا.

فهبط عليه جبريل الروح الأمين عليه السلام فقال: يا محمد، الله يقرئك السلام ويقول لك: وعزتي وجلالي وارثاع مكاني لو باهلت بمن تحت الكساء أهل السماوات وأهل الأرض لاحتطت السماء كفا متهافنة ولتقطعت الأرضون زبرا سائحة فلم تستقر عليها بعد ذلك، فرفع النبي ﷺ يديه حتى ردى بياض إبطيه، ثم قال: وعمل من ظلمكم حقكم وبغضني الأجر الذي افترضه الله فيكم عليهم بهلة الله تتابع إلى يوم القيامة.

(الاختصاص ١١٢)

ابن إسحاق: قدم على رسول الله ﷺ وقد نحار نجران، ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشrafهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح؛ والسيد، فإلهم^(١) وصاحب رحلتهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم؛ وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أنفقهم وخبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم. وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وسوا له الكنائس، ووسطوا عليه الكرامات، لما يتلغهم منه من

علمه واجتهاد في دينهم.

فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بقة له موجهة إلى رسول الله ﷺ، وإلى جنبه أخ له، يقال له: كوز بن علقمة - قال ابن هشام: ويقال: كرز - فعمرت بقة أبي حارثة، فقال كوز: تنس الأجد! يريد رسول الله ﷺ فقال له أبو حارثة: بل أنت نعتت! فقال: ولم يا أخي؟ قال: والله إنه للنبي الذي كنا نتظر، فقال له كوز: ما يملكه منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافة، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى. فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة، حتى أصلم بعد ذلك، فهو كما يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني...

فقد قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه فوجدوه حين صلى العصر، عليهم ثياب الهجرات^(٢)، جيب وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رأيهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ: ما رأينا بدهم وفدا مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم؛ فصلوا إلى المشرق.

فكانت تسعة الأربعة عشر، الذين يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو عبد المسيح؛ والسيد، وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، وأبيه، وخويلد،

(١) ثمال القوم: هو أصلهم الذي يتصدون إليه. ويقوم بأمرهم وشؤونهم.

(٢) الهجرات، برود من برود اليمن، الواحدة: هجرة

وهمرو، وخالد، وعبد الله، ويحيى، في سجين راجيا.
فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علفعة، والعاقب
عبد المسيح، والأبهم السيد - وهم من النصرانية على
دين الملك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله،
ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة،
وكذلك قول النصرانية.

فهم يحتجون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيى
الموتى، ويبرئ الأسقام، ويدير بالقيوب، ويخلق من
الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا، وذلك كله
بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ أَيْدِي النَّاسِ﴾ مريم: ٢١.
ويحتجون في قولهم: «إنه ولد الله» بأنهم يقولون:
لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنع
أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجون في قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» يقولون: الله
فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحدا
ما قال: **إِلَّا** فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقنا، ولكنه هو
وعيسى ومريم، ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن:
فلما كلمه الخبران قال لهما رسول الله ﷺ: **أَسْلِمَا**،
قالا: قد أسلمنا، قال: **إِنكُمَا لَمْ تُسْلِمَا** فأسلما، قال: بلى،
قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما، يمسكنا من الإسلام
دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير،
قالا: فن أبوه يا محمد؟ فصمت عنها رسول الله ﷺ فلم
يُجِبْهُمَا.

فأنزل الله تعالى في ذلك قولهم، واختلاف أمرهم
كله، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية
منها... [لذكر الآيات والاحتجاجات^(١)] إلى أن أضاف

بعد نقل ماقدناه من ابن الزبير]

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: انتوني
المشيئة أبعت معكم القوي الأمين.
قال: فكان عمر بن الخطاب يقول: ما أحببت
الإمارة قط حتى إياها يؤمئذ، رجاء أن أكون صاحبها،
فرحمت إلى الظاهر مهاجرا، فلما صلى بنا رسول الله ﷺ
الظهر سلم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت
أخطاؤه له ليراني، فلم يزل يلتمس بصره حتى رأى
أبا عبيدة بن الجراح، فدعا، فقال: أخرج معهم فاقض
بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة.

(ابن هشام ٢: ٢٢٢)

أبو زيد: قيل لرسول الله ﷺ: لو لاعتت القوم من
كنت تأتي حين قلت: «أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ»؟ قال:
الحسن والحسين^(٢). (الطبري ٣: ٣٠١)

الإمام الكاظم عليه السلام: «التبيل» أن تغلب كفيك في
الدعاء إذا دعوت، ودالبتك أن تبسطها فتقدمها.

(القروسي ١: ٣٥٠)

اجتمعت الأمة برها وفاجرها أن حديث النجرائي
حين دعا النبي ﷺ إلى المباهلة لم يكن في الكساء إلا
النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام، فقال
الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ حَاجَّكَ فِيهِ مَنْ بَغَى حَاجَّاهُ مِنْ
أَلْبَمٍ فَقُلْ تَعَالَوْا...﴾ الخ فكان تأويل (أَبْنَاءَنَا) الحسن
والحسين، (وَأَبْنَاءَنَا) فاطمة، و(أَفْئَسْنَا) علي بن أبي

(١) راجع النصوص، «شجق».

(٢) وفي الأصل: حسن وحسين.

طالب عليه السلام.

(البحراني ٢: ٤٦١)

وهناك أيضًا روايات كثيرة عن الأئمة من آل

البيت عليهم السلام، قراجع.

الكسائي: نلتن.

(البهوي ١: ٤٥٠)

أبو عبيدة: أي نلتن، يقال: ماله بهتله الله! ويقال:

عليه بهتله الله.

(١: ١٦٦)

ابن قتيبة: أي تداعى باللحن، يقال: عليه بهتله

الله وبهتله، أي لعنته.

(١: ٦٦)

الطبري: ثم نلتن، يقال في الكلام: ماله بهتله الله!

أي لعنه الله، وماله، عليه بهتله الله! يريد اللحن. [ثم

استشهد بنهر إلى أن قال:]

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، قال: فقلت

للمغيرة: إن الناس يرون في حديث أهل نجران [إن عليًا

كان معهم. فقال: أما الشعي^(١١) فلم يذكره جلالته

لـ. رأي بني أمية في علي، أو لم يكن في الحديث. [إلى

أن ذكر عن علياء بن أحمد الشكري أنه قال:]

لما نزلت هذه الآية، أرسل رسول الله ﷺ إلى علي

وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين، ودعا اليهود

ليلاعنهم، فقال شاب من اليهود: ويحككم، أليس عهدكم

بالأمر إخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير؟

لاتلاعنوا، فانتهاوا.

(٢: ٢٩٨)

الزجاج: وقوله جلّ وعز: ﴿لَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي

في عيسى. ﴿وَمِنْ بَقْدٍ حَاجَّةً كَ مِنْ الْعِلْمِ﴾ قيل له: هذا

بعد أن أوحيت إليه البراهين والمجج القاطعة في نبيته

أمر عيسى أنه عبد، فأمر بالمباهلة بعد إقامة الحجّة، لأنّ

الحجّة قد بلغت النهاية في البيان، فأمر الله أن يجتمع هو

والنساء والأبناء من المؤمنين، وأن يدعوهم إلى أن

يتجمعوا هم وآباؤهم^(١٢) ونسأؤهم، ثم يتهللون... [إلى

أن قال:]

فدعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة لأمرين، كلاهمافيه بيان أن علياء هم قد وقفوا على أن أمر النبي ﷺ حق.

لأنهم إذا أبوا أن يلاعنوا دلّ إباؤهم على أنهم قد علموا

أنهم إن باهلوه نزل بهم مكروه، وأنهم إذا تركوا المباهلة

دلّ ذلك [على] ضغفهم. ومن لا علم عنده أن فرارهم

من المباهلة دليل على أنهم كاذبون، وأن النبي ﷺ

صادق.

وقيل: إن بعضهم قال لبعض: إن باهلتموه اضطرم

الهادي عليكم نارًا، ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى

يوم القيامة. [ثم روى عن النبي وقد سبق قوله ﷺ]

وهذا مكان ينبغي أن يمتن النظر فيه، ويعلم

المؤمنون بيان ما هو عليه، وما عليه من الضلال من

خالفهم. لأنهم لم يرو أحد أنهم باهلوا النبي ﷺ

ولا أجابوا إلى ذلك. (١: ٤٢٣)

الشريف الرضي: ومن سأل عن قوله تعالى:

﴿لَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَقْدٍ حَاجَّةً كَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَقَالُؤًا

نَدْحُ أَتْنَاءَنَا وَأَتْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا

وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ فقال: أما دعاء الأبناء والنساء فالمعنى

فيه ظاهر، فدعاء الأنفس؟ والإنسان لا يصح أن يدعو

نفسه كما لا يصح أن يأمر وينهى نفسه؟

فالجواب عن ذلك: أن العلياء أجمعوا والزواة أطبقوا

(١١) من كلامه، قراجع.

(١٢) الظاهر: آباؤهم.

عل أن رسول الله ﷺ لما قدم عليه وفد نصارى نجران ،
 ولهم الأسقف وهو أبوحارثة بن علقمة ، والسيد
 والعاقب وغيرهم من رؤسائهم ، قدار بينهم وبين رسول
 الله في معنى المسيح عليه السلام - ما هو منسروح في كتب
 التفاسير ولا حاجة بنا إلى استقصاء شرحه ، لأنه خارج
 عن غرضنا في هذا الكتاب - فلما دعاهم ﷺ إلى
 الملاعة ، أقعد بين يديه أمير المؤمنين علياً ، ومن ورائه
 فاطمة ، وعن يمينه الحسن ، وعن يساره الحسين عليه السلام
 أجمعين ، ودعاهم هو ﷺ إلى أن يلاعنوه ، فامتنعوا من
 ذلك خوفاً على أنفسهم ، وإشفاقاً من عواقب صدقه
 وكذبهم ، وكان دعاء الأبناء مصروفاً إلى الحسن
 والحسين عليه السلام ، ودعاء النساء مصروفاً إلى فاطمة عليها السلام ،
 ودعاء الأنفس مصروفاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ لا يبعد
 في الجماعة بجزء أن يكون ذلك متوجهاً إليه غيره ، لأن
 دعاء الإنسان نفسه لا يصح ، كما لا يصح أن يأمر نفسه .
 وفي هذه الآية أيضاً دليل على أن ابن البنت يسوع
 تسميته ابناً في لسان العرب ، ألا ترى إلى قوله تعالى :
 ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ... ﴾ . وقد أجمع
 العلماء على أن المراد بذلك الحسن والحسين عليه السلام .
 وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال للحسن : إن
 ابني هذا سيد . وقد قال بعضهم : أن هذا مخصوص في
 الحسن والحسين أن يسبيا ابني رسول الله دون غيرهما ،
 قال : ومن الدليل على خصوص ذلك فيها قول
 النبي ﷺ : « كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا
 سبي ونسبي » . وليس يتوجه قوله : ونسبي ، إلا إلى من
 ولدته فاطمة ابنته عليه السلام ، إذ ليس هناك ولد ذكر من صلبه

اتصل نسبه وخرب عرقه ، فالتسب إليه من ولد ابنته .
 وروى الحسن بن زياد اللؤلؤي صاحب أبي حنيفة ،
 عنه : « إن من أوصى لولد فلان ، وله ولد ابن وولد بنت ،
 دخل ولد البنت في الوصية » ، قيل : هذا القول يسوغ أن
 يسمى ابن البنت ولداً . وقال لي شيخنا أبو بكر محمد بن
 موسى الخوارزمي : رواية الحسن بن زياد في ذلك تخالف
 قول محمد بن الحسن ، فإن محمداً يقول في هذه المسألة :
 « إن الوصية لولد الابن دون ولد البنت » .

فإن قال قائل : كيف صح دخول الحسن والحسين
 في المباحلة وهي : الملاعة ، وهما صغيران ، والأطفال
 لا يستحقون اللعن ، ولو كانوا أطفال المشركين ، لأنهم
 لا يؤمنون لهم استحقاق بها ذلك ؟ فالذي أجاب به قاضي
 القضاة أبو الحسن في هذا : أن المقويات النازلة في تكذيب
 الأنبياء عليهم السلام على وجه الاستئصال تكون عامة تدخل
 فيها الصغار ، وإن كان ما ينالهم على وجه الهنة لا على
 وجه العقوبة ، ويمر ذلك بمرى ما ينزل بهم من
 الأمراض والأسقام والجرائع العظام وطوارق الهيام ،
 وقد أوما أبو علي إلى هذا الجواب في تفسيره .

وقال أيضاً : « مما يدل على أنه تعالى لم ينع الصغار
 باللعن قوله : ﴿ فَتَجْعَلُ نُفُوسَهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ،
 والأطفال لا يدخلون تحت هذا الاسم ، لأن الكافرين هم
 الذين كذبوا على الله ورسوله ، والأطفال ليسوا بهذه
 الصفة ، فقد خرجوا من استحقاق اللعنة » . (٢٢٩)
 الصاوري : وفي قوله : ﴿ تَجْعَلُ ﴾ تأويلان :
 أحدهما : تلعن ، والثاني : ندعو بهلاك الكاذب . [تم
 استشهد بشعر]

فلما نزلت هذه الآية، أخذ النبي ﷺ بيد علي وفاطمة والحسن الحسين عليهما السلام، ثم دحا النصارى إلى المباحلة، فأحجموا عنها.

وقال بعضهم لبعض: إن باهتكموا اضطرم الوادي عليكم نارًا. (٣٩٨: ١)

الطوسي: [ذكر القصة نحو المأوردي ثم أضاف بعد قوله: فأحجموا عنها:] ...وأقرتوا بالذلة والجزية.

ويقال: إن بعضهم قال لبعض: إن باهتكموا اضطرم الوادي نارًا عليكم، ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة.

وروي أن النبي ﷺ قال لأصحابه: مثل ذلك ولاخلاف بين أهل العلم أنهم لم يحجموا إلى المباحلة وقيل في معنى الابتهاال قولان:

أحدهما: الاتيمان، يهتله الله، أي لعنه، وعليه تهتله

الله.

الثاني: (تبتهل): تدعو بهلاك الكاذب، قال لبيد.

● نظر الدهر إليهم فابتهل ●

أي دحا عليهم بالهلال كاللن، وهو المباحلة من رحمة الله عقابًا على مصيئته، فلذلك لا يجوز أن يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيمة أو نحو ذلك.

وقال أبو بكر الرازي: الآية تدل على أن الحسن والحسين ابناه، وأن ولد البنت ابن على الحقيقة.

وقال ابن أبي علان: فيها دلالة على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباحلة لا يجوز إلا مع البالغين.

واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الصحابة من وجهين:

أحدهما: أن موضوع المباحلة ليشتمل الحق من المبط، وذلك لا يصح أن يفعل إلا بين هو مأمون الباطن، منطوقًا على صحة عقيدته، أفضل الناس عند الله.

والثاني: أنه عليه السلام جعله مثل نفسه بقوله: «وَأَنْتُمْ وَأَنْتُمْ» لأنه أراد بقوله: «أَيُّنَا» الحسن والحسين عليهما السلام بسلاخلاف، وبقوله: «وَيَنْشَأُنَا»

فاطمة عليهما السلام، وبقوله: «وَأَنْتُمْ» أراد به نفسه، ونفس علي عليه السلام، لأنه لم يحضر غيرها بلاخلاف، وإذا جعله مثل نفسه، وجب ألا يدانيه أحد في الفضل، ولا يقاربه.

ومنى قيل لهم: إئتد أدخل في المباحلة الحسن والحسين عليهما السلام، مع كونها غير بالعين وغير مستحقين للثواب، وإن كانا مستحقين للثواب لم يكونا أفضل الصحابة.

قال لهم أصحابنا: إن الحسن والحسين عليهما السلام كانا بالعين مكلفين، لأن البلوغ وكمال العقل لا يقتدر إلى شرط مخصوص، ولذلك تكلم عيسى عليه السلام في المهد بما دل على كونه مكلفًا حافلًا، وقد حكى ذلك عن إمام من أئمة المعتزلة مثل ذلك.

وقالوا أيضًا: أعني أصحابنا -: إنها كانا أفضل الصحابة بعد أبيهما وجدهما، لأن كثرة الثواب ليس بموقوف على كثرة الأعمال، فحصر سبها لا يمنع من أن يكون معرفتها وطاعتها لله، وإقرارها بالنبي ﷺ وقع على وجه يستحق به الثواب ما يزيد على ثواب كل من عاصرها، سوى جدتها وأبيها. (١٨٤: ٢)

أحدهما الآخر، واستنزأها بإصرار، وتأكيد لعنة الله عز وجل على الكاذب منها، والبهلة: اسم للجنة، والمباهلة والتباهل والابتهاال بمعنى واحد في اللغة، وقُسر الابتهاال نفسه بما بعده، فقال: ﴿فَتَبْقُلُ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

وقيل: يوم المباهلة إحدى وعشرين من ذي الحجة. [ثم ذكر القصة نحو ما ذكرنا عن الواحدي]

(٢: ١٤٧)

الزُّمَّشَرِيُّ: ثم تباهل، بأن يقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم.

والبهلة بالفتح والقصر: اللعنة، وبهلة الله: لعنة وأبعده من رحمته، من قولك: أبهله، إذا أهمله. وناقاة باهلي: الإصرار عليها، وأصل الابتهاال هذا ثم استعمل في كل دعاء يحثهم فيه وإن لم يكن إلتماساً. [ثم ذكر القصة نحو ما تقدم من ابن الزبير والواحدي، وأضاف:]

وعن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ خرج وعليه برط مرجل من شعر أسود، فبعاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...» الأحزاب: ٣٣.

فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا لئيبين الكاذب منه ومن خصمه؛ وذلك أمر يختص به ومن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟

قلت: ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه؛ حيث استجراً على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه

الواحدي: قال المفسرون: لما احتج الله تعالى على النصاري من طريق القياس بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى...﴾ آل عمران: ٥٩، أمر النبي ﷺ أن يحتج عليهم من طريق الإعجاز وهو المباهلة؛ ومعنى المباهلة: الدعاء على الظالم من الفريقين.

فلما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ وغد نجران إلى المباهلة، وخرج رسول الله ﷺ محضاً الحسين آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو يقول: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمْنُوا».

فقال أسقف نجران: يا معشر النصاري إنِّي لأرى وجوهاً لو سألوها الله أن يُزِيلَ جِلاَ من مكانه لأزاله، فلا تبهلوا فتهلكوا، ولا يبق على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

ثم قبلوا الجزية وانصرفوا، فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ...» [هكذا ذكر نحو ما تقدم عنه ﷺ ثم قال:]

...عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿تَدْعُ ابْنَاءَنَا وَابْنَاتَكُمْ...﴾ إلخ، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: «هَؤُلَاءِ أَهْلِي» رواه أحمد في مسنده عن قتيبة.

وأراد بالأنفس: بني العم، والعرب تحب عن ابن العم بأته نفس، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلَيزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المعجرات: ١١، أراد: إخوانكم من المؤمنين. (١: ٤٤٤) البغوي: [ذكر نحو ما مضى عن ابن الزبير والشعبي والواحدي]

الصبيدي: المباهلة: دعاء شخصين أو جميعين على

له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة.

وخص الأبناء والنساء، لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحمارب دونهم حتى يُقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمتعهم من الحرب، ويسمون الذادة عنهم بأرواحهم؛ حماة الحقائق، وقدمهم في الذكر على الأنفس ليثبت على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها.

وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (عليه السلام)، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك.

نحوه - في معنى الابتهاال وفي نقل الفصحة - التضاوية (١: ١٦٢)، والتسني (١: ١٦١)، والخازن (١: ٣٠٢)، والشريسي (١: ٢٢٣)، وأبو الأسود (١: ٣٧٨)، والكاشاني (١: ٣١٨)، والبرزوي (٢: ٤٤)، والأكوسي (٣: ١٨٨)، ومحمد مخلوف (١: ١١١).

ابن عطية: [ذكر موجزًا من القصص عن المتقدمين ثم قال:]

وفي هذه القصة اختلافات للرواة، وعبارات تجري كلها في معنى ما ذكرناه، لكننا قصدنا الإيجاز.

وفي ترك التصاري الملاحنة لهمهم نبوة محمد شاهد عظيم على صحة نبوته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وماروي من ذلك خير مما روى الشعبي من تقسيم ذلك الرجل العاقل فيهم أمر محمد، بأنه إمامي وإمامك، لأن هذا ظهر ديناوي.

وماروي الرواة من أنهم تركوا الملاحنة لهمهم نبوته أحج لنا على سائر الكفرة، وأليق بحال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودعاء النساء والأبناء للملاحنة أحرر للسنوس وأدعى لرحمة الله أو لنضبه على المهطلين.

وظاهر الأمر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءهم بما يحضه، ولو عزموا استدعى المؤمنين بأبنائهم ونسائهم، ويحتمل أنه كان يكتبي بنفسه وخاصته فقط. (١: ٤٤٧)

الطبرسي: [ذكر في معنى الابتهاال نحو ما قال الطوسي ثم قال:]

فلما دعاهم رسول الله إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف: اظروا محمدًا في غد، فإن غدا يولد وأهله فاجتهدوا بمباهلته. وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على

غير شيء
فلما كان الند جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذًا بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) بين يديه يمشيان وفاطمة (عليها السلام) تمشي خلفه، وخرج التصاري يقدمهم أسقفهم، فلما رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أقبل بن منه سأل عنهم، فقيل له: هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إليه، وهذان ابنا بنته من علي (عليه السلام)، وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه.

فتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه، قال أبو حارثة الأسقف: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة، فرجع ولم يقدم على المباهلة، فقال السيد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة، فقال: لا، إني لأرى رجلًا جريئًا على المباهلة وأنا أخاف أن يكون صادقًا، ولئن كان صادقًا لم يحل

والله علينا المحول ، وفي الدنيا نصراني يطعم الماء .

فقال الأسقف : يا أبا القاسم إنما لانباهلك ، ولكن نصالحك فصالحنا على ما يُنقض به ، فصالحهم رسول الله ﷺ على ألبى حلة من حلل الأواقي . قسمة كل حلة أربعون درهما ، فما زاد ونقص فعلى حساب ذلك ، وعلى عارية ثلاثين درهما وثلاثين رُحما وثلاثين قرشا إن كان باليمن كيد ، ورسول الله ضامن حتى يؤذيها ، وكتب لهم بذلك كتابا .

وروي أن الأسقف قال لهم : إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يُزيل جبلا من مكانه لأزاله فلابتهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة .

وقال النبي : والذي نفسي بيده لو لا يسلا عنقي لمُسخوا قردة وضازير ولا خطم الوادي عليهم شيئا . ولما حال المحول على النصارى حتى هلكوا كلهم .

قالوا : فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعالم إلا يسيرا حتى رجعا إلى النبي ، وأهدى العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلين وأسلما . [تم ذكر في التفسير نحو الطوسي فراجع] (١ : ٤٥١)

ابن الجوزي : قال المفسرون : أراد بأبنائنا فاطمة والحسن والحسين .

وروي مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ تَقَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، قال : «اللهم هؤلاء أهلي» . (١ : ٣٩٩)

أبو الفتوح : [ذكر القصة نحو ابن إسحاق وغيره

إلى أن قال :

﴿ تَمَّ نَبْتُهُ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : تضرع إلى الله في الدعاء ، والابتetal : التضرع ، أي تضرع إلى الله تعالى ليجيب دعاءنا ، ويتكل بالكاذب منا ، وهو قول عبد الله بن عباس ، وقال مقاتل : تخلص في الدعاء ، وقال الكلبي : نجهد وندأب فيه ، وهذه الأقوال متقاربة .

والثاني : نلتم ونقول : على الكاذب منا لعنة الله ، من قول العرب : عليه يهلك الله ، ويهلكته ، أي لعنته ، قال ليد :

في فروم سادة من قومهم

نظر الدهر إليهم فابتهل

الهمداني عليهم .

ويبدو أن هذا البيت - وإن استشهد به جم غفير من المفسرين هذا المعنى - شاهد للمعنى الأول ، فهو من التضرع ، أي تضرع وذل لهم .

[وقوله :] ﴿ فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ عطف على قوله : ﴿ تَمَّ نَبْتُهُ ﴾ ، ولذا جُزم ، يعني نقول : لعنة الله على الكاذب . (١ : ٣٦٠)

الفخر الرازي : [ذكر القصة نحو الزمخشري وأضاف بعد نقل رواية عائشة :

واعلم أن هذه الرواية كالمثاق على صحتها بين أهل التفسير والمحدث ، [إلى أن قال :

هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ ، وعَد أن يدعو أبناءه ، فدعا الحسن والحسين ، فوجب أن يكونا ابنيه .

نفسه.

والقول الأول أولى، لأنه يكون قوله: ﴿ثُمَّ تَبْتَهِلُ﴾ أي ثم نجتهد في الدّعاء، ونجعل اللّعة على الكاذب. وعلى القول الثاني يصير التقدير: ﴿ثُمَّ تَبْتَهِلُ﴾ أي ثم ننصن ﴿فَتُبْقِلُ لَفَنَتِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ وهي تكرار. بقي في الآية سوالات أربع:

السؤال الأول: الأولاد إذا كانوا صغاراً، لم يميز نزول العذاب بهم، وقد ورد في الخبر أنه صلوات الله عليه أدخل في المباهلة الحسن والحسين عليهما السلام، فالفائدة فيه؟ والجواب: إن عادة الله تعالى جارية بأن عقوبة الاستئصال إذا نزلت بقوم هلكت معهم الأولاد والنساء، فبكون ذلك في حق البالغين عقاباً، وفي حق الصبيان لا يكون عقاباً، بل يكون جارية بجرى إيمانهم، وإيصال الآلام والإسقام إليهم. ومعلوم أن شفقة الإنسان على أولاده وأهله شديدة جداً، فربما جعل الإنسان نفسه فداءً لهم وجنته لهم، وإذا كان كذلك: فهو عليه السلام أحضر صبيانه ونسائه مع نفسه، وأمرهم بأن يفعلوا مثل ذلك، ليكون ذلك أبلغ في الزجر وأقوى في تخويف الخصم، وأدل على وثوقه صلوات الله عليه وعلى آله، بأن الحق معه.

السؤال الثاني: هل دلت هذه الواقعة على صحة نبوة محمد عليه السلام؟

الجواب: إنها دلت على صحة نبوته عليه السلام من وجهين: أحدهما: وهو أنه عليه السلام خوفهم بنزول العذاب عليهم، ولو لم يكن واثقاً بذلك، لكان ذلك منه سعيًا في إظهار كذب نفسه لأنّ بتقدير: أن يرغبوا في مباهلتهم، ثم

وبما يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ﴾، ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأمّ، لا بالأب، فثبت أن ابن البنت قد يستقى أبناً، والله أعلم. [إلى أن قال:]

قوله: ﴿ثُمَّ تَبْتَهِلُ﴾ أي تباهل، كما يقال: اقتتل القوم وتقاتلوا، واصطحبوا وتصاحبوا، والابتهاال فيه وجهان:

أحدهما: أن الابتهاال هو الاجتهاد في الدّعاء، وإن لم يكن باللّمن، ولا يقال: ابتهل في الدّعاء إلا إذا كان هناك اجتهاد.

والثاني: أنه مأخوذ من قولهم: عليه بئسمة الله أي لعنته، وأصله مأخوذ مما يرجع إلى معنى اللّمن. لأنّ معنى اللّمن هو الإبعاد والطرّد، وبهله الله، أي لعنه وأبعده من رحمة، من قولك: أبهله، إذا أبهله. ونافقه تباهل، لا بصرار عليها، بل هي رسالة مخلّاة، كالزجل الطّريد المنّي.

وتحقيق معنى الكلمة: أن «البهل» إذا كان هو الإرسال والتخليّة، فكان من بهله الله فقد خلّاه الله ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه فهو حاله لا شاك فيه، فمن باهل إنساناً فقال: على بهله الله إن كان كذا، يقول: وكلني الله إلى نفسي وفوضني إلى حولي وقوتي، أي من كلاءته وحفظه، كالثقة الباهل التي لاحظها في ضرعها، فكلّ من شاء حلبها وأخذ لبنها، لا قوة لها في الدّفع عن نفسها. ويقال أيضاً: رجل باهل، إذا لم يكن معه عصا، وإنما معناه أنه ليس معه ما يدفع عن

لا ينزل العذاب، فحيث كان يظهر كذبه فيما أخبر. ومعلوم أن محمدًا ﷺ كان من أعدل الناس، فلا يليق به أن يعمل عملاً يقضي إلى ظهور كذبه، فلما أصر على ذلك، علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقًا بنزول العذاب عليهم.

وثانيهما: إن القوم لما تركوا مباحته، فلو أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته، ولما أحجموا عن مباحته.

فان قيل: لم لا يجوز أن يقال: إنهم كانوا شاكّين، فتركوا مباحته خوفًا من أن يكون صادقًا، فيزل بهم ما ذكر من العذاب؟

قلنا: هذا مدفوع من وجهين:

الأول: أن القوم كانوا يبذلون النفوس والأموال في المنازعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام، ولو كانوا شاكّين لما فعلوا ذلك.

الثاني: إنه قد نقل عن أولئك التصاري أنهم قالوا: إنه والله هو النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، وإنكم لو باهلتموه لحصل الاستئصال، فكان ذلك تصريحًا منهم بأن الامتناع عن المباحة كان لأجل علمهم بأنه نبي مرسل من عند الله تعالى.

السؤال الثالث: أليس أن بعض الكفار استغلوا بالمباحة مع محمد ﷺ حيث قالوا: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَرَّادًا مِنَ السَّمَاءِ» الأنفال: ٣٢، ثم إنه لم ينزل العذاب بهم البتة، فكذا هاهنا، وأيضًا فتقدير نزول العذاب، كان ذلك منقطعًا لقوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ وَأَنْتُمْ فِيهِمْ» الأنفال: ٣٣.

والجواب: الخاصّ مقدّم على العام، فلما أخبر ﷺ بنزول العذاب في هذه السورة على التّمين، وجب أن يعتد أن الأمر كذلك.

[ثم ذكر السؤال الرابع في اتصال قوله «إِنْ هَذَا لَوْ أَتَيْنَا الْحَقَّ» آل عمران: ٦٢ بما قبله فلاحظ]

(٨: ٨٥)

نحوه الثيسابوري. (٣: ٢٦٢)

ابن هريّ: إن لمباحة الأنبياء تأثيرًا عظيماً، سببه اتصال نفوسهم بروح القدس، وتأيد الله إيمانهم به، وهو المؤثر بإذن الله في العالم المنصري، فيكون اتصال العالم المنصري منه كاتصال بدنا من روحنا، بالهيات الوارثة عليه، كالغضب، والحزن، والفكر في أحوال المخلوق، وغير ذلك من تحريك الأعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم، واتصال النفوس البشرية منه كاتصال حواسنا، وسائر قولنا من هيات أرواحنا.

فإذا اتصل نفس قدسيّ به أو ببعض أرواح الأجرام السماوية والنفوس المملوكة، كان تأثيرها في العالم عند التوجه الاتصالي تأثير ما يتصل به، فتتفعل أجرام العناصر والنفوس الناقصة الإنسانية منه بما أراه، ألم تر كيف انقلبت نفوس التصاري من نفسه ﷺ بالخوف، وأحجمت عن المباحة وطلبت الموادة، بقبول الجزية! (١: ١٩٣)

القرطبي: (أبناءنا) دليل على أن أبناء البنات يُسمون أبناء، وذلك أن النبي ﷺ جاء بالحسن والحسين، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو يقول لهم: «إِنْ أَنَا دَعَوْتُ فَأَمْنُوا» وهو معنى قوله: «ثُمَّ نَسْتَقُولُ»، إلى أن

[قال:]

أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...» دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أهلي».

وقال قوم: المباهلة كانت عليه وعلى المسلمين. بدليل ظاهر قوله: «نَدَعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» على الجمع، ولما دعاهم دعا بأهله الذين في حوزته، ولو عزم نصارى نجران على المباهلة وجاءوا لها، لأمر النبي ﷺ المسلمين أن يخرجوا بأهاليهم لمباهلته.

وقيل: المراد بلأَنْفُسَنَا: الإخوان، قاله ابن قُتَيْبَةَ، قال تعالى: «وَلَا تُلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» المجزئات: ١١، أي إخوانكم.

وقيل: أهل دينه، قاله أبو سليمان الدمشقي، وقيل: الأئمة واج.

وقيل: أراد القرابة القريبة، ذكرها علي بن أحمد الشاذلي: [إلى أن قال:]

وقد طول المفسرون بما روي في قصة المباهلة ومضمونها أنه دعاهم إلى المباهلة، وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعلي إلى المياد، وأتاهم كفواً عن ذلك ورضوا بالإقامة على دينهم وأن يؤدوا الجزية، وأخبرهم أخبارهم أنهم إن باهلوأ عذبوا. وأخبر هو ﷺ أنهم إن باهلوأ عذبوا.

وفي ترك النصارى الملاعة لعلمهم بنبوته شاهد عظيم على صحة نبوته، [إلى أن قال:]

وفي الآية دليل على المظاهرة بطريق الإجماع، على من يدعي الباطل بعد وضح البرهان بطريق القياس. [ثم قال مطالب يأتي في «ن ف س»، إلى أن قال:]

هذه الآية من أعلام نبوة محمد ﷺ، لأنه دعاهم إلى المباهلة، فأبوا منها ورضوا بالجزية، بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب أنهم إن باهلوأ اضطرم عليهم الوادي ناراً، فإن محمداً نبي مرسل، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل في أمر عيسى.

فتركوا المباهلة وانصرفوا إلى بلادهم، على أن يؤدوا في كل عام ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك بدلاً من الإسلام.

قال كثير من العلماء: إن قوله ﷺ في الحسن والحسين ﷺ لما باهل: «نَدَعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» وقوله في الحسن: «إن ابني هذا سيد» مخصوص بالحسن والحسين أن يستيا ابني النبي ﷺ دون غيرهما، لقوله ﷺ: «كل سب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا بنبي وسبي». ولهذا قال بعض أصحاب الشافعي فيمن أوصى لولد فلان ولم يكن له ولد لصلبه وله ولد ابن وولد ابنة: إن الوصية لولد الابن دون ولد الابنة وهو قول الشافعي. (٤: ١٠٤)

أبو حنبلان: أي يدعو كل سبي ومنكم أبناء ونساء، ونفسه إلى المباهلة، وظاهر هذا أن الدعاء والمباهلة بين المخاطب بـ(قُلْ) وبين من حاجته. وقُسر على هذا الوجه «الأبناء» بالحسن والحسين، وبـ«نساء» فاطمة، و«الأنفس» علي.

قال الشعبي: وبدل على أن ذلك مختص بالنبي ﷺ مع من حاجته ثابت في صحيح مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية: «تَعَالَوْا نَدْعُ

قيل: ولي هذه الآية^(١) ضروب من البلاغة... منها:
العام يراد به الخاص في: «تَدْعُ أَبْنَاءَنَا»، والتجوز
بإقامة ابن العم مقام النفس، على أشهر الأقوال،
والحذف في مواضع كثيرة. (٤٧٩: ٢ - ٤٨١)

ابن كثير: [روى القصص بطولها واختلافها عن
ابن إسحاق وغيره، فلاحظ] (٤٧: ٢ - ٥٢)

أبو السعود: «تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» اكتفى بهم
عن ذكر البنات، لظهور كونهم أمرّ منهن. وأما النساء
فتعلقهن من جهة أخرى: «وَبَنَاتَنَا وَبَنَاتَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ» أي ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله
والصنم بقلبه إلى المباهة ويمسكهم عليها.

وتقديمهم على «النفس» في أثناء المباهة التي هي
من باب الممالك ومطابق التلف، مع أن الرجل يحاطر نفسه
بنفسه، ويحارب موثمه، للإيمان بكمال أمته بهذه
الصلاة والسلام، وتقام ثقته بأمره، وقوة يقينه بأنه
لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه أصلاً، وهو السر في
تقديم جانبه ^{عليه} على جانب المخاطبين في كل من المقدم
والمؤخر مع رعاية الأصل في الصيغة. فإن غير المتكلم
تبع له في الإسناد. [ثم قال في معنى الابتهاال وفي نقل
القصة نحو ما مضى عن ابن الزبير والواحدوي
والزُّنْشَرِي] (٣٧٨: ١)

القاسمي: [ذكر تنبيهات - وهي قول الفاساني
وقول ابن كثير في نقله الروايات وقول الزُّنْشَرِي: فإن
قلت: ... إلخ - ثم أضاف:]

الرابع: استبط من الآية جواز الحاجة في أمر الدين،
وأن من جادل وأنكر شيئاً من الشريعة جازت مباهلتة

اقتداءً بما أمر به ﷺ. والمباهة: الملاعبة.

قال الكازروني في تفسيره: وقع البحث عند شيخنا
العلامة الدواني قدس الله سره في جواز المباهة بعد
النبي ﷺ، فكتب رسالة في شروطها المستنبطة من
الكتاب والسنة والآثار، وكلام الأئمة، وحاصل كلامه
فيها: أنها لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً، وقع فيه اشتباه
وعناد لا يتيسر دفعه إلا بالمباهة، فيُستَطرَق كونها بعد
إقامة الحجّة والسعي في إزالة الشبهة، وتقديم النصح
والإنذار وعدم تقع ذلك، ومساس الضرورة إليها.

قال الإمام صدّيق خان في تفسيره: وقد دعا الحافظ
ابن القيم، رحمه الله، من خالفه في مسألة صفات الربّ
تعالى شأنه وإجرائها على ظواهرها من غير تأويل
ولا تحريف ولا تعطيل، إلى المباهة بين الركن والمقام،
فلم يجبه إلى ذلك وخاف سوء العاقبة. وتقام هذه القصة
مذكورة في أول كتابه المعروف بـ«التوبة»، انتهى.

وقد ذكر في «زاد المعاد» في فصل فقه قصة وفد
نجران مانعته: ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا
قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا بل أصروا على العناد
أن يدعوهم إلى المباهة، وقد أمر الله سبحانه بذلك
رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك. ودعا
إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض
مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه
الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة دفع اليمين ولم ينكر
عليه ذلك، وهذان تمام الحجّة، انتهى. (٨٥٧: ٤ - ٨٦٠)

(١) المراد الآيات ٥٥ إلى ٦١ من آل عمران، وقد نقلنا
موضع الحاجة.

رشيد رضا، يقال: ابتهل الرجل: دعا وتضرع، والقوم: تلاعنوا. وفسر الابتغال هنا بقوله: ﴿فَتَجْعَلُ لِقَتِيَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، ونسبى هذه الآية آية المباهلة، [ثم ذكر بعض الروايات التي لم نذكرها إلى أن قال:]

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه: ﴿قُلْ تَكَلَّأُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ فجاء بأبي بكر وولده وبسمر وولده وبسحان وولده وبعلي وولده. والظاهر أن الكلام في جماعة المؤمنين.

قال الأستاذ الإمام: الروايات متفقة على أن النبي ﷺ اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولدهما، ويحملون كلمة (نِسَاءَنَا) على فاطمة، وكلمة (أَبْنَاءَنَا) على علي فخط، ومصادر هذه الروايات الشبهة ومقصدهم منها معروف.

وقد اجتهدوا في ترويحها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنة. ولكن واضعها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فإن كلمة (نِسَاءَنَا) لا يلوها العربي ويريد بها بنته لاسيما إذا كان له أزواج، ولا ينهم هذا من لغتهم، وأبعد من ذلك أن يراد بها (أَنْفُسَنَا) علي عليه الرضوان.

ثم إن وفد تجران الذين قالوا: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم.

وكل ما يفهم من الآية أمر النبي ﷺ أن يدعو المجاهدين والمجاهدين في عيسى [عليه السلام] من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالاً ونساء وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنين رجالاً ونساء وأطفالاً، ويهتلون إلى الله تعالى بأن يلن

الكاذب فيما يقول عن عيسى [عليه السلام].

وهذا الطلب يدل على قوة يقين صاحبه وثقته بما يقول، كما يدل امتناع من دعوا إلى ذلك من أهل الكتاب سواء كانوا نصارى تجران أو غيرهم على استرائهم في حجاجهم ومماراتهم فيما يقولون وزلزالهم فيما يعتقدون وكونهم على غير بينة ولا يقين.

وأقوى لمن يؤمن بالله أن يرضى بأن يسمع مثل هذا الجمع من الناس الحقين والمبطلين في صعيد واحد، متوجهين إلى الله تعالى في طلب لعنه وإبعاده من رحمة؟ وأي جرأة على الله واستهزاء بقدرته وعظمته أقوى من هذا؟

قال: أما كون النبي ﷺ والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى [عليه السلام]، فحسبنا في بيانه قوله تعالى: ﴿مِنْ تَحْتِهَا جَاءَتْكَ مِنَ الْجَحِيمِ آلُكُمْ﴾ فالعلم في هذه المسائل الاعتقادية لا يراد به إلا اليقين.

وفي قوله: ﴿تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ إلخ وجهان: أحدهما: أن كل فريق يدعو الآخر فأنتم تدعون أبناءنا ونحن ندعو أبناءكم، وهكذا الباقي.

وثانيهما: أن كل فريق يدعو أهله، فنحن المسلمين ندعو أبناءنا ونساءنا وأنفسنا وأنتم كذلك. ولا إشكال في وجه من وجهي التوزيع في دعوة الأنفس، وإنما الإشكال فيه على قول الشيعة ومن شايهم على القول بالتخصيص.

(٣: ٣٢١)

نحو المراحني.

(٣: ١٧٢)

هزة دروزة: [نحو رشيد رضا ثم أضاف بعد نقل الحديث الذي أخرجه ابن عساكر]

النصارى نحو سبعة قرون قبل مبعث النبي الكريم، وهم على هذا المعتقد في المسيح عليه السلام، وأنه هو الله، تجسد في جسد عذراء.

وإنه لمن العسير أن يتخلّصوا من هذا المعتقد الذي دانوا به، وأقاموا له بناء ضخماً من المنطق العاطفي، الذي استخرج بتفكيرهم، واختلط بشاعرهم، وهيبات - والأمر كذلك - أن يستموا إلى قول يخالف ما قالوا، وأن يتصوّروا المسيح على غير الصورة التي انطبعت في كيانه.

وإذن، فالحديث إليهم بمطلق العقل لا يجدي شيئاً، وإقامة البراهين والحجج بين أيديهم لتفنيدها صعباً، سيلتجئها براهين وحجج، وإنه لا تحصل لهذا إلا الما حكمة والجمل، واتساع شقّة الخلال والنقصان.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا جدال مع أتباع المسيح فيها يقولون فيه، فإن جاءوا إلى النبي الكريم بمجادلونه ومجادلونه، فلا يلقاهم النبي بمجادل وحجاج، إذ خرج الأمر فيه عن العقل ومنطقه، عند أتباعه، وصار إلى الوجدان والمأخذه، فليكن مقطع الحق في هذا الموقف، أن يصار فيه إلى الأسلوب العملي الملموس الذي يجابه الحوامس، ويؤثر آثاره فيها بحيث يعلق الأمر بمن وقع عليه، ويجد مذاقه الحلواً أو المرّاً في نفسه.

وجاء وفد من نصارى نجران، بعد أن أداروا الأمر فيما بينهم، وأعدوا له العدة، جاؤوا يحاجون النبي في «المسيح» بما عندهم من مقولات فيه، وهم يريدون أن يُسقطوا ما تلقى من كلمات الله في المسيح وفي أمته، وبذلك تحفظ دعوى النبي كلها بأنه رسول من عند الله، وأن

حيث يلوح من هذا أن بعض أهل السنة أراد مقابلة حديث الشيعة بحديث مناقض. ومثل هذا شيء كثير في كتب الحديث، وبخاصة في غير مساند الأحاديث الصحيحة. وابن هشام الذي يروي خبر ما كان بين النبي ووفد نجران بالتفصيل، ويورد آيات سورة آل عمران في سياق ذلك لم يذكر ذلك، وكل ما قاله: إن النبي دعاهم إلى الملاعة والمباهلة، فاستمهلوه ليظفروا في الأمر، ثم غدوا عليه فقالوا له: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعك، وابن كثير المحدث المفسر لم يرو ذلك أيضاً مع أنه كثيراً ما نقل عن الطبري، وإنما روى ما يقارب ما رواه ابن هشام. ولهذا فنحن نتوقف في الروايات التي تذكر أن النبي عليه السلام استعد فعلاً للمباهلة، ولا نرى الآية تستعمل استبطاء ذلك، لأنها جاءت بأسلوب التحدي والإفهام، والله أعلم.

سيد قطب: وقد دعا الرسول عليه السلام من كانوا يناظرونه في هذه القضية إلى هذا الاجتماع المأخوذ، ليتهل الجميع إلى الله أن ينزل لعنته على الكاذب من الفريقين. فخافوا العاقبة وأبوا المباهلة، وتبين الحق واضحاً.

ولكنهم فيما ورد من الروايات لم يسلموا احتفاظاً بكائناتهم من قومهم، وبما كان يتمتع به رجال الكنيسة من سلطان وجاء ومصالح ونصير!! وما كانت البيئة هي التي يحتاج إليها من يصدون عن هذا الدين إنما هي المصالح والمطامع والهوى، يصد الناس عن الحق الواضح الذي لا خفاء فيه.

عبد الكريم الخطيب: لقد عاشت أجيال

ما بين يديه من قرآن هو من عند الله.

وأخذ النبي - كما أمره الله - الطريق عليهم، فدعاهم إلى أن يدخلوا معه في تجربة عملية، هي أبلغ من كل قول، وأقوى من كل حجة، «تَقَالُوا نَذْغُ آبَاءَنَا وَإِثْنَاكُمْ وَإِسَاءَتَنَا وَإِسَاءَتَكُمْ وَأَنفُسُكُمْ لَمْ يَتَّبِعُوا فَتَجْعَلْ لَقِئَتِ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ» آل عمران: ٦١. ولقد خرج النبي الكريم بنفسه، وبابته فاطمة، وولديها الحسن والحسين، وبنيائه جميعاً، وطلب إلى هذا الوفد أن يلتقوه بأنفسهم، وبآبائهم وبنيانهم، وأن يتنهلوا جميعاً - هو ومن معه، وهم ومن معهم - إلى الله: أن يجعل لعنة على الكاذب من الفريقين، فيما يقول عن عيسى من مقولاته

وتدبر الوفد الأمر فيما بينهم، وأداروه على جميع وجوهه، ونظروا إلى أنفسهم، وإلى آبائهم وبنيانهم. فرأوا أن الأمر قد صار إلى الجدة، وأنهم مستنون في أنفسهم وأهلبيهم. وهنا أعادوا النظر فيما بين أيديهم من أمر المسيح، فرأوا أن حجبتهم واهية، وأن يقينهم الذي استيقنوه منه مشوب بشك يكاد يطلب هذا اليقين، وبدأ لهم أن مصرعهم وشبكهم وأهلبيهم إن هم باهلوا النبي، وأن دعوتهم على أنفسهم باللجنة إن أخطأتهم، فلن تحطهم دعوة النبي التي لا تُرد. فتركوا ما جاءوا له، وعادوا من حيث أتوا، وفي قلب كل منهم وسواس، وفي كيانه صراع عاصف، بين الحق الذي رآه، والباطل الذي يعيش فيه. (٢: ٤٨٣)

محمد جواد مغنيتي: هذه هي الآية المعروفة بآية المباحلة، وهي من أتهات الكتاب.

والقصد الأول من هذه الآية الكريمة العظيمة هو تدعيم الدين الحنيف، وإثبات الرسالة المحمدية الإنسانية، بطريق لا عهد به للعلم والعلماء، ولا يقدر عليه أحد على الإطلاق سوى خالق الأرض والسماء، ومع ذلك يفهمه بسهولة ويسر الجاهل والعالم...

ترتبط هذه الآية بالسنة التاسعة لهجرة الرسول الأعظم ﷺ إلى المدينة، وهي السنة المعروفة بحام الوفود، لأن الناس توافدت فيه على رسول الله ﷺ من شتى بقاع الجزيرة العربية، يحضون وده بعد أن أعل الله كلمة الإسلام ونصر المسلمين على أعداء الذين. إتم نقل القصة نحو ماسبق عن ابن إسحاق بإيجاز، إلى أن

قال:

«وحدثني هذه الرواية لا يحتاج إلى دليل، لأنها بنفسها تدل على صدقها، وتحمل قياساً عليها، كما يقول أهل المنطق: إن أكثر الذين أنكروا الحق وعاندوه كان الدافع إلى موقفهم المصالح الخاصة، والمنافع الشخصية، كما شرحنا ذلك مفصلاً عند الآية (٥٤) من هذه السورة، فقرة «الحق وأرياب المنافع».

ناظر الرسول وقد نجران في صفات عيسى، وجادلهم بالحجة الزائفة، والمنطق السليم بما لا يقبل المزيد. ولما أصروا على العناد قطع الكلام معهم، وأنهى المناظرة، ودعاهم إلى ما لا يشبه شيئاً، ولا يشبه شيء من المجاج والنقاش، ولكنه يحسم الموقف بسرعة، ويتأصل النزاع من الجذور. دعاهم إلى التقوى بكلمة واحدة فقط لا يقدم عليها في تلك اللحظة إلا من كان على يقين من صدقه، ولا يصجم عنها إلا من كان عالمًا

بكذبه. وهذه الكلمة هي «لَقُنتُ اللهَ عَلَى الْكَاذِبِينَ»
ولكنها تقترن بمعجزة خارقة، دونها معجزات المسيح
بجمعة؛ حيث تنهال على رأس الكاذب صاعقة من
السماء، تملأ الأرض عليه نارًا.

وقد تواترت الروايات في كتب الحديث والتفسير،
ومنها صحيح مسلم والترمذي، وتفسير الطبري،
والرازي، والبحر المحيط، وخرائب القرآن، وروح
البيان، والمنار، والمراغي، وغيرها كثير. تواترت
الروايات أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خرج، وعليه برط - أي كساء
غير محيط - أسود، وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد
الحسن، وفاطمة وعليّ يمشيان خلفه، وهو يقول: إذا
دعوت فآمنوا، فقال الرئيس الذي للوفد: يا معشر
النصارى إني لأرى وجوها لو دعيت الله أن يزيل **البحر**
من مكانه لأزاله. فلباتهاهلوا فتهلكوا. ثم قال:
يا أبا القاسم رأينا أن لانياهلك. فقال لهم: أسلموا فأبوا،
ثم صالحهم على أن يؤدوا الجزية.

وعاد الوفد مخذولًا مردولًا، يجر وراءه نوب الفشل
والخزي، وآمن بعد هذه المباهلة كثير من الذين لم يكونوا
قد آمنوا بعد، كما ازداد المؤمنون إيمانًا وتسليمًا.

(٢: ٧٦)

الطُّبَاطِبَائِيُّ: قوله تعالى: «قَتَلْنَا نَسَاءَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ
وَأَنفُسَكُمْ» المتكلم مع الغير في قوله: (نَدَعُ)، غيره في
قوله: (أَبْنَاءَنَا) و(نِسَاءَنَا) و(أَنفُسَنَا) غيابه في الأول
بمجموع المتخاصمين من جانب الإسلام والتصرّاتية، وفي
الثاني وما يلحق به من جانب الإسلام، ولذا كان الكلام

في معنى قولنا: ندع الأبناء والنساء والأنفس، فندعو نحن
أبناءنا ونساءنا وأنفسنا، وتدعون أنتم أبناءكم ونساءكم
وأنفسكم، ففي الكلام إيجاز لطيف.

والمباهلة والملاعنة وإن كانت بحسب الظاهر
كالهاجة بين رسول الله وبين رجال النصارى، لكن
عُتِمَت الدعوة للأبناء والنساء ليكون أدلّ على اطمينان
الداعي بصدق دعواه، وكونه على الحقّ لما أودعه الله
سبحانه في قلب الإنسان من محبتهم والشفقة عليهم،
فقرأ يتقهم بنفسه، ويركب الأهوال والمخاطرات
دونهم، وفي سبيل حمايتهم والغيرة عليهم والذبّ
عنهم، ولذلك بعينه قدّم الأبناء على النساء، لأنّ محبة
الأبناء بالنسبة إليهم أشدّ وأدوم.

وإن هنا يظهر فساد ما ذكره بعض المفسرين: أنّ
المراد بقوله: «نَدَعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» إلخ، ندع نحن
أبناءكم ونساءكم وأنفسكم، وتدعوا أنتم أبناءنا ونساءنا
وأنفسنا؛ وذلك لإبطاله ما ذكرناه من وجه تشريك
الأبناء والنساء في المباهلة.

وفي تفصيل التعداد دلالة أخرى على اعتماد الداعي
وركوته إلى الحقّ، كأنه يقول: ليساهل الجمع الجمع
فيجعل الجمعان لعنة الله على الكاذبين حتّى يشمل اللعن
والعذاب الأبناء والنساء والأنفس، فيقطع بذلك دابر
المعاندين، وينبت أصل المبطلين.

وبذلك يظهر أنّ الكلام لا يتوقف في صدقه على
كثرة الأبناء ولا على كثرة النساء ولا على كثرة الأنفس،
فإنّ المقصود الأخير أن يهلك أحد الطرفين بمن عنده من
صغير وكبير، وذكرور وإناث، وقد أطبق المفسرون

واثبتت الزواجة وأيدته التاريخ: أن رسول الله ﷺ حضر للمباهلة ولم يحضر معه إلا علي وفاطمة والحسن ﷺ . فلم يحضر لها إلا نفسان وابنان وامرأة واحدة، وقد امثل أمر الله سبحانه فيها.

على أن المراد من لفظ الآية أمر، والمصدق الذي ينطبق عليه الحكم بحسب الخارج أمر آخر، وقد كثر في القرآن الحكم أو الوعد والوعيد للجماعة، ومصادقه بحسب شأن النزول واحد، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ يَنْكُحُوا مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ المجادلة: ٢، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَبْغُؤْنَ بِمَا قَالُوا﴾ المجادلة: ٣، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَبَّحَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ شُجُرٍ﴾ آل عمران: ١٨١، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ البقرة: ٢١٩، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت بلفظ «الجمع» ومصادقها بحسب شأن النزول «مفرد».

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَبْتَلُوا فَتَجِدَلْ لَعَنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ الابتهاال: من البهلة بالفتح والضمة، وهي اللعنة، هذا أصله ثم كثر استعماله في الدعاء والمسألة إذا كان مع إصرار والمناجاة.

وقوله: ﴿فَتَجِدَلْ لَعَنَتُ اللَّهِ﴾، كاليان للابتهاال، وقد قيل: فتجعل، ولم يقل: فتسأل، إشارة إلى كونها دعوة غير مردودة، حيث يمتاز بها الحق من الباطل، على طريق التوقف والابتناء.

وقوله: (الكَاذِبِينَ) مسوق سوق العهد دون الاستخراق أو الجنس، إذ ليس المراد جعل اللعنة على كل

كاذب أو على جنس الكاذب بل على الكاذبين الواقعيين في أحد طرفي الحاجة الواقعة بينه ﷺ وبين النصارى؛ حيث قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَإِنْ عِيسَى عَمِيده ورسوله، وقالوا: إِنَّ عِيسَى هُوَ اللَّهُ أَوْ إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ أَوْ إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ».

وعلى هذا فن الواضح أن لو كانت الدعوى والمباهلة عليها بين النبي ﷺ وبين النصارى، أعني كون أحد الطرفين مفرداً والطرف الآخر جمعا، كان من الواجب التعبير عنه بلفظ يقبل الانطباق على المفرد والجمع معا، كقولنا: فتجعل لعنة الله على من كان كاذبا، فالكلام يدل على تحقق كاذبين، بوصف الجمع في أحد طرفي الحاجة.

والمباهلة على أي حال: إما في جانب النبي ﷺ وإما في جانب النصارى، وهذا يطعي أن يكون المخاضرون للمباهلة شركاء في الدعوى، فإن الكذب لا يكون إلا في دعوى، فلمن حضر مع رسول الله ﷺ، وهم علي وفاطمة والحسن ﷺ شركة في الدعوى والدعوة مع رسول الله ﷺ. وهذا من أفضل المناقب التي خص الله به أهل بيت نبيه ﷺ، كما خصهم باسم الأنفس والنساء والأبناء لرسوله ﷺ من بين رجال الأمة ونسائهم وأبنائهم.

فإن قلت: قد مر أن القرآن يكثر إطلاق لفظ «الجمع» في مورد المفرد، وأن إطلاق النساء في الآية مع كون من حضرت منهن للمباهلة منحصرة في فاطمة ﷺ، فما المانع من تصحيح استعمال لفظ الكاذبين بهذا النحو؟

قلت: إن بين المقامين فارقاً وهو أن إطلاق الآيات لفظ الجمع في مورد المفرد إنما هو ليكون الحقيقة التي تبينها أمراً جازماً التحقق من كثيرين يقضي ذلك بلحقهم بمورد الآية في الحكم، وأما فيما لا يجوز ذلك لكون مورد الآية مما لا يصحده الحكم، ولا يشمل غيره الوصف فلا ريب في عدم جوازه، ظهير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ الأحزاب: ٣٧، وقوله تعالى: ﴿إِنْسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْصِيْ وَيَهْذَأْ إِنْسَانُ عَزِيْزٌ مُّبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاكَ لِزَوْجِكَ اللَّاتِي أَنْتَ أَجْمُورُهَا﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَمْرًا مُّؤَمَّنَةً إِنِّي وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَكْفِفَهَا خَالِصَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأحزاب: ٥٠.

وأمر المباحلة في الآية مما لا يستدعي مورد وهو مباحلة النبي مع النصارى، فلو لم يتحقق في المورد مدعون بوصف الجمع في كلا الطرفين، لم يستقم قوله: (الكاذبين) بصيغة الجمع البتة.

فإن قلت: كما أن النصارى الواحدية على رسول الله ﷺ أصحاب دعوى، وهي أن المسيح هو الله أو ابن الله أو هو ثالث ثلاثة، من خير فرق بينهم أصلاً، ولا بين نسايتهم وبين رجالهم في ذلك، كذلك الدعوى التي كانت في جانب رسول الله ﷺ وهي: أن الله لا إله إلا هو، وأن عيسى بن مريم عبده ورسوله، كان القائلون بها جميع المؤمنين من غير اختصاص فيه بأحد من بينهم حتى بالنبي ﷺ، فلا يكون لمن أحضره فضل على غيره غير أن النبي ﷺ أحضر من أحضر منهم على سبيل

الأمموزج، لما اشتملت عليه الآية من الأبناء والنساء والأنفس، على أن للدعوى غير الدعوة، وقد ذكرت أنهم شركاء في الدعوة.

قلت: لو كان إتيانه بن أقي به على سبيل الأمموزج، لكان من اللازم أن يحضر على الأقل رجلين ونسوة وأبناء ثلاثة، فليس الإتيان بن أقي به إلا للاختصار، وهو المصتح لصديق الامتثال، يعني أنه لم يبد من يمثل في الإتيان به أمره تعالى إلا من أقي وهو رجل وامرأة وإتيان.

وإنك لو تأملت القصة وجدت أن وفد نجران من النصارى إنما وفدوا على المدينة ليحارضوا رسول الله ﷺ ومجاؤه في أمر عيسى بن مريم، فإن دعوى أنه عند الله ورسوله إنما كانت قائمة به مستندة إلى الوحي الذي كان يدعيه نفسه. وأما الذين اتهموا من المؤمنين فما كان للنصارى بهم شغل، ولا لهم في لقائهم هوى، كما يدل على ذلك قوله تعالى في صدر الآية: ﴿وَلَمَنْ حَاجَلَهُ فَبِهِ مِنْ تَقْدِيرِ مَا جَاءَهُ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ﴾ آل عمران: ٦١، وكذا قوله تعالى - قبل عدة آيات -: ﴿وَلَمَنْ حَاجَلَهُ فَقُلْ أَشَأَلْتُكُمْ وَجْهِي لَوْ وَمِنْ أَنْتُمْ﴾ آل عمران: ٢٠.

ومن هنا يظهر أن إتيان رسول الله ﷺ بن أقي به للمباحلة، لم يكن إتياناً بسبب الأمموزج، إذ لا نصيب للمؤمنين من حيث مجرد إيمانهم في هذه الحاجة والمباحلة حتى يعرضوا للذين والصداب المتردد بينهم وبين خصمهم. وإنما أقي ﷺ بن أقي به من جهة أنه ﷺ كان طرف الحاجة والدعابة، فكان من حقه أن يعرض نفسه للهلاء المترقب على تقدير الكذب، فلولا أن الدعوى

كانت قائمة بمن أتى به منهم كقيامها بنفسه الشريفة. لم يكن لإتيانه بهم وجه. فإتيانه بهم من جهة انحصار من هو قائم بدعواه من الأبناء والنساء والأنفس بهم، لامن جهة الإتيان بالأعمودج، فقد صح أن الدعوى كانت قائمة بهم كما كانت قائمة به.

ثم إن النصارى إنما قصدوا ﷺ لا لمجرد أنه كان يرى أن عيسى بن مريم ﷺ عبد الله ورسوله ويعتقد ذلك، بل لأنه كان يدعيه ويدعوهم إليه؛ فالدعوة هي السبب العمدة التي بمنهم على الوفود والمهاجرة. فحضوره وحضور من حضر معه للمباهلة لمكان الدعوى والدعوة معًا. فقد كانوا شركاء في الدعوة الدينية كما شاركوه في الدعوى، كما ذكرناه.

فإن قلت: هب إن إتيانه بهم لكونهم منه، وانحصار هذا الوصف بهم لكن الظاهر - كما تعطيه المادة الجارية - أن إحضار الإنسان أحبائه وأقلاذ كبده من النساء والصبيان في المناظر والمهاول دليل على وثوقه بالسلامة والعافية والوقاية، فلا يدل إتيانه ﷺ بهم على أزيد من ذلك، وأما كونهم شركاء في الدعوة، فهو معزل عن أن يدل عليه فعله.

قلت: نعم صدر الآية لا يدل على أزيد مما ذكر. لكنك قد عرفت أن دليلها، أعني قوله: ﴿وَعَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يدل على تحقق كافرين في أحد طرفي الحاجة والمباهلة البتة، ولا يتم ذلك إلا بأن يكون في كل واحد من الطرفين جماعة صاحبة دعوى إما صادقة أو كاذبة، فالذين أتى بهم النبي ﷺ مشاركون معه في الدعوى وفي الدعوة كما تقدم، فقد ثبت أن الحاضرين

كانوا بأجمعهم صاحبي دعوى ودعوة معه ﷺ، وشركاء في ذلك.

فإن قلت: لازم ما ذكرته كونهم شركاء في النبوة. قلت: كلا فقد تبين^(١) فيما أسلفناه من مباحث النبوة أن «الدعوة والتبليغ» ليسا بعين النبوة والبثة وإن كانا من شؤونها ولوازمها، ومن المناصب والمقامات الإلهية التي يتقلدها، وكذا تبين مما تقدم^(٢) من مباحث الإمامة أيضًا أنها ليسا بعين الإمامة وإن كانا من لوازمها بوجه. (٣: ٢٢٢)

مكارم الشيرازي: «المباهلة» من البهل، بمعنى الترك ورفع القيد. ومن ذلك كانت «الباهل» هي الناقة المحبلى ضرعها مكتوفًا، يرضع منه ولدها كبها شاء. والابتهاال في الدعاء الاسترسال فيه، والتضرع إلى الله. أما تفسير الابتهاال باللحن والموت والجد عن الله، فذلك لأن هذه الأمور من نتائج ترك الله العبد وشأنه. هذا هو معنى «المباهلة» من حيث أصلها.

أما المفهوم المستفاد من الآية فهو تبادل اللعن؛ وذلك بأن يجتمع المتجادلون في أمر ديني في مكان ما ويتضرعون إلى الله أن يفضح الكاذب، ويُنزل عقابه به، في هذه الآية يخاطب الله رسوله ﷺ قائلاً: إذا استمر أحد في مجادلتك بعد هذه الاستدلالات البينة بشأن عيسى، فادعه إلى المباهلة حتى يأتي بأبنته ونسائه، وادع أنت أيضًا أبناءك ونساءك، وتضرعوا إلى

(١) في تفسير آية (٢١٣) من سورة البقرة من المجلد الثاني.

(٢) في تفسير آية (١٢٤) من سورة البقرة من المجلد الأول.

الله أن يوضح الكاذب.

لعل قضية المباهلة بهذا الشكل لم تكن معروفة عند العرب، بل كانت أسلوباً يبين صدق النبي وإيمانه بشكل قاطع، إذ كيف يمكن لمن لا يؤمن كل الإيمان بعلاقته بالله أن يدخل هذا الميدان، فيطلب من معارضيهِ أن يتقدموا معه إلى الله، يدعونه أن ينزل لعناته على الكاذب، وأن يروا سرعة ما يحل بالكاذب من عقاب؟!!

لا شك أن دخول هذا الميدان خطر جداً، لأن «المبتهل» إذا لم يجد استجابة لدعائه ولم يظهر أي أثر لعقاب الله على معارضيهِ، فلن تكون النتيجة سوى فضيحة المبتهل. فكيف يمكن لإنسان عاقل ومدرك أن ينظر مثل هذه الخطوة دون أن يكون مطعناً إلى أن النتيجة في صالحه؟

لهذا قيل: إن دعوة رسول الله ﷺ إلى المناخلة تثير واحداً من الأدلة على صدق دعوته وإيمانه الراسخ بها، بصرف النظر عن النتائج التي كانت ستكشف عنها المباهلة، [إلى أن قال:]

بعد الآيات التي استدلت فيها على بطلان القول بألوهية عيسى بن مريم، يأمر الله نبيه بالمباهلة إذا جاءه من يجادلُه، من بعد ما جاءه من العلم والمعرفة. وأمره أن يقول لهم: إني سأدعو أبنائي، وأنتم ادعوا أبناءكم، وأدعو نسائي، وأنتم ادعوا نساءكم، وأدعو نفسي، وتدعون أنتم أنفسكم، وهذا تدعو الله أن ينزل لعناته على الكاذب منا.

لا حاجة للقول بأن القصد من «المباهلة» لم يكن إحضار جمع من الناس للعلن، ثم ليتفرقوا كل إلى سبيله،

لأن صلاً كهذا لن يكون له أي تأثير، بل كان المنتظر أن يكون لهذا الدعاء واللعن أثر مشهود عياناً فيحقيق بالكاذب عذاب فوري.

وبعبارة أخرى: فإن المباهلة - وإن لم يكن في الآية ما يشير إلى تأثيرها - كانت بمثابة «التسليم الأخير» بعد أن لم يضع المطلق والاستدلال، فإن الدعاء وحده لم يكن المقصود بها، بل كان المقصود منها هو «أثرها الخارجي». يصرح المفسرون من الشيعة والسنة أن آية المباهلة قد نزلت بحق أهل بيت النبي ﷺ، وأن الذين اصطحبهم النبي ﷺ معه للمباهلة بهم هم: الحسن والحسين وفاطمة وعلي ﷺ. وعليه، فإن (أبناءنا) الواردة في الآية ينحصر مفهومها في الحسن والحسين ﷺ، ومفهوم (نساءنا) ينحصر في فاطمة ﷺ، ومفهوم (أنفسنا) ينحصر في علي ﷺ. وهناك أحاديث كثيرة بهذا الخصوص.

حاول بعض أهل السنة أن ينكر وجود أحاديث في هذا الموضوع، فصاحب تفسير «المنار» يقول في تفسير الآية:

الروايات متفقة على أن النبي ﷺ اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما، ويحملون كلمة (نساءنا) على فاطمة، وكلمة (أنفسنا) على علي فقط، ومصادر هذه الروايات شيعية، ومقصدهم منها معروف. وقد اجتهدوا في ترويحها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنة. ولكن بالرّجوع إلى مصادر أهل السنة الأصلية يتضح أن الكثير من تلك الطرق لا تنتهي بالشيعة ويكتب الشيعة، وإنكار هذه الأحاديث الواردة

بطريق أهل السنة، يُخط سائر أحاديثهم وكتبهم من الاعتبار.

لكي نلبي الضوء على هذه الحقيقة، نورد هنا بعضاً من رواياتهم ومصادرهما:

القاضي نور الله الشوشترى في المجلد الثالث من كتابه النفيس «إحقيق الحق»، الطبعة الجديدة، ص ١٦، يتحدث عن اتفاق المفسرين في أن (أبناءنا) في هذه الآية إشارة إلى الحسن والحسين، و(نساءنا) إشارة إلى فاطمة، و(أفئتنا) إشارة إلى علي عليه السلام.

ثم يشير في هامش الكتاب إلى نحو ستين من كبار أهل السنة من الذين قالوا: إن آية المباهلة نزلت في أهل البيت، ويذكر أسماء هؤلاء العلماء بالتفصيل في الصفحات ٤٦ - ٧٦.

ومن المشاهير الذين نقل عنهم هذا التصريح:

١- مسلم بن الحجاج القشيري، صاحب أحد الصحاح السنة المعروفة التي يعتمد عليها أهل السنة. المجلد ٧ ص ١٢٠ (طبعة محمد علي صبيح - مصر).

٢- أحمد بن حنبل في كتابه «المسند» ج ١ ص ١٨٥ (طبعة مصر).

٣- الطبري في تفسيره المعروف، ج ٣ ص ١٩٢ (المطبعة الميمنية - مصر).

٤- الحاكم في كتابه «المستدرک» ج ٣ ص ١٥٠ (طبعة حيدر آباد الدکن).

٥- الحافظ أبو نعیم الأصفهاني في كتابه «دلائل النبوة» ص ٢٩٧ (طبعة حيدر آباد).

٦- الواحدي النيسابوري في كتابه «أسباب النزول»

ص ٧١ (المطبعة الهندية - مصر).

٧- الفخر الرازي في تفسيره المعروف، ج ٨ ص ٨٥

(المطبعة البهية - مصر).

٨- ابن الأثير في كتابه «جامع الأصول» ج ٩ ص

١٧٠ (مطبعة السنة المحمدية - مصر).

٩- ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» ص ١٧

(طبعة النجف).

١٠- القاضي النيسابوري في تفسيره، ج ٢ ص ٢٢

(مطبعة مصطفى محمد - مصر).

١١- الأوسي في تفسيره «روح المعاني» ج ٣ ص

١٦٧ (المطبعة النيرة - مصر).

١٢- الططاوي في تفسيره المعروف «الجمواهر» ج ٢

ص ١٢ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر).

١٣- الزمخشري في تفسيره «الكشاف» ج ١ ص

١٩٢ (مطبعة مصطفى محمد).

١٤- الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في كتابه

«الإصابة» ج ٢ ص ٥٠٣ (مطبعة مصطفى محمد).

١٥- ابن الصبّاغ في كتابه «الفصول المهمة» ص

١٠٨ (طبعة النجف).

١٦- العلامة القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام

القرآن» ج ٣ ص ١٠٤ (طبعة مصر سنة ١٩٣٦).

جاء في كتاب «غاية المراد» من صحيح مسلم في

باب فضائل علي بن أبي طالب أن معاوية قال يوماً

لحد بن أبي وقاص: لم لاتسب أبا تراب (عليه السلام)؟

فقال: «تركته سبه منذ أن تذكرت الأشياء الثلاثة التي

قالها رسول الله ﷺ في حق علي عليه السلام (وأحدها) عندما

نزلت آية المباهلة لم يدع النبي ﷺ سوى فاطمة والحسن والحسين وعلي، وقال: اللهم هؤلاء أهل.

صاحب «الكشاف» وهو من كبار علماء أهل السنة، يذهب إلى أن هذه الآية أقوى دليل على فضيلة أهل الكساء.

يتفق المفسرون والمحدثون والمؤرخون الشيعة أيضاً أن هذه الآية قد نزلت في أهل البيت، وقد أورد صاحب تفسير «نور الثقلين» روايات كثيرة بهذا الشأن.

من ذلك أيضاً ما جاء في كتاب «عيون أخبار الرضا» عن المجلس الذي عقده المأمون في قصره للبحث العلمي، وجاء فيه عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: ...ميراثه الطاهرين من خلقه، فأمر نبيته ﷺ بالمباهلة بهم في آية الابتهاال، فقال عز وجل: يا محمد «لَمَنْ حَاجَلْكَ فِيهِ...»

فأبرز النبي ﷺ علياً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم...

وقال عليه السلام: فهذه خصوصية لا يتقدم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق^(١).

كذلك وردت روايات بهذا المضمون في تفسير «البرهان» و«بحار الأنوار» وتفسير «المعاشي»، وكلها تقول: إن الآية قد نزلت في أهل البيت.

هنا اعتراض مشهور أورده الفخر الرازي وآخرون على نزول هذه الآية في أهل البيت، يقول هؤلاء: كيف يمكن أن نعتبر أن القصد من (أبناءنا) هو الحسن والحسين ﷺ مع أن (أبناءنا) جمع ولا تطلق على الاثنين؟ وكذلك (بنساءنا) جمع، فكيف تطلق على سيدة الإسلام

فاطمة عليها السلام وحدها؟ وإذا كان القصد من «أبنائنا» علياً ﷺ وحده، فلماذا جاء بصيغة الجمع؟

الجواب: أولاً: كما سبق أن شرحنا بإسهاب، أن هناك أحاديث كثيرة في كثير من المصادر الإسلامية الموثوقة بها - شيعية وسنية - تؤكد نزول هذه الآية في أهل البيت، وهي كلها تقول: إن النبي ﷺ لم يدع للمباهلة غير علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، هذا بذاته قرينة واضحة لتفسير الآية؛ إذ إن من القرائن التي تساعد على تفسير القرآن هي «السنة وما ثبت من أسباب النزول»

وعليه، فإن الاعتراض المذكور ليس موجهاً للشبهة فقط، بل أن على جميع علماء الإسلام أن يجيبوا عليه، فوطب ما ذكرناه آنفاً.

ثانياً: إطلاق صيغة الجمع على المفرد أو المثنى ليس أمراً جديداً، فهو كثير الورد في القرآن وفي غير القرآن من الأدب العربي، وحق غير العربي.

من ذلك مثلاً أنه عند وضع قانون، أو إعداد اتفاقية، تُستعمل صيغة الجمع على وجه العموم، فمثلاً قد يقال في اتفاقية: إن المسؤولين عن تنفيذها هم الموقعون عليها وأبنائهم. في الوقت الذي يمكن أن يكون لأحد الأطراف ولد واحد أو اثنين، فلا يكون في هذا أي تعارض مع تنظيم الاتفاقية بصيغة الجمع؛ وذلك لأن هناك مرحلتين، مرحلة «الاتفاق» ومرحلة «التنفيذ».

(١) نور الثقلين، ٢٤٩، البرهان، ١، ٢٩٠، تفسير المعاشي، ١٧٧، البحار، ٢٠، ٥٢، و ٦٥٢، المحجة الجديدة.

في المرحلة الأولى قد تأتي الألفاظ بصيغة الجمع لكي تنطبق على جميع الحالات. ولكن في مرحلة «التفخيز» قد تنحصر الحالة في فرد واحد، وهذا لا يتنافى مع عمومية المسألة.

وبعبارة أخرى: كان على عهد رسول الله ﷺ بموجب اتفاقه مع مسيحيي نجران، أن يدعو للمباهلة بجميع أبنائه وخاصة نسائه وجميع من كانوا بمثابة نفسه، إلا أن مصداق الاتفاق لم ينطبق إلا على ابنين وامرأة ورجل، فتأمل!

في القرآن مواضع متعددة ترد فيها العبارة بصيغة «الجمع» إلا أن مصداقها لا ينطبق إلا على فرد واحد فتلاً نقرأ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَوْمٌ مَبْهُوتُونَ﴾ آل عمران: ١٧٣، المقصود من (الناس) في هذه الآية هو «نسيم بن مسعود» حسب قول فريق من المفسرين، لأن هذا كان قد أخذ أموالاً من أبي سفيان في مقابل إخافة المسلمين من قوة المشركين. وأيضاً نقرأ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آل عمران: ١٨١، فهنا المقصود به «الذين» في هذه الآية، على رأي كثير من المفسرين، هو «حبيبي بن أخطب» أو «فخاحص».

وقد يطلق الجمع على المفرد للتكريم، كما جاء عن إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ التحل: ١٢٠، فهنا أطلقت كلمة (أُمَّة) وهي اسم جمع، على مفرد. كما أن آية المباهلة تعيد بأن أبناء البنت يحضرون أبناء أبيها أيضاً، بخلاف ما كان سائداً في الجاهلية في اعتبار أبناء الابن فقط هم أبناء الجدة إذ كانوا يقولون:

بسنونا بسنو أبنائنا وبسناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد
هذا اللون من التكثير كان من بقايا التقاليد الجاهلية المخاطبة التي لم تكن ترى المرأة عضواً من أعضاء المجتمع، بل كانت تنظر إليها على أنها وعاء تنمو الأبناء فقط، وترى أن النسب يلحق بالآباء لا غير، يقول شاعرهم:
وإنما أمهات الناس أوعية

مستودعات وللأنساب آباء
غير أن الإسلام قضى على هذا اللون من التكثير، وسأوى بين أبناء الابن وأبناء البنت.

نقرأ في الآية (٨٤ و ٨٥) من سورة الأنعام بشأن أبناء إبراهيم: ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، فالسبح عيسى بن مريم عدّه هنا من أبناء إبراهيم مع أنه كان ابناً من جهة البنت.

الأحاديث والروايات الواردة عن طريق الشيعة والسنة بشأن الحسن والحسين عليهما السلام تشير إلى كل منها به «ابن رسول الله ﷺ» كراؤا.

وفي الآيات التي تحرم الزواج ببعض النساء نقرأ: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ النساء: ٢٣، يتفق علماء الإسلام على أن الرجل يحرم عليه الزواج من زوجة ابنه وزوجة حفيدة سواء أكان من جهة الابن أم البنت، باعتبار شمولهم بالآية المذكورة.

لا شك أن هذه الآية ليست دعوة عامة للمسلمين للمباهلة، إذ أن الخطأ موجه إلى رسول الله ﷺ

وحده، ولكن هذا لا يمنع من أن تكون المباحلة مع المعارضين حكمًا عامًا، وأن الانتقاء من المؤمنين الذين يخشون الله، لهم أن يطلبوا من الذين لم ينفع فيهم المنطق والاستدلال التقدم للمباحلة.

وتظهر عمومية هذا الحكم في بعض الروايات الإسلامية، فقد جاء في تفسير «نور الثقلين» ج ١ ص ٢٥٦ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إذا كان كذلك - أي إذا لم يقبل المماند الحق - فادعهم إلى المباحلة - أصلح نفسك ثلاثًا... وأبرز أنت وهو إلى الجحيم (الصَّحراء) فمشك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثم انصفه، وأبدأ بنفسك وقل: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع عالم الغيب والشهادة الرحمان الرحيم إن كان فلانًا بجمع حقًا وادعى باطلاً فأنزل عليه حبلًا (بأسلة) من السماء وعذابًا أليمًا. ثم رَدَّ الحَصْبَةَ عليه... فإنك لا تلبث أن ترى ذلك فيه.

يتضح أيضًا من هذه الآية أنه - خلافاً للعمليات التي يشنها الزاعمون: أن الإسلام دين الرجال وليس للمرأة فيه أي حساب - قد ساهمت المرأة المسلمة مع الرجل خلال اللحظات الحساسة في تحقيق الأهداف الإسلامية، ووقفت معه ضد الأعداء. إن الصفحات المشرفة التي تمثل سيرة سيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها السيدة زينب الكبرى، وغيرها من نساء الإسلام اللاتي سرن على طريقها دليل على هذه الحقيقة. (٢: ٣٣٤)

محمد حسين فضل الله: [ذكر معنى «المباحلة» نحو الطبرسي، ونقل القصة عن الطباطبائي ثم قال:]

أسلوب الحوار الإسلامي:

ولعل قيمة هذه القصة، أنها تجسد لنا الأسلوب الإسلامي في الحوار، حين يريد الاحتجاج لفكره من جهة، ومواجهة الأفكار المضادة من جهة أخرى، وتعرفنا مبلغ التسامح الإسلامي الذي يريد لأتباعه أن يمارسوه مع الآخرين، انطلاقاً من الممارسات النبوية الزائفة، من مركز القوة لامن مركز الضعف.

فقد قدم هؤلاء إلى مركز الإسلام القوي، من أجل أن يناقشوا الدين الجديد، فأعطاهم النبي كل الحرية في ذلك، إلى مستوى السماح لهم بأداء طقوسهم وعباداتهم في مسجد النبي تحت سمعه وبصره في مجتمع المسلمين الكبير، حتى أن النبي لم يستجب لتساؤلهم وإنكارهم لذلك، بل طلب منهم أن يتركوا لهم الحرية في ذلك، لئلا يفسدوا دينهم - على الطبيعة - كيف يحافظ الإسلام على مشاعر الآخرين وحرقاتهم، في الإطار العام للنظام الكامل، وليطهيم انطباعاتهم، أنه لا يؤمن بالقوة كسبل من سبل إدخال الآخرين في الإسلام، من دون اقتناع منهم بذلك...

وهكذا كان، وبدأ النبي حوارهم من موقع الذليل والمحبة والبرهان، كما نقله لنا القصة سؤالاً وجواباً في حوار هادئ قوي، يستجيب للسؤال في البداية، ثم يطرح السؤال عليهم من جديد، ليُلزمهم بالحجة من خلال ذلك.

وقد تعلم من الآية الكريمة، أن الحوار لم يقتصر على هذا الجانب فحسب، بل تعداه إلى جميع الجهات التي يختلف فيها المسلمون والمسيحيون في نظرتهم إلى

عيسى عليه السلام، وإلى الطبيعة الاعتقادية، لأن الآية تناول الحاجة فيه بكل ما جاء من العلم.

ويظهر من الآية ومن جو القضية أن هؤلاء لم يريدوا الاقتناع، بل دخلوا في جدل عقيم لا يحقق أي هدف، ولا يصل إلى أية نتيجة، مما دعا النبي ﷺ إلى طرح المباهلة عليهم، كأسلوب من أساليب التأثير النفسي الذي يُسرهم بالثقة المطلقة بالعقيدة الإسلامية، ويغاهم الدعوة الجديدة حتى أن النبي كان مستعداً لأن يعرض نفسه للموقف الصعب عندما يقف مع أهل بيته ليواجهوا الآخرين بالوقوف بين يدي الله في مآتاز عوا فيه، فيظلمون منه سبحانه أن يجعل اللعنة على الكافرين وقد أراد النبي ﷺ أن يزيد الموقف تأثيراً في الإيحاء النفسي لدى الآخرين بالثقة، فلم يقتصر على تقديم نفسه للمباهلة والملاعة، بل طرح القضية على أساس اشتراك أهل بيته معه في ذلك، مع أن بإمكانه أن يهصر الأمر بنفسه، دون أن يترك ذلك أي تأثير سلبي في الموقف.

ولكنه - كما أشرنا - أراد أن يعطيهم الإيحاء بالاطمئنان الكامل بصدق دعواه، لأن الإنسان قد يعرض نفسه للخطر، ولكنه لا يعرض أبناءه وأهل بيته لما يعرض له نفسه، مما يمكن أن يتفاداه.

ولهذا أدرك القوم الموضوع وأبعاده، فاهتزت أصابعهم بالخوف من الخوض في هذه التجربة التي تستحق اللعنة الفعلية التي تنجس في عذاب الله وعقابه، فأقلعوا عن الأمر وقبلوا الصلح. [إلى أن قال بعد نقل قول الطبرسي بأن المراد (أبناءنا) الحسن

والحسين عليهما السلام... إلخ:]

ونلاحظ على هذا الحديث حول البلوغ وكمال العقل كشرط للمباهلة، أن مثل هذا الحديث في الجدل الدائر فيه، يتوقف على أن يكون الحسان عليهما السلام طرفين متقابلين في المباهلة، كما لو كانا هما اللذان يتوليانها في مقابل نظائرها من الآخرين، ليباهل الرجال الرجال والنساء النساء والأبناء الأبناء. ولكن يمكن أن تكون المسألة واردة على أساس أن يقدم النبي ﷺ - وهو واثق بأن الحق معه وأن النتيجة الحاسمة الإيجابية ستكون له - ابنه ولبنته وابن عمته، ليكونوا طرفاً في الابتهاال وفريقاً في النتائج الحاسمة الأخيرة، بعيداً عما إذا كانوا منازكين في التحدي، والله العالم. [إلى أن قال:]

المباهلة في الخط الإسلامي العام:

وإذا كانت الآية مختصة بالنبي محمد ﷺ في الواقعة الخاصة مع وفد نصارى نجران، فإنها لا تختص ظاهراً به، بل يمكن أن تنطبق في كل مورد مماثل لم يصل فيه الحوار إلى نهاية حاسمة، لعدم استعداد الطرف الآخر للاقتناع بالحجة - بعد إقامتها عليه - فتكون المباهلة هي الخيار الأخير في ساحة التحدي، فإن الله قد طرح المسألة على رسوله ﷺ من خلال أنها وسيلة من وسائل المواجهة، لإسقاط موقف الآخرين في خطأ الباطل لمصلحة موقف الحق، لا خصوصية في المورد الخاص. [ثم استشهد بقول الإمام الصادق عليه السلام - في حديث أبي مسروق - وقد سبق، إلى أن قال:]

أما الدرس الذي نستفيد من ذلك كله، فهو العمل على توظيف الجانب الإيماني، بعد ممارسة الجوانب

بالإشارة إلى ذلك ليرجع إليه القارئ في مظاته، لأنَّ
منهج التفسير لدينا يتحرك في إطار الوحي القرآني
لحركة الدعوة في الحياة. (٦: ٦٢ - ٧٥)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التَّهْلُ، وهو الشيء اليسير
المحقير، كالمال والماء، يقال: أعطاه قليلاً تَهْلًا، ثم أُطلق
على الناقة التي لا صرار عليها ولا نظام ولا هيئة، لأنَّها
مال قليل لا يعتنى به فتُهمل، إذ كانت العرب تطلق المال
في الجاهلية على «الابل».

يقال: ناقة باهل، أي مسية، والجمع: هُهل وهُهل،
والتَّهْلُ الناقة: أصلها، وهي مُهَيْلَة، والجمع: مُباهل،
والتَّهْلُ الراعي إبله: تركها من الحلب، واستهمل فلانُ
الناقة: احتسبها بلا صرار، وتَهَلَّت الناقة تَهْلًا تَهْلًا: عُلَّ
صرارها وتركها ولدها يرضعها.

٢- تمَّ عَصَمَ مَعْنَاهُ وَكُتِبَ مَعْنَاهُ فاستعمل في
الآدميين، يقال: رجل باهل، أي المتردد بلا عمل، ومن
لا سلاح معه، والرَّاحِي بلا عمل، واستهمل الوالي رعيته:
أصلها، وامرأة باهلة: لا زوج لها.

ومنه: التَّهْلُ بمعنى اللُّعْن، أي التَّهْدُّ والتَّهْدُّ،
والانقطاع إلى الله، وهو التَّهْلُ والتَّهْدُّ أيضًا: يقال: تَهْلُهُ
الله، أي لعنه، وتهلُّ الله عليه، وباهلت فلانًا: دعونا على
الظالم منّا، وباهلته أيضًا: تركته، وابتهل القوم وتباهلوا:
تلاعنوا، وابتهل إلى الله في الدعاء، أي جدَّ فيه.

٣- واعتُلف في «الأيهل»، فقال الخليل: شجر
الترعرع، وقال سائر اللغويين: حمكه وثمرته، وأنشغوا في

العملية والفكرية، في الحوار الهادي العميق بين الإسلام
وخصومه، انطلاقًا من الفكرة الحاسمة الواقعية التي
نقول: إنَّ على الدَّاعية أن لا يحمل أي عنصر من عناصر
التأثير على الآخرين في إيصالهم إلى الحقيقة، أو في
الإيحاء إليهم بالاطمئنان إل قوة هذه الحقيقة، حتى
ليقف الإنسان في أشدِّ المواقف حرجية في مجالات
التحدي، لتفتحه بأنَّ الدعوة في المستوى القوي لمواجهة
التحدي بأقوى منه.

وقد أثار علماء التفسير حديثًا مطوَّلًا حول دلالة
هذه الآية على بعض الجوانب الأخلاقية التي وقعت مجالًا
للأخذ والردِّ، وذلك مثل مصداقية كلمة «أبناءنا» على
الحسن والحسين عليهما السلام، مما يوحي بأنَّ ولد البنت يُعتبر
مصداقًا لمفهوم الابن، ودلالاتها بلحاظ التطبيق، على أنَّ
علي بن أبي طالب عليه السلام هو نفس النبي، لأنَّ النبي قدَّمه في
المباهلة من خلال هذه الصفة.

ثم يتفرع الحديث في اتجاه دلالة الآية على أنَّ هؤلاء
الذين قدَّمهم رسول الله ﷺ للمباهلة لهم علاقة بحركة
الدعوة، ولو في نطاق الوصية والتبليغ، إذ إنَّه اعتبرهم
«معه» - فربما في التَّهْجَة الحاسمة على تقدير الصدق أو
الكذب، ولذا جاء بكلمة «الكَافِرِينَ» بصيغة الجمع.

وقد كثرت الحديث والجدال في هذا الموضوع في بعض
كتب التفسير، كتفسير «المنار» الذي كان يدافع عن
فكرة عدم دلالتها على أي شيء، يستلحق بموضوع
الإمامة، وكفسير «الميزان» الذي يدافع عن فكرة
دلالتها على هذا الموضوع ويعالجها بأسلوب علمي
دقيق. ونحن لا نريد الخوض في هذا المجال، بل نكتفي

الشروط، أو هي خاصة بالنبي، وكانت حادثة في واقعة، وإن جازت لفير، فما هي شروطها؟ وهل حدثت خلال تاريخ الدعوة الإسلامية؟

٤- تكن خطورة هذه القصة في أنها تجسد لنا الأسلوب الإسلامي في الحوار، وتعلمنا مدى التسامح الإسلامي الذي يجب أن ينتهجه أتباعه في ممارستهم مع الآخرين، وأن يتركوا لهم الحرية، ويصوّروا لهم انطباعاتاً ذاتياً بأنهم لا يؤمنون بالقوة ولا يتذرعون بها، لحملهم على اعتناق الإسلام دون إقناع وتصديق.

٥- لا خلاف بينهم في أن الآية كلفت المتخاصمين جميعاً بأسلوب واحد، ليدعوا أبناءهم ونساءهم وأنفسهم للمباهلة، من دون فرق بينهم، ولا تفرق على شخصيتهم، إنما الخلاف في من اختاره النبي من الأبناء والنساء والأنفس للحضور في ساعة المواجهة والتحدى. فكادوا أن يثقفوا على القول: إنه اختار الحسن والحسين وفاطمة وعلياً عليهم السلام، ولم يخالف ذلك من الجمهور سوى نفر شكوا في أصل القصة، بحجة أن ابن إسحاق لم يذكرها إلا على سبيل العموم دون خصوص الحادثة، أو ناقشوها في وجوب كون المباهلين بالعين لسن التكليف، وكان الحسنان آنذاك طفلين لم يبلغا الحلم، ولا يطلق عليها لفظ الصادق والكاذب. أو ناقشوا إطلاق «الأبناء» على اثنين و«النساء» و«الأنفس» على واحدة، أو أن ظاهر (نساءنا) هو أزواجنا بقرينة إردافها (أبناءنا)، فلو أريد بها جنس النساء لأردفن بالزجال...

ويدفعها أنه جدما ثبت مسخياً إن لم يكن متواتراً

كونه أعجمياً. وإن كان كذلك فهو رباعي وافق وزن «أفعل»، فليس من مادة «ب ه ل»، ولا تعلم أصله، إذ لم يرد له ذكر في غير العربية، ولا سيما اللغات السامية.

الاستعمال القرآني

﴿لَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَغْدٍ حَاجَّاهُكَ مِنْ الظُّلُمِ فَقُلْ
تَقَالُوا نَذَعُ آبَاءَنَا وَابْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْهَلُ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

آل عمران: ٦١

يلاحظ أنها وحيدة الجذر في القرآن، جاءت في سورة مدية (آل عمران)، ولها علاقة خاصة بالنصاري، كما سبق في «ابن»، وموضوعها مباهلة النبي صهاري نجران التي تكررت قصتها في النصوص التفسيرية، وقد أحاطت بجميع أطرافها، فلم يبق لنا مجال للتعديت عنها، سوى فهرسة ما يقال فيها، وهي أمور:

١- أمر النبي بالمباهلة بعد الحاجة، أي أنه كلف أولاً بأن يجاجج المنكرين لدعوته بحجج قوية، تخاطب عقولهم فتقنعها، فإن أصحوا إليها واقتنعوا بها غلبها المراد، وإلا فبباهلة بأهله وأهلهم لورضوا بها.

٢- الهدف من «المباهلة» إثبات الحق وإبطال الباطل بأية سماوية وشهادة ركانية، تسجل الدعوة المحقة، وتغيز الصادق من الكاذب والحق من الباطل، فالمباهلة طريق صلي إلى ذلك، لاتشويه شائبة.

٣- أثير السؤال: هل كانت للمباهلة سابقة في الأمم الأخرى وفي أهل الكتاب؟ وهل كانت سنة متبعة بين المؤمنين والمنكرين في الإسلام، يعمل بها الآخرون طبق

الباطل، حتى أنه استمد أن يضحي بنفسه وأهله في هذا التبيل.

٧- قد اتفقوا على أن المباهلة لم تقع، لنكول الثغاري وإحجامهم عنها، حتى أعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ليبقى نهج إنصاف النبي لخالفه في العقيدة ومدى عدله أيد الدهر. ولم يكن إياؤهم الحضور إلا لما لمسه من صدق النبي وكذبهم، فخافوا نزول العذاب عليهم، وشمل اللعنة لهم.

أن النبي جاء بهؤلاء الأربعة، وهذا دليل على انطباع المعنى العام على هؤلاء خاصة بفعل النبي ﷺ، ومثل هذا كثير في القرآن، لاحظ نص الطباطبائي:

٦- اختيار هؤلاء دال على قدسية نفوسهم وصدق إيمانهم، وعلى خصوصية لا يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر. كما دل على أن ابن البنت يعد ابناً، فالحسن والحسين كانا ابني النبي ﷺ. كما دل على ثقة النبي بنفسه ومن معه أنه على الحق وأن خصومه على





مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

بهم

بهيمة

لفظ واحد، ٣ مرّات، في سورتين مدنيّتين

النصوص اللغوية

واللهم : لا تحدى لفتحده . [ثم استشهد بشعر]

واللهم : ما كان من الألوان لونًا واحدًا، لا يتيه فيه

من الذخنة والكخنة.

وصوت بهيم، أي لا ترجع فيه، وليل بهيم : لا ضوء

فيه إلى الصباح.

والبهيمة : ذات أربع قوائم، من دواب البر والبحر.

ويحشر الناس يوم القيامة خزلاً يهتأ أي ليس بهم

شيء مما كان في الدنيا، نحو القمى والقرج، والمذام

والبرص. ويقال: بل قرأه ليس معهم شيء من متاع

الدنيا.

والهجنة : الأبطال، [ثم استشهد بشعر] (٦٢: ٤)

الأخفش : يهتى : لا تصرف، والواحدة : يهئة.

(الأزهرى ٦: ٣٣٩)

بيبيّويه : الهى تكون واحدةً وجهاً، وألفها

الخليل : البهنة : اسم للذكر والأنثى، من الخلد.

بقر الوحش وضروب الغنم، والجميع : التهم والبهام.

والتهنم أيضاً : صفار الغنم.

والتهنى : نبات عيّد به الغنم وجداً شديداً مادام

أخضر، فإذا يس هـ شوكة وامتنع. الواحد : يهنى

أيضاً، ويقال للواحدة : يهئة أيضاً.

والإبهام : الإصبع الكبرى التي تلي المسبحة،

والجميع : الأباهيم، ولها تفصيلان.

وأهتهم الأمر، أي اشتبه، لا يعرف وجهه، واستهتهم

على هذا الأمر.

وكان ابن عباس سئل عن قوله عز وجل:

﴿وَعَلَّامُ الْغُيُوبِ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ يُخَوِّلُ

قُلُوبَ بَنِي آدَمَ مَا يَشَاءُ اللَّهُ﴾: «أنهموا ما بهم الله».

للتأنيث، فلا تنون. (المجوهري ٥: ١٨٧٥)

الليث: إذا كان لا يدرى من أين يؤق لشدة بأسه. فهو بهيمة. (التعالي ٨٦)

أبو عمرو والشيباني: البهم: واحدها: بهيم. وهو الذي لا يخلط لونه لون سواه. من سواد كان أو غيره.

(الأزهري ٦: ٢٢٥)

أبو زيد: يقال: أرض مبهمة، إذا كثرت بهائمها.

(١٠٠)

يقال لأولاد الفم ساعة تضعها الضأن أو المزم ذكرًا كان الولد أو أنثى: سخله، ثم هي بهمة، وجمعها: بهم.

(الفيومي ١: ٦٤)

مثله أبو عبيد. (ابن منظور ١٢: ٥٦)

أبو عبيد: في حديث النبي ﷺ: «يخسر الناس يوم القيامة حُرَّةً حَفَاءَ بُهْمًا» معناه عندي أنهم أرادوا بقوله:

«بُهْمًا» يقول: ليس فيهم شيء من الأعراض والعيافات التي تكون في الدنيا من القسي والقرج والمجذام والبرص، وغير ذلك من صنوف الأمراض والبلاء. ولكنها أجساد مبهمة مصححة لخلود الأبد.

وفي بعض الحديث تفسيره، قيل: وما البهم؟ قال: ليس معهم شيء. وهذا أيضًا من هذا المعنى، يقول: إنها أجساد لا يخالطها شيء من الدنيا، كما أن البهم من الألوان لا يخالطه غيره.

ولا يقال في الأبيض: بهيم. (١٢٢: ١)

البهمة: الفارس الذي لا يدرى من أين يؤق من شدة بأسه، والبهمة أيضًا: هم جماعة الفرسان. (تم)

(الأزهري ٦: ٣٤٠) [استشهد بشعر]

ابن السكيت: يقال: استبهم عليهم أمرهم، أي لا يدرون كيف يأتون له. (٩٥)

وإنه لبهمة من قوم بهم، وهو الشجاع الذي لا يدرى كيف يؤق.

وحافظ مبهم: ليس فيه باب. [تم استشهد بشعر] والأبهم: المصت.

والأبهم: المبهم الذي لاحدع فيه ولا يخلط. وفرس بهيم: لم يخلط لونه سواه.

وأبهم على الأمر: أضته فلم يجعل فيه فرجًا أعرفه.

ويقال في البهمة: إنه شبه بالقنعة. والبهمة: الجماعة. (١٧٠)

البهمة: الشجاع في شدة ومضاء، ولا يخل له. ولا يقال في المرأة ولا في النساء. (١٧٢)

وكل لون لم يخلطه لون آخر فهو بهيم، يقال: كُتِبَتْ بهيم، وأنقر بهيم، وأدهم بهيم، وأخضر دجوجي.

(٢٣٤)

تقول: هي الإبهام للإصبع، ولا تقل: البهام. والبهام: جمع البهم، والبهم: جمع بهمة. وهي أولاد الضأن. والبهمة: اسم للمذكر والمؤنث.

والشغال: أولاد المغزى، الواحدة: سخله للمؤنث والمذكر، فإذا اجتمعت البهام والشغال قيل لها جميعًا: بهام.

ويقال: هم يبهمون البهم، إذا حرموه عن أمهاته. فرعوه وحده. (إصلاح المطلق: ٣٢٠)

تقول: هذا فرس جواد بهيم، وهذه فرس جواد

بهم، وهو الذي لا يخلط لونه شيء سوى لونه.

(إصلاح المنطق: ٣٤٣)

أبوحاتم: البهم: الأسود الذي لا يخالطه بياض.

(الأضداد في اللغة: ٩٧)

الدينوري: البهمي: هي خير أحرار البقول رطباً وياضاً، وهي تنبت أول شيء بارحاً، وحين تخرج من الأرض تنبت كما ينبت الحب، ثم يبلغ بها الثبت إلى أن تصير مثل الحب.

ويخرج لها إذا برست شوك مثل شوك السبل، وإذا وقع في أنوف الفئم والابل أنفت عنه حتى يزعجه الناس من أنفواها وأنوفها.

فإذا عظمت البهمي وبرزت كانت كلاً يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل، وينبت من تحته حتى الذي سقط من سبله.

المبره: البهمي: يشبه السبل، يقول: فهو لما اعتاد هذا المرعى اللذن استخشن البهمي وسفاها شوكها، فيقول: كأنه مخلول عن البهمي، أي يراها كالأخلة.

(١: ٨٧)

ثعلب: البهم: صغار المعز، [ثم استشهد بشعر]

(ابن منظور ١٢: ٥٦)

الزجاج: قيل للإبهام الإصبع: إبهام، لأنها تسبهم الكف، أي تطبق عليها.

وطريق مبهم: إذا كان غفياً لا تبين، ويقال: ضربه فوق مبهم، أي مغطياً عليه، لا ينطق ولا يميز.

(الأزهري ٦: ٣٢٧)

ابن فرييد: البهم: معروف، الواحدة: بهمة، وهي

صغار الضأن والمعز جميعاً، والجمع: بهام، وربما خص بذلك الضأن.

والإبهام: معروفة، والجمع: أبهام وأباهيم. وأبهمت الباب، إذا أغلقتها فهو مبهم.

والنرس البهم: الخالص من كل بياض، من أي لون كان إلا الشبهة.

نطقويه: البهمة: مستبعدة عن الكلام، أي متعلق ذاك عنها، ويقال: أبهمت الباب، إذا سدده.

(الأزهري ٦: ٣٢٧)

ابن الأنباري: البهم: الذي لا يخالط سواده لون آخر.

المبهم: التي لا أقفال عليها. يقال: أمر مبهم، إذا كان مبهماً، لا يعرف معناه ولا يابه.

ورجل مبهم: إذا كان شجاعاً لا يدري مقاتله من أين يدخل عليه.

كلام مبهم: لا يعرف له وجه يؤق منه، مأخوذ من قولهم: حائط مبهم، إذا لم يكن فيه باب، ومنه يقال: رجل مبهم، إذا لم يدرك من أين يؤق له.

(الأزهري ٦: ٣٣٨)

القالبي: البهم: واحدها: بهمة، وهو الشجاع الذي لا يدري من أين يؤق له. ويقال: حائط مبهم، إذا لم يكن فيه باب.

والأبهم من كل شيء: المصطف الذي لا صدع فيه ولا خلط.

والبهم من الخيل: الذي ليس به وضع. (١: ٢٧) والعرب تقول: أضقف الخيل السلق، وأشدّها

التيهم.

(٢: ٢٣٧)

الأزهرى: [بعد ذكر كلام ابن عباس المتقدم في

قول الخليل قال:]

قلت: وقد رأيت كثيرا من أهل العلم يذهبون بمعنى قوله: «أَنِهَمُوا مَا أَنِهَمَ اللَّهُ» إلى إيهام الأمر واشتباؤه وهو إشكاله، وهو غلط.

وكثير من ذوي المعرفة لا يميزون بين المبهمة وغير المبهمة تمييزا مقننا شافيا، وأنا أئتمن لك بهون الله وتوفيقه، فقله عز وجل: «وَحُرِّمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَشَائُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ» النساء: ٢٣. هذا كله يسمى التحريم المبهمة لأنه لا يحل بوجه من الوجوه ولا سبب من الأسباب كالبيه من ألوان الخليل الذي لا يثبت فيه تعالفي مطلق لونه.

ولما سئل ابن عباس عن قوله: «وَأُمَّهَاتُ

بَنَاتِكُمْ» ولم يبين الله الدخول بين؟

أجاب، فقال: هذا من شبهة التحريم الذي لا وجه فيه غير التحريم، سواء دخلتم بنسائكم، أو لم تدخلوا بين، فأُمّهات نسائكم محرمات من جميع الجهات.

وأما قوله: «وَبَنَاتُكُمُ اللَّيْلَى فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّيْلَى دَخَلْتُمْ بَيْنَ» النساء: ٢٣، فالزنايب هاهنا لسن من المبهمة، لأن هن وجهين مبينين أحيلن في أحدها وحُرمن في الآخر. فإذا دخل بأُمّهات الزنايب حُرِّمَت الزنايب، وإن لم يدخل بأُمّهات الزنايب لم يحرم، فهذا تفسير «المبهمة» الذي أراد ابن عباس.

[إلى أن قال:]

قال ابن الأثيري: «ورجل بُهْمَة، إذا كان شجاعا لا يدري مقاتله من أين يدخل عليه».

قلت: والمخروف المبهمة: التي لا اشتقاق لها، ولا يعرف لها أصول، مثل: الذي والذين وما ومن وعن وما أشبهها.

والعرب تقول: البهيمى: عقر الذكور، وعقار الذكور يريدون أنه من خيار المرتفع في جناب الذكور.

والبيهائم: أجبل بالحيى على لون واحد، ثم استشهد بشعر

وأبهت الأرض فهي شبهة، إذا أبنت البهيمى.

وبهم فلان بوضع كذا، إذا أقام به ولم يبرحه.

البهمة: السواد. ويقال لليالى الثلاث التي لا يطلع

لها القمر: بهم، وهي جمع: بهمة.

وبى بنوادر الأصراب: رجل بهمة، إذا كان لا يستحي

من شيء وأراد. واستبهم الأمر، إذا استغلق، فهو

مستبهم، (٦: ٣٢٥)

الصاحب: [قال نحو الخليل وأضاف:]

وبهم الرجل: سئل عن الأمر فأطرق وتغير.

وكذلك إذا لم يقاتل.

وأبهت الرجل من كذا: غيته عنه.

وتبهم عليه كلامه: أزيج.

وفي الحديث: «يخسر الناس بهما» وفُسر على أن

البيهم والمبهمة: الثام الخلق، فعناء أنهم يحشرون غير

منقوصين بل وفاة الخلق، وقيل: بل عراة لاشيء عليهم

يوارىهم.

وبهت، أي أدمت إلى الشيء غظرا من غير أن

يشفي بصري منه. (٤: ١١)

الخطايي: والتهمة: السخلة، والذكر والأنثى فيه سواء. (١: ١٦٤)

وقوله: تُرَبِّي بَهْتًا: أي تشد الأرباق في أعناق البهائم، وهي سفار أولاد الغنم، يقال للواحد منها: بَهْتَة، الذكر والأنثى فيه سواء. (٣: ١٧٩)

في حديث الإيمان والقدر: «وتسرى المسفة الفرساء رعاء الإبل والبهائم يطاولون في البنيان»، أراد بعرعاء الإبل والبهائم: الأعراب وأصحاب البوادي الذين يتجمعون مواضع الفيت ولا تستقر بهم الدار، يعني أن البلاد تُفزع فيسكنونها ويطاولون في البنيان.

والبهائم بالضم: جمع البهيمة، وهو المجهول الذي لا يعرف. (ابن الأثير ١: ١٦٨)

ابن جني: البهتة، في الأصل: صدر وحشف به، بدل على ذلك قولهم: هو فارس بهتة، كما قال تعالى: «وَأَقْبِدُوا ذَرْئًا عَدُوًّا مِنْكُمْ» الطلاق: ٢، فجاء على الأصل، ثم وحشف به فقبل: رجل عدل. ولا فعل له، ولا يوصف النساء بالبهتة. (ابن سيده ٤: ٢٤٢)

الجوهري: [وبعد نقل قول ابن السكيت وأبي عبيدة قال:]

ويقال أيضًا للجيش: بهتة، ومنه قولهم: فلان فارس بهتة وليث غابة.

وأمر بهيم: أي لا مائي له، وأبهمت الباب: أغلقته.

والأسماء المبهمة عند التحويتين، هي أسماء الإشارات، نحو قولك: «هذا، وهؤلاء، وذاك، وأولئك»...

واستبهم عليه الكلام، أي استغلق، وتبهم أيضًا، إذا ارتجج عليه.

وفي الحديث: «يُحْشَرُ النَّاسُ حَفَاةً حُرَاءً يَهْبَاءُ» أي ليس معه شيء، ويقال: أصغاه.

والإيهام: الإصحح الظلم، وهي مؤنثة، والجمع: الأباهيم.

والبهيمة: واحدة البهائم، وهذا فرس بهيم، وهذه فرس بهيم، أي مُشْتَت، وهو الذي لا يخلط لونه شيء سوى لونه، والجمع: بهيم، مثل رغيف ورغف.

وبهيم: ثبت، قال سيبويه: تكون واحدة وجسمًا، وأقبحه للتأنيث فلاتون، وقال قوم: ألغها للإغصاء والواحدة: بهيمة.

وقال المبرد: هذا لا يعرف، ولا تكون ألف «فعل» بالضم لغير التأنيث.

وأبهمت الأرض: كثر بهيمها. (٥: ١٨٧٥)

ابن فارس: الباء والهاء والميم: أن يبقى الشيء لا يعرف المائي إليه.

يقال: هذا أمر مبهم، ومنه البهتة: الصخرة التي لا حرق فيها، وبها شبه الرجل الشجاع الذي لا يقدر عليه من أي ناحية طلب.

وقال قوم: البهتة: جماعة الفرسان، ومنه البهيم: اللون الذي لا يخالطه غيره، سواء كان أو غيره.

وأبهمت الباب: أغلقته.

ومما شذ عن هذا الباب «الإيهام» من الأصابع، والبهيم: سفار الفهم، والبهيمى: ثبت، وقد أبهمتي

الأرض: كثرت بُهَّناها. [ثم استشهد بشعر] (٣١١: ١)
أبو هلال: الفرق بين العام والمُهم: أن «العام»
يشتمل على أشياء، و«المُهم» يتناول واحد الأشياء،
لكن غير معين الذات، فقولنا: شيء، مُهم. وقولنا:
الأشياء، عام. (٤٥)

الهُزَوِيُّ: والبهم: يوصف به الحيوان واللَّيل.
وفي الحديث: «أن عليًا رضي الله عنه كان إذا نزل به
إحدى المبهات كشفها» يريد مسألة مضلة شاقة. قيل
لها: مُبهمة، لأنها أبهت عن البيان، فلم يجعل عليها
دليل؛ ومنه قيل لما لا ينطق: بهيمة. [ثم ذكر حديث ابن
عباس المتقدم] (٢٢٧: ١)

الثعلبي: البهم: صفار أولاد الضأن والممَر. (٥٧)
رجل شجاع. ثم بطل. ثم صمته. ثم بهمة. (٥٨)
«في تفصيل ألوان الفرس» إذا كان مُحَصَّنًا لائمية به
ولا وضح، أي لون كان، فهو بهيم. (١٠٦)
ولد الشاة حين تضعه أمه ذكرًا كان أو أنثى: سَحْلَة
وبهمة. (١١٥)

أبو سهل الهزوي: وهي الإبهام: للإصبع الأولى
الغليظة من يد الإنسان ورجله.
فأما الإبهام بغير ألف فجمع: بهم، والبهم جمع:
بهمة، هي أولاد الضأن خاصة. ويقال لأولاد المعزى:
السخال. (٥٢)

ابن سيده: البهية: كل ذات أربع قوائم من دواب
البر والماء، والجمع: بهائم.

والبهمة: الصغير من أولاد الغنم والضأن والممَر
والبقرة، من الوحش وغيرها، الذكر والأنثى في ذلك

سواء.

وقيل: هو بهمة، إذا شَبَّ، والجمع: بهم، وبهم،
وبهم، وبهمات: جمع الجمع.
والأبهم: كالأعجم.

واشبههم عليه: استعجم فلم يقدر على الكلام.
ووقع في بهمة لا يتجدها، أي خُطَّة شديدة.
واشبههم عليهم الأمر: لم يدروا كيف يأتون له. [لأن
أن قال:]

والمهم من المحرمات: ما لا يحل بسوجه ولا سبب،
كتحريم الأم والأخت وما أشبه.
وقيل: البهم: الأسود.

والبهم من الخيل: الذي لائمية فيه، الذكر والأنثى
في ذلك سواء.

والبهم من الثماج: السوداء التي لا يبيض فيها.
والجمع من كل ذلك: بهم، وبهم.

فأما قوله في الحديث: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بُهِمًا» فعناء، أنه ليس بهم شيء مما كان في الدنيا، نحو
البرص والقرح. وقيل: بل عُرَاة ليس عليهم من متاع
الدنيا شيء.

وصوت بهيم: لاترجميع فيه.
والإبهام من الأصابع: معروقة، وقد تكون في اليد
والقدم، وحكى اللحياني أنها تذكر وتؤنث. [ثم
استشهد بأشعار]

والبهمى: بُتت.
وقال بعض الزواة: البهمى ترتفع نحو الشجر، ونباتها
الطف من نبات البر، وهي أبيض المرعى في المسافر ما

لم تُبَيَّن، الواحد والجميع في كل ذلك سواء. وقيل:
واحدته: بُهْمَة، هذا قول أهل اللغة.

وحسبني أن من قال: بُهْمَة؛ فالألف عنده مُلْحَقَة له
بِحُذَّذٍ، فإذا نزع الهاء أحوال اعتقاده الأول عما كان
عليه، وجعل الألف للتأنيث فيها بعد، فيجعلها للإلحاق
مع تاء التأنيث، ويجعلها للتأنيث إذا فقد الهاء.

وأبهمت الأرض: أثبتت البهيمى.
وأرض بهيمة: ثبتت البهيمى. كذلك حكاه أبو حنيفة،
وهذا على النسب.

والبهائم: اسم أرض. [ثم استشهد بشر]

(٤: ٢٣٨)

الْبُهْمَةُ: ولد الشاة بعد عشرين يومًا من الضأن
والمغزى، للذكر والأنثى، ويلزمه ذلك الاسم وإن قطعت
حتى يكون يَلُومًا. الجمع: بُهْمٌ. وجمع البهيم: بهائم. [ثم استشهد
(الإفصاح ٢: ٧٨٤)

ليلة بهيم: لا يُصْعَر فيها شيء، وهي أشد من سوادها،
وليالي بُهْمٌ. (الإفصاح ٢: ٩٢٦)

الرَّاعِب: البُهْمَةُ: الحجر الصلب. وقيل للشجاع:
بُهْمَة تشبيهاً به، وقيل: لكل ما يصعب على الماشية
إدراكه إن كان محسوساً، وعلى القوم إن كان محسوساً:
بُهْمٌ.

ويقال: أبهمت كذا فاستبهم، وأبهمت الباب:
أغلقتة إغلاقاً لا يهتدى لفتحه.

والبهيمة: ما لا يُطْفَق له؛ وذلك لما في صوته من
الايهام، لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطيور،
فقال تعالى: «أَجَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْكَامِ» المائدة: ١.

وليل بهيم: «فعل» بمعنى «مُفْعَل» قد أبهم أمره
للظلمة، أو في معنى «مَفْعِل» لأنه يُبهم ما يمر فيه
فلا يدرك.

وفرس بهيم، إذا كان على لون واحد، لا يكاد يُبَيِّن
العين غاية التمييز.

ومن ماري: «أُتد يُحضر الناس يوم القيامة بُهْمًا»
أي عُرَاءً، وقيل: مُتَرَوْنَ كما يتوهمون به في الدنيا،
ويتزيمون به، والله أعلم.
والبُهْم: صفار الفم.

والْبُهْمِي: نبات يُسَبِّهُمُ مَبْنًى لشوكه، وقد أبهمت
الأرض: كثر بُهْمُها، نحو أصبت وأبغلت، أي كثر
عُشْبُها وقطوعها. (٦٣)

الرَّحْمَةُ شَرِي: أبهم الباب أغلقته. [ثم استشهد

بشعر]

واللون البهيم: ما لا شبة فيه، أي لون كان إلا
الشبهة. يقال: ليل بهيم، وليالي دُهم بُهْمٌ.

وفلان بُهْمَة من البُهْم: للشجاع الذي يستبهم على
أقرانه مأثاء. وقيل سمي بالبُهْمَة: التي هي الصخرة
المُصَنَّفَة المبهمة.

ومن الباز: أمر مُبْهِم: لا مأتى له، وأبهم فلان علي
الأمر، وكلام مبهم: لا يُعرف له وجه.

واستبهم عليه الأمر: استغلق، واستبهم صل
الرجل: أزعج عليه، وصوت بهيم: لا ترجع فيه.

(أساس البلاغة: ٣٢)

«يُحضر الناس يوم القيامة عُرَاءً حَفَاءً غُرْلًا بُهْمًا»
قيل: وما البُهْم؟ قال: ليس معهم شيء.

البُهم: جمع الأبهيم، وهو البهيم، أي المصنّت الذي لا يخالط لونه لون آخر، ويجوز أن يكون جمع بهيم عتقاً كسبيل جمع سبيل.

والمعنى ليس معهم شيء من أراض الدنيا، شبه خلوة جسد العاري عن عرض يكون معه يخلو نكته الفرس عن شبة مخالقة لها.

والأبهيم والبهيم أيضاً: الحجر المصنّت الذي لا خرق فيه، [ثم استشهد بشعر]

ومن هذا جواز أن يكون وصفاً لأبدانهم بالصحة والسلامة من الأمراض والعمات الدنيوية، إلا أنه فاسد من وجهين آخرين. (الفائق ١: ١٣٦)

المقديني: في الحديث: «أن بهيمة مرّت بين يديه وهو يصلي»

قال الليث: هي اسم للذكر والأنثى من أولاد بني الوحش والنعيم والمأجز. وقيل: البهيمة: السخلة.

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ قال للرّاهي: ما ولدت؟ قال: بهيمة، قال: اذبح مكانها شاة».

ولولا أن «البهيمة» اسم لجنس خاص، لما كان في سؤاله عليه الصلاة والسلام الرّاهي وإجابته عنه به «بهيمة» كثير فائدة، إذ يُعرف أن ما تلد الشاة إنما يكون ذكراً أو أنثى. فلما أجاب عنه به «بهيمة» قال: اذبح مكانها شاة، دلّ على أنه اسم للأنثى دون الذكر، أي دغ هذه الأنثى في القسم للتسل، واذبح مكانها ذكراً، والله عز وجل أعلم. (٢٠٣: ١)

ابن الأثير: وفي حديث عياض بن أبي ربيعة: «والأسود البهيم كآته من ساسم» أي المصنّت الذي

لم يخالط لونه لون غيره. [ثم ذكر حديث علي عليه الصلاة والسلام وقد تقدّم]

والبهم جمع: بهيمة بالفتح، وهي مشكلات الأمور. [ثم ذكر حديث ابن عباس وقد تقدّم]

وفي حديث الإيمان والقدّر: «وترى المسفة الثمراء رعاء الإبل والبهم يتناولون في البنيان». البهم: جمع بهيمة، وهي ولد الضأن الذكر والأنثى، وجمع البهم: بهام، وأولاد المقر: السخال، فإذا اجتمعاً أطلق عليهما: البهم والبهام.

وجاء في رواية: «رعاة الإبل البهم» بضم الباء والماء، على نعت الرعاة وهم السود. (١١: ١٦٨)

الفقيومي: البهيمّة: ولد الضأن، يطلق على الذكر والأنثى، والجمع: بهم، مثل تمرة وتمر، وجمع البهم: بهام، مثل سهم وسهام.

وتطلق البهام على أولاد الضأن والمقر إذا اجتمعت تغليتها، فإذا انفردت قيل لأولاد الضأن: بهام، ولأولاد المقر: سخال.

والإبهام من الأصابع، أي على المشهور، والجمع: إبهامات وأباهيم.

واستبهم الخبر واستغلق واستعجم بمعنى: وأبهنته إبهاماً، إذا لم تُبينه، ويقال للمرأة التي لا يحمل نكاحها لرجل: هي مبهمّة عليه كمُرُجنته.

ومنه قول الشافعي: لو تزوّج امرأة ثم طلقها قبل الدخول لم تحلّ له أُنثا، لأنّها مبهمّة وحلّت له بنتها، وهذا التحريم يسمى «المبهم»، لأنّه لا يحمل بحال، [إلى أن قال:]

والبهيمة: كل ذات أربع من دواب البحر والبر.
 وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة، والجمع: البهائم. (٦٤)
 الفيروز أبادي: البهيمة: كل ذات أربع قوائم ولو
 في الماء، أو كل حي لا يميز، جمعه: بهائم.
 والبهيمة: أولاد الضأن والمكر والبقر، جمعه: بهيم
 ويحرك، وبهائم، جمع الجمع: بهيمات.
 والأبهيم: الأعجم، والبهيم عليه: استعجم، فلم
 يقدر على الكلام.
 والبهيمة بالضم: النطفة الشديدة، والشجاع الذي
 لا يمتدئ من أين يؤق، والصخرة، والجيس، جمعه:
 كصرد.
 وبهيموا البهيم تبهيم: اهردوه عن أمتانته، وبالمكان:
 أقاموا.
 وأبهيم الأمر: انتبه كاستبهيم، وفلاناً بحم الأبهيم:
 نكاه، والأرض: أبنت البهيم، لبنت معروف يطلق
 للواحد والجميع، أو واحدته تبهية. وأرض بهيمة
 كفرحة: كثيرته.
 والمبهيم كمكرم: المخلق من الأبواب، والأضحت
 كالأبهيم، ومن المحرمات: ما لا يحل بوجه، كتحريم الأم
 والأخت، جمعه: بهيم بالضم وبضمتين.
 والبهيم: الأسود، وفرس لبني كلاب بن ربيعة،
 وما لا يشبه فيه من الخيل للذكر والأنثى والتعبه السوداء،
 وصوت لالترجيع فيه، والمخالص الذي لم يشبهه غيره.
 ويحسر الناس بهيمًا بالضم، أي ليس بهم شيء مما
 كان في الدنيا، نحو البرص والقرح، أو غرة.
 والبهائم: جبال بالحيس، وماؤها يقال له: المتجيس،

وأرض.
 والإيهام بالكسر، في اليد والقدم: أكبر الأصابع،
 وقد تذكر، جمعه: أباهيم وأباهيم.
 وشغل البهيم ككتاب: من المنازل.
 والأسماء المبهمة: أسماء الإشارات عند النحاة.
 (٨٣: ٤)
 الطريحي: وفي الحديث: «يكره المسير المبهيم
 للرجال» أي المخالصة الذي لا يمازجه شيء،
 ومنه: فرس بهيم، أي مضنت وهو الذي لا يخالط
 لونه شيء سوى لونه، ومنه الأسود البهيم،
 وفيه «يحسر الناس يوم القيامة غرة خفاة بهيم»
 يعني ليس لهم من العاهات والأعراض التي تكون في
 الدنيا كالتور والقرح.
 والبهيم بالضم: جمع البهيم، وهو البهيم الذي
 لا يعرف، ومنه الحديث: «شيعتنا البهيم».
 وفي الحديث: «قلوب المؤمنين مبهمة على الإيمان»
 أي مضنت، مثل قولهم: فرس بهيم، أي مضنت، كأنه
 أراد بقوله: مبهمة، أي لا يخالطها شيء سوى الإيمان.
 وهذه الآية مبهمة، أي عامة أو مطلقة، وأمر مبهيم،
 أي مفصل لا ماق له.
 وفي حديث علي عليه السلام: «كان إذا نزل به إحدى
 المبهيمات كشفها» يريد مسألة معضلة مشككة، سميت
 مبهمة، لأنها أبهمت عن البيان، فلم يجعل عليها دليل.
 (٢٠: ٦)
 محمّد إسماعيل إبراهيم: البهيمة: كل ذات
 أربع قوائم من دواب البر أو البحر ماعدا السباع،

والجمع: بهائم.

(١: ٨٢)

المُصْطَفَوِيُّ: الأصل الواحد في هذه المادة: هو

الكيفية التي لا يعرف لها وجه، ولا يستبين أمرها، ولا مآل لها.

وهذه الحيثية توجد في موارد مختلفة فتطبق عليها،

كالحجر الصلب الذي لا يتكشف ما فيه ولا يستعرف

فيه، والزجل التجاع الصلب الذي لا يمكن التفوذ فيه

ولا يتقدّر عليه، واللون الكدير الذي لا يحاطه عي،

ولاشية فيه، والباب المخلق الذي لا يتفتح ولا يله سبل،

والخير أو الأمر الذي لم يتبين.

ومن الأنعام: ما يكون عمله وجريان أمره وصوته

غير متبين لا مآل إليه، ولا يعرف باطنه ولا جندى إليه.

كالغنم والبقر والإبل وما يشابهها من الأنعام: فإنها لم يست

من السباع حتى تعرف منها خصوصيات الحيثية

ولامن الطيور حتى تحدد وتجهتد في تحصيل معانيها

وتنظيم أمرها، فكانت صم بكم عمي. (١: ٣٣٢)

النصوص التفسيرية

بهيمة

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا بِالْقُرْآنِ أَجَلْتُ لَكُمْ

بِهَيْمَةِ الْإِنْتِقَامِ إِلَّا مَا يُنَالُ عَلَيْكُمْ... المائدة: ٦

ابن عباس: المراد بذلك أجنة الأنعام التي توجد في

بطون أمهاتها، إذ أضرمت وقد ذكبت الأسهات وهي

ميتة، فذكاتها ذكاة أمهاتها.

وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليه السلام.

(الطبرسي ٢: ١٥٢)

نحوه الشعبي (البغوي ٢: ٥)، وعبد الله بن عمر (ابن

خطبة ٢: ١٤٤).

أنها وحش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش.

(ابن الجوزي ٢: ٢٦٨)

الجنين من بهيمة الأنعام فكلوه. (الطبرسي ٦: ٥٠)

الضخالة: هي الأنعام كلها: الإبل والبقر والغنم.

منه الحسن، وقنادة، والسدي، والزيح.

(الطوسي ٣: ٤١٥)

بهيمة الأنعام: وحشها كالظباء وبقر الوحش

(أبو حيان ٣: ٤١٢)

منه الكلبي، والفراء. (الطبرسي ٢: ١٥٢)

ابن قتيبة: الإبل والقر والغنم والوحوش كلها.

(١٣٨)

الطبرسي: اختلف أهل التأويل في «بهيمة

الأنعام» التي ذكر الله عز ذكره في هذه الآية، أنه أحدها

لنا، فقال بعضهم: هي الأنعام كلها.

وقال آخرون: بل عني بقوله: «أَجَلْتُ لَكُمْ بِهَيْمَةِ

الْإِنْتِقَامِ» أجنة الأنعام التي توجد في بطون أمهاتها، إذا

نحرت أو ذبحت ميتة.

وأول القولين بالصواب في ذلك قول من قال: عني

بقوله: «أَجَلْتُ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْإِنْتِقَامِ» الأنعام كلها، أجنيتها

وسخاها وكبارها، لأن العرب لا تمنع من تسمية جميع

ذلك: بهيمة وبهائم، ولم يخص الله منها شيئاً دون

شيء، فذلك على عمومه وظاهره، حتى تأتي حجة

بخصوصه . يجب التسليم لها .

وأما التعم فإنها عند العرب اسم للإبل والبقر والغنم خاصة . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ التحل : ٥ . ثم قال : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ التحل : ٨ . ففصل جنس التعم من غيرها من أجناس الحيوان . وأما بهائمها فإنها أولادها .

ولما قلنا : يلزم الكبار منها اسم بهيمة . كما يلزم الصغار . لأن معنى قول القائل : بهيمة الأنعام . ظير قوله : ولد الأنعام . فلما كان لا يسقط معنى الولادة عنه بعد الكبر . فكذلك لا يسقط عنه اسم البهيمه بعد الكبر .

وقد قال قوم : بهيمة الأنعام : وحشيتها كالظبية . وبقر الوحش . والمحمر . (٦ : ١١)

الزجاج : قال بعضهم : ﴿ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ﴾ : الغنم والبقر الوحشية والمحمر الوحشية . والأنعام في اللغة : تشتمل على الإبل والبقر والغنم .

فالتأويل - والله أعلم - « أُجِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ » أي أُحِلَّتْ لَكُمْ الإبل والبقر والغنم والوحش . والدليل على أن الأنعام مشتملة على ما وصفنا . قوله عز وجل : ﴿ وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ﴾ الأنعام : ١٤٢ . فالحمولة : الإبل التي تحمل . والفرس : صغار الإبل .

قال : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ ١٤٣ . ثم قال : ﴿ وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾ الأنعام : ١٤٤ . وهذا مردود على قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ الأنعام : ١٤١ . وأنشأ ﴿ وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ﴾ ثم ذكر ثمانية أزواج بدلاً

من قوله : ﴿ وَ مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ﴾ . والسورة تدعى سورة الأنعام . فـ ﴿ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ﴾ هذه . وأما قيل لها : بهيمة الأنعام . لأن كل حي لا يميز فهو بهيمة . وأما قيل له : بهيمة . لأنه أبهم عن أن يميز . فأعلم الله عز وجل أن الذي أحل لنا مما أبهم هذه الأشياء . (٢ : ١٤٠)

والبهيمه من ذوات الأرواح : ما لا عقل له مطلقاً .

(الألوسي : ٦ : ٤٩)

المجستائي : الإبل والبقر والغنم . والبهيمه : كل ما كان من الحيوان غير ما يملك . ويقال : البهيمه : ما استبهم عن الجواب . أي استغلق . (٤٨)

الطوسي : [ذكر قول ابن عباس . والضحالك . والحسين وغيرهم ثم قال :]

والأولى بحمل الآية على عمومها في الجميع .

(٣ : ٤١٥)

نحو : الطبرسي . (٢ : ١٥٢)

الواحدى : والبهيمه : اسم لكل ذي أربع . من دواب البر والبحر .

والمراد بـ ﴿ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ﴾ : الأنعام . وزاد ذكر «البهيمه» للتأكيد . كما يقال : نفس الإنسان . (٢ : ١٤٨) الزمخشري : البهيمه : كل ذات أربع في البر والبحر . وإضافتها إلى (الأنعام) للبيان . وهي الإضافة التي بمعنى : « من » كخاتم فضة . ومعناه البهيمه من الأنعام . وقيل : ﴿ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ﴾ : الضباء . وبقر الوحش ونحوها . كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب . فأضيفت إلى

والجواب عن السؤال الأول من وجهين:

الأول: أن المراد بالبهيمة وبالأنعام شيء واحد، وإضافة «البهيمة» إلى «الأنعام» للبيان، وهذه الإضافة بمعنى «بن» كخاتم فضة، ومعناه البهيمة من الأنعام، أو للتأكيد كقولنا: نفس الشيء وذاته وهينه.

الثاني: أن المراد به «البهيمة» شيء وبالأنعام شيء آخر، وعلى هذا التقدير ففيه وجهان:

الأول: أن المراد من «بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» الظباء وبقر الوحش ونحوها، كما أنهم أرادوا ما يائثل الأنعام ويدانها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لحصول المشابهة.

الثاني: أن المراد بـ «بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» أجنة الأنعام. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن بقره ذُبِحَتْ، فَوُجِدَ فِي بَطْنِهَا جَنِينٌ، فَأَخَذَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَدَيْهَا، وَقَالَ: هَذَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ.

وعن ابن عمر: أنها أجنة الأنعام، وذكاته ذكاة أمه... [وقد سكت عن جواب السؤال الثاني وقالت]

(١١: ١٢٥)

نحوه الثيسابوري.

القرطبي: واختلف في معنى «بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» والبهيمة: اسم لكل ذي أربع، سميت بذلك لإربامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها، ومنه: باب مُبَيِّنٌ، أي مُفَلِّقٌ، وليل يهيم، وبَهِيمَةٌ: للشجاع الذي لا يدرى من أين يُؤْتَى له، [ثم ذكر معنى الأنعام وقال:] وقال قوم: «بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ»: وحشيتها كالظباء وبقر الوحش والحمر، وغير ذلك، وذكره غير الطبري

عن السدي والزبيح وقنادة والضحاك، كأنه قال: أحلت لكم الأنعام، فأضيف الجنس إلى أخص منه. [ثم ذكر نص قول ابن عطية السابق، وقال:]

قلت: فعل هذا يدخل فيها «ذوات الحوافر» لأنها راعية غير مفترسة. وليس كذلك، لأن الله تعالى قال: «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ» النحل: ٥، ثم عطف عليها قوله: «وَالْحَيْلَ وَالْأَيْفَالَ وَالْخَبِيرَ» فلما استأنف ذكرها وعطفها على الأنعام دل على أنها ليست منها.

وقيل: «بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» ما لم يكن صيداً، لأن الصيد يسمى وحشاً لا بهيمة، وهذا راجع إلى القول الأول.

وروي عن عبدالله بن عمر أنه قال: «بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ»: الأجنة التي تخرج عند الذبح من بطون الأمهات، فهي تؤكل دون ذكاة، وقاله ابن عباس.

وفيه بُعْذٌ، لأن الله قال: «إِلَّا صَائِلِي غَلَيْكُمُ» وليس في الأجنة ما يستننى.

(٦: ٢٤)

نحوه أبو حيان.

أبو الشعثود: البهيمة: كل ذات أربع، وإضافتها إلى الأنعام للبيان كنوب الحز، وإفرادها لإرادة الجنس، أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام، وهي الأزواج الثمانية الممدودة في سورة الأنعام، وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوها.

وقيل: هي المرادة بالبهيمة هاهنا، لتقدم بيان حل الأنعام، والإضافة لما بينها من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الأنياب.

وفائدتها الإشعار بعلّة الحكم المشتركة بين المضافين، كأنه قيل: أحلت لكم البهيمة التشبيّه بالأنعام التي بيّن إحلالها فيما سبق، المماثلة لها في مناهل الحكم. (٢: ٢٣٣)

مثله البرّوسوي (٢: ٣٣٧)، ونحوه رشيد رضا (٦: ١١٨).

الألوصي: البهيمة من ذوات الأرواح: ما لا عقل له مطلقاً، وإلى ذلك ذهب الزجاج. وحتى بهيمة، لعدم تمييزه وإيهام الأمر عليه.

ونقل الإمام الشّرائي عن شيخه عليّ الخواصّ، قدس سرّه: أنّ سبب تسمية البهائم بهائم ليس إلاّ لكون أمر كلامها وأحوالها أهيّ على غالب الخلق، لأنّ المراد أهيّ عليها، وذكر ما يدلّ على عقلها وعلمها. وقال غير واحد: البهيمة: اسم لكلّ شيء أربع من دوابّ البرّ والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، كنوّب خزّ، أي أحلّ لكم أكل البهيمة من الأنعام، وهي الأزواج الثمانية المذكورة في سورتها.

واعترض بأنّ «البهيمة» اسم جنس و«الأنعام» نوع منه، فإضافتها إليه كإضافة: حيوان إنسان، وهي مستبحة.

وأجيب بأنّ إضافة العام إلى الخاصّ إذا صدرت من بليغ وقصد بذكره فائدة فعنّة كمدينة بغداد، فإنّ لفظ «بغداد» لما كان غير عربيّ لم يعهد معناه، أُضيف إليه «مدينة» لبيان مستأه وتوضيحه، وكشجر الأراك، فإنّه لما كان «الأراك» يُطلق على قضبانه، أُضيف لبيان المراد وهكذا، وإلاّ فلفظ زائد مستهجن. وهنا لما كان الأنعام قد

يختصّ بالإبل، إذ هو أصل معناه - على ما قيل - ولذا لا يقال: ألّهم إلّاها، أُضيف إليه (بهيمة) إشارة إلى ما قصد به.. [ثمّ ذكر مثل أبي السّعود فلاحظ] (٦: ٤٩) الطّباطبائيّ: والبهيمة: اسم لكلّ ذي أربع، من دوابّ البرّ والبحر على ما في الجمع، وعلى هذا فإضافة البهيمة إلى الأنعام من قبيل إضافة النوع إلى أصنافه، كقولنا: نوع الإنسان وحنس الحيوان، وقيل: البهيمة جنس الأنعام، وعليه فالإضافة لامية.

وكيف كان فقوله: «أحلّت لكم بهيمة الأنعام» أي الأزواج الثمانية، أي أكل لعمومها. (٥: ١٦١)

خليل ياسين: مامعني البهيمة؟ البهيمة: اسم لكلّ شيء أربع، من دوابّ البرّ والبحر. وقال بعضهم: كلّ شيء لا فهم فهو بهيمة، والصّحيح الأخير. وإنا قال: «بهيمة الأنعام» للتأكيد، كما يقال: نفس زيد، وشخص عمرو، فعناه أحلت لكم الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم. (١: ١٨٢)

مكارم الشّيرازي: وكلمة (الأنعام) صيغة جمع من «نعم» وتعني الإبل والبقر والأغنام. أمّا كلمة (بهيمة) فهي مشتقة من المصدر «بُهْمَة» على وزن «نَهْمَة» وتعني في الأصل: الحجر الصّلب.

ويقال لكلّ ما يعسر دركه: مبهمةً، وجميع الحيوانات التي لا تمتلك القدرة على النّطق تسمّى بهيمة، لأنّ أصواتها تكون مبهمة للبشر. وقد جرت العادة على إطلاق كلمة «بهيمة» على المواشي من الحيوانات فقط، فأصبحت لا تشمل الحيوانات الوحشية والطيور.

ومن جانب آخر فإنّ جنس المواشي يطلق عليه

اسم «بهيمة» لأنه يكون مبهماً نوعاً ما.

وعلى الأساس المذكور فإن حكم حليّة «بهيمة الانتقام» يشمل إنا جميع المواشي ما عدا التي استثنى الآيّة فيها بعد، أو تكون الجملة بمعنى: أجنّة الحيوانات من ذوات اللحم الحلال، تلك الأجنّة التي اكتمل نموها وهي في بطن أمها، وكُسي جلدُها بالشعر أو الصوف.

ولما كان حكم حليّة الحيوانات كالإبل واليقر والأغنام قد تبين للناس قبل هذه الآيّة، لذلك من المحتمل أن تكون الآيّة - موضوع البحث - إشارة إلى حليّة أجنّة هذه الحيوانات.

والظاهر من الآيّة أنها تشمل معنى واسعاً، أي تبين حليّة هذه الحيوانات، بالإضافة إلى حليّة لحوم أجنّتها أيضاً، ومع أن هذا الحكم كان قد توضح في السابق إلا أنه بناءً مكرراً في هذه الآيّة، كمدّة الاستنباط الواردة فيها.

٢- لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَقْلُوبَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ... الحج: ٢٨
أَبَوْعَبْدَةَ: خرجت عسج «يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» المؤمن: ٦٧، والبهائم: الأنعام والدواب. (٥٠: ٢٦)
الرَّمَحُشَرِيُّ: البهيمة: مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر، فينت بالأنعام، وهي الإبل واليقر والضأن والمُر.

مثله النَّسِيُّ (٣: ١٠٠)، والثَّيَابِرِيُّ (١٧: ٩٤)، وأَبُو حَيَّان (٦: ٣٦٥)، والبرُّوسِيُّ (٦: ٢٦).
الطَّيْرُوسِيُّ: والبهيمة: أصلها من الإيهام، وذلك

أنها لاتفصح كما يفصح الحيوان الناطق. (٤: ٨١)
الطَّيْرُوسِيُّ: والبهيمة: مالا تطلق له، وذلك لما في صوته من الإيهام، لكن خصّ في التعارف بما عدا السباع والطيور، فقال تعالى: «أُجِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» المائدة: ١.

فالمراد بـ «بهيمة الانتقام»: الأنواع الثلاثة للإبل واليقر والغنم، من مَرَّ أو ضأن، بالإضافة بيانيتها.

(١٤: ٣٧)
٣- وَنَحْنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» الحج: ٣٤.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: البهيمة، أي ولد بقرة الوحشي والتمم والمُر، الذكر والأنثى فيه سواه، والجمع: بَهْمٌ وَبَهْمٌ، يقال: هم يُبْهَمُونَ البهْم، أي مفردوه عن أمهاتهم فرغوه وحده، وفي الحديث: «وترى الحفاة المرأة رعاء الإبل والبهائم يطاولون في البنيان».

ومنه البهيمة، وهي ذات الأربع من دواب البر والبحر، وهي «فهيلة» بمعنى «مفعولة»، لأن الأمور قد أُنْهِيَتْ عليها، ومنه قول الحسين عليه السلام لشمر يوم عاشوراء: «إنما أنت بهيمة»، ولذا يقال لمن يُضْطَرَّب فيضئ عليه، لا يطق ولا يميز: وقع مُبْهِمًا.

والبهيمة: الصخرة التي لاخرق فيها، والأبهم: المصمت، أي الشيء الذي لا جوف له كالحجر، والإيهام: الإصبع الكبير، قيل لها ذلك لأنها تُبْهِم الكف، أي تطبق عليها، والبهيمة: نبات يريّ يُقبل عليه

البهايم مادام أخضر، فإذا يس أخرج أشواكًا، فعينشو
تعرف عنه، يقال: أبهت الأرض فهي مبهمة، أي أبشت
البهائم، وكذا أرض يهمة.

والبهمة: البطل الذي لا يدرى من أين يؤتى من
شدة بأسه، المفرد والجمع فيه سواء، وجمعه بهيم، يقال:
إنه لبهمة من قوم بهيم.

والبهيم: لون خالص لا يخالطه لون آخر، يقال:
فرس بهيم، أي لم يخلط لونه سواء، وكُسميت بهيم،
وأشقر بهيم، وأدهم بهيم، وليل بهيم: لاضوء فيه إلى
الضباب، وصوت بهيم: لارتجاع فيه.

وطريق بهيم: خفي لا يستبين، وحائط بهيم: ليس
فيه باب، وباب بهيم: لا يمتدى لفتحه، يقال: ربهمت
الباب، أي أغلقته.

ويقال أيضًا: أبهم فلانٌ علي الأمر، أي أضمته، فلم
يجعل فيه فرقًا أعرفه، وأبهم الأمر: أضمته، لا يبرك
وجهه فهو مبهيم، واستبهم عليه الكلام والأمر: استغرق
فهو مستبهم، واستبهم عليهم أمرهم، أي لا يدرون كيف
يأتون له.

ومنه أيضًا: بهم فلانٌ بموضع كذا، أي أقام به و
لم يبرحه، تشبيهاً بمكوث البهم في مكانها الذي تألفه،
وبهت، أي أدمت إلى الشيء نظرًا من غير أن يشفي
بصري منه، وتبهت عليه الكلام: أرتج، أي التبس.

٢- ووردت البهيمه في العبرية بلفظ «بهيمه»، وفي
العهد القديم (أيوب ٤٠: ٦٥) بلفظ «بهيموت»، جمع
«بهيمه» العبري كما حكاه صاحب «قاموس كتاب
مقدس» عن بعض.

وذهب «آرثر جفري» إلى أن العرب أخذوا «البهيمه»
من اللفظ العبري مباشرة، وقد استدلّ ببعض المعجمات
العربية عن بيان أصله في اللغة، واستعماله في أحكام
اللحوم المحظرة والحرمه في آيات مدنية متأخرة، تأثراً
بأحكام اليهود وشراعتهم في هذا المضمار.

ونقول: إنه ركز كلامه في أمرين: الأول: أن الإسلام
أخذ حكم أكل البهيمه من اليهود في المدينة، بعد الوقوف
على حكم التوراة، والثاني: أن لفظ «البهيمه» مأخوذة
من لغتهم العبرية.

والجواب عن الأول: أن بعض أحكام القرآن ناظر
إلى أحكام اليهود، وربما يحكيها كقوله: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ قُرْبَانٍ﴾
﴿لَيْسَ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ المائدة: ٤٥.

وليس معنى هذا أن الإسلام أخذ أحكامه من
التوراة - كما يدعي - بل أن القرآن مهين على الكتب
السابقة، فيحضي منها ما يضي، ويغير منها ما يغير بوحى
من الله، كما أحل كثيراً من اللحوم التي حرّمها التوراة.

أما سرّ تأخرها إلى المدينة، فلا أنها دار التشريع
القرآني والدعوة سناً، وفيها شرّعت الأحكام، أما مكة
فكانت دار الدعوة في أغلب الأحوال، ومن أجل ذلك
قلّ التشريع في المكتبات، وهذه إحدى مميزات الآيات
والسور المدنية من المكيّة.

والجواب عن الثاني: أن هذا اللفظ - وإن استعمل في
القرآن أواخر عهد الرسالة في المدينة - قد استعمله
العرب قبل ظهور الإسلام خلال العصر الجاهلي الفاجر،
ولا خلاف بينها في معناه أبداً.

٣- واحتمل «أدي شير» في «الألفاظ الفارسية» أن

بدأت بإعلان حليّة البهيمة ﴿إِلَّا مَا يُنْتَلَى﴾، ثم ذكر الحرمات منها في (٣): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْحَيَّةُ وَالْذَّمَّةُ وَالْحَمَمُ الْخِزْبِيرُ﴾.

ثانياً: طرح الفخر الرازي هنا ثلاث أسئلة: لم أضيف فيها «بهيمة» - وهو اسم جنس - إلى «الأنعام»، وهو اسم نوع، فهي من قبيل حيوان الإنسان؟ ولو قال: أحلت لكم الأنعام، لكان الكلام تاماً، كما جاءت في آية أخرى؟ ولم أفردت «بهيمة» وجمعت «الأنعام»؟ ثم أجاب عن الأول فقط، فلاحظ النصوص.

ثالثاً: ما الفرق بين اللَّفْظَيْن: البهيمة والأنعام؟ ولم جاءت «بهيمة» مفردة ثلاث مرّات، ولم تأت جمعاً؟ وجاءت الأنعام جمعاً «٣٢» مرّة، ولم تأت مفردة إلا مرّة واحدة في «وَمَنْ قَتَلَ مَنكُم مِّنْهُ فَبِإِثْمِهِ قَاتِلٌ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ قَتَلَ الْبَهِيمَةَ فَهُوَ كَقَتْلِ الْبَهِيمَةِ» المائدة: ٩٥.

والذي يحظر بالبال أن الأنعام أطلقت في القرآن على الأزواج الثنائية وغيرها أينما ضمت إليها الأكل والمحل، مثل: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْبَهِيمَةُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ الحج: ٣٠. وعلى الأعم منها ومن الخيل والبعال والحمير إذا ضمت إليها الركوب، مثل: ﴿وَمِنَ الْبَهِيمَةِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ﴾ الأنعام: ١٤٢، و﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ الزخرف: ١٢. وإذا جمع بين الأكل والركوب، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْبَهِيمَةَ لِيَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ المؤمن: ٧٩، فترق بينها بلفظ «منها».

أما البهيمة فتمت كل حيوان، وإنما أضيفت إلى «الأنعام» لاختصاصها بالمأكول من البهيمة والأنعام.

«البهيمة» مأخوذ من اللَّفْظِ الفارسي «بِهَان» أي مبهم. وهذا بعيد أيضاً، لأن هذا اللَّفْظ - كما يبدو من وزنه - صفة مشتقة من «البهيمّة»، ثم سمي به، فنقل إلى الاسم.

الاستعمال القرآني

في هذه المادّة ثلاث آيات:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذِقُوا بِالْفَقْرِ أَجَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَى غَيْرَ يُحِلُّ الْفَيْدَ وَالنَّعْمَ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ المائدة: ١

٢- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ النَّبِيِّ﴾ الحج: ٢٨

٣- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَاسِكَ لِيُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّكُم مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ الحج: ٣٤

يلاحظ أولاً: أن الآيات الثلاث جاءت خلال مناسك الحج، لأن الذبح من جللتها مع تفاوت بينها. فالأخيرتان جاءتا في صميم الموضوع بلفظ متقارب ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، و﴿لِيُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، فجاء فيها ذكر الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام.

أما الآية الأولى، فإنها وإن جاءت خلال آيات الحج باعتبار نزول سورة المائدة في حجة الوداع، وفي أولها آيتان: (١) و(٢)، وفي وسطها أربع آيات: (٩٤) إلى (٩٧) في مناسك الحج، ولا سيما الصيد في الحرم، إلا أنها

معاً ، وإفراد «بهيمة» فيها للجنس ، وجمع «الأنعام»
 للتعميم لكل ما كُول منها ، من الأزواج الثمانية وغيرها ،
 وجاءت مفردة تلو «من» لزيادة التعميم أيضاً .
 وعلى كل حال ، أصبحت «بهيمة الأنعام» تعبيراً
 قرآنياً شائعاً لما يُذبح ويؤكل من الأنعام ، ولاسيما في

الحج ، لاحظ «نعم» .

رابعاً : الآيات الثلاث مدنية ، على خلاف في سورة
 الحج كما أشرنا إليه مرّات ، فلو ثبت كونها مدنية
 لاختمت البهيمة بالمدينة في القرآن .



ب و ء

١٢ لفظًا. ١٧ مرة: ٨ مكية. ٩ مدنية
في ١٢ سورة: ٦ مكية. ٦ مدنية

بَاء ٢-٢	تَبَيَّنَتْهُمْ ٢: ٢	ويقال: إذا فلانًا تبوء بفلان، أي إن قُتل به كسان
بَاء ٣-٣	تَبَيَّنُوا ١: ١	كُفِرُوا بِهَا بَات بفلان قاتله، إذا قتلته به، واستبانتهم قاتل
تَبَيَّنُوا ١-١	تَبَيَّنُوا ١-١	أخبري أي طلعت إليهم أن يُعبدوه، واستبانتهم: مثل
بَوَّأْتُمْ ١: ١	تَبَيَّنُوا ١: ١	استفدت به. [ثم استشهد بشعر]
بَوَّأْنَا ١-١: ٢	تَبَيَّنُوا ١: ١	والتبوء في القود، تقول: اقْتُلْ هذا بقتيلك فإنه بواء
تَبَيَّنُوا ١-١: ١	تَبَيَّنُوا ١: ١	به، أي هو يعادله في الكفاءة. [ثم استشهد بشعر]

والتبوء: المثل، تقول: دونك هذا لخذله بواء، وقال
أبو الدقيش: العرب تقول: كلمناهم لأجابهونا عن تبوء
واحد، أي أجابهونا جوابًا واحدًا.

وتقول: هم في هذا الأمر بواء سواء، أي أكفاء
ظفراء.

وبوأت الرمح نحو الفارس، إذا قابله فسدت الرمح
نحوه.

وأبى فلان بفلان، أي قُتل به. [ثم استشهد بشعر]
وقيل: تبأوت، أي توازنت واستوت، وباء بآتي،

النصوص اللغوية

الخليل: الباء والمباة: منزل القوم حين يتبؤون
في قتل واد، أو سدد جبل، ويقال: بل هو كل منزل ينزله
القوم، يقال: تبؤوا منزلاً، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي
إِسْرَآئِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ يونس: ٩٣. [ثم استشهد بشعر]
والمباة: منطين الإبل حيث تُنَاح في الموارد، يقال:
لبأنا الإبل إباءة - محدودة - أي أختنا بعضها إلى بعض. [ثم
استشهد بشعر]

أي استولى عليه.

ويقال: بَاءَ فلان بدم فلان إذا أقر به على نفسه،
واحتمله طوعاً، علماً بوجوبه.

وباء فلان بذنبه، إذا احتمله كرهاً، لا يستطيع دفعه
عن نفسه، فقد باء به، كما باءت اليهود بالنضب من الله.
وباء فلان من أمره هذا بما عليه وماله.

والأبواء: موضع. (٤١١: ٨)

الأحمر: فإن قتله السلطان بقود قيل: قد أقام
السلطان فلاناً، وأقصه، وأبأه، وأصبره.

وقد أبأته أبيته إباءة. (الأزهرى ١٥: ٥٩٨)

الفرأه: يقال: تبوأ فلان منزلاً، إذا ظر إلى أسفل
ما يرى وأشد استواء وأمكنه لبيته، فاعتقه.

(الأزهرى ١٥: ٥٩٥)

الباءة: النكاح، والهاء فيه زائدة، والقلوب يقولون:
الباء. (الأزهرى ١٥: ٥٩٦)

باء بوزن «باع»، إذا تكبر، كأنه مقلوب من بأى،
كما قالوا: أرى ورأى.

أبو عبيدة: يقال: القوم بواء، أي سواء.

ويقال: ما فلان لفلان بسواء، أي صاحبه
بكف. (الأزهرى ١٥: ٥٩٧)

أبو زيد: وأبوء: أقر وأحتمل. يقال: باء بكذا
وكذا، إذا احتمله وأقر به. (١٥٠)

أبأنت القوم منزلاً، وأبأت الإبل فأنا أبأها إباءة، إذا
ردهتها إلى المباءة، وهي المراح الذي تبيت فيه.

(الأزهرى ١٥: ٥٩٤)

أبأت القوم منزلاً، وبوأتهم منزلاً، تبوأتا، إذا نزلت

بهم إلى سدد جبل أو قبل نهر، والاسم: المباءة، وهو

المنزل. (الأزهرى ١٥: ٥٩٥)

يقال: باء فلان ببيئة سوء، أي بحال سوء.

ويقال: في أرض فلان فلاة شبيء في فلاة، أي
تذهب. (الأزهرى ١٥: ٥٩٦)

بُوت بالذنب أبوء به بؤاً، إذا اعترفت به.

(الأزهرى ١٥: ٥٩٧)

باء الرجل بصاحبه، إذا قتل به، ومنه قولهم: «باءت
غرار بكغل»، وهما بقرتان قُتلت إحداهما بالأخرى.

(الجهوري ١: ٣٧)

أبأت القوم منزلاً، لغة في بوأتهم منزلاً.

(الصناني ١: ٨)

«التبؤ»: أن يُعلم الرجل الرجل على المكان إذا أعجبه

(الزبيدي ١: ٤٧)

الاصمعي: يقال: فلان حريص على الباءة، أي

على النكاح. [ثم استشهد بشعر] (الأزهرى ٥: ٥٩٥)

المباءة: المنزل، يقال: تبوأ فلان منزلاً، إذا اتخذ،

وبوأته منزلاً. (الأزهرى ١٥: ٥٩٤)

نحوه ابن دُرَيْد، (٣: ٢٧٨)

باء بآتمه ويؤء به بؤء، إذا أقر به.

وباء فلان بفلان، إذا كان كُفء له، يقتل به، ومنه

قول المهلهل لابن الحارث بن عباد حين قتله: «بؤ بئسنع

قتل كلئيب» معناه: كن كُفء لئسنع فعله، لادمه.

(الأزهرى ١٥: ٥٩٦)

يقال: قد أبأها الراعي إلى مبانها فتبوأته، وبوأها

إبأه تبوأتا. (ابن فارس ١: ٣١٣)

رجوع الماء، وإنما هو من الرجوع إلى الشيء.

(١٦٩: ١)

ومثل من أمثاله: باءت غرار بكخل وقالوا: غرار وهو الوجه، وهما بقرتان - ولها حديث - فقتلت كل واحدة صاحبتها، يقولون ذلك إذا نبأى الرجلان، فقتل كل واحد منهما بصاحبه.

وقال أيضاً: باءت من البواء، وهو أن يقتل الرجل بالرجل، يقال: باء به بواء بواء، إذا قُتل به. (١٨٥: ٢) والثبوت فعل محات، ثم قالوا: تبوا. (٢٩٢: ٣) يتبوا، فلم يمزوا، وهمزة قوم فقالوا: تبوا يتبوا تبوا: أقام بالمكان. (١٩٩: ٣)

وأبأت على فلان ماله أبيض إباءة، إذا أرحته عليه إبله وغنمه. وأبأت القوم منزلاً إباءة منه. وإبوتهم تبيوتاً، إذا نزلت بهم إلى سدة جبل أو عساطين نهم. والاسم: الإباءة والبيئة، وهي المنزل. (٢٦٩: ٣)

وبيئة الرجل مثل بيعة الموضع الذي يتبوا فيه.

(٢٧٧: ٣)

والباء بالمد: التكاخ معروف، وهو الذي تسميه العامة الباء. [ثم ذكر قول أبي حاتم المتقدم] (٢٩٣: ٣) ابن الأنباري: والبواء: التكاخ، يقال: ما فلان بواء بفلان، أي ما هو بكفم له. (١٨٤)

الباء: التكاخ، يقال: فلان حريص على الباء والباءة والباد، بالهاء والقصر، أي على التكاخ.

والباءة: الواحدة، والباء: الجمع، وتجمع الباءة على الباءات. [ثم استشهد بشعر] (الأزهري ١٥: ٥٩٦) القائل: قوله: «بؤ بشيع نعل كليب» أمر من

قولهم: باء الرجل بصاحبه بؤاً، إذا قُتل به، وكان كفء له، أي شئ بشيع نعل كليب، فأنت في القود كفء له أي كفء، ويقال: القوم بواء، أي أمثال في القود مستوون. [ثم استشهد بشعر] (١٣٢: ٢) قوله:

«فإن أخاكم لم يكن من بوائنا»

البواء: السواء، يريد إن أخاكم لم يكن نظيراً لي فأكون بواء له، يقال: بؤ بفلان، أي اذهب به، يقال ذلك للمقتول بمن قتل. (ذيل الأمالي: ١٣٥)

الأزهري: وفي حديث النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أراد به الباءة: التكاخ والتزويج.

ويقال للجماع نفسه: بامة، والأصل في الباءة: المنزل، ثم قيل لسد التزويج: بامة، لأن من تزوج امرأة بؤاًها منزلاً.

الصاحب: [ذكر نحو التكيل وأضاف:]

وباءت عليهم إبل كثيرة، أي راحت تبوء، وأبأتها أنا.

وأبأت على بني فلان مالا، أي أعطيتهم إياه وسقته إليهم.

وأباهم إلى ذاك، أي ألجأهم.

وأبأوا، أي غرأوا.

وتبأأت: عذوت.

وما يؤت به، أي ما عئيت به.

ويؤته بالأمر، إذا أقرنته به.

والباءة: الجماع، وكذلك الباء والباءات.

وهو طيب الباءة، أي عفيف الفرج، وأصله البيت والمنزل.

وذلك حرّى منه وباءة، أي مكان منه ومنزل، والبيئة: المنزل.

واستباءت الأنثى: طلبت الباءة. [إلى أن قال:] وباءأت بين القتل وباءة، أي ساويت بينهم، وتباوأت: توازنت واستويت.

ويؤ بئل كليب، أي قدرك أن تقتل يعلم.

وباء في الشيء - يوزن ياهني - أي وافقتي. وباء بكفي سيف.

وباء الظبي بكمة الحباله، أي وقع. وباء بشر فيه، مثله.

ويؤت بالحيثل أحسن التواء.

وقوله عز وجل: ﴿فَبَأَوْ يَسْخَبَ عَلَيْهِمْ عَنِّي﴾

البقرة: ٩٠، أي أقروا، وقيل: رجعوا إلى منازلهم.

وكلمناهم فأجابونا من بواء واحد، أي جواباً واحداً. وهم في الأمر بواء، أي سواء.

ويؤت الرمح نحوه: سدّدته وهبّاته.

وبوى يوي يتّاء: حاكى غيره في فعله، وهو من البواء: السواء، وهم أبواء وأسواء.

وباءت الرجل بعصاي، أي رخصتها عليه ورفع عليّ، وكذلك إذا خاطرته. والتأو: الواسع. (٤٤٣: ١٠)

البحروريّ: المباءة: منزل القوم في كلّ موضع، ويسمى كناس الثور الوحشيّ: مباءة، وكذلك تحيط الإبل، [إلى أن قال:]

والباءة مثال «الباحة» لغة في المباءة، ومنه سمي

التكاح باء وباءة، لأنّ الرجل يتبّوا من أهله، أي يستمكن منها، كما يتبّوا من داره. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي الحديث: «أمرهم أن يتبّاءوا» والصحيح يتباوأوا على مثال يتفاولوا.

وأبأت القاتل بالقتيل، واستبأته، إذا قتلته به أيضاً.

ويقال: يؤيه، أي كن بمن يقتل به. [ثمّ استشهد

بشعر]

وتقول: باء بحقه، أي أقرّه. وذايكون أهداً بما عليه،

لاّقه. [ثمّ استشهد بشعر]

وفي أرض كذا غلاة ثبيّة في غلاة، أي تذهب.

(٣٧: ١)

ابن فارس: الباء والواو والهمزة أصلان: أحدهما: الرجوع إلى الشيء، والآخر: تساوي الشيئين.

والأول: المباءة والمباءة، وهي منزلة القوم، حيث يتبّؤون في قُبْل واحد أو ستد جبل، ويقال: قد تبّواوا،

ويؤّاهم الله تعالى منزل صدق، [ثمّ استشهد بشعر]

والمباءة أيضاً: منزل الإبل حيث تُنَاح في الموارد.

يقال: أبانا الإبل نبيئها لباءة - ممدودة - إذا نُفِثَتْ بعضها

إلى بعض. [ثمّ استشهد بشعر]

قال أبو يهدى: يقال: باءت على القوم بائيتهم، إذا

راحت عليهم إيلهم.

ومن هذا الباب قولهم: أبى عليه حقّه، مثل أربخ

عليه حقّه. وقد أباء عليه، إذا ردّه عليه.

ومن هذا الباب قولهم: باء فلان بذنبه، كأنّه عاد إلى

مبأته محتملاً لذنبه، وقد يؤت بالذنب: وباءت اليهود

بغضب الله تعالى.

والأصل الآخر: قول العرب: إِنَّ فلاناً لبواء بفلان، أي إن قُتل به كان كُفءً، ويقال: أباَت بفلان قاتله، أي قتلته، واستبأتهم قاتل أخيه، أي طلبت إليهم أن يُقيدوه، واستبأت به مثل استقدت. [ثم استشهد بـشعر] وتقول: باء فلان بفلان، إذا قُتل به.

ومن هذا الباب قول العرب: كلّمناهم فأجابونا عن بواء واحد، أجابوا كلهم جواباً واحداً. وهم في هذا الأمر بواء، أي سواء وظفراء. وفي الحديث: أنه أمرهم أن يتبأوا أي يتباؤون في القصاص. [ثم استشهد بـشعر] (٣١٢: ١)

الهُزَوِيُّ: قوله تعالى: ﴿فَتَأْوِي بِحُطْبٍ﴾ أي لزمهم ورجعوا به، ومنه قوله ﷺ في دعائه ومناجاته: «أيوه بمنيتك عليّ» أي أقر بها، وألزمها نفسي.

وأصل البواء: اللزوم، يقال: أباة الإمام فلاناً بفلان، أي ألزمه دمه، وقتله به. وفلان بواء لفلان، إذا قُتل به. وهو كقوله: «بواء الله تعالى منزلاً» أي ألزمه إتياء، وأسكنه إتياء. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبْوَأَ صِدْقٍ﴾ يونس: ٩٣، أي أنزلناهم منزلاً صالحاً والمبوء: المنزل الملزوم.

وأرض تباءة: منزولة مألوفة، ومنه الحديث: أنه ﷺ حين هاجر قال للمدينة: «هاهنا المَبْوَأُ». [ثم أيد قوله بآيات]

والباءة والمبءة: المنزل، ثم قيل لعقد النكاح: باءة، لأن من تزوج امرأة بواءها منزلاً. ويقال للجباع نفسه: باءة، وفي الحديث: «عليكم بالباءة» يعني النكاح والتزويج.

وفي الحديث: «فقد باء أحدهما بالآخر» أي ألزمه ورجع به. (٢١٥: ١)

ابن سيده: باء إلى الشيء، يَبْوء، بَوءٌ، رَجَع، وَبُوءٌ به إليه.

وأبأته: عن تغلب، وبُوءته: عن الكيساني، كأبأته، وهي قليلة.

والباءة والباء: النكاح.

وبوّأ الرجل: نكح. [ثم استشهد بـشعر]

وللبئر، مَبَاءتان: إحداها - مرجع الماء إلى جنتها، والأخرى - موضع وقوف سائق السانية.

وباء بذنبه يسوء بواء وبواء: احتفظه، وقيل: اعترف به.

وباء بدم فلان: أقر.

وأبأته: قرّره.

وباء دمه بدمه بواء وبواء: عدّله.

وباء فلان بفلان بواء، تمذود، وأبأه وبأواه: إذا قُتل به فقاومه.

وفلان بواء فلان: أي كفّوه إن قُتل به، وكذلك الاتان والجميع.

وباءه: قتله به.

واستبأت الحكم واستبأت به، كلاهما: استقدت.

وتباوأ القتيلان: تعادلا.

وبوّأ الرّيح نحوه: قابله به.

وبوّأهم منزلاً: نزل بهم إلى سَنَد جبل.

وأبأه منزلاً وبوّأه إتياء وبوّأه فيه: أنزله. [ثم استشهد بـشعر]

استشهد بـشعر]

والاسم: البيعة، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ المحشر: ٩. جعل الإيمان محلًا لهم على المثل، وقد يكون أراد تبوؤوا مكان الإيمان وتبوءوا الإيمان فحذف.

وتبوءا المكان: حله.

وإنه لحسن البيعة، أي هيئته التبوؤ.

والبيعة والباءة والمباة: المنزل.

ومباة الإبل: مطيئها.

وأبأت الإبل: أنحنت بعضها إلى بعض.

ومباة النحل: يئشها في الجبل.

والمباة من الرحم: حيث يتبوأ الولد.

وبأت ببينة سؤء، أي يحال سؤء، وعم بعضهم منه جميع الحال.

وأبأ عليه ماله: أراحه.

وأبأه منه: فر.

وأجابونا على بؤاء واحد: أي جواب واحد.

(١٠: ٥٦٠)

الطوسي: التبوؤ: اتخاذ الموضع لصاحبه، وأصلها:

اتخاذ منزل تسكنه، تقول: بؤأته منزله أبؤته تبؤته، ومنه

المباة المراح، لأنّه رجوع إلى المستقر المتخذ، وأبأت

الإبل أبيئها إباءة، إذا رددتها إلى المباة، ومنه بؤأت

بالذنب، أي رجعت به محتملاً له.

(٢: ٥٧٦)

مثله الطبرسي،

وبأ: معناه رجع، تقول: بأه بذنبه بيؤه بؤءاً، إذا

رجع به. وبؤأته منزلاً، أي هيئته، لأنّه يرجع إليه، لأنّه

مأواه.

والبؤاء: قتل الجاني من قتله.

(١: ٥٣٠)

مثله الطبرسي.

والتبؤء: هو اتخاذ منزل يرجع إليه، وأصله:

الرجوع من ﴿بَأَوْ يَقْضِبُ مِنْ أَلْفٍ﴾ البقرة: ٦١. [ثم

استشهد بشعر]

والتبؤء: الإحلال بالمكان للمقام، يقال: تبؤاً منزلاً

يتبؤاً، إذا اتخذ، وبؤأه غيره تبؤياً، إذا أحله غيره، ومنه:

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبُوءَ صِدْقٍ﴾ يونس: ٩٢.

(٦: ٣٨٣)

الراغب: أصل البؤاء: مساواة الأجزاء في المكان،

بخلاف التبوؤ الذي هو مساواة الأجزاء، يقال: مكان بؤاء،

إذا لم يكن نابياً بنارله، وبؤأت له مكاناً: سويته فتبؤاً.

وبؤاء فلان بدم فلان ببؤء به، أي ساواه. قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا

إِلَىٰ آلِ إِبْرَآئِيلَ أَنِ بَوَّأُوا لِقَوْمِكَ مَبُوءَ صِدْقٍ﴾

يونس: ٨٧، ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبُوءَ صِدْقٍ﴾

يونس: ٩٢، ﴿تَبَوَّأُوا السُّؤْمِينَ مَقَاعِدَ لِقِتَالٍ...﴾

آل عمران: ١٦١، ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ يوسف: ٥٦.

وروي أنّه كان ﷺ يتبوأ لبؤله كما يتبوأ المنزله.

وبؤأت الرمح: هيأت له مكاناً، ثم قصدت الطعن به.

وقال ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبؤاً مقعده

من النار». [ثم استشهد بشعر]

ويقال: تبؤاً فلان: كناية عن التزويج، كما يعبر عنه

بالبناء، فيقال: بنى بأهله.

ويصعمل «البؤاء» في مكافأة المصاهرة والتقصاص،

فيقال: فلان بؤاء لفلان، إذا ساواه. و﴿فَقَدْ بَاءَ بِقَضَبٍ

مِنْ أَلْفٍ﴾ الأنفال: ١٦، أي حلّ تبؤاً، ومعناه غضب الله،

أي عقوبته. و(يُغَضَّبُ) في موضع حال كخُرَجَ بسيفه، أي رجع. وجاء له أنه مغضوب، وليس مفعولاً، نحو سُرَّ يزيد.

واستعمال (بَاء) تبييناً على أن مكانه الموافق يلزمه فيه غضب الله، فكيف غيره من الأمكنة؛ وذلك على حد ما ذكر في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ﴾ آل عمران: ٢٦، وقوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْهُوا يَا هَيْمُ وَإِنَّمَاكَ﴾ المائدة: ٢٩، أي تقيم بهذه الحالة.

قال:

❖ أُنْكِرْتُ بِاطْلَاهَا وَبَوَّتَ بِحَقِّهَا ❖

وقول من قال: أَقَرَّرْتُ بِحَقِّهَا، فليس نفي، بحسب مقتضى اللفظ.

والباء: كناية عن الجماع.

وحكي عن خلف الأحمر: أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِمْ «حَيَّاكَ اللَّهُ وَيَاكَ» أَنْ أَصْلَهُ: بَوَّأَكَ مَنَزَلاً، فَتَغَيَّرَ لَازِدُ وَاوٍ الْكَلِمَةُ كَمَا غَيَّرَ فِي قَوْلِهِمْ: أَتَيْتَهُ الْغَدَايَا وَالْمَسَايَا. (٦٩) الرَّعْثُ شَرِيٌّ: بَوَّأَكَ اللَّهُ مَبْوًىً صَدَقَ. وَتَبَوَّأَ فُلَانٌ مَنَزَلاً طَيِّبًا. وَنَزَلُوا فِي مَبَاءِ تَهْمٍ وَبَاءِ تَهْمٍ. وَأَنَاقُوا إِلَيْهِمْ فِي مَبَاءِ تَهْمٍ، وَهِيَ مَطْبُخُهَا.

وبنو فلان تبوء عليهم إيل كثيرة، أي تروح. وأباء الله عليكم نعمًا لا يسعها المراح.

وبوأت الرُّمَحَ نحوه: سَدَّدْتَهُ، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ] وَهِيَ أَكْفَاءُ شَوَاءٍ، وَدِمَاؤُهُمْ بَوَاءٍ. وباء فلان بفلان: صَارَ كُفَّةً لَهُ. وَأَبَاَتُ فُلَانًا بَفُلَانٍ: قَتَلَتْهُ بِهِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

وباء بدمه: أَقْرَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَاحْتَمَلَهُ. وباء بحسبي

عليه وبذنبه، ﴿وَتَأْتُوا بِغُصْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ البقرة: ٦٦. ومن الجواز: النَّاسُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَوَاءٌ، أي سَوَاءٌ. وَكَلِمَتُهُمْ فَأَجَابُوا عَنْ بَوَاءٍ وَاحِدٍ، إِذَا لَمْ يَخْتَلَفْ جَوَابُهُمْ. وَفُلَانٌ طَيِّبُ الْبَاءَةِ: لِلْعَفِيفِ الْفَرَجِ، جُعِلَ طَيِّبُ الْبَاءَةِ، وَهِيَ الْمَبَاءَةُ وَالْمَنْزِلُ بِجَارًا عَنْ ذَلِكَ، وَهُوَ رَحْبُ الْمَبَاءَةِ: لِلتَّخَفِ الْوَاسِعِ الْمَعْرُوفِ. وَقَرَأَ فُلَانٌ كِتَابَ الْبَاءَةِ، إِذَا كَانَ نَكَاخًا.

(أساس البلاغة: ٣٣)

الطُّبْرَسِيُّ: يُقَالُ: تَبَوَّأَ لِنَفْسِهِ بَيْتًا، أَيْ اتَّخَذَهُ، وَبَوَّاتُ لَهُ بَيْتًا، أَيْ اتَّخَذَتْهُ لَهُ.

ويقال: إِنَّ تَبَوَّأَ وَبَوَّأَ بِمَعْنَى، أَيْ اتَّخَذَ بَيْتًا، مِثْلَ بَدَّلَ وَتَبَدَّلَ، وَخَلَّصَ وَتَخَلَّصَ. (٣: ١٢٨)

الْحَدِيثُ: فِي الْمَدِينَةِ: فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَبَوَّأُوا، عَلَى مِثَالِ يَتَفَاوَلُوا مِنَ «الْبَوَاءِ» وَهُوَ الْمَسَاوَاةُ. وَأَبَوَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ، أَيُّهُ إِبَاءَةٌ فِتْيَاوًا، وَبَوَّاتُ بَيْنَ الْقَتْلِ: سَاوِيَةٌ.

وقال الرَّعْثُ شَرِيٌّ: «يَتَبَوَّأُوا» صَحِيحٌ، يُقَالُ: بَاءَ بِهِ، إِذَا كَانَ كُفَّةً لَهُ، وَهِيَ بَوَاءٌ، أَيْ أَكْفَاءٌ، وَمَعْنَاهُ ذُووُ بَوَاءٍ، فِي حَدِيثِ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ فِي الْقَاتِلِ: «إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ يَبْوءُ بِأَعْمِهِ وَإِثْمِ صَاحِبِهِ»، أَيْ كَانَ عَلَيْهِ عَقُوبَةُ ذَنْبِهِ وَعَقُوبَةُ قَتْلِ صَاحِبِهِ، فَأُضِيفَ «إِثْمٌ» إِلَى صَاحِبِهِ، لِأَنَّهُ قَتَلَهُ سَبَبَ إِثْمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّ زُشُولَكُمْ إِلَيَّ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَسَاجِدُونَ﴾ الشعراء: ٢٧، وَإِنَّمَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ، أَيْ لَوْ قَتَلَ كَانَ الْقَتْلُ كَفَّارَةً لَذَنْبِهِ، فَإِذَا عَفَا عَنْهُ تَبَيَّنَ عَلَيْهِ ذَنْبُهُ.

وفي رواية: «إن قتله كان مثله»، لأنه لم ير لصاحب الدّم أن يقتله، من قيل أنه ادّعى أن قتله كان خطأ لو شبهه عمد، فأورث شبهة.

ويحتمل أن يريد أنه إذا قتله كان مثله في حكم البوّاء، وصاراً متساويين، لأفضل للمقتصّ إذا استوفى حقه على المقتصّ منه.

في حديث المغازي: «أن رجلاً بوأ رجلاً برّحه». قال الليث: يقال: بوأت الرّيح نحوه، أي سدّته قتله وهبّاته له. (١١: ١٩٩)

ابن الأثير: وفي الحديث: «من كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». قد تكرّرت هذه اللَّفظة في الحديث، ومنها ما يُلزَل منزله من النار، يقال: بوأ الله منزلاً، أي أسكنه إياه، وثبّأت منزلاً، أي اتخذته.

والمبّاة: المنزل. ومنه الحديث: «قال لو رجلٌ أصلٌ في مَبَاةِ الغنم؟ قال: نعم» أي منزلها الذي تأوي إليه، وهو المَبْوَأُ أيضاً.

ومنه الحديث: «أنه قال في المدينة: هاهنا المَبْوَأُ». وفيه: «عليكم بالبّاءة» يعني النّكاح والتّزوّج. يقال فيه: البّاءة والبّاء، وقد يُقصر، وهو من المَبَاة: المنزل، لأنّ من تزوّج امرأةً بوأها منزلاً.

وقيل: لأنّ الرّجل يتبوأ من أهله، أي يستسكن، كما يتبوأ من منزله.

ومنه الحديث الآخر: «أن امرأةً مات عنها زوجها فمَرَّ بها رجلٌ وقد تزوّجت للبّاءة».

ومنه حديث الصادق (عليه السلام): «قيل له: ما بال العرب مختالفة على ابن آدم؟ فقال: تريد البوّاء» أي

تؤذي كما تؤذي.

ومنه حديث عليّ رضي الله عنه: «فيكون التّواب جزاءً والمقاب بواء». (١١: ١٥٩)

الصّغاني: باء في الشّيء، أي واقفي. وبوّاء: وادٍ بتهامة. (١١: ٨)

القيوميّ: باء يَبْوُءُ رجح، وبّاء بحقه: اعترف به، وبّاء بفسده: ثقل به.

والبّاءة بالمدّ: النّكاح والتّزوّج، وقد تطلق البّاءة على الجساع نفسه. ويقال أيضاً: البّاهة وزان «العاهة»، والبّاء بالأنف مع الهاء.

وابن قُتَيْبَة: يحمل هذه الأخيرة تصحيحاً، وليس كذلك، بل حكاهما الأزهريّ عن ابن الأنباريّ.

بعضهم يقول: الهاء مبدلة من الهمزة، يقال: فلان حرجي على البّاءة والبّاء والبّاء، بالهاء والقصر، أي على النّكاح.

قال - يعني ابن الأنباريّ -: البّاء: الواحدة، والبّاء: الجمع، ثمّ حكاهما عن ابن الأعرابيّ أيضاً.

ويقال: إنّ البّاءة هو الموضع الذي تبوء إليه الإبل، ثمّ جعل عبارة عن المنزل، ثمّ كُفّي به عن الجساع، إمّا لأنّه لا يكون إلّا في البّاءة غالباً، أو لأنّ الرّجل يتبوأ من أهله، أي يستسكن، كما يتبوأ من داره.

وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «من استطاع منكم البّاءة» على حذف مضاف، والتّقدير: من وجد مؤنّ النّكاح فليتزوّج، ومن لم يستطع أي من لم يجد أهبة، فضليه الصّوم.

والأبواء: على «أهوال» بفتح الهمزة: منزل بين مكّة

والمدينة قريب من المجتعة، من جهة الشمال دون مرحلة.

(١: ٦٦)

القيروز أبادي: باء إليه: رجع أو انقطع. وثُوت به إليه وأبائه وثُوته.

والباء والباء: التكاثر، ويؤا ثبوتاً: نكح.

وباء: وافق، وبدمه: أقر، وبذنبه يؤا وبواء: احتمله

أو اعترف به.

ودنه بدمه: عدّله، وبفلان: قتل به فقاومه كأباءه

وبأوأ.

وتباوأ: تعادلا.

ويؤأ منزلاً وفيه: أنزله كأباءه، والاسم: البينة

بالكسر، والرمح نحوه: قابله به، والمكان: حله وأقام.

كأباء به وثبوتاً.

والمباءة: المنزل، كالبينة والباءة.

وبيت النحل في الجبل، وثبوتاً الولد من الرحم،

وكباس التور، والمكجن.

وأباء الإبل بالإبل: ردّها إليه، ومنه: قر، والأديم:

جعلته في الدباغ.

والبواء: السواء والكفء، وواد بتهامة.

وأجابوا عن بواء واحد، أي بجواب واحد.

والبيثة - بالكسر -: الحالة.

وفلاة ثبيء في فلاة: تذهب.

(١: ٩)

وحاجة مبيثة: شديدة.

الطريحي: وفي الحديث: «من طلب علماً ليباهي

به العلماء فليتبوأ مقعده من النار» أي لينزل منزله منها،

أو ليهيئ منزله منها، من بؤأت للرجل منزلاً: هيأته له.

أو من تبؤأت له منزلاً: اتخذته له، وأصله: الرجوع من

«باء» إذا رجع وسمي المنزل «مباءة» لكون صاحبه

يرجع إليه إذا خرج منه.

ومثله: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من

النار». وقد بلغ هذا الحديث غاية الاستهزاء، حتى قيل

بنواتره لفظاً.

وفي الحديث: «من حفر للمؤمن قبراً فكأنما بؤأ بيتاً

موافقاً إلى يوم القيامة» أي أنزله فيه وأسكنه.

و«بؤت بذنبي» بالباء المضمومة والمهمزة وتاء في

الآخر: أقررت واعترفت. ومثله: «أبوء بنعمتك علي»

أي أقر وأعترف بها.

وفي الحديث: «من استطاع منكم الباءة - يعني مؤن

النكاح - فليتزوج».

والباءة - بالمد لفة - الجماع، ثم قيل لعقد النكاح.

وحكي في ذلك أربع لغات: «الباءة» بالمد مع الهاء

وهو المشهور، وحذفها، «والباهة» وزان «العاهة»،

و«الباء» مع الهاء، وقيل: الأخيرة تصحيف.

ومنه حديث أبي بصير: «قال دخلت على

أبي عبد الله عليه السلام يوم الجمعة فوجدته قد باهى» من «الباء»

أي جامع، وإنما سمي النكاح «بأها» لأنه من المباءة:

المنزل، لأن من تزوج امرأة يؤاها منزلاً. وقيل: لأن

الرجل يتبوأ من أهله، أي يتمكن كما يتبوأ من منزله.

(١: ٦٧)

مَجْمَعُ اللُّغَةِ: ١- باء بيوة يؤء من باب «نصر»:

عاد ورجع، وباء بكذا: رجع به، خيراً أو شراً. وجاء

الثلاثي في القرآن في مواضع كلها في الرجوع بالشو.

٢- بَوَاتُ فُلَانًا مَنَزَلًا: أنزلته فيه، وبَوَاتُهُ لَهُ: هيأته، وبَوَاتُهُ فِيهِ: مكثت فيه.

٣- والمَبْوُوءُ: اسم مكان من بَوَا، يقال: هذا مَبْوُوءٌ حَسَنٌ، أي منزل موافق لملائم.

٤- ويقال: بَوَا فُلَانٌ مَنَزَلًا، أي نزله وأخذ مسكنًا. (١١: ١٣٢)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. القَدْنَانِي: المَبَاءة: للغير والشر.

ويعطشون من يقول: حَلَبَ مَبَاءةً نَهْضَةً أَدْبِيَّةً كَبِيرَةً، ويقولون: إِنَّ الصَّوَابَ هُوَ: حَلَبُ مَرْكَزِ نَهْضَةٍ أَوْ مَصْدَرِ نَهْضَةٍ. لَأَنَّ الْمَبَاءَةَ الَّتِي تَعْنِي الْمَنْزَلَ، فَعَلَهَا «بَاء» الَّتِي وَرَدَ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

١- فِي الْآيَةِ (١٦٢) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿كَتَبْنَا لَهُ أَنْ يَنْخُطَ مِنْ آدَمَ﴾.

٢- وَالْآيَةُ (١٦) مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿لَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

٣- وَالْآيَةُ (٦١) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

٤- وَالْآيَةُ (٩٠) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَيَّ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

٥- وَالْآيَةُ (١١٢) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَصُرِفَتْ عَلَيْهِمُ الْمُشَكَّةُ﴾. وَجَمِيعُ هَذِهِ الْآيَاتِ تَعْنِي الشَّرَّ.

وَلَكِنْ الْفِعْلُ «بَوَا» وَرَدَ مَرَّاتًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَعَ مَشَقَّاتِهِ حَائِلًا خَيْرًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ (٤١) مِنْ سُورَةِ النُّعْلِ: ﴿لَسْتُ بِمُؤْتِنُهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾.

أَمَّا كَلِمَةُ «الْمَبَاءة» فَلَمْ تَرُدْ فِي آيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَكِنَّهَا وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ: «قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَصْلِي فِي مَبَاءَةِ الْغَنَمِ؟ قَالَ: نَعَمْ» أَيْ مَنَزَلَهَا الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَدِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وَقَالَ مَعْجَمُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: بَاءٌ بِكَذَا: رَجَعَ بِهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، وَجَاءَ الثَّلَاثِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلَّهُ بِمَعْنَى الشَّوْءِ وَالشَّرِّ.

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: لَا يَكُونُ «بَاءٌ» إِلَّا بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا بِشَرٍّ، وَلَا يَكُونُ لِمُطْلَقٍ الْإِنْصِرَافَ.

وَاسْتَشْهَدَ الْأَخْفَشُ، وَحَيْطُ الْحَيْطِ بِالْآيَةِ رَقْم (٣) الْمَذْكُورَةِ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْمَادَّةِ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي مَعْجَمِ مَقَائِيسِ اللَّغَةِ:

أ- لَمْ يَكُنْ مَنَزَلٌ رَحِبٌ الْمَبَاءَةِ أَهْلٌ.

ب- بَاءَ فُلَانٌ بِذَنْبِهِ: كَأَنَّهُ عَادَ إِلَى مَبَاءَتِهِ مُحْتَمِلًا لَذَنْبِهِ.

ج- بَوَّتَ بِالذَّنْبِ.

د- بَاءَتِ الْيَهُودُ بِغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى.

هـ- بَوَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَنَزَلَ صَدَقَ.

وَاسْتَشْهَدَ الرَّافِعِيُّ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي «مَفْرَدَاتِهِ» بِالْآيَةِ رَقْم (٢) وَبِالْآيَةِ (٢٩) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَإِنِّي لَأُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَا فَاكِهَةً وَبَازِلًا﴾.

وَمِمَّا جَاءَ فِي «الْأَسَاسِ»: وَمِنْ الْجَبَازِ هُوَ رَحِبٌ الْمَبَاءَةِ: لِلشَّخْصِ الْوَاسِعُ الْمَعْرُوفُ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي «الْتَّهْيِاتِ»: الْمَبَاءَةُ: الْمَسْزُولُ. بَوَّاهُ اللَّهُ مَنَزَلًا: أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ.

واستشهد «المختار» بالآية رقم (٣) وقال: إن معنى «باء ياتمه»: رجع به.

واستشهد «اللسان» بالآية رقم (٣) أيضاً، وقال: إن معنى الآية (٢٩) من سورة المائدة المذكورة آنفاً هو: إن هزمت على قحلي أئمت أنت لأنا. وقال أيضاً: باء بذبه وبائمه: احتمله، وصار المذهب مأوى الذنب، وقيل: اعترف به.

ومما جاء في «المصباح»:

أ- باء بذبه: نقل به.

ب - يؤته داراً: أسكنته إياها.

وقال «القاموس»: إن المباءة هي المنزل.

ومما جاء في «التاج»:

أ- من الجاز: فلان طيب المباءة، أي المنزل.

ب - هو رحيب المباءة: سخي واسع الخروف.

استشهد بأشعار:

واستشهد «المدد» بالآية رقم (٣) و(٤).

وحذا محيط المحيط، وأقرب الموارد، والمسن، والوسيط حذو بعض من سبقوهم، غير خارجين عن دائرة المعاني التي أوردوها.

وهذا كله يرينا أن «المباءة»، والفعل «باء» ومشتقاته يمكننا أن نستعملها في الخير والشر.

أما ضله فهو باء إليه ييؤ: رجع إليه. (٨١)

محمود شيت: تيوأ منصب القيادة العامة: أشغل هذا المنصب. (١: ١٠٠)

المصطفوي: الأصل الواحد في هذه المادة: هو الرجوع إلى الشغل، أي الانحطاط والتزول. وأما

الرجوع المطلق، والحمل، والتزويج، والإسكان، والزدة، والتساوي، والتهيئة، والتحكين، والتشديد، وغيرها: كلها معاني مجازية ومن لوازم الأصل بحسب الموارد والموضوعات. «كفن بقاء يخط من الله» آل عمران: ١٦٢. «فقد بقاء يخط من الله» الأنفال: ١٦. أي فقد انحط مقامه انحطاطاً معنوياً بسبب غضب من الله المتعال.

«وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا...»

البقرة: ٦١، أي انحطوا من مقامهم. «إني أريد أن تبوء يا ابنى ذاك» المائدة: ٢٩. أي تنحط بسبب ذلك

الظلمان. «وتبوءكم في الأرض...» الأعراف: ٧٤.

«وإذا يؤأنا لايزهيم مكان البيت» الحج: ٢٦. «يتبوء

حيث يشاء» يوسف: ٥٦. «تستبؤنهم من

المنسوق» المنكوت: ٥٨. بمعنى الحط والتزليل

الظاهرى. ويلزم هذا المعنى مفهوم التمكن والتحكين.

فإن الأصل في التبوء هو التزليل من حيث هو، من

دون نظر إلى ما ييؤ منه أو إليه، وسواء كان كل واحد

منها ظاهرياً مادياً أو معنوياً روحانياً، فالتبوء هو النزول

من حيث هو هو.

والفرق بين التبوء والإسكان والتزليل: أن

«التبوء» هو التزليل من حيث إنه نفس النزول،

و«الإسكان» من حيث أنه نازل إلى مسكن،

و«التزليل» من جهة النزول من مرتبة، وأيضاً أن

«الإسكان» يستعمل غالباً في الماديات، و«التزليل»

أعم.

وأما استعمال هذه المادة في مفهوم «التساوي»

فباعثار تنزيل كل من المتساويين منزلة الآخر.

وأما «التزويج» فباعثار كونه قريباً من الإسكان، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ الزوم: ٢٦، ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا خَيْرٌ يَسَاءُ﴾ يوسف: ٥٦، أي ينزل من الأرض حيث يشاء، فإن التقل لمطاوعة التسهيل، فيقال: صرفته فتصرف، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ الحج: ٢٦، أي جعلنا محل البيت له منخفظاً ومنعظاً، ليسهل بنائها والطواف عليها وسائر مناسكها، فإن تلك المكان واضحة بين الجبال.

هذا هو المفهوم من الجملة، وبهذا يظهر مآل التفسير من التكلف والتجوز في تفسير هذه الآيات والله هو الهادي إلى الصواب.

التخصص التفسيرية

باء

وَمَنْ يُؤْلَمْ يَتَذَكَّرْ إِلَّا مَسْخَرًا يُغْتَابِرُ
إِلَىٰ بَيْتٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ... الأنفال: ١٦
ابن قتيبة: أي رجع بغضب. (١٧٨)
مثله البروسوي (٣: ٣٢٧)، والآلوسي (٩: ١٨٢)، والطباطبائي (٩: ٣٨).

الماوردي: أي صار بالمكان الذي يحق عليه غضب الله، مأخوذ من الميأ وهو المكان. (٢: ٣٠٣)
الطوسي: أي رجع بسخطه تعالى واستحقاق عقابه. (٥: ١٠٩)

ابن عطية: و(باء) بمعنى نهض متعملاً للقتل المذكور في الكلام، غضباً كان أو نحوه. (٢: ٥١٠)
الطبرسي: أي احتمل غضب الله واستحقه، وقيل: رجع بغضب من الله. (٢: ٥٣٠)

باء

١... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَشْكَنَةُ وَبَاءُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ...
الضَّعَافُ: استحقوا الغضب من الله. (البقرة: ٦١)
(الطبري: ١: ٣١٦)

الربيع: فحدث عليهم غضب من الله. (الطبري: ١: ٢١٦)
الكسائي: معناه أنهم رجعوا بغضب من الله. (المولد: ١: ٣١٦)
بشر وإتا بخير. (الماوردي: ١: ١٣٠)

(ابن: حنفا. (النسب: ١: ٥٢)
أبو حنيفة: أي احتملوه. (١: ٤٢)
احتملوه وأقرؤا به، ومنه الدعاء: أبوء بنعتك وأبوء بذنبي، أي أقر. (الشريفي: ١: ٦٥)
باء بكذا: اعترف. (أبو حيان: ١: ٢٢٠)
الأخفش: يقول: رجعوا به، أي صار عليهم، وتقول: باء بذنبه يوبه يوبه، وقال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ بِأَمْرِي زَاقِكُ﴾ المائدة: ٢٩، مثله. (١: ٢٧٣)
ابن قتيبة: أي رجعوا، يقال: بؤث بكذا فأنا أبوء به، ولا يقال: باء بالشئ. (٥١)
المبرد: أن أصل ذلك [باء] المنزلة، ومعناه أنهم

نزلوا بمنزلة غضب الله.

وروي أن رجلاً جاء برجل إلى النبي ﷺ فقال: هذا قاتل أخي، قال: «فهو يواء به» أي أنه مقتول، فيصير في منزلته، [ثم استشهد بشعر] (المأوردي ١: ١٣٠) بآء بكذا: نزل وتمكن. (أبو حيان ١: ٢٢٠)

الطُّبْرِيّ: انصرفوا ورجعوا، ولا يقال: «بأؤله إلا موصولاً بما يغير وإما بشرّ، يقال منه: بآء فلان بذنبه يواء به يؤء ويواء، ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِآثِمِي وَالْمُحْضَرِّ هَا هُنَا﴾ المائدة: ٢٩، يعني تنصرف متحملها، وترجع بها قد صاراً عليك دوني، فمعنى الكلام إذا: ورجعوا متصرفين متحملين غضب الله، قد صار من الله غضب، ووجب عليهم منه سقط. (١: ٣٦٦) **الرَّجَاج**: يقال: بُؤْتُ بكذا وكذا، أي احتملته.

(١: ١٤٥) أن أصل ذلك: التسوية، ومعناه أنهم تساوا بغضب من الله، ومنه ما يروى عن عبادة بن الصامت قال: «جعل الله الأنفال إلى نبيه ﷺ فقسّمها بينهم على بواء» أي على سواء بينهم في القسم. (المأوردي ١: ١٣٠) **الطُّوسِيّ**: [ذكر قول الطُّبْرِيّ والرَّجَاج وأضاف:] والأصل: الرجوع، على ما ذكرناه. وقال قوم: هو الاعتراف، ومعناه أنهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله. [ثم استشهد بشعر] (١: ٢٧٨) نحوه الطُّبْرِيّ.

الرُّمُحُشَرِيّ: «وَبِأَوْ يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ» من قولك: بآء فلان بفلان، إذا كان حقيقةً بأن يقتل به مساواته له ومكافأته، أي صاروا أحقاء بغضبه. (١: ٢٨٥)

مثله البيضاوي (١: ٥٩)، والنسفي (١: ٥١)، والسيبوري (١: ٣٣٠).

ابن عَطِيَّة: معناه مروا متحملين له، تقول: بُؤْتُ بكذا، إذا تحملته، ومنه قول مهلهل ليحيى بن الحارث بن عباد: «يُؤُ بَيْسَعُ نَقْلَ كَلْبَيْب».

(١: ١٥٥) **الفَخْرُ الرَّازِيّ**: أمّا قوله تعالى: (وَبِأَوْ) ففیه وجوه: أحدها: البوء: الرجوع، فقوله: (بِأَوْ) أي رجعوا وانصرفوا بذلك، ولا يقال: بآء إلا بشرّ.

وثانيها: البوء: التسوية، فقوله: (بِأَوْ) أي استوى عليهم غضب الله، قاله الرَّجَاج.

وثالثها: (بِأَوْ) أي استحقوا، ومنه قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَنْ تَبُوءَ بِآثِمِي وَالْمُحْضَرِّ هَا هُنَا﴾ المائدة: ٢٩، أي تستحقّ الآثمين جميعاً. (٣: ١٠٢)

القرطبيّ: أي انقلبوا ورجعوا، أي لزمهم ذلك، ومنه قوله ﷺ في دعائه ومناجاته: «أبوء بنعمتك عليّ» أي أقربها وأقربها نفسي. (١: ٤٣٠) نحوه البروسقي. (١: ١٥١)

أبو حيان: وتقدّم تفسير (بِأَوْ)، فعمل من قال: (بِأَوْ): رجع، تكون «الباء» للسعال، أي مصحوبين بغضب، ومن قال: استحقّ، ف«الباء» صلة، نحو: لا يقرآن بالتور * أي استحقوا غضباً. ومن قال: نزل وتمكّن أو تساوا، والباء ظرفيّة، فعلى القول الأوّل تعلق بمحذوف، وعلى الثاني لاتصّل، وعلى الثالث بنفس (باء).

وزعم الأخفش: أن «الباء» في قوله: (يَغْضَبُ) (يَغْضَبُ)

للسبب، فعل هذا تتعلّق بـ (باء) ويكون مفعول (باء)
معدولاً، أي استحقّوا العذاب، بسبب غضب الله عليهم.
(وباء) يستعمل في الخير ﴿لَسَوْفَ نُنْتِهِمُ مِنَ الْجِنَّةِ
غُرُطًا﴾ المنكوت: ٥٨. ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ مَهَوًّا
صِدْقٍ﴾ يونس: ٩٣، ﴿تَتَّبِعُوا مِنْ الْجِنَّةِ عَيْثُ نَشَاءُ﴾
الزمر: ٧٤.

وفي الشرّ ﴿وَبَوَّأُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ﴾ البقرة: ٦٦،
﴿أَنْ تَكُونُوا يَأْتِيهِمُ وَالْمَلَكُ﴾ المائدة: ٢٩، ﴿فَبَوَّأُوا بِغَضَبٍ
عَلَى غَضَبٍ﴾ البقرة: ٩٠.

وقد جاء استعمال المحنيين في الحديث: «أبوء
بعمتك عليّ وأبوء بذنبي». وقال بعض الناس: «باء»
لا تعني إلا في الشرّ.

الشربيّني: (وبوّأ) رجعوا. ولا يقال: باء إلا بنزل
وأصل البوء: المساواة. (١٦٥: ١٦)
نحوه الطريحي: (١٦٧: ١).

الآلوسي: أي نزلوا وتمكّنوا بما حلّ بهم من البلاء
والنقم في الدنيا، أو بما تحقّق لهم من العذاب في العقبى، أو
بما كُتِب عليهم من المكّار فيه. أو رجعوا بغضب، أي
صار عليهم، ولذا لم يحتاج إلى اعتبار المرجوع إليه، أو
صاروا أحقّاء به، أو استحقّوا العذاب بسببه، وهو بعيد.
وأصل البوء، بالفتح والضمّ: مساواة الأجزاء، ثم
استعمل في كلّ مساواة، فيقال: هو بواء فلان، أي كفّوه،
ومنه: «بُوّ ليشع نعل كُتّيب»، وحديث: «فلينبؤوا مقدّمه
من النار».

القاسمي: أي رجعوا به، أي صار عليهم، أو
صاروا أحقّاء به، من قولهم: باء فلان بفلان، أي صار

حقيقاً أن يقتل بمقامته.

فالباء على التقديرين صلة (بَوَّأُوا) لا للملابسة وإلا
لاحتج اعتبار المرجوع إليه، ولادلالة في الكلام عليه.
(١٣٩: ٢)

٢... فَبَوَّأُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
مُهِينٌ. البقرة: ٩٠.

ابن عباس: يعني استوجبوا، بلغة جرّهم.
(اللفات في القرآن: ١٧)

مؤرج السدوسي: (فَبَوَّأُوا) استوجبوا اللعنة، بلغة
(الطوسي: ١: ٣٥٠).

القرطبي: لا يكون (بَوَّأُوا) مفردة حتى توصل بالباء،
فيقال: باء باء يوم يؤذ.

أبو عبيدة: احتملوه وأقرّوا به. (١٦٥: ١٦)
منه ابن هشام. (السيرة النبوية ٢: ١٩٠)

الزجاج: معنى (بَوَّأُوا) في اللغة: احتملوا. يقال: قد
بُوت بهذا الذنب، أي احتملته. (١٧٤: ١)

الطوسي: أي رجعوا، والمراد رجعت اليهود من
بني إسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار لعمدة المؤمنين
في الاستنحاح به، وبعد ما كانوا يخبرون الناس من قبل
مبعثه أنّه نبيّ مبعوث، مرتدّين على أعقابهم، حين بعثه
الله نبيّاً. (الطوسي: ١: ٣٤٩)

ابن عطية: (وبَوَّأُوا) معناه مضوا متحمّلين لما يذكر
أنهم باؤوا به. (١٧٩: ١)

القرطبي: أي رجعوا، وأكثر ما يقال في الشرّ.
(٢٨: ٢)

٣...وَبَاءُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الْمَسْكَنَةُ... آل عمران : ١٦٢

أَبُو عُبَيْدَةَ : أَحْرَزُوهُ وَيَأْتُوا بِهِ . (١ : ١٠١)

الْعَلْبَرِيُّ : وَتَحَمَّلُوا غَضَبَ اللَّهِ ، فَانصَرَفُوا بِهِ
مُسْتَحْقَبِهِ . (٤ : ٥٠)

الطُّوسِيُّ : أَيِ رَجَعُوا بِغَضَبِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ عِقَابُهُ
وَلَعْنُهُ . (٢ : ٥٦٢)

نَحْوُ الْبُرُوسِيِّ (٢ : ٧٩) ، وَالْفَرِيبِيِّ (١ : ١٤٠)

الرُّمُحَشَرِيُّ : اسْتَوْجِبُوهُ . (١ : ٤٥٥)

مِثْلُهُ التَّنِي . (١ : ١٧٦)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ : مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ مَكُوا وَلَبَتُوا وَدَامُوا فِي
غَضَبٍ . وَأَصْلُ ذَلِكَ مَا خُوذَ مِنْ «الْبُوء» وَهُوَ الْمَكَانُ ،
وَمِنْهُ : تَبَوَّأَ فُلَانٌ مَنَازِلَ كَذَا وَيَتَوَّأْتُهُ إِثَامًا .

وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَكُوا فِي غَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَجَلُّوا فِيهِ ،
وَسَوَاءُ قَوْلِكَ : حَلَّ بِهِمُ الْغَضَبُ ، وَحَلُّوا بِهِ . (٨ : ٢٩٧)

نَحْوُ النَّيْسَابُورِيِّ (٤ : ٤٢) ، وَالْمُرَاقِي (٤ : ٢٨) .

الْقَرْطُبِيُّ : أَيِ رَجَعُوا ، وَقِيلَ : احْتَمَلُوا .

وَأَصْلُهُ فِي اللَّغَةِ أَنَّهُ لَزِمَهُمْ . (٤ : ١٧٥)

الْأَلُوسِيُّ : أَيِ رَجَعُوا بِهِ ، وَهُوَ كِتَابَةٌ حَسَنٌ
اسْتَحْقَاقُهُمْ لَهُ وَاسْتِجَابَتُهُمْ لِإِيَّاهُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : بَاءَ فُلَانٌ
يَفْلَانُ ، إِذَا صَارَ حَقِيقًا أَنْ يُقْتَلَ بِهِ ، فَالْمُرَادُ صَارُوا أَحْقَاءَ
بِغَضَبِهِ مَبِيعَاتِهِ . (٤ : ٢٩)

رَشِيدٌ رَضَاءٌ : كَانُوا أَحْقَاءَ بِهِ ، مِنْ «الْبُوء» وَهُوَ
الْمَسَاوَاةُ . يُقَالُ : بَاءَ فُلَانٌ بِدَمِ فُلَانٍ أَوْ بِفُلَانٍ ، إِذَا كَانَ
حَقِيقًا أَنْ يُقْتَلَ بِهِ لِمَسَاوَاتِهِ لَهُ . أَوْ أَقَامُوا فِيهِ وَلَبَتُوا ، مِنْ
«الْبَاء» أَيِ حَلُّوا مَبُوءًا أَوْ بَيْتَةً مِنَ الْغَضَبِ . (٤ : ٦٨)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ : (بَاءُ) أَيِ اتَّخَذُوا مَبَاءً وَمَكَانًا ، أَوْ
رَجَعُوا . (٣ : ٣٨٤)

تَبَوَّأَ

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبَوَّأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
الْآثَارِ... المائدة : ٢٩

ابن مسعود : أَيِ تَحَمَّلَ إِثْمَ قَتْلِي وَإِثْمَكَ الَّذِي كَانَ
مِنْكَ قَبْلَ قَتْلِي .

مِثْلُهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَالْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ .

(النَّيْسَابُورِيُّ ٦ : ٨٢)

نَحْوُ الرُّمُحَشَرِيِّ . (١ : ٦٠٧)

مُجَاهِدٌ : أَيِ أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيئَتِكَ وَدَسِي
خَطْوَةٍ بِهَا . (١ : ١٩٢)

أَبُو عُبَيْدَةَ : أَيِ أَنْ تَحْتَمِلَ إِثْمِي وَتَغُوزَ بِهِ ، وَلَهُ
مَوْضِعٌ آخَرٌ : أَنْ تَقَرَّ بِهِ ، تَقُولُ : بُوَّتَ بِذَنبِي ، وَيُقَالُ : قَدْ
أَبَاتَ الرَّجُلُ بِالرَّجُلِ ، أَيِ قَتَلَهُ ، وَقَدْ أَبَا فُلَانٌ بِفُلَانٍ ، إِذَا
قَتَلَهُ بِقَتْلٍ . [أَتَمَّ اسْتِشْهَادَ بَشَرٍ]

وَيُقَالُ : أَبَاتَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ ، أَيِ نَزَلْتُ . (١ : ١٦٦)

ابن قُتَيْبَةَ : أَيِ تَنَقَّلَ وَتَنَصَّرَفَ بِإِثْمِي ، أَيِ بِقَتْلِي .
(١ : ١٤٢)

نَحْوُ الطَّرِيفِيِّ . (١ : ٦٧)

الرَّجَّاجُ : أَيِ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ .

(٢ : ١٦٧)

الْبُجْصَاصُ : وَمَعْنَى (تَبَوَّأَ) تَرْجِعُ ، يُقَالُ : بَاءَ ، إِذَا
رَجَعَ إِلَى الْمَبَاءِ ، وَهِيَ الْمَنْزِلُ ، وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ : رَجَعُوا .
وَالْبُوءُ : الرَّجُوعُ بِالْقَوْدِ ، وَهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِوَاءٍ ، أَيِ

سواء، لأنهم يرجعون فيه إلى معنى واحد.

(٤٠٤: ٢)

مثله الطوسي (٤٩٦: ٣)، ونحوه القرطبي (٦).

(١٣٨).

ابن عطفية: (وَأَبْوَة) معناه تضي متحتلاً.

(١٧٩: ٢)

الآلوسي: وأصل البوء: اللزوم، وفي النهاية: «أبوء بنعتك عليّ وأبوء بذنبي» أي ألتزم وأرجع وأقر.

والمعنى إني أريد باستسلامي وامتناعي عن التمرض لك أن ترجع إليّ، أي تتعمله لو بطلت يدي إليك حيث كنت السبب له...

(٩٦: ٦)

نحوه المرافعي.

عزة ذروزة: (أَنْ تَبُوءَ) تعود، والمعنى في مقامها أن

تحتل إنم قتلي.

الطباطبائي: أي ترجع إليّ وإليك، كما فشره

بعضهم. [ثم ذكر قول الراغب وقال:]

وعلى هذا فتفسيره بدل الرجوع» تفسير بلازم

(٣٠٤: ٥)

المعنى.

حسنين محمد مخلوف: ترجع وتقر من «البوء»

وهو الرجوع واللزوم، يقال: باء إليه: رجع، وبوت به

إليه: رجعت، وباء بحقه: أقر ولزم، أي أقر وأريد أن تبوء

بإثم قتلك لي، وبإثمك الذي قد صار إليك بذنوبك من

(١٩٠)

قبل قتلي.

بِؤَاكُم

...وَبِؤَاكُم فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا...

الأمراف: ٧٤

أَبُو عُبَيْدَةَ: أي أنزلكم. [ثم استشهد بشعر]

(٢١٨: ١)

مثله الزجاج (٣: ٣٥٠)، وابن قتيبة (١٦٩)،

والبروسوي (٣: ١٩١).

الطبري: وأنزلكم في الأرض، وجعل لكم فيها

(٢٣٦: ٨)

ساكن.

نحوه الطبرسي (٢: ٤٤٠)، ورشيد رضا (٨)

٥٠٣، والمراغي (٨: ١٩٧)، والآلوسي (٨: ١٦٣).

الماوردي: فيه وجهان:

أحدهما: يعني أنزلكم في الأرض، وهي أرض

الخمر بين الشام والمدينة.

والثاني: فيها من منازل تأوون إليها، ومنه قولهم:

يُؤْتَانِي مَفْزَلًا. إذا أمكنته منه لبأوي إليه. [ثم استشهد

(٢٣٥: ٢)

بشعر]

الطوسي: [ذكر نحو الماوردي وأضاف:]

وأصله من «الرجوع» من قوله: ﴿فَبَاؤُ بِغَضَبِ قَلْبِي

غَضَبِ﴾ البقرة: ٩٠، ﴿وَبَاؤُ بِغَضَبِ مَنْ هُوَ﴾ البقرة:

(٤٨١: ٤)

٦١، أي رجعوا. [ثم استشهد بشعر]

الزمخشري: ونزلكم، والمباعدة: المنزل. (٢: ٩٠)

مثله النسي (٢: ٦١)، والسيابوري (٨: ١٦٥)،

والقاسمي (٧: ٢٧٨٤).

ابن عطفية: معناه مكثكم، وهي مستعملة في

المكان وظروفه، تقول: نبؤاً فلان منزلاً حسناً، ومنه

قوله تعالى: ﴿تُبَيِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾

(٤٢٢: ٢)

آل عمران: ١٢١. [ثم استشهد بشعر]

الفخر الرازي: أنزلكم، والمبؤا: المنزل من

- الأرض، أي في أرض الحجير بين الحجاز والشام.
 مثله التيسابوري (١١: ١١٧)، والطباطبائي (١٠: ١٢٠).
 الطَّرِيحِي: أي أنزلناهم، ويقال: جعلنا لهم مباءة، وهو المنزل الملزوم. (١١: ٦٧)
 البُرُوسِي: أي أسكنناهم وأنزلناهم بعد ما أنجبناهم، وأهلكنا أعداءهم فرعون وقومه. (٤: ٧٩)
 الألُوسِي: كلام متأنف سيق ليان التعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء على وجه الإجمال، وإخلاصهم بشكرها، ويؤا، بمعنى أنزل كأباء، والاسم منه: البيثة بالكسر، كما في «القاموس».
 أبو حَيَّان: أنزلكم بها وأسكنكم إياها. (٤: ٣٢٩)
 نحوه الشربيني: (١: ٤٨٩)
 الطُّبَّاطِبَائِي: أي مكثهم في منازلهم منها. (٨: ١٨١)

- حسنين محمّد مخلوف: جعل لكم مباءة فيها أي منازل تسكنونها. يقال: يؤاء منزلاً: أنزله وهبناه له، ومكّن له فيه. (٢٦٧)
 وجاء يؤاء منزلاً ويؤاء في منزل، وكذا يؤات له مكاناً، إذا سويته، وهو مما يمتدّ لواحد ولاتنين، أي أنزلناهم بعد أن أنجبناهم، وأهلكنا أعداءهم. (١١: ١٨٩)
 عَزَّة دَرَوَزَة: مكثنا وخولنا وهبنا. (٤: ٤٥)

يُؤَانَا

١- وَلَقَدْ يَؤَانَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبْؤُؤَ صَدَقِي...

يونس: ٩٣

الطُّوسِي: إخبار منه تعالى أنّه وطأ منزل بني إسرائيل، والتبؤؤ: توطئة المنزل لصاحبه الذي يأوي إليه، تقول: يؤأته منزلاً تبؤؤاً وتبؤؤاً، وباء بالأمر بواء، أي رجع. (٥: ٤٩٢)

ابن عطية: لقد اخترنا لبني إسرائيل أحسن اختيار، وحلّلناهم من الأماكن أحسن حلّ. (٣: ١٤٢٣)
 الطُّبْرَسِي: مكثناهم مكاناً محموداً... (٣: ١٣٢)
 الفخر الرازي: أي أسكنناهم مكان صدق، أي مكاناً محموداً. (١٧: ١٥٨)

٢- وَإِذْ يَؤَانَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي

شيئاً... الحج: ٢٦

ابن عباس: جعلنا. (البقرى: ٣: ٣٣٤)
 السُّدِّي: كانت العلامة ربحاً هيئت، فكشّف حول البيت، يقال لها: المدجوج. (الطُّوسِي: ٧: ٣٠٨)

مقاتل بن حيتان: هيئنا. (البقرى: ٣: ٣٣٤)
 دلّنا، عليه. (ابن الجوزي: ٥: ٤٢٣)

قُطْرِب: بُعِثت سحابة فطوّقت حبال الكعبة، فبني على ظلّها. (الماوردي: ٤: ١٧)

القراء: وقوله: «وَإِذْ يَؤَانَا لِإِبْرَاهِيمَ» ولم يقل: يؤانا إبراهيم، ولو كان بمنزلة قوله: «وَلَقَدْ يَؤَانَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»

﴿يُؤْتِي صِدْقِي﴾ يونس: ٩٣، فإن شئت أنزلت (يؤأنا)
 ينزله جعلنا، وكذلك سمعت في التفسير. وإن شئت كان
 بمنزلة قوله: ﴿قُلْ عَنِّي أَن يَكُونَ رَدِفٌ لَّكُم بَعْضُ...﴾
 التعليل: ٧٢، معناه: ردفكم، وكل صواب. (٢: ٢٢٣)
 أبو عبيدة: مجازه من قوله:

«ليتني كنت قبله قد يؤأت مضجعا»

ويقال للرجل: هل يؤأت بعدنا؟ أي هل تزوجت؟
 (٢: ٤٩)

ابن قتيبة: أي جعلنا له بيتا.
 ثعلب: وإنما أدخل اللام، على أن (يؤأنا) في معنى
 جعلنا، فيكون معنى ﴿رَدِفٌ لَّكُم﴾ أي ردفكم.

(ابن الجوزي ٥: ٤٢٣)

الطبري: وطأنا له مكان البيت.
 منه الرمثاني (الساوودي ٤: ١٧)، والسيوطي ٣١.
 (٣٣٤)

الزجاج: جعلنا مكان البيت مؤأ لإبراهيم، والمؤأ:
 المنزل.

فالمنى أن الله أعلم إبراهيم مكان البيت، فبنى البيت
 على أشبه القديم، وكان البيت في أيام الخوفان رفع إلى
 السماء حين غرق الله الأرض وما عليها، فشرف بيته بأن
 أخرجه من جملة ما غرق، ويروى أن البيت كان من
 ياقوته حمراء.
 (٣: ٤٢٢)

بيتا له مكان البيت لبيته، ويكون مباءة له ولعقبه،
 يرجعون إليه ويحبونه. (الأكوسي ١٧: ١٤١)
 ابن الأنباري: إن المعنى جعلنا البيت متوبة
 ومسكنة. (الطبري ٤: ٨٠)

الهاوذي: أي أريناه أصله.
 القيسي: إنما دخلت اللام في (إبراهيم) على أن
 «يؤأت» محمول على معنى «جعلت»، وأصل «يؤأ» ألا
 يتمدى بحرف، وقيل: اللام زائدة، وقيل: هي متعلقة
 بمصدر محذوف. (٢: ٩٧)

الساوودي: فيه وجهان:

أحدهما: [قول الرمثاني وقد تقدم]

والثاني: معناه عزفناه مكان البيت بعلامة يستدل
 بها. (١٤: ١٧)

الطوسي: ومعناه جعلنا له علامة يرجع إليها.
 وقال قوم: معنى (يؤأنا) وطأنا. [ثم ذكر قول
 السدي ونحو قول قطرب وأضاف:]

وأصل يؤأنا، من قوله: ﴿وَبَنَّاوُ يَنْضِبُ مِنْ أَهْلِهِ﴾
 البقرة: ٦٦، أي رجعا ينضب منه.
 نحو الطبري. (٤: ٨٠)

السيدي: أي واذكر يا محمد كيف كان بدء بناء
 البيت.

وقيل: فيه مضر تقديره: (وأوحينا إذ يؤأنا
 لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك) يقال: تبؤ الرجل
 منزلا، اتخذ، ويؤأ غيره منزلا، أعطاه. وأصله «باء»
 إذا رجع. ويؤأته: جعلت له منزلا يرجع إليه.

واللام في (إبراهيم) زيادة لقوله: ﴿يؤأنا بني
 إسرائيل﴾ يونس: ٩٣، ﴿يؤأني المؤمنين﴾ آل عمران:
 ١٢١، والمؤأ والمباءة: المنزل. (٦: ٣٦٠)

الزمخشري: واذكر حين جعلنا ﴿لإبراهيم مكانا
 البيت﴾ مباءة، أي مرجعا يرجع إليه، للعبادة والعبادة.

(١٠: ٣)

مثله الفخر الرازي (٢٣: ٢٦)، والنسفي (٣: ٩٨).
والثيسابوري (١٧: ٩٢)، والقاسمي (١٢: ٤٢٣٤).
ونحوه البروسوي (٦: ٢٣).

ابن عطية: «بؤأ» هي تعدية باء بالتضعيف، وباء
معناه رجع، فكان الميؤى يرد الميؤا إلى المكان،
واستعملت اللفظة بمعنى «سكن»، ومنه قوله تعالى:
﴿تَتَّبِعُوا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ الزمر: ٧٤. [ثم استشهد
بشعر]

واللآم في قوله تعالى: (إبراهيم) قالت فرقة: هي
زائدة، وقالت فرقة: (بؤأنا) نازلة منزلة فعل يتمدى
باللآم، كنحو جعلنا. والأظهر أن يكون المفعول الأول
بـ(بؤأنا) محذوفًا، تقديره: الناس أو العالمين. ثم يقال:
(إبراهيم) بمعنى له كانت هذه الكرامة، وعلى تقديره بؤأنا
(٤: ١١٧)

القرطبي: أي اذكر إذ بؤأنا لإبراهيم، يقال: بؤأته
منزلًا وبؤأت له، كما يقال: مكنتك ومكنت لك، فاللآم
في قوله: (إبراهيم) صلة للتأكيد، كقوله: ﴿وَرَدِّ
لَكُمْ﴾، وهذا قول القراء، وقيل: ﴿بؤأنا لإبراهيم مكانًا
البييت﴾، أي أريته أصله لبيته، وكان قد درس
بالطوفان وغيره، فلما جاءت مدة إبراهيم عليه السلام أمره الله
ببنائه، فجاء إلى موضعه وجعل يطلب أثرًا، فبحث الله
ريحًا، فكشفت عن أساس آدم عليه السلام، فرتب قواعده
عليه.

وقيل: (بؤأنا) نازلة منزلة فعل يتمدى باللآم، كنحو
جعلنا، أي جعلنا لإبراهيم مكان البيت مبوءًا. [ثم

استشهد بشعر]

(١٢: ٣٦)

البيضاوي: أي واذكر إذ عتناه وجعلناه له مباءة.
وقيل: اللآم زائدة و(مكان) ظرف، أي واذ أنزلنا فيه.
(٢: ٨٩)

أبو حيان: أي واذكر إذ بؤأنا، أي جعلنا لإبراهيم
مكان البيت مباءة، أي مرجعًا يرجع إليه للعبادة
والعبادة. قيل: واللآم زائدة، أي بؤأنا إبراهيم مكان
البيت، أي جعلناه بيوة إليه، كقوله: ﴿لَتُبْنَوُنَّهُمْ مِنْ
الْجَنَّةِ عُرُفًا﴾ العنكبوت: ٥٨. [ثم استشهد بشعر]

وقيل: مفعول (بؤأنا) محذوف، تقديره: بؤأنا
الناس، واللآم في (إبراهيم) لام العلة، أي لاجل إبراهيم
فأمرنا له وعلى يديه. (٦: ٣٦٣)

نحوه الأوسقي.
(١٧: ١٤١)
الطباطبائي: بؤأ له مكانًا كذا، أي جعله مباءة
ومرجعًا له يرجع إليه ويقصده.

وقوله: ﴿وَإِذْ بؤأنا لإبراهيم مكانًا البييت﴾ الظرف
فيه متعلق بمقدّر، أي واذكر وقت كذا. وفيه تذكير لقصة
جعل البيت معبدًا للناس، ليتضع به أن صدّ المؤمنين عن
المسجد الحرام ليس إلا إلهادًا بظلم.

وتبوته تعالى مكان البييت لإبراهيم، هي جعل
مكانه مباءة ومرجعًا لعبادته، لا لأن يتخذ بيت سكنى
يسكن فيه، ويلوح إليه قوله بعد: ﴿ظَهَرَ بَيِّتٌ﴾ بإضافة
البيت إلى نفسه.

ولارِب أن هذا «الجعل» كان وحيدًا لإبراهيم،
فقوله: ﴿بؤأنا لإبراهيم مكانًا البييت﴾ في معنى قولنا:
أوحينا إلى إبراهيم أن اتخذ هذا المكان مباءة ومرجعًا

ومعنى الآية أنك ترتب المؤمنين في مواضعهم.

(٤٢٠: ١)

الطوسي: ومعنى «تُسَوَّى السُّؤْمِين» مثل

تَبَوَّى للمؤمنين، حذف اللام، كما قال: «رَدِفَ لَكُمْ»

النمل: ٧٢، ويجوز ردفكم، فإذا عداه فعناه رتب

المؤمنين على مواضعهم قدمة، وإذا لم يمتد فعناه تتخذ

لهم مواضع. [ثم استشهد بشر]

الرَّمْخَمِيُّ: تَزَلُّم. وهو أ عبد الله (المؤمنين)

بمعنى تسوي لهم ونهتى. (٤٦٠: ١)

نحوه البضاوي (١٧٩: ١)، والنسفي (١٧٩: ١)،

والطبري (١٧٩: ١)، والبزوصوي (٨٧: ٢)، والآلوسي

(٥٤: ٤)، والقاسمي (٩٥٣: ٤).

ابن السكيت: معناه تعين لهم مقاعد يتمكنون فيها

منعكنا ثبت فيه، ومنه قوله تعالى: «نَسْتَبْأُ مِنَ الْجَنَّةِ

هَيْثُ نَشَاءُ» الزمر: ٧٤.

نحوه أبو حيان (٤٥: ٣)، والقرطبي (١٨٥: ٤).

الطبرسي: أي تهيئ للمؤمنين مواطن للقتال.

وفيل: معناه تجلسهم وتقدمهم في مواضع القتال، ليقفوا

فيها ولا يفارقوها. (٤٩٥: ١)

الفخر الرازي: يقال: بَوَّأته منزلاً وبَوَّأت له منزلاً،

أي أنزلته فيه، والمباة والمباة: المنزل. (٢١٩: ٨)

نحوه النيسابوري. (٥٤: ٤)

القرطبي: وأصل التَّبَوَّى: اتخذ المنزل، بَوَّأته

منزلاً، إذا أسكنته إياه...

(١٨٥: ٤)

لعبادتي، وإن شئت فقل: أوحينا إليه أن اقصد هذا

المكان لعبادتي، وبعبارة أخرى أن اعبدني في هذا المكان.

(٣٦٧: ١٤)

تَبَوَّى

وَرَادُ غَدَوَاتٍ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّى السُّؤْمِينِ مَقَاعِدَ

لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

آل عمران: ١٢١

ابن عباس: توطن المؤمن. [ثم استشهد بشر]

(الشبلي ١٠٤: ٢)

مثله سعيد بن جبير. (الآلوسي ٤: ٤١)

أبو حنيفة: اتخذوا لهم مضافاً معسكراً. (١٠٣: ١)

ابن قتيبة: من قولك: بَوَّأتك منزلاً، إذا أقدمت

إياه وأسكنته.

الطبري: [ذكر مباحث في وقعة أحد ثم قال:]

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ، الذين كان من

أمرهم حب لقاء القوم، حتى دخل رسول الله ﷺ، فلبس

لأُمته، فكانت تبوئة رسول الله ﷺ المؤمنين مقاعد

للقتال، ماذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأي الذي

ذكرنا، على ما وصفه الذين حكينا قولهم.

يقال منه: بَوَّأت القوم منزلاً وبَوَّأته لهم، غاناً أبوتهم

المنزل تبوئة، وأبوتى لهم منزلاً تبوئة. وقد ذكرنا أن في

قراءة عبد الله بن مسعود: (وإذا غدوت من أهلك تبوَّى

المؤمنين^(١) مقاعد للقتال) وذلك جائز، كما يقال: ردفك

وردف لك، ونقدت لها صداقها ونقدتها. [ثم استشهد

بشر]

المازدي: أي تتخذ منزلاً تبوَّى فيه المؤمنون.

(١) كذا، والظاهر (للمؤمنين) كما حكاه الرَّمْخَمِيُّ.

رشيد رضا: أي توطنهم ونزلهم أماكن ومواقع في الشعب من «أحد» لأجل القتال فيها. [إلى أن قال:]
وقيل: ثبوت المقاعد: تسويتها وتبويتها. (١٠٨: ٤)
نحو: حسين بمحمد مخلوف. (١٢٣)
عزة ذروزة: ثمد أو تهتي. (١٥١: ٨)
الطباطباتي: والثبوت: تهيئة المكان للخير، أو إساكنه أو إيطانه المكان. (٥: ٤)
بنت الشاطئ: وسأل نافع عن قوله تعالى:
﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾. فقال ابن عباس:
توطن المؤمنين، ولما سأله ابن الأزرقي: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأعشى:
وما يؤا الزحمان بيتك منزلاً

بأجساد غزى الفصول المحزون

الكلمة من آية آل عمران: (١٢١)، والمطلب فيها
للمرسول عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِذْ عَدَدْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.
ومعها آيات:

في المهاجرين والمؤمنين: ﴿لَتُبَوِّتُنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا
مَثَاقِدَ﴾ النحل: ٤١، ﴿لَتُبَوِّتُنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ حُرُثًا﴾
المنكوت: ٥٨، ﴿وَلَقَدْ يَوَّنَّا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبُوءًا بِصَدْقِي﴾
يونس: ٩٢، والحج: ٢٦، والأعراف: ٧٤.

كما جاء فعل «الثبوت» في آيات:

﴿وَكَذَلِكَ كُنَّا نَبْشُرُ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِثْلَ مَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يوسف: ٥٦، ﴿وَأَوْزَعْنَا الْأَرْضِ تَتَّبِعُونَ مِنْ
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ الزمر: ٧٤، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوُّا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ ثَمُودَ﴾ يسونس: ٨٧،

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الحشر: ٩.
ومن الثلاثي جاء الفعل ماضياً خمس مرات،
ومضارعاً «تبوء» تسعاً وعشرين مرة، كلها في المعنوي،
من البوء برضوان الله، أو بسخطه وغضبه، والبوء بالإثم.
وتفسير (تُبَوِّئُ) في آية آل عمران به «توطن» يبدو
قريباً، وفي القرآن منه: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ﴾ التوبة: ٢٥.

وتذكر «المعاجم» في بؤا: أنزل، والاسم: البئية،
وتبؤا المكان: حله، وتبؤوا الولد: موضعه من رحم أمه،
ويقال: بء إليه: رجع، وبالدنوب: أقر، واعترف به.

وذهب الزاغب إلى أصل البواء: مساواة الأجزاء في
المكان، بخلاف الثبوت. يقال: مكان بواء، إذا لم يكن ثابتاً.
ببؤات له مكاناً: سويته فتبؤاً.

ويجوز حمل البواء في مكافأة - أي تكافؤ - المصاهرة
والقصاص، فيقال: فلان بواء فلان.

وعند ابن الأثير أن أصل البوء: اللزوم، ومنه
الحديث: «فقد بء به أحدهما» أي التزمه ورجع به.

وفي حديث: «من كذب علي متعمداً فليتبؤا مقعده
من النار» قال ابن الأثير: معناها لينزل منزله من النار.
عل أنه ذكر فيه أيضاً معنى المساواة، في مثل:
بء بؤئت بين القتل» أي مساوية، وهم بواء أي أكفاء.
ومن الحديث: «المجراحات بواء» أي سواء في القصاص،
لا يؤخذ إلا ما يساويه.

ونستأنس بهذا كله، فنرى أن الثبوت في آية
آل عمران ليست توطين النبي عليه الصلاة والسلام
للمؤمنين صل إطلاقه، وإنما هي وضع كل منهم في مكانه

(الْبُيُوتُتَهُمْ) لَسُجَلَّتُمْ وَلُتُسَكِّنْتُمْ. لَأَنَّ التَّبَوُّهَ فِي كَلَامِ
العرب: الحلول بالمكان والتزول به، ومنه قول الله تعالى:
﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مَبِيتًا صَدَقَ﴾ يونس: ٩٢.

(١٠٦: ١٤)

الزَّجَّاج: أي لأتتهم صاروا مع النبي ﷺ إلى
الإسلام، وسمعوا ثناء الله عليهم. (٢٠٠: ٣)

الماوردي: [نقل قول ابن عباس، ومجاهد،
والضحاك ثم قال:]

والزابع: أنه لسان صدق.

ويحتمل قولاً خامساً: أنه ما استولوا عليه من فتوح
البلاد، وصار لهم فيها من الولايات.

وتحتمل قولاً سادساً، أنه ما بقي لهم في الدنيا من
الملك، وما صار فيها لأولادهم من الشرف. (١٨٨: ٣)

المفويدي: هو أنه أنزلهم المدينة، وقيل: معناه
لتحسن إليهم في الدنيا. (٨٠: ٣)

المفويدي: أي داراً وبلدة حسنة، وهي المدينة دار
العلم، ومتنزل الملائكة، ومبوء الحلال والحرام، أنفذ الله
بها رسوله من دار الشرك، وأحكم بها أحكام دينه
بالتاسخ، وعقد له به الاجتماع، وختم بها القرآن.

(٣٨٧: ٥)

الزمخشري: (حَسَنَةٌ) صفة للمصدر، أي لتبوتهم
تبوءة حسنة. وفي قراءة علي رضي الله عنه (التبوتيتهم)
ومعناه إتياءة حسنة.

وقيل: لنزولهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة
على أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة،
وعلى أهل المشرق والمغرب.

السوي الذي يلائمه، ويكون كفة له. وهذا الملحظ من
«التكافؤ والمساواة» ملحوظ في سائر صيغ المائدة،
(الإعجاز البياني للقرآن: ٥٠١)

لَتُبَيِّتَهُمْ

١- لَتُبَيِّتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. النحل: ٤١

ابن عباس: تبوأهم الله المدينة، وأحل لهم فيها
غنيمة حسنة، يأخذونها من أموال الكفار.

مثله قتادة، والشمي. (الطوسي: ٦: ٣٨٣)
لنزلتهم المدينة. (ابن الجوزي: ٤: ١١٤٨)

الشمي: لتبوتهم مبيعة حسنة وهي المدينة،
حيث آواهم أهلها ونصروهم.

مثله الحسن، وقتادة. (الضمر الرازي: ٣٤: ٢٠٠)
ومثله الطبري. (٩٧: ١)

مجاهد: لنزولهم في الدنيا رزقاً حسناً.
(الطبري: ١٤: ١٠٧)

الضحاك: أنه التصبر على عدوهم.
(الماوردي: ٣: ١٨٨)

أسكنهم المدينة، ورزقهم الغنيمة، ونصروهم على
العدو. (المثدي: ٥: ٣٨٨)

الطبري: لتسكنهم في الدنيا مسكناً يرضونه
صالحاً.

وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿لَتُبَيِّتَهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً﴾ لنزولهم في الدنيا رزقاً حسناً.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى

وقيل: لبثوتهم مباءة حسنة، وهي المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم. (٤١٠: ٢)

منه الفخر الرازي (٢٠: ٣٤)، ونحوه النسفي (٢: ٢٨٧)، والسيبوري (١٤: ٦٨).

ابن عطية: قرأ الجمهور (لَبِثْتُهُمْ) وقرأ ابن مسعود ونعيم بن مسيرة والزميع بن حنن وأبو المؤمنين علي بن أبي طالب: (لَثَبْتُهُمْ) وهاتان اللفظتان معناها التقرير. (٣: ٣٩٤)

الطبرسي: أي بلدة حسنة بدل أوطانهم. وهي المدينة. وقيل: لنطيتهم حالة حسنة وهي النصر والفتح. وقيل: هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات. (٣: ٣٦١)

أبو حيان: [ذكر أقوال السابقين المتقدمة (٥: ٥٩٧) في البرزوسوي: لنزكتهم في الدنيا حسنة أي بلدهم]

حسنة، وهي المدينة المنورة، حيث آواهم أهلها ونصروهم، يقال: بؤأ منزلاً: أنزله، والمباة: المنزل. فهي منصوبة على الظرفية، أو على أنها مفعول ثانٍ إن كان لبثوتهم في معنى لنطيتهم. (٥: ٣٦)

الآلوسي: أي مباءة حسنة، وحاصله لنزكتهم في الدنيا منزلاً حسناً، وعن الحسن: داراً حسنة، والتقدير الأول أظهر لدلالة الفعل عليه، والثاني أوفق بقوله تعالى: ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ...﴾ المحرر: ٩.

وأياً ما كان فلا حسنة صفة محذوف منصوب نصب الظرف، وجوز أن يكون مفعولاً ثانياً (لَبِثْتُهُمْ) على معنى لنطيتهم منزلة حسنة، وفُسر ذلك بالغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة.

وقيل: هي ما بقي لهم في الدنيا من الثناء، وما صار لأولادهم من الشرف.

وعن مجاهد: أن التقدير: معيشة حسنة، أي رزقاً حسناً.

وقيل: التقدير: عطية حسنة، والمراد بالعطية المولى، ويُسَرُّ ذلك بكل شيء حسن ناله المهاجرون في الدنيا.

وقدر بعضهم: ثبوت حسنة، فهو صفة مصدر محذوف، وقد تعتبر هذه الثبوتة بحيث تشمل إعطاء كل شيء حسن صار للمهاجرين على السابق.

وفي «البحر»: أن الظاهر أن انتصاب (حسنة) على المحذوف على غير الصدر، لأن معنى (لَبِثْتُهُمْ) لنحسنن إليهم فلا حسنة، بمعنى إحساناً، وعلى جميع التقادير ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوا﴾ مبتدأ، وجمله (لَبِثْتُهُمْ) خبره.

(١٤: ١٤٥)

الغراحي: لنسكتهم في الدنيا مساكن حسنة يرضونها، إذ هم لما تركوا مساكنهم وأموالهم ابتغاء مرضاة الله عوضهم الله خيراً منها في الدنيا، فكان لهم في البلاد وحكتهم في رقاب العباد، وصاروا أمراء وحكاماً، وكان كل منهم للمعتقين إماماً. (١٤: ٨٥)

الطباطبائي: قيل: أي بلدة حسنة بدلاً مما تركوه من وطنهم كمكة وحواليها، بدليل قوله: (لَبِثْتُهُمْ) فإنه من: بؤأت له مكاناً، أي سويت وأقررت فيه.

وقيل: أي حالة حسنة من الفتح والظفر ونحو ذلك، فيكون قوله: (لَبِثْتُهُمْ) إلخ، من الاستعارة بالكناية. والوجهان: متعديان مآلاً، فإنهم إنما كانوا مهاجرين

ليعتدوا مجتمعاً إسلامياً طيباً لا يُعبد فيه إلا الله، ولا يحكم فيه إلا العدل والإحسان.

أو ليدخلوا في مجتمع هذا شأنه، فلو رجّوا في مهاجرهم غاية حسنة، أو وعدوا بغاية حسنة، كان ذلك هذا المجتمع الصالح، ولو حمدوا البلدة التي يهاجرون إليها لكان حمدهم للمجتمع الإسلامي المستقر فيها لاملأها أو هوائها، فالغاية الحسنة التي يمدحهم الله في الدنيا هي هذا المجتمع، سواء أريد بالحسن البلدة أو الغاية.

(١٢: ٢٥٤)

٢- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا...

القرآن: قرأها العوام: (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) وحدثني قيس عن أبي إسحاق أن ابن مسعود قرأها: (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) وقرأها كذلك يحيى بن وثاب. وكلّ حسن يؤاتيه منزلاً وأتوته منزلاً.

أبو عبيدة: مجازة لنزّلهم، وهو من قرأهم: «اللهم يؤأنا مؤأ صدق».

ابن قتيبة: أي لنزّلهم، ومن قرأ: (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) فهو من تؤت بالمكان، أي أفت به.

نحوه الزجاج: (٤: ١٧٣)

الطبري: لنزّلهم من الجنة علاني.

واختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) بالياء، وقرأته عامة قراء الكوفة بالياء (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ).

والصواب من القول في ذلك عندي أنها قراءتان

مشهورتان في قراء الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منها علماء من القراء متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب؛ وذلك أن قوله: (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) من يؤاتيه منزلاً، أي أنزلته، وكذلك (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) إنما هو من أتوته مسكناً، إذا أنزلته منزلاً، من التواء وهو المقام.

(٢١: ١٠) نحوه الماوردي: (٤: ٢٩٢)

أبو زرعة: قرأ حمزة والكسائي: (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) بالياء، من أتوت، أي لنفيهم، يقال: ثوى الرجل بالمكان، إذا أقام به، وأتواه غيره، إذا جعله بذلك المكان. وحيثها: «وَمَا كُنْتُ ثَاوِيًا» القصص: ٤٥، أي مقيماً.

وقرأ الباقون: (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) أي لنزّلهم، من يؤات. تقول العرب: يؤات فلاناً منزلاً، أي أنزلته، قال تعالى: «وَلَقَدْ يَوَدُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقِي» يونس: ٩٣. وتقول: يؤأ فلان المنزل، وقال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْتُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ» الحشر: ٩، أي اتخذوها.

قال القراء: يؤاتيه منزلاً وأتوته منزلاً سواء، (٥٤٤) الطوسي: قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً (لَنُؤْتِيَنَّهُمْ) بالياء، من أتوته منزلاً، أي جعلت له منزل مقام، والتواء: المقام. الباقون بالياء من قرأهم: يؤاتيه منزلاً. كما قال تعالى: «مُبَوَّأً صَدَقِي» في قوله: «وَلَقَدْ يَوَدُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقِي» يونس: ٩٣. «وَأَذَّ يَوَدُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صَدَقِي» يونس: ٢٦.

ويحتمل أن تكون اللام زائدة، كقوله: «وَرَدَّ لَكُمْ بَعْضُ» التعليل: ٧٢. ويحتمل أن يكون المراد (يؤأنا) لدعاء إبراهيم (مَكَانَ الْبَيْتِ)، ويقول القائل: اللهم يؤأنا

مُؤْتًا صَدَقَ، أي أنزلنا منزل صدق. (٨: ٢٢٠)

الزَّمَقُشَرِيُّ: لنزلتهم (مِنَ الْجَنَّةِ) عِلَالِي. وخرى (لَتُؤَيَّتُهُمْ) من الشواء، وهو النزول للإقامة، يقال: نوى في المنزل، وأنوى هو وأنوى غيره، ونوى غير متعد، فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولاً واحداً، نحو ذهب وأذهبته.

والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف، إنما إجرأؤه بجرى لنزلتهم ونوتتهم، أو حذف الجار وإيصال الفعل، أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم.

(٣: ٢١٠)

مثله التَّنْقِي (٣: ٢٦٢)، ونحوه التَّبَاوُي (٢)

(٢١٢)، والتَّبَسَّابُورِي (٢١: ١٢)، والأكوسي (٢١: ١١).

ابن عَطِيَّة: قرأ جمهور القراء (لَتُؤَيَّتُهُمْ) حين

المبابة، أي لنزلتهم ولمكنتهم ليدوموا فيها (وَأَعْرَفْنَا)

مفعول ثان، لأنه فعل يتمدى إلى مفعولين.

وقرأ همزة والكسائي (لَتُؤَيَّتُهُمْ) من أنوى يؤى،

وهو معدى نوى، بمعنى أقام، وهي قراءة علي بن أبي

طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، والزيغ بن خبثم^(١).

وابن وثاب، وطلحة.

وقرأها بعضهم (لَتُؤَيَّتُهُمْ) بفتح الشاء وتشديد

الواو، معدى بالتضعيف لا بالهمزة.

وقرأ يعقوب (لَتُؤَيَّتُهُمْ) بالياء من تحت. (٤: ٣٢٤)

نحوه القرطبي (١٣: ٣٥٩)، وأبو حيان (٧: ١٥٦)،

والشَّريبي (٣: ١٥٠).

الطَّبْرِي: [ذكر نحو الطُّوسِي وأضاف:]

ومن قرأ (لَتُؤَيَّتُهُمْ) فمعجته قوله: «وَمَا كُنْتُ

ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» القصص: ٤٥، أي مقيماً نازلاً

فيهم. [ثم استشهد بشعرين]

فإذا تعدى بحرف جرّ فزيدت عليه الهمزة وجب أن

يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف جرّ، وليس في الآية

حرف جرّ.

قال أبو الحسن: قرأ الأعمش ((لَتُؤَيَّتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ

عُرْفًا) ولا يعجبني، لأنك لا تقول: أثويت الدار.

قال أبو علي: ووجهه أنه كان في الأصل: لَتُؤَيَّتُهُمْ

من الجنة في غرفه، كما يقول: لنزلتهم من الجنة في

غرف. وحذف الجار كما حذف من قولك: «أمرتك الخير

فاضل ماأمرت به». ويقوي ذلك أن النرف وإن كانت

أماكن مختصة، فقد أجريت المختصة من هذا الحروف

على غير المختص، نحو قوله:

* كما غسل الطريق التعلب *

ونحو «ذهبت الشام» عند يبيويه. (٤: ٢٩٠)

الطُّبَّاطِبَانِي: والثبوة: الإزالة على وجه الإقامة.

(١٦٦: ١٤٥)

مُبَوَّأ

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مُبَوَّأً صَدَقِي وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ

الطُّبَّاطِبَانِي.. يونس: ٩٢

ابن عباس: هو لأردن وفلسطين، (أبو حيان: ٥: ١٩٠)

الضَّعَّال: منازل صدق، مصر والشَّام.

(الطُّبْرِي: ١١: ١٦٦)

- الشَّام وبيت المقدس. (أبوحيتان ٥ : ١٩٠)
 مثله قَتَادَة، وابن زَيْد. (الطُّوسِي ٥ : ٤٩٣)
 الْحَصْن : هو مصر، وهو منزل صالح خصب آمن. (أبوحيتان ٥ : ١٩٠)
 (الطُّوسِي ٥ : ٤٩٣)
 مُقَاتِل : بيت المقدس. (أبوحيتان ٥ : ١٩٠)
 ابن قُتَيْبَة : أي أنزلناهم منزل صدق. (١٩٩)
 الطُّبْرِي : قيل : عنى بذلك الشَّام وبيت المقدس. (١١٦ : ١١٦)
 وليل : عنى به الشَّام ومصر.
 الماوردي : وفي قوله تعالى : ﴿مُبَوَّأٌ صِدْقٍ﴾
 تأويلان :
 أحدهما : أنه كالصدق في الفضل. والثاني : أنه
 تصدق به عليهم.
 ويعتدل تأويلًا ثالثًا : أنه وعدهم إياه فكان وعدهم
 وعد صدق. (الطُّوسِي ٤ : ٤٩٩)
 الطُّوسِي : وقوله : ﴿مُبَوَّأٌ صِدْقٍ﴾ أي منزل
 صدق، أي فيه فضل كفضل الصدق. كما يقال : أخو
 صدق.
 وقيل : إنه يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة. (٥١ : ٤٩٢)
 الواحدي : ما بين المدينة والشَّام. في أرض يثرب. (٢ : ٥٥٩)
 البغوي : منزل صدق، يعني مصر. وقيل : الأردن
 وفلسطين. وهي الأرض المقدسة التي كتب الله ميراثًا
 لإبراهيم وذريته. (٢ : ٤٣٣)
 نحوه المبيدي (٤ : ٣٣٣)، والقرطبي (٨ : ٣٨١).
 الزَّمخشري : منزلًا صالحًا مرضيًا، وهو مصر
 والشَّام. (٢ : ٢٧٢)
 مثله الشَّام. (١٧٥ : ٢)، والبخاوي (١ : ٤٥٧).
 وأبو الشَّوهد (٢ : ٢٧٢).
 ابن عَطِيَّة : أي يصدق فيه ظن قاصده وساكنه
 وأهله. ويعني بهذه الآية إحلالهم بلاد الشَّام وبيت
 المقدس. قاله قَتَادَة، وابن زَيْد. وقيل : بلاد مصر
 والشَّام. قاله الضَّحَّاك. والأوَّل أصحَّ بحسب ما حفظ من
 أنهم لن يعودوا إلى مصر. على أن القرآن كذلك.
 ﴿وَأَوْزَنَّاها بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الشعراء : ٥٩، يعني ما ترك
 القبط من جنات وميرون وغير ذلك، وقد يحتمل أن
 يكون (أَوْزَنَّاها) معناه الخالة من النعمة، وإن لم يكن لي
 غير واحد. (٣ : ١٤٢)
 الطُّبْرِي : «المُبَوَّأ» يجوز أن يكون مصدرًا، ويجوز
 أن يكون مكانًا. ويكون المفعول الثاني من يَوَّأ على
 هذا محذوفًا. كما حذف من قوله : ﴿وَيَبْرَأَكُم فِي
 الْأَرْضِ...﴾ الأعراف : ٧٤.
 ويجوز أن يتصّب «المُبَوَّأ» نصب المفعول به على
 الاتساع وإن كان مصدرًا، فقد أجاز ذلك سيبويه في
 قوله : أمّا الطَّرب فأنّت ضارب..
 أخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد أن أنجاهم وأهلك
 عدوهم. يقول : مكَّناهم مكانًا محمودًا. وهو بيت
 المقدس والشَّام.
 وإنما قال : ﴿مُبَوَّأٌ صِدْقٍ﴾ لأن فضل ذلك المنزل
 على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب.
 وقيل : معناه أنزلناهم في موضع خصب وأمن
 يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة.

وقال الحسن يريد به مصر، وذلك أن موسى عبر
بني إسرائيل البحر ثانياً ورجع إلى مصر، وتبوأ ساكن
آل فرعون. (١٣٢: ٣)

ابن الجوزي: أي أنزلناهم منزل صدق، أي
منزلاً كريماً. (٦٢: ٤)

الفخر الرازي: أي أسكناهم مكان صدق، أي
مكاناً محموداً، وقوله: ﴿تُبَوِّأُ صِدْقٍ﴾ فيه وجهان:
الأول: يجوز أن يكون ﴿تُبَوِّأُ صِدْقٍ﴾ مصدرًا، أي
بأنهم تبوأ صدق.

الثاني: أن يكون المعنى منزلًا صالحًا مرضيًا.

وإنما وصف «المبوء» بكونه صدقًا لأن عادة العرب
أنها إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق، تقول: رجُلٌ
صدق، وعَدَمُ صدقي. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّمَنَّا أَذِيقْنِي
مُدْغَلٌ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجٌ صِدْقٍ﴾ (الإسراء: ٨٠)،
والشبه فيه أن ذلك الشيء إذا كان كاملاً في وقته صالحاً
للغرض المطلوب منه، فكل ما يخلو فيه من الخير، فإنه
لا بد وأن يصدق ذلك الظن. (١٥٨: ١٧)

نحوه الثيباوري (١١٧: ١١)، والخازن (١٧: ٣)،
والبروسوي (٧٩: ٤)، والأكوسي (١١: ١٨٩)،
والقاسمي (٩: ٣٣٩٥)، والمراغي (١١: ١٥٢)،
وحسين محمد مخلوف (١: ٣٥٥).

أبو حيان: وانتصب ﴿تُبَوِّأُ صِدْقٍ﴾ على أنه مفعول
ثانٍ لـ ﴿تُبَوِّأُ﴾ كقوله: ﴿لَتُبَوِّتُنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرُفًا﴾
المنكوت: ٥٨.

وقيل: يجوز أن يكون مصدرًا، ومعنى ﴿صِدْقٍ﴾ أي
فضل وكرامة، ومنه: ﴿فِي تَفْهِيمِ صِدْقٍ﴾ القمر: ٥٥.

وقيل: مكان صدق الوعد، وكان وعدهم فصدقهم
وعده.

وقيل: ﴿صِدْقٍ﴾ تصدق به عليهم، لأن الصدقة والبر
من الصدق.

وقيل: ﴿صِدْقٍ﴾ فيه لحن قاصده وساكته.

وقيل: منزلًا صالحًا مرضيًا، [ثم ذكر بقية أقوال
الشابطين وقال:]

وقيل: ما بين المدينة والشام من أرض يثرب، ذكره
علي بن أحمد الثيباوري، وهذا على قول من قال: إن
بني إسرائيل هم الذين بحضرة النبي ﷺ. (٥: ١٩٠)

الثريائي: [ذكر مثل الفخر الرازي وأضاف:]

وقيل: أرض الشام والفرس والأردن، لأنها بلاد
الخصب والخير والبركة. (٣: ٣٦)

رشيد رضا: قلنا، إن المبوء مكان إقامة الأسير،
وأضيف إلى «الصدق» لدلالته على صدق وعد الله تعالى
لهم به، وهو منزلهم من بلاد الشام الجنوبية المعروفة
بفلسطين. (١١: ٤٧٨)

سيد قطب: والمبوء: مكان إقامة الأمين، وإضافته
إلى الصدق تزيده أماناً وثباتاً واستقراراً، ككلمات الصدق
الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع
الافقراء. (٣: ١٨١٨)

الطباطبائي: أي أسكناهم مكان صدق، وإنما
يضاف الشيء إلى الصدق نحو: وعد صدق، وقدم
صدق، ولأن صدق، ومُدْغَلٌ صدق، ومُخْرَجٌ صدق،
للدلالة على أن لوازم معناه وآثاره المطلوبة منه موجودة
فيه صدقاً من غير أن يكذب في شيء من آثاره التي

يُعدها بلسان دلالة الالتزامية لظاها.

فوعده صدق مثلاً هو الوعد الذي سبق به واعدته، ويسرّ بالوفاء به موعوده، ويعتق أن يُطمع فيه ويُرجى وقوعه، فإن لم يكن كذلك فليس بوعده صدق بل وعد كذب، كأنه يكذب في معناه ولو ازم معناه.

وصل هذا فقوله: ﴿مُبَوَّأٌ صِدْقٍ﴾ يدلّ على أن الله سبحانه بؤأهم مبوّأً يوجد فيه جميع ما يطلبه الإنسان من المسكن من مقاصد السكنى، كطيب الماء والهواء وبركات الأرض ووفور نعمها والاستقرار فيها وغير ذلك، وهذه هي نواحي بيت المقدس والشام التي أَسكن الله بني إسرائيل فيها، وسماها الأرض المقدسة المباركة، وقد قصّ القرآن دخولهم فيها.

وأما قول بعضهم: إن المراد بهذا المَبَوَّأ «مصر» دخلها بنو إسرائيل وأخذوا فيها ميوتاً، فأمر لم يذكره القرآن، على أنهم لو فرض دخولهم فيها ثانياً لم يستقرّوا فيها استقراراً مستمراً، وتسمية ما هذا شأنه ﴿مُبَوَّأٌ صِدْقٍ﴾ مما لا يساعد عليه معنى اللفظ.

لاحظ: من دق (صدق).

تَبَوَّؤُ

وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...
الحشر: ٩
الطَّبْرِيّ: يقول: اتخذوا المدينة - مدينة الرسول ﷺ - فابتنوها منازل.

الشَّريف الرُّضِيّ: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ وهذه استعارة، لأنَّ (تَبَوَّؤُوا الدَّارَ) هو

استيطانها والتَّسَكُّنُ فيها، ولا يصحّ حمل ذلك على حقيقة في الإيمان، فلا بدّ إذن من حمله على الجاز والانتاع، فيكون المعنى أنهم استقرّوا في الإيمان كاستقرارهم في الأوطان.

وهذا من صميم البلاغة ولُبَّاب الفصاحة، وقد زاد اللفظ المستعار هاهنا معنى الكلام رونقاً، ألا ترى كم بين قولنا: «استقرّوا في الإيمان» وبين قولنا: «تَبَوَّأُوا الإيمان». وأنا أقول أهدأ: إن الألفاظ خدم للسما، لأنّها تعمل في تحسين معارضها، وتتميق مطالعها. (٣٢٠)

نحوه خليل ياسين. (٢٥٠: ٢٠)

الماورديّ: ويكون على التقديم والتأخير،

ومعهم تَبَوَّأُوا الدَّارَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَالْإِيمَانَ.

الثاني: أن الكلام على ظاهره، ومعناه أنهم تَبَوَّأُوا الدَّارَ ومواسماتهم بأموالهم ومساكنهم. (٥٠٥: ٥٠٥)

تتبع ابن الجوزي. (٢١٢: ٨)

الطُّوسِيّ: أي جعلوا ديارهم موضع مقامهم،

وَأَمَّنُوا بِاللَّهِ مِنْ قَبْلِهِمْ.

نزلت في الأنصار، فإنهم نزلوا المدينة قبل نزول

المهاجرين. (٥٦٥: ٩)

البَغَوِيُّ: وهم الأنصار، (تَبَوَّؤُوا الدَّارَ) توطَّنُوا الدَّارَ

- أي المدينة - اتخذوها دار الهجرة والإيمان. (٥٨: ٥)

مثلُه الخازن. (٥٢: ٧)

القَسْبِيّ: أي لزمو المدينة ودَّورهم بها،

(وَالْإِيمَانَ) منصوب بفعل مضمر، يعني وقبلوا الإيمان

وآثروه. وقيل: معناه لزمو المدينة ومواضع الإيمان.

وذكر النقاش: أن الإيمان اسم المدينة، سمّاها

النبي ﷺ.

(٤٦: ١٠)

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ مطوف على

المهاجرين، وهم الأنصار.

فإن قلت: مامعنى عطف (الايمن) على (الدار)،

ولا يقال: تبوأوا الايمان؟

قلت: معناه تبوأوا الدار وأخلصوا الايمان، كقوله:

«علفتها نينا وماء بارد»

أي وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم، لتمكنهم

منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك.

أو أراد دار الهجرة ودار الايمان، فأقام لام التحريف

في الدار مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار

الايمان، ووضع المضاف إليه مقامه.

أو سمي المدينة، لأنها دار الهجرة ومكان ظهور

الايمان بالايمان.

(٨٣: ٤)

نحوه الرازي (٣٣٩)، والبياضوي (٤٦٦: ٢)،

والتسي (٢٤١: ٤)، واليسابوري (٣١: ٢٨).

ابن عطية: هم الأنصار... والمعنى تبوأوا الدار مع

الايمان معا.

(والايمن) لا يتبوأ لأنه ليس مكانا، ولكن هذا من

بلغ الكلام، ويتخرج على وجوه كلها جميل حسن.

(٢٨٧: ٥)

الطبرسي: يعني المدينة، وهي دار الهجرة، تبوأها

الأنصار قبل المهاجرين، وتقدير الآية: والذين تبوأوا

الدار من قبلهم والايمان، لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل

المهاجرين.

وعطف (الايمان) على (الدار) في الظاهر لافي المعنى،

لأن (الايمان) ليس بمكان يتبوأ، والتقدير: وآثروا

الايمان. (٢٦١: ٥)

الفخر الرازي: والمراد من (الدار): المدينة، وهي

دار الهجرة تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، وتقدير

الآية: والذين تبوأوا المدينة والايمان من قبلهم.

فإن قيل: في الآية سؤالان: أحدهما: أنه لا يقال:

تبوأ الايمان، والثاني: تبوأوا يتقدير أن يقال ذلك، لكن

الأنصار ما تبوأوا الايمان قبل المهاجرين.

والجواب عن الأول من وجوه:

أحدها: تبوأوا الدار وأخلصوا الايمان. [ثم استشهد

بشعر]

وثانيها: جعلوا الايمان مستقرا ووطنا لهم، لتمكنهم

منه واستقامتهم عليه، كما أنهم لما سألوا سلمان عن نبيه

فقال: أنا ابن الإسلام.

وثالثها: أنه سمي المدينة بـ (الايمان) لأن فيها ظهر

الايمان وقوي.

والجواب عن السؤال الثاني من وجهين:

الأول: أن الكلام على التقديم والتأخير، والتقدير:

والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان.

والثاني: أنه على تقدير حذف المضاف، والتقدير:

تبوأوا الدار والايمان من قبل هجرتهم. (٢٨٧: ٢٩)

القرطبي: لا خلاف أن الذين تبوأوا الدار هم

الأنصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين إليها.

(والايمن) نصب بفعل غير تبوأ، لأن التبؤ إنما يكون في

الأماكن، (ومن قبلهم)، (من) صلة تبؤ.

والمعنى والذين تبوأوا الدار من قبل المهاجرين

واعتقدوا الإيمان وأخلصوه، لأنَّ الإيمان ليس بكان
يتبوءاً، كقوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيهِمْ آمُرُكُمْ وَتُكَفِّرُكُمْ﴾
يونس: ٧٦، أي وادعوا شركاءكم، ذكره أبو علي،
والزُّخْرِيُّ وغيرهما، ويكون من باب قوله:

﴿حلفتها نيتاً وماءً بارداً﴾

ويجوز حمله على حذف المضاف، كأنه قال: تبوأوا
الدَّارَ ومواضع الإيمان.

ويجوز حمله على ما دلَّ عليه (تبوءاً)، كأنه قال: لزموا
الدَّارَ ولزموا الإيمان فلم يفارقوهما.

ويجوز أن يكون تبوء الإيمان على طريق المثل، كما
تقول «تبوءاً من بني فلان الضَّميم» والشُّبُورُ: التَّشَكُّنُ
والاستقرار، وليس يريد أن الانتصار آمنوا قبل
المهاجرين، بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم.

(١٨: ٢٠)

نحوه أبو الشَّوَرْد.

أبو حَتَّان: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا...﴾ مطوف على
المهاجرين وهم الأنصار، فيكون قد وقع بينهم
الاشتراك فيما يُقسم من الأموال.

وقيل: هو مستأنف مرفوع بالابتداء، والخبر
(يُحْيُونَ)، أنَّى الله تعالى بهذه الخصال الجليلة، كما أنَّى
على المهاجرين بقوله: ﴿يَسْتَبْقُونَ فَضْلاً﴾ المشر: ٨،
و(الآيتان) مطوف على (الدَّار) وهي المدينة.

والإيمان ليس مكاناً فيتبوءاً، فقيل: هو من عطف
الجمعل، أي واعتقدوا الإيمان وأخلصوا فيه، قاله
أبو علي، فيكون كقوله:

﴿حلفتها نيتاً وماءً بارداً﴾

أو يكون ضَمَنَ (تبوءوا) معنى لزموا، والَّزُومُ قدر
مشارك في الدَّارَ والإيمان، فيصح العطف.

أو لما كان الإيمان قد شملهم، صار كالمكان الذي
يقيمون فيه، لكن يكون ذلك جمعاً بين الحقيقة والجاز،
[ثم ذكر قول الزُّخْرِيِّ، وابن عَطِيَّةَ المتقدمين]

(٢٤٧: ٨)

الشَّريبي: أي جعلوا بغاية جهدهم (الدَّارَ) أي
الكاملة في الدَّورَ التي جعلها الله تعالى في الأزل للهجرة،
وهيَّأها للتَّصَرُّفِ، وجعلها محلَّ إقامتهم، وفي قوله تعالى:

(وَالْإِيمَانُ) أوجه:

أحدها: أنه ضَمَنَ (تبوءوا) معنى لزموا، فيصح
عطف (الإيمان) عليه، إذ الإيمان لا يتبوء.
ثانيها: أنه منصوب بمقدَّر، أي واعتقدوا أو ألقوا أو
وأحبوا أو أخلصوا. [ثم استشهد بشر]

ثالثها: أنه يتجوز في الإيمان، فيجعل لاختلاطه بهم
ونياتهم عليه كالمكان المحيط بهم، فكأنهم نزله، وعلى
هذا فيكون جمع بين الحقيقة والجاز في كلمة واحدة،
وفيه خلاف مشهور.

رابعها: أن يكون الأصل: دار الهجرة ودار الإيمان،
فأقام لام التَّحْرِيفِ في (الدَّارَ) مقام المضاف إليه، وحذف
المضاف من دار الإيمان، ووضع المضاف إليه مقامه.

خامسها: أن يكون سَمِيَّ المدينة به، لأنَّها دار
الهجرة ومكان ظهور الإيمان، قال هذين الوجهين
الزُّخْرِيُّ، وليس فيه إلَّا قيام «أل» مقام المضاف إليه،
وهو محلَّ خلاف، وهو أن «أل» هل تقوم مقام

الضمير المضاف إليه؟

فالكوفيتون يجوزونه، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَسَنَةَ مِنَّ الشَّأْوَى﴾ التازعات: ٤٦، أي مأواه، والبصريون يمنونه، ويقولون: الضمير محذوف، أي المأوى له. وأما كونها عوضاً عن «المضاف إليه» فقال ابن عادل: لا يعرف فيه خلافاً.

سادسها: أنه منصوب على المفعول معه، أي مع الإيمان، قال وهب: سمعت مالكا يذكر فضل «المدينة» على غيرها من الآفاق، فقال: إن المدينة تبوّأت بالإيمان والهجرة، وإن غيرها من القرى افتضحت بالسيف، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ (٢٤٦: ٤).

البروسوي: وأصل «البواء» مأواه الأجزاء في المكان، خلاف «الثبوء» الذي هو مناهة الأجزاء، يقال: مكان بواء، إذا لم يكن نايلاً بنازله، وببوّأت له مكاناً سويت. وروي أنه عليه السلام كان يتبوأ لبو له قبل يتبوأ لمغزله، ويتبوأ لمغزله: اتخذاه مغزلاً والسكن والاستقرار فيه، فالتبوّأ فيه لابد أن يكون من قبيل المنازل والأمكنة.

والدّار هي المدينة وتسمى قديماً يرب، وحديثاً طيبة، وطابة كذلك، بخلاف (الآيمان) فإنه ليس من هذا القبيل، فعلى تبوّتهم الدّار والإيمان: أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة، ولتكنوا فيها أشدّ تمكّن، على تنزيل الحال مغزلة المكان.

وقيل: ضمن التبوّ معنى اللزوم. وقيل: تبوّأوا الدّار وأخلصوا الإيمان أو قبلوه أو آثروه، كقول من قال:

• علفتها نيتاً وماءً بارداً •

أي وسقيتها ماءً بارداً، فاختصر الكلام، وقيل غير ذلك.

يقول الفقير: لعل أصل الكلام: وألذين تبوّأوا دار الإيمان، فإن «المدينة» يقال لها: دار الإيمان، لكونها مظهره ومأوى أصله، كما يقال لها: دار الهجرة، وإنما عدل إلى ما ذكر من صورة العطف تنصيصاً على إيمانهم إذ مجرد التبوّ لا يكفي في المدح. (٤٢٢: ٩)

الآلوسي: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا...﴾ الأكثرون على أنه مطوف على المهاجرين، والمراد بهم الأنصار، والتبوّ: النزول في المكان، ومنه المباءة للمغزل، ونسبته إلى (الدّار) والمراد بها «المدينة» ظاهراً.

وأما نسبه إلى (الآيمان) فباعتبار جعله مستقراً ومتوطناً على سبيل الاستعارة المكنية التخيلية، والتعريف في (الدّار) للتبويد، كأنها الدّار التي تستحق أن تسقى داراً، وهي التي أعدها الله تعالى لهم ليكون تبوّؤهم إياها مدسماً لهم.

وقال غير واحد: الكلام من باب:

• علفتها نيتاً وماءً بارداً •

أي تبوّأوا الدّار وأخلصوا الإيمان. وقيل: التبوّ مجاز مرسل عن اللزوم، وهو لازم سناه، فكأنه قيل: لزمو الدّار والإيمان.

وقيل: في توجيه ذلك أن «أل» في (الدّار) للسند، والمراد: دار الهجرة، وهي تغني غناء الإضافة. وفي (والآيمان) حذف مضاف، أي ودار الإيمان، فكأنه قيل: تبوّأوا دار الهجرة ودار الإيمان.

على أن المراد بالدارين «المدينة»، والعطف كما في قولك: رأيت التيث والثليت، وأنت تريد زيداً، ولا يعنى مافيه من التكلف والتعسف.

وقيل: إنَّ (الْإِيْمَان) مجاز عن المدينة، حتى يحل ظهور الشيء باسمه مبالغةً، وهو كما ترى.

وقيل: الواء للمعية، والمراد: تَبَوَّأُوا الدَّارَ مع إيمانهم، أي تَبَوَّأُوها مؤمنين، وهو أيضًا ليس بشيء، وأحسن الأوجه ما ذكرناه أولاً.

وذكر بعضهم أنَّ (الدَّارَ) علَمٌ بالغلبة على المدينة كالمدينة، وأنه أحد أسماء لها منها طيبة، وطابة، ويثرب، وجابرة، إلى غير ذلك. (٢٨: ٥١)

عَزَّةٌ دَوْرَوَزَة: المجهور على أنَّ الجملة كناية عن الأنصار، و(الدَّار) هي دار الهجرة، أي المدينة حيث كانوا مقيمين فيها، وقد آتوا قبل قدوم المهاجرين.

(٨: ٢١٦)

الطَّبَاطِبَاتِي: قيل: إنه استئناف مسوق للمخ الأنصار لتطيب بذلك قلوبهم؛ إذ لم يشرَكوا في (الْإِيْمَانِ) ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا﴾ والمراد بهم: الأنصار، مبتدأ خبره (يُحْيُونَ) الخ، والمراد بتَبَوَّأُوا الدَّارَ وهو تعميرها بناءً مجتمع ديني يأوي إليه المؤمنون على طريق الكناية، (وَالْإِيْمَانِ) مطوف على (الدَّارِ) وتَبَوَّأُوا الْإِيْمَانِ وتعميره: رفع نواقصه من حيث العمل، بحيث يستطيع العمل بما يدعو إليه من الطاعات والقربات، من غير حرج ومنع، كما كان بمكة.

واحتمل أن يحذف (الْإِيْمَان) على (تَبَوَّأُوا) وقد حذف الفعل العامل فيه، والتقدير: وآثروا الإيمان.

وقيل: إنَّ قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا﴾ مطوف على قوله: (الْمُهَاجِرِينَ) وعلى هذا يشارك الأنصار المهاجرين في الشيء.

والإشكال عليه بأنَّ المرويَّ أنَّ الشيء تَبَوَّأُوا قسمه بين المهاجرين، ولم يُعط الأنصار منه شيئاً إلا ثلاثة من فقراتهم، مدفوع بأنَّ الرواية من شواهد العطف دون الاستئناف، إذ لو لم يميز إعطاؤه للأنصار لم يميز لا الثلاثة ولا الواحد، فإعطاه بعضهم منه دليل على مشاركتهم لهم، غير أنَّ الأمر لما كان راجعاً إلى الشيء تَبَوَّأُوا كان له أن يصرفه كيف يشاء، فرجح أن يقسمه بينهم على تلك الرواية. (١٩: ٢٠٥)

مكارم الشيرازي: والنقطة الجديرة بالذكر هنا أن (تَبَوَّأُوا) من مادة «بواء» على وزن «دواء» وهي في الأصل بمعنى: تساوي أجزاء المكان، وبعبارة أخرى يقال: «بواء» لترتيب وتسوية مكان ما.

هذا التعبير كناية لطيفة هذا المعنى، وهو أنَّ طائفة الأنصار - أهل المدينة - قد هيأوا الأرضية المناسبة للهجرة، وكما يخبرنا التاريخ، فإنَّ الأنصار قدموا مرتين للقبلة - وهي موضع مرتفع قرب مكة - وبايعوا رسول الله متكررين، ورجعوا إلى المدينة مبغضين، ومعهم مصعب ابن عمير ليعلمهم أمور دينهم، وليهيئ الأرضية المناسبة لهجرة الرسول ﷺ.

وبناءً على هذا فإنَّ الأنصار لم يَبَوَّأُوا بيوتهم كمظهر معبر لاستقبال المهاجرين، بل إنهم فتحوا قلوبهم وضمهم وأجواء مجتمعهم قدر المستطاع للتكثيف في التعامل، مع وضع الهجرة المرتقب.

والتعبير (بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) يوضح لنا أنَّ كلَّ تلك الأمور كانت قبل هجرة مسلمي مكة، وهذا أمر مهم. [ثم ذكر نحو ما تقدم عن الطَّبَاطِبَاتِي فلاحظ] (١٨: ١٨١)

منزل: أنزله.

(٣٨٨: ١)

يَتَّبِعُوا

تَبَّيَّنُوا

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ

يَشَاءُ ...

يوسف: ٥٦

عبد الرحمن بن زيد: يصنع في الدنيا ما يشاء،

لتفويض الأمر إليه. (الماوردي ٢: ٥٣)

سعيد بن جبشير: يتخذ من أرض مصر منزلاً

حيث يشاء. (الماوردي ٢: ٥٣)

الرُّمَحْشَرِيُّ: قرئ بالتون والياء، أي كل مكان

أراد أن يتخذ منزلاً ومُتَبَّعاً له يمنع منه، لاستيلائه على

جميعها، ودخوله تحت ملكته وسلطانه. (٢: ٢٢٩)

الطُّبْرَسِيُّ: وقوله: (يَتَّبِعُوا) في موضع نصب على

المحال، تقديره: مكَّنا مُتَبَّعاً حيث يشاء، أي يتصرف

فيها حيث يشاء، وينزل منها حيث يشاء. (٣: ٢٤١)

نحوه الفخر الرازي. (١٨: ١٦٣)

النَّيْسَابُورِيُّ: والمراد بيان استقلاله بالتقلب

والتصرف فيها؛ بحيث لا ينازعه أحد. (١٣: ٢٠)

الْبَزْزُوسِيُّ: أي ينزل من بلادها حيث يشاء،

ويتخذ مباءة منزلاً، وهو عبارة عن كمال قدرته على

التصرف فيها ودخولها تحت سلطانه، فكأنها منزله.

يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله. (٤: ٢٨٣)

نحوه القاسمي. (٩: ٣٥٦٠)

الْأَلُوسِيُّ: ينزل من قطعها وبلادها (حَيْثُ يَشَاءُ).

(١٣: ٦)

حسنيين محمد مخلوف: يتخذ من أرض مصر

منزلاً وموطناً ينزله حيث يشاء، يقال: بَوَّأَ منزلاً، وفي

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَيَّنُوا لقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ

يَبُوتًا ... يونس: ٨٧

الطُّبْرَسِيُّ: وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا

لقومكما بمصر بيوتاً، يقال منه: تَبَّيَّنَ فلان لنفسه بيتاً، إذا

اتَّخَذَهُ، وكذلك تَبَّيَّنَ مُصْحَفًا، إذا اتَّخَذَهُ، وبَوَّأَهُ أَنَا بَيْتًا،

إذا اتَّخَذْتَهُ لَهُ. (١١: ١٥٣)

نحوه البغوي (٢: ٤٣١)، والمخازن (٣: ١٦٦)

الفارسي: «تَبَّيَّنَ» فعل يتعدى إلى مفعولين، واللام

في قوله: (لِقَوْمِكُمْ) كالتي في قوله: «رَدِّفْ لَكُمْ»

التَّمْلِ: ٧٢، ويقوي ذلك قوله: «وَأَذِ بَوَّأَنَا لِإِبْرَاهِيمَ

الْمَطَاوِعَ، كَمَا دَخَلَتْ كَمَلِ الْمَطَاوِعَ فِي قَوْلِهِ: «تَبَّيَّنُوا

لِقَوْمِكُمْ».

(الطُّبْرَسِيُّ ٣: ١٢٩)

الماوردي: يعني تخيراً واتَّخَذَ لهم بيوتاً يسكنونها.

[ثم استشهد بشعر] (٢: ٤٤٧)

الرُّمَحْشَرِيُّ: تَبَّيَّنَ المكان: اتَّخَذَهُ مباءة، كقولك:

تَوَطَّنَ، إذا اتَّخَذَهُ وَطْناً، والمعنى اجعلوا بمصر بيوتاً من

بيوته مباءة لقومكما، ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة

والصلاة فيه. (٢: ٢٤٩)

نحوه الطُّبْرَسِيُّ. (٣: ١٢٩)

ومثله الفخر الرازي (١٧: ١٤٧)، والنسفي (٢: ١٧٣).

ونحوه النيسابوري (١١: ١١٠)، والبزوسوي (٤: ٧٢).

ابن عطية: (تَبَّيَّنَ) معناه تخيراً واتَّخَذَ، وهي لفظة

وماءة، أي مسكنًا ثابتًا وملجأً يؤول إليه، أي يرجع كلها
فارقته لحاجة، ويؤولها غيره.

وقوله: (أَنْ تَبُوءَ) تفسير لـ (أَوْحَيْنَا) لأنه بمعنى قلنا
لها: اتخذ قومك بيوتًا في مصر، تكون مساكن
وملاجئ يؤولون إليها، ويعتصمون بها. (١١: ٤٧١)
نحو المراعى. (١١: ١٤٤-١٤٦)

عزّة دُرُورَة: (تَبُوءُ) حيا واختارًا. (٤: ٤٤)
حسّين معتمد مخلوف: أي اتخذاهم مباءة،
أي بيوتًا بمصر يسكنون فيها. يقال: بُوأت له مكانًا:
سوّيته وحيّأت له، وتبوء المكان: اتخذ مباءة، ومنه:

﴿تَبُوءُ الْخَوَاصُّ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ...﴾ آل عمران:
(١: ٣٥٤)

تَبُوءُ

... وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ...

الزمر: ٧٤

الشّدّي: نزل منها حيث نشاء (الطبري ٢٤: ٣٧)
مثله ابن قُتَيْبَة. (٣٨٤)

الطبري: نتخذ من الجنة بيتًا ونسكن منها، حيث
نحب ونشئ. (٣٧: ٢٤)

نحو الهروي (١: ٢١٦)، وابن عطية (٤: ٥٤٣)،
وأبو حيان (٧: ٤٤٣).

العاوردي: يعني منازلهم التي جُوزوا بها، لأنهم
معروفون عن إرادة غيرها. (٥: ١٢٨)

الطوسي: معناه نتخذ مُتبوءًا، أي مأوى حيث

مستعملة في الأماكن وما يشبه بها. [ثم استشهد بأشعار]
وقرأ الناس: (تَبُوءُ) بهزة على تقدير: تبوعا، وقرأ
حفص في رواية هبيرة: (تَبُوءُ) وهذا سهيل ليس
بقياسي، ولو جرى على القياس لكان بين الهزة
والألف. (٣: ١٣٨)

القرطبي: أي اتخذنا. ﴿لِقَوْمِكُنَا بِبُيُوتِنَا﴾
يقال: بُوأت زيدًا مكانًا، وبُوأت لزيد مكانًا. (٨: ٣٧١)
أبو حيان: و(تَبُوءُ): اتخذ مباءة، أي مرجئًا للعبادة
والصلاة، كما تقول: توطن: اتخذ موطنًا. [ثم ذكر نحو ابن
عطية] (٥: ١٨٥)

الآلوسي: والتبوء: اتخاذ المباءة، أي المنزل،
كالوطن: اتخاذ الوطن، والجمهور على تحقيق المهمة،
ومنهم من قرأ (تَبُوءُ) لِقَوْمِكُنَا بِبُيُوتِنَا فجعلها زياء،
وهي مبدلة من الهزة تخفيفًا.

والفعل - على ما قيل - مما يتعدى لواحد، فيقال:
تبوء زيد كذا. لكن إذا أدخلت اللام على الفاعل، فقيل:
تبوء لزيد كذا، تعدى لما كان فاعلاً باللام فيتعدى
لاتنين، وخرجت الآية على ذلك. فلِقَوْمِكُنَا أحد
المفعولين. وقيل: هو متعد لواحد، و(لِقَوْمِكُنَا) متعلق
بمحذوف وقع حالاً من «البيوت»، واللام على الوجهين
غير زائدة.

وقال أبو علي: هو متعد بنفسه لاتنين، واللام زائدة،
كما في (رَدِفَ لَكُمْ)، و«فُعِلَ» و«تَفَعَّلَ» قد يكونان بمعنى،
مثل علقتها وتعلقتها، والتقدير: بوء قومك بيوتًا
يسكنون فيها، أو يرجعون إليها للعبادة. (١١: ١٧١)
رشيد رضا: يقال: تبوء الدار: اتخذها مَبُوءًا

نشأه. وأصله: الرجوع، من قولهم: باء بكذا، أي رجع به. (٥٠: ٩)

نحوه الطبرسي. (٥١١: ٤)
الآلوسي: أي يتبوأ متاً في أي مكان أراد من جنته الواسعة، لأن كلّاً منهم يتبوأ في أي مكان من مطلق الجنة، أو من جئات غيره المحيطة لذلك الغير، فلا يقال: إنّه يلزم جواز تبوأ الجميع في مكان واحد وحدة حقيقة، وهو محال، أو أن يأخذ أحدهم جنة غيره، وهو غير مراد.

وقيل: الكلام على ظاهره، ولكلّ منهم أن يتبوأ في أي مكان شاء من مطلق الجنة ومن جئات غيره، إلا أنه لا يشاء غير مكانه، لسلامة نفسه وعصمة الله تعالى له عن تلك المشيئة. (٤٤: ٣٥)
المراغني: أي وجعلنا تصدّرف في أرض الجنة تصدّرف الوارث فيما يرث، فتخذ منها مباءة ومسكناً حيث شئت. (٢٤: ٣٩)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الباء، أي منزل القوم حين يتبوأون في قبيل وادٍ أو سدّ جبل، ثم أطلق على كلّ منزل ينزله القوم، يقال: تبوأوا منزلاً، أي اتخذوه لهم منزلاً، وأبأت القوم منزلاً وبوأتهم: اتخذته لهم، وبوأته لهم: هيأته لهم، وأبأت بالمكان: أقمت به.

والمباءة: منزل القوم أيضاً، وهو إمّا مصدر ميمي، مثل: الجماعة، أو اسم مكان مثل: الناحية، يقال: استبأه المكان، أي اتخذاه مباءة.

والمباءة: مَطْنُ القوم للإبل حيث تتناخ في الموارد، وبيتها في الجبل، وكذا منزل الغنم أيضاً، وفي الحديث: «قال له رجل: أصلي في مباءة الغنم؟ قال: نعم». ويقال أيضاً: أبأت الإبل فأبأ أبوها إساءة، أي رددتها إلى المباءة، وهو المراح الذي تبيت فيه. وأبأت على فلان ماله: أرحمت عليه إيلاه وغنته، وأبأت على بني فلان مالاً: أعطيتهم إياه وسقته إليهم.

والمباءة: كناس التور الوحشي، وبيت النحل في الجبل، وتبوأ الولد من الرّحم، ومرجع الماء إلى بطن البئر، وموضع وقوف سائق الثانية عند البئر.

والبيئة: اسم مصدر مثل: الحيرة، من قولهم: تبوأَت منزلاً، فهو كالمباءة، أي الموضع الذي يتبوأ فيه. أو البيعة: مثل: البيعة، من: باء بيوة بيعة، أي رجع إلى أهله، يقال: فلان حسن البيعة، وباء بيعة سوء، أي بحال سوء.

والبواء: مصدر باء فلان بذنيه بيوة بيوة وبواء، أي احتمله كرهاً لا يستطيع دفعه عن نفسه، وكأنّ المذنب صار مأوى الذنب ومنزله. وباء فلان بدم فلان: أقربه على نفسه واحتمله طوعاً حلاً بوجوبه، وباء الرجل بصاحبه: قُتِلَ به، ومنه المثل: «باءت حرار بكحل»، وحما بقرتان قُتِلَت إحداها بالأخرى.

ثم استعمل «البواء» اسماً للمفرد والمثنى والجمع، بمعنى الكف والتظليل؛ إذ هو مأوى طالب العدل ومظنته، يقال: هم في هذا الأمر بواء، أي أكفاء ونظراء، وقسم المال على بواء: على سواء، وكلمناهم فأجابونا عن بواء واحد، أي أجابونا جواباً واحداً، ومنه حديث الإمام

جعفر الصادق عليه السلام قيل له: ما بال العرب متناظرة على بني آدم؟ فقال: «تريد البواء»، أي تؤذي كما تؤذي.

ويقال أيضًا: إن فلانًا لبواء بفلان، أي إن قتل به كان كفارة، ومنه قول المهلهل بن ربيعة لابن الحرث بن عباد حين قتله: «بؤ بشيخ نعلني كليب»، أمر من باء يبرء، أي كن كفارة لشع نعليه.

٢- والباء: عقد التزويج، وأصله: البيت والمنزل، لأن من تزوج امرأة بواها منزلاً، ثم أطلق على النكاح نفسه، يقال: فلانٌ حريصٌ على الباء، أي على النكاح، وهو طيب الباء: عفيف الفرج، واستباعد الأسى؛ طلبت الباءة، وفي الحديث: «عليكم بالباءة»، أي النكاح والتزويج.

الاستعمال القرآني

جاءت (١٦) مرة: فعلاً مجرداً (٦) مرّات، وجرّداً من باب التضمين (٦) مرّات أيضاً، ومن باب التثنية (٤) مرّات، واسم مكان: مَبُوءاً، مرة واحدة. باء:

١- ﴿أَفَسِرَ الْبَيْعَ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعْنَى بَاءَ يَسْخَطُ مِنَ اللَّهِ وَعَارِيَةُ جَهَنَّمَ وَيَشْتِى الصَّبْرَ﴾ آل عمران: ١٦٢

٢- ﴿وَمَنْ يُولَمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مَسْعَوْفًا لِلْإِنْتَالِ أَوْ مَتَّبِعِينَ إِلَىٰ فِتْنَةٍ لَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَعَارِيَةُ جَهَنَّمَ وَيَشْتِى الصَّبْرَ﴾ الأنفال: ١٦

٣- ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِخَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَقْتُلُونَ﴾ البقرة: ٦١

٤- ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَابَعُوا إِلَّا بِمِثْلِ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِخَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَقْتُلُونَ﴾ آل عمران: ١١٢

٥- ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَلَيَّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ البقرة: ٩٠

٦- ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ مَبُوءًا بِإِغْوَىٰ ذَاتِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَغْوَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: ٢٩

٧- ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ تَحْتِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَفْعَلُونَ مِنْ سُوءِهَا عُصُورًا وَتَنْجُسُونَ الْجِبَالَ مِثْوًى فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَتْلُوا فِي الْأَرْضِ غُثًى وَرُحًى﴾ الأعراف: ٧٤

٨- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يُخَيِّسُ لِمَنْ يَشَاءُ لَئِنْ لَمْ يَدْعُوا إِلَىٰ نَافِئَةٍ لَيْسَ بِكَ لَهُمْ يَحْشُرُونَ﴾ يونس: ٩٢

٩- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الحج: ٢٦

١٠- ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران: ١٢١

ثانيًا: في القسم الأول بحوث:

١- جاءت (١) مقابلة على سبيل الصوم بين من أتبع رضوان الله، ومن بآء بسخط من الله، ليتضح الموقفان ويتميز الفريقان. قال الفريق الأول رضوان الله ونعم المصير، ومآل الفريق الثاني جهنم وبئس المصير، وفيها إجماع التناسب بين الاتباع والرجوع، على سبيل التقابل بينها، كأنه قال: منهم من أتبع رضوان الله، ومنهم من لم يتبعه فبآء بغضب من الله، والتقابل بين فريقين الحق والباطل سنة متبعة في القرآن، تركيزًا في الوبن البعيد بينها، وبلاغًا في التشير والإنذار.

٢- وجاءت خاصة بن يولي الأبر خلال الحرب، قائمه حين أدير قد بآء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير. إلا من أدير وهو متحرف لقتال أو متحيز إلى فئة، فلا تشمل هذه العقوبة ولا يناله الغضب. فالفرار عن المعركة من أظهر مصاديق البوء بغضب من الله. وفيها إجماع التناسب بين الإدهار من المعركة - وهو الرجوع منها - وبين الرجوع إلى غضب الله، أي أنه حين أدير منها أقبل إلى غضب الله، وحينما رجع منها رجع إلى غضب الله.

٣- وقد جاء في (١): «بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ»، وفي الباقي: «بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» بسياق واحد، وهو تنكير «سخط» و«غضب» صادرين عن الله تكبيرًا لها، والفرق بينهما على قول أبي هلال: «أن الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير»، وهو المراد بهما في الآيتين.

١١- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنُؤِثَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
التحل: ٤١

١٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤِثَّهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ الْعَظِيمِ﴾
المنكوت: ٥٨

١٣- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
يونس: ٨٧

١٤- ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ بَنِيوَاتٍ مِمَّا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُنْصِيبُ أَجْرَ الْمُخْسِرِينَ﴾
يوسف: ٥٦

١٥- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَجْعَلُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
الحشر: ٩

١٦- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَهْمُ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾
الزمر: ٧٤

يلاحظ أولاً: أن الآيات حسب المعنى الذي أريد بها من مادة «ب وء» قسمان: قسم أريد بها الرجوع إلى الشر أو تحمله أو استحقاقه قصاصاً وعلى سواء - والفعل فيها مجرد - وهي الست الأولى. وقسم أريد بها الإسكان والإقامة في مكان - والفعل فيها مزيد من بابين - وهي باقي الآيات.

١- وجاءت (٣) و (٤) و (٥) ضمًا لبني إسرائيل مع فروق بينها.

منها: الجمع بين الذلّة والمسكنة وغضب الله في (٣) و (٤) دون (٥) حيث خضت بغضب الله، كما يأتي.

ومنها: الجمع بين الذلّة والمسكنة في (٣) مقدمًا على ﴿وَبَنَآؤُ يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ والفصل بينهما في (٤) حيث قدمت فيها ﴿وَضُرْبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾ على ﴿وَبَنَآؤُ يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ وأخرت منها: ﴿وَضُرْبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ مع تكرار (ضُرِبَتْ) تقديمًا لعذاب الدنيا على الآخرة في (٣) وتوسيطًا في (٤) بين شطري عذاب الدنيا وهما الذلّة والمسكنة - عذاب الآخرة، وهو غضب الله - ربطًا واستيعاقًا بين العذابين، وتذكيرًا بأنّ الذلّة والمسكنة من مظاهر غضب الله عليهم في الدنيا، ولأرباب أن سياق (٤) أكد خصوصًا مع تكرار ﴿يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ فيها.

ومنها: إضافة ﴿أَيْنَ مَا تُفْعَلُوا إِلَّا يَحْكُمِ مِنْ اللَّهِ وَحَكْمُهُ مِنَ النَّاسِ﴾ في (٤) وعدًا بالرحمة لمن آمن منهم واهتدى، وهذا أيضًا تسجيل للبشارة فيها، لاحظ (ت في ف) و (ح ب ل).

ومنها: التفاوت بينها ذيلًا في كلمتين مع اشتراكهما في عذّ الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء جرثأ لهم ففي (٣) ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وفي (٤) ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فالفرق بينهما في (الأنبياء) و (النبيين) وفي (الحق) و (حق) فما هو الوجه فيها؟

نقول: - والله أعلم - أن ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أشدّ وأكدر من ﴿النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مساوغة لما قلنا إن سياق

(٤) أكد، وذلك لأنّ (الأنبياء) جمع كثرة، و (النبيين) جمع كثرة، و (النبيين) جمع قلّة خلافاً للآلوسيّ (١): (٢٧٦) وأبي حيان (١: ٢٣٧) حيث خصا الفرق بينهما بذلك بالكثرة وسأوا بينهما إذا كانا معرفة كما هنا.

وأيضًا (يَغْيِرُ حَقٌّ) أي: حق ولو كان قليلًا فتنبى الحق إطلاقًا، أنا (يَغْيِرُ الْحَقُّ) تعني الحق المجهود، ولو كانت (أل) للجنس فلا تبلغ أيضًا ما تنبئه الكثرة من التأكيد والإطلاق.

٥- وجاءت (٦) مقابلة بين إثمى إثمى آدم، فيتحتل القاتل إثمه وإثم المقتول كليهما، فيكون من أصحاب النار، أي يلازمه عذاب النار، لا ينفك عنه، كما لزمه إثم القتل للظلم.

ومنها أن سياقها يختلف عن سياق (٥)، فإنه أشدّ ونفسي فهو من حيث بدأت بـ ﴿يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ واستكملت بـ ﴿يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ أن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ واختتمت بـ ﴿وَبَنَآؤُ يَغْضَبُ مِنْ اللَّهِ﴾ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ فتكرّر «غضب» من دون «من الله» تخفيفًا له، فالكفر بآيات الله يجلب غضبًا من الله، والبغي أن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يجلب غضبًا آخر منه، ثم يتجهها عذاب مهين، وليس مطلق العذاب، هذا مع السكوت فيها عن عذاب الدنيا أي الذلّة والمسكنة رمزًا إلى أنها ليسا بشيء، يذكر إزاء عذاب الآخرة، وغضب الله فيها.

ثالثًا: في القسم الثاني جاء الفعل متعديًا من باب «التكميل» أو من «التفعل»، وأريد به الإسكان وتهيبه

المكان، وفي (٧) يؤا الله قوم ثمود في الأرض يتخذون من سهولها قصورًا، وينحتون الجبال بيوتًا.

وفي (٨) يؤا الله بني إسرائيل موبًا صدق، ورزقهم من الطيات.

وفي (٩) يؤا الله لإبراهيم مكان البيت، ونهاء عن الشرك بالله، وأمره بتطهير البيت للطائفين...

وفي (١٣) أوحى الله إلى موسى وأخيه أن يُبَوِّا لقومها بمصر بيوتًا يجعلونها قبلة، ليقموا الصلاة.

وفي (١٤) مكَّن الله ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

وفي (١٥) يؤا الأنصار الدار والإيمان للمهاجرين، يجتنبونهم ويؤثرونهم على أنفسهم.

وفي (١٠) بيوأ النبي المؤمنين مقاعد للقتال في غزوة أحد.

وفي (١١) بيوأ الله المهاجرين في الدنيا حسنة، وأجر الآخرة أكبر لهم.

وفي (١٢) يؤا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الجنة فرقًا تجري من تحتها الأنهار...

وفي (١٦) يحدد المؤمنون الله الذي صدقهم وعده، وأورثهم أرض الجنة يتبوأوا منها حيث شاءوا.

رابعًا: قد استعمل القرآن الفعل «بَاء» مجزوءًا في الشر، ومزيدًا من بابي «التفعل» و«التفعل» في الخير دائمًا، ولاندري هل هذا من عطاء القرآن، أو له أصل في اللغة؟ وعلى كلٍّ، فعلينا أن نتأقّى بالقرآن، ونحفظ هذه المزية لهذه المادة.

ولعل في بابي «التفعل» و«التفعل» هنا شيء من

المبالغة والضمود، ولاسيما فيما يكون الفاعل هو الله، وأولى منه ما عبّر الله عن نفسه بلفظ «الجمع» تظليحًا وإكبارًا للعمل في (٨) و(٩) و(١١) و(١٢).

خامسًا: الفاعل في القسم الثاني هو الله في (٧) إلى (٩) و(١١) و(١٢)، أو نبي من الأنبياء في (١٣) و(١٤)، أو أنصار النبي في (١٢)، أو أهل الجنة في (١٦). وهذه المزية أخرى لهذه المادة في القرائن، في حين أن الفاعل في القسم الأول هو الإنسان الكافر في (١) إلى (٥)، أو الأثم في (٦).

سادسًا: جاء الفعل من باب «التفعل» إذا نسب إلى الله، كما سبق، أو إلى النبي ﷺ في (١٠)، فشاركه في ذلك تكميلًا له. ومن باب «التفعل» إذا نسب إلى غيرها في (١١) إلى (١٣)، وكلاهما مستعد: «التفعل» إلى «مفعول» و«التفعل» إلى مفعول واحد.

سابعًا: يبدو أن المراد ببعضها إعداد المكان واتخاذها موبًا، كما في (٩) و(١٣) و(١٥)، وفي بعضها الإسكان والتخليد، كما في (٧) و(٨) و(١١) و(١٢) و(١٤) و(١٦)، فلاحظ.

ثامنًا: هناك وحدة تعبير في شأن يوسف لما صار عزيز مصر، حيث قال في (١٤): ﴿عَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾. وفي شأن أهل الجنة لما استقروا فيها، حيث قال في (١٦): ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَكَبَّوْهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ يَشَاءُ﴾، مما يدل على إسباغ النعمة وتوسيع العيش.

تاسعًا: اختلفوا اختلافًا فاحشًا في (١٢) ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ حيث عطف (الإيمان) على

(الدَّارِ) ولا معنى لتبوء الإيمان فالإيمان ليس مكاناً كالدار فقالوا: أي جعلوا ديارهم موضع مقامهم وآمنوا بالله من قبلهم، أو توطنوا المدينة واتخذوها دار الهجرة والإيمان، أو لزموها المدينة وقبلوا الإيمان وآثروها، أو لزموها المدينة ومواضع الإيمان، أو تبوء الدار وأخلصوا الإيمان، أي جعلوا الإيمان مستقرًا ومتوطنًا لهم لتكنهم منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك، أو أريد دار الهجرة ودار الإيمان فأقيم (ال) من (الدار) مقام المضاف إليه، وحذف من دار الإيمان، ووضع المضاف إليه - وهو الإيمان - مقامه أو سمي المدينة (الإيمان) لأنها دار الهجرة دار الإيمان، أو تبوء الدار مع الإيمان، أو واعتقدوا الإيمان وأخلصوه، أو أن تبوء الإيمان على سبيل المثل مثل «تبوء من بني فلان الصميم» - أو ضمت (تبوءوا) معنى «ارموا» أو لما كان الإيمان حد شملهم صار كالمكان الذي يقعون فيه - لكنه استلزم الجمع بين الحقيقة والجاز - أو اتخذوا المدينة والإيمان مباءة، أو أن تبوء الإيمان: تصيره ورفع نواقصه، أو أريد بالإيمان القلوب بعلاقة الحال والعل أي أن الأنصار تبوءوا دارهم وقلوبهم للمهاجرين إلى غيرها. هذا: وقد ألزم كلهم بتقدير شيء أو حذف أو تجوز ونحوها والذي نختاره هو قول الشريف الرضي الأديب البارع - وقد تقدم - وهو أنه استعارة حيث شبه الإيمان بالمكان لأنهم استقروا في الإيمان كاستقرارهم في الأوطان، وقال: إنه من صميم البلاغة ولباب الفصاحة وقد زاد لفظ المستعار هاهنا معنى الكلام رونقًا، ألا ترى كم بين قولنا: «استقروا في الإيمان» وبين قولنا «تبوءوا الإيمان...» وبعض تلك الوجوه يحتمل هذا الوجه أيضًا

ومنها قول البروسوي: إنه استعارة مكنية تخيلية وهناك بحث آخر في قوله: «مِنْ قَبْلِهِمْ» حيث أنكروا إيمان الأنصار قبل المهاجرين فقالوا فيه تقديم وتأخير: أي والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان، أو أريد أن الأنصار آمنوا قبل هجرتهم، لا قبل إيمانهم.

وعاشراً: اختلفوا أيضًا في (أ) «وَبِئْسَ أَهْلُ إِسْرَائِيلَ مُبْتَوِّءٌ صِدْقِي» في أربع:

١- «مُبْتَوِّءٌ» هل هو مصدر مبني، أو اسم مكان وجهان محتملان لا ترجيح لأحدهما.

٢- نصب (مُبْتَوِّءٌ) إما لكونه مفعولًا مطلقًا للفعل أي: «بِئْسَ أَهْلُهُمْ تَبَوُّوا صِدْقِي»، وهذا هو الأرجح بناءً على كونه مصدرًا أو ظرفًا للفعل أي «بِئْسَ أَهْلُهُمْ فِي مَبْتَوِّءِ صِدْقِي» كقولهم: «لَسْتُؤْتِيَهُمْ مِنَ الْجَسَةِ خُرْفًا» العنكبوت: ٥٨. وإليه قول تفسيره بالمنزل والمكان في التصريح أو مفعولًا نائبًا للفعل على الاتباع إن كان مصدرًا هذه وجوه ثلاثة ولكل وجه ولعل الظرفية أوجه فليكون ظير: «إِنَّ الْمُسْتَبِينَ فِي جَنَابٍ وَنَهْرٍ» في مَقْدِرِ صِدْقِي عِنْدَ قَبْلِكَ مُقْتَدِرٍ القمر: ٥٤، ٥٥ «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقِي وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقِي» الإسراء: ٨٠

٣- اختلفوا في معنى (مُبْتَوِّءٌ صِدْقِي): إنه كالصدق في الفضل ظير أخو صدقي أن كفضل الصدق على الكذب، أو تصدق به عليهم، لأن الصدقة والبر من الصدق، صالحًا مرضيًا يصدق فيه ظن قاصده وساكنه وأهله، مكانًا محمودًا، منزلًا كريمًا، موضع خصب وأمن يصدق فيها يدل عليه من جلالة النعمة، فضل وكرامة، مكان صدق الوعد، أضيف إلى الصدق لدلالته على صدق

وعمد الله تعالى لهم به . قال الفخر الرازي : وصف بالصدق لأن عادة العرب أنها إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق ، تقول : رجل صدق ، وقدم صدق وفي القرآن : ﴿مَدْخَلَ صِدْقِي وَمَخْرَجَ صِدْقِي﴾ والسبب فيه أنه إذا كان صالحاً فكل ما يظن فيه من الخير فإنه صدق . لاحظ : (ص د ق).

١- اختلفوا لو أُريد به بلدٌ في أنه مصر أو الأردن ، أو الشام ، أو بيت المقدس أو فارس - وهو بعيد - وحنقوا كونه مصر بأن بني إسرائيل منذ خروجهم من مصر لم يرجعوا إليها ، وقبل رجوع موسى إليها وهذا قوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ الشعراء : ٥٩ .



ب و ب

٧ ألفاظ . ٢٧ مرة : ٢١ مكية ، ٦ مدنية
في ١٧ سورة : ١٢ مكية ، ٥ مدنية

باب ٤ : ٢-٢	أبواب ٨ : ٨	ويكة : اسم . [تم استشهد بشعر]
الباب ٦ : ٣-٣	الأبواب ٢ : ٢	واللهم من موضع يُعرف به بابين . [تم استشهد]
بابا ٢ : ٢	أبوابا ٢ : ٢	
أبوابها ٣ : ٢-١		والبوابة : الفلاة ، وهي المزملة . (٨ : ٤١٥)

بمبويه : بُيِّت له حياه بابا . (ابن سيده ١٠ : ٥٥٧)
أبومالك : يقال : أنا فلان يابية ، أي بأعجوبة .

[تم استشهد بشعر] (الأزهرى ١٥ : ٦١١)
أبو عمرو القسياني : ويوب الرجل ، إذا حمل حمل
الشد . (الأزهرى ١٥ : ٦١٢)
الفرام : باب الرجل ، إذا حفر كوة .

(الصغاني ١ : ٧٢)
أبو عبيد : تَبَوَّأْتُ يَوَائِي ، أي اتخذت يوائيا .

(الأزهرى ١٥ : ٦١١)
ابن الأعرابي : باب : موضع . [تم استشهد بشعر]
والبوئب : موضع يلقاه مصر ، إذا بَرَّقَ البرق من

النصوص اللغوية

الغليل : الباب : معروف ، والفعل منه ، التوبيب .
والبابية في الحدود والحساب ، ونحوه : الفاية .
والبابية : تُقَر من تُنور الزوم .
وباب الأبواب : من تنور الخزر .

والبواب : الحاجب . ولو اشتق منه فعل على «المالعة»
لقليل : بوابة ، بإظهار الواو ، ولا يقلب ياء ، لأنه ليس
بمصدر محض ، إنما هو اسم .

وأهل البصرة في أسواقهم يستنون الساقى الذي
يلوف عليهم بالماء : يثابا .

قِيلَ لَمْ يَكِدْ يُخْلِفُ، [ثم استشهد بشعر]

أَنْ قَالَ:

(ابن سيدة ١٠: ٥٥٧)

ابن السُّكَيْتِ: البَابَةُ، عند العرب: الوجه الذي أُرِيدَهُ وَيَصْلُحُ لِي.

فَإِذَا قَالَ النَّاسُ: مَنْ بَاقِي، فَعَنَاءُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أُرِيدَهُ وَيَصْلُحُ لِي. (الأزهري ١٥: ٦١٢)

الذَّيْثُورِيُّ: البُوبَةُ: عِفَّةٌ كُؤُودٌ عَلَى طَرِيقٍ مَنْ أَتَمَّذَ مِنْ حَاجِّ الْيَمِينِ. (ابن سيدة ١٠: ٥٥٦)

المُبْرَدُ: البُوبَةُ هِيَ الْمَتَسِّعُ مِنَ الْأَرْضِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هِيَ الْمَوَاقِفُ بَيْنَهَا، قَلْبُ الْمَيْمِ بَاءٌ، لِأَنَّهَا مِنَ السَّفَةِ. (١١٧: ١١)

تَغْلَبُ: بَابٌ فَلَانٌ، إِذَا حَقَرَ كُوتَهُ، وَهُوَ الْبَيْبُ

الْبَيْبُ: كُوتَةُ الْحَوْضِ، وَهِيَ مَسِيلُ الْمَاءِ، وَالْمَشُورُ، وَالتَّغْلَبُ، وَالتَّغْلِبُ، وَالْأَسْكُوبُ^(١)

(الأزهري ١٥: ٦١١)

ابن هُرَيْدٍ: الْبَابُ: مَعْرُوفٌ، وَالْبَيْبُ: مَسِيلُ الْمَاءِ مِنْ مَفْرَغِ الدَّلْوِ إِلَى الْحَوْضِ، وَبِهِ سَمِيَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ. (٣: ١٩٨)

(٣: ١٩٨)

الأَزْهَرِيُّ: قَالَ أَبُو الْقَمِيلِ: الْبَابَةُ: الْحَصْلَةُ، وَقِيلَ: بَابَاتُ الْكِتَابِ: سَطُورُهُ، بَابَةٌ، وَبَابَاتٌ، وَأَبْوَابٌ. [ثم استشهد بشعر]

(١٥: ٦١٢)

الصَّاحِبُ... الْبَابِيَّةُ: الْأَعْجُوبَةُ، وَتُخَفَّفُ الْيَاءُ مِنْهُ. [إلى أَنْ قَالَ:]

وَفِي الْمَثَلِ: «مَعِي بَنِي» وَ«هَيَّا بَنِيَّ»، وَلَا يَعْرِفُ لَهَا أَصْلٌ. وَقِيلَ: يُعْنَى بِهِ الْبِعُوضَةُ.

وَبُيِّنَتْ، أَيْ جُبِّتْ وَشَقَّقَتْ. [ثم ذكر نحو الخليل إلى

وَالْبُوبَةُ: نَتِيجَةُ طَرِيقِ الطَّائِفِ. (١٠: ٤٤٧)

ابن جَنِّي: البُوبَةُ: الْفَلَاةُ. (ابن سيدة ١٠: ٥٥٦) الْبُوبَةُ هِيَ: الْبَابُ يُجْمَعُ أَبْوَابًا، وَقَدْ قَالُوا: أَبْوَبَةٌ،

لِلْإِزْدِوَاجِ. [ثم استشهد بشعر]

وَتَبَوَّأْتُ بَوَائِي: أَخَذْتُهُ.

وَأَبْوَابُ مَبُوءَةٍ، كَمَا يَقَالُ: أَصْنَافٌ مُصَنَّفَةٌ.

وَهَذَا شَيْءٌ مِنْ بَابَتِكَ، أَيْ يَصْلُحُ لَكَ. (١١: ٩٠)

ابن فَارِسٍ: الْبَاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ فَوَلَكُ: تَبَوَّأْتُ بَوَائِي، أَيْ أَخَذْتُ بَوَائِي.

وَالْبَابُ: أَصْلُ الْيَاءِ وَآوُهُ، فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا.

فَأَمَّا الْبُوبَةُ فَكَانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنْ قَرْنٍ إِلَى

الطَّائِفِ. [ثم استشهد بشعر] (١١: ٣١٤)

ابن سِيْدَةَ: الْبَابُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ: أَبْوَابٌ وَبَيَّانٌ. [ثم استشهد بشعر]

وَرَجُلٌ بَوَّابٌ: لَا زَمَ لِلْبَابِ، وَحِرْفَتُهُ الْبُوبَةُ.

وَبَابٌ لِلتَّسْلُطِ يَجُوبُ: صَارَ لَهُ بَوَائِي.

وَبَابَاتُ الْكِتَابِ: سَطُورُهُ. وَلَمْ أَسْمَعْ لَهَا بِوَاحِدٍ. [ثم استشهد بشعر]

استشهد بشعر]

وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بَيَابَاتُ الْكِتَابِ: أَبْوَابُهُ.

وَهَذَا بَابَةٌ هَذَا، أَيْ شَرْطُهُ. (١٠: ٥٥٦)

الرَّاغِبُ: «الْبَابُ» يَقَالُ لِمَدْخَلِ الشَّيْءِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ: مَدْخَلُ الْأَمْكَنَةِ، كِبَابُ الْمَدِينَةِ وَالذَّكَرُ وَالْبَيْتُ،

وَجَمْعُهُ: أَبْوَابٌ. [إلى أَنْ قَالَ:]

وَمِنْهُ يَقَالُ فِي الْعِلْمِ: بَابٌ كَذَا، وَهَذَا الْعِلْمُ بَابٌ إِلَى

(١) ابن منظور ١: ٢٢٥، الأكلوب.

علم كذا، أي به يُتوصل إليه. وقال **الغزالي**: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» أي به يُتوصل. [ثم استشهد بشعر. وذكر آيات إلى أن قال:]

وقد يقال: أبواب الجنة وأبواب جهنم: للأشياء التي بها يُتوصل إليهما. [ثم استشهد بآيات وقال:]
وربما قيل: هذا من باب كذا، أي بما يصلح له،
وجمع: بابات.

ويؤنثُ بابًا، أي عملت، وأبواب مُبَوَّبة.
والبواب: حافظ البيت، وتبَوَّت بابًا: أخذته.
وأصل باب: بَوَّب. (٦٤)
الرَّصْحُورِيُّ: يقال: هذا ليس من بابك، أي بما يصلح لك.

وفلان من أهون باباته الكذب، وهي أنواع **خبر**
[ثم استشهد بشعر]

وبَوَّب المصنف كتابه، وكتاب مُبَوَّب، وتراجمُ
أبواب سِيَرَتِهِ عَظِيمَةُ النِّفْعِ. (أساس البلاغة: ٣٣)
الْفَيَّومِيُّ: الباب في تقدير «فعل» بفتحين، ولهذا
قلبت الواو ألفًا. ويجمع على: أبواب، مثل سبب
وأسباب، ويضاف للتخصيص، فيقال: باب الدار وباب
البيت.

ويقال لهئة يحدد: باب الشام، وإذا نسبت إلى
المتضايين ولم يتمرّف الأول بالثاني جاز إلى الأول
فقط، فتقول: البابي، وإليها معًا، فيقال: البابي الشامي،
وإلى الأخير فيقال: الشامي. وقد رُكِبَ الاسمان وجعلتا
اسمًا واحدًا، ونُسب إليهما، فقيل: البابشامي، كما قيل:
الدارفطحي، وهي نسبة لبعض أصحابنا. (١: ٦٥)

الغَيْرُورُ إِبَادِيّ: البَوَّابة: الفلاة، وعقبة كُرُودُ
بطريق اليمن.

والباب: معروف، جمع: أبواب وبيبان، وأبوية نادر،
والبواب: لازمه، وحرفته البوابة،
وباب له يُبَوَّب: صار بوابًا له. وتبَوَّب بوابًا: أخذته.
والباب والبابة في الحساب والمحدود: الفاية.
وبابات الكتاب: سطورها، لا واحد لها.

وهذا بابته، أي يصلح له.

والبابة: الوجه، جمع: بابات.

وهذا بابته، أي شرطه.

وباب: حفر كوة.

والبابية: الأعجوبة.

(١: ٣٩) لسا

الطُّوَيْمِيُّ: وفي الحديث: «لاتصدّقوا حتى تُسلموا»
أبوابًا أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها. ثم قال: «ضلّ
أصحاب الثلاثة».

قيل: كأن المراد بالأربعة: الإيمان بالله، ورسوله،
والكتاب الذي أنزل، وبولاية الأمر، وبالثلاثة في قوله:
«ضلّ أصحاب الثلاثة» يريد من أقر بالثلاثة السابقة
وأنكر الولاية. [إلى أن قال:]

والمعروف من أهل اللغة بأن «بابًا» مذكّر، وكذا
تاب، ولذا عيب على ابن أبي الحديد قوله:

يا هالغ الباب التي عن مرّها

عجزت أنكف أربعون وأربع

وأصل باب: بَوَّب، قلبت الواو ألفًا، لتحركها
وافتتاح ما قبلها، وإذا صغرت زالت علّة القلب، ورجعت
في التصغير إلى الأصل، وقلت: «بُوب»، وكذا «تاب».

وفي الخبر الصحيح: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب».

رواه الكثير منهم، ونقل عليه بعضهم إجماع الأمة، لأنه جعل نفسه الشريفة عليه السلام تلك المدينة، ومنع الوصول إليها إلا بواسطة «الباب»، فمن دخل منه كان له من المعصية مندوحة، وفاز فوزًا عظيمًا، واهتدى صراطًا مستقيمًا. [وهناك روايات أخرى فراجع]

(١٠: ٢)

مَجْتَمَعُ اللُّغَةِ : الباب : مدخل المكان، وجمعه : أبواب.

ويستعمل الباب مجازًا فيما يوصل إلى غيره، وأكثر ماورد في القرآن بالمعنى الحقيقي.

(١٣٤: ١)

النصوص التفسيرية

باب

١- وَقَالَ يَأْتِيَنَّ لَكُمْ يَوْمًا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ...
يوسف : ٦٧
راجع «دغل».

٢-...وَالْمُؤْمِنُونَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ.

الزَّحَد : ٢٣

ابن عباس : «مِنْ كُلِّ بَابٍ» من أبواب قصورهم وبياتينهم، بالتحية من الله سبحانه، والتَّحَفُّفُ والهدايا.

(الطَّبْرَسِي ٣ : ٢٩٠)

لهم خيمة من دَرَّةٍ مجوفة، طولها فرسخ وعرضها

فرسخ، لها ألف باب مصارعها من ذهب، يدخلون عليهم من كل باب، يقولون لهم : «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ».

(التَّحْرِيفِي ٢ : ١٥٧)

الْأَصَمُ : «مِنْ كُلِّ بَابٍ» باب الصلاة، وباب الزكاة، وباب الصبر.

عبد الله بن عمرو : إن في الجنة قصرًا يقال له : عَدْنٌ، حوله البروج والمروج، فيه خمسة آلاف جِبرَةٍ، لا يدخله إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد.

(الطَّبْرَسِي ١٣ : ١٤٢)

الطَّبْرَسِي : ذكر أن لجنات عدن خمسة آلاف باب.

(١٣ : ١٤١)

الطُّوسِي : أي يدخلون من كل باب بالتَّحِيَّةِ والكرامة. وفي ذلك تعظيم الذِّكْرِ للملائكة. (٦ : ٢٤٦)

الطَّبْرَسِي : «مِنْ كُلِّ بَابٍ» من أبواب الجنة الثمانية. وقيل : من كل باب من أبواب البرِّ كالصلاة والزكاة والصوم.

(٣ : ٢٩٠)

الْبَيْضَاوِيُّ : من أبواب المنازل، أو من أبواب الفتح والتَّحَفُّفِ.

(١١ : ٥١٩)

مثله أبواب الشُّعُودِ.

(٣ : ٤١٢)

أَبُو حَيَّان : أي بالتَّحَفُّفِ والهدايا من الله تعالى تكملة لهم.

قال أبو بكر الوراق : هذه [أي الخصال التي ذكرت في هذه الآيات] ثمانية أفعال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة، من عملها دخلها من أي باب شاء.

نحوه الأصم.

(٥ : ٣٨٧)

الشَّرْبِينِي : ولما كان إتيانهم [الملائكة] من

الأماكن المعتادة مع القدرة على غيرها، أدل على الأدب والكرم قال تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (١٥٧: ٢)

الضافي: من أبواب غرهم وقصورهم. (٦٨: ٣)
البروسوي: من أبواب المنازل، فإنه يكون لمقامهم ومنازلهم أبواب، فيدخلون عليهم، من كل باب مطلق.
(٣٦٧: ٤)

الألوسي: قال أبو الأصم: أريد من كل باب من أبواب البر، كباب الصلاة، وباب الزكاة، وباب الصبر. وقيل: من أبواب الفروع والتشعب. قيل: فعل هذا المراد بالباب: النوع، و(من) للتعليل، والمعنى يدخلون لإتحافهم بأنواع التشعب. وتعقب بأن في كون «الباب» بمعنى النوع كالباب نظراً، فإن ظاهر كلام «الأساس» وغيره يقتضي أن يكون مجازاً أو كناية عما ذكر، لأن الدار التي لها أبواب إذا أتاهم الجهم النضير يدخلونها من كل باب، فأريد به دخول الأرزاق الكثيرة عليهم، وأنها تأتيهم من كل جهة، وتعدد الجهات يسر بتعدد المآتبات، فإن لكل جهة تحفة. (١٤٤: ١٣)

الطباطبائي: وهذا عني أصابهم الصالحة التي داموا عليها في كل باب من أبواب الحياة بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعند المعصية، مع الخشية والخوف. (٣٤٧: ١١)

مكارم الفيوازي: يستفاد من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أن للجنة عدة أبواب، ولكن هذا التعدد للأبواب ليس لكثرة الداخلين إلى الجنة فيضيق عليهم الباب الواحد، وليس كذلك للتفاوت الطبقي حتى تدخل كل مجموعة من باب،

ولابد المسافة أو قربها، ولالجمال الأبواب وكثرتها. وأبواب الجنة ليست كأبواب القصور والبساتين في الدنيا، بل تعددت هذه الأبواب بسبب الأعمال المختلفة للأفراد. ولذا نقرأ في بعض الأخبار أن للأبواب أسماء مختلفة، هناك باب يسمى: باب المجاهدين، والمجاهدون يدخلون بسلاحهم من ذلك الباب إلى الجنة، والملائكة تحيهم!

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «واعلموا أن للجنة ثمانية أبواب، عرض كل باب مسيرة أربعين سنة». ومن التقريف أن القرآن الكريم يذكر لجهنم سبعة أبواب «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ» الحجر: ٤٤، وطبعاً للروايات فإن للجنة ثمانية أبواب. وهذه إشارة واضحة إلى أن طريق الوصول إلى السعادة وجنة الخلد أكثر من طرق الوصول إلى الشقاء والمجسم. ورحمة الله سبقت غضبه «يا من سبقت رحمته غضبه».

ومن أطف ما في الأمر أن الآيات السابقة أشارت إلى ثمانية صفات من صفات أولي الألباب، وكل واحدة منها - في الواقع - هي باب من أبواب الجنة. وطريق الوصول إلى السعادة الأبدية. (٣٤٧: ٧)

٢- لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ.

الحجر: ٤٤

راجع «أبواب».

٤- فَضَرِبَ مَبْنَتْهُمْ يُسَوِّرُ لَهُ بَابٌ بِأُتُنُهُ فِيهِ

الحديد: ١٣

الزحمة...

عبادة بن الصّامت : هذا باب الرّحمة.

(الطّبريّ ٢٧ : ٢٢٥)

كعب الأحبار : الباب الذي في بيت المقدس إنّه الباب الذي قال الله : ﴿ فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ... ﴾ .

(الطّبريّ ٢٧ : ٢٢٥)

وفيه مطالب راجع : «سورة».

الباب

١...وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حُطَّةٌ...

البقرة : ٥٨

النبي ﷺ : لكلّ أمّة صديق وفاروق ، وصديق هذه الأمّة وفاروقها عليّ بن أبي طالب عليه السلام . إنّه عليه السلام سفينّة نجاتها وباب حطّتها .

(القرطبي ١ : ٥٨)

الإمام عليّ عليه السلام : [في حديث] إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لي : «مَنْ لَكَ فِي أُمَّتِي مِثْلُ بَابِ حُطَّةٍ لِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَمَنْ دَخَلَ فِي وَلايَتِكَ فَقَدْ دَخَلَ الْبَابَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ» .

(القرطبي ١ : ٨٢)

ونحن باب حطّة.

نحوه عن الإمام الباقر عليه السلام .

(القرطبي ١ : ٨٣)

ابن عباس : إنّه أحد أبواب بيت المقدس ، وهو يُدعى باب حطّة .

(الطّبريّ ١ : ٢٩٩)

نحوه الضّحاك والثّديّ ومجاهد وقتادة .

(الفخر الرازي ٣ : ٨٨)

(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) : رُكْعًا ، من باب صغير .

(الطّبريّ ١ : ٣٠٠)

مُجاهد : باب الحطّة من باب إيلياء ، من بيت

المقدّس .

(الطّبريّ ١ : ٢٩٩)

إنّه باب في الجبل الذي كلّم عليه موسى عليه السلام

كالقرضة .

(ابن عطية ١ : ١٤٩)

إنّه باب حطّة وهو الباب الثامن بيت المقدس .

منه الثّديّ .

(المأزديّ ١ : ١٢٥)

الثّديّ : أمّا الباب فباب من أبواب بيت المقدس .

نحوه الطّبريّ .

(الطّبريّ ١ : ٢٩٩)

البجّائيّ : الآية على قول من يزعم أنّه باب القبة .

أدلّ منها على قول من يزعم أنّه باب القرية ، لأنّهم لم

يدخلوا القرية في حياة موسى . وآخر الآية يدلّ على

أنّهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ماأمروا به في

أيام موسى . لأنّه قال : ﴿ فَعَبُدُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ

الْحَقِّ فَبِمَا كَفَرُوا بِالْبَقَرَةِ : ٥٩ . والمطف بالفاء التي هي

للتعجب من غير تراخ . يدلّ على أنّ هذا التّبديل منهم

كان في أمر الأمر . فدلّ على أنّه كان في حياة موسى .

(الطّبرسيّ ١ : ١١٩)

الطّوسيّ : أي الباب الذي أمروا بدخولها ، وقيل :

باب القبة التي كان يصلّي إليها موسى . وقال قوم : باب

القرية التي أمروا بدخولها .

(١ : ٢٦٣)

نحوه الطّبرسيّ .

(١ : ١١٩)

البغويّ : يعني بابًا من أبواب القرية ، وكان لها سبعة

أبواب .

(١ : ١٢١)

نحوه الشّريفيّ .

(١ : ٦٢)

الرّمّحسويّ : (الباب) : باب القرية ، وقيل : هو

باب القبة التي كانوا يصلّون إليها ، وهم لم يدخلوا بيت

المقدّس في حياة موسى عليه الصّلاة والسّلام ، أمروا

بالسجود عند الانتهاء إلى الباب، شكرًا لله وتواضعًا.

(١: ٢٨٣)

مثله النيسابوري (١: ٣٢٢)، نحوه البيضاوي (١):

٥٨، وأبو السمود (١: ١٣٧).

الفخر الرازي: اختلفوا في (الباب) على وجهين:

أحدهما: وهو قول ابن عباس والضحاك ومجاهد

وقتادة، إنه باب يدعى باب الحطة من بيت المقدس.

وثانيها: حكى الأصم عن بعضهم: أنه عن الباب

جهة من جهات القرية، ومدخل إليها. (٣: ٨٨)

النسفي: [قال مثل الرمثي وأضاف:]

وأما دخلوا (الباب) في حياته، ودخلوا بيت

المقدس بعده. (١: ٤٩)

الخازن: من قال: إن القرية هي أريحا، قال:

ادخلوا من أي باب كان من أبوابها، وكان لها سبعة

أبواب.

ومن قال: إن القرية هي بيت المقدس، قال: هو

باب حطة. (١: ٥٤)

نحو البروسوي. (١: ١٤٣)

أبو حيان: [اكتفى بنقل أقوال السابقين] (١: ٢٢١)

نحو الأوسوي. (١: ٢٦٥)

الكاشاني: (الباب): باب القرية، مثل الله تعالى

على الباب مثال محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يسجدوا

تطعيماً لذلك، ويمجدوا على أنفسهم ببيعتها وذكر

موالاتها، ويذكروا العهد والميثاق المأخوذ من عليهم

لها. (١: ١٢٠)

القاسمي: في «الثأويلات»: يحتمل المراد من

(الباب) حقيقة الباب، وهو باب القرية التي أمروا

بالدخول فيها، ويحتمل المراد من (الباب): القرية

نفسها، لاحقيقة الباب - كقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ

الْقَرْيَةَ﴾ ذكر القرية ولم يذكر الباب - وذلك في اللغة

جائز، ويقال: فلان دخل في باب كذا، لا يعنون حقيقة

الباب، ولكن كونه في أمر هو فيه. (٢: ١٣٤)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا...﴾ النساء: ١٥٤.

٢- واشتقاق الباب وقُدْتُ قَيْصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْقَيْنَا

سَيْدَهَا إِذَا الْبَابُ... يوسف: ٢٥

الرازي: فإن قيل: كيف وجد الباب في قوله:

﴿وَاشْتَقَّ الْبَابُ﴾ بعد جمعه في قوله: ﴿وَعَسَلَتْ

الْأَبْوَابُ

قُلْنَا: لَأَنْ إِبْغَالِي الْبَابَ لِلْإِحْتِيَاظِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِغْلَاقِ

جميع أبواب الدار، سواء كانت كلها في جدار الدار أو لا.

وأما هربه منها إلى الباب، فلا يكون إلا إلى باب

واحد إن كانت كلها في جدار واحد، ولأنَّ خروجه في

وقت هربه لا يتصور إلا من باب واحد منها، وإن كان

بعض الأبواب داخل بعض، فإنه أول ما يقصد الباب

الأدنى لقرية، ولأنَّ الخروج من الباب الأوسط والباب

الأقصى موقوف على الخروج من الباب الأدنى، فلذلك

وجد الباب. (١٤٨)

أبو حيان: تقدم أنَّ الأبواب سبعة، فكان تنفتح له

الأبواب باثنا بآيا من غير مفتاح، على ما نقل عن كعب أنَّ

فرائس القفل كان يتناثر ويسقط حتى يخرج من الأبواب.

ويحتمل أن تكون الأبواب المخلفة ليست على الترتيب بآثاراً لها بل تكون في جهات مختلفة، كلها منافذ للمكان الذي كانا فيه، فاستبقا إلى باب يخرج منه، ولا يكون السابع على الترتيب بل أحدهما. (٢٩٦: ٥) الشربيني: فإن قيل: كيف وُحِدَ الباب وقد جمعه في قوله: ﴿وَعَلَقَ الْأَبْوَابَ﴾؟

أَجِيبْ بِأَنَّهُ أَرَادَ: الْبَابَ الْبِرَاقِيَّ الَّذِي هُوَ الْخُرُجُ مِنَ الدَّارِ وَالْخُلُوصُ مِنَ الْعَارِ. فَقَدْ رَوَى كَسْبُ الْأَحْبَارِ أَنَّ يُوسُفَ لَمَّا هَرَبَ جَعَلَ فَرَأْسَ الْفُكْلِ يَتَنَاوَرُ وَبِقِطْعَةٍ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْأَبْوَابِ.

نحوه الیوسوی. (۶: ۲۳۹)

الْأَلُوسِيَّ : (نحو أبي سفيان ثم قال :)

ونصب الباب على الاستماع. لأن أصل «الخطبة» في
يتمدّى به إلى «لكن جاء كذلك على وجه» (وإذا
كألوهم) «المطّفين: ٣، و«واختار موسى قومه سبعين
رجلاً» الأعراف: ١٥٥.

وقيل: إنه ضمن «الاستباق» معنى الابتدار، فعُدّي
تعديته... وَأَتَقَيَّا عِيْدَهَا لَذَا الْبَابِ. أي عند الباب
البراق. (١٢: ٢١٧، ٢١٨)

بَابُهَا
١- وَلَوْ لَفَعْنَا عَلَيْهِمْ تَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ
يَقْرَأُونَ. الحجر: ١٤
الضَّعَافَةُ: فِي الدَّرَكَةِ الْأُولَى أَهْلُ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ
أَدْخَلُوا النَّارَ، يَحْذَبُونَ فِيهَا بِقَدَرِ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنْهَا،
وَفِي الثَّانِيَةِ النَّصَارَى، وَفِي الثَّلَاثَةِ الْيَهُودَ، وَفِي الرَّابِعَةِ

الصَّابُونَ، وَفِي الْخَامَةِ الْجُيُوسُ، وَفِي السَّادَةِ أَهْلُ الشُّرَكِ، وَفِي السَّابَةِ الْمُنَافِقُونَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الذِّكْرِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النَّاسُ: ١٤٥). (الْعُقُوبَةُ: ٣: ٥٩)

نحوه الحسن وأبو مسلم، (الطبرسي ٣: ٣٣٨)،
والزحاشي (٢: ٣٩١)، والنسفي (٢: ٢٧٣).

الْمَيَّبِدِي: وَلَوْ أَظْهَرْنَا لَهُمْ آيَةً وَهُوَ فَتَحَ
بَابُ «مِنْ السَّمَاءِ».

مطه الثمن: (٢٧٠ : ٢)

أبوالمود: أى بابا، لا بابا من أبويها المعهود

۱۱: ۱) - کما فیل - ویسئرنالهم الرق والصعود إلیه.

منه البر وسوى (١: ٤٤٦)، ونحوه الأوسى (١٢: ١٩)

۲۔ **عَلَّامٌ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ مُّشْتَبِهٍ...**

المؤمنون: ٧٧

راجع «عذب»

أَبْوَابُ

۱۔ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ

الأنعام : ٤٤

٢- إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ

لَمْ يَبْرَأِ السَّمَاءَ... الأعراس: ٤٠

راجع «فتح».

٣- لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْصُومٌ.

الحجيرة: ٤٤

الإمام الصادق عليه السلام : [في حديث عن أبيه عن جده عليه السلام]

لنار سبعة أبواب : باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون ، وباب يدخل منه المشركون والكفار ممن لم يؤمن بالله طرفة عين ، وباب يدخل منه بنو أمية هو لهم خاصة لا يراحمهم فيه أحد ، وهو باب لظى ، وهو باب سقر ، وهو باب الهاوية . تهوى بهم سبعين خريفاً ، فكلما فارت بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً ، فلا يزالون هكذا أبداً خالدين مخلدين . وباب يدخل منه بنصونا ومخاريونا وخاذلونا وإنه لأعظم الأبواب وأشدّها حرّاً . الحديث (البحراني ٢ : ٣٤٥)

ابن جرير : قوله : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أولها جهنم ولم لظى . ثم المصطمة ، ثم التسعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية . والجحيم فيها أبو جهل .

(الطبري ١٤ : ٣٥) الطبري : لجهنم سبعة أطباق ، لكل طبق منهم - يعني من أتباع إبليس - جزء ، يعني قسماً ونصيباً مقسوماً . (١٤ : ٣٥)

القاسمي : يدخل في كل باب أهل مثله . [ثم ذكر درجات الأبواب وكيفياتها ، ولم نذكره لطوله ، فراجع] (١ : ٣٧٧)

ابن عطية : [نقل قول ابن جرير المتقدم وأضاف:]

وإن في كل طبق منها باباً ، فالأبواب على هذا بعضها فوق بعض . وعبر في هذه الآية عن النار جملة بد جهنم إذ هي أشهر منازلها وأولها ، وهي موضع عصاة المؤمنين

النبي صلى الله عليه وسلم : لجهنم سبعة أبواب ، باب منها لمن سئل السيف على أمي . أو قال : على أمة محمد .

إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبته ، وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه ، منازلهم بأعمالهم ، فذلك قوله : ﴿لِكُلِّ نَسَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ . (ابن كثير ٤ : ١٦٣)

الإمام علي عليه السلام : [في حديث] إن جهنم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض - ووضع إحدى يديه على الأخرى فقال : هكذا - وإن الله وضع الجنان على العرض ، ووضع الثيران بعضها فوق بعض ، فأسفلها جهنم وفوقها لظى ، وفوقها المصطمة ، وفوقها سقر ، وفوقها الجحيم ، وفوقها الهاوية .

وفي رواية الكلبي : أسفلها الهاوية ، وأعلاها جهنم . (الطبري ٢ : ٣٢٨)

نحوه الحسن وقتادة وابن جرير . (الطوسي ٦ : ٣٢٨) ابن عباس : إن الباب الأول جهنم ، والثاني سقر ، والثالث سقر ، والرابع جحيم ، والخامس لظى ، والسادس المصطمة ، والسابع الهاوية .

نحوه مجاهد ، وعكرمة ، والجسائي . (الطبري ٣ : ٣٣٨)

إن جهنم لمن ادعى الزينة ، ولظى لعبدة النار ، والمصطمة لعبدة الأصنام ، وسقر لليهود ، والتسعير للتصاري ، والجحيم للصائين ، والهاوية للموحدن .

(الزنجبيري ٢ : ٣٩١)

عكرمة : لها سبعة أطباق . (الطبري ١٤ : ٣٥) قتادة ، وهي والله منازل بأعمالهم . (الطبري ١٤ : ٣٦)

الذين لا يملكون، ولهذا روي أن جهنم تحرب وتبلى.
وقيل: إن النار أطباق كما ذكرنا، لكن «الأبواب السبعة» كلها في جهنم على خط استواء، ثم ينزل من كل باب إلى الطابق الذي يقضى إليه.

واختصرت ما ذكر المفسرون في المسافات التي بين الأبواب، وفي هواء النار، وفي كيفية الحال؛ إذ هي أقوال أكثرها لا يستند، وهي في حيز الجائز. والقدرة أعظم منها، عافانا الله من ناره، وتقدمنا برحمته بئنه.

(٣: ٣٦٢)

الطبرسي: فيه قولان:

[وذكر قول علي وابن عباس والضحك وقال:]

(٣: ٣٣٨)

والقولان متقاربان.

الغازن: يعني سبع طبقات «لكل باب منهم جزء مقسوم» يعني لكل دركة قوم يسكنونها. والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يجزي أتباع إبليس سبعة أجزاء، فيدخل كل قسم منهم دركة من النار. والسبب فيه أن مراتب الكفار مختلفة، فلذلك اختلفت مراتبهم في النار.

(٤: ٥٥)

أبو حنبلان: والظاهر أن جهنم هي واحدة، ولها سبعة أبواب. [ثم ذكر مثل الزمخشري] (٥: ٤٥٥)

أبو السعود: «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ» يدخلونها لكثرتهم، أو سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في القواية والمتابعة، [إلى أن قال:] «لكل باب مِنْهُمْ» من الأتباع أو القواة «جُزْءٌ مُقْسُومٌ» حِزْبٌ مَعِيْنٌ مَفْرُوزٌ مِنْ غَيْرِهِ، حسبما يقتضيه استعدادُه. [وقد حكى الأحوال

المتقدمة]

ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المسوسات بالمحوسات الخمس، ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية. (٤: ٢٢)

البروسوي: «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ» يدخلون منها كل باب فوق باب على قدر الطبقات، لكل طبقة باب «لكل باب» من تلك الأبواب المفتحة على طبقة من الطبقات. [ثم ذكر نحو أبي السموه وقال:]

واختلفت الروايات في ترتيب طبقات النار، وفي الأكثر: جهنم أولها، وفيها بعدها اختلاف أيضًا. [إلى أن قال:]

وفي «بحر العلوم»: اعلم أنه لا يمتنع لتلك الأبواب السبعة إلا من عصى الله تعالى بالأعضاء السبعة: العين واللسان واللسان والبطن والفرج والرجل، والأولى في الترتيب هي «الفتوحات» - إن كونها سبعة أبواب بحسب أعضاء التكليف، وهي السمع والبصر واللسان واليدان والقدمان والفرج والبطن.

فالأعضاء السبعة مراتب أبواب النار، فاحفظها كلها من كل مانهاء الله وحرمه، وإلا يصير ما كان لك عليك وتقلب النعمة عقوبة.

وفي «التأويلات النجية»: «وَأَنَّ جَهَنَّمَ» البعد والاحتراق من الفراق «لَمَوْعِدُهُمْ أَجْعَلِينَ» لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ من المحرص والشره والمقد والمسد والغضب والشهوة والكبر، «لكل باب» من الأرواح المستعينة لإبليس النفس المتصفيين بصفاتها «جُزْءٌ مُقْسُومٌ» بحسب الانصاف بصفاتها.

وقيل: خلق الله تعالى للنار سبعة أبواب دركات

الطَّبَائِبَاتِي : لم يبين سبحانه في شيء من صريح كلامه ماهو المراد بهذه الأبواب. أهى كأبواب المحيطان مداخل تُهدي الجميع إلى عرصة واحدة، أم هى طبقات ودرجات تختلف في نوع العذاب وشِدَّتِه؟

وكثيراً ما يسمّى في الأمور المختلفة الأنواع كلّ نوع باباً، كما يقال: أبواب الخير، وأبواب الشرّ، وأبواب الرّحمة، قال تعالى: ﴿فَسَخَّنا عَلَيْهِمُ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٤٤.

وربما سمي أسباب الشيء وطرق الوصول إليه أبواباً كأبواب الرّزق، لأنواع المكاسب والمعاملات.

وليس من البعيد أن يستفاد المعنى الثّاني من متفرقات آيات النار، كقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ جَهَنَّمَ زُخْرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا قُتِلَتْ

أَبْوابُهَا فَلَمَّا دَخَلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الزمر:

٧١، ٧٢، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَعْلَى

مِنَ النَّارِ﴾ النساء: ١٤٥، إلى غير ذلك من الآيات.

ويؤيده قوله: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْشُورٌ﴾

الحجر: ٤٤، فإنّ ظاهره أنّ نفس الجزء مقسوم موزّع

على الباب) وهذا إنّما يلائم الباب بمعنى الطبقة دون

الباب بمعنى المدخل، وأنّما تفسير بعضهم الجزء المقسوم

بالفرق المعين المفروز من غيره فهو منه ظاهر.

وعلى هذا فكون جهنّم لها سبعة أبواب، هو كون

العذاب المعدّ فيها متنوّعاً إلى سبعة أنواع، ثمّ انقسام كلّ

نوع أقساماً حسب انقسام الجزء الدّاخِل الماكث فيه؛

وذلك يستدعي انقسام المعاصي الموجبة للدخول فيها

سبعة أقسام، وكذا انقسام الطّرق المؤدّية والأسباب

بعضها تحت بعض، وللجنة ثمانية أبواب درجات بعضها فوق بعض، لأنّ الجنة فضل، والزيادة في الفضل والثواب كرم، وفي العذاب جور.

وقيل: الأذان سبعة كلمات والإقامة ثمان، فمن أدّن وأقام، مُلِقت عنه أبواب التّيران وقُصّعت له أبواب الجنة الثّمانية ... (٤: ٤٧٠)

الألوسي: [ينقل أقوال السابقين ثمّ قال:] وذكر الشّهيد في «كتاب الأعلام» أنّه وقع في «كتب الرّقائق» أسماء هذه الأبواب، ولم ترد في أثر صحيح، وظاهر القرآن والحديث يدلّ على أنّ منها ماهو من أوصاف النار، نحو التّحير والمُحير والمُحطّنة والهاوية، ومنها ماهو علم للنار كلّها، نحو جهنّم ومجرى وظلّ، فلذا أضربنا عن ذكرها، انتهى.

وأقرب الآثار التي وقفنا عليها إلى الصّحّة - كما أنّ

ماروي عن عليّ كرم الله تعالى وجهه لكثرة مخرّجه .

وتحتاج جميع الآثار إلى التّزام أن يقال: إنّ جهنّم تطلق

على طبقة مخصوصة، كما تطلق على النار كلّها.

وقيل: الأبواب على بابها، والمراد أنّ لها سبعة

أبواب يدخلونها لكثرتهم والإسراع بمعذبتهم، [إلى أن

قال:]

وبالجملة في تعيين أصلها كترتيبها، اختلاف في

الروايات.

ولعلّ حكمة تخصيص هذا العدد انحصار بمجامع

المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس، ومقتضيات

القوّة الشّهوانيّة والنّفسيّة، أو أنّ أصول الفرق الدّاخِلين

فيها سبعة. (١٤٤: ٥٣)

الدّاعية إلى تلك المعاصي ذاك الانتقام، وبذلك يثأيد ماورد من الروايات في هذه المعاني. (١٢: ١٧٠)

مكارم الشيرازي: قرأنا في الآيات مورد البحث أن لجهنم سبعة أبواب، وليس بعيداً أن يكون ذكر العدد في هذا المورد للكثرة، كما ورد هذا العدد في الآية السابعة والعشرين من سورة لقمان، بهذا المعنى أيضاً. ومن الواضح أن تعدد أبواب جهنم - كما هو تعدد أبواب الجنة - لم يكن لتسهيل أمر دخول الواردين نتيجة لكثرتهم، بل هي إشارة إلى الأسباب والعوامل المتعددة التي تؤدي لدخول الناس في جهنم، وأن لكل من هذه الذنوب باب معين يؤدي إلى مدركه.

في نهج البلاغة: «إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه». وفي الحديث المعروف: «إن السيوف مقاليد الجنة». هذه التسميات تبين لنا دخول ماالمقصود من تعدد أبواب الجنة والنار.

وثمة نكتة لطيفة في ماروي عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن للجنة ثمانية أبواب». في حين أن الآيات تذكر أن لجهنم سبعة أبواب، وهذا الاختلاف في العدد إشارة إلى أنه مع كثرة أبواب العذاب والهلاك إلا أن أبواب الوصول إلى السعادة والتعيم أكثر، وقد تحدثنا عن ذلك في تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة الزعد.

(٨: ٦٢)

٤... فَأَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا...

النحل: ٢٩

الطبري: يعني طبقات جهنم. (١٤: ٩٩)

التبديدي: أي دركاتها.

وقيل: المراد به عذاب القبر؛ فقد جاء في الخبر: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» وقيل: يناطون به عند البحث. (٥: ٣٧٢)

ابن عطية: «أَبْوَابُ جَهَنَّمَ» مُنْضِيَةٌ إِلَى طَبَقَاتِهَا الَّتِي هِيَ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ، وَ«الْأَبْوَابُ» كَذَلِكَ بَابٌ عَلَى بَابٍ. (٣: ٣٨٩)

الطبرسي: أي طبقات جهنم ودركاتها. (٣: ٣٥٧) أبو حنيفة: والظاهر «الأبواب» حقيقة. وقيل: المراد: الدركات. وقيل: الأصناف، كما يقال: فلان ينظر في باب من العلم، أي صف.

وأبعد من قال: المراد بذلك: عذاب القبر، مستدلاً بما جاء في الخبر: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». (٥: ٤٨٦)

أبو الشعث: أي كل صف يراه الممد له.

وقيل: أبوابها: أصناف عذابها، فالدخول عبارة عن الملازمة والمقاساة. (٤: ٥٧)

الآلوسي: «فَأَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ» خطاب لكل صف منهم أن يدخل باباً من أبواب جهنم، والمراد بها إما المنفذ أو الطبقة، ولا يجوز أن يكون خطاباً لكل فرد، لأن لا يلزم دخول الفرد من الكفار من أبواب متعددة، أو يكون لجهنم أبواب بعدد الأفراد، (ثم آدم نحو أبي حنيفة) (١٤: ١٢٩)

نحوه الطباطبائي. (١٢: ٢٣٤)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى ٦٥: «قَبِيلٌ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَتٍ شَفَاوَى الْمُتَكَبِّرِينَ»

الزمر: ٧٢. وقوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ المؤمن: ٧٦.

الفخر الرازي: المراد من الفتح والأبواب والسماء: حقائنها، أو هو مجاز؟
نقول فيه قولان:

٧- فَنَتَخِطُّ أَبْوََابَ السَّمَاوَاتِ بِمَا مَتَّعِينَا. القمر: ١١
ابن عباس: ﴿أَبْوََابَ السَّمَاوَاتِ﴾ فتحت من غير سحاب، لم تعلق أربعين يوماً. (أبو حيان ٨: ١٧٧)
الماوردي: وفي فتح أبواب السماء قولان: أحدهما: أنه فتح رتاجها^(١)، وسعة مآلكها.

أحدهما: حقائنها، وللسماء أبواب تُفتح وتغلق ولا استبعاد فيه.

الثاني: أنها المجرى، وهي شرج السماء، ومنها فتحت بهاء منهر، قاله علي بن أبي طالب.

وثانيهما: هو على طريق الاستعارة، فإن الظاهر أن الماء كان من السحاب، وصل هذا فهو كما يقول القائل في المطر الوابل: جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب، أي كأنه ذلك، فالمطر في الطوفان كان بحيث يقول القائل: فتحت أبواب السماء، ولأنك أن المطر من فوق كان في غابة المظلل.

نحوه: القُرطبي (١٧: ١٣٢)، والبروسوي (٩: ٢٧٢).

بحر التباويري (٢٧: ٥١)، والمخازن (٦: ٢٢٨).
الطبري: ﴿أَبْوََابَ السَّمَاوَاتِ﴾ أي كلها في جميع الأنحاء. وعن جمع الغلة عن جمع الكثرة. [تم قال نحو الفخر الرازي]

الطوسي: وفي الكلام حذف تقديره: أن نوحاً لما دعا ربه، فقال: إني مغلوب فبانتصر من أبواب وأهلكهم، فأجاب الله دعاءه وفتح أبواب السماء بالماء، ومعناه: أجرى الماء من السماء، فجريانه إنما فتح عنه باب كان مائلاً له؛ وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه. وجاء ذلك على طريق البلاغة.

الطوسي: في الكلام استعارة تشبيهية تدفق المطر عن السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء، وانشق أديم الخضراء. وهو الذي ذهب إليه الجمهور، وذهب قوم إلى أنه على حقيقته، وهو ظاهر كلام ابن عباس.

نحوه: الطبرسي (٥: ١٨٩).
ابن عطية: قال النقاش: يعني بـ«الأبواب» المجرى، وهي شرج السماء، كشرح الخيف.

أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه أنه قال: لم تضر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتق المائتان.

وقال قوم من أهل التأويل: الأبواب حقيقة، فتحت في السماء أبواب جزى منها الماء.

وفي رواية: لم تنلق أربعين يوماً، وعن النقاش أنه

وقال جمهور المفسرين: بل هو مجاز وتشبيه، لأن المطر كثر كأنه من أبواب. (٥: ٢٦٤)
نحوه أبو حيان (٨: ١٧٧).

أريد بالأبواب المجرة وهي شرج السماء كشرح العية.
والمعروف من «الإرصاد» أن المجرة كواكب صغار متقاربة
جداً، والله تعالى أعلم.

ومن العجيب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين
فأهلكهم الله تعالى بطلوبهم. (٢٧: ٨١)

مكارم الشيرازي: إن تعبير افتتاح أبواب السماء
لتصير رائع جداً، ويشتمل عادة عند هطول الأمطار
الغزيرة. (١٧: ٢٨٥)

ومنه قوله: «فَإِنَّ الْجَحِيمَ مِنَ النَّارِ»
٣٩، فالمعنى - والله أعلم - مأواه. [ثم استشهد بشعر]
ولو قال: (مُفْتَحَةُ هُمُ الْأَبْوَابِ) على أن تجعل
«المفتحة» في اللفظ لـ«الجنات» وفي المعنى للأبواب،
فيكون مثل قول الشاعر [ثم ذكر قوله]

وكذلك تجعل معنى (الأبواب) في نصيبها، كأنك
أردت: مفتحة الأبواب، ثم توثقت فنصبت، [ثم استشهد
بشعر] (٢: ٤٠٨)

الطبري: [قال نحو الفراء وأضاف:]

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: «مُفْتَحَةُ هُمُ
الأبواب» من فائدة خير، حتى ذكر ذلك؟

قيل: فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن
تطوّلها تفتح لهم بغير فتح سكّانها إيّاها، بمعانة بيد
ولا جارحة، ولكن بالأمر فيما ذكر. (٢٣: ١٧٢)

الزجاج: ومعنى «مُفْتَحَةُ هُمُ الْأَبْوَابِ» أي
منها، وقال بعضهم: مفتحة لهم أبوابها، والمعنى واحد،
إلا أن على تقدير العربية «الأبواب منها» أجود من أن
تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف.

لأن معنى الألف واللام ليس معنى الهاء والألف في
شيء، لأن الهاء والألف اسم، والألف واللام دخلتا
للتعريف، ولا يدل حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب
عنه، هذا محال. (٤: ٣٣٧)

الزمخشري: وفي (مُفْتَحَةُ) ضمير «الجنات»،
(الأبواب) بدل من الضمير، تقديره: مفتحة هي
الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من
بدل الاشتغال. (٣: ٣٧٨)

الأبواب

١... وَغُلِقَتِ الْأَبْوَابُ وَقَالَتِ هَيْتَ لَكَ.

يوسف: ٢٢

(٢: ٤٨٢)

البغوي: وكانت سبعة.

أبو السعود: قيل: كانت سبعة، ولذلك جاء الفعل

بصفة «التفعل» دون «الإفعال». وقيل: للمعانة في
الإنفاق والإحكام. (٣: ٣٧٩)

نحو البروتوني.

(٤: ٢٣٦)

[لاحظ «غلق»]

٢- جَنَّاتٍ عَذْنٍ مُفْتَحَةٍ هُمُ الْأَبْوَابُ. حس: ٥٠

الحسن: أبواب تكلم، فتكلم: افتتح، انطلق.

(الطبري: ٢٢: ١٧٤)

الفراء: تُرفع (الأبواب) لأن المعنى مفتحة لهم

أبوابها. والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة.

فيقولون: مررت على رجل حسن العين، وقبيح الأنف،

والمعنى: حسنة عينه قبيح أنفه.

التَّسْفِي : ارتفاع (الأبواب) بأنّها فاعل (مُفْتَحَةٌ).
والعائد محذوف، أي مفتحة لهم الأبواب منها، فحذف
كما حذف في قوله: «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ السَّأْوَى»
التأذعات: ٣٩، أي لهم أو أبوابها، إلا أن الأول أجود،
أو هي بدل من الضمير في (مُفْتَحَةٌ) وهو ضمير الجنّات،
تقديره: مفتحة هي الأبواب، وهو من بدل الاشتغال.

(٤٥: ٥)

أبو عبيد: [نقل قول الزمخشري وأضاف:]

أما قوله: وفي (مُفْتَحَةٌ) ضمير «الجنّات»، فمجهول
التحويين أعربوا (الأبواب) مفعولاً لم يسم فاعله، وجاء
أبو علي فقال: إذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضمير يعود
على (جَنّاتٍ عَدْنٍ) من الحالة إن أُعرب (مُفْتَحَةٌ) حالاً
أو من التثنية إن أُعرب نعتاً لجنّات عَدْنٍ، فقال في
«مُفْتَحَةٌ» ضمير يعود على «الجنّات» حتى ترتبط الحال
بصاحبها، أو التثنية بمنوته، و(الأبواب) بدل.

وقال من أُعرب (الأبواب) مفعولاً لم يسم فاعله،
العائد على (الجنّات) محذوف، تقديره: الأبواب منها.
والزم أبو عليّ البدل في مثل هذا لا بدّ فيه من الضمير، إمّا
ملفوظاً به أو مقدّراً، وإذا كان الكلام محتاجاً إلى تقدير
واحد كان أولى بما يحتاج إلى تقديرين.

وأما الكوفيون فالرابط عندهم هو «أل» لمقامه مقام
الضمير، فكأنّه قال: مفتحة لهم أبوابها.

وأما قوله: وهو من بدل الاشتغال، فإنّ عنى بقوله
اليد والرجل، فهو وهم، وإمّا هو بدل بعض من كلّ. وإن
عنى (الأبواب) فقد يصح، لأنّ أبواب الجنّات ليست
بعضاً من الجنّات.

وأما تشبيهه ماقدّره من قوله: مفتحة هي الأبواب،
بقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، فوجهه أن (الأبواب)
بدل من ذلك الضمير المستكن، كما أن اليد والرجل بدل
من الظاهر الذي هو زيد.

(٤٠٥: ٧)

نحوه الألوحي.

طه الدرة: أي مفتوحة لهم أبوابها. [إلى أن قال:]
وقرئ يرفع الاسمين على أن (مُفْتَحَةٌ) خبر مقدّم،
و(الأبواب) مبتدأ مؤخر، أو هما خبران لمبتدأ محذوف،
والأول أقوى.

وقيل: (الأبواب) بدل من الضمير المستتر في
(مُفْتَحَةٌ)، وهو ضمير، وعلى رفع الاسمين فالحيلة
الاسمية صالحة للحالية من (جَنّاتٍ عَدْنٍ) وللوصفية لها،
والرابط سهل الاعتبارين محذوف، التقدير: مفتحة لهم
الأبواب منها.

(٣٢٢: ١٢)

لاحظ «جنن»، و«فتح».

أَبْوَابًا

١-...وَالَّذِينَ هُمْ أَثْوَابًا وَشَرًّا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ.

الزحرف: ٣٤

ابن زيد: «الأبواب» من فِئَةٍ. (الطبري: ٢٥: ٧٨)
مثله أكثر المفسرين.

الطَّبَائِبِيُّ: تنكير (أَبْوَابًا) و(شَرًّا) للتفخيم.

(١٠١: ١٨)

٢- وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا.

عليّ: تفتح أبواب الجنان. (القمي: ٢: ٤٠١)
الطبري: يقول تعالى ذكره: وشققت السماء

فصدعت، فكانت طُرْقًا، وكانت من قبل ندادًا لا فطور فيها ولا صدوع.

وقيل: معنى ذلك وفتحت السماء فكانت قطعًا كقطع الخشب المشقة لأبواب الدور والمساكن.

قالوا: ومعنى الكلام وفتحت السماء فكانت قطعًا كالأبواب، فلما أسقطت الكاف صارت «الأبواب» الخبر، كما يقال في الكلام: كان عباده أئدًا، يعني كالأسد.

نحوه الطوسي.

الواحدى: أي ذات أبواب.

البغوي: [قال مثل الواحدى وأضاف:]

وقيل: تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق.

نحوه الخازن (١٦٧: ٧)، والطبرسي (٤٢٣: ٥).

المبيدى: [نحو البغوي وأضاف:]

وقيل: إن لكل عبد بابين في السماء، بابًا لعمله وبابًا

لرزقه، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب (١٠: ٣٥٤).

الزمخشري: المعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول

الملائكة، كأنها ليست إلا أبوابًا مفتحة، كقوله:

﴿وَفُجِّرْنَا الْأَرْضَ عَيْنُونَا﴾ القمر: ١٢، كأن كلها عيون

تنفجر.

نحوه أبوحيان.

ابن عطية: وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ قيل:

معناه تنظّر وتشقّق حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في

الحدارات.

وقال آخرون، فلما حكى مكّي بن أبي طالب:

الأبواب هنا فلق الخشب التي تجعل أبوابًا لفتوح

الحدارات، أي تنقطع السماء قطعًا صخرًا حتى تكون

كالوواح الأبواب، والقول الأول أحسن.

وقال بعض أهل العلم: تنفتح في السماء أبواب

للملائكة، من حيث يصعدون وينزلون. (٥: ٤٢٥)

الفخر الرازي: فإن قيل: قوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾

فَكَانَتْ أَبْوَابًا، يفيد أن السماء بكلّيتها تصير أبوابًا،

فكيف يعقل ذلك؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أن تلك الأبواب لما كثرت جدًا صارت

كأنها ليست إلا أبوابًا مفتحة، كقوله: ﴿وَفُجِّرْنَا الْأَرْضَ

عَيْنُونَا﴾ القمر: ١٢، أي كأن كلها صارت عيونًا تنفجر.

وثانيها: قال الواحدى: هذا من باب تقدير حذف

المضاف والتقدير: فكانت ذات أبواب.

وثالثها: أن الضمير في قوله: ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ حاد

إلى مضمرة، والتقدير: فكانت تلك المواضع المفتوحة

أبوابًا لنزول الملائكة، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ

وَالْقَلْبُكَ صَفًا صَفًا﴾ القمر: ٢٢. (١١: ٣١١)

نحوه النيسابوري (٣٠: ٨)، والشريبي (٤: ٤٧١)،

والأوسى (٣٠: ١٣).

أبو السعود: [قال نحو الزمخشري ثم أضاف:]

وقيل: (الأبواب): الطرق والمسالك، أي تكشط

فينفتح مكانها، وتصير طرقًا لا يسدها شيء. (٦: ٣٥٨)

نحوه البروسوي.

الطنطاوي: أي صارت من كثرة شقوقها كأن

الكل أبواب.

الكل أبواب. (٩: ٢٥)

أَبْوَابُهَا

١-...وَتَبَيَّنَ الْبَرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا
وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. البقرة: ١٨٩

النَّبِيُّ ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلى بابها ولا تأتي
المدينة إلا من بابها». [ويروي] «أنا مدينة الحكمة».

(الطبرسي ١: ٢٨٤)

الإمام علي عليه السلام: [في حديث]..نحن البيوت التي
أمر الله بها أن يؤتى من أبوابها، نحن باب الله وبيوته التي
يؤتى منها، فمن بايعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من
أبوابها، ومن خالفنا وفصل علينا غيرنا فقد أتى البيوت
من ظهورها. [وفي معناها روايات أخرى]

(البحراني ٢: ١٠٣)

[وفي حديث] وقد جعل الله للعلم أهلاً، وكثر من
على العباد طاعتهم بقوله: «وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا»
والبيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء،
وأبوابها أوصياؤهم. (القرطبي ١: ١٧٧)

ابن هيثم: إنه كان الهرمون لا يدخلون بيوتهم
من أبوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهر بيوتهم، أي في
مؤخرها نقباً يدخلون ويخرجون منه، فنهوا عن التدنيس
بذلك.

مثله فتادة، وعطاء.. (الطبرسي ١: ٢٨٤)

الرَّمَحُصْرِيُّ: أي وياشروا الأمور من وجوهها
التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا.

والمراد: وجوب توطين النفوس وربط القلوب،
على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج

نسبة، ولا اعتراض شك في ذلك، حتى لا يسأل عنه لما
في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك «لَا يُشْئَلُ عَنْهَا
يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ» الأنبياء: ٢٣. (١: ٣٤١)
لاحظ «ب ي ت»

٢- وَبَقِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا. الزمر: ٧١
راجع «فت ح».

٣- وَبَقِيَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا... الزمر: ٧٣
النَّبِيُّ ﷺ: في خبر بلال عن النبي ﷺ قال: قلت
لبلال: فما الأبواب؟ يعني الجنة؟

قال: إن قلوبها مختلفة: باب الرحمة من ياقوته
حمراء، وقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، أما باب
الصبر لباب صغير، مصراع واحد من ياقوته حمراء،
وأما باب الشكر فإنه من ياقوته بيضاء لها مصراعان،
مسيرة ما بينهما مسيرة خمسمئة عام، له ضجيج وحنين،
يقول: اللَّهُمَّ جَنِّ بَأْهِي.

قال: هل قلت: يتكلم الباب؟ قال: نعم يطلقه الله
ذو الجلال والإكرام. وأما باب البلاء هو باب الصبر.

قال: قلت: فما البلاء؟ قال: المصائب والأسقام
والأمراض والجذام، وهو باب من ياقوته صفراء
مصراع واحد، ما أقل من يدخل فيه.

أما الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصالحون، وهم
أهل الزهد والورع والترغيبون إلى الله عز وجل

المستأنسون به.

(التروسي ٤: ٥٠٧)

[لاحظ «فت ح»]

والوجه السابع: الباب: الطريق، قوله: ﴿لَا تُفْتَحُ

لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ الأعراف: ٤٠، يعني طرق السماء.

منها: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الحجر: ١٤.

(١٤٩)

الفيروز آبادي: «الباب» قد ورد في القرآن لاني

عشر معنى. [فذكر نحو الدامغاني إلا أنه قال:]

الثاني: مساكن المونة ﴿بَنَاتٍ عَذْنٍ مُّغْتَنَّةٌ لَهُمُ

الْأَبْوَابُ﴾ ص: ٥٠. ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الزمر: ٧٣.

الرابع: باب المكر والميلة ﴿وَعَلَّقَتِ الْآبْوَابُ﴾

يوسف: ٢٣.

الخامس: باب الحرب والغزوة من المعصية ﴿وَأَسْتَفْتَا

الْأَبْوَابُ﴾ يوسف: ٢٥. ﴿وَالْفَتَا سَيِّدَهَا لَذَا الْبَابِ﴾.

السابع: دروب مدينة «أريحاء» وأذرحه ﴿وَأَدْخَلُوا

الْبَنَاتِ سُجَّدًا﴾ البقرة: ٥٨. ﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا

دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ المائدة: ٢٣.

الحادي عشر: بمعنى أبواب الاستدراج بإظهار التعم

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٤٤.

الثاني عشر: الباب المشترك بين المؤمنين والمنافقين

﴿لَهُ بَابٌ بِأَبْوَابِهِ الرَّحْمَةُ﴾ الحديد: ١٣. [ثم ذكر

معان نحو ما نقلناه من اللغويين فراجع] ﴿٢: ١٩٨﴾

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الباب، أي مدخل البيت

وغيره. والبواب: اللازم له. وهو الحاجب، وحرفته

البوابة. يقال: تَبَوَّأْتُ بَوَائِي، أي اتخذته، وباب السلطان

يُتَوَّبُ بَوَائِي: صار له بوائيا.

الوجوه والنظائر

الدامغاني: «الباب» على سبعة أوجه: المنزل،

السكة، الباب بعينه، الدرب، المدخل والخرج، مستفتح

الأمر، الطريق.

لوجه منها: الباب يعني المنزل، فذلك قوله تعالى:

﴿طَا شَبَقَةُ أَبْوَابِ﴾ الحجر: ٤٤، يعني سبعة منازل.

والوجه الثاني: الباب يعني السكة، قوله: ﴿وَقَالَ

يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ يوسف: ٦٧، يعني

سكة واحدة. ﴿وَأَدْخَلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ يعني

سكك متفرقة.

والوجه الثالث: الباب بعينه، قوله: ﴿بَنَاتٍ عَذْنٍ

مُغْتَنَّةٌ لَهُمُ الْآبْوَابُ﴾ ص: ٥٠، كقوله تعالى: ﴿فَتُفْتَحُ

أَبْوَابُهَا﴾ الزمر: ٧١، منها: ﴿وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾

البقرة: ٥٨.

والوجه الرابع: الباب يعني الدرب، كقوله تعالى:

﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ المائدة: ٢٣، يعني الدرب.

والوجه الخامس: الباب: المدخل والخرج، قوله

تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ البقرة: ١٨٩، من

المدخل والخرج.

والوجه السادس: الباب يعني مستفتح الأمر، فذلك

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾

المؤمنون: ٧٧، يعني مستفتح العذاب، منها: ﴿فَتَحْنَا

عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٤٤.

وانقسمت هذه بدورها إلى فئتين: فئة - وهي الأكثرية - تبعت ابنه عباس أفندي، والأخرى تبعت ابنه الآخر محمد علي. ويظن أنها بادت، كما أن الأزلية على وشك الانقراض أيضًا، فالبهائية الذين لهم نشاط بارز في البلاد جُلهم من أتباع عباس أفندي.

الاستعمال القرآني

وجاءت مفردة وجمعًا ٢٧ مرة في (٢٤) آية:

- ١- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ بَشَرْتُمْ رِزْقًا وَإِذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَشَرِّدُ الْمُخْسِبِينَ﴾ البقرة: ٥٨
- ٢- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَفِيٌّ أَتَيْنَا بِالنَّارِ فَكَانَتْ سُجُودًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْبُدُوا فِي الشَّجَرِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِثْقَالَ عَلِيطَةٍ﴾ النساء: ١٥٤
- ٣- ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ بَشَرْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَإِذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ شَرِّدُ الْمُخْسِبِينَ﴾ الأعراف: ١٦٦
- ٤- ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاسْكُنُوا فِيهِمْ وَلَا تَخْرُجُوا مِنْهُمَا حَتَّى يُبْرِئَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِحَقِّ بِعْتِكُمْ وَأَنْتُمْ بِالْأَرْضِ فَاسْكُنُوا فَإِنَّ كَبِيرَ فَتْنِكُمْ إِيَّاهُ وَلَئِنْ أُفْرِجَ عَلَى السَّالِفِينَ﴾ يوسف: ٢٣
- ٥- ﴿وَرَاوَدَتْهُ الْهَوَىٰ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ عَقَاذُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَنَافِيَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يوسف: ٢٣
- ٦- ﴿وَأَمْسَيْنَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَیْصَةُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيْفَهَا لِدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا

والباب: الغاية في الحدود والحساب ونحوه، يقال: يَنْتَه له حصايه بآيًا بآيًا، والباب أيضًا: الوجه الذي أُریده ويصلح لي، يقال: هذا شيء من بابتك، أي يصلح لك، وهذا من باقي، وهو استعمال مجازي.

ومن المجاز أيضًا قولهم: باب الصلاة، وباب الجهاد، وباب الرزق، وباب الله.

ثم سرى هذا الاستعمال في اللغات الأخرى كاللاتينية، فيقول السائل في اللغة الإيطالية: «الله باب الله»، ويطلق الفرنسيون على قصر السلطان: الباب العالي، وباب السعادة، وباب السماء، وعلى الحياة الدنيا والأخرة: البابين، كما سمي بناء مكتب الوزراء إيمان الدولة العثمانية: الباب العالي.

٢- والبهائية: فرقة ضالة، ظهرت في سيراكوسة (١٢٦٠ هـ)، نسبة إلى الباب، وهو مؤسسها علي محمد الشيرازي، إذ ادعى أنه باب العلم ثم باب المهدي عليه السلام، وسرعان ما تلقب بلقب آخر وهو النقطة الأولى ثم عاد وادعى أنه المهدي بعينه.

ولما طاوله أنصاره - وجُلهم كانوا من الطائفة الشيعية - ادعى أنه يوحى إليه، وأن الله أنزل عليه كتابًا يسمى البيان. ثم لقب نفسه بالذكر، وزعم أنه المراد من الآية ﴿فَمَنْ لَوْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ التحل: ٤٣، وأخيرًا آل مصيره إلى الهلاك، فقتل في تبريز بفتوى العلماء عام (١٢٦٦ هـ).

وافترق تلاميذه بعد فئتين: فئة تبعت وصيه الملقب به «صبح أول» وتبعت بالأزلية، وفئة تبعت أخاصم أول الملقب به «جهاء الله» وتبعت بالبهائية.

أَنْ يُشْجَعَ أَوْ غَدَابَ أَيْمٍ» يوسف: ٢٥

٧- «وَقَالَ يَأْتِيهِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا فِي عِلِّيَّهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ» يوسف: ٦٧

٨- «... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» البقرة: ١٨٩

٩- «فَنَفَخْنَا فِي السَّمَاءِ بِمَا هُمْ شُرَكَاءُ» القمر: ١١

١٠- «وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَقْرُونُ» لقائلوا إِنْ مَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلَىٰ فَحَرِشٌ قَوْمٌ مُّشْجَرُونَ» الحجر: ١٥-١٦

١١- «حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» المؤمنون: ٧٧

١٢- «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» الأنعام: ٤٤

١٣- «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَفَنَعْنَا لَبِئْسَ يَكْفُرُ بِالْإِنْسَانِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَبَكَّرُونَ» الزخرف: ٣٣، ٣٤

١٤- «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُلَاحِظُوا فِي سَمِّ الْخَيْطِ بِكَذِّبَتْكَ نِعْمَى الْمُشْكِرِينَ» الأعراف: ٤٠

١٥- «وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا» النبا: ١٩

١٦- «جَنَّاتٍ عَذْنٍ مُّتَفَتِّحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ» ص: ٥٠

١٧- «جَنَّاتٍ عَذْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» الرعد: ٢٣

١٨- «وَسَبِّحْ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» الزمر: ٧٣

١٩- «وَسَبِّحْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا هَٰؤُلَاءِ وَلَكِنْ كَذِبٌ كَلِيمٌ الْعَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ» الزمر: ٧١

٢٠- «لَهَا سِتْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْشُورٌ» الحجر: ٤٤

٢١- «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَقَرٌّ لِلْمُتَكَبِّرِينَ» النحل: ٢٩

٢٢- «بِقِيلٍ اذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَقَرٌّ لِلْمُتَكَبِّرِينَ» الزمر: ٧٢

٢٣- «أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَقَرٌّ لِلْمُتَكَبِّرِينَ» المؤمن: ٧٦

٢٤- «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ قَبِيلٍ ارْجِعُوا وَزَادْكُمْ فَالْتَمِسُوا تَوَدَّاهُمْ فَضْرَبَ بِشَبَابِهِمْ يَسْعَىٰ لَهُ بَابُ بَاطِلَةٍ فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَاهِرَةٌ مِنْ فَتِيلَةِ الْعَذَابِ» الحديد: ١٣

يلاحظ أولاً: أن الباب جاء (٢٥) مرة: (١١) مرة

مفردا، و(١٤) مرة جمعا، وتكرر المفرد في (٦)، وجاء مع الجمع في (٧) وفي (٢٠).

ثانياً: جاءت سبعة منها: (١) إلى (٧) في شأن بني إسرائيل عامة، وأبناء يعقوب خاصة، فالأربع الأولى منها في دخول بني إسرائيل القرية المقدسة، أي «بيت المقدس»، حيث أمروا بأن يدخلوا الباب سجداً في ثلاث منها. ولما خافوا أهلها وتقهّلوا في الدخول جاء في (٤): ﴿قَالَ رَجُلَانِ الْآيَةَ﴾.

وفيها نكات ينبغي الالتفات إليها:

١- أن باب هذه القرية كان بمثابة امتحان لبني إسرائيل، حيث أمرهم نبيهم موسى ﷺ مؤكداً أن يدخلوها وهم يأبون، خوفاً من الأهالي، حتى قالوا له بعد أن أصر عليهم الرجلان: ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ تَذَلُّهَا﴾ أيّداً خادعوا فيها فاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْقَاسِيِينَ ﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَأَنَّا عَلَى الْقَوْمِ الْقَاسِيِينَ ﴿ المائدة: ٢٤-٢٦.

٢- في واحدة منها - وهي (٣) - قدم أمرهم بالسكن في هذه القرية قبل الأمر بدخولها، إعلالاً بأنه الهدف من الدخول.

٣- في اثنتين منها - وهما (١) و(٢) - جاء ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، أي أمرهم بأن يسألوا الله أن يحط ذنوبهم، فسمي الباب (باب حطة). وفي حديث أهل البيت: «نحن باب حطّكم»، أي تُختبرون بناءً لاحظ بجميع البيان (١: ٢٣٤)، وبينها قوله فيها: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ

خَطَايَاكُمْ﴾ أو (خطيائكم).

ثم جاء في (١) و(٣) أيضاً: ﴿وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، أي أنكم في رخاء من العيش، وزاد في (١): (رَغَدًا)، وهو العيش الموسع، عطيماً لهم. ٥ - جاء في ختام (١) و(٣): ﴿وَسَتَزِيدُ الشُّعْبِينَ﴾، أي تزيد الحسين على غفران خطاياهم جزء آخر في الدنيا والآخرة، وهذا ترغيب وتطمين آخر لهم.

٦- ابتدأت (٢) بـ ﴿وَوَفَّقْنَا قُرُوفَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَاهُمْ﴾، أي رفع الجبل فوقهم، وسلطه عليهم، تخويفاً لهم وتذكيراً لميثاقهم، ليعتدوا للدخول، وأضاف: ﴿وَوَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَقْدُوا فِي الشَّجَرِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾، ورحمهم كل ذلك فإنهم أبوا الدخول.

٧- جاء في (٤) حكاية عن الرجلين: ﴿اذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتْوُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي ضمن الرجلان لهم الغلبة على الأعداء إذا توكلوا على الله إيماناً به، ومع ذلك أبوا وامتنعوا.

٨- إذا ضمت هذه الآيات الأربع بعضها إلى بعض فإنها تحاكي أساليب التأكيد لهم تخويفاً وتطميناً، إلا أنهم أعرضوا عنها، وأصرّوا على موقفهم السلبي تجاه أمر الله.

ثالثاً: أما الثلاث الأخيرة من هذه الآيات السبع، فاثنتان منها - وهما (٥) و(٦) - جاءتا في مرادة امرأة العزيز ليوسف ﷺ حيث خلعت به، وراودته في بيتها من نفسه، وقالت له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾، أي أقبل وتعال،

وذلك بعد أن «عَلَقَتِ الْأَبْوَابَ». وفيها بحوث:

١- هذه الجملة بما فيها من صيغة (التفعل): (عَلَقْتُ) الدالة على البت والقطع، والجمع المحل باللف الاستفراء: «الأبواب»، تحكي غاية سعيها في الاستتار، وأن لا يطلع على خطيتها غيرها، وسما زوجها.

٢- تحاشى يوسف عن تلبية رغبتها في (٥) وقال: «مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَنَافَى إِنَّهُ لَا يَفْصَحُ الظَّالِمُونَ»، أي انتفى يوسف إلى قيم أخلاقيّة وعقائديّة: إذ العزيز ربّاه وأحسن مثواه. وما طلبته منه خيانة للعزيز وظلم له، ولا فلاح للظالمين، والله عليم به، ومعاذ الله أن يصبه.

٣- إن الموقف كان عليه خطيراً، حيث قال الله بعد (٥): «وَوَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأْيُهَا كَانَ إِيمَانًا لِّمَوْلَايَ فَلَمْ تَذُوقْهُ نَجْمًا وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ هَذَا التَّسَرُّعِ وَالْهَذَرِ الْقَضَاءُ سَمِعَهَا لَدَى الْبَابِ حِينَ اسْتَبَقَا الْبَابَ، فَانْكَشَفَ السَّرُّ.

٥- إنها بادرت من فرط كيدها إلى قولها لزوجها: «مَاجِرَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا»، فألقت المجرم على كاهل يوسف، إلا أن يوسف لم يسكت، بل دافع عن نفسه، وألقى المجرم عليها غوراً، وقال: «مِنْ زَاوَدَنِي عَنْ نَفْسِي» يوسف: ٢٦.

٦- وواحدة منها - أي (٧) - وهي التي جمعت بين «الباب» و«الأبواب»، جاءت في طلب يعقوب من بنيه حينما تجهّزوا للمسير إلى العزيز أن لا يدخلوا من باب واحد، بل من أبواب متفرقة، اعترافاً بأن هذا لا يفي عنهم من الله شيئاً، فدخلوا من حيث أمرهم أبوهم لم حاجة في نفس يعقوب دون أن يُغنيهم شيئاً.

قال في مجمع البيان (٥: ٤٧٩) نقلاً عن ابن عباس وغيره: «خاف عليهم العين، لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكمال، وهم إخوة يوسف أولاد رجل واحد». وزاده الألويسي (١٣: ١٥) بياناً، وبُعث طويلاً في أنس العين، وزاد القفطالزاري (١٨: ١٧٤) وجهين آخرين فلاحظ.

٧- ويخطر بالبال أن الجمع بين الأمر والنهي، وبين «الباب» و«الأبواب»، مع ما فيه من لون من التكرار، لا يخلو من سرّ. قال الألويسي: «إنّ عدم الدخول من باب واحد غير مشلزم للدخول من أبواب متفرقة، وفي دخولهم من باين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المذود، وإنما لا يكتفب بهذا الأمر مع كونه مستلزماً للنهي السابق إظهاراً لكمال العناية به، وإيضاحاً بأنّه المراد بالأمر المذكور لتحقيق شيء آخر».

وقد سبق أن ذكرنا في «أثم» و«ببر» وجه الجمع بين الأمر والنهي في قوله تعالى: «تَقَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَاتَّقُوا وَلَا تَفْاَوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» المائدة: ٢، وعلى العموم فالجمع بين الأمر بشيء والنهي عن ضده من أساليب التأكيد والتركييز في الشيء، وله عظام في القرآن، ومن أكثرها وأبرزها آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعاً: تحمل الآية (٨) تشريعاً اجتماعياً، وهو أن المؤمنين مكلفون بأن يأتوا البيوت من أبوابها دون ظهورها، كما كان الجهال والسوقة يفعلونه.

خامساً: ترجع خمس من الآيات - (٩) إلى (١٣) -

فيها - من «الباب» و«الأبواب»، سواء كانت حقيقة أم مجازاً - ما يتعلق بالدنيا. أما باقي الآيات (١٤) إلى (٢٤) فأريد بها ما يتعلق بالآخرة، وإليك التفصيل:

١- موضوع الآيتين (١٤) و(١٥) فتح أبواب السماء في الآخرة أمام الناس، مؤمنهم وكافرهم. فأما المؤمنون فتفتح لهم أبواب السماء، فتصعد أرواحهم منها إلى الجنة. وأما الكافرون فلا تفتح لهم ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وهو تعليق على الحال، فلا يدخلونها أبداً. وهذا المعنى معلوم في (١٤). وأما الآية (١٥) فيحتمل أن يراد بها مذكّر، أو مذكّره الطُّرْسِيّ لي بجمع البيان (١٠: ٢٧٣): «فتحت السماء، أي شقت للزول الملائكة، فكانت ذات أبواب».

فمن لا تدري ما المراد بالسماء في الآيتين، أي سماء المسجدة لنا؟ وهو بعيد؛ إذ لا يناسب صعود الأرواح ونزول الملائكة. أم هي السماوات العلّ التي هي مأوى الملائكة وأرواح المقرّبين؟

وكيف كان فالجمع: «أبواب» فيها دالّ على الكثرة والسعة الخاصة بهؤلاء المقرّبين من الملائكة وأرواح المؤمنين، وأريد بالأبواب ما يناسب تلك السماء حقيقة أو مجازاً، والله به عليم.

٢- الآيات الثلاث (١٦) إلى (١٨) راجعة إلى أهل الجنة وأبوابها، فجاءت في (١٦) و(١٧): «جَنَّاتٍ غَدَقْنَ»، أي أن مأواهم جنّات وليست جنة واحدة، وهي «عدن» أي دار إقامة دائمة وليست مؤقتة، وهو عبارة عن الخلود، إلى هنا تلتقي الآيتان ثم تفرقان:

فاكتفى في (١٦) بأن أبوابها مفتحة لهم، قال

إلى ما وقع أو يقع في الحياة الدنيا عذاباً للأمم، فجاءت الآية (١٦) في فتح أبواب السماء عند الطوفان حين إغراق قوم نوح، وليس المراد بها أن للسماء أبواباً تنزل من خلالها الأمطار عند فتحها، بل هذه استعارة لطيفة أريد بها شدة الأمطار، تشبيهاً بمياه حُبست وراء الأبواب، فإذا فتحت سالت المياه بشدة.

وفي (١٠) توبيخ من الله للكفار بأنهم لو فسحت عليهم أبواب السماء فخرجوا فيها، لقالوا: هذا سحر أحاط بنا، ليس له حقيقة، والمراد بأبواب السماء فيها تشبيه أيضاً، وهو مجاز.

وفي الآية (١١) إنذار للكفار بفتح باب من العذاب الشديد عليهم، وهو مجاز أيضاً.

وأما الآية (١٢) فتعكاية اختبار وإنذار من الله للأمم المتألفة بأنهم لما نسوا ماذكروا به من البأساء والضراء، فتح الله عليهم أبواب كل شيء، ووسّع عليهم في العيش، حتى إذا فرسوا بما أوتوا أخذهم بئس. ومعلوم أن «أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ» بما فيها من الوسعة والشمول استعارة، تشبيهاً لأنواع طرق العيش بأبواب مفتوحة أمامهم، فهذا مجاز أيضاً.

والآية (١٣) اختبار للكفار أيضاً، بأنه لو لا أن يريد الله أن يكون الناس سواسية لجعل لبيوت الكفار سقفاً من فضة، وليبوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون، أي تكون بيوتهم فخمة كالقصور، لها أبواب متعددة. فالجمع فيها للتعظيم والتفخيم، و«الأبواب» هنا حقيقة وليست مجازاً.

سادساً: أن مأمّر بنا من الآيات الثلاث عشرة أريد

الطَّبْرَسِيّ (٨: ٤٠٩): «أَيَّ يَجِدُونَ أَبْوَابَهَا مَفْتُوحَةً حِينَ يَرُدُّونَهَا، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الْوُقُوفِ عِنْدَ أَبْوَابِهَا حَتَّى تَفْتَحَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى مِفْتَاحٍ، بَلْ تَفْتَحُ بِغَيْرِ مِفْتَاحٍ، وَتُفْتَلَقُ بِغَيْرِ مَقْلَاقٍ...». وَصِيغَةُ (التَّفْمِيلِ) فِي «مَفْتُوحَةً» لِلتَّكْثِيرِ، لِكثْرَةِ الْأَبْوَابِ، أَوْ لِلْإِكْمَالِ وَالْإِتِمَامِ. أَيْ فُتِحَتْ لَهُمْ عَلَى مَصْرَاعِهَا كَامِلَةً، عَكْسُ «وَعَلَّقَتْ الْأَبْوَابُ» فِي الْآيَةِ (٥)، حَيْثُ كَانَتْ لِلشَّدِّ وَالشَّدِّ، وَقَدْ سَبَقَتْ.

أَمَّا فِي (١٧) فَقَدْ زَادَ «يَدْخُلُونَهَا وَعَمَّنْ صَلَّحَ مِنْ أَيْسَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ»، أَيْ لَا يَدْخُلُونَهَا وَحْدَهُمْ، بَلْ مَعَ هَؤُلَاءِ الْأَقْرَبَاءِ، وَهَذَا أَمَّا هُمْ وَأَمْعَ. كَمَا زَادَ «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ»، أَيْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي خِدْمَتِهِمْ، يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْأَبْوَابِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ «الْجَمْعَ» فِي «الْمَلَائِكَةِ» وَ«الْمَلَائِكَةُ» وَ«كُلِّ بَابٍ» بِمَعْنَى التَّنْظِيمِ وَالتَّطْوِيلِ وَالتَّوَسُّعِ. وَمَا ظَنُّكَ بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا جَنَّاتٍ عِدْنٍ مَعَ جَمِيعِ أَقْرَبِهِمْ، وَجَمْعٍ غَفِيرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي خِدْمَتِهِمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ وَيَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ بَابٍ جَمَاعَةً وَفَرَادَى، لِيَسْبِغُوا لَهُمْ مَا تَشْتَهُي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ!

أَمَّا الْآيَةُ (١٨) فِي وَصْفِ الْمُتَّقِينَ مَعَ قَرِينَتِهَا (١٩) فِي وَصْفِ الْكَافِرِينَ، فَفِيهَا آفَاقٌ مِنَ الْبَحْثِ:

أَوَّلُهَا: أَنَّهَا بَدَأَتْ بِ«سَيِّقٍ»، أَيْ يَسَاقُ كُلٌّ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ، هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ إِلَى جَهَنَّمَ، وَافْعَلِ الْجَاهِلُ إِنَّمَا لِلتَّسْوِيَةِ وَالتَّضْمِينِ لِحَالَةِ السُّوقِ بِحَيْثُ لَا يَذْكُرُ مَدَاهَا، لِيَذْهَبَ ذَهْنُ السَّامِعِ إِلَى كُلِّ مَذْهَبٍ مِمَّا مِمَّا مِنَ الشَّدَّةِ وَالْعُظْمَةِ، أَيْ مِنَ الْهَنَاءِ وَالْهَبَةِ وَالْحَرَمَةِ

لَأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ الْعَنَاءِ وَالنَّغْصِ وَالْإِهَانَةِ لِأَهْلِ النَّارِ، أَوْ أُرِيدَ بِالْجَاهِلِ: عَدَمُ التَّرْكِيزِ وَالْإِهْتِمَامِ بِالْفَاعِلِ، أَيْ لَا يَهْتَمُّ مَنْ كَانَ السَّائِقُ لَهُمْ، إِنَّمَا الْمَهْمُ وَصْفُ مَصِيرِ الْفَرِيقَيْنِ، وَالْأَوَّلُ أَوَّلِي.

ثَانِيهَا: فِي السُّوقِ نَوْعٌ مِنَ الْكِرَاهَةِ لِلْمَسُوقِ، وَمِنْ الْإِكْرَاهِ وَالْإِجْبَارِ مِنْ قِبَلِ السَّائِقِ، وَفِيهِ تَحْقِيرٌ وَذَلَّةٌ لِمَنْ يَسَاقُ، وَهَذَا مَفْهُومٌ فِي أَهْلِ النَّارِ. أَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَأَتَتْهُمُ تَائِفُونَ إِلَيْهَا مُسْتَعْبِلُونَ فِي دُخُولِهَا بِطَبِيعَتِهِمْ، لِمَا الْمَوْجِبُ لِسَوْفِهِمْ؟

وَالْجَوَابُ فِي التَّفَاسِيرِ بِوُجُوهٍ مِنْهَا: أَنَّ سَوْقَ أَهْلِ النَّارِ وَطَرْدَهُمْ إِلَيْهَا بِالْخُزْيِ وَالْهَوَانِ كَمَا يُفْعَلُ بِالْأَسَارِيِّ وَالْخَارِجِينَ عَلَى السُّلْطَانِ إِذَا سَبَقُوا إِلَى حَبْسٍ أَوْ قَتْلٍ، وَسَوْقُ أَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ سَوْقُ مَرَاجِبِهِمْ إِلَى دَارِ الْكَرَامَةِ وَالرِّضْوَانِ، لِأَنَّهُ لَا يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَّا رَاكِبِينَ لِشَرَفِهِمْ. عَلَى تَأْمَلٍ فِيهِ لِلْأَلُوسِيِّ فِي تَعْمِيمِهِ لَجَمِيعِ الْمُتَّقِينَ: حَيْثُ جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّهُمْ عَلَى طَبَقَاتٍ وَلَهُمْ مَرَاتِبٌ، فَلَاحِظُ. وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ لَمَّا أَحَبُّوا اللَّهَ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُمْ، فَاشْتَأَقُوا إِلَيْهِمْ فَسَاقَهُمْ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ الْقَارِصِيُّ:

تَا كَهْ اَزْ جَانِبِ مَشُوقِ نَبَاشِدْ كَشْمَشِي

كُوشْشِ عَاشِقِي بِي جَارِهِ بِجَائِي نَرَسِدْ

أَيْ: إِنْ كُنْتُ لَا تَلْقُ حَبِيبًا يَرْضَى

وَصَلًّا فَلَتَأَلُّ فَأَنْتَ الْخَاسِرُ

وَمِنْهَا: أَنَّهَا جَاءَتْ هَكَذَا لِلْمُشَاكَلَةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ،

وَمَا يَوْمُهُ لَفْظُ «سَيِّقٍ» مِنَ التَّحْقِيرِ فِيهَا يَدْخُفُهُ قَوْلُهُ:

(إِلَى الْجَنَّةِ) وَمَا يَمُدُّ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَمِنْهَا قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ: إِنَّ الْمُتَّقِينَ حِينَ يَرُونَ

بأنَّ لهم من ضروب الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارة، وليذهب ذهن السامع إلى كلِّ مذهب ممكن، ومنها: أنَّها «واو الثَّانية»، إشارة إلى أنَّ أبواب الجنَّة ثمانية، كما جاءت في الأحاديث؛ وذلك لأنَّ من عادة قريش أنَّهم يمدُّون من الواحد، فيقولون: خمسة، ستة، سبعة، فإذا بلغوا السبعة قالوا: وثمانية. وفي القرآن شواهد منه، مثل: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ الحاقة: ٧. ﴿وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ عَنْ رَبِّهِمْ كَلِمَتًا﴾ الكهف: ٢٢ ونحوها. وهذا الوجه مقبول لو كانت هذه الجملة وحدها مطبوعة بالواو، والحال أنَّ ما بعدها جمل مطبوعة عليها، وهي أولها.

ومنها: أنَّ الله فرَّق بين الفريقين بأن جعل لمصر أبواب جهنم منتهى سير أهلها، فجعلها جواب الشرط. أمَّا أهل الجنَّة فإنَّ فتح أبواب الجنَّة لهم ليس نهاية سيرهم، بل هو أحد مراحلها، ولهم بعده مراحل لا تنتهي، فهذا عطف بعضها على بعض دون ذكر غاية تكون جواب «إذا»، بل حذف الجواب إشعارًا بعظم ما لهم من الكرامات، كما سبق في الوجه الأول، والله أعلم بسرِّ كتابه.

خامسها: أنَّ لكلا الجنَّة والنار خزنة وحجبة، لا يدخلها أحد إلا بإذنهم، ولهم أن يتحدثوا مع الداخلين بما فيه توبيخ وإعانة، أو سلام وشكر وكرامة. وشتان ما بين قولهم لأهل الجنَّة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوا فِي جَنَّاتٍ﴾ وقولهم لأهل النار: ﴿الَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾. وشتان ما بين كلمة أهل الجنَّة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ

الله في المشرق يكرهون فراق ذلك الموطن طمأنًا في رؤيته ثانيًا، وثلثة حثيم وشغفهم، لا يكاد يحظر بياهم أنَّهم سيرونه سبحانه إذا دخلوا الجنَّة، فيجمعون عن المسير، فيساقون إلى الجنَّة، والمراد به «الرَّؤْيُ» طمأنًا ينبغي أن لا يطرز التجسيم.

ومنها: ما خطر بالبال أنَّ المتقين من فرط تواضعهم وخضوعهم يرون أنفسهم مقصرين أمام ربهم، لا يليقون بدار كرامة الله، فأحجموا عن المسير حياءً حتى سيقتوا إليها.

ثالثها: جاء السوق في الفريقين «زمرًا»، وبه سميت السورة، وذلك إشارة إلى طبقاتهم حسب أعمالهم، ودرجاتهم حسب جزائهم، كما قال تعالى: ﴿فَتَأْتَوْنَ أَفْوَاجًا﴾ التبا: ١٨.

رابعها: جاء فيها «عَنْ إِذَا جَاؤَهَا»، ثم جاء في أهل النار ﴿فَتُفْتَحُ أَبْوَابُهَا﴾ بلا «واو»، فجعلت جواب «إذا» تأكيدًا أنَّها كانت مغلفة قبلها، وإشارة إلى وقوعهم خلفها ذلًّا وحقارة، منتظرين فتح الأبواب، وجاء في أهل الجنَّة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بزيادة «واو» من دون جواب فيها له «إذا»، فما هو السرُّ فيها؟

والجواب بوجوه: منها: «الواو» حالية، أي جاءوها، والحال أنَّها كانت مفتوحة أبوابها من ذي قبل، انتظارًا لهم وكرامة. ويناسبه أنَّها قرنت بالتشديد أيضًا (وفتحت) تأكيدًا أنَّ خزنة الجنَّة فتحو أبوابها، ووقوا منتظرين لهم، كما يفتح الخدم باب المنزل للضيف قبل قدومه إكرامًا وانتظارًا له. وعليه فتكون الآية من قبيل: «مفتحة لهم الأبواب» في (١٦)، وحذف الجواب إيذانًا

الَّذِي صَدَقْنَا وَغَدَاةً وَاتُرْكَا الْأَرْضُ نَسْجُوا مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ». وجواب أهل النار
للجنة: «قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
الْكَافِرِينَ» الزمر: ٧١-٧٤.

سادسها: قد نطق القرآن في (٢٠) بأن أبواب جهنم
سبعة، أما أبواب الجنة فليس في القرآن ما يكشف عن
عددها، سوى ما قيل في «واو الثانية»، وقد سبق،
ولادلالة فيها، إلا أن الأحاديث دلت على أنها ثمانية،
وتكلم بعضهم في سرتها.

ومهما كان، فزيادة أبواب الجنة على أبواب النار
بواحدة دلالة على أن عدد أهل الجنة أكثر من أهل النار،
أو أن رحمة الله أوسع من سخطه، وأن رحمته سبقت
غضبه.

بيد أن الأبواب - بنظر النظر عن الأحاديث - دلت
على كثرتها، ولعلها بعدد نفوس المخلوق، كما قالوا:
الطرق إلى الله بعدد أنفاس المخلوق، أو بعدد الحركات
التي أتى بها العباد والصالحون، وهذا هو الذي يليق
بساحته المقدسة ورحمته الواسعة، فهناك باب الصلاة،
وباب الصوم، وباب الحج، وباب الزكاة، وباب الأمر
بالمعروف، وباب التقوى، وباب الزهد، وهلم جرا،
والبحث بعد مفتوح.

٣- وأما الآيات الست الباقية - (١٩) إلى (٢٤) -
فراجعة إلى أهل النار، وهي ضعف آيات أهل الجنة
المتقدمة، ترجيحاً لجانب الإنذار على جانب التبشير
لمزيد الحاجة إليه، وكشفاً عن توغّلهم في الكفر
والعصيان، وإصرارهم على الإثم والطغيان.

أما أولها - وهي (١٩) - فقد سبق القول فيها مع
شقيقتها (١٨) مشروحاً.

وأما ثانيها - وهي (٢٠) - فهي وحيدة في القرآن
بأن جهنم لها سبعة أبواب، وجاءت خلال محاجة
إليس لله، ابتداء من الآية (٢٢) من سورة الحجر:
«قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونُ مَعَ الشَّاجِدِينَ...»،
وانتهاء بهذه الآية: «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ
جُزْءٌ مَقْسُومٌ» - (٤٤)، وعقبها الله بأحوال المتقين: «إِنَّ
الْمُسْتَقِيمِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ»
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ
مُتَنَاطِلِينَ» لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ»
(٤٥) إلى (٤٨) - في أربع آيات.

جاءت لأهل النار آيتان، ففضل أهل الجنة عليهم
بانتين، فضلاً عن اليون الشاسع فيما بين الفريقين، حيث
أُتِيَ في أهل النار - وقد قدمهم في الذكر تسميماً لمحتاج
إليس - بثلاثة أمور: «إِنَّ جَهَنَّمَ لَوْ عِدَّكُمْ أُنْجَبِينَ» لَهَا
سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ» والمراد
بسبعة أبواب، إما عدد السبعة، كما جاء في النصوص
فلاحظها، أو هي للتكثير كقوله: «وَالْهَرَجُ بِمُدَّةٍ مِنْ
تَقْدِيرِ سَبْعَةِ أَجْحُرٍ» لقمان: ٢٧.

أما أهل الجنة فوصفهم بستة خصائص، أي ضعف
ما وصف به أهل النار، وهي وصفهم - أولاً - بالمتقين،
وأن لهم جنات وعيوناً، تأكيداً لشدة تقواهم التي كانت
سبباً لاستحقاقهم للجنات والعيون الكثيرة.

والترحيب بهم - ثانياً - ليدخلوها بسلام آمنين من
دون ذكر المرحّب أهو الله أم الملائكة، ليذهب ذهن

السامع إلى كلِّ مذهب، إلا أنه قد سبق في الآية (١٨) أن غزيتها هم المرتحون بهم - وفيه إذن لهم ودعوة منهم بالدخول تكريمًا، مع تبشيرهم بأنَّها دار سلامة وأمن لهم، أو المراد: «قولوا: سلامًا».

ثم وصف حالتهم النفسية - ثالثًا - بأن نزع الله بآله من العزة والجلال ما في قلوبهم من غلٍّ: (نَزَعْنَا)، وهذا مما رسب في قوسهم من دار الدنيا لطبيب قوسهم عند دخول الجنة.

ثم تبشيرهم - رابعًا - بأنَّهم بما فهم من تقوى القلب وطيب النفس، سوف يكونون في الجنة إخوانًا على سرر متقابلين، أي يستأنس بعضهم ببعض، ويمدّت بعضهم بعضًا.

وخامسًا - بأنَّهم لا يميتهم نصب عما امتلكوا به في حياتهم الدنيا.

وسادسًا - بأنَّهم فيها مخلّدون لا يخرجون منها أبدًا. وهذه الأوصاف تبيان لما مضى في (١٨): ﴿وَقَالُوا لَهُمْ مَخْرَجٌ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوا خَالِدِينَ﴾. وقد ختمت هذه الآيات بأوصاف ثمّ الفريقين ﴿فَنَجَّى بِنَادِيٍّ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿الحجر: ٤٩، ٥٠، تقديرًا لجزاء المتقين على عقاب المكذّبين.

أما الثلاث التي بعدها - (٢١) إلى (٢٣) - فذات مضمون واحد وألفاظ متقاربة: حيث قيل لهم: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَنَّاتٍ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَفْزَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، فركّز فيها في ثلاثة عناصر: أمرهم بدخول أبوابها، ووعيدهم بأنَّهم خالدون فيها، وأنَّها بس

مضى المتكبرين، إعلانيًا بأن رذيلة الكبر ألبأتهم إلى الكفر بالله الرحيم، وجرّتهم إلى عذاب الجحيم.

وهذا السياق الواحد المتكرّر في القرآن في هذه الآيات الثلاث، من أنشد وأقصى التهديد والوعيد، وصيغة الجمع في «الأبواب» للتكثير والتّهويل.

أما الآية الأخيرة - (٢٤) - فستأز من بينها باختصاصها بالمنافقين والمنافقات الذين يتذبذبون بين الفريقين: المؤمنين والكافرين. ولنستوعب مغزى الآية، فنمرّ على ما قبلها. وهي تصف موقف المؤمنين والمؤمنات وهم في طريقهم إلى الجنة، فتقول: ﴿يَوْمَ نَجْزِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِنَسْفِ نُورِهِمْ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْمَنِمْ وَبِأَيْمَنِمْ يَشْرِكُكُمْ يَوْمَ تَبْتَلَى أَلْبَابِهِمْ فَأُولَئِكَ هُوَ الْغَوْرُ الْعَظِيمُ﴾ الحديد:

١٢. ونلتها هذه الآية في شأن المنافقين والمنافقات، حيث يظنون إلى المؤمنين والمؤمنات ونورهم يسمى بين أيديهم وبأيامهم، فيقولون لهم: اظفرونا نفيس بين نوركم، فيقال لهم: ارجعوا وراءكم، أي إلى الدنيا فانتمسوا نورًا.

وهذا استهزاء منهم، لأنّه لا رجوع من الآخرة إلى الدنيا، كما كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا، ولا شك أنّه نور الإيمان الذي اكتسبه المؤمنون والمؤمنات في الدنيا، ولم يكتسبه المنافقون والمنافقات. وبعد أن يسوا من اقتباس التور لبواصلوا طريقهم إلى الجنة في ظلمات القنر، ضُرب بين الفريقين سور له باب، باطنه فيه الرّحمة - وهو جانب المؤمنين - وظاهره - من قبله العذاب وهو جانب المنافقين - من قبله العذاب. فلكلّ

من الفريقين من التور الحائل بينهما ما يناسبها من الرحمة والعذاب، والبحث فيها مشروحاً موكول إلى «نق» ، إلا أننا نشير هنا إلى نكات:

منها: أن الآيتين تجعل كلا من الفريقين بوصف المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات إلى جانب الآخر بأسلوب متقارب: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾، تركيزاً في التمييز بينهما واضحاً جلياً، فتجعل المؤمنين والمؤمنات في صف من دون فرق بين الذكور والإناث، والمنافقين والمنافقات كذلك في صف مقابل لهم.

ومنها: أن المهادي إلى الجنة يومئذ هو نور الإيمان المكتسب في الحياة الدنيا.

ومنها: أن طريق الفريقين عبر النار كما قال: ﴿وَأَنْ يَنْتَكُمُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ مريم: ٧٦، فإذا تجاوز الفريق الأول النار حُرِبَ بينها بسور، هو الحائل بين الجنة والنار، ويبقى الفريق الثاني خلف السور محبلاً في النار.

ومنها: لعل وجود الباب في السور بعد مرور الفريق الأول تذكيراً للفريقين: للفريق الأول شكراً منهم بأنهم نجحوا بما خلف الباب من النار، وللفريق الثاني حسرة منهم بأنهم بقوا خلفه ولم يتجاوزوه، وانتظاراً منهم لينفتح يوماً ما، والانتظار أشد من العذاب. وهناك وجه آخر، وهو أن الباب يقي ليدخله من يشمله القرآن بعد مضي مدة من العذاب عليه، فهو من هذه الناحية باب الرجاء لأهل النار.

ومنها: أن الباب ذو وجهين متضادين من الرحمة

والعذاب، إلا أن الرحمة في الوجه الباطن الذي يلي الجنة دار المؤمنين وتعلق ويُقفل على من بقي خلفه، وظاهره يلي النار دار المنافقين، ويخطر بالبال أن هذا الباب نموذج كامل ومظهر تام من التقاطع، فالمنافق ذو وجهين، له باطن وظاهر، والمعيار للنجاة هو الباطن دون الظاهر، فإذا خالف الظاهر الباطن - كما هو حال المنافق - فهذا الظاهر مآل العذاب يدل أن يكون مآل الرحمة، كما يزعمه المنافق، بل الرحمة في جانب الباطن الذي كان عليه المؤمنون، والعذاب من جانب الظاهر الذي كان عليه المنافقون.

ولعلك تقول: إن المنافقين باطنهم الكفر دون ظاهريهم، فيبغى القول بالعكس، فنقول: نعم، لكنهم استعزوا وراء هذا الظاهر حفاظاً على أنفسهم، فأنتهم الله بأن هذا الظاهر الذي باطنه الكفر هو مآل العذاب الأشد عليهم، إضافة إلى عذاب الكفر الباطن، فهم أسوأ حالاً من الكفار الذين لهم وجه واحد، وهو الكفر ظاهراً وباطناً، فلهم عذاب واحد.

ومن هنا ينشأ وجه ثالث، لوجود الباب في السور، وهو أن باب التقاطع مثل أمام المنافقين ليتذكروا حالتهم الحسنة في الحياة الدنيا، فيتأسفوا لها، ويعترفوا باستحقاقهم النار عدلاً من الله.

سابقاً: لو مررنا مرة أخرى على آيات «الباب» ودالأبواب»، نوجدنا شيئاً منها مدنية، وهي (١) و(٢) و(٤) و(٨) و(١٧) و(٢٤)، والباقي مكية، وسياق ستة منها مدح وتناء، وهي (٤) و(٧) و(٨) و(١٦) و(١٧) و(١٨)، وسياق الباقي ذم وهوان. وجاء في التوحيين

«الباب» و«الأبواب» والمكثي والمدني، إلا أن خمسا من
النوع الأول (أي المدح) جاءت بلفظ الجمع، وواحدة
بلفظ المفرد، وهي الآية (٤)، واستوى عدد المكثي
والمدني فيها؛ أي ثلاث منها مكثية وثلاث مدنية.

ولكن مما يؤسف له أن أبواب الشر فاقت أبواب
الخير، وأبواب الخسران فاقت أبواب الفلاح والتجاح

بنسبة $\frac{٢}{٦}$ ، أي ثلاثة أرباع منها شرّ، وربع خير،
فلاحظ. وصدق الله المولى العظيم حيث قال:
﴿وَالْقَصْرِ • إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَمِيرٌ • إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالنُّصْرِ﴾
النصر: ١ - ٣، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾
سبأ: ١٣.





مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

بور

٤ ألفاظ . ٥ مرّات : ٣ مكّبة . ٢ مدنيّتان

في ٤ سور : ٣ مكّبة . ١ مدنيّة

جزءه

بُورًا ٢ : ١ - ١

بُور ١ : ١

البوار ١ : ١

شور ١ : ١

يُقال : بُرّت النّاقة أبورها، أي من الفعل ، لأنظر

لأصله هي أوبلا، وذلك الفعل : يبور، إذا كان عارفاً

بالحالين . [ثمّ استشهد بشعر]

النصوص اللّغويّة

البورية : البارية . (٢٨٥ : ٨)

الأحمر : زلت بوار على الناس ، أي بلاء . [ثمّ

استشهد بشعر] (ابن فارس ١ : ٣١٧)

اليزيديّ : يقال : بار الشعر والطّعام ، أي هلك ،

والبوار : الهلاك . (غريب القرآن : ٢٧٦)

البُور : الأرض التي تُجَمّ سنةً لتُزرع من قنابل .

وكذلك البوار . (ابن فارس ١ : ٣١٧)

أبو عبيدة : «وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» واحدكم : بائر ،

أي هالك ، ومنه قولهم : «نمود بالله من بوار الانيم» ، وبار

الطّعام وبارت الثّوب ، أي هلكت . [ثمّ استشهد بشعر]

وقال بعضهم : رجل بُور ورجلان بُور ورجال بُور

شهر بن حوشب : البوار : الفساد والكساد ، مأخوذ

من قولهم : بارت السلعة ، إذا كسدت كساد الفاسد ، ومنه

الحديث : «نمود بالله من بوار الانيم» . (القرطبي ١٣ : ١١)

الخليل : البوار : الهلاك ، يقال : هو بُور ، وهي بُور ،

وهما بُور ، وهم بُور ، وهنّ بور ، هذا في لغة ، وأمّا في اللّغة

الفضلى : فهو بائر ، وهما بائران ، وهم بُور ، أي ضائعون

هلكى ، ومنه قول الله عزّ وجلّ : «وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا»

الفتح : ١٢ .

وسوق بائرة ، أي كاسدة ، وبارت البياعات ، أي

كسدت .

والبُور : الشجرية ، بُرّت فلاناً ، وبُرّت مساعدته ،

وقوم بُور، وكذلك الواحدة والثنتان والجميع من المؤنثة.

(٧٢: ٢١)

رجل بائر ويُور بضم الباء، أي هالك. [تم استشهد

بشعر]

ويكون البائر: الكاسد، من قولهم: بارت السوق،

إذا كسدت. (الغالي ٢: ٢١٧)

أبوزيد: يقال: إنه لي حور وبور، أي ضئيلة.

(ابن فارس ١: ٣١٦)

الأصمعي: بار يبور بوزا، إذا جرب.

(الأزهري ١٥: ٢٦٥)

البورياه بالفارسية، وهو بالعربية: باري وبوري.

(المجوهري ٣: ٥٩٨)

[تم استشهد بشعر]

أبو عبيد: يقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه، إنه

فجر بها، فإن كان كاذباً فقد ابتهرها، وإن كان صادقاً

فهو الابتیار «افتعال» من بُرت الشيء أبوره، إذا خبرته.

(الأزهري ١٥: ٢٦٦)

[تم استشهد بشعر]

«في كتاب النبي ﷺ لأكيدر دومة: ولكم البور

والمعامي وأغفال الأرض».

البور: الأرض التي لم تُزرع، والمعامي: المجهولة،

(الأزهري ١٥: ٢٦٧)

والأغفال نحوها.

ابن السكيت: والبور: مصدر بار يبور بوزا، إذا

اختبر.

والبور: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه. [تم

استشهد بشعر]

(إصلاح المنطق: ١٢٥)

أبو الهيثم: البائر: الهالك، والبائر: المجرب، والبائر:

الفاسد، وسوق بائرة، أي فاسدة. (الأزهري ١٥: ٢٦٧)

ابن قتيبة: بُور، وهو من بار يبور، إذا هلك

وظل. يقال: بار الطعام، إذا كسد، وبارت الأيكة، إذا لم

يُرغب فيها. وكان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من بوار

الايكة. [تم ذكر قول أبي عبيدة وقال:]

وقد سمعنا [هم يقولون]: رجل بائر، ورأيناهم ربما

جمعوا «فاعلاً» على «فعل» نحو عائد وعوذ، وشارف

وشرف. (٣١١)

الدينوري: البور، بفتح الباء وسكون الواو:

الأرض كلها قبل أن تُستخرج حتى تُصلح للزراعة أو

الفرس. (ابن سيده ١٠: ٣٣٢)

ابن أبي الياسن، والبور: القوم الهلكى، قال الله

جل وعز: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ الفتح: ١٢. (٤٠٠)

الطبري: في قول الشاعر:

بعضهم كآذان البراء فضوله

وطعن كإبريق الخاض تبورها

والبور: أن تمرض على الفعل لتعلم أهي حامل أم

حائل؟ (١٨٧: ١)

الزجاج: بار الرجل الشيء، إذا اختبره، وأباره، إذا

أهلكه. (فعلت وأفعلت: ١٨٩)

البائر في اللغة: الفاسد الذي لا خير فيه، وكذلك

أرض بائرة: متروكة من أن يُزرع فيها.

(ابن سيده ١٠: ٣٣٦)

ابن دريد: والبور مصدر بار الشيء يبور بوزا، إذا

هلك، والرجل بُور، أي هالك، الواحد والجمع فيه

سواء. وفي التنزيل: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ الفتح: ١٢.

ودار البوار: دار الهلاك. [تم استشهد بشعر]

ويقال: حائر بائر دائر. ويقال: يارت الشوق، إذا أفرط رخص يلعها. (٢٧٧: ١١)

القائي: ويقولون: حائر بائر: فالخائر: المستحير، والباير: المالك، والبوار: الهلاك. (٢١٧: ٢)

الأزهرى: بار الفعل الناقة بيورها بوزًا، إذا جعل يتشمها لينظر ألحق هي أم لا، [ثم استشهد بشعر]

يقال: يارت الشوق تبور، وبارت البياعات، إذا كسدت.

ومن هذا قيل: «نعود بالله من بوار الأيام» وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يعطيها خاطب.

وفي حديث: «كنا نبور أولادنا بحب علي عليه السلام» أي نخشع ونمتحن. (٢٦٥: ١٥)

القباقيب: البوار: الهلاك، باروا. وهم بوز، أي فقراء.

وتركته في حور بوز وجير بيم - ويقال بغير تنوين - وهي الهلاك.

وأرضون بوز: غرابات، والبوز والبور من الأرض: التي لم تزرع.

وشيء بائر وبائر وبور وبور، أي فاسد. والبور: التجربة، بُرته وبُرته ما عنده.

والابتيار: التكاح، بيم همز، من قولهم: ابتار الفعل الناقة وبارها، إذا ضربها.

والبورى والبوراء: معروف. (٢٧٠: ١٠١)

الخطابي: في حديث النبي ﷺ أنه قال: «إن لهذا القرآن بيرة، ثم إن للناس عنه فترة، فمن كانت قدرته إلى القصد فتمم هو، ومن كانت قدرته إلى الإعراض

فأولئككم بوز».

قوله: «فأولئككم بوز» يقال: رجل بائر، أي هالك، وقوم بوز: هلكى، ويقال أيضًا للواحد: بوز. [ثم استشهد بشعر] (١٩٨: ١١)

الجهوهري: وقوم بوز: هلكى. قال الله تعالى: «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا» الفتح: ١٢، وهو جمع بائر مثل حائل وحول، وحكى الأخفش عن بعضهم أنه لفظة وليس بجمع لبائر، كما يقال: أنت بشر وأنتم بشر. وقد بار فلان، أي هلك. وأباره الله: أهلكه.

ورجل حائر بائر، إذا لم يتجه لشيء، وهو إشباع لبائر. [إلى أن قال:]

ويقال أيضًا: بار الفعل الناقة وابتارها، إذا تشتمها ليعرض لها من جبالها، ومنه قولهم: بُر لي مساعد فلان، أي أهلقته وامتنع لي ما لي نفسه.

وحكى الأحمر: «نزلت بوار على الكفار». مثل نظام. [ثم استشهد بشعر]

وبار عمله: بطل، ومنه قوله تعالى: «وَوَسَّكُمُ أَزْوَاجًا» فاطر: ١٠.

والباراء والبوراء: التي من القصب. (٥٩٧: ٢)

ابن فارس: الباء والواو والزاء أصلان: أحدهما: هلاك الشيء، وما يشبهه من تطلعه وخلوه، والآخر: ابتلاء الشيء وامتناعه.

فأما الأول فقال الخليل: البوار: الهلاك، [وهكذا ذكر قول الخليل المتقدم إلى أن قال:]

قال أبو زياد: البوز من الأرض الموثان، التي لاتصلح أن تُستخرج، وهي أرضون أبوار، ومنه كتاب

رسول الله ﷺ لأَكْثَرُ: «إِنَّ لَنَا الْبُورَ وَالْمَعَامِي».

حائِلٌ؟

والأصل الثاني: التجربة والاختبار، تقول: بُرْتُ

وفعل يَبُورُ: صارف بالمحالين.

فَلَانًا وَبُرْتُ مَا عِنْدَهُ، أَيْ جَرَّبْتَهُ. (٣١٦: ١)

الهُزُويُّ: وأرض باثرة: معطلة عن الزراعة.

في كتاب سيبويه: ابن نُورٍ، بالنون.

وفي الحديث: «كَانَ لَا يَسِرُّ بِأُشَا بِالصَّلَاةِ هَلِ

وَالْبُورِيِّ، وَالْبُورِيَّةُ، وَالْبُورِيَاءُ، وَالْبَارِي،

الْبُورِيَّ» وَهِيَ حُضْرُ الْقُصْبِ.

وَالْبَارِيَاءُ، وَالْبَارِيَّةُ - فَارِسِي مُعَرَّبٌ - قِيلَ: هُوَ الطَّرِيقُ،

قِيلَ: هِيَ الْبُورِيَّةُ، وَالْبَارِيَّةُ، وَالْبُورِيَاءُ، ثَلَاثُ

وَقِيلَ: الْمَصِيرُ الْمُسَوِّجُ. (٣٣١: ١٠)

لُغَاتٍ. (٢١٨: ١)

البوار: بارت السُّوقُ تَبُورُ بَوْرًا وَبَوَارًا: كَسَدَتْ،

الشَّعَالِيَّةُ: [فِي صِفَاتِ الْأَرْضِ] فَإِذَا لَمْ تُهَيَّأَ لِلزَّرَاعَةِ

وَأُفْرَطَ رُخْصَ بِلْمَها. (الإفصاح ٢: ١٢٠٤)

فَهِيَ بَوْرٌ. (٢٨٦)

الطُّوسِيَّ: وَالْبُورُ: الْفَاسِدُ، وَيُقَالُ: بَارَتِ الثَّلَاثَةُ

ابْنُ سَيِّدَةٍ: الْبَوَارُ: الْهَلَاكُ وَبَارَ بَوْرًا، وَبَوَارًا،

تَبُورُ بَوْرًا، إِذَا بَقِيَ لَا تُشْتَرَى بَقَاءُ الْفَاسِدِ الَّذِي لَا يَرَادُ.

وَأَبَارَهُمُ اللَّهُ، وَرَجُلٌ بَوْرٌ. [تَمْ اسْتَشْهَدْ بِشَرِّ]

وَالْبَارِ: الْبَاقِي عَلَى مَدِّ الْعَقْدِ.

وَكَذَلِكَ الْإِتْنَانُ، وَالْجَمِيعُ، وَالْمَوْنَتُ. وَفِي الْقُرْآنِ:

وَالْبُورُ: مَصْدَرُ كَاتُورٍ، لَا يَنْتَقِ وَلَا يَجْمَعُ وَلَا يَوْنَتُ.

﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ الصَّح: ١٢. وَقَدْ يَكُونُ دُسُورُهُ

وَقِيلَ: هُمُ جَمْعُ بَائِرٍ. [تَمْ اسْتَشْهَدْ بِشَرِّ]

جَمْعُ بَائِرٍ.

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ بَوَارِ الْإِثْمِ. (٤٧٩: ٧)

وَقِيلَ: رَجُلٌ بَائِرٌ، وَقَوْمٌ بَوْرٌ يَفْتَحُ الْبَاءَ، هُوَ عَلَى

نَحْوِ الطُّبْرِسِيِّ. (١٦٣: ٤)

هَذَا اسْمٌ لِلْجَمْعِ، كَنَامٌ وَنَوْمٌ، وَصَانٌ وَصَوْمٌ.

الرَّائِغِبُ: الْبَوَارُ: فُرْطُ الْكَسَادِ، وَلَمَّا كَانَ فُرْطُ

وَدَارُ الْبَوَارِ: دَارُ الْهَلَاكِ.

الْكَسَادُ يُوْدِّي إِلَى الْفَسَادِ، كَمَا قِيلَ: كَسَدَ حَقٌّ فَسَدَ،

وَنَزَلَتْ بَوَارُ عَلَى النَّاسِ. [تَمْ اسْتَشْهَدْ بِشَرِّ]

هَبَّ بِالْبَوَارِ عَنِ الْهَلَاكِ، يُقَالُ: بَارَ الشَّيْءُ يَبُورُ بَوْرًا

وَبَارَتِ السُّوقُ: كَسَدَتْ.

وَبَوْرًا، [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَبُورُ الْأَرْضِ بِالضَّمِّ: مَا بَارَ مِنْهَا فَلَمْ يُحْصَرَ بِالزَّرْعِ.

وَبَارَ الْفِعْلُ الثَّاقَةُ، إِذَا تَشَعَّبَ الْأَقْبَحُ هِيَ أَمْ لَا تَمْ

وَرَجُلٌ حَائِرٌ بَائِرٌ، يَكُونُ مِنَ الْكُسَلِ، وَيَكُونُ مِنَ

بِصَارِ ذَلِكَ لِلْإِخْتِبَارِ، فَيُقَالُ: بُرْتُ كَذَا: اخْتَبَرْتُهُ.

الْهَلَاكِ.

(٦٥)

وَبَارَةٌ بَوْرًا، وَابْتَارَهُ - كَلَامًا - : اخْتَبَرَهُ. [تَمْ

الرَّامِثُخَرِيُّ: [وَفِي حَدِيثِ عُلُقَمَةَ الثَّقَفِيِّ] يُبْتَارُ بِهِ

اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

[إِسْلَامًا]

وَالْفِعْلُ يَبُورُ الثَّاقَةُ، وَيَبْتَارُهَا: يَنْظُرُ الْأَقْبَحُ هِيَ أَمْ

بَارَهُ يَبُورُهُ وَابْتَارَهُ، مِثْلَ خَبَرَهُ يَخْبَرُهُ وَاخْتَبَرَهُ، فِي

البهاء والمعنى. [ثم ذكر معنى الحديث إلى أن قال:]

ومن الإتيار حديث عَوْن، قال: بلغني أن داود سأل سليمان صلوات الله عليهما وهو يتار علمه، فقال: أخبرني ما شئ شيء؟ قال: امرأة سوء إن أعطيتها باءت ولغرت، وإن منعتها شكت ونفرت. (الفائق ١: ١٣٧) فلان له نوره، وعليك بُور، أي هلاكه. وقوم بور، وأحلوا دار البوار، ونزلت بوار على الكفار. [ثم استشهد بشعر]

وبنو فلان بادوا وباروا، وأبادهم الله وأبارهم.

وهو حائر يائر، وإنه لي حور وبور. وبُرئت الناقة فأنا أبورها، إذا أدنيته من الفحل، نظر أحائل هي أم حامل؟ ويقال لذلك الفحل: الميثور.

ومن الجاز: بارت الياعات: كسدت، وسوق يائر، وبارت الأيتم، إذا لم يرغب فيها.

وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من بوار الأيتم.

وبارت الأرض، إذا لم تُزرع، وأرض بوار وأرضون بوار.

وبُرّي ما عند فلان: واخبر. (أساس البلاغة: ٣٢)

المديني: في الحديث: «في الصلاة على البوري»، البورية والبارية مشددتان، والبورية مخفف، ثلاث لغات: جنس من الحصير. و«فوعيل» معدوم من كلام العرب، ويحتمل أن يكون معرباً.

في حديث قتل علي رضي الله عنه: «أبُرنا جفرتة» أي أهلكناه، وأصله من قولهم: بار يبور بوزاً، إذا هلك، وأبُرته: أهلكته. (١: ١٩٨)

ابن الأثير: وفي حديث أسماء: «في ثقيف كذاب

ومبير، أي مهلك يُسرف في إهلاك الناس، يقال: بار الرجل يبور بوزاً فهو يائر، وأبار غيره فهو مبير. [وذكر أحاديث أخر وقد تقدمت]

الضغاني: الميثور، بكسر الميم: الفحل الذي يعرف الحائل من اللافع.

وبور بالضم، في الأعلام: واسع.

والبوري: جنس من السمك، وهو الذي يقال له باليمن: السمك العربي. (٢: ٤٢٧)

القيومي: بار الشيء يبور بوزاً بالضم: هلك، وبار الشيء بوزاً: كسد، على الاستعارة، لأنه إذا ترك صار غير منفع به، فأشبه أهالك من هذا الوجه.

والتوزيرة: بصيغة التصغير: موضع كان به نخل بني النضير. (١: ٦٥)

الفيروزم آبادي: البثور: الأرض قبل أن تُصلح للزراع، أو التي تجم سنة تُزرع من قابل.

والاختيار كالإتيار، والهلاك، وأبار، الله، وكساد السوق كالبوار فيها، والجمع: يائر.

وبالضم: الرجل الفاسد، وأهلك لاخير فيه، يستوي في الالئان والجمع والمؤنث.

ومبار من الأرض فلم يُعمر كالباثر والبائرة.

وكفظام: اسم الهلاك.

وفحل يثور كمنبر: عارف بآفاقها لا يقيح أم حائل.

والبوري والبورية والبورياء والباري والبارياء والبارية: الحصير المنسوج، والطريق، معرب.

ورجل حائر يائر: لم يتجه لشيء ولا يائر رُشدًا،

ولا يطيع مرشداً.

وابتازها: نكحها.

وباره: جزبه، والثاقه: عرضها على الفعل ليعظر

الأفح أم لا؟ لأنها إذا كانت لافحاً بالت في وجهه.

وعمله: بطل، ومنه: ﴿وَعَكَرَ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَرُ﴾

فاطر: ١٠.

والفعل الثاقه: تشتمها ليعرف لافحها من جياها.

ويؤار الأيحم: أن تبقي في بيتها لا تخطب.

وأرسله ببوريته بالضم، إذا ترك ورأيه، ولم يؤدب.

(٣٩١: ١)

الطَّرِيحِي: في الحديث: «سألت عن التجود على

البورياه» هي - بالمد - التي تفت من القصب. (٢٣١: ٣)

الشُّطْفَنَوِي: والذي يقوى في النظر أن الأصل

الواحد في هذه المادة: هو الخسران المشرح إلى الانعدام

والهلاك. وهذا المعنى يطبق على جميع موارد استعمالها:

من الفساد والهلاك والبطلان والكساد والشحطيل

والضلالة، وبهذا المعنى يظهر الفرق بينها وبين الخسران

والهلاك وغيرها.

وأما مفهوم الاختبار والامتحان، فكأن الغتبر ليس

له غرض استفادة ولا انتفاع في عمله بل مجرد الاختبار،

وعلى هذا فهو خامس في صرف الوقت أو صرف المال

بهذا المنظور، ولا يبعد أن تكون التعدية بتقدير صرف

«في» أي باز فيه ويؤت في فلان، ثم حذفت الحرف لرفع

الاشتباه بسائر المفاهيم. (٣٣٧: ١)

النصوص التفسيرية

يَبْوَرُ

...وَالَّذِينَ يَسْكُرُونَ الشَّيْءَ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَمَكَرُوا أُولَئِكَ هُوَ يَبْوَرُ. فاطر: ١٠

مُجَاهِد: هو ما عمل للرياء فإنه يفسد.

(الطُّوسِي ٨: ٤١٧)

قَتَادَة: معناه مكرهم يفسد. (الطُّوسِي ٨: ٤١٦)

يبطل. (الماوردي ٤: ٤٦٥)

مثله ابن قتيبة. (٣٦٠)

ابن زيد: بار فلم يفسد، ولم يتغموا به، وضرهم.

(الطُّبْرِي ٢٢: ١٢٦)

يعيس بن سلام: يفسد عند الله تعالى.

(الماوردي ٤: ٤٦٥)

طَرَب: يهلك، والبور: الهلاك.

(الماوردي ٤: ٤٦٥)

الطُّبْرِي: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل

فيذهب، لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله. (٢٢: ١٢٦)

الطُّوسِي: قيل: معنى يبور: يكسد، فلا ينفذ في

ما يريدون. (٨: ٤١٦)

نحوه الطُّبْرِي (٤: ٤٠٢)، والبيضاوي (٢: ٢٦٩)،

والشَّريفي (٣: ٣١٦).

الصَّيْبُدِي: أي يكسد ويفسد ويضمحل «وكُلِّ

يعمل على شاكلته» فللمكر السيئ قوم أشقياء، وللكلم

الطيب والعمل الصالح قوم سعداء. (٨: ١٦٥)

الرَّمْثُفَرِي: أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم.

للفساد عدم التأثير، لأن فرط الكساد يؤدي إلى الفساد - كما قيل: كسد حتى فسد - أو لأن الكساد يكسد في الغالب لقساده، ولأن الهالك فاسد لأثر له. [ثم ذكر نحو ما تقدم عن أبي حيان] (١٧٦: ٢٢)

تَبَوَّرَ

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبَوَّرَ.

فاطر: ٢٩

يحيى بن سلام: لن تكسد. (الماوردي ٤: ٤٧٢)
الطبري: لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: هارت الشوق، إذا كسدت، وبار الطعام. (١٣٢: ٢٢)
الزمخشري: لن تكسد. (الماوردي ٤: ٤٧٢)
منه السقي. (٢٣: ٢٣)

الطوسي: أي لا تكسد، وقيل: لا تنفد. (٤٢٧: ٨)
المبيدي: يعني ربح تجارة لن تكسد ولن تخسر، وذلك ما وعد الله من الثواب. (١٧٧: ٨)

الزمخشري: أي تجارة ينتهي عنها الكساد، وتنفق عند الله ليوفيهم بثأقها عنده أجورهم. (٣٠٨: ٣)
منه السقي. (٣٤٠: ٣)

ابن عطية: معناه تكسد ويتعذر. (٤٢٨: ٤)
الطبري: أي راجين بذلك تجارة لن تكسد، ولن تنفد، ولن تهلك. (٤٠٧: ٤)

نحوه البضاوي. (٢٧٢: ٢)
الفخر الرازي: إشارة إلى الإخلاص، أي ينفقون، لا يقال: إنه كريم، ولا شيء من الأشياء غير وجه الله.

حين أخرجه من مكة وقتلهم، وأثبتهم في غلب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعاً، وحقق فيهم قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ وَيَكْفُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْكَافِرِينَ﴾ الأنفال: ٣٠، وقوله: ﴿وَلَا يَجِيئُ الْكَفْرُ الشَّيْءَ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر: ٤٣. (٣٠٣: ٣)

نحوه التنقي. (٣٣٥: ٣)
ابن عطية: معناه يفسد ويبقى لافع فيه، وقال بعض المفسرين: يدخل في الآية أهل الزنا. (٤٣٢: ٤)
أبو حيان: [ذكر مثل الزمخشري وأضاف:]
(هو) مبتدأ، و(يتوزر) خبره، والمجئلة خبر عن قوله: (ومتكر أولئك).

وأجاز الحوفي وأبو البقاء: أن يكون (هو) فاصلة، و(يتوزر) خبر (ومتكر أولئك)، والفاصلة لا يكون ما بعدها ضلاً.

ولم يذهب إلى ذلك أحد فيما علمناه إلا عبد القاهر المجرجاني في «شرح الإيضاح» له، فإنه أجاز في: كان زيد هو يقوم، أن يكون هو فضلاً، وروى ذلك عليه. (٣٠٤: ٧)

البزوصوي: يهلك ويفسد، فإن البوار فرط الكساد، ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد - كما قيل: كسد حتى فسد - عبر ببوار: عن الهلاك والفساد، ولقد أبارهم الله تعالى بإارة بعد إارة مكراتهم. [ثم ذكر مثل الزمخشري] (٣٢٦: ٧)

الآلوسي: أي ومكر أولئك المفسدين المشهورين (هو يتوزر) أي يفسد.
وأصل البوار: فرط الكساد أو الهلاك، فاستعير هنا

ابن عباس: قوم قد ذهب أفعالهم وهم في الدنيا،
ولم تكن لهم أعمال صالحة. (الطبري: ١٨: ١٩٠)
هلكى.

مثله مجاهد. (الطبري: ١٨: ١٩٠)
البور في لغة أزدهمان: الفاسد. (ابن الجوزي: ٦: ٧٨)
هلكى بلسنة عمان، وهم من اليمن.
(الألويسي: ١٨: ٢٥٠)
الحسن: هم الذين لا خير فيهم.

(الطبري: ١٨: ١٩٠)
ابن زيد: ليس من الخير في شيء.
(الطبري: ١٨: ١٩١)

الأحفش: جماعة البائر، مثل اليهود، وواحدهم:
الحافش. وقال بعضهم: هي لغة على غير واحد، كما يقال:
أنتم بشر وأنتم بشر. (٢: ٦٤٢)

[بور] إنه اسم جمع، يقال: رجل بور، أي فاسد
هالك لا خير فيه، وامرأة بور، وقوم بور، كما يقال: أنت
بشر وأنتم بشر. (التيسابوري: ١٨: ٤٦)
الطبري: وكانوا قومًا هلكى، قد غلب عليهم
الشفاء والمذلان ...

وأما «البور» فصدر واحد، وجمع للبائر، يقال:
أصبحت منازلهم بورًا، أي خالية لاشيء فيها. [ثم
استشهد بشمر]

وقد قيل: إن (بور) مصدر كالمذل والزور والقطع،
لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وإنما أريد به البور في هذا
الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة، لأنهم لم
تكن لله. (١٨: ١٩٠)

فإن غير الله بائر، والتاجر فيه تجارته بائرة. (٢٦: ٢٢)
أبو حيان: لن تكسد، ولا يتعدّر الربيع فيها. بل
ينفق عند الله. (٧: ٣١٢)

أبو الشعثه: أي لن تكسد ولن تهلك بالخسران
أصلًا، صفة لتجارة، جيء بها للدلالة على أنها ليست
كسائر التجارات الدائرة بين الربيع والخسران، لأنه
اشتراء باقي بقاء، والإخبار بربحهم من أكرم الأكرمين
عدة قطعية بمحصل مرجوهم. (٥: ٢٨٢)

البئوسونى: البوار: فرط الكساد. والوصف بالبوار.
ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد عبر بالبوار: عن
إهلاك مطلقًا.

ومن الإهلاك المعنوي ما في قولهم: خذوا الطريق ولو
دارت، ونزّوجوا البكر ولو بارت، واسكنوا المذنب ولو
جارت.

والمعنى لن تكسد ولن تهلك مطلقًا بالخسران أصلًا.
(٧: ٣٤٥)

الألويسي: أي لن تكسد، وقيل: لن تهلك
بالخسران، صفة تجارة، وترشيح للمجاز. [إلى أن قال:]
وهسر (لأن تهور) به أن تيهي وهو كهاثرى.

(٢٢: ١٩٢)

القاسمي: والبوار بمعنى الكساد، والإهلاك: ترشيح
للاستعارة. (١٤: ١٩٨٤)

بُورًا

١-... وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَأَيَّامَهُمْ عَسَى تَعْلَمُوا الذُّكْرَ
وَكُنْتُمْ أَقْوَمًا بُورًا. الفرقان: ١٨

نحوه البقوي (٤٣٩: ٣)، والميبدئي (٧: ١٢).

القُصَيّ: أي قوم سوء. (١١٢: ٢)

الهُزَوِيّ: أي هلكتي، يقال: رجل هور وقوم هور، ويكون (هور) جمع بانر. وقد بار هور، إذا جُعلَ وهلك.

(٢١٨: ١)

الساوَزديّ: فيه ثلاث تأويلات:

أحدها: يعني هلكتي، قاله ابن عباس: مأخوذ من «البوار» وهو الهلاك.

الثاني: هم الذين لاخير فيهم، قاله الحسن: مأخوذ من: بوار الأرض، وهو تطلّحها من الزرع، فلا يكون فيها خير.

الثالث: أنّ البوار: الفساد، قاله شهر بن حوشب، وقبادة: مأخوذ من قوطم: بارت، إذا كسدت كسلت الفاسد. ومنه الأثر المروي «نمود باه من سمران الآيم» [تم استشهد بشعر]

الطُوسِيّ: أي هلكتي فاسدين. (٤٧٩: ٧)
مثله الطُبرِسيّ. (١٦٤: ٤)

الرّمّ قُشَرِيّ: البور: الهلاك، يوصف به الواحد والجمع، ويجوز أن يكون جمع: بانر، كمائد وعوذ.

(٨٦: ٣)

نحوه التّيساويّ (١٤١: ٢)، والنسبيّ (١٦١: ٣)، والتّيسابوريّ (١٤٦: ١٨)، وأبو السّعود (٥٠١: ٤)، والمرّاغيّ (١٥٨: ١٨).

ابن عَطِيَّة: معناه هلكتي، والبوار: الهلاك. واختلف في لفظة (بور) فقالت قرقة: هو مصدر يوصف به الجمع والواحد، [تم استشهد بشعر]

وقالت قرقة: هي جمع بانر، وهو الذي قد صارقه

الخير، فعصل بذلك في حكم الهلاك، بإشره الهلاك بعد أو لم يباشر. (٢٠٤: ٤)

القُرطُبيّ: وقال أبو الدرداء رضي الله عنه، وقد أشرف على أهل حمص: يا أهل حمص! هلّم إلى أخ لكم ناصح. فلمّا اجتمعوا حوله قال:

ما لكم لا تستمعون! تبون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، إنّ من كان قبلكم ينوا مشيداً، وجمعوا عبيداً، وأملوا سيّداً، فأصبح جميعهم بُوراً، وآمالهم غروراً، وما كنهم قبوراً.

فقوله بُوراً: أي هلكتي. وفي خبر آخر: فأصبحت سائرهم بُوراً. [إلى أن قال:]

وقيل: بوراً: عُسياً عن الحق. (١١: ١٣)
أبو حنيفة: [اكتفى بنقل أقوال السابقين] (٤٨٩: ٦)
نحوه البروقونيّ (١٩٧: ٦)، والأكوسيّ (٢٥٠: ١٨)
الطّباطبائيّ: البور: جمع بانر، وهو الهالك، وقيل: الفاسد.

لما نرى المعبودون المسؤولون عن سبب ضلال عبّادهم نسبة الإضلال إلى أنفسهم، أخذوا في نسبته إلى الكفّار أنفسهم، مع بيان السبب الذي أضلّهم، وهو أنّهم كانوا قوماً هالكين أو فاسدين، وقد متعتهم وآباءهم من أمتة الحياة الدّنيا ونعمها، حتّى طال عليهم التّمتيع امتحاناً وابتلاءً، فمتعوا منها واشتغلوا بها، حتّى نسوا الذّكر الذي جاءت به الرّسل، فعدلوا عن التّوحيد إلى الشّرك.

فكونهم قوماً هالكين أو فاسدين بسبب انكبابهم

على الدنيا وانها كهم في الشهوات، هو السبب في استغراقهم في التمتع، وانصراف همهم إلى الاشتغال بالأسباب، وهو السبب لنسيانهم الذكر، والعدول عن التوحيد إلى الشرك، فبين بذلك أن قوله: ﴿وَكُنَّا نَقُولُ يَوْمَئِذٍ﴾ من تمام الجواب.

وأما من جعل الجملة اعتراضاً تذييلًا مقررًا لمضمون ما قبله، واستفاد منه أن السبب الأصلي في ضلالهم أنهم كانوا بحسب ذواتهم أشقياء هالكين، وليس ذلك إلا بقضاء حتم من تعالى في سابق علمه، فهو المضل لهم حقيقة، وإنما نسب إلى أنفسهم أدبًا.

ففيه أولًا: إنه إفساد لمعنى الآية، إذ لا موجب حينئذ لإيراد الاستدراك، بقوله: ﴿وَلَكِنْ هَتَأْتُهُمْ بَاسًا زَكِيًّا﴾ حتى نسوا الذكر، لكونه فضلًا لا حاجة إليه.

وثانيًا: أن نسبة الجوار والشقاء إلى ذوات الأشياء ينافي ما أطبق عليه العقلاء بفطرتهم، من تأثير التعليم والتربية، والمس والتجربة يؤيدان ذلك، وهو يناقض القول بالاختيار والجبر معًا، أما مناقضة القول بالاختيار فظاهر، وأما مناقضة القول بالجبر، فلأن الجبري يقصر العلوية في الواجب تعالى وينفيه عن غيره، ويناقضه نسبة الاقتضاء الضروري إلى ذوات الأشياء وماهياتها.

وثالثًا: أن فيه خلطًا في معنى القضاء من حيث متعلقه، فكون القضاء حكمًا لا يوجب خروج الفعل الذي تعلّق به من الاختيار إلى الإيجاب، فإن القضاء إنما تعلّق بالفعل بمحدوده، وهو صدوره عن اختيار الفاعل من حيث إنه صادر عن اختياره، فتعلقه يوجب تأكيد كونه اختياريًا، لا أنه يزيل عنه وصف الاختيار.

ورابعًا: أن قولهم: إن المضل بالحقيقة هو الله، وإنما نسبوا الضلال إلى الكفار أنفسهم تأدّبًا، ويمتدحه صرحوا في نسبة المعاصي والأعمال القبيحة الشنيعة والفجائع الفظيعة إلى فواعلها، أنها في عين أنها من أفعاله تعالى إنما تُنسب إلى غيره تأدّبًا، كلام متهافت، فإن الأدب - كما تقدم تفصيل القول فيه في الجزء السادس من الكتاب - هو الهيئة المحسنة التي ينبغي أن يقع عليها فعل ما، وبعبارة أخرى ظرافة الفعل، وإذا كان الحق الصريح في الفعل غير الجميل أنه فعل الله سبحانه ولا يشاركه في فعله غيره بأي وجه فرض، كانت نسبته إلى غيره تعالى

نسبة باطلة غير حق، وكذبًا وقرينة لاتطابق الواقع. كقوله شعري أي أدب جميل في إمالة حق صريح وإيمانه باطل؟ وأي ظرافة ولطف في الكذب والقرينة بإسناد الفعل إلى غير فاعله؟

واحد سبحانه أجل من أن يحطم بباطل أو بالستر على بعض أفعاله، أو بالكذب والقرينة بإسناد بعض ما يفعله إلى غيره، وإذا كان جميلًا لا يفعل إلا الجميل، فما معنى التأدّب بنبي بعض أفعاله عنه؟ (١٥: ١٩١) بنت الشاطئ: وسأل نافع عن قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ فقال ابن عباس: هلكي، بلغة عُثْمَانَ، وهم من اليمن، [ثم استشهد بشعر]

الكلمة من آية الفتح: ١٢، في المغنّين من الأعراب، [ثم ذكرت الآيات الآتية في الاستعمال السرائري وقالت:]

تفسير (بور) بهلكي قريب، والقول إنها بلغة عُثْمَانَ، يُسوّع التّرادف. ثم لا يفتونا مافي دلالة مادتها هل

هلك، وأبازَه الله: أهلكه، وهو وهي وهما وهم وهن
بُور، وهو أيضًا بائر وهما بائران وهم بُور، أي خائون
هلكى، والبوار: اسم الهلاك، يقال: نزلت بوار على
الناس، أي بلاء.

ومن الثاني: البُور، يقال: بازَ الفعل الثاقفة يَبُورُها
بُورًا: جعل يشتمها لينظر ألقاح هي أم حائل، وهو
بُور، وبُورُها أنا: عرضتها عليه لأجل ذلك فإذا كانت
لالقاح بالث في وجهه فلم يقربها، وإذا كانت حائلاً
ضربها، يقال: ابتازَ الفعل الثاقفة وبازَها، أي ضربها.
ومن ثم أطلق «البُور» على الشجيرة، يقال: بُرْتُ
هالنا وبُرْتُ ماعدته بُورُه بُورًا، أي جربته، وفي الحديث:

«كنت نبور أولادنا بحب على هالنا»، أي نخسبهم
ونحنهم.

والنُبور مصدر باز المتاع ونحوه يَبُورُ بُورًا: كسد،
استعمل وصفاً للأرض التي تجب سنة تُزرع من قبايل،
وهي أرض بُور أيضًا، فكانت أجهدت بالزراعة
فتداعت وفسدت، فتترك عامًا وتُزرع عامًا، كسي
تسعيد قوتها، أو هي الأرض التي لم تُزرع بتاتًا، فهي
كاسدة كساد البضاعة، وهي أرض بائرة أيضًا.

وقد أصرت بعض المستشرقين على أن لفظ «البور»
دخل في العربية، إلا أنهم اختلفوا في أصله، فبعضهم
زعم أنه آرامي وآخر سرياني. ولا مشاحة في ورود
هذا المعنى في بعض اللغات السامية، ويلفظ «بُور» في
العبرية، و«بُورًا» في الآرامية والسريانية^(١).

٣- والباري والبارية والبارياء، والبورى والبورية

البوار، وهو في الأصل للأرض لاتصلح للزراعة. ومن
أخذ البوار لكساد التوق، وتجاوزت العربية فاستعملته
في العقم والفساد والخسر والضياح.

وكل ما في القرآن من مادته، هو من هذا الخسر
بالضلال والكفر، وإنه لأفدح الضياح والهلاك.

وقد رده «الزاعب» إلى فرط الكساد، يؤدي إلى
الفساد، فيمجر بالبوار عن الهلاك: «وَتَكُونُوا قَوْمًا بُورًا»
أي هلكى، جمع: بائر. وقيل: هو مصدر يوصف به
الواحد والجمع، فيقال: رجل بور، وقوم بور، [ثم
استشهد بشر]

ونرى المصدرية في الآية: «قَوْمًا بُورًا» أبلغ
وأقوى من حمل اللفظ على جمع بائر لما في وصفهم
بالمصدر، من محض بوار وهلاك.

(الإصباح الباقى للقراء: ١٤٩)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الفساد والكساد،
والامتحان والاختبار، من الأول: البوار، يقال: بازت
السلعة والبياعات بُورُ بُورًا وبُورًا، أي كسدت كساد
القاسد، وسوى بائرة: كاسدة.

وتجاوزوا فيه، فأطلقوا هذا المعنى على الناس،
فقالوا: بازت الأئمة، أي بغيت في بيتها لأعطب
ولا يرغب فيها، وفي الدعاء «نعوذ بالله من بوار الأئمة».

والبُور الرجل الفاسد الذي لاخير فيه، وهو الهالك
أيضًا، لأن في فساد الأنفس والأشياء هلاكها، يقال: باز
التسر والطعام، أي هلك، وباز فلان بُورُ بُورًا وبُورًا:

(١) المفردات الفخيلة في القرآن الكريم (١٤٨).

والبورياء: الحسير المنسوج من القصب، وحكى الجوهري عن الأصمعي، والجواليقي عن ابن عُشَيْبَةَ أَنَّ الباري والهوري فارسيان مبريان، وأصلهما في الفارسية «بوريا».

ولكن ليس كما قالوا إذ لو كانا لفظين فارسيين لما أنطاط الجوهري والجواليقي - وهما من أهل فارس - رواية ذلك بعريتين لا يفقهان الفارسية ولا يتكلمان بها، بل أرسلوا الكلام إرسالاً، كما هو ديدنها في الألفاظ الفارسية.

ثم إن المعجمات الفارسية اليوم لا تجزم بذلك، بل صرح بعضها بأن «بوريا» لفظ آرامي^(١)، وفي الحقيقة أنه لفظ سرياني، وقد جاء هذا اللفظ في السريانية، ولفظ «بوريه» في الآرامية^(٢).

الاستعمال القرآني

جاءت منها أربعة ألفاظ في خمس آيات:

١- ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا زَكَاةً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ فاطر: ٢٩

٢- ﴿مَنْ كَانَ يَرْيُ الْغُرَّةَ فَلَهُ الْغُرَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَسْطِثَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾

فاطر: ١٠

٣- ﴿قَالُوا مَبْنَاهُ كَانَ يَتَّبِعُنَا أَن نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾

الفرقان: ١٨

٤- ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾

الفتح: ١٢

٥- ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدْعُوا يَمْشُوا أَنَّهُمْ كُفْرًا وَأَقْلَبُوا

قُلُوبَهُمْ دَاوًا لِّلْبُورِ﴾

إبراهيم: ٢٨

يلاحظ أولاً: أنها جاءت في ثلاث صيغ: فعل مرتين في (١) و(٢)، وصفة مرتين أيضاً في (٣) و(٤)، ومصدر مرة واحدة في (٥).

ثانياً: ذكر المفسرون أن معناها الهلاك والفساد والكساد، والذي يتبادر منها أن «البور» ليس مطلق الهلاك والفساد، بل هلاك وفساد مائتانه الاستقامة والصلاح، وهذا ما يعبر عنه في التجارة والسوق والمتاع والظعام ونحوها بالكساد، وهو المعنى الحقيقي لها، أي الخسران، الضلال فيما يتوقع نفسه وصلاحه.

ثالثاً: جاء الفعل «بور» في (١) بمعنى كساد التجارة التي يتوقع فيها الربح، والفعل «يبور» في (٢) بمعنى خسران مكر الذين يكررون السيئات، لأنهم يحسبون أن مكرهم ينفعهم، ولكن ظنونهم وأمانيتهم لم تتحقق، فأصبح مكرهم خاسراً كاسداً.

رابعاً: جاء هذا المعنى بعينه في (ثور)، وهو جمع بائر في الآيتين (٣) و(٤)، أما (٣) فإن الكفار الذين متهم الله وآباءهم في الحياة الدنيا يتوقع انتفاعهم بنعم الله في طريق السعادة والصلاح، ولكنهم خسروها لما نسوا الذكر.

(١) معجم «دهخدا»، لفظ «بوريا».

(٢) المعجم المقارن للدكتور محمد جواد مشكور (١: ٨٩).

الفلاح والتجاع، ولكثهم بذكوا نعمة الله كفرًا، وأحلوا قومهم دار البوار، وهي دار الخسران. وهذا السياق بما فيه من ألفاظ (أحلوا) و(قوتهم) و(دار البوار)، بالغ في الدمار والفساد.

سابقًا: قد برز وتجلّى الترتيب الطبيعي بين الآيات، وبدأت بالفعل كحادثة في (١١) و(٢)، ثم انقلب الفعل إلى الوصف الدائم الشامل للقوم في (٣) و(٤). ثم تجاوز حد الوصف وانتهى إلى الإحلال لدار البوار، وهي مفسرة بعدها بقوله: ﴿جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا وَيَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ إبراهيم: ٢٩. فكرر كل من الفعل والوصف مرتين، واجتمعت في واحدة.

ثانيًا: الآيات كلها مكتبة سوى واحدة، وهي آية الفتح (١١)، وسبقتها ذم للمشركين، وبدأت بالخير والتمسك إلى التمسك، ليتحقق معنى الخسران والكساد. أما آية الفتح المدنية المتأخرة زولًا - طبقًا - عنها، فليس فيها ذكر الخير، لوضوح معنى الخسران فيها بما تقدمتها من الآيات، إلا أنها مسبوقة في القرآن أيضًا بآية النعمة ﴿يُكَلِّمُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَا قُولُوا الْقَائِلُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾ إبراهيم: ٢٧.

وكذلك (٤)، فقد ظن الأعداء أن النبي والمؤمنين سوف يقتلون ولا يتقبلون وهم في طريقهم إلى مكة، ولكثهم أخطأوا في ظنهم وخسروا، وكسدت قنيتهم السيئة ولم توجد، فوقع الصلح وكان فتحًا مبينًا، ورجع المؤمنون إلى المدينة سالمين غانمين.

وأي غنيمة أعظم من الصلح الذي عقد بين جماعة المؤمنين وبين قريش، وهم ألد أعدائهم الذين شنوا الحرب من ذي قبل على النبي ومن معه مرارًا وتكرارًا. وقد أطفئت نائرة الحرب بهذا الصلح، وحل مكانها الهدوء والطمأنينة التي أعقبت اعتاق خلق كثير منهم الذين الحنيف.

خامسًا: تبديل الوصف (بُورًا) في الآيتين (٣) و(٤) من الفعل (شُيُورًا) و(يُيُورًا) في (١١) و(٢) سياق واحد ﴿وَنُكَالُوا فَوْثًا بُورًا﴾. ﴿وَكُنْتُمْ فَوْثًا بُورًا﴾ للتطويع والاستمرار، أي أنهم أصبحوا فَوْثًا خاسرين كاسدين فاسدين، لا يزالوا كذلك إلى آخر حياتهم، بل إلى أبد الآبدين في الدنيا والآخرة.

سادسًا: وهذا المعنى بعينه سار في (٥)، فإن الذين أوتوا نعمة الله يتوقع انتقامهم بها وإحلالهم قومهم دار



ب و ل

لفظان . ٤ مَرَات: ٢ مَكِّيَّتَان ، ٢ مَدَنِيَّتَان
في ٣ سور: ٢ مَكِّيَّتَان ، ١ مَدَنِيَّة

صِنَادِي أَهْلُ الْبَصْرَةِ.

بَاهَم ٢ : ٢

بَالُ ٢ : ٢

وَالْبَالُ: جمع البالة . وهي الجراب الصغير .

(الأزهري ١٥ : ٣٩٢)

النصوص اللغوية

أبو عمرو الشيباني : البال : القلب .

والبال : جمع البالة . وهي الجراب الضخم .

(الأزهري ١٥ : ٣٩٢)

أبو زيد : من أسماء النفس : البال .

(الأزهري ١٥ : ٣٩٢)

الأصمعي : يقال لطف البغال : أبوال البغال ، ومنه

قيل للشراب : «أبوال البغال» على التشبيه . وإنما شبه

بأبوال البغال ، لأن بول البغال كاذب لا يُلَقَّح ، والشراب

كذلك . [نمّ استشهد بشعر] (ابن فارس ١ : ٣٢١)

ابن الأعرابي : بآلى فلانٌ فلاناً ، إذا فساخه .

وبالاء ، إذا ناقضه ، وآلى بالشيء ، إذا اهتم به .

(الأزهري ١٥ : ٣٩٢)

الخليل : البُول : معروف ، وقد بال يَبُول .

والبال : بال النفس وهو الاكتراث ، ومنه اشتق :

بالَيْثُ . والمصدر : المبالاة .

وفي مواضع الحسن : لا يباهم بالة ، ولم أبال ولم أبُل

على القصر .

والبال أيضاً : رخاء العيش ، تقول : إنه لناعم البال

(٨ : ٣٢٨)

ورخي البال .

القسي : بال الرجل يَبُول بُولاً شريفاً فاخراً ، إذا

وُلد له ولدٌ يشبهه .

والبال : القلب .

والبال : الحال .

والبال : جمع البالة ، وهي عصا فيها رُجٌّ ، يكون مع

(٣٩٢: ١٥)

يكثرت.

الفصاحب: [قال نحو الخليل وأضاف:]

والباله: الرائحة - غير مهموزة - ومحمكة طويلة.

وأمر ذو بال، أي ذو جلال وخطر.

ومألتني لقوله بالاً، أي ما أستمع له ولا أكرث.

البول: معروف، وبول الرجل: ولده.

والانضجار، والانسكاب، ذق بول.

وبال الشعم يبول، إذا ذاب. [إل أن قال:]

واليلة: البول.

واستبالوا الخيل: وقضوها لتبول.

وقاع بولان: موضع تسرق العرب فيه متاع الحاج.

وفي مثل: «بال حمار فاستبال أحمرة».

(٣٥٥: ١٠)

البحر هري: البول: واحد الأبول، وقد بال يبول.

والاسم: اليلة، كالجلسة والركبة.

ويقال: أخذ بوال بالضم، إذا جعل البول يمتريه

كثيراً.

وكثرة الشراب مئولة، بالفتح، والمئولة بالكسر:

كوز بوال فيه.

ويقال: لبيلن الخيل في غرصاتكم.

وقولهم: ليس هذا من بالي، أي مما أباليه.

والبال: الهوت العظيم من حيتان البحر، وليس

بحري.

والباله: وعاء الطيب، فارسي معرب، وأصله

بالفارسية «بيله»، [ثم استشهد بشعر] (١٦٤٢: ٤)

(٨٣)

نحو الرازي.

شخمة بؤلة، إذا أسرع ذوبها. [ثم استشهد بشعر]

(ابن فارس ١: ٣٢١)

شمر: البال: الحال والشأن. [ثم استشهد بشعر]

(الأزهري ١٥: ٣٩٢)

أبو سعيد الضرير: الباله: الرائحة والشمّة، وهو

من قولهم: بئوته، إذا شمته واختبرته.

وإنما كان أصلها «بئوة» ولكنه قدّم الواو قبل اللام

فصيرها ألفاً، كقولك: «قاع» و«قعا». [ثم استشهد

(ابن منظور ١١: ٧٥)

بشعر]

الشيرة: وقول الشاعر:

«وقد نعمت ما باله»

لما زائدة، والبال هاهنا: الحال.

وللبال موضع آخر. وحقيقته الفكر، تقول: ما خطر

(١١٥: ١١)

هذا على بالي.

الطبري: والبال: كالمصدر مثل الشأن، لا يعرف

منه فعل، ولا تكاد العرب تجمعهم إلا في ضرورة شعر.

(٣٩: ٣٦)

فإذا جموه قالوا: بالات.

(١٦: ٢٢٤)

نحو القُرطبي.

ابن دُرَيْد: والبول: معروف، والبول: داء يصيب

الإنسان، فيأخذه البول، ورجل بؤلة: كثير البول.

(١: ٣٢٩)

الأزهري: ولم يخطر ببالي ذلك الأمر، أي لم

يخطرني.

والبال: الأمل، يقال: فلان كاسف البال، وكسوف

باله: أن يضيق عليه أمله.

وهو رخصي البال، إذا لم يشته عليه الأمر، ولم

والمصدر: البالة والمبالاة، ومنه قول ابن عباس،
ومثل عن الوضوء باللبين: «مأبأليه بالة، استمع يسبح
لك».

ومما حمل على هذا: البال، وهو رخاء العيش، يقال:
إنه لراخي البال، وتناغم البال. (١: ٣٢٦)
ابن سيدة: يال الإنسان وعييره يُبول بهولاً،
واستعاره بفض الشراء، فقال:

«يَالُ نُهَيْلُ فِي الْفَضِيحِ قَفَسٌ»

والاسم: البيلة.

والبول: داء يكثر منه البول.

ورجل بولة: كثير البول، يطرد على هذا باب.

وإنه لحسن البيلة، من البول.

والبول: الولد.

والبال: المبال.

وبال: المناظر.

وبال: المرء الذي يمتد به في أرض الزرع.

وبال: سمكة غليظة تذهب بحمل البحر.

وبال: رخاء العيش.

وإنما قضينا على هذه الألف بالواو لأنها حين مع

كثرة «ب و ل»، وقلة «ب ي ل».

وبالاة: القارورة والجراب، وقيل: وعاء الطيب،

فارسي أصلها: بالة. [ثم استشهد بنمر وقال:]

وقيل: هي بالفارسية يئلة، فألف بالة على هذا بناءً.

(١٠: ٤٣٥)

الزاعب: البال: الحال التي يكثر فيها، ولذلك

يقال: ما باليت بكذا بالة، أي ما اكرثت به، [إلى أن قال:]

أبو هلال: الفرق بين القلب والبال: أن القلب: اسم
للجراحة، وسمي بذلك لأنه وضع في موضعه من الجوف
مقلوباً، والبال: الحال وحال الشيء: عُمْدته، فلما كان
القلب صمداً البدن سقي بالاً.

فقلنا: «بال» يفيد خلاف ما يفيد قولنا: «قلب».
لأن قولنا: «بال» يفيد أنه الجراحة التي هي عُمْدة
البدن، وقولنا: «قلب» يفيد أنه الجراحة التي وضعت
مقلوبة، أو الجراحة التي تنقلب بالأفكار والعزوم.

ويجوز أن يقال: إن «البال» هو الحال التي معها،
ولهذا يقال: أجمل هذا على بالك. [ثم استشهد بنمر]
وتقول: هو لي حال حسنة، ولا يقال: لي بال
حسن، فيفترق بذلك.

الفرق بين الحال والبال: أن قولنا للقلب: بال، يفيد
أنه موضع الذكور، والقلب يفيد الثقل بالأفكار
والعزوم، على ما ذكرنا. (١٣٢)

ابن فارس: الباء والواو واللام أصلان: أحدهما:
ماء يتحلب، والثاني: الزروع.

فالأول: البول، وهو معروف، وفلان حسن البيلة،
وهي العملة من البول، وأخذ بهوالم، إذا كان يكثر البول،
وربما هبوا عن التل بالبول، [ثم استشهد بنمر]

أما الأصل الثاني: فالبال بال النفس، ويقال:
ما خطر ببالي، أي ما ألقى في دوعي.

فإن قال قائل: فإن التحليل ذكر أن بال النفس هو
الاكتراث، ومنه اشتق: ما باليت، ولم يحظر ببالي.

قيل له: هو المعنى الذي ذكرناه، ومعنى «الاكتراث»
أن يكره ما وقع في نفسه، فهو راجع إلى ما قلناه.

وَيُعَبَّرُ بِالْبَالِ: عَنِ الْحَالِ الَّذِي يَخْطُو عَلَيْهِ
الْإِنْسَانُ، فَيُقَالُ: خَطَرَ كَذَا بِيَالِي. (٦٧)

الزَّمْخَشَرِيُّ: ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا:
«سُئِلَ عَنِ الْوَضْعِ مِنَ اللَّيْنِ، فَقَالَ: مَا أَبَالِيهِ بَالَةً، يَسْتَمَحُّ
يُسْتَمَحُّ لَكَ» أَيِ مِبَالَاةٍ، وَأَصْلُهَا: بَالِيَةٌ، كَمَا فِيهِ.

(الفائق ١: ١٢٩)

وَفِي حَدِيثِ الْأَحْنَفِ: «لَمَّا أَتَى لَذَلِكَ بِأَلَا»، الْفَاءُ
الْبَالُ لِلْأَمْرِ: الْإِكْتِرَاءُ لَهُ، وَالْإِحْتِفَالُ بِهِ.

(الفائق ١: ١٣٤)

عُمَرُ قَالَ لِمَوْلَاهُ أَسْلَمَ، وَرَأَى يَحْمِلُ مَتَاعَهُ عَلَى بَعِيرٍ
مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ: «فَهَلْ نَاقَةُ شَخْصًا أَوْ ابْنُ لَبُونٍ بَوَالَاءٍ»
هِيَ الَّتِي قَلَّ لِبَنِيهَا جَدًّا... بَوَالَاءٌ، أَيِ كَثِيرِ الْبَوْلِ لِهَؤُلَاءِ، أَرَادَ
أَلَّا يَسْتَعْمِلَ مَا يُنْقَسُ بِمِثْلِهِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ.

(الفائق ٢: ٢٤٣)

الطَّبْرِسِيُّ: الْبَالُ: الْحَالُ، وَالشَّانُ: وَالْبَالُ: الْقَلْبُ
أَيْضًا، يُقَالُ: خَطَرَ بِيَالِي كَذَا.

وَالْبَالُ: لَا يَجْمَعُ، لِأَنَّهُ أَيْسَمُ أَخْوَانِهِ مِنَ الْحَالِ
وَالشَّانِ. (٩٦: ٥١)

السَّيْدِي: فِي حَدِيثِ الْأَحْنَفِ: «نَمِي لَهُ حَسَكَةٌ
الْحِظْلِي، لَمَّا أَتَى لَهُ بِأَلَا» أَيِ مَا اسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَمَا اكْتَرَتْ
بِهِ.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «لَا بِيَالِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ بِأَلَا»، أَيِ
لَا يَرْفَعُ لَهُمْ قَدْرًا، وَلَا يَقِيمُ لَهُمْ وَزَنًا.

يُقَالُ: مَا بِأَلَيْتُ بِهِ مِبَالَاةً وَبَالِيَةً وَبَالَةً. وَقِيلَ: هُوَ
اسْمٌ مِنْ بَالَى بِيَالِي، خَذَفَتْ يَأْوُهُ، بِنَاءً عَلَى قَوْلِهِمْ: لَمْ أَهْلُ
بِهِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: لَا أَصْبُكُ بِأَلَا، فَهُوَ بِالتَّخْفِيلِ، أَيِ بِخَيْرِ.
وَيُقَالُ: مَا أَتَى لِقَوْلِكَ بِأَلَا، أَيِ مَا أَبَالِي بِهِ.

وَقِيلَ: قَوْلُهُمْ: مَا بِأَلَيْتُ وَمَا بِأَلَيْتُ بِهِ، هُوَ كَالْمَقْلُوبِ
مِنَ الْمِبَالَةِ، مَا خُذَ مِنَ الْبَالِ، أَيِ لَمْ أُجِرْهُ بِيَالِي، وَأَصْلُ
الْبَالِ: الْحَالُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «كُلَّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يُدْأَفِهِ
بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَقْطَعٌ».

فِي حَدِيثِ الْمُفِيرَةِ: «أَنَّهُ كَرِهَ خَرْبَ الْبَالَةِ».
الْبَالَةُ بِالتَّخْفِيفِ: حَدِيدَةٌ يُصَادُ بِهَا السَّمَكُ. يُقَالُ:
أَرَمَ بِهَا فَاخْرَجَ فَهُوَ لِي بِكَذَا، وَإِنَّمَا كَرِهَهُ لِأَنَّهُ غَرَزٌ، وَقَدْ
يُخْرَجُ وَقَدْ لَا يُخْرَجُ.

وَالْبَالَةُ أَيْضًا: فَازَةٌ الْمِسْكِ، أَوْ الْمِرْبَابُ الصَّغِيرُ.
وَقِيلَ: هُوَ شَرِيبٌ «بَيْلَّةٌ»، وَمِنْهُ يَسْمَى الصَّيْدُ لَلْبَالِي
بِالْحَارِسَةِ: يَنْلُوزُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ أَيْضًا مَعْرَبًا.
(١٨٨: ١)

ابْنُ الْأَثِيرِ: فِي الْحَدِيثِ «مَنْ نَامَ حَتَّى أَصْبَحَ، فَقَدْ
بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ» قِيلَ: مَعْنَاهُ شَجَرَ مِنْهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ،
حَتَّى نَامَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، [تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَرٍ]
وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنِ الْحَسَنِ مَرْسَلًا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
قَالَ: فَإِذَا نَامَ شَجَرَ الشَّيْطَانُ بِرَجْلِهِ، لَيْسَ فِي أُذُنِهِ».
وَحَدِيثُ ابْنِ مَعْمُودٍ: «كُنِيَ بِالرَّجُلِ شَرًّا أَنْ يَبُولَ
الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ».

وَكُلُّ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْجَازِ وَالْتِمَازِ.
وَفِيهِ: «أَنَّهُ خَمْرٌ يُرِيدُ حَاجَةً فَاتَّقِعَهُ بَعْضُ
أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: تَنَحَّ فَإِنَّ كُلَّ بَائِلَةٍ تَقْنِخُ» يَعْنِي أَنَّ مَنْ
يَبُولُ يَخْرُجُ مِنْهُ الرِّيحُ، وَأَنْتَ الْبَائِلُ ذَهَابًا إِلَى النَّفْسِ. [تَمَّ]
ذَكَرَ حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الْفَائِقِ وَأَخَصَفَ:]

وصفه بـ «البول» تحميراً لشأنه، وأنه ليس عنده
ظَهَر يُرْغَب فيه لقوة حمله، ولا ضَرْع فيحلب، وإنما هو
بُول.

وفيه: «كان للحسن والحسين قطيفة بُولانية» هي
منسوبة إلى «بُولان»: اسم موضع كان يسرق فيه
الأعراب متاع الحاج. و«بُولان» أيضاً: في أنساب
العرب. (١٦٣: ١)

أبو حَتَّان: البَال: الفكر، تقول: خطر في بالي كذا،
ولا يَبْتَنِي ولا يُجْمَع، وشَدَّ قَوْلهم: بالات، في جمعه.

(٧٠: ٨)

الْفَيْئُوسِي: البَال: القلب. وخطر بيالي، أي بقلبي.
وهو رُخِي البَال، أي واسع الحال.

وبال الإنسان والدابة يَبُول بُولاً وبَالاً فهو بَالِلٌ
استعمل البول في المعين^(١)، وجمع على: أبوال. (٦٦: ١)

الفَيروز اِبَادِي: البول: معروف، جمعه: أبوال.
وقد بال، والاسم: البيلة بالكسر. والولد، والعدد
الكثير، والانفجار.

وبهاو: بنت الرّجل.

وكُثْرَاب: داءٌ يكثر منه البول. وكَهْمَزَة: الكثيرة.
والمَبْؤُلة كَمِئِنَّة: كوزة، والشراب مَبْؤُلة
كَمَرَحَلَة.

والبال: الحال، والمخاطر، والقلب، والحوث العظيم،
والمرء الذي يُعْمَل به في أرض الزرع، ورعاء العَبَس.

وبهاو: القارورة، والجِرَاب، ووعاء الطيب،
وموضع بالمجاز، وهلال بن زيد بن يسار بن بُولِي

كشكُرى، تاهي.

وبال: ذاب.

وأبوال البغال: الشراب.

وبالوية: اسم.

ومأباليه بالة، في المعتل. (٣٤٩: ٣)

الْقُدْنَانِي: ويقولون: أصيب فلانُ بداء كثرة
التبول، وهي جملة طويلة، خير منها «البوال» وهو داءٌ

يكثر منه البول، كما يقول: ابن السكيت في «إصلاح
المنطق»، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة، والمحكم.

والمختار، واللسان، والقاموس، والتاج، والمذ، ومحيط
المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، وتذكرة علي،

والمعجم، والقاموس جني الطي، لم يضبط حركة الياء،
ويبدو أن وزن «فُعال» قياسي في الأمراض

والأوجاع، فهناك الثَّلال، والزُّحار: الذبذبة،
والشَّذاع... وكثير غيرها، أوردته الثعالبي في الباب

السادس عشر من «فقه اللغة».

أما رجل بُولَة، فعناء كثير البول، وفعله: بالَ يَبُول
بُولاً، وبَالاً. (٨٤)

المُضْطَفَوِي: لا يعلني ما في بين «البال» و«البَلُو»
من الاشتقاق الأكبر، وقد تقدّم أن «البَلُو» هو إيجاء

التحول والتقلب، وهذه المناسبة يكون الأصل في كلمة
«البال» هو الحال الباطنية القلبية، واستعمالها في القلب

والنفس، وتحرك القلب، ورعاء العيش، بمناسبة هذا
الأصل، فإن «القلب» من التقلب والتحريك، فيها إحدى

الحالات.

(١) أي لم ي الماء الخارج من القُبْل.

وأما «البول» فيمناسبة ظهور الرخاء الكامل والحالة
المسنة الطيبة، بعد نهاية الشدة والمحصار والضيق، وهذا
المعنى أظهر أثر يُتراءى عند البول، والعرب تُسمي كلَّ
ما يستهجن، بأثره، أو بما يلزمه كالفائط، [إلى أن فسّر
الآية - يوسف: ٥٠، وطه: ٥١ (١) و (٢) كما يأتي في
الاستعمال القرآني - بمعنى الحالة الباطنية، ثم قال:]
وهذا الإطلاق ينفي كون البال بمعنى القلب، وأما
الحالة الباطنية فلا تختص بالحيوان بل وفي كل شيء،
بحسبه.

والفرق بين الحالة والبال: أن «الحالة» أعم من
التحول في الظاهر أو الباطن، و«البال» يُطلق على الحالة
الباطنية. وأيضاً أن أكثر استعمال «البال» في الحالة التي
يلازمها الضيق والحدودية، كما قلنا في «البلو».

(١٦: ٣٣٨)

النصوص التفسيرية

بال

١-... قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا هَٰذَا النُّسُوءُ
الَّتِي قَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلِيمٌ. يوسف: ٥٠
ابن عباس: يقول: قل للملك حتى يسأل عن
خبر النسوة. (١٩٨)

الطبري: سل الملك ما شأن النسوة. (١٢: ٢٣٤)
الطبرسي: أي ما حالهن وما شأنهن. (٣: ٢٤٠)
نحوه أبو الفتح الرازي (١١: ٩٢)، والفخر الرازي
(١٨: ١٥٢)، والنيسابوري (١٣: ١٢)، والقرطبي (٩:

(٢٠٦)

أبو حيان: وأما قال: سل الملك عن شأن النسوة،
ولم يقل: سلّه أن يفتش عنهن، لأنّ السؤال مما يستج
الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه، فأراد أن يسود
عليه السؤال ليجري التحريش عن حقيقة القصة، وقص
المحدث حتى يتبين له براءته بيّناً مكشوفاً، يتميز فيه
الحق من الباطل. (٥: ٣١٦)

الآلوسي: [قال هو أبي حيان ثم أضاف:]

ولو قال: سلّه أن يفتش، لكان تهيباً له عن
الفحص عن ذلك، وفيه جراءة عليه، فربما امتنع منه ولم
يلتفت إليه. (١٢: ٢٥٧)

الحجازي: (قال النسوة): حالهن وأمرهن الذي
يشغل البال. (١٢: ٧٣)

رشد رضا: أي ما حقيقة أمرهن سمي، فالبال:
الأمر الذي يُستمر به ويُبحث عنه، فهو يقول: سلّه عن
حالهن ليبعث عنه ويعرف حقيقته، فلا أحب أن آتبه
وأنا متهم بقضية عوقبت عليها أو أعقبها بالسجن،
وطال مكثي فيه وأنا غير مذنب، فأقبل منه العفو.

(١٢: ٣٢١)

نحوه المرائي.

الطباطبائي: البال: هو الأمر الذي يُستمر به.
يقول: ما هو الأمر العظيم والشأن المنطير الذي أولهن
فيها وقمن فيه، وليس إلا هواهن فيه وولهن في حبه،
حتى أنساهن أنفسهن، فقطعن الأيدي مكان الفاكهة
تقطيعاً، فليغتر الملك في نفسه أن الابتلاء بمثل هذه
العاشقات الواهلات عظيم جداً، والكف عن معاشقتهن

فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب، وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ، لا يجوز على الله أن يخطئ شيئاً أو ينسأ. [إلى أن قال:]

ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء، وتبيته لكل معلوم، فتشئت وقال: ماتقول في سوائف القرون وتنادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم؟

فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عند في كتاب، ولا يجوز عليه الخطأ والسيان كما يجوزان عليك فيما العبد الدليل والبشر الضليل. (٢: ٥٣٩) ابن عطية: وقول فرعون: ﴿قَسَائِلُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ مَحَاجَّتَهُ بِحَسَبِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَمَنَاقَضَتِهِ فِيهِ، فَلَيْسَ يَتَجَهَّ عَلَى هَذَا أَنْ يَرِيدَ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى وَلَمْ يَوْجَدْ أَمْرَكَ عِنْدَهَا، فَرَدَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

ويُحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ فِرْعَوْنُ قَطْعَ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ وَالرَّجُوعَ إِلَى سَوَالِ مُوسَى عَنْ حَالَةِ مَنْ سَلَفَ مِنَ النَّاسِ رَوَعَانًا فِي الْمَحَبَّةِ وَحَيْدَةً، وَقَالَ: (الْبَالُ) الْحَالُ، فَكَأَنَّهُ سَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيَصْلِحُ بِالْكَمِّ». (٤: ٤٧)

ابن الجوزي: اختلفوا فيما سأل عنه من حال القرون الأولى، على ثلاثة أقوال:

أحدها: [وهو قول مقاتل]

وقيل: أراد أني رسول، وأخبار الأمم أعلم غيب.

والامتناع من إجابته بما يُردفه - وهن يفديته بالأنفس والأموال - أعظم، ولم تكن المرافعة بالمرّة والمزتين ولا الإلحاح والإصرار يوماً أو يومين، ولن تستبشر المقاومة والاستقامة تجاه ذلك إلا لمن صرف الله عنه السوء والفحشاء بهرمان من عنده. (١١: ١٩٥)

٢- قَسَائِلُ الْقُرُونِ الْأُولَى. طه: ٥١

مُقاتِل: إنه سأل عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علم، إذ الثوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾. (ابن الجوزي ٥: ٢٩٢) ابن قتيبة: أي فاحالها؟ يقال: أصلح الله بالك، أي حاله.

الطبري: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا.

(١٦٦: ١٧٣)

نحوه المجازي. (١٦٦: ٥)

النقاش: إنما قال فرعون: ﴿قَسَائِلُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ لما سمع مؤمن آله: ﴿يَأْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْذَرُ يَوْمِ الْأَخْزَابِ﴾. ﴿مِنْذَرُ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَغَمَامٍ...﴾ المؤمن: ٣٠، ٣١، ورد موسى العلم إلى الله تعالى، لأنه لم تأت الثوراة بعد.

البغوي: ومعنى البال: الحال، أي ما حال القرون الماضية والأمم الخالية، مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني إليه، فإنها كانت تعبد الأوثان وتكر البعث. (٤: ٤٧)

نحوه الخازن (٤: ٢١٩)، والطبرسي (٤: ١٣).

الزمخشري: سأل عن حال من تقدم وخلا من القرون، وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد.

فلا يعلم لي بالغيب.

والثاني: أن مراده من السؤال عنها: لم عُبِدَت الأصنام، ولم لم يُعبد الله إن كان الحق ما وصفت؟
والثالث: أن مراده: ما لها لا تُبْعَث ولا تُحْساب ولا تُجَازَى؟ فقال: علمها عند الله، أي علم أفعالها.

وقيل: الهاء في (عِلْمُهَا) كناية عن القيامة، لأنه سأله عن بعث الأمم، فأجابته بذلك. (٥: ٢٩١)

نحوه القرطبي. (١١: ٢٠٥)
الفخر الرازي: وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ قَبَائِلُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ فاعلم أن في ارتباط هذا الكلام بما قبله وجوهاً:

أحدها: أن موسى ﷺ لما قرّر على فرعون أمر المبدأ والمعاد، قال فرعون: إن كان إثبات المبدأ في هذا الحديث من الظهور ﴿قَبَائِلُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ما أنتبه، فترجموه؟

فكان موسى ﷺ لما استدلل بالدلالة القاطعة على إثبات الصانع، قدح فرعون في تلك الدلالة، بقوله: إن كان الأمر في قوة هذه الدلالة - على ما ذكرت - وجب على أهل القرون الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها، فعارض الحجة بالتقليد.

وثانيها: أن موسى ﷺ هدّد بالعذاب أولاً في قوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ طه: ٤٨، فقال فرعون: ﴿قَبَائِلُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾، فإنها كذبت، ثم إنهم ما عذبوا؟

وثالثها، وهو الأظهر: أن فرعون لما قال: ﴿مَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ طه: ٤٩، فذكر موسى دليلاً ظاهراً وبرهاناً باهراً على هذا المطلوب، فقال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي

أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠، فغاف فرعون أن يزيد في تقرير تلك الحجة، فيظهر للناس صدقه وفساد طريق فرعون، فأراد أن يصرفه عن ذلك الكلام وأن يشغله بالحكايات، فقال: ﴿قَبَائِلُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾؟ فلم يلتفت موسى ﷺ إلى ذلك الحديث بل قال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ طه: ٥٢، ولا يتعلق غرضي بأحوالهم فلا أشتغل بها.

ثم عاد إلى تسميم كلامه الأول وإيراد الدلائل الباهرة على الوجدانية، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طه: ٥٣، وهذا الوجه هو المعتمد في صحة هذا التظم. (٢٢: ٦٦)

أبوحيان: إقال نحو الزمخشري وابن الجوزي «الفخر الرازي إلا أنه أضاف»

وقيل: سأله عن أخبارها وأحاديثها ليختبر أفعالها لبيان أوصافها من جملة القصص الذين درسوا قصص الأمم السالفة، ولم يكن عنده ﷺ علم بالتوراة، إنما أنزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ طه: ٥٢.

نحوه الألوسي. (١٦: ٢٠٣)

أبو السعود: [ذكر الوجه الثالث كما في كلام الفخر الرازي ثم أضاف:]

وأما ما قيل: من أنه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد، فبأباه قوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ طه: ٥٢، فإن معناه أنه من القيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وإنما أنا عبد لا أعلم منها إلا ما علمني من الأمور

فالأية نظيرة ما نقل عن المشركين في قوله:
﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
السجدة: ١٠، وظاهر الكلام أنه مبني على الانتبعاد من
جهة انتفاء العلم بهم وبأعمالهم للموت والفوت، كما
يشهد به جواب موسى عليه السلام.

مكارم الشيرازي: [ذكر الأحوال من دون إضافة]
(١٦: ١٠)

بَالَهُمْ

١- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ
عَلَيْهِمْ مُحَمَّدٌ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالَهُمْ

أمرهم.
مجاهد: شأنهم.
قَتَادَةَ: أصلح حالهم.

مثله ابن زيد.
الطبري: يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا
عند أوليائه، وفي الآخرة، بأن أودعهم نعيم الأبد والمخلود
الدائم في جناته.

نحوه الطبرسي (٩٧: ٥)، والطبري (٣٢٦: ٥).
القشاش: أصلح ثباتهم.

الساوذي: [ذكر قول مجاهد وقَتَادَةَ وابن عباس
ثم قال:]

والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق

المتعلقة بما أرسلت به، ولو كان المسؤل عنه ماذكر من
الشقاوة والسعادة لأجيب ببيان أن من اتبع الهدى منهم
فقد سلم، ومن تولّى فقد عَذَّب حسبما نطق به قوله
تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
إِلَيْنَا... طه: ٤٧، ٤٨.

الطبري: أي ما حال الأمم الماضية في السعادة
والشقاوة.

نحوه الكاشاني.

البروسوي: والمعنى فما بال القرون الماضية،
وما خبر الأمم الخالية، مثل قوم نوح وعاد وثمود، وماذا
جرى عليهم من المحوادث المفصلة.

قال في الأسئلة المقفلة: «فإن قلت: هذا لا يليق بما
تقدم، قلنا: إن موسى كان قد قال له: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
يَوْمَ الْأَحْزَابِ﴾ المؤمن: ٢٠، أن يلحقكم بغير
لحقهم إن لم تؤمنوا بي، فلهذا سأله فرعون عن حالهم»
انتهى.

يقول الفقير: هذا وإن كان مطابقاً لمقتضى الفاء إلا
أن الجواب لا يساعده، مع أن القائل بالخوف ليس هو
موسى بل الذي آمن. وبعيد أن يحمل الذي آمن على
موسى لعدم مساعدة السباق والسياق، فارجع إلى
سورة المؤمن. [ثم ذكر الوجه الثالث المتقدم في كلام
الفخر الرازي فراجع]

الطباطبائي: أي ما حال الأمم والأجيال
الإنسانية الماضية التي ماتوا وفنوا لا خبر عنهم ولا أثر،
كيف يُجزون بأعمالهم ولا عامل في الوجود ولا عمل،
وليسوا اليوم إلا أحاديث وأساطير؟

بدنياتهم.

الزابع: وهو على هذا التأويل محمول على إصلاح دينهم، و«البال» لا يجمع لأنه أيهم إخوانه من الشأن والحال والأمر.

مثله القرطبي: (١٦: ٢٢٤)

البغوي: حالهم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنها: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

الزُّمَحْشَرِيُّ: أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من التصرة والتأييد.

نحوه البروسوي: (٨: ٤٩٧)

ابن عطية: [نقل قول قتادة ومجاهد ثم قال:]

وتحرير التفسير في اللفظة أنها بمعنى الفكر، والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب، فإذا صلح ذلك صلحت حاله، فكان اللفظة منيرة إلى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع، فقولك: خطر في بالي كذا، وقولك: أصلح الله بالك، المراد بهما واحد، ذكره المبرِّد... (٥: ١٠٩)

نحوه أبو حنيفة: (٨: ٧٣)

الغازي: [قال نحو الزُّمَحْشَرِيِّ وأضاف:]

وقيل: «أصلح بآلهم» يعني قلوبهم، لأن القلب إذا صلح صلح سائر الجسد.

الألويسي: أي حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد. وتفسير «البال» بالحال مروي عن قتادة، وعنه تفسيره بالشأن وهو الحال أيضًا أو ماله خطر،

وعليه قول الزَّائِب. [ثم جاء بقوله وقول أبي حنيفة]

(٢٦: ٣٨)

مكارم الشيرازي: ويمكن القول بأن غفران ذنوبهم نتيجة إيمانهم، وأن إصلاح بالهم نتيجة أعمالهم الصالحة.

إن للمؤمنين هدوة فكرية واطمئنانًا روحيًا من جهة، وتوفيقًا ونجاحًا في برامجهم العلمية من جهة ثانية، فإن لإصلاح البال إطارًا واسعًا يشمل الجميع، وأي نعمة أعظم من أن تكون للإنسان روح هادئة، وقلب مطمئن، ومراج مفيدة بناءً.

(١٦: ٢٩٤)

٢- متبديهم ويُصلح بآلهم. محمد: ٥

الطبرسي: ويُصلح أمرهم وحالهم في الدنيا

(٢٦: ٤٤)

والآخرة. نحوه الزجاج: (٥: ٧)

الطوسي: أي شأنهم أو حالهم، وليس في ذلك تكرار البال، لأن المعنى يختلف، لأن المراد بالأول أنه يصلح حالهم في الدين والدنيا، والثاني يصلح حالهم في التعمير، فالأول مسبب التعمير، والثاني نفس التعمير.

(٩: ٢٩٢)

نحوه الميمني (٩: ١٨٠)، والطبرسي (٥: ٩٨).

البغوي: يرضى خصاءهم ويقبل أعمالهم.

(٤: ٢١١)

الغازي: ويرضى عن أعمالهم ويقبلها. (٦: ١٤٦)

البروسوي: أي شأنهم وحالهم بالعصمة والتوفيق.

والظاهر أن السنين للتأكيد، والمعنى: يهديهم الله ألبتة إلى

الأصول اللغوية

١- لهذه المادة أصلان: الأول: البول، وهو سائل تفرزه الكلتيان عبر الحالبين، فيجتمع في المثانة، ثم تدفعه المثانة بواسطة المجاري البولية إلى القضيب ليطره في الخارج. وفعله بالَ يَبُولُ بَوْلًا، والجمع: أبوال، والاسم: البيلة، ورجل بَوْلَة: كثير البول، والثوال: داء يصيب الإنسان فيأخذه البول، يقال: أخذهُ بُمُول، أي جعل البول يعتريه كثيرًا.

والمبولة: كثرة الشراب، لأنها توجب كثرة البول والمبولة: كوز يبال فيه، والمبال: الفرج، لأنه يخرج منه بُولُ الحبل واستباحها: أوقفها للبول، يقال: تُبِيلُن الحبل في هرصاتكم، وفي المثل: بال حمارٌ فاستبال أحمره. ومن الجاز: بال الرجل بَوْلًا شريفًا فاخرًا، أي ولد له ولد شريف، وأنه لحسن البيلة، أي الولد، وبال الشحم بُول: ذاب، يقال: شحمة بَوْلَة، أي أسرع ذوبها. وأبوال البخال: نطفها، لأن بولها كاذب لا يسلقح، وكذا يقال للشراب، لأنه يترأى للزاني ماءً في نصف النهار. والثاني: البال، وهو القلب والذهن وكل ما يقع في النفس، يقال: ما خطر هذا على بالي، وما ينظر فلان ببال، وأنه لناغم البال ورخي البال، أي واسع العيش. والبال: الاكترات والاهتمام، يقال: أمر ذوبال، أي شريف يُحتفل له ويُسَمَّى به، ومألتي لقوله بالاً: ما أستمع له ولا أكرث، وفي الحديث: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبقر».

ومنه أيضًا: المبالاة، يقال: مباليتُ بالشئ

مقاصدهم الأخروية، ويصلح شأنهم بإرضاء خصائهم.

لكرامتهم على الله بالجهد والشهادة. (٨: ٥٠٠)

الطَّبَّاءُ بَائِيٌّ: قوله: «سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلُّهُمُ بِأَلْسِنِهِمُ» الضمير لـ «وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» عند: ٤، فالآية وما يتلوها بيان حالهم بعد الشهادة، أي سيهديهم الله إلى منازل السعادة والكرامة، ويصلح حالهم بالمغفرة والنفوس عن سيئاتهم، فيصلحون لدخول الجنة.

وإذا انضمت هذه الآية إلى قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّمَا هُمْ أَمْثَلُ بِلْ أَخْيَاءٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» آل عمران: ١٦٩، ظهر أن المراد بإصلاح بالهم: إحيائهم حياة يصلحون بها للحضور عند ربهم بانكشاف النطاء. [تم ذكر قول الطبرسي^(١) في وجهه تكرر قوله: (بائيهم) وأضاف:

والفرق بين ما ذكره من المعنى وما قلناه، أن قوله تعالى: «وَيُضِلُّهُمُ بِأَلْسِنِهِمْ» صلى ما ذكرنا كاللطف التفسيري، لقوله: (سَيَهْدِيهِمْ) دون ما ذكره، وقوله الآتي: «وَيُذِلُّهُمْ الْجَنَّةُ» على ما ذكره، كاللطف التفسيري لقوله: «وَيُضِلُّهُمُ بِأَلْسِنِهِمْ» دون ما ذكرناه. (١٨: ٢٢٦)

مكارم الشيرازي: سبهم هدوء الروح، واطمئنان المياطر، والتساط المعنوي والروحي، والاتسجام مع صفاء ملائكة الله ومعنوياتهم، حيث يجعلهم جناءهم وندماءهم في مجالس أنسهم ولذتهم، ويدعوهم إلى ضيافته في جوار رحته. (١٦: ٣٠٢)

(١) انظر قول الطبرسي في النفس.

الاستعمال القرآني

لم يأت من هذه المادة في القرآن سوى «بال» أربع مرّات: مضافاً إلى الاسم مرّتين، وإلى الضمير مرّتين أيضاً.

١- ﴿وَقَالَ الْحَمَلُكُ انْتَوَيْ بِه فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ لَرَجِغْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْتَلْهُ مَا يَأْتِي النَّشْوَةَ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَبْدَهُمْ﴾ يوسف: ٥٠

٢- ﴿قَالَ لَمَّا بَالَ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ طه: ٥١

٣- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمْنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ محمد: ٢

٤- ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ شبيههم ويضليح بآلهم ويضخهم الجنة غزاهم محمد: ٤، ٥

يلاحظ أولاً: أن «البال» - كما سبق في التصوص وفي الأصول اللغوية - ما يشغل القلب من الهموم والأمانى والأهواء والأحوال الفاسدة أو الصالحة التي يهتم بها الإنسان، وبهذا المعنى جاء في الآيات.

ثانياً: يقول يوسف في (١) - وهو في السجن - للرّسول الذي جاءه من قبل الملك ليأخذه إليه: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ (أي الملك) فَاسْتَلْهُ مَا يَأْتِي النَّشْوَةَ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾، وفيها مواضع للسؤال:

١- لم يأت يوسف الملك فوراً، وقد بقي في السجن سبع سنين، بل تمهل وكلف الرّسول بما كلف؟ ينظر بالبال أنه أراد أن يطلع الملك على حقيقة الحال قبل حضوره لديه، وأنه لم يكن خاطئاً، بل الخاطئ امرأته والنسوة

ومأبالي به مبالاة، أي ما اكرثت له وما اهتمت به، وباليث فلاناً مبالاة: فاخرته. وهو من المقلوب، وأصله: بايثلت أبابيل مبالئة، فقدم اللام على الواو، مثل: قاع فلان يفرغ قوعاً، ولما يقمى قعاً، أي غرس ونكس.

٢- وقد ربط المصنفون بين «البال» و«البول» وأنها يحملان معنى التحول والقلب، وأن «البول» يسى به لتحول الإنسان به من حالة الحصر والشدة إلى حالة الراحة، وبذلك ربط بين المعنيين المذكورين هذه المادة. وهو تكلف ظاهر.

٣- والبال: الحوت العظيم، وهو لفظ فارسي، أخذ من اللفظ اليوناني «فاليتنا»، ويضارعه لفظاً ومعنى «وال» في الألمانية والإنجليزية.

والبالة: وعاء الطيب أو الجراب الصغير، والبالة والنشوة، وسحكة طويطة. قيل: أصله فارسي، ويعني حوت النهر، وقيل: هندي، ويعني رائحة طيبة.

والبالة: عصاً في أحد طرفيها حديدة مدنية تستعمل في صيد السمك، يقال: قد أمكنك الصيد فألقى البالة. ويسمونها صيادو السمك اليوم في جنوب العراق ووسطه «فالة»، بإبدال الباء فاء، مما ينبئ عن كونها تلفظ بإشباع بين الباء والفاء، أي حرف «ب» الفارسي. وهذا الأمر - أي قلب «الباء» المشبعة فاء - مطرد في الألفاظ المعربة، مثل: فردوس وفارس، وهما في الفارسية «بردیس» و«پارس» بباء منيع، وعلى هذا فأصل اللفظ فارسي.

١- إن موسى كان يدعو إلى الله العالم بكل شيء، وأنه مبعوث من قبله، فأراد فرعون أن يناقشه ويقول له: لو كنت صادقاً في ذلك فأنت تعلم حال الأمم السابقة، لأنّ ربك أخبرك بها؟ فهذا السؤال تشييم للبحجّاج في الرّب، فأجابه موسى بأنّ ذلك كلّه يعلمه الله، ولست عالماً بحال الأمم، لأنّ الثّوراة لم تنزل حينذاك، بل نزلت بعده بسنين.

٢- إنّما سأله فرعون عن ذلك لما سمع مؤمناً من آله يقول للنّاس: ﴿يَأْتِيهِمْ إِنْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ مِثْلَ ذَاكَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ... المؤمنين: ٢١ و ٢٢. فلما واجه موسى سؤاله عن هؤلاء الأقوام الذين لم يكرمهم هذا الرّجل من آمن بموسى ليحرف حالهم، أو ليخبر على موسى بأنّ هؤلاء كانوا عبدة أصنام منكرين للبعث والنّبوءات، وأنا أدعو النّاس إلى عبادتي، وأنا خير من الأصنام. أو لم يعبّدوا الأصنام ولم يعبدوا الله، لو كنت صادقاً في دعوائك وكنت على حقّ؟ فأجابه موسى: بأنّ علمها عند ربّي، وعليه فهذا من تنمّة المبحجّاج أيضاً.

٣- إنّ موسى هدّده بالعذاب في قوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ طه: ٤٨، فقال فرعون: فما بالهم لم يعدّوا جميعاً؟ فهو من تنمّة المبحجّاج أيضاً.

٤- إنّ موسى لما ذكر دليلاً ظاهراً وبرهاناً باهراً على وجود الخالق الذي أعطى كلّ شيء خلقه، خاف فرعون أن يزيد في تقرير الحجّة فيظهر للنّاس صدقه، فصرّفه عن ذلك، وشغله بأخبار الأمم السّابقة، إلّا أنّ موسى لم

الآتي دعتهنّ إلى بيتها، ليحكم الملك ببراءته قبل حضوره، وقد فعل.

٢- لقد بذلت امرأة العزيز جهوداً لإخضاع يوسف لظلامها، وكانت دعوة النّساء إلى بيتها واحداً منها، فلم لم يذكر يوسف شيئاً من ذلك، واكتفى بقطع النّساء أيديهنّ؟

وخير ما قيل فيه ما ذكره الطّباطبائي: «ليغكر الملك أنّ الابتلاء بمثل هذه العاشقات الواهات والآتي قطعن الأيدي مكان الفاكهة، عظيم جداً...». ونضيف إليه قولنا: يبدو أنّها كانت أشدّ المواقف ليوسف، حيث أبحر شدّة ولهون إليه، فأمسك عن تلبية رغباتهنّ، وكان أمرًا صعباً عليه وجهداً بليفاً منه.

٣- لم عدّ يوسف قطع أيديهنّ كيداً منهنّ. مع أنّه صدر عنهنّ بلا إرادة وقصد؟ والإجابة عليه بوجهين الأوّل: أنّ امرأة العزيز أعدّت العدة لهذه المواجهة كيداً ليوسف، وكانت التّوبة آلات كيد لها. فكمن بـ«سريكات» في ذلك.

الثّاني: أنّ هذه المواجهة كانت مؤامرة، حاكت خيوطها امرأة الملك والنّسوة، فكان قطع أيديهنّ تصمتاً منهنّ لإلقاء يوسف في حبائل الهوى. وليس سهواً وولهاً منهنّ.

ثالثاً: سأل فرعون موسى في (٢): ﴿قَالَ الْقُرُونُ الْأُولَى؟ وَذَلِكَ بِمَا حَاجَّهُ مُوسَى فِي رِيهِ وَأَفْجَعَهُ، وَقَدْ طُرِحَ نَفْسَ هَذَا السُّؤَالِ فِي التَّفَاسِيرِ: مَاسَرَ هَذَا السُّؤَالِ؟ وَمَعَالِقَتُهُ بِمَا سَبَقَهُ مِنْ احْتِجَاجِ مُوسَى عَلَيْهِ؟ وَالْجَوَابُ عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ:

يفعل عن ذلك، بل قال: ﴿عَلَّمَهَا عَنْذَ رَبِّ فِي كِتَابٍ﴾ طه: ٥٢، مزيداً في الحجاج بشأن الرب.

٥ - إن موسى لما أخبر عن عذاب الأقسام، قال فرعون: إنهم اليوم ليسوا إلا أحماديت، ولا يعلم حالهم، فكيف يعذبهم؟

فأجاب موسى بأن حالهم معلوم لله تعالى، منبت في كتاب عنده، فيجزهم حسب أعمالهم، ويؤيده ذكر «الكتاب» الذي فيه الأعمال.

وعلى كل حال، فأكثر هذه الوجوه - إن لم نقل: كلها - لها ارتباط واتصال بما تقدمها من احتجاج موسى على وجود الرب سبحانه.

رابعاً: جاء في الآيتين (٣) و(٤) إصلاح بال المؤمنين مرتين: ففي الأولى قارن الله المؤمنين بالكافرين، فقال في الكافرين: ﴿أَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾. وفي المؤمنين: ﴿كُفِّرْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ.

وفي الثانية قال في شأن المستنهدين في سبيل الله: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُضِلُّعَ بَالَهُمْ وَيَذِلُّهُمْ الْجَنَّةَ عَزَّوَجَلَّ. وفي الآيتين مواضع تلفت النظر وتثير السؤال:

١ - جاء في الأولى إضلال أعمال الكافرين مقابل إصلاح بال المؤمنين، فركز في جانب الكفار إضلال أعمالهم، وفي جانب المؤمنين إصلاح بأعمالهم. وسيدو أن المقارنة بينهما تكشف صمًا أضر في كل منهما، ففي الكفار أضر فساد بأعمالهم كعلّة لضلّال أعمالهم، وفي المؤمنين أضر صلاح أعمالهم كنتيجة لإصلاح بأعمالهم، أي أنهم لما أصلح بأعمالهم فسيتبعه حتمًا صلاح أعمالهم، والحاصل هو

نتائج أعمال كل فريق لأحوال بأعمالهم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَتَعَلَّ عَلَى شَأْنِهِ﴾ الإسراء: ٨٤.

٢ - وجاء في جانب الكفار الذين صدّوا عن سبيل الله ﴿أَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾، فنسب الصدّ إليهم والإضلال إلى الله، مجازاة لصدّهم، فليس هذا الإضلال جبرًا ولا قسورًا كما فهمته الأشاعرة، فجزاء السيئ بالسيئ عدل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشورى: ٤١، وكذلك نسبة إصلاح بأعمالهم إلى الله جزاء لهم ورحمة عليهم. ومثلها كل ما يشعر بالجبر في القرآن من آيات الهداية والضلالة، كقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ البقرة: ٢٦.

٣ - وكذلك إضلال أعمالهم يناسب صدّهم عن سبيل الله، فإن السبيل إذا صد عنه ضلّ السالك فيه، فعمله عمل ضالّ، وجاء في جانب المؤمنين الذين يعملون الصالحات ﴿أَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، فصلاح الأعمال ينشأ من صلاح البال، كما كان ضلال الأعمال ناشئًا من الصدّ عن السبيل.

٤ - قدّم في (٣) الكافرين على المؤمنين تقديمًا للإنذار على التبشير، كما جاء مكسبه في القرآن كثيرًا، حسب مقتضى الأحوال [لاحظ «بشراء»]

٥ - وصف الذين كفروا بأنهم ﴿صَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ووصف الذين آمنوا بأنهم ﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَعْتَمَدُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ هُدًى وَهُوَ الْقَائِلُ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ أَيْضًا، فبعد عدم اتّصاف كل من الفريقين بما اتّصف به الآخر، فالكفار لم يتصفوا بعمل الصالحات، ولم يؤمنوا بما نُزِّلَ على محمد، كما أن المؤمنين لم يتصفوا بالصدّ

عن سبيل الله. ومنه يُستشف أن الصّدّ عن سبيل الله يضادّ الإيمان بالله وبالرسول.

٦- جاء التعبير بـ «سبيل الله» في جانب الكفار، وبـ «وهو الحق» في جانب المؤمنين، وهما شيء واحد، فإن سبيل الله هو الحق، وهذا أيضًا فرع آخر من المحسنات، فيفيد أن الكفار حينًا صدّوا عن سبيل الله صدّوا عن الحق، والمؤمنين حينًا آمنوا بالحق نهجوا سبيل الله، وهذا ما عيّر عنه في آية نلتها كيان لها بالحق والباطل، فقال: «ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ...» وبالمقابلة بينهما يُعرف أن الباطل ليس من ربهم، بل من الشيطان لا محالة.

٧- زاد في جانب المؤمنين - كمشهد أو نتيجة لإصلاح أفعالهم - «كَفَرَتْ عَنْهُمْ نِيَّتَانِ»، فإن الله إذا أراد عباده خيرًا يكثر سيئاتهم ليستعدوا للإصلاح بألم، أو يصلح بألم لينفر ذنوبهم.

٨- قال في (٤): «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ»، فجمع بين «السبيل» و«الإضلال» أيضًا مثل (١)، ولكن الأمر في (٤) عكس ساقى (١)، فهناك أثبت «الإضلال» لمن صدّ الناس عن «السبيل»، وهنا نفي «الإضلال» عن من استشهد (في سبيل الله) ليبقى مفتوحًا أمام الناس، وبينهما بون بعيد، ووقف الفريقان موقفين متضادين جدًا، هكذا بيّن الله آياته.

٩- قال في المستشهدين: «وَسَيَسْجُدُ لَهُمْ وَيُضْلِحُّ

بِأَلْفِهِمْ» وَيُذِخُّهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ»، وهوؤلاء يشاركون غيرهم من المؤمنين الذين ذكروا في (٣) بأمرين: إصلاح بألم، وعدم إضلال أفعالهم، وفاقوهم بأمرين: هدايتهم وإدخالهم الجنة التي عرفها لهم، والأمران مفهومان في (٣) إيمان، وفي (٤) تصريحًا.

كما أن تكفير السيئات في جانب المؤمنين حُذف في جانب المستشهدين لكونه مفروغًا منه، فإن الشهيد في المعركة يُنفر ذنوبه بأول قطرة دم وقعت منه على الأرض كما جاء في الحديث، فليس هذا تفوقًا لسائر المؤمنين على الشهيد ولعل في حذفه منهم إتمارًا بذلك.

والمراد بالهداية هنا: إما الهداية الباطنية التي تجاري إصلاح الهال، أو الهداية إلى السبيل الذي يجاري دخول الجنة.

والمراد بالهداية عشرة كاملة - زاد في وصف الجنة المستشهدين «عَرَفَهَا هُمْ»، أي أنهم حين استشهدوا شاهدوا الجنة قبل دخولها إذ عرفها لهم الله، وشاهد بعض المقرّبين الجنة في ساحة المعركة، أو في طريقهم إليها قبل حضورها وقبل استشهدهم فيها، كما ترمز إليه بعض الآيات والروايات. وهذه مزية للشهداء لا يشاركون فيها أحد منها بلغوا من مراتب القرب شاهدة على أنهم استشهدوا عن بصيرة فائقة وليس عن غفلة وغيلة، كما يتوهم ضغفاء الإيمان، وتفوّقه المتأفقون كلًّا. [لاحظ «ش هـ»]



مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

ب ي ت

٢٠ لفظاً، ٧٣ مرة، ٢٩ مَكْتَبَةً، ٤٤ مَدَنِيَّةً
في ٢٩ سورة: ١٨ مَكْتَبَةً، ١١ مَدَنِيَّةً

يَبْتَغُونَ ١: ١	يَبْتَغُوا ٢: ٦، ٩	وَيَبْتَغُوا بَيْتًا، أَي يَبْتَغُوا
بَيْت ١: ٤، ٥	بَيْوتهم ١: ٣، ٤	وَيَكُونُ بَنُو فُلَانٍ قَوْلَهُمْ، أَي فَدَرَوْهُ وَأَصْلَحُوهُ، شَبَّهَ
الْبَيْت ١٠: ٤، ١٤	بَيْوتهم ١: ١	بِتَعْدِيرِ أَيْاتِ الْبَشَرِ.
بَيْتًا ١: ٢	بَيْوتكم ٤: ٢، ٦	وَيَبْتَغُوا هَذَا الْعَمَلَ، بَيْتًا، أَي عَمَلَهُ لَيْسَ. [ثُمَّ
بَيْتَهُ ١: ١	بَيْوتكم ٢: ٢	اسْتَشْهَدُ بِشَرِّ]
بَيْتًا ١: ١	بَيْوتنا ١: ١	وَالْبَيْتُوتَةُ: دُخُولُكَ فِي اللَّيْلِ، تَقُولُ: بَيْتٌ أَصْنَعُ كَذَا،
بَيْنَكَ ١: ٢	بَيَاتًا ٣: ٣	إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ، وَبِالنَّهَارِ ظَلِمَتْ.
بَقِيَ ٢: ١، ٣	بَيْتٌ ١: ١	وَمِنْ فُسْرٍ «بَاتٌ» عَلَى النَّوْمِ فَقَدْ أَخْطَأَ، أَلَا تَرَى
بَيْوت ١٠: ١٠	بَيْتُونَ ٢: ٢	أَنَّكَ تَقُولُ: بَيْتٌ أُرَاعِي التَّجَرُّمَ، مَعْنَاهُ بَيْتٌ أَنْظُرَ إِلَيْهَا،
الْبَيْوت ٣: ١، ٤	لنَبِيِّتِهِ ١: ١	فَكَيْفَ نَامَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا؟

وَتَقُولُ: أَبَاتُهُمْ اللَّهُ إِيَّائَهُ حَسَنَةً، فَبَاتُوا بَيْتُوتَةً صَالِحَةً.
وَأَنَاهُمْ الْأَمْرَ بَيَاتًا، أَي أَنَاهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ. وَبَاتَ
يُحْلِي.

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْخَلِيلُ: التَّيِّبُ: مَنْ بَيْوتِ النَّاسِ، وَبَيْتٌ: مَنْ

أَيَاتِ الْبَشَرِ.

وَالْمَيْتُ: يَجْمَعُ كُلَّ الْمَعَاتِي. (١٣٨: ٨)

الْقَوَاءُ: بَاتَ الرَّجُلُ، إِذَا سَهَرَ اللَّيْلَ كُلَّهُ، فِي طَاهَةٍ

وَيُتَوَاتَى الْعَرَبُ: أَحْيَاؤَهَا.

أو معصية. (الأزهرى ١٤: ٣٣٣)

هو جاري بيت، بيت، بيتًا لبيت، وبيت لبيت.

وبيت الرجل: داره، وبيته: قصره.

(الأزهرى ١٤: ٣٣٥)

وجع البيت: أياوات، وهذا نادر، وتصغيره: بيتت.

وبيئت، بكسر أوله، والعامة تقول: يوتت. وكذلك

القول في تصغير شيخ، وغير، وشي: وأشباهاها.

(ابن منظور ٢: ١٤)

الأصمعي: العرب تكثي عن المرأة: بالبيت. [تم]

استشهد بشعر]

والخباء: بيت صغير من صوف أو شعر، فإذا كان

أكبر من الخباء فهو بيت، ثم يظلم إذا كثرت عن البيت.

وهي تسمى: بيتًا أيضًا إذا كان ضخمًا مرفوعًا.

(الأزهرى ١٤: ٣٣٥)

أبو هبند: بيت القوم، وبيت بهم: بيت عندهم.

(ابن سيدة ٩: ٥٢٦)

ابن الأعرابي: يقال للفقير: المستيت، وفلان

لا يستيت ليلة، أي ليس له بيت ليلة من القوت.

(الأزهرى ١٤: ٣٣٤)

العرب تقول: أبيت وأبات، وأصيد وأصاد، ويموت

ويمات ويدوم ويدام، وأعيف وأعاف، وأخيل القيت

بناحيكم، وأخال لغة، وأزبل، أقول ذلك يريدون:

أزال.

ومن كلام بني أسد: ما يليق بكم الخير ولا يعيق.

إتباع.

بات الرجل يبيت بيتًا، إذا تزوج. وبيت العرب:

شرفها، والجمع: البيوت، ثم يجمع بيوتات جمع الجمع.

ويقال: بيت قيم في بني حنظلة، أي شرفها.

(الأزهرى ١٤: ٣٣٤)

ابن قتيبة: إنه [النبي] قال لأبي ذر: كيف نصنع إذا

مات الناس حتى يكون البيت بالوصيف؟

لم يرذ به البيت مساكن الناس، لأنها عند فئس

الموت ترخص، وإنما أراد بالبيت: القبر، وذلك أن

مواضع القبور تضيق عليهم، فيبتاعون كل قبر بوصيف،

ولهذا ذهب حماد في تأويله. (الأزهرى ١٤: ٣٣٤)

ابن أبي الياسن: والبيت: قوت ليلة، يقال:

ما عنده بيت ليلة وبيتة ليلة. (٢١٥)

كراع النسل: والبيت: الترويع.

(ابن سيدة ٩: ٥٢٦)

الليالي: كل من أدركه الليل فقد بات، نام أو لم

ينم، وفي التنزيل: «وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

وَقِيَامًا» الفرقان: ٦٤. (ابن سيدة ٩: ٥٢٦)

ابن كيسان: «بات» يجوز أن يجري مجرى «نام»،

وأن يجري مجرى «كان» قاله في باب كان وأخواتها:

ما زال وما انفك وما فقه وما فقه. (الأزهرى ١٤: ٣٣٤)

ابن دريد: البيت: معروف، وبيت الأمر تبيتًا، إذا

عملته بالليل. وكل كلام لخصته أو رأي أجلته بالليل

فهو بيت.

وماء يوت، إذا بات ليلة في إنائه.

وتيت القوم، إذا أوقعت بهم ليلاً. والمصدر:

التبيت، والاسم: التيات، وفي التنزيل: «أَقَامِينَ أَهْلُ

الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ» الأنعام: ٩٧.

والمبيت: الموضع الذي يبات فيه. وسمي البيت من الشر لضعفه الحروف والكلام كما يضم البيت أهله.

وقد سمي الله عز وجل بيت العنكبوت بيتًا، وذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ الذُّبَابَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَا قَتَلَ الْعَنْكَبُوتُ إِتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ العنكبوت: ٤١.

والمبيت من بيوتات العرب: الذي يجمع عرف القبيلة كآل حصن الفزاريين وآل ذي الجذنين الشيبانيين، وآل عبد المدان الحارثيين. وكان ابن الكلبي يزعم أن هذه البيوت أعلى بيوت العرب. (١: ١٩٩)

والمبيت: معروف، والجمع: بيوت وأبيات. وبيوتات العرب الواحد: بيت، وتصغير أبيات أبيات.

وأبيات الشعر وبيوته. وبيت القوم الكلام تبيينًا، إذا زوروه وأصلحوه بليل.

وماء بيوت، إذا بات ليته. ولا يقال: بيوتى وإن كانت العامة قد أولمت به، وهو خطأ.

وبيت القوم تبيينًا وبيانًا، إذا طرقتهم ليلاً. والمبيت والمبات: الموضع الذي يبات فيه. وبات فلانُ بيته حسنة. (٣: ١٩٩)

الأزهرى: ومنه قول جبريل للنبي عليها الصلاة والسلام: «بشر خديجة يتيماً من قصب» أراد بشرها بقصر من ثلثة جموة.

وسمعت أعرابياً يقول: استغني من بيوت الشتاء، أي من ثوب حليب ليلاً وحقن في الشتاء حتى برد فيه ليلاً.

وكذلك الماء إذا بُرد في المزاولة ليلاً: بيوت.

ويقال: بئت فلان بني فلان، أي أتاهم بيئاً فكبتهم، وهم غارون.

وقال العباس يمدح النبي ﷺ

حتى احتوى بيتك المهتمين من

خندف علياء تحتها النطق

أراد بيته: شرفه العالي، جعل في أعلى خندف بيتًا.

والمبيت: من أبيات الشعر سمي بيتًا، لأنه كلام جمع منظوماً فصار كبيت جمع من شقي وكفاؤ وبرواق وعُشيد.

وسمي الله جل وعز الكعبة: البيت الحرام.

وقال نوح حين دعا ربه: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَزَوْجِيَ

زَيْنًا ذَلَّلَ تَبَيُّؤُنَا﴾ نوح: ٢٨، فسَمِي سببته التي

ركبها أنيتم الطوفان: بيتًا.

ويقال: بئي فلان على امرأته بيتًا، إذا أعرض بها

وأدخلها بيتًا مضروبًا، وقد نقل إليه ما يحتاجان إليه من

آلة ولباس وغيره. (١٤: ٣٣٦)

المصاحب: بيت الله: الكعبة. [ثم قال نحو التحليل والأصمى وأضاف:]

والمبيت: الفرش.

ولبن وماء بيوت، إذا مضى عليه ليل فبرَد وصفا.

وحواض بيوت: ملئ بالأمس.

وبيوت الهم: الذي بات في الصدر.

وبين بيوت: لا تسقط.

وتبيته عن كذا، أي احتسبته فأبته حندي.

ويقولون: بيتك الله في حافية، ولا يقولون: أباتك.

وأبنات بيتات: بمعنى بيت.

وَبَيْتَ فُلَانٍ قَوْلَ فُلَانٍ، أَيْ غَيْرُهُ.

وَسُمِّيَ بَيْتُ الشَّعْرِ نَيْشًا، لِأَنَّهُ مُقَدَّرُ بوزن معلوم.

وَبَيْتٌ: قُدْرٌ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ

مَالًا يَرِضُونَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ النساء: ١٠٨.

وَالْبَيْتُ فِي النَّحْلِ: أَنْ يُشَذَّبَهَا مِنْ شَوْكِهَا وَسَقَمِهَا.

(٩: ٤٧٣)

الخطابي: فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ لَا يَبِيتُ

مَالًا وَلَا يُقِيلُهُ».

قَوْلُهُ: «لَا يَبِيتُ مَالًا» مَعْنَاهُ أَنْ مَالَ الْمَدْقَةِ إِذَا وَاغَا،

مَسَاءً لَمْ يُمِيكْهُ عِنْدَهُ إِلَى اللَّيْلِ، لَكِنَّهُ يَفْرُقُهُ فِي أَهْلِهِ، وَإِذَا

جَاءَهُ صَبَاحًا لَمْ يُمِيكْهُ إِلَى وَقْتِ الْفَانَلَةِ، وَهِيَ قُبُلُ الظُّلَمِ

(١١: ٥٢٣)

إِلَى أَنْ يَنْتَصِفَ النَّهَارُ.

الْبُيُوتُ هَرَمِيٌّ: الْبَيْتُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ الْبُيُوتُ

وَأَبَايُتٌ، وَأَبَايُتٌ عَنْ سَبِيئِيَّةٍ، مِثْلُ أَقْوَالٍ وَأَقْوَابٍ.

وَتَصْغِيرُهُ: بَيْتٌ، وَبَيْتٌ أَيْضًا، بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، وَالْعَامَّةُ

تَقُولُ: بُيُوتٌ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي تَصْغِيرِ شَيْخٍ وَغَيْرِ

وَشَيْءٍ وَأَشْبَاهِهَا.

وَالْبَيْتُ أَيْضًا: عِيَالُ الرَّجُلِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشعر]

وَفُلَانٌ جَارِي بَيْتَ بَيْتٍ، أَيْ مَلَاصِقًا، مُتَابِعًا عَلَى الْفَتْحِ

لَأَنَّهَا اسْمَانِ جَعَلَا وَاحِدًا. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشعر]

وَالْبَائِتُ: الْقَسَابُ، يُقَالُ: خَبِرَ بَائِتٌ، وَكَذَلِكَ

الْبُيُوتُ.

وَالْبُيُوتُ أَيْضًا: الْأَمْرُ يَبِيتُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ مَهْتَمًا بِهِ.

[ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشعر]

وَبَاتٌ يَبِيتُ وَيَبَاتٌ يَبِيتُوتُهُ، تَقُولُ: أَبَاتَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ.

وَبَاتٌ يَفْعَلُ كَذَا، إِذَا فَعَلَهُ لَيْلًا، كَمَا يُقَالُ: خَلَّى يَضِلُّ

كَذَا، إِذَا فَعَلَهُ نَهَارًا.

وَبَيْتَ الْعَدُوَّ، أَيْ أَوْقَعَ بِهِمْ لَيْلًا، وَالْأَسْمَاءُ: الْبَيْتَاتُ.

وَبَيْتٌ أَمْرًا، أَيْ دَبَّرَهُ لَيْلًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ

يُحِبُّونَ مَالًا يَرِضُونَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ النساء: ١٠٨، (١: ٢٤٤)

ابْنُ فَارِسٍ: الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالنَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ

الْمَأْوَى وَالْمَأْبَى، وَجَمْعُ الشُّمْلِ، يُقَالُ: بَيْتٌ وَبُيُوتٌ

وَأَبَايَاتُ. وَمِنْهُ يُقَالُ لِبَيْتِ الشَّعْرِ: بَيْتٌ، عَلَى التَّشْبِيهِ،

لِأَنَّهُ جَمْعُ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْمَعْنَى، عَلَى شَرْطِ

مَخْصُوصٍ، وَهُوَ الْوِزْنُ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشعر]

وَالْبَيْتُ: عِيَالُ الرَّجُلِ وَالَّذِينَ يَبِيتُ عَنْدهم.

وَيُقَالُ: مَالِ فُلَانٍ بَيْتُهُ لَيْلَةً، أَيْ مَا يَبِيتُ عَلَيْهِ مِنْ

طَعَامٍ وَغَيْرِهِ.

وَبَيْتُ الْأَمْرِ، إِذَا دَبَّرَهُ لَيْلًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ

يُحِبُّونَ مَالًا يَرِضُونَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ النساء: ١٠٨، أَيْ حِينَ

يَجْتَمِعُونَ فِي بُيُوتِهِمْ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ يُخَصُّ بِاللَّيْلِ، النَّهَارُ:

يُظَلُّ كَذَا.

وَالْبُيُوتُ: الْمَاءُ الَّذِي يَبِيتُ لَيْلًا، وَالْبُيُوتُ: الْأَمْرُ

يَبِيتُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ مَهْتَمًا بِهِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشعر]

وَالْبَيْاتُ وَالْقَبِييَاتُ: أَنْ تَأْتِيَ الْعَدُوَّ لَيْلًا، كَأَنَّكَ

أَخَذْتَهُ فِي بَيْتِهِ. (١: ٣٢٤)

ابْنُ سِينَةَ: الْبَيْتُ مِنَ الشَّعْرِ: مَا زَادَ عَلَى طَرِيقَةِ

وَاحِدَةٍ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ، يَقَعُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَقَدْ

يُقَالُ لِلْعَبِيِّ مِنْ غَيْرِ الْأَبْنِيَةِ الَّتِي هِيَ الْأَخِيَّةُ: بَيْتٌ.

وَجَمْعُ الْبَيْتِ: أَبَايَاتُ، وَأَبَايُتٌ، وَبُيُوتٌ، وَبُيُوتَاتُ،

وَحَكَى أَبُو عَلِيٍّ عَنِ الْقَرَاءِ: أَبَاوَاتُ، وَهَذَا نَادِرٌ.

وَبَيْتُ الْبَيْتِ: بَيْتُهُ.

والبَيْتُ من الشَّعر مشتقٌّ من بَيْت الحَبَاءِ، وهو يقع على الصغير والكبير، كالرَّجَزِ والطَّوِيلِ، وذلك لأنَّه يضمُّ الكلام، كما يضمُّ البيت أهله، ولذلك سمَّوا مُقَطَّعَاتِهِ أَسْبَابًا وأوتادًا على التشبيه لها بأسباب الجُبُوت وأوتادها، والجمع: أبيات، وحكى سيبويه في جمعه: بُيُوت، فلتبعه ابن جنيّ، [ثمَّ استشهد بشعر]

وبَيْتُ الله: الكعبة، قال الفارسيّ: وذلك كما قيل للخليفة: عبد الله، والجمعة: دار السلام. والْبَيْتُ: القَبْر، أراه على التشبيه، [ثمَّ استشهد بشعر إلى أن قال:]

وَقُلَانِ بَيْتُ قَوْمِهِ: أي شريفهم، من أبي العفيل الأعرابيّ.

وبَيْتُ الرَّجُلِ: امرأته، [ثمَّ استشهد بشعر] ومراةٌ مُبَيَّنَّةٌ: أصابت بَيِّنًا وبَيِّنًا، وهو جاري بَيْتِ بَيْتٍ، قال سيبويه: من التَّرب من يَبِيه كخَمْسَةِ عَشَرَ، ومنهم من يضيفه إلّا في حدِّ الحال، وباتٌ يفعل كذا وكذا يَبِيْتُ وِبَاتٌ بَيِّنًا، وبَيَاتًا، ومَبِيَّتًا، وبَيُوتَةٌ: أي يفعله ليلاً، وليس من النوم.

والاسم من كلِّ ذلك: البَيْتة. وأَبَاتَهُ الله أحسن بيتة، أي: إبانة، لكنَّه أراد به الضَّرب من المَيِّت، لغناه على فِطْلَةٍ، كما قالوا: قتله ضرَّ فِطْلَةٍ، وبَسَّت المَيْتة، إنما أرادوا الضَّرب الذي أصابه من القتل والموت.

وبَيَّتَ الأمرُ: عَمِلَه ليلاً، أو دَبَّرَه ليلاً، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ النساء: ٨١، وفيه: ﴿وَإِذْ يَبْثُغُونَ مَالًا يَرِثُوهُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ النساء: ١٠٨.

وبَيْتُ الْقَوْمِ: أوقع بهم ليلاً، والاسم البيات. وماءٌ بَيُوت: باتَ فَبَرَدَ، [ثمَّ استشهد بشعر] والمَيْت: الموضع الذي يُبات فيه، وماله بَيْتٌ ليلةً، وبَيْتُها: أي قَيْتُها، والْبَيْتة: حالُ المَيِّت، [ثمَّ استشهد بشعر]

(٥٢٤: ٩)

الْبَيْت: القصر، والمسكن، والمُجْتَرَّة، والْبَيْت من الشَّعر والمدَّر: معروف، ثمَّ استعمل فيما سوى ذلك.

الْبَيْت: الحباء الضخم، وهو ما يكون على أربعة أعمدة أو أكثر.

البَيْت: الكعبة، وبيت الله: المسجد، وبيت الله المحرام: المسجد المحرام بمكة.

الْبَيْت: أصل البيت - ماوى الإنسان بالليل، لأنَّه يقال: بات: أقام بالليل، كما يقال: ظلَّ بالنَّهار، ثمَّ قد يقال للمسكن: بيتٌ من غير اعتبار اللَّيل فيه، وجمعه: أبياتٌ وبُيُوت.

لكن «البُيُوت» بالمسكن أخص، و«الأبيات» بالشَّعر.

ويضع ذلك على المتخذ من حجر ومدَّر وحُصُوف ووَبَر، وبه سُمِّيَ بيت الشَّعر، وهَبَّرَ عن مكان الشَّيء بأنَّه يَبِيه، وصار «أهل البيت» متعارفًا في آل النبيّ صلى الله عليه وآله والسلام، وبه النبيّ بقوله: «سَلَامٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ» أن مولى القوم يصحُّ نسبته إليهم، كما قال: «مولى القوم منهم وابنه من أنفسهم».

وبيت الله والبيت العتيق: مكة. [ثمَّ ذكر جملة من

الآيات وفسرها، لاحظ النصوص التفسيرية [(٦٤)]
 الحريري: وبات يفعل كذا، إذا فعله ليلاً. (١٣)
 ومن ذلك توهمهم أن بات فلان، أي نام، وليس هو
 كذالك^(١) بل معنى بات: أظله المبيت وأجته الليل، سواء نام
 أو لم ينم، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجُودًا
 وَقِيَامًا﴾ الفرقان: ٦٤. [ثم استشهد بشر] (١١٦)
 الزمخشري: ماله بيت ليلة وبيت ليلة، وفلان
 لا يبيت، أي لا يملك البيت، وتبيت الطعام، أكلته عند
 المضجع، وشر الطعام التبيت، وبيت العدو، ومن
 عادته البيات، وبيت الأمر: دبره ليلاً ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ
 مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ النساء: ١٠٨، وهذا أمر قد تبيت
 بليل، وخفت ببيت أمر. [ثم استشهد بشر]
 وبت عنده في بيت حديق، ويؤتة طيبة، وأباتك
 الله إياناً حسنة، ويترك الله في عافية، وفلان من أهل
 البيوتات، وهو من بيت كريم، وقلت: أبياتاً من الشعر
 ويؤوتاً، ولي في هذا المعنى أبيات، وكم من أبيات يلاح
 للعرب.

ومن الجاز: قال بدوي آخر: هل لك بيت، أي
 امرأة. [ثم استشهد بشر]

وبات فلان، إذا تزوج، وبني فلان عليه بيتاً، إذا
 أعرس، وتزوجت فلانة على بيت، أي على فرش يكني
 البيت. (أساس البلاغة: ٣٤)

«لا حيام لمن لم يبيت الصيام من الليل» وروي
 «بيت»، أي لم يقطعه على نفسه بالنية. (الفائق ١: ٧٢)
 عائشة: تزوجني رسول الله ﷺ على بيت قبيصة
 خمسون درهماً، وروي: «على بت».

البيت: فرش البيت، وهو معروف عندهم، يقولون:
 تزوج فلان امرأة على بيت.

البت: الكساء، وقيل: الطيلسان من غز.
 (الفائق ١: ١٤٢)

ابن الأثير: وفيه: «لا حيام لمن لم يبيت الصيام»،
 أي يتوبه من الليل، يقال: بيت فلان رأيه، إذا فكر فيه
 وخبره. وكل ما فكر فيه ودبر بليل فقد بيت.

ومنه الحديث: «هذا أمر بيت بليل»
 والحديث الآخر: «أند سئل عن أهل الدار يبيتون»
 أي يصابون ليلاً.

وتبيت العدو: هو أن يقصد في الليل من غير أن
 يعلم فيؤخذ بهته، وهو البيات.

ومنه الحديث: «إذا بيتتم فقولوا: حم لا يتصرون»
 وقد تكرر في الحديث.

وكل من أدركه الليل فقد بات يبيت، نام أو لم ينم.
 (١: ١٧٠)

الصفاني: [بعد ذكر جملة مما تقدم قال:]

وتبيت عن حاجته: حبسه عنها.

وابتات، أي بيت.

والبيت في النخل: أن كشد بها من شوكها وسعفها.
 (١: ٣٠٤)

الفيومي: بات يبيت يئوتة وسبيتاً ومبائاً فهو
 بائث، وثأتي نادراً بمعنى نام ليلاً، وفي الأهمم الأظلم
 بمعنى فعل ذلك الفعل بالليل، كما اختص الفعل في «ظل»
 بالنهار.

فإذا قلت: بات يفعل كذا، ففتح فعله بالليل، ولا يكون إلا مع سهر الليل؛ وعليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ الفرقان: ٦٤. [ثم أتت بقول الفراء والخليل المتقدمين وأضاف:] وقال ابن القطّاع: بات يفعل كذا، إذا فعله ليلاً، ولا يقال: بمعنى نام.

وقد تأتي بمعنى «صار» يقال: بات بموضع كذا، أي صار به، سواء كان في ليل أو نهار؛ وعليه قوله عليه الصلاة والسلام: «فإنه لا يدري أين باتت يده» والمعنى صارت ووصلت. وعلى هذا المعنى قول الفقهاء: بات عند امرأته ليلاً، أي صار عندها، سواء حصل معه نوم أم لا.

وبات يبات من باب «تَبَّ» لغة؛ والبيت المسكن، وبيت الشجر معروف. وبيت الشجر: ما يشتعل على أجزاء معلومة، وتسمى أجزاء التفتيل، سمي بذلك على الاستعارة بضم الأجزاء بعضها إلى بعض على نوع خاص، كما تُضم أجزاء البيت في عمارته على نوع خاص، والجمع: بيوت وأبيات.

وبيت العرب: شرفها، يقال: بيت تميم في حنظلة، أي شرفها.

والبيات بالفتح: الإغارة ليلاً، وهو اسم من بَيْتَه بُيْتًا، وبيت الأمر: دهره ليلاً، وبيت النية، إذا عزم عليها ليلاً، فهي مُبَيَّتَةٌ بالفتح اسم مفعول. (٦٨: ١)

الفيروز أبادي: البيت من الشجر والمدر: معروف، جمعه: أبيات وبيوت، جمع جمعه: أبيات وبيوتات

وأبيات، وتصغيره: بُيُوتٌ وبيوت، ولا تقل: بُيُوتٌ. والشرف، والشريف، والتزويج، والقصر، وعيال الرجل، والكعبة، والقبر، وفرش البيت، وبيت الشاعر، والبيوت كغروب: الماء البارد، والقاب من الحبر كالبات، والأمر يبيت له صاحبه مهتماً.

وبات يفعل كذا يبيت وبيات يبيت وبياتاً وبياتاً ويؤتة، أي يفعله ليلاً، وليس من النوم. ومن أدركه الليل فقد بات، وقد يت القوم ويهم وعندهم، وأباته الله أحسن بيته بالكسر، أي إباته. وبيت الأمر: دهره ليلاً، والتغل: تذّ بها، والعدو: أوقع بهم ليلاً.

والبيت بالكسر: القوت كالبيت.

والطشيت: الفقير.

عامة بُيُوتِي: أصابت بيتاً وبتلاً.

ونبيت عن حاجته: حبتة عنها.

ولا يبيت ليلاً، أي ماله بيت ليلاً.

وبن يؤتة، أي لا تسقط.

وبيات كسحاب: قرية، وكورة قزب واسط.

(١٤٩: ١)

الطريحي: وفي الحديث: «لا يأمن البيات من عمل السيئات»، البيات: الأخذ بالمعاصي. [ثم ذكر حديث «لا صيام لمن لا يبيت» ثم قال:]

وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبيت إلا بوتر» أي لا ينام.

والبيت من الشجر وغيره، يسمى به، لأنه يبات فيه، والجمع: بيوت وأبيات.

وفي حديث الزكاة: «ولأفصح من ضيع عشرين بيتاً من ذهب بخمسة وعشرين درهماً. قلت: مامعنى خمسة وعشرين درهماً؟ قال: من منع من الزكاة وقضت صلاته حتى يزكي» والمراد بالخمسة والعشرين درهماً التي أوجبها الله عز وجل في الألف؛ حيث جعل في الزكاة في كل ألف خمسة وعشرين درهماً.

والبيت: أحد الحيطان التبعة الموقوفة على غاطمة. والميت: الذي أعطاه النبي لسلطان، فكانت عليه وخلص رقبته من مولاة الكافر.

والبائت: الغائب، ومنه «لحم بائت» (١٩٤: ٢).

محمّد إسماعيل إبراهيم: [ذكر نحو ما تقدم عن اللغويين] (٨٤: ١)

محمود شيت: [ذكر نحو اللغويين وأضاف:]

١- أ- بيت الجيش الأعداء: أوقع بهم ليلاً. وميت الهجوم: أعد خطته ودبرها للهجوم ليلاً.

ب- ميّت: يقال: الهجوم الميت: الهجوم المدبر ليلاً. الدفاع الميت: الدفاع المدبر ليلاً. الانسحاب الميت: الانسحاب حسب خطة مرسومة ليلاً. التقدم الميت: التقدم حسب خطة موضوعة مدبرة ليلاً.

(١٠١: ١١)

العذنانى: «أبيات ويوت».

ويخطون من يجمع البيت الذي نسكنه على أبيات، ويقولون: إن الصواب هو البيوت، ويرون أن الأبيات هي جمع بيت الشعر.

ولكن:

يجمع البيت الذي نسكنه بيت الشعر على: أبيات

وبيوت، كل من بيتويه، والمنهى الذي قال في بيوت الشعر:

وما قلت من شعر تكاد بيوته

إذا كثبت يبتض من نورها الخيزر

واين جنى، ومعجم مقاييس اللغة، واللسان،

والمصباح، والقاموس، والتاج، والمذ، وشوقي الذي قال في الأبيات التي تسكن:

لم على أبيات ليل بي الهوى

وما غير أشواقى دليل ولا زكب

والحق، والوسط.

ويرى الزاغب الأصفهاني في «مفرداته» أن

«البيوت» أخص بالمسكن، و«الأبيات» بأبيات الشعر.

وذكر «اللسان» أن البيت من الشعر مشتق من بيت

الخياء، لأنه يضم الكلام كما يضم البيت أهله، ولذلك

نحو مقطعاته أسبأها وأونادها، على التشبيه لها بأسباب

البيوت وأونادها.

أما جمع الجمع فهو: الباييت وبيوتات، وحكى

أبو علي عن القراء: أبيات، وهذا نادر.

ويصغر البيت على: بيتي وبيتيت، ولا يجوز تصغيره

على: بوتي، وقد نسيه «الصحاح» إلى العامة.

ومن معاني البيت:

١- قرش البيت.

٢- الكعبة.

٣- القبر.

٤- بيت الله: المسجد.

٥- بيت الرجل: امرأته وعياله.

٦- بيت القصيد: أحسن أبيات القصيدة.

والوسيط.

٧- هو جاري يَتَّ يَتَّ يَتَّ: بيته مُلاصق يتي.

وقد اختلفوا في معنى «بات» فالفراء قال: بات

الرجل، إذا سهر الليل كله في طاعة الله، أو معصيته.

«اشتريت بيوتًا خمسة أو خمسة»

ويحفظون من يقول: اشتريت بيوتًا خمسة، ويقولون

وقال اللبث: بات: دخل في الليل، ومن قال: بات

فلان، إذا نام، فقد أخطأ.

إن الصواب هو: اشتريت بيوتًا خمسة، لأن البيت مذكر،

وقال ابن كيسان: «بات» يجوز أن يجري مجرى

والعدد من (٢ - ١٠) يذكر مع المعدود المؤنث، ويؤنث

«نام»، وأن يجري مجرى «كان»، قاله في كان وأخواتها.

مع المعدود المذكر، نحو: اشتريت خمسة بيوت، وثلاث

والمحذوف هو قول الزجاج: كل من أدركه الليل، فقد

فُزِّي، ولكن:

بات، نام أو لم يتم.

ليس العدد في المثل الأول مضافًا إلى معدوده، كما

وبات بيت من باب «ضرب» وبات بيات من

هي الحال في المثل الثاني، بل هو نعت لمعدوده. والقاعدة

باب «فزع».

الشمعية تقول: «إذا كان الثمت اسم عدد، وكان منونه

أكثر مصادره فهي: بات بيت أو يات يَتَّ، وباتًا.

في الأصل معدودًا محذوفًا، نحو: اشتريت عدة بيوت،

ومن البيت البيت.

يَتَّ منها في هذا العام أربعة أو أربعة، لأن الثمت هنا محذوف

ومن معنى بات:

أن تلحقه تاء التانيث، وأن يتجرد منها.

١- بات الشيء: مضت عليه ليلة، فهو باثت. يقال:

وأنا أوتر التقيد بالقاعدة العامة، والاكتفاء بقولنا:

خَبِرْتُ باثت، وشراب باثت.

اشتريت بيوتًا خمسة، لكي نبتعد عن التثنية

٢- بات فلان: تزوج.

والاستثناءات في قواعدنا الشمعية.

٣- بات يفعل كذا: فعله ليلاً.

«يَتَّ ويَتَّ»

٤- بات به، وحده: نزل.

ويحفظون من يقول: يات ليله يَتَّ يَتَّ،

المُضْطَفَّوِي، فظهر أن الأصل الواحد في هذه

ويقولون: إن الصواب هو: يَتَّ يَتَّ يَتَّ، اعتمادًا على

المادة: هو سكنى البيت ليلاً، ومنه: البيات والبيتوتة.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

وهذه المناسبة أطلق لفظ «البيت» على محل يسكن ليلاً.

وَلِيَّامًا» الفرقان: ٦٤، واعتمادًا على قول مجمع ألسان

ثم أخذ منه البيت لكل مسكن وماوى، الحيوان أو غيره.

القرآن الكريم، وأقرب الموارد، ولكن:

(تم دخل في تفسير الآيات، لاحظ النصوص

أجاز «يَتَّ ويَتَّ» كليهما: ابن الأعرابي

القصيرية] (١: ٣٤٠)

والصباح، والمحكم، والخاتار، واللسان، والمصباح،

والقاموس، والتاج، والمد، ومحيط المحيط، والمتن،

النصوص التفسيرية

يَبْتَغُونَ

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا. الفرقان: ٦٤
ابن عباس: «من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء، فقد بات لله ساجداً وقائماً». (القرطبي ١٣: ٧٢)
الحسن: «يبتغون لله على أقداسهم، ويفرشون له وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، خوفاً من ربهم». (الفخر الرازي ٢٤: ١٠٨)
الكلبي: «من أقام ركعتين بعد المغرب وأربعاً بعد العشاء، فقد بات ساجداً وقائماً». (القرطبي ١٣: ٧٢)
الفراء: جاء في التفسير: «أن من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قلت، فقد بات ساجداً وقائماً، وذكرها أنها الركعتان بعد المغرب، وبعد العشاء، ركعتان» (٢٧٢: ٢)
الطبري: يقول تعالى ذكره: «وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ»: يصلون لله، يراوون بين سجود في صلاتهم وقيام.
الطوسي: «يعني يعبدون الله في ليالهم ويقيمون بالصلاة، ويسجدون فيها». (٥٠٥: ٧)
القشيري: «يبتغون لربهم ساجدين ويصبحون واجدين، فوجد صباحهم ثمرات سجود أرواحهم، كذا في الخبر: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» أي عظم ماء وجهه عند الله، وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود تحسن، وباطن بالوجود مزين.

ويقال: متصفين بالسجود قِيَامًا بأدب الوجود.

(٣٢٦: ٤)

نحو البروسوي.

البغوي: يقال لمن أدركه الليل: بات، نام أو لم ينام، يقال: بات فلان قلقاً، والمعنى: يبتغون لربهم بالليل في الصلاة. (٤٥٥: ٣)

الزمخشري: البيتوة: خلاف الظلولة، وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم. [ثم ذكر كلام القراء وأضاف:]

والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره، يقال: فلان يظل صائماً ويبيت قائماً. (٩٩: ٣)
سند الفخر الرازي (٢٤: ١٠٨)، والنسبي (٣: ٧٧)، والخازن (٥: ٨٨).

السيماوي: «وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» في الصلاة وتخصيص البيتوة لأن العبادة بالليل أحز وأبعد عن الزيادة، وتأخير القيام للربوي، وهو جمع قائم أو مصدر أجري مجراء. (١٥٠: ٢)
نحو الكاشاني. (٢٣: ٤)

أبو حيان: والبيتوة هو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم، وهو خلاف الظلولة. وبجيلة وأزد السراة يقولون: يبات، وصائر العرب يقولون: يبيت.

ولما ذكر حالهم بالنهار بأنهم يتصرفون أحسن تصرف ذكر حالهم بالليل، والظاهر أنه يعني إحياء الليل بالصلاة أو أكثره. [إلى أن قال:]

وفي هذه الآية حض على قيام الليل في الصلاة.

(٥١٣: ٦)

مثله الألويسي (١٩: ٤٤)، ونحوه أبو السعود (٥: ٢٤).
القاسمي: أي يكون لهم في الليل فضل صلاة
وإجابة، كما قال تعالى: ﴿تَنَاجَوْا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ
فَمَا يَسْمَعُونَ﴾ وبالأشجار هم يستغيثون الذاريات:
١٧، ١٨، وقوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾
السجدة: ١٦، وقوله: ﴿أَمْ كُنْ هُوَ قَانِثٌ أَنَاةَ اللَّيْلِ تَاجِدًا
وَقَانِثًا يَمْحَدُّ الْأَجْرَةَ وَيُزْجُوا رَحْمَةً رَبِّهِ قُلْ خَلْ يَسْتَوِ
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٩.

والبيتوتة لغة: الدخول في الليل، يقال: بات يفعل
كذا بيت وبيات، إذا فعله ليلاً، وقد تسمار «البيتوتة»
للكنيوتة مطلقاً، إلا أن الحقيقة أولى، لكثرة ماورد في
معناها مما تلونا، ولذلك قال السلف: في الآية مدح قيام
الليل والثناء على أهله. (١٢: ١٥٨٩)

الطباطبائي: البيتوتة: إدراك الليل، سألهم أم
لا، والمعنى: وهم الذين يدركون الليل حال كونهم
ساجدين فيه لرَبِّهم، وقائمين، يتراوحن مسجوداً
وقياماً، ويمكن أن يراد به التهجّد بنوافل الليل.

(١٥: ٢٤٠)

هيد المنعم الجمال: والذين يبيتون ساجدين
عابدين، فهم يحبون هزيعاً من الليل في الصلاة والذكر.
(٣: ٢٢٣٥)

بَيِّتَ

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ
عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا. النساء: ٨١

ابن عباس: غير أولئك ما قال النبي ﷺ

نحوه قتادة والشاذي. (الطبري ٥: ١٧٨)

مايسرون من التفات.

مثله الضحاك. (البحوي ١: ٦٦٦)

الحسن: أي قدر جماعة منهم ليلاً غير الذي تقول،
أي غير ما يقولون على جهة التكذيب.

مثله قتادة. (الطبري ٢: ٨٠)

معناه: قدرت غير الذي تقول على جهة التكذيب.

(الماوردي ١: ٥١٠)

الفرّاء: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ القراءة أن تنصب الناء.

لأنها على جهة «فعل». وفي قراءة عبد الله: ﴿بَيَّتَ مُبَيَّتَ
مِنْهُمْ﴾ غير الذي تقول. ومعناه: غيروا ما قالوا وخالفوا.
وقد بينا أنها حمزة وقرأها (بَيَّتَ طَائِفَةٌ). جزمها لكثرة
الحركات، فلما سكنت الناء اندغمت في الطاء.

(١١: ٢٧٩)

أبو عبيدة: أي قدروا ذلك ليلاً. [ثم استشهد

بشعر]

يبتوا، أي قدروا بليل. [ثم استشهد بشعر]

كل شيء قدر بليل فهو بَيَّتَ. (١١: ١٣٣)

نحوه ابن قتيبة. (١٣١)

كل أمر قضي بليل قيل: قد بَيَّتَ.

مثله الأصمعي والمبرد. (أبو حيان ٣: ٣٠٣)

الأحفش: تقول السرب للشيء إذا قدر: بَيَّتَ

يشبهونه بتقدير بيوت الشعر. (البحوي ١: ٦٦٦)

الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: غير جماعة منهم

ليلاً الذي تقول لهم. وكل عمل عمل ليلاً، فقد بَيَّتَ:

ومن ذلك بيئت العدو، وهو الوقوع بهم ليلاً. [تم استشهد بشعر]

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ يعني والله يكتب ما يبيرون من قولك: ليلاً في كتب أعمالهم، التي تكتبها حفظته. وأما قوله: ﴿بَيِّتَ طَائِفَةً﴾ فَإِنَّ النَّاءَ مِنْ (بَيِّتَ) تُحَرِّكُهَا بِالْفَتْحِ عَامَّةَ قُرَاءِ الْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ وَسَائِرِ الْقُرَاءِ. لِأَنَّهَا لَامٌ «فُعِلَ». وَكَانَ بَعْضُ قُرَاءِ الْعِرَاقِ يَكْتُبُهَا، ثُمَّ يَدْغِمُهَا فِي الطَّاءِ، لِمُقَارَبَتِهَا فِي الْفَرْجِ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ، تَرْكُ الْإِدْغَامِ، لِأَنَّهَا أَعْنَى النَّاءِ وَالطَّاءِ مِنْ حَرْفَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ تَرْكُ الْإِدْغَامِ أَفْصَحَ اللَّغَتَيْنِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَاللُّغَةُ الْأُخْرَى جَائِزَةٌ، أَعْنَى الْإِدْغَامِ فِي ذَلِكَ مُحْكِمَةٌ.

(١٧٧: ٥)

الرَّجَاجُ: يُقَالُ لِكُلِّ أَمْرٍ قَدْ قُضِيَ بِلَيْلٍ قَدْ بَيَّتَ [تم استشهد بشعر]

وهذا وعظائره في كتاب الله من آيات النبي ﷺ، لأنهم ما كانوا يخفون عنه أمراً إلا أظهره الله عليه.

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ فيه وجهان: يجوز أن يكون - والله أعلم - يُنْزِلُهُ إِلَيْكَ فِي كِتَابِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ (يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ): يَحْفَظُهُ عَلَيْهِمْ لِيَجَازُوا بِهِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿بَيِّتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ فَذَكَرَ، وَلَمْ يَقُلْ: بَيَّتَ، فَلِأَنَّ كُلَّ تَأْنِيثٍ غَيْرِ حَقِيقِيٍّ فَتَصِيرُهُ بِلَفْظِ التَّذْكِيرِ جَائِزٌ، تَقُولُ: قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ طَائِفَةً وَفَرِيقًا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ الْبِسْرَةُ: ٢٧٥، وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ﴾ يُونُسُ: ٥٧، يَعْنِي الْوَعِظَ إِذَا قُلْتَ: فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ.

وَقُرَأَ الْقُرْآنُ (بَيِّتَ طَائِفَةً) حَتَّى إِسْكَانَ النَّاءِ وَإِدْغَامِهَا فِي الطَّاءِ. [تم قال نحو ما تقدم عن الطبري في القراءة] (٨١: ٢)

نحوه الشريبي: (٣٦٨: ١) الزماني: وفيه معنى الإخفاء في النفس، وكذلك لا يوصف تعالى به. (الطوسي ٣: ٢٩٦)

الساوذي: والتبيت: كل عمل دبر ليلاً. [تم استشهد بشعر]

وفي تسمية العمل بالليل بيثاً قولان: أحدهما: لأنَّ اللَّيْلَ وَهَتْ الْمَيِّتَ. وَالثَّانِي: لِأَنَّهُ وَهَتْ الْبُيُوتَ.

(٥٠٩: ١١)

الطبري: [نقل القراءات نحو ما تقدم عن الطبري وأضاف]

يعني خرجوا من عندك بيث طائفة منهم، يعني دبر جماعة منهم ليلاً. قال المبرد: التبيت: كل شيء دبر ليلاً. وقال الجبائي: معناه دبروه في بيوتهم، وهذا بعيد لا وجه له في اللغة. (٢٦٩: ٣)

نحوه الطبرسي: (٨٠: ١) البغوي: ما يزورون ويغيرون ويفقدون.

(٦٦٦: ١) الزمخشري: ﴿بَيِّتَ طَائِفَةً﴾: زُورَتْ طَائِفَةٌ وَسُوتَ ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ خِلَافَ مَا قُلْتَ وَمَا أَمَرْتَ بِهِ، أَوْ خِلَافَ مَا قَالَتْ وَمَا ضَمَنْتَ مِنَ الطَّاعَةِ، لِأَنَّهُمْ أَبْطَلُوا الرَّدَّ لِقَبُولِ، وَالْمَصِيانَ لِلطَّاعَةِ، وَإِنَّمَا يَنَاقِشُونَ

بما يقولون ويظهرون.

والتيببت إتما من البيتوتة، لأنه قضاء الأمر وتدييره
بالليل، يقال: هذا أمر بيتت بليل، وإتما من أبيات الشعر،
لأن الشاعر يديرها ويسوّاها. (٥٤٦: ١)

نحوه البيتضاوي (٢٣٢: ١)، والنسبي (٢٣٨: ١).
ابن عطية: «بيت» معناه فعل ليلًا، وإتما أخذ من
«بات»، وإتما من «البيت» لأنه سلقزم بالليل وفي
الأسرار التي يخاف شياعها. [ثم استشهد بشعر]
(٨٣: ٢)

الفخر الرازي: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال الزجاج: كل أمر تفكروا فيه
كثيرًا وتأملوا في مصالحه ومفاسده كثيرًا، قيل: هذا أمر
مبيت، قال تعالى: «إِذْ يَبْهَتُونَ عَالِيًا نَزَلْ مِنْ الْقَوْلِ»
النساء: ١٠٨.

وفي اشتقاقه وجهان:

الأول: اشتقاقه من «البيتوتة» لأن أصلح الأوقات
للفكر أن يجلس الإنسان في بيته بالليل، فهناك تكون
المخاطر أخف والشواغل أقل، فلما كان الغالب أن
الإنسان وقت الليل يكون في البيت، والغالب له أنه إنما
يستغني في الأفكار في الليل، لاجرم سمي الفكر
المستغني مبيتًا.

الثاني: اشتقاقه من: بيت الشعر، قال الأخفش:
العرب إذا أرادوا قرض الشعر بالفوا في التفكر فيه،
فسموا المتفكر فيه المستغني مبيتًا، تشبيهًا له ببيت
الشعر، من حيث أنه يسوي ويدبر.

المسألة الثانية: أنه تعالى خص طائفة من جملة

المتفكرين بالتيببت، وفي هذا التخصيص وجهان:

أحدهما: أنه تعالى ذكر من علم أنه يبقى على كفره
ونفاقه، فأما من علم أنه يرجع عن ذلك فإنه لم يذكرهم.
والثاني: أن هذه الطائفة كانوا قد أسهبوا ليلهم في
التيببت، وغيرهم سعموا وسكتوا ولم يبيتوا، فلا جرم لم
يذكروا. [ثم نقل القراءات، وبجاء القمل مذكرا كما تقدم
عن الطبري والزجاج] (١٩٥: ١٠)
نحوه القرطبي (٢٨٩: ٥)، واليسابوري (٩٠: ٥)،
والقاسمي (١٤٠: ٨)

الخازن: التيببت: كل أمر يفعل بالليل، يقال: هذا
أمر مبيت، إذا دبر بليل وقضي بليل فقد مبيت، والمعنى
أنهم قالوا وقدروا أمرًا بالليل غير الذي أعطوك بالنهار
من الطاعة.

وقيل: معنى مبيت: غير وبدل طائفة منهم غير الذي
نقول، يعني غير الذي عهدت إليهم لفعل هذا يكون
التيببت بمعنى التبدل. (٤٦٩: ١)

أبو حيان: وقال أبو رزين: مبيت: ألف، وقيل: مبيت
وزور، وقيل: قصد. [ثم استشهد بشعر]
وقيل: التيببت: التبدل بلغة طين. [ثم استشهد
بشعر] (٣٠٣: ٣)

رشيد رضا: «بيت طائفة منهم غير الذي
نقول» دبرت في نفسها ليلًا غير الذي تقول لها، وتظهر
الطاعة فيه نهارًا، أو بيت غير الذي تقوله هي لك
وتؤكده من طاعتك.

والتيببت ما يدبر في الليل من رأي ونية وعزم على
عمل، ومنه قصد العدو ليلًا للإيقاع به، ومنه تيببت نية

الصَّيَامُ، أي القصد إليه ليلاً.

واشتقاقه من «البيتوتة» فإن وقتها هو الوقت الذي يجتمع فيه الفكر ويصفو فيه الذهن.

وقيل: إنه مشتق من أبيات الشعر، أي روزوا ورتبوا في سرائرهم غير مأنسهم به كما يروزون الأبيات من الشعر، أي يحزمون على المخالفة مع التفكير في كينيتها واتقاء غوائلها، كما يرتبون أبيات الشعر ويزنونها.

قال الأستاذ الإمام: ليس هذا خاصاً بالمنافقين بل يكون من ضغناء الإيمان ومرضى القلوب، وهذا الرأي هو الموافق لما قاله في الآيات السابقة.

وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: هم الناس يقولون عند رسول الله ﷺ آمناً بالله ورسوله ليأجروا على دمانهم وأموالهم، وإذا برزوا من عند رسول الله ﷺ خالفوا إلى غير ما قالوا عنده، فعاتبهم الله. (٢٨٦: ٥)

الطُّبَّاءُ بِنَائِي: والتَّيْبِتُ من «البيتوتة» ومعناه إحكام الأمر وتدييره ليلاً. (١٨: ٥)

عبد المنعم الجمال: التَّيْبِتُ: تدبير الأمور بليلاً، وكل أمر دبر في خفاء يقال فيه: هذا أمر بُيْتُت بليلاً. (٥٧٧: ١)

يُبَيِّتُونَ

يَسْتَغْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَغْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطًا.

النساء: ١٠٨

ابن عباس: يؤثفون ويثولون من القول

ملا يرضى الله ولا يرضونه مقدّم ومؤخّر. (٧٩)

نحوه أبو زيد. (ابن عطية ٢: ١١٠)

الطُّبَّارِيُّ: بمعنى: وافقه شاهدهم، إذ يُبَيِّتُونَ

ملا يرضى من القول، يقول: حين يسوون ليلاً ملا يرضى من القول، فيفترونه عن وجهه، ويكذبون فيه. وقد بيّنا معنى «التَّيْبِت» في غير هذا الموضع، وأنه كل كلام أو أمر أصلح ليلاً. وقد حكى عن بعض الطائفتين أن التَّيْبِت في لغتهم: التَّيْبِيل، ثم استشهد [بشر]

وروي عن أبي رزين أنه كان يقول في معنى قوله: (يُبَيِّتُونَ): يؤثفون.

وهذا القول شبيه المعنى بالذي قلناه؛ وذلك أن المؤلف هو التَّيْبِت والتَّيْبِير عما هو به، وتحويله عن معناه إلى غيره. (٢٧٦: ٥)

الرَّجَّاج: كل ما فكر فيه أو خيض فيه بليلاً فقد بُيْتُت.

يعني به هذا السارق، والذي بُيْتُت من القوم أن قال [في قصة سرقة أبي طحمة درعاً ورميه في دار اليهودي]: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع وأحلف أنني لم أسرقها، فتقبل يميني لأنني على ديني، ولاتقبل يمين اليهودي. فهذا ما بُيْتُت من القول والله أعلم. (١٠١: ٢)

الطُّوسِي: [قال نحو الطُّبَّارِيِّ وأضاف:]

المعنى بالآية: الزَّهَط الَّذِينَ مَشَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَأَلَةِ الْمَدَافِعِ عَنْ بَنِي أُبَيْرِقٍ، والجِدَالُ عَنْهُ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ مُحِيطًا، يعني يعلم ما يعلم هؤلاء المستغفون من الناس، وتبييتهم ملا يرضى من القول

وغيره من العالم.

(٢١٩: ٣)

البَقْوِيُّ: يتفولون ويؤلفون، والتبيت: تدبير الفعل ليلاً.

(٦٩٩: ١)

نحوه الخازن.

(١٩٥: ١)

ابن عطية: «يُبَيِّنُونَ» يدبرون ليلاً، انطلقت العبارة على كل استسرار بهذا؛ إذ الليل مظنة الاستتار والاختفاء. [إلى أن قال:]

ومحتمل أن تكون اللفظة مأخوذة من «البيت»، أي يستمرون في تدبيرهم بالجدرات.

(١١٠: ٢)

الطَّبْرَسِيُّ: أي يدبرون بالليل قولاً لا يرضاه الله.

وقيل: ينكرون القول من جهته ويكذبون فيه.

وقيل: إنه قول ابن أبيرق في نفسه بالليل، أرمي بهذا الدرع في دار اليهودي ثم أحلف إني سريء عليه فيصدقني المسلمون لأنني عمل دينهم، ولا يصدقون اليهودي لأنه ليس على دينهم.

وقيل: إنه رمى بالدرع إلى دار ليد بن سهل.

(١٠٧: ٢)

نحوه النسي.

(٢٥٠: ١)

الفسطاطي: أي يضمنون ويسقدون في أذهانهم، وذكرنا معنى «التبيت» في قوله: «بَيَّتَ طَائِفَةً مِنْهُمْ». والذي لا يرضاه الله من القول هو أن طعمة قال: أرمي اليهودي بأنه هو الذي سرق الدرع وأحلف إني لم أسرقها، فيقبل الرسول يميني لأنني على دينه، ولا يقبل يمين اليهودي.

فإن قيل: كيف سمي التبيت قولاً وهو معنى في

النفس؟

قلنا: مذهبنا أن الكلام الحقيقي هو المعنى القاسم بالنفس، وعلى هذا المذهب فلا إشكال، ومن أنكر كلام النفس فله أن يجيب بأن طعمة وأصحابه نعلمهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية الحيلة والمكر، فسئ الله تعالى كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه. (٣٦: ١١)

الشربيني: أي يدبرون ليلاً على طريق الإمعان في الكفر والإتقان للرأي.

مثله المجازي.

أبو الشعثاء: يدبرون ويؤثرون.

مثله البروسوي (٢: ٢٨٠)، ونحوه شبر (٢: ٩٧).

والقاسمي (٥: ١٥٣٩).

الطوسمي: أي يدبرون، ولما كان أكثر التدبير مما

يحتج به عنه، والطرف متعلق بما تعلق به ما قبله.

مثله البروسوي (٢: ٢٨٠).

فأثروا ثقاسموا بالله لنبيتته وأهله ثم نقولون لوليه

فأثرونا مثلك أهله وإثنا قصادقون. التسل: ٤٩

ابن عباس: ندخلن عليه وعلى أهله ليلاً ولتقتلنه

وأهله. (٣١٩)

الفراء: (لنبيتته) التاء والتون والياء كل قد قرئ

به، لن قال: (ثقاسموا) فجعل (ثقاسموا) خبراً، فكأنته

قال: قالوا متقاسمين: (لنبيتته) بالتون، ثم يجوز الياء على

هذا المعنى، فنقول: قالوا: (لنبيتته) بالياء، كما تقول:

قالوا: لنقومن وليقومن.

ومن قال: (ثقاسموا) فجعلها في موضع جزم،

فَكَأَنَّهُ قَالَ: تَحَالَفُوا وَأَقْسِمُوا لِتَبَيَّنَ بِالْقَاءِ وَالْتُونُ تَجُوزُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، لِأَنَّ الَّذِي قَالَ لَهُمْ: (تَقَاسَمُوا) مَعَهُمْ فِي الْفِعْلِ دَاخِلٌ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَمَرَهُمْ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ نَقُولُ: قَوْمُوا نَذْهَبْ إِلَى فَلَانٍ، لِأَنَّهُ أَمَرَهُمْ وَهُوَ مَعَهُمْ فِي الْفِعْلِ، فَالْتُونُ أَصْغَبَ الْوُجُوهَ إِلَى، وَإِنَّ الْكِسَافِي يَقْرَأُ بِالْقَاءِ، وَالْعَوَامُّ عَلَى الْتُونِ.

وهي في قراءة عبد الله (تَقَاسَمُوا) ثُمَّ لَتَقِيسَنَّ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكُ أَهْلِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿تَقَالُوا تَذْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ آل عمران: ٦١، لِأَنَّهُمْ دَعَوْهُمْ لِيُضِلُّوا جَمِيعًا مَادَعَوْا إِلَيْهِ، وَقَرَأَهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَعَصَامُ وَالْحَسَنُ بِالْتُونِ، وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْقَاءِ.

حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَزَّاءُ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ حَبِيدٍ الْأَحْمَرِيِّ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَرَأَ (لَيْبَيْتُهُ) بِالْيَاءِ. كَذَلِكَ (٢٨٦-٢٨٧) نَحْوُهُ أَبُو زُرْعَةَ. (٥٣٠)

الطَّبْرِيُّ: وَيَتَوَجَّهُ قَوْلُهُ: ﴿تَقَاسَمُوا بِمَا لَكُمْ﴾ إِلَى وَجْهِينَ:

أَحَدُهُمَا: النَّصَبُ عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: قَالُوا: مُتَقَاسِمِينَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَا يُضِلُّعُونَ (تَقَاسَمُوا بِاللهِ) وَلَيْسَ فِيهَا قَالُوا، فَذَلِكَ مِنْ قِرَاءَتِهِ يَدُلُّ عَلَى وَجْهِ النَّصَبِ فِي (تَقَاسَمُوا)، عَلَى مَا وَصَفْتُ.

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ: الْجُزْمُ كَأَنَّهُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَقْسِمُوا بِاللَّهِ، فَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ التَّسَانِي تَصْلُحُ قِرَاءَةُ (لَيْبَيْتُهُ) بِالْيَاءِ وَالْتُونِ، لِأَنَّ الْفَاعِلَ لَهُمْ: تَقَاسَمُوا، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْأَمْرُ، فَهُوَ فِيمَنْ أَقْسَمَ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ:

انْهَضُوا بِنَا تَمْضِي إِلَى فَلَانٍ، وَانْهَضُوا تَمْضِي إِلَيْهِ. وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ وَجْهُ النَّصَبِ، الْقِرَاءَةُ فِيهِ بِالْتُونِ أَفْصَحُ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: قَالُوا مُتَقَاسِمِينَ: (لَيْبَيْتُهُ)، وَقَدْ تَجُوزُ الْيَاءُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: قَالُوا: لَنُكْرِمَنَّ أَبَاكَ، وَلَنُكْرِمَنَّ أَبَاكَ.

وَبِالْتُونِ قَرَأَ ذَلِكَ قَرَاءَةُ الْمَدِينَةِ، وَعَامَّةُ قَرَاءَةِ الْبَصْرَةِ، وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ. وَأَمَّا الْأَغْلَبُ عَلَى قَرَاءَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَقِرَاءَتُهُ بِالْيَاءِ وَضَمُّ التَّاءِ جَمِيعًا. وَأَمَّا بَعْضُ الْمَكِّيِّينَ، فَقَرَأَ بِالْيَاءِ.

وَأَعْجَبَ الْقِرَاءَاتُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْتُونِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَفْصَحَ الْكَلَامِ عَلَى الْوَجْهِينَ اللَّذَيْنِ بَيَّنَّتْ مِنَ النَّصَبِ بِالْجُزْمِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ صَحِيحًا فَهِيَ فَاسِدٌ لِمَا وَصَلْتُ. وَأَكْرَهْتُ إِلَى الْقِرَاءَةِ بِهَا الْيَاءَ، لِقَوْلِ قَارِيٍّ ذَلِكَ كَذَلِكَ (٢٨٦-٢٨٧)

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْبَيْتُهُ﴾ قَالَ: لَيْبَيْتَنَ صَالِحًا ثُمَّ يَفْتَكِرُوا بِهِ. (١٩: ١٧٢)

نَحْوُهُ الرَّجَّاحُ (٤: ١٢٣)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ (٦: ١٨٢)، وَالْقُرْطُبِيُّ (١٣: ٢١٦)، وَالْقَاسِمِيُّ (١٣: ٤٦٧٤).

السَّائِرُ فِي أَيِّ لُغَتِهِ وَأَهْلِهِ لَيْلًا، وَالْيَاءُ: قَتْلُ اللَّيْلِ. (٤: ٢٢٠)

نَحْوُهُ الْبُخَّارِيُّ (٣: ٥-٩)، وَالشَّارِبِيُّ (٣: ٦٥)، وَأَبُو السُّعُودِ (٥: ٩٠)، وَالْمَشْهَدِيُّ (٧: ٣٥٥)،

وَالْبُرُوسِيُّ (٦: ٣٥٧)، وَهَرِزَةُ دُرُوزَةُ (٣: ١٦٣).

الطُّوسِيُّ: الْمَعْنَى أَنَّهُمْ تَحَالَفُوا: لَطَرَقْتَهُمْ لَيْلًا يُقَالُ لِكُلِّ عَمَلٍ بِاللَّيْلِ: تَبَيَّنْتُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا يُنْفِثُونَ﴾ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ التَّسَاءُ: ١٠٨، [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ

[بشر]

وقال ابن إسحاق: إنهم لما أتوا صالحاً لتبتيته، دفعتهم الملائكة بالمجاعة.

نحوه الطبرسي (٢٢٧: ٤)، والخازن (١٢٦: ٥).

الزُّمَّشَرِيُّ، والبيات: مباغثة العدو ليلاً. وعن الاسكندر أنه أشير عليه بالبيات، فقال: ليس من آيين الملوك استراق النظر.

ابن خَطِيطَة: [قال نحو الطبري وأضاف:]

وروي في قصص هذه الآية أن هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الأيام بعد غرق الناقة وقد أخبرهم صالح بجميع العذاب، اتفق هؤلاء التسعة فتحالفوا على أن يأتوا دار صالح ليلاً، فيقتلوه وأهله المخلصين به. قالوا: فإن كان كاذباً في وعيده أوقفنا به ما يستحق، وإن كان صادقاً كنا قد عجلناه قبلنا وشغينا نفوسنا.

قال الداودي: فجاءوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره، فروي أنه انحدرت عليهم صخرة سدختهم جميعاً، وروي أنه طبقت عليهم الغار فهلكوا فيه حين هلك قومهم. وكل طريق لا يطم بما جرى على الآخر، وكانوا قد بنوا على جحود الأمر من قرابة صالح الذين يمكن أن ينضبوا له، فهذا كان أمرهم. والمكر نحو الخديعة، وسمى الله تعالى عقوبتهم باسم ذنبهم، وهذا مهيج.

أبو حَيَّان: [نقل كلام الزُّمَّشَرِيِّ وأضاف:]

التقييد بالحال ليس إلا من باب نسبة التقييد لامن نسبة الكلام التي هي الإسناد، فإذا أطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير أنها لم تكن حالاً، لجواز أن تستعمل

خبراً، وكذلك قولهم في الجملة الواقعة قبله صلة: إنها خبرية، هو مجاز، والمعنى أنها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبراً. وهذا شيء فيه غموض، ولا يحتاج إلى الإضمار، فقد كثر وقوع الماضي حالاً بغير «قَدْ» كثرةً ينهي القياس عليها.

وعلى هذا الإعراب احتمل أن يكون (يَا قَوْمُ) متعلقاً بـ (تَقَاتُوا) الذي هو حال، فهو من صلتة ليس داخلاً تحت القول، والمقول (لُتَيْبَتُهُ) وما بعده احتمل أن يكون هو وما بعده هو المقول، [ثم نقل القراءات نحو ما تقدم عن الطبري]

الألوسي: [قال نحو ما تقدم عن الطبري والزمخشري]

سكّازم الشيرازي: وكلمة «لُتَيْبَتُهُ» مأخوذة من التيب، ومعناه الهجوم ليلاً، وهذا التفسير يدل على أنهم كانوا يخاضعون من جماعة صالح وأتباعه، ويستوحشون من قومه لذلك، ومن أجل أن يصلوا إلى هدفهم، ولا يكونوا في الوقت ذاته مثار غضب أتباع صالح، اضطروا إلى أن يُسَيِّتُوا الأمر، وأنفقوا أن لو سألوهم عن هلاك النبي - لأنهم كانوا معروفين بمخالفته من قبل - حلفوا بأن لا علاقة لهم بذلك الأمر، ولم يشهدوا الحادثة أبداً.

جاء في التواريخ أن المؤامرة كانت بهذه الصورة، وهي أن جبلاً كان في طرف المدينة وكان فيه غار يتعبد فيه صالح، وكان يأتيه ليلاً بعض الأحيان يعبد الله فيه ويتضرع إليه، فصمموا على أن يكونوا له هناك ليقتلوه عند مجيئه في الليل، ويحملوا على بيته بعد استشهاده، ثم

يعودوا إلى بيوتهم، وإذا سُئلوا أظهروا جهلهم وعدم معرفتهم بالمحادث.

فلما كمنوا في زاوية واختبأوا في ناحية من الجبل انتالت صخور من الجبل تهوي إلى الأرض، فهوت عليهم صخرة عظيمة فأهلكتهم في الحال. (٨٥: ١٦)

بَيْت

١- إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْقَائِلِينَ. آل عمران: ٩٦

ابن عباس: مسجد.

مثله القراء.

الْبَيْتُ وَسُيِّ: البيت: ما يبيت فيه أحد، أصل

في المكان مطلقاً. [لاحظ أول]

٢- مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفُتُكَيْبِوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْفُتُكَيْبِوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. العنكبوت: ٤١

ابن عباس: مسكنًا. يقول: إِنَّ بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَقْبِيهَا مِنْ حَرٍّ وَلَا يَبْرُدُ، كَذَلِكَ الْإِلَٰهَةُ لَا تَنْفَعُ مِنْ عِبَادِهَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. (٣٣٥)

ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره، أن مثله كمثل بيت العنكبوت. (الطبري ٢٠: ١٥٢)

قَتَادَةُ: هذا مثل ضربه الله للمشرك، مثل إله الذي يدعو من دُونِ اللَّهِ، كمثل بيت العنكبوت، وأهْنُ ضَعِيفٌ لَا يَنْفَعُهُ. (الطبري ٢٠: ١٥٣)

ابن زيد: هذا مثل ضربه الله، لا يعني أوليائهم

عنهم شيئًا، كما لا يعني العنكبوت بيتها هذا.

(الطبري ٢٠: ١٥٢)

الطَّبْرِيُّ: يقول تعالى: لو كان هؤلاء الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ، يَعْلَمُونَ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فِي قُلَّةِ عُنَانِهِمْ مِنْ كُفَرَاءَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ عُنَا، وَلَكِنَّهُمْ يَجْهَلُونَ ذَلِكَ، فَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَهُمْ، وَيَقْرَبُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى. (٢٠: ١٥٣)

الزَّجَّاج: (لو) متصلة بقوله: (اتَّخَذُوا)، أي لو علموا أَنَّ اتَّخَذَهُمُ الْأَوْلِيَاءَ كَمَا اتَّخَذَ الْعَنْكَبُوتُ، لَيْسَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ ضَعِيفٌ، وَذَلِكَ أَنَّ بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَبِيتُ أَضْعَفَ مِنْهُ، فَمَا يَتَّخِذُهُ الْهَوَامُّ فِي الْبُيُوتِ، وَلَا أَهْلٌ وَقَايَةُ مِنْهُ مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرَدٍ.

والمعنى: أَنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ لَا يَنْفَعُونَهُمْ، وَلَا يَرْزُقُونَهُمْ وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْهُمْ ضَرَرًا، كَمَا أَنَّ بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ غَيْرُ مُوَقِّعٍ لِلْعَنْكَبُوتِ. (٤: ١٦٩)

العاوَزدي: يعني أَنَّهُمْ عَبَدُوا مَا لَا يُفْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا، كَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ شَيْئًا، وَهُوَ مِنْ أَبْلَغِ الْأَمْثَالِ فِيهِمْ. (٤: ٢٨٣)

الرُّمَيْسِيُّ: ولَقَاتِلُ أَنْ يَقُولَ: مَثَلُ الْمُشْرِكِ الَّذِي يَعْبُدُ الْوَنْنَ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ مَثَلُ عَنْكَبُوتٍ يَتَّخِذُ بَيْتًا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى رَجُلٍ يَبْنِي بَيْتًا بِأَجْرٍ وَيُحْصِرُ أَوْ يَنْحِتُهُ مِنْ صَخَرٍ، وَكَمَا أَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ إِذَا اسْتَقَرَّتْهَا بَيْتًا بَيْتًا بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ، كَذَلِكَ أَضْعَفُ الْأَدْيَانِ إِذَا اسْتَقَرَّتْهَا دِينًا دِينًا عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (٣: ٢٠٦)

الفَخْرُ الرَّازِي: فِي الْآيَةِ لَطَائِفٌ نَذَرَهَا فِي مَسَائِلَ:

معبودهم تحت تسخيرهم إن أرادوا أجلّوه وإن أحبّوا
أذلّوه.

الثالث: أدنى مراتب البيت أنّه إن لم يكن سبب
نجات وارثاقي، لا يصير سبب شتات واقترافي، لكن
بيت العنكبوت يصير سبب انزعاج العنكبوت، فإن
العنكبوت لو دام في زاوية مدّة لا يقصد ولا يخرج منها،
فإذا نسج على نفسه واتخذ بيتاً. يتبعه صاحب المُلْك
بتطيف البيت منه والمسح بالمسوح الخشن المؤذبة لجسم
العنكبوت.

فكذلك العابد بسبب العبادة ينبغي أن يستحقّ
التراب، فإن لم يستحقّه، فلا أقلّ من أن لا يستحقّ
بشيء العذاب، والكافر يستحقّ بسبب العبادة العذاب.
(٢٥: ٦٧)
مكيه الطيّس يوري (٢٠: ٩٤)، والبرّوسوي (٦:
٤٧)، والمراغي (٢٠: ١٤٣).

أبو حنّان: وقال الرّمثشري: الغرض تشبيه
ما اتخذوه متكلّاً ومعتمداً في دينهم، وتولّوه من دون الله
كما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة، وهو نسج
العنكبوت، ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله: «إنّ
أوهرن النّيوت لبنت العنكبوت» انتهى.

يعني بقوله: ألا ترى إلى مقطع التشبيه بما ذكر أولاً
أن الغرض تشبيه المتخذ بالبيت لا تشبيه المتخذ
بالعنكبوت، والذي يظهر هو تشبيه المتخذ من دون الله
ولاً بالعنكبوت المتخذة بيتاً، أي فلا اعتماد للمتخذ على
وليه من دون الله، كما أنّ العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها
في استغلال وسكني بل لو دخلت فيه خرقت، ثمّ بيّن

المألة الأولى: ما الحكمة في اختيار هذا المثل من
بين سائر الأمثال؟ فنقول: فيه وجوه:

الأول: إنّ البيت ينبغي أن يكون له أمور: حائط
حائل، وسقف مظلّ، وباب يعلّق، وأمور يستنفع بها،
ويرتقى، وإن لم يكن كذلك فلا بدّ من أحد أمرين: إمّا
حائط حائل يمنع من البرد، وإمّا سقف مظلّ يدفع عنه
الحَرّ، فإن لم يحصل منها شيء فهو كالبيداء ليس بيت
لكن بيت العنكبوت لا يجتهد ولا يكتهد.

وكذلك المعبود ينبغي أن يكون منه الخلق والرّزق
وجرّ المنافع وبه دفع المضارّ، فإن لم تجتمع هذه الأمور
فلا أقلّ من دفع ضرّ أو جرّ نفع، فإنّ من لا يكون كذلك
فهو والمدموم بالنسبة إليه سواء، فإذا كان كما لم يحصل
للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من صفاتي البيت شيء،
كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من صفاتي
الأولياء شيء.

الثاني: هو أنّ أقلّ درجات البيت أن يكون للظلّ،
فإنّ البيت من الحجر يفيد الاستغلال ويدفع أيضاً الهواء
والماء والشار والقراب، والبيت من الخشب يفيد
الاستغلال ويدفع الحرّ والبرد، ولا يدفع الهواء القويّ
ولالماء ولا النار، والخرباء الذي هو بيت من الشعر أو
الخيمة التي هي من ثوب إن كان لا يدفع شيئاً، يظلّ
ويدفع حرّ الشمس، لكن بيت العنكبوت لا يظلّ فإنّ
الشمس بشعاعها تنفذ فيه.

فكذلك المعبود أعلى درجاته أن يكون نافذ الأمر في
النير، فإن لم يكن كذلك فيكون نافذ الأمر في العابد،
فإن لم يكن فلا أقلّ من أن لا يتخذ أمر العابد فيه، لكن

حال بيتها وأنه في غاية الوهن؛ بحيث لا ينتفع به، كما أن تلك الأصنام لا تنفع ولا تجدي شيئاً أبته.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ليس مرتبطاً بقوله: ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْيُتُوتَ لَبَيْتُ الْفُلُكُيُوتَ﴾ لأن كل أحد يعلم ذلك، فلا يقال فيه: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وإنما المعنى لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية، لأقلعوا عنه. وما اتخذوا الأصنام آلهة. وقال الزمخشري: إذا صح تشبيه ما استمدوه في دينهم ببيت المنكوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت المنكوت، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون، أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه بمخرج المجاز، وكأنه قال: وإن أوهن ما يعتمد عليه في القيس عبادة الأوثان ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. [ثم ذكر كلاً من صلالة الزمخشري المتقدمة وأضاف:]

وما ذكره من قوله: ولقائل أن يقول إلخ، لا يدل عليه لفظ الآية، وإنما هو تحميل للفظ ما لا يحتمله، كمادته في كثير من تفسيره. (٧: ١٥٢)

الآلوسي: ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْيُتُوتَ﴾ إلخ في موضع الحال من فاعل (اتَّخَذَتْ) المستكن فيه، وجوز كونه في موضع الحال من مفعوله بناء على جواز مجيء الحال من التكرة. وعلى الوجهين وضع المظهر موضع الضمير الزاجع إلى ذي الحال، والجملة من تنقّة الوصف.

والآلام في البيوت للاستغراق، والمعنى مثل المتخذين لهم من دون الله تعالى أولياء في اتخاذهم إياهم كمثل المنكوت، وذلك أنها اتخذت لها بيتاً، والحال أن أوهن كل البيوت وأضعفها بيتها، وهؤلاء اتخذوا لهم من دون

الله تعالى أولياء والحال أن أوهن كل الأولياء وأضعفها أولياؤهم.

وإن شئت فقل: إنها اتخذت بيتاً في غاية الضعف وهؤلاء اتخذوا إلهاً أو متكللاً في غاية الضعف وهم مسترکان في اتخاذ ما هو في غاية الضعف في بابه.

ويجوز أن تكون جملة (اتَّخَذَتْ) حالاً من (الْفُلُكُيُوتَ) بتقدير «قد» أو بدونها، أو صفة لها لأن «أل» فيها للجنس، وقد جوزوا الوجهين في الجمل الواقعة بعد المعرفة بأل الجنسية، نحو قوله تعالى: ﴿كَتَنَلِ الْجُمُارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا﴾ الجملة: هـ.

وهن الفراء أن الجملة صلة لموصول محذوف وقع صفة (المنكوت) أي التي اتخذت، وخرج الآية التي تقررناها على هذا، واختار حذف الموصول في مثله ابن كثير وعليه لا يوقف على المنكوت، وأنت تعلم أن كون الجملة صفة أظهر.

[وذكر كلام الزمخشري ثم قال:]

وهو وجه حسن ذكره الزمخشري في الآية. وقد اعتبر فيه تفريق التشبيه، والضرر إيراد تفاوت المتخذين والمتخذ مع تصوير توهين أمر أحدهما، وإدماج توطيد الآخر.

وعليه يجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْيُتُوتَ﴾ جملة حالية، لأنه من تنقّة التشبيه، وأن يكون اعتراضية لأنه لو لم يؤت به لكان في ضمنه ما يرشد إلى هذا المعنى، وإلى كونه جملة حالية ذهب الطيبي.

وقال صاحب «الكشف»: كلام الزمخشري إلى كونه

الطرفين إنما يمنع من كونه استعارة لو كان في جملة،
ورُجح السابق لأن عادة اليلغاء تقرير أمر المشبه به ليدل
به على تقرير المشبه، ولأن هذا إنما يتميز عن الألتاز بعد
سبق التشبيه.

وجوز أن يكون قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ لِيَ) **الح**
كالمقدمة الأولى، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ لَوْهَنَ الثُّيُوتِ﴾
كالثانية، وما هو كالنتيجة محذوف مدلول عليه بما بعد كما
في «الكشف»، والمجموع يدل على المراد من تقرير وهن
أمر دينهم، وأنه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها على سبيل
الكتابة الإيمانية، فتأمل. (٢٠: ١٦٠)

الطَّبَاطِبَاتِي : ويكون قوله: ﴿وَأَنَّ لَوْهَنَ الثُّيُوتِ﴾
ثَبُوتُ الثُّيُوتِ بيانًا لصفة البيت الذي أخذته
التيوت، ولم يقل: إن أو هن البيوت لبيتها، كما هو
مقتضى الظاهر أخذًا للجملة بمنزلة المثل السائر الذي
لا يتغير.

والمنع أن أخذهم من دون الله أولياء، وهم آلهتهم
الذين يتولونهم ويركنون إليهم، كأخذ الثيوت بيتًا
هو أو هن البيوت، إذ ليس له من آثار البيت إلا اسمه،
لا يدفع حرًا ولا بردًا، ولا يكن شخصًا ولا يقي من
مكروه، كذلك ليس لولاية أولياءهم إلا الاسم فقط،
لا يضرعون ولا يضرعون ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا.
ومورد المثل هو أخذ المشركين آلهة من دون الله،
فتبدل الآلهة بالأولياء لكون السبب الداعي إلى أخذ
الآلهة زعمهم أن لهم ولاية لأمرهم وتدبيرًا لشأنهم، من
جلب الخير إليهم، ودفع الشر عنهم، والشفاعة في
حقهم.

اعتراضية أقرب، لأن قوله: وكما أن أو هن البيوت **الح**
ليس فيه إيماء إلى تفيد الأول. وقد تعقب أبوحيان هنا
الوجه بأنه لا يدل عليه لفظ الآية، وإنما هو تحمیل اللفظ
مما لا يحتمله، كعادته في كثير من تفسيره، وهذه مجازة
على صاحب «الكشاف» كما لا يخفى.

ويجوز أن يكون المعنى مثل الذين اتخذوا من دون
الله أولياء، فيأخذوه معتمدًا ومتكلاً في دينهم ونولوه من
دون الله تعالى، كمثل النكيت في نسجته وأخذته
بيتًا، والتشبيه على هذا من المركب فيعتبر في جانب
المشبه الأخذ ومتخذ واتكال عليه، وكذلك في الجانب
الأخر ما يناسبه. ويعتبر تشبيه الهيئة المنزعة من ذلك
كله بالهيئة المنزعة من هذا بالأسر.

والفرض تقرير وهن أمر دينهم، وأنه بلغ الغاية
التي لا غاية بعدها، ومدار طلب التشبيه أن أولياءهم
بمنزلة منسوج النكيت ضعف حال وعدم صلوح
اعتماد، وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لَوْهَنَ الثُّيُوتِ﴾
تذييلًا يقرر الفرض من التشبيه.

وجوز أن يكون المعنى والفرض من التشبيه ما سمعت
إلا أنه يجعل التذييل استعارة تمهيلية، ويكون ما تقدم
كالتوطئة لها، فكأنه قيل: وإن أو هن ما يعتمد عليه في
الذين عبادة الأوثان، وهي تقرر الفرض من التشبيه
بتبعية تقرير المشبه، وكأن التقرير في الوجه السابق
بتبعية تقرير المشبه به، وهذا قريب من تجريد الاستعارة
وترشيحها.

وظير ذلك قولك: زيد في الكرم بحرًا والبحر لا يجيب
من أناه، إذا كان البحر الثاني مستعارًا للكريم، وذكر

والآية مضافاً إلى إبقاء هذه النكته تشمل بإطلاقها كل من اتخذ في أمر من الأمور وشأن من الشؤون ولياً من دون الله، يركن إليه ويراه مستقلاً في أثره الذي يرجوه منه وإن لم يعد من الأصنام، إلا أن يرجع ولايته إلى ولاية الله كولاية الرسول والآل والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ يوسف: ١٠٦. (١٦٦: ١٣٠)

٢٣- فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. الذاربات: ٣٦

ابن عباس: غير أهل بيته. (٤٢: ٤٢)
مثله البهوي (٥: ٢٨٦)، والحازن (٦: ٢٠٤).
مجاهد: لوط وابنتاه. (الآلوسي ١٤: ١٤٧).
صعيد بن جبلة: كانوا ثلاثة عشر. (الآلوسي ٢٧: ١٤)

الإمام الباقر (عليه السلام): في حديث أبي بصير: قلت له: جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلهم هكذا يعملون؟ فقال: نعم إلا أهل بيت منهم مسلمين، أما نسمع لقوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟. (القروسي ٥: ١٢٧)
فتادة: لو كان فيها أكثر من ذلك لأتباعهم الله، ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لاضيمته على أهله.

(الطبري ٢٧: ٢)

ابن زيد: هؤلاء قوم لوط، لم يبدوا فيها غير لوط. (الطبري ٢٧: ٢)

الطبري: وهو بيت لوط. (٢: ٢٧)
الطوسي: والبيت الذي وجدته في تلك القرية من المؤمنين هم أتباع لوط. (٩: ٣٩٠)
الزمخشري: قيل: هم لوط وابنتاه، وقيل: كان لوط وأهل بيته الذين نبوا ثلاثة عشر. (٤: ١٩)
مثله أبو السعود (٦: ١٢٩)، ونحوه البروسوي (٩: ١٦٤).

الفخر الرازي: فكأنه تعالى قال: أخرجنا المؤمنين لما وجدنا الأعمّ منهم إلا بيتاً من المسلمين، ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين، وهذا كما لو قال قائل لغيره: من في البيت من الناس؟ فيقول له: ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد، فيكون غيراً له بخلاف البيت عن كل إنسان غير زيد. (٢٨: ٢١٩)
القرطبي: يعني لوطاً وبتيه. وفيه إضمار أي فما وجدنا فيها غير أهل بيت. وقد يقال: بيت شريف، يراد به الأهل. (١٧: ٤٨)

الشربيني: أي واحد وهو بيت ابن أخي إبراهيم عليه السلام. (٤: ١٠٣)
نحوه المراعي (٢٧: ٥)، والطباطبائي (١٨: ٣٧٩).
الآلوسي: أي غير أهل بيت، للبيان بقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالكلام بتقدير مضاف، ويجوز أن يراد بالبيت نفسه: الجماعة مجازاً. (٢٧: ١٤)

الْبَيْتُ

١- وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَقَابَدةً لِلنَّاسِ وَأَخْذَا أَخْيَدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ

طَهَرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ.

البقرة: ١٢٥

الإمام الباقر (عليه السلام) : إذا دخلت المسجد فارفع يديك واستقبل البيت، وقل : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ هَذَا بَيْتَكَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَّا مَبَارَكًا وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ. (التَّوْسِيعِي ١ : ١٢٢)

عطاء : معناه طهرا مكان البيت الذي بُنِيَ فيها بعد.

(الطُّوسِي ١ : ٤٥٦)

الشَّذَّيْقِيُّ : يقول : ابنيا بيتي. (الطُّبَرِّي ١ : ٥٣٨)

الطُّبَرِّي : والبيت الذي جعله الله (مَثَابَةً لِلنَّاسِ) هو

البيت الحرام. (١ : ٥٣٢)

[ذكر وجهين في قوله : «أَنْ طَهَرَا بَيْتِي» وهما : ابنيا

بيتي طهرا عن الشرك. أو طهرا مكانه قبل بناءه والبيعة

بعد بناءه.] (١ : ٥٣٨)

نحوه الماوردي (١ : ١٨٨).

الزَّجَّاج : الأجود فيه فتح الياه، وإن شئت سكنتها.

(١ : ٢٠٧)

ابن عَطِيَّة : البيت : الكعبة. (١ : ٢٠٧)

وأضاف الله البيت إلى نفسه تشريفاً للبيت، وهي إضافة مخلوق إلى خالق، ومملوك إلى مالك.

(١ : ٢٠٨)

الطُّبَرِّي : (الْبَيْتُ) الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مَثَابَةً هُوَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ، وَهُوَ الْكَعْبَةُ. وَرَوَى أَنَّهُ سَمِيَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، لِأَنَّهُ حُرِّمَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَدْخُلُوهُ. وَسَمِيَ الْكَعْبَةَ، لِأَنَّهَا مَرْتَعَةٌ. وَصَارَتْ مَرْتَعَةً، لِأَنَّهَا بِحِذَاءِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَهُوَ مَرْتَعٌ. وَصَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مَرْتَعًا، لِأَنَّهُ بِحِذَاءِ الْعَرْشِ

وهو مرتع، وصار العرش مرتعًا، لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ أَرْبَعٌ، وَهِيَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. (١ : ٢٠٣)

الْقُرْطُبِيُّ : وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ وَهَشَامٌ وَحَفْصٌ (بَيْتِي) بِفَتْحِ الْيَاءِ، وَالْآخَرُونَ بِاسْكَانِهَا. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

لَمَّا قَالَ اللهُ تَعَالَى : «أَنْ طَهَرَا بَيْتِي» دَخَلَ فِيهِ بِالْمَعْنَى جَمِيعُ بَيْتِهِ تَعَالَى، فَيَكُونُ حَكْمُهَا حَكْمُهُ فِي التَّطْهِيرِ وَالنَّظَافَةِ. وَإِنَّمَا خَصَّ الْكَعْبَةَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهَا، أَوْ لِكُونِهَا أَصْغَرُ حَرَمَةٍ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقِي بِالْتَّخْرِيلِ : «فِي ثُبُوتِ أَذْنِ اللهِ أَنْ تُزْفَعَ» التَّوَر:

٢٦. وَهَذَا بَاقِي حَكْمِ الْمَسَاجِدِ إِنْ نَاءَ اللهُ تَعَالَى. [نَمَّ

ذكر حكم دخول البيت والصلاة فيها فراجع]

(٢ : ١١٤)

أَبُو حَتِّانٍ : لَمَّا رَدَّ عَلَى الْيَهُودِ فِي إِنْكَارِهِمُ التَّوَجُّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ الْكَعْبَةُ بِنَاءَ إِبْرَاهِيمَ أَبِيهِمْ كَانُوا أَسْقَى بِتَطْهِيرِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ مَاءِ آبِهِمْ، وَلَوْ جِئَ آخَرُ مِنْ إِظْهَارِ فَضْلِهَا وَهُوَ كَوْنُهَا مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَّا، وَأَنْ فِيهَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيْهِ وَإِلَى وَلَدِهِ بِنَائِهَا وَتَطْهِيرِهَا، وَجَعَلَهَا مَحَلًّا لِلطَّائِفِ وَالْمَاكِفِ وَالزَّائِعِ وَالسَّاجِدِ، وَأَمَرَ بِأَنْ يَنَادِيَ فِي النَّاسِ بِمَحَبَّتِهَا.

و(الْبَيْتُ) هُنَا الْكَعْبَةُ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ الْبَيْتُ الْحَرَامَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الْكَعْبَةُ، لِأَنَّهُ وَصِفَهُ بِالْأَمْنِ، وَهَذِهِ صِفَةُ جَمِيعِ الْحَرَمِ لِأَصْفَةِ الْكَعْبَةِ فَقَطْ. وَيَجُوزُ إِطْلَاقُ الْبَيْتِ وَيُرَادُ بِهِ كُلُّ الْحَرَمِ، وَأَمَّا «الْكَعْبَةُ» فَلَا تُطْلَقُ

إِلَّا عَلَى الْبِنَاءِ الَّذِي يَهَافُ بِهِ، وَلَا تُطْلَقُ عَلَى كُلِّ الْحَرَمِ.
[إِلَى أَنْ قَالَ:]

(يَتَبَيَّنُ) هَذِهِ إِضَافَةٌ تَشْرِيفَ لِأَنَّ مَكَانًا مَحَلًّا لَهُ
تَعَالَى، وَلَكِنْ لَمَّا أَمَرَ بِنَائِهِ وَتَطْهِيرَهُ وَإِيفَادَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ
فَجَّ إِلَيْهِ، صَارَ لَهُ بِذَلِكَ اخْتِصَاصٌ، فَحَسُنَتْ إِضَافَتُهُ إِلَى
اللهِ بِذَلِكَ، وَصَارَ ظَهِيرُ قَوْلِهِ: (نَافَعُ اللهِ) وَ(رُوحُ اللهِ) مِنْ
حَيْثُ أَنَّ فِي كُلِّ مِنْهَا خُصُوصِيَّةً لَا تَوْجِدُ فِي غَيْرِهِ،
فَنَاسَبَ الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ تَعَالَى.

وَالْأَمْرُ بِتَطْهِيرِهِ يَتَضَعِي سَبْقَ وَجُودِهِ إِلَّا إِذَا حُمِلَ
التَّطْهِيرُ عَلَى الْبِنَاءِ وَالتَّأْسِيسِ عَلَى الطَّهَارَةِ وَالتَّقْوَى،
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى عَهْدِ نُوحٍ. (١: ٣٧٩)

الْبَيْتُ وَسَوِيٌّ: دَخَلَ فِيهِ بِالْمَعْنَى جَمِيعُ بَيْتِهِ تَعَالَى،
فَيَكُونُ حَكْمُهَا حَكْمَهُ فِي التَّطْهِيرِ وَالتَّطَافَةِ. وَأَمَّا خُصْرُ
«الْكُتْبَةِ» بِاللَّامِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهَا. [إِلَى أَنْ قَالَ:]
ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي شَرَّفَهُ اللهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَى نَفْسِهِ
وَهُوَ بَيْتُ الْقَلْبِ فِي الْحَقِيقَةِ، بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى بِتَطْهِيرِهِ مِنْ
دُخَانِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ، فَإِنَّهُ مَظْهَرُهُ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ
بِشَعْرِ]

فَلَا يَدُّ مِنْ تَصَفِيَّتِهِ حَتَّى تَعَكُفَ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ الْإِلَهِيَّةُ
وَالْأَسْرَارُ الرَّحْمَانِيَّةُ، وَتَنْزِلَ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، لِحُجْدِ
وَصُولِ الْعَبْدِ إِلَى هَذِهِ الرِّتَبَةِ فَقَدْ سَجَدَ لِرَبِّهِ حَقِيقَةً، وَرَكَعَ
وَنَاجَى مَعَ اللهِ بِرَّه. (١: ٢٢٧)

٢- وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَضِيدَةً
فَذَرُّوا الْقَدَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. (الأنفال: ٢٥)
الْعَلَّيَّيْ: يَعْنِي بَيْتَ اللهِ الْعَتِيقِ. (٩: ٢٤٠)

الْبَيْتُ وَسَوِيٌّ: أَيُّ بَيْتِ اللهِ، وَهُوَ الْكُتْبَةُ. (٣: ٣٤٢)
الْأَلُوسِي: أَيُّ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي صَدَّوْا الْمُسْلِمِينَ
عَنْهُ. وَالتَّعْبِيرُ عَنْهُ بِ(الْبَيْتِ) لِلِاخْتِصَارِ مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى
أَنَّهُ بَيْتُ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْظَمَ بِالْعِبَادَةِ، وَهُمْ لَمْ
يَفْعَلُوا. (٩: ٢٠٣)

رَشِيدٌ رِضَاءٌ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْبَيْتَ إِذَا أُطْلِقَ مَعْرِفًا
انْصَرَفَ عَنْدهُمْ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْمَعْرُوفِ بِالْكُتْبَةِ، وَالْبَيْتِ
الْحَرَامِ، عَلَى الْقَاعِدَةِ اللَّفْظِيَّةِ فِي انْصِرَافِ مِثْلِهِ إِلَى الْأَكْمَلِ
فِي جِنْسِهِ، كَالنَّجْمِ لِلْقَرِيْبِ، وَهِيَ أَعْظَمُ النُّجُومِ هِدَايَةً.
(٩: ٦٦)

٣- وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِهِ
شَيْئًا وَطَهِّرَ الْبَيْتَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ.

الْمَجْع: ٢٦
كَعْبُ الْأَحْبَارِ: كَانَ الْبَيْتُ غِنَاءً وَهِيَ الْمَاءُ، قَبْلَ
أَنْ يَخْلُقَ اللهُ الْأَرْضَ بِأَرْبَعِينَ عَامًا وَمِنْ دَحِيثِ الْأَرْضِ.
(الشُّبُوطِيُّ ٤: ٣٥٢)

الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِنَاءَ الْبَيْتِ خَرَجَ
مَعَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهَاجِرُ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ رَأَى عَلَى رَأْسِهِ فِي
مَوْضِعِ الْبَيْتِ مِثْلَ الْغَمَامَةِ، فِيهِ مِثْلُ الرَّأْسِ، فَكَلَّمَهُ فَقَالَ
بِإِبْرَاهِيمَ: ابْنِ عَلِيَّ عَلِيَّ أَوْ عَلِيَّ قُدْرِي وَلَا تَمْرُدْ
وَلَا تَنْفَصِرْ. فَلَمَّا بَنِيَ خَرَجَ وَخَلَّفَ إِسْمَاعِيلُ وَهَاجِرُ،
وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ
الْبَيْتِ﴾. (الشُّبُوطِيُّ ٤: ٣٥٢)

نَحْوُهُ ابْنُ جُرَيْجٍ (الشُّبُوطِيُّ ٤: ٣٥٣)، وَالْكَلْبِيُّ
(الْمَيْهَدِيُّ ٦: ٣٦١).

الطوفان وكان من يافوته حمراء، فأعلم الله تعالى إبراهيم عليه السلام مكانه برج أرسلها فكشفت ماحوله، فبناه على وضعه الأول. (٢٣: ٢٦)

الشيوطي: عن حوشب بن عقيل قال: سألت محمد بن عباد بن جعفر: متى كان البيت؟ قال: خلقت الأنهر له.

قلت: كم كان طول بناء إبراهيم؟

قال: ثمانية عشر ذراعاً.

قلت: كم هو اليوم؟

قال: ستة وعشرون ذراعاً.

قلت: هل بقي من حجارة بناء إبراهيم شيء؟ قال: حتى يهد البيت الأحجار مما يليان الحجر. (٣٥٢: ٤) الشيوطي: [قال نحو ما تقدم عن أبي السرح

وأضاف:]

وهو البناء الموجود اليوم، وكان البيت في الوضع القديم مثلث الشكل، إشارة إلى قلوب الأنبياء عليهم السلام؛ إذ ليس لنبي إلا خاطر إلهي وملكي ونفسي. ثم كان في الوضع الحادث على أربعة أركان إشارة إلى قلوب المؤمنين بزيادة الخاطر الشيطاني - ذكر المحدث الكازروني في مناسكه - إن هذا البيت خامس خمسة عشر، سبعة منها في السماء إلى العرش، وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى، لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت، لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السابعة، ولكل بيت من أهل السماء والأرض من عصره كما يعمر هذا البيت، وأفضل الكل الكعبة المكرمة. (٦: ٢٣)

هائشة: قال رسول الله ﷺ: دثر مكان البيت، فلم يعبه هود ولا صالح حتى بؤاه الله لإبراهيم.

(الشيوطي: ٤: ٣٥٢)

ابن عباس: «وَأَذِ بُوَانَا لِإِبْرَاهِيمَ» بيتاً لإبراهيم (مَكَانَ الْبَيْتِ) الحرام بسحابة وقفت على حياله، فبنى إبراهيم البيت على حيال السحابة، وأوحينا إليه.

(٢٧٩)

أبو عبيدة: أخبرني أبان أن البيت أهبط يافوته واحدة أو درة واحدة، وبلغني أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً حتى إذا أغرق الله قوم نوح فقد وبى أساسه، فبؤاه الله لإبراهيم فبناه بعد ذلك، فذلك قول الله: «وَأَذِ بُوَانَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ».

(الشيوطي: ٤: ٣٥٢)

الطبري: والبيت الذي أمر إبراهيم عليه السلام

ببنائه وتطهيره من الآفات والزيب والشرك، وأذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي بعد قومك فيه غيري، إذ بؤانا لخليتنا إبراهيم. (١٧: ١٤٢)

الطوسي: والبيت مكان مهياً بالبناء للبيتوة، فهذا أصله، وجعل البيت الحرام على هذه الصورة. (٧: ٩: ٣٠) ابن عطية: (البيت) هو الكعبة، وكان فيما روي قد جعله الله تعالى مستعبدًا لآدم عليه السلام، ثم دُرس بالطوفان وغيره، فلما جاءت مدة إبراهيم أمر الله تعالى ببنائه، فجاء إلى موضعه وجعل يطلب أثرًا، فبعث الله ريحاً فكشف له عن أساس آدم، فرفع قواعد عليه.

(٤: ١١٧)

الفخر الرازي: وكان قد رُفع البيت إلى السماء أيام

الألوسي : والمراد بالبيت: بيت الله عز وجل الكعبة المكرمة. [ثم قال نحو ما تقدم عن البروسوي وأضاف:] وارتفاعها سبعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع، والذراع أربع وعشرون إصبعا، والإصبع ست شميرات، والشميرة ست شميرات من شعر البرذون.

وأما طولها في الأرض فمن الركن الباقى إلى الركن الأسود خمسة وعشرون ذراعاً، وكذا ما بين الباقى والغربي.

وأما عرضها فهو من الركن الباقى إلى الركن الأسود عشرون ذراعاً، وطول الباب ستة أذرع وعشرة أصابع، وعرضه أربعة أذرع.

والباب في جدارها الشرقى وهو من غيب البشاج مضتب بالصفايح من النضة، وارتفاع ما تحت حتبة الباب من الأرض أربعة أذرع وثلاث أصابع، والفتحة في وسط جدار الحجر.

وهرض الملتزم وهو ما بين الباب والحجر الأسود أربعة أذرع، وارتفاع الحجر الأسود من الأرض ثلاثة أذرع إلا سبعا، وعرض القدر الذي بدر منه شبر وأربع أصابع مضمومة.

وعرض المستجار وهو بين الركن الباقى إلى الباب المسدود في ظهر الكعبة مقابلاً للملتزم أربعة أذرع وخمس أصابع، وعرض الباب المسدود ثلاثة أذرع ونصف ذراع، وطوله أكثر من خمسة أذرع.

وأما الحجر ويسمى الحطيم والحظيرة، فمل هيئة نصف دائرة من صوب الشام والشمال بين الركن العراقى والشامى. وحده من جدار الكعبة الذى تحت الميزاب

إلى جدار الحجر سبعة عشر ذراعاً وثمانى أصابع، منها سبعة أذرع أو ستة وشبر من أرض الكعبة، والباقي كان زرباً لنعم سيدنا إسماعيل عليه السلام فأدخلوه في الحجر، وما بين باقي الحجر عشرون ذراعاً.

وعرض جدار الحجر ذراعان، وذرع تدوير جدار الحجر من داخله ثمانية وثلاثون ذراعاً، ومن خارجه أربعون ذراعاً وست أصابع.

وارتفاع جدار الحجر ذراعان، فذرع الطوق وحده حوالى الكعبة، والحجر مائة ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً، وأنتا عشرة إصبعا.

وهذا على ما ذكره الإمام حسين بن محمد الأمدي في رسالة له في ذلك، والمعتمدة عليه، وإنا نرجوا من رب النبي أن يوفقنا لزيارة بيته وتحقيق ذلك بلطفه وكرمه. (١٧: ١٤٢)

٤- لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْقُدْسِيِّ. [راجع هـ ت ق هـ]

٥- وَالْبَيْتِ الْمُقَرَّبِ. الطور: ٤
النبي ﷺ: أتى بي إلى السماء السابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حبال الكعبة، لو خرّ خرّ عليها، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه. (الماوردي: ٣٧٧)

الإمام علي عليه السلام: بيت في السماء يقال له: الطراج، وهو بحبال الكعبة من فوقها، حرمة في السماء

كحرمه البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ولا يعودون فيه أبداً. [وهذا المعنى نقل عنه الطبري روايات أخرى] (الطبري ٢٧: ١٦)

نحوه عكرمة ومجاهد (الطبري ٢٧: ١٧)، والبغوي (٦: ١٤٤)، والنسفي (٤: ١٨٩)، والخازن (٦: ٢٠٦).

عائشة: إن النبي ﷺ قدم مكة فأرادت عائشة أن تدخل البيت، فقال لها بنو شيبة: إن أحداً لا يدخله ليلاً، ولكن غطيه لك نهاراً، فدخل عليها النبي ﷺ، فشكت إليه أنهم متبرها أن تدخل البيت، فقال: إنه ليس لأحد أن يدخل البيت ليلاً. إن هذه الكعبة بحبال البيت المعمور الذي في السماء، يدخل ذلك المعمور سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة. (السيوطي ٦: ١١٧)

ابن عباس: وأقسم بالبيت المعمور بالملائكة وهو في السماء السادسة، بحبال الكعبة، ما بين وبين الكعبة إلى غنوم الأرضين السابعة حرم، يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبداً، وهو البيت الذي بناه آدم ورفعه إلى السماء السادسة من الطوفان، وهو يسمى الضراح، وهو مقابل الكعبة. (١٤٣)

وهو بيت في السماء الرابعة بحبال الكعبة، تسمه الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة.

(الطبري ٥: ١٦٣)

مثله مجاهد (الطبري ٥: ١٦٣)، والطوسي (٩١: ٤٠٢).

البيت الذي في السماء الدنيا يقال له: الضراح، وهو بفناء البيت الحرام، لو سقط سقط عليه، يدخله كل يوم

ألف ملك، لا يعودون إليه أبداً. (الطبري ٥: ١٦٣)

الضحاك: يزعمون أنه يروح إليه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إيليس، يقال لهم الجن.

(الطبري ٢٧: ١٧)

الحسن: «والبيت المستغفور»: هو البيت الحرام.

(الماوردي ٥: ٣٧٨)

الإمام الباقر عليه السلام: إن الله وضع تحت العرش أربع أساطين، وسماهن «الضراح» وهو بيت المعمور، وقال للملائكة طوفوا به، ثم يمض ملائكته فقال: ابنوا لي الأرض بيتاً بمثاله وقدره، وأمر من في الأرض أن يطوفوا بالبيت.

البيهقي: «والبيت المستغفور»: هو بيت فوق سبع سواتر، ودون السابعة، يدعى الضراح، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إيليس، لا يرجعون إليه أبداً، وهو عذراء البيت العتيق.

(الماوردي ٥: ٣٧٨)

الزبيعي: إن البيت المعمور كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يهجروا، فأبوا عليه وعصوه، فلما طغى الماء رُفع فجعل بعذاته في السماء الدنيا، فيعمره فبواً الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان، قال الله تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» الآية. (الماوردي ٥: ٣٧٨)

ابن زيد: بيت الله الذي في السماء.

(الطبري ٢٧: ١٧)

القزاق: بيت كان آدم عليه السلام يبنه، فرفع أيام الطوفان، وهو في السماء السادسة بحبال الكعبة. (٣: ٩١)

الْعُسْبِيُّ : يقول : والبيت الذي يعمر بكثرة غاشيته ، وهو بيت فيما ذكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض ، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ثم لا يعودون فيه أبداً . (١٦ : ٢٧)

نحوه الرُّجَاجُ .
الرُّمَحَشَرِيُّ : الضُّراح في السماء الزابعة ، وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة ، وقيل : الكعبة لكونها معمورة بالمحجاج والعمار والمجاورين . (٢٢ : ٤١)

نحوه أبو السعود .
الْفُخْرُ الزَّازِيُّ : وأما (الْبَيْتُ الْمَقْمُورُ) ففيه وجوه :

الأول : هو بيت في السماء العليا عند المشرق ، ووصفه بالمهارة لكثرة الطائفين به من الملائكة .
الثاني : هو بيت الله الحرام ، وهو معمور بالمحجاج الطائفين به العاكفين .

الثالث : البيت المعمور ، اللام فيه لتعريف الجنس ، كأنه ينقسم بالبيوت المعمورة والعمار المشهورة والسقف المرفوع والسماء ... [إلى أن قال:]

ماللمسكة في اختيار هذه الأشياء ؟ نقول هي تحمل وجوهاً :

أحدها : إن الأماكن الثلاثة ، وهي : الطَّور ، والبيت المعمور ، والبحر المسجور ، أماكن كانت لثلاثة أنبياء ، يتفردون فيها للخلوة بربهم ، والخلاص من الخلق ، والمخاطب مع الله .

أما الطَّور فانتقل إليه موسى عليه السلام ، والبيت محمد ﷺ ، والبحر المسجور يونس عليه السلام . والكل خاطبوا الله هناك ، فقال موسى : ﴿ أَتُحِبُّكَتَا يَمَّا فَقَلَ الشَّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا

فَتَشْتَكُ تُحِبُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ ﴾ ، الأعراف :

١٥٥ ، وقال : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف : ١٤٣

وأما محمد ﷺ فقال : «السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين ، لأحصى ثناء عليك ، كما أثنيت على نفسك» .

وأما يونس فقال : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٨٧ ، فصارت الأماكن شريفة بهذه الأسباب ، فحلف الله تعالى بها . (٢٣٩ : ٢٨)

الْبَيْضَاوِيُّ : [مثل الرُّمَحَشَرِيُّ وأضاف:]
أو قلب المؤمن وعبارته بالمعرفة والإخلاص .

(٤٢٤ : ٢)

الشَّرِيبِيُّ : [اكتفى بنقل أقوال السابقين] . (١١١ : ٤)
الْبَرْزُوقِيُّ : أي الكعبة وعبارتها بالمحجاج والعمار والمجاورين . أو الضُّراح ، يعني اسم البيت المعمور

الضُّراح

قال السَّهْبِيُّ رحمه الله : وهو في السماء السابعة ، واسمها عروبا ، قال وَهْب بن مَثَب : من قال : سبحان الله وبحمده ، كان له نور يملأ ما بين عروبا وحريبا . وعروبا هي الأرض السابعة ، انتهى .

وهو حيال الكعبة ، وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة ، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة ، ولا يعودون إليه أبداً ، وحرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض ، وهو عدد خواطر الإنسان في اليوم والليلة ، ومنه قيل : إنَّ القلب مخلوق من البيت المعمور . وقيل : باطن الإنسان كالبیت المعمور ، والأغاس كالملائكة دخولاً وخروجاً .

وفي أخبار المعراج : رأيت في السماء السابعة البيت

المعمور، وإذا أمانه بحر، وإذا يؤمر الملائكة فيخوضون في البحر يفرجون فينفضون أجنحتهم، فيخلق الله من كل قطرة ملكاً يطوف، فدخلته وصليت فيه.

وسمي بالضريح بضم الضاد المعجمة، لأنه ضريح أي رفع وأبعد حيث كان في السماء التابعة، والضريح هو الإبعاد والتنحية. يقال: ضرحه، أي غصاه ورماه في ناحية، وأضرحه عنك، أي أبعد. والضريح: البعد.

وقيل: كان بيتاً باقوته أنزله الله موضع الكعبة، فطاف به آدم وذريته إلى زمان الطوفان، فرفع إلى السماء، وكان طوله كما بين السماء والأرض. وذهب بعضهم إلى أنه في السماء الرابعة، ولاضافة فقد ثبت أن في كل سماء بحال الكعبة في الأرض بيتاً.

يقول الفقيه: والذي يصح عندي من طريق الكشف أن البيت المعمور في نهاية السماء السابعة، وإشارة إلى مقام القلب، فكما أن القلب بمنزلة الأعراف فإنه برزخ بين الروح والجسد كما أن الأعراف برزخ بين الجنة والنار، فكذا البيت المعمور فإنه برزخ بين العالم الطبيعي الذي هو الكرسي والعرش، وبين العالم النصري الذي هو السماوات السبع ومادونها.

وهذا لا ينافي أن يكون في كل سماء بيت على حدة هو على صورة البيت المعمور، كما أنه لا ينافي كون الكعبة في مكة أن يكون في كل بلدة من بلاد الإسلام مسجد على عدة صورتها، فكما أن الكعبة أم المساجد وجميع المساجد صورها وتفاصيلها، فكذا البيت المعمور أصل البيوت التي في السماوات، فهو الأصل في الطواف والزيار، ولذا رأى النبي ﷺ ليلة المعراج إبراهيم عليه

سنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي هو بإزاء الكعبة، وإليه تعج الملائكة.

وقال بعضهم: المراد بالبيت المعمور: قلب المؤمنين وعبارته بالمعرفة والإخلاص، فإن كل قلب بس فيه ذلك فهو خراب ميت، فكأنه لا قلب.

(٩: ١٨٥)

الألوسي: قال المحسن: هو الكعبة، يعمره الله تعالى كل سنة بستة ألف من الناس، فإن نقصوا أتم سبحانه العدد من الملائكة. وأنت تعلم أن من الجاز المشهور: مكان معمور، بمعنى مأهول مسكون، تحمل الناس في محل يمر فيه، ضيافة الكعبة بالمجاورين عندها وبحجاجها، صح خير الحسن المذكور أم لا.

الطباطبائي: قيل: المراد به: الكعبة المشرفة، فإنها أول بيت وضع للناس، ولم يزل معموراً منذ وضع إلى يومنا هذا، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٦.

(١٩: ٦)

مكارم الشيرازي: وهناك تفاسير مختلفة في (البيت المعمور) إذ قال بعضهم: المراد منه البيت الذي في السماء محاذياً للكعبة، وهو معمور بطواف الملائكة وزيارتهم إياه، ويلاحظ هذا المعنى في روايات إسلامية مختلفة، وردت في مصادر متعددة.

وقال بعضهم: المراد منه الكعبة وبيت الله في الأرض الذي هو معمور بالحاج والزائر، وهو أول بيت وضع للناس على الأرض، كما تعلم.

وطبقاً لبعض الروايات فإن سبعين ألف ملك

يزورون ذلك البيت كل يوم، ولا يعودون إليه أبداً.
وقال بعضهم: المراد من (الْبَيْتِ الْمَقْصُورِ) هو قلب المؤمن الذي يعمره الإيمان وذكر الله. إلا أن ظاهر الآية هو واحد من المعنيين الأولين المذكورين آنفاً، وبملاحظة التباير المختلفة في القرآن عن الكعبة بالبيت، يكون المعنى الثاني أكثر انسجاماً. (١٧: ١٤٤)

بَيْتِكَ

١- كُنَّا أَخْرَجَكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُِونَ.

ابن عباس: من المدينة. (١٤٥)
مثله الطبري (٩: ١٨٢)، والبروسوي (٣: ٣١٤)،
وشعر (٣: ٧)، والطباطبائي (٩: ١٥).

ابن جرير: من المدينة إلى بدر. (الطبري ١٨٢)
الماوردي: فيه قولان:

أحدهما: كما أخرجك ربك من مكة إلى المدينة بالحق، مع كراهة فريق من المؤمنين، كذلك ينجز وعدك في نصرتك على أعدائك بالحق.

والثاني: كما أخرجك ربك من بيتك من المدينة إلى بدر بالحق، كذلك جعل لك ضيعة بدر بالحق. (٢: ٢٩٥)
الزمخشري: يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها، لأنها مهاجرة ومسكنه، فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه. (٢: ١٤٣)

مثله الفخر الرازي (٥: ١٢٥)، والبيضاوي (١: ٣٨٤)، والنسفي (٢: ٩٤).
أبو حيان: والظاهر أن (مِنْ بَيْتِكَ) هو مقام سكناه.

وقيل: المدينة لأنها مهاجرة ومختصة به، وقيل: مكة، وفيه بعد لأن الظاهر أن هذا إخبار عن خروجه إلى بدر، فصرفه إلى الخروج من مكة ليس بظاهر. (٤: ٤٦٣)
نحوه الآكوسي (٩: ١٦٩)، والقاسمي (٨: ٢٩٥٤).

٢- وَثَنَّا إِيَّاهُ أَنْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ...
إبراهيم: ٣٧
ابن عباس: مكة. (٢١٤)

الطبري: وإنه بيت طهره الله من السوء، وجعله قبلة، وجعله حرمة، اختاره نبي الله إبراهيم. (١٣: ٢٣٢)
الماوردي: لأنه قبلة الصلوات فلذلك أسكنهم عهده. وأضاف «البيت» إليه، لأنه لا يملكه غيره.

الطبرسي: وإنما أضاف «البيت» إلى الله، لأنه مالكه من غير أن يملكه أحد سواه. لأن ما عدها قد ملكه غيره من العباد، وسمّاه «بيتاً» قبل أن يبنيه إبراهيم لأمرين:

أحدهما: أنه لما كان المعلوم أنه يبنيه، فسمّاه ما يكون بيتاً. والثاني: قيل: إنه كان البيت قبل ذلك، وإنما خربته طسم واندوس، وقيل: إنه رُفِعَ عند الطوفان إلى السماء.

مثله الطبرسي (٣: ٣١٨)، ونحوه ابن الجوزي (٤: ٣٦٥).

البغوي: وإن هناك بيت الله يبنيه هذا القلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان موضع البيت مرتفعاً من

الأرض كالزراية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرّت بهم رفقة من جرّهم أو أهل بيت من جرّهم مقبلين من طريق كداء، فزلوا في أسفل مكة. (٤٤: ٣)

أبوحيان: الظاهر أن قوله: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يقتضي وجود البيت حالة الدعاء، وسبقه قبله.

(٤٣٢: ٥)

أبوالشعود: وتسميته إذ ذاك «بيتاً» ولم يكن له بناء - وإنما كان نَشْراً مثل الزراية، تأتيه السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال - ليست باعتبار ما يؤول إليه الأمر من بنائه ﷺ، فإنه ينزع إلى اعتبار عنوان الحرمة أيضاً كذلك، بل إنما هي باعتبار ما كان من قبل، لأنّ تجدّد بناء الكعبة المعظمة ممّا لا ريب فيه، وإنما الاختلاف في كثرة عدده، وقد ذكرناها في سورة البقرة **سُفُفَى** الله تعالى. (٤٩٣: ٣)

البروسوي: وفي «التأويلات التجميّة»: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ وهو القلب المحرّم أن يكون بيتاً لغير الله، كما قال: لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن. (٤٢٦: ٤)

[لاحظ «ح ر م»]

بَيِّنَتِي

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَتِي زَكَرَى دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا.

نوح: ٢٨

(٤٨٧)

ابن عباس: «بيتي».

مثله جوير. (المأوردي: ٦: ١٠٦)

يعني صديق الداخل إلى منزلي. (المأوردي: ٦: ١٠٦)

سريحي. (أبوحيان: ٨: ٣٤٣)

الضحاك: مجدي. (الطبري: ٢٩: ١٠١)

الإمام الباقر عليه السلام: إنما يعني «الولاية» من دخل فيها دخل في بيوت الأنبياء. (القمي: ٢: ٣٨٨)

نحوه الإمام الصادق عليه السلام. (الخروسي: ٥: ٤٢٩)

الطبري: يقول: ولمن دخل مجدي ومصلاي مصلياً مؤمناً، يقول: مصداقاً بواجب فرضك عليه.

(١٠١: ٢٩)

الزجاج: قالوا: بيتي مسجدًا، وإن شئت أسكنت الياء وإن شئت فتحتها. (٢٣٦: ٥)

الشطبي: سقيته. (ابن الجوزي: ٨: ٣٧٥)

الطوسي: قيل: المراد بالبيت: مسجد، وقيل: أراد سقيته، وذلك على وجه الانقطاع إليه تعالى، لأنه

لا يغفل معصية يستحقّ بها العقاب. فأما والداه والمؤمنون والمؤمنات الذين استغفر لهم فيجوز أن يكون منهم معاصي يحتاج أن يستغفرها لهم. (١٠: ١٤٢)

الزمخشري: منزلي، وقيل: مجدي، وقيل: سقيتي، خصّ أولاً من يتصل به، لأنهم أولى وأحقّ بدعائه. (٤: ١٦٥)

نحوه الخازن (٧: ١٣١)، ومكارم الشيرازي (٩: ٧٠).

ابن عطية: وقال ابن عباس أيضاً: بيته: شريعته ودينه، استعار لها بيتاً، كما يقال: قبة الإسلام، وفسطاط الدين، وقيل: أراد سقيته، وقيل: داره. (٥: ٣٧٧)

نحوه الآلوسي.

الطبرسي: أي دخل داري، وقيل: سفيني.

وقيل: يريد بيت محمد ﷺ. (٣٦٥: ٥)

الفخر الرازي: وقيل: لمن دخل في ديني، فإن

قيل: فعل هذا التفسير بصير قوله: (مؤمنًا) مكرراً.

قلنا: إن من دخل في دينه ظاهراً، قد يكون مؤمناً

بقوله، وقد لا يكون، والمعنى: ولمن دخل في ديني دخلاً

مع تصديق القلب. (١٤٧: ٣٠)

القرطبي: أي مسجدي ومصلّي حصنًا صدقًا

بالله. وكان إنما يدخل بيوت الأنبياء من آمن منهم.

فجعل المسجد ميلاً للذهاب بالمنفرة. وقد قال النبي ﷺ:

«الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى

فيه ما لم يحدث فيه، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه»

الحديث. (٣٨٤: ٦٨)

النيسابوري: وقيل: ديني، وصلى هذا يكون

قوله: (مؤمنًا) احترازًا من المنافق، أي دخلاً مع

تصديق القلب، ثم عظم دعاء الخير للمؤمنين

والمؤمنات، ودعاء الشر لأهل الظلم والشر إلى يوم

القيامة. (٦٠: ٢٩)

نحوه الشريبي (٣٩٦: ٤)، وأبو السعود (٣١٢: ٦).

البروسوي: أي منزلي، وقيل: مسجدي فإنه بيت

أهل الله، وإن كان بيت الله من وجه. وقيل: سفيني،

فإنها كالبيت في حرز الموانع وحفظ النفوس، عن الحر

والبرد وغيرها. (١٨٦: ١٠)

بيوت

في بيوت آذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له

فيها بالقدوس والآصال. (النور: ٣٦)

هائشة: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور

وأن تطف وتطيب. (الدر المنثور ٥: ٥٠)

ابن عباس: وهي المساجد تكرم، ونهي عن اللغو

فيها.

يعني كل مسجد يصل فيه، جامع أو غيره.

(الطبري ١٨: ١٤٤)

هي المساجد التي من عاداتها أن تنور بذلك النوع من

المصابيح.

مثله الحسن ومجاهد. (ابن حبان ٦: ٤٥٨)

كنت في مسجد رسول الله ﷺ وقد قرأ القارئ ﴿في

بيوت آذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالقدوس والآصال﴾ فقلت: يا رسول الله ما البيوت؟

فقال رسول الله ﷺ: بيوت الأنبياء ﷺ، وأوماً

بيده إلى بيت فاطمة الزهراء صلوات الله عليها ابنته.

(وهناك روايات أخرى فلاحظ) (البحراني ٧: ٩٤)

... إنها المساجد المخصوصة لله تعالى بالعبادة، وأنها

تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

مثله مجاهد والحسن. (القرطبي ١٢: ٢٦٥)

هي المساجد تكرم، ونهي عن اللغو فيها، ﴿ويذكر

فيها اسمه﴾، يتلى فيها كتابه، (يسبح) يصلّي له فيها

بالقدوس صلاة الغداة، والآصال صلاة العصر، وهما أول

ما فرض الله من الصلاة، وأحب أن يذكرها، ويذكرها

عباده. (الدر المنثور ٥: ٥٠)

أنس بن مالك: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُزَفَّحَ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبنت علي وفاطمة، قال: نعم من أفاضلها. (الدّر المنثور ٥: ٥٠)

مجاهد: بيوت الرسول ﷺ. (أبو حنبل ٦: ٤٥٨) عكرمة: سائر البيوت. (الماوردي ٤: ١٠٦) الحسن: في المساجد.

مثله سالم بن عمرو ابن زئد وأبو صالح (الطبري ١٨: ١٨٤)، ومثله الزجاج (٤: ٤٥).

يُمنى به بيت المقدس. (المرطبي ١٢: ٢٦٥) الإمام الباقر عليه السلام: هي بيوت الأنبياء، وبيت علي منها. (التروسي ٣: ٦٠٧)

قناة: هي المساجد أذن الله في بنائها ورحلتها وأمر بمبارتها ويطهرها. (الدّر المنثور ٥: ٥٠)

عمرو بن ميمون: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: المساجد: بيوت الله، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها. (الطبري ١٨: ١٤٤)

الطبري: وعنى بالبيوت المساجد. [إلى أن قال:] وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك، لدلالة

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، التور: ٣٦، ٣٧، على أنها بيوت بنيت للصلاة، فلذلك قلنا: هي المساجد. (١٨: ١٤٥)

البغوي: وروى صالح بن بريدة في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ﴾ قال: إنما هي أروعة مساجد لم يبنها

إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبلة، وبيت المقدس: بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة: بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أنس على التقوى: بناه رسول الله ﷺ. (٣: ٤١٨)

نحوه أبو الشعود. (٤: ٤٦٤)

الرمضاني: (في بيوت) يتعلق بما قبله، أي كشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد، كأنه قيل: مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كبت وكيت، أو بما بعده وهو يسبح. (٣: ١٦٨)

ابن عطية: الباء في (بيوت) تضم وتكسر، واختلف في الفاء من قوله: (في)، فحليل: هي متعلقة بما مضى، قال أبو حاتم: وقيل: متعلقة بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ المتأخر: فقل هذا التأويل يوقف على (عليهم).

قال الرمضاني: هي متعلقة بـ ﴿يُوقَدُ﴾، واختلف الناس في البيوت. [ونقل قول ابن عباس ومجاهد ثم قال:]

وقال عكرمة: أراد بيوت الإيمان على الإطلاق مساجد ومساكن، فهي التي يستصبح فيها بالليل للصلاة وفراءة العلم. وقال مجاهد: أراد بيوت النبي ﷺ.

(٤: ١٨٥)

الطبرسي: ﴿فِي بُيُوتِ...﴾ معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها، وهي المساجد في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والمجاني، وبعضه قول النبي ﷺ: «المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء

كما تضيء التجوم لأهل الأرض». [إلى أن قال:] وقيل: هي بيوت الأنبياء، وروي ذلك مرفوعاً أنه

سئل النبي ﷺ لما قرأ الآية: أي بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا البيت منها - يعني بيت علي وفاطمة - قال: نعم، من أفاضلها، ويعضد هذا القول قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣، وقوله: ﴿وَرَحِمْتُ اللَّهُ بِوَزْكَائِهِ عَلَيْكُمْ أَقْلَ الْبَيْتِ﴾ هود: ٧٣، فالإذن برفع بيوت الأنبياء والأوصياء مطلق. (١٤٤: ٤)

الفخر الرازي: أكثر المفسرين قالوا: المراد من قوله: (في بُيُوتِ) المساجد، وعن عكرمة قال: هي البيوت كلها، والأول أولى لوجهين: الأول: أن في البيوت ما لا يمكن أن يوصف بأن الله تعالى أذن أن ترفع، الثاني: أنه تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة وذلك لا يليق إلا بالمساجد. (٣٢٤: ٣)

البخاري: (في بُيُوتِ) متعلق بما قبله، أي كمسكاة في بعض بيوت، أو تُوقد في بعض بيوت، فيكون تقييداً للممثل به بما يكون تحييراً ومباينة فيه، فإن فتاويل المساجد تكون أعظم، أو تمثيلاً لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد. ولا ينافي جمع البيوت وحدة المسكاة؛ إذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة، أو بما بعده وهو (يُسَبِّحُ)، وفيها تكرير مؤكد لـ (يُذَكِّرُ) لأنه من صلة (أَنْ) فلا يعمل فيها قبله، أو يحدّوف مثل سَبَّحُوا في بيوت، والمراد بها المساجد، لأن الصفة ثلاثها.

وقيل: المساجد الثلاثة، والتكثير للتخظيم. (١٢٨: ٢) أبو حنيفة: والظاهر أن قوله: (في بُيُوتِ) أريد به

مدلوله من الجمعية.

وسمي «بيوتاً» من حيث فيه مواضع يستحضر^(١) بعضها عن بعض، ويؤثر أن عادة بني إسرائيل في وقيدته في غاية التهم، والزيت محتوم على ظروفه، وقد صنع صنعة وقدم حتى لا يجري الوقيد بغيره، فكان أضواء بيوت الأرض. والظاهر أن (في بُيُوتِ) مطلق، فيصدق على المساجد، والبيوت التي تقع فيها الصلاة والعلم. (٤٥٨: ٦)

الأوسى: استئناف لبيان حال من حصلت لهم الهداية لذلك التور، وذكر بعض أعمالهم القلبية والقالية، فالجاء والجرور، أعني متعلق قوله تعالى: (في بُيُوتِ) (يُسَبِّحُ)، وفيها تكرير، لذلك جيء به للتأكيد والتذكير بما بعد في الجملة، وللإيدان بأن التقديم للاهتمام دون التكرار. [تم أطلال الكلام في إعراب الجملة فراجع] (١٧٣: ١٨)

الطباطبائي: (في بُيُوتِ) متعلق بقوله في الآية السابقة: (كَمُنْكَوَةٌ)، أو قوله: ﴿يَسْتَدِي اللَّهُ﴾، والمآل واحد، ومن المتيقن من هذه البيوت: المساجد، فإنها معدة لذكر اسمه فيها بمحضة لذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ يَذْكُرَ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ الحج: ٤٠.

(١٢٦: ١٥) **مكارم الفيروزى**: ويجب أن نعرف الآن أين موضع هذا المصباح؟ ومشكل موضعه؟ ليتّضح لنا ما كان ضرورياً لإيضاحه في هذا المجال، لهذا نقول الآية التالية: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَوْفِيقَ وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾.

وفاطمة، قال: «نعم، من أفاضلها».

كل ذلك إشارة إلى مصاديق واضحة تذكرها الأحاديث كمادتها، حين تفسير القرآن.

أجل إن كل مركز يقام بأمر من الله، ويذكر فيه اسمه ويستبح له فيها بالغدق والأصال، وفيه رجال لانتلهم تجارة عن ذكر الله، فهي مواضع لمشكاة الأنوار الإلهية والإيمان والهداية.

ولهذه البيوت عدة خصائص: أولها: أنها شُيِّدت بأمر من الله، ورفعت جدرانها وأحكم بناؤها لتتبع تسلي السَّاطِن، وهي أيضًا مركز لذكر الله، وأخيرًا فإن فيها رجالًا يترسُّونها ليل نهار، وهم يستبحون الله، لانتلهم تجارة عن ذكر الله.

هذه البيوت بهذه الخصائص، مصادر للهداية (١١: ٩٥)

البيوت

١-...وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَآتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. البقرة: ١٨٩

الإمام علي عليه السلام: وقد جعل الله للعلم أهلًا، وفرض على العباد طاعتهم، بقوله: «وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا». (البيوت) هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، (وَأَبْوَابُهَا) أوصيائهم، [وهناك روايات أخرى تقدمت في «ب و ب» فراجع] (الترغوسي: ١: ١٧٧) ابن عباس: إن سبب نزول ذلك، ما روى داود عن فيس بن جبير: أن الناس كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا

وقد اعتبر العديد من المفسرين هذه الآية مرتبطة بها قلنا - بالآية التي سيقها، إلا أن البعض من المفسرين قال: إن هذه الجملة ترتبط بالجملة التي تليها، إلا أن ذلك بعيد عن الصواب.

وقد يُسأل عن خصائص البيوت التي احتوت مثل هذه المصابيح المنيرة التي ورد ذكرها في هذه الآية، والتي يمرسها رجال أشداء يقطرون، وهم الذين يحفظون هذه المصابيح المنيرة، إضافة إلى أن هؤلاء الرجال يبحثون عن مصدر نور، فيهرعون إليه بعد أن يتعرفوا على موضع هذا النور، وما المقصود من هذه البيوت؟

الجواب يتضح بما ذكرته آخر الآية من خصائص. حيث تقول: «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يُخَافُونَ رَبَّهُمْ تُخَلِّبُ فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارُ» (النور: ٣٦، ٣٧). إن هذه الخصائص تكشف عن أن هذه البيوت هي المراكز التي حُصِّنت بأمر من الله، وأنها مركز لذكر الله وبيان حقيقة الإسلام وتعاليم الله، ويضم هذا المعنى الواسع: المساجد وبيوت الأنبياء والأولياء، خاصة بيت النبي ﷺ، وبيت علي عليه السلام، ولادليل يؤيد حصرها - من قبل بعض المفسرين - بالمساجد أو بيوت الأنبياء وأمتالها.

وقد نشاهد في أحاديث كالحديث المروي عن الإمام الباقر عليه السلام «هي بيوت الأنبياء، وبيت علي منها». وفي حديث آخر حيث سُئل النبي ﷺ لما قرأ الآية، أي بيوت هذه؟ فقال: «بيوت الأنبياء»، لمقام أبوبكر فقال: «يا رسول الله، هذا البيت منها، يعني بيت علي

حائطاً من بابه، فدخل رسول الله ﷺ داراً، وكان رجل من الأنصار يقال له: رفاعه بن أيوب، فجاء فتسور الحائط على رسول الله، فلما خرج من باب الدار خرج رفاعه، فقال رسول الله: «ما حملك على ذلك؟» فقال: يا رسول الله رأيتك خرجت منه فخرجت منه، فقال رسول الله ﷺ: إني رجل أحسن، فقال: إن تكن أحسن فدينا واحداً، فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَسَّطُ الْبُرْءُ الْآيَةُ﴾.

مثله قتادة وخطاء. (المأوردي ١: ٢٥٠)

ابن زيد: عني بـ (البيوت): النساء، سميت بيوتاً للإيواء إليهن، كالإيواء إلى البيوت، ومعناه: لاتأمنوا النساء من حيث لا يحل من ظهورهن، وأنوهن من حيث لا يحل من قبلهن. (المأوردي ٢: ٢٥٠)

أبو عبيدة: معناه ليس البر أن تطلبوا المجرى من غير أهله، وتأنوه من غير بابه. (المأوردي ١: ٢٥٠)

الفارسي: واختلفوا في: البيوت والعيون والشيوخ والنيوب والجيوب، في ضم الحرف الأول من هذه كلها، وكسره.

فقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي (النيوب) بضم النين، وكسر الباء من (البيوت) والعين من (العيون). وقرأ أبو عمرو بضم ذلك كله: الباء والعين والنين والجيم والسين.

واختلف عن نافع فروى المسيبي وقالون: (البيوت) بكسر الباء، وهذه وحدها، وضم النين والسين والجيم والسين.

وقال ورث عن نافع: إنه ضم ذلك كله، والباء من (البيوت)، وكذلك قال إسماعيل بن جعفر وابن جهماز

عنه: إنه ضمها كلها.

قال أبو بكر ابن أبي أويس: (البيوت، والنيوب، والعيون، والجيوب، وجيوبين، والشيوخ) بكسر أول ذلك كله. قال الواقدي عن نافع: (البيوت) بضم الباء، واختلف عن عاصم أيضاً، فروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عنه: أنه كسر الباء من (البيوت)، والعين من (العيون)، والنين من (النيوب)، والسين من (الشيوخ)، وضم الجيم من (الجيوب) وحدها.

قال: يبدأ بالكسر ثم يشلها الضم. وروى هيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يكسر الشين من (شيوخاً) وحدها، ويضم الباقي، وهذا غلط. وقال عمرو بن الصباح، عن أبي عمر عن عاصم (شيوخاً) بضم الشين، وضم سائر الحروف.

وكذلك حمزة يكسر الأول من هذه الحروف كلها. وقال خلف وأوهشام عن سليم عن حمزة: إنه كان يسم الجيم الضم، ثم يشير إلى الكسر، ويرفع الياء من قوله: (جيوبين)، وهذا شيء لا يضبط.

وقال غير سليم: بكسر الجيم. أما من ضم الباء من شيوخ، وعيون، وجيوب، فين لا نظر فيه، بمنزلة «فُعول» إذا كان جمعاً، ولم تكن عنه ياء، وأما من قال: (شيوخ وجيوب) فكسر الباء، فإنما فعل ذلك من أجل الياء، أبدل من الضمة الكسرة، لأن الكسرة للياء أشد موافقة من الضمة لها.

فإن قلت: هلا استقيم ذلك، لأنه أتى بضمة بعد كسرة، وذلك مما قد مت أنهم قد رفضوه في كلامهم، فهلا رفض أيضاً القارئ للجيوب ذلك؟

قيل: إنَّ الحركة إذا كانت للتقريب من الحرف لم تُكْثَر، ولم تكن بمنزلة ما لا تقرب فيه - ألا ترى أنه لم يجهَّ في الكلام عند سيوييه على «فيل» إلا «أيل». وقد أكثروا من هذا البناء، واستعملوه على الطراد، إذا كان المقصد فيه تقريب الحركة من الحرف؛ وذلك قولهم: ما ضَعَّ لهم، ورجلٌ يحكُّ ويجزُّ. وقالوا في الفعل: تبدَّ ولعب.

واستعملوا في إرادة التقريب ما ليس في كلامهم على بناءه ألبتة. وذلك نحو: شيمير ورغيف وشهد، وليس في الكلام شيء على «فيل» على غير هذا الوجه، فكذلك نحو: شيوخ وحبوب، يُستجاز فيه ما ذكرنا للتقريب والتوفيق بين الجمعين.

ومما يدلُّ على جواز ذلك أنك تقول في تحقير قلبه: فليس، ولا يكسر أحدُ الفاء في هذا النحو. فإذا كانت العين ياءً، كسروا الفاء، فقالوا: عَيْتَةٌ وبيت، فكسروا الفاء هاهنا لتقريبه من الياء، فكسر الفاء من «فول» وذلك بما قد حكاه سيوييه، فكما كُثرت الفاء من: عَيْتَةٌ ونحوه، وإن لم يكن في أبنية التحقير، على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها، كذلك كسروا الفاء من (حبوب) ونحوها.

ومما يقوّي هذا الكسر في الفاء إذا كان العين ياءً للإثباع، أنه قد جاء في المجموع ما لزمته الكسرة في الفاء، ولم نعلم أحداً ممن يُسَكَّن إلى روايته حكى فيه غير ذلك، وذلك قولهم في جمع قوس: قَيْيٌّ، فلولا أنَّ الكسر في هذا الباب قد تمكَّن، ما كان الحرف ليجهَّ على الكسر خاصة، ولا يعمل فيه غيره، فإذا نسبت

إلى قَيْيٍّ - اسم رجلٍ - قلت: قُتَوِيٌّ، فرددت الضمة التي هي الأصل، وقياس من قال: صَعَقِيَّ أن يقول: قَيْتَوِيٌّ، فيُكسر الكسرة، وإن كانت الكسرة في العين التي لها كُثرت الفاء، قد زالت كما زالت من صَعَقِيٍّ، [ثم استشهد بشعرين] (الحجّة للقراء السبعة ٢: ٢٨٠) نحوه: أبوزُرْعَةَ (١٢٧)، والبقوي (١: ٢٣٦).

المازُودِيّ: فيه ستة أقاويل:

أحدها وثانيها: [قول ابن عباس وأبي زيد وقد تقدّم].

والثالث: أنه في التسيء وتأخير الحجِّ به، حين كانوا يعملون الشهر الحلال حراماً بتأخير الحجِّ، والشهر الحرام حلالاً بتأخير الحجِّ عنه، ويكون ذكر السجدة إتيانها من ظهورها مثلاً مخالفة الواجب في الحجِّ وشبهه. والمخالفة: إتيان الأمر من خلافه، والمخالف: والظهر في كلام العرب واحد.

والرابع: أن الرجل كان إذا خرج لحاجته، فماد ولم ينجح لم يدخل من بابه، ودخل من ورائه، نظيراً من الخيبة، فأمرهم الله أن يأتوا بيوتهم من أبوابها.

والخامس: [قول أبي عبيدة وقد تقدّم]

والقول السادس: أنه مثل ضربه الله عز وجل لهم، بأن يأتوا البر من وجهه، ولا يأتوه من غير وجهه.

(١: ٢٥٠)

الطُّوسِيّ: (البيوت والسُّجُوح^(١)) والغيوب (الجُيُوب) بكسر لَوَّها. ساميٌّ والكافي والأعشى لا يكسرون (الغيُوب) ويكسرها حمزة ويحيى إلا

(١) كذا، والظاهر «السُّجُوح» كما سبق.

(الجيبوب)، ويكسرهما من كثير إلا (الجيبوب والجيوب)، وابن فليح يكسرها كلها، وقالون يكسر منها (البيوت) فقط، وأبو عمرو يضمتها كلها. (٢: ١٤٠)
نحوه الطبرسي (١: ٢٨٣)، وابن الجوزي (١: ١٩٦)، والفخر الرازي (٥: ١٣٩)، والفخر طبري (٢: ٣٤٦)، والبيضاوي (١: ١٠٤).

النسفي: (البيوت) وبابه مدني وبصري وحلبي وهو الأصل، مثل كعب وكحوب. ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها، ولكن هي توجب الخروج من كسر إلى ضم، وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلّة وعن الحكمة في نقصانها وتماها: معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة، فدمروا السؤال عنه وانظروا في غصلة واحدة تعملونها مما ليس من البر في شيء فافهم تمسوتها برأ، فهذا وجه اتصاله بما قبله.

ويحتمل أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت الحج، لأنه كان من أفعالهم في الحج، ويحتمل أن يكون هذا تمهيداً لتعريضهم في سؤالهم، وإن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره، والمعنى: ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه، ولم يحسر على مثله. ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وباعثوا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباهر عليها ولا تعكسوا.

أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب، من غير اختلاج شبهة، ولا اعتراض شك في ذلك، حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام

بمفارقة الشك، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. (١٧: ١١)
اللويس: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، إذ ليس في المدول برأ، وباعثوا الأمور عن وجهها، والجسلة عطف على ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ إنما لأنه في تأويل: ولا تأتوا البيوت من ظهورها، أو لكونه مقول القول، وعطف الإنشاء على الإخبار جائز فيها له محل من الإعراب، سيما بعد القول. (٢: ٧٤)

٢- وَاللّٰهُ يَتَّبِعُ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ أَزْوَاجَهُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَنَّ السَّوْتُ أَوْ يَخْلُقْ لَهُمْ مِنْ نَسَبٍ أَلَسَاءُ: ١٥
[راجع دم من لك]

بُيُوتًا

١- وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكَ مَقَامًا يَرْضَىٰ بِيُوتًا وَاجْتُلُوا بِيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
يونس: ٨٧
راجع ج ع ل، «ق ب ل»

٢- وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ.
النحل: ٦٨
راجع ن ح ل

٣- وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ مَسَاجِدَ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَتَىٰ النَّاسَ وَفِتْنًا إِلَىٰ جَنَّةٍ
النحل: ٨٠

ابن عباس: يعني الخيام والفساطيط. (٢٢٨)
الفرّاء: يعني الفساطيط للسفر، وبيوت العرب التي
من الصوف والشعر. (١١١: ٢)

الطبري: (وَيُنَوِّنُكُمْ) التي هي من الحجر والمدر،
وهي البيوت من الأنطاع^(١)، والفساطيط من الشعر
والصوف والوبر. (١٥٣: ١٤)

ابن عطية: هذه آية تعدد نعمة الله على الناس في
البيوت، فذكر أولاً بيوت التمدن وهي التي
للإقامة الطويلة، وهي أعظم بيوت الإنسان، وإن كان
الوصف به (سَكَنًا) يعم جميع البيوت. «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ
جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا» يحتمل أن يسمّى به بيوت الأدم
وبيوت الشعر وبيوت الصوف، لأن هذه هي من الجلود
(١١٢: ٣)

نحو القرطبي:
ابن العربي: اعلّموا وفقكم الله لسلوك سبيل
المعارف، أن كلّ ما علّلك فأظلك فهو سقف، وكلّ
ما أظلك فهو أرض، وكلّ ما سترك من جهاتك الأربع فهو
جدار، فإذا انتظمت واتصلت فهو بيت. (١١٦٧: ٢)
الفخر الرازي: واعلم أن البيوت التي يسكن
الإنسان فيها على قسمين:

القسم الأول: البيوت المتخذة من الخشب والطين
والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت، واليها الإشارة
بقوله: «وَلَقَدْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» وهذا
القسم من البيوت لا يمكن نقله، بل الإنسان ينتقل إليه.
والقسم الثاني: القباب والخيام والفساطيط، واليها
الإشارة بقوله: «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ

بُيُوتًا...» الآية، وهذا القسم من البيوت يمكن نقله
ونحويله من مكان إلى مكان، واعلم أن المراد: الأنطاع،
وقد تعمل العرب البيوت من الأدم وهي جلود الأنعام،
أي ينفث عليكم حملها في أسفاركم. (٩٢: ٢٠)

نحوه النيسابوري (١٤: ١٠٢)، والناظر (٤: ٨٨).
البيضاوي: موضعًا تكون فيه وقت إقامتكم
كاليوت المتخذة من الحجر والمدر، «فعل» بمعنى
«مفعول» «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا» هي
القباب المتخذة من الأدم، ويجوز أن يتناول المتخذة من
الوبر والصوف والشعر، فإنها من حيث إنها ثابتة على
جلودها، يصدق عليها أنها من جلودها. (٥٦٥: ١)
نحوه أبو السعود (٤: ٨٢)، والبروسري (٥: ٦٥)،
والقاسمي (١: ٣٨٤٤).

أبو حيان: [نحو الفخر الرازي وأضاف:]
الظاهر أنه لا يندرج في البيوت التي من جلود الأنعام
بيوت الشعر وبيوت الصوف والوبر، وقال ابن سلام:
تندرج، لأنها ثابتة فيها فهي منها. (٥٢٣: ٥)
الأوسي: [نحو الفخر الرازي وأبي حيان ثم قال:]
واعترض بأن (من) هي الأولى تبعيضية، وعلى
إرادة البيوت التي من الشعر ونحوه لبتدائية، فإذا عُمم
ذلك يلزم استعمال المشترك في معنيه.

وأجيب بأن القائل بذلك لمعه يرى جواز هذا
الاستعمال، ومن قال بذلك البيضاوي وهو شافعي.
وقيل: الجلود مجاز عن المجموع. (١٤: ٢٠٣)
سيّد قطب: ونعطر هذا إلى شيء عن نظرة

الإسلام إلى البيت، بمناسبة هذا التعبير الموحى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ فهذا يريد الإسلام البيت مكاناً للتيكينة النفسية والاطمئنان الشعوري. هكذا يريد مريحاً تطمئن إليه النفس وتسكن وتأمّن، سواء بكفايته المادية للسكنى والراحة، أو باطمئنان من فيه بعضهم لبعض، وسكن من فيه كل إلى الآخر. فليس البيت مكاناً للزجاج والشقاق والنهم، إنما هو بيت وسكن وأمن واطمئنان وسلام.

ومن ثمّ يضمن الإسلام للبيت حرمة، ليضمن له أمنه وسلامه واطمئنانه. فلا يدخله داخل إلا بعد الاستئذان ولا يقتحمه أحد - بغير حق - باسم السلطان ولا يتطلع أحد على من فيه لسبب من الأسباب ولا يتجسس أحد على أهله في غفلة منهم الغفلة. فيروع أمنهم. ويحلّ بالسكن الذي يريد الإسلام للبيوت، ويعبر عنه ذلك التعبير الجميل العميق.

ولأنّ المشهد مشهد بيوت وأكنان وسرايل، فإنّ السياق يعرض من الأنعام جانبها الذي يتناسق مع مفردات المشهد: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا...﴾ الآية. وهو هنا كذلك يستعرض من نعمة الأنعام ما يلبي الضرورات وما يلبي الأمشاق. فيذكر المتاع إلى جانب الأثاث، والمتاع ولو أنّه يُطلق على ما في الأرحال من فرش وأغطية وأدوات، إلا أنّه يشي بالتمتع والارتياح.

الطُّبَابِيُّ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي جعل لكم بعض بيوتكم سكناً تسكنون إليه، ومن البيوت ما لا يسكن إليه كالمشغذ لادخار الأموال

واختزان الأمتعة وغير ذلك، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ أي من جلودها بعد الذبح، وهي الأظاع والأدم (بُيُوتًا) وهي القباب والخيام. (٣١٤: ١٢) مكارم الثميرازي: البيوت: جمع بيت، مأخوذ من «البيتوتة» وهي في الأصل بمعنى التوقف ليلًا. وأطلقت كلمة «بيت» على الحجرة أو الدار لمصنوع الاستغادة منها للسكن ليلًا.

ويلزمنا هنا التنويه بالملاحظة الثالية: أنّ القرآن الكريم لم يقل: إنّ الله جعل بيوتكم سكناً لكم، وإنما ذكر كلمة (من) التقيضية أولاً، وقال: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ وذلك لدقّة كلام الله الثابتة في التعبير حيث إنّ الدار أو الحجرة الواحدة تلحقها مرافق أخرى كالخزّن والحمام

وبعد أن تطرق القرآن الكريم إلى ذكر البيوت الثابتة، عرج على ذكر البيوت المتحركة، فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾. (٢٥١: ٨)

محمد حسين فضل الله: ثمّ تستحرّك الجولة القرآنية في آفاق حياة الناس، لتدلم على آثار نعمة الله فيها، فتدخل إلى بيوتهم، وإلى ما يشره الله لهم من طمأنينة العيش وراحته فيها ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ يتخفّف الإنسان فيها من جهد العمل، وتحب الثقل، ويحس فيها بأنّه يسكن إلى أرض وسقف، يتحقّق له فيها الكثير من السكينة والطمأنينة وراحة الروح والجسد.

ولعلّ هذه الشاعر التي يستوحىها الإنسان من كلمة السكن، ومن معنى البيت في الواقع، لا يفهمها إلا الذين

يلقدون البيت، وينتقلون باستمرار من مكان إلى مكان في دوامة من عدم الاستقرار.

وقيمة البيت لا تتعلق بالجدران التي تحوطه والسقف الذي يظله، بل في ما يتضمنه معنى السكن في داخله، من حرمة ممنوعة جعلها الله له، إذ حرم الله على الآخرين دخوله دون إذن صاحبه، والتلصص عليه، والتجسس على ما في داخله، وأحل لصاحبه مواجهة كل من يحاول الاعتداء عليه، بأي شكل من الأشكال، لأن الله يريد للإنسان أن يكون البيت ساحة مخلقة، يمارس فيها خصوصياته الذاتية والعائلية، في الحدود التي أراد الله لها فيها أن يعيش حرته الخاصة.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا...﴾ الآية.

ليس من الضروري دائما أن تكون البيوت ثابتة، من حجارة وحديد وخشب ونحوها، فهناك نوع آخر من البيوت الخفيفة التي يحملها الإنسان معه عندما يسافر، ويتنقل، حيث يشاء - بسرعة، عندما يقيم، كالبيوت التي كان العرب وغيرهم من البدو يصنعونها على شكل الخيام، ليقبضوا فيها مدة، ثم يحملونها معهم عندما يريدون السفر.

لذا فإن خلق الله للأنعام التي يصنعون من جلودها البيوت الخفيفة المتنقلة، تعدّ نعمة في هذا المجال، ﴿وَمِنْ أَصْوَاقِهَا وَلُؤْلُؤُهَا وَأَشْقَارِهَا أَكَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ جَبِينٍ﴾. والأنعام نعمة أيضا لجهة ما يصنعه الناس من صوغها ووبرها وشعرها من فراش وثياب ورياش، يتناسب مع الحياة الداخلية في أجواء البيت وأهله. (٢٧٢: ١٣)

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ. التور: ٢٩

ابن عباس: استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على دخولها ما ليس بمسكون منها. نحو الفنادق وهي الخانات، والرط، وحوادث البياعين.

منه عكرمة والمحسن (أبوحيان ٦: ٤٤٦).

ونحو ابن الحنفية (الطبري ١٨: ١١٤)، وقتادة ومجاهد (أبوحيان ٦: ٤٤٧).

ابن الحنفية: هي دور مكة. (أبوحيان ٦: ٤٤٧) الشعبي: إنها الحوائط، والبيوت التي فيها أمتة

(الطبري ٤: ١٣٦)

هي الحوائط القيسارية والسوق. (أبوحيان ٦: ٤٤٦)

مجاهد: كانوا يصنعون أو يضمنون طريق المدينة أفتاباً وأمتة، في بيوت ليس فيها أحد، فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن. (الطبري ١٨: ١١٤)

في الفنادق التي في طرق المسافرين، لا يسكنها أحد بل هي موقوفة، يأوي إليها كل ابن سبيل.

(أبوحيان ٦: ٤٤٦)

عطاء: إنها الخرابات المعلقة، ويدخلها الإنسان لقضاء الحاجة. (الطبري ٤: ١٣٦)

الإمام الصادق عليه السلام: هي الحمامات والخانات والأرحية، تدخلها بغير إذن. (الطبري ٣: ١٢٩)

ابن جرير: إنها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأن الاستئذان إنما جعل لأجل الساكن. (ابن الجوزي ٦: ٢٩)

ابن زيد: بيوت التجار، ليس عليكم جناح أن

ويقال للغان: فُتِدق وفُتِق بالذال والفاء.

والما قيل: ليس عليكم جناح أن تدخلوا هذه البيوت، لأنه حظر أن تدخل البيوت التي ليست لهم إلا بإذن، فأعلموا أن دخول هذه المواضع المباحة نحو الخانات وحوائيت التجارة التي تباع فيها الأعيان، ويبيح أهلها دخولها جائز.

وقيل: إنه يعني بها الخربيات التي يدخلها الرجل لبول أو غائط. (٣٩: ٤)

الطوسي: [نقل الأقوال المختلفة ثم قال:]

وقال قوم: هي جميع ذلك، حملوه على عمومه، لأن الاستئذان إنما جاء لتلاجه على ما لا يجوز من العورة، وهو الأقوى، لأنه أهم فائدة. (٤٧: ٧)

نحو المييدي. (٦: ٥١٦)

ابن عطية: روي أن بعض الناس لما نهوا عن الاستئذان تعق في الأمر، فكان لا يأتي موضعاً خرباً ولا مسكوناً إلا سلم واستأذن، فنزلت هذه الآية أباح الله فيها رفع الاستئذان في كل بيت لا يسكنه أحد، لأن العلة إنما هي في الاستئذان خوف الكشفة على المحرمات، فإذا زالت العلة زال الحكم. [إلى أن قال:]

وقال ابن زَيْد والنسبي: هي حوائيت القيساريات والسوق. وقال الشعبي: لأنهم جاؤوا ببيعهم فجعلوها فيها، وقالوا للناس: هلم. وهذا قول غلط فإنه تعظ «المتاع»، وذلك أن بيوت القيسارية محظورة بأموال الناس غير مباحة لكل من أراد دخولها بإجماع، ولا يدخلها إلا من أذن له بها، بل أربابها موكلون بدفع الناس عنها.

وقال محمد بن الحنفية أيضاً: أراد تعالى دور مكة، وهذا على القول بأنها غير متملكة وأن الناس شركاء فيها وأن مكة أخذت عنوة.

وهذا هو في هذه المسألة القول الضعيف، برده قوله عليه السلام: «وعل ترك لنا عقيل منزلاً»، وقوله: «من دخل دار أبي سفيان» ومن دخل داره وغير ذلك من وجوه النظر، وباقي الآية بين، ظاهره التوعذ. (١٧٥: ٤) نحوه القرطبي (١٢: ٢٢٩)، وأبو حيان (٦: ٤٤٦)

الفخر الرازي: اختلف المفسرون في المراد من قوله: «يُؤْتَا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ» على أقوال:

أحدها: وهو قول محمد بن الحنفية أنها الخانات... [وقد تقدم]

ثانيها: أنها الخربيات يتجرز فيها، والمتاع: التبرز، وثالثها: الأسمان، ورابعها: أنها المحامات.

والأول أن يقال: إنه لا يمنع دخول الجميع تحت الآية، فيحصل على الكل، والعلة في ذلك أنها إذا كانت كذلك فهي مأذون بدخولها من جهة الشرف، فكذلك نقول: إنها لو كانت غير مسكونة ولكنها كانت مخصصة، فإنه لا يجوز للدخول أن يدخل فيها، لكن الظاهر من حال الخانات أنها موضوعة لدخول الداخل. (٢٣: ٢٠٠) البيضاوي: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ» كالزبط والخانات والموانيت، «فِيهَا مَتَاعٌ» استمتاع (لكم) كالاستئذان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة، وذلك استثناء من الحكم السابق، لشموله البيوت المسكونة وغيرها.

نحوه أبو السعود (٤٠١: ٣)، والبروسوي (٦: ١٣٩)، والمرآغي (٩٦: ١٨)، وعبد المنعم الجبال (٣: ٢١٦٨)، وعبد الكريم الخطيب (٩: ١٢٦١).

٥... لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهَا أَوْ أَشْتَابَا
فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.
التور: ٦١
ابن عباس: يعني بيوتكم أو المساجد، وليس فيها
أحد. (٢٩٩)

هي المساجد، يقول: السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين. (الطبري ١٨: ١٧٤)
نحوه إبراهيم التيمي، والحسن. (القرطبي ١٢: ٣١٨)
المراد بالبيوت: البيوت المسكونة، أي يسكنها على
أنفسكم. وقالوا: يدخل في ذلك البيوت غير المسكونة،
ويسلم المرء فيها على نفسه، بأن يقول: السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين.

مثله جابر بن عبد الله وعطاء. (القرطبي ١٢: ٣١٨)
الحسن: إذا دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم.
(ابن الجوزي ٦: ٩٧)
قتادة: أنها بيوت أنفسكم، فسلموا على أهلكم
وعيالكم.

مثله جابر بن عبد الله، وطاووس. (ابن الجوزي ٦: ٩٧)
الماوردي: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا» فيها قولان:
أحدهما: أنه المساجد، الثاني: أنها جميع البيوت.
(٤: ١٢٥)

نحوه الطوسي. (٧: ٤٦٤)
ابن العربي: [مثل الماوردي وأضاف]:
والصحيح هو الأول، لعدم القول، ولادليل على
التخصيص. (٣: ١٤٠٨)
البيضاوي: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا...» من هذه
البيوت «فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ». (٢: ١٣٥)
نحوه الشنقي (٣: ١٥٥)، وأبو السعود (٤: ٤٨٦)،
والبروسوي (٦: ١٨٢)، والأوسمي (١٨: ٢٢٢)
والمرآغي (١٨: ١٣٧)، والطباطبائي (١٥: ١٦٥).

بُيُوتِكُمْ

١... يَقُولُونَ لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا
قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ
إِنْ هُمْ عَصَانِيهِمْ...
الزجاج: تقرأ (بُيُوتِكُمْ) بضم الباء وكسر هاء،
ودوى أبو بكر ابن عيَّاش عن عاصم: بكسر الباء، قال
أبراسحاق: وقرأناها بإقراء أبي عمرو عن عاصم
(بُيُوتِكُمْ) بضم الباء، والضم الأكر الأجود. والذين
كسروا (بُيُوت) كسروها لجهي، الباء بعد الباء، و«فمقول»
ليس بأصل في الكلام، ولان أمثلة الجمع، فلاختيار
(بُيُوت) مثل قلب وقلوب وقلس وقلوس. (١: ٤٨٠)
الأوسمي: ومنازلكم بالمدينة. (٤: ٩٦)

٢... لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى الْمَرْيُومِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ
بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِهْوَابِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

والصحيح، والعليل.

وهذا من رخصته للقرابات وذوي الأوامر،
كرخصته في الغرباء والأباة لمن دخل حائطا وهو
جائع: أن يصيب من ثمره، أو مر في سفر بغنم وهو
عطشان: أن يشرب من رسلها، وكما أوجب للمسافر
على من مر به: الضيافة، توسعة منه ولطفًا بعباده، ورغبة
بهم عن دناءة الأخلاق، وضيق النظر.

(تأويل مشكل القرآن: ٣٣٢)

ابن زيد: هذا شيء وقد انتقع، إنما كان هذا في
الأول لم يكن لهم أبواب، وكانت الستور مَرْخَاة، فربما
دخل الزجل البيت وليس فيه أحد، فربما وجد الطعام
وهو جائع فَوَضَعَهُ أَنْ يَأْكُلَهُ، وقد ذهب ذلك اليوم.
البيوت اليوم فيها أهلها، وإذا أخرجوا أغلقوها، فقد
ذهب ذلك.

الطبري: اذكر الأقوال ثم قال:

وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله: «لَيْسَ
عَلَى الْاَغْنَى خَرْجٌ» إلى قوله: «أَوْ صَدِيقُكُمْ» القول
الذي ذكرنا من الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، وذلك
أن أظهر معاني قوله: «لَيْسَ عَلَى الْاَغْنَى خَرْجٌ وَلَا عَلَى
الْاَغْرَجِ خَرْجٌ» أنه لا حرج على هؤلاء الذين سُئِلُوا فِي
هذه الآية، أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها، على
ما أباح لهم من الأكل منها.

فإذا كان ذلك أظهر معانيه، فتوجيه معناه إلى
الأغلب الأعرف من معانيه، أول من توجيهه إلى الأنكر
منها. فإذا كان ذلك كذلك، كان ما خالف من التأويل
قول من قال: معناه ليس في الأهمى والأمرج حرج،

إِخْوَانُكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخْوَانِكُمْ أَوْ بِيُوتِ اَغْنَىكُمْ أَوْ
بِيُوتِ غَنَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ اِخْوَانِكُمْ أَوْ بِيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ
مَاطَلِكُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقُكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَأْكُلُوا مِنْهَا أَوْ أَشْنَاءًا...

الفراء: المراد: في بيوت أزواجكم وعيالكم،
أضافه إليهم، لأن بيت المرأة كبيت الزوج.

(الفخر الرازي ٢٤: ٣٦)

ابن قتيبة: أراد: ولا عليكم أنفسكم أن تأكلوا من
أموال عيالكم وأزواجكم. وقال بعضهم: أراد أن تأكلوا
من بيوت أولادكم، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء، لأن
الأولاد كسبهم، وأموالهم كأموالهم، يدلك على هذا، أن
الناس لا يتوَقَّعون أن يأكلوا من بيوتهم، وأن الله سبحانه
عَدَدَ القرابات وهم أبعد نسبا من الولد، ولم يذكر الولد
وقال المفسرون في قوله تعالى: «تَبَيَّنَ يَدَا أَبِي هَبٍ
وَتَبَيَّنَ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» الذهب: ١، ٢.

أراد: ما أغنى عنه ماله وولده، فجعل الولد كسبا.

ثم قال: «أَوْ بِيُوتِ اِبْنَانِكُمْ»، «أَوْ بِيُوتِ
إِخْوَانِكُمْ» يريد إخوانكم «... أَوْ مَاطَلِكُمْ مَفَاتِحَهُ»،
يعني العبيد، لأن السيد يملك منزل عبده، هذا على
تأويل ابن عباس.

وقال غيره: أو ما خزنتموه لتيركم. يريد الزماني
الذين كانوا يخزنون للغزاة «أَوْ صَدِيقُكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهَا»، من منازل هؤلاء إذا
دخلتموها، وإن لم يحضروا ولم يعلموا، من غير أن
تتزوّدوا وتحملوا، ولا جناح عليكم أن تأكلوا جميعا أو
فُرَادَى، وإن اختلفتم فكان فيكم الزهيد، والرغيب،

أولى بالصواب، وكذلك أيضًا الأغلب من تأويل قوله: ﴿وَلَا تَغْلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أنه بمعنى: ولا عليكم أيها الناس.

ثم جمع هؤلاء والزمتي الذين ذكرهم قبل في الخطاب، فقال: أن تأكلوا من بيوت أنفسكم، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب، غلبت المخاطب، فقالت: أنت وأخوك قتيًا، وأنت وزيد جليطًا، ولا تقول: أنت وأخوك جليطًا، وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَغْلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ والخبر من الأعمى والأعرج والمريض، غلب المخاطب، فقال: أن تأكلوا، ولم يقل: أن يأكلوا.

فإن قال قائل: فهذا الأكل من بيوتهم قد غلبناه، كان لهم حلالًا، إذ كان ملكًا لهم، أو كان أيضًا حلالًا لهم الأكل من مال غيرهم؟

قيل له: ليس الأمر في ذلك على ما توهمت، ولكنه كما ذكرناه عن عبد الله بن عبد الله، أنهم كانوا إذا غابوا في مفازهم، وتخلّف أهل الزمالة منهم، دفع النازي مفتاح مسكنه إلى المتخلّف منهم، فأطلق له في الأكل مما يتخلّف في منزله من الطعام، فكان المتخلّفون يتخوّفون الأكل من ذلك ورثه غائب، فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه، وأذن لهم في أكله.

فإذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال: إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستبغ أكل طعام غير المستبغ، لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك، لقليل: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم، أو من طعام آباء من دعاكم، ولم يقل: أن

تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم.

وكذلك لا وجه لقول من قال: معنى ذلك: ليس على الأعمى حرج في التخلّف عن الجهاد في سبيل الله، لأنّ قوله: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا﴾ خبر (أنفسكم)، و(أن) في موضع نصب على أنها خبر لها، فهي متعلّقة ب(أنفسكم)، فمعلوم بذلك أن معنى الكلام: ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته، لا ما قاله الذين ذكرناه، من أنّه لا حرج عليه في التخلّف عن الجهاد.

فإذ كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، تبين أن معنى الكلام: لا ضيق على الأعمى، ولا على الأعرج، ولا على المريض، ولا عليكم أيها الناس، أن تأكلوا من بيوت أنفسكم، أو من بيوت آبائكم، أو من بيوت أمهاتكم، أو من بيوت إخوانكم، أو من بيوت أخواتكم، أو من بيوت أهليكم، أو من بيوت عيالتكم، أو من بيوت أخوالكم، أو من بيوت خالاتكم، أو من البيوت التي ملكتم مطاعها، أو من بيوت صديقكم، إذا أذنوا لكم في ذلك، عند مفاهيم ومشاهدكم.

(١٧٠: ١٨)

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: من أموال عيالتكم وأزواجكم لأنهم في بيته.

الثاني: من بيوت أولادكم، فنسب بيوت الأولاد إلى بيوت أنفسهم، لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» ولذلك لم يذكر الله بيوت الأبناء حين ذكر بيوت الآباء والأقارب، اكتفاء بهذا.

الثالث: يعني بها البيوت التي هم ساكنوها خدمة لأهلها واتصالًا بأربابها كالأهل والخدم. (١٧٣: ٤)

لا يَأْكُلُونَ إِلَّا مَعَ ضَيْفِهِمْ.

وقيل: تحرّجوا عن الاجتماع على الطعام، لاختلاف الناس في الأكل، وزيادة بعضهم على بعض. (٣: ٧٧) نحوه أبو حنيفة (٦: ٤٧٤)، وأبو السعود (٤: ٤٨٥).
الطَّبْشُوسِي: [قال نحو قول الماوردي الثاني وأضاف:]

ثم ذكر بيوت الأقارب بعد الأولاد، فقال: ﴿أَوْ بَيْتُ آبَائِكُمْ أَوْ بَيْتُ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ - إلى قوله - أَوْ بَيْتُ خَالَاتِكُمْ﴾ وهذه الرخصة في أكل مال القربات وهم لا يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطا وهو جائع أن يصب من لونه، أو مرّ في سفره بغير وهو عطشان أن يشرب من رشفته، توسعة منه على عباده، ولطفًا لهم من قبلهم من دناءة الأخلاق وضيق الحظن.

وقال المصنف: إِنَّ آيَةَ مَنْسُوخَةٍ يَقُولُ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بَيْتَ الشَّيْءِ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءً﴾ الأحزاب: ٥٣، ويقول النبي ﷺ: «لا يحمل مال امرئ مسلم إلا بطيبة نفس منه»، والمروى عن أمّة الهدى صلوات الله عليهم أنهم قالوا: لا بأس بالأكمل هؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير إذنتهم، قدر حاجتهم من غير إسراف. [ثم أدام الكلام في مصداق ﴿أَوْ خَائِلِكُمْ مَقَامَهُ﴾ فلاحظ] (٤: ١٥٦)

الفخر الرازي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَحَدَ عَشَرَ مَوْضِعًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَوْهَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْتِكُمْ﴾، وفيه سؤال وهو أن يقال: أي فائدة في إباحة أكل الإنسان طعامه في بيته؟ [ثم أجاب بما تقدّم عن الفراء وابن قتيبة وأضاف:]

نحوه ابن العربي: **الرَّمْشُورِي:** فَإِنْ قُلْتُ: هَلَّا ذَكَرَ الْأَوْلَادُ؟ قُلْتُ: دَخَلَ ذِكْرُهُمْ تَحْتَ قَوْلِهِ: (مِنْ بَيْتِكُمْ) لِأَنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ بَعْضُهُ وَحَكْمُهُ حَكْمُ نَفْسِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا يَأْكُلُ الْمَرْءُ مِنْ كَبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَبِهِ»، وَمَعْنَى (مِنْ بَيْتِكُمْ): مِنَ الْبَيْتِ الَّتِي فِيهَا أُزَوِّجُكُمْ وَعِيَالَكُمْ، وَلِأَنَّ الْوَلَدَ أَقْرَبُ مِمَّنْ عَدَهُ مِنَ الْقَرَابَاتِ، فَإِنْ كَانَ سَبَبُ الرِّخْصَةِ هُوَ الْقَرَابَةُ كَانَ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ أَوَّلَى.

فإن قلت: ما معنى ﴿أَوْ خَائِلِكُمْ مَقَامَهُ﴾؟ قلت: أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن مائتيه، وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه. وقيل: بيوت المهاليك، لأن مال العبد لمولاه. وقرئ (مَقَامَهُ) فإن قلت: فما معنى (أَوْ خَائِلِكُمْ)؟ قلت: معناه أو بيوت أصدقائكم، والصديق يكون واحداً وجمعاً، وكذلك الخليط والظن والمدرّ. [إلى أن قال:]

وقالوا: إذا دلّ ظاهر الحال على رضا المالك فام ذلك مقام الإذن الصريح، وربما سمح الاستئذان وثقل، كمن قدّم إليه طعام فاستأذن صاحبه في الأكل منه. (جيباً أو أشثاً) أي مجتمعين أو متفرقين، نزلت في بني ليث بن عمرو من كثافة كانوا يتعرجون أن يأكل الرجل وحده، فربما قعد منتظراً شاره إلى الليل، فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة.

وقيل: في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف

وقيل: في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف

والدليل على هذا أنه سبحانه وتعالى عدّد الأقارب ولم يذكر الأولاد، لأنه إذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو أقرب منهم أولى.

[ثمّ عدّد بيوت بقية القرابات وقال:]

وعاشرها: قوله تعالى: «وَأَوْ خَالَاتُكُمْ مِّمَّنْ فِي أَيْمَانِكُمْ» وقرئ (بفتحها) وفيه وجوه. [ثمّ أطال البحث في مصداقه، فراجع] (٢٤: ٣٦)
نحوه الشريبي: (٢: ٦٤١)

البُرسوي: [نحو ما تقدم عن الفخر الرازي وأضاف:]

قال المفسرون: هذا كله إذا علم رضى صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة، كالقرابة والمصداقة ونحو ذلك. ولذلك خصّ هؤلاء بالذكر لا غيرهم التيسر فيها بينهم، يعني ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ويطعموا، من غير أن تزودوا وتحملوا.

قال الإمام الواحدي في «الوسيط»: وهذه الرخصة في أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك، كرخسته لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من تمر، أو تمر في سفر بنعم وهو عطشان أن يشرب من رسلها، توسعة منه تعالى ولطفاً بعباده، ورغبة بهم صن دناءة الأخلاق وضيق النظر.

واحتج أبو حنيفة بهذه الآية على من سرق من ذي حرّم لا يقطع يده، أي إذا كان ماله غير محرّم، كسبا في «فتح الرحمن» لأنه تعالى أباح لهم الأكل من بيوتهم ودخولها بخير إذ أنهم، فلا يكون ماله محرّماً منهم، أي إذا لم

يكن مقلداً ومحرّماً ومحفوظاً بوجه من الوجوه المعتادة، ولا يلزم منه أن لا يقطع يده إذا سرق من صديقه، لأن من أراد سرقة المال من صديقه لا يكون صديقاً له بل خائناً عدواً له في ماله بل في نفسه.

فإن من تجاسر على السرقة تجاسر على الإهلاك، فرب سرقة مؤدية إلى ما فوقها من الذنوب، فعلى العاقل أن لا يغفل عن الله، وينظر إلى أحوال الأصحاب رضي الله عنهم، كيف كانوا إخواناً في الله، فوصلوا بسبب ذلك إلى ما وصلوا من الدرجات والقرابات، وامتازوا بالصدق الأتم والإخلاص الأكمل والنصح الأشمل عتق عداهم، فرحمهم الله تعالى ورضي عنهم، وألحقنا بهم في نياتهم وأعمالهم. (٦: ١٧٩)

بَيِّنَاتٌ

ذَكَرَ مِنْ قُرْبَى أَهْلَكْتَهَا فَبَاءَهَا بِأَسَنَّا بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ. الأعراف: ٤.

ابن عباس: ليلاً أو نهاراً. (١٢٤)
الصاوري: يعني في نوم الليل. (٢: ٢٠٠)
ابن عطية: (بَيِّنَاتٌ) نصب على المصدر في موضع الحال. (٢: ٣٧٤)
نحوه أبو حيان. (٤: ٢٦٨)

الطبرسي: (بَيِّنَاتٌ) أي ليلاً، يقال: بات ببيتاً حسناً وبيتة حسنة، والمصدر في الأصل: بات ببيتاً، وإنما سمي البيت بيتاً، لأنه يصلح للمبيت. [إلى أن قال:]

وأقول: إن الأولى أن يكون (بَيِّنَاتٌ) مصدراً وضع موضع الحال، فيكون بمعنى باتين أو قائلين، فيكون

حالاً عن الغاء والميم في (جاءَهُمْ). (٢: ٣٩٦)

الْبَيْضَاوِيُّ : بائتين كقوم لوط . مصدر وقع موقع الحال . (١: ٣٤١)

نحوه أبو السَّحُود (٢: ٤٧٤)، وشيخ (٢: ٣٤٥).

الْمُشْرِبِيَّةُ : أي وقت الاستكان في البيوت ليلاً، كما جاء [بشأن] قوم لوط عليه السلام . (١: ٤٦٣)

الْبَرُّوسِيُّ : (بَيَّاتًا) مصدر بمعنى الفاعل، واقع موضع الحال، أي بائتين كقوم لوط .

قال المذاهبي: سُمِّي اللَّيْلُ بَيَّاتًا، لآتِهِ بُيُوتٌ فِيهِ، وَالْبَيْتُوتَةُ : خلاف الظَّلُول، وهو أن يدركك اللَّيْل، نمت أو لم تنم . (٣: ١٣٥)

نحوه القاسمي . (٧: ٢٦١١)

رشيد رضا: والبيات: الإغارة على العدو ليلاً والإيقاع به فيه على غفلة منه، فهو اسم للتبیت، وهو يشمل ما يديره المرء أو ينويه ليلاً، ومنه تبیت نية الصيام.

وقيل: يأتي مصدرًا لبات بيت، إذا أدركه اللَّيْل.

(٨: ٣٦٦) الطَّبَّاطِبَائِيُّ : والبيات: التبیت، وهو قصد العدو ليلاً. (٨: ٩)

محمد جواد مغنّية: وقيل: إن (بَيَّاتًا) مصدر في موضع الحال، أي بائتين، (وَهُمْ قَائِلُونَ) عطف على (بَيَّاتًا) أي بائتين أو قائلين، والأرجح أن (بَيَّاتًا) مفعول فيه، لأنها بمعنى ليلاً. (٣: ١: ٣)

طه الدَّوْرَة : (بَيَّاتًا) هو مصدر في موضع الحال، والمعنى: مبیتين. وقيل: هو مفعول لأجله، وقيل: هو

ظرف زمان، والأوّل أقوى لطف الجملة الاسمية عليه.

(٤: ٣٤٥)

وهذا المعنى جاءت الآيات: ﴿أَقَامِينَ أَهْلَ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ الأعراف: ٩٧، و﴿قُلْ لَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا...﴾ يونس: ٥٠.

الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

الذَّامِغَانِي : البيت والبيوت على ثلاثة عشر

وجهًا: المنازل، المساجد، السفينة، الكعبة، المنزل في الجنة، الحجر، السج، العُش، الخيام، الكهف، البيت

بنيهم، الملك، الحدائق.

فوجه منها: البيوت يعني المنازل، قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْلَعُ الَّذِينَ أَتَوْا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ التَّوْبَة: ٦٧، يعني المنازل، وقال: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَهْبَائِكُمْ﴾ التَّوْبَة: ٦١، وقال تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الأحزاب: ٥٣، كقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ التَّوْبَة: ٦١.

والوجه الثاني: البيوت يعني المساجد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكَ مَسْجِدًا لِّقَوْمِكَ﴾ يونس: ٨٧، يعني مساجدًا، مثلها ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ يونس: ٨٧، يعني مساجدكم قبله إلى الكعبة، كقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذُنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعُ﴾ التَّوْبَة: ٣٦.

والوجه الثالث: البيت يعني السفينة، قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا بِحِيرَةَ مُوسَىٰ﴾ نوح: ٢٨، يعني سفينتي، ويقال: ديفي.

﴿وَزَاوَدْتُهُ النَّبِيَّ هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ يوسف: ٢٣، يعني في ملكها، وحرمتها.

والوجه الثالث عشر: البيوت يعني المخانات، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَكُمْ﴾ النور: ٢٩، يعني المخانات. (١٤٣)

القيرون آبادي: وقد ورد في القرآن على خمسة عشر وجهًا. [ثم قال نحو الداماني وأضاف:]

الأول: بمعنى عُرف الكرامة: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ التحريم: ١١.

الثاني: بمعنى الضراح في السماء: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَقْدُوسِ﴾ الطور: ٤

الثالث: بمعنى بيت النبوة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الأحزاب: ٣٣، [ثم

استشهد بنحو] (بصائر ذوي التمييز: ٢: ١٩٦)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: المبيت ليلاً، يقال: بات أي نام في الليل... وأباتهم الله إياته حسنة، وأباتك الله بخير، وبات فلانُ بَيْتَهُ حسنةً، أي حالة حسنة.

ومنه البيوتة، أي الدخول في الليل، يقال: بات أصنع كذا، وبات الرجل: سهر الليل كله في طاعة أو معصية، وبات أراعي النجوم: بات أنظر إليها.

والتببيت: تدبير الشيء بليل، يقال: ببيت الأمر تببيتاً، أي دبته ليلاً فهو مبيت، وهذا أمر ببيت بليل، وببيت القوم الكلام تببيتاً: زوره وأصلحه بليل، وببيت الشيء: قدر، وببيت العدو: أوقع به ليلاً.

والوجه الرابع: البيت يعني الكعبة، قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتَ لُطَّائِفِينَ﴾ الحج: ٢٦، مثلها: ﴿وَأَذْجَقْنَا الْبَيْتَ﴾ البقرة: ١٢٥، يعني الكعبة.

والوجه الخامس: البيت: المنزل في الجنة، قوله: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ التحريم: ١١، يريد منزلاً في الجنة.

والوجه السادس: البيوت يعني المنبر، قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الأحزاب: ٣٤، أي في حجرتك ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَقَرْنُ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ الأحزاب: ٣٣، أي في حجرتك.

والوجه السابع: البيوت: التجون، قوله تعالى: ﴿فَأَسْكِنُوهُمْ فِي السُّبُوتِ﴾ النساء: ١٥، يعني فاحبسوهم في التجون.

والوجه الثامن: البيت: العش، قوله: ﴿أَبِى الْفَضْلِ﴾ العش، قوله: ﴿مِنْ الْجِبَالِ يُسَبِّحُهَا﴾ التحمل: ٦٨، يعني العش، قوله: ﴿وَاتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ العنكبوت: ٤١، أي نسجت عشاً.

والوجه التاسع: البيوت يعني الخيام الفساطيط، قوله تعالى: ﴿مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ يُسَبِّحُهَا﴾ التحمل: ٨٠، يعني الخيام.

والوجه العاشر: البيوت: الكهف والفران، قوله تعالى: ﴿وَتَنجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي تُبْشَرُهَا﴾ الشعراء: ١٤٩، يعني كهولاً وغيراً.

والوجه الحادي عشر: البيت هو بيت بعينه، قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَقْدُوسِ﴾ الطور: ٤، كقوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ النساء: ١٠٠، والوجه الثاني عشر: البيت: الملك، قوله تعالى:

والسريانية «بيتا»، أي الذكر وعيال الرجل والشبط.
وهما إما أصيلا في العربية، وإما منقولان من هذه
اللغات إليها، والأول هو الأقرب.

الاستعمال القرآني

في هذه المادة ثلاثة محاور: فعل، واسم، ومصدر.
الصور الأول: جاء منها خمسة أفعال في أربع آيات:
١- ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾

الفرقان: ٦٤

٢- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ غُذِيكَ بَيِّتَ
طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ شَائِئُهُمْ
لِلْغِيهِمْ يَخِطُّ لَهُمْ وَتَوْكَلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

النساء: ٨١

٣- ﴿وَيَسْتَكْفُرُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفَقُونَ مِنَ اللَّهِ
وَهُوَ مُعَذِّبُهُمْ إِذْ يَبْتَثُونَ ظُلُمًا لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

النساء: ١٠٨

٤- ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ نَشِينُهُمْ وَأَهْلُهُمْ لَمْ تَسْمَعُوا
لَوْلَاهُمْ مَا كُنْتُمْ بِهِ قُلُوبًا وَآنَا لَنَصَادِقُونَ﴾ النمل: ٤٩

يلاحظ أولاً: أن أصل هذه المادة - كما تقدم - المبيت
ليلاً، واشتق منه الفعل بمرّة ومنزداً، وأريد به الفصل في
الليل. وأما الممرّد: بات يبيت، إذا جاء بدون متعلّق فعناء
النوم ليلاً، وإذا قيّد بفعل ما فعناء الإتيان به ليلاً. ومنه
الآية (١١): ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. أي
يسجدون ويقومون ليلاً، أو يديمون السجود والقيام
ليلاً. وهذه إحدى صفات عباد الرحمن، جاءت في
ثلاث عشرة آية من سورة الفرقان، من (٦٤-٧٦)، فلاحظ.

والتيوت: ماء بات ليلته في إنائه أو لبن برّد في المزاولة
ليلاً، يقال: استقي من يوت السقاء، أي من لبن حليب
ليلاً وحقن في السقاء حتى برد فيه ليلاً. والتيوت: الأمر
يبيت عليه صاحبه مهتماً به، يقال: هم يوت، أي بات في
الصدر.

والمستيت: الفقير، يقال: فلان لا يبيت ليلة،
أي ليس له بيت ليلة، أي قوت ليلة.

٢- ومنه البيت وهو المأوى الذي يتخذ ليلاً، ثم
أطلق على كل مأوى، يقال: هو جاري بيت بيت، وبيتاً
تبيت، وبيت تبيت، أي ملاصقاً.

وبيت العرب: شرقها، وبيوتها وبيوتاتها: أحيائها.
كما نسب البيت إلى أماكن مقدسة لدى المسلمين
والنصارى واليهود، مثل: بيت الله، أي الكعبة، والبيت
الحرام، والبيت المتيق، وبيت الأحزان، وبيت حبال
المسلمين وغيرها، وبيت لحم، أي بيت الخبز في
السريانية، وهو المكان الذي ولد فيه داود عليه السلام، ثم
المسيح عليه السلام، وهو اليوم مدينة عامرة. وبيت المقدس،
و«بيت إيل»، أي بيت الله في العبرية، وهو معبد بني
يعقوب عليه السلام.

واشتق بيت الشعر من بيت الحياء، وذلك لأنه يضم
الكلام كما يضم البيت أهله، فسموا تفعيلاته أسبانياً
وأوتاداً، تشبيهاً بأسباب البيوت وأوتادها.

٣- وأطلق البيت على القبر، لأنه مأوى الميت أبداً
الدّهر ليلاً ونهاراً، وعلى عيال الرجل، لأنهم يبيتون
معه فيه. وجاء هذان المعنيان في بعض اللغات السامية،
في الأكديّة «بيتوم»، أي القبر، وفي العبريّة «بيت»،

(٢٥) آية، وجمعا (٣٥) مرة في (٢٤) آية:

المفرد:

١- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾
آل عمران: ٩٦

٢- ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَطَهِّرَ الْبَيْتَ لِلْعَالَمِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾
الحج: ٢٦

٣- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
البقرة: ١٢٧

٤- ﴿وَبَنَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَنَادَىٰ رَبَّهُ أَنْ تُبَدِّلْ لِي لِسَنِيَّتِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَنَادَىٰ رَبَّهُ عِنْدَ الْمَذْبُوحِ أَنْ يَتَّخِذْ مِنِّي ذُرِّيًّا طَيِّبًا إِنَّهُ قَدْ جَعَلَ لِي الْفُقُورَ وَأَنَا الصُّعُوفُ إِنَّكَ يَّارَبُّنَا عَلِيمٌ خَفِيٌّ وَنَادَىٰ رَبَّهُ عِنْدَ الْمَذْبُوحِ أَنْ يَتَّخِذْ مِنِّي ذُرِّيًّا طَيِّبًا إِنَّهُ قَدْ جَعَلَ لِي الْفُقُورَ وَأَنَا الصُّعُوفُ إِنَّكَ يَّارَبُّنَا عَلِيمٌ خَفِيٌّ

٥- ﴿فَبِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَهُوَ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَمْتِنَافٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ قَدِيرٌ﴾
آل عمران: ٩٧

٦- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
البقرة: ١٢٥

٧- ﴿يَحْتَفِلُ اللَّهُ الْكَفَّةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ حِينَئِذٍ لِلنَّاسِ وَالشُّعْرِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ وَالْفَلَاحِ ذَلِكَ لِيَتَكَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْظُمُ عَالِي السَّمَوَاتِ وَفَالِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِيًّا﴾
المائدة: ٩٧

٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا سَعَايَ اللَّهِ وَلَا

ثَانِيًا: جاء منها الفعل المزيد من باب «التفخيم» أربع

مرات: واحدة بلفظ الماضي في (٢): ﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾، وثلاث بلفظ المضارع في (٢ - ٤)، وقد تعدى الفعل في (٢) و(٣) ثلاث مرات إلى الإقدام على هذا القول:

﴿بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾، أي قولاً مغايراً لما تقول.

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْشِرُونَ﴾، أي قولاً أو عملاً يبشرونه ليلاً.

﴿إِذْ يُبْشِرُونَ خَالَاتُ بَيْتِكَ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

وتعدى في واحدة - وهي (٤) - إلى الشخص ﴿كَتَابُوا بِاللَّيْلِ لَيْسَتْهُ وَأَهْلُهُ﴾، أي لستهم صالِحاً وأهله.

ثالثاً: جاء في اللغة: بَيْتَ عملاً يُبْشِرُ بِهِ، وهو ليلاً، ويبدو أنه تضمين واشتراب من قولهم: هذا أمر دُرٍ بِلِيلٍ وقدر بِلِيلٍ، فجعلوا «بيته» مكان «دبره» ليلاً، وهذا يجري في (٢) و(٣)، ويكاد المفسرون يستغفون عليه.

أما (٤) ففسروها به لتفخيمه ليلاً، أو «لنظره» إليهم لتفخيمه، ويناسبه ذيل الآية ﴿ثُمَّ تَقُولُ لِيَوْمِهِ مَا يَشَاءُ مَهْلِكُ أَهْلِهِ﴾، فقد بان الفرق في عرف القرآن بين بَيْتَ عملاً وبَيْتَ شخصاً، فأريد بالأوّل دبره ليلاً، وبالثاني نكل به وتعرض له بقتل أو نحوه ليلاً.

رابعاً: سياق الفعل المجرد في (١) مدح والفعل المزيد ذم، فهل هذا خاص بالقرآن أو يعم اللغة؟ فلاحظ.

المورد الثاني: جاء الاسم منها مفرداً (٢٨) مرة، في

إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ
الْفُجُورِ وَعَمَلِيهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

التحریم: ١١

٢٠- ﴿وَمَنْ جَاهِزْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ
مُزَاجَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء: ١٠٠

٢١- ﴿رَبِّ الْغُفُورِ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ الْآثِمِينَ﴾

نوح: ٢٨

٢٢- ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذُرِّيَّتِي أَوْ تَرْبِي فِي
السَّمَاءِ وَلَنْ تُولَمَ بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدًا تَرَوْنَهُ
قُلُوبُكُمْ عَلَى رَيْبٍ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْإِثْمَارِ﴾

الإسراء: ٩٣

٢٣- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ الأنفال: ٥

٢٤- ﴿وَرَأَوْنَاهُ أَهْلِي هُوَ فِي بَيْتِهِمَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ
الْأَبْوَابُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَقَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ
مَنْوَاهُ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يوسف: ٢٣

٢٥- ﴿عَقَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ
الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ النكبات: ٤١

المجمع:

١- ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ
يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ

الْأَسْهَرِ الْمَوَاقِمَ وَلَا الْقَلْبَانِ وَلَا الْآفَامِينَ السَّيِّئَاتِ
الْمَرْغَامَ يَسْتَقُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ المائدة: ٢

٩- ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا

بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ الحج: ٢٩

١٠- ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا

إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ الحج: ٣٣

١١- ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ

الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٥٨

١٢- ﴿فَلْيَقْبِذُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ قريش: ٣

١٣- ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً

وَتَضِيئَةً نَدُّوا أَلْفَاظَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

الأنفال: ٣٥

١٤- ﴿وَالْبَيْتِ الْمَقْمُورِ﴾

١٥- ﴿قَالُوا اتَّعَبِينَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِهِ وَنَحْنُ كَانُوا

عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَبِيدٌ بِحَبِيدٍ﴾ هود: ٧٣

١٦- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ

الْأُولَى ذَاتِ الْأَرْوَاحِ وَالْبَيْنِ الزُّكُورَةِ وَأَطِيعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣

١٧- ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ

أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾

القصص: ١٢

١٨- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

الذاريات: ٣٦

١٩- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ

يَوْمًا تَسْقُطُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» النور: ٣٦، ٣٧

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا...﴾ الأحزاب: ٥٣

٣- ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا إِبْرَاهِيمَ أَن نَّيِّرَ لِقَوْمِكَا مِن بَعْضِ بَيُوتِهِمَا وَاجْعَلُوا بَيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاتَّبِعُوا أَمْرًا مُّشْتَرِكًا...﴾ يوسف: ٨٧

٤- ﴿وَأَنبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٤٩

٥- ﴿وَإِذْ أَخَىٰ لِرَبِّكَ إِلَى الشَّجَرِ أَنْ تَحْذَرُوا الْبَيْتَ...﴾ النحل: ٦٨

٦- ﴿وَأَنْ أَوْهِنَ الْبُيُوتَ لَيْسَتْ الْقُنُكُبُوتُ لَهُنَّ أَلْوَاعٌ يُقَالُونَ...﴾ المائدة: ٤١

٧- ﴿وَإِذْ كُنَّا إِذْ جَعَلْنَا خُلُقَاءَ مِنْ تَحْتِهَا سَاجِدًا لِلَّهِ...﴾ الأعراف: ٧٤

٨- ﴿وَتَسْجُدُونَ مِنَ الْإِبْرَاهِيمَ...﴾ الشعراء: ١٤٩

٩- ﴿وَكُنَّا نُبَشِّرُهُمْ أَنَّهَا أَبْنَاءٌ...﴾ الحجر: ٨٢

١٠- ﴿فَبَشِّرْهُم بِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ...﴾ النمل: ٥٢

١١- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَهَرَ إِلَيْكُمْ وَبَنَازًا وَإِنْ خِيفَ عَلَيْكُمْ مِنْهُنَّ فَأُولَٰئِكَ...﴾ البقرة: ١٨٩

وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ» النمل: ٨٠

١٢- ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّفُتْنَا...﴾ الزخرف: ٣٣، ٣٤

١٤- ﴿...يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ...﴾ النمل: ٨٠

١٥- ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ...﴾ النمل: ٨٠

١٦- ﴿...وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ يُغْرَوْنَ بِبُيُوتِهِمْ...﴾ النمل: ٨٠

١٧- ﴿وَإِذْ كُنَّا نَمُوتُ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ أَمَاتِ اللَّهِ...﴾ النمل: ٨٠

١٨- ﴿وَقَرْنٌ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَحَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ...﴾ النمل: ٨٠

١٩- ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾ النمل: ٨٠

٢٠- ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾ النمل: ٨٠

٢١- ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾ النمل: ٨٠

٢٢- ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا...﴾ النمل: ٨٠

إبراهيم وحده - أو مع ابنه إسحاق - ودعوته الناس إلى
الحج. وفي (٥ - ١١) وجوب الحج وجملة من أعماله، وفي
(١٢) الدعوة إلى عبادة رب هذا البيت.

وفي الآيات مواضع للبحث والنظر:

- ١- التركيز أنه للناس عامة أربع مرات في (١) و (٤)
- و (٦) و (٧)، وهذا يُعطيه التمة الشمية والعالمية بين
الأمم، فلا يخص العرب وغيرهم من الشعوب المسلمة.
- ضجاء في (١): «أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ
مُتَّازِكًا هُدًى لِّلْعَالَمِينَ»، وفي (٤): «فَجَعَلْنَا آفِئْدَةً مِّنَ
النَّاسِ نَهْيَ النَّاسِ»، وفي (٦): «فَجَعَلْنَا الْبَيْتَ مَقَامَةً
لِّلنَّاسِ وَأَمَّا»، وفي (٧): «فَجَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرُوبَةَ
أَوَّلَ مَكْرَمٍ لِّلنَّاسِ».

ملكية أول معبد للناس بركة وهداية، تهوي
أفئدتهم إليها وإلى من يقطن حولها من آل إبراهيم، وهي
منابة للناس وأمن وغيام. ولكل من هذه الألفاظ

مفاهيمها السامية، وستأتي إن شاء الله في مواضعها.

- ٢- إن الله يوأ إبراهيم مكان البيت، ورفع إبراهيم
مع ابنه إسحاق قواعد، وهذا يشير إلى أنه رفع قواعد
فقط، أما أصل البناء فقد كان لآدم عليه السلام، كما تحدثت به
الروايات.

- ٣- أسكن إبراهيم ذريته بوادي مكة جوار قبيلت
ليقيموا الصلاة فيه، وكانت أرضه غير صالحة للزراعة،
فدعا لهم بما سياتي.

- ٤- نهي الله إبراهيم في (٢) عن أن يشرك به شيئاً،
وأمره بأن يظهر بيته للطائفين والمقامين والركع السجود،
ويظهره في (٦) للطائفين والمكافين والركع السجود.

٢٠- «ثُمَّ نَبَّيْنَا عَلَى الْاَعْلَى حَرْجًا وَلَا عِلَى الْاَعْلَى حَرْجًا
وَلَا عَلَى الْاَعْلَى حَرْجًا وَلَا عَلَى الْاَعْلَى حَرْجًا أَنْ
تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ غُلَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحِشُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَأْكُلُوا مِنْهَا أَوْ أَفْتَاكًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَاسْلُتُوا عِلَى
أَنْفُسِكُمْ هَيْهَاتُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَازَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»

٢١- «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»

٢٢- «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِكُمْ فِيهَا عَمَتٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يُلْقِي فِي قُلُوبِكُمُ الْمَقَالِدَ
وَمَا تَكْتُمُونَ»

٢٣- «وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاسْتَشِيرْهُمَا
وَعَلَّيْنِ أَوْ بَعْدَ مِنْكُمُ فَإِنْ شَهِدَا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ
حَتَّى يَتَوَلَّيَنَّ السَّمُوتُ أَوْ يَخْرُجَنَّ مِنْ سَبِيلٍ»

٢٤- «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
مِنْ بَعْثَاتِ الْمَكَّةَ وَانْفِرُوا بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ لَا تَفْرَجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَفْرَجُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ»

٢٥- «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
مِنْ بَعْثَاتِ الْمَكَّةَ وَانْفِرُوا بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ لَا تَفْرَجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَفْرَجُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ»

٢٦- «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
مِنْ بَعْثَاتِ الْمَكَّةَ وَانْفِرُوا بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ لَا تَفْرَجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَفْرَجُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ»

٥- أطلق على البيت (بَيْتِي) في (٢) و (٦) و (بَيْتِكَ) في (٤)، و (الْبَيْتِ) - بلام العهد - في (٢) و (٣) و (٥) و (٦) و (١١) و (١٢) و (١٣) سبع مرّات. و (بَيْتِي) و (بَيْتِكَ) كلاهما نسبة إلى الله تشریفاً للبيت، وهما أبلغ من «بيت الله»، ولم يأت في القرآن، لأنّهما يحكيان الحضور، وهذا يحكي النية.

٦- جاء «بَيْتِكَ الْمُسْحَرَّم» في (٤)، و (الْبَيْتِ الْمُسْحَرَّم) في (٧) و (٨)، و (الْبَيْتِ الْقُدْسِيِّ) في (٩) و (١٠). وهذا كلّ تشریف من الله وتكريم منه للبيت، إشماراً بأنّه يسه، أي خاص بعبادته، لا يشركه فيه غيره، فهو بيت الله وبيت التوحيد، أو لا يملكه أحد غير الله، فهو له وحده دون سواه، والأول أقرب.

وإشماراً كذلك بأنّه - كما في المجمع (٢: ٢١٨) - محرم «أي لا يصل إليه أحد إلا بالإحرام، أو محرم فيه ما أحلّ في غيره، أو عظيم الحرمة»، وهو الأقرب. وبأنّه حرام ونحو ذلك، وبأنّه عتيق كما في المجمع (٤: ٨٢): «ولأنّه أعتق من أن يملكه العبيد، أو من أن تصل الجبابة إلى تخريبه، أو من الطوفان، ففرقت الأرض كلّها إلا موضع البيت، أو لأنّه قديم، بناء آدم ثم جدّه إبراهيم»، وهو الأقرب.

فكان الله أراد بذلك أن هذا البيت كان محلّ عبادة لآدم ولن تلاء من الأنبياء، وهذا نهاية التعظيم للبيت، ويوافق كونه للناس عامة.

٧- جاء في (٧): «الْكُتْبَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ». وفي الآية (٩٥) من المائدة: «هَذَا بِأَلْبَحِ الْكُتْبَةِ». فكّرر التعبير من البيت بكُتْبَةٍ في آيتين من المائدة - وهما (٩٥)

و (٩٧) - تحليداً لاسم اصطلاح عليه الناس البيت قديماً، والعرب تسمي كلّ بيت مربع كعبة، فاللّام فيها للعهد كما في «البيت». والعهد يحكي أنس الناس بهذا البيت واهتمامهم به، وأن اسمه كان سائراً على ألسنتهم بعد البيت تارة، و«الكعبة» تارة أخرى، إلا أن «البيت» كان أكثر تداولاً من الكعبة، حيث كرّر سبع مرّات كما سبق. لاحظ ذلك ع ب.

٨- حكى القرآن عن لسان إبراهيم أدعية له ولذريته في آيتين تلوهما آيات، ففي (٢) يشرك معه إسماعيل: «وَبَيْنَا نَقُولُ بَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّبِيحُ الْعَظِيمُ»، وفي (٤): «وَبَيْنَا لِيُكَيِّمُوا الضَّلُوةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْتَدِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ».

وإن دلّ هذا على شيء، فإنّه يدلّ على أن الكعبة مسمّاة للدعاء لقبول الأعمال وللذرية لدينهم ولدنياههم. لاحظ آيات البقرة: (١٢٦) و (١٢٩) والمائدة: (٣٥) إلى (٤١).

٩- جاء اسم إبراهيم مع البيت في خمس آيات: (٢: ١٢٦)، لأنّها تشته لما قبلها، وهذا تكريم لإبراهيم شيخ الأنبياء وباني البيت، ليقرن اسمه باسم البيت والمحجّ مدى الدهر.

١٠- وفي الآيات ذكر للمحجّ في (٥) وللحجّ والعمرة في (١١)، ولبعض أعمال الحجّ ومشاهدة مقام إبراهيم في (٥) و (٦)، والصفاء والمروة والطواف بهما في (١١)، والطواف حول البيت في (٢) و (٦) و (٩)، وشعائر الله في (٨) و (١١)، والشهر الحرام والهدي والقلائد في (٧) و (٨)، وأم البيت في (٨)، وقضاء نفهم وإيفاء نذورهم في (٩). هذا إلى جانب آيات أخرى جاءت في شأن الحجّ، لاحظ «ح ج ع».

ثانيتهما: حملها على معانيها اللغوية الدائرة عند الناس، فالطور: مطلق الجبل، والكتاب: كل ما يكتب ويسطر، فهذا ظير قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم: ١، والبيت المعمور: كل بيت عمر يعيش فيه الناس، والسقف المرفوع: سقف تلك البيوت، أو السواء وهي السماء، والبحر هو البحر.

فعل هذه الرؤية أقسم الله في هذه الآيات بجملة من نسمه على العباد، وما خلق الله لمعيشتهم كالجبل والسماء والبحر والكتاب والبيت. وساء على الرؤية الأولى فأقسم بجملة من المقدسات.

ولولا الروايات لاخترنا الرؤية الأخيرة المفهومة لدى الناس، ويؤيدها إرداف البحر بها، فهذه ظير سائر أقسام القرآن، قسم بما خلقه الله لعباده من صلحهم، وطبعا للتكريم منهم، وتبعا على آثار قدرته، وإقامة للحجة عليهم.

ثالثا: جاء في ثلاث آيات بعدها - وهي (١٥ - ١٧) - (أَهْلَ الْبَيْتِ) وأريد بأولها أهل بيت إبراهيم، وبثانيها أهل بيت النبي، وقد تحدثنا حولها في «أهل» وناثتها أهل بيت عمران والد موسى، والمراد بها أفراد الأسرة أو العائلة الذين يعيشون في بيت واحد، إلا أن نلفظ البيت في (أَهْلَ الْبَيْتِ) قد تنوغل عنه، ويلاحظ فيه نفس الأسرة.

والتحريف في «البيت» للعهد، إيماء إلى شهرة أهل بيت إبراهيم وأهل بيت النبي ﷺ. والتشكير في «أهل بيت» للتعمية، لأنه كلام أخت موسى، أرادت به أن ترشد امرأة فرعون إلى أم موسى، دون أن تعرف من أي

١١- رُكِرَ في (١٢) عبادة رب هذا البيت، فجعل البيت رمزا للمعبود الحق، وهذا تكريم واحتفاء بالغ بشأن البيت.

١٢- دُكر في (١٣) صلاة المشركين عند البيت أنها مكاء وتصدي، أي صغير وتصفيق، بدل الدعاء والتسبيح. فمن ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت امرأة، يصفرون ويصفقون، وذكر الله ذلك تنبيها على الهون الشاسع بين عبادتهم عند البيت. وبين ما جاء في الآيات في شأن البيت من عبادة إبراهيم وإسماعيل وذريته، ومنهم النبي ﷺ والمؤمنون.

١٣- اشتردت هذه الآية المدنية من بين آيات البيت مكنتها ومدتها بأن سياقها ذم للمشركين - وليس للبيت - وسلوكهم الشائن في انتهاك حرمة البيت، وسائر الآيات مدح وتكريم وتنظيم، بما يليق بالبيت المحرام. ثانيا: جاء في (١٤): ﴿وَالْبَيْتِ الْمَقْمُورِ﴾. وهذا مما أقسم الله به في افتتاح سورة الطور: ﴿وَالطُّورِ﴾ و﴿كِتَابِ مَنطُورٍ﴾ في رَقِّ عَشُورٍ. وَالْبَيْتِ الْمَقْمُورِ. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ الطور: ١ - ٦. وقد أطال المفسرون في تفسيرها، لاحظ النصوص، والمتحصل منها رؤيتان:

إحداها: حمل ما ذكر على معان مقدسة سامية، فالطور: طور موسى، والكتاب: التوراة والقرآن، أو كتاب كتبه الله للملائكة وما أشبهها، والبيت المعمور: بيت في السماء حيال الكعبة تطوف حوله الملائكة، أو البيت المحرام، أو قلب المعارف ونحوها. أما السقف المرفوع والبحر المسجور فهما السماء والبحر قولاً واحداً.

أهل بيت هي، حفاظاً عليهم من القتل.

رابعاً: جاء في (١٨): ﴿غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ حول الحديث عن قوم لوط: حيث قال: ﴿قَالُوا - أَي الْمُرْسَلُونَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ - إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ بُشْرٍ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَرُسُلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةُ مِنْ جُنِّينَ * مُسَوِّدَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُشْرِكِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الذاريات: ٣٢-٣٦، والمراد به أهل بيت لوط، يعني لوطاً وبنتيه، ومعنى «البيت» فيها قد غصّ النظر عنه أيضاً كسابقته. خامساً: جاء «بَيْت» في ستة بعدها - (١٩ - ٢٤) - للأنبياء والمقربين، سوى واحدة منها، ففي (١٩) دعت امرأة فرعون الله بأن يرزقها بيتاً في الجنة: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ...﴾ التحريم: ١١ والمراد بالبيت هنا: مطلق السكن، دون البيت بمقام المعروف.

وفي (٢٠) جزاء من يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت، بأنه قد وقع أجره على الله، والمراد من «البيت»: ما يحتم البلد، أي من سافر من بلده مهاجراً.

وفي (٢١) دعا نوح ربه أن يغفر له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات. قالوا: المراد بـ ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ من دخل داري أو سفيتي أو مسجدي، أو ديني، أو بيت محمد ﷺ، على بعد في الآخرين، ومفراه من جاء في مؤمناً، فهذا تعميم لكل من تبعه، إضافة إلى الذين آمنوا به فضلاً.

وفي الجمع (٥: ٣٦٥): «دعا نوح ﷺ - في هذه الآيات - دعوته: دعوة على الكافرين، ودعوة

للمؤمنين، فاستجاب الله دعوته على الكافرين، فأهلك من كان منهم على وجه الأرض. ورجو أن يستجيب دعوته للمؤمنين أيضاً فيغفر لهم.

وفي (٢٢) اقترح المشركون على النبي أن يكون له بيت من زخرف وخير ذلك كشرط للإيمان به، ومع ذلك لن يؤمنوا به حتى ينزل عليهم كتاباً يقرأونه.

وفي (٢٣) يذكر الله النبي بأنه أخرجه من بيته وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون، وأريد به مخروجه مع الناس إلى «بدر». فشبه ذلك بسؤالهم الأطفال طمعاً فيها، قال في أول السورة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الأنفال: ١، ثم وصف المؤمنين الصادقين، وقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ...﴾ الأنفال: ٥، والمراد بالبيت: ما يحتم الوطن والولد.

وفي (٢٤) ذكر مرادة امرأة العزيز يوسف في بيتها عن نفسه، وقد تحدثنا عنه في «الأبواب». وعبر عنها بـ «أَنْتِي هُوَ فِي بَيْتِي» بدل «امرأة العزيز»، تمهيداً لما قال يوسف بعدها: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾، أي أنني لأخون من أنا في بيته، والذي أحسن مثواي، هو امرأة في بيتها، لأن بيتها بيته.

وهذه الآية منفردة في سياقها بإتيان «البيت» بموقع الذم، وظيهرها الآية (٢٥) كما يأتي. وسائر الآيات كلها مدح. وفي هذه الآية مدح ليوسف أيضاً وذم لمن هو في بيتها، ولهذا الغاية ذكرها الله تعالى: إذ سورة يوسف مسرح قرآني للعشق والعفة. والأول تمهيد للثاني، لأن العفة هي الهدف فيها.

وجاء في (٢٥) اتخاذ المنكوت بيتاً، ووصفه بأنه

أوهن البيوت، فالتكثير فيها للتعظيم والوهن، وهذا يجري مجرى الذم.

سادسًا: ما تقدم من البحوث راجع إلى «البيت» مفردًا، وأما «البيوت» جمعًا فجاءت بصفة أساليب:

الأول: أسلوب المدح والتكريم: (٤) آيات:

١- الآية (١) ذكر فيها بيوت العبادة والمساجد التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، والتي يستبح فيها بالندوة والأصالة رجال متصفون بصفات سامية: لائهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أولًا، وعن إقامة الصلاة ثانيًا، وعن إيتاء الزكاة ثالثًا، ويضافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار رابعًا. ونتيجة ذلك أن الله يزيهم أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب.

هذه هي بيوت الله التي تحصى عباد الله المتصفين بتلك الصفات.

ومن عظم بيوت الله في الآية أنها متصلة بآية النور، قال الطبرسي في المجمع (٤: ١٤٤): ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرَفَّعَ﴾ أي هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها... ويضده قول النبي: «المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض». ومعنى ذلك أن نور الله بماله من الصفات يتلألأ في المساجد من خلال تسبيح هؤلاء الرجال، وهذا غاية التعظيم لبيوت الله.

٢- الآية (٢) ذكر فيها بيوت النبي؛ حيث منع المؤمنون أن يدخلوها إلا أن يؤذن لهم إلى طعام غير ناظرين إناه، فإذا طعموا فليستنروا، فذكر فيها بيوت

النبي تكريمًا يلي تكريم بيوت الله في (١) مع فرق بين بينهما، فإن المؤمنين كانوا يتخذون في بيوت الله غذاء الروح، وفي بيوت النبي غذاء الجسم والروح معًا.

٣- جاء في (٣) أن الله أوحى إلى موسى وأخيه أن ينهوا قومهما بمصر بيوتًا، يجعلونها قبله لبني إسرائيل، ليتوجهوا نحوها وقيموا الصلاة إليها، فكانت هذه البيوت بيوتًا لله أيضًا، لاحظ «ق ب ل».

٤- جاء في (٤) أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل خلال مساجدهم بهذا من الآيات والمعجزات: ﴿وَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، فكل من الله عز وجل وموسى وعيسى ومحمد عليه السلام حفظ من البيوت في هذه الآيات الأربع.

الخلاصة: بيان قدرة الله وآياته في خلق بيوت حشرتين من أصغر الحشرات، وهما النحل والعنكبوت، وفيه آيتان:

١- جاء في (٥) أن الله أوحى إلى النحل وحيا فطريًا أن تتخذ من الجبال ومن الشجر ومما يعرشون بيوتًا، فيها أسرار من خلق الله من الأشكال الهندسية، كما في النحل نفسها أيضًا في أكلها من كل الثمرات، ولي ما يخرج من بطونها من شراب مختلف ألوانه، فيه شفاء للناس، ومن أجل عظم أمر النحل سميت السورة باسمها.

٢- جاء في (٦) تشبيه الذين اتخذوا من دون الله أولياء بالعنكبوت التي اتخذت بوحى فطري من الله بيتًا من أوهن البيوت، فصارت الآية كيت القصيد في هذه السورة، فسميت باسمها كما سميت سورة النحل باسمها. وعلى الرغم من أن بيتها من أوهن البيوت ذكر «البيت»

في الآية ثلاث مرّات: مفرداً مرّتين، وجمعاً مرّة، تلميحاً بعظم الضكوب في نفسها وفي بيتها، فإنّ العلم الحديث كشف عنه أسراراً، منها أنّه من أصلب المواد حتّى الحديد، إضافة إلى استعماله على أشكال هندسية دقيقة.

الثالث: أربع آيات بعدها: (٧ - ١٠) - وكلّها مكّية - في قوم ثمود، وهم أصحاب الحجر وصالح، فجاء في الثلاث الأولى - تأكيداً لقوتهم - أنّهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمناً فارهم فيها، وهذه البيوت لا تنزل باقية، اكتشفها خبراء الآثار حديثاً، وكانت موجودة حين نزول القرآن، كما قال في (١٠): ﴿قِيلَ لِمُتْلِهِمْ حَاوِيَةً﴾.

وذكر في (٧) أنّ الله جعلهم خلفاء من بعد عاد، ويوآهم في الأرض، وكانوا يتخذون من سهولها قصوراً وينحتون من الجبال بيوتاً. وتضمّنت هذه الآيات جدالاً عنيف وقع بينهم وبين صالح وخبره من رسلهم، ثمّ أخذتهم الصيحة فكانوا من المالكين، وجميع سياحها ذمّ الزّايح: خاطب الله في (١١) المشركين والمرب تأكيدياً لما أتمم عليهم، بأن جعل لهم من بيوتهم سكناً، ومن جلود الأنعام بيوتاً يستخفونها يوم ظعنهم - أي ارتحالهم - من مكان إلى مكان، ويوم إقامتهم في مكان، فكان لهم صفتان من البيوت: بيوت ثابتة مبنية من الحجر والطّين والخشب، وبيوت متنقلة من جلود الأنعام وأوبارها وأشعارها، وهذه مكّية أيضاً، إلّا أنّ سياحها الامتنان دون الذمّ.

الخامس: جاء في (١٢) و(١٣) نوع آخر من الحجاج مع المشركين عقيب قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا

الْقُرْآنُ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٌ﴾ الزخرف: ٢١، والرّد عليهم بأنّ الله هو الذي قسم بين الناس معايشهم، ورفع بعضهم فوق بعض درجات فيها، أنّه على سنة إلهية بأنّه لولا أنّ سنته جرت على كون الناس أمّة واحدة في معايشهم لا يفرّق بين مؤمنهم وكافرهم، لجعل بيوت الذين كفروا ذات سقف من فضة وأبواب وسرر عليها يتكئون، أي لوّشع لهم في العيش فوق الذين آمنوا بما هي متاع الحياة الدّنيا، وخصّ الأخيرة بالمتقين، إلّا أنّ الله لا يميّز المؤمن من الكافر فيما قدر لها من الميعة.

السادس: جاء في ثلاث بعدها: (١٤ - ١٦) - وكلّها مدنيّة راجعة إلى ساراك القتال بين المؤمنين والكفار - تدلّ بموقف بعض المؤمنين في أحد الأحزاب، وإدانة اليهود في معركة بني النضير:

١- ويخ الله في (١٤) طائفة من المؤمنين، قالوا بعد الهزيمة في معركة أحد: ﴿لَوْ كُنَّا نَمْلًا مِّنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَاتَلْنَا هَهُنَا﴾. بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ...﴾، آل عمران: ١٥٤، أي أنّ الموت والحياة مقدّران، لا يؤخّران ولا يقدّمان، فلو بقيتم في بيوتكم ولم تخرجوا إلى ساحة المعركة لأدرككم الموت المقدّر لكم.

٢- ويخ في (١٥) الفريق الذي كان يستأذن النّبيّ للخروج من معركة الأحزاب بذريعة أنّ بيوتهم هورة، يستوله: ﴿وَمَا هِيَ بِغُفْرَةٍ إِن يَشَاءُ اللَّهُ إِلَّا فِرَارًا﴾، وتحكس الآيتان ضعف نفوس بعض المؤمنين أمام الأعداء في سوح القتال.

٣- أمّا الآية (١٦) فجاءت حول غزوة بني النضير من اليهود، حيث نصر الله المؤمنين، فغذف في قلوبهم الرعب، وكانوا يحربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وكان هذا عبرة لأولى الأبصار.

السابع: سياق الآيات (١٧ - ٢٤) التشريع، وكلها مدنيّة، وهي ثمان آيات:

١- جاءت الآيتان (١٧) و (١٨) خلال الآيات (٢٨ - ٣١) من سورة الأحزاب في نساء النبي ﷺ، ابتداء من «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا - إِلَى - وَادْكُرْنَ مَا يُكُنِّي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ...». والبحت فيها تفصيلاً موكول إلى «زوج» و«ن ب أ». وقد تبه خلالها إلى جملة من فضائلهن، منها: «أَتَنْهَى لَسَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْنَ، وَأَنْ مِنْ يَمُطِلَ مِنْهُنَّ صَالِحًا فَاجْرَحَا ضَعْفَانِ، وَمَنْ يَأْتِ بِفَاحِشَةٍ فَعْدَاهَا ضَعْفَانِ، ثُمَّ كَلَّفَهُنَّ بِأُمُورٍ، مِنْهَا: الْفِرَارُ فِي بُيُوتِهِنَّ، وَحَدَمُ التَّبَرُّجِ، وَذَكَرُ مَا يُطِلُّ فِي بُيُوتِهِنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ. فَرَكَّرَ الْقُرْآنُ لَفْظَ (بُيُوتِهِنَّ) مَرَّتَيْنِ، مَتَوَّهًا بِالْمَحَافِظِ عَلَى مَوَاقِفِهِنَّ فِيهَا، حِيَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبُيُوتِهِنَّ أَمَانٌ لَصَفَتِهِنَّ، وَتَذَكَارُ لَتَلَاوَةِ الْآيَاتِ الَّتِي تَلَاهَا جِبْرِيلُ فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ وَتَلَاهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِنَّ وَعَلَى غَيْرِهِنَّ، وَهِيَ مَصَادِرُ حِكْمِهِ وَسُنَّتِهِ الْمُبَارَكَةِ.

ثم إنه أضاف «البيوت» إليهن هنا؛ حيث خاطبهن، وأضافها إلى النبي؛ إذ خاطب المؤمنين في الآية (٢): «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...». وهذا تكريم وتشريف آخر لهن.

٢- في الآية (١٩) إرشاد للناس بأن يأتوا البيوت

من أبوابها دون ظهورها، فإنه تقوى وفلاح، فذكر «البيوت» سلباً وإيجاباً وأمرًا ونهيًا مرتين اهتمامًا بها، فقد سبق مرارًا أن الأمر بشيء والنهي عن ضده مآزٍ إلى عظم التكليف. ثم إنهم ذكروا لها شأن نزول، وجعلها بعضهم مثلاً لمن طلب الخير، أو العلم من غير أهله.

فمن عليّ ﷺ «أَنَّ الْبُيُوتَ هِيَ بُيُوتُ الْعِلْمِ، اسْتَوْدَعْتَهُ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَبْوَابُهَا الْأَوْصِيَاءُ»، ومثله قوله ﷺ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»، وعند بعضهم أَنَّ الْبُيُوتَ كِتَابَةٌ مِنَ النَّسَاءِ، وَمَعْنَاهَا لَا تَأْتُوا النَّسَاءَ مِنْ ظُهُورِهِنَّ بَلْ مِنْ قُدُورِهِنَّ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ فِي التَّحْصِينِ، فلاحظ.

٣- تهرضت الآيات (٢٠) - (٢٢) - وكلها من سورة التور حطفاً في (٢٠) أمران:

أولها: أن يأكل المؤمنون من بيوتهم أو بيوت أقربائهم من الآباء والأخوات والإخوان والأخوات والأعمام والمخالات والأصدقاء، أو التي ملكوا مفاتيحها. وثانيها: أن يسلموا على أنفسهم حين الدخول تحية من الله، وفيها مواقف للبحث والنظر:

الأول: لقد كثرت «البيوت» في هذه الآية الطويلة عشر مرات، رغم سهولة الاكتفاء بذكرها مرتين: مرة في حكم السلام، وأخرى في حكم الأكل بحطف بعض الأقرباء على بعض، كما حطف «أَوْ مَا عَلَكْتُمْ مَفَاتِيحَهُ أَوْ صَدِيقَتَكُمْ» على الأقرباء من دون تكرار «البيوت»، فما هو وجه التكرار؟

قول: سياق الآية مبني على التفصيل والبسط، وذكر الأقرباء الأقرب منهم للأقرب، وهذا يوجب

التكرار، لينفصل كل صنف من الأقرباء عن الأصناف الأخر بلفظ «بيوت»، فلكل منهم بيوت تختلف عن بيوت الآخرين.

الثاني: لم تذكر بيوت الأولاد والأزواج؟

أجابوا بأن «بيوتكم» يعني عن ذلك، إشعاراً بتناسق القرابة بين الرجل وأولاده وأزواجه، فبيوتهم هي بيوتهم تماماً، وقد جاء في الحديث «أنت ومالك لأبيك».

الثالث: ما المراد بـ «أَوْ عَامِلُكُمْ مَفَاحِشَهُ»؟ قالوا:

هذا يشمل الوكيل والوصي والقيم والعبد ونحوهم.

الرابع: كل ذلك مشروط بعدم سبق التهي من قبل هؤلاء الأقرباء، وبفقد العلم بكرامتهم، وإلا فلا يحل

الأكل من بيوتهم، فهذا من قبيل حق المارة ليس على إطلاقه.

ونتهى الآية (٢١) عن دخول بيوت الآخرين وهي

مسكونة إلا بعد الاستئناس ثم السلام على أهلها.

وأهلها بيوت غير هؤلاء الأقرباء والأصدقاء.

والأقرب شوطاً لبيوتهم، لأن حكم الدخول يختلف عن حكم الأكل.

وجوزت الآية (٢٢) دخول بيوت غير مسكونة لمن

كان له متاع فيها، لاحظ النصوص.

٤- جاءت الآيتان (٢٣) و(٢٤) في شأن النساء في

بيوت أزواجهن، فتحدثت الآية (٢٣) حول النساء اللاتي يأتين الفاحشة، ويشهد عليهن أربعة من

المسلمين. فيجب إساكنهن في البيوت حتى الموت، أو يجعل الله هن سبيلاً. ونسخ ذلك بالرجم في المحصنين

والجائدين في البكرين، قال النبي ﷺ: «خذوا عني، قد

جعل الله هن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم». المجمع (٢): ٢٠، لاحظ «ف مع ش».

وتحدثت الآية (٢٤) حول المطلقات بأن لا يرجوهن

من بيوتهم أيام العدة، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، لاحظ «ط ل ق».

المورد الثالث: جاء المصدر في ثلاث آيات:

١- «وَكَمْ مِنْ قَوْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ»

الأعراف: ٤

٢- «أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ»

الأعراف: ٩٧

٣- «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا غَاثًا

يَنْقَلِبُ مِنْهُ الشَّجَرُونَ»

يونس: ٥٠

بلا حظ أولاً: أن الآيات كلها مكية وسيأتيها ذم،

وحكاية عن عاقبة الأقوام السالفة عامة في (١) و(٢).

وعن المشركين أعداء النبي ﷺ في (٣).

ثانياً: أن «بيئات» وإن كان مصدراً بمعنى البيوت

والنوم ليلاً، إلا أنه جاء فيها اسماً بمعنى الليل بإزاء

النهار، وقد صرح به في (٣): «إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنًا أَوْ نَهَارًا»، وكفى عنه في (١): «فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ»، فإن القيلولة هي النوم في النهار.

وأما الآية (٢) فصريحة في أن المراد به الليل، قال:

«أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ». ثم قال: «أَوْ أَمِنَ

أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَعْفَى وَهُمْ يُلْقُونَ»، وجاء

فيها «ضعف» بدل «نهار» في (٣).

ب ي د

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مكية

النصوص اللغوية

الغليل: البئذ من قولك: بادَ يَبْدُ، وأباده الله.

والبيداء: مغارة لاسمي، فيها، وبين المصطفين

أرض ملساء اسمها: البيداء.

وفي الحديث: «إِنَّ قَوْمًا يَفْزُونَ الْبَيْتَ فَإِذَا نَزَلُوا

البيداء، وهي مغارة بين مكة والمدينة ملساء، بحث الله

مَلَكًا فيقول: يا بَيْدَاءُ بِيدِي بِهِمْ، فَيُخَسِّفَ بِهِمْ».

ويَبْدُ بمعنى «غير» ويقال: بمعنى «على». ومَبْدُ: لغة

فيها.

وأَتَانُ بَيْدَانَةٌ أي تسكن البيداء. (٨٤: ٨)

وسَيَبْئُوهُ: بادَ يَبْدُ يَبْدًا، إذا هلك. وهادت الشمس

بُيُودًا، غربت منه. (ابن منظور ٣: ٩٧)

الكِصَائِيُّ: «في حديث النبي ﷺ نحن الآخرون

السَّابِقُونَ يوم القيامة يَبْدُ أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُنَا

وأوتينا من بعدهم».

قوله: «بئذ» يعني: غير أننا أوتينا الكتاب من

بعدهم، بمعنى يَبْدُ بمعنى «غير» حينها. (أبو حنيفة ١: ٨٩)

أَبْنُ شُعَيْبٍ: البيداء: المكان المستوي المشرف،

خليلة الشجر كبرياء. تقود اليوم ونصف يوم فأقل،

وأشرفها شيء قليل لا تراها إلا غليظة ضلابة، لا تكون

إلا في أرض طين. (الأزهري ١٤: ٢٠٧)

أَبُو هُبَيْرٍ: إذ ذكر حديث النبي: «نحن الآخرون...»

ثم قال:

وفيه لغة أخرى «بئذ» بالميم، والعرب تفعل هذا

تُدْخِلُ الميم على الباء، والباء على الميم، كقولك: أَغْطَيْتُ

عليه الميمى وَأَغْطَيْتُ، وقوله: سَمَدُ رَأْسِهِ وَسَبَدُ رَأْسِهِ،

وهذا كثير في الكلام.

وأخبرني بعض الشافعيين أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَنَا

أَفْصَحُ الْعَرَبِ مَبْدُ أَنِّي مِنْ فَرِيشٍ، ونشأت في بني سعد

ابن بكر، وفسره: من أجل.

وهذه الأقوال [قول الكسائي والأموي ومالكه هو]

كلها بعضها قريب من بعض في المعنى، مثل «غير» و«على».

وبعض المحدثين يحدّثه: بِأَيْدِ أَنَا أُعْطِينَا الْكِتَابَ مِنْ بَعْضِهِمْ، يَذْهَبُ بِهِ إِلَى «الْقُوَّة»، وَلَيْسَ لَهَا هَاهُنَا مَعْنَى نَعْرِفُهُ. (١٩: ١٨٩)

ابن السكيت: بَيِّدَ بِمَعْنَى «غَيْر» يُقَالُ: رَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ بَيِّدٌ أَنَّهُ بَخِيلٌ، مَعْنَاهُ: غَيْرُ أَنَّهُ بَخِيلٌ. وَالْبَيِّدُ: جَمْعُ لِلْبِيدَاءِ، وَهِيَ الْفَلَاةُ.

(الأزهري ١٤: ٢٠٧)

الأموي: بَيِّدَ مَعْنَاهَا «عَلَى». [ثم استشهد بشعر]

(أبو عبيد ١: ١٨٩)

شُور، البيدانة: الأتان الوحشية، أَضْعَفُ لِلْيَدِ الْبِيدَاءِ، وَالْجَمْعُ: الْبِيدَانَاتُ. (الأزهري ١٤: ٢٠٧)

ابن دُرَيْدٍ: بَادَ الشَّيْءُ بَيِّدًا يُبَادُ، إِذَا كَثُرَ وَانْقَلَبَ إِلَى الْبِيدَاءِ. (ابن دُرَيْدٍ ١: ١٨٩)

ويقولون: لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ بَيِّدًا أَنِّي كَذَا وَكَذَا، أَيْ لِأَنِّي. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيِّدًا أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ وَاسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَمْدٍ بَنَ بَكْرٍ». [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَالْبِيدَاءُ: الْقَطَرُ، وَالْجَمْعُ بِيدٌ. وَالْبِيدَاءُ: مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ. وَالصَّحَارِيُّ كُلُّهَا يُقَالُ لَهَا: بِيدٌ.

والبيدانة: الأتان الوحشية، منسوبة إلى البيد.

(٣: ٢٠٦)

الصَّاحِبُ: الْبِيدُ: مِنْ قَوْلِكَ: بَادَ يَبِيدُ بَيَادًا، وَأَبَادَهُ اللَّهُ يَبَادُهُ.

وَأَتَى فُلَانٌ بِطَعَامٍ بَيِّدٍ، أَيْ رَدِيءٍ.

وَأَتَانُ بِيدَانَةٍ: تَسْكُنُ الْبِيدَاءَ.

والبيدانة: الصحراء.

وبادت النخلة تُبِيدُ بَيِّدًا، إِذَا لَمْ تُحْمِلْ.

وبيدان: اسم موضع. (٩: ٣٧٥)

ابن جَنِّي: سَمَّيْتُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُبِيدُ مَنْ يَحْمِلُهَا،

وَالْجَمْعُ: بِيدٌ. كَسَرُوهُ تَكْسِيرَ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ، وَلَوْ كَسَرُوهُ تَكْسِيرَ الْأَسْمَاءِ فَقِيلَ: بَيِّدَاوَاتٌ لَكَانَ قِيَاسًا. (ابن سيده ٩: ٧-٤)

البحرُورِيُّ: الْبِيدَاءُ: الْمَقَارَةُ، وَالْجَمْعُ: بَيِّدٌ.

وباد الشيء بَيِّدًا بَيِّدًا وَيُبَادُ: هَلَكَ. وَأَبَادَهُمُ اللَّهُ،

أَيَّ أَهْلَكَهُمْ.

والبيدانة: الأتان، اسم لها. [ثم استشهد بشعر] وَبِيدَ بِمَعْنَى «غَيْر» يُقَالُ: إِنَّهُ كَثِيرُ الْمَالِ، بَيِّدٌ أَنَّهُ

(٢: ٤٥٠)

ابن فَارِسٍ: الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالذَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ

أَنْ يُؤَدِّي الشَّيْءُ، يُقَالُ: بَادَ الشَّيْءُ بَيِّدًا وَيُبَادُ، إِذَا أَوْدَى. وَالْبِيدَاءُ: الْمَقَارَةُ، مِنْ هَذَا أَيْضًا، وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا فِي الْمَعْنَى ظَاهِرٌ.

ويقال: إِنَّ الْبِيدَانَةَ: الْأَتَانَ تَسْكُنُ الْبِيدَاءَ.

فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: بَيِّدَ فَكَذَا جَاءَ بِمَعْنَى «غَيْر». يُقَالُ: قُفِلَ

كَذَا بَيِّدًا أَنَّهُ كَانَ كَذَا. [ثم ذكر الحديث: نحن

الآخرون... وقال:]

وهذا يُبَايِنُ الْقِيَاسَ الْأَوَّلَ. وَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ أَصْلُ

بِرَأْسِهِ، لَمْ يَبْعُدْ. (١٦: ٣٢٥)

الْعَالِيَّةِ: فَإِذَا كَانَتْ [الْأَرْضُ] تُبِيدُ سَالِكِيهَا،

فَهِىَ: الْبِيدَاءُ، وَالْمَقَارَةُ كُنَايَةٌ عَنْهَا. (٢٨٥)

وفي آخره: «قلت: وأين حدّ البداء؟ قال: كان جعفر إذا بلغ ذات الجيش جدّ في السير ثم لا يصلح حتى يأتي عُمرس النبي ﷺ. قلت: وأين حدّ ذات الجيش؟ فقال: دون الحفيرة بثلاثة أميال». (٦٨: ٣)

محمود شيت: أباد الجيش أعداء: أهلكهم. وحرب الإبادة: الحرب التي تقضي على الحرث والنسل. (١: ١٠٢)

المُتَطَفُّوِي: وانظّاهر أنّ المعنى المستعمل لهذه المادة: هو التبدّد والتفرّق بين الأجزاء. ولا يبعد أن يكون بين «البَدَّة» و«البِدة» اختلاق أكبر. وأن يكون «البَدَّة» أول مرتبة من التفرّق، و«البِدة» ما تحصل منه والمرتبة الثانية. بمناسبة فكّ الإعدام، وتقلب الخلل المشددة ياء.

وهذا الاعتبار تُستى الأراضى المتسعة التي ليست فيها آثار العمار: ببداء، فكأنّها متبدّدة. قد باد ما كان فيها من صور العمارات.

وأما التبيّد بمعنى «الغير» فباعتماد تبدّد الحالة السابقة في ذلك المورد، وتبدّلها إلى هذه الحالة المستتاة المستخرجة. (١: ٣٤٢)

النصوص التفسيرية

تبيّد

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. الكهف: ٣٥
(ابن عباس: أن تهلك. (٢٤٧)

الطَّبِيرِي: (ما ظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدًا): لا تقضى ولا تخرب. (١٥: ٢٤٦)

مثله المَيْدِي (٥: ٦٩١)، والنَّبَاطُورِي (١٥: ١٣٢)، والنَّسَبِي (٣: ١٣).

الطُّوسِي: أي تهلك هذه الجنة أبدًا. (٧: ٤٣)
الطَّبِيرِي: أي ما أقدر أن تقضى هذه الجنة وهذه الشّهار أبدًا. وقيل: يريد ما ظنّ هذه الدنيا تقضى أبدًا.

(٣: ٤٦٨)
القَطْرُ الرَّازِي: جمع بين هذين، فالأوّل قطعه بأنّ تلك الأشياء لا تهلك ولا تبيد أبدًا. مع أنّها متغيرة متبدّلة.

فإن قيل: هب أنّه شكّ في القيامة، فكيف قال: **مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا** مع أنّ الحدس يدلّ على أنّ

أحوال الدنيا بأسرها ذاهبة باطلة غير باقية؟ قلنا: المراد أنّها لا تبيد مدّة حياته ووجوده.

(٢١: ١٢٥)

الْقُرْطُبِيُّ: أنكر فناء الدار. (١٠: ٤-٤)

الْبُزْوَسي: تقضى وتهلك وتعدم، من باد. إذا ذهب وانقطع. (٥: ٢٤٦)

الآلوسي: أي تهلك وتقضى، يقال: باد يبيد ببيدًا ويبيدًا ويبدودة، إذا هلك. (١٥: ٢٧٥)

مثله محمّد حسنين مخلوف. (١: ٤٧٦)

القاسمي: أي تهلك وتقضى. (١١: ٤٠٥٨)

مثله المِراغبي. (١٥: ١٤٧)

محمّد حمزة دروّزة: تهلك وتزول. (٦: ٢١)

الطَّبَاطِبَائِي: نبي الظنّ بأمر كناية عن كونه فرضًا

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التَّيْداء، وهي مفاضة لاشيء فيها، وجمعها يَد، ومنه قولهم: بَادَ الرَّجُلُ يَبِيدُ يَبِيدًا، أي هلك، وكأنته حلّ في البيداء فأبادته، وأباده الله: أهلكه، وأباده الدهر إبادَةً. وباءَ الشيء يَبِيدُ يَبِيدًا وَيَبَادًا وَيُوبِدًا وَيَتْدُودَةً: نَقَدَ وذَهَبَ، وبادت الشمس: غَرَبَتْ.

ومنه: التَّيْدانة: الأمان الوحشية، وجمعها تَيْدانات، وسميت بذلك لكونها التَّيْداء، يقال: أتانُ تَيْدانة، فهي على وزن «فُعْلانة»، مثل: صفوانة: صخرة ملء.

وقيل: لكونها عظيمة البدن، فهي - على هذا القول - على وزن «فُعْلالة»، مثل: عَيْتانة وعَيْتارة، وهما نوعان من الشجر.

٢- وَيَتْدَ: غير، أو على، أو من أجل، وأَمْحَى: مَحَا، والمعاني لا يطابق ما ذهبنا إليه كأصل لهذه المادة، أي التَّيْداء، وما ذهب إليه غيرنا كابن فارس، وهو الحلال، قال: «وهذا يبين القياس الأول، ولو قيل: إنّه أصل برأسه لم يبعد».

ونرى أنّ «تَيْدَ» - الذي قيل فيه: إنه لغة في «تَيْدَ» - هو الأصل، و«تَيْدَ» لغة فيه، كقولهم: باسك، أي ما سلك؟ ويَتْلَا، أي تَهْلَا، وهو من: مَذْهَمٌ يَمِيدُهُم، أي زادهم، وعلى ذلك فإنّ معنى «تَيْدَ» هو «على» التي تعيد العلوّ والفوقية، ومنه قول النبي ﷺ: «أنا أفصح العرب بيد أتي من قريش»، أي فضلًا من ذلك، وفيه وجوه أخرى سنتمرّض لها في «م ي د» إن شاء الله.

٣- وبين «ب ي د» و«أ ب د» اشتقاق أكبر، فأصل

المادة الأولى تُشرب معنى التَّوَحُّش كما رأيت، وهو يضارع أحد أصلي «أ ب د»، أي التَّوَحُّش، كما مرّ هناك، يقال: أَبَدَت البهيمة أبودًا: تَوَحَّشَتْ، ونفرت من الإنسان.

كما أنّ «بادَ» ورد في إحدى لغات السريانية بلفظ «ايد»، وهو يطابق «الأبد» لفظًا أيضًا، وهذا يدلّ على وحدة المادتين واتحاد مفرسهما.

الاستعمال القرآني

جاءت هذه المادة مرّة واحدة، فعلاً مضارعاً في سورة مَكِّيّة:

﴿وَوَدَّعَلَى جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾
الكهف: ٢٥

ولاحظ أولاً: أنّ استعمالها وحيدة ومنفردة في القرآن دون ضرورة - كمرعاة الفواصل - يحكي قلّة تداولها عند العرب حينذاك، ومع ذلك ففيه إيهام التّناسب بين «تَيْدَ» و«أَبَدًا». فلو جاء «تهلك» لانتفى ذلك، ولعلّه الموجب لحيته بدله، فهذا الأمر - إيهام التّناسب - قام مقام رعاية الفواصل في غيرها، جاء مرّة واحدة في القرآن.

ثانيًا: هناك حكمة أخرى في إتيان «البيد» مقروناً بالجنة، رغم وجود ما يضارعه أصلاً واستعمالاً، وهي أنّ هذا الضّرب من الاستعمال يراد به الإيعان في تصوير مشهدين متناقضين قائماً، مشهد يصوّر روضة غناء ذات أنهار يافضة، ومشهد يصوّر يداء يهباء لأحياة فيها ولاماء، إذ يُبنى الفعل «بادَ تَيْدَ» - كما يَبِيدُ آنفاً - بالحلول

في الصَّعراء، وهو الهلاك والرَّدى، وتثنان بين
المشهرين، فهما كالموت والحياة، والشراب والماء.

ثالثاً: جاءت في القرآن ألفاظ مترادفة للبيد فيما يلي:
الأشياء:

١- البوار: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفَسَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ إبراهيم: ٢٨

٢- التدمير: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ
وَمَا كَانُوا بِغِرْشُونَ﴾ الأعراف: ١٣٧

٣- الموت: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ صَاحِبٍ
فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بِغَدُوتِهَا﴾ البقرة: ١٦٤

٤- الهلاك: ﴿كَفَنَلِ بِحِبِّهَا حَبْرًا أَصَابَتْ حَزَنٌ قَوْمٍ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَاخْلَكْنَاهُ﴾ آل عمران: ١١٧

الأشخاص والذوات:

١- الدَّمدمة: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَسَقَرُوهُمَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ
رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَتَوَيَّتَا﴾ الشمس: ١٤

٢- الردى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَرَدَاهُ﴾ طه: ١٦

٣- الزهوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
الَّذِي أَتَى بِكُم مِّنَ النَّفْسِ الَّتِي نَفَسَنَاهُ فِيكُمْ

٤- النصب: ﴿فَبِمَنْ قُضِيَ نَجْوَاهُ وَيَسْتَنْصِفُ
الْأَحْزَابَ﴾ ٢٣

٥- الوفاة: ﴿لَمْ تَوْفِ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٨١

٦- التدمير: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبْنَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَذَمَّرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا﴾ الفرقان: ٢٦

٧- الموت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ البقرة: ١٦١

٨- الهلاك: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ التجم: ٥٠

٩- التياب: ﴿وَبَشِّرْ بِذَا آيٍ لِّحِبِّ وَتَبِّ﴾ اللهب: ١

أخيراً المعنى:

١- التياب: ﴿وَمَا كُنْتُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَيَابٍ﴾ المؤمن: ٣٧

٢- الزهوق: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ الإسراء: ٨١



مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

ب ي ض

٦ ألفاظ ، ١٢ مرة : ٩ مَكِّيَّة ، ٣ مدَنِيَّة
في ١٠ سور ، ٨ مَكِّيَّة ، ٢ مدَنِيَّتَانِ

الأبيض ١-١	أبيضت ١-٢	الجانوة يبيض ، فخرت بيضة ، وتسمى تلك البيضة :
بيضاء ٦-٦	تبيض ١-١	بيضة النقر
بيض ١-١	يبيض ١-١	وبيضة البلد : تريقة العامة.

والأبيضان : اللحم واللبن . والبيضة : الحُصية ،
والبيضة : بيضة الزمل ، والبيضة : أصل القوم
وهمهم . (٦٩ : ٧)

الكسائي : بايضي فلان فيضته : من البياض .
(الأزهرى ١٢ : ٨٨)

مارأته منذ أجردان ، ومن جريدان وأبيضان ، يريد
يومين أو شهرين . (الأزهرى ١٢ : ٨٧)

ابن سُمَيْل : أفرخ بيضة القوم ، إذا ظهر مكتوم
أمرهم ، وأفرخت البيضة ، إذا صار فيها فرخ .

(الأزهرى ١٢ : ٨٦)

أبو عمرو والشيباني : والبيضاء : القدر ، وقال للقدر
أيضاً : أُمُ بِيضاء . [ثم استشهد بشعر] (الأزهرى ١٢ : ٨٨)

النصوص اللغوية

الخليل : التبييض : معروف ، ودجاجة بيوض ،
وهن بيض للجماعة ، مثل حديد : جمع حديد ، وهي التي
تعيد ذلك .

وبيضة الحديد : معروفة ، وبيضة الإسلام : جماعاتهم .
والجمارية : بيضة الحيدر : لأنها في جذرها مكتومة .

[ثم استشهد بشعر]

ويقال : أبيض القوم ، إذا استحييت بيضتهم ،
وابتاضهم العدو ، إذا استأصلهم .

وغراب بائض ، وديك بائض ، وهما مثل الوالد .
وبيضة النقر : مثل يخرّب ، وذلك أن تُغتصب

الْقَوَاءُ: بَاضٌ، إِذَا أَقَامَ بِالْمَكَانِ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٤)

الْأَيْضَانُ: الْمَاءُ وَالْمَحْطَةُ، وَالْأَيْضَانُ: عِرْقُ الْوَرِيدِ.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٧)

العرب لا تقول: حَمْرٌ وَلَا بَيْضٌ وَلَا صَفَرٌ. وليس ذلك

بشيءٍ، إِنَّمَا يُنْتَظَرُ فِي هَذَا إِلَى مَا سَمِعَ مِنَ الْعَرَبِ، يُقَالُ:

أَبْيَضٌ وَأَبْيَاضٌ، وَاحْمَرَّ وَاحْمَارًا.

والعرب تقول: فَلَانَةٌ مُسْوَدَّةٌ وَمُسَبَّضَةٌ، إِذَا وَلَدَتْ

الْبَيْضَانَ وَالشُّودَانَ، وَأَكْثَرُ مَا يَقُولُونَ: مُسَوِّجَةٌ، إِذَا

وَلَدَتْ الْبَيْضَانَ.

ولعبة لهم يقولون: أَبْيَضِي حَبَالًا، وَأَسْيِدِي حَبَالًا.

ولا يقال: مَا أَبْيَضَ فَلَانًا، وَمَا أَحْمَرَ فَلَانًا، مِنَ الْبَيَاضِ

وَالْحُمْرَةِ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ نَادِرًا فِي شِعْرِ قَدِيمٍ:

أَمَّا الْمُلُوكُ فَانْتِ الْيَوْمَ الْأَحْمَرُ

لَوْ مَا وَأَبْيَضُهُمْ نَحْرُ جَالٍ طَبَاخٍ

(الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٨)

الْبَيْضُ: جَمْعُ أَبْيَضٍ وَبَيْضَاءَ، وَالتَّبْيِضَةُ: اسْمُ مَاءٍ.

وَالْبَيْضَانُ وَالتَّبْيِضَتَانِ، بِالنَّكْسَرِ وَالْفَتْحِ: مَوْضِعٌ

عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ مِنَ الْكُوفَةِ.

(ابن منظور ٧: ١٢٩)

أَبُو عُبَيْدَةَ: الْأَيْضَانُ: الشَّعْمُ وَاللَّبَنُ.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٧)

بَاضَتِ الْبُهْنَى: سَقَطَتْ نِصَالُهَا. (الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٤)

أَبُو زَيْدٍ: وَيَبِضَاتُ الْخُدُودِ: نِسْوَةٌ كَأَنَّهِنَّ بَيْضُ

الْتَّمَامِ.

ويقال: ذهب منه الأبيضان، أي شبابه وشحمه. (٨٣)

تقول العرب: لك سواد الأرض وضامرها، يريد

العامر والغامر، وكذلك يقول: لك سوادها وبياضها،

يريد المكان الذي فيه بُنِيَ والذي لا بُنِيَ فيه، ويدلُّك

على ما قلنا قوله عز وجل: ﴿مَذَهَابَتَانِ﴾ الرَّحْمَنُ: ٦٤.

(٢٥٤)

التَّبْيِضَةُ: بَيْضَةُ الْحَبْنِ، وَالبَيْضَةُ: أَصْلُ الْقَوْمِ

وَبِحْتَمُّهُمْ، وَيُقَالُ: أَتَاهُمُ الْعَدُوُّ فِي بَيْضَتِهِمْ، وَقَدْ أَتَيْتُضُ

الْقَوْمَ، إِذَا أَخَذَتْ بَيْضَتَهُمْ عُنُوتًا. وَبَيْضَةُ الْقَيْظِ: شِدَّةُ

حَرِّهِ. [ثم استشهد بشعر]

والتَّبْيِضَةُ: بَيْضَةُ الْخُصْفَةِ.

يقال لوسط الذكر: بَيْضَةٌ، وَلِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ: بَيْضَةٌ،

وَلَوْزَمٌ فِي رَكْبَةِ الدَّكَاةِ: بَيْضَةٌ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٦)

الْأَصْحَمِيُّ: الْأَيْضَانُ: الْحَبْزُ وَالْمَاءُ.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٧)

البَيْضُ: دَمٌ يَكُونُ فِي يَدِ الْفَرَسِ مِثْلَ الْفُتَيْحِ وَالْعُدَّةِ،

وَهُوَ مِنَ الْمَيُوبِ الْهَيْئَةِ، يُقَالُ: قَدْ بَاضَتْ يَدُ الْفَرَسِ:

تَبْيِضَ بَيْضًا. (ابن منظور ٧: ١٢٧)

بَيْضَةُ الدَّارِ: وَسْطُهَا وَمُظْلَمُهَا. (الْهَرَوِيُّ ١: ٢٣٢)

ابن الأعرابي: البَيْضَةُ بِكَسْرِ الْبَاءِ: أَرْضٌ بِالدَّوِّ

خَفَرُوا بِهَا حَتَّى أَتَتْهُمُ الرِّيحُ مِنْ قَهْتِهِمْ فَرَفَعْتَهُمْ، وَ

لَمْ يَصِلُوا إِلَى الْمَاءِ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٦)

يقال: ذهب أبيضاء: شحمه وشبابه.

(الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٧)

البَيْضَاءُ: الشَّمْسُ. [ثم استشهد بشعر]

(الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٨)

بَاضَ السَّحَابُ، إِذَا أَمَطَرَ. (الْأَزْهَرِيُّ ١٢: ٨٤)

البَيْضَاءُ: حَبَالَةُ الصَّائِدِ. [ثم استشهد بشعر]

الضري: يقال لما بين الضرب والنبه: يَنْضَة. وبعد
 النضبة: البسيطة. (الأزهرى ١٢: ٨٧)
 شجر: البضة: أرض بيضاء لانبات بها، والشجرة:
 أرض بها نخيل. [ثم استشهد بشر] (الأزهرى ١٢: ٨٦)
 وفي الحديث: «حقى يستبح بيضهم»، يريد
 جماعتهم وأصلهم. (الهروى ١: ١٣١)
 الجاحظ: «فخر صاحب الديك بكثرة ما انتق من
 البيض» قال صاحب الديك: فخرتم للكلب بكثرة
 ما انتق للأغنياء من اسم الكلب، وقد انتق لأكثر من
 ذلك العدد من البيض، فقالوا لقلائس الحديد: بيض،
 وقالوا: فلان يدفع عن نضة الإسلام، وقالوا: قال علي
 ابن أبي طالب رضي الله عنه: أنا نضة البلد، وفي موضع
 آخر: «ثم استشهد بشر»
 ويستمر: ليس الصلوة والنية: بيضة، ويقال
 للمجلس إذا كان معموراً غير مطول: بيض جملة،
 ويقال للوعاء الذي يكون فيه الحين والخراج، وهو
 الذي يجتمع فيه القبح: بيضة. (٢: ٣٣٦)
 ويقال: في المثل للذي يغطي عطية لا يبر في مثلها:
 «كانت نضة الديك»، فإن كان معروف له قيل: «بيضة
 المقر».
 ويقال: دجاجة بيوض في دجاج بيض وبيوض،
 باسكان موضع العين من الفعل، من لغة شغل مضر،
 وضم موضع العين من نظيره من الفعل مع الفاء، من لغة
 أهل الحجاز.
 ويقال: عمد المرح بعد عمداً، إذا عُصر قبل أن
 يضحج فوراً، ولم يُخرج بيضته، وذلك الوعاء والفلاف

(الأزهرى ١٢: ٨٨)
 وبيضة البلد: السيد، وقد يذم بيضة البلد. [ثم
 استشهد بشر]
 إذا مَرَح بها فهي التي فيها الفرج، لأن الظلم حيث
 يصونها، وإذا ذم بها فهي التي قد خرج الفرج منها،
 ورمى بها الظلم، فداسها الناس والابل.
 (ابن سيده ٨: ٢٣٧)
 ابن السكيت: الشبهاء والبيضاء: الصاغية الحديد.
 (٤٥)
 يقال لشدة الحر: الشهام، وإذا اشتد الحر قيل:
 بيضة الحر، وحررة الحر.
 البيض: السواء، والبذر، والنصف. ولا يقال: أبيض
 البيض، وإنما قيل: البيض لبياضته من أول الليل إلى
 آخره، فإذا جاوز النصف فقد أذرع الشهر. (٣٩٨)
 قالوا: «ليالي البيض» كالبحر، سميت ليالي البيض
 لبياضته من أوله إلى آخره.
 ويقال: بيضت السماء وبيضت الإماء، أي ملأته.
 (إصلاح المنطق: ٣٧٢)
 الأبيضان: اللبن والماء. (الأزهرى ١٢: ٨٧)
 يقال للأسود: أبو البيضاء، وللأبيض: أبو الجنون.
 (ابن منظور ٧: ١٢٤)
 ابن حبيب: البيضة بالكسر: بالحرز لبني يرمع،
 والبيضة بالفتح: بالصمان لبني دارم. (ابن منظور ٧: ١٢٩)
 أبو حاتم: يقال: فلان يَنْضَة البلد، إذا ذم، أي قد
 انقرد. ويقال ذلك في المدح. [ثم استشهد بشر]
 (١١٧)

- الذي يجمع المدة يسمى: بيضة. وإذا خرج ذلك بالصبر من موضع العين فقد أفاق صاحبه. (٢: ٢٤٢)
- ويبيض الجرح والخراج والمهين: الوعاء الذي يجمع فيه الصديد، إذا خرج برئ وصلح.
- وقد يستون مائي بطون إناث السمك: يبيض، ومائي بطون الجراد: يبيض، وإن كانوا لا يرون قشرًا يشتمل عليه، ولا قبضًا يكون لما فيه جضًا. (٤: ٢٢٧)
- ابن أبي اليمان: التبييض: يبيض الرؤوس. والتبيض: يبيض الطير. (٤٩٨)
- المشبرد: العرب تقول للرجل الكريم: هو بيضة البلد، يمدحونه، ويقولون للآخر: هو بيضة البلد، إذا ذموه.
- فالممدوح يُراد به البيضة التي تصونها النجاسة وتوقها الأدنى، لأن فيها فرخها، فالممدوح من هاهنا، فإذا انفلقت وانقضت عن فرخها، رى بها الظلم فتقع في البلد القفر، من هاهنا ذم الآخر. (الأزهري ١٢: ٨٥)
- ابن دريد: التبييض: معروف، جمع: بيضة. والتبيض: داء يصيب الخيل في قوائها. والبيضة: الأرض البيضاء الملساء. والأبيض: يشرق في حالب البحر والإنسان. [ثم استشهد بشعر] (١: ٣٠٥)
- القالبي: وابتاضه الله وابتاضهم الله، وابتاض بنو فلان بني فلان، إذا أتوا عليهم وحل أمواهم.
- والتبيضة: المعظم، ومنه: هذا البلد بيضة الإسلام، أي مجتمعه، كما تجمع البيضة التي على الرأس الشعر. (ذيل الأمازي والتواد: ٦٠)
- الأزهري: [نقل قول الليث ثم قال:]
- ويقال: غراب بابيض، وديك بابيض، وهما يستل الوالد.
- قلت: يقال: دجاجة بابيض، خير هاء، لأن الدّيك لا يبيض.
- وقال غير الليث: بيضة العقر: بيضة يبيضها الدّيك مرة واحدة، ثم لا تعود، تُضرب مثلًا لمن يصنع صنعة إلى إنسان، ثم لا يربّيها بطلها.
- هاض الحر، إذا اشتدت. (١٢: ٨٤)
- قال الليث وغيره: إذا قالت العرب: فلان أبيض وفلانة بيضاء، فالمعنى نقاء العريض من الدّنس والعيوب. [ثم استشهد بشعر]
- وهذا كثير في كلامهم وشعرهم لا يذهبون به إلى بيض اللون، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العريض من العيوب والأدناس.
- وإذا قالوا: فلان أبيض الوجه وفلانة بيضاء الوجه، أرادوا نقاء اللون من الكلف والسواد الشائني. (١٢: ٨٧)
- وبيضاء بني بجليّة: في حدود الخطّ بالبحرين. (١٢: ٨٨)
- يقال: يبيضُ الإماء، إذا فرغت، ويبيضته، إذا ملأته، وهذا من الأضداد.
- وقال ابن مزيج: قال بعض العرب: يكون على الماء بيضاء القيط، وذلك عند طلوع الدّبران إلى طلوع شهيل.
- قلت: والذي حفظته عن العرب: يكون على الماء خراء القيط، وجسيم القيط، وخمارة القيط.

ومبيض الثعام والطير كله: الموضع الذي يبيض فيه.

والْبَيْضَةُ: الذين يبيضون رأياتهم، وهم الحرورية، وجمع الأبيض والبيضاء: يبيض، (٨٩: ١٢)

القَصَاحِبُ: البَيْضُ: محروف، الواحدة: بَيْضَةٌ، ودَجَاجَةٌ بَيْضٌ، وَهَنْ بَيْضٌ، وَبَيْضَةُ الْحَيْثَرِ: الجارية، وَبَيْضَةُ النَّهَارِ: بياضه، وبياضنا فلان بذلك الأمر مُبَايَضَةٌ، أي جاهرنا في بَيْضَةِ النَّهَارِ.

وباض فلان بني فلان وابتاضهم: دخل يبيضهم، وَبَيْضَةُ الْبَلَدِ: القمع، وهو في الشرف والمدح أيضا، وَالنُّفْعُ الَّذِي فِي قَوَائِمِ الْفَرَسِ: البَيْضُ، يقال: باضت يدها، وباض العود، إذا ذهب بكتفه وَبَيْضٌ فَهُوَ يَبْيِضُ يَبْيُوضًا.

وباضت البهي: سقطت بصلها، وباض الحر: اشتد، وبضاء القَيْطُ وَبَيْضَتُهُ: صميمه.

وَعُرَابٌ بَايِضٌ، من قروهم: ابتاضوهم، أي استأصلوهم.

وَأَبْيَضُ عُنُقِ الْبَعِيرِ: هما عرقان قد صالا عداة العُنُقِ، وقيل: هما عرقان في البطن.

وما بقي لهم صميلٌ إِلَّا بَيْضٌ، أي حياء إِلَّا مَلَى، والأبيضان: اللبن والماء، وقيل: الشحم والشباب، وما رأيت مذ أَبْيَضَانِ، أي يومان أو شهران، وَأَبْيَضُ الشَّهْرِ وَأَبْيَضُ.

وبايضني فبضته، من البياض، والبيضاء: برة صغار إلى البياض.

ومن ألوان التمر: البَيْضُ، واحدتها: بَيْضَةٌ.

والْبَيَاضُ مِنَ الْأَرْضِ: ما لا شجر فيه ولا ماء، وهو

أيضا عندهم: الشَّخْصُ، كَالسَّوَادِ.

وَالْأَبْيَضُ: كوكبٌ في حاشية الجَمَّةِ.

ويقال: ما علمك أهلك إِلَّا بَيْضًا وَهْشًا.

والابْتِيَاضُ: الاختيار، وهو الاستيصال أيضا.

وَالْأَبَانُضُ: هضبات يُوجِهْنَ نَتِيةَ هَرَشِي.

وَأَبْنُ بَيْضٍ: رجلٌ تاجر مكثُر، وفي المثل: «سَدَّ أَبْنُ

بَيْضِ الطَّرِيقِ»، وله حديث.

ونزلت بَيْضَاءُ مِنَ الْأَمْرِ، أي داهية. (٥٤: ٨)

الْغَطَّابِيُّ: في حديث النبي ﷺ: «أَنَّهُ صَالِحٌ أَهْلُ

خَيْبَرَ عَلَى أَنَّ لَهُ الصَّرَاءَ، وَالْبَيْضَاءُ، وَالْمُكَلَّفَةُ.

الْمُتَبَيِّرَاءُ: الذَّهَبُ، وَالْبَيْضَاءُ: الفضة، ويقال:

مَا لِلْفُلَانِ صَفَرَاءٌ وَلَا بَيْضَاءَ، وَالْمُكَلَّفَةُ: الدُّرُوعُ. (٥٦٢: ١)

في حديث سعد: «أَنَّهُ سُلَّ عَنْ بَيْعِ الْبَيْضَاءِ

بِالسُّلْتِ، فَكُفِّرَ بِهِ».

الْبَيْضَاءُ: الرُّطْبُ مِنَ السُّلْتِ، كره يبعه ليايس منه،

لأنه مما يدخله الزَّهَاءُ. (٢٢٥: ٢)

وفي الحديث: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْمَوْتُ

الْأَبْيَضُ»، قالوا: يا رسول الله، ما الموت الأبيض؟ قال:

مَوْتُ الْفَجَاءَةِ، فَإِنَّمَا تُرَادُّ، والله أعلم، سَمَاءُ الْمَوْتُ

الْأَبْيَضُ، لِأَنَّهُ يَمَافِضُ الْإِنْسَانَ مَفَافِصَةً مِنْ خَيْرِ أَنْ

يَتَقَدَّمَ مَرَضٌ يَنْتَرِ لَوْنُهُ، لَكِنْ يَأْخُذُهُ بِبَيَاضِ لَوْنِهِ

وَنَضَارَتِهِ، فَلِذَلِكَ سَمَاءُ الْمَوْتُ الْأَبْيَضُ. (٦٨: ٣)

الْجَوْهَرِيُّ: الْبَيَاضُ: لَوْنُ الْأَبْيَضِ، وَقَدْ قَالُوا:

بَيَاضٌ وَبَيَاضَةٌ، كَمَا قَالُوا: مَزَلٌ وَمَنْزَلَةٌ.

وقد بيّضت الشيء تبييضاً، فابيضَ ابيضاحاً،
وابيضَ ابيضاحاً.

وجمع الأبيض: بيض، وأصله: يبيض بضم الباء،
وأما أبدلوا من الضمة كسرة تصح الياء،

وبياضه فباضه يبيضه، أي غاقه في البياض،
ولانقل: يَبْوِضُ.

وهذا أشدّ بياضاً من كذا، ولانقل: أبيض منه،
وأهل الكوفة يقولونه: [ثم استشهد بشعر]

والأبيض: التيف، والجمع: البيض،
والبيضان من الناس: خلاف التودان.

قال ابن السكيت: الأبيضان: اللبن والماء، ومنه
قولهم: بيّضت السقاء، وبيّضت الإناء، أي ملأته من الماء
واللبن.

والأبيضان: عرقان في حالب البعير: [ثم استشهد
بشعر]

والتيّضة: واحدة البيّض من الحديد ويبيض الطائر
جميعاً.

وقولهم: «هو أذلّ من تيّضة البلد» أي من بيّضة
النعامة التي تتركها، [ثم استشهد بشعر]

والتيّضة: الخسفية، وبيّضة كل شيء: حوزته،
وبيّضة القوم: ساحتهم، [ثم استشهد بشعر]

والبيّض أيضاً: ورم يكون في يد الفرس مثل الثفنن
والغدغ، قال الأصمعي: هو من الميوب الهيبة، يقال: قد
باضت يد الفرس تبيض بيضاً.

وباضت الطائرة فهي بايضة،
ودجاجة يَبْوِضُ، إذا أكثرت البيّض، والجمع:

بيّض، مثال صَبُور وصَبْر، ويقال: ببيض، في لغة من
يقول في الرُّسل: رُسلٌ، وإنما كسرت الباء لتسلم الياء،
وابتاوض الرجل: لبس التّيضة.

وقولهم: «سدّ ابن ببيض الطريق» قال الأصمعي: هو
رجلٌ كان في الزمن الأول، يقال له: ابن ببيض، حتر
ناقته هل نبتة، فدّ بها الطريق، ومنع الناس من
سلوكها، [ثم استشهد بشعر]

والتيّضة، بكسر الباء: فرقة من الثنوية، وهم
أصحاب المقتع، سُمّوا بذلك لتبييضهم ثيابهم، مخالفة
للمسودة من أصحاب الدولة العباسية.

وبيّضة، بكسر الباء: اسم بلد، (٣: ٦٧-٦٨)
ابن فارس: الباء والياء والقناد أصل، ومشتق
منه والمشتق بالمتق.

فالأجمل: البياض من الألوان، يقال: ابيض الشيء،
وأما المشتق منه: فالتبيضة للذّجاجة وغيرها، والجمع:
البيّض، والمثبه بذلك: تيّضة الحديد.

ومن الاستعارة قولهم للعزيز في مكانه: هو بيّضة
البلد، أي يحفظ ويحصن كما تحفظ التّيضة، يقال: حمى
تيّضة الإسلام والدين.

فإذا هبّوا عن الذّليل المستضعف بأنّه تيّضة البلد،
يريدون أنّه مقروك مفرد كالتيّضة المقروكة بالعماء،
ولذلك تسمّى: التّيّضة التريكة، وقد فسّرت في
موضعها.

ويقال: باضت البهي، إذا سقطت زحافها، وياض
الحمر: اشتد، ويراد بذلك أنّه تمكّن كآته باض وفرّخ
وغوطن، (١: ٣٢٦)

البياض.	الْمَهْزُوبِي: وفي حديث ظبيان، وذكر جئير، قال:
والأبيضان: عِرْقَانِ فِي الْقَلْبِ، لِبَيَاضِهِمَا. [تم]	«وَكَانَتْ لَهُمُ الْبَيْضَاءُ وَالسُّودَاءُ وَفَارِسُ الْحَمْرَاءِ،
لستشهد بشعر]	وَالْجَزِيَّةُ الصُّفْرَاءُ».
ومارأيتُه مَطَّ أَيْبُضَانِ، يعني يومين أو شهرين،	أَرَادَ بِالْبَيْضَاءِ وَالسُّودَاءِ: الْخَرَابَ وَالْعَامِرَ مِنَ
وذلك لبياض الأيام.	الْأَرْضِ، لِأَنَّ الْمَوَاتِ مِنَ الْأَرْضِ يَكُونُ أَبْيَضَ، فَإِذَا
وبياض الكبد والقلب والطحُّفُ: مَا أَحَاطَ بِهِ، وقيل:	قُرِسَ فِيهِ لِلْفَرَسِ وَتَبَتِ الثَّيَابُ اسْوَدَّ وَاحْضَرَّ.
بياض القلب من الفرس: مَا طَافَ بِالنَّيْزِقِ مِنْ أَعْلَى	وَأَرَادَ بِفَارِسِ الْحَمْرَاءِ: الْعَجَمَ، وَبِالْجَزِيَّةِ الصُّفْرَاءِ:
القلب.	الذَّهَبِ، كَانُوا يَجْتَنُونَ الْخِرَاجَ ذَهَبًا. (٢٣١)
وبياض البطن: بَنَاتُ اللَّبَنِ وَشَحْمُ الْكُتْلِ وَنَحْوُ ذَلِكَ،	الْفُتَيْحَالِي: الْأَدَمُ مِنَ النَّاسِ: السُّودَ، وَمِنَ الْإِبِلِ:
سموها بِالْفَرَضِ كَمَا تَهْمُ أَرَادُوا ذَاتَ الْبَيَاضِ،	الْبَيْضَ، وَمِنَ الثَّيَابِ: الْحُمْرَ. (٣١٥)
وَالْمَيْيُضَةُ: أَصْحَابُ الْبَيَاضِ، كَقَوْلِكَ: الْمَسْوُودَةُ	[وَالِ الْإِسْتِعَارَةُ يُقَالُ: عَيْشٌ أَخْضَرُ، مَوْتٌ أَحْمَرُ،
وَالْحَكْمَةُ لِأَصْحَابِ السُّودِ وَالْحُمْرَةِ.	نَعْمَةُ بَيْضَاءَ. (٦٠٦)
وَكَلْبِيَّةٌ بَيْضَاءُ: عَلَيْهَا بَيَاضٌ الْحَدِيدِ.	أَبْنُ سَيْدِهِ: الْبَيَاضُ: خَدُّ السُّودِ، يَكُونُ ذَلِكَ فِي
وَالْبَضَامُ: الشَّمْسُ، لِبَيَاضِهَا.	الْجَبْهَةِ وَالثَّنَاتِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَنْقَلِبُ، حِكْمَةُ لِسَانِ
وَالْبَيْضُ: لَيْلَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةٍ وَخَمْسَ	الْأَهْرَاقِ فِي الْمَاءِ، وَلَقَدْ أَبَاضَ وَابْيَضَ. [تم استشهد
عَشْرَةَ.	بشعر]
وَكَلَّمْتُهُ فَا رَدَّ عَلَيَّ سَوْدَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ، أَيِ كَلِمَةٍ	وَأَبَاضَ الْكَلَامَ: ابْيَضَّ وَبَيَسَ.
قِيحَةٍ وَلَا حَسَنَةٍ، عَلَى الْمَثَلِ، وَكَلَامٌ أَبْيَضُ: مَشْرُوحٌ،	وَبَابِضِي فَبُيْضْتُ: كُنْتُ أُنَدِّمُهُ بَيَاضًا.
عَلَى الْمَثَلِ أَيْضًا.	وَأَبْيَضَتِ الْمَرْأَةُ وَأَبَاضَتْ: وَلِدَتْ الْبَيْضَ، وَكَذَلِكَ
وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ: الْحَبَّةُ الْمُبْرَهَنَةُ، وَهِيَ أَيْضًا الْيَدُ الَّتِي	الرَّجُلِ.
لَا تَحْمَنُ وَالَّتِي عَنْ غَيْرِ مَوْالٍ، وَذَلِكَ لِشَرْفِهَا فِي أَنْوَاعِ	وَفِي مِثْلِهِ بَيَاضَةٌ، أَيِ بَيَاضٌ، وَيَبِيضُ الشَّيْءُ: جَمَلُهُ
الْمِجَاجِ وَالطَّاءِ.	أَبْيَضٌ.
وَأَرْضٌ بَيْضَاءُ: مُتَلَسِّمَةٌ لِأَبْيَاضِهَا، كَأَنَّ الثَّيَابَ كَانَتْ	وَالْبَيَاضُ: الَّذِي يُبْيَضُ الثَّيَابُ، عَلَى التَّسْبِ لِأَعْلَى
يُسَوِّدُهَا، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي لَمْ تُؤْطَأْ، وَكَذَلِكَ الْبَيْضَةُ.	الْفِعْلُ، لِأَنَّ حَكْمَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مُبْيَضٌ.
وبياض الأرض: مَا لَا عِمَارَةَ فِيهِ، وَبَيَاضُ الْجِلْدِ: مَا	وَالْأَبْيَضُ: يَرْزُقُ الشُّرَّةَ، وَقِيلَ: يَرْزُقُ فِي الصُّلْبِ،
لَا شَعْرَ عَلَيْهِ.	وَقِيلَ: يَرْزُقُ فِي الْحَالِبِ، صَفَةُ غَالِبَةٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِمَكَانِ

والبيضة: مروفة، والجمع: بيض، وفي التثنية: «كَانَتْهُنَّ بَيْضٌ مَكُونُونَ» الصافات: ٤٩، وجمع البيض على يَبُوض، [ثم استشهد بشر]

وباض الطائر والنعامة بَيْضًا: ألقت بيضها، ودجاجة بياضة ويَبُوض: كثيرة البيض، والجمع: بَيْضٌ، فيمن قال: رُئِلَ، وبِيض فيمن قال: رُئِلَ، كسروا الباء لتسلم الياء ولا تنقلب، وقد قالوا: يَبُوضُ.

ورجل بياض: يبيع البيض، ذلك بياض، كما يقال: والد، وكذلك الثراب، [ثم استشهد بشر]

والبيضة: من السلاح، سميت بذلك لأنها على شكل بيضة النعام.

والبيضة: عنب بالطائف أبيض عظيم الحب، وبيضة الحيدر: الجارية، وبيضة المقر: مثل يضرب وذلك أن ثقب الجارية فتجرب بيضة، وبيضة البلد: تريقة النعامة.

بيضة البلد: حلي بن أبي طالب، أي أنه فرد ليس مثله في الشرف، كالبيضة التي هي تريقة وحدها ليس معها غيرها، وقد يذم بيضة البلد، [ثم استشهد بشر] وبيضة السنام: شحمته، وبيضة الجنين: أصله، وكلاهما على المثل، وبيضة القوم: وسطهم، وبيضة الذكر: وسطها، وبيضة الإسلام: جماعتهم، وبيضة القوم: أصلهم.

وباضوهم وابتاضوهم: استأصلوهم، وبيضة الصيف: مظهره، وبيضة الحر: شدته.

وباضت الأرض: اصفرّت خضرتها أو نفضت

الثمرة وأبيضت، وقيل: باضت: أخرجت ما فيها من الثبات، وقد باض: اشتد.

وابن بيض: رجل، وقيل: ابن بيض، والبيضة: اسم ماء، (٢٣٥: ٨)

البيضة: من حديد تلبس في الرأس، وابتاض: لبسها، (الإفصاح ١: ٦١٥)

البيض: هو الطير بمنزلة الولد للدواب، تضعه إناث الطير وتحتضنه إلى أن تفرخ، لجمع: يَبُوض، والواحدة: بيضة، والجمع: بَيْضَات.

باضت الدجاجة تبيض بياضًا: ألقت بيضها فهي باض، والجمع: بواض، وهي يَبُوض، (الإفصاح ٢: ٨٨٥) البياض: السنة البيضاء سر من الشبهاء، والسنة للشبهاء: التي ليس فيها مطر، (الإفصاح ٢: ٩٥٥)

العلم صبي: الأبيض: نقيض الأسود، والبياض: ضد السواد، يقال: أبيض وأبيض أبيضًا، وبيضة تبيض، وتبيض تبيضًا، وبيضة الطير، وبيضة الحديد، وبيضة الإسلام: مجتمعه، وابتاضوهم، أي استأصلوهم، لأنهم اقتتلوا بينهم، وأصل الباب: البياض، (١٣٤: ٢) نحوه الطبرسي، (٢٨٠: ١)

الراغب: البياض في الألوان: ضد السواد، يقال: أبيض أبيضًا وبياضًا، فهو مبيض وأبيض، قال عز وجل: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ... وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ...» آل عمران: ١٠٦، ١٠٧.

والأبيض: حرق سمي به لكونه أبيض، ولما كان البياض أفضل لو دُعي عندهم - كما قيل: البياض أفضل،

والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل - حَبَر
عن الفضل والكرم بالبياض، حتى قيل لمن لم يتدنس
بمَنَاب: هو أبيض الوجه.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ فابيضاض
الوجوه عبارة عن المسرة، واسودادها من الغم، وعلى
ذلك: ﴿وَإِذَا تَبَيَّرَ أَخَذَهُمْ بِالْأُتُنَى ظِلٌّ وَجْهَهُ مُنَوَّنًا﴾
التعل: ٥٨، وعلى نحو الابيضاض قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ
يُزْفِقُونَ نَاصِرَةٌ﴾ القيمة: ٢٢، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
مُشْفِقَةٌ﴾ ضاحكة مُشْتَبِهَةٌ عيس: ٣٨، ٣٩.

وليل: أَمَك بيضاء من قضاة، وعلى ذلك قوله
تعالى: ﴿بَيْضَاءٌ لَّذِي الشَّارِبِينَ﴾ الصافات: ٤٦. وسُمي
البَيْض لبياضه. الواحدة: بَيْضَة، وكُنِيَ عن المرأة بالبَيْضَة
تشبيها بها في اللون، وكونها مصونة تحت الجناح.

وبَيْضَة البلد: لما يقال في المدح والذم، أما المدح
فلمن كان مصوناً من بين أهل البلد ورئيساً فيهم. [تم
استشهد بشعر]

وأما الذم فلمن كان ذليلاً معرضاً لمن يتناوله،
كَبَيْضَة متروكة بالبلد، أي المرأة والمفازة.
وبَيْضَة الرَجُل، سَمِيَتْ بذلك تشبيهاً بها في الهينة
والبياض. يقال: باضت الدجاجة وبيض كذا، أي تمكّن.
[تم استشهد بشعر]

وباض الحُرُّ: تمكّن، وباضت يد المرأة، إذا ورمّت
ورمًا على هيئة البَيْض، ويقال: دجاجة بيوض ودجاج
بَيْض. (٦٦)

الرَّمْعَمُشَرِي: اجتمع للمرأة الأبيضان: الشحم
والشَّباب، وهو لا يشرب إلا الأبيضين. [تم استشهد

[بشعر]

ومارأيت هذا أبيضان، أي يومان. ودجاجة بيوض
ودجاج بَيْض، وغراب باض.

ومن الجاز: فلان يحوط بَيْضَة الإسلام، وبَيْضَة
قومه. وبيض بني فلان وابتاضهم: دخل في بيضتهم،
وأوقروا بهم فابتاضوهم، أي استأصلوا بيضتهم.
وباضت الأرض: انبت الكأة، وهي بَيْض الأرض،
وهي قُسر المثل: «هو أدلّ من بَيْضَة البلد» وبيض الحُرُّ:
استدّ. وأتبعه في بَيْضَة الفَيْظ وبيضاء الفَيْظ، وهي
صبيبه: بين طلوع شهيل والدبران. [تم استشهد

بشعر]

وباضني فلان: جاهرني. من يبيض النهار.
وخرس ذوبَيْض، وهي تَفَحُّ وغُدَّة تحدث في
بطنه. [تم استشهد

[بشعر]

وهي بَيْضَة الحَيْذَر، ومن بيضات الحبال.
وفي مثل: «كانت بَيْضَة الثغر» للحرّة الأخيرة.
«ولا يزال سوادي بياضك» أي شخصي شخصك.
وبيض الإماء: ملاء وفرغته. وعن بعض العرب:
ما بقي لهم صميل إلا بَيْض، أي سقاء يابس إلا ملى.
وفي مثل: «سَدَّ ابْنُ بَيْض الطَّرِيقَ».

(أساس البلاغة: ٣٤)
«لا تقوم الساعة حتى يظهر الموت الأبيض، قالوا:
يا رسول الله وما الموت الأبيض؟ قال: موت الفجاءة».
معنى البياض فيه: خلوه عما يُحْدِثه من لا يفاخص
من توبة واستغفار وقضاء حقوق لازمة، وغير ذلك، من

قولهم: بيضت الإثاء، إذا فرغته، وهو من الأضداد.

(الفائق ١: ١٤١)

عنه عليه السلام: «أعطيت الكثرين: الأحمر والأبيض».

(الفائق ١: ٣١٧)

هما الذهب والفضة.

المديني: في الحديث: «لا تسلط عليهم عدوا من

غيرهم فيستبيح بيضتهم» أي مجتمهم وموضع

سلطانهم ومستقر دعوتهم، وتشبيهاً بالبيضة لاجتماعها

وتلاصق أجزائها، واستاد ظاهرها إلى باطنها، وامتناع

باطنها بظاهرها.

وقيل: المراد بالبيضة: الميخر الذي هو من آلة

الحرب، فكأنه شبه مكان اجتماعهم وميخته انفعالهم

والشتمهم بيضة المديد التي تحمض الذكوع وقيل

القوارع.

وقيل: أي إذا أهلك الفراع التي غرقت بني النوبة

رثما انفكت منها بعضها، فإذا أهلكك البيضة كان في ذلك

هلاك كل ما فيها.

وفي الحديث: «فخذ الكافر في النار مثل البيضاء»

كأنه اسم جبل، لأنه في الحديث مقرون بـ «ورقان» وأحد.

وهما جبلان بالمدينة.

في الحديث: «أعطيت الكثرين: الأحمر والأبيض»

فالأحمر: ملك الشام، والأبيض: ملك فارس. قوله

في حفر المندق.

قال إبراهيم الحربي: إنما قال لملك فارس: الكثر

الأبيض، لبياض ألوانهم. ولذلك قيل لهم: بنو الأحرار.

يعني البيض، ولأن الغالب على كتوفهم الزيتي، وهو

أبيض، وإنما فصحا عمر رضي الله عنه، وأخذ أبيض

المدائن، وهو موضع المسجد اليوم.

قال: والنائب على ألوان أهل الشام الحنرة، وعلى

بيوت أموالهم الذهب، وهي حمراء.

في حديث دخول النبي المدينة للهجرة، قال:

«فطرنا فإذا برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين» بكسر

الياء وتشديد ها، أي لابسين ثياب بياض.

يقال: هم المبيضة والمسودة، وذلك فيما قيل: إن

الزبير رضي الله عنه، لقي رسول الله ﷺ في ركب قافلين

من الشام للتجارة مسلمين، فكسا رسول الله ﷺ أباهما

ثياب بياض. (١: ٢٠٦)

ابن الأثير: في حديث المدينية: «ثم جث بهم

ليبتك تغشها» أي أهلك وعشيرتك.

وفيه: «لمن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده»

بني النوبة

قال ابن قتيبة: الوجه في الحديث أن الله تعالى لما

أنزل «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» المائدة:

٣٨، قال النبي ﷺ: «لمن الله السارق يسرق البيضة

فتقطع يده» على ظاهر ما نزل عليه، يعني بيضة

الدجاجة ولحمرها.

ثم أعلمه الله تعالى بعد أن القطع لا يكون إلا في ربع

دينار فما فوقه، وأنكر تأويلها بالنوبة، لأن هذا ليس

موضع تكثير لما يأخذه السارق، إنما هو موضع تقليل،

فإنه لا يقال: قبح الله فلاناً عرض نفسه للضرب في عقد

جوهر، إنما يقال: لعنه الله تعرض لقطع يده في خلق رث

أو كبة سحر.

وفيه: «كان يأمرنا أن نصوم الأيام البيض» هذا

على حذف المضاف يريد أيام الليالي البيض، وهي
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت
ليالها بيضاء لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها.
وأكثر ما تجيء الرواية: الأيام البيض، والعتوب أن
يقال: أيام البيض بالإضافة، لأن البيض من صفة
الليالي.

ومنه حديث ثوبة كعب بن مالك: «فرأى رجلاً
مُهَيَّضًا يزول به السراب» ويجوز أن يكون مُهَيَّضًا
بسكون الباء وتشديد الضاد، من البياض، (١: ١٧٢)
المُضَفَّيْن: قيل: البيضة: ما بين واقصة إلى
المذيب، متصلة بالخرن لبني يربوع. وقيل: البيضة: لبني
دارم بالصَّمان. (٤: ١١)

من ألوان التمر: البيضة، والجمع: البيض.
والأبيض: كوكب في حاشية الجرة.
وابتاض: اختار.
والأبائض: حضبات تواجههن ثنية هرشى. وقد
ذكرت في «أبيض».

والبيضاء: الذأعية.
وابن بيض: لغة في ابن يتض.
والبيضاء: مدينة بفارس، والبيضاء: كورة بالمغرب.
والبيضاء: مدينة ببلاد المغرب.

والبيضاء: ماء لبني معاوية ابن صُقَيْل بنجد.
والبيضاء: هبة في جبل يسمى المناقب.
والبيضاء: ثنية التميم.
والبيضاء: أربع قرى بمصر.
والبيضاء: ماء لبني السُّلُول.

وقد يقال لمدينة حلب: البيضاء.

والبيضاء: موضع يسمى الزبدة.

والبيضاء: فرس قَتَب بن عَتَاب بن الحارث.

والبيضاء: دار قَتَرها حيد الله بن زياد ابن أبيه
بالبحرة.

والبيضاء: بيضاء البصرة، وهي المشقى.

وبيضان: جبل لبني سليم.

وبيضان الزروب: موضع.

والبيضان: موضع فوق زبادة. (٤: ٦٢)

الْقَيْصِي: باض الطائر ونحوه يبيض بيضاء فهو

بيض، والبيض له بمنزلة الولد للذؤاب، وجمع البيض:

يبيض، الواحدة: يَيْضَة، والجمع: يَيْضَات بسكون الياء.

ويجوز فتح على القياس.

ويجوز على الملاحظ أنه صنف كتابها فيها يبيض ويولد

من الحيوانات فأوسع في ذلك، فقال له هربي: يجمع

ذلك كله كلمتان: «كل أذن ولود وكل صموح يتوض».

والبياض: من الألوان، وهي: أبيض: ذوسياض،

وهو اسم فاعل، وبه سمي، ومنه: أبيض بن حمال

المأربي، والأثني: بيضاء، وبها سمي، ومنه: سهيل بن

بيضاء، والجمع: يبيض، والأصل: بضم الباء، لكن

كسرت لمجانسة الياء.

وقومهم: صام أيام البيض، هي مغفوعة بالإضافة

«أيام» إليها، وفي الكلام حذف، والتقدير: أيام الليالي

البيضاء، وهي ليلة ثلاث عشرة وليلة أربع عشرة وليلة

خمس عشرة.

وسميت هذه الليالي بالبيض لاستتارة جميعها

بالقمر، قال المطرزي: ومن فترها بالأيام فقد أبعد.

وابيض الشيء ايضاً، إذا صار ذا بياض.

(١: ٦٨)

القيروز ابادي، الأبيض: ضد الأسود، الجمع:

بيض، أصله: يُبيض بالضم، أبدلوه بالكسر لنصح الياء.

والسيف، والقضّة، وكوكب في حاشية الجرة، والزجل

التي المرض، وجبل العرج، وجبل بمكة، وقصر

للأكاسرة، وكان من العجائب إلى أن نقضه المكتبي،

وبني بشرفاته أساس الشاج، وبأساسه شرفاته،

فتعجب من هذا الانقلاب.

والأبيضان: اللبن والماء، أو السحيم واللبن، أو

السحيم والشباب، أو الخبز والماء، أو الحطة والماء.

ومأريته مذ أبيضان: مذ شهران أو يومان.

والموت الأبيض: القبأة، والأبيض: في باب خيم

والبيضاء: الداهية، والحطة، والرطب من الثلث،

والخراب، والخراب، والقدر كأتم بضاء، وحياته

الصائد، وفرس قنّب بن صّاب.

وهذا أشدّ بياضاً منه وأبيض منه، شاذّ كوفي.

والبيضة: واحدة بيض الطائر، الجمع: بيوض

وبيوضات، والحديد، والخضية، وخوذة كل شيء،

وساحة القوم، وموضع بالصّمان، ويكسر.

وبيضة النهار: بياضه.

وهو أذلّ من بيضة البلد: من بيضة الثعام التي

تركها.

وهو بيضة البلد: واحد الذي يجمع إليه ويقبل

قوله، ضدّ.

وبيضة البلد: الفقع.

وبيضة المقر: يبيضها الذئب مرة واحدة، ثمّ

لا يعود.

وبيضة الجدر: جاريته.

والبيضتان، ويكسر: موضع فوق زبالة.

والبيضة بالكسر: الأرض البيضاء الملساء، ولون

من الشعر، الجمع: البيض.

وابن بيض وقد يفتح، أو هو وهم للجوهري: تاجر

مكثر من عاد، عثر ناقته على نبتة، فدّجها الطريق،

ومنع الناس من سلوكها.

وبيضات ويهضان الزروب بالكسر: بلد. والبيضان:

جبل لبني سليم، وضدّ السودان.

والبيض بالفتح: وزم في يد الفرس، وقد باضت يده

بيضاً، والدجاجة فهي باض وبيوض، الجمع:

بيوض وبيض ككتّوب وبيل، والحر: اشتدّ، والبهمن:

سقطت نصالها، كأهاضت وبيّضت، وفلاناً: غلبه في

البياض، والصور: ذهب بلكته، وبالمكان: أقام.

والشعاب: قطر.

ولمرأة ثبيضة: ولدت البيضان، ومُسودة: ضدّها،

ولهم لغة يقولون: أبيض حبالاً وأسيدي حبالاً.

وبيضة: ضدّ سود، وملاء، وفرغه، ضدّ.

والثبيضة كمتحدثة: فرقة من الثبوية لتبييضهم

ثيابهم مخالفة للمسودة من العباسيين.

وابتاض: ليس البيضة، والقوم: استأصلهم

فانقضوا، وايض وايض: ضدّ اسود واشواد.

وأيام البيض، أي أيام الليالي البيض وهي الثالث

عشر إلى الخامس عشر، أو الثاني عشر إلى الرابع عشر، ولا تقل: الأيام البيض. (٢: ٢٣٧)

الْقَلْبَقَشْنَدِيّ: اللون الأول: البياض، ومنه: الأبيض الصافي، والأشقر وهو ما كان يملوه حمرة، فإن كان الغالب في شقرته البياض قيل: فِضِّي، فإن زاد قيل: أشقر. (٢: ٩٨)

الْعَزِيمِيّ: وفي الحديث: «التقصير في بياض يومه» يريد من الفجر إلى الغروب.

وفي حديث الحائض: «يمسك عنها زوجها حتى ترى البياض» يريد الظهر من الحيض.

والْبَيْضَةُ: واحد البيض، من الطير والحديد.

والْبَيْضَتَانِ: أنثى الرجل.

والْبَيْضَاءُ: أحد فلانس النبي ﷺ التي كان يلبسها.

وفي وصف الشريعة: يكونها بياض نقيّة، على كرمها وفضلها، لأنّ البياض لما كان أفضل لون عند العرب فُهِرَ به من الكرم والفضل، حتى قيل لمن لم يتدّس بمحاب: هو أبيض الوجه. ويحتمل أن يكون المراد منها كونها مصونة عن التبديل والتعريف، خالية عن التكاليف الشائكة. (٤: ١٩٨)

مَجْمَعُ اللَّغَةِ: البياض: ضدّ السود، يقال: أبيض، أي صار أبيض وهي بياض. والجمع: بيض، وبياض الوجه يكتفى به من الإعراق والشرور.

٢- والْبَيْض ما يلقيه الطائر ليحضنه، وقد شُبّهت به حور البنت في قوله تعالى: «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ» المصافات: ٤٩. (١: ١٣٨)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (٩: ٨٤)

الْقَذَنَانِيّ: البيض: ويجمعون الأبيض: على بيسان، والصواب على بيس، لأنّ القياس هو أن يجمع «أفعل قذلاء» على «فعل» ومؤنث الأبيض هو البيضاء.

وقد قال تعالى: «وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» طاهر: ٢٧، الجُدَد: جمع جُدَّة، وهي طريق في الجبل وغيره. [تم ذكر

حديث الأمر بالصوم في أيام البيض المتقدم في النهاية] ومن ذكر «البيض» أيضًا: معجم ألفاظ القرآن

الكريم، والصبحاح، والمُغْرِب، والمختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتاج، والمدّ، ومحيط المحيط،

وأقرب الموارد، والمثنى، والوسيط.

أما الجمع: بيسان، فلا يطلق إلا على الناس، لأنهم هلال السودان، كما قال الصبحاح، واللّسان،

والقاموس، والتاج، والمدّ، ومحيط المحيط، والمثنى.

والْبَيْضَانِ أَيْضًا:

١- جمع بَيْضَة، وهي الخُضْبَة.

٢- اسم جبل لبني سُلَيْم.

الْمَيْض:

ويستون محلّ البيض في بطن الأنثى: مَيْضَتَا،

والصواب: مَيْض، لأنّ اسم المكان يُصاغ من الثنائي على وزن «مقيّل»، إنا كان الفعل صحيح الآخر مكسور العين في المضارع، مثل: يَيْض. فأصل هذا الفعل هو يَيْض، ثمّ تحول إلى يَيْض بالإعلال بالتسكين.

وقد ذكر قاموس جتّي الطيّب المبيض مرارًا، لكسّته - كمادته - لم يضيّطه بالشكل.

والمَيْض هو أيضًا: المكان الذي تضع فيه القطاة

والدَّجاجة وغيرها بيوضها، ابن سيده، والتَّاج في مادة - فمض - والمد.

بَيْضَة البلد:

ويحفظون من يقول حين يريد أن يذم رجلاً: هذا بَيْضَة البلد. ويقولون: إنَّ هذه الجملة لا تعني إلا أن فلاناً سيء في بلده، ويؤيدهم في قولهم هذا: المعجم الوسيط الذي جاء فيه: فلان بيضة البلد، إذا عُرف بالبادية. ولكن:

١- قال ابن الأعرابي، وأبو حاتم الشَّجَنَانِي، وأبو بكر الزَّيْنِدِي، ومعجم مقاييس اللغة، وابن سيده، وابن منظور، وأدورد لين، وأحمد رضا: إنَّ بَيْضَة البلد تعني المدح والذَّم، وقد وضع اللسان ذلك بقوة: بَيْضَة البلد: تريكة التمام. وبَيْضَة البلد: السيّد، عن ابن الأعرابي: وقد يُذَمُّ ببَيْضَة البلد. ولتكن في الذَّمِّ المرأسي:

لو كنتَ من أحد مُجبي هجوئكم

ابن الرُّقَاع، ولكن لستَ من أحدٍ تأبى قضاة لم تعرف لكم نسباً

وابن يزل، فأنتم بيضة البلد أراد أنه لا نسب له ولا عشيرة تحميه، قال: وسئل ابن الأعرابي عن ذلك، فقال: إذا مدح بها فهي التي فيها الفرخ، لأنَّ الظلم ذكر التمام حيث يَصُونُها، وإذا ذمَّ بها فهي التي قد خرج الفرخ منها، ورعى بها الظلم، فداسها التماس والإبل.

٢- وذكر ابن الأنباري أنَّ «بَيْضَة البلد» من الأضداد، فيقال للرجل إذا مدح: هو بَيْضَة البلد، أي

واحد أهله والمظنور إليه منهم، ويقال للرجل إذا ذمَّ: هو بَيْضَة البلد، أي هو حقير مهين كالْبَيْضَة التي تُفسدها التمام فتتركها مُلقاةً، لا تلتفت إليها.

قالت امرأة من العرب ترضي حمراً بن عبد ودّ، وتذكر قتل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، إتياء: لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ما أقام الروح في جسدي لكن قاتله من لا يحاب به

وكان يُدعى قديماً بَيْضَة البلد. وهنا جاءت بَيْضَة البلد في المدح. ٣- واكتل الصَّحاح بالمعنى السَّليّ لبَيْضَة البلد: فتكل: فلان أذلّ من بَيْضَة البلد. وأنا أنصح بأن نكتفي بالمعنى الإيجابي المدح في قولنا: فلان بَيْضَة البلد، لأنَّ المعنى المشهور المتداول، راجع مادة الأضداد في هذا المعجم.

دجاجة بانض، بيوض، بياضة

ويقولون: هذه الدَّجاجة بانضة. والصواب:

١- بانض، كما قال الأزهرّي، والصَّحاح، والمختار، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتَّاج، والمد، ومحيط المحيط، والمثنى، والوسيط، وجمعها: بوانض. وذكر أن سبب قولنا: دجاجة بانض بدلاً من بانضة، هو أن الذَّيك لا يبيض: الأزهرّي، واللسان، والتَّاج، والمد.

ذكر المصباح «بانض» بدلاً من «بانضة».

٢- ويوض، الصَّحاح والمحكم، ومفردات الزَّاغبي الأصفهاني، والأساس، والمختار، والمصباح، والقاموس،

والثاج، والمدة، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن،
والوسيط.

وذكر الصحاح، والثاج، والمدة: أن الدجاجة
التي بوض هي التي تبض كثيرا.

وتجمع التيوض على: بُيُض وبُيُض، وزاد الثاج
والمتن جمعا ثالثا هو: بُوْض.

٢- وبياضة: المحكم، ومستدرک الثاج، والمدة،
والمتن، والوسيط.

ومجيز المحكم، والثاج أن تقول للذي: هو بانيض
أيضا، كما يقال: للأب والد، وللغراب. كقول الشاعر:

● بحيث يَحْتَشُّ الغراب البانيض ● [ثم استشهد

بشعر آخر]

وأوصي بإهمال استعمال بيضة الديك، لأن الذي
لا يبيض.

محمود شيت، أ- الأبيض: السيد.

ب - البيضة: المودة الحديدية التي يلبسها الجنود
والضباط في الحرب، وفي التدريب الإجمالي ونحوها.

ج - البياض: من أرباب الحرف الإداريين الذين
يبيضون القدور ونحوها بالتقدير. (١: ١٠٣)

المُضْطَفَوِي: الأصل الواحد في هذه المادة: هو
لون البياض، وباعتبار كون البياض أحسن لون من جهة
الضياء والتور، يستعار به عن الفضل والكرم والمسرة
وأمانها، في مقابل ما يرادف الظلمة والوحشة والضلال.
ولما كان البياض أول ما يترأى من البيضة حين
خروجها من الدجاجة، سميت بها.

وأما بيضتا الرجل تشبيها لها بالبيضة في الشكل،

وفي كونها لها بين الرجلين، وأنها مبدأ تكون حيوان.
وأما بيضة البلد: فلكونها متكونة من تمدن مملكة
أودين، ثم تستنتج منها نتائج مدنية وروحانية، كالبيضة
المتكونة من الحيوان التي يخرج منها حيوان آخر، [ثم
ذكر الآيات وقال:]

ولم يُصمَل من هذه المادة وأمانها صيغ مجردة، إذ
البياض والسواد والظلمة وما يشابهها غير قابلة
للاتساق، فهي بمنائها الحقيقي ثابتة في موضوعاتها
لا تقبل المحدث والتجدد إلا إذا كانت على صيغة
«افعل» أو «افعال» إذا أريد عروض المعنى إلى ذات في
المرنة الثانية لاذات.

وأما الصيغ المجردة من الصفات لاسم الأفعال،
فلا تلتصق في اشتقاقها، كما في الأبيض والبيضاء والبيض.
فالفرق بين الأبيض وأبيض: أن الأول يدل على ذات
ثبت فيها البياض، والثاني على حدوث البياض لذات
وثبوتها فيها. (١: ٣٤٣)

النصوص التفسيرية

الأبيض

أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الزَّوْفُ إِلَى نِسَائِكُمْ... وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...

البقرة: ١٨٧

التَّبَيَّنَ يَتَبَيَّنُ: عن عدي بن حاتم قال: قلت

بارسول الله، قول الله: (وَكُلُوا) الآية.

قال: هو بياض النهار وسواد الليل.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧٢)

لا يمتنعكم من سحورككم أذان بلال، ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق.

[وفي رواية أخرى] لا يمتنعكم نداء بلال، ولا هذا البياض، حتى يبدؤ الفجر وينفجر.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧٣)

الإمام علي عليه السلام: (إنه لما صلى الفجر قال: هذا حين يتبين «الخطيط الأبيض» من «الخطيط الأسود» من الفجر).

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧٤)

ابن عباس: يعني الليل من النهار، فأحل لكم الجماعة والأكل والشرب، حتى يتبين لكم الصبح، فإذا تبين الصبح حرم عليهم الجماعة والأكل والشرب، حتى يتنوا الصيام إلى الليل. فأمر بصوم النهار إلى الليل، وأمر بالإفطار بالليل.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧٥)

هما فجران، فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئاً، ولكن الفجر الذي يستبين على رؤوس الجبال هو الذي يحرم الشراب.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧٣)

المحسن: الليل من النهار.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧١)

الإمام الباقر عليه السلام: [في جواب كتاب حصين بن أبي الحصين]

الفجر رحمك الله: الخطيط الأبيض، وليس هو الأبيض صمداً، ولا متصل في سفر وحضر حتى تنشبهه رحمك الله، فإن الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا، فقال: «كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»، فالخطيط الأبيض هو

الفجر الذي يحرم به الأكل والشرب في الصيام، وكذلك هو الذي يوجب الصلاة.

(البحراني ٢: ٩١)

قتادة: فيها عِلْمَانِ وحدان بيّنان، فلا يمتنعكم أذان مؤذن مُرَاءٍ، أو قليل العقل من سحورككم، فإنهم يؤذنون بصح من الليل طويل، وقد يُمرى بياض ما على السحر، يقال له: الصبح الكاذب، كانت تسميه العرب، فلا يمتنعكم ذلك من سحورككم، فإن الصبح لا يخفاء به، طريقة معترضة في الأفق، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الصبح، فإذا رأيتم ذلك فامسكوا.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧١)

الشَّاذِي: حتى يتبين لكم النهار من الليل، ثم أتموا الصيام إلى الليل.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧١)

ابن زيد: الخطيط الأبيض: الذي يكون من تحت الليل يكنف الليل، والأسود: ما فوقه.

(الطَّبْرِيُّ ٢: ١٧٦)

الطَّبْرِيُّ: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْآيَةُ»، فقال بعضهم: يعني بقوله: «الخطيط الأبيض»: ضوء النهار، وبقوله: «الخطيط الأسود»: سواد الليل.

فتأويله على قول قائل هذه المقالة: وكلوا بالليل في شهر صومكم، واشربوا، وياشربوا نساءكم، مبتئين ما كتب الله لكم من الولد، من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار، بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده، [إلى أن قال:]

عن سهل بن سعد، قال: نزلت هذه الآية: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ» الآية، فلم ينزل «مِنَ الْفَجْرِ»،

وأما الخبر الذي روي عن حذيفة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْعُرُ وَأَنَا أَرَى مَوَاقِعَ النَّبْلِ». فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَنْبَت فِيهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَجِدَ الصَّبْحَ؟ فَلَمْ يَجِبْ فِي ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَ بَعْدَ الصَّبْحِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: هُوَ الصَّبْحُ، وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: هُوَ الصَّبْحُ لِقَرِيبِهِ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ جَمِينَهُ، كَمَا يَقُولُ الْعَرَبُ: هَذَا فُلَانٌ شَبِيهَاً، وَهِيَ تَشِيرُ إِلَى غَيْرِ الَّذِي سَمَّاهُ، فَتَقُولُ: هُوَ هُوَ، تَشْبِيهَاً مِنْهَا لَهُ بِهِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُ حَذِيفَةَ: هُوَ الصَّبْحُ، مَعْنَاهُ: هُوَ الصَّبْحُ شَبِيهَاً بِهِ وَفَرَمًا مِنْهُ. (١٧٦: ١٧١ - ١٧٦)

نحوه القُرطبي

الزَّجَّاجُ: هَا فَجْرَانِ: أَحَدُهُمَا: يَهْدُو أَسْوَدَ مَعْرُضًا وَهُوَ النَّبْلُ الْأَسْوَدُ، وَالْأُخَرُ: يَطْلُعُ سَاطِعًا يَلَا الْأَفْقَ. وَحَدَّثَنَا عَنْ يَسِينِ بْنِ لَكَمٍ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ فِي فَرْضِهِ مَا يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ. (٢٥٧: ١)

العاوِزِيُّ: اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِـ«الْحَنِيطِ الْأَبْيَضِ» وَ«الْحَنِيطِ الْأَسْوَدِ» عَلَى ثَلَاثَةِ أَقَاوِيلَ:

أَحَدُهَا: مَارِوَاهُ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ [وَقَدْ سَبَقَ] وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ يَرِيدُ بِـ«الْحَنِيطِ الْأَبْيَضِ» ضَوْءَ النَّهَارِ: وَهُوَ الضَّجَرُ الثَّانِي، وَبِـ«الْحَنِيطِ الْأَسْوَدِ»: سَوَادَ اللَّيْلِ، قَبْلَ الضَّجَرِ الثَّانِي.

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ [الْمَدِينِيُّ] وَهَدَّ سَبَقَ]

وَسَمِيَ خَبِطًا، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَدُورُ مِنَ الْبَيَاضِ مَحْدَةً كَالْحَنِيطِ [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرِهِ]

قَالَ: فَكَانَ رَجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدَهُمْ فِي رِجْلِهِ الْحَنِيطَ الْأَسْوَدَ وَالْحَنِيطَ الْأَبْيَضَ، فَلَا يَزَالُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿مِنْ الْقُبُورِ﴾، فَعَلِمُوا أَنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

وَقَالَ مَتَأَوَّلُو قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿عَنَى يَتَبَيَّنُ﴾ الْآيَةُ، إِنَّهُ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ، صِفَةُ ذَلِكَ الْبَيَاضِ أَنْ يَكُونَ مُتَشَرِّعًا مُسْتَظِيفًا فِي السَّمَاءِ، يَمْلَأُ بَيَاضَهُ وَضَوْؤُهُ الطَّرْقَ. فَأَمَّا الضَّوُّ السَّاطِعُ فِي السَّمَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ الَّذِي عَنَاهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الْحَنِيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَنِيطِ الْأَسْوَدِ﴾.

عَنِ أَبِي جَمْرٍ: الضَّوُّ السَّاطِعُ فِي السَّمَاءِ لَيْسَ بِالصَّبْحِ، وَلَكِنْ ذَاكَ الصَّبْحُ الْكَاذِبُ، إِنَّمَا الصَّبْحُ إِذَا انْطَضَحَ الْأَفْقُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: «الْحَنِيطُ الْأَبْيَضُ»: هُوَ بَطْنُ الْفَجْرِ الْوَاضِعِ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ السَّمْسَ، وَ«الْحَنِيطُ الْأَسْوَدُ»: هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَأَوَّلُ التَّأْوِيلَيْنِ بِالْآيَةِ: التَّأْوِيلُ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَنِيطُ الْأَبْيَضُ»: بَيَاضُ النَّهَارِ، وَ«الْحَنِيطُ الْأَسْوَدُ»: سَوَادُ اللَّيْلِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَعْرِهِ]

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ شَرِبَ أَوْ تَسَعَّرَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ غَيْرُ دَافِعٍ صَحَّةً مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَكُونَ ﷺ شَرِبَ قَبْلَ الضَّجَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، إِذْ كَانَتْ الصَّلَاةُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، هِيَ عَلَى عَهْدِهِ كَانَتْ تَصَلَّى بَعْدَ مَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ، وَيَتَبَيَّنُ طُلُوعُهُ، وَيُؤَذَّنُ لَهَا قَبْلَ طُلُوعِهِ.

والخيط في كلامهم عبارة عن اللون.

والثالث: ما حكي عن حذيفة بن اليمان أن «الخَيْطُ الْأَبْيَضُ»: ضوء الشمس، وروي نحوه عن عليّ وابن مسعود، وقد روى زُبد بن حُبَيْش عن حذيفة، قال: «كان النبيّ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل». [وقد مرّ عند الطبريّ، ثم قال:]

وهذا قول قد انعقد الإجماع على خلافه. (٢٤٥: ١)
الطُّوسِيّ: يعني بياض الفجر من سواد الليل، وقيل: خيط الفجر الثاني بما كان في موضعه من الظلام، وقيل: النهار من الليل، فأول النهار: طلوع الفجر الثاني، لأنه أوسع ضياء. [ثم استشهد بشعر]

وروي عن حذيفة والأعمش وجماعة: أن «الخَيْطُ الْأَبْيَضُ»: هو ضوء الشمس، وجعلوا أول النهار طلوع الشمس، كما أن آخره: غروبها، ولا يختلف في الغروب. وأكثر المفسرين على القول الأول، وعليه جميع الفقهاء، لا خلاف فيه بين الأئمة اليوم. (١٢٤: ٢)
البَغَوِيُّ: يعني بياض النهار من سواد الليل، سميا خيطين لأن كل واحد منها يبدو في الابتداء محمداً كالخيط. (٢٢٩: ١)

الرُّمَحْشَرِيُّ: «الخَيْطُ الْأَبْيَضُ»: هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق، كالخيط المحدود: و«الخَيْطُ الْأَسْوَدُ»: ما يمتدّ معه من غيش الليل، شبهها بغيطين أبيض وأسود. (٣٣٩: ١)

ابن عَطِيَّة: و«الخَيْطُ»: استمارة، وتشبيه لرقّة البياض أولاً، ورقّة السواد المحاف به. [ثم استشهد بشعر]

وقال بعض المفسرين: «الخَيْطُ»: اللون، وهذا لا يطرد لغة. والمراد فيما قال جميع العلماء: بياض النهار وسواد الليل، وهو نص قول النبيّ ﷺ لعديّ بن حاتم، في حديثه المشهور. (٢٥٨: ١)

الطُّبْرَسِيُّ: أي يظهر ويتميّز لكم على التحقيق «الخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» أي النهار من الليل، فأول النهار: طلوع الفجر الثاني، وقيل: بياض الفجر من سواد الليل، وقيل: بياض أول النهار من سواد آخر الليل.

وأما شبه ذلك بـ«الخَيْطِ» لأنّ القدر الذي يحرم الإطّار من البياض يشبه الخيط، فيزول به مثله من الكبود، ولا اعتبار بالانتشار. (٢٨١: ١)
الفَخْرُ الرَّازِيُّ: فيه مسائل.

المِثَالَةُ الْأُولَى: روي أنّه لما نزلت هذه الآية قال عديّ بن حاتم. [وذكر الحديث كما تقدّم]
وقال [عليه السلام]: «إِنَّكَ لَمَرِيضُ الْقَنَاءِ، إِنَّمَا ذَلِكَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ» وإِنَّمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكَ لَمَرِيضُ الْقَنَاءِ» لأنّ ذلك مما يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى بِلَاهَةِ الرَّجُلِ. ونقول: يدلّ قطعاً على أنّه تعالى كفى بذلك عن بياض أول النهار وسواد آخر الليل.

وفيه إشكال وهو أن بياض الصّبح المشبه بـ«الخَيْطِ الْأَسْوَدِ» وهو بياض الصّبح الكاذب، لأنّه بياض مستطيل يشبه الخيط، فأما بياض الصّبح الصادق فهو بياض مستدير في الأفق، فكان يلزم بمقتضى هذه الآية أن يكون أول النهار من طلوع الصّبح الكاذب، وبالإجماع أنّه ليس كذلك.

وجوابه: أنه لولا قوله تعالى في آخر هذه الآية: (مِنَ الْقَجْرِ)، لكان السؤال لازماً، وذلك لأنَّ القجر إنما يسمى فجرًا، لأنه ينفجر منه التور. وذلك إنما يحصل في الصبح الثاني لاني الصبح الأول، فلما دلت الآية على أنَّ هذا ﴿الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ يجب أن يكون من الفجر، علمنا أنه ليس المراد منه الصبح الكاذب بل الصبح الصادق. فإن قيل: فكيف يشبه الصبح الصادق بالخيوط، مع أنَّ الصبح الصادق ليس بمسطيل والخيوط مستطيل. جوابه: أنَّ القدر من البياض الذي يحرم هو أول الصبح الصادق، وأول الصبح الصادق لا يكون منتشرًا بل يكون صغيرًا دقيقًا، بل الفرق بينه وبين الصبح الكاذب: أنَّ الصبح الكاذب يطلع دقيقًا، والصادق يندو دقيقًا، ويرتفع مستطيلًا، فزال السؤال.

فأما ما حكى عن عدي بن حاتم فجيد، لأنه يجيب أن يعلل على مثله هذه الاستمارة مع قوله تعالى: ﴿مِنَ الْقَجْرِ﴾. [إلى أن قال:]

المسألة الرابعة: زعم الأعشى أنه يحمل الأكل والشرب والجساع بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس، قياسًا لأول النهار على آخره، فكأنَّ آخره بنروب القرص، وجب أن يكون أوله بطلوع القرص. وقال: في الآية أنَّ المراد بـ﴿الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ و﴿الْحَيْطُ الْأَسْوَدُ﴾: النهار والليل، ووجه شبه ليس إلا في البياض والسواد، فأما أن يكون التشبيه في الشكل مرادًا، فهذا غير جائز، لأنَّ ظلمة الأفق حال طلوع الصبح لا يمكن تشبيهها بالخيوط السوداء في الشكل ألبتة، فثبت أنَّ المراد بـ﴿الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ و﴿الْحَيْطُ

الْأَسْوَدُ﴾ هو النهار والليل.

ثم لما بحثنا عن حقيقة الليل في قوله: ﴿قَدْ أَقْبَوْا الضِّيَاءَ إِلَى الْبُيُوتِ﴾ وجدناها عبارة عن زمان غيبة الشمس، بدليل أنَّ الله تعالى سقى ما بعد المغرب ليلاً مع بقاء الضوء فيه: فثبت أن يكون الأمر في الطرف الأول من النهار كذلك، فيكون قبل طلوع الشمس ليلاً، وأن لا يوجد النهار إلا عند طلوع القرص، لهذا تقرير قول الأعشى.

ومن الناس من سلم أنَّ أول النهار إنما يكون من طلوع الصبح، فمأس عليه آخر النهار، ومنهم من قال: لا يجوز الإفطار إلا بعد غروب الشمس، ومنهم من زاد عليه وقال: بل لا يجوز الإفطار إلا عند طلوع الكواكب، وهذه المذاهب قد انقضت، والفقهاء أجمروا على

ظلالها، فلا فائدة في استقصاء الكلام فيها.

المسألة الخامسة: قوله تعالى: (مِنَ الْقَجْرِ) فقيل: للتعبير، لأنَّ المختبر بعض الفجر لا كله، وقيل: للتمييز، كأنه قيل: الخيط الأبيض الذي هو الفجر.

(١٢٠: ٥)

(١٢٣: ١١)

نحوه الشربيني.

أبو حيان: ظاهره أنه الخيط المهود، ولذلك كان جماعة من الصحابة إذا أرادوا الصوم، ربط أحدهم في رجله خيطاً أبيض وخيطاً أسود، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له، إلى أن نزل قوله تعالى: (مِنَ الْقَجْرِ)، فسلموا إنما عني بذلك من الليل والنهار، روى ذلك سهل بن سعد في نزول هذه الآية، وروى أنه كان بين نزول: (وَكُلُوا) الآية، وبين نزول: (مِنَ الْقَجْرِ) سنة

من رمضان إلى رمضان.

قال الزُّنْشَرِيُّ: ومن لا يجوز تأخير البيان، وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين، وهو مذهب أبي عليّ وأبي هاشم، فلم يصحّ عندهم هذا الحديث، لمحق حديث سهل بن سعد. وأما من يجوزُه فيقول: ليس بعيب، لأنّ الخطاب يستفيد منه وجوب الخطاب، ويهزم على فعله إذا استوضح المراد به، انتهى كلامه.

وليس هذا عندي من تأخير البيان إلى وقت الحاجة، بل هو من باب التسخين، ألا ترى أن الصحابة عملت به، أعني بإجراء اللفظ على ظاهره، إلى أن نزلت: ﴿مِنَ النَّجْرِ﴾، فنسخ حمل «الْحَبِطُ الْأَبْيَضُ» و«الْحَبِطُ الْأَسْوَدُ» على ظاهرهما، وصارا ذلك مجازين، شبه بالحبط الأبيض: ما يبدو من القبر المعترض في الأفق، وبالأسود: ما يندب منه من خيش الليل، ~~فكأنهم~~ أبيض وأسود.

وأخرجه من الاستعارة إلى التشبيه قوله: (مِنْ
الْقَبْرِ) كقولك: رأيت أسفاً من زيد، فلو لم يذكر «مِنْ»
زيد» كان استعارة، وكان التشبيه هنا أبلغ من
الاستعارة، لأن الاستعارة لا تكون إلا حيث يدل عليها
المثال أو الكلام، وهنا ثلث يأت (مِنْ الْقَبْرِ) لم يحط
بالاستعارة، ولذلك فهم الصحابة الحقيقة من الخيطين
قبل نزول (مِنْ الْقَبْرِ).

حقاً أن بعضهم، وهو عدي بن حاتم غفل عن هذا التشبيه، وعن بيان قوله: (مِنَ النَّجْرِ) فعمل الخيطين على الحقيقة، وحكى ذلك لرسول الله ﷺ فضحك، وقال: «إن كان وسادك لعريضا»، وروى: «إنك لعريض

القفا، إنما ذاك سياتي النهار وسواد الليل». والقفا المريض يستدلّ به على قلّة فطنة الرجل. [ثمّ ذكر قول الزجاج بأنّها هجران، وأضاف:]

فمنه الشيطان: ها الفجران، سمياً بذلك لامتدادهما
تسبباً بالمعطين، وقوله: (إِنَّ الْفَجْرَ بَدَلٌ عَلَى أَنَّهُ أُرِيدَ
بِالْمُحِيطِ الْآبِضِ): الصَّحُّ الصَّادِقُ، وهو البياض
المطير في الأفق. لا الصَّحُّ الكاذب، وهو البياض
المستطيل، لأنَّ الفجر هو انفجار النور، وهو بالتَّأْنِي
لا بالأَوَّلِ.

وشبهه (الخط) وذلك بأول حاله، لأنه يبدو
واقفاً، ثم يرتفع مستطيراً، فيطلع أوله في الأفق يجب
الإنصاف له. هذا مذهب الجمهور، وبه أخذ الناس، ومضت
خطية الأعصار والأمصار، وهو مختص حديث ابن
سليم بن جندب.

وقيل : يجب الإمساك بتبَيِّن الفجر في الطرق وعلى رؤوس الجبال، وهذا مروي عن عثمان وحذيفة وابن عباس وطلق بن علي وعطاء والأعمش وغيرهم.

وروي عن عليٍّ أنه صلى الصبح بالناس، ثم قال: «الآن تَبَيَّنَ الخيط الأبيض من الخيط الأسود»، ومما قادهم إلى هذا القول أنهم يرون أَنَّ الصَّوْمَ إِنَّمَا هُوَ فِي النَّهَارِ، وَالنَّهَارُ عِنْدَهُمْ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا.

[إلى أن قال:]

و(من) الأولى هي لابتداء الغاية، قيل: وهي مع ما بعدها في موضع نصب، لأنَّ المعنى حتَّى يبين الخيط الأبيض الخيط الأسود، كما يقال: بانت اليد من زلدها، أي فارقتها.

و(من) الثانية للتبويض، لأن «الخط الأبيض» هو بعض الفجر وأوله، ويعلق أيضا ب(يتبين)، وجاز تعلق الحرفين بفعل واحد وقد اتحد اللفظ لاختلاف المعنى، ف(من) الأولى هي لابتداء الفاية و(من) الثانية هي للتبويض.

ويجوز أن يكون للتبويض للخطين معا على قول الزجاج، لأن الفجر عنده فجران، فيكون الفجر هنا لا يراد به الأفراد بل يكون جنسا. قيل: ويجوز أن يكون (من الفجر) حالا من الضمير في الأبيض، فعل هذا بتعلق بمحذوف، أي كائنا من الفجر.

ومن أجاز أن تكون (من) للبيان أجاز ذلك هنا، لكأنه قيل: حتى يتبين لكم «الخط الأبيض» الذي هو الفجر «من الخط الأسود» واكتفى ببيان «الخط الأبيض» عن بيان «الخط الأسود» لأن بيان أحدهما بيان للثاني.

وكان الاكتفاء به أولى، لأن المقصود بالتبين والمنوط بتبينه الحكم من إياحة المباشرة والأكل والشرب، ولتعلق اللفظ لو صرح به؛ إذ كان يكون (حتى يتبين لكم الخط الأبيض من الخط الأسود من الفجر إلى الليل، فيكون (من الفجر) بيانا للخط الأبيض، و(من الليل) بيانا للخط الأسود، ولكون «من الخط الأسود» جاء فضلا، فتناسب حذف بيانه. (٥٠: ٢١)

فاضل المقداد: «الخط الأبيض»: هو الفجر الثاني المعترض في الأفق كالخط الممدود، و«الخط الأسود»: ما يمتد معه من الفجر، تشبيهاً بخطين أبيض وأسود، وليس بمستعارين لقوله: (من الفجر)، لأن من

شرط الاستمارة أن يجعل المستعار منه نسباً متبجلاً. روى سهل الساعدي أنها نزلت ولم يكن قوله: (من الفجر)، فكان رجالاً إذا صاموا يشدون في أرجلهم خيوطاً بيضا وسودا، فلم يزالوا يأكلون ويشربون حتى يتبين لهم، ثم نزل لهم البيان في قوله: (من الفجر).

فإن صح هذا النقل ففيه دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، وهو مذهب الأشاعرة. ومنه أبو الحسين محتجاً بأن الخطاب بما لا يفهم منه المراد محتمل، وهو قبيح لا يصدر عن الحكيم.

وفيه نظر، لجواز أن يكون المراد بالخطاب هو استعداد الامتناع والعزم على فعل المأمور به بعد البيان، فتناب على العزم فلا يكون عبثاً، لكن ينبغي أن يكون هذا قبل دخول رمضان، وإلا لزم تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو باطل إجماعاً. (١: ٢١٥)

البرزوي: هو أول ما يبدو من بياض النهار، كالخط الممدود دقيفاً ثم ينتشر، «من الخط الأسود»: هو ما يمتد من سواد الليل مع بياض النهار.

فإن الصبح الصادق إذا بدا يبدو كأنه خيط ممدود في عرض الأفق، ولا شك أنه يبقى معه بقية من ظلمة الليل، بحيث يكون طرفها الملاصق لما يبدو من الفجر كأنه خيط أسود في جنب خيط أبيض، لأن نور الصبح إنما ينشق في خلال ظلمة الليل، فشبهها بخطين أبيض وأسود، (من الفجر)، أي انشاق عمود الصبح بيان للخط الأبيض، واكتفى ببيانه عن بيان الأسود لدلالته عليه.

والتقدير: حتى يتبين لكم الخط الأبيض من الفجر

من الخيط الأسود من الليل. (٣٠٠: ١)

الآلوسي: هو أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض في الأفق قبل انتشاره، وحمله على الفجر الكاذب المستطيل الممتد كذنب الشرحان وهم. «مِنْ الخَيْطِ الْأَسْوَدِ» وهو ما يمتد مع بياض الفجر، من ظلمة آخر الليل. (١٦: ٢)

رشيد رضا: أي ويباح لكم الأكل والشرب كالمباشرة عامة الليل، حتى يتبين لكم بياض الفجر، فتبين وجوب القيام.

وبالحسن التعبير عن أول طلوع الفجر بالخيطين. و«الخَيْطُ الْأَبْيَضُ»: هو أول ما يبدو من الفجر الصادق، فتبين أسفر ولا يظهر وجهه لتسميته خيطاً. لما ذهب إليه بعض السلف كالأمشي: من أن ابتداء الصوم من وقت الإسفار، تنال به عبارة القرآن.

هذا ما كتبه أولاً وهو غير دقيق، وسأفضل المسألة في الاستدراك والإيضاح الذي تراء بعد تمام تفسير الآية. [وسياتي في «ب ي ن»]

سيد قطب: أي حتى ينتشر النور في الأفق وعلى قم الجبال، وليس هو ظهور الخيط الأبيض في السماء، وهو ما يسمى بالفجر الكاذب.

وحسب الزوايات التي وردت في تحديد وقت الإمساك نستطيع أن نقول: إنه قبل طلوع الشمس بقليل، وإتينا لمسك الآن وفق المواعيد المعروفة في قفطنا هذا، قبل أوان الإمساك الشرعي ببعض الوقت، ربما زيادة في الاحتياط. (١٧٤: ١)

هجرة فزورة: كناية عن بزوغ الفجر الصادق الذي

يفرق بين ظلمة الليل وضوء النهار، ويساعد على التمييز بين الأبيض والأسود. (٢٧٨: ٧)

الطباطبائي: الفجر فجران: فجر أول يسمى بالكاذب، لظلاله بعد مكث قليل، وبذنب الشرحان لمشايجته ذنب الذئب إذا شاله، وعمود شعاعه يظهر في آخر الليل في ناحية الأفق الشرقي، إذا بلغت فاصلة الشمس من دائرة الأفق إلى ثمان عشرة درجة تحت الأفق، ثم يطل بالاعتراض فيكون معترضاً مسطوياً على الأفق، كالخيط الأبيض الممدود عليه، وهو الفجر الثاني، ويسمى الفجر الصادق، لصدقه فيما يحكيه ويخبر به من قدوم النهار، واتصاله بطلوع الشمس.

ومن هنا يعلم أن المراد بـ«الخَيْطُ الْأَبْيَضُ» هو الفجر الصادق. وإن كلمة «مِنْ» بيانية، وإن قوله تعالى: «حَتَّى يَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» من قبيل الاستعارة، بتشبيه البياض المعترض على الأفق من الفجر، الجاور لما يمتد معترضاً معه من سواد الليل، بخيط أبيض، يتبين من الخيط الأسود.

ومن هنا يعلم أيضاً: أن المراد هو التحديد بأول حين من طلوع الفجر الصادق، فإن ارتفاع شعاع بياض النهار يطل الخيطين، فلا خيط أبيض ولا خيط أسود. (٤٨: ٢)

مكارم الشيرازي: وعبرت الآية عن (الفجر) أيضاً بأسلوب «حَتَّى يَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ».

ومن الطريف أن صدي بن حاتم قال للنبوي: الحديث، فضحك رسول الله ﷺ حتى رؤيت نواجذه،

ثم قال: «يا بن حاتم، إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل، فابتداء الصوم من هذا الوقت».

وهذا التعبير يوضح أيضًا الفرق بين الصبح الصادق والكاذب، لأن الفجر فجران: الفجر الكاذب وهو على شكل عمود من الضوء يظهر في السماء كذئب الشرحان «التئلب»، ويمده يظهر الفجر الصادق وهو بياض شفاف أبيض، يظهر في أفق السماء، كخيطة أبيض يظهر إلى جوار المحيط الأسود. وهذا هو الصبح الصادق، وبه يتعلق حكم الصوم والصلاة، ولا يشبه الفجر الكاذب.

(١: ٤٧٣)

بَيَاضٌ

١- وَتَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيَاضٌ لِلنَّاطِرِينَ.

الأعراف: ٢٠٨

ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها فإذا هي تبرى مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فخرّوا على وجوههم، ثم أدخلها جيبه فمضت كما كانت.

صارت نورًا ساطعًا يضيء له ما بين السماء والأرض له لمعان مثل لمعان البرق، فخرّوا على وجوههم.

(أبو حنيفة: ٤: ٣٥٨)

مجاهد: كاللبن أو أشدّ بياضًا. (ابن عطية: ٢: ٤٣٦)

بياض من غير برص. (الطبري: ٩: ١٥)

الطبري: وأخرج يده، فإذا هي بياض تلوح لمن نظر إليها من الناس، وكان موسى فيا ذكر لنا آدم، فجعل الله تحوّل يده بياض من غير برص له آية، وعلى صدق

قوله: «إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» الأعراف: ٤-١، حجة. (٩: ١٥)

الطوسي: البياض: ضدّ السوداء، وهو أن يكون به الحمل أبيض، وكان موسى عليه السلام أسمر شديد السمرة.

وقيل: أخرج يده من جيبه، فإذا هي بياض من غير سوء، يعني برص، ثم أعادها إلى كتفه، فمادت إلى لونها الأول. (٤: ٥٢٤)

السيدي: أي لها شعاع يغلب الشمس، ثم ردها إلى جيبه أو تحت إبطه فمادت يده كما كانت، فدلّ على أنه آية ومعجزة.

الزحطري: والمعنى: فإذا هي بياض للتظاهرة.

ولا تكمن بياض للتظاهرة إلا إذا كان بياضها بياضًا عجيبًا خارجًا عن العادة، يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع التظاهرة للعجائب. وذلك ما يروى أنه أرى عمرعون يده، وقال: ما هذه؟ قال: يدك، ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف، ونزعها فإذا هي بياض بياضًا نورانيًا، غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة.

نحو: أبو حنيفة: (٤: ٣٥٨)، وطه الدرة: (٥: ٣).

ابن عطية: وروى أنها كانت تظهر منيرة شافعة كالشمس تأتلق، وكان موسى عليه السلام ذا دم أسمر إلى الشواد، ثم كان يردّ يده فترجع إلى لون بدنه. (٢: ٤٣٦)

الطبري: أي لونها أبيض نوري، ولها شعاع يغلب نور الشمس. (٢: ٤٥٦)

الفخر الرازي: وأعلم أنه لما كان البياض كالعيب، بين الله تعالى في غير هذه الآية أنه كان من غير سوء. [ثم

نقل كلام الزُّنْزُقَرِيِّ وأضاف:

وقيل: بيضاء للناظرين لأنها كانت بيضاء في

ههنا مباحث:

(١٥:٣)

جبلتها.

(٢٢٥:٢)

نحو الكاشاني.

فأَوْهًا: أَنْ إِنْقِلَابَ الصَّائِبَانِ مِنْ كَيْفٍ وَجْهٍ يَدُلُّ عَلَى

المعجز؟

الْبُزْزُوسِيُّ: [قال مثل أبي السُّرُودِ وأضاف:]

وَالثَّانِي: أَنَّ هَذَا الْمَعْجَزَ كَانَ أَكْثَرُ أَمْ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ؟

وَقَدْ اسْتَمْتَعْنَا بِالْكَلامِ فِي هَذَيْنِ الْمَطْلُوبَيْنِ فِي سُورَةِ «طه».

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْمَعْجَزَ الْوَاحِدَ كَانَ كَافِيًا، فَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا

كَانَ حَبْتًا.

الْأَلُوسِيُّ: [قال نحو أبي السُّرُودِ وأضاف:]

وَجَوَابُهُ: أَنَّ كَثْرَةَ الدَّلَالَةِ تَوْجِبُ الْقُوَّةَ فِي الْيَقِينِ

وَزَوَالَ الشَّكِّ، وَمِنْ الْمَلْعَدِينَ مَنْ قَالَ: الْمَرَادُ بِاتِّبَاعِهِ

وَبَالِيهِ الْبَيْضَاءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنَّ حُجَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ

كَانَتْ قُوَّةً ظَاهِرَةً فَاهِرَةً. فَتِلْكَ الْحُجَّةُ مِنْ حَبِثِ إِلَهِهَا

أَبْطَلَتْ أَقْصَالَ الْفَالِقِينَ، وَأُظْهِرَتْ فَسَادُهَا، كَانَتْ

كَاتِّبَانِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُطْلَقُ حُجُجُ الْمُبْطِلِينَ، وَمَنْ حَبِثَ

كَانَتْ ظَاهِرَةً فِي نَفْسِهَا وَحُفَّتْ بِأَلْيَدِ الْبَيْضَاءِ، كَمَا يُقَالُ

فِي الْعَرَفِ: لَفَلَانِ يَدُ بَيْضَاءٍ فِي الْعِلْمِ الْفَلَائِي، أَيْ قُوَّةٌ

كَامِلَةٌ، وَمُرْتَبَةٌ ظَاهِرَةٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ حَمْلَ هَذَيْنِ الْمَعْجَزَيْنِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ

يَجْرِي بِمَجْرَى دَفْعِ التَّوَاتُرِ، وَتَكْذِيبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

(١٩٦:١٤)

الْقُرْطُبِيُّ: قِيلَ: كَانَتْ تَخْرُجُ يَدُهُ بَيْضَاءً كَالْتَّلَاجِ

تَلَوَّحَ، فَإِذَا رَدَّهَا عَادَتْ إِلَى مِثْلِ سَائِرِ بَدَنِهِ. (٢٥٧:٧)

أَبُو السُّعُودِ: أَيْ بَيْضَاءٌ بِيَضًا نَوَائِيًا خَارِجًا مِنَ

الْعَادَةِ، يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّظَارَةُ تَعَبًا مِنْ أَمْرِهَا. [ثم ذكر

رواية الزُّنْزُقَرِيِّ وأضاف:]

وَمَعْنَى الْبَحْضِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْبَيَاضَ إِنَّمَا كَانَ فِي

الْكَفِّ، وَإِطْلَاقُ الْيَدِ عَلَيْهَا حَقِيقَةٌ. (٢١:٩)

الْقَاسِمِيُّ: [قال مثل أبي السُّرُودِ وأضاف:]

فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ شَرَائِعُ تَتَلَبَّ أَنْوَارُهَا

الْمُحْمَوِيَّةُ الْأَنْوَارُ الْحَسِّيَّةُ، وَيَتَقَوَّى بِهَا الْحَيَاةُ بِأَفْهِ.

(٢٨٣٢:٧)

وَشَيْدَ رَهَاءٍ: فَإِذَا هِيَ بِبَيْضَاءٍ نَاصِعَةِ الْبَيَاضِ،

تَتَلَاثًا لِلنَّاطِرِينَ إِلَيْهِ، وَهُمْ فِرْعَوْنُ وَمُلُؤُهُ، أَوْ لِكُلِّ مَنْ

يَنْظُرُ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بَيَاضَهَا فِي «طه» وَ«التِّلْصَلِ»

و«الْقَصَصِ» بِأَنَّهُ «مِنْ غَيْرِ سَوِيٍّ» أَيْ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ

كَالْبَرَصِ. (٤٤:٩)

الطَّبَّاطِبَاتِيُّ: أَيْ نَزَعَ يَدَهُ مِنْ جِيهِ، عَلَى مَا يَدُلُّ

عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَضْمَمْتُ يَدَهُ إِلَى جَنَاحِيكَ لِقُضْرَجِ

يَتَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوِيٍّ» طه: ٢٢، وَقَوْلُهُ: «أَشْلُكَ يَدَكَ فِي

جَنِيحِكَ تَخْرُجُ يَتَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوِيٍّ» الْقَصَصِ: ٣٢.

وَالْأَخْبَارُ وَإِنْ وَرَدَتْ فِيهَا أَنَّ يَدَهُ كَانَتْ تُضِيءُ

عنده. لِيُكَذِّبُوا أَنَّ مَا قَامَ بِهِ مُوسَى هُوَ سِحْرٌ، وَأَنَّ مُوسَى لَيْسَ نَبِيًّا، بَلْ هُوَ سَاحِرٌ عَلِيمٌ، يَمْلِكُ الْمَزِيدَ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ فِي هَذَا الْفَنِّ.

وكان مثل هذا الاحتمال قريباً إلى أجواء المجتمع هنالك، لأنَّ الاحيى السحر التي تُقاتل ما قام به موسى في الشكل، كانت مألوفاً لديهم. (١٠: ٢٠٣)

مكارم الشيرازي: ونقرأ في بعض الأحاديث والروايات والتفسير أنَّ يد موسى، كانت مضاعفاً إلى ياضها نلصق بشدة، ولكن الآيات القرآنية ساكنة عن هذا الموضوع، وإن لم ينافيها.

إنَّ هذا الموضوع والمعجزة السابقة حول العصا - كما قلنا سابقاً - ليس له جانب طبيعي وعادي، بل هي من صنف خوارق العادة، التي كان يقوم بها الأنبياء، وهي غير ممكنة من دون تدخل قوة فوق طبيعية في الأمر.

وهكذا أراد موسى بإظهار هذه المعجزة - كما أشرنا سابقاً - أن يوضح هذه الحقيقة، وهي أنَّ برامجه ليس لها جانب الترهيب والتهديد، بل الترهيب والتهديد للمخالفين والمعارضين، والتشويق والإصلاح والبناء، والتوراثية للمؤمنين. (٥: ١٢٣)

٢- وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَّا حَكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ شَوْءٍ طه: ٢٢

ابن عباس: لها نور ساطع، يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر، وأشدُّ ضوءاً. (الطبرسي ٤: ٨) الحسن: أخرجها والله كأنها مصباح، فعلم أنه قد لقي ربه. (المرآبي ١٦: ١٠٥)

كالتشمس الطالعة، عند إرادة الإحجاز بها، لكن الآيات لا تفصح أزيد من أنَّها كانت تخرج بيضاء للناظرين، إلا أنَّ كونها آية معجزة تدلُّ على أنَّها كانت تبيضُّ ايضاحاً، لا يشكُّ الناظرون في أنَّها حالة عارقة للعادة. (٨: ٢١٣)

عبد الكريم الخطيب: ويد موسى التي أدخلها في جيبه، أي في فتحة قميصه على صدره يخرجها، فإذا هي بيضاء من غير سوء، لم يتغير شيء من خلقها، إلا أنَّها تُرسل ضوءاً مشرقاً، كضوء الكوكب الدُرِّي في فحمة الليل. (٥: ٤٥٠)

محمود صافي: وجملة (مِنْ بَيْضَاءَ) لا يحمل لها، مطروقة على جملة (تَخْرُجُ).

(بَيْضَاءَ) مؤنث أبيض، صفة متبعية باسم التاغل. وزنه «فُعْلَاء» يجمع على «فُعُل» بمعنى فسكون. أي يبيض.

محمد حسين فضل الله: وجاءت المعجزة الثانية: ﴿وَتَخْرُجُ يَدُكَ فَإِذَا مِنْ بَيْضَاءَ لِلنَّاطِرِينَ﴾ الأعراف: ١٠٨، مع أنَّ موسى كان أسمر اللون، فكيف تحولت يده إلى هذا البياض الناصع من غير مرض؟ وعقدت المفاجأة لسان فرعون، فلم يتكلم بشيء، وكأنَّه أحسَّ بصدق موسى، وربما عاش بعض التردد في سرِّ مآراء، هل هو معجزة أم سحراً؟

وشعر قومه الذين هم جهاز سلطته بهذه الحيرة، التي أخذت تأكل قلب فرعون، وربما خافوا أن تتحوَّل الحيرة إلى قناعة وإيمان بصدق موسى، فيميل إليه، فيفقدون بذلك سلطانهم، فتدخلوا ليحسموا الموضوع

الإمام الباقر عليه السلام : كان موسى شديد السمرة ،
فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا .

(البحراني ٦ : ٤٠١)

البهقي : أي نيرة مشرقة .
مثله الشريبي .

الزَّمَخْشَرِيُّ : يروى أنه كان آدم ، فأخرج يده من
مدرعته بيضاء ، لها شمع كشمع الشمس يُعْشِي البصر .

القرطبي : فخرجت نورًا مخالفة للونه . و(بيضاء)
نصب على الحال ، ولا ينصرف لأن فيها ألفي التانيث
لايزايلانها ، فكان لزومها علة ثانية ، فلم ينصرف في
التكرة ، وخالفنا الهاء ، لأن الهاء تفارق الاسم .

(١٩١ : ١١)

السيابوري : ومعنى (بيضاء) أنها كشمع
الشمس .

أبوحيان : قيل : خرجت بيضاء تشف ، وتضيء
كأنها شمس . وكان آدم اللون . وانتصب (بيضاء) على
الحال .

القراخي : روي أن موسى كان إذا أدخل يده في
جيبه ثم أخرجها ، تلالأ كأنها حلقة قر .

(١٠٥ : ١٦)

٣- وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ الشعراء : ٣٣
الطوسي : يعني بياضًا نورًا كالشمس في إشراقها .
مثله الطبرسي .

(١٨٨ : ٤)

أبوحيان : ونزع يده من جيبه فإذا هي تلالأ .

كأنها قطعة من الشمس .

روي أنه لما أبصر أمر المصا ، قال : فهل غيرها؟
فأخرج يده ، فقال : ما هذه؟ قال : يدك ، فأدخلها في
إبطه ، ثم نزعها ولها شمع ، يكاد يُعْشِي الأبصار ، ويسد
الأفق .

الشريبي : يُضِي الوادي من شدة بياضها ، من
غير برص ، لها شمع كشمع الشمس يُعْشِي البصر ،
ويسد الأفق .

الكاشاني : قد حال شمعها بينه وبين وجهه .
(٣٣ : ٤)

البزوصوي : وفي «التأويلات النجمية» : «وَنَزَعَ
يَدَهُ» أي يد قدرته ، «فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ» مؤيدة بالتأييد
الإلهي . منورة بنور ربّي .

الآلوسي : كونها (بيضاء) إشارة إلى كونها مؤيدة
بالتأييد الإلهي .

٤- أُنْشِلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَتَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ .
القصاص : ٣٢

الحضن : فخرجت كأنها المصباح ، فأيقن موسى
أنه لقى ربه .

(الطبري ٢٠ : ٧٢)

الطوسي : فلما أخرجها خرجت بيضاء نقية .
(١٤٩ : ٨)

البهقي : فخرجت ولها شمع كضوء الشمس .
مثله الطبرسي : مشرقة مضيئة كالشيء الأبيض ، لها
شمع كشمع الشمس ، وقد جعل الله في يده من التور

(٥٣٣ : ٣)

(١٨٨ : ٤)

صفة الخمر. والبياض أحسن الألوان. وقيل: (تَيْضَاء) أي صافية في نهاية اللطافة.

قال الأخفش: كل كأس في القرآن وهو خمر، قوله: ﴿لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ﴾. (٢٧٣: ٨)

نحوه الرُّخْفَرِيُّ. (٣٤٠: ٣)

الرُّخْفَرِيُّ: قيل: (تَيْضَاءٌ) أي لم يتصرها الرجال بأقداسهم. (٧٨: ١٥)

نحوه أبو حنيفة. (٣٥٩: ٧)

الرُّخْبَرِيُّ: أي أشد بياضاً من اللبن. قاله الحسن صفة لكأس. وقال أبو حنيفة: صفة لكأس) أو

للخمر.

وأقرض بأن الخمر لم يذكر. وأجيب منه بأن الكأس إنما سميت كأساً إذا كان فيها الخمر. (٣٧٧: ٣)

الرُّخْبَرِيُّ: لو أن أشد من لون اللبن، والخمر البيضاء لم تُر في الدنيا ولن تُرى. وهذا من جملة ما لا عين

رأت ولا أذن سمعت. (تَيْضَاءٌ) تانيث أبيض صفة أيضاً لكأس. (٤٥٩: ٧)

القراضي: أي لونها مشرق حسن بهي، لا خمر الدنيا ذات المظهر البشع، واللون الأسود أو الأصفر، أو

الذي فيه كدورة، إلى نحو ذلك مما ينفر الطبع التسليم، وهي لذية الطعم. كما هي طيبة اللون وطيبة الريح.

(٥٧: ٢٣)

الطَّبِيبَاتِيُّ: أي صافية في بياضها، لذية للشاربين. (١٣٧: ١٧)

عبد الكريم الخطيب: وصفان للكأس، فهي بيضاء صافية، وهي بياضها وصفانها لذة الناظر إليها،

مثل ما في الشمس والقمر. (٣٠٠: ٧)
نحوه الرُّخْبَرِيُّ. (٤٠٣: ٦)

الرُّخْبَرِيُّ: بياضاً عظيماً، يكون له شأن خارق للعادات. (٩٧: ٣)

الكاشاني: فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا. (٨٩: ٤)

٥ - يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ • تَيْضَاءٌ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ. الصفات: ٤٥، ٤٦

الحسن: لمر الجئة أشد بياضاً من اللبن. (الطَّبِيبِيُّ ٤: ٤٤٣)

الطَّبِيبِيُّ: يعني به البيضاء الكأس. ولتأنيث الكأس أتت البيضاء، ولم يقل: أبيض. وذكر أن ذلك في

قراءة عهده (صفراء). (٥٣: ٢٣)
نحوه الأوسِيُّ. (٧٨: ٢٣)

الماوردي: يعني أن لمر الجئة بيضاء اللون، وهي في قراءة ابن مسعود (صفراء).

يتمثل أن تكون بيضاء الكأس صفراء اللون، فيكون اختلاف لونها في مظهرها. (٤٧: ٥)

الطُّوسِيُّ: ووصفها البياض، لأنها تجري في أنهار كأغرف الشراب، وهي لمر فيها اللذة والأمناع، فترى

بيضاء صافية في نهاية الرقة واللطافة، مع التورية التي لها والشفافة، لأنها على أحسن منظر ومخير.

وقال قوم: (تَيْضَاءٌ) صفة للكأس، وهي مؤنثة (٤٩٥: ٨)
نحوه الطَّبِيبِيُّ. (٤٤٣: ٤)

المُتَيْبِدِيُّ: (تَيْضَاءٌ) من صفة الكأس، وقيل: من

وَمَلَأَ عَيْنَهُ بِهَجَةٍ وَحَبْرًا. (١٢: ٩٨١)

طَبْعُ الدُّرَّةِ: (بَيْضَاءُ): صِفَةُ (كَأْسٍ) مَجْرُورٍ، وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْفَتْحَةُ نِيَابَةً عَنِ الْكَمْرِ، لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِلصَّفَةِ وَوزن «ضلاء»، أَوْ مَنَعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِأَنَّ التَّأْنِيثَ الْمَمْدُودَ، وَهِيَ عِلَّةٌ تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ مِنْ مَوَازِينِ الصَّرْفِ. (١٢: ١٤٣)

نَحْوُ مَحْمُودٍ صَافِي. (٢٣: ٥٦)

مَكَارِمُ الْفَسِيرَازِيِّ: وَكَلِمَةُ (بَيْضَاءُ) اِهْتَبَرَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ صِفَةً لِكُتُوبِ الشَّرَابِ، فَمَا اِهْتَبَرَهَا الْبَعْضُ الْآخَرُ صِفَةً لِلشَّرَابِ الطَّهَّورِ. وَبِمَعْنَى ذَلِكَ الشَّرَابِ لَيْسَ كَالْأَشْرَبَةِ ذَاتِ الْأَطْعَمَةِ الْجَمِيدَةِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ إِنَّهَا أَشْرَبَةٌ طَاهِرَةٌ، خَالِيَةٌ مِنَ أَلْوَانِ الشَّيَاطِينِ. وَبَيْضَاءُ اللَّوْنِ شَفَافَةٌ. (١٣: ٢٨٨)

اِبْيَضَّتْ

١- وَأَمَّا الَّذِينَ اِبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَبِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. آل عمران: ١٠٧

تَأْتِي نَصُوحَهَا فِي (تَبْيِضُ)

٢- وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. يوسف: ٨٤
ابن عباس: كناية عن غلبة البكاء.

(الْفَخْرُ الرَّازِيُّ ١٨: ١٩٥)

مُجَاهِدٌ: أَنَّهُ ذَهَبَ بِصَرٍّ. (الْمَآوِزِيُّ ٣: ٦٩)

مُتَقَاتِلٌ: لَمْ يَبْصُرْ بِهَا سِتَّ سَنِينَ، حَتَّى كَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَمِيصِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامَ. (الْفَخْرُ الرَّازِيُّ ١٨: ١٩٥)

الْمَآوِزِيُّ: فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ ضَمَّ بِصَرٍّ، لِبَيَاضِ حَصَلٍ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ بَكَائِهِ. الثَّانِي: أَنَّهُ ذَهَبَ بِصَرٍّ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. (٣: ٦٩)

الطُّوسِيُّ: فَالْإِبْيَاضُ: انْقِلَابُ الشَّيْءِ إِلَى حَالِ الْبَيَاضِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ عَمِيَ فَلَمْ يُبْصَرْ شَيْئًا. (٦: ١٨٢)
نَحْوُ الْمَيْمُونِيِّ. (٥: ١٢٢)

الْقُشَيْرِيُّ: وَيُقَالُ: كَانَ بَكَاءُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْثَرَ مِنْ بَكَاءِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يَذْهَبْ بِصَرٍّ دَاوُدُ وَذَهَبَ بِصَرٍّ يَعْقُوبُ، لِأَنَّهُ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَكَى لِأَجْلِ يَوْسُفَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قُدْرَةِ يَوْسُفَ أَنْ يَحْفَظَ بِصَرٍّ مِنَ الْبَكَاءِ لِأَجْلِهِ، وَأَمَّا دَاوُدُ فَقَدْ كَانَ يَبْكِي لِلَّهِ، وَفِي قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا يَحْفَظُ بَعْدَهُ الْبَاكِي لِأَجْلِهِ.

سَمِعْتُ الْأُسْتَاذَ أَبَا عَلِيٍّ الدَّقَّاقِي رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ، وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ يَعْقُوبَ بَكَى لِأَجْلِ مَخْلُوقٍ فَذَهَبَ بِصَرٍّ، وَدَاوُدُ بَكَى لِأَجْلِ اللَّهِ فَبَقِيَ بِصَرٍّ.

وَسَمِعْتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: لَمْ يَسْقِلْ اللَّهُ: «عَمِيَ يَعْقُوبُ». وَلَكِنْ قَالَ: «وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ»، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ عَمِيَ، وَإِنَّمَا كَانَ حُجَابًا عَنْ رُؤْيَا غَيْرِ يَوْسُفَ. وَيُقَالُ: كَانَ ذَهَابُ بِصَرٍّ يَعْقُوبَ حَقًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَرَى غَيْرَ يَوْسُفَ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَشَدَّ عَلَى الْأَحِبَّابِ مِنْ رُؤْيَا غَيْرِ الْمَحْبُوبِ، فِي حَالِ فِرَاقِهِ. (٣: ١٩٩)

الْبِقَوِيُّ: بِمَعْنَى عَمِيَ بِصَرٍّ. (٢: ٥٠٩)
الرَّمْطَانِيُّ: إِذَا كَثُرَ الِاسْتِعْيَارُ بِحَقِّ الصِّبْغَةِ سَوَادِ الْعَيْنِ، وَقَلِبَتْهُ إِلَى بَيَاضٍ كَدَمٍ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

الْحُزَنُ كَانَ سَبَبَ الْبَكَاءِ الَّذِي حَدَثَ مِنْهُ الْبَيَاضُ، فَكَأَنَّهُ حَدَثَ مِنَ الْحُزَنِ. قِيلَ: مَا جَعَلَتْ عَيْنَا يَعْقُوبَ مِنَ

وقت طراق يوسف إلى حين لقائه، ثمانين عامًا.

(١٢٨: ٢)

نحوه الشريف.

(١٣٠: ٢)

ابن عطية: أي من ملازمة البكاء الذي هو غمرة

(٢٧٢: ٣)

الحزن.

الطبرسي: ولما كان البكاء من أجل الحزن، أضاف

(٢٥٧: ٣)

بياض البصر إليه.

ابن الجوزي: أي انقلبت إلى حال البياض. وهل

ذهب بصره، أم لا؟ فيه قولان: [وقد تقدم عن مجاهد

(٢٧٠: ٤)

والمأزدي]

الفخر الرازي: فيه وجهان:

الوجه الأول: لما قال: ﴿يَمَاسِي عَلَى يُوسُفَ﴾

غلبه البكاء، وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين.

لتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء. وقوله

﴿وَانْبَسَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ كناية عن غلبة البكاء،

والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن في غلبة

البكاء لا في حصول العمى، فلو حملنا الابيضاض على

غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنًا. ولو حملناه على

العمى لم يحسن هذا التعليل، فكان ما ذكرناه أولى.

والوجه الثاني: [قول مقاتل المتقدم] (١٩٥: ١٨)

القرطبي: قيل: قد تبيض العين ويبق شيء من

الرؤية، والله أعلم بحال حقوب، وإنما ابيضت عيناه من

البكاء، ولكن سبب البكاء الحزن، فلهذا قال: (من

(الحزن).

التيساهوري: قال الحكماء: إذا كثرت الاستعبار

أوجب كدورة في سواد العين مائلة، فيكون منها العمى،

لا يلام الطبقات ولا سبب القرينة، وانصباب الفضول

(١٣: ١٣٩)

الزدية إليها.

الخازن: أي عمي من شدة الحزن على يوسف.

وقيل: إنه ضف بصره من كثرة البكاء، وذلك أن الدمع

يكثر عند غلبة البكاء، فتصير العين كأنها بياض من

(٢٥٦: ٣)

ذلك الماء الخارج من العين.

أبو حيان: وايضاخ عينه من توالي القبرة،

فينقلب سواد العين إلى بياض كدر، والظاهر أنه كان

عمى، لقوله: ﴿فَازَتْهُ بِصِيرًا﴾ يوسف: ٩٦، وقال:

﴿وَقَايَنَتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ﴾ فاطر: ١٩، فقابل

البصير بالأعمى. [ثم قال نحو ما تقدم عن الخازن]

(٣٣٨: ٥)

البروسوي: ﴿وَانْبَسَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾

الموسم بالكلية لأن القبرة إذا كثرت محقت سواد العين.

وقلبت إلى بياض وقد نعيمها، كما أخبر عن شعيب

فإنه بكى من حب الله حتى عمي، فرد الله عليه بصره.

(٣٠٦: ٤)

الأوسي: أي بسببه، وهو في الحقيقة سبب

للبيداء، والبيداء سبب لايضاخ عينه، فإن القبرة إذا

كثرت محقت سواد العين، وقلبت إلى بياض كدر، فأقيم

سبب السبب مقامه لظهوره.

والايضاخ قيل: إنه كناية عن العمى، فيكون قد

ذهب بصره بالكلية، واستظهره أبو حيان لقوله

تعالى: ﴿فَازَتْهُ بِصِيرًا﴾ يوسف: ٩٦، وهو يقابل

بالأعمى.

وقيل: ليس كناية عن ذلك، والمراد من الآية

أنه **طَبَّحَ**، صارت في عينه غشاوة يَبْصُرُها، وكان **طَبَّحَ** يُدرك إدراكًا ضعيفًا. (١٣: ٤٠)

الْمَرَاغِي : أي أصابها غشاوة بيضاء غطت على البصر، مع بقاء العصب الذي يُدرك المبصرات سليماً معافى.

قال الدكتور عبد العزيز إسماعيل باشا: البياض المصحوب بضياع البصر غالباً معناه: «الجلوكوما»، والمعروف عند الاختصاصيين في أمراض العيون، أن أهم سبب لها هو التغيرات في الأوعية الشعرية، نتيجة لأسباب كثيرة، من أهمها الانفعالات المصيبة، كما يحدث في زيادة ضغط الدم، لاسيما الحزن.

(١٢: ٢٨)

الطَّبَّاطَبَانِي : «ابيضاض العين» أي سوادها، هو العشى وطلان الإبصار، وربما يجامع قليل **يَبْصُرُ**، لكن قوله الآتي: ﴿إِذْ هَبُوا بَصِيرَتِي هَذَا فَاَلْقَوْهُ عَلَىٰ غَنِيٍّ وَنَجَّوْنِي﴾ يأتى بصيراً» يوسف: ٩٢، يشهد بأنه كناية عن ذهاب البصر. (١١: ٢٢٢)

عبد الكريم الخطيب: وهكذا تهجم لوصات الأسى والحسرة على هذا الشيخ الكبير، حتى لقد ابيضت عيناه من الحزن الدفين، الذي أبى على عينيه أن تبللها قطرات الدموع، وأن تطلق النار المشتعلة فيها، حتى أتت على فحمة سوادها، وأحاطه رماداً. (٧: ٣٤)

تَبَيَّضُ

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ. آل عمران: ١٠٦

ابن عباس: تبيّض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة. (القرطبي ٤: ١٦٧) هم المؤمنون. (ابن الجوزي ١: ٤٢٧)

عطاء: تبيّض وجوه المهاجرين والأنصار، وتسود وجوه بني قريظة والتضير. (القرطبي ٤: ١٦٧) الرّجاس: أي يثبت لهم العذاب ذلك اليوم، وبيضاضها: إشراقها وإسفارها.

وقال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يُؤْمِنُ بِمُتَّبِعَةٍ﴾ ضاحكة متبشرة» عبس: ٣٨، ٣٩، أسفرت وانفتحت لما نصير إليه من ثواب الله ورحمته، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إسودادها لما نصير إليه من العذاب. (القرطبي ٤: ١٦٧) قال الله: ﴿وُجُوهٌ يُؤْمِنُ بِمُتَّبِعَةٍ﴾ عبس: ٤٠.

والكلام (تسود وتبيض) يفتح التاء، الأصل «تسودة» و«تبيض»، إلا أن الحرفين إذا اجتمعا وتحركا أدغم الأول في الثاني، وكثير من العرب تكسر هذه التاء من «تسود وتبيض»، والقراءة بالفتح، والكسر قليل، إلا أن كثيراً من العرب يكره هذه التاء ليعين أنها من قولك: أبيض وأسود، فكان الكسرة دليل على أنه كذلك في الماضي.

وقرأ بعضهم: (تسواد وتبيض) وهو جيد في العربية، إلا أن المصحف ليست فيه ألف، فأنا أكرهها لخلافه، على أنه قد تحذف الألفات في القرآن نحو ألف (الزَّهِيم) و(إِسْمِيل) ونحو ألف (الرَّحْمَن)، ولكن الإجماع على إنبات هذه الألفات المحذوفة في الكتاب في اللفظ،

و(تَبَيُّضٌ وَتَسْوَدٌ) إجماع بغير ألف. فلا ينبغي أن يُقرأ
بإثبات الألف. (١: ٤٥٣)

الماوردي: يعني به يوم القيامة، لأن الناس فيه
بين مُتاب بالجنة ومعاقب بالنار، فوصف وجه المُتاب
بالبياض لإسفاره بالشرور، ووصف وجه المعاقب
بالسواد لتكافئه بالحزن. (١: ٤٦٥)

القشيري: أرباب التعاوي تسود وجوههم،
وأصحاب المعاني تبيض وجوههم، وأهل الكسوفات
غداً تبيض بالإشراق وجوههم، وأصحاب الحجاب
تسود بالحجبة وجوههم، فتعلوها خبرة، وترحقها قفرة.
ويقال: من أبيض اليوم قلبه أبيض غداً وجهه، ومن
كان بالفضة فعاله المكس.

ويقال: من أعرض عن الخلق عند سوانحه، أبيض
وجهه بروح التوبيخ، ومن ملق بالأغيار غلب عليه
الموائج، اسود محياه بنهار الطمع. فأما الذين أبهتت
وجوههم في أنس وزوج، وأما الذين اسودت وجوههم
في محن ونوح. (١: ٢٨٦)

السيبدي: قيل: تبيض وجوه المخلصين، وتسود
وجوه المنافقين.

وقيل: تبيض وجوه المؤمنين، وتسود وجوه
الكافرين. (٢: ٢٣٥)

الزَّمَخْشَرِيُّ: والبياض من النور، والسواد من
الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق ويسمى ببياض اللون
وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرق، وسمى
النور بين يديه ويمينه.

ومن كان من أهل ظلمة الباطل ويسمى بسواد اللون

وكسوفه وكسده، واسودت صحيفته وأظلمت،
وأحاطت به الظلمة من كل جانب. (١: ٤٥٣)

ابن عَطِيَّة: وبياض الوجوه: عبارة عن إشراقها
واشراقها، ويشرها برحمة الله.

قال الزَّجَّاج وغيره: ويحتمل عندي أن يكون ذلك
من آثار الوجود، كما قال النبي ﷺ: أنتم الغر المهجولون
من آثار الوجود.

وأما سواد الوجوه، فقال المفسرون: هي عبارة عن
أربابها وإظلامها بضم العذاب، ويحتمل أن يكون ذلك
تسويداً يُنزله الله بهم على جهة التشويه والتشيل بهم،
على نحو حشرهم زرقاً، وهذه أقبح ظلمة. [ثم استشهد
بمنع]

وقال يعقوب بن وثاب (تبيض وتسود) بكسر التاء،
وقرأ الزَّجَّاج (البياض وجوه) و(السواد وجوه) بألف،
وهي لغة.

ولما كان صدر هذه الآية إخباراً عن حال لا يخص
أحداً معيَّناً، بدأ بذكر البياض لشرفه، وأنه الحالة المثلى.
فلما فهم المعنى، وتميَّن له «الكفار والمؤمنون»، بدأ بذكر
الذين اسودت وجوههم، للاهتمام بالتحذير من حالهم.
(١: ٤٨٧)

نحو المرائي. (٤: ٢٥)

الطَّبْرسي: أخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب، أي
نبت لهم العذاب في يوم هذه صفته، وإنما تبيض فيه
الوجوه للمؤمنين، توثيقاً لهم على الإيمان والطاعة، وتسود
فيه الوجوه للكافرين، عقوبة لهم على الكفر والسَّيِّئات،
بدلالة ما بعده وهو قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾

أَكْفَرْتُمْ».

(٤٨٤: ١)

ابن الجوزي: [اكتفى بنقل القراءات كما تقدم عن

(٤٣٥: ١)]

الطبري]

الفخر الرازي: في هذا البياض والسواد للمفسرين

قولان:

أحدهما: أنَّ البياض مجاز عن الفرح والسرور،

والسواد عن الغم، وهذا مجاز مستعمل، قال تعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ

كَتُمٌ﴾ التحل: ٥٨، ويقال: لفلان عندي يد بيضاء، أي

جارية سارة. [ثم استشهد بشعر]

وتقول العرب لمن نال بحبه وفاز بطلوبه: ابيض

وجهه، ومعناه الاستبشار والتسلي. وعند التميمي

بالسرور يقولون: الحمد لله الذي بيض وجهك بوظيفتك

لمن وصل إليه مكروه: اربد وجهه، واغبر لوجهه بوظيفتك

صورته.

فعل هذا معنى الآية أنَّ المؤمن يرد يوم القيامة على

ما قدمته يده، فإن كان ذلك من الحسنات ابيض وجهه،

بمعنى استبشر بنعم الله وفضله، وصل ضد ذلك إذا رأى

الكافر أصاله القبيحة بمصاة أسود وجهه، بمعنى شدة

الحزن والغم، وهذا قول أبي مسلم الأصفهاني.

والقول الثاني: أنَّ هذا البياض والسواد يحصلان في

وجوه المؤمنين والكافرين، وذلك لأنَّ اللفظ حقيقة

فيهما، ولادليل يوجب ترك الحقيقة، فوجب المصير إليه

قلبت، ولأبي مسلم أن يقول: الدكيل دلّ على

ما قلناه، وذلك لأنّه تعالى قال: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِشِرْءِ

ضَاحِكَةٍ مُّشْتَبِرَةٍ﴾ وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِشِرْءِ غَبْرَةٍ﴾

تَرْهَقَهَا قَتَرَةٌ﴾ حبس: ٣٨، ٤١، فيجعل القبرة والقطرة

في مقابلة: الضحك والاستبشار، فلو لم يكن المراد

بالقبرة والقطرة ما ذكرنا من الجاز، لما صحّ جعله مقابلًا

له، فعلمنا أنَّ المراد من هذه القبرة والقطرة: الغم والحزن

حقّ يصحّ هذا التقابل.

ثم قال القائلون بهذا القول: الحكمة في ذلك أنَّ أهل

الموقف إذا رأوا البياض في وجه إنسان، عرفوا أنّه من

أهل الثواب، فزادوا في تنظيمه، فيحصل له الفرح بذلك

من وجهين:

أحدهما: أنَّ التمدد يفرح بأن يعلم قومه أنّه من

أهل السعادة، قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿يَأْتِيَتْ قُتُوبِي

بَتَلَكُونُ﴾ يَا غُلَامُ إِنِّي إِنِّي وَجَّهْتُكَ مِنَ الشُّكْرَيْنِ﴾

الحس: ٢٦، ٢٧.

الثاني: أنَّهم إذا عرفوا ذلك غصوه بمزيد التنظيم،

فلبت أنَّ ظهور البياض في وجه المكلف سبب لمزيد

سروره في الآخرة، وبهذا الطريق يكون ظهور السواد في

وجه الكفار، سبباً لمزيد غمهم في الآخرة، فهذا وجه

الحكمة في الآخرة.

وأما في الدنيا، فالمكلف حين يكون في الدنيا، إذا

عرف حصول هذه الحالة في الآخرة، صار ذلك مُرغِّباً له

في الطاعات وترك المحرمات، لكي يكون في الآخرة من

قبيل مَنْ يبيض وجهه، لا من قبيل مَنْ يسود وجهه،

فهذا تقرير القولين. (١٨١: ٨)

نحوه النابوري (٤: ٣١)، والحارثي (١: ٣٣٦)،

والقاسمي (٤: ٩٣٢).

القرطبي: يعني يوم القيامة حين يُبحثون من

قصورهم، تكون وجوه المؤمنين مبيضة، ووجوه الكافرين مسودة.

ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذا قرأ المؤمن كتابه فرأى في كتابه حسناته استبشر وابيض وجهه، وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه فرأى فيه سيئاته اسود وجهه.

ويقال: إن ذلك عند الميزان، إذا رجعت حسناته ابيض وجهه، وإذا رجعت سيئاته اسود وجهه. ويقال ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا أَتَىٰ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ يس: ٥٩.

ويقال: إذا كان يوم القيامة يؤمر كل فريق بأن يجتمع إلى مبيده، فإذا انتهوا إليه حزنوا واسودت وجوههم، فيبكي المؤمنون وأهل الكتاب والمنافقون فيقول الله تعالى للمؤمنين: مَنْ رَكَمَ يَقُولُونَ ﴿وَلَمَّا أَفْجَىٰ﴾ فيقول لهم: أتعرفونه إذا رأيتهم؟ فيقولون: سبحانه إذا اعترف عرفناه، فيرونه كما شاء الله. فيخزي المؤمنون سجدًا لله تعالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضًا. ويبكي المنافقون وأهل الكتاب لا يقدرّون على السجود، فيحزنوا وتسود وجوههم، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

ويجوز (تبيض وتسود) بكسر التائين، لأنك تقول: ابيضت، فتكسر التاء كما تكسر الألف، وهي لغة تميم، وبها قرأ يحيى بن وثاب.

وقرأ الزهري: (يوم تبيض وتسود) ويجوز كسر التاء أيضًا، ويجوز (يوم يبيض وجوه) بالياء على تذكير الجمع، وابيضاض الوجوه: إشراقها بالشمس،

واسودادها: هو ما يرهقها من العذاب الأليم، (٤: ١٦٦) التبييض: بياض الوجه وسواده كناية عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه.

وقيل: يؤتم أهل الحق، بياض الوجه، والفصحى، وإشراق البشرة، وسمي الثور بين يديه وبمينه، وأهل الباطل: بأضداد ذلك. (١: ١٧٦) مثله أبو السموء (٢: ١٥)، والكاشاني (١: ٣٤٠)، وعبد الكريم الخطيب (٢: ٥٤٣).

أبو حيان: المسموح على أن ابيضاض الوجوه واسودادها على حقيقة اللون، والبيض: من الثور، والساد من الظلمة، [نقل قول الزعزعي وابن عطية والقول الأول في كلام النخعي الرافعي ثم قال:]

وبناءً على بياض لشره وأنه الحالة المثلى، وأسد الابيض والاسوداد إلى الوجوه، وإن كان جميع الجسد أبيض أو أسود، لأن الوجه أول ما يلقاه من الشخص وراءه، وهو أشرف أعضائه. [ثم ذكر أقوالاً متعددة في تفسير الوجوه، وأضاف:]

والعامل في (يوم تبيض) ما يتعلق به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي وعذاب عظيم كائن لهم يوم تبيض وجوههم. وقال المحوي: العامل فيه محذوف، تدل عليه الجملة السابقة، أي يُعَذَّبون يوم تبيض وجوههم. (٣: ٢١) نحوه الآلوسي. (٤: ٢٥)

السيوطي: قد يُقدّم لفظ ويؤخر في آخر، ونكتة ذلك إنا لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه، كما تقدمت الإشارة إليه. وإنا نقصد الهداء والختم به للاعتناء بشأنه، كما في

قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾.

وأما لقصد التفتن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب، كما في قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ مُسَجِّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ البقرة: ٥٨، وقوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ مُسَجِّدًا﴾ الأعراف: ١٦٦، (٤٧: ٣) رشيد رضا: قيل: إنَّ بياض الوجوه وسوادها هاهنا من باب الحقيقة، وأنَّ ذلك يكون يوم القيامة خاصة، واحتجَّ صاحب هذا القول بمثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْيُسُوفَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ الزمر: ٦٠.

وقيل: وهو الزاجح، أنه من باب الكناية. [ونظير قول الزاغب ثم قال:]

أقول: ولا يزال هذا الاستعمال شائعاً عند كلِّ فاضل بالضاد، لاسيما وصف الكاذب بسواد الوجه، فتحجب لسواد وجه الكاذب، هذا هو الزاجح في تفسير الآية وفقاً للزاغب ولأبي مسلم والفتار عند الأستاذ الإمام؛ إذ حمل العذاب في الآية على عذاب الدنيا وعذاب الآخرة جميعاً، وبدل على ما يكون في الآخرة الآيات التي ذكرناها آنفاً في بحث استعمال التواد والبياض في المعاني؛ إذ فيها التصريح بذكر ذلك اليوم.

وأما ما يكون في الدنيا فقد قال الأستاذ الإمام في بيانه مائثاً:

أما المتفتنون الذين جمعوا عزائمهم وإرادتهم على العمل، بما فيه مصلحة أنفسهم وملتهم، واعتصموا وأتمقوا على الأعمال النافعة التي فيها عزتهم ومرفهم، وأصبح كل واحد منهم عوناً للآخر وولياً له، فأولئك تبيض

وجوههم، أي تبسط وتتلأأ بهجة وسروراً، عند ظهور أثر الاتفاق والاعتصام وتناجيهما، وهي السلطة والعزة والشرف، وارتفاع المكانة وسعة السلطان.

وهذا الأثر ظاهر في الأمم المتحدة التي يتألم مجموعها، إذا أهدى واحد منها في قطر من أقطار الأرض بيد أو قريب، وتجتس جميعها مطالبة بنصره والانتقام له، لأنه ظلم وأهين، ولا يصح عندها أن يكون منها، ثم يظلم أو يُهان وتكون هي راضية ناصئة بال، أولئك الأقوام ترى على وجوههم لآلاء العزة وتآلق البشر بالشرف والرضا، وهو ما يعبر عنه بياض الوجه.

وأما المتفتنون لافتراقهم في المقاصد، وتباينهم في المقاصب والمشارب، الذين لا يتناصرون ولا يتماخدون، ولا يهتم أفرادهم بالمصلحة العامة التي فيها شرف الأمة وعزة الأمة، فهم الذين تسود وجوههم بالذلة والكآبة، يوم تظهر عاقبة تفرقهم واختلافهم بقهر الأجنبي لهم، ونزعة السلطة من أيديهم.

والتاريخ شاهد على صدق هذا الجزاء في الماضين، والمشاهدة أصدق وأقوى حجة في الحاضرين.

(٤: ٥٢)

هذه دُرُوزة، والمتبادر أن تعبير ابيضاض الوجوه واسودادها مجازي، مستمد من المألوفات الخطائية، في مواقف الفوز والإخفاق والصدق والكذب.

ولقد روى ابن كثير في سياق تفسير ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، أن ابن عباس قال: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدع والفرقة.

خلالها نبطاناً في ملائحته، مبعثراً في وجهه، مظلماً في ذاته. وهذا ما يوحى بالحقيقة الإنسانية في تأثير الواقع الفخائلي في صورة الواقع الخارجي للإنسان؛ بحيث تتمثل ملائحته الدخلية في ملائحته الخارجية في الصورة نازدة، ولي النظرة العامة لمركته نازدة أخرى.

وقد عبر الله عن ذلك بطريقة أخرى في صورة المؤمنين يوم القيامة في الثور الذي يسمى بين أيديهم وبأيمانهم، وذلك هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ وبإزاء هؤلاء نرى المنافقين والمنافقات غارقين في الظلمة يستجدون الثور من المؤمنين والمؤمنات ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

وتزداد الصورة وضوحاً في مواجهة الموقف، فيبدو لنا هؤلاء الذين اسودت وجوههم، فإذا بنا نلمح في أوضاعهم وتجاهر أصحابهم وطبيعة السؤال الإنكاري الذي يوجه إليهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ آل عمران: ١٠٦، صورة الناس الذين ساروا في خط الإيمان فترة من الزمن، ولكنهم وهروا تحت تأثير الضغوط الذاتية من الشهوات والأطباع والأصايل، فأنحرفوا عن المسط، ثم تحول انحرافهم إلى مواجهة مضادة للخط نفسه، عندما فرضت عليهم ذاتياتهم أن يقاوموه ليرضى عنهم أولياؤهم من الكافرين والضالين...

وفي هذا إجماع دقيق من بعد، بأن على الإنسان أن لا يستسلم للثقافة بإيمانه في استرخاء كسول، يؤمن معه بأنه لا يتزعزع مهما كانت الظروف والضغوط، بل ينبغي له أن يجرسه بالفكر والتأمل والقراءة والحوار والعمل،

والقول في حد ذاته وجهه ولي محله، وإن كان هذا لا يمنع من ملاحظة كون ظهور اليدع والأهواء، وتعبير أهل السنة والجماعة هما متأخران عن زمن ابن عباس. (٨: ١٤٠)

محمد حسين فضل الله: ليست القضية قضية صفة ذاتية عادية، يراد منها تقييم الإنسان من ناحية ذاتية، لأن طبيعة القضية تتصل بالجانب العام الشامل لحياة الإنسان.

أما ذلك الفلاح وهذا العذاب فإنها يبرزان بأعلى صفاتها في مواجهة الإنسان، للمصير في موقفه أمام الله، عندما يتحدد للإنسان مصيره من خلال انطباع أعماله على وجهه، فهناك الناس الذين تبيض وجوههم بما عملوا من خير، من خلال ما يتلوه من صفاء ونظم وبياض ناصح، وهناك الناس الذين تسود وجوههم بما عملوا من شر، من خلال ما يتلوه من سواد وظلمة وقلق، وذلك هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

وهذا تعبير إيماني عن الحالة الروحية، التي تترك تأثيراتها على الصورة البارزة للإنسان، من خلال عناصرها الخاصة في الذات، فإذا كانت الروح منفتحة على الجانب المشرق من النيات الحسنة والأعمال الصالحة، فإن ذلك ينعكس على إشراق الوجه نوراً وإشراقاً وبشراً، لأن هذا الإنسان لا يشكو من عقدة تنقل روحه وتسوء صورته.

وأما إذا كانت الروح مغلفة على الخير، ومنفتحة على الشر في الدوافع والأعمال، فإن الإنسان يبدو من

لأنّ الكثيرين من الناس قد ضلّوا بعد الهدى، وكفروا بعد الإيمان تحت تأثير العوامل السلبية المتنوعة المحيطة بهم.. فحاق بهم العذاب نتيجة ذلك كلّ، وواجهوا النداء الحاسم من الله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْیَحْثُوا وَجُوهَهُمْ﴾ فقد عاشوا حياتهم مع الله، فإذا فكّروا كان «الله» أول ما يذكرون به في عظمة خلقه وكرمه في نعمه، وفي كلّ شيء يحيط بهم. وإذا خلّطوا لحياتهم كان «الله» هو الذي يستلهمونه في رسم تلك الخططات. وإذا واجهتهم الشهوات، وقلّوا منها وقفة التوازن التي منها ما يبني للإنسان روحه وجسده في ما ينفع الروح والجسد، وترفض منها ما يهدم للإنسان كيانه في ما يضرّهما.

أما إذا عاشوا مع الناس، فإنهم لا يذكرون بأنفسهم في سجن الأنانية، بل يستفتحون على المنفعة الفردية والاجتماعية للآخرين، كمنطلق لممارسة المسؤولية المفروضة عليهم من الله، في أن تكون حياتهم خيراً وبركة للآخرين، فلا يصدر منهم أي ضرر أو فساد لأي إنسان.

وإذا وقفوا مع أنفسهم تذكروا الله قبل ذلك، فسلموا أنفسهم عبدة له، وعرفوا أنّ من واجهم أن يعبدوه حقّ عبادته، ويطيعوه حقّ طاعته. في كلّ ما يستطيعونه ويقدرّون عليه من ذلك... فكانوا قريبين من الله في فكّهم وشعورهم وعملهم، فاستحقّوا رحمته المتألّفة التي يمنحها للصالحين والمجاهدين من عباده ﴿قُلْ رَحِمَهُ اللهُ هُمْ قَبِيهَا خَالِدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٧. (٦: ٢٠٦) مكارم الشيرازي، إنّ هاتين الآيتين تسيّران

- يوضح - إلى أنّ هناك - في يوم القيامة - نوعين من الوجوه: وجوه مبيضة نيرة، ووجوه مسودة كالحمة، ثمّ تعلّق ذلك البياض، وهذا السواد، فتزدان سواد الوجوه إلى الكفر والاختلاف، والسودة إلى عادات الجاهلية، وأخلاقها الشريرة، وبياض الوجوه إلى الثبات على طريق الإيمان والوحدة.

وبكلمة: إنّ الآيتين تصرّحان بأنّ المتألفين والمتفرّقين بعد ما جاءتهم اليّنات هم المسودة وجوههم الذّايقون للعذاب الأليم بسبب كفرهم، وأمّا المؤمنون المتألفون المتحابون المتعدّون فهم في رحمة الله ورضوانه مبيضة وجوههم.

ولقد قلنا مراراً أنّ ما يلاقيه الإنسان من الأوضاع والمجالات، ومن الثواب والعقاب في الحياة الآخرة ليس في الحقيقة سوى أفكاره وأعماله وتصرفاته المجرّمة التي قام بها في هذه الحياة الدّنيا، لها وجهان لعملة واحدة، إنّّه تجسّم صادق ودقيق لما كان ينويه أو عمله هنا ليس إلاّ.

وبعبارة أخرى: إنّ لكلّ ما يفعله الإنسان في هذه الحياة آثاراً واسعة تبقى في روحه، وقد لا تدرك في هذه الحياة، ولكنها تتجلى - بعد سلسلة من التحوّلات - في الآخرة، فظهر بحقائقها الواقعية، وحيث إنّ جوانب الروح يكون أقوى في الآخرة، إذ تشدّ حاكميّتها وسيادتها على الجوانب الأخرى من الكيان البشري من هنا يكون لتلك الآثار انعكاساتها حقّ على الجسد، فتبدو الآثار المخوية للأصهار محسوسة كما يكون الجسد محسوساً لكلّ أحد.

فكما أن الإيمان والأيمان يوجبان الرفعة وبياض
الوجوه في هذا العالم، ويوجب العكس المكس، أي أن
الكفر والاختلاف يوجبان للأمة الكافرة المتفرقة سواد
الوجه والدّلّة، فإنّ هذا البياض والسواد المجازيين في
الدنيا يظهران في الآخرة بصورة حقيقة حيث يحشر
المؤمنون المتحدون المتآلفون ببيض الوجوه، بينما يحشر
الكافرون المتفرقون المتخاصمون سود الوجوه.

وتلك حقيقة أشارت إليها آيات أخرى في القرآن
الكريم في شأن من يتأدى في المحبة ويأتي بالذنب تلو
الذنب، والإثم بعد الإثم، إذ يقول سبحانه: ﴿كَانُوا
أَعْيُنًا وَمُجُوهًا قَطَعًا مِنَ الْبَلِّ عَظِيمًا﴾ يونس: ٢٧.

ويقول في شأن الذين يفترون على الله الكذب
﴿وَيَوْمَ الْفِتْنَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهَهُمْ
مُشْوَدَّةٌ﴾ الزمر: ٦٠.

وكل هذه الأمور هي المردودات والآثار الطبيعية لما
يأتيه الإنسان في عالم الدنيا من الأعمال.

(٤٨٧: ٢)

بَيَض

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
مَكْنُونٌ. الصّافات: ٤٨، ٤٩.

النبي ﷺ: عن أم سلمة، قتلت: يا رسول الله
أخبرني عن قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾. قال:
رفقتهن كرقعة المجلدة التي رأيتها في داخل البيضة، التي تلي
القشر وهي الغرق.

ابن عباس: اللؤلؤ المكنون. (الطبري: ٢٣: ٥٧)

مثله الشُّوطِي.

«البيض المكنون»: الجوهر المصون.

(أبوحيان: ٧: ٣٦٠)

سعيد بن جبّير: كأنهنّ بطنّ البيض.

(الطبري: ٢٣: ٥٧)

شبه ألوانهنّ بلون قشر البيضة الداخل، وهو غرق

البيضة، وهو المكنون في كنّ.

مثله الشُّدِّي.

الحسن: تشبيهاً ببيض النعام يُكنّى بالريش من

الفار والريح، فهو أبيض إلى الصفرة. (المأزدي: ٥: ٤٨)

قنادلة: لم ترقب الأيدي، ولم تمشه، يُشبهن بياضه.

(الطبري: ٢٣: ٥٧)

الشُّدِّي: بياض البيض حين يُترج قشره.

(ابن كثير: ٦: ١٢)

البيض حين يقشر قبل أن تمسه الأيدي.

(الطبري: ٢٣: ٥٧)

عطاء الخراساني: هو السّعاء الذي يكون بين

قشرته العليا ولباب البيض. (المأزدي: ٥: ٤٨)

ابن زيد: البيض الذي يُكنّى الريش، مثل بياض

النعام الذي قد أكنّه الريش من الريح، فهو أبيض إلى

الصفرة، فكانّه يبرق، فذلك المكنون.

(الطبري: ٢٣: ٥٧)

المُبَرَّد: والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد

نقاء ونقية لونه.

الطبري: [نقل أقوال المفسرين ثم قال:]

وأول الأقوال في ذلك بالصواب عندي، قول من

قال: شُبَّهْنِ فِي بَيَاضِهِنَّ - وَأُنْهِنَ لَمْ يَمْسَحْنَ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ
إِنْسَ وَلَا جَانَّ - بَيَاضُ الْبَيْضِ الَّذِي هُوَ دَاخِلُ الْقَشْرِ.
وَذَلِكَ هُوَ الْجِلْدَةُ الْمُكَبَّسَةُ الْمُحْ، قَبْلَ أَنْ تَمْسَحَ يَدُ أَوْ شَيْءٍ
غَيْرِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّكَ هُوَ الْمَكُونُ، فَأَمَّا الْقَشْرَةُ الْمَلِيَا
فَإِنَّ الطَّائِرَ يَمْسَحُهَا، وَالْأَيْدِي تَبَاشِرُهَا، وَالْقَشْرُ يَلْقَاهَا.
وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَصُونٍ: مَكُونٌ، مَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ:
لَوْ لَوْ كَانَ أَوْ يَخْتَصُّ أَوْ مَتَاعًا. [تَمَّ اسْتَشْهَد بِشَعْر]

(٥٧: ٢٣)

الرُّجْحَاجُ: أَيُّ كَأَنَّ أَلْوَانَهُنَّ أَلْوَانُ بَيْضِ النَّعَامِ.

(٣٠٤: ٤)

الْمَاوُذِيُّ: لَبِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَمْنَى اللَّوْلُؤُ فِي صَدْفِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

الثَّانِي: يَمْنَى الْبَيْضُ الْمَعْرُوفُ فِي قَشْرِهِ، وَالْمَكُونُ

الْمَصُونُ.

وَلِي تَشْبِيهِهِم بِالْبَيْضِ الْمَكُونِ أَرْبَعَةُ أَوْجَعٍ: [تَمَّ ذِكْرُ
التَّشْبِيهِ قَوْلَ الْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْثُّدِيِّ وَعِطَاءِ]

(٤٨: ٥)

نَحْوُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ.

الْمَيْبُذِيُّ: جَمْعُ الْبَيْضَةِ، وَهِيَ بَيْضُ النَّعَامِ بِشَوْبِ

بَيَاضِهَا صَفْرَةٍ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْأَلْوَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا

ذَكَرَ الْمَكُونُ وَالْبَيْضُ جَمْعَ لِأَنَّهُ رَدَّ إِلَى اللَّفْظِ، شُبَّهْنِ

بَيْضِ النَّعَامِ، لِأَنَّهَا تَكْتَنُّهَا عَنِ الرِّيحِ وَالشَّمْسِ وَالْفَيَّارِ

بَرِيضَهَا. (٢٧٣: ٨)

الرُّمَّعَشَرِيُّ: شُبَّهْنِ بَبَيْضِ النَّعَامِ الْمَكُونِ فِي

الْأَدَاسِيِّ، وَبِهَا تُشَبَّهُ الْعَرَبُ النَّسَاءَ، وَتَمْتَعِينَ بَيَضَاتِ

الْمَدُورِ. (٣٤٠: ٣)

ابْنُ عَطِيَّةٍ: فَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ بِهِ
مَاهُو، فَقَالَ الثُّدِيُّ وَابْنُ جُبَيْرٍ: شُبَّهْ أَلْوَانَهُنَّ بِلَوْنِ قَشْرِ
الْبَيْضَةِ مِنَ النَّعَامِ، وَزَهْوُ بَيَاضٍ قَدْ خَالَطَتْهُ صَفْرَةٌ حَسَنَةٌ،
قَالُوا: وَالْبَيْضُ نَفْسُهُ فِي الْأَغْلَبِ هُوَ الْمَكُونُ بِالزَّيْشِ،
وَمَقَى شَدَّتْ بِهِ حَالٌ فَلَمْ يَكُنْ مَكُونًا، خَرَجَ مِنْ أَنْ
يَشَبَّهَ بِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَابْنِ زَيْدٍ، [تَمَّ اسْتَشْهَد
بِشَعْر]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيهَا حَكَى الطُّبْرِيُّ: «الْبَيْضُ

الْمَكُونُ» أَرَادَ بِهِ الْجَوْهَرَ الْمَصُونُ.

وَهَذَا لَا يَصِحُّ عِنْدِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، لِأَنَّهُ يَرُدُّهُ

الْلَفْظُ مِنَ الْآيَةِ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: إِنَّمَا شُبَّهْنِ تَعَالَى بِهِ الْبَيْضُ الْمَكُونُ

تَنْبِيْهَا عَامًّا، جَمَلَةُ الْمَرَأَةِ بِجَمَلَةِ الْبَيْضَةِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ

تَنَاسُبَ أَعْزَافِ الْمَرَأَةِ، وَأَنَّ كُلَّ جِزْمٍ مِنْهَا نَسَبَتْهُ فِي الْجُودَةِ

إِلَى نَوْعِهِ، نَسَبَةُ الْآخَرِ مِنْ أَجْزَائِهِ إِلَى نَوْعِهِ، فَنَسَبَةُ

شَعْرِهَا إِلَى عَيْنِهَا مَسْتَوِيَةٌ، إِذْ هُمَا غَايَةُ فِي نَوْعِهَا،

وَالْبَيْضَةُ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ تَنَاسُبَ أَجْزَائِهَا، لِأَنَّكَ مِنْ حَيْثُ

جَمَعْتَهَا، فَالْظُّهُرُ فِيهَا وَاحِدٌ. (٤٧٣: ٤)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: الْمَكُونُ فِي اللَّفْظِ: الْمَسْهُورُ، يُقَالُ:

كُنْتُ الشَّيْءَ وَأَكُنْتُ، وَمَعْنَى هَذَا التَّشْبِيهِ: أَنَّ ظَاهِرَ

الْبَيْضِ بَيَاضٌ يَشُوْهُ قَلِيلٌ مِنَ الصَّفْرَةِ، فَإِذَا كَانَ مَكُونًا

كَانَ مَصُونًا عَنِ الْفَيْزَةِ وَالْفَقْرَةِ، فَكَانَ هَذَا اللَّوْنُ فِي غَايَةِ

الْحُسْنِ، وَالْعَرَبُ كَمَا نَوَا يَسْتَوْنِ النَّسَاءَ بَيَضَاتِ

الْمَدُورِ. (١٣٨: ٢٦)

الْقَرَطُوبِيُّ: قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ: شُبَّهْنِ بَبَيْضِ

النَّعَامِ، تَكْتَنُّهَا النِّعَامَةُ بِالزَّيْشِ مِنَ الرِّيحِ وَالْفَيَّارِ، فَلَوْ أَنَّهَا

أبيض في صفة، وهو أحسن ألوان النساء.

وقال ابن عباس وابن جبير والسدي: شبهن بطن البيض قبل أن يقشر، وقسمه الأيدي.

وقال عطاء: شبهن بالشعاع الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض، وسحابة كل شيء: قشرة، والجمع: شعاع. قاله الجوهري، ونحوه قول الطبري، قال: هو القشر الرقيق الذي على البيضة بين ذلك وذوي نحوه عن النبي ﷺ، والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفاتها وبياضها. [تم استشهد بشعر]

وتقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن والظافة: كأنه بيض الطعام المغطى بالزيت. وقيل: المكنون المصون عن الكسر، أي إتهن عذاري.

وقيل: المراد بالبيض: اللؤلؤ، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دُعَاؤُكَ كَانَتِ الْأَرْضُ الْقُلُوبُ الْمَكْنُونُ﴾ الواقعة: ٢٢-٢٣. أي في أصدافه، قاله ابن عباس أيضا. [تم استشهد بشعر]

وأما ذكر المكنون والبيض جمع، لأنه ردت إلى اللفظ.

نحوه الشريبي. (٢٧٧: ٣)

البيضاوي: شبهن ببيض الطعام المصون عن الغبار، ونحوه في الصفاء والياض المخلوط بأدنى صفة، فإنه أحسن ألوان الأبدان.

نحوه الكاشاني. (٢٦٩: ٤)

الطوفي: الغرض بالتشبيه قد يكون إلحاق الناقص بالكامل، وهو الأصل.

ومن ظن أن قوله تعالى في صفة المحور الصين:

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾، يُشبه الكامل بالناقص، إذ المحور أشد بياضا وحسنا من البيض، فقد وهم؛ إذ هذا تشبيه غير المجهود لنا بالمجهود، والمنفي عنا بالظاهر لنا، فالبيض من حيث المجهود به، والظهور لنا أكمل من المحور؛ إذ إدراكنا هن بالوهم والتخيل، وإدراكنا للبيض بالمشق والمشاهدة، وهو أقوى. ومن هذه الجهة وقع التشبيه، لامن حيث التفاوت الحقيقي. (١٣٣)

أبو حيان: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾: شبهن، قال الجمهور: ببيض الطعام المكنون في حته، وهو الأدعية، ولونها بياض به صفة حسنة، وبها تشبه النساء. [تم استشهد بشعر]

وقال السدي وابن جبير: شبه ألوانهن بلون قشر البيضة المأخلة، وهو غرقى البيضة، وهو المكنون في كن. ورجعه الطبري وقال: ولنا خارج قشر البيضة فليس بكنون.

ومن ابن عباس البيض المكنون: الجوهر المصون، واللفظ ينبو عن هذا القول، وقالت فرقة: هو تشبيه عام جملة المرأة بجملة البيضة. [تم ذكر نحو ما تقدم عن ابن خطبة] (٣٦٠: ٧)

نحوه القاسمي (١٤: ٥٠٣٧)، والمراغي (٢٣: ٥٨)، والطباطبائي (١٧: ١٣٧)، ومكارم الشيرازي (١٤: ٢٩١).

ابن كثير: وصفهن بترافق الأبدان بأحسن الألوان. (٦: ١١)

البرزوسوي: بيض يفتح الباء: جمع بيضة، وهو المعروف. سمي البيض لبياضه، والمراد هنا: ببيض الطعام.

(٧: ٤٦٦)

الآلوسي: [نحو ما تقدم عن أبي حيان وأضاف:]
وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس وهو وغيره عن
ابن جبير، وابن أبي حاتم، وابن جرير عن الشَّذِّي: أَنَّ
التَّيْضَ المَكْنُونُ: ماتحت القشرة الصلب، بينه وبين
القلب الأصفر. والمراد تشبيهنَّ بذلك بعد الطبخ في
النخلة والطراوة، فالتيضة إذا طبخت وقُشِرت ظهر
ماتحت القشرة على أتم نخلة وأكمل طراوة، ومن هنا
تسمع العامة يقولون في مدح المرأة: كأنها تيضة مقشرة.
ورجح ذلك الطَّبْرِيُّ بأنَّ الوصف به (مَكْنُونٌ)
يفتضيه دون المشهور، لأنَّ خارج قشر التَّيْضَةِ ليس
بمَكْنُون.

وفيه: أَنَّ المتبادر من التَّيْضِ بمعجم القشر هو ما فيه
«وأكلت كذا تيضة»، الأكل فيه قرينة إرادة ما في القشر
دون المجموع، إذ لا يؤكل عادة، وحيث لا يستمر ما قاله
الطَّبْرِيُّ، فالأوَّل هو المقبول، ومعنى المَكْنُون فيه ظاهر
على ما سمعت.

وقد نقل المفاجي هذا المعنى عن بعض المتأخرين،
وتعبد بأنه ناشئ من عدم معرفة كلام العرب، وكأنه لم
يقف على روايته عن الجبير ومن معه، وإلا لا يتسقى له
ما قال. ولعلَّ الرواية المذكورة غير ثابتة، وكذا ما حكاه
أبو حيان عن الجبير: من أَنَّ التَّيْضَ المَكْنُونُ: الجوهر
المصون، إثبات ظاهر اللَّفْظ عن ذلك.

وقالت فرقة: المراد تشبيهنَّ بالبيض في تناسب
الأجزاء، والبيضة أشدَّ الأشياء تناسبا أجزاء.
والتناسب مدوح، [ثم استشهد بشعر]

وأنت تعلم بعد فرض تسليم، أَنَّ تناسب الأجزاء في
التيضة معروف بينهم، أَنَّ الوصف به المَكْنُونُ مما
لا يظهر له دخل في التشبيه، واستشكل التشبيه على
ما تقدم بأية عروس^(١) القرآن: «كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْخَزْجَانُ» الرَّحْمَنُ: ٥٨، طابها ظاهرة في أَنَّ ألوانهنَّ
حررة، وأين هذا من التشبيه به التَّيْضَ المَكْنُونُ على
ما سمعت قبل، فيتمين أن يراد التشبيه من حيث النخلة
والطراوة، كما روي ثانيا، أو من حيث تناسب الأجزاء
كما قيل أخيراً.

وأجيب بأنه يجوز أن يكون المشبهات به التَّيْضَ
المَكْنُونُ غير المشبهات به الياقوت والمرجان، ويكون
البياض المشوب بالصفرة أحسن الألوان في النساء، غير
محمرة، بل هو حسن، ومثله في الحسن البياض المشوب
بمحمرة، على أَنَّ الأحسن تختلف باختلاف طباع
الرائين. «وللتأْس فيها يعشقون مذاهب»، والجنة فيها
ما تشبهه الأنفس وتلذَّ الأعين.

وقيل: يجوز أن يكون تشبيهنَّ به التَّيْضَ المَكْنُونُ
بالنظر إلى بياض أبدانهنَّ، المشوب بصفرة، ما عدا
وجوههنَّ، وتشبيهنَّ به الياقوت والمرجان بالنظر إلى
بياض وجوههنَّ المشوب بمحمرة.

وقيل: تشبيهنَّ بهذا ليس من جهة أَنَّ بياضهنَّ
مشوب بمحمرة، بل تشبيهنَّ به الياقوت والمرجان من حيث
الصفاء، وبه الخَزْجَانُ من حيث الإملاس وجمال
المظهر. وإذا أُريد به الخَزْجَانُ الدرر الصغار - كما ذهب
إليه جمع - دون الخرز الأحمر المعروف، يجوز أن يكون

التشبيه من حيث البياض المشوب بصفرة، فلا إشكال أصلاً. (٨٩: ٢٣)

سيد قطب: لا تبدله الأيدي ولا العيون.

(٢٩٨٧: ٥)

محمد هبة هزؤة: (يبيض) يُطلق مجازاً على حبات اللؤلؤ الكبيرة. [إلى أن قال:]

ويستعملون بالنساء التجمل العيون، اللاتي كآتهن اللؤلؤ بياضاً وجمالاً، الطاهرات المصونات عن الابتغال. (٢٥٢: ٤)

عبد الكريم الخطيب: وصف لأخوانهن وأتهن بفضاوات، كآتهن التبييض المكنون، أي المفوظ من الشمس والغبار تحت أجنحة الطير، فهو باق على بياضه ونقاته.

وفي تشبيه لون بشرة المرأة بالتبييض المكنون (مخفي) من إيجاز القرآن، في دقة الوصف وصدق، فالتبييض المكنون تحت أجنحة الطير، يضم في كيانه حياةً يفتدي منها قشر التبييض نفسه، كما تقتدي بشرة الجلد في جسد الكائن الحي، ثم إن هذا التبييض يحمل في كيانه الحياة في مطلق نوحها واكتناها، فهي إذن ليست حياةً مولية، وإنما هي حياة مقبلة، كذلك الحياة التي في كيان هؤلاء الفتيات من حور الجنة.

فالقشرة التي تحتوي التبيضة، تشير إلى مالي كيانتها من حيوية متدفقة تماماً كذلك البشرة التي تحتوي جسد الشباب المتدفق حياةً وقوة. (٩٨٢: ١٢)

طه الدرة: والعرب تشبه النساء بالتبييض من ثلاثة أوجه:

أحدها: بالصحة والسلامة من الطم، أي الجباع. [ثم استشهد بشعر]

والثاني: في الصيانة والستر، لأن الطائر يصون بيضه ويحضه.

والثالث: في صفاء اللون ونقاته، لأن التبييض يكون صافي اللون نقيه، إذا كان تحت الطائر. (١٤٥: ١٢)

محمود صافي: يبيض: اسم جنس لما تُحطيه الإناث من الحيوانات وطيورها، الواحدة: تبيضة، وزنه «فئلة» يفتح فسكون، ووزن يبيض «فعل» يفتح الفاء. التشبيه المرسل في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ لَّكَوْنٌ﴾.

والمراد تشبيههن بالتبييض الذي كنه الريش في الثمن عظم قمته الأيدي، ولم يصبه الغبار بقليل صفرة، مع إيجاز كما في الدرة.

والأكفرون على تخصيصه ببيض النعام في الأداعي، لكونه أحسن مظهراً من سائر التبييض، وأبعد عن مس الأيدي، ووصول ما يغير لونه إليه، والعرب تشبه النساء بالتبييض ويقولون هن: بيضات المدور. (٥٨: ٢٣)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التبيضة - لا البياض الذي جعله ابن فارس وغيره أصلاً - وهي ما تضمه إناث الطير وغيرها من الحيوان، والجمع: تبيض وتبيضات، يقال: أفرخت التبيضة، أي صار فيها فرخ، ودجاجة يبيض ويباضة وتبيض، ودجاجات يبيض، ومبيض الطير: الموضع الذي يبيض فيه، وقد باضت الدجاجة

تَيْضُ تَيْضًا. وديك يائض وغراب يائض. وهو على التوسع، مثل: والد.

ويقال على المثل: بيضة العُقر. وذلك أن تُختبب الجارية فتُفْتَضُّ، فتُجَرَّب بيضة، وتسمى تلك البيضة: تَيْضَةُ العُقر. وتَيْضَةُ الديك: تَيْضَةٌ يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود، يُضرب مثلاً لمن يصنع الصنعة ثم لا يعود لها. وتقول العرب للرجل الكريم: هو تَيْضَةُ البلد، أي تَيْضَةُ النعامة التي يصونها الظلم. وقد اشتهر الإمام علي عليه السلام بهذه الصفة الحميدة. وتقول أيضاً في الذم: هو أذل من تَيْضَةِ البلد. أي التَيْضَةُ التي تتركها النعامة. وهو على الاستعارة، وتَيْضَةُ الشمام: شحمته. وتَيْضَةُ الجنين: أصله.

ويقال على التشبيه بشكل التَيْضَةِ: بيضة الحديد الخوذة، لأنها على شكل تَيْضَةِ النعام. يقال: لبناض الرجل، أي ليس التَيْضَةُ، ورأس القومعة والقبة، وورم يكون في يد الفرس، يقال: قد باضت يد العرس تبيض تَيْضًا، والتَيْضَةُ: عنب أبيض عظيم الحب يكون في الطائف، والتَيْضَةُ: بيضة الخنثية. ويقال للجارية: تَيْضَةُ الخدر، لأنها مكونة في خدرها كالتَيْضَةِ.

٢- ويقال تشبيهاً بلون التَيْضَةِ: أَبَاضَ وأَبِضَ: صار أبيض. وبيَضَ الشيء: جعله أبيض فأبيض أبيضاً وأبيضاً وأبيضاً أبيضاً، والبِاضُ: الذي يبيض الثياب. وأبيضت المرأة وأباهت: ولدت البيض، وهي مُبِيضَةٌ. والبيضان من الناس: جمع الأبيض، ويجمع الأبيض والبيضاء على بيض. وباضني فلان فبيضته، أي فقتله في البياض. والمبيضة: أصحاب البياض، وهم فرقة

من الثنوية أصحاب المقنع، مقوا بذلك لتبيضهم ثيابهم، خلافاً للسودة من أصحاب الدولة العباسية.

وقد سمي بالبياض لاكتساب صفته، ومنه: الأبيض، أي الشيف، وجرق الثرة، وجرق في القلب، وجرق في الحالب.

والأبيضان: عرقا الوريد، وعرقان في البطن، والشحم واللبن، والشحم والشباب، يقال: ذهب منه الأبيضان.

والبيضاء: الشمس، وحباله الصائد، والقدر، ويقال لها أيضاً: أم بيضاء، وكتيبة بيضاء: عليها بياض الحديد، وأرض بيضاء: ملساء لانبثاق فيها، كأن الثبات كان يتوحد.

وبياض الكبد والقلب والطحال: ما أحاط به، وبياض الأرض: بها لاهارة فيه، وبياض الجلد: ما لا أثر عليه. ومنه: باضت البهي: سقطت نصالها، وباضت الأرض: اصفررت خضرتها ونفضت الثمرة وأبست، وأباهض الكلاً: أبيض ويس.

ومن الهاز: كلمته لما ردت علي سوداء ولا يبيض. أي كلمة قبيحة ولا حسنة، وكلام أبيض: مشروح، وأبو البيضاء: الأسود، وفلان أبيض وفلانة بيضاء: عرستها نقي من الدنس والعيوب، وفلان أبيض الوجه وفلانة بيضاء الوجه: لونها نقي من الكلف والسواد الشائن، واليد البيضاء: الحجة المبرهنة، ويقال لفارس: الأبيض، لبياض ألوانهم، ولأن الغالب على أموالهم القضة، والموت الأبيض: موت النجاة، لأنه لم يكن قبله مرض يغير لونه، والليالي البيض: الليلة الثالثة عشرة

والزجاجة عشرة والخامسة عشرة من الشهر القمري،
ليأخذهن بالقمر من أول الليل إلى آخره.

ومنه قولهم: ما رأيت مذ أبيضان، يعني يومين أو
شهرين، وذلك لبياض الأيام، وبيضة النهار، بياضه،
يقال: بايتنا فلان بذلك الأمر مبايضة: جاهرنا في بيضة
النهار، وبيضة الصيف: مظلته، وبيضة الحر: شدته،
يقال: باض الحر: اشتد، وباض السحاب: أطر، وأفرخ
بيضة القوم: ظهر مكتوم أمرهم، وبيض الإباء والسفا:
ملاء وفرغه أيضا.

٢- أما معنى الإقامة بالمكان فهو من باض يَبُوضُ
بوضاً، إلا أن بين «ب و ض» و«ب ي ض» اشتقاق
أكبر، إذ جاء منها حسن الوجه ونقاؤه بعد كلف.

٤- وزعم العدناني أن جمع «أبيض» على «بيضاني»
خطأ، وأدعى أن الصواب جمعه على «بيض» فقط
تشبيهاً بالقياس، ثم سرد أمثلة لاستعمال «البيض» في
الكتاب والسنة، ولكنه لم يفصح عن استعمال لفظ
«البيضان»، أو يدعم مدعاه بقول أو مثال من المطان.

والحق أن مستقدي اللغويين لم يصرحوا بأن
«البيضان» جمع «الأبيض»، إلا أنهم أشاروا إليه أثناء
كلامهم، فقالوا مثلاً: العرب تقول: فلانة مسودة
ومبيضة، إذا ولدت البيضان والسودان، وقد قالوا
صراحة: إن «السودان» جمع أسود، كما أن متأخري
اللغويين صرحوا بأن «البيضان» جمع أبيض، ومنهم
الزبيدي في «تاج العروس».

الاستعمال القرآني

قد جاءت فعلاً ووصفاً واسماً ١٢ مرة:

١- ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ
وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف: ٨٤
٢ و٣- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي
رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ آل عمران: ١٠٦، ١٠٧
٤- ﴿...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَسْبَغَ لَكُمْ الْحَبِيطُ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِنَ الْحَبِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الظُّلُمَاتِ إِلَى
النَّيْلِ...﴾ البقرة: ١٨٧

٥- ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ
فَرْجِ سُوءٍ أَيْتُهُ أُخْرَىٰ﴾ طه: ٢٢

٦- ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُوءٍ وَلَا تَجِدُ مَا تَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَمْ يُضَعَبْ عَنْكَ
الْفَرْغُ﴾ قاف: ١٢

٧- ﴿أَسْأَلُكَ بِذَلِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ
مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ يُزْعَوْنَ وَمَلَايِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾
الفصص: ٣٢

٨ و٩- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ لِإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِقِينَ﴾
الأعراف: ١٠٨، والشعراء: ٣٣

١٠- ﴿يُعَاطَفُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ بَيْضَاءُ لَذَّةٌ
لِلنَّاطِقِينَ﴾ الصافات: ٤٥، ٤٦

١١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ فاطر: ٢٧

١٢- ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُقِ عَيْنٌ﴾ كَاتِبُونَ

يَبْضُ مَكُونٌ»

الضافات: ٤٨، ٤٩

يلاحظ أولاً: أن البياض يُلحظ في جميع الموارد، إلا أنه في بعضها حقيقة وفي بعضها كناية، كما ستري.

ثانياً: جاء الفعل ثلاث مرّات، ماضياً مرّتين ومضارعاً مرّة:

الأولى: «وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ»، جاءت في شأن يعقوب لكثرة بكائه على فراق يوسف، وبياض العين كناية عن القمى الناشئ من كثرة البكاء؛ حيث غلب البياض سواد العين فقمي.

وهاهنا بحوث:

١- قال: «وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ»، ولم يقل: عيني، فلم يسند إلى القمى - وهو عيب - تكراراً له، ولأنه لم يكن في الحقيقة قمى، وإنما كان حجاباً من رؤية غير يوسف وهذا يحكي مدى حبه ليوسف، وكأنه لم أعطى العيب إلا لينظر إلى وجه ابنه الحبيب يوسف، فلما حُرِم من لقائه وحال الفراق بينها اطمس بصره، لأنه لا شيء أشد على الأحباب من رؤية غير المحبوب عند فراقه.

٢- استمرّ بياض عينه حتى استمدّ للقاء يوسف، ولم ينقشع إلا بقميص يوسف بعد ثمانين شهراً - كما جاء في الأخبار - وهذا رمز آخر إلى شدة العلاقة بين الأب والابن، حيث فقد بصره بفراقه، ورُدّ إليه قبيل لقائه.

٣- رُدّ بصره بقميص يوسف وقمصه هو ما أتى به إخوانه ملطخاً بدم كذب، وكان بداية حزنه عليه، وكان للقميص دور في بقاء يوسف في السجن بضع سنين. لكنّه ممتدّد في المواقف الثلاث وليس قيماً واحداً لاحظ «ق م ص».

٤- وهناك رمز ثالث إلى مدى تلك العلاقة، وهو قوله: (مِنَ الْحُزْنِ)، أي لم يكن بياض العين لمرض ألمّ بها، بل للحزن على الفراق، ويصدق الحزن عند غياب المحبوب، فلم لم يُطمس بصره، ورأى الناس ولم ير يوسف بينهم، لازداد حزنه وتضاعف، ولانقلب إلى حزين، حزن فراق المحبوب، وحزن لقاء غير المحبوب، فمن الله عليه، وهون عليه الحزين، إلا أنه غير مؤبّد، بل إلى انتهاء عذاب الفراق، وتجدّد حذب الوصال.

٥ - وقد أبدى يعقوب حزنه على فراق يوسف مرّتين: مرّة عند بدء الفراق، حيث اقترح عليه إخوة يوسف أن يرسله معهم يرتع ويلعب، فقال لهم: «إِنِّي لَخَافُتُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ» يوسف: ١٣. ومرّة عند انشفاقهم عليه أن يكون حراً أو يكون من المالكين لكثرة ذكره يوسف فقال: «إِنَّمَا أَشْكُوا بَقِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَآلِهِم مِّنَ اللَّهِ مَا لَا تَفْلَهُونَ...» يوسف: ٨٦.

٦- إن يعقوب مع شدة حزنه على فراق يوسف فقد كلفه في المرّة الأولى، ولم يُظهره للناس، فلم ير الناس من يعقوب خلال تلك الأيام والشهور سوى كثرة بكائه وابتساض عينيه، أما ما نظروا عليه قلبه وامتلأ به صدره من الحزن فلم يعلمه إلا الله، ولهذا شكاه إلى الله دون غيره. وهذا باب كبير من اتكاله على الله، ورجائه منه، واعتاده على لطفه ورحمته، واستغناؤه عن غيره.

٧- وهناك نكتة أخرى ذكرها أبو علي الدقاق، حيث فارق بين بكاء يعقوب وبكاء داود عليه السلام، فقال: «إِنَّ يَعْقُوبَ بَكَى لِأَجْلِ مَخْلُوقٍ وَهُوَ يُوسُفُ، فَذَهَبَ بِصَرِهِ، وَدَاوُدَ بَكَى لِأَجْلِ اللَّهِ، فَبَقِيَ بِصَرِهِ».

٨- إن قوله: ﴿وَأَبْيَضْتُ وَجْهًا﴾، كناية عن القمى كما سبق، وقيل: إنه كناية عن ضعف البصر، فكان يرى قليلاً، وفيه أنه قد جاء في استمرار القصة ما يكشف عن عسى عينيه وذهاب بصره مرتين، وهما: ﴿إِذْ هَبُوا بَقِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يوسف: ٩٢، و﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَرْتَهُ بِبَصِيرَةٍ﴾ يوسف: ٩٦. وجاء البصير في القرآن مقابلاً للأعمى مرات، منها: ﴿وَمَا يَشْعُرُ أَتَّعَمَّى وَالْبَصِيرُ﴾ فاطر: ١٩.

٩- هناك بحث في جواز القمى على الأنبياء، لاحظ النصوص.

١٠- الفعل «أَبْيَضْتُ» من باب «الافعلال»، مثل: اجمر احمرارًا، فهو ملحق بالضعاف، ولا يختص بيباض العين أو بكناية عن القمى، بل جاء بمعنى تلاقى الوجوه وشرها فيها يأتي من الآيتين. تلك عشرة كاملة.

الثانية والثالثة: «أَبْيَضْتُ» و«تَبَيَّضُ» في (٢) و(٣) وفيها بحوث:

١- الابيضاض فيها ليس بمعنى البياض - وإن قاله بعضهم - بل هو كناية عن إشراق الوجوه وإسفارها وسرورها وشرها، وسوادها أيضًا كناية عن صوبها وحزنها وكآبتها، كما قال: ﴿وَجُوءَ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۖ ضَاجِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَوُجُوءَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْفَعُهَا قَفْرَةٌ﴾ حبس: ٢٨- ٤١. وقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل: ٥٨، وعليها يحمل قوله: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهَهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ الزمر: ٦٠، وهذه كناية شائعة،

فيقال للفاتر: أبيض الوجه، وللخاسر: أسود الوجه، لاحظ النصوص. ولا سيما نص فضل الله، فقد بين العلاقة بين الحالة النفسية من الحزن والسرور وحالة الوجه بأحسن بيان وأطول.

ومع ذلك كله فنحن لانرى مانعاً من أن يراد بها بياض الوجه وسواده بالمعنى اللغوي والكنائي معاً، لما جاء في الروايات حول أهل الجنة وأهل النار، ولا يمتد ذلك من باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى، لاحظ المدخل: الاصطلاحات البلاغية.

٢- قدم «الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ» على «الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ» في الصدر، ثم عكس في الذيل، طائر «الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ»، وقدم الفريق الآخر، هل في ذلك سر؟

لعل السر فيه أنه تعالى أراد البدء والختم بأهل النجاة والنعمة تفضيلاً للرحمة على العذاب ووصف الترحيم على الجبار، فسبقت رحمته غضبه. وقد يكون ذلك تفنناً في الكلام، أو لئلا يلافتة أخرى، كما في قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حُطَّةٌ﴾ البقرة: ٥٨، وقوله: ﴿وَقُولُوا حُطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ الأعراف: ١٦١، إشعاراً بعدم الفرق بين التقديم والتأخير.

٣- قد أولت كل طائفة هذين الفريقين بنفسها ومن خالفها، مثل: أهل السنة والجساعة وأهل البدعة والضلالة، أو من وإلى علياً ومن عاداه - كما جاء في حديث طويل عن النبي ﷺ، نقله البهراقي (١: ٨-٣) - أو الأنصار والمهاجرين وبني قريضة وبني النضير، أو

أهل الكشف والشهود وأهل المحجّاب والكلام، إلى غير ذلك مما جاء في النصوص، والآيات نعم أهل الحق والضلال من كلّ فريق، ووجد أو سيوجد إلى يوم القيامة، وكلّ ما ذكره تأويل ليس غير.

ثالثاً: جاء الوصف بثلاث صيغ:

أولاهـا: (الآبيض): مرّة في (٤) مع (الأسود) وصفاً للخيّط وعلامة للفجر، ليمكّ القنّام من الأكل والشرب عنده، والفجر فجران، الأول: الفجر الكاذب، لبطالته بعد مكث قليل؛ إذ يخرج في الأفق عموداً، ثمّ يطل باستبداله بيباض معترض كالخيّط الأبيض، فيتميّز صمّا حوله من التّواد، ويشكّلان صمّا خطين، لاحظ الطّباطبائيّ: فهذا أوان الصّوم وحلّة الفجر، ولقد فهم بعض الصّحابة الآية بطرّح التّفور إلى حدّ يحدّدهم الخيوط الأبيض من الخيوط الأسود، فينبأ أنّهم كانوا قد قد غمّرها بعض الفقهاء قديماً كالأعمش بالنّهار والليل، ولكنّ الإجماع استقرّ على خلافه.

ثانيها: (بيضاء): جاءت ستّ مرّات: خمساً معجزة لموسى وصفاً لبده اليمنى في (٥ - ٩)، ومرّة وصفاً لكأس يشرّبها أهل الجنّة في (١٠)، يأخذونها بيدهم اليمنى طبعاً، فاليد اليمنى مشتركة بين الموقفين كوصف «بيضاء» وجاءت نكرة دائماً إشعاراً بخلعها وشدة حسرتها، وليذهب ذهن السامع إلى كلّ مذهب ممكن، وهي فضل الله ورحمته في الجميع: فظهر معجزة موسى في موقف، ورحمة لأهل الجنّة في موقف آخر، فجوهرها واحد ومظاهرها متعدّدة.

أمّا معجزة موسى فقد أمر أن يدخل يده في جيبه،

فخرج بيضاء تضيء للنّاس، وفيه عجوت:

١- قيّدت (بيضاء) في (٥) و(٦) و(٧) بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوِيٍّ﴾، أي ليس بياضها لمرض كالبرص، بل هو نور من الله تعالى وآية على صدقه.

٢- جاءت «اليد البيضاء» مع جعل الصّفا ثعباناً آتين وبرهانين لموسى في أربع منها: (٥) و(٨) و(٩) و(١٠). وجاء هذان من جملة سبع آيات له إلى فرعون وقومه في (٦)، ولا تختلفان إلّا في الاختصاص هاتين الآيتين بفرعون ومن عنده من التّحيرة، والآيات السبع الباقية نعم فرعون وقومه.

٣- الآيات الثلاث: (٥ - ٧) جاءت تحمل أمر الله لموسى بإبراز هاتين الآيتين كتجربة له أمام الله، ولما يثاب (٨) و(٩) تحملان الإتيان بها أمام فرعون، فلهذا كانا في آيات طائفتان: تجرّية وبرهانية.

٤- اختلف التعبير في الطائفة الأولى، ففي (٥): ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾، وفي (٦): ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، وفي (٧): ﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، فهل فيها نكتة، أو هي صرف تفنّن في الكلام؟

والجواب: أنّ هذه كلّها ترجمان لما خاطب الله موسى بلغته، عبريّة كانت أم قبطيّة. ومهما كانت فلم تكن عربيّة حتّى يُسأل خاطبه الله بأيّ هذه الألفاظ، ولم يبدّها بألفاظ أخرى؟ فإنّه لم يخاطبه بشيء منها، بل بلغة أخرى غيرها.

أمّا سرّ ترجمتها بثلاثة ألفاظ، فإنّها تحكي استيعاب واستعداد تلك اللّغة لنقلها إلى هذه الألفاظ، كما تحكي استيعاب وسعة اللّغة العربيّة عامّة، وكلام الله خاصّة

للتعبير عن معنى واحد بألفاظ متعددة، وهذا تفنن في الكلام، وربما يبلغ مرتبة من الإعجاز.

على أن هناك فرقاً جوهرياً بين الثلاثة؛ إذ كل منها يبين مرحلة من العمل الذي كلف به موسى، فقوله: ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، يحكي بداية العمل، والجيب: فتحة القميص أو الجبة من الصدر والصق. وقوله: ﴿أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، يحكي استمرار العمل؛ إذ كلف بأن يسلك يده في جيبه بعد إدخالها فيه مرورياً بصدرة إلى جانبهِ. وقوله: ﴿وَرَأْسُكُمْ يَدَكَ إِلَى جَنْبِكَ﴾، يحكي نهاية العمل، وهو ضم اليد وإدخالها بعد المرور على الصدر والصاقها بجناحه.

والجناح في الأصل: جناح الطائرة، ويُطلق مجازاً على اليد والمضد والإبط والجانب فكلف موسى أن يضم يده اليمنى إلى جانبه الأيسر، فانه تعالى كرر القصة في القرآن اهتماماً بها، وأوفاً إلى جميع مراحلها بتعابير عديدة، لذة للقارئ، وعبرة للمعارضين، وإقناعاً للشاكين في بلاغة القرآن.

٥ - أما الطائفة الثانية - وهي الآيتان (٨) و (٩) لما عهدتا قائماً: ﴿وَنَزَعْ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾، والنزع لا يكون إلا بعد الضم والإصاق المستفاد من الآية (٥)، فهو قلع واستصال للشيء عما لصق به مباشرة، وهذا منتهى العمل.

٦ - وقد راعى الله في بيان هاتين الآيتين - وهما العصا واليد البيضاء - الترتيب في جميع الآيات، فقدم الأولى على الثانية عند تكليف موسى وحده إتيانه بها على السواء، ولعل السر فيه أن في قلب العصا نبعاً هيباً

وإخافة للنّاظرين، فيعجبهم على التسليم، ولينظروا إلى آية اليد البيضاء خاضعين لها، وهذا هو سرّ تعددها، فلم يكتب بإحداها.

٧ - جاء في الثلاث الأولى قوله: ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءُ﴾، فنسب خروجها بيباض إلى اليد لا إلى موسى، وكذلك في الأخيرتين: ﴿وَنَزَعْ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾، نسب نزع اليد إلى موسى، واليباض إلى اليد نفسها، تركيزاً لأنها فعل الله لأهل موسى كسائر المعجزات، وهكذا الأمر في آية العصا، حيث جعل إلقاءها فعل موسى، وقلبها حية نبعاً من تلقاء نفسها، أي من الله: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ طه: ٢٠، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْلَانٌ﴾ الأعراف: ١٠٧.

وما جلي الرب في كونها فعل الله هو خوف موسى: ﴿وَلَمَّا آتَى بِعَصَاهُ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْتَرِياً وَلَمْ يُغْنِ بِهَا مَوْسَى أَقْبِلْ وَلَا تَلْقَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ القصص: ٢٠، لاحظ «موسى» و«ع ص و». ب - ﴿بَيْضَاءُ لِّلنَّاطِرِينَ﴾: هذان وصفان تلياً ﴿بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ﴾، وقد اختلفوا اختلافاً فاحشاً في أن (بَيْضَاءُ) أي وصف لكأس) لأنها مؤنث، أم «للخمر» المستفاد من السياق، وهي مؤنث أيضاً.

ولنقاتل أن يقول: (بَيْضَاءُ) وصف لكأس، و(لِّلنَّاطِرِينَ)، وصف للمعِين، وهذا الوجه وإن كان بعيداً إلا أنه أقرب إلى الصواب من قولهم.

ونحن نهضل أن تكون (بَيْضَاءُ) وصفاً لكأس، و(لِّلنَّاطِرِينَ) تعليل لشرب ما في الكأس، وحسبك النظر في نظائرها:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ نَكَّاسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا﴾
الذمر: ٥

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيًّا﴾

الذمر: ١٧

﴿وَكَأْسًا بِهَاقًا لَا يُسْمَنُ فِيهَا لَفُورًا وَلَا كِيْرًا﴾

النبا: ٣٤، ٣٥

﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَفُورَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيْمَ﴾

الطور: ٢٣

﴿يُعْطَاكَ عَلَيْهِمْ نَكَّاسٍ مِنْ مَّجِينٍ يَخْتَضُّ لَذَّةُ

الْشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَعُونَ﴾

الصافات: ٤٥-٤٧

﴿يُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلِذَٰلِكَ خُلِّدُونَ﴾ بِالنَّوَابِ

وَالْمَسَارِيْقِ وَنَكَّاسٍ مِنْ مَّجِينٍ لَا يُخْشَوْنَ

عَنْهَا وَلَا يُنْزَعُونَ﴾

الواقعة: ١٧-١٩

وأنت ترى أنَّ الضمير في الآيات يرجع إلى (نكَّاسٍ)،

ومابعدھا من الأوصاف وصف لما في الكأس من

الشَّراب سباقًا واحدًا، ومعلوم أنَّ لون الكأس هو لون

الشَّراب، ويتغير بتغيره، ولعلَّه السبب في إيهام الضائر

وترددها بينهما، بل تحتلها للرجوع إليها سماء

هالأوصاف في الآيات أوصاف للخمر أولاً، وللنكَّاس

ثانيًا، ولأسبب وصف اللون، حيث أنَّه للخمر بالذات

ويسري منها إلى الكأس فيتلون بلونها، وإلى هذه

الكلمة أشار الشاعر بلسان صوفي عراقي يرمز إلى

وحدة الوجود، حيث قال:

رقى الزجاج ورقَّت الخمر

فتشابهها فاشتبه الأمر

فكأنها خمر ولا قدح

وكأنها قدح ولا خمر

والخمر عند العرفاء هي العشق بالله، وينبغي لهم أن

يأوتوها هاهنا بذلك، لأنهم لا يسكرون إلا بشراب

العشق والعرفان، دون الخمر ومالي الكأس.

واختيار لون البياض للنكَّاس دون سائر الألوان،

لأنَّ البياض في الحقيقة ليس لونا، فيجتمع مع كلِّ لون

ويتلون بها. لاحظ «لله».

ثالثها: «بيض»: في (١١) جمع «أبيض»، وصف

لجذده، أي طرق وخطوطه، ألوانها مختلفة، فيها

البيض، ومنها حمر، وهي كالعروق في بطن الجبل،

والجذود جمع جذء، وهي الطريقة التي يخالف لونها

مايلها، سواء كانت في الجبل أم في غيره، ومنها المظنة في

ظهر الحمار تخالف لونه.

وهاهنا بحوث:

١- قال البروسوي (٧: ٣٤٢): «ولمَّا لم يصحَّ الحكم

على نفس الجذء بأنَّها من الجبال، احتجَّ إلى تقدير

المضاف في المبتدأ، أي ومن الجبال ما هو ذو جدد، أي

خطط وطرائق متلونة، يخالف لونها لون الجبل، فيؤول

المعنى إلى أنَّ من الجبال ما هو مختلف ألوانه...».

٢- هذه الآية مشفرة بذكر البياض والسود

والحمرة: ثلاثة ألوان متما وصفا للجبال، أمَّا الآيات (٢)

و(٣) و(٤) ففيها السود والبياض فقط، وهذان هما

اللونان المتضادان قائما والمتقابلان في المصادرات، وقد

أما بناء على عطتها على (جُدَّة) فيفيد أن السواد لون واحد، والبياض والخمار فلهما مراتب، فتشعب منها ألوان مختلفة، ولكنه بعيد؛ إذ (غَرَابِيبُ سُودَ) نفسها تشع باختلاف مراتب السواد، فالأول أقرب.

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَكَّزَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ اخْتِلَافَ أَلْوَانِ الْجِبَالِ وَالشَّجَرَاتِ وَالنَّاسِ وَالنُّوَاتِ وَالْأَنْعَامِ، كَمَا رَكَّزَ اخْتِلَافَ أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَأَوْتَانِهِمْ فِي (الزُّمَرِ: ٢٣)، وَاخْتِلَافَ أَلْوَانِ الشَّرَابِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ النَّحْلِ فِي (النَّحْلِ: ١٢)، وَاخْتِلَافَ أَلْوَانِ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ فِي (الزُّمَرِ: ٢١)، وَ(النَّحْلِ: ١٣)، بِرَهَانًا عَلَى عَظَمَةِ قُدْرَةِ اللَّهِ، لِأَنَّ اخْتِلَافَهَا مَعَ وَحْدَةِ طَبِيعَتِهَا يَحْكِي نَفْوَ إِرَادَةِ اللَّهِ فِيهَا. ثُمَّ هُوَ تَرْكِيزٌ لِأَسْرَارِهَا الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَمَّا تَنَكَّشَتْ لِلنَّاسِ، لَاحِظَ آيَاتِ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاخْتِلَافِ الْأَلْسِنَةِ وَنَحْوِهَا. وَيَصْرَحُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ: «يَسْتَوْنَ وَغَيْرُ يَسْتَوِينَ يُشْفَى بِمَاءٍ وَاجِدٍ» الزُّمَرُ: ٤، لَاحِظَ «خ ل ف». رَاجِعًا: جَاءَ الْأِسْمُ «يَبِضُّ» مَرَّةً فِي (١٢)، وَهُوَ جَمْعٌ مُفْرَدٌ «يَبِضَّةٌ»، أَوْ اسْمُ جِنْسٍ وَاحِدَةٍ «يَبِضَّةٌ»، وَفِيهِ بَحْثٌ:

١- اختلفت الأحوال في المراد به وفي وجه التشبيه، ومهما كان فلا بد من مناسبتة لما قبله في هذه الآية والآيات قبلها، فهي وصف لما عند عباد الله المخلصين في جنات النعيم من رغد العيش وخصب الحياة، ومنها: أن عندهم أزواجًا أناسًا (قَابِلَاتُ الطَّرْفِ)، وهي كناية إما عن عفتهم، فإنهم يقصرون طرفهن على أزواجهن، ولا ينظرون إلى غيرهم، أو عن نجابتهم وحياتهن، فلا يلصقن أميتهن دلالًا وغنجًا وفتنة، بل يفضضنها

بغير بها عن كل الألوان، لأنها طرفاها والباقي متوسط بينهما، ومزيج منها بتقدير محدودة ونسب معينة. ويقول المثل الفارسي: «از سفیدی نمک تا سیاهی زغالی»: «يعني من بياض الملح إلى سواد الفحم»، أي من كل لون من الألوان، ومن كل شيء.

٢- «غَرَابِيبُ سُودَ»، أي شديدة السواد، فبأنها جمع «غريب» كحفرات، يقال: أسود غريب، أي شديد السواد، يُشبه لونه لون الغراب، وهذا إما عطف على (يبض)، فالعنى أن الجبال ذات جُدَّة يبيض وخمر وسود، فهو داخل في مختلف ألوانها، أو عطف على (جُدَّة)، فلا يكون داخلًا في تفاصيل (جُدَّة)، بل يكون ليسها، كأنه قيل: ومن الجبال عطف ذو جُدَّة يبيض وخمر وما بينهما من الألوان، ومنها ما هو على لون واحد شديد السواد، فيكون وصفًا للجبال نفسها لا لـجُدَّة الواقعة فيها، وهذا بعيد كما يأتي.

٣- ما هو السر في توسط «مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا» بين (البيض والخمر) وبين «غَرَابِيبُ سُودَ»، مع أن سوق الكلام يقتضي تقديمه على الجميع أو تأخيرها عنها؟ كقوله: «تَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا»، في صدر الآية و«مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ» في آية بعدها؟

والجواب: بناء على كون (غَرَابِيبُ سُودَ) عطفًا على (يبض)، فيشملها (مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا)، والوجه في تأخيرها رعاية الزوي صها أمكن، فالزوي في آيات قبلها (التور)، (المرو)، (التبور)، (نذير)، (النير)، (نكير)، وبعدها (غفور)، (تبور)، (شكور)، (بصير)... ومثله كثير في القرآن.

حياء وخجلاً. و«عين»: جمع عينا، أي واسحات
العيون، أو أعينهن شديدة البياض والبرق.

ثم قال: «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ». وهذا وصف
آخر لمن منفصل عن (قاصرات الطرف)، فلا علاقة له
بهيومن، بل هو وصف لأبدانهن، فينبغي تفسير هذا
الوصف التالي في هذا الإطار.

٢- قيل: إنه وصف للطاقة أبدانهن ورقتها، تشبهاً
برقّة غشاء البيضة الداخلي الذي يلي القشر، وهو
«البرق»، أو بطن البيضة، أو تشبیه لونها بلمون ذلك
الغشاء، أو تشبيهن في بكارتهن بها، لأنه لم تشبها
الأيدي قبل كسر البيضة. واختاره الطبرسي، وأيده
بأنه هو المكنون، فأما القشر فيمسه الطائر، كما أن
الأيدي تباشرها والعش يحومها.

٣- وقيل: تشبيه أبدانها في لونها بلمون بهي النعام،
وهي بيضاء تشوبها صفرة، وهو أحسن الألوان عند
العرب، فإن العرب تشبه النساء ببيض النعام. ووصفت
ب«المكنون» لأنها تكتنن عن النصار والرج والنس
بريشها، أو مصونة عن الكسر، كناية عن كونهن عذاري.
٤- وقيل: تشبيهن بجملة البَيْض لاني لونها، بل في
تناسب أجزاء بدننها بعضه ببعض من الشعر والعين
والثدي والسن وغيرها كالبيضة، لأنك تراها حيث
جنتها شكلاً واحداً، متناسق الأطراف.

وينبغي أن يقال في (مَكْنُون): إنه مصون من التنص،
فإنهن مستويات الجسم قائماً، ويبدو أنه أبعد الوجوه.

٥- وهذه الأقوال كلها مبنية على أن «البَيْض» في
آية بَيْض الطَّائِر، سواء أريد ظاهرها أم باطنها، وأياً

كان وجه التشبه، وقد روت ذلك أم سلمة عن النبي ﷺ.
وقالوا في قبالة هذه الأقوال: إنها اللؤلؤ المكنون في صدقه
لصفاته، وأن الأيدي لم تشبها، وهذا مروى عن ابن
عبّاس، وفي رواية أخرى عنه: الجوهر المكنون، ونحن
نرجع هذا الوجه، لأن له شاهداً في القرآن، وصفاً
للطمان وللحور العين:

١- «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زِلْفَانٌ لَهُمَا كَأَنَّهُمَا لَوْلُؤُا»

مَكْنُونٌ» الطور: ٢٤

٢- «وَحُورٌ عِينٌ» كَأَمْثَالِ لَوْلُؤِ الْمَكْنُونِ»

الواقعة: ٢٢، ٢٣

ففي (٢) وصفهن، بصفاء أبدانهن وتلاؤها وهن
بالحجرات.

٣- البَيْض جمع، فلم وصف به «مكنون» وهو مفرد

والمجوس عنه بوجوه:

الأول: أنه اسم جنس عند بعضهم، وهو مفرد في

حكم الجمع.

الثاني: أنه لوحظ فيه لفظ «بَيْض» دون معناه، قاله

المبدي، وهو بعيد.

الثالث: - وهو الأقرب - أنه مهما كان مفرداً أو جمعاً

لوحظ فيه الزوي، فقبلها «مجنون»، «معلوم»، «يتزفون»،

«خلال»، «المرسلين»، «الأليم»، «الخلصين»، «النعم»،

«عين»، «بعدها» «يتساءلون»، «مدينون»، «مطلعون»،

«خلال»، «فرين»، «المصدقين»، «الجميع»، ونحوها.

فالزوي في هذه السورة «نون» و«ميم» مع الواو والياء،

فلاحظها، ولاحظ «ك ن ن».

بيع

١٠ الفاظ . ١٥ مرز : ١ مكتبة . ١٤ مدنية

في ٨ سور : ١ مكتبة ، ٧ مدنية

والبضائع : الأشياء التي يُتباع بها للتجارة .	يُبَاعُونَ ١ : ١	يُبِعُ ١ : ٣
والإيجار : الاشتراء .	يُبَاعُونَكَ ٢ : ٢	يُبِعُ ٢ : ٣
والتيعة : التبعة على إيجاب البيع ، وعلى المبيعة	يُبَاعُكَ ١ : ١	يُبِيعُكُمْ ١ : ١
والطاعة ، وقد تباعوا على كذا .	تُبَاعُكُمْ ١ : ١	فَبَاعَهُنَّ ١ : ١
والبيع : اسم يقع على المبيع ، والجميع : البئوع .	يُبِعُ ١ : ١	بَاعَهُمْ ١ : ١
والبيعان : البائع والمشتري .		

النصوص اللغوية

والبيعة : كنيسة النصارى ، وجمعها : بيع . قال الله عز وجل : ﴿ لَسُدَّتْ صَوَابِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَتَسَاجِدُ ﴾ الحج : ٤٠ .
أبو هُبَيْدَةَ : يقال : بعث الشيء : إذا بعته من غيرك ، وبعته ، إذا اشتريته .
مثله أبو زيد .
الزجاج : وباع الرجل القرس وأباعه ، بمعنى واحد .
(فعلت وأفعلت : ٤)
أبو زيد : يقال : الإمام قد بعن ، أتموا الباء شيئاً من

المنفصل الضمّي ، يقال : «باع فلان على بيع فلان» وهو مثل قديم تضربه العرب للرجل يخاصم صاحبه ، وهو يريد أن يغالبه ، فإذا ظفر بما حاوله ، قيل : باع فلان على بيع فلان ، ومثله : شق فلان غبار فلان .
(الأزهري ٣ : ٢٣٦)
الغسليل : العرب تقول : بعث الشيء ، بمعنى اشتريته ، ولا يبع بمعنى لا تشتر . وبعته فابتناع ، أي اشترى .

الرَّفْعُ، وكذلك الخليل قد قَدَّنَ، والنساء قد عَدَّنَ من مرضهنَّ، أَشْمُوا هذا كُلَّهُ شيئًا من رفع، وقد قيل ذلك، وبعضهم يقول: قول، (الأزهرى ٣: ٢٤٠)
الأَصْمَعِيُّ: والتَّيْبَعُ: المشتري والبائع.

(الأضداد: ٥١)

أبو عبيد: عن النبي ﷺ «لا يَنْطَبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا يَبِيعُ عَلَى بَيْعِهِ أَحِبَّهُ قَالَ: إِلَّا يَأْذَنُ. كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَبُو زَيْدٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُونَ: إِنَّمَا النَّبِيُّ فِي قَوْلِهِ: «لَا يَبِيعُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ» إِنَّمَا هُوَ لَا يَشْتَرِي عَلَى شِرَاءِ أَخِيهِ، فَإِنَّمَا وَقَعَ النَّبِيُّ عَلَى الْمُشْتَرِيِّ لَا عَلَى الْبَائِعِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُ: بَعْتَ الشَّيْءَ بِمَعْنَى اشْتَرَيْتَهُ.

وليس للحديث عندي وجه هذا، لأنَّ البائع لا يكاد يدخل على البائع، وهذا في معاملة التَّائِبِ قَلِيلٌ، وَإِنَّمَا الْمَعْرُوفُ أَنْ يُعْطَى الرَّجُلُ بِسَعْتِهِ شَيْئًا فَيَجِبُ، آخِرُ فَيَزِيدُ عَلَيْهِ، وَمِمَّا يَبَيِّنُ ذَلِكَ مَا تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ بَيْعٍ مِنْ يَزِيدٍ حَتَّى خَافُوا كَرَاهَتَهُ، كَانُوا يَنْبَاحُونَ بِهِ فِي مَنَازِلِهِمْ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي بَيْعٍ مِنْ يَزِيدٍ، إِنَّمَا يَدْخُلُ الْمُشْتَرُونَ بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، فَهَذَا يَبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّهُمْ طَلَبُوا الرِّخْصَةَ فِيهِ، لِأَنَّ الْأَصْلَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمُشْتَرِينَ.

وفي الحديث: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَاعَ قَدَحَ رَجُلٍ وَحَلَسَهُ فَبِمَنْ يَزِيدُهُ فَإِنَّمَا الْمَعْنَى هَاهُنَا أَيْضًا الْمُشْتَرِينَ. وَمِثْلُهُ «أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْخِطْبَةِ كَمَا نَهَى عَنِ الْبَيْعِ» فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْخَاطِبَ إِنَّمَا هُوَ طَالِبٌ بِمَنْزِلَةِ الْمُشْتَرِيِّ، فَإِنَّمَا وَقَعَ النَّبِيُّ عَلَى الْخَالِكِينَ دُونَ الْمَطْلُوبِ إِلَيْهِمْ.

وقد جاء في أشعار العرب أن قالوا للمشتري: بائع.

[ثم استشهد بشعر]

ويبلغني عن مالك بن أنس أنه قال: «إنَّه نَهَى أَنْ يَنْطَبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ قَدْ رَضِيَ مِنْ صَاحِبِهِ وَرَكْنَ إِلَيْهِ». فَأَمَّا قَبْلَ الرِّضَى فَلَا بَأْسَ أَنْ يَنْطَبِهَا مَنْ شَاءَ. (١: ٢١٠)

البيع: من حروف الأضداد في كلام العرب، يقال: باع فلان، إذا اشترى، وباع من غيره. [ثم استشهد بشعر]

ابن السكيت: وقد أَبْعَثَ الشَّيْءَ، إِذَا عَرْضَتْهُ لِلْبَيْعِ، وَقَدْ بَعَثَهُ أَنَا مِنْ غَيْرِي. [ثم استشهد بشعر]

(الأزهرى ٣: ٢٤١)
أبو حاتم: يقال: بَعَثَ الشَّيْءَ وَأَخَذَتْ ثَمَنَهُ، أَيْ أَخْرَجَتْهُ مِنْ يَدِي. وبعض العرب يقول: بَعَثَ الشَّيْءَ، أَيْ اشْتَرَيْتَهُ. (الأضداد: ١٠٦)

ابن أبي اليمان: التَّابِعُ: تَبَاعٍ الْقَوْمُ فِي الْأَسْوَاقِ. (٥٣٧)

الْكِبْرُودُ: وَيَابِغَتُهُ يَدَايِدُهُ، أَيْ نَقْدًا. (١: ١٦٧)
ابن دُرَيْدٍ: الْبَيْعُ: مَصْدَرُ بَاعَ يَبِيعُ بَيْعًا، وَالْبَيْعُ أَيْضًا: الشَّرَى. [ثم استشهد بشعر]

والْبَيْعَةُ، وَالْمَجْمَعُ يَبِيعُ: يَبِيتُ لِلتَّصَارِي، يَجْتَمِعُونَ فِيهِ. (١: ٣١٧)

سألت أبا حاتم عن باع وأباع، فقال: سألت الأصمعي عن هذا فقال: لا يقال: أباع، فقلت قول الشاعر الأجدع بن مالك الهمداني:

ورضيت آلاء الكيت فمن يَبِيع

فمرشًا فليس جوادنا بمُباع

فقال: أي غير مريض للتبضع. قال الأصمعي: لعلها لغة لهم، يعني أهل اليمن.

وله سمعت جماعة من جهزم^(١) كُفَّصَاء يقولون: أَيْتُ الثَّيِّبِ، ضَلَمْتُ أَنَّهَا لَمَّةٌ لَهُمْ. (٤٣٦: ٣)

وباع لها: اشترى لها. (٥٠٢: ٣)

الهمذاني: يقال: خربت الشيء: بهته، وعثرته: اشترته، وهو من الأضداد. (٢٧٩)

الأزهرقي: يقال: باع فلان على بيته، أي قام مقامه في الملالة والزحف.

ويقال: ما باع على بيته أحد، أي لم يساو أحد. [إلى أن قال:]

وروي أن النبي أنه قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا». البيعان هما البائع والمشتري، وكل واحد منهما بيع وبيع. ورواه بعضهم: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا».

وأخبرني عبد الملك عن الزبيح عن الشافعي أنه قال في قوله: «ولا يبيع الرجل على بيع أخيه» هو أن يشتري الرجل من الرجل يلعاً ولما يتفرقا عن مقامها. انتهى النبي ﷺ أن يمرض رجل آخر يلعاً أخرى على المشتري شبه التلعة التي اشترى وبيها منه.

لأنه لعله أن يرد التلعة التي اشترى أولاً، لأن رسول الله ﷺ جعل للمتبايعين الخيار ما لم يتفرقا، فيكون البائع الآخر قد أخذ على البائع الأول بيعه. ثم لم البائع الآخر بمختار ففسد البيع، فيفسد على البائع والمتابع بيعه. [ثم ذكر كلام الشافعي في معنى الحديث إلى

أن قال:]

وقال بعض أهل العربية: يقال: لَدَّ رِباعٌ بني فلان قد بَنَ من «التبضع» وقد بَنَ من «التبضع» فُضْمَ الباءِ في «البيع»، وكسروها في «التبضع» للفرق بين التفاعل والمفعول، ألا ترى أنك تقول: رأيت لِمَاءَ بَنٍ مَتَاعًا إِذَا كُنَ بِأَنْعَامٍ، ثم تقول: رأيت لِمَاءَ بَنٍ إِذَا كُنَ تِبَاعَاتٍ. فبأنما يتبين التفاعل من التفاعل^(٢) باختلاف الحركات، وكذلك من التبضع.

قلت: ومن العرب من يُجسري ذوات البهائم على الكسر وذوات اللولو على الضم، سمعت العرب تقول: جفنا، بكان كذا وكذا، أي ألقنا به في الصيف. وجفنا أيضاً، إذا أصابنا خطر الصيف فلم يفرقوا بين فعل التاعلين والمفعولين.

وقال الأصمعي: قال أبو عمرو ابن العلاء: سمعت ذا القزعة يقول: «لأريت لأصح من أنة آل فلان! قلت لها كيف كان المخر عندكم؟ فقالت: «جئنا مائتنا، رواء هكذا بالكسر».

الصاحب: بئته، في معنى بئته واشترته جميعاً، فاباع، أي فحق ولباع، أي اشترى.

والبيع: مثل التبضع. [ثم استشهد بشعر] وأبشع: قرضته للبيع، ولمسكته للتجارة. والباعات: الأعباء التي لا يتبايع بها إلا للتجارة. والبيعة: الصلقة لإيجاب البيع، والطاعة، ويقال: تبايعوا على الأمر.

والبيع: المبيع، والمبيع: التبضع.

(١) يَلْزَمُ من طين، (القولون السبع).

(٢) التبضع، من المفعول، كما ذكره اللسان (٢٠: ٨).

وامرأة بالبع : نافقة لجهاها.

وباعه من السلطان : سمي به إليه . (١٧٧ : ٢)

الخطابي : عن جابر : « أن النبي ﷺ اشترى من

أعرابي رجل خبط ، فلما وجب البيع قال له : اختر ، فقال

له الأعرابي : عترك الله بيثا . وقد كان ﷺ مبتاعا ،

فشاء الأعرابي ، بيثا ، ومن هذا قوله ﷺ : « البيعان

بالمخيار ما لم يتفرقا » يريد البائع والمشتري .

وفي خبر الأعرابي حجة لمن رأى أن التفرق القاطع

للمخيار إنما هو التفرق بالأبدان . (٢٠٧ : ٢)

ابن جني : نبيع : موضع [ثم شرح شرحا طويلا

كلمة « نبيع » التي وردت في بيت أبي ذؤيب]^(١)

(ابن سيده ٢ : ٣٦٣)

البحروري : بعث الشيء : خريته ، أبغضه بيثا .

ومبيثا وهو شاذ ، وقياسه مباعا . وبعثه أيضا : اشتريته .

وهو من الأخذاد . [ثم استشهد بشعر ، ثم نقل حديث

« لا يخطب الرجل على خطبة أخيه » وأضاف :]

والشيء مبيع ومبيوع . مثل غيط وغيطوط ، على

التقص والتسام .

قال الخليل : الذي حذف من « مسيح » واو مفعول

لأنها زائدة ، وهي أولى بالحذف .

وقال الأخفش : المحذوفة عين الفعل ، لأنهم لما

سكنوا الياء ألقوا حركتها على الحرف الذي قبلها

فانضمت ، ثم أبدلوا من الضمة كسرة للياء التي بعدها ، ثم

حذفت الياء وانقلبت الواو ياء ، كما انقلبت واو « ميزان »

للكسرة .

وأبغض الشيء : عرَضْتُهُ . [ثم استشهد بشعر]

والإبتياع : الاشتراء . تقول : بيع الشيء ، على ما

لم يسم فاعله ، إن شئت كسرت الياء وإن شئت

ضممتها . ومنهم من يقلب الياء واوا ، فيقول : برع

الشيء ، وكذلك القول في كيل ، وقيل ، وأشابهها .

وباعته : من البتيع ، والبيعة جميعا ، والتبايع مثله .

واستبعته الشيء . أي سألته أن يبيعه مني .

والبيعة بالكسر : للتصاري .

ويقال أيضا : إنه لحسن البيعة ، من « البتيع » مثل

الركبة والميلة . (١١٨٩ : ٣)

ابن فارس : الباء والياء والعين أصل واحد ، وهو

بيع الشيء ، وربما سمي القري بيثا ، والمعنى واحد . [ثم

قال نحو ما تقدم] (ابن سيده ١ : ٣٢٧)

التهروي : ولي حديث ابن عمر : « أنه كان يقدو

فلازم بقطاط ولا صاحب بيعة إلا سلم عليه » . البيعة : من

البتيع ، كالركبة والشربة واليقظة ، والسقاط : بتاع

السقط^(٢) . (٢٣٢ : ١)

نحو الزعشري . (الفائق ٢ : ١٨٨)

ابن سيده : البتيع : ضد الشراء ، والبتيع : الشراء

أيضا ، وقد باعه الشيء وباعه منه بيثا فبيها . [ثم

استشهد بشعر]

وإتباع الشيء : اشتراءه ، وأباعه : عرضه للبيع . [ثم

استشهد بشعر]

وباعه مبايعةً وباعا : عارضه للبيع . [ثم استشهد

(١) فكأنها بالجرع جرع نبيع

وألان ذي المرجاء نهبت مجتم

(٢) المتاع الردي .

بشر

والبَيْعَان: البائع والمشتري، وجمعه: باعة عند كُراع، وظهيره عَيْلٌ وعالة وسادة. وعندى أَنْ ذلك كله إنما هو جمع «فاهل»، فأما «فَيْئَل» فجمعه بالواو والثون.

والبيع: اسم المبيع، والجمع: بيع.

والبياعات: الأشياء المتباعة للتجارة.

ورجل يَبِيع: جيد البيع، وبياع: كثيره، وبيع كثيره، والجمع: بَيْعُونَ ولا يَكْثُر. والأنثى بَيْعَةٌ والجمع: بَيْعَات ولا يَكْثُر، حكاه سيوطي. وبأينه عليه مبايعة: عاهد.

والبيعة: كنية النصارى، وقيل: كنية اليهود.

(٢: ٢١٢)

البيع: ضدّ الشراء، وقيل: هما سواء، يُكْتَبَلُ كُلٍُّ منها في معنى الآخر، باع الشيء وباعه منه وله، يبيعه يبيعًا ومبيعًا.

وابتاعه: أعطاه إياه بتمن.

وباع عليه القاضي، أي من غير رضاه.

وأباع الشيء: هزّاه للبيع.

واستبا عني الشيء: سألتني أن أبيعته إياه. وجمع

البيع: بِيُوع.

ورجل يَبِيع وبياع: مبالغه من البيع.

والبياعات: الأشياء التي تُباع للتجارة.

والبَيْعَان: البائع والمشتري، ولكن إذا أطلق البائع

كان المقصود باذل^(١) السلعة.

وابتاع الشيء: اشتراه. (الإفصاح ٢: ١١٩٩)

الطُّوسِي: البيع هو استبدال المتاع بالتمن، تقول:

باع يبيع يبعًا، وابتاع ابتياعًا، واستباع استباعة، وبأبعه مبايعة، وتبايعوا تبايعًا.

والبيع: نقيض الشراء، والبيع أيضًا: الشراء، لأنه تارة عقد على الاستبدال بالتمن، وتارة على الاستبدال بالمتاع. (٢: ٣٠٥)

نحوه الطُّوسِي. (١: ٣٩٥)

الزَّاهِب: البيع: إعطاء المُشْتَن وأخذ التمن، والشراء: إعطاء التمن وأخذ المُشْتَن، ويقال للبيع: الشراء، وللشراء: البيع، وذلك بحسب ما يتصور من التمن والمُشْتَن. [إلى أن قال:]

والمبايعة والمشاركة تقالان فيهما. [ثم ذكر آيات]

باب بيع السلطان، إذا تضمن بذل الطاعة له، بما رضى له، ويقال لذلك: بَيْعَةً ومبايعة. (٦٧)

نحوه الغيروز ابادي. (بصائر ذوي التمييز ٢: ٢٨) الزَّمَخْشَرِي: «اشترى رسول الله ﷺ» [الحديث كما تقدم عن الخطابي]

البيع «فَيْئَل» من باع، بمعنى اشترى، كَلَيْتَ من لان، واتصاه على التمييز. (الفائق ١: ٣٤٨)

باعه، وباع منه. وباع عليه القاضي حَيْثُ «ولا يبيع أحدكم حل بيع أخيه».

وهذا المتاع لا يُبتاع، ونعم المتاع وبشئ المتاع، واستباعه عبده، والبيعتان بالخيار أي البائع والمشتري.

(١) كذا عند النُّهْوسِي وهو الصحيح، وفي الأصل (بازل)، وهو

ولفلان يبيع ويبيعات كثيرة، أي يبيع. وما أرخص
هذا البيع، وهذه البيعة: يريد السلعة.

وبايعت فلاناً وشاريته وتبايعا، وبايمه على الطاعة
وتبايعوا عليها. وهذه بيعة مُزججة. وأتيناها للبيع
والمبايعه والبيعة، وهو من أهل البيعة، أي نصراني.

ومن المجاز: باع فلان على بيعك وحلّ بواديك، أي
قام مقامك. وما باع على بيعك أحد، أي لم يساوك في
المنازلة. [ثم استشهد بشعر]

وجارية بائع: نافقة، كأنها تبيع نفسها. [ثم

استشهد بشعر]

وباعه من السلطان: وشى به. [ثم استشهد بشعر]

وباع بأخرته: استبدلها. (أساس البلاغة: ٣٥)

الجبواقيقي: والبيعة والكنيسة جعلها بعض العلماء

فارسيين مُزججين. (١٢٩)

المدينني: في الحديث: «نهى عن تفتين في بيعة»

ويُفسر على وجهين:

أحدهما: أن يقول: يفتك هذا التوب فقد بعثه،

ونسبته بخمسة عشر.

فهذا لا يجوز، لأنه لا يردى أحبا الثمن الذي يثناه

ويقع به العقد، وإذا جهل الثمن بطل العقد.

والثاني: أن يقول: يفتك هذا بعشرين على أن

تبيعي هذا بعشرة.

وهذا أيضاً فاسد، لأنه جعل ثمن العقد عشرين،

وشرط عليه أن يبيعه عبداً، وذلك لا يلزمه. وإذا

لم يلزمه سقط بعض الثمن، وإذا سقط البعض صار

الباقى مجهولاً. [ثم ذكر حديث «لا يبيع أحدكم على بيع

أخيه» نحو ما تقدم عن الأزهري] (٢٠٧: ١)

ابن الأثير: وفي حديث المزاحمة: «نهى عن بيع

الأرض» أي كرائها. وفي حديث آخر: «لاتبيعوها» أي
لاتكروها.

وفي الحديث: «أنه قال: ألا تبايعوني على الإسلام»

هو عبارة عن المعاقدة عليه والمعاهدة، كأن كل واحد

منها باع ماعنده من صاحبه وأعطاه خالصه نفسه

وطاعته ودخيلة أمره، وقد تكرر ذكرها في الحديث.

(١٧٤: ١)

الصفاني: امرأة بائع: نافقة لجهاها. وباعه من

السلطان: سعى به إليه. وجمع البئع: بئعاء، وأبجاء،

وباعة. (٢٢٩: ٤)

القيومي: باعه يبيعه يئماً وتبيعا، فهو بائع ويبيع.

وأباعه بالآلف لغة، قاله ابن القطّاع.

والبيع: من الأضداد مثل الشراء، ويطلق على كل

واحد من المتماقدين أنه بائع. ولكن إذا أطلق «البائع»

فالتبادر إلى الذهن باذل السلعة.

ويطلق البئع على «المبيع»، فيقال: بئع جسيماً،

ويجمع على: بئوع.

ويشتد زيدا الدار، يستدئ إلى مفعولين، وكثر

الاقتصار على الثاني، لأنه المقصود بالإسناد، ولهذا تترتب

به الفائدة، نحو: يشتد الدار، ويجوز الاقتصار على الأول

عند عدم اللبس، نحو: يشتد الأمير، لأن الأمير لا يكون

مملوكاً يباع.

وقد تدخل «من» على المفعول الأول على وجه

التوكيد، فيقال: يشتد من زيد الدار، كما يقال: كسسته

المحدث، وكشفته منه الحديث، وسرقت زيدا المال وسرقت منه المال.

وربما دخلت «اللام» مكان «من» يقال: بعثك الشيء، وبعثه لك، فاللام زائدة، زيادتها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ الحج: ٢٦، والأصل: بَوَّأْنَا إِبْرَاهِيمَ.

وابتاعها زيد الدار، بمعنى اشتراها، وابتاعها لغيره: اشتراها له.

باع عليه القاضي، أي من غير رضاه، وفي الحديث: «لَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ وَلَا يَبِيعُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ» أي لا يشتر لأن النهي في هذا الحديث إنما هو على المشتري لا على البائع، بدليل رواية البخاري «لَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ». ويؤيده: «يَحْرُمُ سَوْمُ الرَّجُلِ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ».

والمُتَبَاع: مبيع على النقص ومبيوع على الثمام، مثل غيط ومخيط.

والأصل في البيع: مُبَادَلَةٌ مَالٍ بِمَالٍ، لقولهم: بيع رابع وبيع خاسر، وذلك حقيقة في وصف الأعيان، لكنه أطلق على «التقيد» مجازاً، لأنه سبب التملك والتملك.

وقولهم: صح البيع أو بطل ونحوه، أي صحة البيع، لكن لما حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو مُذَكَّرُ أَسَدِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ يُلْفِظُ التَّنْكِيرَ.

والبيعة: الصفة على إيجاب البيع، وجمعها: بَيْعَاتٌ بالسكون، ومحرّك في لغة هذيل، كما تقدم في بَيْعَةِ وَيَعِضَاتٍ.

وتطلق أيضاً على المُبَايَعَةِ وَالْمُطَاعَةِ، ومنه: «إِيمَانُ الْبَيْعَةِ» وهي التي رتبها المحتاج مشتملة على أمور مُدْفَعَةٍ، من طلاق وعق وصوم ونحو ذلك.

والبيعة بالكسر للتصاري، والجمع: بَيْعٌ، مثل بكرة وبذر.

الفيروز ابادي: باعه يبيعه يبتاع ويبيع، والقياس مَبَاعًا، إذا باعه وإذا اشتراه حَذً، وهو مَبِيعٌ وَمَبِيعٌ.

وباعه من السلطان، إذا سمى به إليه، وهو بائع، جمعه: باعة.

والباعة بالكسر: الشَّلعة، جمعه: بَاعَاتٌ، وكسيدة: البائع والمشتري والمساوم، جمعه: بِيَعَاءٌ كَيْبَاءٌ، وأنبعا: وباع على يمينه: قام مقامه في المنة والرفقة وظفر وأمرأة بائع: نافقة لجهاها.

وبيع الشيء: وقد تضمن باؤه، فيقال: بوع، والبيعة بالكسر: متجد التصاري، جمعه كَيْبٌ، وهيئة البيع كالجلسة.

وأبعت: عرضته للبيع، وابتاعه: اشتراه، والتبايع: المُبَايَعَةُ، واستباحه: سأله أن يبيعه منه، وانباع: نفق.

الطريحي: في الحديث: «البَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَفْتَرَقَا» يريد بها للبائع والمشتري، فإنه يقال لكلٍ منهما: بَيْعٌ وبائع، والمراد بالفتراق ما كان بالأبدان كما ذهب إليه معظم الفقهاء، وقيل: إنه بالأقوال، وليس بالمتحد.

وليه: «نهي عن بيع وسلف» ونهى عن بيعين لي

بيع». قيل: كأن ذلك للخوف من الدخول في الزنا، كما دل عليه قوله في الخبر: «صفتان في صفقة ربا» أي يبعان في بيع.

والإبتاع: الاشتراء، ومنه قوله عليه السلام: «إذا أريد أن يخرج يتتاع بدرهم تمرًا فبعتق به».

والبيع: الإيجاب والقبول، وهو باعتبار التقيد والنسبة في الثمن والمثمن أربعة، وتفصيله في محله.

وفي حديث علي عليه السلام في عمرو بن العاص ومعاوية: «ولم يبايع حتى شرط يؤتبه على البيعة تمنا فلا ظفرت يد البائع، وخزيت أمانة المبتاع».

والقصة في ذلك - على ما ذكره بعض الشارحين - هو أن عمرو بن العاص لم يبايع معاوية إلا بالثمن هو الثمن الذي اشترطه عمرو على معاوية في بيعته إياه.

على حرب علي عليه السلام طعمة مصر، ولم يبايع حتى كتب له كتابًا، والمبتاع معاوية، والبائع لديه عمرو بن العاص، [تم استشهد بشر] (٤: ١-٣)

مَجْتَمِعُ اللَّفْظِ: البَيْعُ: مُبَادَلَةُ مَالٍ بِمَالٍ، فيقال: باعه يبيعه بَيْتًا، من باب «ضرب».

وتأتي منه «المفاحلة» فيقال: تايته أبايحه، وقد تبايعنا.

ويستعمل ذلك أيضًا في المعاهدة، لما فيها من مبادلة الحقوق.

وجاءت «المبايعة» في القرآن مرادًا بها المبادلات غير المالية، أي المعاهدات.

وجاء «تبايع» بمعنى المبادلة المالية والبيعة بالكسرة: كنيسة النصارى، والجمع: يبيع،

كيدرة ويدّر، (١: ١٣٩)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (١١: ٨٤)

الْعَدْنَانِي: باع الشيء، باع فلانًا الشيء، باع الشيء من فلان، باع الشيء لفلان.

ويقولون: باع الشيء، وباعه الشيء، ويحطون من يقول: باع الشيء منه، وباع الشيء له.

فجعلنا: باع الشيء، وباعه الشيء صحيحتان، كما تقول المجنات، وجعلنا: باع الشيء من فلان، وباع الشيء لفلان، صحيحتان أيضًا.

باع الشيء من فلان.

جاء في «النهاية»: وفي الحديث: «كان لرجل ناقه نجية، فريضت، فباعها من رجل، واشترط ثمنهاها».

وذكر جملة باعه من فلان أيضًا، كل من المغرب، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج، والمذ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمثنى، والوسيط.

باع الشيء لفلان: المصباح، والتاج، والمذ، ومحيط المحيط، والمثنى، والوسيط.

وذكر المصباح أن (اللام) هنا زائدة.

ويحطون من يقول: باع فلان القصر الذي أضحجه، أي اشتراه، ويقولون: إن الصواب هو إمّا: ابتاعه أو اشتراه، لأن هذا هو المعنى للألوف نَدِينَا، ويشهد إلى أذهانتنا، حين نقول: «باعه الشيء» أنه أعطاه إمّا بَشَن، ولكن:

١- جاء في الحديث: «لا يخطب الرجل على خطبة

أخيه، ولا يبيع على بيع أخيه» أي عليه أن لا يشتري على شراء أخيه.

٢- وقال ابن قتيبة في باب «تسمية المتضادين باسم واحد» في كتابه «أدب الكاتب»: «بُعث الشيء» بعته واشتريته.

٣- وهذا حدوه ابن الأنباري في كتابه «الأضداد»، فقال: «بُعث» من الأضداد، يقال: بُعث الشيء، على المعنى المعروف عند الناس، وبُعث الشيء، إذا ابتغته. [إلى أن قال:]

وقال الفراء: «سمعت أعرابياً يقول: بيع لي قمراً بدرهم، يريد: اشتر لي قمراً». [ثم استشهد بشر]

٤- وأيدهما في ذلك الصحاح، ومعجم مقاييس اللغة، والمُسْتَرْب، والمختار، والمصباح، والقاموس، والتاج، والمذ، والمثن، والوسيط، والتضاد. «وروى الصحاح بين الفراء:

إِنَّ السَّابَّ لِرَابِعٍ مِنْ بَاعِهِ

والسَّابُّ لِسِ بَائِيهِ تَجَارٍ

يعني: من اشتراه.

٦- وجاء في «النهاية» في شرح الحديث: «البَّيْآن بالخيار ما لم يفرقا»: هما البائع والمشتري. يقال لكل واحد منهما: يبيع ويشتري.

٧- وانفرد المصباح بقوله: عندما نقول: «البائع» يتبادر إلى ذهننا بائع السلعة.

وأنا أرى أن لا نقول: «بعث الشيء» إلا لما نبيعه من غيرنا، ونأخذ نفسه، لأنني لم أسمع عربياً معاصراً استعمل الفعل «باع» بمعنى «اشتري».

البيع: «البائع والمشتري والمساوم»

ويحفظون من يسمى «البيع» مشترياً، ويقولون: إنه

البائع أو المساوم.

ولكن:

١- روى ابن عمر حديث رسول الله ﷺ، المذكور في

الترقيم (٦) من المادة (٢٦٣)، وفي رواية: «حق يفرقا»، بدلاً من: «ما لم يفرقا».

٢- وجاء في أضداد ابن الأنباري، والصحاح، والأساس، والنهاية، والمختار، والمصباح: أن البيع هو البائع والمشتري.

٣- وقال المحيط والتاج والمثن: إن البيع هو البائع والمشتري والمساوم.

٤- وقال الوسيط: البيع هو البائع والمساوم. «وأنا أرى أن لا نطلق كلمة «البيع» إلا على الذي يحل الشيء، ضمن، حماية للأذهان من التشويش،

(٨٨)

المُضْطَفَّوِي: والذي يظهر لنا من تحقيق هذه المادة: أن الأصل الواحد فيها هو المعاقدة ومبادلة مال بمال، أي المعاملة الواقعة بين البائع والمشتري. إلا أن البائع لما كان المبتدئ بالمعاملة، وقد تحققت المبادلة أولاً من جانبه، فهو أولى بأن يطلق عليه البائع، أي المعاقدة والمعايل أولاً، وأنا إطلاقه على المشتري فباعتهار أنه طرف آخر للمعاملة، وهو معاقد أيضاً بالمظهر الثانوي.

وأما البيعة والمباينة فباعتهار كونها نوع معاملة ومعاقدة ومبادلة.

وأما البيعة: قال في المعرب: «والبيعة والكنيسة، جعلها بعض العلماء فارسيين معربين».

ولا يبعد أن تكون هذه الكلمة مشتقة ومأخوذة من **بَيْعَ** [بَيْ] أو كلمة **بَيْعَ** [بَيْت] بمعنى الدار والمنزل، أو **بَيْعَ** [بَيْت] بمعنى الكنيسة، كما أن البَيْت، والبيت المحرام مُطلقان على الكلمة. [ثم ذكر آيات وأضاف:]

صفة «فاعِل» تدلّ على الاستمرار، أي المعاملة التي تستمر ولا تنقطع، وصفة «تفاعِل» تدلّ على مطاوعة «فاعِل»، إذا تحققت واستمرت المعاقدة طوعاً ورضاً، فأشهدوا كاتباً أو شهيداً عليها.

[والمبايعة] مأخوذة من البيعة، وهي المعاهدة والمعاقدة المخصوصة، ولما كانت هذه المعاهدة حللتها الاستمرار والدوام، يُعبر عنها بصفة «المفككة» فظهر الفرق بين: باع بمرد، وبائع، وتبايع.

وأما الفرق بين المعاقدة والمبايعة والمعاملة والمعاهدة، فإن المعاقدة: إنشاء أمر وإجاءة، والمعاهدة: التزام وتعهّد على العمل، والمعاملة: نفس العمل ووقوعه، والمبايعة: عمل خاص، وهو البيع والقرى. (٣٥٦: ١)

النصوص التفسيرية

فَبَايَعَهُنَّ - يُبَايِعُكَ

بَايَعَهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَهُ السُّوَيْمَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يُشْرَفَنَّ وَلَا يُزَيْنَنَّ... فَبَايَعَهُنَّ وَاشْفَقُوا لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. المتحنة: ١٢

هروة بن مسعود: إنه **ﷺ** غمس يده في إناء فيه ماء، ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه.

(ابن عطية ٥: ٣٠٠)
أسماء بنت يزيد: كنت في النسوة المبايعات فقلت: يا رسول الله أبسط يدك نبايكن، فقال لي **ﷺ**: «إني لأصافح النساء لكن أخذ عليهن ما أخذ الله عليهن».

عائشة: كان النبي **ﷺ** يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: «أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئاً» ومامست يد رسول الله **ﷺ** يد امرأة قط إلا امرأة يملكها.

(الطبرسي ٥: ٢٧٦)
أميمة بنت رقيقة التيممية، بايعت رسول الله **ﷺ** في حجة من المسلمين، فقلنا له: جئتاك يا رسول الله بملك غلي أن لا تشرك بالله شيئاً، ولا تسرق ولا تزني ولا تغفل أولادنا ولا نأتي سبهان نفتر به بين أيدينا وأرجلنا، ولا نصيح في معروف.

فقال رسول الله **ﷺ**: «فيها استطعن وأطقتن».

فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، فقلنا: بايعنا يا رسول الله.

فقال: «أذهبين فقد بايعتكن»، إنما قولي لئلا امرأة كقولي لامرأة واحدة». وماصافح رسول الله **ﷺ** منا أحداً.

(الطبرسي ٢٨: ٨٠)
القصبى: إنه بايعهن بنفسه وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه.

(الماوردي ٥: ٥٢٤)

الماوردي: [بعد نقل بعض الأقوال المتقدمة قال:] فإن قيل: فما معنى بيعتهم وليس من أهل الجهاد

فتؤخذ عليهن البيعة كالرجال؟

قيل: كانت بيعة من تحريقاً لمن يباع عليهن من حقوق الله تعالى وحقوق أزواجهن، لأنهن دخلن في القسوع ولم يفرقن حكمه بيتهن. وكان أول ما أخذه عليهن أن لا يشركن بالله شيئاً، توحيداً له وصفاً لعبادة غيره.

التقاش: إن النبي ﷺ مده يده من خارج بيت ومده نساء من الأنصار أيديهن من داخله فبايعهن.

(ابن عتيبة: ٥: ٣٠٠)
الطوسي: ووجه بيعة النساء مع أنهن لسن من أهل التصرة في الحاربة، هو أخذ الهد عليهن بما يصلح شأنهن في الدين للأفوس والأزواج، فكان ذلك في صدر الإسلام، لتلا يفتق بين فتق لما صليح من الأحكام فبايعهن النبي ﷺ حسناً لذلك.

وقوله: ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ والمعنى إذا شرطت صلحهن هذه الشروط ودخلن تحتها فبايعهن على ذلك.

(٥٨٧: ٩)

نحوه الطبرسي: (٢٧٦: ٥)

المتبدي: سميت البيعة لأن المياع يبيع نفسه بالجنة، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْكُوفَرِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ التوبة: ١٠١.

قيل: كان النبي ﷺ إذا بايع النساء وضع قدحاً من الماء فكان يضع يده فيه ثم يأمرهن أن يلمسن أيديهن فيه...

وقيل: أمر أخت خديجة - خالة فاطمة - فبايعت النساء، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة امرأة أبي سفيان

بن حرب في جملتهن، مشتقة منكثرة مع النساء خوفاً من رسول الله أن يعرفها، فقال النبي ﷺ: «أبايعكن» على أن لا يشركن بالله شيئاً» فرضت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط. فقال رسول الله ﷺ: «إنك هند بنت عتبة». قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك، تعني ما صنعت بمكة. (٧٥١: ٠)
نحوه الزمخشري (١: ٩٥)، وابن عتيبة (٥: ٢٩٩)، وابن الجوزي (٨: ٢٤٤)، والفقر الرازي (٢٩: ٣٠٨)، والقرطبي (١٨: ٧١)، والبيضاوي (٣: ٤٧٢)، والنسائي (٣: ٢٥٠)، والشمسي (٤: ٢٧٠)، وأبو حنيفة (٨: ٢٥٨)، وأبو السعد (٦: ٢٣٩).

يتبع

١- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ بَازٍ يُزِيمُ لَا تَبِيعْ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ...

ابن عباس: لا قضاء فيه. (٣٦)

نحوه الشريفي: (١٦٧: ١)

الطبري: لا تقربون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه بالثمن من أموالكم التي أمرتكم به، أو تدبكم إليه. (٣: ٣)

الزجاج: ويجوز (لا تباع فيه ولا خلة ولا شفاعاً) ولا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعاً على الرفع بتون، والتعب بغير تون.

ويجوز (لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاً) بنصب الأول بغير تون، وعطف الثاني على موضع الأول، لأن

موضعه نصب، إلا أن التثوين حذف لعلّه ويكون دخول «لا» مع حروف العطف مؤكداً، لأنك إذا عطفت على موضع مابعد «لا» عطفته بتثوين، تقول: لأرجلٍ وغلاماً لك. [ثم استشهد بشعر] (٣٣٥: ١)

أبو زرعة: قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاً) نصب بغير تثوين على التثنية والتثنية. وقرأ الباقون بالرفع والتثوين.

أعلم أن «لا» إذا وقعت على نكرة جعلت هي الاسم الذي بعدها كاسم واحد، وبني ذلك على الفتح. فإذا كررت جاز الرفع والنصب، وإذا لم تكرر فالوجه فيه الفتح. قال الله جل وعز: (لا يبيع فيه).

من رفع جملة جواباً لقول القائل: «هل فيه بيع؟ هل فيه خلة؟». ومن نصب جملة جواباً لقول القائل: «هل من بيع فيه؟ هل من خلة؟»

جوابه: (لا يبيع فيه ولا خلة) لأن «من» لما كانت عاملة جعلت «لا» عاملة، ولما كانت جواب (هل) لم تعملها؛ إذ كانت هل غير عاملة. (١٤١)

نحو: ابن الجوزي. (٣٠٢: ١)
البغوي: أي لأفداء فيه. سمي بيماً لأن الفداء شراء نفسه. (٣٤٤: ١)

الزمخشري: «ومن قبل أن يأتي يوم» لا تغدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الاتفاق، لأنه (لا يبيع فيه) حتى يتناهوا ما تنفقونه. (٣٨٤: ١)

نحو: أبو السموء (٢٩٥: ١)، والكاشاني (٢٥٩: ١)، وشبر (٢٥٨: ١)، والقاسمي (٦٥٦: ٣).

ابن عطية: حذر تعالى من الإمالة، إلى أن يبيء

يوم لا يمكن فيه بيع ولا شراء ولا استدراك بتفقة في ذات الله؛ إذ هي مبايعة على ما قد فسرناه في قوله تعالى: «من ذا الذي يقرض الله» البقرة: ٢٤٥.

أو إذ البيع فدية، لأن المرء قد يشترى نفسه ومراذه به، وكان معنى الآية معنى سائر الآي التي تتضمن إلا فدية يوم القيامة. (٣٣٩: ١)

الفخر الرازي: قوله: «لا يبيع فيه» فيه وجهان: الأول: أن البيع هاهنا بمعنى «الفدية» كما قال: «فاليوم لا يؤخذ منكم فدية» الحديد: ١٥. وقال: «ولا يقبل منها شفاعاً ولا يؤخذ منها عدل» البقرة: ٤٨. وقال: «وإن تغدو كل عدل لا يؤخذ منها» الأنعام: ٧٠. فكأنه قال: من قبل أن يأتي يوم لا تجارة فيها فتكتسب ما تنقدي به من العذاب.

والثاني: أن يكون المعنى: قدحوا لأنفسكم من المال الذي هو لي ملككم قبل أن يأتي اليوم الذي لا يكون فيه تجارة ولا مبايعة حتى يكتسب شيء من المال.

(٢٢٠: ٦)
نحو: الخازن. (٢٢٥: ١)

القرطبي: وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاً) بالنصب من غير تثوين، وكذلك في سورة إبراهيم: ٢١ (لا يبيع فيه ولا خلة)، وفي الطور: ٢٣ (لا تؤف فيها ولا تأثيم). [ثم استشهد بشعر]

وَألف الاستفهام غير مفعلة عمل (لا) كقولك: ألا رجل عندك؟ ويجوز: ألا رجل ولا امرأة؟ كما جاز في غير الاستفهام، فاعلمه.

وقرأ الباقون جميع ذلك بالرفع والتثوين.

[تم استشهاد بشعر]

فالتفتح على النبي المأمم المستغرق لجميع الوجوه من ذلك الصنف، كأنه جواب لمن قال: هل فيه من بيع؟ فسأل سؤالاً عاماً، فأجيب جواباً عاماً بالنبي.

و«لا» مع الاسم المنفي بمنزلة اسم واحد في موضع رفع بالابتداء والخبر فيه، وإن شئت جعلته صفة ليوم. ومن رفع جعل «لا» بمنزلة «ليس»، وجعل الجواب غير عام، وكأنه جواب من قال: هل فيه بيع؟ بإسقاط «من» فأتى الجواب غير مقيّد من رفعه، والمرغوع مبتدأ أو اسم «ليس» وفيه المنبر.

قال مكي: والاختيار الرفع، لأن أكثر القراء عليه. ويجوز في غير القرآن لا يبيع فيه ولا خلة. [تم استشهاد بشعر]

ويجوز أن تبني الأول وتنصب الثاني وتكون: فتقول: لارجل فيه ولا امرأة. [تم استشهاد بشعر] فيه «لا» زائدة في الموضعين: الأول مضاف على الموضع، والثاني على اللفظ.

ووجه خامس أن ترفع الأول وتبني الثاني، كقولك: لارجل فيها ولا امرأة.

وهذه الخمسة الأوجه جائزة في قولك: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وقد تقدّم هذا والحمد لله. (٣: ٢٦٦) أبو حيان: أي لا فدية فيه لأنفسكم من عذاب الله. وذكر لفظ «البيع» لما فيه من المعاوضة وأخذ البذل.

وقيل: لا فداء مما منعتم من الزكاة بتأعونه تقدّمونه من الزكاة يومئذ. وقيل: لا يبيع فيه للأعمال فتكتسب. (٢: ٢٧٦)

ابن كثير: أي لا يباع أحد من نفسه ولا يفادي بماله لو بذله، ولو جاء بمل الأرض ذهباً. (١: ٥٤٠) الألوسي: والمراد من وصفه بما ذكره الإشارة إلى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما ينتفع به بوجه من الوجوه، لأن من في ذمته حق متلاً إما أن يأخذ بالبيع ما يؤدّيه به، وإما أن يُعنه أصدقائه، وإما أن يلتجئ إلى من ينفع له في حقه، والكلّ منتف، ولا مستعان إلا بالله عز وجل.

(ابن) متعلقة بما تعلقت به أغبتها، ولا ضير لاختلاف معنيها: إذ الأولى تمييزية، وهذه لابتداء بجملة. وإنما رُفعت هذه المنفقات الثلاثة - مع أن المقام يقتضي التخصيص والمناسب له للفتح - لأن الكلام على تنجيز كل بيع فيه لو خلة أو شفاعاً؟ والبيع وأخواه فيه من فروع خاصية وفيها في الجواب مع حصول العموم في الجملة، وإن لم يكن بمثابة العموم الحاصل على تقدير الفتح وقد فتحها ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، على الأصل في ذكر ما هو نص في العموم كذا قالوا.

ولعل الأوجه القول: بأن الرفع لضعف العموم في غالبها، وهو الخلة والشفاعة، للاستثناء الواقع في بعض الآيات، والمطلوب منقاد لحكم الغالب.

وأما ما قالوه فيردّ عليه: أن ما بعد (يَوْمَ) جملة وقعت بد نكرة فهي صفة غير مقطوعة، ولا يقدر بين الصفة والموصوف إلا لم يكن قطع سؤال قطعاً، واعتبار كون النكرة موصوفة بما يفهمه الثنوين من التعظيم فتقدّر الجملة صفة مقطوعة تحقيقاً لذلك وتقريراً له، فيصح تقدير السؤال حيث لا يكاد يقبله الذهن السليم. (٣: ٤)

وشهيد رضا: أما البيع والخلة والشفاة

فللمفسرين في بيان المراد بنحيا طريقان:

أحدهما: أن المراد بـ«البيع» الكسب بأي نوع من

أنواع المبادلة والمعاوضة. [إل أن قال:]

وأما الطريق الثاني: فقد فسروا فيه «البيع»

بالافتداء، وجعلوا فيه الخلة والشفاة على ظاهرهما.

أي أنفقوا فإن الاتفاق في سبيل الخير والبر وهي سبيل

الله، هو الذي يُنجيكم في ذلك اليوم الذي لا يُنجي

الأصعة الباخلين فيه من عذاب الله تعالى فداء، فيفتدوا

منه أنفسهم. وهذا هو الوجه الذي اختاره الأستاذ

الإمام، فالآية بمعنى قوله تعالى في هذه السورة: ٤٨

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾ ومنها

آية ١٢٢.

والخطاب في تلك الآيتين لبني إسرائيل الذين كانوا

في عصر التنزيل يقيسون أمور الدنيا على أمور الآخرة،

كما هو شأن الوثنيين، فيظنون أن الإنسان يمكن أن يتجو

في الآخرة بفداء يقتدي به، أو شفاة تناله من سلفه

الطيبين والبرانيين، كدأب الأمراء والتلاطين، وإن كان

في هذه الحياة فاسقًا ظالمًا فاسد الأخلاق متاعًا للخير

معتديًا أتيماً. (١٦: ٣)

متجتم اللغة: من قبل أن يأتي يوم لا وسيلة فيه

للحصول على المنفعة بوساطة البيع أو الصدقة أو

الشفاة. (١٣٩: ١)

محمّد جواد مغنّية: المراد بالبيع هنا: القدية

بالحال من النار، وبالملة: المودة التي تستدعي التساهل

والشامخ، وبالشفاة: التوسط للخلاص من العذاب.

والقصد أن الإنسان يجيء غداً وحده أمول من كل

شيء إلا من العمل الصالح. وتفيد هذه الآية نفس المعنى

الذي تفيد الآية: ٤٨ من هذه السورة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا

لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾. (١: ٢٩٠)

محمود صافي: (لا) نافية مهمة، (تبيع) مبتدأ

مرفوع، (في) حرف جرّ و(الماء) ضمير في محلّ جرّ

متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ، (الواو) عاطفة، (لاخلة)

مثل (لا تبيع) جملة (لا تبيع فيه) في محلّ رفع نعت ليوم.

(تبيع): مصدر سماعي لفعل باع يبيع باب «ضرب».

وزنه «فعل» بفتح فسكون. (٣: ٢٠)

وجاءت بهذا المعنى كلمة (بيع) التي وردت في سورة

إبراهيم: ٣١، بعد مراجعة كتب التفسير.

جمع خال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...

النور: ٣٧

الكلمبي: التجار هم الجلاب المسافرون، والباعة

هم المقيمون. (المأزدي: ٤: ١٠٧)

الفراء: التجارة لأهل الجلب، يقال: أجبّر فلان في

كذا، إذا جلبه من خير بلده، والبيع: ما باعه على يديه.

(٢: ٢٥٣)

الواقدي: فإن قيل: فلم كرّر ذكر البيع، والتجارة

تشملة؟

قيل له: أراد بالتجارة: الشراء، لقوله: (ولا يبيع)

تظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا زَاوَا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا

إِلَيْهَا﴾ الجمعة: ١١. (القرطبي: ١٢: ٢٧٩)

الزمخشري: التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي

بيع ويشترى للربح.

ولأنيع وجهين:

فإنما أن يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة . ثم خصّ البيع لأنّه في الإلهاء أدخل ، من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة - وهي طلبته الكليّة من صناعته - ألمته مالا يلهيه شراء شيء . يتوقّع فيه الربح في الوقت الثاني ، لأنّ هذا يقين وذلك مظنون .

أحدهما : أنهم لا تجارة لهم ولا بيع ، فيكلمهم عن ذكر الله . كقوله :

« على صاحب لا يفتدى بمناره »

وإنما أن يستي الشراء تجارة إطلاقاً لاسم الجنس حل النوع ، كما تقول : رُزق فلان تجارة رابحة . إذا اتجه له بيع صالح أو شراء . نحوه شبر . (٣ : ٦٨) (٤ : ٣٢٦)

أي لامنار له فيفتدى به . والثاني : أنهم ذوو تجارة وبيع ، ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله ، وعمّا فرض عليهم .

الفخر الرازي : لما قال : « ولأنّهم يجازون » دخل فيه البيع ، فلم أعاد ذكر البيع ؟ قلنا : الجواب عنه من وجوه :

والظاهر مغايرة التجارة والبيع ، ولذلك عطف . فاحتمل أن تكون (تجارة) من إطلاق الصام ويراد به الخاص . فأراد بالتجارة : الشراء . ولذلك قابله بالبيع . أو يراد تجارة الجلب . ويقال : تجر فلان في كذا ، إذا جلبه . وبالبيع : البيع بالأسواق .

الأول : أن التجارة جنس يدخل تحته أنواع الشراء والبيع ، إلا أنه سبحانه خصّ البيع بالذكر لأنّه في الإلهاء أدخل ، لأنّ الربح الحاصل في البيع يقين ناجز ، والربح الحاصل في الشراء شكّ مستقبل .

فاحتمل أن يكون (ولأنّهم) من ذكر خاص بعد عام . لأنّ التجارة هي البيع والشراء طلباً للربح . وبه صلى هذا الخاص . لأنّه في الإلهاء أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة - وهي طلبته الكليّة من صناعته - ألمته مالا يلهيه شيء . يتوقّع فيه الربح . لأنّ هذا يقين . وذلك مظنون . (٦ : ٤٥٨)

الثاني : أن البيع يقتضي تبديل العرض بالتقدّم والشراء بالعكس ، والرغبة في تحصيل النقد أكثر من العكس .

أبو السعود : أي ولا يرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية الربح . وإفراده بالذكر مع اندراجهم تحت التجارة للإيدان بأنافته على سائر أنواعها ، لأنّ ربحه متيقّن ناجز ، وبيع ماعداء متوقّع في ثاني الحال عند البيع ، فلم يلزم من نفي إلهاء ماعداء نفي إلهائه ، ولذلك كرّرت كلمة (٧) لتذكير النبي وتأكيده . (٤ : ٤٦٥) نحوه الآلوسي . (١٨ : ١٧٧)

الثالث : [قول القرّاء وقد تقدّم] (٢٤ : ٤) التيساري : مبالغة بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعاوضة ، أو بإفراد ما هو الأهم من فسخي التجارة ، فإنّ الربح يتحقّق بالبيع ويتوقّع بالشراء . (٢ : ١٢٩)

أبو حيان : احتمل قوله : « ولأنّهم يجازون »

والشراء: إعطاء الثمن وأخذ المُنْتَمَن، أي ولائفرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية الرِّيح. [ثم قال نحو ما تقدم عن البروسوي] (١٥٩: ٦)

الطَّبَّاطِبَائِي: التجارة إذا قُبِلت بالبيع كان المفهوم منها بحسب العُرف: الاستمرار في الاكتساب بالبيع والشراء. والبيع هو العمل الاكتسابي الدفعي، فالفرق بينهما هو الفرق بين الدفعة والاستمرار.

فمضى نبي البيع بعد نبي التجارة مع كونه متغيثاً بنفسها، الدلالة على أنهم لا يُلْهَوْنَ عن رُبهم، في مكاسبهم دائماً ولا في وقت من الأوقات، وبعبارة أخرى لانسيهم رُبهم تجارة مستمرة ولا بيع مامن البيع التي يوقعونها مدة تجارتهم. (١٥: ١٢٧)

الْبَيْع

... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى...
البقرة: ٢٧٥

ابن عباس: كان الرجل منهم إذا حلَّ دينه على غريمه خطابه به، قال المطلوب منه له: زدني في الأجل وأزيدك في المال، فيتراضيان عليه ويمسكان به.

(الطبرسي ١: ٣٨٩)

الطَّبَّرِي: يعني جلّ ثناءه: وأحلَّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع، وحرم الربا، يعني الزيادة التي يزداد رب المال بسبب زيادته غريمه في الأجل، وتأخير دَينته عليه. (٣: ١٠٣)

الْبَيْعُ الصَّاصِي: قوله عز وجل: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾

صوم في إياحة سائر البياعات، لأن لفظ «البيع» موضوع لمعنى معقول في اللغة، وهو عليك المال بمال بإيجاب وقبول عن تراض متبها، وهذا هو حقيقة البيع في مفهوم اللسان. ثم منه جائز ومنه فاسد، إلا أن ذلك غير مانع من اعتبار صوم اللفظ، متى اختلفنا في جواز بيع أو فساد.

ولا خلاف بين أهل العلم أن هذه الآية وإن كان مخرجها مخرج العموم فقد أريد به الخصوص، لأنهم متفقون على حظر كثير من البياعات، نحو بيع ما لم يقبض، وبيع مائس عند الإنسان، وبيع القُرر والمجاهيل، وعقد البيع على المحرمات من الأشياء.

وقد كان لفظ الآية يوجب جواز هذه البياعات، وإنما خُصَّتْ منها بدلائل، إلا أن تخصيصها غير مانع اعتبار عموم لفظ الآية، فيما لم تقم الدلالة على تخصيصه، وجائز أن يستدل بعمومه على جواز البيع الموقوف، لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾.

والبيع اسم للإيجاب والقبول وليست حقيقة وقوع المليك به للعاقبة، ألا ترى أن البيع المعقود على شرط خيار المتبايعين لم يوجب ملكاً وهو بيع، والوكيلان يتعاقدان البيع ولا يملكان. [إلى أن قال:]

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ يُحتج به في جواز بيع مالم يره المشتري، ويُحتج فيمن اشترى حنطة بمحطة بعينها متساوية، أنه لا يطل بالافتراق قبل القبض، وذلك لأنه معلوم من ورود اللفظ لزوم أحكام البيع وحقوقه من القبض والتصرف والمليك وما جرى مجرى ذلك. فاستثنى ذلك بقاء هذه الأحكام مع ترك

التقاضي، وهو كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثَلَانِكُم﴾ النساء: ٢٣، المراد تحريم الاستمتاع بهن.

ويحتاج أيضًا لذلك، بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْغَبَالِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحَارَةً عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُم﴾

النساء: ٢٩، من وجهين: أحدهما: ما اقتضاء من إباحة الأكل قبل الافتراق وبعده من غير قبض، والآخر: إباحة أكله لمشتريه قبل قبض الآخر بعد الفرقة.

(١: ١٦٩)

الماوردي: قيل: إنه يعني تقيًا، لأنهم كانوا أكثر العرب ربا، فلما نهوا عنه قالوا: كيف نهى عن الربا وهو مثل البيع، فحكى الله تعالى ذلك عنهم، ثم أبطل ماذكروه من التشبيه بالبيع، فقال تعالى: ﴿وَأَحِلُّ إِنْ بَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

وللشافعي في قوله: ﴿وَأَحِلُّ إِنْ بَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها من العام الذي يجري على عمومته في إباحة كل بيع وتحريم كل ربا، إلا ما خصها دليل من تحريم بعض البيع وإحلال بعض الربا. فكل هذا اختلف في قوله، هل هو من العموم الذي أريد به العموم، أو من العموم الذي أريد به الخصوص؟ على قولين:

أحدهما: أنه عموم أريد به العموم وإن دخله دليل التخصيص، والثاني: أنه عموم أريد به الخصوص.

وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما: أن العموم الذي أريد به العموم: أن يكون الباقي من العموم من بعد التخصيص أكثر من الخصوص، والعموم الذي أريد به الخصوص: أن يكون الباقي منه بعد

التخصيص أقل من الخصوص.

والفرق الثاني: أن البيان فيما أريد به الخصوص متقدم على اللفظ، وأن ما أريد به العموم متأخر عن اللفظ ومقترون به، هذا أحد أقاويله.

والقول الثاني: أنه الجملة الذي لا يمكن أن يستعمل في إحلال بيع أو تحريمه إلا أن يقتصر به بيان من سنة الرسول، وإن دل على إباحة البيوع في الجملة دون التفصيل.

وهذا فرق ما بين العموم والجمال: أن العموم يدل على إباحة البيوع في الجملة ولا يدل على إباحتها في التفصيل حتى يقتصر به بيان.

ففي هذا القول أنها جملة اختلف في إجمالها، هل هو إجمال في معناها أو إجمال في إيجابها، هل هو إجمال في إيجابها أو إجمال في إيجابها على وجهين:

أحدهما: بأنه لما تعارض ما في الآية من إحلال البيع وتحريم الربا وهو بيع، صارت بهذا التعارض جملة، وكان إجمالها منها.

والثاني: أن إجمالها بغيرها، لأن السنة مستترة من بيع وأجازت ببيعها، فصارت بالسنة جملة.

وإذا صحت إجمالها فقد اختلف فيه:

هل هو إجمال في المعنى دون اللفظ، لأن لفظ «البيع» معلوم في اللغة، وإنما القصر أجل المعنى والحكم، حين أحل بيعا وحرم بيعا.

والوجد الثاني: أن الإجمال في لفظها ومعناها، لأنه لما عدل بالبيع من إطلاقه على ما استقر عليه في الشرع فاللفظ والمعنى محتملان معا، فهذا عرح القول الثاني.

والقول الثالث: أنها داخلة في العموم والجمال،

فيكون عمومًا دخله التخصيص، وبمضًا لحقه التخصيص، لاحتمال عمومها في اللفظ وإجمالها في المعنى، فيكون اللفظ عمومًا دخله التخصيص، والمعنى بمضًا لحقه التفسير، [هذا هو الوجه الأول من القول الثالث]

والوجه الثاني: أن عمومها في أول الآية من قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّوْءَ﴾، وإجمالها في آخرها من قوله: ﴿وَحَرَّمَ الزَّوْءَ﴾، فيكون أولها عامًا دخله التخصيص، وآخرها بمضًا لحقه التفسير.

والوجه الثالث: أن اللفظ كان بمضًا، فلهذا بيته الرسول صار عامًا، فيكون داخلًا في الجمل قبل البيان، في العموم بعد البيان.

الطوسي: ومعنى قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا بَالِغُونَ فِي الْحَقِّ وَالنَّيْظِ﴾، أن المشركين قالوا: الزيادة على رأس المال بعد صيره على جهة الدين كالزيادة على رأس البيع، وذلك خطأ، لأن أحدهما محرم والآخر مباح، وهو أيضًا منفصل منه في العقد، لأن الزيادة في أحدهما لتأخير الدين وفي الآخر لأجل البيع، والفرق بين البيع والزنا: أن البيع يبدل لأن الثمن فيه يبدل الممتنع، والزنا ليس كذلك وإنما هو زيادة من غير بدل، للتأخير في الأجل أو زيادة في الجنس.

نحوه الطبرسي: (٢: ٣٨٩)

البقوي: أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحللهم إياه، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلّ ماله على غيره فطالبه، فيقول الضريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيعلن ذلك، ويقولون: سواء علينا الزيادة في أول البيع بالزبيع

أو عند الحل لأجل التأخير، فكذبهم الله تعالى، وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّوْءَ﴾.

نحوه الخازن: (١: ٢٥٠)

الزمخشري: فإن قلت: هل قيل: إنما الزنا مثل البيع؟ لأن الكلام في الزنا لا في البيع، فوجب أن يقال: إنهم شبهوا الزنا بالبيع فاستحلوه، وكانت شبهتهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل مالا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين.

قلت: جيء به على طريق المبالغة، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حلّ الزنا أنهم جعلوه أصلًا وقانونًا في الحل، حتى شبهوا به البيع، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّوْءَ﴾، إنكار لتسويتهم بينهما، ودلالة على أن التماس يدهم التمس، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم لإحلال الله وتحريمه.

نحوه الشريفي: (١: ١٨٤)، والبيضاوي: (١: ١٤٢)، والفتي: (١: ١٣٨)، وأبو السعود: (١: ٣١٦)، والبروسوي: (١: ٤٣٦).

ابن عطية: قال بعض العلماء في قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ هذا من عموم القرآن، لأن العرب كانت تغدر على إنفاذه، لأن الأخذ والإعطاء عندها بيع، وكل ما عارض العموم فهو تخصيص منه.

وقال بعضهم: هو من جعل القرآن الذي فسر بالحلل من البيع والمهرم، والقول الأول عندي أصح.

(١: ٣٧٢)

الزاوندي: وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ عام في كل بيع شرعي.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ شَرَائِبِ
مِنْكُمْ﴾ النساء: ٢٩. يدل أيضًا على أكثر ما ذكرناه.
وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَدَانَيْتُمْ بِذَيْنِ إِنْسى أَجَلٍ
مُخْتَلًى﴾ البقرة: ٢٨٢. يدل على صحة السلف في جميع
المبيعات، وإنما يجوز ذلك إذا جمع شرطين: تمييز الجنس
من غيره مع تحديده بالوصف، والثاني ذكر الأجل فيه.
فإذا اختل شيء منهما لم يصح السلف، وهو بيع
مخصوص.

وكل شيء لا يتحدد بالوصف - مثل روبا الماء
والخبز واللحم - لم يصح السلف فيه، لأن ذلك لا يمكن
تحديده بوصف لا يعتلط به سواء. وقال بعض أصحابنا،
أنه جائز، والأول أظهر.

فكل شرط يوافق شريعة الإسلام اعتبره المشتري
فإنه يلزم. لقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: ١،
ولقول رسول الله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم».

ومن فضيل: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الشرط في
الحيوان؟ قال: ثلاثة أيام شرط ذلك في ضمن العقد أو لم
لم يشرط، ويكون الخيار للمبتاع خاصة في هذه المدة
ما لم يحدث فيه حدثًا.

قلت: فما الشرط في غير الحيوان؟

قال: البينان في الخيار ما لم يفترقا، فإذا افترقا
فلا خيار بعد الرضا منها إلا أن يشترط إلى مدة معينة.
وقال عليه السلام: لا بأس بالسلم في المتاع إذا وصفت
الطول والعرض إلى أجل معلوم، وفي الحيوان إذا وصفت
أسنانها. وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ البقرة:
٢٨٢، يختص بهذا النوع من المبيعة. (٢: ٥٠)

ثم اعلم أن البيع هو انتقال عين مملوكة من شخص
إلى غيره بعوض مقدّر على وجه التراضي، على
ما يقتضيه الشرع. وهو على ثلاثة أضرب: بيع عين
مرئية، وبيع موصوف في الذمة، وبيع خيار الرؤية.
فأما بيع الأعيان المرئية: فهو أن يبيع إنسان عبداً
حاضراً أو ثوباً حاضراً أو عبداً من الأعيان حاضرة
فيشاهد البائع والمشتري ذلك، فهذا بيع صحيح
بلا خلاف.

وأما بيع الموصوف في الذمة: فهو أن يُسلمه في شيء
موصوف إلى أجل معلوم ويذكر الصفات المقصودة، فهذا
أيضاً صحيح بلا خلاف.

وأما بيع خيار الرؤية: فهو بيع الأعيان الغائبة، وهو
أن يشاع شيئاً لم يره، مثل أن يقول: «يمتلك هذا الثوب
الذي في كتي» أو «القرب الذي في الصندوق» ومثله
ذلك، فيذكر جنس المبيع فيتميز من غير جنسه، ويذكر
الصفة، ولا فرق بين أن يكون البائع رآه والمشتري
لم يره، أو يكون المشتري رآه والبائع لم يره، أو لم يره
معاً. فإذا عقد البيع ثم رأى المبيع فوجده على ما وصفه
كان البيع ماضياً، وإن وجده بخلافه كان له رده وفسخ
العقد.

ولا بد من ذكر الجنس والصفة؛ فمضى لم يذكرها أو
واحداً منهما، ثم يصح البيع. ومتى شرط المشتري خيار
الرؤية لنفسه كان جائزاً، فإذا رآه بالصفة التي ذكرها
لم يكن له الخيار، وإن وجده مخالفاً كان له الخيار. هذا إذا
لم يكن رآه، وإن كان قد رآه، فلا وجه لشرط الرؤية.
لأنه عالم به قبل الرؤية.

ابن شهر آشوب: قوله تعالى: ﴿وَأَهْلُ اللَّهِ يَبِيعُ﴾ وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعًا عَنْ تَرَاوُعٍ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٢٩، يدلان على جواز بيع الأعيان الغائبة إذا علمت، وجواز بيع الأعصى وشرائه، ويدخل فيه أيضًا المبيع إذا استثنى منه شيء معين كالشاة إلا جلدتها أو الشجر إلا شجرة الفلانية. ويدلان على أنه إذا فُرّق بين الصغير وبين أنه لم يبطل البيع، والأصل جوازه، وبطلانه يحتاج إلى دليل. (٢: ٢١٢)

الفخر الرازي: في الآية سؤال، وهو أنه لم يبق: إنما الرّبا مثل البيع؟ وذلك لأنّ حلّ البيع متفق عليه، فهم أرادوا أن يقيسوا عليه الرّبا، ومن حقّ القياس أن يُشبه محلّ الخلاف بمحلّ الوفاق، فكان نظم الآية أن يقال: إنما الرّبا مثل البيع، فما الحكمة في أن قلب هذه القضية؟ فقال: ﴿إِنَّمَا يَبِيعُ مِثْلَ الرِّبَا﴾.

والجواب: أنه لم يكن مقصود القوم أن يستشكلوا بنظم القياس، بل كان غرضهم أن الرّبا والبيع متماثلان من جميع الوجوه المطلوبة، فكيف يجوز تخصيص أحد المتلين بالحلّ، والثاني بالحرمة، وعلى هذا التقدير فإنهما قدّم أو أخر جاز.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَهْلُ اللَّهِ يَبِيعُ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: يحتمل أن يكون هذا الكلام من قام كلام الكفار، والمعنى أنهم قالوا: البيع مثل الرّبا، ثم إنكم تقولون: ﴿وَأَهْلُ اللَّهِ يَبِيعُ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فكيف يعقل هذا؟ يعني أنّها لما كانا متماثلين فلو حلّ أحدهما وحرم الآخر لكان ذلك إيقاعًا للتفرقة بين المتلين، وذلك غير

لائق بحكمة الحكيم، فقوله: ﴿وَأَهْلُ اللَّهِ يَبِيعُ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ذكره الكفار على سبيل الاستبعاد. وأما أكثر المتأخرين فقد اتفقوا على أن كلام الكفار انقطع عند قوله: ﴿إِنَّمَا يَبِيعُ مِثْلَ الرِّبَا﴾، وأما قوله: ﴿وَأَهْلُ اللَّهِ يَبِيعُ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فهو كلام الله تعالى، ونصّه على هذا الفرق ذكره إبطالاً لقول الكفار: إنما البيع مثل الرّبا، والمحجة على صحة هذا القول وجوه:

المحجة الأولى: أن قول من قال: هذا كلام الكفار، لا يتم إلا بإظهار زيادات، بأن يحصل ذلك على الاستفهام على سبيل الإنكار، أو يحصل ذلك على الزواجة من قول المسلمين، ومعلوم أن الإظهار خلاف الأصل، وأما إذا جازاه كلام الله ابتداء لم يحتج فيه إلى هذا الإظهار، فكانت الكلمة أولى.

المحجة الثانية: أن المسلمين أهدأ كانوا متمسكين في جميع مسائل البيع بهذه الآية، ولولا أنهم علموا أن ذلك كلام الله لا كلام الكفار، وإلا لما جاز لهم أن يستدلوا به، وفي هذه المحجة كلام سيأتي في المسألة الثانية.

المحجة الثالثة: أنه تعالى ذكر حقيقت هذه الكلمة قوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فظاهر هذا الكلام يقتضي أنهم لما تمسكوا بتلك الشبهة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَا يَبِيعُ مِثْلَ الرِّبَا﴾ فأنه تعالى قد كشف عن فساد تلك الشبهة وعن ضعفها، ولو لم يكن قوله: ﴿وَأَهْلُ اللَّهِ يَبِيعُ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ كلام الله لم يكن جواب تلك الشبهة مذکورًا، فلم يكن قوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ لائقًا بهذا الموضع.

المسألة الثانية: مذهب الشافعي رضي الله عنه أن قوله: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ» من الجملات التي لا يجوز التمسك بها، وهذا هو المختار عندي، ويدل عليه وجوه:

الأول: أننا بينا في أصول الفقه أن الاسم المفرد المحل بلام التعريف لا يفيد العموم أبسطة، بل ليس فيه إلا تعريف الماهية، ومتى كان كذلك كنى العمل به في ثبوت حكمة في صورة واحدة.

والوجه الثاني: وهو أننا إذا سلمنا أنه يفيد العموم، ولكننا لانشك أن إفادته العموم أضف من إفادة ألقاظ الجمع للعموم، مثلاً قوله: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ» وإن أفاد الاستغراق إلا أن قوله: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَاتِ) أقوى في إفادة الاستغراق، فثبت أن قوله: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ» لا يفيد الاستغراق إلا إفادة ضيقة، ثم تقدير العموم لا بد وأن يترك إليها تخصيصات كثيرة خارجة عن المحصر والضبط، ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، لأنه كذب والكذب على الله تعالى محال، فأما العام الذي يكون موضع التخصيص منه قليلاً جداً، فذلك جائز لأن إطلاق لفظ الاستغراق على الأغلب عرف مشهور في كلام العرب، فثبت أن حمل هذا على العموم غير جائز.

الوجه الثالث: ما روي عن عمر رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا وما سأله عن الزيا، ولو كان هذا اللفظ مفيداً للعموم لما قال ذلك، فعلمنا أن هذه الآية من الجملات.

الوجه الرابع: أن قوله: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ» يقتضي

أن يكون كل بيع حلالاً، وقوله: «وَحَرَّمَ الزَّيْوَ» يقتضي أن يكون كل زيا حراماً، لأن الزيا هو الزيادة، ولا بيع إلا ويقصد به الزيادة، فأول الآية أباح جميع البيوع، وآخرها حرّم الجميع، فلا يعرف الحلال من المحرم بهذه الآية، فكانت جملة، فوجب الرجوع في الحلال والمحرم إلى بيان الرسول ﷺ. (٧: ٩٨) نحوه الثياوردي. (٧: ٧٥)

الفرطبي، قوله تعالى: «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِفْلُ الزَّيْوَ» أي إنما الزيادة عند حلول الأجل آخرها كمثل أصل الحسن في أول العقد؛ وذلك أن العرب كانت لاتعرف زيا إلا ذلك، فكانت إذا حلّ دينها قالت للغيرم: إنما أن تقضي وإنما أن تزي، أي تزيد في الدين. فحرم الله سبحانه ذلك، ورد عليهم قولهم بقوله الحق: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ» وأوضح أن الأجل إذا حلّ ولم يكن عنده ما يؤذي أخير إلى الميسرة.

وهذا الزيا هو الذي نسخ النبي ﷺ بقوله يوم عرفة، لما قال: «ألا إن كل زيا موضوع وإن أول زيا أضاعه ربنا ربنا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله». فبدأ ﷺ بحقه وأخص الناس به، وهذا من سنن العدل للإمام أن يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض حينئذ في الناس.

وقوله تعالى: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ» هذا من عموم القرآن، والألف واللام للجنس لا للمعد؛ إذ لم يتقدم بيع مذكور يرجع إليه، كما قال تعالى: «وَالْقَضِي» إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» المص: ١. ثم استثنى «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» المص:

٣، وإذا ثبت أن البيع عام فهو مختص بما ذكرناه من الزبا، وغير ذلك مما نهي عنه ومنع العقد عليه، كالخمر والميتة وحبل الحبل وغير ذلك مما هو ثابت في السنة، وإجماع الأمة النهي عنه، ونظيره: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (التوبة: ٥)، وسائر الطواهر التي تقتضي الصومات ويدخلها التخصيص، وهذا مذهب أكثر الفقهاء.

وقال بعضهم: هو من مجمل القرآن الذي بشر بالمثل من البيع وبالحرم، فلا يمكن أن يُسمل في إحلال البيع وتحريره إلا أن يقرن به بيان من سنة الرسول ﷺ، وإن دل على إباحة البيوع في الجملة دون التفصيل، وهذا فرق ما بين العموم والممثل، فالصوم يدل على إباحة البيوع في الجملة والتفصيل مالم يخص بدليل، والممثل لا يدل على إباحتها في التفصيل حتى يقرن به بيان، والأول أصح، والله أعلم.

والبيع في اللغة: مصدر باع كذا بكذا، أي دفع عرضاً وأخذ مقوضاً، وهو يقتضي بائناً وهو المالك أو من يُزكّل منزله، ومبتاعاً وهو الذي يذل الثمن، ومبيماً وهو المتمعن، وهو الذي يُنْذَل في مقابلته الثمن، وعلى هذا فأركان البيع أربعة: البائع، والمبتاع، والثمن، والمُسْتَنْ. ثم المعاوضة عند العرب تختلف بحسب اختلاف ما يضاف إليه؛ فإن كان أحد الموعضين في مقابلة الرقبة سمي بيعاً، وإن كان في مقابلة منعة رقبة، فإن كانت منعة يُضَع سمي نكاحاً، وإن كانت منعة غيرها سمي إجارة، وإن كان عينا بين فريخ النقد وهو العتق، وإن كان بدين مؤجل فهو السلم، وسيأتي بيانه في آية الدين.

وقد مضى حكم العتق، ويأتي حكم الإجارة في «القصر» وحكم المهر في النكاح في «النساء» كل في موضعه إن شاء الله تعالى.

والبيع: قبول وإيجاب، يقع باللفظ المستقبل والماضي، فالماضي فيه حقيقة والمستقبل كناية، ويقع بالعريج والكناية المفهوم منها نقل الملك، فسواء قال: بعك هذه السلعة بعشرة، فقال: اشتريتها، أو قال المشتري: اشتريتها، وقال البائع: بعثكها، أو قال البائع: أنا أبيعك بعشرة، فقال المشتري: أنا أشتري أو قد اشتريت، وكذلك لو قال: خذها بعشرة أو أعطيتكها أو دونكها أو بورك لك فيها بعشرة أو سلمتها إليك - وهما برهان البيع - فذلك كله بيع لازم.

ولو قال البائع: بعك بعشرة ثم رجع قبل أن يقبل المشتري، فقد قال^(١): ليس له أن يرجع حتى يسمع قبول المشتري أو رده، لأنه قد بذل ذلك من نفسه وأوجه عليها، وقد قال ذلك له، لأن العقد لم يتم عليه. ولو قال البائع: كنت لاعتباً، فقد اختلفت الرواية عنه^(٢)، فقال مرة: يلزمه البيع ولا يُلْتَفَت إلى قوله، وقال مرة: يُنْظَر إلى قيمة السلعة، فإن كان الثمن يُشَبِّه قيمتها فالبيع لازم، وإن كان متفاوتاً كبعد بدرهم ودار بدرينار، علم أنه لم يرد به البيع، وإنما كان عازلاً فلم يلزمه.

(٣: ٣٥٦)

أبو حنيفة: الإشارة به «ذلك» إلى ذلك القيام الخصوص بهم في الآخرة، ويكون مبتدأ والمجرور الخبر،

(١) أي مالك.

(٢) أي عن مالك.

أي ذلك القيام كائن بسبب أنهم. وقيل: غير صحتهم محذوف، تقديره قيامهم بذلك، إلا أن في هذا الوجه فصلاً بين المصدر ومتعلقه الذي هو (بأنهم) على أنه لا يبعد جواز ذلك لحذف المصدر، فلم يظهر قبح بالقصل بالخبر. وقدره الزمخشري ذلك العقاب بسبب أنهم، والمقاب هو ذلك القيام، ويحتمل أن يكون (ذلك) إشارة إلى أكلهم الزبا، أي ذلك الأكل الذي استحلوه بسبب قولهم واعتقادهم أن البيع مثل الزبا، أي مستندهم في ذلك التسوية عندهم بين الزبا والبيع، وشبهوا البيع وهو المجمع على جوازه بالزبا وهو محرم، ولم يحكموا تنزيلاً لهذا الذي يفعلونه من الزبا منزلة الأصل المماثل له البيع. وهذا من عكس التشبيه وهو موجود في كلام العرب [ثم استشهد به]

وكان أهل الجاهلية إذا حل دينه على غيره من العرب رباً فلما نهوا عنه فيقول: زدني في الأجل وأزيدك في المال... فكذبهم الله تعالى.

وقيل: كانت ثقيف أكثر العرب رباً فلما نهوا عنه قالوا: إنما هو مثل البيع ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزُّبَا﴾ ظاهره أنه من كلام الله تعالى لامن كلامهم، وفي ذلك رد عليهم؛ إذ ساووا بينهما، والحكم في الأشياء إنما هو إلى الله تعالى لا يعارض في حكمه ولا يخالف في أمره. وفي هذه الآية دلالة على أن القياس في مقابلة النص لا يصح؛ إذ جعل تعالى الدليل في إبطال قولهم هو أن الله أحل البيع وحرم الزبا.

وقال بعض العلماء: قياسهم فاسد، لأن البيع عوض ومعوض لاغبين فيه، والزبا فيه التغبين وأكل

المال الباطل، لأن الزيادة لامقابل لها من جنسها، بخلاف البيع فإن الثمن مقابل بالمؤمن.

قال جعفر الصادق [عليه السلام]: حرّم الله الزبا ليتقارض الناس. وقيل: حرّم لأنه مثلف للأموال يهلك للناس.

وقال بعضهم: يحتمل أن يكون ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزُّبَا﴾ من كلامهم، فكانوا قد عرفوا تحريم الله الزبا معارضوه بأرائهم، فكان ذلك كفرًا منهم، والظاهر عموم البيع والزبا في كل بيع وفي كل رباً، إلا ما خصته الدليل من تحريم بعض البيوع وإحلال بعض الزبا.

وقيل: هما بجملان فلا يقدّم صل تحليل بيع الزبا تحريم رباً إلا ببيان، وهذا فرق ما بين العام والخاص.

وقيل: هو عموم دخله التخصيص وبجمل دخله التعميم وتفاصيلها المذكور في (٢: ٣٣٥)

نحوه ابن كثير (١: ٥٨)، والقرطبي (٣: ٦٤). الشيوطي: ومن أمثلة ما خصّ بالحديث قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ خصّ منه البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة ﴿وَحَرَّمَ الزُّبَا﴾ خصّ منه العرايا بالسنة. (٣: ٥٤)

الآلوسي: [قال نحو الزمخشري وأضاف]: وقيل: يجوز أن يكون التشبيه غير مقلوب بناءً على ما فهموه أن البيع إنما حل لأجل الكسب والفائدة، وذلك في الزبا متحقق وفي غيره موهوم. ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزُّبَا﴾ جملة مستأنفة من الله تعالى ردًا عليهم، وإنكارًا لتسويتهم. [ثم قال نحو ما تقدّم عن أبي حنيفة] (٣: ٥٠)

محمد جواد مغنّية : «ذلك» إشارة إلى استعلاهم الزّبا، وقد فسّوه بأنّ البيع والزّبا متماثلان من جميع الوجوه، فكيف يكون البيع حلالاً دون الزّبا؟ أليس للإنسان أن يبيع ما يساوي خمسة دراهم بمئة، وأن يبيع ما يساوي درهماً بمئة بدرهمين مؤجلين؟ إذن، ينبغي أن يُسمح له بإعطاء عشرة دراهم بأحد عشر إل شهر، والفرق تحكّم في نظر العقل.

ورد الله سبحانه هذا الزّعم بقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزُّبْأَ﴾ ووجه الزّد أنّ مجرد تماثلها في الظاهر لا يستدعي أن يكونا كذلك في الواقع، فإنّ البيع عملية تجارية نافعة، والبائع يقوم بدور الوسيط بين المنتج والمستهلك، فيكون ربحه موحداً من اتعابه، وليس أكلاً للبال بالباطل، أمّا الزّبا فهو استغلال محض، وأخذ للزيادة من غير مقابل، فيكون أكلاً للبال بالباطل، ومن أجل هذا أحلّ الله البيع، وحرم الزّبا، باختلافها حكماً عند الله دليل على اختلافها واقعاً، وكذلك العكس.

(١: ٤٣٦)

الصابوني: تشبيه لطيف يسمى «التشبيه المقلوب» وهو أحلّ مراتب التشبيه، حيث يُصبح المشبه مشبهاً به، مثل قهولهم: القمر كوجه زيد، والبحر ككفّه... [تم استشهد بشر]

ومقصودهم تشبيه الزّبا بالبيع المتفق على حله، ولكنه بلغ اعتقادهم في حلّ الزّبا، أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحلّ، حتى شبهوا به البيع، فتدبره فيّاه دقيق.

(١: ٣٨٧)

الطّباطبائي: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

إنّما البئع مثل الزّبا﴾ قد تقدّم الوجه في تشبيه البيع بالزّبا دون العكس، بأن يقال: إنّما الزّبا مثل البيع، فإنّ من استقرّ به الخطب والاختلال كان واقعاً في موقف خارج عن العادة المستقيمة، والمعروف عند العقلاء والمنكر عندهم بيان عنده، فإذا أمرته بترك ما يأتيه من المنكر والرجوع إلى المعروف أجابك - لو أجاب - أنّ الذي تأمرني به كالذي تنهاني عنه لازمة له عليه، ولو قال: إنّ الذي تنهاني عنه كالذي تأمرني به كان حافلاً غير مختل الإدراك، فإنّ معنى هذا القول: أنّه يسلم أنّ الذي يؤمر به أصل ذو مزية يجب اتّباعه، لكنّه يدّعي أنّ الذي ينهي عنه ذو مزية مثله، ولم يكن معنى كلامه إبطال المزية وإهماله كما يراه الممسوس. وهذا هو قول المقلّبيّ المستقرّ في نفسه الخطب: إنّما البيع مثل الزّبا، ولو أنّه قال: إنّ الزّبا مثل البيع، لكان راداً على الله، باحداً للشريعة، لا حاجةً كالمسوس.

والظاهر أنّ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الزُّبْأِ﴾ حكاية لحالهم التّاطق بذلك وإن لم يكونوا قالوا ذلك بأنفسهم، وهذا السياق أعني حكاية الحال بالقول، معروف عند الناس.

وبذلك يظهر فساد ما ذكره بعضهم: أنّ المراد بقولهم: ﴿وَأَنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الزُّبْأِ﴾ تغلّبها في سلك واحد، وإنّما قلّوا التشبيه وجعلوا الزّبا أصلاً، وشبهوا به البيع للمبالغة. [تم استشهد بشر]

وكذا فساد ما ذكره آخرون: أنّه يجوز أن يكون التشبيه غير مقلوب بناءً على ما فهموه: أنّ البيع إنّما حلّ لأجل الكسب والقائدة؛ وذلك في الزّبا متحقّق وفي غيره

موهوم، ووجه الفساد ظاهر مما تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّوْجَ﴾ جملة مستأنفة بناء على أن الجملة الفعلية المصدرية بالماضي لو كانت حالاً لوجب تصديرها بـ«قد»، يقال: جاءني زيد وقد ضرب عمراً، ولا يلائم كونها حالاً لما يفيد أول الكلام من المعنى، فإن الحال قيد لزمان عامله وظرف لتحققه، فلو كانت حالاً لأفادت أن تحبطهم، لغوهم: إنما البيع مثل الزنا، إنما هو في حال أحل الله البيع وحرم الزنا عليهم، مع أن الأمر على خلافه فهم خاطئون بعد تشريع هذه العلوية والمهرمة وقبل تشريعها، فالجملة ليست حالة وإنما هي مستأنفة.

وهذه المستأنفة غير متضمنة للتشريع الابتدائي على ما تقدم أن الآيات ظاهرة في سبق أصل تشريع الحرمة، بل بانية على ما تدل عليها آية آل عمران: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ مَظَافَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، فالجملة، أعني قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ﴾ إلخ، لا تدل على إنشاء الحكم، بل على الإخبار عن حكم سابق وتوطئة، لتضرع قوله بعدها: ﴿فَإِنْ جَاءَهُمْ مُّوَعِدَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلخ، هذا ما ينساق إليه ظاهر الآية الشريفة.

وقد قيل: إن قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّوْجَ﴾ مسوق لإبطال قولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الزَّوْجِ﴾ والمعنى لو كان كما يقولون لما اختلف حكمها عند أحكم الحاكمين، مع أن الله أحل أحدهما وحرم الآخر.

وفيه: أنه وإن كان استدلالاً صحيحاً في نفسه لكنه لا يطبق على لفظ الآية، فإنه معنى كون الجملة ﴿وَأَحَلَّ

الله﴾ إلخ، حالة وليست بحال.

وأضعف منه ما ذكره آخرون: أن معنى قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ﴾ إلخ، إنه ليست الزيادة في وجه البيع نظير الزيادة في وجه الزنا، لأنني أحللت البيع وحرمت الزنا، والأمر أمرى، والمخلق خلقى، أقضي فيهم بما أشاء، واستمدهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي.

وفيه: أنه أيضاً مبني على أخذ الجملة حالة لاستأنفة، على أنه مبني على إنكار ارتباط الأحكام بالمصالح والمفاسد ارتباط السببية والمسببية، وبعبارة أخرى على نفي العلوية والمعلولية بين الأشياء، وإسناد الجميع إلى الله سبحانه من غير واسطة، والضرورة تبطله، على أنه خلاف ما هو دأب القرآن من تعطيل أحكامه وأمراته بمصالح خاصة أو عامة، على أن قوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَيْنَ يَمَنِ الزَّوْجِ إِنَّ كُنُفُؤَكُمْ بَيْنَهُنَّ﴾ الآية البقرة: ٢٧٨، وقوله: ﴿لَا تَقْلِبُوهَا﴾ الآية، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الزَّوْجَ﴾ إلى قوله: ﴿مِثْلُ الزَّوْجِ﴾ تدل على نوع تعطيل لإحلال البيع، بكونه جارياً على سنة النطرة والمخلقة، ولتحريم الزنا بكونه خارجاً عن سنن الاستقامة في الحياة، وكونه منافياً غير ملائم للإيمان بالله تعالى، وكونه ظاهراً. (٤١٥: ٢)

يُبَايِعُونَ - يُبَايِعُونَكَ

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ... الفتح: ١٠
عبادة بن الصامت: إنهم بايعوه على الموت.

(ابن الجوزي ٧: ٤٢٧)

مثله يزيد بن أبي صبيدة (البغوي ٤: ٢٢٤)، وسلمة بن الأكموع (أبو حيان ٨: ٩٨).

جابر بن عبد الله: بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر، فأنكث أحدنا البيعة إلا جده بن قيس، وكان منافقا اختبأ تحت إبط بعيره، ولم يسر مع القوم. (الزنجبيري ٣: ٥١٣)

مُجاهِد: فالمراد بالبيعة المذكورة هاهنا: بيعة الحديثية وهي بيعة الرضوان.

مثله قتادة. (الطوسي ٩: ٣١٩)

الإمام الرضا عليه السلام: عبد السلام بن صالح الهروي

قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث أن المؤمنين يزودون ربهم من منازلهم في الجنة؟ فقال عليه السلام: يا أبا الفضل إن الله تعالى فضل بيته بمحمد

على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعة، ومبايعته مبايعة، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارة، فقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء: ٨٠، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التوحيد: ١٠، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله»، ودرجة النبي صلى الله عليه وآله في الجنة أرفع الدرجات، ومن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

الطبري: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديثية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا يوتوهم الأعداء ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، يقول: إنما يبايعون

ببعتهم إياك الله، لأن الله ضمن لهم الجنة هو فائهم له بذلك. (٢٦: ٧٦)

الزجاج: أي أخذك عليهم البيعة عقد لله عز وجل عليهم. (٥: ٢٢)

القاسمي: نزلت في بيعة الرضوان ﴿فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ...﴾ واشترط عليهم أن لا ينكروا بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يفعله، ولا يخالفوه في شيء يأمرهم به، فقال: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَزِيدْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وإنما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه ولا ينفصوا عهده وعقده، فهذا العهد رضي الله عنهم. (٢: ٣١٥)

الصفيد: في بيعة الناس للرضا عليه السلام عند المأمون جلس للمأمون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه، وأجلس الرضا عليه السلام عليهما في الحضرة وعليه عباءة وسيف، ثم أمر ابنه العباس بن المأمون أن يتابع له في أول الناس، فرفع الرضا عليه السلام يده فعلق بها وجهه ويطنها وجوههم، فقال له المأمون: أبسط يدك للبيعة، فقال الرضا عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع، فبايعه الناس ويده فوق أيديهم.

(القروسي ٥: ٦٦)

الطوسي: والمراد بالبيعة المذكورة هاهنا: بيعة الحديثية، وهي بيعة الرضوان في قول قتادة ومجاهد.

والمبايعة: معاهدة على السمع والطاعة، كالمعاهدة في البيع والشراء بما قد مضى، فلا يجوز الرجوع فيه.

وقيل: إنها معاهدة على بيع أنفسهم بالجنة، وللزمهم

في الحرب النصرة. (٩: ٣٦٩)

الرُّمُحُشَرِيّ: أكدّه تأكيداً على طريق التَّخْيِيلِ، فقال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يريد أن يد رسول الله الذي تملو أيدي المباهمين هي يد الله، والله تعالى منزّه عن الجوارح ومن صفات الأجسام. وإنّما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كمعقده مع الله من غير تغاوت بينهما. كقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء: ٨٠، والمراد بيعة الرضوان. (٣: ٥٤٣)

نحوه أبو الشُّوَد. (٦: ٩٩)

ابن عَطِيَّة: يريد في «بيعة الرضوان» وهي بيعة الشجرة حين أخذ رسول الله ﷺ الأُخِيَّةَ لِقَاتِلِ قُرَيْشٍ، لما بلغه قتل هُثَالِ بْنِ حَقَّانٍ رَسُولَهُ إِلَيْهِمْ: وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية. وكان في ألف وأربعمئة رجل. قال التَّنَافُسُ: وقيل: كان في ألف وثمانمئة، وقيل: وسبعمئة، وقيل: وسبعمئة، وقيل: ومئتين.

وبإيهم رسول الله ﷺ على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد. [إلى أن قال:]

والمبايعة في هذه الآية «مفاضلة» من البيع، لأن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة. وبقي اسم «البيعة» بعد معاقدة الخلفاء والملوك، وصلى هذا سمّت الخوارج أنفسهم الشُّرَاءَ، أي اشترؤا بزعمهم الجنة بأنفسهم. ومعنى ﴿إِنَّمَا يَبْتَاعُونَ اللَّهَ﴾ أن صفتهم إنما يُضْمِيهَا وَيَنْبَغُ ثَمْنُهَا اللَّهُ تَعَالَى.

وقرأ ثَمَامُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: (إِنَّمَا يَبْتَاعُونَ اللَّهَ) قال أبو الفتح: ذلك على حذف المفعول لدلالة الأول عليه وقربه منه. (٥: ١٢٩)

نحوه أبو حَتَّانَ (٨: ٩١)، والمراد بيعة الحديبية. (٣٦: ٩٠).

الطَّنِيرَسِيُّ: المراد بالبيعة هنا: بيعة الحديبية، وهي بيعة الرضوان، بإيعوا رسول الله ﷺ على الموت. ﴿إِنَّمَا يَبْتَاعُونَ اللَّهَ﴾ يعني أن المبايعة معك تكون مبايعة مع الله، لأن طاعتك طاعة الله وإنما سميت بيعة، لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم في الحرب النصرة. (٥: ١١٣)

نحوه الطَّرُطِيُّ. (١٦: ٣٦٧)

أَبْنُ الْجَوَازِيِّ: يعني بيعة الرضوان بالحديبية. وعلى ماذا بإيعوه؟ فيه قولان:

أحدهما: أنهم بإيعوه على الموت، قاله حُبابَةُ بْنُ الصَّامِتِ.

والثاني: على أن لا يغزوا، قاله جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

ومعناها يقتارب، لأنه أراد: على أن لا تغزوا ولو متر. وسميت بيعة، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، وكان العقد مع رسول الله ﷺ، فكأنهم بإيعوا الله عز وجل، لأنه ضمن لهم الجنة بوفااتهم. (٧: ٤٢٧)

الغَازِنُ: يعني إن الذين يبيعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يغزوا إنما يبيعون الله، لأنهم باعوا أنفسهم من الله عز وجل بالجنة. وأصل البيعة: العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له. والمراد بهذه البيعة: بيعة الرضوان بالحديبية، وهي قرية ليست بكبيرة، بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلتين، سميت بئر هناك. (٦: ١٥٩)

أَبْنُ كَثِيرٍ: هذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت

تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ قبيل: ألفاً وثلاثمائة، وقيل: وأربعمائة، وقيل: وخمسمائة، والأوسط أصح. [تم روى عن البخاري أحاديث فراجع] (٦: ٣٣١)

الشَّارِبِيْنِي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾
بِالشَّرَفِ الرَّسْلِ بِالْحَدِيْبَةِ عَلَى أَنْ لَا يَغْرَوْا ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ﴾
اللهُ أَي الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ، لِأَنَّهُ عَمَلُ كُلِّهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ
لَهُ تَعَالَى ﴿وَمَا يَشِطُّ عَنْ الْهَوَى﴾ التَّجْم: ٣.

وسميت مبايعة لأنهم باعوا أنفسهم فيها من الله تعالى بالجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾
التوبة: ١١١.

الْبُرُوسِيُّ: أَي يَهِدُونكَ عَلَى قِتَالِ فَرِيضَةٍ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ. وَحُمِيَتْ «الْمَعَاهِدَةُ» مَبَايَعَةً تَشْبِيْهَا بِالْمَعَاهِدَةِ
الْمَالِيَةِ، أَي مِبَادَلَةِ الْمَالِ بِالْمَالِ فِي أَشْيَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا
عَلَى مَعْنَى الْمِبَادَلَةِ، فَهُمْ التَّزَمُوا طَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّبَاتِ
عَلَى مَحَارِبَةِ الْمُشْرِكِينَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ وَهَدَاهُمْ بِالثَّوَابِ وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى.
قال بعض الأنصار عند بيعة العقبة: نَكَلَّمْ بِأَرْسُولِ
الله فَخَذَ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، فَقَالَ ﷺ: أَسْتَرْطُ
لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلِنَفْسِي أَنْ تَحْتَرِفُوا
مَعًا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ.

فقال ابن رواحة رضي الله عنه: فَإِذَا فَعَلْنَا لِمَا نَأْمُرُ
فَقَالَ: لَكُمْ الْجَنَّةُ، قَالُوا: رِيحَ الْبَيْعِ لَا تَقْبَلُ وَلَا تَسْتَعِيلُ
﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ يَعْنِي أَنَّ مَنْ بَايَعَكَ بِمِثْلِهِ مِنْ بَايَعِ
الله، كَانَتْهُمْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ الله بِالْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى...﴾. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بَيْعَةَ رَسُولِهِ
هُوَ وَجْهُ الله وَتَوْثِيقُ الْهَدْيِ بِمِرَاعَاةِ أَوَامِرِهِ وَلَوْاهِيهِ.

قال ابن السكيت: لَمَّا كَانَ الثَّوَابُ إِنَّمَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ
قِبَلِهِ تَعَالَى، كَانَ الْمَقْصُودُ بِالْمَبَايَعَةِ مِنْ طَائِفَةِ الْمَبَايَعَةِ مَعَ
الله، وَإِنَّهُ ﷺ إِنَّمَا هُوَ سَفِيرٌ وَمَعْبَرٌ عَنْهُ تَعَالَى، وَبِهَذَا
الاعتبار صاروا كَأَنَّهُمْ يَبَايِعُونَ الله.

قال سعدى المني: الظاهر - والله أعلم - أَنَّ الْمَعْنَى
عَلَى التَّشْبِيْهِ، أَي كَأَنَّهُمْ يَبَايِعُونَ الله، (٩: ١٩)

الطَّبَّاطِبَائِي: الْبَيْعَةُ: نَوْعٌ مِنَ الْمِيثَاقِ بِبَذْلِ
الطَّاعَةِ، وَالْكَلِمَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ «الْبَيْعِ» بِمَعْنَاهِ الْمَعْرُوفِ.
فَقَدْ كَانَ مِنْ دَائِمِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا إِنْجَازَ الْبَيْعِ أَعْطَى الْبَايِعَ
يَوْمَهُ لِلْمُشْتَرِي، فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا يَمْتَلِكُونَ بِذَلِكَ نَقْلَ الْمِلْكِ
بِحَسْلِ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي يَتَحَقَّقُ مِطْمَئِنُّهَا بِالْيَدِ إِلَى الْمُشْتَرِي
بِالتَّصَرُّفِ. وَبِذَلِكَ سَمِيَ التَّصَنُّيقُ عِنْدَ بَذْلِ الطَّاعَةِ: بَيْعَةً
وَمَبَايَعَةً، وَحَقِيقَةً مَعْنَاهُ: إِعْطَاءُ الْمَبَايِعِ يَدَهُ لِلسُّلْطَانِ مِثْلًا
لِيَعْمَلَ بِهِ مَا يَشَاءُ.

فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾
تَنْزِيلُ بَيْعَتِهِ ﷺ مِثْلَ بَيْعَتِهِ تَعَالَى، بِدَعْوَى أَنَّهَا هِيَ لَا
يُوجِهُونَهُ ﷺ بِهِ مِنْ بَذْلِ الطَّاعَةِ لَا يُوجِهُونَ بِهِ إِلَّا اللهَ
سُبْحَانَهُ، لِأَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةُ الله، ثُمَّ خَرَّجَهُ زِيَادَةُ تَقْرِيرِ
وَتَأْكِيدٍ، بِقَوْلِهِ: ﴿يَذُ الله قُوَّتِي أَيْدِيَهُمْ﴾ حَيْثُ جَعَلَ
يَدَهُ ﷺ يَدَ الله، كَمَا جَعَلَ رَمِيْدَهُ ﷺ رَمِيْدَهُ فِي قَوْلِهِ:
﴿وَمَارَئِيَّتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ وَهَى﴾ الْأَنْفَالُ: ١٧.

وفي نسبة ماله ﷺ مِنَ الشَّأْنِ إِلَى نَفْسِهِ تَعَالَى آيَاتٌ
كَثِيرَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
النِّسَاءُ: ٨٠، وَقَوْلُهُ: ﴿فَبَايَعْتُمْ لَا بُدَّ مِنْكُمْ وَلَكِنَّ

الظَّالِمِينَ بِأَنبَاءِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ» الأسماء: ٣٣. وقوله:
«لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» آل عمران: ١٢٨. (١٨: ٢٧٤)
وهذا المعنى جاءت كلمة (يُنَبِّئُكَ) في سورة
الفتح: ١٨.

بَيْع

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا
رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ
الصُّلُوحُ وَبَيَّعَ... الحج: ٤٠

ابن عباس: إنها كنائس اليهود. (ابن كثير ٤: ٦٥٠)
مثله مجاهد (الماوردي ٤: ٣٠). وابن زيد (الطبري
١٧: ١٧٦)

الصَّخَاك: (البَيْع): بيع النصارى.

مثله قتادة وزُفيع. (الطبري ١٧: ١٧٦)
نحو الزَّجَّاج (٣: ٤٣٠)، والبَغَوِي (٣: ٣٤٣)،
والزُّخْمَشَرِي (٣: ١٦)، وأبو السُّعُود (٤: ٣٨٤)،
والقُرْطُبِي (١٢: ٧١)، والبيضاوي (٢: ٩٣).

(وَبَيْع) وهي أوسع منها [صوامع] وأكثر عابدين
فيها، وهي للنصارى أيضًا.

مثله قتادة ومقاتل وأبو الصَّالِيَة وخفيف وابن
صخر. (ابن كثير ٤: ٦٤٩)

الماوردي: والبيعة: اسم أجمعي معرب. (٤: ٣٠)
ابن عطية: والبيع للنصارى، والصلوات لليهود،
والمساجد للمسلمين. والأظهر أنها قصد بها المبالغة
بذكر المصعدات، وهذه الأسماء تشترك الأسم في
مستياتها إلا «البيعة» فإنها مختصة بالنصارى في عرف

لغة العرب.

ومعاني هذه الأسماء هي في الأسم التي لها كتاب على
قديم الدهر، ولم يذكر في هذه الجوس ولا أهل الاشتراك،
لأن هؤلاء ليس لهم ما تحجب حمايته، ولا يوجد ذكر الله
إلا عند أهل الشرائع. (٤: ١٢٥)

الطبرسي: البيع للنصارى في القرى، والصلوامع في
البحال والبراري. (٤: ٨٧)

الفخر الرازي: ما الصوامع والبيع والصلوات
والمساجد؟

الجواب: ذكروا فيها وجوها:

أحدها: الصوامع للنصارى، والبيع لليهود،
والصلوات للصائين، والمساجد للمسلمين، عن أبي
العالية رضي الله عنه.

وثانيها: الصوامع للنصارى، وهي التي بنوها في
الصحاري، والبيع لهم أيضًا وهي التي يبنونها في البلد،
والصلوات لليهود. قال الزججاج: وهي بالعبرانية
«صلوتا».

وثالثها: الصوامع للصائين، والبيع للنصارى،
والصلوات لليهود، عن قتادة.

والرابع: أنها بأمرها أسماء المساجد، عن الحسن.
أما الصوامع فلأن المسلمين قد يتخذون الصوامع، وأما
البيع فأطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل
التشبيه، وأما الصلوات فلما معنى أنه لولا ذلك الدافع
لانتظمت الصلوات ولخربت المساجد. (٢٣: ٤٠)

نحو النيسابوري. (١٧: ١٠١)

البيروني: والبيع: جمع بيعة، وهي كنائس

النصارى التي ينونها في البلدان، ليجتمعوا فيها لأجل العبادة. (٦: ٣٩)

الآلوسي: والبيع: واحدها بيعة بوزن «فيلة» وهي مصلى النصارى، ولا تختص برهبانهم كالصومعة. وقيل: هي كنيسة اليهود. (١٧: ١٦٣)

الطُّبَّاطِبَائِي: والبيع: جمع بيعة بكسر الباء، معبد اليهود والنصارى. (١٤: ٣٨٥)

الوجوه والتظائر

الذامغاني: البيع على أربعة أوجه: الفداء، البيعة، والبيع، البيعة.

فوجه منها: البيع يعني الفداء، قوله: ﴿يَذِمُّ لَابِيعٍ فِيهِ﴾ البقرة: ٢٥٤، يعني الفداء، كقوله تعالى ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا جِلَالٌ﴾ إبراهيم: ٣١.

والوجه الثاني: البيعة: أخذ المراتبي، قوله: ﴿إِنْ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ﴾ الفتح: ١٠.

والوجه الثالث: البيع بعينه، قوله: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مَفْلُؤُ الزَّيْءِ﴾ البقرة: ٢٧٥.

والوجه الرابع: البيعة: بيعة النصارى، قوله تعالى: ﴿وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ...﴾ الحج: ٤٠. (١٤٧)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: البيع: ضد الشراء، والشراء أيضاً، يقال: بعث الشيء أبيعته بيعاً وبيعاً، إذا بعته من غيرك، وبعته: اشتريته، فأنا بائع وبيع، وهو مشتق وبيع أيضاً، وهما بيمان، وهم يتعون، وهي بيعة.

ومن بيعات، والبيعة: الصفة على إيجاب البيع، وهو مبيع ومبيوع، وبيعة وبياعات. والبيعة: هيئة البيع، مثل: الجلسة والركبة، يقال: إنه لحسن البيعة، ورجل يتاع: كثير البيع، ورجل يتوع: جيد البيع، ورجل يتيع: يتوع.

ومنه أيضاً: ابتاع الشيء: اشتراه، وأباعه، عرضه للبيع، وباعه مبايعةً وبيعاً: عارضه بالبيع، واستباحه الشيء: سأل أن يبيعه منه.

ومن الجاز: باع فلانٌ على بيعك، أي قام مقامك في المنزلة والرفعة، وما باع على بيعك أحد: لم يساوك أحد، والبيعة: المبايعة والطاعة، وباعه على الأمر مبايعةً: عاهد، كأن كل واحد منها باع ما عنده من صاحبه، وأخطأ خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره، وقد تباعج المتوع على الأمر.

٢- والبيعة: كنيسة اليهود أو النصارى، والجمع: بيع. ونسب الجواليقي القول في كونها فارسية معربة إلى بعض العلماء، ولكننا لم نتمر على ما يؤيد ذلك، ولعلها معربة اللفظ الآرامي «بيعاء» كما قال «فرانكل»، أو اللفظ السرياني «بيعتا» كما قال «آرثر جفري»، واللفظ الأخير هو الأقرب إلى اللفظ المعرب.

الاستعمال القرآني

جاءت من هذه المادة (١١) آية في ثلاثة محاور: البيعة: ٣ آيات، البيع: ٧ آيات، البيع: آية واحدة: البيعة: ١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ﴾ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ

وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُيْتِرِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

الفتح: ١٠

٢- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَبَايِعْنَ بِهَتَّانٍ يُعْذِرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَزْجُلِهِمْ وَلَا تَجْعَلَ لَكَ فِي هَفْزِهِمْ قَبَايِعَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

البَيْع: ٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَا عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِهِمْ إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾﴾

٥- ﴿...وَأَشْهِدُوا إِذَا تَسَايَعْتُمْ وَلَا بُخَارَ كَاتِبٍ وَلَا شَهِيدٍ وَإِنْ تَحَفَلُوا فَرِئَاءُ عُسْوَى بِكُمْ وَأَنْفَعُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِمْ ﴿٢٨٢﴾﴾

٦- ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُمْ حَاجَةٌ مِنْ زَيْتٍ فَأَتَتْهُمُ فَلَهُ حَاسِلَتٌ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

البقرة: ٢٧٥

٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

البقرة: ٩

٨- ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَمَلَّكُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٢٧﴾﴾

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ رِزْقِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

١٠- ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أُعْبِدُوا اللَّهَ حَسْبُهُمْ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٢١﴾﴾

البَيْع: ١١- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

بلاحظ أولاً: أن البيعة - وهي الحور الأول - جاءت بصيغة «المفاعلة» لأنها بين اثنين، في ثلاث آيات، في (١) و(٢) مبايعة النبي ﷺ الرجال، وفي (٣) مبايعة النساء.

أما مبايعة الرجال فكانت في صلح الحديبية، حيث سافر النبي مع جماعة من أصحابه ليحضر في العام السادس من الهجرة، فتعته قريش من دخول مكة عند الحديبية. وكان قد أرسل من قبل عثمان بن عفان ليلكم ذلك غريشاً، فتأخر قدومه وشاع أنه قُتل فجمع النبي أصحابه وبايعهم إما على المقاومة، أو على الموت حسب اختلاف الروايات، فخطبهم الله ببيعتهم هذه في سورة الفتح مرتين:

في المرة الأولى أعلن أن بيعتهم النبي مبايعة الله. وأن يد الله كانت فوق أيديهم حينما وضع النبي يده على أيديهم. وهذا تعظيم بالغ لهم وللنبي، حيث جعل يده يد الله، وضعها على أيديهم، وكل من سرقها لهم.

ومن أجل ذلك كرر فعل (يَبَايَعُونَكَ)، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايَعُونَكَ إِنَّهُمْ يَبَايَعُونَ اللَّهَ﴾، في سياق المحصر بلائها، أي ليست تلك البيعة سوى بيعة مع الله مبالغة. ثم ختمها بقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ فِيهَا عَاقِدَةً فَلْيَعْبُدْ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهذا أجبرهم في الآخرة، وذلك أجبرهم في الدنيا.

أما المرة الثانية فأعلن في (٢) في سياق مؤكد ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ نَحْتِ الشَّجَرَةِ﴾، عالمًا بما في قلوبهم من صدق النية، فكافأهم بمجانزتهم معنويتين في الدنيا: إحداهما إنزال السكينة عليهم، وثانيتهما الفتح المبين القريب، وهو الصلح الذي عقد بين المؤمنين وقريش، وقد تكفلت سورة الفتح وتفسيرها بيان آثار هذا الصلح المبين.

هذه جوائزهم في الدنيا، أما في الآخرة فموجودهم أجراً عظيماً.

ثانياً: جاءت في (٣) مبايعة المؤمنات النبي، وهناك يون شاسع بين البيعتين بأمر:

١- رغم أن المبايعة فيها كانت من طرف المؤمنين والمؤمنات، أي أنهم الذين بايعوا النبي من عند أنفسهم ويرضى منهم بهذه المبايعة، إلا أن ما بايعوه عليه مختلف، يناسب حال كل من الرجال والنساء، فالمبالغة من قبل الرجال في الآيتين مطلقاً، لم يذكر مصلحتها على الرغم من

تكرارها فيها ثلاث مرّات، وجاءت مرّة رابعة مطلقاً أيضاً في (١) بلفظ (تَاعَاذَ عَلَيْهِ اللهُ) وهذا يحكي عن طاعتهم الشاملة في كل الأمور للنبي ﷺ، إلا أنها حسب الروايات كانت على الصمود والمقاومة أمام الحصر وعلى القتال حتى الموت.

أما مبايعة النساء فكانت على أن لا يشركن بالله - وهذا أصل الإيمان - وعلى أن لا يزني - وكانت الصاحبة سائمة بينهن في الجاهلية - وأن لا يقتلن أولادهن - وكانت عادة سائمة أيضاً - وأن لا يأتين بيتان بين أيديهن وأرجلهن - وهو أن يفترين على أزواجهن بأن أولادهن من الزنى هم أولادهن - وأن لا يهينن النبي في معروف.

٢- إن مبايعة الرجال لم يأت بها أمر من الله، بل لتقديراتهم وبين النبي بدعوة منه ﷺ ورضي الله بها، أما مبايعة النساء - وإن بدأت منهن - فقد أمر الله النبي بقبولها ومبايعتهن، حيث قال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ... فَبَايَعْنَهُنَّ﴾، وهذه منقبة هن.

٣- لقد عظم الله مبايعة الرجال بأمر: كررها ثلاث مرّات، بلفظ المبايعة، ومرّة بلفظ المعاهدة - كما سبق - وصفاً بأنها مبايعة الله، وأعلن رضاه عنهم، ووهبهم السكينة، والفتح في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة. أما مبايعة النساء فقد كافأهن أولاً بأمر النبي بمبايعتهن، وثانياً بأن يستغفرهن، وثالثاً بوعدهن بأن الله غفور رحيم.

٤- قد كررت المبالغة في الآيات مرّات: ثلاثاً للرجال ومرّتين للنساء، والهابعون فيها جميعاً الناس إلا في

ثالثها: إنما قلبوا التشبيه خبطاً لا خستلاً عقولهم بالإفراط في أكل الربا، لاحظ النصوص.

٣- ظاهر السياق أن قوله: ﴿وَأَخْلَ اللَّهُ التَّبِيعَ وَخَرَّمَ الزُّبُورَ﴾، كلام مستأنف من الله وإجابة عن شبهتهم، وعليه أكثر المفتريين. وقيل: إنه من تسمية كلام المشركين، سيق ماق جملة حالته، أي أنهم قالوا: البيع والربا سنان، فكيف تقولون: ﴿وَأَخْلَ اللَّهُ التَّبِيعَ وَخَرَّمَ الزُّبُورَ﴾، ولا يليق الضريق بين المتلين في الحكم بحكمة الحكيم؟ فهذا استبعاد منهم.

وقد أبطله الفخر الرازي بجميع أقوالها أنه بناء على ذلك سكت الله عن جوابهم، مع أن ذيل الآية ﴿فَسَيُجَاءُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ...﴾ يدل على أنه قد كشف عن فساد شبهتهم، فلاحظ.

٤- هناك بحث بينهم: هل الآية بمحمل أو بمحملين ولكل حجة، لاحظ النصوص ولا سيما نص الفخر الرازي.

٥- رتبوا صورة القياس في ﴿إِنَّمَا التَّبِيعُ مِثْلُ الزُّبُورِ﴾ بأنه يجوز بيع درهم بدرهمين، كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين، فقاموا الأول على الثاني، وأجابوا بأن من باع مثلاً ثوباً يساوي درهما بدرهمين، فقد جعل الثوب مقابلاً لدرهمين، فلا شيء منه إلا وفي مقابله شيء من الثوب، وإذا باع درهما بدرهمين فقد أخذ الدرهم الزائد بغير عوض. ولو قيل: إن الإمهال عوض، يقال: إن الإمهال ليس مائلاً حتى يكون في مقابله المال.

والحق أنه لا بد من الفرق بين الربا في المعاملة والربا في القرض، ولكل منهما وجه معقول في التوق العالمي.

فالمدّة في القرض يحاسب عليها، كما أن وصف التلعة يتفاوت إذا كان من جنس واحد، والعقلاء يقدرون لكل من الجيد والردى، قسطاً من الثمن.

أما الإسلام فقد نهى عن الربا في القرض لمصالح اجتماعية أخلاقية، لا لمصالح اقتصادية إلا تبعاً، وأما في المعاملات فلم يلقه فقد معيار منضبط للجيد والردى، ولا تزال مسألة الربا محط البحث والنظر بين علماء الاقتصاد المسلمين، وقد عثروا على مفر منه في البنوك والمصارف، فأنشؤا البنوك الإسلامية.

٦- جاء في (٨): ﴿وَرَجُلًا لَا تُلْهِمُهُمْ مِجَازَةً وَلَا تَبِيعَ﴾، التجارة عامة تشمل البيع، فواجهه الإتيان بها؟ لقد ذكروا لها وجوهاً:

أحدها: التجارة جلب المتاع من خارج البلد، والبيع يؤول إليه في الداخل، ولكل معناه.

ثانيها: المراد بالتجارة: الشراء مقابل البيع، والبيع تبديل المرض بالنقد، والشراء عكسه، والرغبة في تحصيل النقد أكثر.

ثالثها: التجارة تشمل البيع، وخُصّ البيع بالذكر - وهو من قبيل ذكر الخاص بعد العام - لأن الزبح في البيع يفني وفي التجارة متوقع، فعدم إلهاء التجارة لا يستلزم عدم إلهاء البيع الزابح بالفعل، ولذلك كرر «لا» للترقي من الأمر المحتمل إل الأمر اليقيني.

رابعها: ما قاله الطباطبائي: بأن التجارة إذا قبولت بالبيع كان المفهوم منها بحسب العرف الاستمرار في الاكتساب بالبيع والشراء، والفرق بينها هو الدفعة والاستمرار، فمضى نفي البيع - وهو أمر دفعي - بعد نفي

التجارة أنهم لا يلهون عن دينهم في مكاسبهم دائمًا، ولا في وقت من الأوقات.

خامسها: لو قيل: إنها مترادفان، وقد كرّر بلنظيرين إسطاحًا وتأكيدها، لم يكن بعيدًا، ومثله كثير في المحاورات، لاحظ «ت ج ر».

رابعًا: جاء وصف يوم القيامة في (٩) بأنه لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاع، واكتفى في (١٠) بالبيع والمخلل. وهذه الثلاث أداة الخلاص من الجنّة، فإن الجاني إما يتشبّث بالمبادلة عليه بالبيع والشراء، أو يستول إلى خلة به وبين من يعاقبه، أو إلى شفاعه شفيع يدفع بشفاعته الجريمة عن نفسه، فقد سُذّت جميع طرق الخلاص، ولم يبق إلا العذاب. قال الطبرسي (٣: ٣١٦): «والمراد بالبيع إعطاء البدل ليتخلص من النار، لأنّ هناك مبادلة». فالبيع هنا بمعناه العام، أو هو محال. خامسًا: جاءت «بيع» في (١١)، وهي جمع بيعة، أي معبد اليهود، أو النصارى، أو لها معًا، أو هي للنصارى في القرى، والصوامع في الجبال والبراري، لاحظ النصوص.

وما يمتنا هنا أمران:

الأول: أن الله ذكر معابد أهل الكتاب - أي اليهود والنصارى - والمسلمين يستوى واحد معظّمًا لها جميعًا. وهذا اعتراف منه تعالى بشرعيّتها. ونحن نعلم أن كنائس اليهود والنصارى في الإسلام لأئهم، بل أبوابها مفتوحة لأهلها، فهذه الآية تحكي سماحة الإسلام أمام الأديان الإلهية دون معابد المشركين والمجوس وسائر الملل.

الثاني: أنها جاءت عقيب آية الجهاد، وهي أول آية في الجهاد كما قيل وهي إذن للمؤمنين أن يدافعوا عن أنفسهم وعن أهل الكتاب على السواء، فالجهاد في الإسلام بدأ بالدفاع الذي كرّر في هذه الآيات: «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي كَلَّ خَوَّانٍ كَثُورٌ» أَيْنَ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيْنَعُ...» المسج: ٣٨ - ٤٠، فهي وعد بالنصر والدفاع من الله، وأمر للمؤمنين بالقتال دفاعًا عن أنفسهم وعن أهل الكتاب، حفاظًا على معابدهم جميعًا التي يُذكر فيها اسم الله تعالى.



مرکز تحقیق و توسعه علوم اسلامی

ب ي ن

٤٢ لفظاً . ٥٢٢ مرة : ٢٩٤ مكتبة . ٢٢٩ مدنية

في ٧١ سورة : ٤٧ مكتبة . ٢٤ مدنية

بيان ١-١	بَيْنَ ٢-٢	بَيْنَ ١٩-٢٨	بَيْنَ ٢٦-٢٨
البيان ١-١	لَبِيتَهُ ١-١	لَبِيتَهُ ١-١	بَيْنَ ١-١
بَيْنَهُ ١-١	مَبِينَةٌ ٣-٣	بَيْنَهُ ١-١	بَيْنَهُ ٧-٧
بَيْنَ ١-١	مَبِينَات ٣-٣	لَبِيتَ ٢-٢	بَيْنَكُمْ ٢٥-١٤
بَيْنَهُ ١٧:١٢-٥	بَيْنَانًا ١-١	بَيْنَهُ ١-١	بَيْنِي ١٠-١١
الْبَيْنَةُ ٢-٢	بَيْنَ ١١:٢-٩	لَابَيْنَ ١-١	بَيْنًا ١٧:١٣-٤

النصوص اللغوية

الغليل : البائن : أحد الحائزين للذين يحملان الناقة .

والآخر يسمى المستعلي . [تم استشهد بشعر]

والبان : شجر ، الواحدة : بانه .

والبيئونة : مصدر بان يبين بيئاً وبيئونة ، أي قطع .

والبين : الفرقة ، والاسم : البين أيضاً .

والبين : الوصل ، قال عز من قائل : وَلَقَدْ تَفَطَّلَ

بَيْنَكُمْ الْأَنْعَامَ : ٩٤ ، أي وصلكم .

بَيْنَات ١٧:٩-٨

الْبَيْنَات ١٧:٣٥-١٨

بَيْنَ ١-١

مَبِين ٧٥:٨٤-٩

المبين ٢٢:١٦-٦

مَبِينًا ١٣:١-١٢

بَيْنُوا ١-١

بَيْنًا ٣-٣

بَيْنَهُ ١-١

ويقال: بانت يد الناقة عن جنبها بينونة ويئونة.

وقوله: بينا فلان، معناه بيننا.

وقوس بائن، وهي التي بان وكسرها عن كبدها.

تنت به القوس العريضة.

والبيان: معروف، وبان الشيء وأبان وتبين وتبين.

واستبان، والجاوز يتوي بهذا.

والبين من الرجال: الفصيح، وقال بعضهم: رجل بين

وجهير، إذا كان بين المنطق وجهير المنطق. (٨: ٣٨٠)

الأخفش: والبانة: مقلوب عن البانة، والبانة:

النبيل الضفار. (ابن سيده ١٠: ٥٠٧)

الليث: البيان: الفصاحة، كلام بين: فصيح.

(الأزهري ١٥: ٤٩٩)

الكسائي: التبيين: التثبت في الأمر والتأني فيه.

(الأزهري ١٥: ٤٩٩)

ابن شميل: البين من الرجال: السميع اللسان.

الفصحى الطريف، العالي القليل الرزج.

(الأزهري ١٥: ٤٩٩)

يقال للجارية إذا تزوجت: قد بانت، وهن قد بن.

إذا تزوجن.

وبين فلان بنته وأبانها، إذا زوجها، وصارت إلى

زوجها. (الأزهري ١٥: ٥٠١)

أبو زيد: يقال: طلب فلان البانة إلى أبوتها، وذلك

إذا طلب إليها أن ينيئ به، فيكون له على جدة.

ولا تكون البانة إلا من الوالدين أو أحدهما.

وقد أبانه، أبواه لبانة، حتى بان هو بذلك، بين يئونا.

(الأزهري ١٥: ٥٠١)

يقال: بان لي الأمر وأبان، ونال أن أفضل كذا وكذا.

(ابن دُرَيْد ٣: ٤٣٤)

بان المحي بينونة ويئنا، إذا ظعنوا وتباينوا تباينًا، إذا

كانوا جميعًا غَضَرَقُوا.

والبين: ما يتهي إليه بصرك من حائط أو غيره.

(الطوسي ٤: ٢٢١)

الأصمعي: والبين: القراق، يقال: بان يبين بيننا،

إذا فارق. والبين: الوصل، قال الله جل ثناؤه: ﴿لَقَدْ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤. (الأخضاد: ٥٢)

نحوه ابن السكيت. (الأخضاد: ٢٠٤)

أبو حنيفة: أما البيان فإنه من الفهم وذكراء القلب مع

اللسان اللسن، ومنه الحديث المرفوع: «إن من البيان

سحرًا» [إل أن قال]

فكان المعنى: والله أعلم - أنه يبلغ من بيانه أنه يدح

الإنسان فيصدق فيه، حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم

يدنه فيصدق فيه، حتى يصرف القلوب إلى قوله

الآخر، فكانه قد سحر السامعين بذلك، فهذا وجه قوله:

«إن من البيان سحرًا». (١: ٢٢٧)

ابن الأعرابي: البين: الناحية، والبين: قدر من

البصر من الطريق. (الأزهري ١٥: ٥٠٠)

البؤنة: البنت الصغيرة، والبؤنة: الفصيلة، والبؤنة:

التفريق. (الأزهري ١٥: ٥٠٢)

أبو نصر الباهلي: وفصل بين كل أرضين يقال له:

بين، وهي التخم، والجمع: بيون. (ابن منظور ١٣: ٧٠)

أبو عمرو السيباني: سمعت المبرد يقول: إذا كان

الاسم الذي يجيء بعد «بينا» اسمًا حقيقيًا رفعته

بالاجتهاد، وإن كان اسمًا مصدرًا خفضته، وتكون «بينًا» في هذه الحال بمعنى «بَيِّن».

فسألت أحمد بن يحيى عنه أعلمه، فقال: هذا الذر، إلا أن من الفصحاء من يرفع الاسم الذي بعد «بينًا» وإن كان مصدرًا فيلحقه بالاسم الحقيقي. [ثم استشهد بشعر] وأما «بينًا» فالاسم الذي بعده مرفوع، وكذلك المصدر. (الأزهري ١٥: ٤٩٩)

ابن السكيت: وتباين ما بينهما، إذا انقطع كل واحد من صاحبه. (٩١)

والبين: الفراق. والبين: القطعة من الأرض قدر مد البصر. [ثم استشهد بشعر] (إصلاح المطلق: ٥)

ويقال: إن بينهما آتونًا في الفضل وتينًا لئان. ولما في البعد فيقال: إن بينهما تينًا. (إصلاح المطلق: ١٤٦)

نقول: بين الرجلين وزن بعيد، أي تفاوت وتوقد بان صاحبه يئونه بؤنا: فهذه اللفظة العالية، ومنهم من يقول: بينهما بين بعيد، وقد بان صاحبه يبينه تينًا.

(إصلاح المطلق: ١٨٧)

أبو الهيثم: الكواكب البانيات، هي التي لا تنزل بها شمس ولا قمر، إنما تحدى بها في البر والبحر، وهي شمسية، ومهبط الشمال منها، أولها القطب، هو كوكب لايزول، والجذبي والفرقدان، وهو بين القطب، وفيه بنات نقش الصغرى. (الأزهري ١٥: ٤٩٨)

الدينوري: نخله باللة: فارقت كبائسها الكواخير، وامتدت عراجينها وطالت. [ثم استشهد بشعر]

(ابن سيده ١٠: ٥٠٧)

كرأع الشمس: «التبان» مصدر، ولانظير له إلا

التلقاء، وهو مذكور في موضعه. (ابن منظور ١٣: ٦٨) الزجاج: بان الأمر وأبان بيانا وإبانة، إذا استبان.

(فعلت وأفعلت: ٣)

يقال: بان الشيء وأبان، بمعنى واحد، ويقال: بان الشيء وأبنته. (الأزهري ١٥: ٤٩٥)

ابن خزيمة: البين: مصدر بان يبين تينًا. والبين: النقط من الأرض. [ثم استشهد بشعر]

وبين: موضع قريب من الحيرة. [ثم استشهد بشعر] (١: ٣٣٢)

والبين: ارتفاع في الأرض في فلفظ. [ثم استشهد بشعر]

وتكن الشيء عن الشيء. إذا افترق، وبان الشيء واستبان

وسئل: موضع. (٣: ٢١١)

الأزهري: يقال: بان الحق يبين بيانًا، فهو بان. وأبان يبين إبانة فهو مبين، بمعنى. ومنه قوله تعالى:

﴿خَمَّ وَالِكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الزخرف: ١، ٢. (١٥: ٤٩٥)

يقال: بان الشيء، وبين، وأبان، واستبان، بمعنى واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنبَأْتُ مُنِيَّاتٍ﴾ التور: ٣٤ بكسر الياء وتشديد ها، بمعنى منيئات.

ومن أمثال العرب: «قد بين الصبح لذي عينين» أي تبين.

ويقال: تبين الأمر، أي: تأملته وتوسمته، وقد تبين الأمر، يكون لازمًا وواقفًا، وكذلك: تبينه فبين، أي تبين، لازم ومتحد.

(١٥: ٤٩٦)

والعرب تقول: بينت الشيء تينًا وتينانًا، بكسر

القَاء. و«تفعال» بكسر القاء يكون اسماً في أكثر كلام العرب.

فأما المصدر فإنه يحيى على «تفعال» بفتح القاء، مثل: التُّكْذَاب، والتَّضْدَاق، وما أشبهه.

وجاء في المصادر حرفان نادران، وهما «تلقاء الشيء»، والتَّيْبَان، ولا يُقَاس عليهما. (١٥: ٤٩٧)

ويقال: بانث يد الناقة عن جنبها تيناً مَبُونًا. وبان الخليط بين تيناً ومَبُونَةً. [تم استشهد بـ]

(١٥: ٤٩٨)

وقال أبو مالك: البين: الفصل بين الأرضين، يكون المكان حَزَنًا وبُحْرًا رمل، وبينهما شيء ليس بحَزَن ولا سهل..

وقال أبو مالك: بئر بَيُون، وهي التي لا يَصْنَعُ رشاؤها، وذلك لأن جراب البئر مستقيم.

وقال غيره: البَيُون: البئر الواسعة الرأس الضيقة الأسفل.

وقال بعضهم: بئر بَيُون، وهي التي يُبين المستقي الحبل في جرابها، يُتَوَجَّج في جُوطها. (١٥: ٥٠٠)

ومن أمثال العرب: «أُتت البائن أعرف» والحبل: «أعلم» أي من وُلِّي أمرًا ومارسه فهو أعلم به ممن لم يمارسه.

والبائن: الذي يقوم على يمين الناقة إذا حبلها، والجميع: التَّيْن.

والبائن والمستنل، هما الحالبان اللذان يحلبان الناقة. أحدهما حالب، والآخر مُحْلِب. والمُعين هو المُحْلِب.

والبائن: عن يمين الناقة، يُمسك الثَّلبَة. والمستنل: الذي عن شمالها، وهو الحالب، يرفع البائن الثَّلبَة إليه.

[تم استشهد بـ] (١٥: ٥٠٢)

الصَّاحِب: [نحو الحَكِيل وغيره وأضاف:]

والتَّيْن: الفراق. وغراب التَّيْن، سُمِّي بذلك لأنه إذا قصد أهل الذَّكَر للثَّجَمَة وقع في بيوتهم يتقسم. وقيل: لأنه بان عن نوح ع.

والبائنة: النخلة الطويلة العذوق.

والتَّيُون من الآبار: التي بان موقف الشَّارِبَة عن جرابها لا عوجاجها. وقيل: هي الواسعة الرأس الضيقة الأسفل، فبين أسطانها من بعدها.

وأبان فلان بته وبئتها، أي زوجها. وبانت المجارية: خرجت.

ويقال للتَّيْنَيْن اللذين من الشَّقِّ الأيمن: البائنان، وهو [البائن] خيار المال وبئته، بمعنى واحد.

والبئنة: البيان، وقوم أبيناء.

وتبين في أمرك، أي تبثت.

والبين بكسر الباء من الأرض: الذي لا يدرك طرفاه، وهي الناحية أيضًا.

ومباين الحق: مواضعه.

والأبين: الغريب.

ورجل أبين المرافق، أي أبَد، وقوم بين المرافق، ومن الإبل كذلك.

وعَدْنُ أَبَيْنَ وَتَيْنَ.

وبَيْنَ الشَّجَرِ وَحَيْنَ: أول ما يَبْثُ فيظهر من أصول ورقه.

وَيَبِّينُ الْقَرْنُ: نَجَم. (١٠: ٤٧)

الْجَوْهَرِيُّ: الْبَيِّنُ: الْفَرَاقُ، تَقُولُ مِنْهُ: بَانَ يَبِينُ بَيِّنًا وَيَبُونَةً.

وَالْبَيِّنُ: الْفَضْلُ وَالْمُرِيَّةُ، يُقَالُ: بَانَتْ يَبُونَةً وَيَبِيئَةً، وَبَيْنَهَا بَوْنٌ بَعِيدٌ وَبَيْنٌ بَعِيدٌ، وَالْوَارِ الْفَصْحُ. فَأَمَّا فِي الْبَعْدِ فَيُقَالُ: إِنَّ بَيْنَهَا لَبَيِّنًا لَا غَيْرَ.

وَفُلَانٌ أَبَيَّنَ مِنْ فُلَانٍ، أَيْ أَفْصَحَ مِنْهُ، وَأَوْضَحَ كَلَامًا.

وَأَبَيَّنَ: اسْمُ رَجُلٍ نُسِبَ إِلَيْهِ عَدَنٌ، يُقَالُ: عَدَنٌ أَبَيَّنٌ.

وَالْبَيَانُ: مَا يَبَيِّنُ بِهِ الشَّيْءَ مِنَ الدَّلَالَةِ وَغَيْرِهَا. وَبَانَ الشَّيْءُ بَيَانًا: انْضَحَّ فَهُوَ بَيِّنٌ، وَالْجَمْعُ: أَبْيَانٌ، مِثْلُ حَيٍّ وَأَهْيَانٍ. وَكَذَلِكَ أَبَانَ الشَّيْءُ فَهُوَ مُبَيِّنٌ. [ثم استشهد بشعر]

وَأَبَيْتُهُ أَنَا، أَيْ أَوْضَعْتُهُ، وَاسْتَبَانَ الشَّيْءُ: وَضَحَ، وَاسْتَبَيْتُهُ أَنَا: عَرَفْتُهُ. وَتَبَيَّنَ الشَّيْءُ: وَضَحَ وَظَهَرَ، وَتَبَيَّنْتُهُ أَنَا، تَعَدَّى هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَا تَعْدَى.

وَالْتَبَيَّنَ: الْإِبْضَاحُ، وَالتَّبَيُّينُ أَيْضًا: الْوَضُوحُ. وَفِي الْمَثَلِ: «قَدْ بَيَّنَ الصَّبْحُ لَدِي حَبِينٍ»، أَيْ تَبَيَّنَ. [ثم استشهد بشعر]

وَالْتَبَيَانُ: مَعْدَرٌ وَهُوَ شَاذٌ، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ إِنَّمَا تَجِيءُ عَلَى «التَّضْعَالِ» بِفَتْحِ التَّاءِ، مِثْلُ التَّذْكَارِ وَالتَّكْرَارِ وَالتَّوْكَافِ. وَلَمْ يَجِئْ بِالْكَسْرِ إِلَّا حَرْفَانِ، وَهِيَ التَّبَيَانُ وَالتَّلْقَاءُ.

وَتَقُولُ: خَرِبَهُ فَأَبَانَ رَأْسَهُ مِنْ جَسَدِهِ وَفَصَلَهُ، فَهُوَ مُبَيِّنٌ. وَمُبَيِّنٌ أَيْضًا: اسْمُ مَاءٍ. [ثم استشهد بشعر]

وَالْمُبَايَنَةُ: الْمَفَارَقَةُ. وَتَبَايَنَ الْقَوْمُ: تَهَاجَرُوا وَتَبَاعَدُوا.

وَالْبَائِنُ: الَّذِي يَأْتِي الْخَلُوبَةَ مِنْ قِبَلِ شَهَائِهَا، وَالْمُعَلَّى الَّذِي يَأْتِيهَا مِنْ قِبَلِ بَيْتِهَا.

وَتَطْلِيْقَةُ بَائِنَةٍ، وَهِيَ «فَاعِلَةٌ» بِمَعْنَى «مَفْعُولَةٌ». وَالبائنة: الْقَوْسُ الَّتِي بَاءَتْ عَنْ وَتَرِهَا كَثِيرًا، وَأَمَّا الَّتِي قُرِبَتْ مِنْ وَتَرِهَا حَتَّى كَادَتْ تَلْسُقُ بِهِ فَهِيَ الْبَائِنَةُ، بِتَقْدِيمِ النَّونِ، وَكَلَاهَا عَيْبٌ.

وَالْبَائِنَةُ: الْبَرُّ الْبَعِيدَةُ الْقَرَمِ الْوَاسِعَةِ، وَالْبَيُّونُ مِثْلُهُ، لِأَنَّ الْأَشْطَانَ ثَبِيْنٌ مِنْ جِرَاجِهَا كَثِيرًا. [ثم استشهد

بشعر]

وَحَرَابُ الْبَيِّنِ: يُقَالُ هُوَ الْأَبْتَحُ. [ثم استشهد بشعر]

وَحَرَابُ الْبُيُوتِ: حَرَابُ الْبَيِّنِ، هُوَ الْأَحْمَرُ الْمُنْقَارُ وَالرَّجُلَانِ، فَأَمَّا الْأَسْوَدُ فَهُوَ الْحَاتَمُ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ يَحْتَمُ بِالْفَرَاقِ.

وَالْبَيِّنُ: بِمَعْنَى وَسَطٍ، تَقُولُ: جَلَسْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ، كَمَا تَقُولُ: وَسَطَ الْقَوْمِ بِالْكَفِّيفِ، وَهُوَ ظَرْفٌ.

وَبِنْ جَعَلْتُهُ اسْمًا أَعْرَبْتُهُ، تَقُولُ: «لَقَدْ نَقَطُغُ بَيْنَكُمُ» الْأَنْعَامُ: ٩٤ بَرِيعُ النَّونِ. [ثم استشهد بشعر]

وَتَقُولُ: لَقَيْتُهُ بُعَيْدَاتٍ بَيْنَ، إِذَا لَقَيْتَهُ بَعْدَ حِينٍ ثُمَّ أَمْسَكَتَ عَنْهُ ثُمَّ أَتَيْتَهُ.

وَهَذَا الشَّيْءُ بَيْنَ بَيْنَ، أَيْ بَيْنَ الْجَمْدِ وَالرَّذِيِّ، وَهِيَ اسْمَانِ جُعِلَا اسْمًا وَاحِدًا وَبُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ.

وَالْهَمْزَةُ الْخَفِيفَةُ تَسْمَى بَيْنَ بَيْنَ، أَيْ هَمْزَةُ بَيْنِ الْهَمْزَةِ وَحَرْفِ اللَّيْنِ، وَهُوَ الْحَرْفُ الَّذِي مِنْهُ حَرَكَتُهَا إِنْ كَانَتْ مَفْتُوحَةً فَهِيَ بَيْنُ الْهَمْزَةِ وَالْأَلْفِ مِثَالُ «سَأَلَ»، وَإِنْ كَانَتْ

مكسورة فهي بين الهززة والياء مثل «سَنِمَ»، وإن كانت مضمومة فهي بين الهززة والواو مثل «لَنُؤَمَ».

وهي لاتقع أولاً أبداً لقربها بالضعف من الساكن، إلا أنها وإن كانت قد قربت من الساكن ولم يكن لها تمكُّن الهززة الخفيفة فهي متحركة في الحقيقة. وسميت بَيْنُ بَيْنٍ لضعفها. [ثم استشهد بشر]

وَيْثًا: «فَتَلَّ» أشبهت الفتحة فصارت ألفًا. و«يَيْثًا» زيدت عليها «ياء» والمعنى واحد. تقول: بَيْثًا نحن نرقبه أتانًا، أي أتانًا بين أوقات رَقَبَتِنَا لِيَتَاء.

والمبطل مما تضاف إليها أسماء الزمان، كقولك: أَمْرِيكَ زَمَنُ الْمَحْتَاجِ أَمِيرٌ، ثم حذفت المضاف الذي هو أوقات وولَّى الطرف الذي هو بين الجملة التي أقبلت مقام المضاف إليها، كقوله تعالى: «وَتَشْتَلِي لِلْفَرْقَةِ» يوسف: ٨٢

وكان الأصمعي يخفض بعد «يَيْثًا» ما إذا صلح في موضعه «بَيْنٌ». [ثم استشهد بشر]

وغيره يرفع ما بعد «يَيْثًا ويَيْثًا» على الابتداء والخبر. واليَيْن بالكسر: القطعة من الأرض قدر منتهى البصر، والجمع: يُون. [ثم استشهد بشر] (٥: ٨٢-٨٣) ابن فارس: الياء والياء والتون أصل واحد، وهو بُد الشيء واتكشافه. [ثم نقل بعض كلام اللغويين]

(١: ٣٢٧)

أبو هلال: الفرق بين البيان والفائدة:

قال علي بن عيسى: ما ذكر ليُعرف به غيره فهو «البيان» كقولك: غلام زيد، وإنما ذكر «زيد» ليُعرف به الغلام، فهو للبيان. وقولك: ضربت زيدًا، إنما ذكر «زيد»

ليُعرف أن الضرب وقع به، فذكر ليُعرف به غيره. والفائدة: ما ذكر ليُعرف في نفسه، نحو قولك: قام زيد، إنما ذكر «قام» ليُعرف أنه وقع القيام، وأما معتمد البيان فهو الذي لا يصح الكلام إلا به، نحو قولك: ذهب زيد، فذهب معتمد الفائدة ومعتمد البيان.

وأما الزيادة في البيان فهو البيان الذي يصح الكلام دونه، وكذلك الزيادة في الفائدة هي التي يصح الكلام دونها، نحو الحال في قولك: مرَّ زيد ضاحكًا.

والبيان: قولك: أعطيت زيدًا درهمًا، فعل هذا يجري البيان والفائدة ومعتمد الفائدة والحال أبداً للزيادة في الفائدة، فالمفعول الذي ذكر فاعله للزيادة في البيان، وأما الفاعل فهو معتمد البيان، وكذلك ما لم يسم فاعله. وقولك: قام زيد، معتمد الفائدة، فإذا كان صفة فهو للزيادة في البيان، نحو قولك: مررت برجل قام، فهو هاهنا صفة مذكورة للزيادة في البيان.

الفرق بين عطف البيان وبين الصفة:

أنَّ عطف البيان يجري مجرى الصفة في أنه تبيين للأول، ويتبعه في الإعراب، كقولك: مررت بأخيك زيد، إذا كان له أخوان أحدهما زيد والآخر عمرو، فقد بين قولك: «زيد» أي الأخوين مررت به.

والفرق بينها أنَّ عطف البيان يجب بمعنى إذا كان غير الموصوف به عليه كان له مثل صفته، وليس كذلك الاسم العلم الخالص، لأنه لا يجب بمعنى لو كان غيره على مثل ذلك المعنى استحقَّ مثل اسمه، مثال ذلك: مررت بزيد الطويل، فالطويل يجب بمعنى الطول، وإن كان غير الموصوف على مثل هذا المعنى وجب له صفة طويل، وأما

زيد فيجب المسمى به من غير معنى، لو كان لصيره
لوجب له مثل اسمه؛ إذ لو وافقه غيره في كل شيء لم يجب
أن يكون زيدا، كما لو وافقه في كل شيء لوجب أن
يكون له مثل صفته، ولا يجب أن يكون له مثل اسمه.

والبيان عند المشككين: الدليل الذي يتبين به
الأحكام، ولهذا قال أبو علي وأبو هاشم رحمهما الله:
الهداية هي الدلالة والبيان، فجعلوا الدلالة والبيان
واحداً.

وقال بعضهم: هو العلم الحادث الذي يتبين به
الشيء، ومنهم من قال: البيان: حصر القول دون ما حده
من الأدلة، وقال غيره: البيان هو الكلام والمنطق
والإشارة، وقيل: البيان هو الذي أخرج الشيء من حجب
الإشكال إلى حد التجلي.

ومن قال: هو «الدلالة» ذهب إلى أنه يجوز
بالدلالة إلى معرفة المدلول عليه، والبيان هو ما يصح أن
يتبين به ما هو بيان له، وكذلك يقال: إن الله قد بين
الأحكام بأن دلَّ عليها بنصِّ الدلالة في الحكم المظهر
ظناً، وكذلك يقال للمدلول عليه: قد بان، ويوصف
الدالُّ بأنه بين، وتوصف الأمارات الموصلة إلى غلبة
الظن بأنها بيان، كما يقال: إنها دلالة تشيهاً لها بما
يوجب العلم من الأدلة. (٤٧)

الفرق بين العلم والتبين:

أن «العلم» هو اعتقاد الشيء على ما هو به، على
سبيل الثقة كان ذلك بعد لبس أو لا.

و«التبين»: علم يقع بالشيء بعد لبس فقط، ولهذا
لا يقال: تبين أن السماء فوق، كما تقول: علمتها فوق،

ولا يقال له: متبين كذلك. (٧٦)

الفرق بين الهدى والبيان:

أن «البيان» في الحقيقة: إظهار المعنى للنفوس كائناً
ما كان، فهو في الحقيقة من قبيل القول، و«الهدى»: بيان
طريق الرشد، ليسلك دون طريق الغي، هذا إذا أطلق،
فإذا قيد استعمل في غيره، فقيل: هدى إلى النار
وغيرها. (١٧٢)

الفرق بين قولك: البين والوسط:

أن «الوسط» يضاف إلى الشيء الواحد، و«بين»
تضاف إلى شيئين فصاعداً، لأنه من البيوتنة، تقول:
بين بين وسط الدار، ولا يقال: قدمت بين الدارين، أي
حيث تباين إحداها صاحبها، وقدمت بين القوم، أي
حيث يتباينوا من المكان.

والوسط يقتضي اعتدال الأطراف إليه، ولهذا قيل:
الوسط: العدل، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣. (٢٥٤)

الهُزُوي: البيان: هو الفصل بين كل شيئين، يقال:
بان، أي فارق. وأبان، إذا فصل بين شيئين.

وبان لك الشيء وأبان، واستبان، وبين، وتبين،
بمعنى واحد. (٢٣٣: ١)

ابن سيده: البين: الفرقة والوصل، وهو يكون
اسماً و ظرفاً متمكناً، وفي التنزيل: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، أي وصلكم. [إلى أن قال:]
وبان الشيء بيناً وبيناً وبينوتة: انقطع.

وأبنته أنا، وأبان الرجل ابنه يقال فبان بيناً وبينوتاً
وبينوتة. وتباين الرجلان: بان كل واحد منهما من

صاحبه ، وكذلك في الشَّرْكَه ، إذا انفصلا .
وبانت المرأة عن الرَّجُل ، وهي بائن : انفصلت عنه

بطلاق . وتطلقه بائنة ، بالهاء لا غير .
وبئر بُيُون : واسعة مابين الجبالين . [ثم استشهد
بشعر]

وأبان الذَّكَو عن طَيِّ البئر : حاد بها عنه لئلا يُصيبها
فتنخرق . [ثم استشهد بشعر]

ويقال : هو بيني وبينه . ولا يُعطف عليه إلا بالواو .
لأنه لا يكون إلا من اثنين .

وقالوا : بينا نحن كذلك إذ حدث كذا . [ثم استشهد
بشعر]

وبينا وبيننا : من حروف الابتداء . وليست الألف في
«بينا» بصلة .

وقالوا : بينَ بَيْنَ : يريدون التوسط . [ثم استشهد
بشعر]

وكما يقولون : همزة بَيْنَ بَيْنَ . أي أنها بين همزة
وبين الحرف الذي عنه حركتها ، إن كانت مفتوحة فهي

بين همزة والألف ، وإن كانت مكسورة فهي بين همزة
والياء ، وإن كانت مضمومة فهي بين همزة والواو ، إلا

أنها ليس لها تمكّن همزة الحقيقة ، وهي مع ما ذكرنا من
أمرها في ضَعْفها وقَلَّة تمكّنها بزنة الحقيقة ...

وبَيَّنَّه أنا ، وأَبْنَيْتُهُ ، واستَبَيَّنْتُهُ وبَيَّنَّتُهُ . كل ذلك : بَيَّنَّته .
[ثم استشهد بشعر]

وبينها بَيْنَ ، أي بُعِد ، لغة في «بَوْن» والواو أعلى ،
وقد بانه بَيَّنًا ، والبيان : الإيضاح مع ذكاء .

ورجل بَيْنَ : فصيح ، والجمع : أُنْبَاء ، صحَّت الباء .

بمكون ما قبلها ، وحكى اللحياني في جمعه : أُنْبَاء ،
فأما أُنْبَاء فككبت وأموات .

قال سيبويه : شَبَّهوا قَتِيلًا بفَاعِل ، حين قالوا : شاهد
وأشهاد . قال : ومثله - يعني مَيِّتًا وأمواتًا وقَتِيلٌ وأقوال ،

وَكَيْسٌ وأَكْيَاسٌ . وأما «بُيَّاء» فنادر ، والأفحس في كل
ذلك جمعه بالواو والتون ، وهو قول سيبويه .

والبائن والباينة من التَّسْيِي : التي بانت من وترها ،
وهو ضد البانية ، إلا أنها عيب .

وهما بَيُّوتَان : بَيُّوتَةُ القُصُورِ ، وبَيُّوتَةُ الدُّنْيَا ،
وكلتاها في شَيْءٍ بني سعد . بين ضُحَاة ويَجْرِين .

والبان : شجر يسمو ويطول في استواء ، مثل نبات
الأثل . وورقه أيضًا هذب كهذب الأثل ، وليس لخشبه

مخلابة ، واحدة : بَانَةٌ . (١٠ : ٥٠٣)

والبيان : إظهار المعنى للنفس الذي يفصله من
غيره . حتى يُدركه على ما يقوِّيه ، كما يظهر نقيضه . فهذا

فرق بين البَيَّة والبيان . (٤ : ٤٨٠)

نحوه الطَّبْرَسِي . (٢ : ٤٣٩)

والبيان والبرهان والحجة والدلالة بمعنى واحد .
(٥ : ٣٥٩)

والبيان : ظهور المعنى للنفس بما يميّزه من غيره ، لأنَّ
معنى إباته منه : فصله منه ، فإذا ظهر التَّقْيِضَان في معنى

الصِّقَّة فقد بانت وفُهِمَت . (٦ : ٣١٧)

وحقيقة البيان ، وهو إظهار المعنى للنفس بما تميّزه
من غيره ، مشتقٌّ من أبنت كذا من كذا ، إذا فصلته منه .

والبرهان: إظهار المعنى للنفس بما يدعو إلى أنه حق
نما هو حق في نفسه. (١٢٨: ٨)

البيان: هو الدليل الدال على صحة الشيء وفساده.
وقيل: هو ما يظهر به المعنى للنفس عند الإدراك
بالبصر والسمع، وهو على خمسة أوجه: باللفظ،
والخط، والسند بالأصابع، والإشارة إليه، والمهيئة
الظاهرة للحاشية، كإعراض عن الشيء والإقبال
عليه، والتعطيل وضده وغير ذلك.

وأما ما يوجد في النفس من العلم، فلا يتقى بياناً
على الحقيقة، وكل ما هو بمنزلة الناطق بالمعنى المفهوم،
فهو مبين. (١٨٠: ٩)

الترائب: بين: موضوع للخلالة بين الشئين
ووسطهما. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ الكهف

٢٢، يقال: بان كذا، أي اتصل وظهر ما كان مستوراً
منه. ولما احتج فيه معنى الاتصال والظهور استعمل في
كل واحد منفرداً، فقل للبر البعيدة القصر: برون، لبعيد
ما بين الشجر والقصر، لان اتصال حبلها من يد صاحبها،
وبان الصبح: ظهر.

ولا يستعمل «بين» إلا فيما كان له مسافة نحو «بين
البلدين»، أو له عدد ما اثنان فصاعداً، نحو «الرجلين»
وبين القوم». ولا يضاف إلى ما يقتضي معنى الوحدة إلا
إذا كثر نحو: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ جَبَابٌ﴾ فصلت:
٥. ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ طه: ٥٨.

ويقال: هذا الشيء بين يديك، أي قريباً منك،
وعلى هذا قوله: ﴿لَمْ لَا يَسْتَيْسِرْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾
الأعراف: ١٧. [إلى أن قال:]

ويراد فيه «ما» أو «الألف» فيجمل بمنزلة «حين»
نحو بينا زيد يفعل كذا، وبيننا يفعل كذا. [ثم استشهد
بشعر]

بان: يقال: بان واستبان وتبين وقد بينته، قال الله
سبحانه: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَتَابِعِهِمُ﴾ المنكوت: ٣٨.
والبينة: الدلالة الواضحة، عقلية كانت أو محسوسة،
ومعنى الشاهدان بينة، لقوله ﷺ: «البينة على المدعي
واليمين على من أنكره». [إلى أن قال:]

والبيان: الكشف عن الشيء، وهو أعم من التلويح،
يختص بالإنسان، ويستعمل ما بين به بياناً. قال بعضهم:
«البيان» يكون على ضربين:

أحدهما: بالتجيز، وهو الأشياء التي تدل على حال
من الأحوال من آثار صنعه.

الثاني: الاختبار، وذلك إما أن يكون نطقاً أو
كتابةً أو إشارة. [ثم ذكر الآيات التي تدل على
الضربين، فلاحظ] (٦٨)

الزَمْخَشَرِيُّ: بان عنه بينا وبينون، وبانته ثبانية،
ولقيته غداة البين، ومز يسون: بعيدة القصر. [ثم
استشهد بشعر]

وطول بائن، ومخللة بائنة: طويلة. [ثم استشهد
بشعر]

ورجل أئين المرفق: أهد، ورجال بين المرافق، وبان
مرفق الناقة عن جنبها. [ثم استشهد بشعر]

وقوس بائن: بان وترها عن كبدها.
وبينها بين، وهي الأرض قدر مد البصر، وعليك
بذاك البين فانزله.

وبينا نحن كذلك إذ جاء فلان، وبينا تحدث إذ طلع.
وبان لي الشيء وتبين وبين، وأبان واستبان وبينته
وأبنته وتبينته واستبينته.

وجاء ببيان ذلك وتبينه، أي بحجته، ومن بينات
الكرم: التواضع.

ورجل بين: فصيح ذويان، وماأبينه، وماأريت
أبين منه، وقوم أبيناء.

وتقول لحائلي الناقة: من البائن ومن المستعلي؟ [ثم
استشهد بشمر]

البائن من عن يمينها.

وهذه مبادئ الحق ومواضعه، وظهرت أسرار
الحير وتباينه.

وتبين لي أمره: تبين وتأن. (أساس البلاغة: ٤٥٥)
الطبرسي: والبيان: هو الأدلة الموصلة إلى العلم.

وقيل: البيان: إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره،
كتميز معنى رجل من معنى فرس، ومعنى قادر من معنى
عاجز، ومعنى عام من معنى خاص. (١٩٧: ٥)

والبينة: المعجزة الظاهرة التي يتميز بها الحق من
الباطل، وأصلها من البينة، وفصل الشيء من غيره،
فألحقوا به حجة وبينة، وإقامة الشهادة العادلة: بينة،
وكل برهان ودلالة: بينة. (٥٢٢: ٥)

السديني: في الحديث: «من عال ثلاث بنات حتى
يبين أو يثبتن»، قوله: «يبين» بفتح الياء، أي يزوجهن،
يقال: أبان فلان بنته وبنتها، إذا زوجهما، و«بنات» من
البين وهو الجهد، كأنه أبعدهما عن منزله.

في الحديث: «بينا نحن عند رسول الله ﷺ، إذ جاءه

رجل».

قيل: أصل «بيننا» بين، أشبعت فتحة فتولدت منها
ألف، وقد يزداد فيه «ما» فيقال: بينا، وكلاهما ظرفا
زمان، بمعنى المفاجأة، يضافان إلى جملة من فعل
وقاعله، أو مبتدأ وخبره، ويحتاجان إلى جواب يتم به
المعنى.

في الحديث: «أول ما بين على أحدكم فخذوه» أي
يُحرب ويشهد عليه، ويقال للفصيح: البين، والجمع:
الأيان، وهو أيان من سخيان. (٢٠٩: ١١)

ابن الأثير: «إن من البيان لحيروا» البيان: إظهار
المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكراء القلب،
وأصله: الكشف والظهور.

وقيل: معناه أن الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم
بمعرفة الحق من غيره، فيقلب الحق بيانه إلى نفسه، لأن
معنى الشعر: قلب الشيء في عين الإنسان، وليس بقلب
الأعيان، ألا ترى أن البليغ يدح إنساناً حتى يصرف
قلوب السامعين إلى حبه، ثم يذمه حتى يصرفها إلى
بغضه.

ومنه «البذاء والبيان شعبتان من التفاف» أراد أنها
خصلتان منشأهما التفاف، أما البذاء وهو الفحش
فظاهر، وأما البيان فإنما أراد منه بالذم: التعمق في التعلق
والتفاسح، وإظهار التقدم فيه على الناس، وكأنه نوع
من النجس والكبر، ولذلك قال في رواية أخرى: البذاء
ومعنى البيان، لأنه ليس كل البيان مذموماً.

ومعنى حديث آدم وموسى عليه السلام: «أعطاك الله
التوراة، فيها تبيان كل شيء» أي كشفه وإيضاحه، وهو

مصدر قليل، فإن مصادر أمثاله بالفتح.

وفي حديث الثعلبان بن بشير رضي الله عنه، قال النبي ﷺ لأبيه لما أراد أن يشهده على شيء وعبه ابنه الثعلبان: «هل أُنْتُ كل واحد منهم مثل الذي أُنْتُ هذا» أي هل أعطيتهم مثله مالا تُبنيه به، أي تُفرده، والاسم الباتنة، يقال: طلب فلان الباتنة إلى أبويه أو إلى أحدهما، ولا يكون من غيرهما.

ومنه حديث الصديق، قال لعائشة رضي الله عنها: «إني كنت أُنْتُك بِئْسَل»، أي أعطيتك.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فيمن طلق امرأته ثلاثة تطليقات «فقبل له: إني قد بانت منك، فقال: صدقوا».

بانت المرأة من زوجها، أي انفصلت عنه ووقع عليها طلاقه.

والطلاق البائن هو الذي لا يملك الزوج فيه استرجاع المرأة إلا بعد جديد، وقد تكرر ذكرها في الحديث.

وفي حديث الشرب «أين القدح عن فمك» أي أفصله عنه عند التنفس لئلا يسقط فيه شيء من الريق، وهو من البين: البعد والفراق.

ومنه الحديث في صفته ﷺ «ليس بالطويل البائن» أي المفرط طولاً الذي يُمد من قدر الرجال الطوال.

(١٧٤: ١)

القيومي: بأن الأمر بين فهو بين: وجاء (بائن) على الأصل، وأبان إبانته، وبين وتبين واستبان، كلها بمعنى الوضوح والانكشاف، والاسم: البيان، وجوبها

يستعمل لازماً ومتعدداً، إلا الثلاثي، فلا يكون إلا لازماً. وبان الشيء، إذا انفصل فهو بائن، وأبنته بالألف: فصلته، وبانت المرأة بالطلاق، فهي بائن بغير هاء، وأبانتها زوجها بالألف فهي مُبانة، [إل أن قال:] والبين، بالكسر: ما انتهى إليه بصرك من حذب وغيره.

والبين بالفتح: من الأضداد، يُطلق على الوصل، وعلى الفُرقة، ومنه: «ذات البين» للعداوة والبغضاء، وقولهم: «لإصلاح ذات البين»، أي لإصلاح الفساد بين القوم، والمراد إسكان الثائرة.

وبين ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بإضافته إلى الشيء فصاعداً، أو ما يقوم مقام ذلك، كقوله تعالى:

«عَنْ تَحِيَّتٍ ذَلِكَ» البقرة: ٦٨، والمشهور في العطف بعدها أن يكون بالوار، لأنها للجمع المطلق، نحو «المال

بين زيد وحمروه»، وأجاز بعضهم بالقاء، [ثم استشهد بشر]

الفيروز آبادي: البين يكون فُرقة، ووصلاً، واسماً، وظرفاً متمكناً، والبند.

وبالكسر: الناحية، والفصل بين الأرضين، وارتفاع في فيلق، وقدر من البصر، وموضع قرب نجران، وموضع قرب الحيرة، وموضع قرب المدينة، وبلدة به فيروز آباد فارس، وموضع، ونهر بين بغداد وبين دُفّاع.

وجلس بين القوم: وسطهم، ولقيه بعبادات بين، إذا لقيه بعد حين ثم أمسك عنه ثم أتاه.

وبانوا يتأ ويؤنونة: غارقوا، والشيء يتأ ويؤنونا

ويؤنث: انقطع، وأبانه غيره، والمرأة عن الرجل فهي
بائن: انفصلت عنه بطلاق، وتطبيقه بائمة لاغير.

وبان يائنا: انضح فهو بين، والجمع: أئيناء،
وبنثه بالكسر، وبينته وبينته وأبنته واستبنته؛
أوضحته وعرفته، فبان وبين وبين، وأبان واستبان،
كلها لازمة متعدية.

والتيان ويُفتح: مصدر شاذ.

وضربه فأبان رأسه فهو مبين ومبين كضحين.

وبأينه: هاجره، وثبائنا: تهاجرا.

والبانن: من يأتي الحلوة من قبل شاكلها، وكل
فوس بانن عن وتمرها كثيرا كالباننة، والبئر البعيدة
القعر الواسعة كالتيون.

وغراب البين: الأفع أو الأحمر المنقار والرجلين
وأما الأسود: فإنه الحاتم، لأنه يحتم بالفرق.

وهذا بين بين، أي بين الجيد والردى، إسمان جعلا
واحداً وبُنيا على الفتح.

والهمزة المفعلة تُسمى «بين بين»، وبيننا نحن كذا،
هي «بين» أُشبهت فتحتها فحدثت الالف.

وبينا وبيننا: من حروف الابتداء، والأصمعي يخفض
بعد «بيننا» إذا صلح موضعه «بين»، [تم استشهد بشعر]
وغيره يرفع ما بعدها على الابتداء والخبر.

والبيان: الإفصاح مع ذكاء، والبين: النصيح،
الجمع: أئيناء وأئيناء وبئيناء.

والكواكب البيانيات^(١): التي لاتنزل الشمس بها
ولا القمر.

وبين بنه: زوجها كأبائها، والشجر: بدا وظهر أول

مايُبنت. (٤: ٢٠٦)

الطُرَيْحِي: ويقال: البيان هو المسطق النصيح
المُتَرَبِّعُ عَمَّا فِي الضَّمِير. والبيان: اللغات كلها، وأسماء كل
شيء.

والفرق بين البيان والبيان: هو أن «البيان» جعل
الشيء ميثاً بدون حجة، و«البيان» جعل الشيء ميثاً
مع الحجة، وهو بالكسر من المصادر الساذة. (٦: ٢١٧)

وفي الحديث: «إن الله نصر النبيين بالبيان» أي
بالمعجزة، وبأن ألهمهم وأوحى إليهم بمقدمات واضحة
الدلائل على المدعى عند الخصم، مؤثرة في قلبه.

وفيه: «أنزل الله في القرآن بيان كل شيء» أي
كشفه وإيضاحه.

والبيان والسلطان والبرهان والفرقان: نظائر،
وحدودها مختلفة.

فالبيان: إظهار المعنى للنفس، كإظهار تقيده،
والبرهان: إظهار صحة المعنى، وإفساد تقيده.

والفرقان: إظهار تميز النفس مما التبس،
والسلطان: إظهار ما يتسلط به على نقض المعنى

بالإبطال.

والبانن من الطلاق: ما لارجعة فيه. وتطبيقه بائمة
هي «فاعلة». بمعنى «مفعولة».

وفي الحديث: «كسب المحرام بين في الذريرة».
وسرد عليه قوله تعالى: «وَلَا تَسِرُّوْا وَآزْوَرُوْا وَرَزَّ
أُخْرَى» الأنعام: ١٦٤، ويمكن الجواب بأن أسر المحرام
يسري إلى الذريرة؛ بحيث تعمل أفعالاً موجبة للتكال.

(١) ورد عند أبي الهيثم: البيانيات.

وتبين الشيء: تحقق، ومنه «تبين زنى الزانية» أي تحقق زناها بيينة أو رؤية.

وفي الخبر: «ما قطع من حي وأبين منه» أي انفصل منه وهو حي، «فهو ميتة» يعني إنه لا يجوز أكله.

وفي الحديث: «لا تُقدم شيئاً بين يدي شيء» أي قدّمه متوسطاً يديه.

وقولهم: «الإصلاح ذات البين» يعني الأحوال التي بين القوم وإسكان النائرة التي بينهم، وإصلاحها بالتهدد والتفقد، ولما كانت ملازمة البين وصفت به، فقيل لها: «ذات البين» كما قيل للأسرار: ذات الصدور.

وتبين: ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بالإضافة إلى اثنين فصاعداً، أو ما يقوم مقام ذلك، كقوله تعالى: «عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ» البقرة: ٦٨، وتكون ظرف مكان نحو جلست بين القوم.

وظرف زمان وهو كثير، قال في «المصباح»: والمشهور في اللطف بعدها أن تكون بالواو، لأنها للجمع المطلق، نحو: «المال بين زيد وعمر». وأجاز بعضهم بالفاء، [ثم استشهد بشعر]

وفي الحديث: «بيننا أمير المؤمنين عليه السلام جالس مع محمد بن الحنفية إذ قال كذا وكذا» قال بعض الشارحين: ووافقه غيره من اللغويين -: بينا: «فعلى» من البين، أشبهت الفتحة فصارت ألفاً.

«بيننا» ويقال: بينا بزيادة الميم، والمحنى واحد، تقول: «بيننا نحن نرقبه أئانا» أي أئانا بين أوقات رقبتنا إيتاء.

وتضاف إلى جملة «من فعل وفاعل» أو «مبتدأ

وخبر» وتستدعي في الصورتين جواباً يتم به المعنى، كما يستدعي «إذا» و«لما». وتقع بعدها «إذ» الفجائية غالباً، تقول: «بيننا أنا في عسر إذ جاء الفرج». وعامله محذوف يفسر الفعل الواقع بعد «إذ» أي بين أوقات إصاري بحبي الفرج.

وبين بين: مما استبان جملاً اسمياً واحداً، وبيناً على الفتح كخمسة عشر. (٦٨: ٢١٨)

مَجْمَعُ اللَّفْظَةِ: ١- بيان الشيء بين بياناً: اتضح فهو بين وهي بيّنة، وجمها: بينات.

وتستعمل البيّنة فيما يبين الشيء ويوضحه، حسباً كان الشيء، أم عقلياً.

٢- بين الشيء شيئاً: وضع وظهر، وبيّنت الشيء: أوضحت وأظهرته، فهو لازم ومتعدّ، واسم «الفاعل» منها: مُبَيِّنٌ، وهي مُبَيِّنَةٌ، وهنّ مبينات.

٣- أبان الرجل: أفضح، وأصله أبان كلامه. ٤- وأبان الشيء: وضع وظهر، وأبنت الشيء: أوضحته وأظهرته، فهو متعدّ ولزوم، واسم الفاعل منها: مُبَيِّنٌ.

٥- تبين الشيء: اتضح وظهر، وتبيّنته أنا: تأملت، فوضح وظهر لي، فهو لازم ومتعدّ.

٦- استبان الشيء: وضع وظهر، واستبنته أنا: تأملت حتى وضع وظهر لي، فهو لازم ومتعدّ، واسم «الفاعل» منها: مُسْتَبِينٌ.

٧- البيان: الإيضاح والكشف، ويستى الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود وإظهاره، ويستى ما يشرح به المَجْمَل والمُبْهَم من الكلام: بياناً.

٨- التَّيْنَانِ: التَّيْنِ، وهو مصدر غير قياسي، من:

بَيَّنْتُ الشَّيْءَ تَبَيَّنًا وَتَبَيَّنًا، أو هو اسم مصدر.

٩- التَّيْنُ: قد يكون اسمًا، بمعنى الفراق، وبمعنى

الوصل.

وَيَيْنٌ: ظرف، لا يضاف إلا إلى متعدد لفظًا أو معنى،

وهو يفيد الحفالة والتوسط بين زمانين أو مكانين، وقد

يدل على توسط الأحوال والصفات. (١: ١٤٠)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (١: ٨٥)

القَدْثَانِي: التَّيْنُ: الفراق، الوصل.

ويحفظون من يستعمل كلمة «التَّيْن» بمعنى الوصل،

ولكن:

١- قال ابن الأثيري: «التَّيْنُ من الأضداد، يكون

التَّيْنُ: الفراق، ويكون التَّيْنُ: الوصال. فإذا كان الفراق،

فهو مصدر: بَانَ تَيْنٌ تَيْنًا، إذا ذهب». [ثم استشهد بشعر]

٢- وقال: إن كلمة التَّيْن تعني الفراق والوصل، كل

من: التهذيب، والصَّحاح، والحكم، والمختار، واللَّسان،

والمصباح، والقاموس المشيخ، والتَّاج، والمد، ومحيط

المحيط، والمتن، والتَّضاد، والمعجم الوسيط.

٣- رَوَى التَّاج من صاحب «الاقتطاف» يثنى فيها

المعنيان المضادان، وهما:

وَكُنَّا عَلَى بَيْنٍ فَفَرَّقَ شَعْلًا

فَأَعَقَبَهُ الْبَيْنُ الَّذِي شَتَّتَ الشَّعْلَا

فيها عجباً ضدك واللفظ واحدٌ

فَقَدْ لَفِظَ مَا أَمَرَ وَمَا أَحْلَى

فَالْبَيْنُ الْأَوَّلَى تعني: الوصل، والثانية: الفراق.

أما قوله: بَانَ تَيْنٌ تَيْنًا وَيُنُوتُ.

وأضاف المحكم، والمقرب، والمصباح، والقاموس،

والمد، ومحيط المحيط المصدر: يُيُونًا.

وأنا أرى أن لا نستعمل كلمة «تَيْن» إلا بمعنى الفراق،

لأنه هو المعنى المألوف، ولأننا نخشى أن يَغْضَبَ علينا

قُرَابُ التَّيْنِ، فَيُصَبِّحَ في ديارنا، وَيُنْذِرُنَا بالويل والثبور،

وعظائم الأمور.

أَحْسَنَ بَاهِرًا إِلَيْكَ، وَأَسَأَتْ إِلَيْهِ لِأَحْسَنَ إِلَيْكَ، يَبْنَا

أَنْتَ قَدْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ.

ويقولون: قَدْ أَحْسَنَ بَاهِرًا إِلَيْكَ، يَبْنَا أَنْتَ قَدْ أَسَأْتَ

إِلَيْهِ، وَالصَّوَابُ: أَحْسَنَ بَاهِرًا إِلَيْكَ وَأَسَأْتَ إِلَيْهِ، لَأَنَّ

«يَبْنَا» ومثلها «يَبْنَا» التي أصلها «تَيْن»، فَأُشْبِثَ فَتَحْتَهَا

فَهَارَتْ أَلْفًا، هما من كلمات الابتداء.

وجاء في القسم الثاني من محاضرات محمد علي

التَّحَارُّفِ في باب «أخطاء في الاستعمال»: «يقولون: هذه

الجرائم يرتكبها الجناة، يَبْنَا رجال الشرطة موجودون

على مقرية منهم. والصَّوَابُ: على حين رجال

الشرطة ...: لَأَنَّ «يَبْنَا» يجب أن تكون في بدء الكلام.

ولولجأ إلى وار الحال، وقال: «هذه الجرائم يرتكبها

الجناة، ورجال الشرطة قرييون منهم» لكان أهمل.

قال ابن الأثير في «النهاية»: «يَبْنَا ويَبْنَا: ظرفا زمان

بمعنى المفاجأة، ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل أو

مبتدا وخبر، ويحتاجان إلى جواب يَتِمُّ به المعنى.

والأصح في جوابيهما أن لا يكون فيه «إِذَا» و«إِذَا»، وقد

جاء في الجواب كثيرًا، تقول:

١- يَبْنَا زَيْدٌ جَالِسٌ دَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو.

٢- يَبْنَا زَيْدٌ جَالِسٌ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو.

٣- بينا زيدٌ جالسٌ إذا دخل عليه عمرو.

وأنا أؤيد صاحب «التهاية» في رأيه، وأدعو إلى إهمال وضع «إذ وإذا» في جواب «بيننا وبيننا» لأن في الحذف إيجازاً بلاغياً، ولأن جملة: «بيننا زيدٌ جالسٌ إذا دخل عليه عمرو» قد عثرَ بلفظها بقولي، وثبنا عن قبولها بسمتي.

بائنٌ لابانة

ويقولون: قال الزوجُ لزوجته ذات المزاج المصهي العنيف: أنت بائنة، أي طالق، والصواب: أنت بائنٌ، كما قال المقرَّب، واللَّسان، والمصباح، والقاموس، والتاج، والمدة، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والوسيط.

ولهذا: بائت الزوجُ ثبينَ بيتنا ويخونهُ، فهي بائنٌ، وينطبق على «بائن» قول ابن الأثيري: «إذا كان الثمت منفرداً به الأمتى، دون الذكر، لم تدخله اللفظة المربوطة»، نحو: طالق وطامت وحائض، لأنه لا يحتاج إلى قارئ لاختصاص الأمتى به.

ولكن:

يجوز أن نقول: هي طالق، وهي طالقة. (٨٩)
المُضْطَفَّوِي، والذي يظهر من التحقيق في موارد استعمال هذه المادة: أن المعنى الحقيقي فيها هو الانكشاف والوضوح، بعد الإيهام والإجمال، بواسطة التفریق والفصل، يقال: استخرجته فتيين، وفترقت الأجزاء، فهانت وانكشفت، ويثبت ذلك الموضوع بعد ما كان مبهماً فيه جهتان: التفریق، والانكشاف.

فليس معناها البعد المطلق ولا الظهور المطلق، بل بالقيّد المذكور.

وأما معنى الوصل: فإذا توقف الثبّين على الفصل، ثم الوصل كما في البيان بمعنى الفصاحة، فلا بدّ فيه من استخراج كلمات، ثم وصلها ونظمها بالنسق البديع. وأما قولهم: ينعدي ولا ينعدي: فإن الانكشاف والظهور له حيثان كالنور، فإنه ظاهر في نفسه، ويظهر لغيره، فمن حيث ظهوره في نفسه فهو لازم، ومن حيث مظهريته لغيره وكشفه عنه فهو متعدي، فكلّ باعتبار. [ان]

والثبّين: «التَّحْمِل» وهو المطاوعة «التَّحْمِيل» يقال: حمّلته فتحمّل، وبنيته فثبّين.

وأما الاستبانة فهو «استعمال» وهذه الصيغة لطلب أصل الفعل، يقال: خرج زيد واستخرجته. والطلب: إتمام إدراكه أو تكوينه: استخرجت الوعد، وقد يكون: الطلب من النفس: استكبر، أو بالفتح: استعبر الطين. [ثم ذكر الآيات وأضاف:]

وأما الثبّين: نقلنا: أن هذه المادة تدلّ على الانكشاف بواسطة التفریق والفصل. فالثبّين مصدر يدلّ على الانفصال واليحد، ثم الانكشاف والوضوح، ثم جعل اسماً يدلّ على ما تحصل من الانفصال، من اليحد المتحقق للشيء.

ولما كان البعد للشيء غير محدود وأمرًا مبهماً، ومن شأن هذه المادة أن تدلّ على الانكشاف ورفع الإيهام، فيذكر منسوباً إلى شيئين، فيدلّ على البعد الواقع بينهما، فيجهم منه التوسط. [ثم ذكر الآيات] (١: ٣٤٧)

النصوص التفسيرية

بيّان

هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَنُورٌ لِلْمُتَّقِينَ.

آل عمران: ١٣٨

الشعبي: بيان للناس من العمى.

(الطبري ٤: ١٠١)

الحسن: (هذا): القرآن. (الطبري ٤: ١٠١)

نحوه المبيد.

(هذا) إشارة إلى القرآن، ووصفه بأنه (بيّان) لآله

دلالة للناس وحيطة لهم. والبيان هو الدلالة.

منه فتادة.

(الطوسي ٢: ٥٩٩)

ابن إسحاق: أي هذا تفسير للناس إن قبلوه.

(الطبري ٤: ١٠١)

هو إشارة إلى ما تقدم ذكره في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ

فِيكُمْ سُوءٌ...﴾ آل عمران: ١٣٧، أي هذا الذي

مرّفتكم بيان للناس.

(الطوسي ٢: ٥٩٩)

نحوه المبيد.

الطبري: [ذكر القولين في (هذا)] ثم رجع الثاني

بمجة [أن (هذا) إشارة إلى حاضر: إما مرقى أو مسموع.

وهو هنا إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة، أي

(هذا) الذي أوضحت لكم وحرّضتكم، بيان للناس.

(٤: ١٠٠)

القشيري: بيان لقوم من حيث أدلة المقول.

ولآخرين من حيث مكاشفات القلوب، ولآخرين من

حيث تجلّي الحق في الأسمار. (١: ٢٩٢)

الرّمضشري: إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من

التكذيب، يعني حثهم على النظر في سوء صواقب

المكذّبين قبلهم، والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم.

[إلى أن قال:]

قوله: ﴿هَذَا بَيَّانٌ﴾ إشارة إلى ما لخص وبين من أمر

المتقين والثّائنين والمصريين. (١: ٤٦٥)

ابن عطية: كونه بيّناً للناس ظاهر، وهو في ذاته

أيضاً هدى منصوب وموعظة، ولكن من حسي بالكفر

وضلّ وفاسد قلبه، لا يحسن أن يضاف إليه القرآن،

وتحسن إضافته إلى المتقين الذين فيهم نفع وإيمانهم

هدى. (١: ٥١٢)

ابن الجوزي: وفي المشار إليه به (هذا) قولان:

أحدهما: أن ذكر معنى البيان: أنه الانكشاف [

وفلان أبين من فلان، أي أوضح. (١: ٤٦٥)]

الأخر الثاني: يعني بقوله: (هذا) ما تقدم من أمره

ونبيه ووعده ووعيد، وذكره لأنواع البينات والآيات،

ولابد من الفرق بين البيان وبين الهدى وبين الموعظة،

لأنّ العطف يقتضي المغايرة، فنقول: فيه وجهان:

الأول: أن البيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة

بعد أن كانت الشبهة حاصلة، فالفرق أن البيان عام في

أي معنى كان وأما الهدى فهو بيان لطريق الرشد ليسلك

دون طريق الفتن.

وأما الموعظة فهي الكلام الذي يفيد الرّجس ع

لا ينهي في طريق الدين، فالحاصل: أن البيان جنس

تحت نوعان: أحدهما: الكلام الهادي إلى ما ينبغي في

الدين وهو الهدى الثاني الكلام الزّاجر ع لا ينبغي في

الدين وهو الموعظة.

الوجه الثاني: أن البيان: هو الدلالة، وأما الهدى: فهو الدلالة بشرط كونها مفضية إلى الاهتداء. (٩: ١٢) نحوه الخازن. (١: ٣٥٥)

التيسابوري: [نحو الزمخشري وأضاف:]

وقيل: البيان عام للناس، والهدى والموعظة خاصان بالمتقين، لأن الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة إلى البية.

وأقول: يشبه أن يكون البيان عامًا لجميع المكلفين، وبأي طريق كان من طرق الدلالة. والهدى: يراد به الكلام البرهاني والمجدي. والموعظة: يراد بها الكلام الإنشائي الخطابي. (٤: ٧٢)

أبو حيان: [ذكر قول الزمخشري]

وهو حسن ولما كان ظاهرًا واضحًا قال: [بفتح] للناس. ولما كانت الموعظة والهدى لا يكونان إلا لمن اتقى، خص بذلك المتقين، لأن من عمي فكره وقسا فؤاده لا يهتدي ولا يتعظ، فلا يناسب أن يضاف إليه الهدى والموعظة. (٣: ٦٦)

أبو السعود: (هذا) إشارة إلى ما سلف من قوله تعالى: (فَذَخَلْتَ) إلى آخره. «بيان للناس» أي تبين لهم على أن (اللام) متعلقة بالمصدر، أو كائن لهم على أنها متعلقة بمحذوف وقع صفة له. (٢: ٣٦)

البرز وسوي: والبيان: هو الدلالة على الحق في أي معنى كان، بإزالة ما فيه من الشبهة. (٢: ٦٨)

الآلوسي: [ذكر القولين في (هذا) ثم قال:]

والمراد بيان لجميع الناس، لكن المنتفع به المتقون،

لأنهم يهتدون به، ويستجمعون بروعظه. (٤: ٦٥)

الطباطبائي: «هذا بيان للناس» الآية. التقسيم باعتبار التأثير، فهو بلاغ وإيالة لبعض، وهدى وموعظة لآخرين. (٤: ٢٢)

البيان

الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ

الْبَيَانَ. الرَّحْمَنُ: ١ - ٤

ابن عباس: خلق آدم، وعلمه أسماء كل شيء.

(المائدة: ٩: ٤٠٦)

مثلته قتادة، والحسن. (القرطبي: ١٧: ١٥٢)

أبو حيان: بيان كل شيء، وأسماء كل دابة تكون على سواها الأرض. (٤٥١)

البيان: بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال.

مثلته ابن كيسان. (القرطبي: ١٧: ١٥٢)

الضحاك: (البيان): الخير والنشر.

(القرطبي: ١٧: ١٥٢)

أبو العالية: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.

مثلته ابن زيد، والحسن، والسدي. (المائدة: ٩: ٤٠٦)

أي التلقين والكتابة والحفظ والفهم والإلهام، حتى يعرف ما يقول وما يقال له.

مثلته الحسن، وابن زيد، والسدي. (الطبرسي: ٥: ١٩٧)

نحو الميبدي. (٩: ٤٠٦)

الحسن: المطلق والكلام. (المأزدي: ٥: ٤٢٣)

ابن كعب القرظي: ما يقول وما يقال له.

(أبو حيان: ١٨٨)

قَتَادَةَ : عَلَّمَهُ اللهُ بَيَانَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، بَيَّنَّ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، لِيَحْتَجَّ بِذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ . (الطَّبْرِيُّ ٢٧ : ١١٤)

تَبَيَّنَ لَهُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ ، وَمَا يَأْتِي وَمَا يَدَعُ .

(الطَّبْرِيُّ ٢٧ : ١١٥)

الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ : هُوَ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ .

(الْقُرْطُبِيُّ ١٧ : ١٥٢)

الإمام الصادق عليه السلام : (البَيَانُ) : الاسم الأعظم الذي به علم كل شيء . [وهذا تأويل]

(الطَّبْرِيُّ ٥ : ١٩٧)

ابن جُرَيْجٍ : الهداية . (الماوردي ٥ : ٤٢٣)

ابن زَيْدٍ : (البَيَانُ) : المطلق والفهم . الإيمانه . وهو الذي مُضِلَّ به الإنسان على سائر الحيوان .

(أَبُو حَتِيَّانٍ ١١ : ١٨٨)

الإمام الرضا عليه السلام : [في حديث] عَلَّمَهُ اللهُ بَيَانَ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ .

(الْمَرْوُوفِيُّ ٥ : ١٨٨)

ابن أَبِي اليَمان : الكتابة والخط بالقلم .

(الْقُرْطُبِيُّ ١٧ : ١٥٣)

ابن كيسان : المطلق والكتابة ، يعني القرآن فيه بيان ما كان وما يكون ، لأنه كان يُنْبِئُ عن الأولين والآخرين ، وعن يوم الدين .

(الْمَيْيَدِيُّ ٩ : ١٠٦)

الجُبَّائِيُّ : (البَيَانُ) : هو الكلام الذي يبين به عن مراد ، وبه يتميز من سائر الحيوان . (الطَّبْرِيُّ ٥ : ١٩٧)

الطَّبْرِيُّ : [ذكر القولين] : أي بيان المحلل والمحرّم ، أو الكلام ، ثم قال :

والصواب أن الله علّم الإنسان ما به الحاجة إليه . من أمر دينه ودنياه ، من المحلل والمحرّم ، والمباح والممنوع .

والمطلق ، وغير ذلك مما به الحاجة إليه ، لأن الله جلّ ثناؤه لم يُخَصِّصْ بِخَبَرِهِ ذَلِكَ ، أَنَّهُ عَلَّمَهُ مِنَ الْبَيَانِ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ ، بَلْ هُمْ فَقَالَ : «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» فهو كما علم جلّ ثناؤه .

الزَّجَّاجُ : يجوز في اللغة أن يكون (الإنسان) اسمًا لجنس الناس جميعًا ، ويكون على هذا المعنى «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» جعله مميزًا ، حتّى انفصل الإنسان من جميع الحيوان .

الماوردي : «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» لأنه بالبيان مُضِلَّ على جميع الحيوان ، وفيه ستة تأويلات : [ثم ذكر خمسة من أقوال المتقدمين وأضاف :

السادس : العقل ، لأنّ بيان اللسان مُترجم عنه . ويجمل سابقًا : أن يكون (البَيَانُ) : ما شتمل على

أمرين : لبيان ما في نفسه ، ومعرفة ما بين له . وقول ثامن لبعض أصحاب الخواطر : خلق الإنسان

جاهلًا به ، فطلّمه التّسبيل إليه .

(٥ : ٤٢٣)

نحوه ابن الجوزي .

الطُّوسِيُّ : أي خلق فيه التّمييز الذي بان به من سائر الحيوان ، فالبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم .

وقيل : (البَيَانُ) : إظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن

غيره ، كتمييز معنى رجل من معنى فرس ، ومعنى قادر من معنى عاجز ، ومعنى هام من معنى خاص ، ومعنى شيء من معنى هذا بعينه .

وفيه تنبيه على أنّه تعالى خلق الإنسان غير عالم ،

ثم علّمه البيان ، خلافاً لقول من يقول من الجهال : إنّ الإنسان لم يزل عالمًا بالأشياء ، وإنّما يحتاج فيه إلى

تذكير، فكيف يكون عالماً من لم يُخلق بعد، لولا البقاوة
وفئة التحصيل (٤٦٣: ٩)

القشيري: (الإنسان) هاهنا جنس الناس، علمهم
البيان حتى صاروا مميزين، فافصلوا بالبيان عن جميع
المحيوان، وعلم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون
ويتخاطبون به.

و(البَيَان): ما به تبيين المعاني، وشرحه في مسائل
الأصول.

ويقال: لما قال أهل مكة: إنما يعلمه بشر، ردَّ الله
سبحانه عليهم، وقال: بل علمه الله، فل(الإنسان) على
هذا القول هو محمد ﷺ. وقيل: هو آدم عليه السلام.

ويقال: (البَيَان): الذي خُصَّ به الإنسان صحوته
يعرف به كيفية مخاطبة الأغيار من الأمثال والأشكال
وأما أهل الإيمان والمعرفة: فيأثم هو علمهم كيفية
مخاطبة مولاهم. وبيان العبد مع الحق مختلف: فقوم
يتخاطبون بلسانهم، وقوم بأنفاسهم، وقوم بدموعهم،
وقوم بأنينهم وحنينهم. (٧١: ٦)

البغوي: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعني آدم. «عَلَّمَ
الْبَيَانَ» أساء كل شيء. وقيل: علّمه اللغات كلها، وكان
آدم يتكلم بسبعة لغة، أفضلها العربية. (٤: ٢٣٠)
الزمخشري: (البَيَان): وهو المطلق المصحيح،
المُربَّع في الضمير. (٤٣: ٤)

ابن عطية: [ذكر الأقوال وأضاف:]

وهذا التخصيص لادليل عليه، وكلّ المعلومات
داخلة في البيان الذي علمه الإنسان.

الطبرسي: [بعد نقل الأقوال ومنها القول الثاني

لأبي العالمة قال:]

وهذا هو الأظهر الأعم. (١٩٧: ٥)

الفخر الرازي: ما(البَيَان) وكيف تعليمه؟

نقول: من المفسرين من قال: (البَيَان): المطلق
فعلمه ما يطلق به، ويثبته غيره ماعنده، فإن به يتاز
الإنسان عن غيره من الحيوانات، وقوله: «خَلَقَ
الْإِنْسَانَ» إشارة إلى تقدير خلق جسمه الخاص،
و«عَلَّمَ الْبَيَانَ» إشارة إلى تميّزه بالعلم عن غيره.

وقد خرج ماذكرنا أولاً: أن(البيان) هو القرآن،
وأعاده ليفصل ماذكره إجمالاً بقوله تعالى: «عَلَّمَ
الْقُرْآنَ»، كما قلنا في المثال، حيث يقول القائل: جلّمت
فلاّك الأوب: حملته عليه.

وعلى هذا(البَيَان) مصدر، أريد به ما فيه المصدر،
وإطلاق(البَيَان) بمعنى القرآن حمل القرآن في القرآن
كثير، قال تعالى: «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ» آل عمران (١٣٨)،
وقد سمي الله تعالى القرآن: فرقاناً وبياناً، و(البَيَان):
فرقان بين الحق والباطل، فصيح إطلاق «البيان» وإرادة
القرآن.

[ثم ذكر وجه ذكر المفعولين في «عَلَّمَ الْبَيَانَ»

وعدم ذكرهما في «عَلَّمَ الْقُرْآنَ» فلاحظ] (٢٩: ٨٥)

الطوفي: أتى على نفسه في معرض السجّح،
بفضل آيات عظيمة، وهي: تعليم القرآن، وخلق
الإنسان، وجري الشمس والقمر بحسبان، وسجود
النجم والشجر، وما بعد ذلك من الآيات، وذكر من
جملتها «تعليم البيان»، فدلّ أنه أثر شريف من آثار الله
تعالى، وعظم آياته، قياساً له على ما اكتشفه من الآيات

قبله وبعد.

فإن قلت: يفتقر ثبوت هذا الدليل إلى بيان أن
(البيان) في هذه الآية هو الذي أنتم — إثباته، وإلا
فيستلزم أن لا يكون هو المراد، لا يكون لكم في الآية
حجة.

قلت: نعم، والدليل عليه [قول المحسن البصري
ومحمد بن كعب ويان:]

وكلّ هذا راجع إلى ما قلناه وما في معناه، ثم إن هذا
موافق لظاهر اللفظ، وهو أولى من غيره.

(الإكسير في علم التفسير: ٣٤)

الشَّرْبِينِي: أي القوة الناطقة، وهي الإدراك
للأمر الكليّة والجزئية، والحكم على المأخوذ والمغاب
بقياسه على المأخوذ، وغير ذلك مما أودعه له سبحانه
مع تعبيره مما أدركه، مما هو غائب في ضميره وإفهامه
لغيره تارة بالقول وتارة بالفعل، نطقًا وكتابة وإشارة
وغيرها، فصار بذلك ذا قدرة في نفسه والتكبير لغيره،
فهذا تعليم البيان الذي مكّن من تعليم القرآن.

(٤: ١٥٧)

أبو السعود: هو التعبير عما في الضمير، وليس
المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه، بل منه
ومن فهم بيان غيره أيضًا، إذ هو الذي يدور عليه تعليم
القرآن. والجمل الثلاث أخبار مترادفة للـ (الزحمة)،
وإغلاء الأخيرتين عن العاطف لورودها على سباج
التعديد.

البروسوي: [مثل أبي السعود وأضاف:]
وفي «بحر العلوم» خلق الإنسان، أي آدم وعلمه

الأسماء واللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعين ألف لغة
أفضلها العربية، انتهى.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن الله تعالى قد تكلم
بجميع اللغات، سواء كان التعليم بواسطة أم لا.

فإن قلت: كيف يتكلم الله باللغات المختلفة، والكلام
الشمسي عار عن جميع الأكسية؟

قلت: نعم، ولكنه في مراتب التنزلات
والاسترسالات لا بدّ له من الكسوة، فالعربية مثلاً كسوة
عارضة بالنسبة إلى الكلام في نفسه، وقد ذُقنا في أنفسنا
أنه يبيء الإلهام والخطاب تارة باللفظ العربي، وأخرى
بالفارسي وبالتركي، مع كونه بلا واسطة منك، لأنّ
الأخذ عن الله لا ينقطع إلّا يوم القيامة، وذلك بلا واسطة،
فإن كان الغائب وساطة الملك من حيث لا يرى، فأعرف
ذلك.

الآلوسي: [ذكر قول أبي السعود وبعض الأقوال
المتقدمة، فراجع]

سيد قطب: «خلق الإنسان» علمه البيان
ودع - مؤقتًا - خلق الإنسان ابتداءً، فسيأتي ذكره في
مكانه من السورة بعد قليل، إذ المقصود من ذكره هنا هو
ماتلاه من تعليمه البيان.

إننا نرى الإنسان ينطق ويصبر ويبيّن، ويتفاهم
ويتجاوب مع الآخرين، فبني بطول الألفة عظيمة هذه
الهمة، وضخامة هذه الخسارة، فيردنا القرآن إليها،
ويوقفنا لتدبرها، في مواضع شتى.

لما الإنسان؟ ما أصله؟ كيف يبدأ؟ وكيف يُعلم
البيان؟

والأجهزة، مجهولة في بعض المراحل مخفية حتى الآن. إنها تبدأ شعورًا بالحاجة إلى التعلق بهذا اللفظ، لأداء غرض معين، هذا الشعور ينتقل - لاندري كيف - من الإدراك أو الصقل أو الترويح إلى أداة العمل الحسية «المخ» - ويقال: إن المخ يصدر أمره عن طريق الأعصاب بالتعلق بهذا اللفظ المطلوب، واللفظ ذاته بما علمه الله للإنسان وعرفه معناه.

وهنا تطرد الرنة قدرًا من الهواء المضرب فيها، يمر من الشعب إلى القصبه الهوائية إلى المنجرة وجهاها الصوتية المجية، التي لا تقاس إليها أوتار آلة صوتية صنعها الإنسان، ولا جميع الآلات الصوتية المختلفة الأنغام، فيصوت الهواء في المنجرة صوتًا تشكّله حسب ما يريد النقل ^{عاليًا} أو خافتًا، سريعًا أو بطيئًا، خشنًا أو ناعمًا، ^{جسمًا} أو ^{خفيفًا} إلخ آخر أشكال الصوت وصفاته.

ومع المنجرة اللسان والشفتان والفلك والأسنان، يمر بها هذا الصوت فيتشكل بضغط خاصة في خارج الحروف المختلفة، وفي اللسان خاصة يمر كل حرف بضغط منه ذات إيقاع معين، يتم فيه الضغط المعين، ليصوت الحرف بهرس معين.

وذلك كله لفظ واحد، ووراء العبارة، والموضوع، والفكرة، والمشاعر السابقة والآتية. وكل منها عالم عجيب غريب، ينشأ في هذا الكيان الإنساني العجيب الغريب، بصلة الرحمن، وفضل الرحمن. (٣٤٤٦: ٦) محمد عيسى دُرُورَة: المسموع على أن معنى الجملة: علم الإنسان النطق، اختصاصًا له من دون الأحياء. (٧: ١٣)

إنه هذه الخلقة الواحدة التي تبدأ حياتها في الرحم، خلقة ساذجة صغيرة، ضئيلة مهينة، تُرى بالمجهر، ولا تكاد تبين، وهي لأثين! ولكن هذه الخلقة ماثلت أن تُكوّن الجنين، الجنين المكوّن من ملايين الخلايا المتنوعة: عظمية، وعضروفية، وعضلية، وعصبية، وجلدية. ومنها كذلك تتكوّن الجسوارح والحواس ووظائفها المدهشة: السمع، البصر، الذوق، الشم، اللمس، ثم المفارقة الكبرى والسرّ الأعظم: الإدراك والبيان، والشعور والإلهام، كله من تلك الخلقة الواحدة الساذجة الصغيرة الضئيلة المهينة. التي لا تكاد تبين، والتي لأثين! كيف؟ ومن أين؟ من الرحم. وبصنع الرحمن.

فلنظر كيف يكون البيان؟ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ التعل: ٧٨.

إن تكوين جهاز النطق وحده عجيبة لا ينقضي منها العجب، اللسان والشفتان والفلك والأسنان، والمنجرة والقصبه الهوائية والشعب والزئنان، إنها كلها تشترك في عملية التصويت الآلية، وهي حلقة في سلسلة البيان، وهي على صخامتها لا تمثّل إلا الجانب الميكانيكي الآلي في هذه العملية المعقّدة، المتعلقة بعد ذلك بالسمع والمخ والأعصاب، ثم بالعقل الذي لا نعرف عنه إلا اسمه، ولا ندري شيئًا من ماهيته وحقيقته، بل لا نكاد ندري شيئًا عن عمله وطريقته!

كيف يطلق الناطق باللفظ الواحد؟
إنها عملية معقّدة كثيرة المراحل والخطوات

الطَّبَائِبَاتِي : «عَلَمَةُ الْبَيَانِ» البيان: الكشف

عن الشيء، والمراد به الكلام الكاشف عما في الضمير، وهو من أعجب النعم، وتعليمه للإنسان من عظيم العناية الإلهية المتعلقة به. فليس الكلام مجرد إيجاد صوت ما باستخدام الرتة وقصبتها والمعلوم، ولا ما يحصل من التنوع في الصوت الخارج من المعلوم، باعتاده على مخارج الحروف المختلفة في الفم.

بل يجعل الإنسان بإلهام باطني من الله سبحانه الواحد من هذه الأصوات المتحدة على مخرج من مخارج الفم المسمى حرفاً، أو المركب من عدة من الحروف.

علامة مشيرة إلى مفهوم من المفاهيم، يقل به ما يغيب عن حس السامع وإدراكه، فيقدر به على إحضار أي وضع من أوضاع العالم المشهود، وإن جلت ما جلت، أو دق ما دق.

من موجود أو معدوم، ماضٍ أو مستقبل، ثم على إحضار أي وضع من أوضاع المعاني غير المحسوسة التي ينالها الإنسان بفكره، ولا سبيل للحس إليها، يحضرها جميعاً لسامعه، ويقلها لحسه، كأنه يشخصها له بأعيانها.

ولا يتم للإنسان اجتماعه المدني، ولا تقدم في حياته هذا التقدم الباهر، إلا بتبنيه لوضع الكلام، وفتحه بذلك باب التفهيم والتفهيم، ولولا ذلك لكان هو والحسيان العجم سواء، في جمود الحياة وركودها.

ومن أقوى الدلائل على أن اهتمام الإنسان إلى البيان، بإلهام إلهي له أصل في التكوين، اختلاف اللغات باختلاف الأمم واللوائف في الخصائص الروحية والأخلاق النفسية، وبحسب اختلاف المناطق الطبيعية التي يعيشون فيها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ الزّوم: ٢٢.

وليس المراد بقوله: «عَلَمَةُ الْبَيَانِ» أن الله سبحانه وضع اللغات، ثم علمها الإنسان بالوحي إلى نبي من الأنبياء، أو بالإلهام، فإن الإنسان موقوفه في ظرف الاجتماع، مندفع بالطبع إلى اعتبار التفهيم والتفهيم بالإشارات والأصوات، وهو التكلم والطق، لا يتم له الاجتماع المدني دون ذلك.

على أن فعله تعالى هو التكوين والإيجاد والرباطة بين اللفظ ومعناه اللغوي وضعية اعتبارية لاحقة خارجية، بل الله سبحانه خلق الإنسان وفطره فطرته توفيقه إلى الاجتماع المدني، ثم إلى وضع اللغة بجمل اللفظ علامة للمعنى، بحيث إذا ألقى اللفظ إلى سامعه فكأنما يلقى إليه المعنى، ثم إلى وضع الخط بجمل الأشكال المخصوصة علامته للألفاظ، فالخط مكمل لفرض الكلام، وهو يقل الكلام، كما أن الكلام يمثل المعنى.

وبالجملة (البيان) من أعظم النعم والأكلاء الربانية التي تحفظ لنوع الإنسان موقعه الإنساني، وتهديه إلى كل خير.

هذا ما هو الظاهر المتبادر من الآيتين، وهم في معناها أقوال: فقيل: (الإنسان) هو آدم عليه السلام، (البيان) الأسماء التي علمه الله إياها، وقيل: (الإنسان) محمد ﷺ، (البيان) القرآن، أو تعليمه المؤمنين القرآن، وقيل: (البيان) الخير والشر، علمهما الإنسان. وقيل: سبيل الهدى وسبيل الضلال إلى غير ذلك، وهي أقوال بعيدة عن الفهم. (٩٥: ٩٦)

التيسير والتسهيل. (٢٢٤: ٦)

نحوه الميبدئي. (٣٠٤: ١٠)

الزمنغشيري: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» إذا أشكل

عليك شيء من معانيه، كأنه كان يحجل في الحفظ

والسؤال عن المعنى جميعاً، كما ترى بعض الحُرَّاص على

العلم، ونحوه «وَلَا تُجَلِّ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْقُضَ إِلَيْكَ

وَعْدَهُ» طه: ١١٤. (١٩١: ٤)

نحوه أبو السعود. (٣٣٦: ٦)

ابن خَطِيب: قال قَتَادَةُ وجماعة معه: معناه أن نبيّه

لكم ومُخَطَّبك، وقال كثير من المتأولين: معناه أن نبيّه

أنت. (٤٠٥: ٥)

نحوه القرطبي. (١٠٦: ١٩)

الطبري: [نقل أقوال الحسن وقَتَادَةَ والزجاج ثم

قال:]

ولي هذا دلالة على أنه لا تمسبة في القرآن ولا للآراء،

ولا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة،

وأما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب،

(٣٩٧: ٥)

الفخر الرازي: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: الآية تدل على أنه ﷺ كان يقرأ مع

قراءة جبريل ﷺ، وكان يسأل في أثناء قراءته عن

مشكلاته ومعانيه، لغاية حرصه على العلم، فنهى

النبي ﷺ عن الأمرين جميعاً. أمّا عن القراءة مع قراءة

جبريل، فبقوله: «فَإِذَا قَرَأْتَ فَأَنْشِئْ قُرْآنَهُ» القينة: ١٨،

وأما عن إلقاء الأسئلة في البيان، فبقوله: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

بَيَانَهُ».

نحوه محمد حسين فضل الله. (٣٠٢: ٢١)

بَيَانَهُ

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ. القينة: ١٩

ابن عباس: حلاله وحرامه، فذلك بيانه.

(الطبري: ٢٩: ١٩٠)

علينا بيانه بلسانك، إذا نزل به جبرئيل، حتى تقرأه

كما أقرأك. (الماوردي: ٦: ١٥٦)

الحسن: علينا أن نجرى يوم القيامة بما فيه من

وعد أو وعيد. (الماوردي: ٦: ١٥٦)

قَتَادَةُ: بيان حلاله، واجتناب حرامه، ومحضته

وطاعته. (الطبري: ٢٩: ١٩٠)

معناه: إنا نبين لك معناه إذا حفظته.

(الطوسي: ٩٠: ٢٩٦)

نحوه المراغي. (١٥٢: ٢٩)

أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام.

(القرطبي: ١٩: ١٠٦)

الطبري: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَ مَا فِيهِ مِنْ حَلَالِهِ

وحرامه، وأحكامه لك مفصلة. (٢٩: ١٩٠)

الزجاج: أي علينا أن ننزله قرآنًا صريحًا غير ذي

هوى، فيه بيان للناس. (٢٥٣: ٥)

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل: [فذكر قول قَتَادَةَ

وابن عباس والحسن] (١٥٦: ٦)

القشيري: نبين لك ما فيه من أحكام الحلال

والحرام وغيرها، وكان رسول الله ﷺ يسجد في

الثَّاقِف، مخافة النسيان، فنهى عن ذلك، وضمن الله له

المسألة الثانية: احتج من جوز تأخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الآية، وأجاب أبو الحسين عنه من وجهين:

الأول: أن ظاهر الآية يقتضي وجوب تأخير البيان من وقت الخطاب، وأنتم لا تقولون به.

الثاني: أن عندنا الواجب أن يُقرن باللفظ، إشعاراً بأنه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره، فأما البيان التفصيلي فيجوز تأخيرها، فتحمل الآية على تأخير البيان التفصيلي.

وذكر الفخار وجهًا ثالثًا: وهو أن قوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا بَيِّنَاتٌ﴾ أي ثم إنا نخرجك بأن علينا بيانه، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلَقَدْ رَفَعْنَاهُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ كُنَّا مِنَ الْإِلَهِينَ﴾﴾ أمثوا البلد: ١٣-١٧.

والجواب عن الأول: أن اللفظ لا يقتضي وجوب تأخير البيان، بل يقتضي تأخير وجوب البيان، وعندنا الأمر كذلك، لأن وجوب البيان لا يتحقق إلا عند الحاجة.

وعن الثاني: أن كلمة (ثم) دخلت مطلق البيان، فهتناول البيان الجمل والمفصل، وأما سؤال الفخار لضعيف أيضًا، لأنه ترك للظاهر من غير دليل.

المسألة الثالثة: ثم إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي عَلَيْنَا بَيِّنَاتٌ﴾ يدل على أن بيان الجمل واجب على الله تعالى، أما عندنا فبالوعد والتفصيل، وأما عند المعتزلة فبالحكمة. (٢٢٥: ٣٠)

الشرعيني: أي بيان ألقاظه ومعانيه لك، سواء أسهمته من جبريل عليه السلام على مثل حليلة الجرس، أم

بكلام الناس المعتاد بالصوت والحروف، ولغيرك على لسانك وعلى ألسنة العلماء من أمثك. (٤٤٢: ٤)

اليسر وسوي: [نعوم ما تقدم عن الزمخشري والفخر الرازي]

نحوه الأوسى. (١٤٢: ٢٩)

الطباطبائي: أي علينا إيضاحه عليك، بعد ما كان علينا جمعه وقرآنه، فلا ثم للتأخير الزمخشري، لأن البيان مترتب على الجمع، والقراءة رتبة.

وقيل: المعنى ثم إن علينا بيانه للناس بلسانك، تحفظه في ذهنك عن التغير والزوال، حتى تقرأه صلى الناس. (١١٠: ٢٠)

بيِّن

توهم يأتون عليهم بسلفان بيِّن. الكهف: ١٥
ابن إسحاق: أي بحجة بالغة. (ابن هشام: ١: ٢٢٥)
راجع إلى ل ط هـ: (بسلفان)

بَيِّنَةٌ

١- قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عُدْدِي مَا تَشْتَعِلُونَ بِهِ... الأنعام: ٥٧

ابن عباس: على يقين من ربي. (الطبرسي: ٢: ٣١٠)
الحسن: البينة: التوبة، أي على نبوة من جهة ربي. (الطبرسي: ٢: ٣١٠)

أبو عبيدة: أي بيان. (١٩٣: ١)

الجبتياني: على حجة، من معجزة دالة على نبوتي.

وهي القرآن. (الطبرسي ٢: ٣١٠)
 الطبرسي: أي إني على بيان قد تبينه، وبرهان قد
 وضح لي من ربي. (٧: ٢١١)
 الزجاج: أي على أمرين، لا متبع هو. (٢: ٢٥٦)
 نحوه الطوسي. (٤: ١٦٥)
 المازدي: في البيّنة هنا قولان:
 أحدهما: الحق الذي بان له.
 والثاني: المعجز في القرآن. (٢: ١٢٠)
 البقوي: أي على بيان وبصيرة وبرهان. (٢: ١٢٨)
 الصبيدي: يعني بالبيان، وهو معنى البيّنة. (٣: ٣٦٨)
 الزمخشري: أي من معرفة ربي وأنه لا معبود
 سواه، على حجة واضحة، وشاهد صدق. (٢: ٢٢٣)
 ابن عطية: هذه الآية تمام في إيضاح ما بينته لهم
 والمضى قل: إني على أمرين، فحذف الموصوفين ثم
 دخلت هاء المبالغة، كقوله عز وجل: ﴿يَلِ الْإِنْسَانُ غُلًى
 نَفْسِهِ بِبَصِيرَةٍ﴾ القيمة: ١٤.
 ويصح أن تكون الهاء في (بَيِّنَةٌ) مجرّدة للتأنيث،
 ويكون بمعنى البيان، كما قال: ﴿وَيُخَيِّضُ عَنْ حَيْثُ عَنْ
 بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال: ٤٢، والمراد بالآية: أي أنها المكذّبون
 في اعتقادي ويقيني، وما حصل في نفسي من العلم، على
 بيّنة من ربي. (٢: ٢٩٨)
 الطبرسي: لما أمر النبي ﷺ بأن يتبرأ مما يبدونه،
 عقب ذلك سبحانه بالبيان، أنه على حجة من ذلك وبيّنة،
 وأنه لا بيّنة لهم. (٢: ٣١٠)
 القرطبي: أي دلالة ويقين وحجة وبرهان، لا على
 هو، ومنه «البيّنة» لأنها تبين الحق وتظهره. (٦: ٤٣٨)

البيضاوي: البيّنة: الدلالة الواضحة التي تنصل
 الحق من الباطل، وقيل: المراد بها القرآن والوحي، أو
 الحجج العقلية، أو ما يستلزمها. (١: ٣١٢)
 الثيسابوري: على حجة واضحة من معرفة ربي،
 يقال: أنا على بيّنة من هذا الأمر، وأنا على يقين منه، إذا
 كان ثابتاً عنده بدليل. (٧: ١٢٠)
 الخازن: المعنى: إني على بيان وبصيرة في عبادة
 ربي. (٢: ١١٥)
 أبو حيان: أي على شريعة واضحة وملة صحيحة.
 [ثم أدام نحوه ما تقدم عن ابن عطية] (٤: ١٤٢)
 أبو السعود: [مثل البيضاوي وأضاف]:
 ولا يساعد المقام، والتنوين للتخفيف. (٢: ٤٩٢)
 أبو البركات: (٣: ٤١)
 الأوسمي: [نقل بعض أقوال المفسرين وأضاف]:
 وعن الحسن أن المراد بها التوبة، وهو غير ظاهر
 كتفسيرها بالحجج العقلية، أو ما يستلزمها، والتنوين
 للتخفيف أي (بيّنة): جليلة الشأن. (٧: ١٦٨)
 رشيد رضا: أي قل لهم أيها الرسول أيضاً: إني فيما
 أخاطبكم فيه على بيّنة من ربي، هداي إليها بالوحي
 والعقل. والبيّنة: كلّ ما يتبين به الحق، من الحجج
 والدلائل العقلية، والشواهد والآيات الحسية، ومنه:
 تسمية شهادة الشهود بيّنة.
 والقرآن: بيّنة مشتملة على أنواع كثيرة من البيّنات
 العقلية والكوتبة، فهو على كونه من عند الله تعالى
 - للقطع بعجز الرسول كغيره على الإتيان بمثله - مؤيد
 بالحجج والبيّنات المثبتة لما فيه من قواعد العقائد وأصول

- المهداية. (٤٥٣: ٧) حجة عليكم واضحة، بيّنة من ربكم. (٩٤: ٨)
- نحوه المراهقي. (١٤١: ٧) نحوه الفخر الرازي. (٥: ١٤)
- مكارم الثميرازي: البيّنة أصلاً: ما يفصل بين شيتين بحيث لا يكون بينهما تازج أو اتصال. ثم أطلقت على الدليل والحجة الواضحة. لأنها تفصل بين الحق والباطل.
- وفي المصطلح الفقهي: تطلق «البيّنة» على الشاهدين العادلين. غير أن معنى الكلمة اللغوي واسع جداً، وعهادة العدل واحد من تلك المعاني، وكذلك في كون المعجزة بيّنة، لأنها تفصل بين الحق والباطل. وإذا قيل للآيات والأحكام الإلهية: بيّنات، فلكونها من مصاهير الكلمة الواسعة.
- وعليه فرسول الله ﷺ يؤمر في هذه الآية أن يقول: إن دليلي في قضية حياة الله ومحاربة الأصنام واضح وبين، وإن تكذيبكم وإنكاركم لا يقتلن من صدق الدليل. (٢٨٩: ٤)
- وهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ هود: ٥٣، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِيَّاكُمْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَخِي مِنْهُ وَهَيْدَةً هود: ٦٣.
- ٢- أَوْ تَكُونُوا أَتَىٰ أَنزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَخَذِي مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٌ....
- الأنعام: ١٥٧
- ابن عباس: البيّنة: الرسول. (أبو حنيفة: ٤: ٢٥٨)
- الطبري: فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربيّ بين،
- أبو حنيفة: البيّنة: حجة واضحة، لا يكتفى بلسانها. وقوله تعالى: (مِنْ رَبِّكُمْ) منطوق بلجاءكم) أو محذوف هو صفة للبيّنة، أي: بيّنة كائنة منه تعالى، وأياً ما كان فيه دلالة على فضلها الإضافي، كما أن في تنوينها التفعيلي دلالة على فضلها الذاتي. (٤٦٤: ٢)
- نحوه الأتوسي. (٦١: ٨)
- ابن الجوزي: أي ما فيه البيان وقطع الشبهات. قال ابن عباس: أي حجة، وهو النبي والقرآن، والمهدي واليان، والرحمة والحمد. (١٥٥: ٣)
- القسوطي: والبيّنة والبيان واحد، والمراد هدى سبأ سبحانه بيّنة. (١٤٤: ٧)
- أبو حنيفة: الظاهر أن «البيّنة» هي القرآن، وهو الحجّة الواضحة الدالة الثيرة؛ حيث نزل عليهم بلسانهم، وألزم العالم أحكامه وشريعته، وأن الهدى والنور من صفات القرآن.
- وقيل: دين الله، والهدى والنور على هذه الأقوال من صفات ما فُتِرت البيّنة به. (٢٥٨: ٤)
- أبو السعود: (بيّنة)، أي حجة واضحة، لا يكتفى بلسانها. وقوله تعالى: (مِنْ رَبِّكُمْ) منطوق بلجاءكم) أو محذوف هو صفة للبيّنة، أي: بيّنة كائنة منه تعالى، وأياً ما كان فيه دلالة على فضلها الإضافي، كما أن في تنوينها التفعيلي دلالة على فضلها الذاتي. (٤٦٤: ٢)
- نحوه الأتوسي. (٦١: ٨)

رشيد رضا: هذا هو الجواب القاطع لكلّ تحلّة وعذر، فإنّ القرآن بيّنة عظيمة كاملة من وجوه متعددة، فتكثير «البيّنة» وما بعدها للتّكثير؛ إذ البيّنة: ما تبين به الحقّ، وهو مبين للحقّ في العقائد بالمجيب والدلائل، وفي الفضائل والآداب وأصول القرينة وأنهايات الأحكام؛ بما تصلح به أمور البشر وشؤون الاجتماع. (٨: ٢٠-٥)

نحوه المرائي: (٨: ٧٩)

الطّباطبائي: وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تريح لقوله: (أَنْ تَقُولُوا) (أَوْ تَقُولُوا) جيباً، وقد بذل الكتاب من البيّنة، ليدلّ به على ظهور حجّته ووضوح دلالته؛ بحيث لا يبي عذر لمثله، ولا ملة لمثله.

(٧: ٨٢٣)

نحوه مكارم الشيرازي: (٤: ٨٢)

٢... قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ...

الأعراف: ٧٣

الطّبري: [المراد بالبيّنة: الناقه] (٨: ٢٢٤)

الزّمخشري: آية ظاهرة، وشاهد على صحّة نبوّي، وكأته قيل: ما هذه البيّنة؟ فقال: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾. (٢: ٨٩)

نحوه النّيسابوري: (٨: ١٦٤)، والبرّوسوي: (٣: ١٦٠)

ابن عطية: (بيّنة) صفة حذف الموصوف، وأقيمت مقامه.

قال سيّويه: وذلك قبيح في التّكرار أن تحذف وتقام صفتها مقامها، لكن إذا كانت الصّفة كثيرة الاستعمال مشتهرة - وهي المقصود في الأخبار والأسم - زال القبح.

كما تقول: جاءني عبد ليبي فلان، وأنت تريد جاءني رجل عبد، لأنّ عبدًا صفة، فكذلك قوله هنا (بيّنة)، للمعنى آية أو حجّة، أو موعظة بيّنة. (٢: ٤٢٩)

الطّبرسي: أي دلالة معجزة شاهدة على صدق.

(٢: ٤٤٠)

أبوحيان: أي آية ظاهرة جليلة، وشاهد على

صحّة نبوّي.

وكثر استعمال هذه الصّفة استعمال الأسماء في القرآن، فليت العوامل، كقوله: ﴿مِنْ بَقِيَّةِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ البيّنة: ١، وقوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ التّعليل: ١٤.

والمعنى: الآية البيّنة، وبالأيات البيّنات، فقارب أن

تكون كالأجلح والأبرق، إذ لا يكاد يصترح بالموصوف

معها

وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كأته

جواب لقولهم: اثنا بيّنة تدلّ على صدقك وأنتك مرسل إلينا.

و(من ربكم) متعلّق بـ(جاءتكم)، أو في موضع الصّفة (لآية) على تقدير محذوف، أي: من آيات ربكم. (٤: ٣٢٧)

نحوه أبو السعود (٢: ٥٠٨)، والآلومي (٨: ١٦٢).

الطّباطبائي: أي شاهد قاطع في شهادته، وبيّنة

قوله بالإشارة إلى نفس البيّنة: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾.

(٨: ١٨١)

وَالَّذِي مَذَّبَنَ أَهْلَهُمْ شُعْتًا قَالَ يَتَقَوَّمُ اغْتِيذُوا اللَّهَ
مَائِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ...

الأعراف : ٨٥

الطَّبْرِيُّ : قد جاءكم علامة وحجة من الله بحقيقة
ما أقول، وصدق ما أدعوكم إليه. (٢٣٧ : ٨)

نحوه الطُّوسِيّ. (٤٩٢ : ٤)

الرَّجَّاج : قال بعض التحوّثين : لم يكن لشعيب آية
إلا النبوة، وهذا غلط فاحش، قال : ﴿لَقَدْ جَاءَتْكُمْ
بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾، فجاء بالفاء جواها
للجزاء، فكيف يقول : ﴿لَقَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.
ولم يكن له آية إلا النبوة، فإن كان مع النبوة آية فقد
جاءهم بها!

وقد أخطأ القائل بقوله : لم تكن له آية، ولو ادعى
مدّح النبوة بنير آية لم تقبل منه، ولكن القول في شعيب
أَن آيته - كما قال - (بَيِّنَةٌ)، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ تَنَازُهُ ذَكَرَ بَعْضُ
آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَذْكُرْ آيَتَهُ، فَهِنْ
لَمْ تَذْكُرْ آيَتَهُ لَا يُقَالُ : لَا آيَةَ لَهُ. وَآيَاتُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ
لَمْ تُذَكَّرْ كُلُّهَا فِي الْقُرْآنِ، وَلَا أَكْثَرُهَا. (٣٥٢ : ٢)

نحوه اليَقُوتِيّ (٢ : ٢١٤)، وَالْقُرْطُبِيُّ (٧ : ٢٤٨)،
وَالْمُخَازِن (٢ : ٢١٥)، وَصَدَّ الْكَرِيمُ الْخَطِيبُ (٤ : ١٢٧)،
وَمُحَمَّدُ جَوَادُ مَنِيَّةَ (٣ : ٣٥٦).

الرَّمُوحَشَرِيُّ : [نحو الرَّجَّاجِ وَأَضَافَ:]

وَمِنْ مَعْجَزَاتِ شُعَيْبٍ ﷺ مَا رَوَى مِنْ مَحَارِبَةِ عَصَى
مُوسَى ﷺ النَّسْتِينَ، حِينَ دَفَعَ إِلَيْهِ غَنَمَهُ، وَوَلَادَةَ الْفَنَمِ
الذَّرْعِ خَاصَّةً، حِينَ وَصَدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ الذَّرْعُ مِنْ
أَوْلَادِهَا، وَوَقَعَ عَصَى آدَمَ ﷺ عَلَى يَدِهِ فِي الْمَرَاتِ

السَّبع، وغير ذلك من الآيات، لِأَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا كَانَتْ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَأْمُرَ مُوسَى ﷺ، فَكَانَتْ مَعْجَزَاتٍ لَشُعَيْبٍ. (٢ : ٩٣)
نحوه أَبُو حَيَّان (٤ : ٣٣٦)، وَالشَّرِيفِيُّ (١ : ٤٩٣)،
وَأَبُو الشُّوَد (٢ : ٥١٥)، وَالْبَرْزُوسِيُّ (٣ : ٣٠٠).

ابن عَطِيَّة : وَالْبَيِّنَةُ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْجَزَتِهِ، وَإِنْ كُنَّا
نَحْنُ لَمْ يُنَصَّ لَنَا عَلَيْهَا، وَقَرَأَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ : (قَدْ
جَاءَتْكُمْ آيَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) مَكَانَ (بَيِّنَةٌ). (٢ : ٤٢٦)
الْفَخْرُ الرَّازِيُّ : [ذَكَرَ قَوْلَ الرَّمُوحَشَرِيِّ وَأَضَافَ:]

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ بِنَاءٌ عَلَى أَصْلٍ مُخْتَلَفٍ بَيْنَ
أَصْحَابِنَا وَبَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عِنْدَنَا أَنَّ الَّذِي يَصِيرُ
نَبِيًّا وَرَسُولًا بِهَذَا ذَلِكَ، يَجُوزُ أَنْ يُظْهَرَ اللَّهُ صَاحِبَهُ أَنْوَاعَ
الْمَعْجَزَاتِ قَبْلَ إِصْطِلَاحِ الْوَحْيِ، وَيَسْتَنَى ذَلِكَ إِرْهَاسًا
لِلنَّبَوَّةِ، فَهَذَا الْإِرْهَاسُ عِنْدَنَا جَائِزٌ، وَعِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ غَيْرُ
جَائِزٍ، فَالْأَحْوَالُ الَّتِي حَكَاهَا صَاحِبُ «الْكُتَّافِ» هِيَ
عِنْدَنَا إِرْهَاسَاتُ مُوسَى ﷺ، وَعِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ مَعْجَزَاتُ
لَشُعَيْبٍ، لِأَنَّ الْإِرْهَاسَ عَنْدهُمْ غَيْرُ جَائِزٍ. (١٤ : ١٧٣)
نحوه التَّيْسَابُورِيُّ. (٩ : ٥)

مُحَمَّدُ جَوَادُ مَنِيَّةَ : [ذَكَرَ وَجْهَ عَدَمِ ذِكْرِ مَعْجَزَةِ
شُعَيْبٍ فِي الْقُرْآنِ ثُمَّ قَالَ:]

وَلَا نَصَّ فِي الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى نَوْعِ هَذِهِ الْمَعْجَزَةِ،
فَتَعْيِينُهَا بِالذَّاتِ كَمَا فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ، قَوْلٌ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ. (٣ : ٣٥٦)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ : ﴿لَقَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾
يَدُلُّ عَلَى جِهَةِ بَيِّنَةٍ تَدُلُّ عَلَى رِسَالَتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ
لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ آيَةُ
الْعَذَابِ، الَّتِي يَذْكُرُهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ قِصَّتِهِ، فَإِنَّ عَامَّةَ

قومه من الكفار لم ينتصروا بها، بل كان فيها هلاكهم، ولا معنى لتكون آية العذاب آية للرسالة، مبينة للدعوة. (١٨٦: ٨)

٥... قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَزِيلُ عَنْهُنَّ إِشْرَاءَ بَلٍ. الأعراف: ١٠٥.

ابن عباس: يعني العصا. (ابن الجوزي ٣: ٢٣٧) مثله البقوي. (٢: ٢١٨)

الطبري: قد جئكم ببرهان من ربكم. (٩: ١٤) الطوسي: يعني أتاكم حجة من الله تعالى، ومعجزة دالة على صدق قوله. (٤: ٤٩٢)

ابن عطية: البينة هنا: إشارة إلى جميع آياته، وهي على المعجزة هنا أدل، وهذا من موسى عيسى نبوته، ومن فرعون استدعاء خرق المادة الذليل بحسب الصدق. (٢: ٤٣٦)

نحو الخازن (٢: ٢٢٠)، وأبو حيان (٤: ٣٥٦) الفخر الرازي: وهي المعجزة الظاهرة القاهرة. [إلى أن قال:]

واعلم أن دليل موسى عليه السلام كان مبنيًا على مقدمات إحداهما: أن هذا العالم إما قادرًا عالمًا حكيمًا. والثانية: أنه أرسله إليهم بدليل أنه أظهر المعجز على وفق دعواه، ومتى كان الأمر كذلك، وجب أن يكون رسولًا حقيقيًا.

والثالثة: أنه متى كان الأمر كذلك، كان كل ما يُلْفَه من الله إليهم، فهو حق وصدق. ثم إن فرعون ما نازعه في شيء من هذه المقدمات إلا في طلب المعجزة، وهذا

يوهم أنه كان مساعدًا على صحة سائر المقدمات. وقد ذكرنا في سورة (طه) أن العلماء اختلفوا في أن فرعون هل كان عارفاً بربه أم لا؟

ولجب أن يجيب، فيقول: إن ظهور المعجزة يدل أولاً: على وجود الإله القادر المختار، وثانياً: على أن الإله جعله قائماً مقام تصديق ذلك الرسول. فلعل فرعون كان جاهلاً بوجود الإله القادر المختار، وطلب منه إظهار تلك البينة، حتى أنه إن أظهرها وآق بها كان ذلك دليلاً على وجود الإله أولاً، وعلى صحة نبوته ثانياً.

وعلى هذا التقدير لا يلزم من اقتضار فرعون على طلب البينة، كونه مقرراً بوجود الإله الفاعل المختار.

(١٤: ١٩٠) نحوه النيسابوري. (٩: ٢١)

٦... لَيْسَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْضِي مَنْ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. الأنفال: ٤٢

ابن إسحاق: لما رأى من الآيات والعجز، ويؤمن من آمن على مثل ذلك. (الطبري ١٠: ١٢)

الطبري: يموت من مات من خلقه، عن حجة لله قد أثبت له، وقطعت عذره، وعبرة قد عاينها ورآها، ﴿وَيَحْضِي مَنْ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، وليحش من عاش منهم، عن حجة لله قد أثبت له، وظهرت لعينه فعلها. (١٠: ١٢)

نحو الطوسي (٥: ١٤٩)، والبقوي (٢: ٢٩٧)، والقرطبي (٨: ٢٢)، والخازن (٣: ٣٠)، وأبو السعود (٣: ١٠٠)، والبرقوتوي (٣: ٣٤٩).

الساوِديّ : فيه وجهان :

أحدهما : لِيُقْتَلَ بدر من قَتَلَ من مشركي قريش
عن حجة ، وليبق من بقي عن قدرة .

والثاني : ليكفر من قريش من كفر . بعد المحجة ببيان
ماؤهدوا ، ويؤمن من آمن ، بعد العلم بصحة إيمانهم .

(٣٢٢ : ٢)

القشيريّ : أي ليضل من زاغ عن الحق . بعد لزومه
المحجة ، ويهتدي من أقام على الحق ، بعد وضوح المحجة .

(٣٢٢ : ٢)

المثبديّ : جعل الله وقعة بدر حجة ومعجزة
ظاهرة ، حتى لا يبق للكافرين غداً عُذْر . ويكون حجته

عليهم بيّناً . كما يقول جلّ جلاله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾
حتى تَبْتَغُوا رَسُولاً ﴿ الإسراء : ١٥ .

الزمخشريّ : أي ليصدر كفر من كفر الله وحججه

بيّنة ، لا عن مخالفة شبهة ، حتى لا تبق له على الله حجة .

ويصدر إسلام من أسلم أيضاً عن يقين وعلم ، بأنّه دين
الحقّ الذي يجب الدخول فيه ، والتسليم به ، وذلك أنّ

ما كان من وقعة بدر من الآيات القرّ المحجّلة ، التي من كفر
بعدها كان مكابراً لنفسه ، مغالطاً لها .

مثله الشريبيّ (١ : ٥٧٢) ، ونحوه البروسويّ (٣ :

٣٤٩) ، والمراغي (٧ : ١٠) .

ابن عطية : والمعنى : أنّ الله تعالى جعل قصة بدر

عبرة وآية ، ليؤمن من آمن عن وضوح وبيان ، وبكفر
أيضاً من كفر عن مثل ذلك . [إلى أن قال :

والبيّنة : صفة ، أي عن قضية بيّنة .

(٥٣٣ : ٢)

مثله أبو حيان .

الطبرسيّ : [نحو الطبري وأضاف :

وقيل : إنّ البيّنة هي ماوحد الله من التصر للمؤمنين
على الكافرين ، صار ذلك حجة على الناس في صدق
التي ﷺ ، فيما آتاهم به من عند الله .

وقيل : معناه ليهلك من ضلّ بعد قيام المحجة عليه ،
فتكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكاً له . ويحيا من اهتدى

بعد قيام المحجة عليه ، فيكون بقاءه من بقي على الإيمان
حياة له ، قوله : (عَنْ بَيْهَقٍ) يعني بعد بيان . (٢ : ٥٤٧)

الآلوسيّ : [نحو الطبري وأضاف :

ويجوز أن يراد بالحياء : الإيمان ، وبالموت : الكفر ،
استعارة أو مجازاً مرسلًا ، وبالبيّنة : إظهار كمال القدرة .

والدالة على المحجة الدافعة ، أي ليصدر كفر من كفر ، وإيمان
من علم ، عن وضوح بيّنة ، وإلى هذا ذهب قتادة .

(١٠ : ٧)

عبد الكريم الخطيب : أي في الصدام بين الحقّ
والباطل ، وبين الإيمان والكفر ، تتحدّد مواقف الناس ،

وينزل كلّ منزله التي يستحقّها ، وهو على بيّنة من
أمره ، سواء أكان في موكب الحقّ ، أو في مرط الباطل

والضلال .

(٥ : ٦٢٠)

٧- أَفَسَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ

مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً... هود : ١٧

الإمام عليّ عليه السلام : محمّد والمؤمنون جميعاً ، والبيّنة :
القرآن أو الرسول .

مثله ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك .

(أبو حيان ٥ : ٢١١)

عبد الرحمن بن زيد : إنه القرآن .

(الماوردي ٢ : ٤٦١)

ابن عباس : يعني محمداً ، على بيته من ربه .

(الطبري ١٢ : ١٦)

مثله مجاهد (الطبري ١٢ : ١٧) ، والضحاك (الطبري

١٢ : ١٦) ، وابن زيد والثوري (الطبري ١٢ : ١٥) ،

وقتادة ، والطبري (الطبري ١٢ : ١٤) .

[نها الدين . (ابن الجوزي ٤ : ٨٥)

أبو العالية : محمداً ﷺ

مثله مجاهد وعكرمة وقتادة وأبو صالح والبرقي

والضحاك ، (الماوردي ٢ : ٤٦١) ، والطبري (١٢ : ١٤) ،

والزجاج (٣ : ٤٣) .

الإمام السجادة عليه السلام : أي أفن كان على بيته من

ربه في اتباع النبي ﷺ ، ومعهم من الفضل ما يشيرون به

كثيره ، ممن يريد الحياة الدنيا وزينتها ؟ (الطبري ٩ : ١٦)

مقاتل : البيان . (ابن الجوزي ٤ : ٨٥)

الفرّاء : الذي على البيعة من ربه محمداً ﷺ . [إلى أن

قال :

ولم يأت لقوله : «أَفَن كَانَ عَلَى بَيْعَةٍ مِنْ رَبِّهِ»

جواب بين ، كقوله في سورة محمداً ﷺ : «أَفَن كَانَ عَلَى

بَيْعَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَذَّبَ وَتَوَلَّى» ﷻ ، ١٤ ، وربما

تركبت العرب جواب الشيء المعروف معناه . [ثم

استشهد بشعر]

وقال الله - تبارك وتعالى ، وهو أصدق من قول

الشاعر : «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ

الْأَرْضُ» الزهد : ٣١ ، فلم يؤت له بجواب ، والله أعلم .

وقد يفسره بعض النحويين ، يعني أن جوابه : وهم

يكفرون ولو أن قرآنًا ، والأول أشبه بالصواب . (٢ : ١٦)

الجبائي : هم المؤمنون من أصحاب محمد .

(الطبري ٣ : ١٥٠)

أبو مسلم الأصفهاني : المجمع الدالة على توحيد

الله تعالى ووجوب طاعته . (الماوردي ٢ : ٤٦١)

الماوردي : فيه ثلاثة أقوال : [ثم ذكر الأحوال

وأضاف :

وذكر بعض المصوفة قولاً رابعاً : أن البيعة : هي

الإصراف على القلوب ، والحكمة على الغيوب . (٢ : ٤٦١)

الطوسي : يعني برهان وحجة من الله ، والمراد

بالبيعة : ما هنا : القرآن . والمعنى بقوله : «أَفَن كَانَ

عَلَى بَيْعَةٍ» النبي ﷺ ، وكل من اهتدي به واتبعه .

(٥ : ٥٢٨)

القشيري : فيه إضمار ، ومعناه أفن كان على بيعة .

كمن ليس على بيعة ، لا يستويان .

والبيعة لأفهام : برهان العلم ، ولآخرين : بيان الأمر

بالتقطع والجزم ، يُشهدهم الحق ما لا يطلع عليه غيرهم .

(٣ : ١٢٩)

الزمخشري : أي على برهان من الله ، وبيان أن

دين الإسلام حق ، وهو دليل العقل . (٢ : ٢٦٢)

ابن عطية : [اكتفى بنقل أقوال السابقين]

(٣ : ١٧٥)

الطبرسي : [نحو الطوسي وأضاف :

وقبل : المعنى به كل محق يدين بحجة وبيعة ، لأن

(من) يتناول العقلاء .

(٣ : ١٥٠)

الفخرازاوي : [له كلام مستوفى لحسنه
الثباوري] (١٧ : ٢٠٠)

القرطبي : أي أفن كان معه بيان من الله ، ومعجزة
كالقرآن ، ومعه شاهد كجبريل . [إلى أن قال] :

وقيل : البيّنة : معرفة الله التي أشرقت لها القلوب ،
والشاهد الذي يتلوه : العقل الذي رُكب في دماغه ،
وأشرق صدره بنوره . (٩ : ١٦)

القيسباوري : وأعلم أن أول هذه الآية يشتمل
على ألفاظ أربعة جملة :

الأول : أن هذا الذي وصفه الله بأنه على بيّنة من
هو ؟

الثاني : ما المراد بالبيّنة ؟

الثالث : ما معنى (يَتْلُوهُ) أهو من التلاوة أم من التلو ؟
الرابع : الشاهد من هو ؟

وللمفسرين فيها أقوال : أصحها أن معنى البيّنة :
البرهان العقلي الدالّ على صحة الدين الحق . [إلى أن
قال] :

والحاصل أن المعارف اليقينية المكتسبة ، إما أن
يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان ، وإما أن يكون
بالوحي والإلهام .

وإذا اجتمع على بعض المطالب هذان الأمران ،
واعتمد كل واحد منها بالآخر ، كان المطلوب أوثق . ثم
إذا توافقت كلمة الأنبياء على صحته ، بلغ المطلوب غاية
القوة والوثوق .

ثم إنه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الأمور
الثلاثة جميعاً : البيّنة ، وهي الدلائل العقلية اليقينية .

والشاهد ، وهو القرآن المستفاد من الوحي . وكتاب
موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه ، الصالح
لاقتداء الخلف به .

وعند اجتماع هذه الأمور لم يبق لطالب الحق المنتصف
في صحة هذا الدين شك وإرتياب . (١٢ : ١٣)

أبو السعود : أي برهان نير عظيم الشأن ، يدل على
حقيقته ما رغب في الثبات عليه من الإسلام وهو القرآن .
وباعتباره أو بتأويل البرهان ، ذكر الضمير الزاجع إليها
في قوله تعالى : (وَيَتْلُوهُ) . [إلى أن قال] :

وقيل : المراد بالبيّنة : دليل الفصل ، وبالشاهد :
القرآن ، فالضمير في (بيّنة) لله تعالى ، أو البيّنة : القرآن
(وَيَتْلُوهُ) من التلاوة ، والشاهد : جبريل أو لسان
الذي عليه . على أن الضمير له أو من «التلو» ، والشاهد :
ملك يحفظه . والأول هو الأول . (٣ : ٢٩٦)

المصهدي : برهان من الله يدلّه على الحق
والقواب ، فيما يأتيه ويذره ، والهمزة لإنكار أن يعقب
ما هذا شأنه هؤلاء المقصّرين ، صمهم وأفكارهم على
الدنيا ، وأن يقارب بينهم في المخرقة ، وهو الذي أغنى عن
ذكر الخبر ، وتقديره : أفن كان على بيّنة ، كمن كان يريد
الدنيا . (٤ : ٤٥٦)

البرزوي : الهمزة للإنكار ، والبيّنة : الحجّة
والبرهان . (وَحَلَسَ) للاستعلاء المجازي ، وهو
الامتلاء ، والافتقار على إقامتها والاستدلال بها .
(وَمَنْ) شرطية أو موصولة مبتدأ حذف خبره .

والتقدير : أفن كان على برهان ثابت من ربه يدلّ
على الحق ، والقواب فيما يأتيه ويذره . وهو كل مؤمن

مخلص، كمن ليس على بيته، يعني سواء أ بل الأول على السعادة وحن العاقبة، والثاني على الشقاوة وسوء الخاتمة (٤: ١١٠)

الألومسي: وأصل البيته، كما قيل: الدلالة الواضحة، عقلية كانت أو محوسة، وتطلق على الدليل مطلقاً، وهاؤها للمبالغة، أو النقل، وهي وإن قيل: إنها من «بان» بمعنى تبين واتضح، لكنه اعتبر فيها دلالة الغير والبيان له، وأخذها بعضهم من صيغة المبالغة، والتوين فيها هنا للتعظيم، أي بيته عظيمة الشأن، والمراد بها: القرآن وباعتبار ذلك، أو البرهان، ذكر الضمير الزاجع إليها في قوله سبحانه: (وَيَتْلُوهُ).

(١٢: ١٢٦)

رشيد رضا: أي على حجة وصيرة من ربه. لها يؤمن به ويدعو إليه، هادياً مهتدياً به، خالصة خالصة به الحق في كل شيء بحسبه، كالبرهان في المغليات، والنصوص في التفليات، والمحاورق في الإلهيات، والتجارب في الحسيات، والشهادات في القضائيات، والاستقراء في إثبات الكليات.

وقد نطق القرآن بأن الرسل كلهم قد جاءوا بالبينات، وأن كل نبي منهم كان محتج على قومه بأنه على بيته من ربه، وأنه جاءهم ببينة من ربهم، كما ترى في قصصهم من سورة الأعراف وهذه السورة.

وكانت بيناتهم قسمين: حُججاً عقلية، وآيات كونية، وكان من لم يقتنع ببينة الرسول أو يكابرهما، يقولون: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ هود: ٥٣، وكان من جحد الآية الكونية بعد التحدي والإنذار بالمعذاب، حُملكون

بمذاب الاستهصال، وتجد هذا وذاك مفصلاً في قصصهم من هذه السورة، وفرق بين قول الرسول منهم: ﴿إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ الأنعام: ٥٧، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الأعراف: ١-٥.

فالأول: ما علم هو به أنه رسول من ربه بوحيه إليه، وبإظهاره على ما شاء من رؤية ملك الوحي وغيره من عالم الغيب.

والثاني: ما أتاه من المحجة العقلية على قومه، كقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ الأنعام: ٨٣، أو ما أتاه من آية كونية تستخذي لها أنفسهم، وتنقطع بها مكابرتهم، وكان نبينا ﷺ يطلق خالصة خالصة على المحجة والبرهان، وتارة على آيته الكبرى الجامعة للبراهين الكثيرة وهي القرآن، قال تعالى له: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ الأنعام: ٥٧، وأمره أن يقول لهم بعد ذكر موسى والتوراة: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُفَصَّلٌ وَأَسْفُلًا﴾ لقولكم تَزْعُمُونَ. أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذِّبِ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَاجِدِينَ الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْقَذَابِ يَكَاكُوا يَصْدِفُونَ﴾ الأنعام: ١٥٥-١٥٧، فهذا السياق يشبه سياق الآية التي فسرها.

وفي المراد بصاحب البيته فيها وجهان: أحدهما: أنه عام قوبل به ما قبله، وهو من لا يريدون من حياتهم إلا لذات الدنيا، وزيتها، وأن البيته هي نور البصيرة

الطهرية، والحجة العقلية التي يميز بها الإنسان بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

والمعنى: ألن كان على بيّنة وبصيرة في دينه من ربه، فهو كقوله: ﴿أَقَمْنِ شَرْعَ اللَّهِ حَذْرَةَ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ الزمر: ٢٢، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي ويتبع هذا النور الطهري والبرهان العقلي المراد بالبيّنة، وأعاد التضمير عليها مذكراً باعتبار معناها، ويؤيده نور آخر غيبي إلهي منه تعالى، يشهد بحقيقته وحسنه، وهو هذا القرآن، الذي هو مشرق النور والهدى والبرهان. (١٢: ٥٠)

الطبا طبائي، ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، البيّنة: صفة مستبهة، معناها الظاهرة الواضحة، غير أن الأمور الظاهرة الواضحة ربما أوضحت ما ينضم إليها ويعلق بها، كالتور الذي هو بين ظاهر، ويظهر به غيره، ولذلك كثر استعمال «البيّنة» فيما يتبين به غيره، كالحجة والآية، ويقال للشاهد على دعوى المدعي: بيّنة..

وقد سمي الله تعالى المحجة: بيّنة، كما في قوله: ﴿لَيْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال: ٤٢، وسمى آية: بيّنة، كما في قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذَا نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ الأعراف: ٧٣، وسمى البصيرة الخاصة الإلهية التي أوتىها الأنبياء: بيّنة، كما في قوله حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ أَزَايِمُ أَنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأُنَبِّئُكُمْ مِنْ عَذَابٍ﴾ هود: ٢٨، أو مطلق البصيرة الإلهية، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿أَقَمْنِ شَرْعَ اللَّهِ حَذْرَةَ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ كَتَمْنَا لَهُ سُوءَ عَقْلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد: ١٤، وقد قال تعالى في معناه: ﴿أَوْ مَنْ

كَانَ مَيِّتًا فَأَخْبَتْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ فِي النُّاسِ كَتَمْنَا مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ الأنعام: ١٢٢. الظاهر أن المراد بالبيّنة في المقام هو هذا المعنى الأخير العام، بقرينة قوله بعد: ﴿أَوَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، وإن كان المراد به بحسب المورد هو النبي ﷺ، فإن الكلام موقو ليشترع عليه قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ هود: ١٧.

فالمراد بها البصيرة الإلهية التي أوتىها النبي ﷺ، لانفس القرآن التازل عليه، فإنه لا يحسن ظاهراً أن يشترع عليه قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾، وهو ظاهر، ولا يناهيه كون القرآن في نفسه بيّنة من الله، من جهة كونه آية منه تعالى، كما في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ الأنعام: ٥٧، فإن المقام غير المقام.

وبما مرّ يظهر أن قول من يقول: إن المراد من كان الخ، النبي خاصة إرادة استعاليته، ليس في محله، وإنما هو مراد بحسب انطباق المورد، وكذا قول من قال: إن المراد به المؤمنون من أصحاب النبي ﷺ، فلادليل على التخصيص.

ويظهر أيضاً فساد القول بأن المراد به «البيّنة» هو القرآن، وكذا القول: بأنها حجة العقل، وأضيفت إلى الرب تعالى، لأنه ينصب الأدلة العقلية والتقليدية. ووجه فساد أنه لا دليل على التخصيص، ولانقاس البيّنة الفارقة للنبي ﷺ من ناحيته تعالى، بالتعريف الإلهي القائم لنا من ناحية العقل. (١٠: ١٨٣)

نحوه محمد حسين فضل الله. (١٢: ٤٢) مكارم الشيرازي: ألن كان لديه دليل واضح من

الطَّبْرَسِيّ: واختلف في قول نوح عليه السلام هذا، أنّه

جواب عماذا؟

وقيل: إنّ جواب عن قولهم: ﴿يَلْ تَطْلُتْكُمُ كَاذِبِينَ﴾ هود: ٢٧، فكأنّه قال: إن تظنونني كاذبًا، فما تقولون لو كنت على خلافه، وعلى حجة من ربّي واضحة، ألا تصدّقونني؟

وقيل: بل هو جواب عن قولهم: ﴿مَآئِزِيكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا﴾ هود: ٢٧، أي وإن كنت بشرًا، فإذا تقولون إذا أتيتكم بحجة دالة على صدقي، ألا تصدّقونني؟ وفيه بيان أنّ الرسالة إنّما تظهر بالمعجزة، فلا معنى

لاعتبار البشريّة.

وكيل: جواب عن قولهم: ﴿وَمَآئِزِيكَ أَتَجْعَلُكَ إِلَّا الَّذِي فَطَرْنَاهُ أَرْآدُنَا﴾ هود: ٢٧، فكأنّه قال: إنهم اعتصموا بأبائهم بما آتاهم من اليقينة والرحمة، فمالوا بذلك الرضا والفضل، وأنتم تنتم بالذنوب الذنوب الغاية، فأنتم في الحقيقة الأراذل لاهم.

وقيل: هو جواب عن قولهم: ﴿وَمَآئِزِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ هود: ٢٧، فكأنّه قال: لا تتعبرا المال والجاه. فإن الواجب اتباع الحقيقة والدلالة، ويجوز أن يكون جوابًا عن جميع ذلك. (١٥٥: ٣)

ابن الجوزي: أي على يقين وبصيرة. (٩٦: ٤) الطَّبْرَسَانِيّ: جواب عن قولهم: ﴿مَآئِزِيكَ إِلَّا بَشْرًا مِثْلَنَا﴾ هود: ٢٧، يريدون به أنّه ليس معه إلا البشريّة التي ياتلهم فيها ويمثلونه، فبأي شيء يدعي وجوب اتباعهم؟ بل هو كاذب يريد بما يدعيه من الرسالة أن يصطادهم، فيقتنص بذلك أموالهم ويترأس عليهم.

قبل ربّه سبحانه وفي اختياره، ويطلوه من الله شاهد بعضه، ومن قبل ذلك «التوراة» كتاب موسى بمثابة الإمام والرحمة والمبين لعظمته، أفتل هذا الذي يتمتع بهذه الخصائص والصفات، يُشكك في الإيمان به؟ ﴿أَلَسْتُ كَأَنَّ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّي...﴾ الآية.

هذا الشخص هو النبي عليه السلام، والبيّة ودليله: هو القرآن المجيد، والشاهد المصدق بنبوته: كلّ مؤمن حقّ أمثال علي عليه السلام، ومن قبل وردت صفاته وصلاحه في التوراة؛ فعلى هذا ثبت دعوته عن طرق ثلاثة حجة واضحة:

الأوّل: القرآن الكريم الذي هو بيّة، ودليل واضح في يده.

الثاني: الكتب السماوية التي سبقت نبوته، وأشارت إلى صفاته بدقّة، وأتباع هذه الكتب السماوية في عصر النبي كانوا يعرفونه حقًا، ولهذا السبب كانوا ينتظرونه. والثالث: أتباعه وأنصاره المؤمنون المضطرون، الذين كانوا يبيّنون دعوته ويتحدثون عنه، لأنّ واحدًا من علام حقايق مذهبنا، هو إخلاص أتباعه وتضعيتهم ودرأيتهم وإيمانهم وعقلهم، إذ أنّ كلّ مذهب يُعرف بأتباعه وأنصاره.

ومع وجود هذه الدلائل الحية، هل يمكن أن يقاس مع غيره من المدّعين، أم هل ينبغي التردّد في صدق دعوته؟! (٤٦١: ٦)

٨- قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّي وَأَتَيْنِي رَحْمَةً مِنْ عِندِ رَبِّي فَكَيْفَ عَلَيْكُمْ... هود: ٢٨

ولذا كان هذا القول منهم مستطناً لنبي رسالته،
وستدعم في ذلك أنه بشر، لأن أثر ظاهر منه يدل على
الرسالة والاتصال بالغييب، كان من الواجب تنبيههم على
ما يظهر به صدقه في دعوى الرسالة، وهذه الآية المعجزة
الدالة على صدق الرسول في دعوى الرسالة.

فإن الرسالة نوع من الاتصال بالغييب خارق للعادة
البحارية، لا طريق إلى العلم بتحقيقه إلا بوقوع أمر غيبي
أخر خارق للعادة، يؤمن به كون الرسول صادقاً في
دعواه الرسالة، ولذلك أشار عليه بقوله: «يَا قَوْمِ ارْأَيْتُمْ
إِنْ كُنْتُ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّي»، إلى أن معه بيعة من الله.
وآية معجزة تدل على صدقه في دعواه.

ومن هنا يظهر أن المراد بالبيعة الآية المعجزة التي
تدل على ثبوت الرسالة، لأن ذلك هو الذي له
السياق، فلا يعبأ بما ذكره بعض المفسرين من أن المراد
بالبيعة في الآية: العلم الضروري الذي يعلم به النبي أنه
نبي، وذلك لكونه معنى أجنياً عن السياق. (٢٠٥: ١٠)
وقد ذكر المفسرون هنا في معنى كلمة (بيعة): المحبة،
والثقة والتبوء، والرسالة، تركناها حذراً من التكرار

٩- وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ
مَنْ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى. طه: ١٣٣

مُجَاهِد: التوراة والإنجيل. (الطبري ١٦: ٢٣٧)
قتادة: الكتب التي خلعت من الأمم التي يشون في
مساكنهم. (الطبري ١٦: ٢٣٧)

الطبري: أول ما يأتيهم يان مالي الكتب التي قبل هذا
الكتاب، من أنباء الأمم من قبلهم، التي أهلكناهم لما

سألوا الآيات، فكفروا بها لما أتتهم، كيف جعلنا لهم
العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، ويقول: فإذا يؤمنهم
إن أتتهم الآية، أن يكون حالهم حال أولئك. (١٦: ٢٣٧)
نحوه الطبري (٤: ٣٧)، وابن الجوزي (٥: ٣٣٦).
الفخر الرازي: غيه وجوه:

أحدها: أن ما في القرآن إذا وافق ما في كتبهم، مع أن
الرسول ﷺ لم يستغل بالدراسة والتعلم، وما رأى أستاذاً
ألبته، كان ذلك إخباراً عن الغيب، فيكون معجزاً.
ونائبها: أن «بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى»:
ما فيها من البشارة بمحمد ﷺ وبنبوته وبمشته.

ثالثها: [ما تقدم عن الطبري] (٢٢: ١٣٧)
أبو حنبلان: «وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ»،
فلم يجدوا لهم في اقتراح الآيات، كآتهم جعلوا ما ظهر من
الآيات لهم بآيات، فافترحوا هم ما يختارون على
دينهم في التعت، فأجيبوا بقوله: «أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ
مَنْ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» أي القرآن الذي سبق التبشير
به، وبإيماني من الرسل به، في الكتب الإلهية السابقة
المنزلة على الرسل، والقرآن أعظم الآيات في الإعجاز،
وهي الآية الباقية إلى يوم القيامة، ولي هذا الاستفهام
توبيخ لهم. (٦: ٢٩٢)

أبو السعود: أي التوراة والإنجيل وسائر الكتب
السمائية، رد من جهته عز وجل لمقاتلتهم القبيحة،
ونكذيبهم فيما دشوا تحتها من إنكار بحسب الآية،
بإتيان القرآن الكريم، الذي هو أم الآيات، وأسن
المعجزات وأعظمها وأبقاها، لأن حقيقة المعجزة:
اختصاص مدعي النبوة بنوع من الأسرار الخارقة

للعادات، أي أمر كان.

ولارب في أن العلم أجل الأمور وأعلاه، إذ هو أصل الأعمال ومبدأ الأفعال، ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الأولين والآخرين على يد أمي، لم يارس شيئاً من العلوم، ولم يدرس أحداً من أهلها أصلاً، فأني معجزة تُراد بعد وروده، وأني آية تُرام مع وجوده، وفي إبراده بعنوان كونه ﴿بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية.

أي شاهداً بحقيقة ما فيها من العقائد المحقة، وأصول الأحكام التي أجمعت عليها كافة الرسل، وبصحة ما تنطق به من أنباء الأمم، من حيث أنه غني بإعجازه عما يشهد بحقيقته، حقيق ببائيات حقيقة غير عادية لا يفتق من ثوبه شأنه وإنارة برهانه، ومزيد تقرير وتحقيق لإتيانه، وإسناد الإتيان إليه، مع جعلهم إتيانه مأثراً به، للتنبه على أصالته فيه، مع ما فيه من المناسبة للبيئة.

نحوه: الأوسي (١٦: ٢٨٥)، والمرآغي (١٦: ١٦٩). البروسوي: البيئة: الدلالة الواضحة، عقلية كانت أو حسية، والمراد هنا: القرآن الذي فيه بيان للناس، و(ما) عبارة عن العقائد المحققة، وأصول الأحكام التي اجتمعت عليها كافة الرسل.

الطباطبائي: حكاية قول مشركي مكة: «إنما قالوا هذا تمريضاً للقرآن، أنه ليس بآية دالة على النبوة، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون». والبيئة: الشاهد المبين أو البين. وقيل: هو البيان.

وكيف كان هفولهم: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّنَا﴾

تحضيض بداعي إهانة القرآن، وتعجيز النبي ﷺ، باقتراح آية معجزة أخرى، وقوله: ﴿أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ﴾ إلخ، جواب عنه.

ومعناه على الوجه الأول من معنيي البيئتين: أو لم تأتكم بيئته وشاهد يشهد على ما في الصحف الأولى - وهي التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية - من حقائق المعارف والشرائع، ويبينها وهو القرآن، وقد أتى به رجل لا عهد له بعلم يعلمه، ولا ملقن يلقنه ذلك؟ وعلى الوجه الثاني: أو لم تأتكم بيان ما في الصحف الأولى من أخبار الأمم الماضية، الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات المعجزة فأثروا بها، وكان إتيانها سبباً لهلاكهم واستئصالهم، لما لم يؤمنوا بها بعد إذ جاءتهم، فلم لا يهتدون لمن اقترح آية بعد القرآن؟ ولكل من المستبين ظهر في كلامه تعالى.

عبد الكريم الخطيب: والبيئة: هي القرآن الكريم، والنبي الكريم مآ، كما يقول سبحانه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَنَفِّكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ رسول من الله يتلوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿لَهَا كُتُبٌ قَبُورَةٌ﴾ البيئة: ١-٣.

١-...أزوني ماداً خلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ أُنْتُنَازَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يُعَذِّبُوا الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا. فاطر: ٤٠ الطَّبْرِي: فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإصرار بي.

الزجاج: ويُقرأ (بَيِّنَات).

البَقَوِيُّ : قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمره وحفص (بَيْتَةً) على التوحيد، وقرأ الآخرون (بَيْتَات) على الجمع، يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب، من ضروب البيان، (٣: ١٩٩)

نحوه المَيْبُدِيُّ (٨: ١٩٠)، وابن عَطِيَّة (٤: ٤٤٢)،

الطَّبْرَسِيُّ : أي فهم على دلالات واضحة.

(٤: ٤١١)

الْقُرْطُبِيُّ : [ذكر القراءتين ثم قال:]

والمعنيان متقاربان، إِلَّا أَنْ قَرَأَهُ الْجَمْعَ أَوَّلًا، لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مَنْ قَرَأَ (عَلَى بَيْتَةٍ) مَنْ أَنْ يَكُونَ خَالَفَ السَّوَادَ الْأَعْظَمَ، أَوْ يَكُونَ جَاءَ بِهِ عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَبْلِ جَاءَ فِي طَلْعَةٍ، فَوَقَفَ بِالنَّاءِ، وَهَذِهِ لُغَةٌ شَادَّةٌ قَلِيلَةٌ، قَالَهُ النَّحَّاسُ.

وقال أبو حاتم وأبو عبيد: الجمع أولى لموافقته الخطأ، لأنها في مصحف عثمان (بَيْتَات) بالالف والناء.

(١٤: ٣٥٦)

أبو الشعثود: أي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب، بأن لهم شركة جعلية، ويجوز أن يكون ضمير (أَتَيْنَاهُمْ) للمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمْرًا لَنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ الرُّوم: ٢٥.

وقرئ على (بَيْتَات)، وفيه إيماء إلى أَنَّ الشَّرْكَ أَمْرٌ خَطِيرٌ، لَا يَدْفَعُ فِي إِبْرَائِهِ مِنْ تَعَاُضِ الدَّلَائِلِ. (٥: ٢٨٥) نحوه البرُّوسِيُّ (٧: ٣٥٨)، والأكوسِيُّ (٢٢: ٢٠٣). الطَّبَّاطِبَائِيُّ : أي بل آتيناهم كتابًا فهم على بيِّنة منه، أي على حجة ظاهرة من الكتاب، أَنَّ لشركائهم شركة معنا، وذلك بدلالته على أنهم شركاءه. (١٧: ٥٤)

١١- أَفْخَرُ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَقَرْنٍ زَيْنٌ لَهُ

سوء عَقْلِهِ وَاتَّبَعُوا أَفْوَاهَهُمْ. محمد: ١٤

ابن عباس: أي نبات ويقين. (الْقُرْطُبِيُّ ١٦: ٢٣٥)

أبو العالية : وهو محمد ﷺ، والبَيْتَةُ: الوحي.

الحسن : معجزة الرسول. (الماوردي ٥: ٢٩٦)

الكلبي : الدين. (الماوردي ٥: ٢٩٦)

ابن زيد : أنه القرآن. (الماوردي ٥: ٢٩٦)

الطَّبْرَسِيُّ : على برهان وحجة وبيان. (٢٦: ٤٨)

الطُّوسِيُّ : أي حجة واضحة، قال قتادة: يعني

محمد ﷺ، وقال قوم: يعني به المؤمنين الذين عرفوا الله

تعالى وأخلصوا العبادة. (٩: ٢٩٦)

الْقُشَيْرِيُّ : البَيْتَةُ: الضياء والمجعة، والاستبصار

بما صبح المجعة، فالضياء في ضياء برهانهم، والعارفون في

ضياء بيانهم، فهؤلاء بأحكام أدلة الأصول يتصورون.

وهؤلاء بحكم الإلهام والوصول يتصورون. (٥: ٤٠٧)

الواحدِيُّ : يقين من دينه. (٤: ١٢٢)

مثله البَنَوِيُّ (٤: ٢١٢)، والخازن (٦: ١٤٨).

النَّبِيدِيُّ : أي على يقين من دينه.

وقيل : على حجة وبيان وبرهان وعقل.

وقيل : هو محمد ﷺ، والبَيْتَةُ: القرآن.

وقيل : هم المؤمنون، والبَيْتَةُ: معجزة النبي ﷺ.

(٩: ١٨٢)

الرَّمْغَشَرِيُّ : أي على حجة من عنده وبرهان.

وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات، وهو رسول

الله ﷺ. (٣: ٥٢٣)

ابن عَطِيَّة : معناه على قصة واضحة، وعقيدة نيرة

بيته. ويحتمل أن يكون المعنى على أمر بين ودين بين،
وألقى الماء للمبالغة، كعلامة ونشابة. (١١٣: ٥)
الطبرسي: أي على يقين من دينه، وعلى حجة
واضحة من اعتقاده في التوحيد والشرائع. (١٠٠: ٥)
الفخر الرازي: اعلم أن هذا إشارة إلى الفرق بين
النبي ﷺ والكفار، ليُعلم أن إهلاك الكفار ونصرة
النبي ﷺ في الدنيا محقق، وأن الحال يناسب شديب
الكافر وإثابة المؤمن.

وقوله: (عَلَى بَيْتِهِ) فرق فارق، وقوله: (مِنْ رَبِّهِ)
مكمل له، وذلك أن «البيت» إذا كانت نظرية، تكون
كافية للفرق بين المتشكك بها، وبين القائل قولاً لا دليل
عليه، فإذا كانت «البيت» مُتَزَكَّةً من الله تعالى تكون
أقوى وأظهر، فتكون أعلى وأبهر.

ويحتمل أن يقال: قوله: (مِنْ رَبِّهِ) ليس المراد كمال
منه، بل المراد كونها من الرب. (٥٣: ٢٨)

الثيسابوري: معجزة ظاهرة، وحجة باهرة من
ربه، يريد محمداً وأُمَّته. (٢٥: ٢٦)

أبو حنيفة: على بيته واضحة، وهو القرآن المعجز،
وسائر المعجزات. (٧٨: ٨)

الشربيني: أي حجة ظاهرة البيان في أنها حق من
ربه. (٢٦: ٤)

أبو الشعثه: تقرير لثبوت حالي فريق المؤمنين
والكافرين، وكون الأولين في أعلى حلتين، والآخرين
في أسفل ساغطين، وبيان لعلها ما لكل منها من الحال
والهزيمة للإنكار، والفاء للعطف، على مقدّر يقتضيه
المقام، وقد قرئ بدونها.

و(مَنْ) عبارة عن المؤمنين المتشككين بأدلة الدين،
وجعلها عبارة عن النبي عليه الصلاة والسلام، أو عنه
وعن المؤمنين لاياعده النظم الكريم، على أن الموازنة
بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم تتسا بأبناء منصبه
الجليل، والتقدير: أليس الأمر كما ذكر، فمن كان مستقراً
على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك أمره، ومربيته،
وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية،
﴿كَفَى زُيِّنَ لَهُ شُوءَ عَمِلِهِ﴾. (٨٦: ٦)

نحو البروسوي (٥: ٥-٥)، والأكوسي (٤٧: ٢٦)،
والططاوي (٢: ٢٢٤).

المصافي: أي ألن كان على بصيرة ويثيق في أمر
الله وحده بما أنزله في كتابه من الهدى والعلم، وبما ظهر
لنبيه ﷺ من الفطرة السليمة... كمن حسن له الشيطان
(٥٦: ٢٦)

الطباطبائي: الشياقي الجاري على قياس حال
المؤمنين بحال الكفار، يدلّ على أن المراد بمن كان على
بيته من ربه: هم المؤمنون، فالمراد بكونهم على بيته من
ربه: كونهم على دلالة بيته من ربهم توجب اليقين على
ما اعتقدوا عليه، وهي الحجة البرهانية، فهم إنما يتبعون
الحجة الفاطمة على ما هو المحرّي بالإنسان، الذي من
شأنه أن يستعمل العقل ويتبع الحق. (٢٣٢: ١٨)

عبد الكريم الخطيب: وفي إفراد ﴿أَلَسُنْ كَانَ
عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إشارات:

أولها: أن الذي يكون على بيته من ربه، وعلى هدى
منه، إنما هو إنسان استقلّ، ينظره، واحتكم إلى عقله، و
لم يكن متقاداً لهوى غيره، أو متأسفاً وراء هوى نفسه.

وثانيها: أن المؤمنين - وإن كانوا ذواتا كثيرة متمدة، كل منهم له كيانه، ووجوده الذاتي المنحصر من التبعية الاعتقادية - هم جميعا ذلك المؤمن الذي على بيته من ربه، فكل مؤمن يرى وجوده ووجبه في هذا المؤمن.

ونالها: أن المؤمن الذي يكون على بيته من ربه، يرجع ميزانه موازين غير المؤمنين جميعا. (٣٢٨: ١٣) سكارم الشيرازي: والبيته: تعني الدليل الواضح الجلي، وهي هنا إشارة إلى القرآن، وسعاجز الرسول الأعظم ﷺ، والدلائل العقلية الأخرى.

ومن الواضح أن الاستفهام في جملة: ﴿الْقُرْآنُ كَانَ...﴾ استفهام إنكاري. أي إن هذين الفريقين لا يتساويان أبدا. [إلى أن قال:]

ويعتقد البعض أن جملة: ﴿الْقُرْآنُ كَانَ عَلَى بَيْتِهِمْ مِنْ رَبِّهِ﴾ إشارة إلى النبي ﷺ. والجملة التالية ظاهرة إلى كقارمكة، غير أن الظاهر هو أن الآية معنى واحدا، وهذا من مصاديقه. (٣٢٦: ١٦)

الْبَيْتَةُ

١- لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَنَبِّئِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيْتَةُ ۖ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً.

ابن عباس: بيان ما في كتابهم: في كتاب اليهود والنصارى. (٥١٦)

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾، يريد محمد ﷺ.

مثله مقاتيل. (الطبري ٥: ٥٢٣)

مجاهد: حتى يتبين لهم الحق. (الطبري ٣٠: ٢٦٢)

فتاة: أي هذا القرآن. (الطبري ٣٠: ٢٦٢) ابن زيد: لم يكونوا متبينين حتى يأتيهم ذلك المثلث. (الطبري ٣٠: ٢٦٢)

الطبري: [بعد ذكر الأقوال قال:]

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفردين في أمر محمد حتى تأتيهم البيته، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه. «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» (٣٠: ٢٦٢) الطوسي: يعني المجمع الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل، وهي من «البيوت» وفصل الشيء من غيره. فالتنبيه ﷺ: حجة وبيته، وإقامة الشهادة بالهداية: بيته، وكل برهان ودلالة فهو بيته. (١٠: ٢٨٨) مثله الطبري ٥: ٥٢٣

القمي: وهي رسول الله ﷺ. أي لم يزلوا مجتمعين على تصديقه، لما وجدوه في كتبهم، إلى أن بعثه الله تعالى، فلما بعثه حسدوه وكفروا. (٦: ٣٢٠) نحوه ابن عطية. (٥: ٥٠٧)

البقرى: أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمد ﷺ أنهم بالقرآن، تبين لهم ضلالتهم وجهالتهم، ودعاهم إلى الإسلام والإيمان. (٥: ٢٩٠)

نحو الميمني (١٠: ٥٧٠)، وابن الجوزي (٩: ١٩٦). الفخر الرازي: البيته هي الحجة الظاهرة التي بها يتميز الحق من الباطل، فهي من البيان أو البيوت، لأنها تبين الحق من الباطل، وفي المراد من البيته في هذه الآية أقوال:

الأول: أنها هي الرسول، ثم ذكروا في أنه لم يسمي

الرسول: بالبينة وجوهاً: الأول: أن ذاته كانت بيينة على نبوته، وذلك لأنه ﷺ كان في نهاية الجدة في تقرير النبوة والرسالة، ومن كان كذاباً متصنعاً فإنه لا يتأتى منه ذلك الجدة المتناهي، فلم يبق فيه إلا أن يكون صادقاً أو محتوهاً، والثاني: معلوم البطلان، لأنه كان في غاية كمال العقل، فلم يبق إلا أنه كان صادقاً.

الثاني: أن مجموع الأخلاق الحاصلة فيه كان بالغاً إلى حد كمال الإعجاز، والجساحظ لقرّر هذا المعنى، والنزائي رحمه الله نصره في كتاب «المنقذ» فإذا هذين الوجهين سمي هو في نفسه بآته بيينة.

الثالث: أن معجزاته عليه الصلاة والسلام كانت في غاية الظهور، وكانت أيضاً في غاية الكثرة، فاجتماع هذين الأمرين جعل كآته ﷺ في نفسه بيينة وحجة، ولذلك سمّاه الله تعالى «سراجاً مبيناً» الأحرار ٤٣. واحتج القائلون بأن المراد من «البيينة» هو الرسول بقوله تعالى بعد هذه الآية: «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» فهو رفع على البذل من البيينة. وقرأ عبد الله (رسولاً) حال من البيينة، قالوا: والالف واللام في قوله (البيينة) للتحريف، أي هو الذي سبق ذكره في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى، أو يقال: إنها للتفخيم، أي هو (البيينة) التي لا تريد عليها، أو البيينة كل البيينة، لأن التحريف قد يكون للتفخيم، وكذا التنكير.

وقد جمعها الله هاهنا في حق الرسول ﷺ، فبدأ بالتحريف وهو لفظ البيينة، ثم تقي بالتنكير فقال: «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ»، أي هو رسول، وأي رسول، وظهيره ما ذكره الله تعالى في البناء على نفسه، فقال: «ذُو الْقُرَيْشِ

الْمَسْجِدِ»، ثم قال: (فَقَالَ) البروج: ١٥، ففكر بعد التحريف.

القول الثاني: أن المراد من (البيينة) مطلق الرسل، وهو قول أبي مسلم، قال: المراد من قوله: «حَقٌّ تَأْتِيهِمُ النَّبِيَّةُ» أي حق تأتيمهم رسل من ملائكة الله، تتلوا عليهم صحفاً مطهرة، وهو كقوله: «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ» النساء: ١٥٣، وكقوله: «هَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً» المدثر: ٥٢.

القول الثالث: وهو قول قتادة وابن زيد: (البيينة) هي القرآن، وظهيره قوله: «أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مِّنَ اللَّهِ فَكَيْفَ يُكَذِّبُ الْأَوَّلِينَ» طه: ١٣٢، ثم قوله بعد ذلك: «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» لا يبد فيه من مضاف محذوف، والتقدير: وبذلك البيينة وهي «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً.

النيسابوري: (البيينة) المحجة الواضحة، وإطلاقها على الرسول كإطلاق التور والسراج عليه. (١٥٢: ٣٠) الشربيني: و(البيينة) الآية التي هي في البيان كالنهر المنير، الذي لا يزداد بالتهادي إلا ظهوراً ووضاء ونوراً، وذلك هو الرسول ﷺ، وهو القرآن. (٥٧٠: ٤) أبو السعود: التي كانوا قد جعلوا إيمانها ميقناً لاجتماع الكلمة، والاتفاق على الحق، فجعلوه ميقناً للاضكاك والافتراق وإخلاف الوعد، [إلى أن قال:]

عبر عنه ﷺ بـ (البيينة) للإيدان بغاية ظهور أمره، وكونه ذلك الموحود في الكتابين. (٤٥٥: ٦) مثله البروسوي. (٤٨٦: ١٠)

الْأَلُوسِيّ : (الْبَيْتَةُ) صفة بمعنى اسم القاعل، أي المَبِينُ للحَقِّ، أو هي بمنّاها المعروف وهو المحبّة المختبة للمدعى، ويراد المعجز.

وهل الوجهين فقوله تعالى: (رَسُولٌ) بدل منها بدل كلٍّ من كلٍّ، أو خبر لمقدّر، أي هي رسول، وشرويه للتخميم، والمراد به نبينا ﷺ. [إل أن قال:]

وجوّز أن يراد به (البَيْتَةُ): القرآن، لأنّه مَبِينٌ للحَقِّ، أو معجز مثبت للمدعى، وروي ذلك عن قتادة وابن زَيْد. و(رَسُولٌ) عليه قيل: بدل اشتغال، أو بدل كلٍّ من كلٍّ أيضاً بتقدير مضاف، أي بيتة أو وحي أو معجز أو كتاب رسول، أو هو خبر مبتدأ مقدّر، أي هي رسول، ويقدر منه مضاف كما سمعت.

وجوّز أن يكون (رَسُولٌ) مبتدأ لوصفه، وخبره جملة (يَسْتَلُوا) إلخ، وجملة المبتدأ وخبره مَحْشُورٌ للْبَيْتَةِ وقيل: اعتراض لمدها، وقيل: صفة لها مراداً بها القرآن.

ويراد بالصفّح المطهرة: البَيْتَةُ، وقد وضعت موضع ضميرها، فكانت الرابطة.

وقرأ أبيّ وعبد الله (رَسُولًا) بالنصب على الحالّة من البَيْتَةِ. (٢٠: ٢٠١)

الطَّبَاطِبَائِيّ : والبَيْتَةُ هي المحبّة الظاهرة، والمعنى ثم يكن الذين كفروا برسالة النبي ﷺ، أو بدعوته أو بالقرآن، لينفكوا حتّى تأتيم البَيْتَةُ، والبَيْتَةُ: هي محمد ﷺ. (٢٠: ٣٣٧)

عهد الكريم الخطيب: والبَيْتَةُ هي ما أشار إليها قوله تعالى: «رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَسْتَلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً».

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه هو البَيْتَةُ، أي البيان المبين، الذي يبين طريق الحقّ بما يتلو من آيات الله على الناس.

وفي جمل «الرسول» هو البَيْتَةُ - مع أنّ البَيْتَةَ هي آيات الله - إشارة إلى أنّ الرسول الكريم، هو في ذاته بَيْتَةُ، وهو آية من آيات الله، في كماله وأدبه، وعظمته خلقه، حتّى لقد كان كثير من المشركين يلقون النبيّ لأوّل مرّة فيؤمنون به، قبل أن يستمعوا إلى آيات الله منه، وقبل أن يشهدوا وجه الإعجاز فيها.

وأنه ليكني أن يقول لهم: إنه رسول الله، فيقرؤون آيات الصدق في وجهه، وفي وقع كلماته على آذانهم. ولهم آمن المؤمنون الأوّلون، ولم يكن قد نزل من القرآن شيء يعرفون منه أحكام الدين وعبادته وأخلاقياته، بل لا يدعوا - كما عرفوه وخبروه - إلّا إلى خير وحقّ.

(١٦: ١٦٤٠)

محمد حسين فضل الله: هي المحبّة القائمة على إثبات حقيقة الرّمالة والرسول، وربما كان الجوّ الذي يعيشه هؤلاء هو جوّ التبرير، لإصرارهم على الذين القويم في صورته، التي يستلونها في طريقتهم الخاصة ووضحهم المقدّد، ولكن كيف يسألون ذلك، في الوقت الذي تتمثل البَيْتَةُ أمامهم مجسّدة في النبيّ محمد ﷺ، وفي الصفّح المطهرة التي يحملها، ليقدّم للناس ما تشتمل عليه من كتب قيمة. (٢٤: ٣٦٠)

٢- وَمَا تَقْرَأُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

فَاجَاءَهُمْ النَّبِيُّ

الْبَيْتَةُ : ٤

أَبُو الْعَالِيَةِ : الْقُرْآن .

(الْمَاوَزْدِيُّ ٦ : ٣١٦)

ابن شجرة : مُحَمَّد ﷺ .

(الْمَاوَزْدِيُّ ٦ : ٣١٦)

الْمَاوَزْدِيُّ : [بعد نقل قول أبي العالِيَةِ وابن شجرة

ثم قال :

وَيَحْتَمِل ثَالِثًا : الْبَيْتَةُ : مَا فِي كِتَابِهِمْ مِنْ صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ .

(٣١٦ : ٦)

الطُّوسِي : إخبار من الله تعالى أَن هَؤُلَاءِ الْكُفَّار

لَمْ يَخْتَلَفُوا فِي نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِمَجْمَعٍ عَلَى

نُبُوَّتِهِ بِمَا وَجَدُوهُ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ صِفَاتِهِ ، فَلَمَّا أَنَاهُمْ بِالْبَيْتَةِ

الْقَاهِرَةِ وَالْمَحْجِزَةِ الْقَاهِرَةِ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ، فَأَمِنْ

بَعْضُهُمْ وَكَفَرُ بَعْضُهُمْ .

(١٠ : ٢٨٩)

مِثْلُهُ الْقُرْطُبِيُّ (٢٠ : ١٤٣) ، وَالتَّرْسِينِيُّ (٤ : ٥٧٠) ،

وَأَبُو الشُّوَد (٦ : ٤٥٥) ، وَابْرُوسِيُّ (١٠ : ٤٨٧) ،

الْبَغَوِيُّ : أَيِ الْبَيَانِ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ .

(٥ : ٢٩٠)

الْمَيْبُودِيُّ : مُحَمَّدٌ وَالْقُرْآنُ ، أَيِ لَمْ يَخْتَلَفُوا فِي مَبْعَثِهِ ،

وَكُونِهِ نَبِيًّا إِلَّا بَعْدَ ظَهْوَرِهِ بَقِيًّا وَحَسَدًا .

(١٠ : ٥٧٠)

الطُّبْرُسِيُّ : إِلَّا مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَشَارَةُ بِهِ ، فِي

كِتَابِهِمْ وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِمْ ، فَكَانَتِ الْحُجَّةُ قَائِمَةً عَلَيْهِمْ .

فَكَذَلِكَ لَا يَتْرَكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ تَقُومُ عَلَيْهِمْ .

(٥ : ٥٢٣)

[ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ الطُّوسِيِّ]

الْقَاسِمِيُّ : أَيِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِمْ ، فَهَكَذَا كَانَ

شَأْنُهُمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ جَعَدُوا بِبَيْتِهِ كَمَا جَعَدُوا بِبَيْتَةِ

أَنْبِيَائِهِمْ بِتَفَرُّقِهِمْ فِيهَا ، وَيَعْدُهُمْ بِالتَّفَرُّقِ عَنْ حَقِيقَتِهَا .

(١٧ : ٦٢٢٦)

الطُّبَاطِبَائِيُّ : وَبِجْهٍ (الْبَيْتَةُ) لَهُمْ هُوَ الْبَيَانُ

النَّبَوِيُّ ، الَّذِي تَبَيَّنَ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ ، أَوْ أَوْضَحَهُ لَهُمْ

أَنْبِيَائُهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ

قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۖ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ...﴾

الزَّخْرَفُ : ٦٣ - ٦٥ . (٢٠ : ٣٣٨)

بَيِّنَات

١- وَأَنْتِئَاهُمْ بَيِّنَاتٌ مِنَ الْأَمْرِ لَمَّا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ ...

الْمَجَانِيَةُ : ١٧

ابن عباس : يَعْنِي بَيَّنَّ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ

مُخَاجِرٌ مِنْ تِهَامَةٍ إِلَى يَثْرِبَ ، وَيَكُونُ أَنْصَارُهُ أَهْلُ يَثْرِبَ .

(الْفَخْرُ الرَّازِيُّ ٢٧ : ٢٦٥)

وَأَضْحَعَتْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ .

السُّدِّيُّ : بَيَانُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . (الْمَاوَزْدِيُّ ٥ : ٢٦٣)

الطُّبْرِيُّ : وَأَعْطَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَضْحَعَتْ مِنْ

أَمْرِنَا ، بِتَخْزِيلِنَا إِلَيْهِمُ التَّوْرَةَ ، لَهَا تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ .

(٢٥ : ١٤٦)

الْمَاوَزْدِيُّ : فِيهِ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : ذِكْرُ الرَّسُولِ وَشَوَاهِدُ نُبُوَّتِهِ .

الثَّانِي : [قَوْلُ السُّدِّيِّ الْمُتَقَدِّمُ] (٥ : ٢٦٣)

الطُّوسِيُّ : أَيِ دَلَالَاتِ وَرَاحِيَيْنِ وَأَضْحَعَتْ مِنْ

(٩ : ٢٥٥)

الْأَمْرِ .

الْبَغَوِيُّ : يَعْنِي الْعِلْمَ بِمَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ مِنْ

(٦ : ١٨٦)

أَمْرِهِ .

الآلوسي: دلائل ظاهرة في أمر الدين، (فلمن)
بمعنى «في»، والبيّنات: الدلائل، ويندرج فيها معجزات
موسى عليه السلام، وبعضهم فسرها بها. (١٤٨: ٢٥)
القاسمي: أي حججاً وبراهين، وأدلة قاطعات
تأبى الاختلاف، ولكن أبوا إلا الاختلاف. (٥٣٢٢: ١٤)
الصراغي: امتنّ سبحانه على بني إسرائيل، بما أنعم
به عليهم من وافر النعم الدينية والدنيوية، وذكر من
ذلك:

١- إنزال التوراة على موسى، فيها معالم للهدى
وشرائع للناس، تهديهم إلى سواء السبيل.

٢- إرسال الرسل، فكثرت فيهم الأنبياء بما لم يكن
لآية مثله.

٣- القضاء بين الناس والفصل في خصوماتهم؛ إذ
كان الملك فيهم، فاجتمع لهم حكم الدين وحكم الدنيا.
٤- إيتاؤهم طيات الأرزاق، فكانوا ذوي ترف
ونعيم في معاشهم، وكان منهم الملوك ذوو المظنّ الأوفر
من العظمة والفضل، وسعة الجاه والأمر والنهي، وبسطة
العيش كداود وسليمان عليه السلام.

٥ - تفضيلهم على الناس جميعاً؛ إذ لم يكن في أمة
أنبياء كما كان فيهم، ولم يجمع الله بين الملك والنبوّة في
نصب كما اجتمع فيهم، فهم أرفع الشعوب منبة.

٦- إيتاؤهم أحكاماً ومواعظ مؤيدة بالمعجزات،
وقد كان هذا مما يستدعي ألفتهم واجتماعهم، وكانوا
كذلك لا يختلفون إلا اختلافاً يسيراً لا يضر مثله، فلما
جاءهم العلم اختلفوا، كما أشار إلى ذلك بقوله:
﴿فَتَنَّاخَلْقُوا...﴾ الآية أي لما حدث فيهم هذا

نحوه الميبدّي (٩: ١٢٥)، والطبرسي (٥: ٧٥).
الزمخشري: (بيّنات): آيات ومعجزات. (٣: ٥١١)
ابن عطية: والبيّنات من الأمر: هو الوحي الذي
فصّلت لهم به الأمور. (٥: ٨٤)
نحوه أبو حنيفة. (٨: ٤٥)

الفخر الرازي: وفيه وجوه:
الأول: أنه آتاهم بيّنات من الأمر، أي أدلة على
أمور الدنيا.

الثاني: [وهو قول ابن عباس الذي تقدّم]
الثالث: المراد ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ﴾ أي معجزات
قاهرة على صحة نبوتهم، والمراد: معجزات موسى عليه السلام.
(٢٧: ٢٦٥)

القرطبي: وقيل: بيّنات الأمر: شرائع وأحكام
في الحلال والحرام، ومعجزات. (٦٦: ١٦٣)
النيسابوري: والبيّنات من الأمر: أدلة أمور
الدين. (٢٥: ٧٧)

الشربيني: أي الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة
القطعية، والأحكام والمواعظ المؤيدة بالمعجزات، ومن
صفات الأنبياء الآتين بعدهم، وغير ذلك مما هو في غاية
الوضوح لمن قضينا بسعادته؛ وذلك أمر يقتضي الألفه
والاجتماع، وقد كانوا متفقين وهم في زمن الضلال،
لا يختلفون إلا اختلافاً يسيراً لا يضر مثله، ولا يحدّ
الاختلاف، فلما جاءهم العلم اختلفوا. (٣: ٥٩٦)

أبو السعود: دلائل ظاهرة في أمر الدين،
ومعجزات قاهرة. (٦: ٦٠)
مثله البروسوي. (٨: ٤٤٣)

الخلاف إلا بعد قيام الحجّة، طلباً للرئاسة وحداً فيها
بينهم، وقد سبق تفصيله في سورة (حُمّ عسق).

(٢٥: ١٥٠)

الطَّبَّاطِبَائِيّ : المراد بالبيّنات: الآيات البيّنات التي
تزيل كلّ شكّ وريب، وتنبه عن الحقّ، ويشهد بذلك
تفريع قوله: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾.

(١٨: ١٦٦)

نحو: محمّد حسين فضل الله.

مكارم الشيرازي : البيّنات: يمكن أن تكون
إشارة إلى المعجزات الواضحة، التي أعطاها الله سبحانه
موسى بن عمران عليه السلام وسائر أنبياء بني إسرائيل، أو أنها
إشارة إلى الدلائل والبراهين المطلقة الواضحة،
والقوانين والأحكام المتينة الدقيقة.

وقد احتمل بعض المفسرين أن يكون هذا التفسير
إشارة إلى السمات الواضحة، التي تتعلق بنبي
الإسلام عليه السلام، والتي علمها هؤلاء، وكان باستطاعتهم
أن يعرفوا نبي الإسلام عليه السلام من خلالها كمعرفتهم
بأنبيائهم: ﴿الَّذِينَ أَنْتَبَهُمُ الْكِتَابُ بِغَرَفَةٍ كُفَا يَخْرِقُونَ
أَنْتَاهُمْ﴾ البقرة: ١٤٦، لكن لا مانع من أن تكون كلّ
هذه المعاني مجتمعة في الآية.

وعلى أيّة حال، فع وجود هذه المواهب والنعيم
العظيمة، والدلائل البيّنة الواضحة، لا يسبق مجال
للاختلاف، إلا أن الكافرين بالنعيم هؤلاء ما لبثوا أن
اختلفوا، كما يصوّر القرآن الكريم ذلك في تتمة هذه
الآية، إذ يقول: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بِطَبَّاطِبَائِهِمْ﴾.

(١٦: ١٩٢)

٢- وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِالَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا.

مريم: ٧٣

ابن عباس : بالأمر والنهي،
الزّمخشري : مرثلات الألفاظ، ملخصات المعاني،
بيّنات المقاصد، إمّا محكمات أو متشابهات، قد تبعها
البيان بالمحكمات أو ببيان الرسول قولاً أو فعلاً، أو
ظاهرات الإعجاز تحدّى بها فلم يُقدّر على معارضتها،
أو حجباً وبراهين.

والوجه أن تكون حالاً مؤكّدة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ
الْحَقُّ مُضِدّاً﴾ البقرة: ٩١، لأنّ آيات الله لا تكون إلا
واضحة وجعلاً.

(٢: ٥٢٠)

نحو: القرطبي (١١: ١٤٢)، وأبو حيان (٦: ٢١٠).

وأبو الشمو (٤: ٢٥٤)، والآلوسي (١٦: ١٢٤).

القنبر الرازي : يحتمل وجوهاً:

أحدها ونائبها: [نحو الزّمخشري ثم أضاف:]

ونائبها: المراد بكونها آيات بيّنات، أي دلائل
ظاهرة واضحة، لا يتوجّه عليها سؤال ولا اعتراض، مثل
قوله تعالى في إنبات صفة الحشر: ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ
أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ مريم: ٦٧، (٢١١: ٢٤٦).

البزوصوي : واضحات الإعجاز والمعاني، وهي
حال مؤكّدة، فإنّ آيات الله لا ينفكّ عنها الوضوح.

(٥: ٣٥٦)

التمراغي: أي ظاهرات الإعجاز.

الطَّبَّاطِبَائِيّ : ظاهرات في حجتها، واضحات في
دلائلها، لا تدع ريباً لمرتاب.

(١٤: ١٠٠)

الْبَيْتَات

١- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
بِالرُّسُلِ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَكْبَدْنَاهُ بَرُوحَ
الْقُدُّسِ ... البقرة: ٨٧

ابن عباس: الأمر والنهي، والمعانيب والعلامات.
(١٣)

أي الآيات التي وضع على يديه من إحياء الموتى،
وخلق من الطين كهية الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً
بإذن الله، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من النبوءات بما
يدخرون في بيوتهم، ومارد عليهم من التوراة مع
الإنجيل الذي أحدث الله إليه. (الطبري ١: ٤٠٣)
الطبري: يعني بالبيئات التي أنشأها الله لإنشائها،
ما أظهر على يديه من المعجج، والدلالة على نبوته من
إحياء الموتى، وإبراء الأكهم، ونحو ذلك من الآيات التي
أبانت منزلته من الله، ودلت على صدقه وصحة نبوته.
(٤٠٣: ١)

نحو الزجاج (١: ١٦٨)، والطوسي (١: ٣٤٠)
والهروي (١: ١٤٠)، وابن عطية (١: ١٧٦)، والطبرسي
(١: ١٥٤)، والأكوسي (١: ٣١٦)

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أن
البيئات: المعجج، والثاني: أنها الإنجيل، والثالث: [قول
ابن عباس المتقدم] (١: ١٥٥)

السيبدي: [نحو الطبري وأضاف:]

قيل: أحياء أربعة من أبناء آدم بعد موتهم، وهم: سام
ابن نوح، والماور، وابن المعجور، وابنة العاشر. (١: ٣٦٣)
الزمخشري: المعجزات الواضحات والمعجج.

كإحياء الموتى، وإبراء الأكهم والأبرص، والإخبار
بالمغيبات. (١: ٢٩٤)

نحوه البضاوي (١: ٦٨)، والثيسابوري (١: ٣٦٧)،
والشريبي (١: ٧٥)، وأبو الشعث (١: ١٦١)،
والبرقوقي (١: ١٧٧).

الفخر الرازي: في (البيئات) وجوه: [ذكر نحو
ما تقدم عن الماوردي وأضاف:]

ونائها: وهو الأقوى، أن الكل يدخل فيه، لأن
المعجز يبين صحة نبوته، كما أن الإنجيل يبين كيفية
شريعته، فلا يكون للتخصيص معنى. (١: ١٧٧)
نحوه أبو حيان. (١: ٢٩٩)

رشيد رضا: (البيئات) فهي ما يبين به الحق من
المعجج القيمة والآيات الباهرة. وقال الأستاذ الإمام:
المراد ما مدعا إليه من أحكام التوراة. (١: ٣٧٦)
وهذا المعنى جاءت آية (٢٥٣) من هذه السورة،
والآية (٦٣) من سورة الزخرف، فراجع.

٢- وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيْتَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ
مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. البقرة: ٩٢

الطبري: أي جاءكم (بالبيئات) الدالة على صدقه
وحقيقته نبوته، كالصا التي تحولت ثعباناً ميثاً، ويده التي
أخرجها بيضاء للناظرين، وقلبي البحر، ومصير أرضه له
طريقاً بيضاء، والجراد والقمل والضفادع، وسائر الآيات
التي بينت صدقه وحقيقته نبوته.

وإنما ساءها الله بيئات لنبيتها للناظرين إليها أنها
معجزة، لا يقدر على أن يأتي بها بشر إلا بتسخير الله

ذلك له، وإنما هي جمع: يئنه، مثل طيبة وطيبات.

(٤٢١: ١)

نحوه الطوسي (١: ٣٥٢)، وابن عطية (١: ١٨٠)،
والطبرسي (١: ١٦٢)، والقرطبي (٢: ٣٠)، وأبو حيان
(١: ٣٠٨)، والاكوسي (١: ٣٢٥)، والقاسمي (٢: ١٩٢)،
والمراغبي (١: ١٧١).

المتبدي: وهذا كقوله في موضع آخر: ﴿قَدْ
جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الأعراف: ١٠٥، قال موسى:
أتيت إليكم ببلاغ مبين، وحجج واضحة وهي المعجزات
التسعة، كما بين في سورة التسل: ١٢ ﴿فِي ثَمَعِ آيَاتِ
إِنْسِي يُرْعَوْنَ وَفُؤُودِهِ﴾. [ثم أدام نحو ما تقدم عن
الطبري] (١: ٢٧٦)

٣- إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ... البقرة: ١٤٩
الماوردي: فيه قولان:

أحدهما: أن (البَيِّنَاتِ) هي الحجج الدالة على نبوة
محمد ﷺ، (وَالْهُدَى) الأمر بالتباعد.

والثاني: أن (البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى) واحد، والجمع
بينها تأكيد، وذلك ما أبان عن نبوته وهدى إلى أتباعه.
(١: ٢١٤)

نحوه الطوسي (٢: ٤٧)، والطبرسي (١: ٢٤٦).
المتبدي: بما أرسلنا بآياتها في التوراة: من الحلال
والحرام، والحدود، والفراتض، والرجم، (١: ٤٢٨)
الزمخشري: من الآيات الشاهدة على أمر
محمد ﷺ. (١: ٣٢٥)

نحوه أبو السعود (١: ١٩٤)، والبروسوي (١: ٢٦)،
والاكوسي (٢: ٢٧).

ابن عطية: و(البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى) أمر محمد ﷺ،
ثم يعم بعد كل ما يكتف من غير،
وقرأ طلحة بن مصرف (بِسْمِ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ) على
الأفراد. (١: ٢٣١)

الفخر الرازي: قوله تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ﴾ فالمراد كل ما أنزله على الأنبياء، كتاباً وحياً
دون أدلة العقول، وقوله تعالى: (وَالْهُدَى) يدخل فيه
الدلائل العقلية والنقلية. (١: ١٨٤)

نحوه السابري.
الشمس يميني: كآية الرجم، ونعت محمد ﷺ
(٢: ٤٢)

(١: ١٠٧)
الطباطبائي: و(البَيِّنَاتِ): الآيات والحجج التي
هي بينات وأدلة، وشواهد على الحق الذي هو الهدى،
فالبينات في كلامه تعالى وصف خاص بالآيات النازلة.
(١: ٣٨٨)

١- وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
مَاجَاءِئِهِمُ الْبَيِّنَاتِ بَيِّنَاتٍ بَيِّنَاتٍ ... البقرة: ٢١٣
الطبري: من بعد ما جاءتهم حجج الله وأدلتهم، أن
الكتاب الذي اختلفوا فيه ولي أحكامه من عند الله.

(٢: ٣٣٧)
الماوردي: يعني الحجج والدلائل. (١: ٢٧١)
البقوي: يعني أحكام التوراة والإنجيل. (١: ٢٧٢)
الطبرسي: أي الأدلة والحجج الواضحة، وقيل:

- معجزات محمد، (١: ٣٠٧)
- نحوه المنازن، (١: ١٦٩)
- الفخر الرازي: أما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ﴾
الْبَيِّنَاتُ ﴿هُوَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ إِيثَاءً لِهَذَا إِيثَاءً لِهَذَا﴾
الكتاب كان بعد مجيء البينات، فتكون هذه البينات
منازلة لا محالة لإيثار الكتاب، وهذه البينات لا يمكن
حملها على شيء، سوى الدلائل العقلية التي نصيبها الله
تعالى على إثبات الأصول، التي لا يمكن القول بالثبوت إلا
بعد ثبوتها؛ وذلك لأن المتكلمين يقولون: كل ما لا يصح
إثبات الثبوت إلا بعد ثبوته، فذلك لا يمكن إثباته بالدلائل
السمعية، وإلا وقع الدور، بل لابد من إثباتها بالدلائل
العقلية، فهذه الدلائل هي (البينات) المتقدمة على إيثار
الله الكتب إياهم. (١: ١٦٦)
- أبو حنيفة: (والبينات): التوراة والإنجيل
فالذين أتوه هم اليهود والنصارى. أو جميع الكتب
المنزلة، فالذين أتوه علماء كل ملة. أو ماني التوراة من
صفة محمد ﷺ، والذين أتوه اليهود. أو معجزات رسول
الله ﷺ، والذين أتوه جميع الأمم، أو محمد ﷺ، والذين
أتوه من بحت إليهم.
والذي يظهر أن البينات هي ما أوضحته الكتب
المنزلة على أنبياء الأمم، الموجبة للاتفاق وعدم
الاختلاف، فجعلوا مجيء الآيات البينات سبباً
لاختلافهم، وذلك أشنع عليهم؛ حيث رقبوا على الشيء
خلاف مقتضاه. (٢: ١٣٧)
- الشربيني: أي المجمع الظاهرة على التوحيد. (١: ١٣٨)
- رشيد رضا: (والبينات) هي الدلائل القائمة على
عصمة الكتاب من وصمة إثارة الخلاف، وعلى أنه
ما جاء إلا لإسعاد الناس والتوفيق بينهم، لا لإسعادهم
وتزويق شملهم؛ وعلى أن الحكمة الإلهية فيه راجعة إلى
جميع ما جاء به، فلا بد أن يكون فهم كل جزء منه مرتبطاً
بفهم بقية أجزائه؛ وعلى أن دعوة الرسول الذي جاء به
إنما كانت إلى جملته، لا إلى الانقراض المتفرقة منه.
(٢: ٢٨٧)
- ٥ - وَأَصْبَحْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُّوسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ..
البقرة: ٢٥٣
- المأوردي: فيه وجهان:
أحدهما: المجمع الواضحة، والبراهين القاهرة.
والثاني: أن خلقه من غير ذكر. (١: ٣٢٢)
- الفخر الرازي: تخصيص عيسى بن مريم بإيثار
الينات، يدل أو يوهم أن إيثار البينات ما حصل في
غيره، ومعلوم أن ذلك غير جائز، فإن قلتم: إنما خصها
[موسى وعيسى ﷺ] بالذكر، لأن تلك البينات أقوى؟
فنقول: إن بينات موسى ﷺ، كانت أقوى من بينات
عيسى ﷺ، فإن لم تكن أقوى فلا أقل من المساواة.
الجواب: المقصود منه: التنبيه على قبح أفعال اليهود،
حيث أنكروا نبوة عيسى ﷺ، مع ما ظهر على يديه من
الينات اللاتعة.
فإن قلت: (البينات) جمع قلة، وذلك لا يليق بهذا
المقام

قلنا: لا نسلم أنه جمع قلّة، والله أعلم. (٢١٧: ٦)
 أبوخيتان: نصّ هنا لعيسى على «الآيات البينات»
 تنقيحاً لأفعال اليهود؛ حيث أنكروا نبوته، مع مظاهر
 على يديه من الآيات الواضحة، ولما كان نبينا محمداً ﷺ
 هو الذي أوتي ما لم يؤت أحد من كثرة المعجزات وعظمتها
 - وكان المشهود له بإحراز قصبات السبق - حتّى يذكر
 هذين الرسولين العظيمين. (٢٧٤: ٢)

البروسوي: وجعل معجزاته سبب تفضيله، مع أن
 «إثبات البينات» غير مختصّ بميسى عليه الصلاة
 والسلام، لأنّها آيات واضحة ومعجزات عظيمة
 لم يستجمعها غيره، وخصّ عيسى ﷺ بالتعيين مع أنّه
 غير مختصّ بعديّات البينات، تنقيحاً لإفراط اليهود في
 تحقيره، حيث أنكروا نبوته مع مظاهر على يده من
 البينات القاطعة الدالة عليها، وإفراط النصارى في
 تعظيمه، حيث أخرجوه من مرتبة الرسالة. (٣٩٥: ١)
 نحوه المرافعي. (٦: ٣)

الألوسي: أي الآيات الباهرات والمعجزات
 الواضحات، كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى،
 والإخبار بما يأكلون ويدّخرون، أو الإنجيل، أو كلّها يدلّ
 على نبوته.

وفي ذكر ذلك في مقام التفضيل إشارة إلى أنّه السبب
 فيه، وهذا يقتضي أفضليّة نبينا صلّى الله تعالى عليه
 وسلّم على سائر الأنبياء؛ إذ له من قداح ذلك المحلّ
 والزّريب. (٣: ٣)

وفي نصوص أخرى نحوه ما تقدّم في آية (٨٧) من
 سورة البقرة، حذفناها حذفاً من التكرار.

٦- كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا
 أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ. آل عمران: ٨٦

الطبري: يعني وجاءهم الحجج من عند الله،
 والدلائل بصحة ذلك. (٣٤٢: ٣)

نحوه الشربيني. (٢٣٠: ١)

الطوسي: إن قيل: كيف خصّ هؤلاء المذكورون
 بمجيء البينات، مع أنّها قد جاءت كلّ مكلف للإيمان؟
 قيل عنه جوابان:

أحدهما: لأنّ البينات التي جاءتهم هي ما في كتبهم
 من البشارة بالنبي ﷺ.

الثاني: للتبديد من حال الهداية والتفويض،
 لتجوزها في هذه الفرقة. (٥٢٢: ٢)

المسندي: (البينات): ما ثبت في التوراة من نعمة
 وصفته. (١٩٢: ٢)

الطبرسي: أي البراهين والحجج. وقيل: القرآن،
 وقيل: جاءهم ما في كتبهم من البشارة لمحمد ﷺ.

نحوه البروسوي (٥٩: ٢)، والألوسي (٢١٦: ٣).

أبوخيتان: (البينات) هي شواهد القرآن،
 والمعجزات التي تأتي بمنزلها الأنبياء. (٥١٨: ٢)

٧- وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

آل عمران: ١٠٥
 ابن عباس: آيات الله التي أنزلت على أهل كلّ

- ملّة. (أبو حنّان ٣: ٢١) الإلهية الثيرة المزيّلة لفظك الشبه. (١٣٣: ٣)
- بيّنات ما في كتابهم من الإسلام. (٥٣)
- الحسن: التّوراة. (أبو حنّان ٣: ٢١) ٩... ثُمَّ اتَّخَذُوا الْيَهُودَ مِنَ يَهُدَى عَاجَاجَتُهُمْ أَنْبِيَاءَ لَقَفُونَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا.
- مثل: أبو أمامة. (أبو حنّان ٣: ٢١) النّساء: ١٥٣
- الطّوسيّ: معناه من بعد ما نصبت لهم الأدلة، ولا يدلّ ذلك على عناد الجميع، لأنّ قيام البيّنات إنّما يُعلم بها الحقّ إذا ظهر فيها، واستدلّ بها على الحقّ.
- الزّمخشريّ: الموجبة للاتّفاق على كلمة واحدة، وهي كلمة الحقّ. (٤٥٣: ١)
- نحوه الشّريفيّ (١: ٢٣٨)، وأبو الشّهود (٢: ١١٤)، والبرّوسويّ (٢: ٧٥)، والآلوسيّ (٤: ٢٣).
- الطّبرسيّ: أيّ المجمع والكتب، ويبيّن لهم الطرق. (٤٨٤: ١)
- نحوه الطّوسيّ. (٣٧٧: ٣) المصيّديّ: قالوا: (البيّنات التي ذكرها القرآن)
- هي: اليد والمصا والمجر والبحر والطّوفان والجمراد والقمل والضفادع والدم، ولكلّ منها شرح وتفصيل، يأتي في محلّها.
- الطّبرسيّ: أيّ المجمع الباهرات، قد دلّ الله بهذا على جهل القوم وعنادهم. (١٣٤: ٢)
- الفخر الرازيّ: والمراد به (البيّنات) أمور: أحدها: أنّه تعالى جعل ما أراههم من الصّاعقة بيّنات، فإنّ الصّاعقة وإن كانت شيئاً واحداً إلا أنّها كانت دالة على قدرة الله تعالى، وعلى علمه وعلى قدمه، وعلى كونه مخالفاً للأجسام والأعراض، وعلى صدق موسى عليه السلام في دعوى النبوة.
- ٨ - فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ. آل عمران: ١٨٤
- الطّبرسيّ: بالمجمع القاطعة المذر، والأدلة الباهرة العقل، والآيات المعجزة الخلق، وذلك هو البيّنات.
- نحوه الطّوسيّ (٣: ٦٩)، والبغويّ (١: ٥٤٨)، وابن فضّيلة (١: ٥٤٩)، والنّيسابوريّ (٤: ١٤١)، والحازن (١: ٣٨٦)، والمراغيّ (٤: ١٥٠).
- أبو حنّان: بما يوجب الإيمان من ظهور المعجزات الواضحة الدّالة على صدقهم، وبالكتب المتفاوتة

وثانيها: أن المراد بالبيّنات إنزال الصاعقة، وإحيائهم بعد ما أماتهم.

وثالثها: أنهم إنما عبدوا المجل من بعد أن شاهدوا معجزات موسى عليه السلام التي كان يظهرها في زمان فرعون وهي: العصا واليد البيضاء وخلق البحر، وغيرها من المعجزات القاهرة.

والمقصود من ذلك الكلام: أن هؤلاء يطلبون منك يا محمد، أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فاعلم يا محمد أنهم لا يطلبونه منك إلا عناداً ولجاجاً، فإن موسى قد أنزل الله عليه هذا الكتاب، وأنزل عليه سائر المعجزات القاهرة، ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد، وأقبلوا على عبادة المجل، وكل ذلك يدل على أنهم مجبولون على اللجاج والعناد، والبعد عن طريق الحق، (١١: ٥١) نحوه النيسابوري.

المقرطبي: أي البراهين والدلالات والمعجزات الظاهرات من: اليد والعصا وخلق البحر وغيرها، بأنه لا معبود إلا الله عز وجل. (٦: ٦)

نحوه الخازن (١: ٥١٣)، وأبو حيان (٣: ٣٨٧)، والشربيني (١: ٣٤٢)، وأبو السعود (٢: ٢١٥)، والبروسوي (٢: ٣١٦)، والآلوسي (٦: ٧)، والقاسمي (٥: ١٦٣٤)، والمراغي (٦: ١٠).

١٠- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ... النحل: ٤٤ الطبري: إن قال قائل: وكيف قيل: (بالبينات

والزُّبُر) وما الجالب لهذه الباء في قوله: (بالبينات)؟ فإن قلت: جالبها قوله: (أَرْسَلْنَا) وهي من صلتها، فهل يجوز أن تكون صلة (مَا) قبل (إِلَّا) بعدها، وإن قلت: جالبها غير ذلك، فما هو، وأين الفعل الذي جلبها؟

قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعضهم: الباء التي في قوله: (بالبينات) من صلة (أَرْسَلْنَا)، وقال: (إِلَّا) في هذا الموضع، ومع الجمع والاستفهام في كل موضع بمعنى «غير».

وقال: معنى الكلام وما أرسلنا من قبلك بالبيّنات والزُّبُر غير رجال نوحى إليهم، ويقول على ذلك: ما ضرب إلا أخوك زيداً، وهل كلم إلا أخوك عمراً، بمعنى: ما ضرب زيداً غير أخيك، وهل كلم عمراً إلا أخوك؟ [تم استشهد بشر]

ويشهد أيضاً بقول الله عز وجل: هَلْ كَانَ قَبِيصًا أَوْفَىٰ إِلَّا اللَّهُ ۚ الْأَنْبِيَاءُ: ٢٢.

ويقول: (إِلَّا) بمعنى «غير» في هذا الموضع، وكان غيره يقول: إنما هذا على كلامين: يريد وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أرسلنا بالبيّنات والزُّبُر، قال: وكذلك قول القائل: ما ضرب إلا أخوك زيداً، معناه ما ضرب إلا أخوك، ثم يتدنى: ضرب زيداً، وكذلك ما مر إلا أخوك يزيد، ما مر إلا أخوك، ثم يقول: مر يزيد، [تم استشهد بشر]

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم أرسلناهم بالبيّنات والزُّبُر، وأنزلنا إليك الذِّكْر. (والبيّنات): هي الأدلة والمنجج التي أعطاه الله

رسله، أدلة على نبوتهم، شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله. (١٤: ١٠٩)

الطوسي: أي بالدلالات الواضحات والكتب المنزلة. (٦: ٣٨٥)

الرّمحشري: فإن قلت: يمّ تعلق قوله: (باليثيات)؟ قلت: له متعلقات شتى، فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلًا تحت حكم الاستثناء مع (رجالًا) أي وما أرسلنا إلا رجالًا باليثيات، كقولك: ما ضربت إلا زيدًا بالسوط، لأن أصله ضربت زيدًا بالسوط.

وإما بما أرسلنا صفة له، أي رجالًا سائسين باليثيات.

وإما بما أرسلنا مضمرا، كأنما قيل: يمّ أرسلوا؟ فقلت: باليثيات، فهو على كلامين، والأول على كلام واحد.

وإما بلنوحى أي نوحى إليه باليثيات. وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التثبيت والإلزام، كقول الأجير: إن كنت عملت لك فأعطني حقّي. وقوله: «فَسَلُّوا أَهْلَ الذُّخْرِ» اعتراض على الوجوه المتقدمة. (٢: ٤١١)

نحوه ابن عطية (٣: ٣٩٥)، والطبرسي (٣: ٣٦٢)، وأبو البقاء (٢: ٧٩٦)، وأبو السمود (٤: ٦٤)، والقاسمي (١٠: ٣٨١٢)، والمراغي (١٤: ٨٩).

الفخر الرازي: ذكروا في الجالب هذه «الباء» وجوها:

الأول: أن تقديره: وما أرسلنا من قبلك باليثيات والزُّبُر إلا رجالًا يوحى إليهم. وأنكر القراء ذلك، وقال:

إن صلة ما قبل (إلا) لا يتأخر إلى بعد، والدليل عليه: أن المشتى عنه هو مجموع ما قبل (إلا) مع صلته، فالتم يصير هذا المجموع مذكورًا بتمامه امتنع إدخال الاستثناء عليه. الثاني: أن التقدير: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالًا نوحى إليهم باليثيات والزُّبُر، وعلى هذا التقدير فقوله: (باليثيات والزُّبُر) متعلق بالمستثنى.

الثالث: أن الجالب لهذا «الباء» محذوف، والتقدير: أرسلناهم باليثيات، وهذا قول القراء. قال: ونظيره مأمّر إلا أخوك يزيد، مأمّر إلا أخوك ثم يقول: ممر يزيد.

الرابع: أن يقال: الذكر بمعنى العلم، والتقدير: فاسألوا أهل الذكر (باليثيات والزُّبُر) إن كنتم لا تعلمون.

الخامس: أن يكون التقدير: إن كنتم لا تعلمون باليثيات والزُّبُر فاسألوا أهل الذكر.

قوله تعالى: (باليثيات والزُّبُر) لفظة جامعة لكل ما تكامل به الرسالة، لأن مدار أمرها على المعجزات، الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي (اليثيات)، وعلى التكاليف التي يبلغها الرسول من الله تعالى إلى العباد وهي (الزُّبُر).

نحوه القرطبي. (١٠: ١٠٨)

أبو حيان: الأجود أن يتعلق بقوله: (باليثيات) بضمير يدل عليه ما قبله، كأنه قيل: يمّ أرسلوا قال: أرسلناهم (باليثيات والزُّبُر) فيكون على كلامين، وقاله الرّمحشري وابن عطية وغيرهما.

وقد يتعلق بقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا) وهذا فيه وجهان، أحدهما: أن التّية فيه التقديم قبل أداة الاستثناء،

والتقدير: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالاً، حتى لا يكون ما بعد (إلا) معمولين متأخرين لفظاً ورتبةً، داخلين تحت الحصر لما قبلها، وهذا حكاه ابن عطية عن فرقة.

والوجه الثاني: أن لا ينوي به التقديم، بل وقعا بعد (إلا) في نية الحصر، وهذا قاله الحوفي والزحشري، وبدأ به قال: تتعلق بما أرسلنا) داخلاً تحت حكم الاستثناء مع رجالاً، أي وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات، كقولك: ماضيت إلا زيداً بالسوط، لأن أصله ضربت زيداً بالسوط، انتهى.

وقال أبو البقاء: وفيه حذف، لأن ما قبل (إلا) لا يعمل فيها بعدها، إذا تم الكلام على (إلا) وما بعدها، إلا أنه قد جاء في الشعر: [وبعد أن استشهد به أضاف:] وهذا الذي أجازوه الحوفي والزحشري لا يجوز، مذهب جمهور البصريين، لأنهم لا يميزون أن يقع بعد (إلا) مستثنى أو مستثنى منه أو تابعاً، وما ظن من غير الثلاثة معمولاً لما قبل إلا قدر له عامل.

وأجاز الكسائي أن تقع معمولاً لما قبلها منصوب، نحو ماضرب إلا زيداً صمراً، ومفوض نحو مامر إلا زيداً بصمرو، ومرفوع نحو ماضرب إلا زيداً عمرو، ووافقه ابن الأثير في المرفوع، والأخفش في الظرف والمجاز والمحال.

فالقول الذي قاله الحوفي والزحشري يتعنى على مذهب الكسائي والأخفش، ودلائل هذه المذاهب المذكورة في علم النحو.

وأجاز الزحشري أن يكون صفة له رجاله أي

رجالاً ملتبسين بالبينات، فيتعلق بحذوف. وهذا وجه سابع، لأنه في موضع صفة لما بعد (إلا)، فوصف (رجالاً) بلأجبي إليهم، وبذلك العامل في (البينات) كما تقول: ما أكرمت إلا رجالاً مسلماً ملتبساً بالخير.

وأجاز أيضاً أن يتعلق بلأجبي إليهم، وأن يتعلق بما لا يملكون. قال: على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام، كقول الأجير: إن كنت عملت لك فأعطني حق، وقوله: «فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ» اعتراض على الوجوه المتقدمة، يعني من التي ذكر غير الوجه الأخير. (٤٩٤: ٥)

نحوه الأتوسي. (١٤٨: ١٤٩)
العنابطاني: (البينات والزبر) متعلق بمقدر به، عليه ما في الآية السابقة من قوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا) في أولها، وهي الآيات الواضحة الدالة على رسالتهم، والكتب المنزلة عليهم. وذلك أن العناية في الآية السابقة، إنما هي ببيان كون الرسل بشرًا على العادة فحسب، فكأنه لما ذكر ذلك اختلج في ذهن السامع أنهم بماذا أرسلوا؟ فأجيب عنه بقيل: بالبينات والزبر. أما (البينات) دلالات رسالتهم، وأما (الزبر) فلحفظ تعاليمهم.

وقيل: هو متعلق بقوله: (وَمَا أَرْسَلْنَا)، أي وما أرسلنا بالبينات والزبر إلا رجالاً نوحى إليهم، وفيه أنه لا بأس به في نفسه، لكنه مفوت لما تقدم من التكلفة. (٢٥٩: ١٢)

نحوه محمد حسين فضل الله. (٢٣٢: ١٣)

مكارم الشيرازي: (البينات) جمع بنة، بمعنى

الدلائل الواضحة، ويمكن أن تكون هنا إشارة إلى معاجز، وأدلة إثبات صدق الأنبياء ﷺ في دعوتهم. (الزُّبَيْر) جمع الزُّبُور، بمعنى الكتاب.

في (اليُسُتَات) تحدثت عن دلائل إثبات النبوة، (والزُّبَيْر) إشارة إلى الكتب، التي جمعت فيها تعاليم الأنبياء. (٨: ١٨١)

١١- قَالُوا لَنْ نُؤْيِزَكَ عَلَىٰ مَاجَاءِنَا مِنَ الْيُسُتَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاطْغِي مَا أَنتَ قَاضٍ... طه: ٧٢
ابن عباس: يريد من اليقين والعلم.

(الْمُرْطَبِيُّ: ١١: ٢٢٥)

نحوه المُنْبَدِي. (٦: ١٤٨)

عِكْرَمَةٌ: لما سجدوا أراهم أنه في سجودهم صلواتهم في الجنة. (الْمُرْطَبِيُّ: ١١: ٢٢٥)

نحوه ابن أبي بزة. (البغوي: ٣: ٢٦٨)

وَقَبْ: بن مُنَبِّه: أي على الله على ما جاءنا من المجمع مع ينة.

نحوه الطَّبْرِي. (١٦: ١٨٩)

مُقَاتِل: يعني اليد البيضاء والمعص.

(البغوي: ٣: ٢٦٨)

الطُّوسِي: يعني الأدلة الدالة على صدق موسى وصحة نبوته. (٧: ١٩٠)

نحوه الطَّبْرِي. (٤: ٢١)

أَبُو حَيَّان: وهي المعجزة التي أتينا وعليها صحتها، وفي قولهم هذا: توهين له، واستصغار لما حدثهم به، وعدم اكترات بقوله.

وفي نسبة المجيء إليهم وإن كانت (اليُسُتَات) جاءت لهم ولغيرهم، لأنهم كانوا أعرف بالشعر من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، فكانوا على جليلة من العلم بالمعجز، وغيرهم يقلدهم في ذلك، وأيضًا فكانوا هم الذين حصل لهم النفع بها، فكانت يسات واضحة في حقهم. (٦: ٢٦١)

أَبُو الشُّمُود: من المعجزات الظاهرة، فإن ما ظهر بيده عليه الصلاة والسلام من العصا كان مشتملاً على معجزات جمّة، كما مرّ تحقيقه فيما سلف، فإنهم كانوا عارفين بجلالتها ودقاتتها. (٤: ٢٩٥)

نحوه الأَكْوَسي. (١٦: ٢٣٢)

البُزْوتَوِي: من المعجزات الظاهرة التي لاشبهة في حقيقتها، وكان من استدلالهم أنهم قالوا: لو كان هذا سحرًا لكان حبالنا وعصيتنا.

وفيه إشارة إلى أن القوم شاهدوا في رؤية الآيات أنوار الذات والصفات، فهان عليهم عظام البليات، ومن أترافه على الأشياء هان عليه ما يلقى في ذات الله. (٦٥: ٤٠٦٥)
الْعُطْبَاءُ طَبَائِي: تلوح إلى أنهم عدّوا ما شاهدوه من أمر العصا آيات عديدة، كصيرورتها ثعبانًا، وتلقفها الحبال والعصي، ورجوعها ثانية إلى حالتها الأولى.

ويمكن أن يكون (مِنْ) للتبيين، فيلبد أنهم شاهدوا آية واحدة، وآمنوا بأن الله آيات أخرى كثيرة، ولا يخلو من بُعد. (١٤: ١٨٢)

١٢- قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْيُسُتَاتُ مِنْ رَبِّي وَأَمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ

لكونها مؤيدة لأدلة العقل مثبتة عليها، فإن الآيات
التشريعية مفسرات للآيات التكوينية الالهائية
والأنسية. (٤٢٦: ٥)
مثله الأوسى. (٨٤: ٢٤)

١٣- لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ... الحديد: ٢٥
مُقاتِل: إنها هي المعجزات الظاهرة والدلائل
القاهرة. (الفخر الرازي ٢٩: ٢٤٠)

مُقاتِل بن حيان: أي أرسلناهم بالأعمال التي
تكونهم إلى طاعة الله، وإلى الإعراض عن غير الله.
(الفخر الرازي ٢٩: ٢٤٠)
نحوه الميشتي. (٤٩٩: ٩)

المطهرى: لقد أرسلنا رسلنا بالمتصلات من البيان
والدلائل. (٢٣٦: ٢٧)

الطوسي: يعني الدلائل والمجيب الواضحة.
(٥٢٤: ٩)

نحوه الواحدى (٤: ٢٥٣)، وأبو الشعث (٦: ٢٠٨)،
والكاشاني (٥١: ١٣٨)، والأوسى (٢٧: ١٨٨).
القشيري: أي أرسلناهم مؤيدين بالمجيب الثلاثة
والبراهين الواضحة. وأزحنا العلة لمن أراد سلوك الحقبة
المثل، ويمرنا السيل على من أثر اتباع الهدى.

(١١٢: ٩)
الفخر الرازي: [نسفل قولى مُقاتِل بن سليمان
ومُقاتِل بن حيان ثم قال:]
والأول هو الوجه الصحيح، لأن نبوتهم إنما ثبت

العالين.
الطبري: لما جاءني الآيات الواضحات من عند
ربي، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله. (٨٢: ٢٤)
الزمخشري: إن قلت: أما نهي رسول الله ﷺ عن
عبادة الأوثان بأدلة العقل، حتى جاءته البينات من ربه؟
قلت: بلى، ولكن (البينات) لما كانت مقوية لأدلة
العقل، ومؤيدة لها، ومضنة ذكرها - نحو قوله تعالى:
﴿أَتَقْلِبُونَ فِتْنَتَنَّا جُثُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَحْكُمُونَ
الصفحات: ٩٥، ٩٦. وأنبأ ذلك من التنبه على أدلة
العقل - كان ذكر (البينات) ذكراً لأدلة العقل والسمع
جميعاً، وإنما ذكر ما يدل على الأمرين جميعاً. لأن ذكر
تناصير الأدلة - أدلة العقل وأدلة السمع - أقوى في إبطال
مذهبهم، وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية.

(٥٣٥: ٣)
نحوه البروقشي. (٢٠٦: ٨)

الطبرسي: أي حين أتاني المجيب والبراهين من
جهة الله تعالى، دلّني على ذلك. (٥٣١: ٤)

الفخر الرازي: وتلك (البينات) أن إله العالم قد
ثبت كونه موصوفاً بصفات الجلال والعظمة، على ما تقدم
ذكره. وصحح العقل يشهد بأن العبادة لا تليق إلا به.
وأن جعل الأحيار المنحوتة والخشب المصورة شركاء
له في المعبودية، مستنكر في بديهة العقل. (٨٥: ٢٧)

نحوه الشريبي (٣: ٤٩٥)، والمراغي (٢٤: ٩١).
الشمسبوري: شامل لأدلة العقل والتقل جميعاً.
(٥٦: ٢٤)
أبو الشعث: من المجيب والآيات، أو من الآيات،

بتلك المعجزات. (٢٩٠: ٢٩١)

الْقُرْطُوبِيُّ : أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة. وقيل: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، بذلك دعت الرسل: نوح قن دونه إلى محمد ﷺ. (١٧: ٢٦٠)

الْبُرْهَانُ : أي بالمعجز الواضحة التي هي المعجزات بالشرائع الواضحة.

طَائِفَاتُ : المعجزات يخلقها الله على يدي مدعي النبوة، كإحياء الموتى وقلب العصا واليد البيضاء وسق القمر من غير نزول الملك بها، نعم معجزة القرآن نزل بها الملك ولكن نزوله بها على كل رسول غير ثابت.

قُلْتُ : معنى نزول الملك بها: أن الله يخبره على لسانه بوقوع تلك المعجزة على يده. (٣٧٩-٣٨٠)

الْقَاسِمِيُّ : أي بالمعجز والبراهين المتصلة على صحة ما يدعون إليه. [إلى أن قال:]

وأول القاسمائي (البينات) بالمعارف والحكم، و(الكتاب) بالكتابة، و(الميزان) بالعدل، لأنه آتاه، و(الحديد) بالسيف، لأنه مادته. [إلى أن قال:]

ويجوز أن تكون (البينات) إشارة إلى المعارف والحقائق النظرية، و(الكتاب) إشارة إلى الشريعة والحكم العملية، و(الميزان) إلى العدل والتوبة، و(الحديد) إلى القهر ودفع شرور البرية، وقيل: (البينات): العلوم الحقيقية، والثلاثة الباقية هي التواميس الثلاثة المشهورة المذكورة في الكتب الحكيمية، أي الشرع، والدينار المعدل للأشياء في المعاملات، والملك.

وأما ما كان فهي الأمور المصنعة للكمال الشخصي والتوعّي في الدارين، إذ لا يحصل كمال الشخص إلا بالعلم والعمل، ولا كمال النوع إلا بالسيف والقلم.

أَمَّا الْأَوَّلُ فَظَاهِرٌ، وأما الثاني فلأن الإنسان مدني بالطبع، محتاج إلى التعامل والتعاون، لا تمكن معيشته إلا بالاجتماع، والنفس: إما خيرة أحرار بالطبع، مستقادة للشرع، وإما سريرة عبيد بالطبع، آية للشرع.

فَالْأَوَّلُ يَكْفِيهَا فِي التَّلَوُّكِ طَرِيقُ الْكَمَالِ وَالْعَمَلُ بِالْعَدَالَةِ وَاللَّطْفِ وَسِيَّاسَةِ الشَّرْعِ، والثانية لابد لها من الفهر وسياسة الملك. (١٦: ٥٦٩٣)

الْعُبَّاطِيَّاتُ : أي بالآيات البينات التي يتبين بها أنهم مرسلون من جانب الله سبحانه، من المعجزات الباهرة والبيارات الواضحة والمعجز القاطعة.

(١٩١: ١٧١)

مُحَمَّدٌ حَمِيدٌ فَضَّلَ اللَّهُ : التي يقتنع فيها العقل بحقائق العقيدة وجدية الشريعة، بالأدلة الواضحة التي تسقط أمامها كل الشبهات، لأن الله لا يريد للناس أن يؤمنوا بالإيمان الأعمى الذي يسلم بالفكرة، من دون قناعة فكرية مرتكزة على الحقيقة والبرهان.

لَأنَّ مِثْلَ هَذَا الْإِيمَانِ لَا يُوحِي لِلْإِنْسَانِ بِاحْتِرَامِ نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ، ولا يوحى له باحترام العقيدة التي يؤمن بها، مما يجعل مسألة «الإيمان» في الوعي القرآني، مسألة تتصل بالعقل والشعور، ليتحرك العقل في المعادلات الفكرية، وليطلق الشعور في الإيماءات الشعورية، في ما يمثل حركة العقل والشعور في الإيمان بالحقيقة الفكرية الشعورية.

نحوه البتوي. (٤: ١٦٤)
الزجاج: قال ذلك لأنه كانت في لسان موسى عليه
السلام، والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين مبيتون بلفاء.
(٤: ٤١٥)

نحوه الزخسري. (٣: ٤٩٢)
الماوردي: أي بينهم. (٥: ٢٣)
الطوسي: وقيل: إنه كان احترق لسانه بالجر
الذي وضعه في فيه. حين أراد أن يستبر فرعون عقله لما
ظلم وجهه. وأراد أن يأخذ غير النار. فصرف جبرائيل
يده إلى النار. فدفع عنه القتل. (٩: ٢٠٧)

المنبدي: أي لا يكاد ينصح بكلامه. للثقة التي في
لسانه. كان موسى عليه السلام بليغاً فصيحاً. وكانت عليه
جلالة ومهابة وملاحة. غير أن لسانه كانت به عقدة.
فلما قال: ﴿وَاخْلُقْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ طه: ٢٧. قيل له:
﴿أَوْبَيْتَ سُؤْلَكَ﴾ طه: ٣٦. فبقيت منها الثقة. (٩: ٧١)
الطوفي: جعل عدم البيان صفة نقص لا يعمأ بمن
قامت به. ووجه الحجّة منه أنه أدرك ذلك ببديته.
ووافقه عليه أهل عصره. فدلّ على أنه بديهي متقرر في
النفوس. كالتقص بالخرس والعمى والشلل. فلزم
بالضرورة أن يكون البيان صفة كمال يجب أن تعظم من
قامت به. (الإكسير في علم التفسير: ٣٥)

أبو حنيفة: الجمهور أنه كان بلسانه بعض شيء من
أثر الجحرة. ومن ذهب إلى أن الله كان أجابه في سؤاله
﴿وَاخْلُقْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾. فلم يبق لها أثر. جعل
انتفاء الإبانة بآته لا يبين حجته الدالة على صدقه فيما
يدّعي. لأنه لا قدرة له على إيضاح المعنى لأجل كلامه.

وقد لا يكون من المفروض أن تكون مفردات الإيمان
عقلية في ذاتها، بل يكفي أن تكون عقلية في مرتكزاتها
ومواقفها الفكرية. (٢٢: ٤٥)

يُبين

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ.
الزخرف: ٥٢
الحسن: كان في لسانه ثقل. فذهب إلى ما كان عليه
أولاً. (الطوسي: ٩: ٢٠٨)

نحوه الطبرسي. (٥: ٥١)
كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله. كما
قال شعيراً عن نفسه: ﴿وَاخْلُقْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ طه:
٢٧. ثم قال: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ طه: ٣٦.
ولما غيره بما كان في لسانه قبل. (الطبرسي: ٥: ٥١)
نحوه ابن عطية (٥: ٥٩). والفخر الرازي (٢٧:
٢١٨). وأبو السمر (٦: ٣٧). والطباطبائي (١٨: ١١٠)
قتادة: أي صبي اللسان. (الطبرسي: ٢٥: ٨٢)
نحوه الطبرسي. (٢٥: ٨٢)

كانت في لسانه آفة.
مثله الشدي. (الطوسي: ٩: ٢٠٧)
الشدي: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام.

(الطبرسي: ٢٥: ٨٢)
الثوري: ثقل اللسان. لجحرة كان وضعها في فيه
وهو صغير. (الماوردي: ٥: ٢٣٠)

الجهناني: كان في لسانه ثقة. فرفع الله تعالى وقي
فيه ثقل. (الطبرسي: ٥: ٥١)

وقيل: صابه بما كان عليه موسى من الخسة أيام كان عند فرعون، فنُسب إلى ما عهده مبالغة في التعبير.

وقول فرعون: ﴿وَلَا يَكْذِبُ﴾ كذب بحت، ألا ترى إلى مناظرته له، وردة عليه وإفحامه بالحجة، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم بلغاء.

وقرأ الباقر: (يُبين) بفتح الياء من بَانَ، إذا ظهر.

(٢٣: ٨)

نحوه الخازن (٦: ١١٥)، والشربيني (٣: ٥٦٧)، والبروسوي (٨: ٣٧٨)، والآلوسي (٢٥: ٨٩)، والمراغي (٢٥: ٩٩).

مكارم الشيرازي: وبهذا يكون قد خسر نفسه بافتخارين عظيمين: حكومة مصر، وملكه النيل، وذكر موسى نقطتي ضعف: الفقر، ولكنة اللسان.

هذا في الوقت الذي لم يكن بموسى أئمة لكثرة هذا اللسان، لأن الله تعالى قد استجاب دعاءه، ورفع عنه عقدة لسانه، لأنه سأل ربه عند البعثة أن: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ طه: ٢٧، ومن المسلم أن دعاءه قد استجاب، والقرآن شاهد على ذلك أيضاً. (١٦: ٧٠)

عدو مبين

١-... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. البقرة: ١٦٨.

الطبري: يعني أنه قد أبان لكم عداوته بإبائه عن السجود لأبيكم، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة، واستزله بالخطيئة، وأكل من الشجرة. (٢: ٧٦)

نحوه البقوي (١: ١٩٨)، وأبو حيان (١: ٤٧٩)،

والشربيني (١: ١١١).

الماوردي: أي ظاهر العداوة. (١: ٢٢٠)

نحوه الزمخشري (١: ٣٢٧)، والنيسابوري (٢: ٦٤)، الطوسي: معناه أنه مظهر العداوة بما يدعو إليه، من خلاف الطاعة لله التي فيها النجاة من الهلاك، والفوز بالجنة. (٢: ٧٢)

نحوه الطبرسي. (١: ٢٥٢)

أبو السعود: تحليل للنهي، أي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة، وإن كان يظهر الولاية لمن يُعوي به، ولذلك سمي ولًا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(١: ٢٢٩)

٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ.

البقرة: ٢٠٨

الجبائي: أبان عداوته لأدم والملائكة عليهم السلام، فكان بذلك مبيناً لعداوته إيانا. (الطوسي ٢: ١٨٧)

نحوه الطوسي (٢: ١٨٧)، والطبرسي (١: ٣٠٢)، والمرآهي (٢: ١١٥).

أبو مسلم الأصفهاني: إن (مبين) من صفات البليغ الذي يُعرب عن ضميره. (الفخر الرازي ٥: ٢٢٨)

الماوردي: فيه تأويلان:

أحدهما: مبين لنفسه، والآخر: مبين بعدوانه.

(١: ٢٦٨)

نحوه ابن عطية. (١: ٢٨٣)

الفخر الرازي: [نقل قول أبي مسلم الأصفهاني ثم

قال:

وأقول: الذي يدلّ على صحة هذا المعنى قوله:
﴿خَم • وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الزخرف: ١، ٢. ولا يعني
بقوله: «مبيناً» إلا ذلك.

فإن قيل: كيف يمكن وصف الشيطان بأنه (مبين)
مع أننا لا نرى ذاته ولا نسمع كلامه؟
قلنا: إن الله لما بين عداوته لآدم ونسله، فلذلك
الأمر صريح أن يوصف بأنه (عدوٌ مبين) وإن لم يشاهد،
ومثاله: من يظهر عداوته لرجل في بلد بعيد، فقد يصحّ
أن يقال: إن فلاناً عدوٌ مبين لك، وإن لم يشاهده في
الحال.

وعندي فيه وجه آخر، وهو أن الأصل في الإبانة:
القطع، والبيان إنما سمي بياناً لهذا المعنى، فإنه يقطع ببعض
الاحتمالات عن بعض، فوصف الشيطان بأنه (مبين)
معناه أنه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه
ورضوانه. (٢٢٨: ٥)
نحوه الخازن. (١٦٦: ١)
الشربيني: ظاهر العداوة. (١٣٦: ١)
نحوه أبو السمر (٢٥٦: ١)، والبروسوي (٣٢٥: ١).
وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ الأنعام: ١٤٢.

كتاب مبين

١... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ.

المائدة: ١٥

الطبري: يعني كتاباً فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم

من: توحيد الله، وحلاله وحرامه، وشرائع دينه.

(١٦٦: ٦)
البغوي: أي بين، وقيل: (مبين) وهو القرآن.
(٣٢: ٢)
الزمخشري: يريد القرآن، لكشفه ظلمات الشرك
والنك، ولاياته ما كان خافياً عن الناس من الحق، أو
لأنه ظاهر الإعجاز. (٦٠١: ١)
نحوه القرطبي (١١٨: ٦)، والشربيني (١: ٣٦٣).
وأبو السمر (٢: ٢٥٦)، والبروسوي (٢: ٣٦٩).
والقاسمي (٦: ١٩٢١)، والمراغي (٦: ٨٠).

٢- وَلَا تَزُكُّوا فِي كِتَابِ مُبِينٍ.

الأنعام: ٥٩
الطبري: وأنه بين من صحة ما هو فيه، بوجود
ما زك في هل ما زك. (٢١٣: ٧)
البلخي: أي هو محفوظ غير منسي ولا مفلول، كما
يقول القائل لصاحبه: ما نصحني عندي مسطر مكتوب،
وإنما يريد بذلك أنه حافظ له، يريد مكافأته عليه.
(الطوسي: ٤: ١٦٨)
راجع «ك ت ب» (كتاب مبين)

٣- وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي

كتاب مبين. (٢٥: ٢٥)
الطبري: يعني بقوله: (مبين) أنه بين لمن نظر إليه،
وقرأ ما فيه، مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه. (١١: ٢٠)
الطوسي: معنى «في كتاب مبين» أي هو محفوظ

لا يناء، كما يقول القائل: أفعالك عندي مكنونة، أي محفوظة. (١١٥: ٨)

الرَّمْخَشَرِيُّ: في اللوح المبين، الظاهر البين لمن ينظر فيها من الملائكة. (١٥٩: ٣)

مثله الفخر الرازي (٢٤: ٢٦٥)، والشريفي (٣: ٧٣).

أبو السَّعُود: أي بين أو مبين لما فيه، لمن يطالعه. (١٠٠: ٥)

مثله الأكوسي. (١٧: ٢٠)

راجع «ك ت ب» (كتاب مبين)

الفارق يفرق بين أحوال الخلق، فيجعل قريبًا في الجنة وغريبًا في السَّعِير. (٥٠: ٢٦)

وتمام الكلام تقدّم في «أ م م» (إمام مبين) فراجع.

سُلْطَانٌ مُبِينٌ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ.

هود: ٩٦

راجع «سَلَطَ» (سلطان مبين).

شَهَابٌ مُبِينٌ

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَى السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ.

الحجر: ١٨

الطَّبْرِيُّ: بين أمره فيه، إما بإخباله وإفساده، أو بإحراقه. (١٤: ١٤)

الرَّمْخَشَرِيُّ: ظاهر للمبصرين. (٣٨٩: ٢)

نحوه النيسابوري (١٤: ١٢)، والبروسوي (٤: ٤٤).

والأكوسي (١٤: ٢٣)

راجع «ش ه ب» (شهاب مبين).

ثُعْبَانٌ مُبِينٌ

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ.

الأعراف: ١٠٧

الطَّبْرِيُّ: تبين لمن يراها أنها حية. (١٤: ٩)

الزَّجَّاج: أي مبين أنها حية. (٣٦٣: ٢)

نحوه الطوسي (٤: ٥٢٣)، والقرطبي (٧: ٢٥٧)

إِمَامٌ مُبِينٌ

١- فَأَتَتْهُمْ قُنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ كَلِمَاتٍ مُبِينٍ. الحجر: ٧٩

الطَّبْرِيُّ: بين لمن انتم به استقامته. (١٤: ٤٨)

الفخر الرازي: يحتمل أنه مبين في نفسه، ويحتمل

أنه مبين لغيره، لأن الطريق يهدي إلى المقصد.

(١٩: ٢٠٤)

وهناك أبحاث راجع «أ م م» (إمام).

٢-... وَكُلُّ شَيْءٍ أَخَصِيَّنَا فِي إِمَامٍ مُبِينٍ.

يس: ١٢

الحسن: أراد به صفات الأعمال، وسمي ذلك

مبينًا لأنه لا يدرس أمره. (الطبرسي ٤: ٤١٨)

الطَّبْرِيُّ: (مبين) لأنه يبين عن حقيقة جميع

ما أثبت فيه. (٢٢: ١٥٥)

الفخر الرازي: والمبين هو المظهر للأمور، لكونه

مظهرًا للملائكة ما يفعلون، ولأناس ما يفعل بهم، وهو

سحر مبین

- ...إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُبِينٌ. يونس: ٧٦
 الطَّبْرِي: إِنَّهُ يُبَيِّنُ لِمَنْ رَأَاهُ وَعَايَنَهُ، أَنَّهُ سِحْرٌ
 لا حقيقة له. (١١: ١٤٥)
 نحوه المِرَاقِبِي. (١١: ١٤١)
 الخازن: يعني: إِنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى سِحْرٌ
 مُبِينٌ، يُمْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ. (٣: ١٦٥)
 نحوه البرُوسَوِي. (٤: ٦٩)
 الشَّريفي: أَي بَيِّنُ ظَاهِرٍ، يُمْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَقَّ أَجَدُّ شَيْءٍ مِنَ السَّحْرِ، الَّذِي لَا يَظْهَرُ إِلَّا
 عَلَى كَيْفَرٍ أَوْ فَاسِقٍ. (٢: ٣١)
 أبو الشعود: أَي ظَاهِرٌ كَوْنُهُ سِحْرًا، أَوْ فَنَائِقٌ فِي
 بَيَانِهِ، وَأَخْبَرَ قَلِيًّا مِنْ أَهْلِهِ. (٣: ٢٦٥)
 نحوه الأَكْوَسي. (١١: ١٦٣)

خصيم مبین

- ١- خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَئَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ.
 التحل: ٨
 الطَّبْرِي: يَمْنِي بِالْمُبِينِ: أَنَّهُ يَبَيِّنُ عَنْ خُصُومَتِهِ
 بِمَنْطِقَةٍ، وَيَجَادِلُ بِلِسَانِهِ، فَذَلِكَ إِبَانَتُهُ. (١٤: ٧٨)
 الماوردي: وَالْمُبِينُ هُوَ الْمُفْصَحُ حَقًّا فِي ضَمِيرِهِ.
 (٣: ١٧٩)
 الصَّبْغِي: يَبَيِّنُ مَا فِي ضَمِيرِهِ مِنَ الْكُفْرِ. (٥: ٣٥٥)
 القُرْطُبي: أَي ظَاهِرُ الْخُصُومَةِ. (١٠: ١٦٨)
 لاحظ «خ ص م» (خصيم)

الرُّؤْيَا مُخْشَرِي: ظَاهِرٌ أَمْرِهِ، لَا يَشْكُ فِي أَنَّهُ ثَعْبَانٌ.

- (٢: ١٠١)
 نحوه البرُوسَوِي. (٣: ٢١١)
 ابن قُطَيْبَةَ: مَعْنَاهُ لَا تُخَيِّلُ فِيهِ، بَلْ هُوَ بَيِّنٌ أَنَّهُ
 حَقِيقَةٌ. (٢: ٤٣٦)
 الطَّبْرِي: أَي حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، بَيِّنٌ ظَاهِرٌ أَنَّهُ ثَعْبَانٌ
 بِحَيْثُ لَا يَشْتَبَهُ عَلَى النَّاسِ، وَلَمْ يَكُنْ يَخَيَّلُ أَنَّهُ حَيَّةٌ،
 وَلَيْسَ بِحَيَّةٍ. (٢: ٤٥٨)
 نحوه أَبُو حَتَّانٍ (٤: ٣٥٧)، وَرَشِيدُ رِضَا (٩: ٤٤).
 الفُخْرُ الرَّازِي: فِي وَصْفِ ذَلِكَ الثَّعْبَانِ يَكُونُهُ
 «مُبِينًا» وَجُودُهُ.

الأول: تَمَيِّزُ ذَلِكَ حَقًّا جَاءَتْ بِهِ السَّحَرَةُ مِنْ
 التَّمْوِيهِ الَّذِي يَلْبَسُ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ سِيَّهُ، وَبِذَلِكَ
 تَمَيِّزُ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْحَيْلِ وَالتَّمْوِيهِاتِ
 والثَّانِي: [قَوْلُ الطَّبْرِيِّ وَفَدَّ تَقْدِمَ]

- الثَّالِثُ: الْمُرَادُ أَنَّ ذَلِكَ الثَّعْبَانِ أَبَانَ قَوْلَ مُوسَى عَلَيْهِ
 عَنْ قَوْلِ الْمُدَّعِي الْكَاذِبِ. (١٤: ١٩٥)
 نحوه النَّيْسَابُورِي. (٩: ٢٢)
 أبو الشعود: [قَالَ نَحْوُ الزُّعْمَرِيِّ وَأَضَافَ:]
 وَإِثَارُ الْجَمَلَةِ الْأَسْمِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كِبَالِ سُرْعَةِ
 الْإِتْقَالِ، وَثَبَاتِ وَصْفِ الثَّعْبَانِيَّةِ فِيهَا، كَأَنَّهَا فِي الْأَصْلِ
 كَذَلِكَ. (٣: ١٥)
 نحوه الْأَكْوَسي. (٩: ٢٠)
 وَفِيهِ أبحاثٌ رَاجِعَةٌ «تَعْبَةً» (ثَعْبَانٌ)

٢... وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ. الزخرف: ١٨

الضَّعْفُ: التَّسْكُوتُ عَنِ الْجَوَابِ.

مثله ابن زيد. (الماوردي: ٥: ٢٢٠)

فَتَادَةُ: قَلْبًا تَتَكَلَّمُ امْرَأَةٌ فَتَرِيدُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِحُجَّتِهَا.

إِلَّا تَكَلَّمْتَ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهَا. (الطبري: ٢٥: ٥٧)

السُّدِّي: قَلَّةُ الْبَلَاغَةِ. (الماوردي: ٥: ٢٢٠)

ابن زيد: لَا يَتَكَلَّمُ. (الطبري: ٢٥: ٥٧)

الرَّجَاجُ: يَعْنِي الْبِنَاتُ، أَيْ الْأُنثَى لَا تَكَادُ تَسْتَوِي

الْحُجَّةَ وَلَا تَبِينُ. وَقَدْ قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: إِنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَكَادُ

تَحْتِجُ بِحُجَّةٍ إِلَّا عَلَيْهَا، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ يَعْنِي بِهِ الْأَصْنَافُ.

وَالْأَجُودُ أَنْ يَكُونَ يَعْنِي بِهِ الْمُؤْتَى. (٤: ٤٠٧)

الطُّوسِي: فِي حَالِ الْمَصْرُومَةِ، فَهُوَ نَاقِصٌ مِمَّنْ هُوَ

بِخِلَافِ هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الشَّيْءِ، عَلَى مَا يَصْلُحُ لِلتَّجْدَالِ.

وَدَفَعَ الْمَصْرُومَ الْإِلَّهَ بِحَسَنِ الْبَيَانِ عِنْدَ الْمَصْرُومَةِ.

(٩١: ١٨٩)

الْبَغْوِيُّ: غَيْرُ مُبِينٍ لِلْحُجَّةِ مِنْ ضَعْفِهِمْ وَضَعْفِهِمْ.

(٤: ١٥٦)

مثله الميبدي (٩: ٥٥)، ونحوه الخازن (٦: ١١٠).

الرَّامُثُشَرِيُّ: لَيْسَ عَنْدهُ بَيَانٌ، وَلَا بَأْسٌ بِبِرْهَانٍ

يَحْتِجُ بِهِ مَنْ يَخْصَمُهُ، وَذَلِكَ لِضَعْفِ عَقُولِ النِّسَاءِ.

وَنَقَصَانِهِنَّ عَنِ فِطْرَةِ الرِّجَالِ. (٣: ٤٨٣)

نحوه الفخر الرازي (٢٧: ٢٠٢)، وأبو الشموذ (٦:

٢٩)، والبرزوسوي (٨: ٣٥٨)، والأكوسي (٢٥: ٧٠)،

والطباطبائي (١٨: ٩٠).

عبد الكريم الخطيب: والمراد بالإبانة في قوله

تعالى: «وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ» الكشف والتجلية،

والإفصاح عن القوة حين تدعو دواعيها، وتعرض في

بجال الامتحان. (١٢: ١١٦)

وله بحث راجع من شأه (يَنْشَأُ).

ظلال مبين

...بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. لقمان: ١١

الطُّبْرِيُّ: يَبِينُ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ وَنَظَرَ فِيهِ، وَفَكَرَّ بِعَقْلِ.

أَنَّهُ ضَلَالٌ لَاهِدِي. (٢١: ٦٦)

راجع «ض ل ل» (ضَلَالٍ مُبِينٍ).

الفوز المبين

...مَنْ يُضَرْفُ غَنَةً يَوْعِدُهَا فَلَقَدْ رَجَعْتُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ

المُبِينُ. الأنعام: ١٦

الطُّبْرِيُّ: (المُبِينُ) يَعْنِي الَّذِي يَبِينُ لِمَنْ رَأَاهُ أَنَّهُ الظَّفَرُ

بِالْحَاجَةِ، وَإِدْرَاكُ الطَّلْبَةِ. (٧: ١٦٠)

أَبُو حَتِيَّانَ: (وَالْمُبِينُ): الْبَيِّنُ فِي نَفْسِهِ، أَوِ الْمُبِينُ

خَيْرُهُ. (٤: ٨٧)

راجع «ف و ز» (الفوز).

الكتاب المبين

١- أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُبِينُ. يوسف: ١

معاذ بن جبل: يَبِينُ الْحُرُوفَ الَّتِي سَقَطَتْ عَنْ

أَلْسِنِ الْأَعَاجِمِ، وَهِيَ سِتَّةُ أَحْرَفٍ. (الطبري: ١٢: ١٤٩)

مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ: الْمَظْهَرُ لِحَالِ اللَّهِ وَحُرَامِهِ، وَالْمَعَانِي

المرادة به.

- مثله فتادة. (الطوسي ٦: ٩٢)
- نحوه الطبري (١٢: ١٤٩)، والبغوي (٢: ٤٧٣).
- والقرطبي (٩: ١١٨).
- فتادة: بين الله رشده وهداه. (الطبري ١٢: ١٤٩)
- الزجاج: (المبين) الذي وعدتم به في السورة كما قال: ﴿السم﴾ ذلك الكتاب البقرة: ١، ٢. (٣: ٨٧)
- مبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام.
- (البغوي ٢: ٤٧٣)
- المبيد: كتاب ظاهر، يبين الحق من الباطل.
- ويبين ما فيه لكم حاجة من الدين.
- وقيل: معنى (المبين) إنه ظاهر في نفسه إنه كلام الله.
- وأبان: لازم ومنتد. (٥: ٣٩)
- الزخشري: أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة، آيات السورة الظاهر أمرها في بعض أحوال العرب وتبكيهم، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله، لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا تشبه على العرب معانيها، لغزوها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف. (٢: ٢٠٠)
- ابن عطية: ووصفه بالمبين) قيل: من جهة أحكامه وحلاله وحرامه، وقيل: من جهة مواعظه وهداه ونوره، وقيل: من جهة بيان اللسان العربي وجودته، إذ فيه ستة أحرف لم تجتمع في لسان، ويحتمل أن يكون ميثاق النبوة محمد بإعجازه.
- والصواب أنه مبين بجميع هذه الوجوه. (٣: ٢١٨)
- نحوه محمد جواد مغنية. (٤: ٢٨٦)
- الفخر الرازي: إنما وصف القرآن بكونه «مبيناً» لوجوه:
- [الأول والثاني تقدمتا في كلام ابن عطية]
- الثالث: أنه بيّن فيه قصص الأولين، وشرحت فيه أحوال المتقدمين. (١٨: ٨٣)
- نحوه أبو حيان (٥: ٢٧٧)، والشربيني (٢: ٨٧).
- التيماهوري: [ذكر نحو الزخشري وأضاف:] أقول: مدار هذه التفسير على أن «أبان» لازم ومنتد، يقال: أبان الشيء، وأبان هو بنفسه. (١٢: ٨٠)
- أبو السعود: من «أبان» بمعنى بان، أي الظاهر أمره في كونه من عند الله تعالى. وفي إعجازه بنوعه، لا سيما الإخبار عن النبي، أو الواضح معانيه للعرب، بحيث لا يشك عليهم حقائقه، ولا يلتبس لديهم دلائله.
- لنفسه لم يسل لتهم.
- أو بمعنى يبين، أي المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت، وأسرار التنائين في الدارين، وغير ذلك من الهيكم والمعارف والقصص. وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة؛ فإياته: إنبأوه عن قصة يوسف عليه السلام. (٣: ٣٦٢)
- نحوه المراهي (١٢: ١١٢)، ورشيد رضا (١٢: ٢٥١).
- البرصوسي: [قال نحو أبي السعود وأضاف:] وفي «بحر العلوم»: الكتاب المبين هو اللوح، وإياته: إنه قد كتب، ويُن في كل ما هو كائن، فهو يُبينه للناظرين فيه إياته. (٤: ٢٠٨)
- الآلوسي: [نحو أبي السعود وأضاف:] وكأنه على المعين حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فارتفع واستقر، ولا يحد هذا من حذف

«الفاعل» المحظور فلاحاجة إلى القول: بأن الإسناد مجازي فراراً منه.

أو بمعنى بين بمعنى أظهر، فهو متعد، والمفعول مقدر، أي المظهر مافيه هدى ورشد.

أو ماسألت عنه اليهود، أو ماأمرت أن تسأل عنه من السبب الذي أحلّ بني إسرائيل بمصر.

أو الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملوك وأسرار النشأتين، وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص.

الطَّبَاطِبَاثِي: والظاهر أن يكون المراد بـ«الكتاب المبين» هذا القرآن المتلو، وهو مبين واضح في نفسه ومبين موضع لغيره، ماضته الله تعالى من المعارف الإلهية وحقائق المبدأ والمعاد.

وقد وصف (الكتاب) في الآية بـ«الكتاب الحكيم» قوله في أول سورة يونس: ﴿يَلْكَ أَيْتَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾، لكون هذه السورة نازلة في شأن قصة آل يعقوب وبياناتها، ومن المحتمل أن يكون المراد بـ«الكتاب المبين»: اللوح المحفوظ.

هبد الكريم الخطيب: وفي وصف (الكتاب) هنا بأنه (مبين) تأكيد لوصفه بأنه (حكيم)، وبأنه «كتاب أخركت أياته».

٢- يَلْكَ أَيْتَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. القصص: ٢
قتادة: مبين والله بركته ورشده وهدهد.

(الطبري: ٢٠: ٢٦)

الطبري: المبين أنه من عند الله، وأنت لم تنفوه و

لم تنفرضه. (٢٠: ٢٦)

الزجاج: فمبين: مبين خيره وبركته، ومبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ومبين أن نبوة النبي ﷺ حق، لأنه لا يقدر أحد بمثله، ومبين قصص الأنبياء.

نحو الطوسي (٨: ١٢٨)، والطبرسي (٤: ٢٣٩)، والتلي (٣: ٢٢٥)، والشريبي (٣: ٧٩) والططاوي (٤: ١٧).

الفخر الرازي: وصفه بأنه مبين، لأنه بين فيه الحلال والحرام، أو لأنه بين فصاحته أنه من كلام الله دون كلام العباد، أو لأنه بين صدق نبوة محمد ﷺ، أو لأنه بين خبر الأولين والآخرين، أو لأنه بين كيفية التخلص عن شبهات أهل الضلال.

نحو الطبرسي (١٣: ٢٤٧)، والمراغي (٢٠: ٣٦). البروصوي: آيات مخصوصة من القرآن، الظاهر إعجازه.

وهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿يَلْكَ أَيْتَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الشراء: ٢، وقوله تعالى: ﴿خَمُ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الزخرف: ٢.

الفضل المبين

...إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ. التمل: ١٦
الطبري: الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل، أعطاه على من سوانا من الناس.

الطبرسي: أي هذا فضل الله الظاهر الذي لا يمتنع على أحد، وهذا قول سليمان، على وجه الاعتراف بنعم

الله عليه.

ويحتمل أن يكون من قول الله سبحانه على وجه الإخبار، بأن ما ذكره هو (الفضلُ المُبين). (٢١٤: ٤) الشَّريفي: أي البين في نفسه لكل من ينظره الموضح لعلَّ قدر صاحبه. (٤٧: ٣) أبو الشعود: الواضح الذي لا يخفى على أحد، أو أن هذا الفضل الذي أوتي به هو (الفضلُ المُبين)، على أنه عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والحمد.

(٧٥: ٥)

نحوه البروسوي (٣٣١: ٦)، والآلوسي (١٩: ١٧٣)، والمرآغي (١٢٨: ١٩).

ابن باديس: (المُبين): الظاهر الذي لا يخفى به. (٤٢٤)

الحق المبين

فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

العمل: ٧٩

الطُّوسِي: الظاهر البين في ما تدور إليه. (١١٧: ٨) الفخر الرازي: وفيه بيان أن الحق حقيق بنصرة الله تعالى، وأنه لا يُخْذَل.

القرطبي: أي الظاهر، وقيل: المظهر لمن تدبر وجه الصواب. (٢٣٢: ١٣)

الشَّريفي: أي البين في نفسه الموضح لغيره، فصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى ونصره.

(٧٣: ٣)

أبو الشعود: تعليل صريح للثوكل عليه تعالى.

يكونه عليه الصلاة والسلام على الحق البين، أو الفاصل بينه وبين الباطل، أو بين الحق والمطل؛ فإنَّ كونه عليه الصلاة والسلام كذلك، مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأيد، لا محالة. (١٠١: ٥) مثله الآلوسي. (١٩: ٢٠)

القاسمي: أي الأبلج الذي لا ريب فيه.

(٤٦٨٥: ١٣)

البلاغ المبين

وَنَاعَلَيْنَا لِلْبَلَاغِ الْمُبِينِ.

الماوردي: يعني بالإيجاز الدالَّ على صحة الرسالة: أن الذي على الرسل إبلاغ الرسالة، وليس عليهم الإجابة، وإنما الإجابة على المدعوين دون المدعين. (١١: ٥)

الطُّوسِي: (المُبين) صفة للبلاغ، وهو الظاهر

الذي لا شبهة فيه، فقالوا لهم في الجواب عن ذلك حين عجزوا عن إيراد شبهتهم، وعدلوا عن النظر في معجزهم: «إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ» يس: ١٨. (٤٤٩: ٨) الرَّسْخُفِيُّ: أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته، وإلا فلو قال المدعي: والله إنِّي لصادق فيما أدعي ولم يحضر البيعة، كان قبيحا. (٣١٨: ٣) نحوه أبو الشعود (٢٩٤: ٥)، والبروسوي (٣٨٠: ٧)، والقاسمي (٤٩٩٦: ١٤).

الفخر الرازي: (المُبين) يحتمل أموراً:

أحدها: البلاغ المبين للحق من الباطل، أي الفارق

بالمعجزة والبرهان.

وثانيها: البلاغ المظهر لما أرسلنا للكل، أي لا يمكن أن نبليغ الرسالة إلى شخص أو شخصين.

وثالثها: البلاغ المظهر للحق بكل ما يمكن، فإذا تم ذلك ولم يقبلوا بحق هنالك الهلاك. (٥٣: ٦)

أبو حنيفة: ووصف البلاغ بالمبين وهو الواضح بالآيات الشاهدة بصحة الإرسال، كما روي في هذه القصة من المعجزات الدالة على صدق الرسل من: إراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الميت. (٣٢٧: ٧)

نحوه الشريبي: ألا تبليغ رسالته تعالى تطبيقاً ظاهراً بيئياً بحيث لا يخفى على سامعه، ولا يقل التأويل والمحمل على خلاف المراد أصلاً وقد خرجنا من عبدة. فلامواخذة علينا من جهة ربنا، كذا قيل.

والأولى أن يفسر «التبليغ المبين» بما قرئ بالآيات الشاهدة على الصحة، وهم قد آمنوا كذلك، بناء على ما روي من أنهم أبرأوا الأكمه وأحيوا الميت، أو أنهم فعلوا خارقاً غير ما ذكر ولم يستقل لنا، ولم يلتزم في الكتاب الجليل ولا في الآثار ذكر خارق كل رسول كما لا يخفى.

ثم إن ذلك إما معجزة لهم على القول: بأنهم رسل الله تعالى بدون واسطة، أو كرامة لهم معجزة لمسلهم عيسى عليه السلام على القول: بأنهم رسله عليه السلام.

والمعنى: ما علينا من جهة ربنا إلا التبليغ البين بالآيات، وقد فعلنا فلامواخذة علينا، أو ما علينا شيء فطالب به من جهتك إلا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور، وقد بلغنا كذلك، فأني شيء تطلبون منا حتى

تصدقونا بدهوانا، ولكون تبليغهم كان بيئياً بهذا المعنى، حسن منهم الاستشهاد بالعلم، فلا تغفل. (٢٢٢: ٢٢)

البلاء المبين

إن هذا لهو البلاء المبين. الصافات: ١٠٦
الكلبي: النعمة البينة. (المأوردي: ٥: ٦٢)
ابن قتيبة: الاختبار العظيم. (المأوردي: ٥: ٦٢)
الطبري: هو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه، أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة. (٨٠: ٢٣)

الطوسي: والمبين هو البين في نفسه الظاهر، ويكون بمعنى الظاهر، ويكون بمعنى المظهر ما في الأمر من منبر أو سر. (٥١٩: ٨)

الزمخشري: الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون عن غيرهم، أو المحنة البينة الصعبة التي لا محنة أصعب منها. (٣٤٨: ٣)

مسئله الفخر الرازي (٢٦: ١٥٨)، وأبو حنيفة (٧: ٣٧٠)، وأبو الشموه (٥: ٣٣٥)، والبروسوي (٧: ٤٧٦)، والكلبي (٢٣: ١٣١)...

وفيه مطالب أخرى. راجع «بلو» (البلاء).

إثماً شبيهاً

١- أَنْظُرْ كَيْفَ يُفَكِّرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكُنِيَ بِهِ إِثْمًا شَبِيهاً. النساء: ٥٠
الطبري: يعني أنه يبين كذبهم لسامعيه، ويوضح لهم أنهم أفكّة فجرة. (١٣٠: ٥)

أبو الشعود: ظاهرًا يبتًا كونه (ثًا). (١٤٩: ٢) ومضى المبين لغيره. (٥٧٣: ٥)
مثله ■ سمي. (١٣٢٢: ٥) راجع «س ل ط» (سلطانًا).

يَبْتُوا

٢- وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ
اِخْتَلَبَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. النساء: ١١٢
الطَّبْرِي: يعني أنه يبين عن أمر عمله وجراءته
على ربه، وتقدمه على خلافه فيما نهاه عنه، لمن يعرف
أمره. (٢٧٥: ٥)
الطُّوسِي: أي جرماً عظيماً. (٣٢٣: ٣)
الطَّبْرِي: أي ذنباً ظاهرًا يبتًا. (١٠٨: ٢)
الفخر الرازي: وقوله: (إِثْمًا مُبِينًا) إشارة إلى
ما يلحقه من العقاب العظيم في الآخرة. (٣٨: ١١)
أبو الشعود: أي يبتًا فاحشاً، وهو صفة لإثم
(١٩٥: ٢)
مثله البروسوي (٢٨١: ٢)، والقاسمي (١٥٤٠: ٥).

نُورًا مُبِينًا

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا. النساء: ١٧٤
راجع «ن و ر» (نُورًا).

سُلْطَانًا مُبِينًا

...أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا.
النساء: ١٤٤
الطَّبْرِي: يعني عن صحتها وحقيقتها. (٣٣٧: ٥)
رشيد رضا: يستعمل المبين بمعنى البين في نفسه،
نحو الزمخشري (٣٢٥: ١)، وابن عطية (٢٣١: ١).
الطَّبْرِي: [نحو الطُّوسِي وأضاف]

إِنَّ مَنْ ارْتَكَبَ الْمَعْصِيَةَ سِرًّا كَفَاءَ التَّوْبَةِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ الْمَعْصِيَةَ بِجَبِّ عَلَيْهِ أَنْ يَظْهَرَ التَّوْبَةَ . وَقِيلَ : (يَتُوبُوا) التَّوْبَةُ بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ . (١ : ٢٤٢)

الْقُرْطُبِيُّ : قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ : (وَيَتُوبُوا) أَيِ بَكْرِ الْخُتْمِ وَإِزَاقَتِهَا . وَقِيلَ : (يَتُوبُوا) يَعْنِي مَالِي التَّوْبَةِ مِنْ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَوَجُوبِ اتِّبَاعِهِ . وَالْمَعْمُومُ أَوَّلَى^(١) عَلَى مَا بَيَّنَّا ، أَيِ يَتُوبُوا خِلَافَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَافَهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . (٢ : ١٨٨)

نَحْوَهُ أَبُو حَتَّانَ .
أَبُو السُّعْدِ : (وَيَتُوبُوا) لِلنَّاسِ مَعَانِيهِ ، فَإِنَّهُ غَيْرُ الْإِصْلَاحِ الْمَذْكُورِ^(٢) .

أَوْ يَتُوبُوا لَهُمْ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ أَوَّلًا وَآخِرًا ، لِإِنَّهُ أَوْضَحُ فِي إِرْشَادِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ ، وَصَرِّحَهُمْ عَنْ طَرِيقِ الضَّلَالَةِ الَّذِي كَانُوا أَوْضَعَهُمْ فِيهِ .

أَوْ (يَتُوبُوا) تَوْبَتُهُمْ لِيُخَوِّبَهُ سَعَةً مَا كَانُوا فِيهِ ، وَيُقْتَدِي بِهِمْ أَضْرَائِهِمْ ؛ وَحَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ التَّوْبَةُ الْمَقْرُونَةُ بِالْإِصْلَاحِ وَالْتِّبَانِ مُسْتَلْزِمَةً لِلتَّوْبَةِ عَنِ الْكُفْرِ مَبِينَةً عَلَيْهَا ، لَمْ يَصْرَحْ بِالْإِيمَانِ . (١ : ٢٢٤)

الْبُزْؤُسَوِّيُّ : أَيِ مَا بَيَّنَّاهُ فِي كِتَابِهِمْ لَنَتَمَّ تَرْجُمَهُ ، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَرْكِ كُلِّ مَا لَا يَنْبَغِي ، وَفَعَلَ كُلُّ مَا يَنْبَغِي . (١ : ٢٦٥)

الْأَلُوسِيُّ : [نَحْوُ أَبِي السُّعْدِ وَأَضَافَ] :
وَفِيهِ : إِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ إِظْهَارَ التَّوْبَةِ إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ مَعْصِيَةِ الْمَتَابَعَةِ ، وَلَيْسَ شَرْطًا فِي التَّوْبَةِ عَنْ أَصْلِ الْمَعْصِيَةِ ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ .

(٢ : ٢٨)

رَشِيدٌ رَضَا : (وَيَتُوبُوا) مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ ، أَوْ يَتُوبُوا إِصْلَاحَهُمْ ، وَجَاهَرُوا بِجَهْلِهِمُ الصَّالِحَ وَأَظْهَرُوهُ لِلنَّاسِ . فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ وَلَكِنَّهُ يَكْتُمُ عَمَلَهُ ، وَيَسْرَرُهُ مُوَافَقَةً لِلنَّاسِ فِيهَا هُمْ فِيهِ ، لَثَلَا يَعْيِيهِ ، وَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ ، وَإِثَارُ الْخَلْقِ عَلَى الْحَقِّ ، لِذَلِكَ اشْتَرَطَ فِي تَوْبَتِهِمْ إِظْهَارَ إِصْلَاحِهِمْ وَالْجَاهِرَةَ بِأَعْمَالِهِمْ ، لِيَكُونُوا حُجَّةً عَلَى الْمُنْكَرِينَ ، وَقُدْوَةً صَالِحَةً لِمُضَاهَاةِ النَّاسِ . (٢ : ٥٠)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ : وَالْمُرَادُ بِتَقْيِيدِ تَوْبَتِهِمْ بِالتَّيْبَانِ : أَنَّ يَتُوبُوا أَمْرَهُمْ وَيُظَاهَرُوا بِالتَّوْبَةِ . وَلَا زَمَ ذَلِكَ أَنَّ يُتُوبُوا مَا كَتُمُوهُ لِلنَّاسِ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا كَاتِمِينَ ، وَإِلَّا فَلَمْ يَتُوبُوا بَعْدَ لَأَنَّهُمْ كَاتِمُونَ بَعْدَ بَيِّنَاتٍ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاتِمِينَ . (١ : ٣٩٠)
أَوْ هُنَاكَ أَيْضًا رَاجِعٌ «ت وَب» (تَابُوا) .

يَتُوبُوا

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ يَتُبُوا يَتُوبُوا لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ... الْبَقَرَةُ : ١٥٩
ابْنُ عَطِيَّةٍ : وَقَرَأَ طَلْحَةُ بْنُ صَرْفٍ (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ) عَلَى الْإِفْرَادِ . (١ : ٢٣١)
نَحْوَهُ أَبُو حَتَّانَ . (١ : ٤٥٨)

الْقُرْطُبِيُّ : الْكُنَايَةُ فِي (يَتُوبُوا) تَرْجِعُ إِلَى مَا أَنزَلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى . (٢ : ١٨٦)
الْبُزْؤُسَوِّيُّ : أَيِ أَوْضَحْنَاهُ وَلَخَصْنَاهُ . (١ : ٢٦٤)

(١) وَيُقْصَدُ بِهِ : «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا...»

(٢) أَيِ مَا لَمْ يَسُدُّوا ، بِأَنَّهُمْ أَزَالُوا الْكَلَامَ وَكَتَبُوا مَكَانَهُ سَاكِنًا أَوْ أَزَالُوهُ عِنْدَ الشَّرْطِ .

نحوه الألويسي.

(٢٧: ٢)

الطباطبائي: «مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّا لِلنَّاسِ» أفاد أن كتابهم إنما هو بعد البيان والتبيين للناس، لا هم فقط، وذلك أن التبيين لكل شخص شخص من أشخاص الناس أمر لا يحتمله النظام الموجود للموجود في هذا العالم، لا في الوحي فقط، بل في كل إعلام عمومي وتبيين مطلق، بل إنما يكون باتصال الخبر إلى بعض الناس من غير واسطة، وإلى بعض آخرين بواسطة، يتبلغ الحاضر الغائب، والعالم الجاهل، فالعالم يُدّ من وسائط البلوغ وأدواته، كاللسان والكلام، [إلى أن قال:]

فقد تبين أن الآية مبنيّة على الآية، أعني أن قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَنا مِنْ التَّيْيَاتِ وَالسُّهْدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ» الآية، مبنيّة على قوله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَنُحِيتْ بِهِمُ الْبُيُوتُ مَبْنِيَّةً وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مِنْهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ فِيهَا مَا خُفِيَ عَنْهُمْ فِيهِمْ إِلَّا الَّذِينَ أَوْثَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ مِنْهُنَّ» البقرة: ٢١٣، ومضيرة إلى جزاء هذا البني بذيها، وهو قوله: «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ» الخ، (٣٨٨: ١)

يُبَيِّن

١-... وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

البقرة: ٢٢١

الطّبري: ويوضح حججه وأدله في كتابه الذي أنزله على لسان رسوله لعباده. (٣٨٠: ٢) أبو حيان: أي يظهرها ويكشفها بحيث لا يحصل

فيها التباس، أي إن هذا التبيين ليس مختصاً بناس دون ناس، بل يظهر آياته لكل أحد رجاء أن يحصل بظهور الآيات تذكرة وانعاط، لأن الآية متى كانت جلية واضحة كانت بهذه أن يحصل بها التذكرة، فيحصل الامتثال لما دلت عليه تلك الآيات من مواهقة الأمر ومخالفة النهي.

(١٦٦: ٢)

نحوه رشيد رضا. (٣٥٧: ٢)

٢- كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ.

البقرة: ٢٤٢

الطّوسي: التبيين بقوله: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ» وقع على البيان الذي تخدم في الأحكام والمساواة والمواظع والآداب، وغير ذلك مما يحتاج الناس إلى فهمه، والصل عليه في أمر دينهم ودنياهم، شبه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي، والبيان: هو الأدلة التي يفرق بها بين الحق والباطل، وعبر عنه بأنه فعل يظهر به أمر على طريقة حسنة، وليس كلياً يظهر به غيره، مالا يأتيه، وقد يكون ذلك بكلام فاسد يفهم به المراد، فلا يستحق صفة بيان.

(٢٨١: ٢)

نحوه أبو حيان (٧٤٧: ٢)، ورشيد رضا (٤٥٣: ٢).

الطّبري: وعد بأنه سيبيّن لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه، معاشاً ومعاداً. (١٢٧: ١) نحوه البروسوي (٣٧٥: ١)، والألويسي (١٦٠: ٢)، والططاوي (٢١٨: ١).

٣... تَذِيبُكَ يُسَبِّحُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ نَعْلُكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ. البقرة: ٢٦٦

الطَّبَرِيُّ: كما بين لكم وتكم تبارك وتعالى أمر
الثَّفَاقَةِ في سبيله، وكيف وجهها، وما لكم وما ليس لكم
عمله فيها، كذلك بين لكم الآيات سوى ذلك، فيعرفكم
أحكامها وحلالها وحرامها، ويوضح لكم حججها،
إنعاشاً منه بذلك عليكم (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ). (٢: ٢٦٦)
نحوه الزَّجَّاج.

الماوردي: يحتمل وجهين: أحدهما: يوضح لكم
الدلائل، والثاني: يضرب لكم الأمثال. (١١: ٣٤١)

أبوحيان: أي مثل هذا البيان تُصرف الأمثال
المقربة الأشياء للذهن، بين لكم العلامات التي يوصل
بها إلى اتباع الحق. (٣٦٥: ٣٦٥)

٤... يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِيبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُبُلَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. النساء: ٢٦

القرطبي: وقال في موضع آخر: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٧، والرب يجعل اللام التي
صل معنى «كي» في موضع «أن» في «أردت وأمرت»
فتقول: أردت أن تذهب، وأردت لتذهب، وأمرتك أن
تقوم، وأمرتك لتقوم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْرًا
لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأنعام: ٧١، وقال في موضع
آخر: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ الأنعام:
١٤، وقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ الصَّف: ٨، ﴿وَأَنْ
يُطْفِئُوا﴾ التوبة: ٣٢.

وإنما صلحت اللام في موضع «أن» في «أمرتك»

و«أمرت» لأنها يطلبان المستقبل ولا يصلحان مع
الماضي، ألا ترى أنك تقول: أمرتك أن تقوم، ولا يصلح:
أمرتك أن قمت، فلما رأوا (أن) في غير هذين تكون
للماضي والمستقبل، استوثقوا لمعنى الاستقبال به «كي»
وباللام التي في معنى «كي»، وربما جمعوا بين التائين. [ثم
استشهد بشر]

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لِيُكَيِّلَ تَأْتُوا غَلِي
مًا تَكُمُ﴾ الحديد: ٢٢. [ثم استشهد بشر]
وإنما جمعوا بينهما لا تفاهماً في المعنى، واختلاف
لفظين. [ثم استشهد بشر]

وربما جمعوا بين «ما» و«لا» و«إن» التي على معنى
الجمع، أنشدني الكسائي في بعض البيوت:
* لا ما إن رأيت منك *

فجمع بين ثلاثة أحرف. [إل آخره فلاحظ]
(١: ٣٦١)

الطَّبَرِيُّ: [ذكر نحو القرءاء بتفاوت ثم قال:]
وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من
قال: إن «اللام» في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِيبَ لَكُمْ﴾ بمعنى
يريد الله أن يبين لكم، لما ذكرت من علّة من قال: إن
ذلك كذلك. (٥: ٢٧)

الزَّجَّاج: قال الكوفيون: معنى «اللام» معنى «أن»،
و«أردت»، وأمرت» يطلبان المستقبل، لا يجوز أن تقول:
«أردت أن قمت»، ولا «أمرت أن قمت»، ولم يقولوا، لم
لا يجوز ذلك؟ وهذا غلط أن تكون لام الجزم تقوم مقام
«أن» وتؤدي معناها، لأن ما كان في معنى «أن» دخلت
عليه «اللام»، تقول: جئت لك كي تفعل كذا وكذا، وجئت

الماضي لأمرين:

أحدهما: أن الإرادة لاستدعاء الفعل، ومحال أن يستدعى ما قد فعل، كما أنه محال أن يؤمر بما قد وقع، لأنه لا يمكن أن يقول: افعل أمس، أو أريد أمس.

والثاني: أن الإرادة يقع الفعل على وجهه دون وجهه، من حُسن أو قبح، أو طاعة أو معصية؛ وذلك محال في الماضي.

الزمتخشري: أصله: يريد الله أن يبين لكم، فريدت «اللام» مؤكدة لإرادة التبيين، كما زيدت في «لا تأتاك» لتأكيد إضافة الأب.

والمعنى: يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم، من مصالحكم وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قلوبكم من الأتباء والصالحين، والطريق التي

نحوه البروسوي.

ابن عطية: اختلف النحاة في «اللام» من قوله: (يُبين)، فذهب سيبويه رحمه الله أن التقدير: «لأن يبين»، والمفعول مضمرة تقديره: يريد الله هذا، فإن كانت لام الجزأ أو لام «كي» فلا بد فيها من تقدير «أن» لآتيها لا بدخلان إلا على الأسماء. وقال الفراء والكوفيون: اللام نفسها بمنزلة «أن»، وهو ضعيف.

العكبري: مفعول (يُريد) محذوف، تقديره: يريد الله ذلك، أي تحريم ما حرّم وتحليل ما حلل ليبيّن.

واللام في (يُبين) متعلقة بـ (يُريد)، وقيل: اللام زائدة، والتقدير: يريد الله أن يبين، فالتصحيح بأن.

(١: ٣٥٠)

لكي تعمل كذا وكذا، وكذلك «اللام» في قوله: «يُريد الله يُبين لكم» كـ «اللام» في «كي»، والمعنى أراد الله عز وجل للتبيين لكم. [ثم استشهد بشعر، إلى أن قال:] وكذلك «أردت لأن تقوم، وأمرت لأن أكون مطيعاً»، وهذا كقوله تعالى: «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّسُلِ تَعْبُرُونَ» يوسف: ٤٣، أي إن كنتم عابريكم للرؤيا، وكذلك قوله عز وجل أيضاً: «لِلَّذِينَ هُمْ يُرَبُّهُمْ يُزْهَبُونَ» الأعراف: ١٥٤، أي الذين هم ربهتهم لرهبهم.

الطوسي: «اللام» في قوله: «يُبين لكم» للتحويين فيه ثلاثة أقوال:

أولها: قول الفراء: [وقد تقدم]

وثانيها: قول الزجاج: [وقد تقدم]

الثالث: ضغف هذين الوجهين بعض التحويين، بأن جعل «اللام» بمعنى «أن» لم تقم به حجة قاطعة، وإنما على المصدر يقتضي جواز: ضربت لزيد، بمعنى ضربت زيدا، وهذا لا يجوز. ولكن يجوز في التقديم، نحو: لزيد ضربت و«للهذا يا تعبرون»، لأن أصل الفعل في التقديم يَضغف، كصمّل المصدر في التأخير، ولذلك لم يجر إلا في المنصرف.

فأما «وَرَدَفَ لَكُمْ» التمثل: ٧٢، فعلى تأويل: ردف ماردف لكم، وعلى ذلك يريد ما يريد لكم، وكذلك قوله: «وَأَمَرْنَا لِيُسْلِمَ» الأنعام: ٧١، أي بما أمرنا لئسلم، فهي تجري بهذا على أصولها، وقياس بابها.

وقال قوم: معناه يريد الله هذا من أجل أن يبين لكم، كما قال: «وَأَمَرْتُ لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» الشورى: ١٥، معناه وأمرت بهذا من أجل ذلك، وإنما لم يجر أن يراد

الْقُرْطُبِيُّ : أي ليبين لكم أمر دينكم ومصالح أمركم، وما يحل لكم وما يحرم عليكم؛ وذلك بدل على امتناع خلوه واقعة عن حكم الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿عَافُوْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٢٨).

(١٤٧: ٥)

أبو حيان: أي تحليل ما حلل وتحريم ما حرم. وتشريع ما تقدم ذكره، المعنى يريد الله تكليف ما كلف به عباده بما ذكر، لأجل التبيين لهم بهدایتهم، فمتعلق الإرادة غير التبيين وما عطف عليه. هذا مذهب البصريين، ولا يجوز عندهم أن يكون متعلق الإرادة التبيين، لأنه يؤدي إلى تعدّي الفعل إلى مفعوله المتأخر بواسطة اللام، وإلى إضمار «أن» بعد «لام» ليست لام المجهود ولا لام «كي»، وكلاهما لا يجوز عندهم.

ومذهب الكوفيّين أن متعلق الإرادة هو التبيين، واللام هي الناصبة بنفسها لا «أن» مضمرة بعدها.

وقال بعض البصريين: إذا جاء مثل هذا قدر الفعل الذي قبل «اللام» بالمصدر، فالتقدير: إرادة الله لما يريد ليبين، وكذلك: أريد لا ينسى ذكرها، أي إرادتي لا ينسى ذكرها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُنَا لِنَشْلِمَ لِسْرَ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٧١)، أي أمرنا بما أمرنا لنسلم، انتهى. وهذا القول نسبته ابن عيسى ليسيبويه والبصريين، وهذا يثبت فيه في علم النحو. [ثم نقل قول الزمخشري وقال:]

وهو خارج عن أقوال البصريين والكوفيّين. وأما كونه خارجاً عن أقوال البصريين فلأنه جعل «اللام» مؤكدة مقوية لتعدّي (يريد) والمفعول متأخر، وأحضر

«أن» بعد هذه «اللام».

وأما كونه خارجاً عن قول الكوفيّين، فإنهم يجعلون النصب به «اللام» لا به «أن» وهو جعل النصب به «أن» مضمرة بعد اللام.

وذهب بعض التبعويّين إلى أن «اللام» في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ لام العاقبة، قال: كما في قوله: ﴿لِيَكُونَ هُمْ عَدُوًّا وَخَرًّا﴾ (القصص: ٨)، ولم يذكر مفعول (يُبين). قال عطاء: يبين لكم ما يقربكم، وقال الكلبي: يبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء غير، وقيل: ما يحصل من الحرّيات والمطلّات، وقيل: شرائع دينكم ومصالح أموركم، وقيل: طريق من قبلكم إلى الجنة.

ويجوز عندي أن يكون من باب الإحمال، فيكون مفعول (لِيُبَيِّنَ) ضميراً محذوفاً بفتره مفعول (يُبين) نحو: ضربت وأهنت زيداً، التقدير ليسها لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم، أي ليبين لكم سنن الذين من قبلكم.

الألويسي: استئناف مقرر لما سبق من الأحكام، ومثل هذا التركيب وقع في كلام العرب قديماً وخرجه النحاة - كما قال الشهاب - على مذاهب، فقيل: مفعول (يريد) محذوف، أي تحليل ما أحلّ وتحريم ما حرم، ونحوه. [ثم ذكر نحواً مما تقدم من الأقوال] (١٣: ٥) رشيد رضا: [حكى قول الكوفيّين والبصريّين في (يُبين) من دون ترجيح] (٢٨: ٥)

الطباطبائي: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي أحكام دينه، مما فيه صلاح دنياكم وعقبائكم، ومافي ذلك من المعارف والمحكمات. وعلى هذا لمفعول قوله: (يُبين)

محذوف، للدلالة على فخامة أمره وعظم شأنه. ويمكن أن يكون قوله: (يُبَيِّنُ لَكُمْ) وقوله: (وَتَهْدِيكُمْ) متنازعين في قوله: (سُنُّنُ الدِّينِ). (٤: ٢٨٠)

٥ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

المائدة: ١٥

الإسكافي: قوله عز وجل: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا

وقال بعده: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ» المائدة: ١٩.

للسائل أن يسأل فيقول: تب أهل الكتاب بمجيء الرسول في الآية الأولى. وأخبر أنه يبين لهم كثيرًا مما

يخفون من الكتاب، ويعفو عن كثير، وقال في الآية الثانية: أنه قد جاء يبين لكم على فترة من الرسل أن

تقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير. فهل مذكر من «التبيين» في الثانية كان يجوز أن

يقترن بالتثنية الأول؟ أو وجب لكل ما تبعه من الكلام؟ الجواب: أن قوله تعالى في الآية الأولى: «يُبَيِّنُ لَكُمْ

كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ» معناه يبين لكم كثيرًا مما في التوراة والإنجيل، من وصف الرسول ﷺ، وسائر

ما يدعو إلى الدخول في الإسلام، ويترك كثيرًا مما حُرِّفتموه، فلا يبينه، لأنه ليس في ذكره ما يلزمكم

حجته، ويحدد لكم ملة، فهذا «التبيين» حقه التقديم للاحتجاج به، ولذلك ردده قوله: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ

نُورٌ» يعني النبي، أي يهديكم إلى منافع دينكم، كما تهتدون بالنور إلى منافع دنياكم.

وأما الآية الثانية التي بعد، فتحاها جاءكم رسولنا يبين لكم على حين دروس مما كان الرسل أتوا به، مما

يلزمكم في دينكم، احتجاجًا عليكم وقطعًا لعذركم، لئلا تحتجوا بأنه لم يبينكم من يشركم بالثواب، ويعفوكم

من العقاب. فالأول احتجاج لنبوة النبي ﷺ، وبعد تبينه بين الداهي إلى بعثته، وهو مذكر في الآية الثانية.

(٩٢)

الطوسي: أي يبين للناس ما كنتم تخفونه. وقال ابن عباس وقتادة: إن مما بينه وجه الزانين، وأشياء

كانوا يخفونها بسوء التأويل. وأما لم يقل: يا أهل الكتابين، لأن الكتاب اسم

مكتوب، وخبره على العهد، وهو أوجز وأحسن في اللفظ من حيث كانوا، كأنهم أهل كتاب واحد.

والوجه في تبين بعضه وترك بعضه، أنه يبين ما فيه دلالة على نبوة النبي ﷺ من: صفاته، ونسبه، وبشارته

به، وما يحتاج إلى علمه من غير ذلك، مما تنفق له الأسباب التي يحتاج معها إلى استعمال ذلك، كما اتفق في

«الزَّجَمِ»، وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة، يكفي ذكره في الجملة.

(٣: ٤٧٤)

نحوه الطبرسي. الشربيني: أي يوضح إيضاحًا شافيًا. (١: ٣٦٣) أبو السعود: (يُبَيِّنُ لَكُمْ) حال من (رَسُولُنَا)،

وإنار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان، أي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبيِّنًا لكم على

البيان، أي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبيِّنًا لكم على

التدريج، حسب مقتضيه المصلحة. (٢٥٠: ٢)

نحوه البرؤوسوي (٢: ٣٦٩)، والآلوسي (٦: ٩٧).

٦- يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُلُوبِكُمُ الرُّشْدَ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ... المائدة: ٩٩

الطبري: يترفعكم الحق، ويوضح لكم أعلام الهدى، ويرشد إلى دين الله المرتضى. (١٦٦: ٦)

الطوسي: والبيان الذي أتاهم به النبي ﷺ هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله، وهو بيان نفس الحق من الباطل، وما يجب. (٤٨٠: ٣)

الزمخشري: إما أن يفقد المبين وهو الدين والشرائع، وحذفه لظهور ماورد الرسول ﷺ، أو

يقدر ما كنتم تخفون، وحذفه لتقدم ذكره، أو لا يقدر. ويكون المعنى يبدل لكم البيان، ومحلّه النصب على الحال، أي مبيناً لكم. (٦٠٢: ١)

نحوه الشريبي (١: ٣٦٥)، والآلوسي (٦: ١٠٣). الطبرسي: أي يوضح لكم أعلام الدين، وفيه دلالة على أنه سبحانه اختصه من العلم بما ليس مع غيره. (١٧٧: ٢)

القعز الرازي: (ذكر نحو ما تقدم عن الزمخشري وأضاف):

وحذف المفعول أكمل، لأن على هذا التقدير يصير أعم فائدة.

وقوله: (يُبَيِّنُ لَكُمْ) في محل النصب على الحال، أي مبيناً لكم. (١٩٤: ١١)

نحوه أبوحيان. (٣: ٤٥١)

القرطبي: (يُبَيِّنُ لَكُمْ) انتطاع حجتهم، حتى

لا يقولوا غداً: ما جاءنا رسول. (٦: ١٢١)

أبو السعود: (يُبَيِّنُ لَكُمْ) حال من (رَسُولُنَا)، وإيثاره على «مبيناً» لما مر فيها سبق، أي يبين لكم الشرائع والأحكام الدينية المفروضة بالوعد والوعيد، ومن جعلتها مابين في الآيات السابقة من بطلان أقوالكم الضعفاء، وماسياتي من أخبار الأمم السالفة.

وأما حذف تمويلاً على ظهور أن مجيء الرسول إنما هو لبيانها، أو يفعل لكم البيان ويبدله لكم في كل ما تحتاجون فيه إلى البيان من أمور الدين. (٢٥٤: ٢)

نحوه البرؤوسوي. (٢: ٣٧٣)

الطباطبائي: والآية خطاب ثان لأهل الكتاب تتم للخطاب السابق، فإن الآية الأولى بيّنت لهم أن الله أرسل إليهم رسولاً أتاه بكتاب مبين، يهدي بإذن الله إلى كل خير وسعادة، وهذه الآية تبين أن ذلك البيان الإلهي إنما هو لإتمام الحجّة عليهم أن يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

وهذا البيان يشأيد أن يكون متعلق الفعل (يُبَيِّنُ لَكُمْ)، في هذه الآية هو الذي في الآية السابقة، والتقدير: يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب. أي إن هذا الدين الذي تدعون إليه هو بعينه دينكم الذي كنتم تدعون به، مصداقاً لما معكم.

والذي يرى فيه من موارد الاختلاف، فإنما هو بيان لما أختصتموه من معارف الدين التي بيّنته الكتب الإلهية، ولازم هذا الوجه أن يكون قوله: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ

وسرعة، وصلوا بموجه من غير حاجة إلى الترجمة، ممن لم يؤمر به. وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين، لعموم بحثه للفتن كافة على اختلاف لغاتهم.

وكان تعدد نظم الكتاب الموزل إليه - حسب تعدد السنة الأمم - أدعى إلى التنازع واختلاف الكلمة، ونظرت أيدي التعريف، مع أن استقلال بعض من ذلك بالإعجاز دون غيره، تشبه نقد القادحين، واتفاق الجميع فيه أمر قريب من الإجماع وحصر البيان بالترجمة والتفسير، اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنهي عن العزلة وبجلاء الشأن، المستمع لقوائد غنية عن البيان.

على أي الحاجة إلى الترجمة تنضاف عند التعدد؛ إذ لابد لكل لغة من معرفة توافق الكل، وتحاذيه حذو اللغة بالغة، من غير مخالفة ولو في عاصمة فذة، وإنما يتم ذلك من يترجم عن الكل، واحداً أو متعدداً، وفيه من التذمر ما يتأخى الامتناع.

ثم لما كان أشرف الأقوام وأولاهم بدعوتهم عليه الصلاة والسلام قومه - الذين بُعث فيهم، ولغتهم أفضل اللغات - نزل الكتاب المتيقن بلسان عربي مبين، وانتشرت أحكامه فيما بين الأمم أجمعين.

وقيل: الضمير في (قويده) لمحمد ﷺ، فإنه تعالى أنزل الكتب كلها عربية، ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام، أو كل من نزل عليه من الأنبياء ﷺ بلغة من نزل عليهم.

وبردة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بَيْنَهُمْ﴾ فإنه ضمير القوم، وظاهر أن جميع الكتب لم يُنزل لتبيين العرب،

جاءكم رسولنا بينكم لكم من قبل إعادة عين الخطاب السابق، لضم بعض الكلام المفصول عن الخطاب السابق للمعلق به - وهو قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا﴾ إلخ - إليه. وإنما جواز ذلك: وقوع الفصل الطويل بين المعلق والمعلق به، وهو شائع في القرآن. [تم استشهد بشعر] ويمكن أن يكون خطاباً متأنفاً، والقيل (بينكم لكم) إنما حذف متعلقه للدلالة على العموم، أي بينكم لكم جميع ما يحتاج إلى البيان، أو لتفهم أمره، أي بينكم لكم أمراً عظيماً تحتاجون إلى بيانه.

وقوله: ﴿عَلَى قُرْآنٍ مِنْ الرُّسُلِ﴾ لا يخلو عن إشعار، أو دلالة على هذه الحاجة، فإن المعنى: بينكم ما مضى حاجتكم إلى بيانه، والزمان خال من الرسل حتى يبيها لكم ذلك. (٢٥٣: ٥)

٧- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُتَبَيَّنَ لَهُمْ قِيَصُ اللَّهِ عَنْ يَشَاءٍ وَيَنْهَى عَنْ يَشَاءٍ وَهُوَ الْقَزِيرُ الْحَكِيمُ
إبراهيم: ٤
الطَّبَرِيُّ: لِيُفْهَمَ مَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، لِيُتَبَيَّنَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.
نحو: الطُّوسِي (٦: ٢٧٣)، وَالْمَسِينَدِي (٥: ٢٢٥)، وَالزُّعْفَرَانِي (٢: ٣٦٦).

الطَّبَرِيُّ: [نحو الطَّبَرِيِّ وَأَصَافُ]
وقيل: إن معناه إنما كما أرسلناك إلى العرب بلغتهم، لتبين لهم الدين، ثم إنهم يبينونه للناس، كذلك أرسلنا كل رسول بلغته قومه، ليظهر لهم الدين. (٣: ٣-٣)
أبو السعود: ما أمروا به فيتلوه منه بيسر

ويزول خلافهم فيه، ويعلم أيضًا كل كافر أنه كان كاذبًا في الدنيا، في قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَمُوتُ أَحَدًا بَعْدَ مَوْتِهِ. [ثم قال نحو ما تقدم عن الزَّجَّاج] (٣٨١: ٦)

نحوه الطَّبْرَسِيّ. (٣٦٠: ٣)

الواحدِيّ: بالبعث الذي اختلفوا فيه مع المؤمنين، وذهبوا فيه إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون. (٦٣: ٣)

البُغْوِيّ: أي ليظهر لهم الحق فيما يختلفون.

(٧٩: ٣)

نحوه الخازن. (٧٤: ٤)

ابن عَطِيَّة: [ذكر نحو ما تقدم عن الزَّجَّاج وأضاف:]

والأول: أصوب في المعنى، لأن به يُتصوّر كذب

الظُّكَّار في إنكار البعث. (٣٩٢: ٣)

الفخر الرازِيّ: من أمور البعث، أي بلى يبعثهم

ليبين لهم، ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فيما

أفصوا فيه. (٣٦: ٢٠)

يُبَيِّنُهَا

بَلَّغَ حَدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. البقرة: ٢٣٠

الطَّبْرَسِيّ: هذه الأمور التي بينها لعباده في الطَّلَاق

والرَّجْعَةِ والفِدْيَةِ وَالْعَدَّةِ وَالْإِيلَاءِ وغير ذلك، مما بيّنه

لهم في هذه الآيات: حدود الله، معالم فصول حلاله

وحرامه، وطاعته ومعصيته.

(يُبَيِّنُهَا) يفصلها، فيميّز بينها، ويعرّفهم أحكامها.

(٤٧٩: ٢)

الزَّجَّاج: ويقرأ (يُبَيِّنُهَا) بالياء والتون جميعًا (لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ)، أي يعلمون أن وعد الله حق، وأن ما أتى به

وفي رجعه إلى قوم كل نبي، كآته قيل: وما أرسلنا من

رسول إلّا بلسان قوم عمّد عليه الصلاة والسلام، ليبين

الرسول لقومه الذين أرسل إليهم؛ ما لا يحصى من التكلف.

(٤٧٠: ٣)

نحوه البُزْؤُسُوِيّ (٣٩٥: ٤)، وعسبر (٣٤٥: ٣).

والألوُسِيّ (١٨٥: ١٣).

محمد حسين فضل الله: ليفهموا دعوته، ويعوا

رسالته من خلال المعرفة بها، بوصفهم القاعده الأولى

التي يطلق منها، ويعمل من خلالها على تأسيس مرتكز

صلب للحركة، بهدف الامتداد إلى حياة الآخرين.

وهذا هو سبب نزول كل كتاب بلغة النبي المرسل.

ولغة قومه، ليبين لهم الرسالة باللفظ التي يفهمونها،

والطريقة التي يفهمونها، وليقيم عليهم الحجة.

(١٨٠: ١٣)

٨ - لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيُظْهِرَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ. النحل: ٣٩

الزَّجَّاج: فهذا على ضربين: جائز أن يكون مطلقًا

بـ«البعث» ويكون المعنى: بلى يبعثهم الله (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)،

وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

وجائز أن يكون «لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» مطلقًا بقوله:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ النحل: ٣٦، ليبين

لهم اختلافهم، وأنهم كانوا من قبله على ضلالة.

(١٩٨: ٣)

الطُّوسِيّ: في دار الدنيا، لأنه يخلق فيهم العلم

الضروريّ يوم القيامة، الذي يزول معه التكليف.

رسوله صدق. (١: ٣٠٩)

الطوسي، وقوله: (يُسَيِّئُهَا) قرأ المفضل عن عاصم بالتون، على وجه الإخبار من الله عن نفسه، الباكون بالياء، الكناية عن الله. (٢: ٢٤٩)

نحوه الفخر الرازي (٦: ١١٥)، وأبوحيان (٢: ٢٠٤)

المكبري، يُقرأ بالياء والتون، والجملة في موضع نصب من «المدود» والعامل فيها معنى الإشارة.

(١: ١٨٣)

أبو السعود: بهذا البيان اللائق، أو مبيها فيها سيأتي. بناء على أن بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة، والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ خَيْبَةٌ تُسْمَرُ﴾ ط. ٢٠. أو حال من (مَدُّوْهُ)، والعامل معنى الإشارة.

(١: ٢٧٣)

نحوه الأوسى. (٢: ١٤٢)

لَتُسَيِّئَنَّ

وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُسَيِّئَنَّ لِلنَّاسِ ...

سعيد بن جبيرة: لنبين نبوة محمد ﷺ مثله السدي. (الماوردي ١: ٤٤٢)

الحسن: ليبين الكتاب الذي فيه ذكره.

مثله قتادة. (الماوردي ١: ٤٤٢)

الطبري: ليتكلمن بالحق، وليصدقته بالعمل.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأ بعضهم:

﴿لَتُسَيِّئَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ بالتاء، وهي قراءة أعظم قراء أهل المدينة والكوفة، على وجه الخطاب، بمعنى قال لهم: لتسيئنه للناس ولا تكتُمونه.

وقرأ ذلك آخرون: (لَتُسَيِّئَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ)

بالياء جميعاً، على وجه الخبر عن الغائب، لأنهم في وقت

إخبار الله نبيه ﷺ بذلك عنهم، كانوا غير موجودين،

فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب.

والقول في ذلك عندنا: أنها قراءتان صحيحة

وجوهها. مضافان في قراءة الإسلام، غير مختلفتي

المعاني. فبأيتها قرأ القارئ، فقد أصاب الحق

والصواب في ذلك، غير أن الأمر في ذلك، وإن كان

كذلك، فإن أحب القارئين إلى أن أقرأ بها ﴿لَتُسَيِّئَنَّ

لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ بالياء جميعاً، استدلالاً بقوله:

﴿فَسَتَذَوُونَ﴾ أنه إذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب

على سبيل قوله: ﴿فَسَتَذَوُونَ﴾. (٤: ٢٠٤)

الزجاج: و(لَتُسَيِّئَنَّ) بالياء والتاء، فن قال:

(لَتُسَيِّئَنَّ) بالياء، فلا تهم غيب، ومن قال بالتاء، حكى

الخطبة التي كانت في وقت أخذ الميثاق، والمعنى أن الله

أخذ منهم الميثاق ليبين أمر نبوة النبي ﷺ. (١: ٤٩٦)

نحوه الطوسي. (٣: ٧٣)

الزمخشري: (لَتُسَيِّئَنَّ) الضمير للكتاب، أكد

عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمان، كما يؤكد

على الرجل إذا عزم عليه، وقيل له: آله لتفعلن.

(١: ٤٨٦)

ابن عطية: [ذكر القراءتين وأضاف:]

وكلا القراءتين متجه، والضمير في الفصلين عائد

لُتْبِين

عل (الكتاب) وفي قراءة ابن مسعود (لُتْبِينُوه) دون التون التيلة، وقد لا تلزم هذه التون لام القسم، قاله سيوطي. (٥٥١: ١)

الطُّبْرَسِي: [ذكر القراءتين ثم قال:]

حجة من قرأ بالتاء قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ آل عمران: ٨١، والاتفاق عليه، وكذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ البقرة: ٨٣، وقد تقدم القول في ذلك.

وحجة من قرأ بالياء: إن الكلام حمل على الضمة، لأنهم غُيِبَ، أي لظهوره للناس.

والهاء عائدة إلى محمد ﷺ في قول سيد بن جبير والشَّذِّي، لأن في كتابهم أن محمدًا رسول الله ﷺ، وأن الدين هو الإسلام.

وقيل: الهاء عائدة إلى (الكتاب) فيدخل فيها بيان أمر النبي ﷺ لأنه في الكتاب، عن الحسن وقتادة.

(٥٥١: ١)

نحوه المُكْبَرِي (٣١٨: ١) وأبو حنبل (١٣٦: ٣)، والأكوسي (١٤٩: ٤).

الفهرازاوي: [نحو الطُّبْرَسِي ثم أضاف:]

اللام لام التأكيد يدخل على اليمين، تقديره استحللهم ليبيئته. (١٢٩: ٩)

أبو الشعود: حكاية لما خطبوا به، والضمير للكتاب وهو جواب لقسم يئىء عنه أخذ الميثاق، كأنه قيل لهم: بالله تُسَبِّئُونَهُ. (٣٦: ٢)

(١٤١: ٢)

منه البروسوي.

... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُثَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّبُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ...

الطُّبْرَسِي: (لُتْبِينُ لَكُمْ) قدرتنا على ما نشاء، ونعرفكم ابتداءنا خلقكم. (١١٨: ١٧)

الزَّجَاج: أي ذكرنا أحوال خلق الإنسان، ووجه آخر هو: خلقناكم هذا الخلق (لُتْبِينُ لَكُمْ). (٤١٢: ٣) الماوردني: يعني في القرآن بدء خلقكم، وتنقل أحوالكم. (٨: ٤)

الطُّوسِي: معناه لتدلكم على مقدورنا، بتصرفه في حروب الخلق. (٢٩٢: ٧)

البيهقي: كمال قدرتنا وحكمتنا في تصرف أطوار خلقكم، وتسلطوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة.

وقيل: (لُتْبِينُ لَكُمْ) ما تأتون وما تذرون، وما تحتاجون إليه في العبادة. (٣٢٥: ٣)

نحوه الطُّبْرَسِي (٧١: ٤)، والغازن (٢٤: ٥)، والقرطبي (١١: ١٢).

الزَّمَخْشَرِي: (لُتْبِينُ لَكُمْ) بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا، [إلى أن قال:]

وقرأ ابن عجلة (لُتْبِينُ لَكُمْ) و(يَقَرُّ) بالياء. (٥: ٣) نحوه أبو الشعود (٣٦٧: ٤)، والبروسوي (٦: ٦).

ابن عطية: (لُتْبِينُ) قالت فرقة: معناه تبين أمر البعث، فهو اعتراض بين الكلامين. وقرأت هذه الفرقة بالرفع في (نُقِرُّ)، المعنى ونحن نقر، وهي قراءة الجمهور.

وقالت فرقة: (لَيْبَيْنَ) معناه يكون المضفة غير معلقة، وطرح النساء إياها، كذلك بين للناس أن المتأفل في الرحم هي هكذا. (١٠٨: ٤)

الفخر الرازي، فيه وجهان:

أحدهما: (لَيْبَيْنَ لَكُمْ) أن تغيير المضفة إلى المعلقة هو باختيار الفاعل المختار، ولولا لما صار بعضه مخلوقاً وبعضه غير مخلوق.

وثانيهما: التقدير: إن كنتم في ريب من البعث، فإنا أخبرناكم أننا خلقناكم من كذا وكذا، لنبين لكم ما يزيل عنكم ذلك الريب في أمر بعثكم، فإن القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزاً عن الإعادة. (٨: ٢٢)

أبو حنيفة، [نقل كلام الزمخشري ثم قال:]

و(لَيْبَيْنَ) متملق بـ(خَلَقْنَاكُمْ). وقيل: لنبين لكم أمر البعث.

وقال الكرماني: يعني رعدكم وضلالكم. وقيل: لنبين لكم أن التخليق هو اختيار من الفاعل المختار، ولولا ما صار بعضه غير مخلوق. (٣٥٢: ٦٦)

نحو: ملخصاً البر وسوي.

الآلوسي: [نحو: أبي السوء وأضاف:] وقدّر بعضهم المفعول خاصاً، أي لنبين لكم أمر البعث، وليس بذلك.

وأبعد جداً من زعم أن المعنى لنبين لكم أن التخليق اختيار من الفاعل المختار، ولولا ذلك ما صار بعض أفراد المضفة غير مخلوق.

وقرأ ابن أبي عمير (لَيْبَيْنَ) بالياء على طريق الالتفات. (١١٧: ١١٧)

الطباطبائي: ظاهر السياق أن المراد (لَيْبَيْنَ لَكُمْ) أن البعث ممكن، ونزيل الريب عنكم، فإن مشاهدة الانتقال من القرب الميت إلى النطفة، ثم إلى المعلقة ثم إلى المضفة ثم إلى الإنسان الحي، لا تدع ريباً في إمكان تلبس الميت بالحياة، ولذلك وضع قوله: (لَيْبَيْنَ لَكُمْ) في هذا الموضع، ولم يؤخر إلى آخر الآية. (٣٤٤: ١٤)

مُبَيَّنَةٌ

...إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ

بالتعريف...

الطبري: واختلفت القراءة في قراءة قوله (مُبَيَّنَةٍ).

فقرأ بعضهم (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، بمعنى أنها قد بينت لكم، وأعلنت وأظهرت. وقرأ بعضهم (مُبَيَّنَةٍ) بكسر

الياء، بمعنى أنها ظاهرة بينة للناس أنها فاحشة. وهما

قراءتان مستحيطتان في قراءة أمصار الإسلام، فبأيهما قرأ القارئ فُصِب. (٢١٢: ٤)

أبو زرعة: [نحو الطبري وأضاف:]

اعلم أنك إذا كسرتها جعلتها فاعلة، أي هي التي تبين على صاحبها فعلها، وإذا فتحتها جعلتها مفعولاً بها والفاعل محذوف، وكان التقدير: والله أعلم - هو بينها فهي مبينة. (١٩٦)

نحو الميمني (٤٥٨: ٢)، والقرطبي (٩٦: ٥)، وأبو حنيفة (٣٠: ٢)، والآلوسي (٢٤٢: ٤)، ورشيد رضا (٤٥٥: ٤).

الطوسي: قرأ (بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، ابن كثير وأبو بكر، عن عاصم، الباؤون بالكسر، وهو

الأقوى، لأنه لا يقصد إلى إظهارها. (١٤٨: ٣)

الطَّبْرَسِيّ: وروي في السَّوَادِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

(مُيِّنَةً) بكسر الياء خفيفة. (٢٣: ٢)

الْفَخْرُ الرَّازِيّ: قرأ نافع وأبو عمرو (مُيِّنَةً)

بكسر الياء، و(أَيَاتٍ مُيِّنَاتٍ) بفتح الياء حيث كان،

قال: لأن في قوله: (مُيِّنَاتٍ) قصد إظهارها، وفي قوله:

(بِفَاحِشَةٍ مُيِّنَةٍ) لم يقصد إظهارها، وقرأ ابن كثير

وأبو بكر عن عاصم بالفتح فيها، والباقر بكسر الياء

فيها.

أما من قرأ بالفتح فله وجهان:

الأول: أن «الفاحشة» والآيات» لأفضل لها في

الحقيقة، إنما الله تعالى هو الذي يبينها.

والثاني: أن «الفاحشة» تنبئ، فإن يشهد عليها

أربعة صارت مُيِّنَةً، وأما «الآيات» فإن الله تعالى يبينها.

وأما من قرأ بالكسر فوجهه أن «الآيات» إذا تبينت

وظهرت صارت أسباباً للبيان، وإذا صارت أسباباً للبيان

جاز إسناد البيان إليها، كما أن الأصنام لما كانت أسباباً

للضلال حسن إسناد الإضلال إليها، كقوله تعالى: ﴿وَبِ

إِثْنَيْنِ أَضَلَّكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ إبراهيم: ٣٦. (١٠: ١٢)

محمود صافي: (مُيِّنَةً)، مؤنث مبين، اسم

فاعل من «بين» الرباعي، وزنه «مُفْعِل» بضم الميم

وكسر العين المشددة. (٤: ٤٧٢)

مُيِّنَاتٍ

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُيِّنَاتٍ وَمَظْلًا مِنَ الَّذِينَ

خَلَوْا مِنْ قُلُوبِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. النور: ٣٤

الْقَرَّاء: قرأ يحيى بن وثاب (مُيِّنَاتٍ) بالكسر،

والنَّاسُ يَمُدُّ (مُيِّنَاتٍ) بفتح الياء، هذه والتي في سورة

النساء الضمري^(١). فن قال: (مُيِّنَاتٍ) جعل الفعل واقعاً

عليه، وقد بينه الله وأوضحه. و(مُيِّنَاتٍ) هاديات

واضحات. (٢: ٢٥١)

الطَّبْرَسِيّ: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلالات

وعلامات مُيِّنَاتٍ، يقول: مفضلات الحق من الباطل،

وموضحات ذلك. [نم نقل القراءتين، وقال: كلتاها

معروفتان صحيحتان] (١٨: ١٣٤)

الزَّجَّاج: يقرأ بالفتح والكسر، فن قرأ (مُيِّنَاتٍ)

بالفتح، فالمنى أنه ليس فيها لبس، ومن قرأ بالكسر

فالمنى أنها تبين لكم الحلال من المحرم، ثم أعلم

بأنه لا لبس فيه، وأنه قد بين جميع أمر السماء وأمر الأرض، بياناً

نوراً، لا نهاية بعد نوره. فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ النور: ٣٥. (٤: ٤٣)

نحوه الطُّوسِيّ (٧: ٤٣٦)، وابن عَطِيَّة (٤: ١٨٢).

أبو زرعة: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر

(أَيَاتٍ مُيِّنَاتٍ) بفتح الياء، أي لا لبس فيها، وحجَّتهم

قوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ آل عمران: ١١٨،

والفصل مستند إلى «الله»، فهي الآن مُيِّنَاتٌ بدلالة ما في

التنزيل، على صحة وجه إخراجهم مفعولات.

وقرأ أهل الشام والكوفة غير أبي بكر: (مُيِّنَاتٍ)

بالكسر، المنى بين لكم الحلال من المحرم، فهن

الفاعلات. وحجَّتهم قوله: ﴿يَحْذَرُ الْغَافِقُونَ أَنْ

تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة: ٦٤،

الصَّابِرُونِ: أي آيات واضحة، وحيكم
بأهراء، ودلائل ظاهرة تدل على حكمة الله العليّ
الكبير. (١٧٨: ٢)

محمود صافي: (مُتَبَيِّنَات) جمع مَبَيِّنَة، مؤنث
مُبَيِّن، اسم فاعل من «يُبَيِّن الرِّياضي»، وزنه «مُفَعِّل» يضم
الميم وكسر العين. (٢٦٢: ١٨)

وبهذا المعنى جاء ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ...﴾
النور: ٤٦، و﴿رُسُلًا يَثْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ
مُبَيِّنَاتٍ...﴾ الطلاق: ١١.

تَبَيَّنَاتًا

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى
وُجْهَهُ وَبَشَّرَ الْمُسْلِمِينَ﴾
التعليل: ٨٩

ما أثر به، وما نهى عنه. (الطبري ١٤: ١٦٦)
(الطبري ١٤: ١٦٢)

الإمام الباقر عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لم يدع
شيئاً يحتاج إليه الأئمة إلا أنزله في كتابه، ويُسِّدُ لرسوله.
وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه،
وجعل على من تعدى ذلك الحد، حداً.

(المروسي ٣: ٧٤)
الإمام الصادق عليه السلام: قد وُفِّدَ رسول الله صلى الله عليه وآله
وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدو الخلق وما هو كائن إلى
يوم القيامة، وفيه خير السماء وخير الأرض، وخير
الجنة وخير النار، وخير ما كان وخير ما هو كائن، أعلمُ
ذلك كما أنظر إلى كفي، إن الله يقول: «فيه تبيان كل
شيء».

فأسند التبيين إلى «التسوية» فكذلك قوله: (آيات
مُبيِّنَاتٍ) فأسندوا التبيين إلى «الآيات». (٤٩٨)

نحوه أبوحيان. (٤٥٣: ٦)

البهقي: مَبَيِّنَات من الحلال والحرام. (٤١٥: ٣)
مثله المأز. (٦٣: ٥)

الزَّمَخْشَرِيُّ: هي الآيات التي بُيِّنَتْ في هذه
التسوية، وأُوضِحَتْ في معاني الأحكام والحدود، ويجوز
أن يكون الأصل مُبَيَّنَاتٍ فيها فاشع في الطرف.

وقرئ بالكسر، أي بُيِّنَتْ هي الأحكام والحدود،
جعل الفعل لها على الماز، أو من «يُبَيِّن» بمعنى تبين، ومنه
المثل: «قد بين الصبح لذي عينين». (٦٧: ٣)

نحوه الفخر الرازي (٢٣: ٢٢٢)، والسيصاوي (٢)
(١٢٦)، والنسفي (٣: ١٤٤)، والشريفي (٢: ٦٢٢).

أبو السعود: ﴿آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ لكل ما يكم حاجة
إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب، وغير
ذلك مما هو من مبادئ بيانها، على أن إسناد التبيين إليها
بمجازي.

أو آيات واضحة تصدقها الكتب القديمة والقرآن
السليمة، على أن (مُتَبَيِّنَات) من «يُبَيِّن» بمعنى تبين،
ومنه المثل: «قد بين الصبح لذي عينين». [ثم أشار إلى
القرآنتين] (٤٥٩: ٤)

نحوه البروسوي (٦: ١٥١)، والآلوسي (١٨: ١٥٩)،
القاسمي: أي واضحة أو مفسرات لكل ما نهى
حاجتكم إليه، من عبادات ومعاملات وآداب، ومنه
ما ذكر قبل من النهي عن الإكراه، فلا ينبغي المراد منها.
(٤٥٢٣: ١٢)

كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه. (الطبرسي ٣: ٧٥)

إن الله عز ذكره ختم بنبيتكم التبيين، فلانبي بعده أهدأ، وختم بكتابتكم الكتب، فلا كتاب بعده أهدأ، وأنزل فيه تبيان كل شيء، وخلفكم وخلق السماوات والأرض، ونبأ ما قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما بعدكم، وأمر الجنة والنار، وما أنتم صائرون إليه.

(الطبرسي ٣: ٧٦)

[ونحوها روايات متعددة نأويلية]

(الطبرسي ٣: ٧٦-٧٧)

الطبرسي: نزل عليك يا محمد هذا القرآن، بياناً لكل ما بالناس إليه المساجة، من معرفة الحلال والحرام، والثواب والعقاب. (١٤: ١٦١)

الزجاج: نبيان: اسم في معنى البيان، مثل التبيان الثلقاء، ولو قرئت «تبياناً» على وزن «تفعل» لكان وجهاً، لأن التبيان في معنى التبيين، ولا يجوز القراءة به، لأنه لم يقرأ به أحد من القراء. (٣: ٢١٧)

الطبرسي: أي بياناً لكل أمر مشكل، والتبيان والبيان واحد، ومعنى العموم في قوله: (لكل شيء) المراد به من أمور الدين: إتما بالنقص عليه، أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ، والمسجج القاطنين مقامه، أو إجماع الأمة، أو الاستدلال، لأن هذه الوجوه أصول الدين، وطريق موصلة إلى معرفته. (٦: ٤١٨)

مثله الميبدي (٥: ٤٢٢)، ونحوه الطبرسي (٣: ٣٨٠).

القشيري: أي القرآن تبياناً لكل شيء، فيه للمؤمنين شفاء، وهو لهم ضياء، وعلى الكافرين، وهو

لهم سبب محنة وشفاء. (٣: ٣١٤)

الزنجشيري: بياناً بليغاً، وظهير تبيان «تلقاء» في كسر أوله، وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن.

فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء؟ قلت: المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين، حيث كان نصاً على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ ومطاعته، وقيل: «وما ينطق عن الهوى» النجم: ٣، وحشاً على الإجماع في قوله:

«ويشيع غير ضليل المؤمنين» النساء: ١١٥، وقد رضي رسول الله ﷺ لآفته اتباع أصحابه والافتداء بآثارهم في قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد، فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى

تبيان الكتاب، فمن ثم كان تبياناً لكل شيء. (٢: ٤٢٤) نحوه أبو الشهود (٤: ٨٦)، والبروشوي (٥: ٧٠).

ابن عطية: (تبييناً): اسم وليس بالمصدر، وهو كالنقصان، والمصادر في مثل هذا، التاء فيها مفتوحة كالترداد والتكرار، ونصب (تبياناً) على الحال.

(٣: ٤١٥)

الفخر الرازي: من الناس من قال: القرآن تبيان

لكل شيء، وذلك لأن العلوم إما دينية أو غير دينية.

أما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية، لأن من المعلوم بالضرورة أن الله تعالى إنما مدح القرآن بكونه مستملاً على علوم الدين، فأما ما لا يكون من علوم الدين فلا تعلق إليه.

وأما علوم الدين فأما الأصول، وإما الفروع.

بعضه مبيّن، وبعضه مستنبط ببيانه منه بالنظر والاستدلال، وطريق النظر والاستدلال مختلفة، فلذلك وقع الخلاف.

فإن قيل: كثير من أحكام الشريعة لم تُعلم من القرآن نصًا ولا استنباطًا: كمدة ركعات الصلاة، ومقادير باقي الأعضاء، ومدة السفر، والمسح، والحجض، ومقدار حدّ الشرب، ونصاب السرقة، وما أشبه ذلك مما يطول ذكره؟

قلنا: القرآن تبيان لكل شيء من أمور الدين، لأنّه نصّ على بعضها، وأحال على الشكّ في بعضها، في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنبَأَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَايَكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر: ٧، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم: ٣، وأحال على الإجماع أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَرَجِّعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُنْزِلِينَ﴾ النساء: ١١٥، وأحال على القياس أيضًا بقوله تعالى: ﴿فَاغْتَبِرُوا يَسْأَلُولِ الْاِتِّسَارِ﴾ الحشر: ٢، والاعتبار: النظر والاستدلال، فهذه أربعة طرق لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، وكلّها مذكورة في القرآن، فصحّ كونه تبيانًا لكل شيء. (مسائل الرّازي: ١٧٩)

نحو، الشريبي: (٢: ٢٥٦)

النيسابوري: [نحو الرّمثشري وأضاف:] ولملّ التّبيان إنّما هو للملأ خاصّة، والهدى لجميع المخلق في أول أحوالهم، والرّحمة في وسطها، وهو مدّة العمر بعد الإسلام، والبشري في أوان الأجل.

(١١٠: ١٤)

أبو حيان: والظاهر أنّ (تبيانًا) مصدر جاء على

أما علم الأصول فهو بتمامه موجود في القرآن، وأما علم الفروع فالأصل براءة الذمّة إلّا ماورد على سبيل التخصيل في هذا الكتاب؛ وذلك يدلّ على أنّه لا تكليف من الله تعالى إلّا ماورد في هذا القرآن، وإذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلاً، وكان القرآن وافيًا لبيان كلّ الأحكام.

وأما الفقهاء فإنهم قالوا: القرآن إنّما كان تبيانًا لكلّ شيء، لأنّه يدلّ على أنّ الإجماع وخبر الواحد والقياس حجة، فإذا ثبت حكم من الأحكام بأحد هذه الأصول كان ذلك الحكم ثابتًا بالقرآن، وهذه المسألة قد سبق ذكرها بالاستقصاء في سورة الأعراف، والله أعلم.

روى الواحدي بإسناده عن الرّجّاج أنّه قال: (تبيانًا) في معنى اسم البيان، ومثل التّبيان «التّلقا» وروى ثعلب عن الكوفيّين، والميرد عن البصريّين أنّهم قالوا: لم يأت من المصادر على «تفعّال» إلّا حرفان: تبيانًا وتلقا، وإذا تركت هذين اللفظين استوى لك القياس، فقلت: في كلّ مصدر «تفعّال» بفتح التاء، مثل: تشيار، وتذكّار وتكرّار، وقلت: في كلّ اسم «تفعّال» بكسر التاء مثل: يقصّار وإثّال. (٢٠: ٩٩)

نحو، النيسابوري: (١٤: ١١٠)

الرّازي: إن قيل: قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فإذا كان القرآن تبيانًا لكلّ شيء من أمور الدين، فمن أين وقع بين الأئمة في أحكام الشريعة هذا الخلاف الطويل المريض؟

قلنا: إنّما وقع الخلاف بين الأئمة، لأنّ كلّ شيء يحتاج إليه من أمور الدين ليس مبيّنًا في القرآن نصًا، بل

«تُفَعَال»، وإن كان باب المصادر أن يجيء على «تُفَعَال» بالفتح كالتَّرداد والتَّطَوُّاف، وظير «يَّيَان» في كسر تائه «يُتْلَقَاء»، وقد جَوَّز الرَّجَاج فتحه في غير القرآن قال ابن عطية: (يَّيَّانًا) اسم وليس بمصدر، وهو قول أكثر النحاة. وروى ثعلب عن الكوفيين والمبرِّد عن البصريين أنه مصدر، ولم يجيء على «تُفَعَال» من المصادر إلا ضربان: يَّيَان وتُلْقَاء. [ثم ذكر قول الزُّعْفَرَانِي وقال:]

وقوله: «وقد رضي رسول الله ﷺ» - إلى قوله - احتديتم»، لم يقل ذلك رسول الله ﷺ، وهو حديث موضوع، لا يصح بوجه عن رسول الله ﷺ.

قال الحفاظ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم في رسالته في إبطال الرأْي والقياس والاستحسان والتقليد مانصه: وهذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصح، وذكر إسناده إلى البرزك صاحب المسند قال: سألت عمًا روي عن النبي ﷺ بما في أيدي العامة، نرويه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما مثل أصحابي كمثل النجوم أو كالتجموم بأنهم اقتدوا اهتدوا».

وهذا كلام لم يصح عن النبي ﷺ، رواه عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ. وإنما أتى ضعف هذا الحديث من قبل عبد الرحيم، لأن أهل العلم سكتوا عن الرواية لحديثه، والكلام أيضًا منكر عن النبي ﷺ ولم يثبت، والنبي ﷺ لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه. هذا نص كلام البرزك.

قال ابن معين: عبد الرحيم بن زيد كذاب غيبث،

ليس بشيء.

وقال البخاري: هو متروك، رواه أيضًا حمزة الجزري، وحمزة هذا ساقط متروك، [لاحظ ص ح ب] ونصبوا (يَّيَّانًا) على الحال، ويجوز أن يكون مفعولًا من أجله. (٥: ٥٢٧)

الآلومي: والبيان: مصدر يدل على التكثير، على ما روى ثعلب عن الكوفيين، والمبرِّد عن البصريين. قال سلامة الأنباري في شرح المقامات: كل ما ورد من المصادر من العرب على «تفعال» فهو بفتح التاء إلا لنظنين، وهما «يَّيَّان» و«يُتْلَقَاء».

وقال ابن عطية: هو اسم وليس بمصدر، وهذه المصنعة أيضًا في الأسماء قليلة، فمن ابن مالك أنه قال في علم الفرائد: جاء على «تفعال» بالكسر وهو غير مصدر. ويحل تكلام وتلقام وتلعاب وتمساح للكذاب، وتضراب للثاقفة القريبة، بضراب الفعل، وتُمراد لبيت الهمام، وتُلغاف لتوبين ملفوفين، وتُجفاف لما تجمل به الفرس، وتُتواء لجزء ماضٍ من الليل، وتُنبال للتقصير اللثيم، وتُتشار وتُبراك لموضمين، وزاد ابن جعوان: تُنبال وتُتقات لموافقة الهلال.

واقصر أبو جعفر النحاس في شرح المعلفات على أقل من ذلك، فقال: ليس في كلام العرب على «تفعال» إلا أربعة أسماء، وخامس مختلف فيه، يقال: يَّيَّان، ويقال لقلادة المرأة: تُفصار وتُتشار وتُبراك، والخامس تمساح، وتمسح أكثر وأفصح، انتهى. [إلى أن قال:]

والمراد من (كُلُّ شَيْءٍ) على ما ذهب إليه جمع ما يتعلق بأمر الدين، أي بيانًا بليغًا لكل شيء يتعلق

بذلك، ومن جعلته أحوال الأمم مع أنبيائهم ﷺ، وكذا ما أخبرت به هذه الآية من بعث الشهداء وبعثه عليه الصلاة والسلام.

فانتظام الآية بما قبلها ظاهر، والدليل على تقدير الوصف المخصص للشيء المقام، وأن بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما هي لبيان الدين، ولذا أجيب السؤال عن الأهله بما أجيب، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»، وكون الكتاب تبياناً لذلك باعتبار أن فيه نصاً على البعض، وإحالة للبعض الآخر على السنة. [ثم نقل كلام الزمخشري وأضاف:]

وقال بعض: (كُلُّ) للتكثير والتفصيل، كما في قوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ الأحقاف: ٢٥، يَأْبَى الإِحَاطَةَ والتعميم مافي التبيان من المبالغة في البيان، وأن من أمور الدين تخصيصاً لا يقتضيه ذكره تعالى، ورد الثاني بما سمعت آنفاً، والأول بأن المبالغة بحسب الكيفية لا الكيفية، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَعَارِضُكُمْ بِظُلَامٍ لَّغَيِّبٍ﴾ فصلت: ٤٦، إنه من قولك: فلان ظالم لعمده وظلام لعميده، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ البقرة: ٢٧٠.

وقال بعضهم: لكل من القولين وجهة، والمرجح للأول إبقاء (كُلُّ) على حقيقتها في الجملة، وتعقب بأنه يرجح الثاني إبقاء (شَيْءٍ) على العموم، وسلامته من التقدير الذي هو خلاف الأصل، ومن المجاز على قول: نعم ذهب أكثر المفسرين إلى اعتبار التخصيص، وروي ذلك عن مجاهد.

وقال الجلال الحلبي في الرد على من لم يجوز تخصيص

السنة بالكتاب: إنه يدل على الجواز قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وإن خص من عموم ما خص بغير القرآن، وتوجيه كونه تبياناً لكل ما يتعلق بالدين بما تقدم، هو الذي يقتضيه كلام غير واحد من الأجلة. [إلى أن قال:]

وذهب بعضهم إلى ما يقتضيه ظاهر الآية غير قائل بالتخصيص، ولابأن (كُلُّ) للتكثير، فقال: ما من شيء من أمر الدين والدنيا إلا يمكن استخراجه من القرآن، وقد بين فيه كل شيء بياناً بليغاً، واعتبر في ذلك مراتب الناس في الفهم، فرب شيء يكون بياناً بليغاً لقوم، ولا يكون كذلك لآخرين، بل قد يكون بياناً لواحد لا يكون بياناً لآخر، فضلاً عن كون البيان بليغاً أو غير بليغ، وليس هذا إلا لتفاوت قوى البصائر، وتظهر ذلك

وقيل: معنى كونه تبياناً أنه كذلك في نفسه، وهو لا يستدعي وجود مبین له، فضلاً عن تشارك الجميع في تحقق هذا الوصف بالنسبة إليهم؛ بأن يفهموا حال كل شيء منه على أنه وجه. وتظهر ذلك الشمس فإنها منيرة في حد ذاتها، وإن لم يكن هناك مستنير أو ناظر، وينفي عن هذا الاعتبار اعتبار أن المبالغة بحسب الكيفية لا الكيفية.

ويؤيد القول بالظاهر أن الشيخ الأكبر قدس سره وغيره قد استخرجوا منه ما لا يخص من الحوادث الكونية، وقد رأيت جدولاً حرقاً منسوباً إلى الشيخ كتب عليه: أنه يعرف منه حوادث أهل المشرق، وآخر كتب عليه: أنه يعرف منه حوادث أهل الجنة، وآخر

كُتِبَ عليه: أَنَّهُ يُعْرِفُ مِنْهُ حَوَادِثَ أَهْلِ الثَّارِ.

وَكُلَّ ذَلِكَ عَلَى مَا يَزْعَمُونَ مُسْتَخْرَجٌ مِنَ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ. وَمِثْلُ هَذَا الْجَمْعُ الْجَامِعُ الْمُنْسُوبُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَهُ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ جَامِعٌ لِمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْحَوَادِثِ الْكَوْنِيَّةِ، وَهُوَ أَيْضًا مُسْتَخْرَجٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

وَقَدْ نَقَلَ الْجَلَالُ الشَّيْطُونِيُّ عَنِ الْمُزْسِيِّ أَنَّهُ قَالَ: جَمَعَ الْقُرْآنُ عُلُومَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِحَيْثُ لَمْ يَحِطْ بِهَا عِلْمٌ حَقِيقَةٌ إِلَّا الْمُتَكَلِّمُ بِهِ، ثُمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خِلا مَا لَمْ تَأْتِرْ بِهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ وَرَثَ عَنْهُ مُطَمِّنٌ ذَلِكَ سَادَاتُ الصَّحَابَةِ وَأَعْلَامُهُمْ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَقِيلَ: لَا يَحْتَلُو الزَّمَانُ مِنْ عَارِفٍ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، وَهُوَ الْوَارِثُ الْهَدْيِيُّ وَيُسَمَّى: الْفَوْزُ، وَقُطْبُ الْأَقْطَابِ، وَالْمَظْهَرُ الْأَكْثَرُ، وَمَظْهَرُ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ، [إِلَى تَحْرِيرِ ذَلِكَ]، وَيُرَدُّ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ: حَدِيثُ التَّأْيِيرِ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ».

وَأَجِيبُ: بِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ قَبْلَ نَزُولِ مَا يَعْلَمُ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَالِ التَّأْيِيرِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ النُّزُولِ، وَقَالَ ذَلِكَ ﷺ قَبْلَ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ وَالنَّظَرِ فِيهِ، وَلَوْ رَجَعَ وَنَظَرَ لَسَلِمَ فَوْقَ مَا عُلِمُوا.

فَأَعْلَمِيَّتُهُمْ بِأُمُورِ دُنْيَاهُمْ إِنَّمَا جَاءَتْ لِكَوْنِ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الرَّجُوعِ وَالنَّظَرِ، وَعِلْمُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ، وَهَذَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مَا اسْتَدْبَرْتُ لِمَا سُفِّتَ الْهَدْيِيُّ»، مَعَ أَنَّ سَوَى الْهَدْيِيِّ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيِيَّةِ، وَقَدْ قَالُوا: إِنَّ

الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ تَبَيَّنَ لَهَا، وَهَذَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ لَوْلَا هَذَا الْجَوَابُ، فَتَأَمَّلْ، فَالْبَحْتُ بِمَدِّ غَيْرِ خَالٍ عَنِ الْقَبِيلِ وَالْقَالَ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْأُمُورَ إِنَّمَا دِينِيَّةٌ أَوْ دُنْيَوِيَّةٌ، وَالْدُّنْيَوِيَّةُ لَا أَهْتَامَ لِلشَّارِعِ بِهَا، إِذْ لَمْ يُبْعَثْ لَهَا، وَالْدِّينِيَّةُ إِنَّمَا أَصْلِيَّةٌ أَوْ فَرْعِيَّةٌ، وَالْأَهْتَامُ بِالْفَرْعِيَّةِ دُونَ الْأَهْتَامِ بِالْأَصْلِيَّةِ، فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ أَوَّلًا بِالذَّاتِ مِنْ بَعَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ هُوَ التَّوْحِيدُ وَمِثْلُهُ، بَلِ الْمَطْلُوبُ مِنَ خَلْقِ الْعِبَادِ هُوَ مَعْرِفَتُهُ تَعَالَى، كَمَا يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [الذَّارِيَاتُ: ٥٦]، بِنَاءً عَلَى تَفْسِيرِ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ بِالْمَعْرِفَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الْمَشْهُورِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ الْمَصْحُوحِ مِنْ طَرِيقِ الصُّوْفِيَّةِ: «كَنتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِأُعْرِفَهُ»، وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ قَدْ نَكَّلَ بَيَانِ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ، عَلَى أَتَمِّ وَجْهِ، فَلْيَكُنِ الْمُرَادُ مِنْ (كُلُّ شَيْءٍ) ذَلِكَ، وَلَا يَحْتَاجُ هَذَا إِلَى تَوْجِيهِ كَوْنِهِ تَبَيَّنًا إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَمْلَ (كُلُّ شَيْءٍ) عَلَى أُمُورِ الدِّينِ مُطْلَقًا، مِنْ قَوْلِنَا: إِنَّهُ بِإِعْتِبَارِ أَنْ فِيهِ نَصًّا عَلَى الْبَعْضِ، وَإِحَالَةً لِبَعْضِ الْآخَرِ عَلَى السَّيِّئَةِ الْخ.

وَاخْتَارَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنْ (كُلُّ شَيْءٍ) عَلَى ظَاهِرِهِ، إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّبَيَّنِ: التَّبَيَّنَ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، وَمِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُبَيَّنُ فِي الْكِتَابِ حَالَهُ إِجْمَالًا، وَيَكْفِي فِي ذَلِكَ بَيَانُ بَعْضِ أَحْوَالِهِ، وَالْمُبَالَغَةُ بِإِعْتِبَارِ الْكَيْفِيَّةِ لَا الْكَيْفِيَّةِ عَلَى مَا عَلِمْتُ سَابِقًا، وَلَوْ حَمَلَ التَّبَيَّنَ عَلَى مَا يَمَعُ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ مَعَ اعْتِبَارِ مَرَاتِبِ الْمُسَبِّحِينَ لَهُمْ، وَاعْتِبَارِ التَّوْزِيْعِ جَارٍ أَيْضًا، فَلْيَتَدَبَّرْ.

ونصب (تبييناً) على الحال، كما قال أبو حنيفة: وجوز أن يكون مفعولاً من أجله، أي نزلنا عليك الكتاب لأجل التبيان. (١٤: ٢١٤)

القاسمي: والتبيان من المصادر التي بُنيت على هذه الصيغة، لتكثير الفعل والمبالغة فيه، أي تبيناً لكلّ علم نافع، من خبر ماسبق وعلم ماسيأتي، وكلّ حلال وحرام، وما للناس يحتاجون إليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم. (١٠: ٢٨٤٩)

جزء دُرُوزَة: وقد يرد أن ما نزل من القرآن بعد هذه السورة شيء كثير، وفيه كثير من التشريعات والتلقيات والمبادئ والأحداث، فكيف يصح أن تذكر الفقرة الأخيرة أن في الكتاب الذي قد يعني ما نزل به إلى هذه السورة تبيناً لكلّ شيء؟

وليس في هذا الوارد شيء. فلي ما نزل الله قبل هذه الآية من الأسس والمبادئ والتلقيات والمواظع، والبراهين على وجوب وجوده ووحدانيته، واستحقاقه وحده للخضوع، ما يصح أن يقال: إنه تبين لكلّ شيء. وهذا ورحمة وبشرى للمؤمنين. والكتاب كما يطلق على ما نزل من القرآن إلى هذه الآية، يطلق على مجموعه، والله عليم بما سوف يُنزل بعدها، وليس في علم الله سابق ولا حق حتى يصح ذلك الوارد.

هذا ونقول في نفس الجملة: إن الذي يقرأ القرآن بتدبر وإيمان، وتكون عنده رغبة صادقة في الحق، ولا يكون مبيهاً للمكابرة والعناد، يظهر على صدق التقرير الذي احتوته، حيث يجد فيه حقاً كلّ هدى ورحمة وبشرى وتبيان، ويرى في ذلك أعظم نعمة

أنعمها الله على بني آدم، ويرى من تمام هذه النعمة أن حفظه الله كما يلزمه رسوله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت: ٤٢، ليظل دائماً المورد الصافي الذي يجد فيه كلّ الناس في كلّ زمان، الشفاء والهدى والرحمة والبشرى والبيان الواضح، ولقد انطوى في الجملة في الوقت نفسه دعوة لكلّ الناس في كلّ زمن ومكان، للنظر فيه، ليجدوا ذلك.

ولقد أَوَّلَ جمهور المفسرين جملة ﴿تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بمعنى بيان ما للناس في حاجة إليه من طرق الهدى والضلال، والخير والشر، والحلال والحرام، والحق والباطل، والحدود، والأحكام.

وفي هذا من الوجهة ما يتفق مع أهداف القرآن، فنحن نرى أن تبقى الجملة في هذا التطاق مع عدم فصلها عما تنبأ به القرآن، وعدم الخروج بها إلى قصد تبين ظريعات الكون ونواميسه وموجوداته وأحداثه، مما يحاوله بعض المسلمين استنباطاً من إشارات القرآن الوظيفية والتعميلية والتذكيرية، لأنّ في هذا كثيراً من التعمّل، كما فيه إخراج للقرآن عن قدسيته وأهدافه السامية. (٩١: ٩٦)

الطباطبائي: ذكروا أنّه استئناف يصف القرآن بكرامات صفاته، فصفته العاتقة أنّه تبين لكلّ شيء، والتبيان والبيان واحد - كما قيل - وإذا كان كتاب هداية لعامة الناس - وذلك شأنه - كان الظاهر أنّ المراد بكلّ شيء كلّ ما يرجع إلى أمر الهداية، مما يحتاج إليه الناس في: اهتدائهم عن المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدل والمعاد، والأخلاق الفاضلة، والسرائع الإلهية، والقصص،

والمواظ، فهو تبيان لذلك كله.

ومن صفته الخاصة - أي المتعلقة بالمسلمين الذين يُسلمون للحق - أنه هُدى يستدون به إلى مستقيم الصراط، ورحمة لهم من الله سبحانه يحوزون بالعمل بها فيه خير الدنيا والآخرة، وينالون به ثواب الله ورضوانه، وبشرى لهم ببشرهم بمغفرة من الله ورضوان، وجنات لهم فيها نعيم مقيم.

هذا ما ذكره وهو مبني على ما هو ظاهر التبيان من البيان المجهود من الكلام، وهو إظهار المقاصد من طريق الدلالة اللفظية، فإننا لانتهدي من دلالة لفظ القرآن الكريم إلا على كليات مانقذة، لكن في الروايات ما يدل على أن القرآن فيه علم ما كان وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة.

ولو صحت الروايات لكان من اللزوم أن يكون المراد بالتبيان الأصم، مما يكون من طريق الدلالة اللفظية، فلعل هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظية تكشف عن أسرار وخبائيا لاصيل للفهم المتعارف إليها.

والظاهر - على ما استفاد من سياق هذه الآيات المسوقة للاحتجاج على الأصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، والكلام فيها ينطف مرة أخرى عليها - أن قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ إلخ، ليس باستئناف بل حال عن ضمير الخطاب في (جئت بك)، بتقديره قدّم أو بدون تقديرها، على الخلاف بين النحاة في الجسطة الحالية المصدرة بالفعل الماضي.

والحق: وجئنا بك ههنا على هؤلاء، والحال أنا

نزلنا عليك من قبل في الدنيا الكتاب، وهو بيان لكل شيء من أمر الهداية، يُعلم به الحق من الباطل، فيتعقل شهادة أعباهم، فيشهد يوم القيامة على الظالمين بما ظلموا، وعلى المسلمين بما أسلموا، لأن الكتاب كان هدى ورحمة وبشرى لهم، وكنت أنت بذلك هاديا ورحمة ومبشرا لهم.

وعلى هذا فصدر الآية كالتوطئة لذيلها، كأنه قيل: سيعت شهداء يشهدون على الناس بأعباهم، وأنت منهم، ولذلك نزلنا عليك كتابا يبين الحق والباطل، ويميز بينها حتى تشهد به يوم القيامة على الظالمين بظلمهم، وقد بين الكتاب، وعلى المسلمين بإسلامهم، وقد كان الكتاب هدى ورحمة وبشرى لهم، وكنت هاديا ورحمة ومبشرا به.

ومن لطيف ما يؤيد هذا المعنى مقارنة (الكتاب) بالشهادة في بعض آيات الشهادة، كقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشَّاهِدِينَ وَالشُّهَدَاءُ﴾ الزمر: ٦٩، وسيجيء إن شاء الله أن المراد به: اللوح المحفوظ، كقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كتاب مكنون الواقعة: ٧٧، ٧٨، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ في لُوح محفوظ البروج: ٢١، ٢٢.

وشهادة «اللوحة المحفوظة» وإن كانت غير شهادة النبي ﷺ، لكنهما جميعا متوقفتان على قضاء الكتاب النازل.

خليل ياسين: كيف نزل القرآن ﴿وَيَتَيْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وكثير من الأحكام الشرعية لم يتعرض إليها، فإنه قال: ﴿وَأَلْبِئُوا الشُّلُوءَ وَأَتُوا الزُّكُوءَ﴾ البقرة: ٤٣،

ولم يبين لنا ماهية الصلاة، وأنها: تكبير، وقراءة، وركوع، وسجود، وذكر، وتشهد، وتسليم، إلخ. وقال سبحانه: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْهُ الْمُؤْمِن: ٧٨﴾، وما أكثر ما لم يذكر في القرآن! الجواب: المراد بالكتاب: القرآن، وقد ذكر كل ما يحتاج إليه الإنسان في أمور دينه، ولكن منه ما ذكر مصرحاً به، ومنه ما ذكر مجملًا، وهو ما ألتأنا به الرسول ﷺ. وقد أمرنا باتباعه بقوله سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
الحشر: ٧.
(٣٢٦: ١)

تَبَيَّنَ

١... وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ نَكْسُحُهَا
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
البرقعة: ٢٥

الطَّبْرِيُّ: فلما اتضح له حياناً، ما كان مستكراً من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك، قال: أَعْلَمُ الآن بعد المعاينة والاتضاح به والبيان. ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
(٤٥: ٣)

الطُّوسِي: أي ظهر.
مثله الطَّبْرِيُّ.
(٣٢٥: ٢)
(٣٧٠: ١)

الرُّمَيْسِيُّ: وفاعل (تَبَيَّنَ) مضمَر، تقديره: فلما تبين له أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، كما في قولهم: ضربي وضربت زيدا، ويجوز ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما أشكل عليه، يعني أمر إحياء الموتى. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) على

البناء للمفعول. (٣٩١: ١)

ابن حَطِيطَةَ: [نقل كلام الطَّبْرِيِّ وقال:]
وهذا خطأ، لأنه ألزم ما لا يقتضيه اللفظ، وفسر على القول الشاذ والاحتمال الضعيف. (٣٥١: ١)
الفَخْرُ الرَّازِيُّ: إنه تعالى قال في حقه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾، وهذا يدل على أنه قبل ذلك لم يكن ذلك التبين حاصلًا له، وهذا ضعيف، لأنَّ تَبَيَّنَ الإحياء على سبيل المشاهدة، ما كان حاصلًا له قبل ذلك، فأمَّا أن تبين ذلك على سبيل الاستدلال ما كان حاصلًا فهو ممنوع.

(٣١: ٧)

أبو حَتَّانَ: قرأ الجمهور (تَبَيَّنَ) مبتدأ للفاعل. وقرأ ابن عباس (تَبَيَّنَ له) مبتدأ للمفعول الذي لم يسم فاعله. وقرأ ابن السكيت (تَبَيَّنَ له) بغير تاء مبتدأ لما لم يسم فاعله.

فعل قراءة الجمهور الظاهر أَنَّ (تَبَيَّنَ) فعل لازم، والفاعل مضمَر يدل عليه المعنى، وقدره الرُّمَيْسِيُّ: فلما تبين له ما أشكل عليه، يعني أمر إحياء الموتى، ويتبين أن يجعل على أنه تفسير معنى. وتفسير الإعراب أن يقدر مضمراً، يعود على كيفية الإحياء التي استخرجها بعد الموت. [ثم نقل كلام الرُّمَيْسِيِّ وقال:]

فجعل ذلك من باب الإعمال. وهذا ليس من باب الإعمال، لأنهم نصوا على أَنَّ العاملين في هذا الباب لابد أن يشتركا، وأدَّى ذلك بحرف العطف، حتى لا يكون الفصل معتبراً ويكون العامل الثاني معمولاً للأول، وذلك نحو قولك: جاءني يضحك زيد، فجعل في «جاءني» ضميراً أو في «يضحك» حتى لا يكون هذا

الفعل فاعلاً.

فإن كان أراد بالإضمار المحذف فقد خرج إلى قول

الكسائي: من أن الفاعل في هذا الباب لا يضر. لأنه يؤدي إلى الإضمار قبل الذكر. بل يحذف عنه الفاعل. والتجاع يرد عليه. [تم استشهد بشعر]

وأما على قراءة ابن عباس فالجواز والجرور هو المفعول الذي لم يسم فاعله.

وأما في قراءة ابن السميح فهو مضر. أي بين له هو أي كيفية الإحياء. (٢: ٢٩٥)

أبو الشعود: أي مادلٍ عليه الأمر بالنظر إليه من كيفية الإحياء بمباهيه. والفاء) للطف على مقدّر استدعيه الأمر المذكور وأما حذف للإيدان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر. وللإشعار بسرعة وقوعه. كما في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا زَاغَ الشَّمْسُ عَنَ دَارِ الْفُلِّ﴾. ٤٠. بعد قوله ﴿وَأَنَا أَنبُوكَ بِكَ قَتْلَ أَنْ يَزِيدَ إِلَيْكَ طَرَفُكَ﴾. كأنه قيل: فأنشأها الله تعالى وكساها لحماً. فظهر إليها فتبين له كيفيته. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك. أي اتضح اتضاحاً تاماً. (١: ٣٠٣)

نحوه الأوسى. (٣: ٩٣)

البرزوسوي: أي ظهر له إحياء الميت حياً.

(١: ٤١٤)

القاسمي: أي اتضح له إعادته مع طعامه وشرايه

وحماره. بعد التلف الكلي. وظهر له كيفية الإحياء.

(٣: ٦٧١)

الطباطبائي: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ رجوع منه بعد التبيين إلى علمه الذي كان معه قبل التبيين. كأنه لما خطر بهاله المخاطر

ولا يرد على هذا جعلهم: ﴿أَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾

الكهف: ٩٦. ولا: ﴿هَآؤُمْ أَفْرُوا كِتَابِيَّةً﴾ الحاقة: ١٩.

ولا: ﴿تَقَالُوا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ المسافرون: ٥.

ولا: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ النساء:

١٧٦. من الإعمال. لأن هذه العوامل مشتركة بوجه ما

من وجوه الاشتراك. ولم يحصل الاشتراك في المطف

ولا العمل. ولتقرير هذا بحث يذكر في النحو.

فإذا كان على ما نصوا. فليس العامل الثاني مشتركاً

بينه وبين (تبيين) الذي هو العامل الأول. بحرف عطف

ولا غيره. ولا هو محمول للتبيين بل هو محمول

للقال. وقال جواب (لما) إن قلنا: إنها حرفة

وعامله في (لما) إن قلنا: إنها ظرف. والتبيين على هذا

القول في موضع خفض بالظرف.

ولم يذكر التحويتون في مثل هذا الباب: لو جاء قتلت

زيداً. ولا لما جاء ضربت زيداً. ولا متى جاء قتلت زيداً.

ولا إذا جاء ضربت خالداً. ولذلك حكى التحويتون أن

العرب لا تقول: أكرمت أمنت زيداً.

وقد ناقض الزمخشري في قوله. فإنه قال: وفاعل

(تبيين) مضر ثم قدره. فلما تبين له أن الله على كل شيء

قدير قال: (أَعْلَمُ) إلى آخره.

قال: فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. كما في

قولهم: ضربني وضربت زيداً. والمحذف ينافي الإضمار

للفاعل. وهذا عند البصريين إضمار لا حذف. بل هو

إضمار يفسره ما بعده. ولا يميز البصريون في مثل هذا

الباب حذف الفاعل أصلاً.

لكنه اعتقاد حداثي مخلول الزرع والاستظام
النفاسيتين المذكورين، يزول بزوالها ولا يوجد لمن
لم يشاهد ذلك.

وعلى أي حال لا يستحق التحويل والاعتقاد عليه،
وحاشا أن يعدّ الكلام الإلهي مثل هذا الاعتقاد والقول
نتيجة حنة ممدوحة لبيان إلهي، كما هو ظاهر قوله
تعالى بعد سرد القصة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ
عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، على أنه خطأ في القول لا يليق
ساحة الأنبياء ثالثاً. (٣٦٥: ٢)

٢... قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْفَقْرِ. البقرة: ٢٥٦
العلمسي: معناه قد ظهر بكثرة الحجج، والآيات
الوحيّة لأهلها ما أتى الرسول فيه، إل ما فيه الفعل منه.

(٣١١: ٢)
التفسير: وامتاز الليل بظلامه عن النهار بضياءه،
والحقائق الأزلية معلومة، والمحدود الأولية معلولة، فهذا
بنت القدم وهذا يوصف القدم. (٢١٠: ١)

الرّمحشمري: قد تميّز الإيمان من الكفر بالدلائل
الواضحة. (٣٨٧: ١)
نحو، التّضادّي. (١٣٤: ١)

ابن عطية: معناه بصب الأدلة، ووجود الرسول
الداعي إلى الله، والآيات المنيرة. (٣٤٣: ١)

الفخر الرازي: أي تميّز الحق من الباطل، والإيمان
من الكفر، والهدى من الضلالة، بكثرة الحجج والآيات
الدالة.

قال القاضي: ومعنى ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ﴾ أي أنه قد

الذي ذكره بقوله: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾، أقنع نفسه بما
عنده من العلم بالقدرة المطلقة.

ثم لما بيّن الله له الأمر ببيان إلهاد وعيان رجوع إلى
نفسه، وصدّق ما اعتمد عليه من العلم، وقال: لم تنزل
تصيح لي ولا تخونني في هدايتك وتفويك، وليس
مالاتزال نفسي نعتد عليه من كون القدرة مطلقة جهلاً،
بل علم يليق بالاعتقاد عليه.

وهذا أمر كثير النظائر، فكثيراً ما يكون للإيمان
علم بشيء ثم يخطر بباله ويهيج في نفسه خاطر
ينافيه، لا للشك وطلان العلم، بل لأسباب وعوامل
أخرى، فينتع نفسه حتى تنكشف الشبهة، ثم يعود
فيقول: أعلم أن كذا كذا وليس كذا كذا، فيقرّر بذلك
علمه ويطيّب نفسه.

وليس معنى الكلام: أنه لما تبين له الأمر حصل له
العلم، وقد كان شاكاً قبل ذلك فلما قال ﴿أَعْلَمُ﴾ إلح، كما
مرّت الإشارة إليه، لأن الرجل كان نبياً مكلفاً، وساحة
الأنبياء منزّه عن الجهل بالله، وخاصّة في مثل صفة
القدرة التي هي من صفات الذات أولاً، ولأن حق
الكلام حينئذ أن يقال: علمت أو ما يؤدّي معناه ثانياً،
ولأن حصول العلم بتعلّق القدرة بإحياء الموتى لا يوجب
حصول العلم بتعلّقها بكل شيء، وقد قال: أعلم أن الله
بكل شيء قدير.

نعم ربّما يحصل الحسد بذلك في بعض النفوس، كمن
يستعظم أمر الإحياء في القدرة، فبادراً مشاهداً له
ماشاهده، وذهلت نفسه عن سائر الأمور، فحكم بأن
الذي يحيي الموتى بقدر على كل ما يريد أو أريد منه،

اتضح والجهل بالأدلة، لأن كل مكلف تنبه، لأن المعلوم خلاف ذلك.

وأقول: قد ذكرنا أن معنى (تَبَيَّنَ) انفصل وامتناز. فكان المراد أنه حصلت اليقونة بين الرشد والغي بسبب قوة الدلائل وتأكيدهم البراهين، وعلى هذا كان اللفظ مجرى على ظاهره. (١٦: ٧)

أبو حنيفة: أي استبان الإيمان من الكفر، وهذا يبين أن الذين هو معتقد الإسلام. (٢٨٢: ٢)

أبو السموه: استئناف تمليح صُدِّرَ وبكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه، كما في قوله عز وجل: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ الكهف: ٧٦، أي إذ قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يتمتع توهم اشتراك غيره في شيء منها، الإيمان: الذي هو الرشد الموصل إلى السعادة الأبدية، من الكفر: الذي هو الغي المؤدي إلى الشقاوة السرمديّة. (٢٩٧: ١)

نحوه الألويسي. (١٣: ٣)

صدر المتألهين: وفيه رشحات:
الأول: في اللغة [وقد تقدمت في النصوص اللغوية] الرّشحة الثانية: في انتظامه بما سبق، لما ذكر الذين وأنه لا يحصل بالإكراه شرع في شرح ماهيته، وقال: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي وضع وانكشف عما ذكر سابقاً من شواهد المعرفة: أن الذين الحقيقي الذي هو سلوك سبيل الله وقطع المنازل والمراحل التي بين السبيل ومولاه المسمى بالرّشد والهدى، من الضلال الحقيقي الذي هو سلوك سبيل الشيطان والهوى، وهو المسمى بالغواية والغي.

ووجه هذا التبين والانكشاف: أن طريق الحق ليس إلا واحداً، وطرق أهل الضلال وإن كانت مختلفة متكررة لا يمكن إحصاؤها، لكن إذا عرف هذا الواحد، وانكشف لدى العارف البصير بالبصيرة الباطنة أنه طريق الحق، يتبين ويتحقق أن ما سواه طريق الضلال، فجميع طرق الضلال يُعرف بمجرد معرفة طريق الحق، إذ يصدق على كل منها أنه غير الحق ﴿فَسَادًا يَهْدَى الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ يونس: ٣٢.

ولهذا ورد عن النبي ﷺ: «ستفارق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، والآجية منها واحدة». وهذا العدد المعين لما سوى الفرقة الآجية إنما هو بحسب الأجتناس الكلية، والآهي بحسب الخصوصيات فغير محصورة كما حُرِّجَ ومع هذا من عرف طريق السجادة يعلم أن غيره طريق الهلاك.

الرّشحة الثالثة: في تحقيق معنى التبين في هذا المقام: اعلم أن معنى ﴿تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ تميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، بحسب الواقع، وبما يلزم من الحجج والبيّنات الدّالة، والبراهين الواضحة عند من نظر وتدبر في تلك الأدلة والبراهين، لأن كل مكلف تنبه به، لأن ذلك خلاف ما هو المعلوم من حال أكثرهم.

لأنهم إما جهال محضة وإما مقلدون، والمقلد كالجاهل في عدم كونه عارفاً بصيراً، ويمتاز عنه في كونه معتقداً، ودرجة المعرفة فوق الاعتقاد، لأنها كما يحصل معها الانسراح الباطني، والمشاهدة المعنوية دون اعتقاد المقلد، إذ لا انسراح ولاطمئنان معه للقلب، وإنما الفائدة فيه مجرد الاتّباع للقائد العارف في صورة الأفعال

الشرعية، والأوضاع الدينية الموجبة لرياضة القوى البدنية، وتطويع النفس الأمانة لتلا وصول على النفس المطمئنة.

وبذلك يحصل للنفس الإنساني الامتياز عن سائر النفوس الحيوانية التي لا معاد لها في الآخرة. وعن النفوس الشقية المتمردة عن طاعة الشريعة التي لها العقوبة الأخروية؛ وذلك لأن الاقتداء بأهل الكمال - ولو في صورة الأفعال، مع خلو النفس من رذائل الأوصاف وقبائح الأعمال، وسداجة القلب عما يضاد، ونيل الرحمة من المبدأ الفعال مع صدق النية وصفاء الطوية - يوجب أن ينال المقتدي نصيباً من السعادة الأخروية واللذات الآجلة التي للمعارفين، وأن يتصور ذاته بنور المتابعة لهم والانخراط في سلوكهم، والاستعانة بسعادتهم، على نهج التبعية والعرض، لا على وجه الاستقلال.

إذ السعادة الحقيقية منوطة بالمعرفة الحقيقية. بل هي عينها؛ فحيث لاستقلال في المعرفة لاستقلال في السعادة، ولكن بحسب «من تشبه بقوم فهو منهم»، كان للمتشبه بأهل الكمال بقدر تشبهه بهم ضرباً^(١) من السعادة في المآل.

تَبَيَّنَتْ

... فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَغْلَبُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ أَثْنَيْنِ.

أَبُو عُبَيْدَةَ: مجازه، مجاز المختصر الذي فيه ضمير، لأنَّ (تَبَيَّنَتْ) في موضع «أبانت الجِنَّ للناس» أن لو كانوا

يعلمون الغيب لما كانوا في العذاب، وقد مات سليمان عليه السلام.

ابن قُتَيْبَةَ: كان الناس يرون الشياطين تعلم كثيراً من الغيب والسر، فلما خَرَّ سليمان تَبَيَّنَتْ الجِنَّ، أي ظهر أمرها.

وقد يجوز أن يكون «تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ» أي علمت وظهر لها العجز، وكانت تسترق السمع، وتُلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب، فلما خَرَّ سليمان زال الشك في أمرها، كأنها أقرت بالعجز.

وفي مُصحف عبد الله: (تَبَيَّنَتْ الْإِنْسُ أَنْ الْجِنَّ...) (٣٥٥) القيسية: (أَنْ) في موضع رفع بدل من (الجن)، والتقدير: تبين الإنسان أن الجن لو كانوا يعلمون، وقيل: (أَنْ) في موضع نصب على حذف اللام: لأن.

البقوي: أي علمت وأيقنت. نحوه الخازن.

الرَّمْضُشَرِيُّ: من تبين الشيء، إذا ظهر وتجلي. و(أَنْ) مع صلتها بدل من (الجن) بدل الاشتغال، كقولك: تبين زيد جهله، والظهور له في المعنى، أي ظهر أن الجن «لَوْ كَانُوا يَغْلَبُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ». أو علم الجن كلهم علماً يتنا بعد التباس الأمر على عاينتهم وضحتهم وتوهمهم: أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب، أو علم المدَّعون علم الغيب منهم عجزهم، وأنهم لا يعلمون الغيب وإن كانوا عاينين قبل ذلك بحالهم.

(١) كذا، والصحيح: ضرباً.

وإنما أريد التَّهَكُّمَ بهم كما تهكَّم مدَّعي الباطل، إذا دُحضت حجته وظهر إبطاله بقولك: هل تبيَّنت أنك مبطل؟ وأنت تعلم أنه لم يزل كذلك متبيِّناً.

وقرئ (تُبَيَّنَتِ الْجِنَّ) على البناء للمفعول، على أن المتبيَّن في المعنى هو (أَنْ) مع ما في صلتها، لأنه بدل، وفي قراءة أبي (تُبَيَّنَتِ الْإِنْسُ)، وعن الضحاك: (تُبَيَّنَتِ الْإِنْسُ) بمعنى تعارفت وتعلَّمت.

والضمير في (كَانُوا) للـ(الجن) في قوله: «وَمِنَ الْجِنَّةِ مَنْ يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ» ص ١٢، أي علمت الإنس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم النيب ما لبثوا.

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (تُبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ الْفَيْتَ). (٢٨٨: ٣)

ابن عطية: وقرأ الجمهور (تُبَيَّنَتِ الْجِنَّ) على البناء، الفعل إليها، أي بان أمرها، كأنه قال: افتضحت الجن أي للإنس، هذا تأويل، ويحتمل أن يكون قوله: (تُبَيَّنَتِ الْجِنَّ) بمعنى علمت الجن وتحققت، (٤١٢: ٤)

الطبرسي: وقرأ يعقوب (تُبَيَّنَتِ الْجِنَّ) بضم التاء والتاء وكسر الباء، والباقون (تُبَيَّنَتِ) بفتح الجيم، وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك (تُبَيَّنَتِ الْإِنْسُ)، وهو قراءة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وأبي عبد الله عليه السلام، أي ظهرت الجن فأنكشف للناس، (أَنْ لَوْ كَانُوا...) (٢٨٤: ٤)

أبو حيان: [نحو ما تقدم عن الزُّعَمَرِيِّ وأضاف:] ويجيء «تَبَيَّنَ» بمعنى «بان وظهر» لازماً، وبمعنى «عَلِمَ» متمنياً، موجود في كلام العرب. [ثم استشهد

بضم]

وقال ابن عطية: ذهب يسويه إلى أَنْ (أَنْ) لاموضع لها من الإعراب، إنما هي موزونة نحو أَنْ ما ينزل منزلة القسم من الفعل الذي معناه التحقيق واليقين، لأن هذه الأفعال التي هي: تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها، تحمل على القسم، (مَالُوا) جواب القسم لا جواب (لَوْ)، وعلى الأقوال الأول جواب (لَوْ).

وفي كتاب النقاس: إشارة إلى أنه يُقرأ (تُبَيَّنَتِ الْجِنَّ) بنصب (الجن) أي تبيَّنت الإنس الجن، والمعنى أن الجن لو كانت تعلم الغيب ما خفي عليها موته، أي موت سليمان، وقد ظهر أنه خفي عليها بدوامها في الخدمة والخدمة وهو ميت. [ثم نقل القراءات نحو ما تقدم عن الطبرسي] (٢٦٧: ٧)

الطبرسي: أي علمت علماً بيئاً لا يقدرون معه على تدبير وتليس، وانفضح أمرهم وظهر ظهوراً تاماً. (٢٨٨: ٣)

أبو السعود: من تبيَّنت الشيء، إذا علمته بعد التباسه عليك، أي علمت الجن علماً بيئاً بعد التباس الأمر عليهم. (٢٥٢: ٥)

نحو البروسوي. (٢٧٨: ٧)

الآلوسي: [ذكر نحو ما تقدم عن الزُّعَمَرِيِّ وأضاف:] وجوز أن يكون «تَبَيَّنَ» بمعنى بان وظهر، فهو غير متعدٍ لمفعول كما في الوجه الأول، فإن مفعوله فيه (أَنْ لَوْ كَانُوا) إلخ، وهو في هذا الوجه بدل من (الجن) بدل اشتغال، نحو تبين زيد جهله، والظهور في الحقيقة مستند

إليه، أي فلما خَرَّ بَانَ لِلنَّاسِ، وظهر أَنَّ الجَنَّ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب.

ولا حاجة على مآقِرَّر إلى اعتبار مضاف مقدَّر هو فاعل في الحقيقة، إِلَّا أَنَّهُ بعد حذفه أُقيم المضاف إليه مقامه وأُسند إليه الفعل، ثُمَّ جُمِلَ (أَنَّ لَوْ كَانُوا) إلخ بدلاً منه بدل كلٍّ من كلٍّ، والأصل: تَبَيَّنَ أمر الجَنِّ أَنَّ لو كانوا إلخ.

وجعل بعضهم في قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ إلخ قياساً طويلاً كبراه، فكأنه قيل: لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين، لكنهم لبثوا في العذاب المهين فهم لا يعلمون الغيب.

وبمعنى «تَبَيَّنَ» بمعنى بَانَ وظهر لازماً، وبمعنى أدرك وعلم متعدياً بوجود في كلام العرب. [ثم استشهد بشعر، وبعد نقل كلام أبي حيان عن ابن عطية قال:] فتأمله فإنِّي لأؤكد أنعمله وجهاً يُلصق إليه.

وفي «أمالي» العزَّ بن عبد السلام: أَنَّ (الجَنِّ) ليس فاعل (تَبَيَّنَتْ) بل هو مبتدأ، و﴿أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ خبره، والجملة مفسرة لضمير الشَّان في (تَبَيَّنَتْ)، إذ لو لا ذلك لكان معنى الكلام: لما مات سليمان وخَرَّ، ظهر لهم أَنَّهُمْ لا يعلمون الغيب، وعلمهم بعدم علمهم الغيب لا يتوقف على هذا، بل المعنى تَبَيَّنَتْ القصَّة ما هي، والقصَّة قوله تعالى: ﴿الْجَنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ انتهى.

والعجب من صدور مثله عن مثله، وما جعله مانعاً عن فاعليَّة (الجَنِّ) مدفوع بما سمعت في تفسير الآية، كما لا يلحق.

(١٢٢: ٢٢)

مكارم الشيرازي: جملة (تَبَيَّنَتْ) من مادة (بين) عادة بمعنى اتضح، فعل لازم. وأحياناً يأتي أيضاً بمعنى العلم والاطلاع، فعل متعدٍّ. وهنا يتناسب المعنى مع الحالة الثانية، بمعنى أَنَّ الجَنَّ لم يعلموا بموت سليمان إلى ذلك الوقت، ثُمَّ علموا وفهموا أَنَّهُمْ لو كانوا يعلمون الغيب، لما بقوا حتَّى ذلك الحين في تعب وآلام الأعمال الناقصة التي كلَّفوا بها.

جمع من المفسرين أخط المعنى بالحالة الأولى، وقال: إِنَّ مقصود الآية هو أَنَّهُ بعد أن هوى جُحَّان سليمان عليه السلام إلى الأرض اتَّضحت حقيقة الجَنِّ للنَّاس، وأنَّهُمْ لا يعلمون شيئاً من الغيب، وحينئذ كان اعتقاد البعض بأطلاع الجَنِّ على الغيب.

(١٣: ٣٧٥)

يَتَبَيَّنُ

... وَكَلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...
البقرة: ١٨٧
الطُّوسِي: أي يظهر، والتَّبَيَّنُ: تَبَيَّنَ الشَّيْءُ يظهر للنَّاس على التحقيق.

الطُّوسِي: أي يظهر ويتميَّز لكم على التحقيق
﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾.

الطُّوسِي: (حَتَّى) غاية للتَّبَيَّنِ، ولا يصح أن يقع التَّبَيَّنُ لأحد ويحرم عليه الأكل إِلَّا وقد مضى لطلوع الفجر قدر.

واختلف في الخَدِّ الذي يَتَبَيَّنُهُ يجب الإمساك، فقال الجمهور: ذلك الفجر المعرض في الأفق يمتد ويسرة، وبهذا جاءت الأخبار ومضت عليه الأمصار. (٢: ٣٦٨)

راجع «غ ي ط» (المخطوط).

نحوه البهري. (٢٢٩: ١١)

التبئدي: [قال نحو الطوسي وأضاف:]

إن قيل: هذا التبيين والتثبت في هذه الآية واجب في

السفر والمضمر، ولا فرق بينهما، فأي معنى لاختصاصه
بالسفر؟

الجواب: حدثت هذه الواقعة في السفر، ولذا خصت

بالسفر. والسفر يدل على المضمر، كما أن رب المرأة

خص الزهن في السفر، وقال: «وَأَنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ

وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ» البقرة: ٢٨٣، ثم شبه

السفر هل المضمر ليساوي حكم الزهن في السفر

والمضمر، وكذلك هاهنا. (٢: ٦٤٤)

نحوه القرطبي. (٣٣٧: ٥)

الزَّمْخَشَرِي: وقرئ (فَتَبَيَّنُوا) وهما من «التفعل»

بمعنى الاستفصال، أي اطلبوا بيان الأمر وثباته،

ولا تهوؤوا فيه من غير روية. [إلى أن قال:]

وقوله: (فَتَبَيَّنُوا) تكرير للأمر بالتبيين، ليؤكد

عليهم. (١: ٥٥٤)

ابن عطية: [نقل القراءتين وأضاف:]

قال أبو عبيدة: هما متقاربان. والصحيح ما قال

أبو عبيد، لأن تبين الرجل لا يقتضي أن الشيء بان له،

بل يقتضي محاولة اليقين، كما أن «تثبت»^(١) تقتضي

محاولة اليقين، فهما سواء. (٢: ٩٦)

الطُّوسِي: [ذكر القراءات كما نقل عن الطوسي ثم

أضاف:]

قال أبو علي: من قرأ (فَتَبَيَّنُوا) فحجته أن التثبت

تَبَيَّنُوا

١- يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا
تَبَيَّنُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَائِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ
كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ مِمَّنْ أَتَى اللَّهُ عَلَى كَيْفِكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ لَاحِقَ
بِإِنْسَانٍ مِنْكُمْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكُمْ فَاسْتَبْرَأْ مِنْهُ لَعَلَّ يَكُونُ
خَبِيرًا. النساء: ٩٤

الفراء: (فَتَبَيَّنُوا) قراءة عبد الله بن مسعود

وأصحابه. وكذلك التي في المجرات: ٦. ويُفردان

(فَتَبَيَّنُوا). وهما متقاربتان في المعنى. تقول للرجل:

لا تجعل بإقامة حتى تبين وتثبت. (١١: ٢٨٣)

الطُّبْرِي: فتأتوا في قتل من أشكل عليكم أمره،

فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره. ولا تجعلوا غملاً

من التبس عليكم أمره، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا

على قتل من علمتموه يقيناً، حرماً لكم وفه ورسوله.

(٥: ٢٢١)

نحوه رشيد رضا (٥: ٣٤٩)، ومحمد جواد مغنية (٢: ٤١١).

(٤١١).

الطُّوسِي: قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً (فَتَبَيَّنُوا)

بالتاء، من «الثبوت» في الموضعين هاهنا وفي المجرات،

الباقون (فَتَبَيَّنُوا) من «التبيين».

فن قرأ بالتاء من الثبوت، فإنما أراد التثبت الذي هو

خلاف العجلة، ومن قرأ بالياء والتون، أراد من التبيين

الذي هو النظر، والكنف عنه حتى يصح. والممنيان

متقاربان، لأن المثبت متبين، والمتبين مثبت. (٣: ٢٩٧)

(١) في الأصل: «تثبت» وهو سهو.

خلاف الإقدام، والمراد به الثاني وهو أشد اختصاصاً بهذا
الموضع، ويبيّن ذلك قوله: (وَأَشَدُّ تَنْبِيْثًا) النساء: ٦٦،
أي أشدّ وقفاً لهم عما وعظوا بأن لا يقدموا عليه.

ومن قرأ (فَتَبَيَّنُوا) فحجته أن التبيين قد يكون أشدّ
من التثبت، وقد جاء «التبيين من الله والعجلة من
الشيطان» فتقابلة التبيين بالعجلة دلالة على تقارب
التثبت والتبيين. (٩٤: ٢)

أي ميّزوا بين الكافر والمؤمن، وبالنّاء والنّاء: توقّفوا
وتأنّوا حتّى تعلموا من يستحقّ القتل، والمحبان
مستقاربان، والمراد بهما لاتعجلوا في القتل لمن أظهر السلام
ظناً منكم بأنّه لاحقيقة لذلك. [إلى أن قال:]

أعاد هذا اللفظ للتأكيد بعد ما طال الكلام. وقيل
الأول: معناه تبيّنوا حاله. والثاني: معناه تبيّنوا هل
الفوائد بضائر، وأمر غوها وابتئوها. (٩٥: ٢)
نحوه الفخر الرازي. (١١: ٢)

أبو السعود: (فَتَبَيَّنُوا) بالنّاء، أي فاطلبوا بيان
الأمر في كلّ ماتأتون وماتذرون، ولا تعجلوا فيه بخير
تدبر وروية. وقرئ (فَتَبَيَّنُوا) أي اطلبوا إتيانه. [إلى أن
قال:]

والنّاء في قوله تعالى: (فَتَبَيَّنُوا) فصيحة، أي إذا كان
الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين، وقيسوا حاله
بما لكم، وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول
ظاهر الحال، من غير وقوف على تواطؤ الظاهر والباطن.
(١٨١: ٢)

الجزوي: (فَتَبَيَّنُوا) عن حال المریدين، وتنبّوا

في الرد والقبول ...

(فَتَبَيَّنُوا) أن تردّوا صادقاً اهتماماً لرزقه، أو تقبلوا
كاذباً حرصاً على تكثير المریدين. (٢: ٢٦٥)
الألوسي: أي فاطلبوا بيان الأمر في كلّ ماتأتون
وتذرون، ولا تعجلوا فيه من غير تدبر وروية.

وقرأ حمزة وعليّ وخلف (فَتَبَيَّنُوا) أي فاطلبوا
نبات الأمر ولا تعجلوا فيه. والمعنيان مستقاربان، وصيغة
«التفعل»^(١) بمعنى الاستقبال، ودخلت النّاء لما في (إذا)
من معنى الشرط، كأنّه قيل: إن غزوتم (فَتَبَيَّنُوا). [إلى
أن قال:]

(فَتَبَيَّنُوا) هذا الأمر ولا تعجلوا وتدبروا، ليظهر لكم
أنّ ظاهر الحال كاف في الإيمان العاصم؛ حيث كلّ فيكم
من قبل. وأيضاً هذا التعليل - على ما قبل - لما فيه من نوع
تفصيل، كما يحلّ تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم،
مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين
ما علّل به.

أو لأنّ في تقديم الأوّل إشارة ما إلى ميل القوم نحو
ذلك المرض، وأنّ سرورهم به أقوى، فلي تقدّمه
تجمل لمسرتهم، وفيه نوع حظّ عليهم - رفع الله تعالى
قدرهم ورضي المولى عزّ شأنه عنهم - أو لأنّه أوضح في
التعليل من التعليل الأخير وأسبق للذهن منه.

ولعلّه لم يطف أحد التعليلين على الآخر، لأنّ
يُنوّه أنّها تعليلاً شياً واحداً، أو أنّ مجموعها علة.
وقيل: موافقة لما علّل بهما من القيد والمقيّد حيث
لم يميّز بالطف.

وقيل: إنما لم يحطف لأن الأول تعليل للنهي الثاني بالوعد بأمر أخروي، لأن المعنى لا تبغوا عرض الحياة الدنيا، لأن عند سبحاته ثواباً كثيراً في الآخرة، أعدّه لمن لم يبتغ ذلك، وعبر عن الثواب بـ«المغانم» مناسبة للنقام، والتعليل الثاني للنهي الأول، ليس كذلك.

وذكر الزمخشري وغيره في الآية مارد شيخ الإسلام بما يلوح عليه غايل التحقيق، وقال بعض الناس فيها: إن المعنى كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفياً بدينه في قومه، خوفاً على نفسه منهم، كنتم أنتم مستخفين بدينكم حذراً من قومكم على أنفسكم، فنّ الله تعالى عليكم بإظهار دينه، وإعزاز أهله، حتى أظهرتم الإسلام بعد ما كنتم تكتمونه من أهل الشرك، (فَتَبَيَّنُوا) نعمة الله تعالى عليكم، أو تبينوا أهر من تقتلون.

ولا يخفى أن هذا - وإن كان بعضه مروياً عن ابن جرير - غير واف بالمقصود، على أن القول: بأن الخطابين كانوا مستخفين بدينهم حذراً من قومهم، في حيز المنع، اللهم إلا أن يقال: إن كون البعض كان مستخفياً كاف في الخطاب.

وقيل: إن قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ منقطع عما قبله؛ وذلك أنه تعالى لما نهى القوم عن قتل من ذكر، أخبرهم بعد بأنه من عليهم بأن قبل توبتهم عن ذلك الفعل المنكر، ثم أعاد الأمر بالتبيين مبالغة في التحذير، أو أمر بتبيين نعمته سبحانه، شكراً لما من عليهم به، وهو كما ترى. (١١٩: ٥)

عِزَّةَ فَزَوْرَةٍ: وجه الخطاب في الآية للمسلمين.

وقد تضمنت:

١- أمراً لهم بالتثبت من حقائق الناس الذين يلقونهم، إذا ما خرجوا للجهاد في سبيل الله، فلا يقتلون ولا يقتلون إلا العدو الكافر، ولا يقولون لمن ألقى إليهم السلام أو أعلن المسالمة أو الإسلام: لست مؤمناً، اجتهداً منهم بأنه غير صادق فيما ألقاه، وطعناً في المغانم التي ينالونها منه.

٢- تنبيهاً تأديبياً وتذكيرياً لهم: فعند الله مغانم كثيرة دنيوية وأخروية للمخلصين، فلا ينبغي أن يكون عرض الحياة الدنيا باعثاً فيهم القطع، ومذهلاً لهم عن الحق، وصارفاً إياهم عن التثبت. وعليهم أن يذكروا أنهم كانوا غير مسلمين، فنّ الله عليهم بفضله وهداهم، وأن من الممكن أن يمين على غيرهم ويهديهم أيضاً.

٣- وتوكيداً ثانياً بوجوب التثبت، وتنبيهاً فيه معنى الإنذار بأن الله خير بما يعملون، وينواياهم التي يضررونها وراه أعمالهم. (١٤٤: ٩)

الطَّبَائِبَانِي: التبين هو التمييز، والمراد به التمييز بين المؤمن والكافر، بقرينة قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾. [إلى أن قال:]

أي على هذا الوصف، هو ابتغاء عرض الحياة الدنيا كنتم من قبل أن تؤمنوا، فنّ الله عليكم بالإيمان الصّارف لكم عن ابتغاء عرض الحياة الدنيا، إلى ما عند الله من المغانم الكثيرة، فإذا كان كذلك فيجب عليكم أن تبينوا، وفي تكرار الأمر بالتبين تأكيد في الحكم. (٤١: ٥)

٢- بآية لها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا

أَنْ تُصَيِّرُوا قَوْمًا بِهَآئِلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ.

المحجرات : ٦

النِّسَاءُ : [فَتَبَيَّنُوا] قراءة أصحاب عبد الله .
ورأيتهما في مصحف عبد الله منقوطة بالفاء ، وقراءة
النَّاسُ : (فَتَبَيَّنُوا) . وممنها مستقارب ، لأنَّ قوله :
(فَتَبَيَّنُوا) : أمهلوا حتى تعرفوا ، وهذا معنى (تَبَيَّنُوا) .

وإنما كان ذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث عاملاً على بني
المصطلق ليأخذ صدقاتهم ، فلما توجه إليهم تلقوه
ليعظموه ، فظنَّ أنهم يريدون قتاله ، فرجع إلى النَّبِيِّ ﷺ .
فقال : (إنهم قاتلونني ، ومنعوني أداء ما عليهم .

فبينما هم كذلك - وقد غضب النَّبِيُّ ﷺ - قدم عليه
وفد بني المصطلق ، فقالوا : أردنا تعظيم رسول الله
وأداء الحق إليه ، فاتمهم رسول الله ﷺ ولم يصدقهم ،
فأنزل الله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا) إلى آخر الآية ، والآية التي بعدها . (٧١ : ٣)

الطَّبَرِيُّ : [نقل القراءتين وأضاف :

والصواب من القول في ذلك : أنها قراءة ثان
معروفتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب .

(١٢٣ : ٢٦)

نحوه الفاضل المقداد .

الطُّوسِي : ومن قرأ (تَبَيَّنُوا) أراد تعرفوا صحة
متضمن الخبر الذي يحتاج إلى العمل عليه ، ولا تقدموا
عليه من غير دليل ، يقال : تبين الأمر ، إذا ظهر ، وتبين
هو نفسه ، بمعنى واحد . ويقال أيضاً : تبينه ، إذا عرفته .

ومن قرأ (فَتَبَيَّنُوا) بالثاء والياء : أراد توقفوا فيه حتى
يتبين لكم صحته . (٣٤٤ : ٩)

نحوه الرَّعْشَرِيُّ (٣ : ٥٦٠) ، والطَّبَرِيُّ (٥ :

١٢٢) ، والبروسوي (٩ : ٧٠) .

الْمَبِينِيُّ : أي قفوا حتى يتبين لكم ما جاء به
أصدق هو أم كذب . (٩ : ٢٥٠)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ : أي فحسوا واكشفوا . (٢٨ : ١٢٢)

الْبَيْضاوي : فتمرلوا وتمحصوا . [إلى أن قال :

وتعليق الأمر بالتبين على فسق الخبر ، يقتضي
جواز قبول خبر العدل من حيث إن المعلق على شيء
بكلمة (إن) حديم عند عدمه ، وأن خبر الواحد لو وجب
تبينه من حيث هو كذلك لما رتبته على الفسق ، إذ
الترتيب يفيد التعليل ، وما بالذات لا يعمل بالخير .

وقال حمزة والكسائي (فَتَبَيَّنُوا) . أي فتوقفوا إلى أن
يتبين لكم الحال . (٢ : ٨٠ - ٤)

نحوه أبو السعود (٦ : ١١٤) ، والطَّعَاوِيُّ (٢٢ : ١٤١) .

الألوسي : والتبين : طلب البيان والتعرف ، وغريب
منه التثبت ، كما في قراءة ابن مسعود وحمزة والكسائي
(فَتَبَيَّنُوا) . وهو طلب الثبات والثبات حتى يتضح الحال .
[إلى أن قال :

وقوله تعالى : (وَإِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) تنبيه
على أنه إذا كان الخبر شيئاً عظيماً وما له قدر ، فحقه أن
يتوقف فيه وإن علم أو غلب صحته على الظن ، حتى
يماد النظر فيه ويتبين فضل تبينه . (٢٦ : ١٤٥)

الطُّبَّاطِبَانِيُّ : ومعنى الآية : يأتيا الذين آمنوا إن
جاءكم فاسق بخبر ذي شأن ، فحسوا خبره بالبحث
والفحص للوقوف على حقيقته . حذر أن تُصَيِّرُوا قَوْمًا
بهائلة ، فتصيروا نادمين ، على ما فعلتم بهم .

وقد أمضى الله سبحانه في هذه الآية أصل العمل بالخبر، وهو من الأصول العقلية التي يستنبط عليها أساس الحياة الاجتماعية الإنسانية، وأمر بالتبني في خبر الفاسق، وهو في معنى النهي عن العمل بخبره، وحقيقته الكشف عن عدم اعتبار حجته. وهذا أيضًا كالإمضاء لما بني عليه العقلاء من عدم حجبة الخبر الذي لا يوثق بمن يُخبر به، وعدم ترتيب الأثر على خبره.

بيان ذلك: أن حياة الإنسان حياة علمية، يبني فيها سلوكه طريق الحياة على ما يشاهده، من الخير والشر والنافع والضار، والرأي الذي يأخذ به فيه. ولا يتيسر له ذلك إلا فيما هو يراه منه ومنه، وما غاب عنه مما تتعلق به حياته ومعاشه أكثر مما يحضره وأكثَر. فاحظر إلى تسميم ما عنده من العلم بما هو عند غيره من العلم المحاصل بالمشاهدة والنظر، ولا طريق إليه إلا السمع، وهو الخبر.

فالزكون إلى الخبر بمعنى ترتيب الأثر عليه عملاً، ومعاملة مضمونه معاملة العلم المحاصل للإنسان من طريق المشاهدة والنظر في الجملة، مما يتوقف عليه حياة الإنسان الاجتماعية توقفاً ابتدائياً، وعليه بناء العقلاء ومدار العمل.

فالخبر إن كان متواتراً أو محفوظاً بقرائن قطعية توجب قطعاً مضمونه، كان حجة معتبرة من غير توقف فيها، فإن لم يكن متواتراً ولا محفوظاً بما يفيد قطعاً مضمونه - وهو المسمى بخبر الواحد اصطلاحاً - كان المعتبر منه عندهم ما هو الموثوق به بحسب نوعه، وإن لم يفده بحسب شخصه. وكل ذلك لأنهم لا يعملون إلا بما

برونه علماً وهو العلم الحقيقي، أو الوثوق والظن الاطمئنان الممدود علماً عادة.

إذا تمهد هذا، فقولنا تعالى في تعليل الأمر بالتبني في خبر الفاسق: ﴿أَنْ تُصَيِّبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ إلخ، يفيد أن المأمور به هو رفع الجهالة، وحصول العلم بمضمون الخبر عند ما يراد العلم به وترتيب الأثر عليه، في الآية إثبات ماأنته العقلاء. ونفي مايقوه في هذا الباب، وهو إمضاء لاتأسي.

الصابوني: التبني: طلب البيان والتعرف، وقريب منه التثبت، والمراد به هنا: التحقق والتثبت من الخبر، حتى يكون الإنسان على بصيرة من أمره. (٢: ٤٧٢)

لِتَسْتَبِينَ

وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَّيْسَتْ عَلَيْهِمُ

الأنعام: ٥٥

القرآن: ترفع «السبيل» بقوله: (وَلِتَسْتَبِينَ)، لأن الفعل له. ومن أنت «السبيل»، قال: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾. وقد يجعل الفعل للنهي فتنصب «السبيل» يراد به: ولتستبين يا محمد سبيل المجرمين.

(١: ٢٣٧)

الطبري: واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (وَلِتَسْتَبِينَ) بالياء، (سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) بنصب «السبيل»، على أن (تَسْتَبِينَ) خطاب للنبي ﷺ، كأن معناه عندهم: ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. وكان ابن زيد يثأول ذلك: ولتستبين أنت يا محمد سبيل

المجرمين، الذين سألوك طرد النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه.

وقرأ ذلك بعض المكّين وبعض البصريين (وَلَيْسَتَيْنِ) بالتاء (سَبِيلُ الشُّجْرَيْنِ) برفع «السَّيْل» على أن القصد للسَّيْل، ولكنه يؤنثها، وكان معنى الكلام عندهم: وكذلك تفصل الآيات، وليتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين.

وقرأ ذلك مائة قراء أهل الكوفة (وَلَيْسَتَيْنِ) بالياء (سَبِيلُ الشُّجْرَيْنِ) برفع «السَّيْل»: على أن الفعل للسَّيْل ولكنهم يذكرونه.

ومعنى هؤلاء في هذا الكلام، ومعنى من قرأ ذلك بالتاء - في (وَلَيْسَتَيْنِ) ورفع «السَّيْل» - واحد، وإنما الاختلاف بينهم في تذكير «السَّيْل» وتأنيتها.

وأولى القراءتين بالصواب حسدي في «السَّيْل» الرفع، لأن الله تعالى ذكره فصل آياته في كتابه وتنزيله، ليتبين الحق بها من الباطل جميع من خوطب بها. لا بعض دون بعض. ومن قرأ «السَّيْل» بالتصب، فبأنما جعل تبين ذلك محصوراً على النبي ﷺ.

وأما القراءة في قوله: (وَلَيْسَتَيْنِ) فسواء قرئت بالتاء أو بالياء، لأن من العرب من يذكر «السَّيْل» وهي نقيم وأهل نجد، ومنهم من يؤنث «السَّيْل» وهم أهل الحجاز، وهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار، «لثان مشهورتان من لغات العرب، وليس في قراءة ذلك بإحداها خلاف لقراءته بالأخرى، ولا وجه لاختيار إحداها على الأخرى، بعد أن يُرفع «السَّيْل» للحلة التي ذكرنا.

(٢٠٩: ٧)

الزُّجَّاج: [أشار إلى القراءات وقال:]

فإن قال قائل: أفلم يكن النبي ﷺ مستبناً سبيل

المجرمين؟

فالجواب في هذا أن جميع ما يخاطب به المؤمنون يخاطب به النبي ﷺ، فكأنه قال: ولستينوا المجرمين، أي لقرءادوا استبانة لها، ولم يحتج أن يقول: ولستين سبيل المؤمنين، مع ذكر سبيل المجرمين لأن سبيل المجرمين إذا استبان فقد بانت معها سبيل المؤمنين.

وجائز أن يكون المعنى: ولستين سبيل المجرمين ولستين سبيل المؤمنين، إلا أن الذكر والمخاطب هاهنا في ذكر المجرمين فذكروا، وترك ذكر «سبيل المؤمنين»، لأن في الكلام دليلاً عليها، كما قال عز وجل: ﴿سَبِيلَ نَفْسِكُمُ الْمَوْتِ﴾ التحل: ٨١، ولم يقل: نفيسكم البرد، لأن الساتر يستتر عن الحر والبرد، ولكن جرى ذكر الحر لأنهم كانوا في مكانهم أكثر معاناة له من البرد.

(٢٥٤: ٢)

نحو: أبوزرعة (٢٥٣)، وأبو حيان (١٤١: ٤).

الطُّوسِي: [ذكر القراءات وقال:]

والنبي ﷺ وإن كان مستبناً لطريق المجرمين عاماً به، فيجوز أن يكون ذلك على وجه التأكيد، ولأن يستديم ذلك. [ثم قال نحو ما تقدم عن الزُّجَّاج وأضاف:] وكذلك (سَبِيلُ الشُّجْرَيْنِ) خص بالذكر، لأن الكلام في وصفهم، وترك ذكر المؤمنين لدلالة الكلام عليه.

(١٦١: ٧)

نحو: الفخر الرازي (٣: ٦)، والتكبري (١: ٥٠).

الزَّمَخْشَرِي: [أشار إلى القراءات وقال:]

والمعنى: ومثل ذلك التفصيل البين لفصل آيات القرآن، وتلخيصها في صفة أحوال المجرمين، من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه، ومن يرى فيه أمانة القبول، وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة، ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده، وتستوضح سبلهم فتعامل كلهم بما يجب أن يعامل به فتلتنا ذلك التفصيل. (٢٣: ٢)

نحوه أبو السعود (٢: ٣٩٦)، والاكوسي (٧: ١٦٥).

الطبرسي: [ذكر القراءات وأضاف:]

﴿وَلَيْسَتَيْنِ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بالرفع، أي يظهر

طريق من عائد بعد البيان، إذا ذهب عن فهم ذلك بالإعراض عنه، لمن أراد التفهم لذلك من المؤمنين، ليجانبوها ويسلكوا غيرها.

وبالتصّب، ليعرف السامع أو السائل، أو ليعرف أنتم

يا محمد سبلهم، وسبلهم: يريد به ما هم عليه من الكفر والعناد، والإقدام على المعاصي والمجرم المؤدبة إلى النار. وقيل: إن المراد بسبلهم: ما عاجلهم الله به من الإذلال واللّعن والبراءة منهم، والأمر بالقتل والسبي ونحو ذلك.

و«الواو» في ﴿وَلَيْسَتَيْنِ﴾ للحذف على مضم

محذوف، والتقدير: ولستين سبل المجرمين والمؤمنين، وجاز الحذف لأنّ فيها بقى دليلاً على ما ألتى.

(٢: ٣٠٨)

أبو البركات: [ذكر وجه العطف بالواو كما تقدم

(١: ٣٢٣)

عن الطبرسي]

رشيد رضا، [ذكر القراءات وأضاف:]

وأما فائدة الجمع بين الضمة والمخاطب فيها، فهي إن تفصيل الآيات هو في نفسه موضح لسبل المجرمين وأنه ينهي للمخاطب بذلك أولاً بالذات، ثم لغيره أن يستبينه منها بتأملها وفهمها والاعتبار بها، فكم من آية بيّنة في نفسها يغفل الناس عنها ﴿وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ يَكُونُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ يوسف: ١٠٥.

والعطف في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَيْنِ﴾ قيل: إنه عطف على حلة محذوفة، لقوله: ﴿تَفْصِيلٌ﴾، لم يقصد تعليله بها بخصوصها، وإنما قصد الإشعار بأنّ له فوائد جمة، من جعلتها مذكراً، أي وكذلك تفصل الآيات لما في تفصيلها من الأحكام والحكم، وبيان المصعج والمواعظ والعبر، ولأجل أن تستبين سبل المجرمين، فيكون من عطف الخاص على العام.

وقيل: إنه حلة لفعل مقدّر هو صين المذكور، أي ولأجل أن تستبين سبل المجرمين تفصل الآيات، وذلك أنه بين سبل المؤمنين فعلم منه أنّ ما خالفه هو سبل المجرمين لأنّ السبي، يُعرف بضده، بل بين قبله سبل المجرمين من الكفار أيضاً. (٧: ٤٥١)

المُسْتَبِين

وَأَيُّهَا الْكِتَابُ الْمُسْتَبِينِ. العتافات: ١١٧

الطبرسي: ويعني بـ(المُسْتَبِينِ): المُتَبَيِّنَ هدى

(٢٣: ٩١)

ما فيه، وتفصيله وأحكامه.

الطوسي: يعني التّوراة الدّاعي إلى ما فيه من البيان

بالحسن التي تظهر منه في الاستماع، فكلّ كتاب لله بهذه

- الصفة من ظهور الحكمة فيه. (٥٢٢: ٨)
- نحوه الطُّبْرَسِيّ. (٤٥٦: ٤)
- البَغَوِيّ: أي المستير، وهو التوراة. (٣٩: ٤)
- نحوه الحازِن. (٢٥: ٦)
- المُتَبَدِّي: أي المستير وهو التوراة، قيل: هذه «السِّن» كهي في قوله: (يَسْتَسْخِرُونَ) الصّافَات: ١٤، بَانَ وَأَبَانَ واستبانَ واحد. (٢٩٤: ٨)
- الرَّمْطَشَرِيّ: البليغ في بيانه، وهو التوراة، كما قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ المائدة: ٤٤.
- نحوه أبوالمشود. (٣٥٢: ٣)
- الفخر الرازيّ: والمراد منه التوراة، وهو الكتاب المحتل على جميع العلوم التي يحتاج إليها في مصالح الدّين والدّنيا، كما قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ الأخرى: ١١٦٠: ٢٦
- نحوه الشَّرِبِينِيّ. (٣٨٩: ٢)
- الشُّيُوطِيّ: قَسَمَ الْبَدِيعُونَ السَّجْع، ومثله الفواصل، إلى أقسام: مطرف، ومتوازٍ، ومرصع، ومتوازن، ومبائل. [وبعد أن ذكر كلا منها قال:] والمتبائل أن يتساويا في الوزن دون التقفية وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالتوازن بالنسبة إلى المتوازي، نحوه: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الصّافَات: ١١٧، ١١٨، فالكتاب والصراط يتوازنان، وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا في الحرف الأخير. (٣٥٦: ٣)
- البُزْزُوسِيّ: أي البليغ، والمتناهي في البيان والتفصيل، وهو التوراة، فإنه كتاب مشتمل على جميع العلوم التي يحتاج إليها في مصالح الدّين والدّنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ الآية.
- فاستبان مبالغة «بان» بمعنى ظهر ووضح، وجعل (الكتاب) بالغا في بيانه من حيث أنّه لكّاله في بيان الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، كأنّه يطلب من نفسه أن يبينها ويحمل نفسه على ذلك.
- وقيل: هذه «السِّن» كهي في قوله: (يَسْتَسْخِرُونَ)، فَإِنَّ بَانَ وَاسْتَبَانَ وَتَبَيَّنَ واحد، نحو عجل واستعجل وتعمّل، فيكون معناه: الكتاب المبين. (٤٨٠: ٧)
- الآلِوسِيّ: أي البليغ في البيان والتفصيل، كما يشعر به زيادة البية وهو التوراة. (١٣٨: ٢٣)
- المُزَافِيّ: أي وأعطيناها الكتاب المبليّ الواضح، الجامع لما يحتاج إليه البشر في مصالح الدّين والدّنيا، وهو التوراة، كما قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ الآية، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهُودَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأنبياء: ٤٨.
- الطُّبَاطِبَانِيّ: أي يستبين المجهولات الخفية فيبينها، وهي التي يحتاج إليها الناس في دنياهم وآخرتهم. (١٥٧: ١٧)
- بَيِّن
- ١- فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا يَسْتَفْتِي بِهَا وَخَافَلْنَاهَا وَغَوَّظْنَا لِلْمُتَّبِعِينَ. البقرة: ٦٦

راجع «ي دي» (يَدَيَّهَا)، وكذا الآيات: البقرة:

٢٥٥، وآل عمران: ٣، والأعراف: ١٧ و ٥٧،

والمحجرات: ١.

٢... قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ظَرَأُ وَلَاحِقُ عَوَانُ

بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ. البقرة: ٦٨

الفَرَاء: قال: (بَيْنَ ذَلِكَ)، و(بَيْنَ) لاتصلح إلا مع

اسمين فإزاد، وإنما صلحت مع (ذَلِكَ) وحده، لأنه في

مذهب اثنين، والفاعلان قد يُجمعان به ذلك «وذلك»،

ألا ترى أنك تقول: أظن زيدا أخاك، وكان زيد أخاك،

فلا بد له كان من شين، ولا بد له لأظن من شين،

ثم يجوز أن تقول: قد كان ذاك، وأظن ذلك.

وإنما المعنى في الاثنين اللذين ضمها (ذَلِكَ): بين

الحرم والشباب. ولو قال في الكلام: بين هاتين أو هاتين

تيك، يريد «الفارض والبكر» كان صواباً، ولو أعيد

ذكرهما لم يظهر إلا بثنية، لأنها اسمان ليسا بفعلين.

وأنت تقول في الأفعال فتوحّد فعلها بعدها فتقول:

إقبالك وإدبارك يشق عليّ، ولا تقول: أخوك وأبوك

يزورني.

ومما يجوز أن يقع عليه (بَيْنَ) وهو واحد في اللفظ،

مما يؤدّي عن الاثنين لما زاد، قوله: «لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ

مِنْهُمْ» البقرة: ١٣٦، ولا يجوز: لا تفرّق بين رجل منهم،

لأن «أحدهم» لا يشقّ كما يشقّ الرجل ويجمع، فإن شئت

جعلت «أحدهم» في تأويل اثنين، وإن شئت في تأويل

أكثر، من ذلك قول الله عز وجل: «فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ

عَنْهُ حَاجِزِينَ» الحاقة: ٤٧، وتقول: بَيْنَ أَيْهَمَ الْمَالِ؟

ومِنْ مَنْ قَسَمَ الْمَالُ؟ فَتُجْرِي «مَنْ» و«أَيَّ» تُجْرَى

«أحده»، لأنها قد يكونان لواحد ولجميع. (١: ٤٥)

أَبُوهُيْثِدَةَ: والعرب تقول: لا كذا ولا كذا ولكن

بين ذلك، فجاز هذه الآية: بين هذا الوصف، ولذلك

قال: (بَيْنَ ذَلِكَ). (١: ٤٣)

نَحْوَهُ الطُّوسِيّ. (١: ٢٩٦)

الطُّبْرِيّ: [قال نحو الفراء وأضاف:]

وغير جائز لمن قال: كنت بين زيد وعمر، أن

يقول: كنت بين ذلك، وإنما يكون مع أسماء الأفعال دون

أسماء الأشخاص. (١: ٣٤٤)

الرَّجَاج: ومعنى (بَيْنَ ذَلِكَ) بين البكر والفارض.

وهي الصغيرة والكبيرة، وإنما جاز (بَيْنَ ذَلِكَ)، و(بَيْنَ)

لا يكون إلا مع اثنين أو أكثر، لأن «ذلك» يتوب عن

الجملة المحذورة. طنت زيداً قائماً، فيقول القائل: طنت

ذلك. (١: ١٥٠)

نَحْوَهُ الرَّعَنْسِيّ. (١: ٢٨٧)

ابن عَطِيَّة: (بَيْنَ) بابها أن تضاف إلى اثنين،

وأضيفت هنا إلى (ذَلِكَ)، إذ (ذَلِكَ) يشار به إلى

الجملات، فإذا (ذَلِكَ) عند سببويه منزلة ما ذكر، فهي

إشارة إلى مفرد على بابه، وقد ذكر اثنان فجاءت أيضاً

(بَيْنَ) على بابها. (١: ١٦٢)

نَحْوَهُ أَبُو السُّعُود (١: ١٤٥)، والثلوثي (١: ٢٨٧)،

ورشيد رضا (١: ٣٤٩).

أَبُو الْبَرَكَات: أي بين الفارض والبكر، وقال: (بَيْنَ

ذَلِكَ) ولم يقل: بين ذينك، لأنه أراد بين هذا المذكور.

(١: ٩٢)

الرازي: [طرح الإشكال السابق ثم قال:]

قلنا: (ذلك) يشار به إلى المفرد والمثنى والجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وِصْرَتِي فِي ذَلِكَ فَلَْيُقْرَءُوا﴾ يونس: ٥٨، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُضِرُّوا وَتَقْتُلُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ غَرَمِ الْأُمُورِ﴾ آل عمران: ١٨٦، وقوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ آل عمران: ١٤، لعناء: عوان بين الفارض والبكر، وسيأتي تمامه في قوله عز وجل: ﴿لَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ أَخِيهِ﴾ البقرة: ٢٨٥، إن شاء الله.

أبو حيان: (بين) ظرف مكان متوسط التصرف، تقول: هو بعيد بين المسكين وتقي بين المساجين، قال تعالى: ﴿هَذَا يَزَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الكهف: ٧٨، ودخلها إذا كانت ظرفاً بين ما يمكن البيعة فيه، والمال بين يدي وبين عمرو، ومسموع عن كلامهم.

ويتنقل من المكانة إلى الزمانية إذا لحقتها «ما» أو «الأكف»، فيزول عنها الاختصاص بالأسماء، فليها إذ ذاك الجملة الاسمية والفعلية، وربما أضيفت «بينا» إلى المصدر، وله «بين» في علم الكوفيين باب معقود كبير.

(بين ذلك) يقتضي (بين) أن تكون تدخل على ما يمكن التثنية فيه، ولم يأت بعدها إلا اسم إشارة مفرد، فقيل: أنشئ به (ذلك) إلى مفرد، فكأنه قيل: عوان بين ما ذكر. فصورته صورة المفرد وهو في المعنى مثنى، لأن تثنية اسم الإشارة وجمعه ليس تثنية ولا جمعا حقيقة، بل كان القياس يقتضي أن يكون اسم الإشارة لا يثنى

ولا يجمع ولا يؤنث، قالوا: وقد أجري الضمير مجرى اسم الإشارة. [ثم استشهد بشعر]

فيحتمل أن تكون الآية من ذلك، فيكون أطلق (ذلك) ويريد به «ذلك»، وهذا يحمل غير الأول، والذي أذهب إليه غير ما ذكرنا، وهو أن يكون (ذلك) مما حذف منه المحطوف لدلالة المعنى عليه، التقدير: عوان بين ذلك وهذا، أي بين الفارض والبكر، فيكون ظهير قول الشاعر:

فما كان بين الخير لو جاء سالماً

أي لما كان بين الخير وبأغيه، فحذف لفهم المعنى، لأنه «شراييل تبيكم الخ» التحمل: ٨١، أي والبرد.

(٢٥١: ١) والذين آمنوا بالله ورؤسليه ولم يفرقوا بين أحد منهم أمركم لا يفتخروا به على من آمن به من بعدهم الزمخشري: إن قلت: كيف جاز دخول (بين) على (أحد) وهو يقتضي شيئين فصاعداً؟ قلت: إن «أحد» عام في الواحد المذكور والمؤنث وتثنيتهما وجمعها، تقول: ما رأيت أحداً فتقصده العموم، ألا ترى تقول: إلا بني فلان وإلا بنات فلان، فالمعنى: و لم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَسْتُ أَتَىكَ مِنَ الْفِتْنَةِ﴾ الأحزاب: ٣٢، (٥٧٦: ١) نحو، التثني.

البيروسي: وإنما دخل (بين) على (أحد) وهو يقتضي متعدداً لعمومه؛ من حيث إنه وقع في سياق التثنية وهو بمنزلة: ولم يفرقوا بين اثنين أو بين جماعة.

(٣١٤: ٢)

بَيْنَهُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ
 رُجُومًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ... النور: ٤٣
 الفراء: يقول القائل: «بين» لا تصلح إلا مضافة إلى
 اثنين فما زاد، فكيف قال: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ وإنما هو واحد؟
 قلنا: هو واحد في اللفظ ومعناه جمع، ألا ترى قوله:
 ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الزمخدر: ١٢، ألا ترى أن
 واحدة: سحابة، فإذا أُلِّقَتِ الماء كان بمنزلة غلظة وتخلي
 وشجرة وشجر، وأنت قائل: فلان بين الشجر وبين
 النخل، فصلحت «بَيْنَ» مع النخل وحده، لأنه جمع في
 المعنى.

والذي لا يصلح من ذلك قولك: المال بين زيد، فهذا
 خطأ حتى تقول: بين زيد وعمرو، وإن نويت بعز يد،
 أنه اسم لقبيلة جاز ذلك، كما تقول: المال بين قميم، تريد
 المال بين بني قميم، [ثم استشهد بشعر] (٢٥٦: ٢)
 نحوه الطبري (١٨: ١٥٣)، والطوسي (٧: ٤٤٦)
 الزجاج: يجوز أن يكون سحاب جمع: سحابة،
 ويكون (بَيْنَهُ) أي بين جميعه، ويجوز أن يكون السحاب
 واحداً إلا أنه قال: (بَيْنَهُ) لكثرة، ولا يجوز أن تقول:
 جلست بين زيد حتى تقول وعمرو، ونقول: ما زلت
 أدور بين الكوفة، لأن الكوفة اسم يتضمن أمكنة كثيرة،
 فكأنك تقول: ما زلت أدور بين طرق الكوفة. (٤٩: ٤)
 الزمخشري: جاز (بَيْنَهُ) وهو واحد، لأن المعنى
 بين أجزائه، كما قيل في قوله:

■ بين الدخول فعمل

ابن عطية: أي بين مفترق السحاب نفسه، لأن

منهوم «السحاب» يقتضي أن بينه فروجاً. [ثم قال نحو
 ما تقدم عن الزجاج] (١٨٩: ٤)
 القرطبي: [ذكر الإشكال وأجاب بما تقدم من
 الفراء والزجاج] (٢٨٨: ١٢)

بَيْنَهُمْ

١- وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
 فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَحَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا.
 الكهف: ٥٢
 الفراء: جعلنا توأصلهم في الدنيا (مَوْبِقًا).

(١٤٧: ٢)
 الطبرسي: أي بين المؤمنين والكافرين. (٤٧٦: ٣)
 أبو حيان: الظاهر أن الضمير في (بَيْنَهُمْ) عائد على
 الداعين والمدعويين، وهم المشركون والشركاء، وقيل:
 يعود على أهل الهدى وأهل الضلالة. [إلى أن قال:]
 والظاهر انتصاب (بَيْنَهُمْ) على الظرف، وقال الفراء:
 البين هنا: الوصل، أي وجعلنا توأصلهم في الدنيا هلاكاً
 يوم القيامة، فعلى هذا يكون مفعول أول (لَجَعَلْنَا)
 وعلى الظرف يكون في موضع المفعول الثاني. (١٣٧٩)
 نحوه الأوسي. (٢٩٩: ١٥)
 أبو السعود: بين الداعين والمدعويين. (١٩٧: ٤)
 وهناك أبحاث راجع «ج ع ل» (جَعَلْنَا)، وهو ب
 ق «مَوْبِقًا».

٢- فَاخْتَلَفَ الْأَغْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ عَذَابٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ.
 مريم: ٣٧

ظهوره، وظيره، قوله: ﴿هَذَا فِرَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾
الكهف: ٧٨، أي ما بيني وبينك، وقوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، في قراءة من نصب، (١١٤: ١٢)
الْقَرْطُبِيُّ: قيل: معناه ما بينكم، فحذفت «ما»
وأضيفت «الشهادة» إلى الظرف، واستعمل اسمًا على
الحقيقة، وهو المسمى عند التحويتين بالمفصول على
الشدة، كما قال:

• ويومًا شهدناه سليفًا وعامرًا •

أراد شهدنا فيه، وقال تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ الْبَلِ
وَالنَّهَارِ﴾ سبأ: ٣٣، أي مكركم فيها، [ثم استشهد
بشعر وقال:]

ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا فِرَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾
الكهف: ٧٨، أي ما بيني وبينك. (٣١٨: ٦)
نحوه البين واليمنى. (٤٤٥: ٢)

أبو حنبلان: [نقل قول الزمخشري ثم قال:]

وحذف «ما» الموصولة لا يجوز عند البصريين، ومع
الإضافة لا يصح تقدير «ما» ألبتة، وليس قوله: ﴿هَذَا
فِرَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ الكهف: ٧٨، ظيره ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، لأن ذلك مضاف إليه، وهذا باقٍ
على طريقته، فيمكن أن يُتخيل فيه تقدير «ما»، لأن
الإضافة إليه أخرجته عن الظرفية، وصيرته مفعولاً به
على الشدة. (٣٩: ٤)

نحوه الألويسي. (٤٧: ٧)

رشيد رضا: و«البين» أمر اعتباري، يفيد صلة
أحد الشيئين بالآخر أو الأشياء، من زمان أو مكان، أو
حال أو عمل، وقالوا: إنه يخلق على الوصل والفرقة،

الْمَبْيُذِي: يعني من بين الناس، وقيل: من بين أمم
عيسى، وقيل: (من) زيادة، وقيل: هو من البين الذي
معناه البعد، أي اختلفوا فيه بعدهم عن الحق.

(٣٩: ٦)

الزَّمْخَشَرِيُّ: من بين الناس. (٥٠٩: ٢)

الطَّبْرِسِيُّ: إنما قال: (من بينهم) لأن منهم من ثبت
على الحق. (٥١٤: ٣)

أبو حنبلان: «بَيْنَ» هنا أصله ظرف، استعمل اسمًا
بدخول (من) عليه، [ثم آدم نحو الميضي] (١٩٠: ٦)
نحوه الألويسي. (٩٢: ١٦)

بَيْنَكُمْ

١- بَاءُهَا الْبُذَيْنِ أَعْلَوْا شَهَادَةَ بَيْنِكُمْ إِذَا حِضِرَ
أَعَذَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَيْبَةِ الثَّانِي ذَوَاعِدِي بَيْنَكُمْ أَوْ
أَحْرَانِي مِنْ غَيْرِكُمْ..
المائدة: ١٠٦

الفارسي: واتسع في «بين» فأضيف إليه المصدر.
وهذا يدل على قول من قال: إِنَّ الظَّرْفَ يُسْتَعْمَلُ اسْمًا
في غير الشعر، ألا ترى أنه قد جاء ذلك في التنزيل:
﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، بالرفع كما جاء في
الشعر نحو قوله:

• تصادم بين عينيه الجبوا •

(الطَّبْرِسِيُّ ٢: ٢٥٥)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: يعني شهادة ما بينكم، و«ما بينكم»
كناية عن التنازع والتشاجر، وإنما أضاف الشهادة إلى
التنازع، لأن الشهود إنما يحتاج إليهم عند وقوع التنازع.
وحذف «ما» من قوله: (شهادة بَيْنَكُمْ) جائز

ومن الثاني قولهم: «ذات اليمين» للعداوة والبغضاء، قال تعالى: «وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» الأنفال: ١، أي ما بينكم من عداوة، أو فساد، وهو أمر معنوي متصل بين الأفراد.

هناك أمثلة راجع «ش هـ» (شهادة).

٢... لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. الأنعام: ٩٤

أبن عباس: الأرحام والمنازل.

مثله ابن عباس: (الطبري ٧: ٢٧٩)

مجاهد: تواصلهم في الدنيا. (الطبري ٧: ٢٧٩)

قناة: ما كان بينكم من الوصل. (الطبري ٧: ٢٧٩)

الشدي: تقطع ما بينكم. (الطبري ٧: ٢٧٩)

القرءاء: قرء حمزة وبجاهد (يُنْكُم) يَزِيدُ وصلكم.

وفي قراءة عبدالله (لَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ) وهو وجه الكلام. إذا جعل الفعل لـ «بين» ترك نصبا، كما قالوا: أتاني دونك من الرجال، فترك نصبا، وهو في موضع رفع، لأنه صفة. وإذا قالوا: هذا دون من الرجال، رفعه في موضع الرفع، وكذلك تقول: بين الرجلين بين بعيد، وبين بعيد، إذا أفردته أجرته في المربة وأعطيته الإعراب.

(١: ٣٤٥)

نحوه المييدي.

(٣: ٤٣١)

الطبري: يعني: تواصلهم الذي كان بينهم في الدنيا، ذهب ذلك اليوم، فلا تواصل بينهم ولا تواصل ولا تواصل، وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون، فاضمحل ذلك كله في الآخرة، فلا أحد منهم ينصر

صاحبه، ولا يواصله.

واختلفت القرءاء في قوله: (يُنْكُم) فقرأته عامة قرءاء أهل المدينة نصبا، بمعنى لقد تقطع ما بينكم، وقرأ ذلك عامة قرءاء مكة والمراغيتين (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) رفعا، بمعنى لقد تقطع وصلكم.

والصواب من القول حندي في ذلك أن يقال: إنها قرءان مشهورتان باتفاق المعنى، فأثبتها قرءا القاري فصبب الصواب، وذلك أن العرب قد نصب «بين» في موضع الاسم. ذكر سماعا منها: إياي نحوك ودونك وسواءك نصبا، في موضع الرفع. وقد ذكر عنها سماعا الرفع في «بين» إذا كان الفعل لها، وجعلت اسما. [ثم أنشد بشر]

غير أن الأغلب عليهم في كلامهم النصب فيها في حال كونها صفة، وفي حال كونها اسما. (٧: ٢٧٩)

الزجاج: الرفع أجود، ومعناه لقد تقطع وصلكم. والنصب جائز، المعنى لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم. (٢: ٢٧٣)

القيسي: من رفع (يُنْكُم) جعله فاعلا (لَقَدْ تَقَطَّعَ)، وجعل «اليمين» بمعنى الوصل، تقديره: لقد تقطع وصلكم، أي تفرق جمعكم.

وأصل «بين» الافتراق، ولكن أوسع فيه فاستعمل اسما خير ظرف، بمعنى الوصل.

فأما من نصبه، فنصبه على الظرف، والعامل فيه مادل عليه الكلام من عدم وصلهم، تقديره: لقد تقطع وصلكم بينكم، فهـ وصلكم المضمرة هو الناصب له «بين»، وقد قيل: إن من نصب (يُنْكُم) جعله مفعولا في

المعنى به (تَنْقَطِعُ)، لكنه لما جرى في أكثر الكلام منصوباً تركه في حال الرفع على حاله منصوباً، لكثرة استعماله كذلك، وهو مذهب الأخفش.

والقراءتان على هذا معنى واحد. ومثله عند الأخفش قوله: «وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ» الجن: ١١، ومثله: «يَنْصِلُ يَنْتَكُمُ» الممتحنة: ٣، في قراءة من ضم الياء، وفتح الصاد.

فعدون» و«بين» استعمالاً في هذه المواضع اسماً غير ظرف، لكن تركا على الفتح، وموضعها رفع، من أجل أن أكثر ما استعمل بالنصب على أنها ظرفان.

(٢٧٨: ١)

نحو: أبو البركات (١: ٣٣٢)، والبيضاوي (١: ٤٢٢).

الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: تفرق جمعكم في الآخرة. والثاني: ذهب توأصلكم في الدنيا. فإنه مجاهد.

ومن قرأ (يَنْتَكُمُ) بالفتح، فعناء تقطع الأمر بينكم.

(١٤٦: ٢)

الطوسي: قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص

(يَنْتَكُمُ) بنصب التون، الباقون برفعها.

البي: مصدر بان يبين، إذا فارق. [ثم استشهد

بشعر إلى أن قال:]

واستعمل هذا الاسم على ضربين: أحدهما: أن يكون اسماً منصوباً كـ (الافتراق) والآخر: أن يكون ظرفاً.

فن رفعه رفع ما كان ظرفاً استعماله اسماً. ويدل على جواز كونه اسماً قوله: «هَذَا فِرَاقِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ»

الكهف: ٧٨، وقوله: «مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ» فصلت: ٥، فلما استعمل اسماً في هذه المواضع، جاز أن يسند إليه الفعل الذي هو (تَنْقَطِعُ) في قراءة من رفع.

ويدل على أن هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفاً، أنه لا يخلو من أن يكون الذي هو ظرف أتبع فيه، أو يكون الذي هو مصدر، ولا يجوز أن يكون الذي هو مصدر، لأن التقدير بصير: لقد تقطع افتراقكم، وهذا خلاف المعنى المراد، لأن المراد: لقد تقطع وصلكم، وما كنتم تتألفون عليه.

فإن قيل: كيف جاز أن يكون بمعنى الوصل وأصله

الافتراق والتباين، وعلى هذا قالوا: بأن الخليل، إذا

فارق، بولي الحديث: «ما بان من المعنى فهو ميتة».

فيل: إنه لما استعمل مع الشيئين المتلاصقين، نحو:

سفي وبنك شركة، وبين وبينه صداقة ورحم، صار لذلك بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرق، فلذلك صار

«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» بمعنى لقد تقطع وصلكم، ومثل

«بين» في أنه يجري في الكلام ظرفاً، ثم يستعمل اسماً

بمعنى «وَسَطَ»، ساكن العين، ألا ترى أنهم يقولون:

جلست وَسَطَ القوم، فيجعلونه ظرفاً لا يكون إلا كذلك.

وقد استعملوه اسماً. [ثم استشهد بشعر]

وأما من نصب (يَنْتَكُمُ) ففيه وجهان:

أحدهما: أنه أضر الفاعل في الفعل، ودل عليه

ما تقدم من قوله: «وَمَنْزِلِي بَيْنَكُمْ سُقُوءُكُمْ الْبَيْنِ

وَعَنْتُمْ أَنْتُمْ بَيْنَكُمْ شُرَكَؤُا» الأنعام: ٩٤، لأن هذا الكلام

فيه دلالة على التقاطع والتهاجر، وذلك المضمر هو

الأصل، كأنه قال: لقد تقطع وصلكم بينكم.

والثاني: أن يكون على مذهب أبي الحسن: أن يكون لفظه منصوباً ومعناه مرفوعاً، فلما جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً، تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام، وكذلك تقول في قوله: ﴿يَوْمَ الْفَيْصَةِ يُفَصِّلُ بَيْنَكُمْ﴾ المتحنة: ٢، وكذلك قوله: ﴿وَأَنَا وَمِنَّا الضَّالُّونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ الجن: ١١، فلدون في موضع رفع عند، وإن كان منصوب اللفظ، كما تقول: منّا الضالّ ومنّا الطّالّ، فترفع.

نحوه الطّيرسيّ. (٢: ٢٣٦)
القشيريّ: فقد تقطّع بينكم، وتفرّق وصلكم، وتبدّد تملّكم وتلاشى ظنكم، وخانكم - في التّخفيف - وسنكم.

الزّمخشريّ: وقع التقطّع بينكم، كما تقول: جمع بين الشّيتين تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التّأويل. ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف، كما تقول: قاتل خلفكم وأمامكم. (٢: ٣٦)
ابن عطية: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحزمة (يُنْكُمُ) بالرفع، وقرأ نافع والكسائي (يُنْكُمُ) بالنصب.

أما الرفع فعل وجوه: أولاها: أنه الظرف، استعمل اسماً وأسند إليه الفعل، كما قد استعملوه اسماً في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ فصلت: ٥، وكقولهم فلما حكى سيبويه: أحمر بين الميتين، ورجّح هذا القول أبو عليّ الفارسيّ.

والوجه الآخر: أن بعض المفسرين - منهم الزّهراويّ والمهدويّ وأبو الفتح وسواهم - حكوا: أن

«البين» في اللغة يقال على الافتراق وعلى الوصل، فكأنه قال: لقد تقطّع وصلكم.

وفي هذا عندي اعتراض، لأنّ ذلك لم يُروَ مسموعاً عن العرب وإنما انتزع من الآية، والآية محتملة، قال الحنبل في «العين»: «والبين: الوصل، لقوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾، فعُلّ سوق اللفظة بالآية، والآية معترضة لغير ذلك، أمّا أن أبالفتح قوّى أن «البين» الوصل، وقال: وقد اتّفق ذلك بعض الحديثين بقوله: «قد أنصف البين من البين».

والوجه الثالث من وجوه الرفع: أن يكون «البين» على أصله في الفرقة من بان يبين، إذا بُد، ويكون في قوله: ﴿تَقَطَّعَ﴾ مجوز، على نحو ما يقال في الأمر الجيد في المتخافة: تقطّعت الفجاج بين كذا وكذا، عبارة عن بُد، والله، ويحذف المقصد: لقد تقطّعت المسافة بينكم لطولها، ضمير من ذلك به «البين» الذي هو الفرقة.

وأما وجه قراءة النصب فإن يكون ظرفاً، ويكون الفعل مستنداً إلى شيء محذوف، وتقديره: لقد تقطّع الاتصال أو الارتباط بينكم، أو نحو هذا. وهذا وجه واضح وعليه فسره الناس: مجاهد والثدّي وغيرهما.

[والوجه آخر يراه أبو الحسن الأخفش، وهو أن يكون الفعل مستنداً إلى الظرف، ويبقى الظرف على حال نصبه وهو في التّية مرفوع، ومثل هذا عنده قوله: ﴿وَأَنَا وَمِنَّا الضَّالُّونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ الجن: ١١.

وقرأ ابن مسعود ومجاهد والأعمش (تَقَطَّعَ مَا بَيْنَكُمْ) بزيادة «ما».

لَأُفَتِّحَكُمْ وَاجْتِنَاعَ كَلِمَتِكُمْ. (٤: ٤)
نحوه البقوي (٢: ٢٦٦)، والنيضاوي (١: ٣٨٤)،
والخازن (٤: ٣).

الرَّمَقَشَرِيُّ: إن قلت: ماحقيقة قوله: «ذَاتُ
بَيْنِكُمْ»؟

قلت: أحوال بينكم، يعني ما بينكم من الأحوال
حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، كقوله: «بِذَاتِ
الضُّدُورِ» الأتغال: ٤٣، وهي مضمراتها.

لما كانت الأحوال ملازمة للبين قيل لها: «ذات
البين»، كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون: ساقى الإماء
من الشراب، وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين
وهذا في الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته، لئلمهم
أنه كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها. (٢: ١٤١)

نحوه الضمر الرازي (١٥: ١١٦)، واليسابوري (٩: ١٢٠)،
وأبو الشعثود (٣: ٧٦)، والبروسوي (٣: ٣١١).
ابن عطية: تصرح بأنه شجر بينهم اختلاف،
ومالت النفوس إلى التشاح، و(ذات) في هذا الموضع يراد
بها نفس الشيء وحقيقته، والذي يفهم من (بَيْنِكُمْ) هو
معنى يمتد جميع الوصل والاتحامات والمودات، وذات
ذلك هي المأمور بإصلاحها، أي نفسه وعينه، فحضر الله
على إصلاح تلك الأجزاء، فإذا صلحت تلك حصل
إصلاح ما يعقها، وهو البين الذي لهم.

وقد تستعمل لفظة «الذات» على أنها لازمة ما تضاف
إليه، وإن لم تكن عينه ونفسه؛ وذلك في قوله: «عَلِيمٌ
بِذَاتِ الضُّدُورِ» الأتغال: ٤٣، و«ذَاتِ الشُّوْكَةِ»
الأتغال: ٧، فإنها هاهنا مؤنثة قولهم: الذئب مغبوط بندي

ولقد أطال من بعدهم في توجيه القراءة ولم يأتوا
بشيء جديد ملاحظ: أبو حيان (٤: ١٨٢)، والألوسي
(٧: ٢٢٥)، ورشيد رضا (٧: ٦٢٨).

٣... فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. (الأنفال: ١)

الأخفش: أضاف (ذات) إلى «البين»، وجعله
(ذات) لأن بعض الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث
وبعضه يذكّر، نحو «الذكر» و«المحافظة» أنثى «الدار»
وذكر «المحافظة». (٢: ٥٤١)

الطبري: واختلف أهل العربية في وجه تأنيث
«البين»، فقال بعض نحويي البصرة: [وذكر نحو كلام
الأخفش وأضاف:]

وقال بعضهم: إنما أراد بقوله: (ذات بَيْنِكُمْ) المصالح
التي للبين، فقال: ذات العشاء، ويريد الساحة التي فيها
العشاء. قال: ولم يضر ما ذكرنا مؤنث، ولا مؤنثا لذكر،
إلا لمعنى.

هذا القول أولى القولين بالصواب، للملة التي ذكرتها
له. (٩: ١٧٨)

نحوه الطوسي: (٥: ٨٩)

الزجاج: حقيقة وصلكم، والبين: الوصل، قال
تمال: «لَقَدْ تَلَطَّعَ بَيْنَكُمْ» الأقسام: ٩٤، أي وصلكم،
فالمعنى: اتقوا الله، وكونوا مجتمعين على ما أمر الله
ورسوله. وكذلك «اللهم أصلح ذات البين» أي أصلح
الحال التي بها يجتمع المسلمون. (٢: ٤٠٠)

القيطبي: أي الحالة التي بينكم، ليكون سبباً

بطنه.

ابن عطية والطبري وقال:

وتلخص أن «البين» يُطلق على الفراق ويُطلق على الوصل، وهو قول الزجاج هنا، قال: ومثله: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» الأنعام: ٩٤، ويكون ظرفاً بمعنى وسط. ويحمل (ذات) أن تضاف لكل واحد من هذه المعاني.

وأما اخترنا في أنه بمعنى الفراق، لأن استعماله فيه أشهر من استعماله في الوصل، ولأن إضافة (ذات) إليه أكثر من إضافة (ذات) إلى «بين» الظرفية، لأنها ليست كثيرة التصرف، بل تصرفها كتصرف «أمام وخلف» وهو تصرف متوسط ليس بكثير.

وأمر تعالى أولاً بالتقوى لأنها أصل للطاعات، ثم بإصلاح ذات البين، لأن ذلك أهم نتائج التقوى في ذلك الوقت الذي تشاجروا فيه، ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله فيما أمركم به من التقوى والإصلاح، وغير ذلك.

(٤: ٥٦)

الآلوسي: «بين» إما بمعنى الفراق أو الوصل أو ظرف، أي أحوالاً ذات افتراقكم، أو ذات وصلكم، أو ذات الكمال المتصل بكم.

وقال الزجاج وغيره: إن (ذات) هنا بمنزلة حقيقة الشيء ونفسه، كما بينه ابن عطية، وعليه استعمال المتكلمين، ولما كانت الأحوال ملازمة للبين أضيفت إليه، كما تقول: اسقي ذاك، أي ما فيه، جعل كآته صاحبه.

(٩: ١٦٤)

رشيد رضا: أي أصلحوا نفس ما بينكم، وهي الحال والصلة التي بينكم، تربط بعضكم ببعض وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بالوفاء والتعاون

ويحمل «ذات البين» أن تكون هذه.

وقد يقال: «الذات» أيضاً بمعنى آخر وإن كان بقرب من هذا، وهو قوهم، فعلت كذا ذات يوم، [ثم استشهد بشعر]

وذكر الطبري من بعضهم أنه قال: «ذات بَيْنَكُمْ» الحال التي بينكم، كما [أن] ذات العشاء: الساعة التي فيها العشاء.

ورجح الطبري، وهو قول بين الانتقاض، وقال الزجاج: «البين» هاهنا: الوصل، ومثله قوله عز وجل: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» الأنعام: ٩٤، وفي هذا كله ظر.

(٢: ٥٠٩)

الطبرسي: أي أصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة، وقوله: «ذات بَيْنَكُمْ» كناية عن المنازعة والخصومة. و«الذات» هي الخلقة والبنية، يقال: فلان في ذاته صالح في خلقته وبنيته، يعني أصلحوا نفس كل شيء بينكم، وأصلحوا حال كل نفس بينكم.

وقيل: معناه وأصلحوا حقيقة وصلكم، كقوله: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» الأنعام: ٩٤، أي وصلكم، والمراد: كونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله.

(٢: ٥١٨)

أبو حيان: و«البين» هنا: الفراق والتباعد، و(ذات) هنا نعت لمفعول محذوف، أي وأصلحوا أحوالاً ذات افتراقكم، لما كانت الأحوال ملازمة للبين أضيفت صفتها إليه، كما تقول: اسقي ذاك، أي ماء صاحب إنائك، لما لايس الماء الإناء وصف ب(ذا)، وأضيف إلى الإناء، والمعنى: اسقي ما في الإناء من الماء. [ثم نقل قول

ولا أصبحك بعد هذا. وإنما كثر «بين» تأكيداً، معناه فراق
بيننا، كما يقال: لمن الله القادر مني ومنك، أي القادر منا.
(٧٢٣: ٥)

نحوه القرطبي: (٣٣: ١١)

ابن قتيبة: «والبين»: الصلاح الذي يكون بين
المصطحبين ونحوهما، وذلك مستعار فيه من الظرفية،
ويستعمل استعمال الأسماء. وأما فصله وتكريره (بيني
وتبينك) وعدوله عن «بيننا» فلمعنى التأكيد. (٥٣٤: ٣)

الطبرسي: معناه هذا الكلام والإنكار على ترك
الأجر، هو المفرق بيننا. (٤٨٧: ٣)

الشربيني: إن قيل: كيف ساغ إضافة «بين» إلى
غير مثنى؟

الجواب بأن سوغ ذلك تكريره بالعطف بالواو،
الآخري أنك لم تقتصر على قولك: المال بيني، لم يكن
كلاماً حتى تقول: بيننا، أو بيني وبين فلان. (٣٩٧: ٢)
الطوسي: ونصب «بين» على الظرفية، وأعيد
«بين» وإن كان لا يضاف إلا لمتعدد، لأنه لا يحطف على
الضمير المجرور بدون إعادة الجار. (٨: ١٦)

٢. قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان يعبأ به
خبيراً بصيراً. الإسراء: ٩٦

أبو الشعود: إنما لم يقل: بيننا، تحقيقاً للمفارقة،
وبإيالة للمباينة. (١٥٩: ٤)

نحوه البروسوي: (٢٠٥: ٥)

والمواساة، وترك الأثرة والتعوق، وبالإيثار أيضاً.

والبين في أصل اللغة يُطلق على الاتصال
والافتراق، وكل ما بين الطرفين، كما قال: «لَقَدْ تَخَطَّعَ
بَيْنَكُمْ» الأتعام: ٩٤، ويُحبر عن هذه الرابطة بهذات
البين». (٥٨٧: ٩)

نحوه حسنين مخلوف (١: ٢٩٤)، والصابوني (١: ٥٨٨).

بيني

١. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ مَا تَبْنِيكَ بِتَأْوِيلِ
مَا لَمْ تَشْتَطِعْ عَلَيْهِ ضَبْرًا. الكهف: ٧٨

الفراء: ولو نصبت الثانية كان صواباً، يترجم أنه
كان (فراق ما بيني وبينك). (٩٥٦: ٢)

الزجاج: «قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ» وصم
ببنيوه أن معنى مثل هذا: التوكيد، والمعنى هذا فراق
بيننا، أي هذا فراق اتصالنا، قال: ومثل هذا أمر الكلام:
«أخزى الله الكاذب مني وبينك» فذكر (بيني وبينك)
ثانيةً توكيد، وهذا لا يكون إلا بالواو. ولا يجوز: «هذا
فراق بيني وبينك» لأن معنى الواو: الاجتماع، ومعنى
الفاء: أن يأتي الثاني في إثر الأول. (٣٠٤: ٣)

نحوه الفخر الرازي: (١٥٨: ٢١)

الطوسي: معناه هذا وقت فراق اتصال ما بيني
وبينك، فكثر «بين» تأكيداً، كما يقال: أخزى الله
الكاذب مني ومنك، أي أخزى الله الكاذب منا.

(٧٩: ٧)

الصيبي: أي هذا فراق بيني وبينك، وقيل: هذا
السؤال منك بعد عهدك وشرطك سبب فراقنا.

الأصول اللغوية

«مفعولة».

١- الأصل في هذه المادة: البَيْن، وهو الفصل والفراق، يقال: بَانَ بَيْنُ يَتْنًا وَبَيْتُونَةً، وتباينَ القوم مهابنةً، وتباينَ الرجلان، وبانت يدُ الناقة عن جنبها تَبِينُ يُونًا، وبانَ المنكيط يَبِينُ يَتْنًا وَيَتُونَةً، وضربه فأبان رأسه من جسده وفصله، فهو مَبِين.

والبائنة: البئر البعيدة القعر الواسعة، وهي بئر بَيون أيضًا، لأنَّ الحبال تبين عن جريها كثيرًا، يقال: أَبَانَ الذكو عن طَيِّ البئر، أي حادَّ بها عنه لئلا يُصيبها فتتخرق.

والبائنة: النخلة الطويلة المذوق، والقوس التي بانَّت من وترها، وهي بائن أيضًا، ويقال منه أيضًا: طلب فلان البائنة إلى أبويه، وذلك إذا طلب إليهما أن يُبيناه يال، فيكون له على حدة، وقد أبانه أبواه بئانه، حتى بان هو بذلك يَبِينُ يُونًا.

والبائن: من يحمل الناقة، والجمع: بَيْن، وهو الذي يقوم على يمينها أو يسارها عند الحلب، والمستعمل: من يعين البائن، ويقوم قبالة.

والطَّويل البائن: المفرط طولًا الذي تبعد عن قدِّ الرجال الطَّوال.

والبائن: من ولي أمرًا ومارسه، وفي المثل: «استأبائن أعرف»، أي هو أعلم بهذا الأمر ممن لم يمارسه.

والطلاق البائن: هو الذي لا يملك الزوج فيه استرجاع المرأة إلا بعقد جديد، يقال: بانَّت المرأة عن الرجل، أي انفصلت عنه بطلاق، وهي بائن، وظليقة سائنة: تطليقة ذات بَيْتُونَةٍ، وهي «فاحلة» بمعنى

وبانت الجارية: تزوجت، وكأَنَّهُ من البئر البعيدة، أي بَعُدَتْ عن بيت أبيها، وبَيْنَ فلانَ بَتَهُ وأبائهما: زوجها وصارت إلى زوجها.

وغراب البَيْن: الغراب الأبقع، سُمِّي بذلك - كما قيل - لأنَّه بانَ عن نوح ^{عليه السلام}.

والبَيْن: الفصل بين الأرضين، يكون المكان حَرْنًا وبقره رمل، وبينهما شيء ليس بحزن ولا سهل.

والبَيْن: اسم وظرف، فإن وقع اسمًا فهو مسرب، مثل: وقع البين، أي الفراق، وإن كان ظرفًا فهو مَبِينٌ على الفتح، مثل: جلست بين القوم، أي وسطهم. وهذا القبيء بين بين، أي التوسط بين الجيد والردى، ولقيته مَبِينَات بين، أي لقيته بعد حين، ثم أمسكت عنه ثم أتيت، وبين الرجلين بَيْنٌ بَيْدٌ، وبونٌ بَيْدٌ، أي فصل، وإن بينهما لَبِينًا.

وبَيْنَا: «فَعْلَى» من «بَيْن»، أُنشبت الفتحه فصارت أَلَفًا، وبَيْنَا: «بَيْن»، زيدت عليه «ما».

وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة، يقال: بينا نحن كذا إذ حدث كذا، وإذا حدث كذا، وبيننا زيد جالس إذ دخل عليه عمرو، وإذا دخل عليه عمرو، والاسم بعدهما مرفوع على الابتداء.

٢- ومنه: البيان، وهو ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، مشتق من البَيْن، أي الفراق، لأنَّه يفرق بين الحقِّ والباطل، فيزول الالتباس به، يقال: بانَ الشيءُ يَبِينُ يَتَانًا، أي اتضح فهو بَيْنٌ، والجمع: أَبِينَاء، وأَبَانَ الشيءُ إبانَةً: ظهر فهو مَبِين، وأَبَانَ فلانُ الشيءَ:

اللفظة، كما ذكر الآكوسي (٧: ٢٢٦)، وحكى أن ابن خطبة قد أنكره، وقال: لم يُسمع من العرب أن «البن» بمعنى الوصل، وأجيب بأنه مجاز، والمجاز لا يتوقف على السماع، لأنه يستعمل بين الشئين المتلاسين، نحو: بيتي وبينك رحم ومداقة، فصار لذلك بمعنى الوصل مجازاً، لكن كونه مجازاً باطل، لأن حدّ المجاز التعدي من المعنى الحقيقي إلى معنى يخالف ما وضع له لمناسبة بينهما، فإن انعدمت المناسبة - كما في معنى الوصل - سمي ذلك ارتجالاً أو خطأ. وسيأتي هذا البحث في الاستعمال القرآني في الرّقم «ثامناً» فلاحظ.

الاستعمال القرآني

أُخبرنا في هذه المادة كثيرة ويمكن تقسيمها إلى محاور: **الأفعال:** وهي **يَبْنُ**، **وَأَبَانَ**، **وَاسْتَبَانَ**، **وَتَبَيَّنَ**، وما اشتق منها من الأفعال.

١- **الْبَيْنُ**، **وَالْبَيْتَةُ**، **وَالْبَيِّنَاتُ**.

٢- **الْمُبَيَّنَةُ**، **وَالْمُبَيِّنَاتُ**.

٣- **الْمُبَيَّن**.

٤- **المُسْتَبِين**.

٥- **البيان** **والتبيان**.

٦- **يَبْنُ**.

المعور الأول: الأفعال من أربعة أبواب من المزيد فيه:

أ- **يَبْنُ** (٣٤) آية:

الله **يُبَيِّنُ**:

١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ

أوضحه، **وَيَبِّنُ** الأمر: **وَضَحَّ**، **وَبَيَّنَ** فلان الأمر: **وضحه**، وفي المثل: «قد **بَيَّنَ** الصبح لذي عينين»، أي **تبَيَّنَ**، **وتَبَيَّنَ** الشئ: **وتَبَيَّنَ** فلان الشئ: **أظهره**، **واستبان** الشئ: **أظهره**، **واستبان** فلان الشئ: **أظهره**.

والبيان: **الفصاحة** **واللسن**، **وكلام** **بين**: **فصيح**، **والبين** من الرجال: **الفصيح**، **والجسم**: **أنيب**، يقال: فلان **أبين** من فلان، أي أفصح منه وأوضح كلاماً.

٢- **وشاع** بين اللغويين أن «**البين**» من الأضداد، أي الفرقة والوصل، ولم يؤثر المعنى الأخير عن العرب كما رأينا، بل انتزعه الخليل من القراءة غير المشهورة، وهي الزرع في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، وضمنه معنى الوصل، ثم تبعه هريز من اللغويين كالأصمعي وابن السكيت والجريري، وهذا حذوهم بعض المفسرين أيضاً.

ويمكن تخرج هذه القراءة بما يلي:

١- استعمال الطرف «**بَيْنَ**» اسماً على التوسع، فرفع وأسند إليه الفعل، كما توسع في قوله: ﴿مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ فصلت: ٥، **بجمر** «**بيتنا**» و«**بينك**» **بحرف** الجر: «**من**»، وقوله: ﴿هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ الكهف: ٧٨، **بجمر** «**بيتي**» و«**بينك**» بإضافة «**فراق**» إليها.

٢- استعمال «**البين**» اسماً على الأصل بمعنى الافتراق، وهو مجاز عن الأمر البعيد، والتقدير: لقد **تقطعت** المسافة بينكم لطلوها، فعبّر عن ذلك **بالبين**، أي الفرقة.

وقيل: إنه حقيقة في الوصل، إستناداً إلى قول أمه

٣٤- ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾
 الزخرف: ٦٣
 يلاحظ أولاً: أن الفعل من باب «التفصيل» جاء بصيغ مختلفة، وهي صفان:

١- صف فاعله الله. وهي الآيات (١) إلى (٢٧)، فانه تعالى تمهد ببيان الآيات في (١) إلى (١٥)، والمراد ببيان الحق بانزال آيات الكتاب، فالبيان هو نفس الآيات.

وأما الآيات من (١٦) إلى (١٧)، فلم تذكر فيها **آيات الله**، بل بين الله شيئاً من الحق، يرجع بعضها إلى الكتاب، وجاء في (٢٥) إلى (٢٧) وصف البقرة من الله في جواب ما سألوا نبيهم موسى عليه السلام.

٢- وصف **الكتاب**، وبيان ما اختلفوا فيه، فقد كلف ببيان الكتاب في أربع آيات: (٢٨) إلى (٣١)، أو مطلق الرسل في آيتين: (٣٢) و(٣٣)، أو عيسى عليه السلام في (٣٤).

وقد جاء في آيتين: (٢٩) و(٣٤) أن النبي وعيسى عليه السلام يبينان لأهل الكتاب ما اختلفوا فيه، وهذا - أي بيان ما اختلفوا فيه - من وظائف الأنبياء، لاحظ «خ ل ف» وفي (٣) أن الله يبين يوم القيامة للناس ما كانوا يختلفون فيه.

ب - يبين: آية واحدة:

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَتَكَادُ يُبَيِّنُ﴾
 الزخرف: ٥٢

ج - تستبين: آية واحدة:

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾
 النحل: ٣٩
 ٢٥- ٢٦- ٢٧- ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ظَرَأُ وَلَاحِقُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنَ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَةَ نَجَاسَةٌ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾
 البقرة: ٦٨

النبي يبين:

٢٨- ﴿...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
 النحل: ١٤

٢٩- ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا بُيِّنًا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
 النحل: ١٤
 ٣٠- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

المائدة: ١٥
 ٣١- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرْآنٍ مِنَ الرُّسُلِ...﴾
 المائدة: ١٩
 الرسل يُبينون:

٣٢- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُسَيِّئَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتََرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾

آل عمران: ٧٨٧
 ٣٣- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
 إبراهيم: ٤

السُّجُورِ مِينَ»

الأنعام: ٥٥

قد جاء في اللغة أن «هَانَ» و«أَبَانَ» و«استَبَانَ» بمعنى واحد، أي وضع وظهر، لاحظ نص الأزهري وغيره، وعليه لم يَجبَ ويستبين: يتضح ويظهر، إلا أن المفترين كادوا أن يتفقوا على أن «وَلَا يَتَكَاذِبِينَ» جاء في وصف موسى عليه السلام حيث كانت بلسانه عقدة، فلا يتضح كلامه بسببها، فكان فرعون يعيه بذلك، وأنه ليس فصيحاً في كلامه.

أما (تَشْتَبِينَ) لو قرئ برفع (سبيل)، فعناء ليتضح سبيل المجرمين، فيوافق اللغة، وأما لو قرئ بنصب (سبيل)، فالخطاب للنبي، أي تستبين أنت، أي لطلبت بيان سبيل المجرمين، وعليه فالاستفعال بمعناه، وهو طلب الفعل، ولعله الأولى والأقرب إلى الصواب، إلا أن القراءة جاءت بهما معاً، لاحظ «المستبين» في

د - تبين (١٥) آية:

١- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَغْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا عَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَغْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾ البقرة: ١٠٩

٢- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾

البقرة: ٢٥٦

٣- ﴿...وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَمَسًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٥٩

٤- ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ تُولُو مَا تَوَلَّوْا وَنُضِلَّ بِهِمْ جَهَنَّمُ وَمَاءٌ مُّصِيرًا﴾ النساء: ١١٥

٥- ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ

إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ الأنفال: ٦

٦- ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قَرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ التوبة: ١١٣

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾

محمد: ٢٥

٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَيَخِطُّ أَعْيُنُهُمْ﴾ محمد: ٣٢

٩- ﴿ضَرَبَهُمْ نَارُهَاثًا فِي الْأَقَايِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ لِّمَنْ يَخِشَىٰ اللَّهُ أَنَّهُ هَادٍ إِلَى الْكُفْرِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا أَعْيُنُهُمْ لَفِي حُجُومٍ مِّمَّنْ يَلْمِزُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْثَمُونَ﴾ فصلت: ٥٣

١٠- ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤

١١- ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾

إبراهيم: ٤٥

١٢- ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسَاكِينِهِمْ وَرَبِّهِمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَفْهَامُهُمْ قَصْدُهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُشْتَبِهِينَ﴾ المنكوت: ٣٨

١٣- ﴿...وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾ البقرة: ١٨٧

١٤- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَتَبَيَّنُوا... كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿النساء: ٩٤﴾

١٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَشِيرًا
فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ فَتُضْطَرُّوا عَلَى عَافِيَتِهِمْ
نَادِمِينَ﴾ الحجرات: ٦

يلاحظ أولاً: أنه قد جاء في بعض النصوص اللغوية
أن «تَبَيَّنَ» بمعنى «بان»، إلا أن بعضهم كالإسائي قال:
التَّبَيَّنَ: التَّثَبُّتُ والتَّأَمُّلُ، وهذا هو مقتضى صيغة
«التَّثَبُّلِ»، فإنه العمل بمجهود ومشقة وتكلف وتأكد، كما
في الفرق بين الكسب والتكسب، فالثَبَتُ ليس مطلق
الوضوح والظهور، بل ظهور الشيء بمجهود بعد الخفاء.

وهذا هو الذي يظهر من جميع الآيات، ففي عدم
منها «مِنْ بَيِّنَاتٍ بَيِّنَاتٍ»، أي أنه كان خافياً ثم ظهر.
فلاحظ قوله في (٢): «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» فإنه
يعكس عن أن الدين كان مستتراً لا طريق إليه، ثم تبين
رُشْدُهُ من غَيِّهِ، وقوله في (١٣): «عَلَى بَيِّنَاتٍ لَكُمْ الْخَبِيطُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَبِيطِ الْأَسْوَدِ»، فإنه يعكس أن الفجر كان
مستتراً، ثم بان بمجهود كبير.

فاللغوي في جميع الآيات ظهور الحق بعد خفائه ببناء
ومشقة، دون مطلق الوضوح والظهور.

ثانياً: استصعب الأمر على كثير من المفسرين في
قوله حول النبي الذي شلته في إحياء الموتى ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، كيف لم يعلم
عموم قدرته حتى اختبر كيفية إحيائها بما أراه الله؟

وقد أجهل الطبَّاءُ بأنفسهم بيان أنه لم يكن شاكاً،
بل كان عالماً بقدرة الله، ثم اختلج في نفسه ما ينافيه، فلما

رأى ما رأى رجع إلى علمه الأول، قال: «وليس معنى
الكلام أنه لما تبين له الأمر حصل له العلم، وقد كان
شاكاً قبل ذلك». فقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ...﴾ لأنَّ الرجل
كان نبياً مكلفاً، وساحة الأنبياء منزلة من الجهل بالله،
وخاتمة في مثل صفة القدرة التي هي من صفات
الذات...».

والحق ما قاله غير واحد منهم أنه عليم إحياء الموتى
عياناً بعد ما كان يؤمن به قلباً، وليس في هذا شين على
الأنبياء، ويشهد به ما بعدها في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَرَبِّ
أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ
لِيُبَيِّنَ لِقَلْبِي...﴾ البقرة: ٢٦٠، فإن إبراهيم شيخ
الأنبياء جرب إحياء الموتى عياناً، ليطمئن قلبه بعدما
تؤمن به.

لذلك جعلنا ﴿تَبَيَّنَ﴾ في الآيات (١) إلى (١٣) فعلاً
لزاماً، وفاعله (الحق)، والهدى، والرشد في كثير
منها، وفي (٦): ﴿أَنْتُمْ أَصْحَابُ الْمَجِيمِ﴾، وفي (١٠):
﴿أَنْتُمْ عَدُوٌّ لِي﴾، وفي (١١): ﴿كَيْفَ فَكُنَّا بِهِنَّ﴾، وفي
(١٢): ﴿مِنْ مَضَاكِبِهِمْ﴾، وفي (١٣): ﴿الْخَبِيطُ الْأَبْيَضُ
مِنْ الْخَبِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، والجميع دالٌّ على تبين
ذلك بعد الخفاء بشيء من الجهد والعناء.

وقد جاءت في (١٤) و(١٥) بصيغة فعل الأمر ثلاث
مرات، والفاعل فيها الأشخاص دون الأشياء، وبهذا
اختلف سياق الآيتين عما قبلها من الآيات، فقد أمر
المؤمنون فيها بالتبَيَّنَ، أي طلب البيان، وهو التثبُّت، أي
طلب الثبات، وإن لم يُذكر مفعول الفعل فيها، إلا أنه في
معنى المتعدي، إذ أخذ فيه مفهوم الطلب، ومفعوله البيان

والثبات. ولعل الطلب مأخوذ في التبيين في سائر الآيات أيضًا. كأن الحق وغيره مما جاء فيها كان خافيا، فطلبوا بيانها فتيب. وهذا معنى ما قلنا: إن التبيين ظهور الشيء بعد الخفاء بشيء من الجهد والعناء.

المحور الثاني: البين، والبينة، والبيّنات:

أ- البين والبينة (١٩) آية:

١- ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَوْلَا يُاتُونَ عَلَيْهِمْ مُسُلْطَانٌ مِنْ رَبِّكَ فَقَدْ اَظْلَمُوا عَلَى سُبُلِ اللَّهِ كَذِبًا﴾
الكهف: ١٥

٢- ﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَآءِيلَ كَمَا أُنْثَاهُمْ مِنْ آيَةِ بَيْتِهِ وَهُمْ يُبَدِّلُ بَلْعَمَةً اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
البقرة: ٢٥٩

٣- ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
المنكوت: ٢٥

٤- ﴿...قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً...﴾
الأنعام: ١٥٧

٥- ﴿...قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَاةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَقْسُوهَا بِسُوءِ فِتْنَاخُكُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾
الأعراف: ٧٣

٦- ﴿...قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَارْزُقُوا الْكَثِيرَ وَالْمِيزَانَ...﴾
الأعراف: ٨٥

٧- ﴿خَبِيرٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَارْزُقُوا مَعِيَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾
الأعراف: ١٠٥

٨- ﴿وَمَاتَّقُوا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَاجَاءَتِهِمُ الْبَيِّنَةُ﴾

البينة: ٤

٩- ﴿قَالُوا يَا هَرُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي

الْبَيْتَةِ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ٥٣

١٠- ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ

بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ طه: ١٣٣

١١- ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

وَالْمُشْرِكِينَ مُتَنَبِّئِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ البينة: ١

١٢- ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ

مَا عُنِدِي فَاسْتَفْجِلُونِ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقُّ

وَهُوَ خَيْرُ الْقَاصِلِينَ﴾ الأنعام: ٥٧

١٣- ﴿أَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ

مِنْهُ وَمِنْ قَوْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ

﴿...﴾ هود: ١٧

١٤- ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ

رَبِّي وَأَنبِئِي بِرَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقُضِيَ لَكُمْ أَنزِلُكُمْ حَتَّىٰ

وَأَنْتُمْ تَكَارِهُونَ﴾ هود: ٢٨

١٥- ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ

رَبِّي وَأَنبِئِي بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّي يَتَصَدَّقُونَ مِنَ اللَّهِ إِنْ غَضِبْتُ لَهَا

تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ هود: ٦٢

١٦- ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي

وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا...﴾ هود: ٨٨

١٧- ﴿...أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ

فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ أُنْثَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ

بَعْدَ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِلَّا غُرُورًا﴾ فاطر: ٤٠

١٨- ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَفَرَ بِهِ لَوْ

كُنْتُمْ عَاقِلِينَ وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد: ١٤

١٩- ﴿وَلْيَكُنْ لِلْغَيْبِ الْقُدْرَةُ كَمَا كَانَ الْقُدْرَةُ لِيُتْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
الأنفال: ٤٢

يلاحظ أولاً: أنَّ «البَيِّن» مذكراً جاء مرة واحدة في (١) وصفاً للفظ «سلطان»، والسلطان هنا هو الحجَّة والبرهان، فالمراد به أنَّ المشركين لو لا يأتون بحجَّة واضحة على شركهم، فإذا لم يأتوا بها فهذا افتراء على الله وكذب، ما أنزل الله بها كتاباً.

ثانياً: جاءت «البَيِّنَة» مؤنثة، وصفاً لوصفات مذكورة، أو مقدرة:

١- وصفاً للآية (٢) و(٣)، والمراد بالآية في (٢) الحجَّة، قال الطبرسي (٢: ٨٧): «من حجَّة واضحة ظاهرة مثل اليد البيضاء وقلب العصا حية...» وعليه فالمراد بها المعجزات، لأنَّها حُجج واضحة على خلق موسى عليه السلام.

أما في (٣) فالمراد بها ما ترك في تلك القرية من آثار الدمار والهلاك، فقد جاء قبلها ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ المنكوت: ٣٤، قال الطبرسي (٨: ٢٤): «أي تركنا من تلك القرية صبرة واضحة...» قال ابن عباس: «هي آثار منازلهم الخربة...» لاحظ «أي ي».

٢- وصفاً لأمر مقدَّر جاء به الرسل في (٤ - ١١)، والمراد بها المعجزة في أكثر الآيات بقرينة السياق، وفي (٤) و(١٠) الكتاب، وفي (٨) و(١١) الحجَّة، وفُسرَوها بالنبي عليه السلام نفسه، لقوله بعده (٨): ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ البَيِّنَة: ٢.

٣- وصفاً لمن كان على بينة من ربه من الرسل في (١٢ - ١٨) بـ «كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي» ونحوها، والمراد بها الحجَّة من الكتاب والرسل والمعجزات، وشواهد الصِّدق وعلامات الحقِّ. و«عَلَىٰ بَيِّنَةٍ» بمعنى مع بينة، أو (على) يعماء وهو الاستملاء، أي أنَّه ذو سلطة على بينة، أي أنَّ الرسل جميعاً مصاحبون لحجَّة بينة، وقادرون على إقامتها والإتيان بها.

وهذه الحجَّة من قبل ربهم الذي جهَّزهم بها حجَّة على الخلق، سواء كانت حُجَّة عقلية، أو آية متلوَّة، أو معجزة مبصرة. وإنما قيِّدت «البَيِّنَة» في الآيات بهذا التقيد (أين ربِّي)، لتكون شاهدة على صدق الرسل في دعوائهم أنَّهم رسل الله، فلا بدَّ أن تكون «البَيِّنَة» صنفاً إلهياً، لا طاقة بشرية. فسياقها سياق قوله في (١٠): ﴿وَقَالُوا لَوْلَا آيَاتُنَا بِآيَةِ رَبِّهِمْ أَوْ لَمْ نَأْتِهِمْ بِبَيِّنَةٍ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾.

وأظهر الآيات في هذا المعنى قوله في (١٨): ﴿أَلَمْ يَكُنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَّبُوا عَنْهُمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾، حيث فارت بين من كان على بينة من ربه وبين من ساء عمله باتِّباع هواه، وبالتالي بين بينة من ربه وعمل من نفسه، فشتان ما بينهما!!

٤- حُجَّة وانقطاعاً، مضمرة للهالك والتَّاجي على السواء، أي للمهدي والضالِّ في قوله (١٩): ﴿لِيُتْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، فالبيِّن كما هي هداية إلى الحقِّ ونجاة من الضلال وأمان من الهلاك، فهي تكون في نفس الوقت حُجَّة على أهل الضلال، وتسجيلاً للعقاب، وسداً للمعاذير، وسداً لآلَمِ السَّعِيرِ.

ب - البَيِّنَات (٤٣) آية : خمسة أصناف :

الأول : الرسل والبيّنات :

١- ﴿...قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بِالنَّبِيَّاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ قَلِمٌ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾
آل عمران : ١٨٣ ، ١٨٤

٢- ﴿...وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ بِتَعَدٍّ فَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُشْرِقُونَ﴾
المائدة : ٣٢

٣- ﴿...وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يَتُوبُونَ إِيَّاهُ كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾
الأعراف : ١٠١

٤- ﴿...أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ يَغْلِبَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
التوبة : ٢٠

٥- ﴿...وَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَرُسُلًا كُنُوزًا يَتُوبُونَ إِيَّاهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُتَجَرِّبِينَ﴾
يونس : ١٢

٦- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾
يونس : ٧٤

٧- ﴿...جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي آلِهَاتِهِمْ...﴾
إبراهيم : ٩

٨- ﴿...وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ يَغْلِبَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
الزوم : ٩

٩- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾
الزوم : ٤٧

١٠- ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾
فاطر : ٢٥

١١- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

المؤمن : ٢٢

١٢- ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ يَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا

بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾

المؤمن : ٥٠

١٣- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا

بِعِزَّتِهِمْ مِنَ الْعِلْمِ وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

المؤمن : ٨٣

١٤- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ

الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ الحديد : ٢٥

١٥- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ

فَكَفَرُوا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ

الْقَابِضُ

الْقَابِضُ

١٦- ﴿...وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ

مَاجَاءَتِهِمُ النَّبِيَّاتُ بِغَيَا بَيِّنَتِهِمْ...﴾ البقرة : ٢١٣

الثاني - يوسف والبيّنات :

١٧- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

زُلْتُمْ فِي شَكٍّ﴾
المؤمن : ٢٤

الثالث - موسى وبنو إسرائيل والبيّنات :

١٨- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ

الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ البقرة : ٩٢

١٩- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بَشَعَ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ فَسُئِلَ

بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذَا جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ

يَا مُوسَى مَسْخُورًا﴾

الإسراء : ١٠١

٢٠- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا

عَاهِدًا إِلَّا يَخْرُجُوا مِنْهَا وَمَا تَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا مَا نَشَاءُ الَّذِي نَسْخَرُ مِنْهُ مَنْ نَشَاءُ

القصص: ٢٦

٢٦- ﴿وَقَارِئُونَ وَإِزْعَاقُونَ وَمَعَانٍ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

مُوسَى بِآيَاتِنَا قَامُوا شَكُورًا فِي الْأَرْضِ وَكَانُوا
شَاكِرِينَ﴾ العنكبوت: ٢٩

٢٢- ﴿...وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ

كَاذِبًا فَقُلِيبُهُ كَذِبٌ...﴾ المؤمن: ٢٨

٢٢- ﴿...فَمُتَّعُوا الْعِبَادَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ

فَقَعُوا نَاعَنَ ذَلِكَ وَأَتَيْنَاهُمُوسَى شَطْرًا مُبِينًا﴾ النساء: ١٥٣

٢٤- ﴿...وَأَذْكُفَّتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا يَحْيَىٰ مَبِينٌ﴾

المائدة: ١١٠

٢٥- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَنِي

عَاصِمٍ هُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ عَظِيمٍ﴾

آل عمران: ١٠٥

٢٦- ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ الْبَيِّنَاتِ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ

بَلَدٍ عَاصِمٍ هُمُ الْعِلْمُ بَيْنًا بَيْنَهُمْ...﴾

الجمانية: ١٧

الزابع - عيسى والبيّنات:

٢٧- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ

بِالرُّسُلِ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ...﴾ البقرة: ٨٧

٢٨- ﴿...وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ

بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ...﴾ البقرة: ٢٥٣

٢٩- ﴿وَأَذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي

رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ السُّورَةِ

وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا يَحْيَىٰ مَبِينٌ﴾

الصف: ٦

الخامس: النبي والقرآن والآيات البيّنات:

٣٠- ﴿شَهْرٌ وَمَضَى الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾ البقرة: ١٨٥

٣١- ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ﴾

٣٢- ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ

بَيِّنَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

٣٣- ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَعَلُوفٌ

الحديد: ٩

٣٤- ﴿...وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلَكِنَّ كَافِرِينَ

عَذَابُهُمْ شَدِيدٌ﴾

٣٥- ﴿وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ...﴾

يونس: ١٥

٣٦- ﴿وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ

نَدْوًا﴾

٣٧- ﴿وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ

الَّذِينَ كَفَرُوا السُّخْرَ...﴾

٣٨- ﴿وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ

إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

٣٩- ﴿وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَسَاءَ مَا جَاءَهُمْ هَذَا يَحْيَىٰ مَبِينٌ﴾

٤٠- ﴿إِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا

رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كُنَّا يَتَّبِعُ أَتَاؤُكُمْ وَقَالُوا
مَاهَذَا إِلَّا أَفْكٌ مُمَرَّتٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنَحْنُ لَمَّا جَاءَهُمْ
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾

٤١- ﴿فَإِنْ زُلْتُمْ مِنْ بَعْدِ عَاجَاءِ نَكْمِ الْيَتِّاتِ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَزِيرٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٠٩

٤٢- ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران: ٨٦

٤٣- ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ
أَمِنًا...﴾ آل عمران: ٩٧

يلاحظ أولاً: أن المراد بـ«اليئات» في الأصناف
الأربعة الأولى - أي من (١١) إلى (٢٩) - المعجزات، لأنها
كانت حُجج الرسل جميعاً - ما خلا نبياً ﷺ - على أممهم
ويشهد بذلك ما يأتي:

١- إنه عطف (الكتاب) على (اليئات) في ثلاث من
الصنف الأول:

في (١): ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾
وفي (١٠): ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

وفي (١٤): ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا
مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ...﴾

٢- إن آيات الصنف الثاني والثالث والرابع جلية في
معجزات يوسف وموسى وعيسى، وأجلاها أربع آيات:
الأولى: الآية (١٩): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بَشْعَ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ﴾، فإنها تسع معجزات لموسى، ذكرها الله في قوله
لموسى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ

سُوءٍ فِي بَشْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ...﴾ التسل: ١٢.
الثانية: الآية (٢٠): ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا
بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفَرَّرٌ وَمَا سَوَّيْنَا بِهَذَا فِي
آيَاتِنَا الْأُولَى﴾، أي ماسمعا بعمل مثلها، لا بقول مثلها
حتى يراد بها الآيات المخزلة على موسى، فإنها لم تكن
معجزة كآيات القرآن.

الثالثة: الآية (٢٤): ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، وجاءت
هذه الآيات كلها في شأن موسى ﷺ.

الرابعة: الآية (٢٩) في شأن عيسى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

هذه السبع (اليئات) في هذه الآيات دليل
على أن المراد بها المعجزات، وسيأتي مثله في شأن القرآن.
ثانياً: أكثر آيات الصنف الخامس صريحة في أن
المراد بها آيات القرآن، فإنها كانت معجزة للنبي ﷺ
بدلاً من المعجزات لسائر الأنبياء. وهذه نكتة لم تكن
تُستكشف إلا من بعد إرداف آيات «اليئات» وتصنيفها
إلى الأصناف.

وهذا لا يعني أنه لم يكن للنبي ﷺ معجزة غير
القرآن، كيف وقد ثبتت له مئات من المعجزات في
السنة. وقد عدّ بعضهم منها ألف معجزة^(١). وفي القرآن
أيضاً كالإسراء: هل المراد أنه اعتمد في إنبات ثبوته على
القرآن وآياته، وقد تحدّث القرآن بها مراراً، لاحظ بحث

(١) لاحظ تفسير «البصائر» بالفارسية، في ذيل قوله:
﴿سُورِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...﴾
نص: ٥٣.

ثانيًا: أنَّ (فاحشة) جاءت نكرة تحقيرًا وإنكارًا لها، وتقليلاً لحدوثها، وتعميمًا للقليل والكثير، والمراد بها الزنى، على خلاف حسبها جاء في التصوص، وجاءت (الآيات) نكرة وجهًا تعظيمًا وتخفيفًا شأنها، وتكثيرًا لعددتها، والمراد بها حسب الشياخ: آيات القرآن.

ثالثًا: جاءت «الفاحشة» في (١) و(٣) وصفًا للنساء عامة، استثناء من (لَا تَعْظُمُوهُنَّ)، و(لَا تَكْفُرْ جُوهَهُنَّ)، فتصبح «الفاحشة» منهن مسوغة لعضلهن حال الزواج وإخراجهن بعد الطلاق، وفي (٢) وصفًا لمن أمكن أن يأتين بها من نساء النبي ﷺ، فيضاعف لمن العذاب

ضعفين، كما يضاعف الأجر للقاتلات والصلحات منهن. رابعًا: قرئت «مبينة» في (١) و(٣) بفتح الميم

وكسرها، وصورتها الطبري قراءة ومعنى بيان الفاحشة إذا أظهرها صاحبها فهي «مبينة» بالفتح، ثم هي تبين على صاحبها فعلها، فهي «مبينة» بالكسر، فلا تكون ظاهرة بيّنة إلا وهي مبيّنة، ولا مبيّنة إلا وهي مبيّنة، وعن أبي زرعة أنها بالكسر بمعنى ظاهرة، وبالفتح بمعنى مكشوفة، ثم ذكر نحو الطبري، وعن الميثقي أنها على الكسر لازم، وعلى الفتح متعد، بحجة ماضى من أن أبان وبيّن واستبان لازم ومتعد، وكذا قال الزمخشري. وعن الطبري، من ابن عباس «مبيّنة» بالكسر والتخفيف، وكذا قرئت (المبيّنات) في (٤) بالفتح والكسر، قال الفخر الرازي: إنها بالفتح حيث كانت، لأنها قصد إظهارها، وفي (فاحشة مبيّنة) لم يقصد إظهارها، ثم إنه حلل الفتح في توصيف «الفاحشة والآيات» بأنه لأفعل

لها في الحقيقة، إنما الله تعالى هو الذي بيّنها، وبأن «الفاحشة» تبين بأربعة شهداء، و«الآيات» بيّنها الله، لاحظ التصوص.

والذي نختاره أن الفتح والكسر فيها بمعنى اللّازم، أي الواضح الجليّ دون قصد ظهورهما، فهما بمعنى بيّن ومبيّنة، ولا فرق بينهما إلا لفظًا، ولعلّ صيغة «التفصيل» فيها للتأكيد والثقة دون التعدية، فالمبيّنة والمبيّنات أكد ظهورًا من البيّنة والبيّنات، وقد وصفت الآيات بالبيّنات والمبيّنات معًا، إلا أن المبيّنات أكد في المنزى. المحور الرابع: الشيين (١١٧) آية، وهي صفتان: مدح وذم:

الأول: المدح (١٧) آية، وصفًا لـ (١٧) موصوفًا نردفها حسب الحروف:

الأفهي آية: ١- ﴿وَلَقَدْ زَاہُ بِالْأَفْهِ السُّبِينِ﴾

التكوير: ٢٢

إمام، آيات: ٢- ﴿فَانْتَقَضَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَسِيَامَامُ سُبِينِ﴾

المجر: ٧٩

٣- ﴿... وَكُلُّ شَيْءٍ بِأَخْصِيَّائِهِ فِي إِيَامِ سُبِينِ﴾

يس: ١٢

البلاغ، (٧) آيات: ٤- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاخْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رُسُولِنَا

المائدة: ٩٢

الْبَلَاغُ السُّبِينِ﴾

٥- ﴿... فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ السُّبِينِ﴾

التحل: ٣٥

٦- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ السُّبِينِ﴾

التحل: ٨٢

٧- ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَعَ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ﴾ النور: ٥٤
٨- ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُنَاسٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَعَ عَلَى
الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ العنكبوت: ١٨
٩- ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يس: ١٦، ١٧
١٠- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
لَا نَسْأَلُ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ النصار: ١٢
١١- ﴿فَأَتَى غَضَاءَ فَإِذَا مِنْ
تُجَبَانٍ مُبِينٍ﴾ الأعراف: ١٠٧، الشعراء: ٣٢
الحق، آيات: ١٣- ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْقِيهِمُ اللَّهُ بَيْنَهُمُ الْحَقَّ
وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ النور: ٢٥
١٤- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾
التكوير: ٧٩
رسول، آيات: ١٥- ﴿بَلَى سَكُتَ هُوَ لَا يُرَى وَنَجَاءَهُمْ
حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ الزخرف: ٢٩
١٦- ﴿أَنِّي لَكُمْ الدَّكَوْزَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾
الدخان: ١٣
سلطان، (١٢) آية: ١٧- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ هود: ٩٦
١٨- ﴿... قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ
تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَمَّا تَنَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
إبراهيم: ١٠
١٩- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ المؤمنون: ٤٥
٢٠- ﴿لَا تَعْذِيبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا تَجْعَلْهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ

سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ النمل: ٢١
٢١- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
الصافات: ١٥٥، ١٥٦
٢٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
المؤمن: ٢٣
٢٣- ﴿وَأَنْ لَا تَتَّبِعُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ أَمَرَكُمْ بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ﴾ الدخان: ١٩
٢٤- ﴿وَقَالَ مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ﴾ القصص: ٢٨
٢٥- ﴿أَمْ لَمْ نَسْلَمْ يَسْتَفِيعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَفِيعُهُمْ
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ الطور: ٣٨
٢٦- ﴿... وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء: ٩١
٢٧- ﴿... أَمْ يَرِيدُونَ أَنْ نَحْمِلَهُمَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا
مُبِينًا﴾ النساء: ١٤٤
٢٨- ﴿ثُمَّ اخْلَعُوا الْبَجَلِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ
فَقَعَوْا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَاهُمُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء: ١٥٣
شهاب، آية: ٢٩- ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
رَجِيمٍ﴾ إِلَّا مَنْ اشْتَرَى السَّمْعَ فَأَتَيْتُهُ شِهَابٌ مُبِينٌ
الحجر: ١٧، ١٨
نبي، آية: ٣٠- ﴿قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾
الشعراء: ٣٠
فتح، آية: ٣١- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾
الفتح: ١
الفضل، آية: ٣٢- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَثَلِ الطَّيْرِ وَأَوْفَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ

- هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿ التعل: ١٦
- الفوز، آيات: ٣٣ ﴿ مَن يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَتَدَّ رَحْمَةً وَذَلِكَ الْقُورُ الْمُبِينُ ﴿ الأنعام: ١٦
- ٣٤ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْرَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَسَيُخْلِصُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْقُورُ الْمُبِينُ ﴿
- المجاثية: ٣٠
- قرآن، آيات: ٣٥ ﴿ أَلَمْ يَكُنْ أَتَى الْكِتَابِ وَقُرْآنُ مُبِينٌ ﴿ الحجر: ١
- ٣٦ ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿
- يس: ٦٩
- كتاب (١١) آية: ٣٧ ﴿ ... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿ المائدة: ١٥
- ٣٨ ﴿ ... وَمَا تَشْعُرُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَغْلِبْهَا وَاجِلٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا ظُلْمٍ وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ ﴿ الأنعام: ٥٩
- ٣٩ ﴿ ... وَمَا يَغْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿ يونس: ٦١
- ٤٠ ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَرْزُقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَفَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿
- هود: ٦
- ٤١ ﴿ أَلَمْ يَكُنْ أَتَى الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ يوسف: ١
- ٤٢ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ الشعراء: ٢
- ٤٣ ﴿ طُتِيَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴿
- التعل: ١
- ٤٤ ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ ﴿
- التعل: ١٦
- ٤٥ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ القصص: ٢
- ٤٦ ﴿ ... لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿
- سبا: ٣
- ٤٧ ﴿ خُمٌ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ الزخرف: ٢، ١
- لسان، آيات: ٤٨ ﴿ ... وَهَذَا لِنَاسٍ عِزِّيُّ مُبِينٌ ﴿
- التعل: ١٠٣
- ٤٩ ﴿ يَلْسَانُ عِزِّيُّ مُبِينٌ ﴿ الشعراء: ١٩٥
- نذير، (١٢) آية: ٥٠ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حُنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ الأعراف: ١٨٤
- ٥١ ﴿ وَتِلْكَ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿
- هود: ٢٥
- ٥٢ ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ الحجر: ٨٩
- ٥٣ ﴿ قُلْ يَاءَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿
- الحج: ٤٩
- ٥٤ ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿ الشعراء: ١١٥
- ٥٥ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿
- المنكوت: ٥٠
- ٥٦ ﴿ إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿
- ص: ٧٠
- ٥٧ ﴿ ... إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿
- الأحقاف: ٩
- ٥٨ ﴿ فَاقْرَأُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿
- الذاريات: ٥٠

٥٩- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

مُبِينٌ﴾ الفاريات: ٥٩

٦٠- ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ﴾ الملك: ٢٦

٦١- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ نوح: ٢

نور، آية: ٦٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن

رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ النساء: ١٧٤

يلاحظ أولاً: أنَّ «المبين» في الموصوفات السبعة

عشر اسم فاعل من «أبان» - وهو لازم بمعنى «أبان» كما

سبق في «يُبين». فلانتهب إلى أنَّ «المبين» بمعنى

«المبين»، وإن ناسب بعضها كالبلاغ والكتاب والقرآن

وغيرها. ولعلَّ باب «الإفعال» مثل «التفصيل» هنا بمعنى

التأكيد، أي شديد الوضوح والظهور. وهذا وصف

ينطبق على جميع هذه الموصوفات، وفي التفسيرات

التفسيرية تجد ما يؤيد هذه الرؤية.

ثانياً: أنَّها تختلف معرفة ونكرة، فالبلاغ المبين جاء

معرفة دائماً، وكذا الأفق المبين، والحق المبين، والفضل

المبين، والفوز المبين، أما سلطان مبين فجاء نكرة دائماً،

وكذلك رسول مبين، وإمام مبين، وثمان مبين،

وشهاب مبين، وشيء مبين، وفتح مبين، وقرآن مبين،

ونور مبين.

وهناك ما جاء معرفة ونكرة - وهي الأغلب - مثلاً،

وهو «الكتاب»، فقد جاء معرفة أربع مرّات: (٤١)

و(٤٢) و(٤٥) و(٤٧) والباقي نكرة. وكذلك «التذير»

جاء معرفة مرّة واحدة: (٥٢) والباقي نكرة، فما هو

الوجه في ذلك؟

خطر بالبال أول ذي بدء أنَّ لهذا ربطاً بمروري

الآيات، وبدا لنا بعد ملاحظتها أنَّه لا ربط للتعريف

والتنكير فيها بالرؤي، لأنَّ أكثر روي الآيات فعل جمع

أو صيغة جمع آخرها «نون». وقد روعي هذا الرؤي في

«المبين» كما يأتي، بل الرؤي في بعضها نكرة، وجاء

المبين معرفة مثل ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ وَلَقَدْ رَآهُ

بِالْأَفْئِ السُّبْحِ ﴿وَمَاهُو عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ التكويد:

٢٤ - ٢٢.

ويبدو أنَّ التعريف جاء فيها ينصب التركيب عليه

مثل: الحق المبين، والفضل المبين، والبلاغ المبين، والفوز

المبين. ويؤيده أنَّ كلمة «الحق» جاءت في أكثر مواردها

- وهي كثيرة (٢٢٧) مرّة - معرفة، وأنَّ كلمة (الفوز)

جاءت معرفة دائماً، وأنَّ «بلاغ مبين» لا يؤدّي ما أدّاه

«البلاغ المبين» فجاء معرفة دائماً.

أما التنكير فجاء فيها لم يهتم به هذا الاهتمام، بل

لوحظ، تحقق شيء منه، مثل: رسول مبين، وساططان

مبين ونحوهما، وهذا ما لا يدركه إلا من يشتمع بذوق

فنوي سليم.

ثالثاً: جاء «المبين» معرفة ونكرة، مدحاً وذمّاً في

آخر الآيات كروي لها دائماً، موازنة لها، رفحاً ونصباً

وجرحاً، ويبدو أنَّه الفرض الأهم من الإتيان به، وإن كان

محبه كوصف لما قبله ملحوظاً أيضاً. وهذا جار في كثير

من الصفات التي جاءت في آخر الآيات، والبحث

المستوفى فيه موكول إلى «فصل الرؤي من المدخل».

رابعاً: مبين معرفة ونكرة جاء مرفوعاً، أو مجروراً

إلا في خمس آيات فجاء فيها نكرة منصوبة: (سلطاناً

مُيِّنًا) ثلاثاً في (٢٦ و ٢٧ و ٢٨) و (نُورًا مُبِينًا) مرة في (٦٢) كلها في سورة النساء، و (فَتَحًا مُبِينًا) مرة (٣٦) في أول سورة الفتح، ولئن لم يكن للتعريف والتكثير دخل في الروي، فللإعراب ولا سيما النصب في هذه الخمسة دخل فيه، فالروى الغالب في الشورتين «فَعِيلًا» وتكرر فيها: حكيمًا، رحيمًا، عظيمًا، سيلاً، ونحوها، فلاحظ.

خامساً: أكثر الموصوفات به «المبين» عدداً في هذا الصنف: سلطان ونذير (١٢) مرة، وكتاب (١١) مرة، والبلاغ (٧) مرات، والباقي بين ما جاء مرتين مثل: قرآن، ورسول، ولسان، وتيمان، وإمام، والحق، والنور، وبين ما جاء مرة مثل: الأفق، وعشاه، ونبي، وفتح، وفضل، ونور. وتعل في هذه الأرقام سوراً أيضاً فلاحظ.

الثنائي: الذم (٥٦) آية، وحسنًا (١) موصوفاً:

إثم (٤) آيات:

١- ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْسِنُوا فَتُغْفَرِ لَكُمْ فَتَغْفِرَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ سَاءٌ مُعْتَدِلُونَ﴾ النساء: ٢٠

٢- ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكُنْ بِهِ إِتِقًا مُبِينًا﴾ النساء: ٥٠

٣- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ النساء: ١١٢

٤- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ ظَاهِرًا لَمْ نَكْتُمِ لَهُمْ فِتْنًا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النساء: ٥٨

إفك، آية: ٥- ﴿لَوْلَا إِذْ تَبَقَّشْتُمُوهُ ظَنُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَأْتَنَفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾

النور: ١٢

بلاء، آيتان: ٦- ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾

الصافات: ١٠٦

٧- ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ مِنَ الْآيَاتِ مَا قَبِيهُ يُلَوُّوا مُبِينًا﴾

الدخان: ٢٣

خسران، (٣) آيات: ٨- ﴿... خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾

ذلك هو الخسران المبين﴾

٩- ﴿... قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾

وَأَخْلَبُوا يَوْمَ الْفِتْنَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

الزمر: ١٥

١٠- ﴿... وَمَنْ يَتَّبِعِ الشَّيْطَانَ وَهُوَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

النساء: ١١٩

خسیر، آيتان: ١١- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾

التحل: ٤

١٢- ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾

يس: ٧٧

المضام، آية: ١٣- ﴿أَوْ مَنِ يَسْتَشْوِي فِي الْحِيلَةِ وَهُوَ فِي الْمَضَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾

الزخرف: ١٨

دخان، آية: ١٤- ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾

الدخان: ١٠

سحر، ٩ آيات: ١٥- ﴿وَإِذَا كَفَرْتُ إِلَيْهِ إِشْرَامٌ بِسَلِّ غَنَكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا صَحْرٌ مُبِينٌ﴾

المائدة: ١١٠

١٦- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ أَنَّ عَلَيْنَا بَشِيرًا فِي يَوْمٍ فَتَقْشَمُونَ﴾

٣٠ ﴿أَتَمِيعُ يَوْمَ تَوَسَّدُ بِالسِّفْرِ أَوْ تَتَوَشَّعُ فِي السَّيْرِ﴾

الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ مريم: ٣٨

٣١ ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

الأنبياء: ٥٤

٣٢ ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَبِ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ٩٧

٣٣ ﴿...قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ القصص: ٨٥

٣٤ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ

دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ لقمان: ١١

٣٥ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ

اللَّهُ وَإِنَّا أَزْوَاجُكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

سبأ: ٢٤

٣٦ ﴿إِنِّي إِذَا لَبِ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يس: ٢٤

٣٧ ﴿...قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اطَّعِمُوهُمْ

لَوْ بَنَاءُ اللَّهِ اطَّعِمْتُمُوهُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

يس: ٤٧

٣٨ ﴿...فَوَيْلٌ لِلنَّاصِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ

فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الزمر: ٢٢

٣٩ ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْغُلَى وَمَنْ

كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الزخرف: ٤٠

٤٠ ﴿وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُجِيبٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾ الأحقاف: ٣٢

٤١ ﴿...وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَبِ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

الجمعة: ٢

٤٢ ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمْسًا بِهٖ وَعَشِيهٖ تَوَكَّلْنَا

بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

الأنعام: ٧

١٧ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا

لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يونس: ٧٨

١٨ ﴿...وَلَمَّا قُلْتُ إِنَّكُمْ سَبَّحْتُمُونِي مِنْ بَعْدِ

الْحَوْتِ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

هود: ٧

١٩ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ﴾ النمل: ١٢

٢٠ ﴿...وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سبأ: ٤٣

٢١ ﴿وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصافات: ١٥

٢٢ ﴿وَإِذَا سُئِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الأحقاف: ١٤

٢٣ ﴿...فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ﴾ الصف: ٦

ساحر، آية: ٢٤ ﴿...قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا

لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يونس: ٢

ضلال، ١٩ آية: ٢٥ ﴿...وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَبِ

ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ آل عمران: ١٦٤

٢٦ ﴿...إِنِّي أَرِيكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

الأنعام: ٧٤

٢٧ ﴿قَالَ السُّلَاطِنُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ﴾ الأعراف: ٦٠

٢٨ ﴿...إِنَّ آيَاتِنَا لَبِ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف: ٨

٢٩ ﴿...إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف: ٣٠

١٨: القصص	﴿مُبِينٌ﴾	٢٩: الملك	فَتَسْتَلْثَمُونَ مِنْهُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
كفور، آية: ٥٦ - ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ		٤٣: ﴿...وَمَنْ يَخِصِّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا	
الزخرف: ١٥	الْإِنْسَانَ لَكَفُورٍ مُبِينٍ﴾	الأحزاب: ٣٦	﴿مُبِينًا﴾
يلاحظ أولاً: أن «المبين» جاء مدحاً ٦٢ مرة لسبعة		٤٤: آية: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ	
عشر موصوفاً، وجاء ذمماً ٥٦ مرة لأربعة عشر		ذُرِّيَّتَيْهِمَا إِسْحَاقَ وَظَلَامَ لِنَفْسِهِ مُبِينٍ﴾ العنكاوت: ١١٣	
موصوفاً، فزاد وصف المدح (٦) مرّات وموصوفه		عدو، (١٠) آيات: ٤٥ - ﴿قَالَ هَذَا مِنْ غِلِّ	
مرتين، على وصف الذمّ وموصوفه، وهذا فيه رجاء		الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ القصص: ١٥	
وتبشير للناس، إلا أن «الضلال» أكثر الأوصاف عدداً،		٤٦: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ	
فجاءت ١٩ مرة، وهذا يرمز - مع الأسف - إلى غلبة		﴿مُبِينٌ﴾ البقرة: ١٦٨	
الضلال على الهدى بين الأمم، وهو يطابق الواقع بالفعل،		٤٧: ﴿...وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ	
وهو يزيد - على ما وصف به في جانب المدح -		عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ البقرة: ٢٠٨	
١٦ مرة، والكتاب ١١ مرة والتذير ١٢ مرة.		٤٨: ﴿...وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ	
الضلال باقي بحاله بين الأمم رغم وجود هذا الإحصاء:		﴿مُبِينٌ﴾ الأنعام: ١١٣	
الكتاب ١١ مرة والتذير من الله تعالى، وللحلافة		٤٩: ﴿...وَأَقْلَلْ لَكُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ خُشْيًا يُضَيِّطُكُمْ﴾	
التبديد هبة الدين الشهرستاني رحمه الله من كبار علماء		﴿مُبِينٌ﴾ الأعراف: ٢٢	
العراق كلمة في هذا الشأن، وهي: «مات أبوجهل ولكن		٥٠: ﴿...إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	
الجهل لم يميت». تانياً: أكثر ما وصف به ذمماً الضلال (١٩) مرة،		يوسف: ٥	
والشعر (٩) مرة، والإثم (٤) مرّات، والخسران (٣)		٥١: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا	
مرّات، والباقي بين ما جاء مرّتين مثل: البلاء والتقصير،		الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يس: ٦٠	
وما جاء مرة مثل: الإفك والتحصن والدخان والساحر		٥٢: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	
والظالم والغوي والكفور، ولعلك تجد بالتأمل في هذه		الزخرف: ٦٢	
الأرقام مناسبة ثابته إلى بعضها بعضاً، فتكشف		٥٣: ﴿...إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾	
سراً، أو تعثر على نكتة.		النساء: ١٠١	
ثالثاً: يدور الكلام هنا حول وصف «المبين»، أما		٥٤: ﴿...إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾	
البحث في موصوفه - رغم وروده بكثرة في النصوص		الإسراء: ٥٣	
		غوي، آية: ٥٥ - ﴿...قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ	

التفسيرية هنا - فمكول إلى مواده، فلاحظ.

رابعاً: الكلام فيها تعريفاً وتذكيراً وإعراباً، مساوقةً لروى الآيات، مثل الكلام فيما تقدم.

المحور الخامس: المستبين: آية واحدة:

﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ الصافات: ١١٧

يلاحظ أولاً: قد سبق في «نسب» أن «استبان» جاء بمعنى «بان»، وأنه محتمل فيه، بناء على قراءة رفع «سبل»، ويحتمل الطلب بناء على قراءة النصب. والوجهان مستساغان هنا كما في النصوص. إلا أن الميضي جعل «استبان» في أحد الوجهين مبالغة للفعل «بان»، فقال: «وجعل الكتاب باناً في بيان الأحكام وتمييز الحلال عن الحرام، كأنه يطلب من نفسه أن يبينها ويعمل نفسه على ذلك...». فأرجع المبالغة إلى سبيل الطلب، وهو لطيف، وكأنَّ الطبَّاطبائي أشار إليه، حيث قال: «أي يستبين المجهولات الحفية فيبينها». وكادوا يتفقون على إفادته المبالغة. ومن أكثرها مبالغة قول الآلوسي: «أي البليغ في البيان والتفصيل، كما يُسمر به زيادة التبيين»، أي «المستبين» بدل «المبين» بزيادة التاء والتين.

ثانياً: يبدو أن للروى دخلاً في هذا، كما نبه عليه الشيوخي، حيث جعله من قسم المتماثل من الفواصل، وقال: «المتماثل أن يشاوريا في الوزن دون التقفية... نحو: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ وَهَذَيْنَاهُمَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَبِينَ» الصافات: ١١٧، ١١٨، فالكتاب والصراط يحوازنان، وكذلك المستبين والمستقيم.

واختلفا في الحرف الأخير». فظهر أنه قد لوحظ في «المستبين» لطف اللفظ والمعنى معاً.

المحور السادس: «بيان»: (٣) آيات، و«تبيان»: آية واحدة:

١- ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

آل عمران: ١٣٨

٢- ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن: ٤

٣- ﴿ثُمَّ إِنَّا عَلَّمْنَاهُ﴾ القيمة: ١٩

٤- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: ٨٩

يلاحظ أولاً: أن الآيتين (١) و(٣) جاءتا في شأن القرآن، فكيف القرآن في (١) بأنه بيان للناس عامة، أي يبين لهم ما أراد الله منهم، وفي نفس الوقت القرآن هدى وموعظة للمسلمين: أي الذين أسلموا لله، كما هو كذلك للمؤمنين، أي أن المسلمين والمؤمنين من الناس خاصة هم الذين يستدون ويتخطون دون غيرهم، فاللتقوى والإسلام - بهذا المعنى - شرط الانتفاع بالقرآن، ومثلها ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ البقرة: ٢، وآيات أخرى، والبحث في ذلك مكول إلى «ه دي» و«وق ي» و«ق ر أ».

والآيات يفسر بعضها بعضاً، وهذا ينفي التريب في أن (هذا) إشارة إلى القرآن.

ولكن هناك قول بأنه إشارة إلى ما سبق في ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ سُحُفٌ﴾، أو آيات قبلها، واختاره الطبري، وتبعه آخرون - بحجة أن (هذا) إشارة إلى حاضر، إما مرئي أو مسموع، وهو هنا مسموع، وهي

الآيات المتقدمة عليها. وهذه الحجة لا تقاوم تلك الآيات المماثلة لها التي تفترحها.

ووصف القرآن في (٣) بأنَّ على الله بيانه بعد أن كان عليه جمعه وقرآنه، فاختلف سياق الآيتين، فلي (١) القرآن نفسه بيان، وفي (٣) بيان القرآن على الله. وبيان الله للقرآن إما خلال الآيات القرآنية، أو بوحى إلى النبي، فيتمكس على سنته وعلى لسان عترته حسب حديث الثقلين، لاحظ «ق ر أ».

ثانياً: قال البقوي: «البيان هو الدلالة التي تعيد إزالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة». وهذا بوافي ما سبق أن أفدناه أن مادة «البيان» هو الوضوح بعد الخطأ، والانكشاف بعد الانسباء، لا مطلق للوضوح والانكشاف.

ثالثاً: الآية (٢) تنتم ماقبلها: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الرَّحْمَنُ﴾ ١ - ٤، واختلف في تفسير «البيان» على أقوال أحصاها الزاوي في ثمانية، بعضها تأويل، أو تخصيص للجنس بفرد، والذي يفيد السياق أن الإنسان هنا - كعاقبة الآيات - جنس البشر، و«البيان» هو ما اختص به من التطق باللسان الذي يمتاز به عن سائر الحيوانات، لاحظ «الإنسان» في (٣: ٨٧٨) من «المعجم».

رابعاً: قوله: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ جملة مستقلة عما قبلها، وهي غير مرتبطة في نفسها بالقرآن، بخلاف (١) و(٣)، فإنها جاءتا - كما سبق - في شأن القرآن. بيد أن (٢) جاءت تلو «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ»، والإنسان هو الذي علَّمه الله الرحمن - أي حسب رحمته الواسعة -

القرآن. كما جاءت ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ واسطة بين الجمعتين، فترمز الجمل الثلاث حسب ترتيبها إلى أن تعليم القرآن - وبالتالي العمل به - هو الهدف الأصلي لخلق الإنسان وتعليمه البيان، وذلك أن القرآن ينظم برنامج حياته إلى منتهى سيره المادي والروحي، ولا يصل الإنسان إلى غايته التي خلق لأجلها إلا بالقرآن.

وظهر بذلك أن هذه الآية مسانداً للقرآن أيضاً، لا يقل عن الآيتين (١) و(٣). ويترتب عليه أن الإنسان إذا بلغ ذروة كماله، لا يجري على بيانه ولسانه إلا فيما تعلمه من القرآن، ففيه منتهى الكمال، ونهاية المطاف. خامساً: جاء «التبيان» مرة في القرآن خلال الآية (٤)، وهو مصدر «بين»، كالتذكير مصدر «ذكر»، وقيل:

«تعليم» لا مصدر، فإن المصدر يفتح التاء مثل: تعداد. ونقول: سواء كان اسماً أم مصدرًا فهو هنا وصف ظير «زيدٌ عدلٌ» كالمبين تمامًا. وقد سبق البحث في «بين» أنه جاء لازماً مثل: بَانَ وَأَبَانَ واستبان، أي ظهر، وجاء متعدياً بمعنى الكشف والإظهار والبيان مع شيء من التأكيد الذي هو من معاني باب «التفصيل»، وعليه فمعنى الآية أن القرآن فيه بيان وافٍ لكل شيء مما يحتاج إليه الإنسان شريعةً ومنهجاً كالآتي.

سادساً: الظاهر أن المراد كون القرآن بياناً لكل شيء من أمر الدين والدنيا الذي لا يعلم إلا بالوحي، وإليه يرمز كثير من النصوص التفسيرية. وقد بالغ بعض العرفاء بقوله: إن فيه كل شيء يفهم بطريقة علم الحروف وشيء من الرموز. وهذا لم يثبت عندنا

ولا تنكره، ولو صح لا يصح فهمه من هذه الآية، لأنها جاءت حسب فهم عامة الناس، دون أرباب الرموز وأصحاب الحروف.

سابقاً: أشكال الزاوي وغيره في هذا المجال بما يلي:

١- إذا كان القرآن بياناً لكل شيء، فمن أين وقع بين الأمة هذا الخلاف الطويل العريض، ولا سيما في أحكام الشريعة؟

وأجاب بأنه لم يُبين كله في القرآن نصاً، بل بعضه مستنبط منه بالنظر والاستدلال، وهذا مختلف فيه.

٢- إن كثيراً من أحكام الشريعة لم تُعلم من القرآن نصاً ولا استنباطاً، كعدد ركعات الصلاة، وكمقادير مدة السفر والمسح والحيض وحدّ الشرب ونصاب الشربة وغيرها.

وأجاب بأن القرآن نصّ على بعضها، وأحلّه على السنة بعضها بقوله: ﴿وَمَا أَنهَيْكُمُ الرُّسُولُ فَخُذُوا وَمَا نَهَيْكُمُ عَنْهُ فَأْتُوا﴾ الحشر: ٧، وآيات أخرى ذكرها، أو أحال على الإجماع في قوله: ﴿وَيُشِيعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النساء: ١١٥، أو على القياس في قوله: ﴿وَاعْتَصِرُوا بِأَوَّلِي الْأَبْصَارِ﴾ الحشر: ٢، فهذه أربعة طرق لا يخرج منها شيء من أحكام الشريعة، وكلّها مذكورة في القرآن، فصحّ كونه بياناً لكل شيء.

وما ذكره - بصرف النظر عن دلالة آيتي الإجماع والقياس عليهما - لا بأس به، والحق أن في القرآن كليّات الشريعة والعقيدة، وأما الشرح والتفريع والاستنباط فيها فموكول إلى الاجتهاد الذي نصّ عليه القرآن بقوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ في آية السفر (التوبة: ١٢٢)،

وبقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الزمر: ١٧، ١٨، وحتى مصادر الاستنباط، وهي العقل والإجماع والقياس - عند من يقول به - وغيرها لما جذور في القرآن، لاحظ البحث المستوفى في «بني راء: القرآن».

المحور السابع: «يُنْيَن»: وقد جاء (٢٦٦) مرّة، في عشر صور: يَنْ (٨٨)، يَنْكَ (٧)، يَنْكُم (٣٩)، يَنْبَا (١٧)، يَنْه (٥)، يَنْهَا (٢)، يَنْهَم (٦٤)، يَنْهَى (٣٢)، يَنْهَن (١١)، يَنْي (١١) مرّة.

يلاحظ أولاً: أن معناه الشائع في القرآن هو المنير وللشركة بين أمور:

١- بين شيئين: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ البقرة: ١٦٤

٢- بين أمتين: ﴿فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾

آل عمران: ١٠٢

وهذا باعتبار آخر مثال للشركة بين أشخاص.

٣- بين أشياء وضيء: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ الشعراء: ٢٤

٤- بين شخصين: ﴿فَيَتَقَلَّبُونَ مِنْهَا مُعْرِضُونَ بِه بَيْنَ الْغُرُوبِ وَرُوحِهِ﴾ البقرة: ١٠٢

٥- بين أشخاص: ﴿لَا تَقْرَأُ بَيْنَ أَخِي مِنْ رَسُولِهِ﴾

البقرة: ٢٨٥

٦- بين جماعة وجماعة: ﴿وَرَبُّنَا أَخْلَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ الأعراف: ٨٩

ومثله: ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ شَدًّا﴾ الكهف: ٩٤

ومثله: ﴿إِنَّمَا أَتَخَذَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ

المنكيات: ٢٥.

﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ النساء: ٧٣.

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ هَادَيْتُمْ

المحتنة: ٧

٥- الفضل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

البقرة: ٢٣٧

٦- الميثاق، وهو متعدد: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَهْتَمُونَ إِلَى

النساء: ٩٠

فوق بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ميثاق﴾

وكذلك: التأليف، والقراخي، والتوفيق، والتساوي،

والتقديم ونحوها، واستلوا آياتها تبعاً.

ثالثاً: جاء «بين» كثيراً بمعنى «قبل» مضافاً إلى

يديه» أو «أيدي» في مواضع:

القرآن، مثل: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يُذِيهِ﴾ آل عمران: ٣

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

المائدة: ٤٨

وجاء في صيانة القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢

ومنه تصديق عيسى التوراة: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم

بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾

المائدة: ٤٦

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنْ

الصف: ٦

٢- تقدم الرسل والتدرج: ﴿وَقَدْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَبْنِ

٧- بين شخص وجماعة: ﴿فَأَفْتَحْ يَتِيمَ وَيَتِيمَ

الشعراء: ١١٨

ومثله: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا﴾

الصافات: ١٥٨

٨- بين شخص وشيء: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ

الأنفال: ٢٤

٩- بين أشخاص وشيء: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

سبا: ٥٤

١٠- بين جماعة وأشياء: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

سبا: ١٨

١١- بين وصفين: ﴿إِنَّمَا بَقَرَةٌ لَّا نُفَارِصُ وَلَا يَكْفُرُ

البقرة: ٦٨

١٢- بين فعلين: ﴿وَلَا تَقْبِضُوا يَدَيْكُمْ وَلَا تَحْكُمُوا

البقرة: ١٥

ومثله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا لَمْ يَقْتُرُوا

الفرقان: ٦٧

وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

ثانياً: جاء «بين» للجمع أو ما ينتهي إليه:

١- الجمع: ﴿وَأَن تَحْمِلُونَهَا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ النساء: ٢٣

ومثله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَنَا الشُّرُوكَ: ١٥﴾ قلنا

بَلْغًا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا نِسْبًا حُوتَهُمَا﴾ الكهف: ٦١

٢- الصلح، وهو كثير: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن

النساء: ١٢٨

٣- الرحمة: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

الفتح: ٢٩

٤- المودة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

الزوم: ٢١

مَاتَيْنِ أَيْدِيَكُمْ وَمَا خَلَقَكُمْ لَقُلُوكُمْ تَزْمُونُ ﴿١٥﴾
 ١٣- النكاح: ﴿... فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾
 فَبَقَلْنَاهَا تَكَالًا يَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً
 لِلنَّاسِ ﴿١٦﴾ البقرة: ٦٥، ٦٦

١٤- اختراء النساء بالولد: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ يَسْهَتَانِ
 يَقْعَرِيَّتَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ﴾ المتحفة: ١٢
 ١٥- عمل الجن بين يدي سليمان: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن
 يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذَنُ لَهُ﴾ سبأ: ١٢

ولمّا: يختلف هذا الشق في القرآن على أنحاء:
 ١- ما أضيف إلى المنة: يدي، مثل: ﴿بَيْنَ يَدَيْ
 وَخَتِيَّةٍ﴾، ﴿تُصَدِّقَانِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وجاء بكثرة على
 صفين

الاول: ما أريد به التيق في الزمان، وهذا عام في
 آيات التصديق لما بين يديه.

الثاني: ما أريد به «الأمم» في المكان، وهذا عام في
 ما أضيف «يدي» إلى شخص، مثل: ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ
 يَدَيْهِ﴾، أي أمام سليمان، و﴿بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾،
 أي أمام الله ورسوله، ونحو ذلك.

٢- ما أضيف إلى الجمع «أيدي»، وهو كثير أيضًا،
 والغالب عليه «الأمم»، وقد يضم فيها إلى «بين
 أيديهم»، «وما خلفهم»، وهو قرينة على ما ذكر مثل:
 ﴿لَهُ مَاتَيْنِ أَيْدِيَنَا وَمَا خَلَقْنَا﴾، وهذا عام في كل ما ضم
 إليه «وما خلفهم»، ومنها في «يديه»: ﴿لَهُ مَقْعَدَاتُ مِنْ
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾.

وقد يضم إلى «خلفهم»: (وعن أيانهم وعن
 مبالغهم)، وهذا يزيل كل ريب في أن المراد به المكان

يَدَيْهِ ﴿١٦﴾ الأحقاف: ٢١
 ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا
 تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ فصلت: ١٤
 ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾

سبأ: ١٦
 ٢- البشري قبل الرحمة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ
 بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الأعراف: ٥٧
 ٣- التقديم بين يدي الله ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الحجرات: ١

٥- تقديم الصدقة قبل التجوى: ﴿وَإِذَا تَاجَعْتُمْ
 الرُّسُلَ فَلْيَكُونُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوِيكُمْ صَدَقَةٌ﴾ المائدة: ١٢
 ٦- العلم: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
 وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ طه: ١١٥

٧- الملك: ﴿وَإِذَا نَزَّلُوا إِلَّا يَمْشُونَ رَبُّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَمَا خَلْفَهُمْ وَمَاتَيْنِ ذَلِكَ وَمَا كَانُوا نَاصِيَةً مَّرِيمَ ٦٤
 ٨- الحفظ: ﴿لَهُ مَقْعَدَاتُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ
 يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الزعد: ١١
 ٩- الإحاطة: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ غَيْبِي حَتَّىٰ
 أَحْكُمَ﴾ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
 يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رُصْدًا ﴿الجن: ٢٥، ٢٦

١٠- الإغواء والتزيين: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ قُرْآنًا
 فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فصلت: ٢٥
 ١١- الإضلال: ﴿وَلَا تَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

لَمْ لَا يَتَّبِعْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ
 شَمَائِلِهِمْ ﴿الأعراف: ١٦، ١٧
 ١٢- الاتقاء قبل العذاب: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا

والأمام.

٣- ومن هذا القيل آية افتراء النساء: ﴿يَقْعَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنَهُ وَأَرْجُلِيْنَهُ﴾ المتحنة: ١٢، أي يفقرين الولد الذي أمامهن، والخارج من بين أرجلهن.

وعلى العموم يميز ما أريد به السبق في الزمان وفي المكان، بالتأمل فيها أدرجناه من العناوين الخمسة عشر، خامساً: إذا أُضيف «بين» إلى مضاف إليه غير مكرر فلا يتكرر، وهذا أكثر ما جاء في القرآن:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالتَّحْلِيلِ﴾ البقرة: ١٨٨

وإذا أُضيف إلى مضاف إليه مكرر فيتكرر، وهذا كثير في القرآن.

﴿وَبَيْنَا بَيْنَتَا وَبَيْنَكُمُ الْقَدَاوَةُ وَالنَّهْضَاءُ أَبَدًا﴾

المتحنة: ٤

﴿يَأْتِيَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾

الزخرف: ٢٨

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمُضْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾

فصلت: ٥

والمراد بالمكرر ما اعتُبر المضاف إليه ذا أمرين متقابلين مثل: «بيننا وبينك»، وهو المكرر ما ليس كذلك، وإن كان جماعاً مثل: «بينكم» وهو كثير، أو متقياً مثل: «بين الأخوين» و«بين المرء وزوجه» و«يوفق الله بينهما».

سادساً: جاء «بين» ظرفاً لـ ٦٦ فعلاً، نكتفي في هذه القائمة بآية واحدة لكل منها:

١- الاستتار: ﴿...وَأَقْرَبُوا بَيْنَكُمْ بِمَغْرُوبٍ...﴾

الطلاق: ٦

٢- الابتغاء: ﴿...وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

الإسراء: ١١٠

٣- الإتيان: ﴿كَمْ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

خَلْفِهِمْ...﴾ الأعراف: ١٧

٤- الإِسْقَاءُ: ﴿...نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ

فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ النحل: ٦٦

٥- الإصلاح: ﴿...وَتَضَلَّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٤

٦- الإغراء: ﴿...فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْقَدَاوَةَ وَالنَّهْضَاءَ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾ المائدة: ١٤

٧- الافتراء: ﴿...يَقْعَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْنَهُ وَأَرْجُلِيْنَهُ...﴾

المتحنة: ١٢

٨- الأكل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالتَّحْلِيلِ...﴾

البقرة: ١٨٨

٩- الإلقاء: ﴿...وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْقَدَاوَةَ وَالنَّهْضَاءَ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾ المائدة: ٦٤

١٠- اليأس: ﴿...بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى...﴾ الحشر: ١٤

١١- البُذُو: ﴿...وَبَيْنَا بَيْنَتَا وَبَيْنَكُمُ الْقَدَاوَةُ

وَالنَّهْضَاءُ أَبَدًا...﴾ المتحنة: ٤

١٢- البشر: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ

يَدَيْهِ وَرَحْمَةٍ...﴾ الأعراف: ٥٧

١٣- البُذُو: ﴿يَأْتِيَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ...﴾

الزخرف: ٢٨

١٤- البلوغ: ﴿وَحَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدْنَيْنِ وَجَدَ مِنْ

دُونِهِمَا قَوْمًا...﴾ الكهف: ٩٣

- ١٥- التَّائِدِينَ: ﴿...فَأَذِّنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ٤٤
- ١٦- التَّالِيفُ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ بِحَبِيبِكَ مَا أَلَّفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال: ٦٣
- ١٧- التَّبْعِيدُ: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا...﴾ سبأ: ١٩
- ١٨- التَّخَالُفُ: ﴿يَتَخَالَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثُوا إِلَّا عَشْرًا﴾ طه: ١٠٣
- ١٩- التَّدَاوُلُ: ﴿...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾ آل عمران: ١٤٠
- ٢٠- التَّذْيِيبُ: ﴿عَذِّبْ بَيْنَ بَيْنِ ذَلِكَ...﴾ النساء: ١٤٣
- ٢١- التَّرَاضِي: ﴿...إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ...﴾ البقرة: ٢٣٢
- ٢٢- التَّرْزِيلُ: ﴿فَرَزْنَا بِبَنِيهِمْ وَقَالَ مُرْكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاكُثُونَ﴾ يونس: ٢٨
- ٢٣- التَّرْيِينَ: ﴿وَقَدْ يُضِلُّهُمْ غُرْنَا، فَرِيقًا هُمْ صَافِينَ أَيْدِيَهُمْ...﴾ فصلت: ٢٥
- ٢٤- التَّصْرِيفُ: ﴿...وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالشَّجَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ البقرة: ١٦٤
- ٢٥- التَّغْيِيبُ: ﴿لَهُ عَقْلَانِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ الزعد: ١١
- ٢٦- التَّفْرِيقُ: ﴿...مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ...﴾ البقرة: ١٠٢
- ٢٧- التَّقْطِيعُ: ﴿...لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَحَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْغَبُونَ﴾ الأنعام: ٩٤
- ٢٨- التَّخْزِيلُ: ﴿...يُنَزِّلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ...﴾ الطلاق: ١٢
- ٢٩- التَّوَلُّيقُ: ﴿...إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا...﴾ الجمع: ٣٠
- ٣٠- التَّوَلُّفُ: ﴿...وَأَنْ تَحْمِلُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ خَلَفَ...﴾ النساء: ٢٣
- ٣١- التَّحْجَابُ: ﴿...وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَلَا تُغْنِي عَنْكَ غُلَّتُكَ غَائِلُونَ﴾ الحجرات: ٥
- ٣٢- التَّحْكُمُ: ﴿...وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ...﴾ البقرة: ٢١٣
- ٣٣- التَّحْوِيلُ: ﴿...وَاغْلُظُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ يَدٌ...﴾ المائدة: ١٠٢
- ٣٤- التَّخْلِيقُ: ﴿...وَقَدْ خَلَقَ التَّنْذِيرَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ...﴾ الأحقاف: ٢١
- ٣٥- التَّخْلُوعُ: ﴿...تَخْلَعُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ...﴾ النحل: ٩٢
- ٣٦- التَّهْمَاءُ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّ غَاوٍ يَنْصَحُكُمْ نَهْضًا...﴾ النور: ٦٣
- ٣٧- الدَّوْلَةُ: ﴿...كُنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ...﴾ الحشر: ٧
- ٣٨- الرُّؤْيَا: ﴿أَلَسْتُمْ بِرُؤَاةِ الْمَلَائِكَةِ الْيُسُوفِ وَمَا خَلَقْتُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ سبأ: ٩
- ٣٩- الرَّبُّ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْقَرِيبُ الْغَفَّارُ﴾ ص: ٦٦
- ٤٠- الرَّحْمَةُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

- أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿ الفتح: ٢٩
 ٤١- السعي: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 يَتَشَفَّي نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ...﴾ الحديد: ١٢
 ٤٢- السواء: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
 سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ آل عمران: ٦٤
 ٤٣- الشجور: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
 فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ النساء: ٦٥
 ٤٤- الشهادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ
 إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...﴾ المائدة: ١٠٦
 ٤٥- الشورى: ﴿...وَأَعْرَضُوا عَنْ شُورَى بَيْنِهِمْ﴾
 الشورى: ٣٨
 ٤٦- الصلة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ مَبَقَاتٌ...﴾ النساء: ٦٠
 ٤٧- الضرب: ﴿...فَضْرِبْ بَيْنَهُمُ الْمَسُورَةَ...﴾
 الحديد: ١٣
 ٤٨- الطواف: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيبٍ أَبِي﴾
 الرحمن: ٤٤
 ٤٩- العدل: ﴿وَلَنْ تُمْسِكُوا بِأَنَّ تَعْدِلُوا بَيْنَ
 النَّسَاءِ...﴾ النساء: ١٢٩
 ٥٠- العلم: ﴿...يَقْدِمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...﴾
 البقرة: ٢٥٥
 ٥١- العمل: ﴿...وَمِنَ الْجِنَّةِ مَنْ يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
 يَأْذَنُ وَيُؤْمَرُ...﴾ صبا: ١٢
 ٥٢- العوان: ﴿وَأَنَّهُ يَفْرُغُ لَأَفَارِضٍ وَلَا يَكْزُرُ عَمَوَانُ
 بَيْنَ ذَلِكَ﴾ البقرة: ٦٨
 ٥٣- الفتح: ﴿وَبَيْنَا انْفِصَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْهَرَقِ
 وَأَنْتَ حَيْرُ الْفَاحِشِينَ﴾ الأعراف: ٨٩
 ٥٤- الفراق: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ...﴾
 الكهف: ٧٨
 ٥٥- الفضل: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٧
 ٥٦- القسم: ﴿...نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الزخرف: ٣٢
 ٥٧- القضاء: ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عَشِدْتُ فَاتُشْفَعُونَ بِي
 لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾ الأنعام: ٥٨
 ٥٨- القول: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ القصص: ٢٨
 ٥٩- الكتابة: ﴿...وَأُتِيكَتْ بِبَيْنِكُمْ كِتَابٌ
 بِالْحَدْلِ...﴾ البقرة: ٢٨٢
 ٦٠- الهيبة: ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 فَخَسَفَتْ...﴾ فصلت: ١٤
 ٦١- الملك: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾ الزخرف: ٨٥
 ٦٢- المودة: ﴿...كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ
 مَوَدَّةٌ...﴾ النساء: ٧٣
 ٦٣- الميناء: ﴿...وَأَن كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
 مَبَقَاتٌ...﴾ النساء: ٩٢
 ٦٤- النزغ: ﴿...وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
 نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَ وَبَيْنَ إِخْوَتِي...﴾ يوسف: ١٠٠
 ٦٥- النسب: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ
 بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ المؤمنون: ١٠١
 ٦٦- النكال: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
 وَمَا خَلَقَهَا...﴾ البقرة: ٦٦

سابقاً: يضاف «بين» عادة إلى شيئين أو أشياء للفصل بينها، وجاء خلال الآيات، مظاهره الإضافة إلى المفرد، فجاءت في التفاسير بحوث حوله توجيهاً له:

١- ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ظَرَأَ وَلَاطِئٌ غَوَّانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ البقرة: ٦٨، أضيف فيها (بين) إلى (ذلك)، وهو إشارة إلى واحد. وقد أسهبوا في تخرجه، وحاصله أن (ذلك) هنا إشارة إلى ماذكر من الوصفين، واستشهدوا له بآيات أخرى وبالشعر، فلاحظ.

٢- ﴿وَلَمْ يَفْقَرُوا بَيْنَ آخِدٍ مِنْهُمْ﴾ النساء: ١٥٢، دخل (بين) على (أحد) وهو مفرد. فقالوا: إن «أحداً» نكرة في سياق التثنية تفيد العموم، أي لم يفقدوا بين رسله، فاعترفوا بهم جميعاً، ولم ينكروا أحداً منهم.

٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا ثُمَّ يَزُولُ بَيْنَهُمُ﴾ التور: ٤٢، الضمير يرجع إلى سحاب وهو واحد، قيل: إن السحاب اسم جنس بمعنى الجمع، فهو بمعنى «سحب»، مثل: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الرعد: ١٢، حيث وُصف به (الثقال) وهو جمع، وواحدته: سحابة، كالنخل والنخلة. أو يقال: إن السحاب وإن كان مفرداً فله أجزاء وفروع، فالمراد: خلال أجزائه وفروجه.

ثامناً: «بين» ظرف لما قبله عادة، وجاء خلال الآيات ما يؤهم خلاف ذلك:

١- ﴿قَدْ غَوَّيْتُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ الكهف: ٥٢، ففريق (بينهم) بالنصب، أي جعلنا بين الداعين والمدعوتين موبقاً: هلاكاً، وهو ظرف، وفريق (بينهم) بالرفع، وهو حينئذٍ مصدر بمعنى الوصف، أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة، قاله

الفراء، وثبته غيره، لاحظ الأصول اللغوية.

٢- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ مريم: ٣٧، أي من بين الأحزاب، أو الأمم، أو الناس. وعليه «الذين» ظرف دخل فيه (من) - وهو زائد - للتعميم، أي اختلف الأحزاب كلهم.

وقيل: إنه بمعنى البعد، أي اختلفوا تبعدهم عن الحق، ف«بين» سببية.

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ...﴾ المائدة: ١٠٦، فأضيف إليه «شهادة» وهي مصدر. والمعنى شهادة ما بينكم، وظهيره ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الكهف: ٧٨، بالإضافة، والمعنى فراق ما بيني وبينك.

٤- ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ٩٤، بناء على قراءة (بينكم) بالنصب، فهو ظرف لـ (تقطع) أو لمقدر، أي قطع وصلكم بينكم، وهو بعيد. وعلى قراءة الرفع فهو بمعنى الوصل، أي قطع تواصلكم في الدنيا، أو قطع ما كان بينكم من الوصل في الدنيا وأنتم الآن في الآخرة، لاحظ الأصول اللغوية. وذكروا نظيره: ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ الجمن: ١١، وفي قراءة (يفصل بينكم) المستعنة: ٣، بضم الياء وفتح الصاد، فإن (دون) و(بين) فيها إسمان وليا بظرفين.

٥- ﴿وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الأنفال: ١، أضيف «ذات» مؤنثة إلى (بين) - وهو بمعنى الوصل - فجعله ذاتاً واختار الظرفي وغيره أن معناه الحال التي للبين، مثل: ذات العشاء، بمعنى الساعة التي فيها العشاء، والأشياء تختلف في التذكير والتأنيث حسب ما جرت به عادة العرب، فالعنى حقيقة وصلكم، أو المعنى - كما قاله

(بينك) نصيباً. وأما على قراءة جرّافه «البيين» اسم بمعنى الوصل، أي هذا فراق اتصالنا. وإنما قال: (بيني وبينك) بدل «بيننا» للتأكيد، كما يقال: أخزى الله الكاذب مني ومنك، ومثله: ﴿كَمِيزًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الإسراء: ٩٦.

الطَّبْرَسِي وغيره - أصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة. فـ «البيين» على هذا ظرف. وعلى الوجود الأخرى إما بمعنى الوصل أو الفراق، فلاحظ النصوص.

٦- ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الكهف: ٧٨، أي فراق ما بيني وبينك، أو فراق حصل بيني وبينك، بناء على قراءة

حرف التاء

وفيه ٢٤ لفظاً

تفت	تابوت
تغن	تعب
تلك	تعب
تل	تبع
تلو	تجر
تمم	تحت
تنور	ترب
توب	ترف
تور	ترق
توراة	ترك
تين	تسع
تبه	تعس



مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

تابوت

لفظ واحد، مَرْتَان: ١ مَكْتَبَة، ١ مَدِينَة

في سورتين: ١ مَكْتَبَة، ١ مَدِينَة

النصوص اللغوية

قاسم بن سقن: لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في (التابوت) غلظة قريش بالناء، ولغة الأنصار بالهاء. (الجوهري ١: ٩٢)
نحوه ابن مجاهد (الزبيدي ١: ١٦١)، والطوسي (٢: ٢٩٣)، والطبرسي (١: ٣٥٢).
الفارسي: التابوت: هو الصندوق «معلوت» من التوب، فإنه لا يزال يُرجع إليه ما يخرج منه.

مثله ابن جني. (الزبيدي ١: ١٦١)
الصاحب: التابوت: ما نطوت عليه الأضلاع كالصدر والقلب، وهو الثبوت أيضًا. (٤١٦: ٩١)
الجوهري: التابوت: أصله «تابوتة» مثل ترقوة، وهو «فعلوتة»، فلما سكنت الواو انقلبت هاء التانيث تاء. (٩٢: ١)

ابن سيده: التابوت: لغة في التابوت، أنصارية. قال ابن جني: وقد قرئ بها، قال: وأراهم ضابطوا بالناء (الأنصارية) فلو جمع بعضهم يقول: فحذنا على الفراء، يهدون على الفراء. (٢٠١: ٤)
التابوت: الأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد وغيرهما، تشبيهاً بالصندوق الذي يُحْرَز فيه المتاع. وقيل: الصدر، هو الثبوت، والتابوت. (الإصاح ١: ٦٥٧)
الزمخشري: ما أودعت تابوتي شيئاً ففقدته، أي ما أودعتُ صدري علماً ففقدته. [ثم استشهد بشعر]

(أساس البلاغة: ٣٦)
النديفي: في حديث دعاء الليل، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي كذا، وفي كذا في التابوت».
أصل التابوت: الأضلاع بما تحويه كالقلب والصدر ونحوهما، ويسمى كل ما يحتوي على شيء تابوتاً، وأراد

به هاهنا شبه الصندوق الذي يُجمل فيه الكتب ونحوها.
أراد أنه مكتوب موضوع في الصندوق. وقيل: ليس
بمعني أصلي. (٢١٤: ١)

نحوه ابن الأثير.
ابن بَرِّي: التصريف الذي ذكره الجوهري في هذه
اللسظة حتى ردها إلى «تابوت» تصريف فاسد،
والصواب أن يذكر في فصل «تبت» لأن تاء أصلية،
ووزنه «فاعول» مثل عاقول وحاطوم، والوقف عليها
بالتاء في أكثر اللغات.

ومن وقف عليها بالهاء فإنه أبدلها من التاء، كما أبدلها
في «الفرات» حين وقف عليها بالهاء. وليست التاء في
«الفرات» بناء تانيث، وإنما هي أصلية من نفس الكلمة.
(الزبيدي ١: ١٦٦)

الصفهاني: والتبوت: ما خطوت عليه الأصابع
كالصدر والقلب. (٧٢: ١)

ابن منظور: «تبت» هذه ترجمة لم يترجم عليها
أحد من مصنفی الأصول، وذكره ابن الأثير لمراعاته
ترتيبه في كتابه، وترجمنا نحن عليها، لأن الشيخ أبا محمد
ابن بَرِّي، رحمه الله... قال في ترجمة «توب»... [ثم ذكر
كلام ابن بَرِّي السابق إلى أن قال:]

وذكره ابن سيدة أيضًا في ترجمة «تبه» وقال: التابوت
لغة في التابوت أنصارية، وقد ذكرناه نحن أيضًا في ترجمة
«تبه» ولم أر في ترجمة «تبت» شيئًا في الأصول. وذكرتها
أنا هنا مراعاة لقول الشيخ أبي محمد ابن بَرِّي: كان
الصواب أن يذكر في ترجمة «تبت»، ولما ذكره ابن
الأثير... [ثم ذكر قوله وقد سبق «نحوه» عند المذبي]

(١٧: ٢)

أبو حيان: التابوت: معروف وهو الصندوق. وفي
التابوت قولان:

أحدهما: أن وزنه «فاعول» ولا يعرف له اشتقاق،
ولغة فيه «التابوت» بالهاء آخرًا.

ويجوز أن تكون الهاء بدلًا من التاء، كما أبدلوها منها
في الوقف في مثل طلحة، فقالوا: «طلحه». ولا يجوز أن
يكون «فعلوتًا» كملكوت من تاب يتوب، لفقدان معنى
الاشتقاق فيه.

والقول الآخر: [وهو قول الزمخشري، وسيأتي في
النصوص التفسيرية] (٢٦٠: ٢)

الفيروز آبادي: التابوت، أصله: تَابُوتٌ كَثْرَةُ قُوَّةٍ،
سُكِّنَتِ الْوَاوُ فَانْقَلَبَتْ هَاءُ التَّانِيثِ تَاءً، وَلِغَةِ الْأَنْصَارِ

التَابُوتُ بِالْهَاءِ.
(٤١: ١)

التابوت، وهو شبه صندوق يُنَحَت من خشب،
وأصله: تَابُوتٌ كَثْرَةُ قُوَّةٍ، سُكِّنَتِ الْوَاوُ، فَانْقَلَبَتْ هَاءُ
التَّانِيثِ تَاءً.

والتبوت كزبور: لغة في التابوت.
(بصائر ذوي التمييز ٢: ٢٩٠)

الطبري: [نحو الجوهري وأضاف:]
وفي حديث أهل البيت عليه السلام: «جَعَلَكُمْ اللَّهُ تَابُوتَ

علمه وعصيّ حزم» أي جمع علمه وقوة لزمه.
(١٦: ٢)

التابوت: «فعلوت» من التوبة، فإنه لا يزال يُرجع
إليه ما يخرج منه. (غريب القرآن: ٨٨)

الزبيدي: قال شيخنا: والذي ذكره الزمخشري «أن

أصله: تَوَبُّوت «فعلوت» تحركت الواو وانفتح ما قبلها
فقلبت ألفًا، أقرب للتواحد وأجرى على الأصول.
وترجعت لغة قريش لأنَّ إبدال التاء هاء إذا لم تكن
للتأنيث - كما هو رأي الزمخشري - شاذ في المربية،
بخلاف رأي المصنف والموهري وأكثر الصنفين.

(١٦١: ١)

فريد وجدي: [نحو الفارسي وأضاف:]

وتأوه مزيدة لمير التانيث كجبروت. (٨١: ١)

محمد إسماعيل إبراهيم: التأبوت: الصندوق
يُحفظ فيه المتاع، ومنه صندوق الميت.

وتأبوت العهد: هو الصندوق الذي كانت به بقايا
الروح الثمرة، وكان قد رُفع إلى السماء، ثم أنزله الله على
اليهود. (٨٧: ١)

معصود شييت: ١- والتأبوت من الناعورة، علكة
من خشب أو حديد تفرق الماء من البحر.

٢- التأبوت: الصندوق الذي يحمل فيه الشهيد أو
الميت إلى المقبرة لدفنه فيها. (١١٠: ١)

الطَّبَّابَتَانِي: التأبوت هو الصندوق، وهو على
ما قبل: «فعلوت» من «التوب» بمعنى الرجوع، لأنَّ
الإنسان يرجع إلى الصندوق رجوعًا بعد رجوع.

(٢٨٩: ٢)

المُصَلِّقَوِي: [ذكر بعض الأقوال وأضاف:]

قح: [قاموس موسى عبري - عربي] [الطَّبَّابَتَانِي]
«تباء» صندوق، فلك نوح، تأبوت العهد.

فظهر أنَّ هذه الكلمة مأخوذة من كلمة «تباء»
العبرية، ومعناه قريب من الصندوق، وهي اسم

لاشتقاق لها.

والهاء في آخر «تباء» إذا أُضيفت إلى كلمة أخرى
قلبت تاء، فيقال: يَتَّ يَكْتايت = صندوق الرسائل.
(٣٥٣: ١)

النصوص التفسيرية والتاريخية

١- أَنْ أَفْذِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَفْذِيهِ فِي الْيَمِّ...

طه: ٣٩

ابن عباس: أن طرحي الصبي في التأبوت البردي.
(٢٦١)

ابن جرير: «أَنْ أَفْذِيهِ» في تأبوت الهدن، أو
الطَّيِّبَةِ الْمَسْنُونَةِ. (٤١: ٢)

البيروني: قال بعض أرباب المعارف: (التأبوت)
إشارة إلى ناسوت موسى عليه السلام، أي صورته الإنسية.

(٣٨٢: ٥)

عروة دَرَوَزة: (التأبوت) كناية عن القفص أو
الصندوق الذي وُضع فيه موسى حينما ألقته أمه في البحر.

(٧٥: ٣)

الطَّبَّابَتَانِي: الصندوق وما يشبهه. (١٥٠: ١٤)

مكارم الشيرازي: إنَّ كلمة (التأبوت) تعني

الصندوق المنسي، وعلى عكس ما يظنه البعض من أنَّه
يعني دائمًا الصندوق الذي فيه الأموات، بل إنَّه له معنى

واسمًا؛ حيث تُطلق أحيانًا على الصناديق الأخرى أيضًا،
كما قرأنا ذلك في قصة طالوت وجالوت، في ذيل الآية

(٤٩١: ٩)

(٢٤٨) البقرة.

٢- وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ .

البقرة: ٢٤٨

ابن عباس: هو أن يُرَدَّ إليكم التابوت الذي أخذ

منكم.

لَمَّا قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَلَىٰ طَالُوتَ عَلَيْكُمْ

وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ» أَبَوْا أَنْ يَسْلَمُوا لَهُ

الرِّئَاسَةَ، حَتَّىٰ قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ».

فقال لهم: رأيتم إن جاءكم التابوت فيه سَكِينَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ، وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ، تَحْمِلُهُ

المَلَائِكَةُ؟ وَكَانَ مُوسَىٰ حِينَ أَلْقَى الْأَوَاحَ تَكْشُرُ، وَرَضِعَ

مِنْهَا، فَتَزَلُّ، فَجَمَعَ مَا بَقِيَ، فَجَعَلَهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوتِ، وَرَضِعَ

إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْأَوَاحِ إِلَّا سُدُسُهَا، وَكَانَتِ الْعَالِقَةُ

قَدْ سَبَتْ ذَلِكَ التَّابُوتَ، وَالْعَالِقَةُ: فَرْقَةٌ مِنْ عَادَ كَانُوا

بَارِيحَاءَ، فَجَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّابُوتِ تَحْمِلُهُ بَيْنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى التَّابُوتِ، حَتَّىٰ وَضَعَتْهُ عِنْدَ

طَالُوتَ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَالُوا: نَعَمْ، فَسَلَّمُوا لَهُ وَمَلَّكُوهُ.

وَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ إِذَا حَضَرُوا قِتَالًا قَدَّمُوا التَّابُوتَ بَيْنَ

يَدَيْهِمْ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ آدَمَ نَزَلَ بِذَلِكَ التَّابُوتِ وَبِالزَّكَنِ،

وَبَلَّغَنِي أَنَّ التَّابُوتَ وَعَصَا مُوسَىٰ فِي بُحَيْرَةِ طَبْرِيقَةِ،

وَأَنَّهَا يَخْرُجَانِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (الطَّبْرِيُّ ٢: ٦٠٩)

كان التابوت من عود القُشَّارِ، عَلَيْهِ صَفَانِحُ

الذَّهَبِ، وَكَانَ يَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا حَضَرُوا قِتَالًا،

قَدَّمُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ، وَفِيهِ السَّكِينَةُ.

(ابن الجوزي ١: ٢٩٤)

الإمام الباقر عليه السلام: [في حديث]... وَكَانَ التَّابُوتُ،

الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ فَوَضَعَتْهُ فِيهِ أُمُّهُ وَأَلْقَتْهُ فِي

النَّيْلِ، فَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعْظَمًا يَتَّبِعُونَ بِهِ، فَلَمَّا

حَضَرَ مُوسَىٰ الْوَفَاةَ وَضَعَ فِيهِ الْأَوَاحَ وَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ

آيَاتِ النَّبُوَّةِ وَأَوْدَعَهُ يَوْشَعَ وَصِيَّهُ، فَلَمْ يَزَلِ التَّابُوتُ

بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ اسْتَخَفُّوا بِهِ، وَكَانَ الصَّبِيَّانِ يَلْعَبُونَ بِهِ فِي

الطَّرَفَاتِ. فَلَمْ يَزَلِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي عَزٍّ وَشَرَفٍ مَا دَامَ

التَّابُوتُ عِنْدَهُمْ. فَلَمَّا عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَاسْتَخَفُّوا

بِالتَّابُوتِ رَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ بِمَتَىٰ يَبْعَثُ اللَّهُ

طَالُوتَ عَلَيْهِمْ يَقَاتِلُ مَعَهُمْ، رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّابُوتَ ...

(الْقُشَيْرِيُّ ١: ٨١)

قَتَادَةَ: كَانَ مُوسَىٰ تَرَكَهُ عِنْدَ فَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ،

وَعَصَىٰ مُوسَىٰ فِيهِ، وَأَقْبَلَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُهُ، حَتَّىٰ وَضَعَتْهُ فِي

دَارِ طَالُوتَ. فَاصْبَحَ فِي دَارِهِ.

نَحْوَهُ الزَّبِيحُ. (الطَّبْرِيُّ ٢: ٦١٠)

وَكَانَ فِي بَرِيَّةٍ النَّبِيَّ خَلَفَهُ هُنَاكَ يَوْشَعَ بْنُ نُونٍ،

فَعَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ. (الطَّبْرِيُّ ١: ٣٥٢)

الإمام الصادق عليه السلام: إِنَّمَا مِثْلُ السَّلَاحِ فِينَا مِثْلُ

التَّابُوتِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْ أَهْلُ

بَيْتِ وَجَدِ التَّابُوتِ عَلَىٰ بَابِهِمْ أَوْتُوا النَّبُوَّةَ، فَمِنْ صَارَ إِلَيْهِ

السَّلَاحُ مَتَىٰ أُوتِيَ الْإِمَامَةُ.

[وفي رواية] حيث مدار التابوت في بني إسرائيل

دار الملك، وأينما دار السَّلاح فِينَا دار الملك والعلم.

(الكاشاني ١: ٢٥٤)

الإمام الكاظم عليه السلام: [في حديث] لِمُسْتَلِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كَانَ

تابوت موسى وكم كان سعة؟ قال: ثلاثة أذرع في ذراعين. قيل: وما كان فيه؟ قال: عصا موسى والسكينة. قيل: وما السكينة؟ قال: روح الله يتكلم. كانوا إذا اختلفوا في شيء كلهم وأخبرهم ببيان ما يريدون. (الكشاف ١: ٢٥٤)

الطبري: وهو التابوت الذي كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدوًا لهم قدموه أمامهم، وزحفوا معه، فلا يقوم لهم معه عدو. ولا يظهر عليهم أحدًا نأوهم. حتى منعوا أمر الله. وكثر اختلافهم على أنبيائهم، فسلطهم الله إتياء مرة بعد مرة. يرده إليهم في كل ذلك، حتى سلطهم آخر مرة. فلم يرده عليهم، ولن يرده إليهم آخر الأبد. [ونقل قول ابن عباس وقتادة ثم قال:]

وأول القولين في ذلك بالصواب: ما قاله ابن عباس وزهب بن منبه، من أن التابوت كان عند عدو بني إسرائيل كان سلطهموه، وذلك أن الله تعالى ذكره قال مخبرًا عن نبيه في ذلك الزمان قوله لقومه من بني إسرائيل: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ والآل لا تدخلان في مثل هذا من الأسماء إلا في معروف عند المتخاطبين به، وقد عرفه المخبر والمخبر، فقد علم بذلك أن معنى الكلام: أن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه، الذي كنتم تستنصرون به، فيه سكينة من ربكم، ولو كان ذلك تابوتًا من الثوابت غير معلوم عندهم قدره، ومبلغ نفعه قبل ذلك لقليل: إن آية ملكه أن يأتيكم تابوت فيه سكينة من ربكم.

فإن ظن ذو غفلة أنهم كانوا قد عرفوا ذلك التابوت وقدر نفعه وما فيه، وهو عند موسى، ويوشع، فإن ذلك

ملا يحن خطوه، وذلك أنه لم يبلغنا أن موسى لاقى عدوًا قط بالتابوت، ولا فتاه يوشع، بل الذي يعرف من أمر موسى، وأمر فرعون، ما قص الله من شأنها، وكذلك أمره وأمر الجبارين.

وأما فتاه يوشع، فإن الذين قالوا هذه المقالة، زعموا أن يوشع خلفه في التيه، حتى رده عليهم حين ملك طالوت، فإن كان الأمر على ما وصفوه، فأني الأحوال للتابوت الحال التي عرفوه فيها، فجاز أن يقال: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذي قد عرفتموه، وعرفتم أمره، فساد هذا القول بالذي ذكرنا أبين الدلالة على صحة القول الآخر، إذ لا قول في ذلك لأهل التأويل غيرهما.

الزجاج: والفائدة في هذا التابوت أن الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تستفتح به في الحروب، فكان التابوت يكون بين أيديهم، فإذا سمع من جوفه أنين دف التابوت، أي سار والجسم خلفه، والله أعلم بحقيقة ذلك. وروي في التفسير أنه كان من خشب الشَّمَار، وكان قد جلب جالوت وأصحابه عليه فزلهم بسببه داء، قيل: هو التاسور الذي يكون في العنب، فعلموا أن الآفة بسببه نزلت، فوضعوه على ثورين فيما يقال.

(١: ٣٢٩)

الزاغبي: قيل: كان شيئًا منحويًا من الخشب فيه حكمة، وقيل: عبارة عن القلب والسكينة وعما فيه من العلم، وسمي القلب سَفَطَ العلم وبيت الحكمة وتابوته ووعاءه ومُندوقه.

وعلى هذا قيل: اجعل سرك في وعاء غير سرب،

وعلى تسميته بالتايوت قال عمر لابن مسعود رضي الله عنها: كَتَيْفٌ مِّلِيَّ عِلْمًا. (٧٢)

البَغَوِيُّ: وكانت قصة التايوت أن الله تعالى أنزل تابوتًا على آدم، فيه صور الأنبياء عليهم السلام، وكان من عود الشمس إذا نحا من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم إلى أن مات، ثم بعد ذلك عند شيث، ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده، ثم عند يعقوب، ثم كان لي بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى.

فكان موسى يضع فيه التوراة ومناجاة من مناعه، فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت إسموئيل، وكان فيه ما كثير من نبي الله تعالى... [إلى أن قال:]

فكان التايوت عند بني إسرائيل، وكانوا إذا احتلوا في شيء تكلم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم، فلما حصوا وأفسدوا سخط الله عليهم المبالغة فغلبهم على التايوت. وكان السبب في ذلك أنه كان لعنلى العالم الذي ربي إسموئيل عليه السلام ابنان شاكبان وكان على جبرهم وصاحب قربانهم، فأحدث ابناء في القربان شيئاً لم يكن فيه؛ وذلك أنه كان لعنلى منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلاً بين فإخرجوا كان للكاهن الذي ينوطه، فجعل ابناء كلاليب، وكان النساء يصلين في بيت المقدس فينشكبان يهنّ، فأوحى الله تعالى إلى إسموئيل عليه السلام اطلق إلى عنلى فقل له: متحك حسب الولد من أن تزجر ابنك عن أن يحدنا في قرباني وقدي شيئاً وأن يحصاني،

فلأنزح من الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكك وإناها. فأخبر إسموئيل عنلى بذلك ففرع فرعاً شديداً، فصار إليهم عدو ممن حولهم، فأمر ابنه أن يخرجوا بالناس فيقاتلوا ذلك العدو، فخرجوا وأخرجوا معها التايوت. فلما تمسوا للقتال جعل عنلى يتوقع الخبر ماذا صنعوا، فجاءه رجل وهو جالس على كرسيه، فقال: إن الناس قد انهزموا وإن ابنك قد قُتِل، قال التايوت: قال ذهب به العدو، فشقي ووقع على قفاه من كرسيه ومات. فخرج أمر بني إسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً، فسأله اليئة، فقال لهم نبيهم: «إِنَّ آيَةَ

مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّايُوتُ». وكانت قصة التايوت أن الذين سبوا التايوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها: أزدود، وجعلوه في بيت عثم لهم، ووضعوه تحت الصنم الأعظم، فأصبحوا من اللد والصنم تحته، فأخذوه ووضعوه فوقه، وسبوا قدمي الصنم على التايوت، فأصبحوا وقد قُطعت يد الصنم ورجلاه، وأصبح ملقى تحت التايوت، وأصبحت أصنامهم منكسة، فأخرجوه من بيت الصنم، ووضعوه في ناحية من مدينتهم، فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أصنافهم حتى هلك أكثرهم، فقال بعضهم لبعض: اليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء، فأخرجوه إلى قرية كذا.

فبعث الله على أهل تلك القرية فأراً، فكانت الفأرة تبيت مع الرجل منهم فيصبح ميتاً وقد أكلت ما في جوفه، فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه في حفرة لهم، فكان كل من تبرز بها أخذه الباسور والقولنج فحيروا.

جعل هاء بدلاً من التاء لاجتماعها في الهمس. وأنها من حروف الزيادة، ولذلك أبدلت من تاء التانيث.

(٣٧٩: ١)

نحوه البَيضَاوِي (١: ١٣٠)، وأبو السُّمُود (١: ١٨١).
الفَخْر الزَّازِي: إنَّ مجيء ذلك التَّابوت، لابد وأن يقع على وجه يكون خارقاً للمادة حتَّى يصحَّ أن يكون آية من عند الله، دالة على صدق تلك الدَّعوى، ثمَّ قال أصحاب الأخبار: [فذكر نحوه البَيضَاوِي ملخصاً ثمَّ قال:]

والزَّوَاية الثانية: أنَّ التَّابوت صندوق كان موسى عليه السلام يضع التَّوراة فيه، وكان من خشب، وكانوا يحفظونه، ثمَّ إنَّ الله تعالى رفعه بعد ما قبض موسى عليه السلام لسخطه على بني إسرائيل. ثمَّ قال نبي ذلك القوم: إنَّ آية ملك طالوت أن يأتيكم التَّابوت من السماء، ثمَّ إنَّ الملائكة لم تحمله الملائكة ولا التَّوران، بل نزل من السماء إلى الأرض، والملائكة كانوا يحفظونه، والقوم كانوا ينظرون إليه حتَّى نزل عند طالوت، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وعلى هذا الإتيان، حقيقة في التَّابوت، وأضيف الحمل إلى الملائكة في القولين جميعاً، لأنَّ من حفظ شيئاً في الطَّرِيق جاز أن يوصف بأنَّه حمل ذلك الشيء، وإن لم يعمل، كما يقول القائل: حملت الأمتعة إلى زيد، إذا حفظها في الطَّرِيق، وإن كان الحامل غيره.

واعلم أنَّه تعالى جعل إتيان التَّابوت معجزة، ثمَّ فيه احتمالان:

أحدهما: أن يكون مجيء التَّابوت معجزاً، وذلك هو الذي قرَّنا.

فقال لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني إسرائيل من أولاد الأنبياء: لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التَّابوت فيكم، فأخرجوه عنكم.

فأتوا بعَجَلَة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التَّابوت، ثمَّ علَّقوها على توزين وضربوا جنوبها، فاقبل التَّوران يسيران ووَكَّلَ الله تعالى بها أربعة من الملائكة يسوقونها، فأقبلوا حتَّى وقفا على أرض بني إسرائيل، فكسرا نِيْرَتيها وقطعا حبالها، ووضعوا التَّابوت في أرض فيها حصاد بني إسرائيل، ورجعوا إلى أرضها، فلم يرعَ بني إسرائيل إلاَّ بالتَّابوت، فكسروا وحملوا الله.

نحوه المَيْسَدِي (١: ٦٦٦)، وأبو الفتح (٣: ٣٦١)، والحازن (١: ٢٦٥)، والشَّريبي (١: ١٦٦).

الرَّمْغَشَرِي: التَّابوت: صندوق التَّوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قَدَمه، فكانت تسكُن نفوس بني إسرائيل ولا يفترون. [إلى أن قال:]
وقرأ أبي زيد بن ثابت (التَّابوت) بالهاء وهي لغة الأنصار.

فإن قلت: ما وزن التَّابوت؟ قلت: لا يخلو من أن يكون «فعلوتاً» أو «فاعولاً». فلا يكون «فاعولاً» لقلة نحو سلس وقلق، ولأنَّه تركيب غير معروف، فلا يجوز تركه المعروف إليه، فهو إذا «فعلوت» من «الثوب» وهو الرجوع، لأنَّه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه، فلا يزال يُرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعته. وأما من قرأ بالهاء فهو «فاعل» عنده، إلاَّ فيمن

والثاني: أن لا يكون التابوت معجزاً، بل يكون ما فيه هو المعجز، وذلك بأن يشاهدوا التابوت خالياً، ثم إن ذلك النبي يضعه بحضور من القوم في بيت ويسلقوا البيت، ثم إن النبي يدعي أن الله تعالى خلق فيه ما يدل على واقعتنا، فإذا فتحو باب البيت ونظروا في التابوت رأوا فيه كتاباً يدل على أن ملكهم هو طالوت، وعلى أن الله سينصرهم على أعدائهم، فهذا يكون معجزاً فاعلمنا دالاً على أنه من عند الله تعالى، ونلفظ القرآن بحتمل هذا، لأن قوله: ﴿يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه أنهم يجدون في التابوت هذا المعجز الذي هو سبب لاستقرار قلوبهم واطمئنان أنفسهم، فهذا محتمل. (١٩٨: ١) نحوه البروسوي. (٣٨٥: ١)

العكبري: والتقاء في (التابوت) أصل وزرعه «طاهول» ولا يعرف له اشتقاق، وفيه لغة أخرى: «التابوت» بالهاء، وقرئ به شاذاً، فيجوز أن يكونا لغتين، وأن تكون الهاء بدلاً من التاء.

فإن قيل: لم لا يكون «فعلوثاً» من تاب يتوب؟ قيل: المعنى لا يساعده، وإنما يُستق إذا صبح المني. (١٩٨: ١)

النسفي: أي صندوق التوراة، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قومه، فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون. نحوه الططاوي. (٢٣٦: ١)

ابن جزي الكلمي: [نحو فتادة ثم أضاف:]

وفيه قصص كثيرة غير ثابتة. (٨٨: ١)

أبو حيان: ونسبة الإتيان إلى التابوت مجاز، لأن التابوت لا يأتي، إنما يؤتى به، كقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ محمد: ٢١، ﴿فَنَّا رَحِمَتْ حِجَارَتُهُمْ﴾ البقرة: ١٦... [إلى أن قال:]

وقد كثر القصص في هذا «التابوت» والاختلاف في أمره، والذي يظهر أنه تابوت معروف حاله عند بني إسرائيل، كانوا قد فقدوه، وهو مشتمل على ما ذكره الله تعالى مما أبهم حاله ولم ينص على تعيين ما فيه، وإن الملائكة تحمله. [ثم ذكر موجزاً مما قاله المفسرون وأضاف:]

والتكينة هي الطمأنينة، ولما كانت حاصلة بإتيان التابوت جعل التابوت ظرفاً لها، وهذا من المجاز الحسن، وهو نسيب المعاني بالأجرام. (٢٦١: ٢)

الطبري: قيل: (التابوت) هو صندوق التوراة ومن خضب الشهاد بموه من الذهب نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين.

وقيل: هو صندوق كان فيه ألواح الجواهر التي كانت فيه العشر كلمات التوحيد: النبي من عبادة الأوثان، السبت، إكرام الوالدين، النبي عن يمين^(١) الكاذبة، السرقة، قتل النفس، شهادة الزور، الزنى، لا يمتنى أحد مال غيره، ولا زوجته. وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قوماً قدامه، فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يظرون^(٢). (١٦: ٢)

العاصمي: (التابوت) هو الصندوق الذي يُعزّن فيه

(١) كذا، والظاهر اليمين.

(٢) كذا، وفي كلام الرّمحسوي والنسفي. ولا يفرون.

المناج.

ووزنه حيث - على ما اختاره الزخرفي - «فاعول»

لأن شبة الاشتقاق لا تعارض زيادة الهاء وعدم التظير،
وأما جعل الهاء بدلاً من التاء لاجتماعها في الخمس
- وأنها من حروف الزيادة - فضعيف لأن الإبدال في
غير تاء التانيث ليس بثبت.

وذهب الجوهري إلى أن التاء فيه للتانيث، وأصله
عنده «تأبوة» مثل تَرْقُوة، فلما شُكِّت الواو انقلبت هاء
التانيث تاء. [تم ذكر بعض الأقوال في قصته إلى أن قال:]
وأقرب الأقوال التي رأيتها أنه صندوق الثوراة،
نُفِثَ عليه الصالحة حتى رده الله تعالى، وأبعدها أنه
صندوق نزل من السماء على آدم عليه السلام، وكان يتحاكم
الناس إليه بعد موسى عليه السلام إذا اختلفوا، فيحكم بينهم
وتكلمهم بهم إلى أن فسدوا فأخذ الصالحة، ولم أر حديثاً
صحيحاً من قولها يقول عليه، يفتح قفل هذا الصندوق،
ولا فكر كذلك. (١٦٨: ٢)

ورشيد رضا: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ» يدل على أن بني إسرائيل لم يقتنوا بما
احتج به عليهم نبيهم من استحقاق طالوت الملك بما
اختاره الله وأعدّه له باصطفائه، وإيتائه من سعة العلم
وبسطة الجسم، مما يمكنه من القيام بأعبائه، حتى جعل
لذلك آية تدلهم على العناية به، وهي عود التابوت
إليهم. وهذا التابوت المعروف: صندوق له قفصه معروفه
في كتب اليهود، ففي أول الفصل الخامس والعشرين من
سفر الخروج ما نصه:

«وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كُلُّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ

قد وردت هذه اللفظة في موضعين: أحدهما في سورة
طه، حيث إنّه سبحانه أمر أم موسى أن تضعه في التابوت
وتلقيه في اليم، وثانيها في سورة البقرة حيث حكى
التابوت الذي كان في بني إسرائيل.

وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أن الثاني هو التابوت
الأول، فإنه قد كان موسى عليه السلام وضع فيه عند وفاته
درعه ومعه والألواح وما كان عنده من آيات النبوة،
وأودعه يوشع وصيه، وكان في بني إسرائيل يشركون
به، ويضعونه في الحرب بين العدو والمسلمين، وكان فيه
السكينة «وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ...» البقرة: ٢٤٨. (٧- ١)

شُبِّر: هو الذي أنزله الله على موسى فوضّحه أمّه
فيه، فألقته في اليم، وهو «فعلوت» من «التوب» كرجوع
ما يخرج منه إليه غالباً. (٢٥١: ١)

الآلوسي: والتابوت: الصندوق، وهو «فعلوت»
من «التوب» وهو الرجوع، لما أنه لا يزال يرجع إليه
ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاجه من
مورداته.

فتأوه مزيدة كناه «ملكوت»، وأصله «توبوت»
فقلبت الواو ألفاً، وليس بـ«فاعول» من «التبت» لقلة
ما كان فاؤه ولا مه من جنس واحد كسلس وقلق.

وقرئ (تابوت) بالهاء، وهي لغة الأنصار والأولى لغة
قريش، وهي التي أمر عثمان رضي الله تعالى عنه بكتابتها
في الإمام، حين ترفع لديه في ذلك زيد وأبان^(١) رضي
الله تعالى عنهما.

يأخذوا لي مقدمة. من كل من يحته قلبه يأخذون تقدمتي. وهذه هي المقدمة التي يأخذونها منهم: ذهب فضة ونحاس وأسبانجوني وأرجوان وقرمز ويوس وشعر ممزى وجلود كباش مسمرة وجلود تمس وخشب سبط وزيت للشمارة وأطياب لدهن المسحة واللبخور الطمر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدر، فيصنعون لي مقدماً لأسكن في وسطهم بحسب جميع ماأنا أريكم من مثال المسكن ومثال جميع آيته، هكذا تصنعون: فيصنعون تابوتاً من خشب السط طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف. وتغشيه بذهب نقي، من داخل وخارج تنسبه وتصنع عليه إكليلاً من ذهب حوالبه. وتنسبه له أربع حلقات من ذهب وتعملها على قوائمه الأربع، على جانبيه الواحد حلقتان، وعلى جانبه الثاني حلقتان وتطير العصوين من خشب السط وتغشيهما بذهب، وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما. تبقی العصوان في حلقة التابوت لاتزحان منها. وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك. وتصنع خطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف. وتصنع كرويين^(١) من ذهب صنعة غراطة تضعها على طرفي النطاء. فاصنع كروياً واحداً على الطرف من هنا، وكروياً آخر على الطرف من هناك، من النطاء تصنعون الكرويين على طرفيه. ويكون الكرويان باسطين أبجنتهما إلى فوق مظللين بأجنتهما على النطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر. نحو النطاء يكون وجها الكرويين. وتعمل النطاء على التابوت من فوق،

وفي التابوت تضع الشهادة التي أنا أعطيك. هذا ماورد في صفة الأمر بصنع ذلك التابوت الذيني، وذكر بعده كيفية صنع المائدة الذينة وأنيتها والمسكن والمذبح وخيمة العهد ومثارة السراج والقياب المقدسة. ثم فصل في الفصل (٢٧) منه كيف كان صنع هذا التابوت والمائدة والمثار ومذبح البخور، وهي غرائب يمدّها عقلاء هذه العصور لأصيب، والحكمة فيها - والله أعلم - أن بني إسرائيل كانوا - وقد استعبدهم وثيو المصريين أحقاباً - قد ملكت قلوبهم مظنة تلك الهياكل الوثنية، وما فيها من الزينة والصنعة التي تدهش الناظر، وتشغل المخاطر، فأراد الله تعالى أن يحل قلوبهم عنها بمحوسات من جنبها تُنسب إليه سبحانه وتعالى وتُذكر به: (فالتابوت) سمي أولاً تابوت الشهادة، أي شهادة الله سبحانه، ثم تابوت الرب وتابوت الله، كذلك أضيف إلى الله تعالى كل شيء صنع للعبادة.

وهذا مما يدل على أن تلك الديانة ليست دائمة، فلاخرو إذا نسخ الإسلام كل هذا الزخرف والصنعة من المساجد التي يُعبد فيها الله تعالى، حتى لا يشتغل المصلي من مناجاة الله بشيء منها، وما كلفه ذلك الشعب الذي وصفته كتبه المقدسة بأنه صلب الرقبة، أو كما تقول العرب «عريض القفا» على قرب عهده بالوثنية وإحاطة الشعوب الوثنية به من كل جانب، لا يليق بحال البشر في طور ارتقايتهم؛ إذ لا يرقى الرجل العاقل، بمثل ما يرقى به

(١) السراة بالكروب الملك أي صورته أو تشبهه، والكرويون عندنا صنف من الملائكة.

الطفل أو اليافع.

وفي سائر فصول سفر الخروج الثلاثة تفصيل لما قدّمه بنو إسرائيل لصنع تلك الذّار التي يقدّس فيها الله، ولصنع الخيمة والتّابوت وغير ذلك، وعرّضنا منها معرفة حقيقة (التّابوت) عندهم، فإنّك لتجد في بعض كتب التفسير وكتب القصص عندنا أقوالاً غريبة عنه، منها أنّه نزل مع آدم من الجنّة، ومنشأ تلك الأقوال ما كان ينهّد به الإسرائيليّون من القصص بين المسلمين مخادعة لهم، ليكثر الكذب في تفسيرهم للقرآن فيضلّوا به، ويحمد رؤساء اليهود مجالاً واسعاً للظن في القرآن يصدّون به قلوبهم عنه.

وفي آخر فصول سفر الخروج أنّ موسى عليه الصّلاة والسّلام وضع اللّوحين اللّذين فيها شهادة الله، أي وصايا بني إسرائيل في التّابوت، وفي مكّيهم الأخرى أنّه كان بعده عند فتاه يشوع - أي (يوشع) - وأنّهم كانوا يستنصرون بهذا التّابوت، فإذا ضلّوا في القتال وجيء به وقدّموه تنوب إليهم شجاعتهم، وينصرهم الله تعالى، أي ينصرهم بتلك الشّجاعة التي تتجدّد لهم بإحضار التّابوت لا بالتّابوت نفسه، ولذلك غلبوا على التّابوت فأخذ منهم عندما ضعف يقيّتهم وفسدت أخلاقهم، فلم يبق عنهم التّابوت شيئاً، كما قال الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى.

أقول: وفي سفر تثنية الاشتراع، أنّ موسى لما أكمل كتابة هذه التّوراة أمر اللاويّين حاملي تابوت عهد الرّب قائلاً: خذوا كتاب التّوراة هذا، وضوّه بجانب تابوت عهد الرّب إليكم، ليكون شاهداً عليكم (٣١: ٢٤ - ٣٠)

ثمّ كانت حرب بين الفلّسطينيّين وبني إسرائيل على عهد عاليّ أو عالي الكاهن، فانتصر الفلّسطينيّون وأخذوا التّابوت من بني إسرائيل بعد أن نكّلوا بهم نكلاً، فأتى عاليّ قهراً، وكان صموئيل - الذي يمدّى في الكتب العربيّة صموئيل - قاضياً لبني إسرائيل من بعده، وهو نبيّهم الذي طلبوا منه أن يبحث لهم ملكاً، ففعل كما تقدّم، وجعل رجوع التّابوت إليهم آية لملك طالوت الذي أقامه لهم، وقالوا في سبب إتيان التّابوت: إنّ أهل فلسطين ابتلوا بعد أخذ التّابوت بالفيران في ذرعهم والبواسير في أنفهم، فشتاء مواسم، وظنّوا أنّ إله إسرائيل انتقم منهم، فأعادوه على حجلة تجرّها بقرتان، ووضعوا فيه صور هيران وصور بواسير من الذهب، جعلوا ذلك كفارة لذنبهم.

ومن المعلوم في التاريخ المقدّس عندهم، أنّه لما أحرق البابليّون هيكل سليمان فقدت التّوراة وتابوت العهد معاً، لأنّها قد أحرقا فيه. (٢: ٤٨٢) القراعسيّ: (والتّابوت): صندوق وضع فيه التّوراة، أخذته العالقة، ثمّ ردّها إلى بني إسرائيل - إلى أن قال: [وقد وُصف (التّابوت) في كتب بني إسرائيل بأوصاف هي غاية في الغرابة، في كيفيّة صنعه وجمال مظهره، وما تحلّى به من الذهب، ودخل في تركيبه من الخشب النّخيلة. [ثمّ ذكر السّبب في صنعه نحو ما ذكره رشيد رضا] (٢: ٢١٩، ٢٢١)

عِزّة دَرُورَة: (التّابوت) هنا هو صندوق كان بنو إسرائيل يحفظون فيه الذّخائر الدّيّنة المقدّسة، منذ عهد موسى وهارون. (٧: ٣٧٤)

عبد الكريم الخطيب : و(التابوت) هو صندوق، يقال: إنه هو الذي كان قد وُضع فيه موسى حين ألقته أمه في اليم، ويمكن أن يكون صندوقاً من صنع موسى. كان يضع فيه الألواح والعصا، وغير ذلك من آثاره وأثار هارون، وكانوا يصحبون التابوت معهم في حروبهم تهرتكاً به. فلما كان القوم في بعض حروبهم مع عدوهم، وغلبوا على أمرهم، واستباحت ديارهم وأموالهم، حمل أعداؤهم هذا التابوت فيما حملوا من مال ومتاع، فكانوا بعد ذلك لا يجرون على ملاقاته عدو.

(١: ٧-٣، ٨-٣)

هاكس : تابوت العهد (المخروج ٢٥: ١٠): صندوق صنعته موسى بأمر الله تعالى من خشب الشوط يبلغ طوله ذراعين ونصفاً، وعرضه ذراعاً ونصفاً، وارتفاعه ذراعاً ونصفاً، وغطى ظاهره وباطنه بالذهب، ووضع في ركني مقدمته تاجان ذهبتان، وصنع بابيه من الذهب الخالص، ونصب عليه اثنان من الملائكة الكرويين، يظللان بأجنحتهم بابيه للعتق والمغفرة. وفي كلا جانبيه حلقتان ذهبيتان، يدخل فيهما عصوان من خشب قد غطيتا بالذهب عند حمله. وفيه حقة من المن وعصا هارون وهي مزهرة، ولوحا العهد اللذان كُتبتا فيهما الأحكام العشرة. (الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٣) ووضع بجانبه كتاب التوراة، (التثنية ٣١: ٢٦)، ولذا يُطلق عليه أحياناً تابوت الشهادة. (المخروج ٢٥: ١٦ و٤٠: ٢١)، إلا أن حقة المن وعصا هارون ما بقيتا في عهد سليمان، (الملوك الأول ٨: ٩).

وكان فوق بابيه سحابة يتجلى فيها الله، وحيثما كان

بنو إسرائيل ينتقلون يحملون التابوت، فتسير مقدمته، والسحابة والنار تهديانهم ليلاً ونهاراً. ولما يحملون التابوت، ويسير بهم، كان موسى يتنادي: يارب هب، وبُدِّ تمل أعدائك، واهزم أقدتهم. وكان حيثما ينزلونه يقول: يارب أرجع الألوف المؤلفة من بني إسرائيل (العدد ١٠: ٣٣-٣٦).

ولما أراد بنو إسرائيل أن يعبروا نهر الأردن، وضعوا تابوت العهد أمامهم كما هو دأبهم، وانغمروا في الماء، فانقلب بهم ماء النهر، وأصبح كالطود دونهم، فعبروا إلى البر، (يشوع ٣: ١٤-١٧)، وبعد مدة - أي بين ٣٠٠ و٤٠٠ سنة - (ارسيا ٧: ١٢-١٥)، ظلوا في خيمة «الجهنجال». ثم ساروا به بعد تلك الخيمة، وجعلوه أمام جيش بني إسرائيل، وحيثما اندحر الإسرائيليون قرب «أفوق» سقط التابوت بأيدي الفلسطينيين، (صموئيل الأول ٤: ١١). فأخذوه إلى «أشدود»، ووضعوه في معبد للأصنام قرب القصر «داجون». (صموئيل الأول ٥: ٢). فابتلاههم الله بأمراض محيطة، فأرغموا على أن يضعوا التابوت في أرض إسرائيل بإجلال واحترام في قرية «بهاريم»، (صموئيل الأول ٦: ٢١ و٧: ١)...

وكان داود يسكن في «أورشليم»، فجلبه إلى هناك بتخميم وإجلال، وبقي فيها إلى حين بناء الهيكل. (صموئيل الثاني ٦: ١٢) و(أخبار الأيام الأول ١٥: ٢٥-٢٩)، وربما كتب المزمور (١٣٢) في ذلك الوقت، (أخبار الأيام الثاني ٥: ٢-١٠)، ووضع التابوت بعدئذ في الهيكل، (أخبار الأيام الثاني ٥: ٢-١٠)، كما في أخبار الأيام الثاني (٣٣: ٧)، إذ نصب «منشي» في الهيكل،

ولا يبعد أنه نقل التابوت من محله إلى محل آخر، إلا أن «يوشيا» جلبه ثانية إلى مكانه، وأطلق عليه تابوت القدس، (أخبار الأيام الثاني ٣٥: ٣).

ومما ينبغي ذكره هو أن التابوت المذكور لم يكن في الهيكل الثاني، ولا يدري هل أخذ إلى بابل أيضًا أو أنه اختفى وضاع؟ (٢٣٧)

محمد جواد مغنّيّة، التابوت هو الصندوق الذي كان موسى يضع التوراة فيه، وكان الله قد رفعه إلى السماء بعد وفاة موسى سخطاً على بني إسرائيل، كما قيل. (٣٨١-١)

المصطفى: «أَرِ أَقْدِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِيهِ فِي الْيَمِّ» طه: ٢٩، في صندوق. «إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنَ رَبِّهِ» البقرة: ٢٤٨. تعريف التابوت في الموضحين يدل على كونه شخصاً ميتاً.

ويظهر من سفر الخروج (٢٥: ١٠)، أن موسى عليه السلام صنع بأمر من الله تعالى على كيفية مخصوصة، وغشيه بذهب من داخل وخارج.

ويظهر من الرسالة إلى المبرانيين «الأصحاح التاسع» أن موسى وضع المنّ وعصا هارون ولوحا العهد فيه، وأيضاً أمر اللاويين أن يضعوا كتاب التوراة بجانب عهد الرب في التابوت، كما في سفر التثنية. (٢٥: ٣١).

ويظهر من بعض الروايات أن التابوت هذا، أصله هو التابوت الذي وضع موسى فيه وقُذِفَ في اليم.

محمد هادي معرفة: ومن الإسرائيليات التي ليس فيها الحقّ بالباطل ما ذكره غالب المفسرين في

تناسيرهم في قصة طالوت، وتنصيبه ملكاً على بني إسرائيل، واعتراض بني إسرائيل عليه، وإخبار تبهم لهم بالآية الدالة على ملكه، وهي التابوت، وذلك عند قوله تعالى: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ» الآية. فقد ذكر ابن جرير، والتعليق، والبغوي، والقرطبي، وابن كثير، والسيوطي في «الذرة»، وغيرهم في تفاسيرهم كثيراً من الأخبار عن الصحابة والتابعين، وعن وهب بن مكيه، وغيره من مسلمة أهل الكتاب في وصف «التابوت»، وكيف جاء، وعلام يشتمل؟ وعن «السكنة» وكيف صفتها؟

فقد ذكروا في شأن التابوت أنه كان من خشب التمشاد، نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، كان عند آدم إلى نوح عليه السلام، ثم عند شيث، ثم توارثه أولاده، إلى إسماعيل، ثم كان عند إسماعيل، ثم يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل، إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام، فكان يضع فيه التوراة ومناخاً من مناعه، فكان عنده إلى أن مات. ثم تداوله أنبياء بني إسرائيل إلى وقت شمويل، وكان عندهم حتى حضروا، فقلبوا عليه، غلبهم عليه المهالفة. وهذا الكلام وإن كان محتملاً للصدق والكذب، لكننا في غيبة، ولا يتوقف تفسير الآية عليه.

وقال بعضهم: إن التابوت إنما كان في بني إسرائيل، ولم يكن من عهد آدم عليه السلام، وأنه الصندوق الذي كان يحفظ فيه موسى عليه السلام التوراة. ولعل هذا أقرب إلى الحق والصواب. (١٥٧: ٢)

مكارم الشيرازي: التابوت أو صندوق العهد: التابوت في اللغة: صندوق من خشب، ولهذا يطلق

أيضًا على الصندوق التي يُحتمل فيها السموات، إلا أن أصل الكلمة لا علاقة له بالسموات وحمل الجنائز، بل هو يعني كل صندوق مصنوع من الخشب.

أما ماهو تابوت بني إسرائيل أو صندوق العهد؟ ومن الذي صنعه؟ وماهي محتوياته؟ فإن في تفاسيرنا وأحاديثنا، وكذلك في العهد القديم - التوراة - كلامًا كثيرًا عنه. إلا أن أوضحها هو ما جاءنا في أحاديث أهل البيت (عليه السلام) وأقوال بعض المفسرين من أمثال ابن عباس، حيث قالوا: إن التابوت هو الصندوق الذي وضعت فيه أم موسى ابنتها موسى وألقته في النهر، وبعد أن انتشل أتباع فرعون الصندوق من البحر وأثابوه إليه وأخرجوا موسى منه، ظل الصندوق في بيت فرعون ثم وقع بأيدي بني إسرائيل، فكانوا يعترفونه ويجوزكونه به.

موسى (عليه السلام) وضع فيه الألواح المقدسة - التي تحمل على ظهرها أحكام الله - ودرعه وأشباه أخرى تخصه، وأودع كل ذلك في أواخر عمره لدى وصيه يوشع بن نون.

وبهذا ازددت أهمية هذا الصندوق عند بني إسرائيل، فكانوا يحملونه معهم كلما نشبت حرب بينهم وبين الأعداء، ليصعد معنوياتهم، لذلك قيل: إن بني إسرائيل كانوا أعزّة كرماء مادام ذلك الصندوق بمحتوياته المقدسة بينهم، ولكن بعد هبوط التزاماتهم الدنيوية وغلبة الأعداء عليهم سلب منهم الصندوق، وأشهره - كما تذكر الآية - وعدهم بإعادة الصندوق باعتباره دليلًا على صدق قوله. (١٥٣: ٢)

الوجوه والنظائر

الحيري: (التابوت) على وجهين:

أحدهما: تابوت بني إسرائيل، وهو تابوت من عود سمق والسُنُق: الصنوبر ثلاثة أذرع في ذراعين، كقوله: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ البقرة: ٢٤٨. والثاني: التابوت الذي كان فيه موسى (عليه السلام) في صغره، وهو تابوت من بردي، والبردي: خشب الرطب، كقوله: ﴿أَنْ أَلْقِيَهُ فِي التَّابُوتِ فَاسْقُطْ فِي يَدِ الْيَمِّ﴾ طه: ٣٩. (١٥٧)

الذامغاني: (التابوت) على وجهين: الصندوق الذي وضع موسى فيه، والتابوت الذي فيه السكينة. فوجه منها: التابوت: الصندوق، قوله تعالى: ﴿أَنْ أَلْقِيَهُ فِي التَّابُوتِ﴾ طه: ٣٩.

والوجه الثاني: التابوت الذي فيه السكينة، ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ البقرة: ٢٤٨. (١٨٤)

الفيروز آبادي: وقد ورد في القرآن على وجهين: الأول: بمعنى الصندوق الذي وضعت أم موسى ولدها فيه، ورمته في البحر: ﴿أَنْ أَلْقِيَهُ فِي التَّابُوتِ فَاسْقُطْ فِي يَدِ الْيَمِّ﴾ طه: ٣٩.

الثاني: بمعنى الصندوق الذي ورمته الأنبياء من آدم (عليه السلام): ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٨.

وأما التابوت الذي يحمل فيه الميت فستعار من هذا. وقيل: التابوت عبارة عن القلب، والسكينة عما فيه من العلم، ويستق القلب سقَط العلم، وبيت المحكمة،

وتأبوت ووجاء، وصندوق.

(بصائر ذوي التمييز ٢: ٢٩٠)

الأصول اللغوية

١- الأصل في «التأبوت» - إن كان هريكاً - : الثوب، أي الرجوع، فإنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، كما قال أبو علي الفارسي، وجمعه : ثوابيت، ويحني الأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد وغيرها، نسيها بالصندوق الذي يجرز فيه المتاع، وكذا جاء في العبرية - أي الصندوق - وسائر اللغات السامية وفي القبطية والمهسية.

والتأبوت - طبق هذا القول - على وزن «فعلولت»، فألفه متقلبة من الواو، أي أصله «تأبوت»، تحمزلت الواو وانفتح ما قبلها، فقلت ألفاً. وله ظائر في اللغة، مثل : ملكوت وجبروت وعظمت وغيرها.

٢- وجعله بعضهم أصلاً برأسه، ومنهم الجوهري، فقال : «فعلول» من «ت أ ب»، وأصله «تأبوت»، ثم سهلت الهجمة وسكنت الواو، فانقلبت هاء التأنيث تاء، ونظائره : قرقوة : الثمرة بين العنق ورأس الصدر، وخرقوة : أعلى اللهاة والخلق، والثدوة : ثدي الرجل.

وقال ابن بري : هي «فاحول» من «ت ب ت»، والوقف عليها بالتاء في أكثر اللغات كالفرات، وليست «تاء» الفرات بتاء تأنيث، وإنما هي أصلية من نفس الكلمة.

وقال ابن جني : هي «فاحول» من «ت ب ه»، وقد قرئ بها، أي (تأبوت)، كقولهم : قعدنا على الصراء،

يريدون على الفرات، وهي لغة الأنصار، كما قال قاسم ابن ثن. وظهير جاثوت وجاثوت، وقرات وفراء، كما مر.

٣- وادعى «آرثر جفري» في كتاب «المفردات الدخيلة في القرآن» أن علماء المسلمين قاطبة زعموا أن «التأبوت» لفظ عربي، ولم يألوا في اشتقاقه جهداً، إلا أنهم فشلوا.

ولكن ما ادعاه تخرّص وتلفيق، إذ ذكر بعضهم - ومنهم المديني - أنه ليس عربياً، بل اضطربت فيه أقوال أنداده من المستشرقين، كما رواها هو في كتابه المذكور، قال «جايبر» : اشتق «التأبوت» من اللفظ الآرامي «تبيوت»، وقال «فرانكل» : هو مشتق من اللفظ الحبشي «تشتا» أو وافقه «تولدكه» في ذلك، رغم قوله بأنه آرامي الأصل. وقال «آرثر» نفسه : أصله قبطي، ومنه أخذ اللفظ العبري «تياه».

فأنت ترى أن كلام هؤلاء تصف وارتهال، وكلام أصحابنا تريث واستدلال، وشأن بين المشرق والمغرب، والخيال والصدق. بيد أننا لا نذهب إلى كونه عربياً، فلعله لفظ أعجمي ضارح أوزان العربية، مثل : التاموت والأهوت ونحوها.

الاستعمال القرآني

جاء «التأبوت» مرتين في سورتين : إحداهما مكتبة، والأخرى مدنية :

١- ﴿وَأَنِ اقْذِيبِي فِي التَّائِبِينَ فَاقْذِيبِي فِي النَّارِ﴾

طه : ٣٩

٢- «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

التَّابُوتُ»

البقرة: ٢٤٨

يلاحظ أولاً: أن هذه الكلمة جاءت في (١١) خلال ولادة موسى ووضعه في التابوت وقذفه في النهر. وقد وقعت القصة في أرض مصر، طالكلمة إيتا قبطية أو عبرية، لو فرضنا أن بني إسرائيل احتفظوا بلغتهم العبرية إلى ذلك الزمان، وهو بعيد. وتوقف دراستها على معرفة اللغة التي نزلت بها التوراة. فإن احتفظوا بالعبرية، فكان موسى عليه السلام يصرها، والتوراة نزلت بالعبرية. وهذا بعيد جداً، لأن موسى عاش منذ نعومة أظفاره وربعان شبابه في بلاط فرعون، ولم تكن لغة رجال البلاط إلا مصرية، أي قبطية كما يبدو. ثم رحل إلى «مدين»، حيث عاش لدى كاهنها حشر مدين.

نعم، عاش أيام رضاعته في كنف أمه. وكيانيتها إسرائيلية، ولكننا لانعلم بأي لغة كانت تتكلم، كما لانعلم اللغة السائدة في «مدين» حينذاك. وهذه مسألة جديرة بالاهتمام، لأنها نهم التوراة أولاً، وذات صلة بلغة بني إسرائيل في مصر ثانية، إذ قد عاشوا فيها أربعمئة سنة كما هو الشائع، أو (٢٥٠) سنة حسب الدراسات الجديدة.

وكيف كان، فكلية «توراة» لاخرج من كونها مصرية: قبطية أو عبرية.

ثانياً: أنها جاءت في (٢) خلال قصة بني إسرائيل في أرض الميعاد، لانعلم أن بني إسرائيل بعد أن دخلوا «أريحا» وبيت المقدس فاتحين وغازين بأي لغة كانوا يتكلمون، فإن أهالي «أريحا» كانوا من بقايا العبالقة

والفلسطينيين، ولم يكونوا عبريين بتاتاً، فهل كانت هذه الكلمة مشتركة بين اللغتين السائدتين حينذاك في «مصر» وفي «أريحا»، أو كانت عبرية جرت على ألسن بني إسرائيل حينما قطنوا، في كنعان ومصر وصحراء سيناء حين تاهوا فيها أربعين سنة، ثم دخلوا «أريحا»، والبحث في هذا الموضوع يناط بعلماء اللغات السامية.

ثالثاً: أنها جاءت مزدانة باللام في الموضعين، واللام للمهد في أمثال هذه العبارات، فالمهد في (١١) حضوري، أي كان عند أم موسى صندوق صغير، فأمرت يوحى من الله أن تقذف فيه، ثم تقذف الصندوق في النهر.

أما المهد في (٢) فالظاهر أنه ذهني، فيبدو أن التابوت - وكان يسمى تابوت العهد، وتابوت الشهادة، وتابوت الرب، وتابوت الله، حسب ما جاء في النصوص - كان مهيئاً بين بني إسرائيل منذ عهد موسى، فابنده منين طوالاً، حتى سلبه الفلسطينيون في معركة دارت بينهم وبين الإسرائيليين، ثم أرجعه الله إلى «طالوت» كمجزة له، تشهد على أنه ملك عليهم من قبل الله تعالى.

رابعاً: وجد هذا التفصيل في التابوتين، فهل يبقى شك في أنها متعددان؟ أو هناك تابوت واحد قُذف فيه موسى وهو طفل، وبقي عند آل فرعون، ثم انتقل إلى آل موسى، ثم إلى بني إسرائيل حتى آخر مسيرهم؟ كيف وقد جاء في النصوص نقلاً عن مصادر إسرائيلية أن موسى عليه السلام هو الذي صنع تابوت العهد بالذهب، بطول يبلغ ذراعين وجرض ذراع.

خامساً: فالتابوت في قصة موسى كالعقبس في قصة

أهمهم، وكان لها دور في حياتهم وبعد موتهم، وهي موارث النبوة، ورثها كابر عن كابر من الأنبياء والأوصياء، حسب أحاديث مأثورة.

سادساً: وجاءت قصص حول تاهوت العهد في «العهد القديم» وفي الإسرائيليات في التفاسير وفي القرآن الكريم، وهو المفضل، لاحظ النصوص التفسيرية والتاريخية.

يوسف، فهناك قيص ملطخ بدم كذب بأيدي إخوته، نُسب إلى يوسف وهو طفل. وقيص ثانٍ قد شق من دير بتدير امرأة العزيز، عشيقته حينما كان فتى جليلاً، وقيص ثالث أرسله يوسف من مصر إلى فلسطين، ليلق على وجه أبيه، فيأتي بصيراً، فالقمصان متعددة، وليست قيصاً واحداً.

وللأنبياء ﷺ - ومنهم نبينا محمد ﷺ - آلات وأدوات، ومنها عصا موسى، فبحيث ذكرها حية عند





مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

ت ب ب

٤ ألفاظ، ٤ مرّات مكّية، في ٣ سور مكّية:

ثَبَّ ١:١	كُتِبَ ١:١	وَمِنْ أَمْثَلِهِمْ: مَلِكٌ عَبْدٌ عَبْدٌ فَأُولَءِ ثَبَّ، يقول: لم يكن له يملك مطلقاً مَلِكٌ هان عليه ماملاً.
ثَبَّتْ ١:١	تَثْبِيبَ ١:١	وَيَتَكَلَّمُ، إذا شاخ. (الأزهرى ١٤: ٢٥٧)
النصوص اللغوية		
الخليل: الثَّبُّ: الحصار، وثَبَّاً له، نُصِبَ لَأَنَّهُ مصدرٌ محمولٌ على فعله، كما تقول: سَقَيْتُ لِفُلَانٍ، معناه: سَقَيْتُ فُلَانٌ سَقِيًّا، وَثَبَّ يَتَبَّبُ ثَبَّابًا وَثَبَّيًّا، ولم يَجْمَعْ اسْمًا مستنداً إلى ما قبله.	هي أم نَابِئَةٌ؟ يقول: أمجوز هالكة أم شَابِئَةٌ؟ (٣٤٠)	يقال: ثَبَّتْ يَدَاهُ، أي خَيْرَتَاهُ، من «الثَّباب». [ثم استشهد بشعر]
وَتَبَيَّنَتِ الْقَوْمُ، أي قُلْتُ لَهُمْ: ثَبَّابٌ لِفُلَانٍ تَبِيًّا، ويقال: ثَبَّابٌ لِفُلَانٍ تَبِيًّا.	الذي ثَبَّورِي: الثَّبِّيُّ بالبحرين كالسَّهْرِيِّز بالبصرة.	استشهد بشعر]
وَأَسْتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ، أي تَهَيَّأَ.	وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى قَرَمِهِ. (الصفهاني ١: ٧٢)	وَأَسْتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ، أي تَهَيَّأَ.
وَرَجُلٌ ثَابِتٌ، أي كَبِيرٌ. (الأزهرى ١٤: ٢٥٦)	ابن دُرَيْدٍ: ثَبَّتْ يَدَاهُ ثَبَّابًا وَثَبَّابًا، أي خَيْرَتَاهُ، وَكَانَ الثَّبَابُ: الْأَسْمُ، وَالثَّبُّ: الْمَصْدَرُ. [ثم استشهد بشعر]	وَرَجُلٌ ثَابِتٌ، أي كَبِيرٌ. (الأزهرى ١٤: ٢٥٦)
ابن الأعرابي: ثَبَّ، إذا قَلَعَ، وَثَبَّ، إذا خَسِرَ،	وَأَتَكَبَّبَ وَالثَّبَابُ وَالثَّبِيبُ، هَذَا كُلُّهُ مِنَ الْهَلَاكِ.	ابن الأعرابي: ثَبَّ، إذا قَلَعَ، وَثَبَّ، إذا خَسِرَ،

ويقال: استتب أمر فلان، إذا طرد واستقام وتبين.
وأصل هذا: من الطريق المستتب، وهو الذي خد
فيه السيارة خدوداً وشركاً فوضح واستبان لمن سلكه،
كأنه ثبت بكثرة الوطء وقُسر وجهه، فصار ملحوظاً
بيننا من جماعة ماحوائيه من الأرضين؛ فثبت الأمر
الواضح البين المستقيم = [ثم استشهد بـ]

الفصاحب: الثب: الخسارة؛ ثباً له، وثبته: قلت
له ذلك.
والثباب: الهلاك. ووضوا في ثبوت ثنكرة، أي في
مهلكة.

وتب ثبوت وثباباً وثبوتاً وثبلاً وثبلاً
وأخذ فلان ثبوتاً وثبته، أي بينه الطريق بطلاناً
واستتبني: استقصي.
واتب الله قوتها، أي أوهنها.
وربما تاب: ضعف، وجمعه: أتاب، تب يتب.
وطريق مستتب: مذل.
ورأيت بثبة، أي بحال شديدة.

والثبي: خرب من الثمر بالبحرين، وخرب من
السك. (٤١٦: ٩)

الجوهري: وتقول: ثباً لفلان، تنعيه على المصدر
بإضمار فعل، أي ألزمه الله هلاكاً وخساراً.
وتبهم ثبياً، أي أهلكوهم. (٩٠: ١)
نحو: ابن سيدة (الإفصاح ٢: ٦٥٢)، والقيومي (١: ٧٢)
والطرمي (٢: ١٢).

ابن فارس: التاء والباء كلمة واحدة، وهي

الثباب، وهو الخسران، وثباً للكافر، أي هلاكاً له، وقال
الله تعالى: ﴿وَمَارَآذُوهُمْ غَيْرَ ثَبِيٍّ﴾ هود: ١-١٠، أي
تخسر.

وقد جاءت في مقابلتها كلمة، يقولون: استتب
الأمر، إذا تهيناً. فإن كانت صحيحة فللباب إذا وجهان:
الخسران، والاستقامة.
ابن سيدة: الثب: الخسار. وثباً له على الدعاء،
وثباً ثبياً على المبالغة.

ومثبه: قال له: ثباً، كما يقال: جدعه وعقره.
والتب، والثباب، والثبي: الهلاك.
والثبيب: التقص والخسار، وفي التثزيل:
﴿وَمَارَآذُوهُمْ غَيْرَ ثَبِيٍّ﴾ هود: ١٠١.

والثاب: الضعيف، والجمع: أتاب: هذلية نادرة.
(٤٦٧: ٩)
الراغب: الثب، والثباب: الاستمرار في الخسران،
يقال: ثباً له وثبته، إذا قلت له ذلك. ولتضمن
الاستمرار قيل: استتب لفلان كذا، أي استمر. [ثم ذكر
الآيات] (٧٢)

الزمخشري: أوسع سباً، وأسمه ثباً. وثبت
القوم: دعا عليهم بالثب ﴿وَمَارَآذُوهُمْ غَيْرَ ثَبِيٍّ﴾
هود: ١٠١.

ومن الجاز: تب الرجل، إذا شاخ، وكنت شاباً
فصرت ثباً، شبه فقد الشباب بالثباب.
وأنشأه أنت أم تابة؟

واستتب الطريق: ذل وانقاد، كما يقال: طريق
مُتَبَّد.

وَأَسْتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ.

وَيُجَوِّزُ أَنْ يُقَالَ لِلْإِسْتِقَامَةِ وَالْقِيَامِ: الْإِسْتِبَابُ، أَيْ
طَلَبُ الْقِيَامِ، لِأَنَّ الْقِيَامَ يَتَّبِعُ الْقِيَامَ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ
بِشَرْحِ]

الطَّبِيرِيِّ: الثَّبُّ وَالْقِيَامُ: الْخُسْرَانُ، وَالْمُؤَدِّي إِلَى
الْهَلَاكِ. (٥٥٨: ٥١)

أَبْنُ الْأَثِيرِ: فِي حَدِيثِ أَبِي هُبَيْرَةَ: «تَبَّ لَكَ سَائِرُ
الْيَوْمِ أَهَذَا جَمْعُ تَبَّ». الثَّبُّ: الْهَلَاكِ، يُقَالُ تَبَّ يَتَّبُ تَبًّا،
وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَضْمَعٍ مَتْرُوكِ الْإِظْهَارِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ
ذِكْرُهُ فِي الْحَدِيثِ.

وَفِي حَدِيثِ الدَّعَاءِ: «حَتَّى اسْتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي
أَعْدَائِكَ»، أَيْ اسْتَقَامَ وَاسْتَمَرَّ. (١٧٨: ١)

الْفَيْرُوزِ أَيْ هَادِي: الثَّبُّ وَالْقِيَامُ وَالْقِيَامُ وَالْقِيَامُ
وَالْقِيَامُ: التَّقْوَى وَالْحَسَارَةُ.

وَتَبَّ لَهُ وَتَبَّ تَبًّا مَبَالِغَةً.

وَتَبَّ: قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَقَلَّ أَنْ يَهْلِكَ.

وَتَبَّ يَدَاهُ: خَلَعَتْهُمَا وَخَسَرَتْهُمَا.

وَالْقِيَامُ: الْكِبَرُ مِنَ الرِّجَالِ وَالضَّعِيفُ، وَالْجَمَلُ،
وَالْحَبَارُ قَدْ ذُكِرَ ظَهَرَهُمَا جَمْعًا: أَبَابُ.

وَتَبَّ الشَّيْءُ: قَطَعَهُ.

وَالشُّبُوبُ كَالشُّوْرِ: الْمَهْلَكَةُ، وَمَا نَطَوَتْ عَلَيْهِ
الْأَصْلَاحُ.

وَالشُّبُّ بِالْكَسْرِ: الْحَالَةُ الشَّدِيدَةُ.

وَأَتَبَّ اللَّهُ قُوَّتَهُ: أَضْعَفَهَا، وَتَبَّ: شَاخَ.

وَالشُّبُّ وَيُكْسَرُ: تَمَرٌ كَالشُّهْرِيزِ^(١). (١٠: ١٤٠)

مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ إِبْرَاهِيمَ تَبَّ فَلَانَ: هَلَكَ، وَتَبَّ

الشَّيْءُ: قَطَعَهُ، وَتَبَّ فَلَانًا: أَهْلَكَ، وَتَبَّ لَهُ: خُسِرَانًا

وَهَلَاكًا لَهُ، وَتَبَّتْ يَدَاهُ: قَطَعَتْهُمَا قَطْعًا يَقْضِي إِلَى الْهَلَاكِ،

أَيْ خُسْرَانًا، وَالْمُرَادُ بِهِ الدَّعَاءُ عَلَى ذِي الْيَدَيْنِ، وَالْقِيَامُ

وَالْقِيَامُ: التَّقْوَى وَالْحَسَارَةُ وَالْهَلَاكِ. (٨٧: ١)

مُحَمَّدُ شَيْتَ: أَيْ تَبَّ الْجَمِيعُ الْعَدُوَّةَ أَهْلَكَ

وَالْحَقُّ بِهِ الْخُسْرَانُ.

ب - اسْتَبَّ النَّظَامُ: أَطْرَدَ وَاسْتَقَامَ وَاسْتَقَرَّ،

وَالْجَمْعُ فِي ثُكُنَاتِهِ: اسْتَقَرَّ. (١٠٩: ١)

الْمُضْطَفَّقِيُّ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَصْلَ الْوَاحِدَ فِي هَذِهِ

الْمَادَّةِ: هُوَ الْخُسْرَانُ الْمَمْتَدُّ الْمُنْتَهِي إِلَى الْهَلَاكِ، وَهَذِهِ

الْمَادَّةُ قَدْ تَطَلَّقَ عَلَى الْخُسَارِ، وَقَدْ تَطَلَّقَ عَلَى الْهَلَاكِ.

وَأَمَّا الْإِسْتِبَابُ، فَهُوَ طَلَبُ الْقِيَامِ طَبْعًا أَوْ إِرَادِيًّا،

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى: الْإِنْفِيَادُ وَالذَّلَّةُ.

وَأَمَّا التَّبُّ وَالْإِسْتِقَامَةُ، فَإِنَّ الطَّلَبَ الطَّبْعِيَّ نَوْعٌ

مِمَّا يَتَّبِعُ وَاسْتِقَامَةُ فِي مَقَابِلِ الْحَادِثَةِ وَمَا يَطْلُبُهُ، فَلَيْسَ مَفْهُومٌ

«الْإِسْتِبَابُ» مَطْلُوقُ التَّبُّ أَوْ مَطْلُوقُ الْإِسْتِقَامَةِ، بَلْ عَلَى

قِيَامِ الْخُسَارِ وَالْهَلَاكِ. [ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ الْآيَاتِ وَقَالَ:]

وَهَذَا يَظْهَرُ الْفَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخُسْرَانِ وَالْهَلَاكِ.

(٣٥٥: ١)

التَّصَوُّصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

تَبَّ - تَبَّ

تَبَّ يَدَا أَبِي هُبَيْرَةَ وَتَبَّ. اللَّهُب: ١

أَبْنُ عَبَّاسٍ: صَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا،

(١) ذَكَرَهُ الصَّنَائِقِيُّ عَنِ الدِّيْنَوَرِيِّ: الشُّهْرِيزِ، بِالشُّنِ.

فقال: يا أصحاباء! فاجتمعتم إليهم قريش، فقالوا: مالك؟ قال: أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مضطجعكم أو مضطجكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا وجمعتنا، فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. (الطبري ٣٠: ٣٣٦) نحوه ابن عطية، (٥: ٥٣٤)

خابت. (المأوردي ٦: ٣٦٤)

يعني قد تب. (المأوردي ٦: ٣٦٥)

سعيد بن جبيرة: هلك. (المأوردي ٦: ٣٦٤)

مجاهد: يعني وتب ولد أبي لهب.

(المأوردي ٦: ٣٦٥)

عطاء: ضلت. (المأوردي ٦: ٣٦٤)

غلبت. (الفخر الرازي ٣٦: ٣٦٦)

قتادة: خسرت يد أبي لهب وخسر.

(الطبري ٣٠: ٣٣٦)

نحو مقاتيل (الطبرسي ٥: ٥٥٩)، والمزوي (١: ٣٤٣).

ابن زيد: التب: المصرا. قال أبو لهب للنبي ﷺ:

ماذا أصطى يا محمّد إن آمننت بك؟ قال: كما يخطي المسلمون.

فقال: مالي عليهم فضل؟ قال: وأي شيء تنفي؟

قال: تباً لهذا من دين تباً أن أكون أنا وهؤلاء سواء؛

فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، يقول: بما عملت

أيديهم. (الطبري ٣٠: ٣٣٦)

الغزاة: [نحو ابن عباس وأضاف:]

وفي قراءة عبدالله (وَقَدْ تَبَّ) فالأول دعاء، والثاني خبر. (وتب): خسر، كما تقول للرجل: أهلكك الله، وقد أهلكك، أو تقول: جعلك الله صالحاً، وقد جعلك.

(٣: ٢٩٨)

الطبري: يقول تعالى ذكره: خسرت يد أبي لهب وخسر هو. وأنا عني بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ تب عمله.

وكان بعض أهل العربية يقول: قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا

أبي لهب﴾ دعاء عليه من الله.

وأما قوله: (وتب) فإنه خير، [ثم حكى قراءة

عبدالله وقال:]

وفي دخول (قد) فيه دلالة على أنه خير، ويترك ذلك

يقول القائل الآخر: أهلكك الله، وقد أهلكك، وجعلك

صالحاً، وقد جعلك.

وقيل: إن هذه السورة نزلت في أبي لهب، لأن

النبي ﷺ لما خصص بالدعوة عشيرته، إذ نزل عليه

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤، وجمعهم

للدعاء، قال له أبو لهب: تباً لك...

الزجاج: معناه خسرت يد أبي لهب، وتب، أي

خير. [ثم بين شأن نزولها كابن عباس] (٥: ٣٧٥)

ابن كيسان: إنه كان إذا وفد على النبي ﷺ وقَدْ

أطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول الله، ويقولون:

أنت أعلم به، فيقول لهم أبو لهب: إنه كذاب ساحر؛

فيرجعون عنه ولا يلقونه.

فأنا، وقد فضل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا تنصرف

حتى نراء وتسمع كلامه، فقال لهم أبو لهب: إنما لم نزل

نعالجه من الجنون فتبأ له وتعباً. فأخبر بذلك النبي ﷺ،
فاكتأب له. فأنزل الله تعالى (تَبَّتْ) السورة.

(المأزدي ٦: ٣٦٤)

المأزدي: وفي قوله: (وَتَبَّتْ) أربعة أوجه:

أحدها: أنه تأكيد للأول، من قوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ»،
فقال بعده: (وَتَبَّتْ) تأكيداً.

الثاني: يعني تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ، بما منعه الله تعالى
من أذى لرسوله، وَتَبَّتْ بما لهُ عند الله من أليم عقابه.

[الثالث والرابع قول ابن عباس ومجاهد المتقدمان]

وفي قراءة ابن مسعود: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَقَدْ تَبَّتْ)
جملة خبراً، وهي على قراءة غيره تكون دعاء كالأول.

وفيما تبَّت عنه يدا أبي هَبٍ وجهان: أحدهما: معنى
التوحيد، قاله ابن عباس. الثاني: عن الخيرات، قاله

مجاهد.

الطبرسي: روي أن أبا هَبٍ كان قد عزم على أن
يرمي النبي ﷺ بحجر، فمنعه الله من ذلك. وقال: «تَبَّتْ
يَدَاهُ» للمنع الذي وقع به. ثم قال: (وَتَبَّتْ) بالعقاب الذي
ينزل به عليها بعد.

وقيل: في قوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ» إنه للدعاء
عليه، نحو قوله: «فَاتْلُكُمْ اللَّهُ أَنْ يَوْفُكُمْ» التوبة: ٣٠.
فأما قوله: (وَتَبَّتْ) فإنه خبر محض، كأنه قال: وقد
تَبَّتْ.

وقيل: إنه جواب لقول أبي هَبٍ: «تبأ لهذا من دين»
حين نادى النبي ﷺ بشي عبد المطلب، فلما اجتمعوا له،
قال لهم: إن الله بعني إلى الناس عامماً وإليكم خاصاً، وأن
أعرض عليكم ما إن قبلتموه ملتكم به العرب والعجم.

قالوا وما ذلك يا محمد ﷺ؟ قال: أن تقولوا لا إله إلا
الله وآتي رسول الله. فقال أبو هَبٍ تبأ لهذا من دين؛
فأنزل الله تعالى قوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ».

والتياب: الخسران المؤدي إلى الهلاك تبته يستب
تياً، والتياب: الهلاك.

وفي (تَبَّتْ يَدَا) مع أنه إخبار ذم لأبي هَبٍ لعنه الله،
وإنما قال: «تَبَّتْ يَدَاهُ» ولم يقل: «تَبَّتْ» مع أنه هو
الهالك في الحقيقة، لأنه جار مجرى قوله: «كسبت يدا»
لأن أكثر العمل لما كان باليدين أضيف ذلك إليهما، على
معنى الخسران إليه الذي أتى العمل بهما. (١٠: ٤٢٦)
البغوي: أي خابت وخسرت يدا أبي هَبٍ، أي
هو أخير من يديه والمراد به نفسه، على عادة العرب في
التعريض بنفس الشيء عن كله. (٥: ٣٢٧)

(الأنصاري): والمعنى: هلكت يده، لأنه فيما
يُروى أخذ حجراً ليرم به رسول الله ﷺ.

(وَتَبَّتْ) وهلك كله، أو جعلت يده هالكين،
والمراد هلاك جملة، كقوله تعالى: «يَمَّا قَدْ تَبَّتْ يَدَاكَ»
الحج: ١٠.

ومعنى (وَتَبَّتْ): وكان ذلك وحصل، [ثم استشهد
بشعر]

ويدل عليه قراءة ابن مسعود (وقد تبَّتْ) (٤: ٢٩٥).
نحوه أبو الشعثود (٦: ٤٨٤)، وشبّر (٦: ٤٦٣).

الطبرسي: أي خسرت يده وخسر هو، قول
مقابل.

وإنما قال: خسرت يده لأن أكثر العمل يكون
باليد، والمراد: خسر عمله وخسرت نفسه بالوقوع في

النار.

وقيل: إن «اليد» هنا صلة، كقولهم يد الدّهر ويد

السنة. قال:

* وأيد الزّوايا بالذخائر مولع *

وقيل: معناه صغرت يده عن كل خير.

قال الفراء: الأوّل دعاء، والثاني خبر، فكأنّه قال:

أهلكه الله وقد هلك. وفي حرف عبد الله وأبي (وقد) ثب.

وقيل: إن الأوّل أيضاً، ومعناه أنّه لم تكسب يده

خيراً قط، وخسر مع ذلك هو نفسه، أي ثب على كل حال. (٥: ٥٥٩)

ابن عطية: معناه خسرت، والكتاب المفسر

والدمار، وأسند ذلك إلى اليمين من حيث «اليد» موضع

الكسب والربح وضمت ما يملك، ثم أوجب عليه اليد

تب، أي حتم ذلك عليه. (٥: ٥٣٤)

الغفر الزاوي: اعلم أنّ قوله: (تب) فيه أقاويل:

أحدها: الكتاب: الهلاك، ومنه قولهم: شاة أم تابة،

أي هالكة من الهرم. وظهيره قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْزُ

فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ المؤمن: ٢٧، أي في هلاك. والذي

يقرّر ذلك أن الأعرابي لما واقع أهله في نهار رمضان،

قال: هلكت وأهلك، ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام

مأنكر ذلك، فدلّ على أنّه كان صادقاً في ذلك.

ولاشك أن العمل إما أن يكون داخلياً في الإيمان، أو

إن كان داخلياً لكنّه أضعف أجزائه، فإذا كان بترك العمل

حصل الهلاك، ففي حقّ أبي لمب حصل ترك الاعتقاد

والقول والعمل، وحصل الاعتقاد الباطل، والقول

الباطل، والعمل الباطل، فكيف يُعقل أن لا يحصل معنى

الهلاك، فلهذا قال (تب).

وثانيها: (تب): خسرت، والكتاب هو الخسران

المفني إلى الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَّا زَاوَاهُمْ فَجُرَّ

تَبَابٍ﴾ هود: ١٠١، أي تخسیر، بدليل أنّه قال في

موضع آخر: غير تخسیر.

وثالثها: (تب): خابت، قال ابن عباس: لأنّه كان

يدفع القوم عنه بقوله: إنّني ساحر، فيصرفون عنه قبل

لفائه، لأنّه كان شيخ القبيلة وكان له كالأب، فكان

لا يثيهم. فلما نزلت السورة وسمع بها، غضب وأظهر

العداوة الشديدة، فصار منها، فلم يُقبل قوله في الرسول

بعد ذلك، فكأنّه خاب سعيه وبطل غرضه.

ولعلّه لما ذكر «اليد» لأنّه كان يضرب يده على

كفّه الموكف عليه، فيقول: انصرف راشداً فإنه مجنون،

فإن المعتاد أن من يصرف إنساناً عن موضع وضع يده

على كتفه ودفعه عن ذلك الموضع.

ورابعها عن عطاء: (تب)، أي غلبت، لأنّه كان

يعتقد أنّ يده هي العليا، وأنّه يُخرجه من مكة ويذله

ويغلب عليه.

وخامسها، عن ابن وثاب: صغرت يده عن كل

خير. [إلى أن قال:]

لما قوله تعالى: (وتب) ففيه وجوه:

أحدها: أنّه أخرج الأوّل مخرج الدعاء عليه،

كقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ عبس: ١٧، والثاني

مخرج الخبر، أي كان ذلك وحصل، ويؤيده قراءة ابن

مسعود (وقد تب).

وثانيها: كل واحد منها إخبار، ولكن أود بالأول هلاك عمله، وبالتالي هلاك نفسه. ووجه أن المرء إنما يسعى لمصلحة نفسه وعمله، فأخبر الله تعالى أنه محروم من الأمور.

وثالثها: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي هَلَبٍ﴾ يعني ماله، ومنه يقال: ذات اليد، (وَتَبَّ) هو بنفسه. كما يقال: ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾ الثوري: ٤٥، وهو قول أبي مسلم. ورابعها: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي هَلَبٍ﴾ يعني نفسه، (وَتَبَّ) يعني ولده عتبة، على ما روي أن عتبة بن أبي هلب خرج إلى الشام مع أناس من قريش، فلما هموا أن يرجعوا قال لهم عتبة: بلغوا محمداً حتى أتى قد كفرت بالنجم إذا هوى. وروي أنه قال ذلك في وجه رسول الله، وتقل في وجهه، وكان مبالغاً في عداوته. فقال: «اللهم سلط عليه» كثيراً من كلامك. فوقع الرعب في قلب عتبة، فركب يحرز. فسار ليلة من الليالي فلما كان قريباً من الصبح، فقال له أصحابه: هلكت الركاب، فما زالوا به حتى نزل وهو مرعوب، وأناخ الإبل حوله كالسراق، فسلط الله عليه الأسد وألقى التكنية على الإبل، فجعل الأسد يتخلل حتى افترسه ومزقه.

فإن قيل: نزول هذه السورة كان قبل هذه الواقعة، وقوله: (وَتَبَّ) إخبار عن الماضي، فكيف يحمل عليه؟ قلنا: لأنه كان في معلومه تعالى أنه يحصل ذلك. خامسها: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي هَلَبٍ﴾ حيث لم يعرف حق ربه، (وَتَبَّ) حيث لم يعرف حق رسوله.

(٣٢: ١٦٦)

نحوه الخازن (٧: ٢٦٣)، والبروسوي (١٠: ٥٣٢).

الآلوسي: [بعد بيان شأن نزول الآية قال:]

فما ليدان على المحنى المعروف، والكلام دعاء بهلاكها. وقوله سبحانه: (وَتَبَّ) دعاء بهلاك كنه، ووجه أن يكون إخبارين بهلاك ذينك الأمرين، والتعبير بالماضي في الموضعين لتحقيق الوقوع.

وقال القراء: الأول دعاء بهلاك جملته، على أن «البدن» إما كناية عن الذات والنفس لما بينهما من التزوم في الجملة، أو مجاز من إطلاق الجزء على الكل، كما قال محيي السنة. والقول في رده أنه يشترط أن يكون الكل يعدم بعدم كالأشياء والزفة، واليد ليست كذلك، غير مسلم. لتصریح فحول بخلافه هنا وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا يَأْتِي بِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة: ١٩٥، أو المردة على ما قبل بذلك: الشرط يعدم حقيقة أو حكماً، كما في إطلاقه اليدين على الزينة واليد على المحطى أو المتعاطى لبعض الأفعال، فإن الذات - من حيث اتصافها بما قصد اتصافها به - تعدم بعدم ذلك العضو.

والثاني إخبار بالمصول، أي وكان ذلك وحصل.

[ثم استشهد بشعر]

واستظهر أن هذه الجملة حالية «وقد» مقدرة على المشهور، كما قرأ به ابن مسعود، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس في سبب النزول، فنزلت هذه السورة ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي هَلَبٍ وَقَدْ تَبَّ﴾. وعلى هذه القراءة يمتنع أن يكون ذلك دعاء، لأن «قد» لا تدخل على أفعال الدعاء.

وقيل: الأول إخبار عن هلاك عمله، حيث لم يفده ولم ينضم، لأن الأفعال تُزاول بالأيدي غالباً، والثاني

إخبار عن هلاك نفسه.

تَبَاب

وفي «التأويلات»: أُلِيدَ بمعنى التَّعَمُّدِ، وكان يُحْسَنُ إلى النبي ﷺ وإلى قريش، ويقول: إن كان الأمر لحسد فلي عنده يدٌ، وإن كان لقريش فكذلك، فأخبر أنه خسرت يده التي كان عند النبي ﷺ بمناداه له، وبده التي عند قريش أيضاً بخسران قريش وهلاكهم في يد النبي عليه الصلاة والسلام. فهذا معنى «تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ». والمراد بالثاني: الإخبار بهلاكه نفسه. (٢٦٠: ٣٠) **الطَّبَاطِبَائِي**: وعيد شديد لأبي هب بهلاك نفسه وعمله وبنار جهنم ولأمراته، والتسوية مكّية.

التَّبَّ والتَّبَاب هو الخسران والهلاك، على ما ذكره الجوهري، ودوام الخسران على ما ذكره الراغب، وقيل: الحيلة، وقيل: الخلو من كل خير، والمعاني - كما قيل - متقاربة.

فقد الإنسان هي حضوه الذي يتوصل به إلى تحصيل مقاصده، ويُنسب إليه جُلُّ أفعاله، وتَبَاب يديه: خسرانها فيما تكتسبانه من عمل.

وإن شئت فقل: بطلان أفعاله التي يعملها بها من حيث عدم انتهائها إلى غرض مطلوب، وعدم انتفاعه بشيء منها، وتَبَاب نفسه خسرانها في نفسها بحرمانها من سعادة دائمة، وهو هلاكها المؤبد.

فقوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ» أي أهولب، دهاء عليه بهلاك نفسه وبطلان ما كان يأثبه من الأعمال، لإطفاء نور النبوة، أو قضاء منه تعالى بذلك.

(٣٨٤: ٢٠)

... وَكَذَلِكَ زَيْنٌ يَفْزَعُونَ سُوءَ عَمَلِهِ وَحُصْدٌ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ الْفَزَعُونَ إِلَّا فِي تَبَابٍ. المؤمن: ٣٧
ابن عباس: يقول: في خسران، ونحوه مجاهد (الطُّبْرِي ٢٤: ٦٦)، والزجاج (٤: ٣٧٥)، والبيضاوي (٢: ٣٣٦)، وشعر (٥: ٣٤٧). قتادة: أي في ضلال وخسار. (الطُّبْرِي ٢٤: ٦٦) نحوه الفَرطِيُّ (١٥: ٣١٥)، والبَرُوسِيُّ (٨: ١٨٤)، والحَزَوِيُّ (١: ٢٤٣).

ابن زيد: التَّبَاب والضلال واحد.

(الطُّبْرِي ٢٤: ٦٦)
الطُّبْرِي: إلّا في خسار وذهاب مال وفين، لأنّه ذهبت نفقة التي على الصّرح باطلاً، ولم يزل بما أنفق شيئاً مما أراد، فذلك هو الخسار والتَّبَاب.

(الطُّبْرِي ٢٤: ٦٦)
نحوه ابن خطبة (٤: ٥٦٠)، والمراغبي (٢٤: ٧٢).

السَّوَرْدِيُّ: [نقل قول قتادة ثم قال:]

وفيه وجهان: أحدهما: في الدنيا لما أطلعه الله عليه من هلاكه، الثاني: في الآخرة لمصيره إلى النار، قتاله الكلبي.

الطُّوسِي: يعني في هلاك. والتَّبَاب: الهلاك بالانتقطاع، ومنه قوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ» اللهب: ١، أي خسرت بانتقطاع الرجاء، ومنه تَبَّاله. (٧٩: ٩) نحوه الطُّبَاطِبَائِي.

البغوي: يعني وما كيد في إبطال آيات الله وآيات موسى إلّا في خسار وهلاك. (١١٣: ٤)

أبو حُبَيْدَةَ : التدمير والإهلاك.

(ابن الجوزي ٤ : ١٥٧)

الطُّبْرِي : غير تدمير وتدمير وإهلاك. يقال منه :

شَيْتَةُ أَنْبِيَاءِ تَنْبِيَاءٍ. ومنه قولهم للرجل : تَبًّا لَكَ. [ثم]

استشهد بشمر] (١٢ : ١١٣)

نحوه البُغْيُ.

الطُّوسِي : بمعنى غير تدمير، في قول مجاهد

وقَتَادَةَ : مأخوذ من تَبَّتْ يَدُهُ. أي خسرت، ومنه تَبَّاهُ.

[ثم استشهد بشمر] (٦ : ٦٢)

الواحدِي : غير خسار.

الرُّمَحْشَرِي : تخسير، يقال : تَبَّ، إذا خسِر، وتَبَّه

غيره، إذا أوقعه في الخسران. (٢ : ٢٩٢)

نحوه التَّسْنِي.

ابن عَطِيَّة : والتَّسْب : الخسران ومنه : ﴿ تَبَّتْ

يَدَايَ أَبِي قَبٍ ﴾. اللهم : ١. [ثم استشهد بشمر]

وحسرة زيادة الأضنام التَّسْبِ إِنَّمَا يَتَصَوَّرُ إِنَّمَا بَأْنَ

تَأْمِيلُهَا وَالثَّقَّةُ بِهَا وَالتَّسْبُ فِي عِبَادَتِهَا شَغَلَتْ نَفْسَهُمْ

وَصَرَفَتْهَا مِنَ التَّنْظَرِ فِي الشَّرْعِ وَعَاقِبَتِهَا، فَلَغِيَ عَنْ ذَلِكَ

خَسَرَتْ وَخَسِرَان. وَإِنَّمَا بَأْنَ هَذَا بِهَمٍ عَلَى الْكُفْرِ يَزَادُ إِلَيْهِ

عَذَابٌ عَلَى مَجْرَدِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. (٣ : ٢٠٦)

الطُّبْرِي : والمعنى لم يزيدوهم شيئاً غير الإهلاك

والخسار. وإنما أضاف الإهلاك إلى الأضنام، لأنها

التَّسْبُ فِي ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ يَزِيدُوهُمْ هَلْكَوْا. (٣ : ١٩١)

نحوه أبو السُّعُود (٣ : ٣٥٠)، وشيخ (٣ : ٢٤٧).

الفَخْرُ الرَّازِي : يقال : تَبَّ، إذا خسِر. وتَبَّه

غيره، إذا أوقعه في الخسران. والمعنى أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا

نحوه الرُّمَحْشَرِي (٣ : ٤٢٨)، والطُّبْرِي (٤ : ٥٢٤)،

والفَخْرُ الرَّازِي (٢٧ : ٦٧)، والتَّسْنِي (٤ : ٧٦)،

والنَّيْسَابُورِي (٢٤ : ٤٣)، والمُحَازَن (٦ : ٨٠).

ابن الجوزي : أي في بطلان وخسران. (٧ : ٢٢٣)

أبو حَبَّان : والتَّجَاب : الخسران، خسر مُلْكُهُ فِي

الدُّنْيَا قَبْلَهَا بِالْفَرْقِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَخْلُودُ النَّارَ. (٧ : ٤٦٦)

الآلُوسِي : أي في خسار، لأنه يَشْرُ بِتَقْدَمِ ذِكْرِ

لِلْكَبِدِ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَظْهَرُ. (٢٤ : ٧٠)

القَاسِمِي : أي خسار وإهلاك لذهاب نفقته على

الْمُتَرَحِّحِ بَدَى، وَعَدَمُ نَيْلِهِ - ثُمَّ أَرَادَهُ مِنَ الْإِطْلَاقِ - شَيْئًا.

(١٤ : ٥١٦٨)

عبد الكريم الخطيب : أي في فساد وضياح.

(١٢ : ١٢٣٦)

تَقْبِيبٌ

... قَمَّا أَفْتَتَ عَنْهُمْ أَلِهَتَهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ

الْحَيِّ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ جَاءَ أَفْرَزَ لَكَ وَتَارَافَهُمْ غَيْرَ تَقْبِيبٍ.

هود : ١٠١

ابن عباس : أنه التَّخْسِيرُ. (ابن الجوزي ٤ : ١٥٦)

نحوه ابن عمر، ومجاهد، (الطُّبْرِي ١٢ : ١١٣)

وقَتَادَةَ وابنُ قُتَيْبَةَ (ابن الجوزي ٤ : ١٥٦)،

وَالزَّجَّاجُ (٣ : ٧٧).

مُجَاهِد : التَّخْسِيرُ، هُوَ الْخَسِرَانُ.

(الماوردي ٢ : ٥٠٣)

أنه أهلكه. [ثم استشهد بشمر] (الماوردي ٢ : ٥٠٣)

ابن زَيْد : التَّسْبِيبُ : الْفَرْ. (الماوردي ٢ : ٥٠٣)

أمر الله، لأنه عطف على الفعل المقيد بالأسماء التوقيفية المفيدة أن ذلك كان في وقت مجيء أمر الله، وهو حلول العذاب بهم.

ووجه زيادتهم إيتاءهم تنبيهاً حينئذ أن تصميمهم على الطمع في إنقاذهم إيتاءهم من المصائب حالت دونهم ودون التوبة، عند سماع الوعيد بالعذاب.

ويعجز أن يكون العطف لجزم المشاركة في الصفة دون قيدها، أي زادوهم تنبيهاً قبل مجيء أمر الله، بأن زادهم اعتقادهم فيها انصرافاً عن النظر في آيات الرسل، وزادهم تأميلهم الأصنام. وقد كانت خرافات الأصنام ومناقبها الباطلة مغرية لهم بارتكاب الفواحش والفساد، وانحطاط الأخلاق وفساد التفكير جرأة على رحل الله. حتى حتى عليهم غضب الله المستوجب حلول عذابهم. (١١: ٣٢٧)

الطَّبَاطِبَائِي: التَّيْب: التَّيْب: الإهلاك، من «التَّبَّ» وأصله: القطع، لأنَّ عبادتهم الأصنام كان ذنباً مفتضياً لذابهم. ولما أحسَّوا بالعذاب والبؤس فالتجأوا إلى الأصنام ودعواها لكشفه، ودعاؤها ذنب آخر زاد ذلك في تشديد العذاب عليهم، وتغليظ العقاب لهم، لما زادوهم خير هلاك.

ونسبة التَّيْب إلى أَلْهَمَ مجاز، وهو منسوب في الحقيقة إلى دعائهم إيتاءها، وهو عمل لئيم، بالحقيقة بالداعي لا بالمدمو. (١١: ٦)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التَّيْب، أي الخسران

يعتقدون في الأصنام أنها تُعين على تحصيل المنافع ودفع المضار. ثم إنه تعالى أخبر أنهم عند محاسن الحاجة إلى المعين ما وجدوا منها شيئاً، لاجتلب نفع ولا دفع ضرر، ثم كما لم يجدوا ذلك فقد وجدوا ضده، وهو أن ذلك الاعتقاد زال عنهم به منافع الدنيا والآخرة، وجلب إليهم مضار الدنيا والآخرة، فكان ذلك من أعظم موجبات الخسران. (١٨: ٥٦)

نحوه البرسوي.

الْبَيْضَاوِي: هلاك أو تخير. (١١: ٤٨١)

الْقُرْطُبِيُّ: والتَّيْب: الهلاك والخسران، وفيه

إضمار، أي ما زادتهم عبادة الأصنام. فحذف المضاف، أي كانت عبادتهم إيتاءها قد خسرتهم نواب الآخرة.

(١١: ١٥٥)

أَبُو حَيَّان: والتَّيْب: التَّيْب: [ثم نقل الأقوال]

المتقدمة وأضاف:]

وهذه كلها أقوال متقاربة. (٥: ٢٦٠)

الْأَلَوْسِيُّ: [بعد نقل الأقوال قال:]

وحينئذ فالعق فإ زادوهم خير تخسير أو خسارة

لنفوسهم، حيث استحقوا العذاب الأليم الدائم حل عبادتهم لها. (١٢: ١٣٧)

ابن عاشور: وجملة «وَمَازَادُوهُمْ غَيْرَ تَبْيٍ»

علاوة وارتقاء على عدم نفعهم عند الحاجة، بأنهم لم يكن شأنهم عدم الإغناء عنهم فحسب، ولكثرت زادتهم تنبيهاً وخساراً، أي زادتهم أسباب الخسران.

والتَّيْب: مصدر تَبَّه، إذا أوقعه في التَّيْب، وهو

الخسارة. وظاهر هذا أن أصنامهم زادتهم تنبيهاً لما جاء

الحسن إلا حرف «التاء»، وندة الجهر إلا حرفا «الباء»
والنّال». إضافة إلى تضعيف «العين» و«اللام». كما أن
التياب - كما تقدم - يعني الهلاك والقطع، وكذا مقلوبه
«ب ت ت»، يقال: بث الشيء بثوثا، أي انقطع، لاحظ
«ب ت ت».

الاستعمال القرآني

جاءت هذه المائة أربع مرات: فعلاً ماضياً مرتين،
ومصدراً مرتين، في ثلاث آيات:

- ١- ﴿ثَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَثَبَّ﴾ اللهب: ١
- ٢- ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِقُرْعَوْنَ سُوءُ عَقْلِهِ وَضُدُّ حَقِّ
الشَّيْلِ وَتَاكُذُّ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ المؤمن: ٢٧
- ٣- ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لِمَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَتَارَادُ هُمْ مِنْ
تَبَابٍ﴾

هود: ١-١

يلاحظ أولاً: أن الفعل الماضي جاء في (١) مرتين،
مؤنثاً في الأولى وفاعله (يذا)، ومذكراً في الثانية وفاعله
(أبو لهب)، وهي جملة قصيرة استدعت بحرفاً طويلاً:

- ١- اتبّ والتباب - كما سبق - : الخسران والهلاك؛
والخسران: فقدان الشيء ثقاً كان أو غيره، والهلاك:
ذهاب الروح؛ فالأول للأشياء، والثاني للإنسان
والحيوان. وقد يجيء كلّ منها مكان الآخر ماضياً،
وكذلك دوام الخسران، أو الخسرة، وهي اليأس من
البلوغ إلى الأمل مقابل الرجاء، أو الخلو من الخير،
واختلفوا في تفسيرها بذلك، وزعم بعضهم أنها

والهلاك، يقال: تبّ فلانٌ تبّاً وتبّاً وتبّاً وتبّاً؛
خسِرَ وهلك. وتبّاً له: دعاء عليه بالهلاك والخسران.
يقال: تبّ تبّاً وتبّه: قال له: تبّاً، وتبّاً تبّاً: مبالغة
في ذلك، وتبّت يدها تبّاً وتبّاً: خسرتا، وتبّوهم
تبّاً: أهلكوهم، ووقعوا في تبّوب منكراً: مهلكة،
وتبّ: قطع، وهو بمعنى.

ويقال إذا سئل عن المرأة: أشابة أم ثابة؟ أي
أعجز هالكة أم شابة؟ والثاب: الكبير من الرجال،
وهو الضعيف أيضاً، يقال: استتبى، أي استظفني،
وأتبّ الله قوته: أوهنها، وسمار ثاب الظهر: دبّر، أي
مقود، وكذا جعل ثاباً، ورأيت بهتة، أي بحالة شديدة.
ومن الجاز: طريق مستتب: مذل، يقال: استتب
فلانٌ ثرثبةً وتبّة، أي شبه الطريق يطاءً، واستتب
أمر فلان: اطرد واستقام، من قرهم: طريق مستقيمة،
كأنه تبّ من كثرة وطء السابلة.

٢- وهناك فرق بين الهلاك والتباب، فالهلاك:
استتصال واجتثاث مباشر، والتباب: خسران يُغضى
إلى الهلاك بواسطة كالضغ، يقال: أتبّ الله قوته، أي
أوهنها، أو الذعاء، يقال: تبّاً له، أو الكبير، يقال:
أشابة أم ثابة؟ أي أعجز هالكة أم شابة؟ ولذا قال
بعض أصحاب المعاني، ومنهم الراغب: التباب:
الاستمرار في الخسران، والتضيق الاستمرار قيل:
استتبّ لفلان كذا، أي استمر.

٣- إن صيغ مادة «ت ب ب» تحكي الشدة نبرة
ومعنى، إذ أن حرف «التاء» مهموس شديد، وحرف
«الباء» مجهور شديد. ولا يتصف في اللغة العربية بشدة

متقاربة، وليست كذلك. وعندنا أن منشأ الخلاف - بعد
الوفاق على نزولها في أبي لُهب - هو الاختلاف في شأن
النزول:

أ- من قال: إن النبي لما جمع أقباءه - وفهم عنه أبو
لُهب - ودعاهم إلى الإسلام، قال له أبو لُهب: «تباً لك»،
أو «تباً لك وتعباً»، فنزلت جواباً له بلفظه، فهو من
قبيل ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ آل عمران: ٥٤، و﴿إِنَّمَا
لَهُنَّ مُنْقَرِضُونَ﴾ الله يستهزئ بهم ﴿البقرة: ١٤، ١٥،
فمضى الثَّيَاب فيها هو ما أراد أبو لُهب بقوله: «تباً»، وهو
هلاك النبي، ويؤيده قوله: «وتعباً»، أو خيبته في نيل
أُميته، وهي انتشار دعوته، وعليه فلا مجال للخسران.

ب- ومن قال: إن أبا لُهب كان يتوقع أن يفتله
الإسلام على غيره، فيحفظ بمقامه وجاهه بين الناس
ورفضه النبي، فقال: «تباً لهذا من دين»، أي: لأن هذا
الدين خسارة لي، حيث يسلب مني ما أمتاز به، ويجعلني
وهؤلاء سواء. فلم يكن كلامه دعاء هلك النبي، بل كان
هتافاً ضد الإسلام، ولهذا كرّره كما هو المعمول في
الفتنات، أي بسّ الدين الإسلام، بسّ.

وعليه فانه يقابله بهتاف مثله مع التكرار، بأن
الخسران لأبي لُهب فيما كسبه يداً من المال والجاء،
والخسران له في نفسه. فليست الآية خبراً عن مستقبله
ولادعاء عليه، وإنما هي هتاف بخسرانه. وهذا الوجه
لم يصححوا به فيما ذكروه من الوجوه، مع أنه يكاد يكون
أقربها إلى الصواب.

ج- وإليه يرجع القول بأن أبا لُهب - وكان كبير
القوم - كان يقول للذين أتوه وسألوه عن النبي: إنه

كذاب ساحر، فيرجمون عنه، حتى أتاه وفد فأعاد
عليهم كلامه، فقالوا: لا ننصرف حتى نسمع كلام محمد،
فقال لهم: إنا لم نزل نعالجه من الجنون، فتباً له وتعباً.
فهذا أشبه بالهتاف من الدعاء عليه أو الخبر عنه.

د- ومن قال: إن النبي لما دعا بني عبد المطلب
فاجتمعوا عنده، قال لهم: إن الله بعثني إلى الناس عامة
وإليكُم خاصة، وأن أعرض عليكم ما إن قبلتموه ملكتم
به العرب والمجم. قالوا: وما ذاك يا محمد؟ قال: أن
تقولوا: لا إله إلا الله وإني رسول الله. فقال أبو لُهب: تباً
لهذا من دين، أي أن هذا الذين يخفق خائب، لا ينجح في
القضاء على الآفة، ولا ينال به بنو عبد المطلب ملك
العرب والمجم.

هـ- وهذا أقرب إلى الخبر عن مستقبل هذا الدين
الخاصة بهم، وعدهم النبي، فنزلت الآية تكذيباً لأبي
لُهب بأنه هو الخائب بنفسه وبما كسب يداً، لا هذا
الدين، فجابه الله بأشد ما قاله، حين عظم خيبته
وإخفاقه على نفسه، وما كسبته يداً.

و- ومن قال: إن أبا لُهب أخذ حجراً ليرمي به رسول
الله، إذ إنه كان حين يصير الوفد على لقاء النبي يضرب
بيده على كتف الوافد، ويقول له: انصرف راشداً غير أنه
مجنون، فنزلت إعلالاً بأنه خاسر في ما أراد من صرف
الناس عنه، وخسرت يداً في ما كسب بهما، فهذا خبر
عنه، أو دعاء عليه، مجابهة لما عمله لئلا قاله.

ز- إلى هذا يذهب من قال بأن «اليد» بمعنى النعمة -
وهو أبعد الوجوه - لأن أبا لُهب كان يُحسن إلى النبي وإلى
قريش، وكان يقول: إن كان الأمر لمحمد فلي عنده يد،

تَبَابٌ ﴿١﴾ ، كَيْدُ فِرْعَوْنَ فِي مُوَاجَهَةِ الْمُؤْمِنِ مِنْ إِلَهٍ الَّذِي كَانَ
يُدَافِعُ عَنْ مُوسَى بِضُرُوبٍ مِنَ الْخُطَابِ - الْمُؤْمِنُ : ٢٨ -
٣٩ - وَهُوَ قَوْلُهُ لِقَوْمِهِ : ﴿تَسَاءَلُوكُمْ إِلَّا قَالُوا لَا
وَمَا نَهَدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ الْمُؤْمِنُ : ٢٩ ، وَقَوْلُهُ :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ فَتَهْتَكُوا سُبُلَ اللَّهِ﴾ الْمُؤْمِنُ :
٣٦

فَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنْ مُوسَى وَدَعْوَتِهِ قَوْلًا
وَعَمَلًا ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يَفْلَحُ فِي كَيْدِهِ هَهُوَ خَاسِرٌ ،
وَالْتَبَابُ هُوَ الْخُسْرَانُ وَالْهَلَاكُ - وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُنَاسِبُ فِي
الآيَةِ ، وَلَفْظُ «التَّبَابِ» فِيهَا مُسَاوِقَةٌ لِرُويِ الْآيَاتِ ،
فَقِيلَ : مَرْتَابٌ ، جَبَّارٌ ، أَسْبَابٌ ، وَبَعْدُهَا : الرَّشَادُ ، الْقَرَارُ ،
الْحِسَابُ .

ثَالِثًا : جَاءَ فِي (٣) ﴿وَمَا زَادَهُمْ عُصْبَةٌ تَنْبِيْهُ﴾ ،
فَبَسَّرَهُ بَعْضُهُم بِالْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ ، وَبَعْضُهُم بِالْإِهْلَاكِ
وَالْتَّخْسِيرِ ، وَهُوَ مُقْتَضَى صِيغَةِ «التَّضْيِيقِ» ، وَضَمِيرُ
الْجَمْعِ (زَادُوا) يَرْجِعُ إِلَى الْأَصْنَامِ ، لِأَنَّ السَّبَبَ فِي
خُسْرَانِهِمْ ، وَكَانَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا يَمْتَقِدُونَ أَنَّهَا تُعِينُهُمْ
عَلَى تَحْصِيلِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ . فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُمْ
مَاهَتُوا عَلَى بَيْتِهِمْ ، بَلْ عَثَرُوا عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ ، لِأَنَّ هَذَا
الْإِعْتِقَادَ أَزَالَ عَنْهُمْ مَنَافِعَ الذَّاكِرِينَ وَجَلَبَ إِلَيْهِمْ
مَضَارَّهَا . وَهُوَ مُجَازٌ فِي الْإِسْنَادِ ، لِأَنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى
عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ هُمُ الَّذِينَ زَادُوهُمْ التَّضْيِيقَ وَالتَّخْسِيرَ .

وَسَوَاءٌ كَانَ التَّضْيِيقُ بِمَعْنَى التَّخْسِيرِ أَوِ الْخُسْرَانِ ،
فَالرَّدِيُّ قَدْ رُوِيَ بَيْنَ الْآيَاتِ ، لِأَنَّ قَبْلَهَا : رَشِيدٌ ،
الْمُرْدُودُ ، الْمَرْفُودُ ، الْحَصِيدُ ، وَبَعْدُهَا : شَدِيدٌ ، مُتَشَدِّدٌ ،
سَعِيدٌ .

وَإِنْ كَانَ لِقَرِيْشٍ فَكَذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ بِأَنَّهُ قَدْ خَسِرَتْ
يَدُهُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ بِعُنَايَةِ لَهُ ، وَالَّتِي عِنْدَ قَرِيْشٍ
بِخُسْرَانِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ ، وَعَلَيْهِ فَالْآيَةُ تَكْذِيبٌ لَهُ وَإِخْبَارٌ
بِأَنَّهُ خَاسِرٌ فِي مَا زَعَمَهُ مِنْ أَنَّ لَهُ يَدًا عِنْدَ النَّبِيِّ وَقَرِيْشٍ ،
فَلَا تَنْفَعُهُ تِلْكَ الْيَدُ الْمَزْعُومَةُ .

٢ - اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهَا خَبَرٌ عَنْ أَبِي هُبَيْرٍ ، وَأَيْدُوهُ
بِقِرَامَةِ ابْنِ مَسْمُودٍ (وَقَدْ تَبَيَّنَ) ، أَوْ دَعَاءٍ عَلَيْهِ . وَقَدْ ظَهَرَ
الصُّوَابُ مِنْ خِلَالِ الْوُجُوهِ الْمَذْكُورَةِ ، وَأَنَّ كَلَامَهَا يَطْبِقُ
عَلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لِأَكْلِهَا ، وَأَنَّ الْأَقْرَبَ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ
هَتَاكًا .

٣ - أَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْأَوَّلَى دَعَاءٌ وَالثَّانِيَةُ إِخْبَارٌ عَنْ
وَقْوَعِهِ ، وَأَنَّهَا حَالٌ مِنَ الْأَوَّلَى . أَوْ أَنَّ الْأَوَّلَى دَعَاءٌ لِمَا
إِخْبَارٌ مِنْ نَفْسِهِ ، وَالثَّانِيَةُ عَنْ وَلَدِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ مُتَوَلِّطًا
مَعَهُ فِي دَعَاءِ النَّبِيِّ . أَوْ أَنَّ الْأَوَّلَى دَعَاءٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ
لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ رِيَّتِهِ ، وَالثَّانِيَةُ دَعَاءٌ ، حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ
رَسُولِهِ . أَوْ أَنَّهَا إِخْبَارٌ بِأَنَّ يَدَيْهِ وَنَفْسَهُ خَاوِيَةٌ مِنْ كُلِّ
خَيْرٍ . أَوْ أُرِيدَ بِالْيَدَيْنِ نَفْسَهُ ، تَعْيِيرًا بِالْجُزْءِ عَنِ الْكُلِّ ،
وغيرها مما جَاءَ خِلَالِ النُّصُوصِ ، فَالْأَوَّلَى الْإِنْصِرَافُ
عَنِ الْغُلُوضِ فِيهَا .

٤ - وَمِمَّا كَانَ مَعْنَى الْجُمْلَةِ ، فَمَا بَعْدُهَا تَخْسِيرٌ لَهَا
﴿وَمَا أَغْنَى عَنْهُ قَالَةٌ وَتَاكْسَبُ﴾ .

٥ - يَنْطَلِقُ بِالْبَالِ أَنْ تَكَرَّرَ (تَبَّ) بَعْدَ (تَبَّتْ) تَهْيِيدٌ
لِرُويِ الْآيَاتِ الَّتِي تَلَتْهَا ، فَبَعْدُهَا : كَسْبٌ ، هَبٌ ، وَهَذَا
تَخْفِيرٌ وَإِدَانَةٌ لِأَبِي هُبَيْرٍ - الْمُخْطَبُ ، وَهَذَا تَخْفِيرٌ وَإِدَانَةٌ
أُخْرَى لَهُ .

ثَانِيًا : جَاءَ فِي (٢) : ﴿وَمَا كُنْتُمْ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي

رابعاً: جاءت (١) في شأن أبي لُب، و(٢) و(٣) في شأن فرعون. رمزاً إلى أنها متشابهان نفساً واعتقاداً وعملاً ومسلِكاً واستكباراً وعاقبة في الدنيا والآخرة، كما يشهد بها الكتاب والسنة، والتاريخ. فكان أبو لُب الدّأعداء النّبيّ، كما كان فرعون لموسى، ومن ذلك

يُستنتج أنّ مادّة «ت ب ب» خاصّة - في حرف القرآن - بالمستكبرين الثّناء الذين كانوا رؤوس الضّلال ومعاقل الاستكبار، ويعضدها ويقوّها تضعيف حرف «الباء» بجرّدة ومزيدة، كما سبق في الأصول اللّغويّة.



ت ب ر

٥ الفاظ ، ٦ مرّات مكتبة ، في ٤ سور مكتبة

ثَبَرًا ١:١	لِثَبْرٍ ١:١	والتَّبراء: الحسنة اللون من الثوب.
ثَبْرُنَا ١:١	ثَبْرٌ ١:١	(الأزهري ١٤: ٢٧٦)
ثَبِيرًا ٢:٢		الزُّجَّاج: الثَّيَر: التَّدْمِير والهلاك. وكلُّ شيء كسَّرْتَهُ وَقَتْنَهُ فَقَدْ ثَبَرْتَهُ. ومن هذا قيل لكُسِّر الزُّجَّاج: الثَّيَر: وكذلك يَبْر الذهب. (٦٨: ٤)

النصوص اللغوية

الخليل: الثَّيَر: الذهب والفضة، قيل أن يُفعل.	ابن قُرَيْد: الثَّيَر: الذهب. وقال قوم: هو الذهب المستخرج من المعادن قبل أن يُصاغ، وقال قوم: بل الذهب كله يَبْر.
ويقال: كلَّ جَوْهَرٍ قَبْلَ أَنْ يُسْتَعْمَلَ ثَبْرٌ، من الثَّحاس والضَّغَر. [ثمَّ استشهد بشعر]	والتَّبار: الهلاك، تَبَرَهُ الله تَبِيرًا، إذا أَهْلَكَه ومَحَقَهُ. (١٩٣: ١)
وتَبِيرًا.	الأزهري: الثَّيَر يقع على جميع جواهر الأرض قبل أن تُصاغ، منها الثَّحاس والضَّغَر والشَّبه والزُّجَّاج وغيره. (١٤: ٢٧٦)
أَبُو عُبَيْدَةَ: ويقال: في رأسه ثَبِيرَةٌ - هي لُصَّة في الْهَبْرَةِ - وهو الَّذِي ^(١) يَكُونُ في أَسْوَاطِ الشَّعْرِ مِثْلَ الثَّخَالَةِ.	
(الجهوي ٢: ٦٠٠)	

الصَّاهِب: [نحو الخليل وأضاف:]

والتَّيَرَةُ: الهلاك.

ابن الأعرابي: الثَّيَر: الفُتَات من الذهب والفضة

قيل أن يُصاغ، فإذا صيغاً فيها ذهب وفضة.

المشهور: الهالك، والمَشْبُور: الناقص.

(١) كذا، والمظاهر: وهي التي تكون...

والثَّيْرَةُ: مثل الهَيْرَةِ، في الرَّأس.

والثَّيْبَرُ، في لغة جَنْزٍ: التَّكْسِيرُ والتَّطْيِيعُ.

(٩: ٤٣٠)

الْعَطَابِيُّ: في حديث النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الذَّهَبُ

بِالذَّهَبِ يَبْرُهَا وَعَيْنُهَا، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ يَبْرُهَا وَعَيْنُهَا،
وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ مُدِّي بَدِي».

الثَّيْرُ: جَوْهَرُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، يَقَالُ لِلْقِطْعَةِ مِنْهَا:

يَبْرَةٌ، مَا لَمْ يُطْبَعْ، فَإِذَا ضُرِبَتْ دِرَاهِمٌ أَوْ دَنَانِيرٌ سُمِّيَتْ:

عَيْشًا، حَرَّمَ ﷺ التَّخَاضُلَ فِيهَا، سِوَاهُ كَانَ يَبْرًا بِضُرُوبٍ،

أَوْ عَيْشًا بَعَيْنٍ. (١١: ٢٤٧)

نَحْوُ الزُّخْمَشَرِيِّ. (الفائق ١: ١٤٦)

ابن جَنْيٍ: لَا يَقَالُ لَهُ: يَبْرٌ حَتَّى يَكُونَ فِي لَبَّابٍ

مَعْدَنِهِ أَوْ مَكْرُورًا. (ابن منظور ٤: ١٨٨)

الْجَوْهَرِيُّ: الثَّيْرُ: مَا كَانَ مِنَ الذَّهَبِ غَيْرِ

مَضْرُوبٍ، فَإِذَا ضُرِبَ دَنَانِيرٌ فَهُوَ عَيْنٌ، وَلَا يَقَالُ: يَبْرٌ

إِلَّا لِلذَّهَبِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُهُ لِلْفِضَّةِ أَيْضًا.

وَالثَّبَارُ: الْهَلَاكُ، وَتَبْرُهُ تَبِيرٌ، أَيْ كَسَرُهُ وَأَهْلَاكُهُ،

و﴿هُؤُلَاءِ مَسْتَبْرَأُونَ فِيهِ﴾ الْأَعْرَافُ: ١٣٩، أَيْ

مَكْشَرٌ مَهْلِكٌ. (٢: ٦٠٠)

ابن فَارِسٍ: التَّاءُ وَالْبَاءُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ، مُتَبَاعِدٌ

مَا بَيْنَهُمَا: أَحَدُهُمَا: الْهَلَاكُ، وَالْآخَرُ: مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ.

فَالْأَوَّلُ: قَوْمُهُمْ: تَبْرٌ اللَّهُ عَمَلُ الْكَافِرِ، أَيْ أَهْلُكَ

وَأَهْلُكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَسْتَبْرَأُونَ فِيهِ

وَيَبْتَغِلُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الْأَعْرَافُ: ١٣٩.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الثَّيْرُ، وَهُوَ مَا كَانَ مِنَ الذَّهَبِ

وَالْفِضَّةِ غَيْرَ مَصْرُوعٍ. (١: ٣٦٢)

الْقَالِبِيُّ: لَا يَقَالُ لِلذَّهَبِ: يَبْرٌ إِلَّا مَا دَامَ غَيْرَ

مَصْرُوعٍ. (٥٢)

ابن سَيِّدِهِ: الثَّيْرُ: مَا كَانَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ غَيْرَ

مَصْرُوعٍ، وَالذَّهَبُ كُلُّهُ مَا كَانَ.

وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ جَوْهَرٍ قَبْلَ اسْتِعْمَالِهِ كَالنَّحَاسِ

وَالْحَدِيدِ وَغَيْرِهِمَا، وَأَكْثَرُ اخْتِصَاصِهِ بِالذَّهَبِ، وَيَكُونُ

فِي غَيْرِهِ فَرْعًا وَبِمَجَازٍ. (الإفصاح ٢: ١٠٣٦)

نَحْوُ الْمَدِينِيِّ (١: ٢١٤)، وَابْنِ الْأَثِيرِ (١: ١٧٩).

الزُّرَّاقِيُّ: الثَّيْرُ: الْكُسِيرُ^(١) وَالْإِهْلَاكُ، يَقَالُ: تَبْرَهُ

وَتَبْرُهُ. [تَمَّ ذِكْرُ الْآيَاتِ] (٧٢)

الزُّمَخْشَرِيُّ: أَدْرَكَ الثَّبَارَ، وَغَدَّ ثَبْرًا، وَتَبْرَهُ اللَّهُ.

وَالْبُرُّ يَبْرُ، وَهُوَ يَضْرِبُ، وَالْعَيْنُ تُضْرَبُ مِنَ الثَّيْرِ.

(أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٣٦)

الطُّهْرِيُّ: وَالتَّيْبَرُ: الْإِهْلَاكُ، وَالتَّبَارُ وَالْهَلَاكُ

وَالدَّمَارُ وَاحِدٌ، وَكُلٌّ مَا يَكْسُرُ مِنَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ: يَبْرُ.

(٣: ٣٩٨)

وَالتَّيْبَرُ: الْإِهْلَاكُ، وَالْأَسْمُ مِنَ الثَّبَارِ، وَمِنْهُ قِيلَ:

الثَّيْرُ قُطْعُ الذَّهَبِ. (٤: ١٦٩)

ابن الْأَثِيرِ، فِي حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَجْبُورٌ

حَاضِرٌ وَرَأَى مُتَبْرًا^(٢) أَيْ مُهْلِكًا. (١: ١٧٩)

الصُّغَانِيُّ: وَمَا أَصَابَ مِنْهُ تَبْرٌ^(٣)، أَيْ شَيْئًا.

تَبْرٌ: هَلَكٌ، وَتَبْرٌ: أَهْلَكٌ. (٢: ٤٣٠)

(١) هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَفِي الْأَصْلِ بَدَلُهُ «الْكُسِيرُ»

(٢) وَذَكَرَ الْإِسْنَانُ عَلَى حَسَبِهَا اسْمَ الْمَفْعُولِ، «مُتَبْرًا» أَيْ مُهْلِكًا. (٤: ٨٨)

(٣) ذَكَرَ الْإِسْنَانُ: وَمَا أَصَابَتْ مِنْهُ تَبْرِيْرًا، أَيْ شَيْئًا... وَقَالَ لَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا هِيَ الثَّيْبَرُ. (٤: ٨٨)

لاستعمل إلا في الهلاك من هذا الطريق، وبهذه الهيئة.
وهذا هو الفرق بينها وبين الهلاك فإنه مطلق. [ثم
ذكر الآيات إلى أن قال:]

فالتبار بالفتح، هو ما يحصل من التبر، كالكلام من
التكليم، والتبر هو «تفعل»، ولما كانت صيغة
«تفعل» تدل على جهة وقوع الفعل ونسبته إلى المفعول
به، انتخبت في هذه الموارد المتضمنة لهذا المعنى.

(١: ٣٥٦)

التخصص التفسيري

تبارا

ولا تزد الطائين إلا تبارا. (نوح: ٢٨)
مجاهد وخاريا. (الطبري: ٢٩: ١٠١)
وهذا المعنى مروي عن الإمام الباقر عليه السلام.

(القمي: ٢: ٣٨٨)

السدي: ضللا. (٣: ١٩٠)

أبو عبيدة: إلا هلاكًا. (٢: ٢٧٦)

مثله السجستاني (١٩٩) والأكوسي (٢٨١: ٢٩).

الزجاج: معناه إلا تبارا، والتبار: الهلاك، وكل
شيء أهلك فقد تبر، ولذلك سمي كل مكسر تبرًا.

(٥: ٢٣٦)

الطبري: لا تزد هم إلا منعا من الطاعات، عقوبة
هم على كفرهم، فإنهم إذا ضلوا استحقوا منع الأطفال
التي يحفل بالمؤمنين فيطيعون عندها، ويمثلون أمر الله.
ولا يجوز أن يقتل بهم الضلال عن الحق لأنه سفيه،

الفيومي: تبر تبر وتبر، من بابي «قتل وتبر»: هلك.
ويستعمل بالتضعيف، فيقال: تبره، والاسم:
التبار، والفعال بالفتح يأتي كثيرا من «قتل» نحو كلم
كلاما، وسلم سلاما، وودع ودعا. (٧٢)
نحوه يفتح اللفظة (١: ١٤٦). ومحمد إسماعيل إبراهيم
(١: ٨٧).

الفيروز ابادي: التبر بالكسر: الذهب والفضة أو
فتاتها، قبل أن يباعا، فإذا صيغا فيها ذهب وفضة، أو
ما استخرج من المعدن قبل أن يباع، ومكسر الزجاج،
وكل جوهر يستعمل من النحاس والفضة.

وبالفتح: الكسر والإهلاك، كالشبر فيها، والفعل
كـ «ضرب» وكـ «سحاب»: الهلاك.
والشبراء: الناقة المستنة اللون.
والشبر: الهالك.

وما أصبت منه تبريرا، بالفتح: شيئا.
والشبرية بالكسر كالتغالة، تكون في أصول الشمر.
وتبر كفرح: هلك، وأتبر عن الأمر. (١: ٣٩٣)
الطبري: وفي الحديث: «ليس في التبر زكاة»
التبر بكسر التاء فالتكون، هو ما كان من الذهب غير
مضروب، فإذا ضرب دنابر فهو عين. ولا يقال: تبر
إلا للذهب، وبعضهم يقول للفضة أيضا. (٣: ٢٣٢)

محمود شيت: تبر الجيش أعداء: أهلكهم.
(١: ١١٠)

المصطفوي: والذي يظهر من الدقة في موارد
استعمال هذه المادة، أن الأصل فيها: هو كسر العلو
وحط المقام، إلى أن يوصل إلى الفناء والهلاك. ومن هذا:

تَبَرَّنَا - تَتَبَّرًا

وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرَّنَا تَتَبَّرًا.

الفرقان: ٣٩

سعيد بن جبيرة: تَبَرَّرَ، بِالطَّبْرِ. (الطَّبْرِيُّ: ١٩: ١٦)
نحوه: الثَّمِي.

الحسن: تَبَرَّ الله كُلًّا بِعَذَابٍ تَتَبَّرًا.

(الطَّبْرِيُّ: ١٩: ١٦)

الإمام الصادق عليه السلام: يَمْنِي كَسَرْنَا تَكْسِيرًا.

(الثَّمِي: ٢: ١١٤)

ابن جزيج: بالعذاب. (الطَّبْرِيُّ: ١٩: ١٦)

المؤرج: دَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا. يُبْدَلُ النَّاءُ وَالْيَاءُ مِنْ

إِلْدَالٍ وَالْمِيمِ. (الْقُرْطُبِيُّ: ١٣: ٣٤)

الفرعاء: أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَهْلَانَاهُمْ إِيَادَةً. (٢: ٢٦٨)

ابن قتيبة: أَي أَهْلَكْنَا وَاسْتَأْصَلْنَا. (٢: ٧٥)

ابن قتيبة: أَي أَهْلَكْنَا وَدَمَرْنَا. (٣١٣)

منه: الثَّمَس.

الطَّبْرِيُّ: كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَا لَكُمْ أَمْرَهُمْ،

وَاسْتَأْصَلْنَاهُمْ، فَدَمَرْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ إِيَادَةً، وَأَهْلَكْنَاهُمْ

جَمِيعًا. (١٩: ١٥)

الطَّبْرِيُّ: أَي أَهْلَكْنَا كُلًّا مِنْهُمْ إِهْلَاكًا. وَالتَّيْبَرُ:

تَكْبِيرُ الْإِهْلَاكِ. (٧: ٤٩١)

نحوه: البَقْوِيُّ (٣: ٤٤٦)، وَالتَّيْبَرِيُّ (٣: ١٦٧)،

وَالتَّيْبَرِيُّ (٤: ١٧٠)، وَالتَّيْبَرِيُّ (٥: ٨٤)، وَابْنُ كَثِيرٍ

(٥: ١٥٣)، وَالتَّيْبَرِيُّ (٢: ٦٦٢).

التَّيْبَرِيُّ: التَّيْبَرُ: التَّكْسِيرُ وَالتَّقْطِيعُ. (٧: ٣٦)

الرَّمْخَمِيُّ: التَّيْبَرُ: التَّكْسِيرُ وَالتَّقْطِيعُ. (٣: ٩٢)

فصالح الله عن ذلك علوًا كبيرًا. (الطَّبْرِيُّ: ١٠: ١٤٣)

الإِسْكَافِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا

ضَلَالًا﴾ نوح: ٢٤، وَقَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿وَلَا تَزِدِ

الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

لِلسَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْأَوَّلِ وَاخْتِصَاصِهِ بِالْإِضْلَالِ،

وَعَنِ الثَّانِي وَاخْتِصَاصِهِ بِالْإِهْلَاكِ الَّذِي هُوَ التَّبَارُ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْأَوَّلَ جَاءَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَزِدْ

وَيُتَوَقَّى وَتَبَرُّا﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ نوح: ٢٣، ٢٤، أَي

لَمَّا قَالُوا: ﴿لَا تَذَرُنَا الْهَيْكَلُكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾

نوح: ٢٣، فَأَمَرُوا أَتْبَاعَهُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِعِبَادَةِ هَذِهِ

الْأَصْنَامِ، وَأَضَلُّوهُمْ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ، دَعَا عَلَيْهِمُ

نوح عليه السلام بِأَنْ يُضَلَّهُمُ التَّوَابُ بَعْدَ اسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ،

لِجَوَابِ قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ نوح: ٢٤.

وَأَمَّا الْآخِرُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ: زِدْهُمْ هَلَاكًا غَيْرَ هَلَاكِ

وَهَذَا هَلَاكِ عَذَابٍ، بِمَا وَافَقُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَةَ مِنْ كُفْرٍ

وَضَلَالٍ، وَذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِ النَّارِ، فَاقْتَضَى كُلُّ مَنْ

الْمَكَانَيْنِ مَا جَاءَ فِيهِ. (١: ٥٠)

نحوه: البَقْوِيُّ (١٠: ١٨٦)، وَالتَّيْبَرِيُّ (١٠: ٢٤٢).

الطَّبْرِيُّ: [قَالَ نَحْوُ الزَّبَّاجِ وَأَضَافَ:]

وَيَعُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ لَا تَزِدْهُمْ إِلَّا ضَلَالًا، أَي عَذَابًا

عَلَى كُفْرِهِمْ.

البَقْوِيُّ: أَي هَلَاكًا وَدَمَارًا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاةَ

فَأَهْلَكَهُمْ. (٥: ١٥٩)

مثلُه: التَّيْبَرِيُّ.

التَّيْبَرِيُّ: أَي هَلَاكًا وَدَمَارًا وَكُفْرًا. (١٠: ٢٤٢)

- نحوه القُطر الرّازي (٢٤ : ٨٣)، والطّباطبائي (١٥ : ٢١٨).
- القُطرطبي : أي أهلكنا بالمذاب. (٣٤ : ١٣)
- نحوه عبد الكريم الخطيب. (٢٧ : ١٠)
- التيضاوي أي فتنا تفتيًا، ومنه التّبر لفتات الذهب والفضة. (١٤٥ : ٢)
- التيسابوري، أهلكنا أشنع الإهلاك حين لم ينجع فيهم ضرب الخيل. (١٥ : ١٩)
- أبو السُّعود : «تَبَرُّنَا تَبِيرًا» عجيبًا هائلًا، لما أنتم لم يتأثروا بذلك ولم يرفضوا له رأسًا، وقادوا على ما هم عليه من الكفر والمدون. وأصل التّبير : التّفنيت. (١٣ : ٥)
- نحوه الأكوسي. (٢١ : ١٩)
- البرّوسوي : أهلكنا إهلاكًا عجيبًا هائلًا، فإن التّبير - بالفتح والكسر - : الإهلاك، والتّبير : التّكسير والتّقطيع. (٢١٤ : ٦)
- القاسمي : أي إهلاكًا عظيمًا. (٥٧٨ : ١٢)
- يَتَبَرُّوا - تَتَبَرُّوا
- ...وَلْيَتَبَرُّوا مَاعْلَوْا تَبِيرًا. الإسراء : ٧
- ابن هُبّاس : تدميرًا. (الطُّبري ١٥ : ٤٣)
- قَتَادَة : يدمروا ماعلوا تدميرًا. (الطُّبري ١٥ : ٤٣)
- نحوه ابن جُرَيْج. (النّحاس ٤ : ١٢٥)
- قُطْرُب : إنه الهدم والإخراب. (المأوردي ٣ : ٢٣١)
- ابن قُتَيْبَة : أي ليدمروا ويحترقوا. (٢٥١)
- نحوه السجستاني (١٠٦ : ١)، وابن الجوزي (١١ : ٥)، وابن كثير (٤ : ٢٨٢).
- الطُّبري : وليدمروا ماعلوا عليه من بلادكم تدميرًا. (٤٣ : ١٥)
- نحوه الطُّوسي (٦ : ٤٥١)، والبغوي (٣ : ١٢٣)، والخازن (٤ : ١١٨).
- الرّجّاج : أي ليدمروا في حال علوّهم عليكم. (٢٢٨ : ٣)
- القَمَيْسي : (ما) والفعل مصدر، أي وليتبروا علوّهم، أي وقت علوّهم، أي وليهلكوا ويفسدوا وقت تكّهم، فهو بمنزلة قولك : جئتكم مقدّم الحاج وخفوق الثّيم، أي وقت ذلك. (٢٨ : ٢)
- نحوه غير البركات. (٨٧ : ٢)
- المأوردي : إنه الهلاك والدمار. (٢٣١ : ٣)
- الميندي : أي لهلكوا ويفسدوا «مَاعْلَوْا تَبِيرًا» ماستطاعوا وملكوا إهلاكًا وإفسادًا. والتّبار : الهلاك والفساد. (٥٢٠ : ٥)
- الرّمخسري : (مَاعْلَوْا) مخمول (ليُتَبَرُّوا) أي لهلكوا كلّ شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدّة علوّهم. (٤٣٩ : ٢)
- نحوه الصّكبري (٢ : ٨١٤)، والبيضاوي (١ : ٥٧٨)، والنسي (٢ : ٣٠٨)، وأبو حيان (٦ : ١١)، وأبو السُّعود (٤ : ١١٢)، والكاشاني (٣ : ١٧٨)، والبرّوسوي (٥ : ١٣٤)، والأكوسي (١٥ : ٢٠).
- الطُّبرسي : أي وليدمروا وهلكوا ماعلوا عليه من بلادكم تدميرًا. ويجوز أن يكون (ما) مع الفعل بتأويل المصدر والمضاف محذوف، أي ليتبروا مدّة

- علوهم. (٣٩٩: ٣) أبو اليسع: ضلال. (الماوردي ٢: ٢٥٥)
- نحوه الشربيني. (٢: ٢٨٤) ابن زيد: في قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعَةٌ مَاهُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا كله واحد، كهينة غفور رحيم، غفور غفور.
- الفخر الرازي: وقوله: (تثيرة) ذكر للمصدر على معنى تصديق الخبر وإزالة الشك في صدقه، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤، أي حقًا، والمعنى: وليدتموا ويخربوا ما غلبوا عليه. (٢٠: ١٥٩)
- نحوه النيسابوري. (١٥: ١٠) القراحي: ليهلكوا ما دخرتموه وخزنتموه تثيرًا شديدًا، فلا يبقون منه شيئًا. (١٥: ١٥)
- عِزَّةٌ دَرَوَزَةٌ: ليدتموا ما أنشأوه ورضوه عاكًا. (٣: ٢١٨)
- الطباطبائي: أي ليهلكوا الذي غلبوا عليه إهلاكًا، فيقتلوا النفوس ويحرقوا الأموال ويهدموا الأبنية ويخربوا البلاد. (١٣: ٤٢)
- الماوردي: [نقل الأقوال الثلاثة: باطل، ضلال، مهلك، في معنى (متبر) ثم قال:] وفي تسميته بذلك قولان: أحدهما: لأن موسى يهلكه. والثاني: لكسره، وكل إناء مكسور: متبر، قاله الزجاج، وقال الضحاك: هي كلمة بطلية، لما ذكرنا. (٢: ٢٥٥)
- متبر
- الطوسي: يشير فيه إلى العابد والمعبود من الأصنام، ومناه مهلك، فالمتبر: المهلك المدثر عليه. (٤: ٥٦١)
- نحوه الطبرسي (٢: ٤٧٢)، والفخر الرازي (١٤: ٢٢٤)، والقرطبي (٧: ٢٧٣).
- الزَّمَطَقُورِيُّ: مدثر مكشّر ما هم فيه، من قوهم: إناء متبر، إذا كان فضاضًا. ويقال لكسار الذهب: التبر. أي يتبرّأه وهدم دينهم الذي هم عليه على يدي، وعظم أصنامهم هذه، ويتركها رضاضًا. [إلى أن قال:] وفي إيقاع (هؤلاء) اسمًا ل(إن) وتقديم خبر المبتدأ
- ابن عباس: خسران. (الطبري ٩: ٤٦)
- الشدي: أي مهلك ما هم فيه. (٢٧١)
- نحوه السجستاني (٦٩)، وابن قتيبة (١٧٢)، والبقوي (٢: ٢٢٧)، والمجازين (٢: ٢٣٠)، والقاسمي (٧: ٢٨٤٦).
- أي مهلك مدثر رديء العاقبة. (ابن عطية ٢: ٤٤٨)
- نحوه الزجاج. (٢: ٢٧١)
- الكلبي: باطل. (الماوردي ٢: ٢٥٥)

الشكون. في محل رفع مبتدأ مؤخر. (هُم) مبتدأ. (فيه)، متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. والمجسلة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. هذا.

ومحور اعتبار (مُتَّبِعٌ) خبر (لَنْ)، و(ما) فاعل، أو نائب فاعل له. لأنه قوي بوقوعه خبراً، (باطل) مفعول على (مُتَّبِعٌ).

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التبار، وهو الهلاك والكسر. يقال: تَبَرَّ تَبَرُّ تَبَاراً، أي هلك وانكسر فهو تَبَرٌّ. وتَبَرَّه تَبَرُّه: أهلكه وكسره وفقته. وفي حديث علي عليه السلام: «تَبَرَّ حَاضِرٌ وَرَائِي مُتَّبِعٌ»، أي رأي مهلك. وقال الشاعر: التَّبَرُّ، في لغة بني تميم: التَّكْسِيرُ. وكذا روى السيوطي في الإتيان (١٣١: ٢). فَعَبَّ «أرثر جفري» في مفرداته قائلاً: يريد بذلك أنه أَرَامِي.

ومما يجدر ذكره هنا أن «تَبَرَّ» جاء في الآرامية والسريانية بلفظ «تَبَرَّ»، وفي الأكديّة بلفظ «شبارو»، وهو يعني فيها الهلاك والتدمير والتفتيت أيضاً. ولكن ذلك لا يعني أن العبرية قد أخذته من إحدى هذه اللغات؛ إذ كل اللغات السامية تنسب إلى دوحه واحدة.

٢- أما «التَّبَرُّ» فهو سرياني على الأظهر، ويعني فيها الزجاج المقت. وكذا في العبرية على أحد الأقوال، وقيل: هو فتات الذهب والفضة وسائر المعادن قبل أن يستعمل، ثم اختص بالذهب والفضة، حتى سُميت الناقة

من الجملة الواقعة خبراً لها وشم لتبدة الأصنام. بأنهم هم المتعرضون للتبار. وأنه لا يعدوهم ألبتة، وأنه لهم ضربة لازب. ليحذرهم عاقبة ما طلبوا. ويُقضى إليهم ما أحبوا. (١١٠: ٢)

نحوه البنيصاوي (١: ٣٦٧). والنسفي (٢: ٧٤). والنيسابوري (٩: ٣٨)، وأبو حيان (٤: ٣٧٨)، وأبو السمود (٣: ٢٤)، والكاشاني (٢: ٢٣٢)، والأكوسي (٩: ٤١). الشكيري: (ماهم فيه) يجوز أن تكون (ما) مرفوعة بـ (مُتَّبِعٌ) لأنه قوي بوقوعه خبراً. وأن تكون (ما) مبتدأ. و(مُتَّبِعٌ) خبر مقدم.

ابن كثير: أي هالك. نحوه الشريفي. البزوصوي: [نحو الزمخشري ثم قال:] قوله: (ماهم فيه) مبتدأ، و(مُتَّبِعٌ) خبر له. ويجوز أن يكون (ماهم فيه) فاعل (مُتَّبِعٌ) لاعتدائه على المسند إليه. (٢٢٥: ٣)

الطباطبائي: والمعنى أن هؤلاء الوثنية طريقتهم هالكة وأعمالهم باطلة. فلا يحق أن يميل إليه إنسان عاقل، لأن الغرض من عبادة الله سبحانه أن يهتدي به الإنسان إلى سعادة دائمة، وخير باق. (٢٣٤: ٨)

عبد الكريم الخطيب: المتَّبِرُّ: الهالك الضائع. والتَّبار: الهلاك والفساد. وهذا [الذي] هم فيه ضلال وبوار، لا يُتَّبَرُّ إلا ضلالاً وبواراً. (٤٧٢: ٥)

طه الدرة: متَّبِرٌ: هالك ومكسر ومدمر. والتَّبِير: الإهلاك. [إلى أن قال:]

(مُتَّبِعٌ) خبر مقدم، (ما) اسم موصول مبني على

ذات اللون الحسن: الثَّبراء، لشبهها للون الثَّبر، وفي الحديث: «الذهب بالذهب يَبْرُها وعينها، والفضة بالفضة يَبْرُها وعينها».

الاستعمال القرآني

جاءت من باب «التفعيل» فعلاً مملوئاً، مع مصدر (تَبِيرًا) مرتين، ووصفاً اسم مفعول مرة، ومصدر (تبار) مرة، والمجموع ستة، في أربع آيات:

١- ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَفْئَالَ وَكَلَّا تَبَرَّأْنَا تَبِيرًا﴾

الفرقان: ٣٩

٢- ﴿...فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَهُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مِمَّا ظَنُّوا تَبِيرًا﴾

٣- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّئُونَ مِنْهُمْ فِيهِ وَمَا كَانَ لِمُتَبَرِّئِينَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ﴾

الأعراف: ١٣٩

٤- ﴿وَرَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

نوح: ٢٨

يلاحظ أولاً: أنها جاءت دائماً للعذاب المؤبد في الحياة الدنيا تبعاً لمعناها وهو الهلاك والدمار، إذ جاءت في (١) حول عاد وحمود، فأخبر الله أنه أهلكتهم واستأصلهم من الأرض. وفي (٢) في بني إسرائيل؛ حيث استؤصلوا وأخرجوا من الأرض المقدسة بواسطة «بُخْتَنَصْر». وفي (٣) في بني إسرائيل أيضاً، فلما خرجوا من مصر ونجوا من فرعون وأوا قوماً يعبدون أصناماً لهم، فطمأنوا أن تكون لهم أصنام يعبدونها مثلهم، حيث

قالوا لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ الأعراف: ١٣٨، فأنذره موسى أن هؤلاء هالكون لأعماله، وفي (٤) في دعاء نوح على قومه بأن لا يزيد الله هؤلاء الظالمين إلّا تباراً وهلاكاً.

ثانياً: أن المفعول المطلق (تَبِيرًا) في (١) و(٢) لتأكيد نفة العذاب الذي أدى إلى استئصالهم، فهذا مثل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ النساء: ١٦٤، على أن لما وقته روي الآيات دخلاً فيها، فقبل (١): وزيراً، تدميراً، أليماً، وبعدها: نشوراً، رسولاً، وقبل (٢) كبيراً، مفعولاً، تقيراً، وبعدها: حصيراً، كبيراً، فإن التأكيدات كالأوصاف في أواخر الآيات، لها دور بارز في روتها. لاحظت تحت روي الآيات في «المدخل».

ثالثاً: جاء في (٢): ﴿وَلِيُتَبَرَّأُوا مِمَّا ظَنُّوا تَبِيرًا﴾، وقد اختلجوا في إعراب (مَّا عَمَلُوا) وفي معناه، على أربعة وجوه: ١- ليدبروا ما عملوا عليه من بلادكم، فتكون (ما) موصولة في محل نصب مفعول (لِيُتَبَرَّأُوا) ضمير الجمع إلى القوم الغالبين.

٢- ليدبروا ما علاه بنو إسرائيل من البناء، أو ما دأبوه، وخزّنوه في الخازن العالية، وهذا مثل الأول، إلا أن الضمير راجع إلى القوم المغلوب عليهم.

٣- وليدبروا وقت علوهم، فتكون «ما» مصدرية، والمضاف محذوف في محل نصب ظرف، أي مدة علوهم، مثل: جئتك مقدم الحاج، وعليه فضمير الجمع راجع إلى القوم الغالبين كالأول.

٤- ليدبروا حال علوهم، أي حال كونهم حالين، وهو مثل السابق، إلا أنه حال وليس ظرفاً.

ويقطعوا علوهم واستكبارهم الذي ارتكبه وحصلوه مع الإفساد، فتكون (ما) مصدرية، والضمير يرجع إلى (بني إسرائيل) دون الذين غلبوهم، والقيل (علوًا) لازم لا يحتاج إلى تقدير «عليه».

رابعًا: فسر الطباطبائي قوله: ﴿يَتَّبِعُوا مَا عَمِلُوا﴾ بإهلاك النفوس وقتلها، وهدم الأبنية وحرق الأموال، وخسف غيره بدم الأبنية، وهو الظاهر، وإن كان يستلزم عادة إهلاك النفوس، إلا أنه ليس تفسيرًا للآية. والشاهد له ما تقدم في تفسير (ما عملوا). وهذا عكس الآية (١١): ﴿وَكُلًّا نَبْرَأُ تَشِيرًا﴾، فإنها حريجة في إهلاك النفوس واستئصالها، ويستلزمه هدم الأبنية، هذا مع استحباب اللفظة للمسيحين: الإهلاك والتدمير، إلا أنه لكل منهما مقام.

خامسًا: نحن نرى (هؤلاء) في (٣١): ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِبِيعَ﴾، اسم (إن)، أي عبدة الأصنام، و(متَّبِعُونَ) اسم مفعول، خبر (إن)، و(ما) موصولة، نائب فاعل له، و(هم فيه) أي الأمر الذين هم واقفون فيه، وفاعلون له. وهو الأصنام وعبادتها، والمعنى أن أصنامكم تكسر أو عبادتهم لها تهدم. هذا ما يقتضيه السياق، ولكنهم اختلفوا فيها اختلافًا كبيرًا:

١- ﴿مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِبِيعَ﴾ خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، أي ما هم فيه متَّبِعُونَ، قال الزمخشري: تقديم (هؤلاء) و(متَّبِعُونَ) وشئ عبدة الأصنام بأنهم المعرضون للشار حقيقة، تحذيرًا لهم.

٢- عبدة الأصنام طريقته هالكة وأعمالهم باطلة، قاله الطباطبائي، وهذا قريب مما ذكرنا.

وعندنا أن الضمير في (علوًا) تابع للضمير في (يتَّبِعُوا) المرجع إلى القوم الغالبين، لتوالي الضميرين واختلاف مرجعها بعيد عن السياق. هذا من ناحية اللفظ، أما من ناحية المعنى فالعلو يناسب حال القوم الغالبين دون القوم المغلوبين، ولو أريد وصف حالهم لاقتضى القول: «ما ينو» لا «ما عملوا». على أن «علوًا» فعل لازم، وصف للقوم أنفسهم لا لما بنوه، وكون الفعل اللازم بمعنى المتصدي - أي «ما عملوه» - خلاف ظاهر اللفظ، ولا شاهد عليه، فالوجه الثاني مرجوح، بل مدفوع.

وسبق الترجيح بين الوجوه الثلاثة الأخرى، والضمير فيها جميعًا راجع إلى القوم الغالبين، فهل (ما) موصولة، مفعول للفعل (يتَّبِعُوا) - أي ليدمروا ما عملوا -

وغلبوا عليه، فيحتاج إلى تقدير «عليه» - أي ليدمروا ما عملوا - وقت علوهم أو حال كونهم عالين، فلا يحتاج إلى تقدير «عليه»؟ ونحن نقول هذا، لكن بمعنى «مادام علوهم»، وله نظائر في الاستعمال، فتكون (ما) مصدرية، مثل: «مادام». ولعله مراد الطوسي: حيث قال: «مدة علوهم، وكذا مراد المبيدي: حيث قال: «ما استطاعوا ومالكوا». ثم بدا لنا وجد آخر في (ما عملوا)، ولعله المتعين من

خلال الآيات المتقدمة عليه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَوَاتٍ وَلَتَحْلُنَّ عُلُوكَ كَبِيرًا﴾. فإذا جاءَ وَغَدُ أُولَئِكَ... فإذا جاءَ وَغَدُ الْأَفْرَةِ لِيَسْئُوا وَجُوهَكُمْ وَيَذْحِلُوا السُّجُودَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَسْتَبْرُوا مَا عَمِلُوا تَشْبِيرًا﴾ الإسراء: ٤ - ٧، فقوله: (ما عملوا) إشارة إلى (ولتَحْلُنَّ عُلُوكَ)، أي يدمروا

سادسًا: جاء (تَبَارًا) في (٤) بمعنى هلاك، وقد روي فيه روي الآيات أيضًا، مثل: (تَشِيرًا)، فقبله: أنصارًا، ديارًا، كفارًا، ولو قيل: إن «تَبِيرًا» و«تَبَارًا» متعذران معنيًا ومختلفان لفظًا لرعاية الروي، لما كان بعيدًا.

سابعًا: جاءت ثلاث منها في شأن عبدة الأصنام والأنواء المشتركة، فالآية (١) في عاد وثمود وأصحاب الرّس، و(٣) في المشركين الذي اتبعهم بنو إسرائيل، و(٤) في قوم نوح، أما (٢) فجاءت في بني إسرائيل بعد استقرارهم في الأرض المقدسة، ولم يكونوا حين ذلك عابدين للأوثان، إلا أنه بقيت في نفوسهم جرثومة الشرك التي أنسوا بها، ورسخت في سويداء قلوبهم، حينما لقوا عبدة الأصنام، فعبدوها مثلهم - وذلك بعد خروجهم من مصر كما سبق - وشاركوهم في سبليلهم وأطوارهم وفي تملقهم الشديد بالحياة الدنيا والآخرة والبقاء وطول العمر - وهم معروفون بهذه الخصال - وفي عداوة المسلمين، كما قال: «لَتَجِدَنَّ أُمَّةً تُدَاوِي عَدَاوَةَ الَّذِينَ آمَنُوا أَلْتَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَتُكْفُرُوا» المائدة: ٨٢.

فيحسبون أنهم من أهل الكتاب ومن أمة موسى ﷺ، ونفوسهم مشركة وخصالهم سيئة كالمشركين تمامًا. حتى يقال: إنهم ورثوا شرب الدّم الذي كانوا يشربونه صنمهم قديمًا.

ثامنًا: هناك مشابهة بين «ت ب ب» و«ت ب ر» في القرآن لفظًا ومعنيًا، مع تفاوت يسير:

١- قلّة بجيئها فيه، فالأولى جاءت أربع مرّات في ثلاث آيات، والثانية ستّ مرّات في أربع آيات.

٢- وقوعها رويًا للآيات ثلاث مرّات: مرّة بوزن «فعل» (تَبَاب) و(تَبَار)، وبوزن «تفعيل» في الأولى مرّة، وفي الثانية مرّتين.

٣- معانيها النطع والذمار والهلاك، وسياقها الإنذار والجلالة، مساوقة لحالة المشركين واليهود ولجؤ مكّة، وكلّها سيجم

٤- جميعها حكاية لحال الضالّين والظالمين، الأولى للزهية والثانية للأنبياء.

ت پ ع

٦٤ لفظاً، ١٧٤ مرة، ١٠٧ مكيّة، ٦٧ مدنيّة؛

في ٥٢ سورة: ٣٨ مكية، ١٤ مدنية

تَبِعَ ٢: ٢	اتَّبَعْتُمْ ١: ١	اتَّبَعْنَاكُمْ ١: ١	اتَّبَعْتُمْ ١: ١
تَبِعَكَ ٣: ٣	اتَّبَعْنَا ١: ١	اتَّبَعُوا ٢: ١	اتَّبَعْتُمْ ١: ١
تَبِعْنِي ١: ١	اتَّبَعْنَاكُمْ ١: ١	اتَّبَعْتُمْ ١: ١	تَبِعَ ١: ٦: ٧
تَبِعُوا ١: ١	اتَّبَعُوا ١: ١	تَبِعْتُمْ ١: ١	تَبِعْتُمْ ١: ١
يَتَّبِعُهَا ١: ١	يَتَّبِعُ ٤: ٢: ٦	اتَّبَعْتُ ٤: ١: ١٣	تَبِعْتُمْ ١: ١
تَتَّبِعُهَا ١: ١	يَتَّبِعُهُمْ ١: ١	اتَّبَعْتُ ١: ٤: ٥	يَتَّبِعُ ١: ١
تَابِعَ ٢: ٢	يَتَّبِعُونُ ٢: ٨: ١٠	اتَّبَعْتُمْ ١: ٦: ٧	اتَّبَعْتُ ١: ٦: ٧
التَّابِعِينَ ١: ١	يَتَّبِعُوكُمْ ١: ١	اتَّبَعْنَاهَا ١: ١	اتَّبَعْنَاهَا ١: ١
تَبِيعًا ١: ١	تَتَّبِعْ ٣: ٥: ٨	اتَّبَعْنِي ١: ١	اتَّبَعْنِي ١: ١
تَبِيعًا ٢: ٢	تَتَّبِعْنِي ١: ١	اتَّبَعُوا ٩: ٧: ١٦	اتَّبَعُوا ٢: ٦: ٨
اتَّبَعَ ٣: ٣	تَتَّبِعَانِ ١: ١	اتَّبَعُوهُ ٢: ١: ٤	اتَّبَعُوهُ ١: ٢: ٣
أَتَبِعَهُ ٣: ٣	تَتَّبِعُونَ ٣: ٣	اتَّبَعُوهُمْ ١: ١	اتَّبَعُونِي ١: ١: ٢
أَتَبِعَهُمْ ٢: ٢	تَتَّبِعُوا ٦: ٢: ٨	اتَّبَعُوكَ ٢: ٢: ٢	اتَّبَعُونِ ٢: ٢: ٢
أَتَبِعُوهُمْ ١: ١	تَتَّبِعُونَا ١: ١	اتَّبَعْتُمْ ١: ١	مَتَّبِعُونَ ٢: ٢
أَتَتَّبِعُ ١: ١	أَتَتَّبِعُ ٥: ٥	اتَّبَعْتُ ٣: ٣	اتَّبَاعَ ٢: ٢

ويقال في موضع أحلفي عليه: أتحنى عليه إتباعاً وأنا مُشيقك عليه، أي محيلك عليه. (٢٢٠)

تقول: رأيت القوم فأتبعتهم إتباعاً، إذا سبقوك فأسرعت نحوههم. ومروا علي فأتبعتهم إتباعاً، إذا ذهبنا معهم ولم يسبقوك، وتبعهم أتبعهم تبعاً مثل ذلك. (الطوسي ٥: ٦٦)

وفي حديث أبي واقد الليثي: «تأبنا الأعمال فلم نجد شيئاً أبلغ في طلب الآخرة من الزهد في الدنيا».

قوله: تأبنا الأعمال، يقول: أحكمتها وعرفناها. ويقال للرجل إذا أتقن الشيء وأحكمه: قد تابع عمله.

(الأزهري ٢: ٢٨٤)

الأخفش: تَبَّعْتُه وَاتَّبَعْتُهُ بمعنى، مثل رَدَّقْتُه وأردفته، ومنه قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطِفَةَ فَأَتَبَعَهَا» الصافات: ١٠.

ومنه الإتياع في الكلام، مثل حسن بشن، وقبح شقيح.

الأصمعي: يقال: أتبعتم القوم بقطع الألف، أي لحقتهم. واتبعتم بوصل الألف، إذا مررت في آثارهم وإن لم تلحقهم.

ابن الأعرابي: الشَّجُّ: سِدُّ النَّحْلِ، الشُّجُّ: الظِّلُّ. (الأزهري ٢: ٢٨٦)

أبو عبيد: وفي حديث أبي موسى الأشعري: «إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن».

قوله: «اتبعوا القرآن» أي اجعلوه أمامكم ثم اتلوه، كقوله تعالى: «الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ إِذَا مَكَّةُ بِكُتُوبٍ يَتْلُوهُ هَٰذَا

تِلَاوَتِهِ» البقرة: ١٢١.

وأما قوله: «لَا يَتَّبِعَنَّكُمْ الْقُرْآنُ» فإن بعض الناس يجعله على معنى: لا يطلبنكم القرآن بتضييكم إياه كما يطلب الرجل صاحبه بالثيمة، وهذا معنى حسن، يصدق الحديث الآخر: «إن القرآن شافع شافع وماحل مصدق». فجعله يتحل بصاحبه إذا لم يتبع مافيه، والماحل: الساعي.

وفيه قول آخر هو أحسن من هذا، قوله: «لَا يَتَّبِعَنَّكُمْ الْقُرْآنُ» يقول: لاتدعوا العمل به فتكونوا قد جعلتموه وراء ظهوركم. وهو أشد موافقة للمعنى الأول، لأنه إذا أتبع كان بين يديه وإذا خالفه كان خلفه. ومن هذا قيل: لا تجعل حاجتي ظهر، أي لاتدعها فتكون خلفك.

ومن ذلك حديث يروى عن الشعبي، في قوله: «فَتَتَّبِعُكَ قُلُوبُ ظُهُورِهِمْ» آل عمران: ١٨٧، قال: أما إنه كان بين أيديهم، ولكنهم نذوا العمل به. فهذا يبين لك أن من رفض شيئاً فقد جعله وراء ظهره. (٢: ٢٦٦) وقال: أتبعتم القوم مثال «أفعلت» إذا كانوا قد سبقوك فليحقتهم.

واتبعتم مثل «أفعلت» إذا مروا بك فطبت معهم، وتبعتم تبعاً مثله.

ويقال: مازلت أتبعهم حتى أتبعهم، أي حتى أدركتهم. (الأزهري ٢: ٢٨١)

في الحديث: «...يأخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعاً ومن كل أربعين ميسنة». ولد البقرة أول سنة تبيع، ثم جذع، ثم نبي، ثم زباج، ثم سندس، ثم صالح.

(الأزهري ٢: ٢٨٢)

ابن السكيت، والتَّبِع: التي تتبع مأيرت به، ليس عندها منفعة غير ذلك. (٣٦١)

ويقال للفرس إذا سرّ متفلّتا يعدو فأتبع ليُرَدّ، وللبعير إذا نَدَّ فأتبع: أتبع فلان البعير فأتناه، وأتبع فلان البعير فأتصدفه. (إصلاح المطلق: ٤٣٢)

ابن أبي اليمان: التتابع: المتابعة، والتتابع: السرعة والتبادي في الشيء.

والتَّبِع: الظِّل. [تم استشهد بشعر] وإنما سُمي تَبِعًا لمتابعته الشمس، ومنه سُمي ملوك اليمن: التَّبَاعَة، لأنه كان كل ملك منه يَتَّبِع صاحبه.

وموضع تُبِع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام. (٥٥٦)

التَّبَاع: مصدر: تابعت فلانًا على الأمر وثابعت عليه الأمور تباعًا.

والإِتِّبَاع: مصدر: أتبع الرجل، في معنى تَبِعَهُ، قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْهُمْ السُّيْفَانُ﴾ الأعراف: ١٧٥، أي أدركه، ويقال: أتيت القوم: لحقتهم، وتبعهم: سرت في إثرهم. (٥٦٤)

ابن قزوين: تبع الرجل: الذين يتبعونه، وتبِعُ المرأة: الذي لا يفارقها، يتبعها حيث كانت مثل الطلب: رجل أتبع، وامرأة تبعاء.

وتبعت الرجل وأتبعته، وبينهما فرق في اللغة. هكذا يقول أبو عبيدة: تبع الرجل، إذا مشيت معه، وأتبعته، إذا مشيت خلفه لتلحقه.

وبقرة تبع، إذا كان ولدها يتبعها، والولد: تبع، والتبابعة سُموا بذلك لأنّ تبع بعضهم في الملك بعضًا.

وسمي «الظِّل» لاتباعه الشمس، [تم استشهد بشعر] ويقال: ليس عليك من هذا الأمر تبعة وتباعة،

وتبعة وهي أعلى، أي لا يلحقك منه شيء تكرهه.

وأتبع القوم بصري، إذا أتيت النظر في آثارهم.

[تم استشهد بشعر] (١٩٥: ١)

الأزهري: تبع فلان فلانًا وأتبعه، قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا﴾ الكهف: ٨٩، وقرئ (ثم أتبع سبيلًا).

يقال لجمع التابع: تبع، كما يقال لجمع المحارس: حرس، ولجمع الخادم خدم، والتابع: التالي.

وفي حديث النبي ﷺ: «الظلم لي الواحد، وإذا أتبع

أعذكم على مليء فليتبع». معناه: وإذا أحبل أحدكم

أحبل مليء فليقتل، من الحوالة. (٢٨٢، ٢٨١: ٢)

وقال الليث: التَّبِع: العجل المدرك، إلا أنه يتبع أمه بندي.

قلت: قول الليث: «التَّبِع: المدرك» وهم، لأنه

يُدرك إذا أتى، أي صار شيئًا، والتَّبِع من البحر يسمى

تبعًا حين يستكمل الحول، ولا يسمى تبعًا قبل ذلك.

فإذا استكمل عامين فهو جَذَع، فإذا استوفى ثلاثة أعوام

فهو ثَنِي، وحينئذ يُسَن، والأثنى: مُسِنَّة، وهي التي تؤخذ

في أربعين من البحر. ويقال للأثنى: تبعية، وللذكر: تبع.

وقال الليث: يقال للذي له عليك مال يتابعك به،

أي يطالبك به: تبع.

وقال الليث: يقال للذي له عليك مال يتابعك به،

أي يطالبك به: تبع.

قلت: ويقال: فلان يتبع نساء، أي يتبعهن، ويجذت

نساء: يهادهن، وزير نساء: يزورهن، ويخلب نساء، إذا كان يغاليهن، والخلب أيضًا: حجاب القلب.

فلان متتابع العلم، إذا كان علمه يشاكل بعضه بعضًا لا تفاوت فيه، وخُصن متابع، إذا كان مستورًا لا يُبهر فيه ويقال: تابع المرتع المال فتتابع، أي سمن خلقها فتسنت وخسنت. [ثم استشهد بشعر]

ويقال: هو يتابع الحديث، إذا كان يُشَرِّده.

وفي حديث زيد بن ثابت حين أمره أبو بكر الصديق بجمع القرآن، قال: «فعلقت أُنْبُجَهُ من اللخاف والغُشْب» أراد أنه كان يتبع ما كتب منه في اللخاف والغُشْب، وذلك أنه استقصى جمع جميع القرآن من المواضع التي كُتِبَ فيها، حتى ما كُتِبَ في اللخاف - وهي الحجارة - وفي الغُشْب، وهي جريد النخل. وذلك أن الرق أعوزهم حين نزل على رسول الله ﷺ، فأمر بكتابه الوحي بإبائته، لما تيسر من كيف ولوح وجلد وغُشْب وخُفَّة.

وأما تتبع زيد بن ثابت القرآن وجمعه من المواضع التي كُتِبَ فيها، ولم يقتصر على ما حفظ هو وغيره - وكان من أحفظ الناس للقرآن - استظهارًا واحتياطًا، لئلا يسقط منه حرف لسوء حفظ حافظه، أو يتبدل حرف بغيره.

وهذا يدلُّ على أن الكتابة أضبط من صدور الرجال وأحرى ألا يسقط منه شيء. فكان زيد يتبع في مُهَلَّة ما كتب منه في مواضعه، ويضعه إلى الصحف، ولا يثبت في تلك الصحف إلا ما وجدته مكتوبًا، كما أنزل على النبي ﷺ، وأملأه على من كتبه، والله أعلم. (٢: ٢٨٣)

ومن أمثال العرب الشائرة: «أتبع الفرس لحائتها». يضرب مثلًا للرجل يُؤمر برَد^(١) الصبيحة وإتمام الحاجة. (٢: ٢٨٦)

الصَّاحِب: ثَبَعَهُ تَبَاعًا وَاتَّبَعَهُ وَاتَّبَعَهُ سِوَاهُ، وَقِيلَ: اتَّبَعَهُ: أَدْرَكَهُ. وَهَؤُلَاءِ تَبِعُ وَاتَّبَعُ. وَالتَّوَاتُعُ يُقَالُ لَهَا: تَبِعَ. وَتَابَعْتُهُ عَلَى هَوَا.

وَتَتَبَعْتُ عَمَلَهُ.

وَتَتَابَعْتُ الْأَنْبِيَاءَ: تَوَالَّتْ. وَتَتَابَعْتُ أَنْبِيَاءَهُ، وَرَمَيْتُهُ بِسَهْمَيْنِ يَتَابَعًا، أَيْ وَلَاَةً.

وَالْقَائِمَةُ - يُقَالُ -: حَبِيْبَةٌ تَكُونُ مَعَ الْإِنْسَانِ حَيْثُ

يُجْعَلُ الدَّيْرَانُ تَابَعًا وَتَبِيْعًا: تَطِيْرًا مِنْ لَفْظِهِ.

وَتَتَبَعُ الشَّمْسُ: رَجَعَ يُقَالُ لَهَا: التَّكْتِيَاءُ، تَهَبُّ بِالْفَدَاءِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ نَحْوِ الصَّبَا، فَتَدُورُ فِي مَهَابِ الرِّيحِ حَتَّى تَعُودَ إِلَى تَهَبِّ الصَّبَا حِينَ يَدْنُو بِالْفَدَاءِ.

وَالْتَبَاعَةُ وَالتَّبَعَةُ: سِوَاهُ.

وَالْتَّبِعَ: التَّصِيرَ، وَالَّذِي لَهُ عَلَيْكَ مَالٌ فَيَتَابَعُكَ، أَيْ يَطَالِبُكَ بِهِ، وَالْيَجْلُ الْمُدْرِكُ، وَفِيهِ يُجْمَعُ عَلَى: الْأَتْبَعَةِ وَالْأَتَابِيْعِ.

وَبِقَرَّةٍ مُتَّبِعٌ: مَعَهَا تَبِيْعَاهَا، وَكَذَلِكَ يُقَالُ: خَادِمٌ

مُتَّبِعٌ، أَيْ مَعَهَا وَلَدَاهَا.

وَالْتَّبِعَ: الْفُطْلَ، وَضَرَبَ مِنَ الْيَمَاسِيْبِ أَحْسَنَهَا وَأَعْظَمَهَا، وَيُجْمَعُ عَلَى: التَّبَابِيْعِ.

وَمَا أَدْرِي أَيْ تُتَّبِعُ هُوَ؟ أَيْ أَيْ خَلْقٍ.

(١) ذكره ابن منظور، وفي الأصل: يربث، وهو مهتر.

والتبابعة: ملوك جبر، وكل واحد منهم: تبع، ولا يستى بذلك حتى دانت له جبر وحضرموت.

ودار التبابعة بمكة، ولد فيها النبي ﷺ.

وبقرة تبغى: مستخرمة. (١: ٤٤٨)

الخطابي: في حديث النبي ﷺ «ما المال الذي ليس

فيه تبعة من طالب ولا من ضيف».

قوله: «ليس فيه تبعة» أي ما يشع المال من الحقوق،

وأصلها: من ثبت الرجل بحق، وتابغته به، إذا طالبته.

والتبغ: الذي يتبعك بحق ويطالبك به، قال الله: ﴿ثُمَّ

لَا تَجِدُوا لَكُمْ غَلِيظًا بِهِ تَبِيعًا﴾ الإسراء: ٦٦.

ومنه قوله: «إذا تبع أحدكم على ملي فليتبغ».

يريد إذا أحيل بحقه على ملي فليحتل. وأكثر الحديثين

يقولون: «إذا تبع» بتقليل التاء، والصواب: أتبع.

والتبعة والتبابعة، تخريمان يجريان في الظلامنة (١: ٨٧).

الجهوري: ثبتت القوم تبعا وتبابعة بالتبع، إذا

مسيبت خلفهم، أو مسروا بك لمسيبت معهم، وكذلك

اتبعتهم، وهو «افتعلت».

وأتبعته القوم على «أفعلت» إذا كانوا قد سبقوا

فليحققتهم، وأتبعته أيضا غيري، يقال: أتبعته الشيء

فتبعته.

والتبغ: يكون واحداً وجماعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا

كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ إبراهيم: ٢١. والمؤمن: ٤٧، وجميع

على: أتباع.

وتابعته على كذا متابعة وتباعاً.

والتباع: الولاء.

وتتبعت الشيء تنبعا، أي تطلبت مسبقاً له.

وكذلك تبعه تبيعا. [ثم استشهد بشعر]

وضع الأتباع موضع التبغ مجازاً.

والتباعة مثل التبعة. [ثم استشهد بشعر]

والتبغ: الذي لك عليه مال، يقال: أتبع فلان

بفلان، أي أحيل له عليه.

والتبغ: التابع.

وقولهم: معه تباعة، أي من الجن.

والتبغ أيضا: ضرب من الطير. (٣: ١١٩٠)

نحوه الرازي. (مختار الصحاح: ٨٩)

ابن فارس: «تبغ: التاء والباء والعين أصل واحد

لا يشتد عنه من الباب شيء، وهو التلو والتقو. يقال:

تبغت فلاناً، إذا تلوته. وأتبغته، وأتبغته، إذا لحقته.

والتبغ أصل واحد، غير أنهم فرقوا بين التقو والتبغ.

فنبهوا الباء أدنى تمييز، قال الله: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ

الْكَهْفَ: ٨٥، و﴿ثُمَّ اتَّبَعْتُمُ السَّبْعَ﴾ الكهف: ٨٩، فهذا معناه

على هذه القراءة اللعوق، ومن أهل العربية من يجعل

المعنى فيها واحداً. [ثم استشهد بشعر]

والتبغ: ولد البقرة إذا تبع أمه، وهو فرض

النكاحين، وكان بعض الفقهاء يقول: هو الذي يستوي

فرثاء وأذناء. وهذا من طريقة الفُتيا، لا من قياس اللغة.

والتبغ: قوائم الدابة، وسميت لأنه يتبع بعضها بعضاً.

والتبغ: التصير، لأنه يتبعه نصره. والتبغ: الذي

لك عليه مال، فأنت تبغته. (١: ٣٦٢)

أبو هلال: الفرق بين التابع والتالي: أن «التالي» فيما

قال علي بن عيسى: ثانٍ، وإن لم يكن يتدبر بتدبر

الأول، و«التابع» إنما هو المتدبر بتدبر الأول. وقد يكون

التابع قبل المتبوع في المكان، كتحقق المدلول وتأخر الدليل، وهو مع ذلك يأمر بالمدول تارة إلى الشمال وتارة إلى اليمين، كذا قال. (٢٥٥)

الفرق بين قولك: تابعت زيدًا وقولك: وافقته، أن قولك: تابعت، يفيد أنه قد تقدم منه شيء اقتديت به فيه، ووافقته: يفيد أنكما اتفقتما معًا في شيء من الأشياء، ومنه سمي التوفيق توفيقًا.

ويقول أبو علي رحمه الله عليه: «ومن تابعه يريد به أصحابه، ومنه سمي التابعون: التابعين. وقال أبو علي رحمه الله: «ومن وافقه يريد من قال بقوله وإن لم يكن من أصحابه».

وأيضًا فإن الظير لا يقال: إنه تابع لنظيره، لأن التابع دون المتبوع، ويموز أن يوافق الظير الظير.

(٢٤٤) الهروي: قيل: إن ملوك اليمن سموا تبعًا، لأنه إذا مات الواحد منهم تبعه الآخر، فكان بدلًا منه. والتبعية: ولد البقرة أول سنة، ومنه حديث معاذ: «في كل ثلاثين تبع».

وبقرة متبع: معها تبع، ومنه الحديث: «أن فلانًا اشترى مئونة بنت شاة متبع» أي يتبعها أولادها. (٢٤٥: ١)

ابن سيده: تبع الشيء تبعًا وتباعًا واتبعه وأتبعه وتبعه: فقاد.

وأتبعه الشيء: جعله له تابعًا.

وقيل: أتبع الرجل: سببه فلحقه.

وتبعه تبعًا واتبعه: مر به فبقي معه. وفي التنزيل:

(ثم أتبع^(١) سبيًا^(٢)) الكهف: ٨٩، ٩٢، ومعناها: تبع. وقرأ أبو عمرو: (ثم أتبع سبيًا) أي لحق وأدرك.

واستبعه: طلب إليه أن يتبعه. وفي خبر الطنمي الثافر من طسم إلى حسان الملك الذي غزا جديسًا فإنه استبع كلبه له أي جعلها تبعه.

والتابع: التالي، والجمع: تبع وتباع وتبعت.

والتبع: اسم للجمع، ونظيره: خادم وخدم.

وطالب وطلب، وغائب وغيب...

وقال كراع: كل هذا جمع، والصحيح ما بدأنا به وهو قول بسويه فيما ذكر من هذا. وقياس قوله فيما لم يذكره

وقوله عز وجل: «إنا أنزلنا لكم الكتاب» إبراهيم: ٢١.

المؤن: ٤٧، يكون اسمًا لجمع «تابع» ويكون مصدرًا،

أي ذوي تبع، ثم ذكر حديث «فاتبوا القرآن» المتقدم

واتبع القرآن: اتفم به وعمل بما فيه.

والتبع كالتابع، كأنه سمي بالمصدر.

وتبع كل شيء: ما كان على آخره.

وتابع بين الأمور متتابعة وتباعًا، وأثر.

وتباقت الأشياء: تبع بعضها بعضًا.

وتابعه على الأمر: أشده عليه.

والتبعية: الفعل من ولد البقرة، لأنه يتبع أمه. وقيل:

هو تبع، أول سنة، والجمع: أتبعته وأتابع وأتابع،

كلاهما جمع الجمع والأخيرة نادرة، وهو التبعية.

(١) القراءة المشهورة: أتبع.

(٢) هي الهامش: «هذه ليست رواية حسن، وإنما هي قراءة نافع وابن كثير».

والجمع: أتباع، والأئمة: يتبعه.	الطُّوسِي: الاتِّباع، والافتداء، والاحتذاء، مظاهر.
وبقرة مُتَّبِعٌ: ذات تتبع، وخادمٌ مُتَّبِعٌ: يتبعها ولدوها.	ونقيض الاتِّباع: الابتداء.
وَعَمَّ به اللَّحْيَانِي فَقَالَ: الْمُتَّبِعُ: الَّتِي مَعَهَا أَوْلَادُ.	تقول: تَبِعَهُ تَبَاعًا، وأَتْبَعَهُ إِتْبَاعًا، وتَابِعَهُ مَتَابَعَةً.
وَتَبِعَ الْمَرْأَةُ: صَدِيقَتُهَا، والجمع: تَبَاعٌ، وهي تَبِيعَتُهُ.	وتَبِعَ تَبَاعًا، واستَتَبِعَ اسْتِتَابَعًا.
وهو يَتَّبِعُ نِسَاءً وَيَتَّبِعُ نِسَاءً - الْأَخِيرَةُ مِنْ كُرَاعٍ،	والتَّابِع: النَّالِي، ومنه التَّبِيع.
حَكَاهَا فِي الْمُتَّبَعِ - إِذَا جَدَّ فِي طَلِبَتِهِ.	والتَّبِيع: مانع أثر شيء فهو يَتَّبِعُهُ.
وحكى اللَّحْيَانِي: هُوَ يَتَّبِعُهَا وَهِيَ يَتَّبِعُهُ.	والتَّبِيع: فصلك شيئًا بعد شيء، تقول: تَتَّبَعْتُ عَلَيْهِ
والتَّبِيع: التَّصِير، والتَّبِيع: التَّغْيِير. [ثُمَّ اسْتَنْهَدَ بَشَرَ]	أَمَارَهُ.
وَتَابِعَهُ بِأَلٍ: طَائِبُهُ.	وفي الحديث: «القادة والأتباع» والقادة: السادة.
وَفَلَانٌ يَتَّبِعُ ضَلَّةً: يَتَّبِعُ النِّسَاءَ، وَيَتَّبِعُ ضِلَّةً، أَيْ	وَالْأَتْبَاع: الْقَوْمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ.
لَاخِرٍ فِيهِ وَلَاخِرٍ عِنْدَهُ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ. وَقَالَ:	وَأَتَّبَعَ فَلَانٌ فَلَانًا. وَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ، إِذَا تَبِعَهُ يَرِيدُ بِهِ
تَعْلَبُ: إِنَّمَا هُوَ: يَتَّبِعُ ضِلَّةً، مَضَافٌ.	نُزْوًا، كَمَا تَبِعَ فِرْعَوْنُ مُوسَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَتَّبِعْكُمُ
وَالنَّبِيعَةُ وَالنَّبَاعَةُ: مَا تَبِعَتْ بِهِ صَاحِبُكَ مِنْ غِلَامَةٍ	الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الْأَعْرَافُ: ١٧٥.
وَنَحْوِهَا.	وَفَلَانٌ يَتَّبِعُ فَلَانًا: إِذَا تَتَّبَعَ مِثْلَهُ فِي مَهَلَةٍ.
وَالنَّبِيعَةُ وَالنَّبَاعَةُ: مَا فِيهِ إِمٌّ يَتَّبِعُ بِهِ.	وَالتَّبَاعُ مِنَ الْأَشْيَاءِ: إِذَا فَعَلَ هَذَا فِي أَثَرِ هَذَا بِلَا مَهَلَةٍ.
وَالتَّبِيعُ وَالتَّبِيعُ جَمِيعًا: الظَّلُّ، لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ.	ومنهُ تَتَابَعَتِ الْأَمْطَارُ، وَتَتَابَعَتِ الْأَشْيَاءُ.
وَالنَّبَاعَةُ: الرِّبِّيُّ مِنَ الْجَنِّ، الْحَفْوَةُ الْهَاءُ لِلْمِثَالَةِ أَوْ	وَالتَّبِيعُ: الظَّلُّ، وَأَصْلُ الْبَابِ كَلَّةٌ.
لِتَتَّبِيعِ الْأَمْرِ، أَوْ عَلَى إِرَادَةِ الْمَذَاهِبَةِ.	الْإِتْبَاعُ وَهُوَ أَنْ يَتْلُو شَيْءٌ شَيْئًا. (١٧٥: ١)
وَالتَّبِيعُ: ضَرْبٌ مِنَ الْيَعَاسِيبِ، وَهُوَ أَصْغَرُهَا	نَحْوُ الطُّبْرُسِيِّ. (٩٠: ١)
وَأَحْسَنُهَا، وَالْجَمْعُ: التَّبَايِيعُ، تَشْبِيهًُا بِأُولَئِكَ الْمَلُوكِ،	وَالْإِتْبَاعُ: طَلَبُ الْإِتِّفَاقِ فِي مَكَانٍ، أَوْ مَقَالٍ، أَوْ
وَذَلِكَ أَلْحَقُوا الْيَاءَ هُنَا لِتُشْعِرُوا بِالْهَاءِ هُنَاكَ.	فَعَالٍ.
وَأَتْبَعَهُ عَلَيْهِ: أَحَالَهُ.	فَإِذَا قِيلَ: أَتْبَعَهُ لِيُلْحَقَهُ، فَعِنَاءٌ لِيَتَّفِقَ مَعَهُ فِي الْمَكَانِ.
وَتَابِعَ عَمَلَهُ وَكَلَامَهُ: أَنْفَقَهُ وَأَحْكَمَهُ، قَالَ كُرَاعٌ:	وَإِذَا تَبِعَ فِي مَذْهَبِهِ أَوْ فِي سِيرِهِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ،
وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ: «تَابِعْنَا الْأَعْمَالِ فَلَمْ نَحِذْ	فَعِنَاءٌ طَلَبُ الْإِتِّفَاقِ. (٩٦: ٢)
شَيْئًا أَبْلَغَ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ مِنَ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا».	نَحْوُ الطُّبْرُسِيِّ. (٢٥٠: ١)
(٥٩: ٥٦: ٢)	الْإِتْبَاعُ: هُوَ طَلَبُ الْإِتِّفَاقِ مَوَافَقَةِ الْأَوَّلِ فِيهَا دَعَا إِلَيْهِ،

فيه، لأنَّ العرب تقول: جاءت الخيل مُتتَابِعَةً، إذا جاء بعضها في إثر بعض بلا فصل. وجاءت متواترة، إذا تلاحقت وبينها فصل. (٦)

ويقولون: «تتابعت التوائب على فلان» ووجه الكلام أن يقال: «تتابعت» بالياء الممجمة بائنتين من تحت، لأنَّ «التتابع» يكون في الصلاح والخير و«التتابع» يختص بالمنكر والنكر، كما جاء في الخبر: «ما يحصلكم حل أن تتابعوا في الكذب كما تتابع القرائن في النار». (٧٧)

الْمُتَعَشِّرِي: واتَّبع أثره، وأتبعه زاده. وأتبع القوم: سبقوه فلحقهم. يقال: تُبِعْتُهُمْ فَأَتَبَعْتُهُمْ، أي تلوَّيْتُهُمْ فلاحقْتُهُمْ. وقيل: أتبعه، إذا تبعه يريد به شرًا كما أتبع خرطون موسى.

(٢٨: ١١) «هو تابع وتبعه» وهو له تبع وهم له تبع، لأنه مصدر، وهم أتباعه وتباعه.

وهذا أصل وغيره توابع. وهو بطلبها وتبعتها: للزير الذي لا يترك أتباعها. وبقرة مُتَّبِع: معها تبعتها، وهو عجلها المذكور. وخادم مُتَّبِع: معها تبعتها، أي ولدها. وهو تابعه وهي تابعتها: للخادم والمخادمة.

ولكل شاعر تابعة وهو رؤيته. وتابعه على كذا: وافقه عليه.

وما وجدْتُ لي على فلان تبيعا، أي مُتَابِعًا ناصرا لي عليه «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا» الإسراء: ٦٩.

ولي قتل فلان تبعه وتباعه، وهي الظلّامة. وهو يتبع مساوي فلان، ويتبع مدائق الأمور.

تقول: أتبعه أتباعا، وتبعه تبعًا وهو مُتَّبِع وتابع.

(٥٠: ١)

نحو: الطُّبْرَسِي.

الأتباع: اقتفاء الأثر، وهو طلب اللحاق بالأول، فاتّباع الحق بالقصد إلى موافقته، من أجل دعائه.

(١٤٠: ٦)

الإتباع: إلحاق الثاني بالأول، أتبعه إتباعًا وتبعه يتبعه إذا طلب اللحاق به، وكذلك أتبعه أتباعًا بالتشديد.

والإتباع: إلحاق الثاني بالأول في معنى عليه الأول،

لأنه لو ألحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن إتباعًا، وكان إلحاقًا. وإذا قيل: أتبعه بصره فهو الإدراك، وإذا قيل: تبعه، فهو يصرف البصر بتصرفه.

(٢٨: ١١) «هو تابع وتبعه» وذلك تارة

بالجسم وتارة بالارتسام والانسار، وعلى ذلك قوله تعالى: «فَن تَبِعْ هَذَانِ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» البقرة: ٢٨. [ثم ذكر الآيات وأضاف:]

ويقال: أتبعه، إذا لحقه، قال تعالى: «فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» الشعراء: ٦٠. [إلى أن قال:]

يقال: أتبعته عليه، أي أحلته عليه، ويقال: أتبع فلان بال، أي أحيل عليه، وأتبع خُصَّ بولد البقر إذا تبع أمه.

والتبّع: رجل الدابة. [ثم استشهد بشعر]

والتبّع من البهائم: ألقي يتبعها ولدها. (٧٢) الخويري: يقولون للمتتابع: متواتر، فيؤمّنون

وهو يتابع بين الأعمال : يُوالي بينها.

وصام صومًا متتابعًا.

ورميته بسهمين يتتابعًا.

وتأقنني بحال له عليّ: طالبني به، وهو تبني.

واسمأل التبع: ارتفع الظل.

وطلع التابع والتوئيع والتبع، أي الدبران، وهبت

تُبوعُ الشمس والكُباء، وهي رُوَيْجَةٌ تَهْت مع طلوع

الشمس من قِبَل القبول، نكْذَاء لانشئة معها، فالعرب

نكرها. [تم استشهاد بـ]

ومن الجاز: شَبَعَت التحلُّ شُبُعها، وهو يَخُوبها

الأعظم، وتَبَعَت الأخصان الرِّيح. [تم استشهاد بـ]

وفلان متتابع العمل، إذا كان غير متفاوت فيه.

وفرس متتابع: معتدل الأعضاء متناصفها. [تم استشهاد بـ]

والفرس، إذا جرى جريًا مستويًا لا يرفع بهن أعضائه.

وغصن متابع: معتدل. [تم استشهاد بـ]

وتابع المرعى الإبل فتتابع: سوى خلقتها، ومقنها.

[تم استشهاد بـ]

أفرقت الناقة: فارقتها ولذها فسميت، وقيل:

حالت.

وفلان يتابع الحديث، إذا أحسن سياقه، ومنه

حديث أبي واقد الليثي: «تابعنا الأعمال فلم نجد أبلغ في

طلب الآخرة من الزهد في الدنيا».

ومن أتبع على مليء فليتبّع، أي من أحبل فليحتل.

وقرأ ابن عباس آية لم يعرفها ابن عمر، فقال: «أتبع يابن

عباس، فقال: أتبعك على أبي بن كعب».

(أساس البلاغة: ٣٦)

الطَّبْرَسِيّ: الاتباع: جريان الثاني على طريقة

الأول من حيث هو عليه، كالمداول الذي يتبع الدليل في

سلوك الطريق أو في التصحيح، لأنه إن صح الدليل صح

الداول عليه بصحته، وكذلك المأموم الذي يتبع طريقة

الإمام. (١: ١٥٧)

الاتباع: لحاق الثاني بالأول لماله به من التعلق.

فالقوة للأول والثاني يستمد منه. والتابع ثانٍ متدبر له

بتدبير الأول، متصرف بتصرفه في نفسه. (١: ٤٧٦)

الاتباع: أن يتصرف الثاني بتصرف الأول، والنبي

كان يتصرف في الدين بتصرف الوحي، فذلك كان

تُبعًا، وكذلك كل متدبر بتدبير غيره، فهو مُتَّبِع له.

(٢: ٣٤٦)

الاتباع: اقتفاء الأثر، والاتباع في المذهب والاقتداء

بمعنى، وبخلافه الابتداع. (٢: ٣٤١)

المُتَدِينِيّ، في الحديث: «أول خبر قدم المدينة - يعني

من النبي ﷺ - وهجرته إلى المدينة - امرأة كان لها تابع من

الجن» التابع هاهنا: جني يتبع المرأة بحسبها، والتابعة:

جنية تتبع الرجل.

في الحديث: «لانسبوا تُبَعًا، فإنه أول من كسا

الكعبة» تبع: ملك في الزمان الأول، خزا بأهل اليمن،

قيل: اسمه أسد أبو كرب، وقد اختلفت الأحاديث فيه.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لأدري أسلم بع أم لا».

وروي في حديث آخر أنه قال: «لانسبوا تُبَعًا فإنه

قد أسلم».

فأما قومه فكانوا كفارًا بظاهر القرآن، وله قصة في

التفسير.

والثبابة: ملوك اليمن، واحد: تبع، لأن بعضهم يتبع من قبله من ملكه وسيرته.

وقيل: كان لا يستمى بكما حتى يملك حَضْرَمَوْت، وسبأ وجيز.

في حديث الصدقة: «في ثلاثين من البحر تبع»، وهو الذي دخل في السنة الثانية، سمي به لأنه يتبع أمه، وقيل: يتبع قرنه أذنه لتساويهما.

في حديث ابن عباس: رضي الله عنهما: «يَا أَنَا أَقْرَأُ آيَةً فِي سَكَّةٍ مِنْ سَكَّةِ الْمَدِينَةِ إِذْ تَمِيتُ صَوْتًا مِنْ خَلْقِي: أَتَبِعْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، فَالْتَفَتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: أَتَبْعُكَ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ، فَهَبْتُ إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَسَأَلَهُ، قَوْلُهُ: أَتَبِعْ، أَيِ أَشَدِّ قَرَاءَةً مِمَّنْ أَخَذْتَهَا، وَأَجَلْ هَلْ مِنْ سَمَحْتَهَا مِنْهُ.

من الحديث الآخر: «إِذَا أَتَبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى تَعْلِيْقٍ فَلْيَتَّبِعْ».

في الدعاء: «تَابِعْ بَيْتًا وَبَيْنَهُمْ»، أي اجعلنا نسبهم على ما هم عليه، من قلوبهم: «شَاءَ مُتَّبِعٌ»: يتبعها أولادها.

الفَيُّومِيُّ: تبع: زيدٌ عمرًا تبعًا من باب «تَبِعَ» وسمي خلفه أو مرَّ به فضى معه، والمُصَلِّيُ تبعٌ لإمامه، والناس تبعٌ له، ويكون واحدًا وجمعًا، ويجوز جمعه على: أتباع، مثل سبب وأسباب.

تَتَابَعَتِ الْأَخْبَارُ: جاء بعضها إثر بعض بلا فصل، وتَتَبَعْتُ أحواله: تَطَلَّيْتُهَا شيئًا بعد شيء في مهلة.

والتَّبَعَةُ وزن «كلمة»: ما تطلبه من ظلمة ونحوها. وتبع الإمام، إذا تلاه، وتبعه: لحقه، وتابته على

الأمر: وافقه.

وتتابع القوم: تبع بعضهم بعضًا، وأتبعْتُ زيدًا عمرًا بالآلف: جعلته تابعًا له.

والتَّبِعُ: ولدُ البقرة في السنة الأولى، والأنثى: تَبِيعَةٌ، وجمع المذكر: أتباع، مثل رغيف وأرغفة، وجمع الأنثى: تَبَاعُ، مثل مَلِيعَةٌ ومَلَاح.

وسمي تبعًا لأنه يتبع أمه فهو «فعليل» بمعنى «فاعل».

الفيروز آبادي: تبعه كفرح تبعًا وتباعة: مشى خلفه ومرَّ به فضى معه.

وكفرح: وكتابة: الشيء الذي لك فيه بُعِيَّةٌ شبيهة بعلامة ونحوها.

والتَّبِعُ محرَّكة: التابع، يكون واحدًا وجمعًا، ويُجْمَعُ على: أتباع، ونحوها.

والتَّبِعُ بضمين مُشَدَّدة الهاء: الظَّلُ، وتبعته محرَّكة: هَضْبَةٌ بِمِثْلِ ذَانٍ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ، فِيهَا نَقُوبٌ، كَانَتْ تُلْتَقَطُ فِيهَا السِّبُوفُ السَّادِيَّةُ وَالْمَحْرُزُ.

والتابع والتابغة: الجنى والجنبة يكونان مع الإنسان يتبعانه حيث ذهب، وتابِعُ النُّجُمُ: اسم الدُّبُرَانِ سُمِّيَ بِهِ تَفَاوُلًا مِنْ لَفْظِهِ، وَيُسَمَّى تَوْبَعًا مَصْفَرًّا وَتَبَعًا كُكَّرًا.

وكأمير: الناصر، والذي لك عليه مالٌ، والتابع، ومنه قوله تعالى: «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُيُنًا بِهِ تَبِيعًا» الإسراء: ٦٩، أي نازرا ولا طابًا.

وولد البقرة في الأولى، وهي بهاء والجمع كصحاف وصحائف، والذي استوى قرناء وأذناء و...

والتبابعة: ملوك اليمن، الواحد كسكر. ولا يسمى به إلا إذا كانت له جيرة وحضر موت.

ودار التبابعة بمكة ولذا فيها النبي ﷺ

وكسكر: الظل لأنه يتبع الشمس، وضرب من

اليعاسيب، جمعه: التبابع.

وما أدري أي تبع هو، أي أي الناس.

وكسكر: من يتبع بعض كلامه بعضاً.

وتلوع الشمس كثور: ربح تهب مع طلوعها فندور

في تهاب الرياح حتى تعود إلى تهب العبا.

ويتبع المرأة بالكسر: عاشقها وتابها.

وبقرة تبنى كسكرى: مشفرة.

وأبعثهم تبعهم، وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقهم.

وأبعثهم أيضاً غيري، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ يَوْضَعُونَ

يَحْتَدُونَ﴾، أي لحقهم أو كاد طه: ٧٨.

وأصبح القرس لمساتها أو الشاقة زمانها أو الذكو

رشاءها: يضرب الأمر باستكمال المعروف.

قاله خير ابن عمرو لما أغار على حقي عمر بن عبد

ولم يحضرهم عمرو، فحضر فتيته فلدجته قبل أن يصل

إلى أرضه، فقال عمرو: رُد علي أهلي ومالي، فردها

عليه، فقال: رُد علي قبائي، فرد قيسه الزائمة وحسب

ابنتها سلمى، فقال له حينئذ: يا أبا قبصة أتبع.

ورشاء وبقرة: متبع ككفحين: يتبعها ولدها.

والإتباع في الكلام: مثل حسن حسن. والتشيع:

التشيع.

والإتباع والإتباع كالشيع والتباع بالكسر: الولاء.

وتابع الباري القوس: أحكم بزعمها وأعطى كل عضو

حقه، والمرعى الإيل: أنتم تسمونها وأنته، وكل محكم

متابع متابع.

وتتابع: توالي.

وقرئ متتابع الملق: مستويه، ورجل متتابع

العلم: يشابه علمه بعضه بعضاً، وغصن متابع: لا أين

فيه.

وتتبعه: تطلبه. (٨: ٣١)

الطويحي: في الحديث: «أتبع وضوءك بعضه

بعضاً أي الحق موالياً من غير فصل.

وفي الدعاء: «تابع بيتنا وبيتهم بالخيرات» أي

اجعلنا تبعهم على ما هم عليه.

وفي حديث الجنازة: «أكرم أن تتبع بمجفرة» أي

تلق بها.

والتيبة ككلمة: ما فيه إثم يتبع به. ومنه الدعاء

«ولا تجعل لك عندي تيمة إلا وهبتها».

والتيبة والتباعة: المظلمة. (٣٠٥: ٤)

مخضع اللغة: تبعه تبعاً من باب «فرح» فهو

تابع، وأتبعه تبعه اتباعاً: سار وراءه، سواء أكان السير

حقيقاً أم معنوياً.

والإتباع المعنوي هو الاقتداء والامتثال، وأكثر

ما جاء في القرآن هو من الإتباع المعنوي. (١٤٧: ١)

نحو: محمد إسماعيل إبراهيم. (٨٧: ١١)

الغذائي: تبع الثوم وأتبعهم

ويحفظون من يقول: أتبع سائر رفاقه، ويقولون إن

الصواب هو: تبع رفاقه. وكلا القولين المستعدين هنا

(تبع وأتبع) صحيحان، كما يقول الخليل بن أحمد

الفرايدي، واليٲ بن سبعة، والتهذيب، والصّحاح،
ومعجم مقاييس اللغة، ومفردات الرّاعب الأصمّهاني،
والبطليّوسي «في الاقتضاب»، والأساس، والمُغريب،
والختار، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج،
والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمثن، وتذكرة
صلي، والوسيط.

أَتَبَعْتُ الْقَوْلَ الْفِعْلَ

ويقولون: أَتَبَعْتُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ، أَيِ الْحَقِّقْتُ الْقَوْلَ
بِالْفِعْلِ، وَالصَّوَابُ: أَتَبَعْتُ الْقَوْلَ الْفِعْلَ؛ إِذْ قَالَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى: ﴿فَاتَّبَعْنَاهُمْ نَفْخًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَغْضًا
لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الْمُؤْمِنُونَ: ٤٤، وَجَاءَ الْفِعْلُ: أَتَبَعَهُ
الشَّيْءُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُخْرَى فِي آيِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

وَمَنْ ذَكَرَ: أَتَبَعَهُ الشَّيْءُ بِمَعْنَى أَلْفَقَهُ بِهِ: مَعْجَمُ أَهْلِيَّةِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالصَّحاح، وَالْأَسَاسُ، وَالْخِتَارُ،
وَاللِّسَانُ، وَالْقَامُوسُ، وَالتَّاجُ، وَالْمَدُّ، وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ،
وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ، وَالْمِثْنُ، وَالْوَسِيطُ.

وَمِمَّا قَالَهُ اللَّسَانُ: أَتَبَعَهُ: تَبِعَهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿فَاتَّبَعْتَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعُدْوَانًا﴾ يُونُسُ: ٩٠.

وَيَقَالُ مَثَلًا لِلأَمْرِ بِاسْتِكْمَالِ الْمَعْرُوفِ: أَتَبِعَ الْفَرَسَ
لِجَانِمِهَا، وَالتَّاقَةَ لِجَانِمِهَا، وَالدُّكُو لِشَاةِهَا: يُضْرَبُ لِلأَمْرِ
بِاسْتِكْمَالِ الْمَعْرُوفِ «بِمَجَازٍ».

وَمِنْ مَعَانِي أَتَبَعُ:

١- أَتَبَعَ فَلَانٌ فِي كَلَامِهِ: أَتَى بِكَلِمَتَيْنِ عَلَى وَزْنٍ
وَاحِدٍ، تَوَكَّدَ أَخْرَاجَهَا الْأَوَّلَى، وَهِيَ إِنَّمَا أَنْ تَكُونَ فِي مَعْنَى
الْأَوَّلَى، مِثْلُ: هُوَ قَسِيمٌ وَسِيمٌ. وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِنْ
الْمَعْنَى: مِثْلُ: حَسَنٌ يَسَنٌ.

٢- أَتَبَعَ الذّائِنُ عَلَى فَلَانٍ: أَحَالَهُ.

٣- أَتَبَعَ الشَّيْءُ شَيْئًا: جَعَلَهُ تَابِعًا لَهُ.

٤- أَتَبَعَ فَلَانٌ بِفَلَانٍ: أَحْيَلَهُ عَلَيْهِ «مُسْتَدْرَكُ التَّابِعِ

وَالْمَدَّةُ.

٥- أَتَبَعَ فَلَانًا: تَبِعَهُ يَرِيدُ بِهِ شَرًّا.

التَّبِيعُ (التَّابِعُ، الْمُتَبَوِّعُ)

وَيَحْطِثُونَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ التَّبِيعَ هُوَ الْمُتَبَوِّعُ، وَيَقُولُونَ:

إِنَّهُ التَّابِعُ، اسْتِنَادًا إِلَى قَوْلِ الْأَسَاسِ وَاللِّسَانِ وَالْوَسِيطِ،
وَقَدْ وَضَعَ اللَّسَانُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «التَّبِيعُ: الَّذِي يَتَّبِعُكَ بِحَقِّ
يَطَائِكَ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْفَرَسَ بِمَا أَحْيَلُ عَلَيْهِ.
وَالتَّبِيعُ: التَّابِعُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُغْرِقُكُمْ بِمَا كُفَرْتُمْ ثُمَّ
لَا تُجِدُوا لَكُمْ عَيْنًا يَدُ رَبِّكُمْ﴾ الْإِسْرَاءُ: ٦٩، قَالَ الْفَرَّاءُ:
أَيُّ تَابِعًا وَلَا طَائِبًا بِالنَّارِ. لِإِخْرَاقِنَا إِيَّاهُ. وَقَالَ
الرَّجَزُ: تَابِعًا يَتَّبِعُكَ مِنْ يَمِينِكَ يَنْكَارُ مَنَازِلَ بِكُمْ،
وَلَا مِنْ يَمِينِكَ بَأَن يَصْرِفَهُ عَنْكُمْ. وَقِيلَ: تَبِيعًا: مُطَائِبًا.
وَكُلُّهَا يُرَادُ بِهَا «الْفَاعِلُ» هُنَا.

وَلَكِنْ:

١- قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْأَضْدَادُ»: مَنْ

الْأَضْدَادُ التَّبِيعُ: التَّابِعُ، وَالتَّبِيعُ: الْمُتَبَوِّعُ.

٢- وَقَالَ الصَّحاحُ، وَالْخِتَارُ، وَالتَّاجُ، وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ،

وَمِنْ اللَّفْظَةِ: إِنَّ التَّبِيعَ هُوَ التَّابِعُ وَالْمُتَبَوِّعُ.

لَهَا جَاءَ فِي التَّاجِ: «التَّبِيعُ: الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ مَالٌ،

وَتَبَائِعُهُ، أَيُّ تُطَائِبُهُ بِهِ. وَالتَّبِيعُ أَيْضًا: التَّابِعُ»، فَالتَّبِيعُ

الْأَوَّلَى تَعْنِي الْمُتَبَوِّعَ.

وَمِمَّا قَالَهُ مَحِيطُ الْمَحِيطِ: «التَّبِيعُ: الَّذِي لَهُ عَلَيْكَ مَالٌ،

وَالتَّبِيعُ: الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ مَالٌ»، فَالتَّبِيعُ الْأَوَّلَى تَعْنِي

تابعاً للغير، وهذا معنى اللّهُوق، إذا لم يكن تابعاً ثم جعله تابعاً.

وأما التّشيع فهو «تفعل» ويدلّ على قبول «التفعل»، فيقال: تبعته فتشيع، أي قبل الاتّباع والتشيع، وتثبت في تابعيته، وهذا المعنى هو التّطلب شيئاً فشيئاً.

وأما التّبعة، فالظاهر أنّه وزان «خبرين»، والتّاء لزيادة الاتّصاف في التّبعة، فهو ما يتعقب لشيء وتثبت له التّبيعية.

وظاهر صيغة «التّشيع» أنّها كطلّبت في جمع طالب، من صيغ جمع التّكثير.

وأما التّشيع والتّشيع، فالظاهر كونها صفتين كالحسن والتّحريف «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا» إبراهيم: ٢٦، «وَأَقْبَدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبَعًا» الإسراء: ٦٩، أي الثّابت (٣٥٨: ١)

النّصوص التّفسيرية

١- فَمَنْ تَبِعَ هَذَانِ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ٣٨
التّفسير سي: أي اقتدى برسلي واحتذى أدلتي.

أبو الفتوح: تبع وأتبع وتابّع واحد، ومعنى المبالغة الاقتداء والاحتذاء، ونقيضه الابتداء والابتداع، يقول الله تعالى: من يتبع آياتي وأدلة أنبيائي، فلن يخاف ويحزن أبداً. (٢٣٣: ١)

ابن شهر آشوب: أي جعل الاتّباع إلى المخلوق، ولو كان من الله تعالى لقال: لمن أتبعه هداي. (١٢٩)

التابع، والثّانية تعني المتبوع.

٢- تأتي «فعل» بمعنى «الفاعل»، مثل: رحيم، وشفيق، وشفيح، وتأتي بمعنى «المفعول»، مثل: قنيل، وجريح، وحليب.

والتّبع تحمل المعنيين كليهما.

لذا يحقّ لنا أن نسمي «التّبع»: أ- بمعنى التابع، ب- وبمعنى المتبوع. (٩١)

محمود شيت: أ- أتبع القائد عدوّه: سار وراءه وتطلّبه. والجيش الأوامر: نقّدها، والفرس: جرى جرياً مستويّاً لا يرفع فيه بعض أعضائه.

ب- تشيع الجيش الأعداء: تطلّبه شيئاً بعد شيء على مهلة.

ج- التابع: الجندى المكلف بأمر القائد الخاصّة.

المُستطَفَوِيّ: الأصل الواحد في هذه المادّة: هو القفّ، والحركة خلف شيء ماديّ أو معنويّ، وسواء كان الاتّباع عملاً أو فكرًا.

والاتّباع هو «افتعال» ويدلّ على القفّ بالاختيار والإرادة، كما هو مقتضى المطاوعة، والمتابعة «مفاعلة» ويدلّ على إدامة الاتّباع، فينتهم منه الموافقة.

والتّشيع «تفاعّل» ويدلّ على قبول «فاعل» وهو استدعاء المتابعة، ويناسب هذا المعنى دوام التّبعة من جهة التّعدّد في التّابعين.

والإتّباع «إضال» ويدلّ على التّعددية ناظرًا إلى جهة الصّدور، فحقيقة الإتياع: جعل الغير تابعاً أو جعل نفسه

الْفَخْرُ الرَّازِي : إله تعالى بين أن من تبع هداً بحقه علماً، وعملًا بالإقدام على ما يلزم والإحجام عما يحرم، فإنه يصير إلى حال لا خوف فيها ولا حزن.

وهذه الجملة مع اختصارها تجمع شيئاً كثيراً من المعاني، لأن قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ البقرة: ٢٨، دخل فيه الإنعام بجميع الأدلة العقلية والشرعية وزيادات البيان، وجمع ما لا يتم ذلك إلا به من العقل ووجوه التمكن، وجمع قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾، تأمل الأدلة بحققها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والصل بها، ويجمع ذلك كل التكليف. [إل أن قال:]

قال القاضي: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ...﴾ يدل على أمور:

أحدها: أن الهدى قد ثبت ولا اعتداء، فلذلك قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾.

وثانيها: بطلان القول بأن المعارف ضرورية.

وثالثها: أن باتباع الهدى تستحق الجنة.

ورابعها: إبطال التقليد، لأن المقلد لا يكون متبياً للهدى. (٢٧: ٢)

التسفي: أي بالقبول والإيمان به. (٤٤: ١)

أبو حنيفة: (فَمَنْ تَبِعَ) الفاء مع ما دخلت عليه

جواب لقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وقال السجاوندي:

الجواب محذوف، تقديره: فائبره، انتهى. فكأنه على

رأيه حذف لدلالة قوله بعده: (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ).

وتفاوتت نصوص المفسرين والمؤرخين على أن

(مَنْ) في قوله: (فَمَنْ تَبِعَ) شرطية، وأن جواب هذا

الشرط هو قوله: (فَلَا خَوْفٌ) فتكون الآية فيها

شرطان. وحكي عن الكسائي: أن قوله: (فَلَا خَوْفٌ) جواب للشرطين جميعاً.

وقد أتقنا مسألة اجتماع الشرطين في كتاب

«التكميل» ولا يمتنع عندي أن تكون «مَنْ» شرطية بل

يبرز أن تكون موصولة، بل يرجح ذلك لقوله في

قسيه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾ البقرة: ٣٩، فأتى به

موصولاً، ويكون قوله: (فَلَا خَوْفٌ) جملة في موضع

الخبر، وأما دخول الفاء في الجملة الواقعة خبراً فإن

الشرط المسوغة لذلك موجودة هنا.

وفي قوله: (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ) تنزيل الهدى منزلة

الإمام المتبع المقتدى به، فتكون حركات التابع وسكناته

موافقة لمجوعه وهو الهدى، فحيث يذهب عنه الخوف

والخوف (١٦٨: ١)

أين كثير من أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب

وأرسلت به الرسل. (١٤٢: ١)

نحوه القاسمي. (١١٠: ٢)

الشريفي: بأن آمن بي وعمل بطاعتي. (٥٢: ١)

البروسوي: أي القدي بشرعني. (١١٥: ١)

رشيد رضا: الذي أمره، وسلك صراطي

المنقيم الذي أحده. (٢٨٥: ١)

الترغمي: أي من استسكوا بالشرائع التي أتى بها

الرسل، وراعوا ما يحكم العقل بصحته، بعد النظر في

الأدلة التي في الآفاق والأنفس. (٩٧: ١)

٢- وَلَا تَوَلَّوْا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ... آل عمران: ٧٣

الحسن: [ثم يهود خيبر قالوا ذلك ليهود

المدينة.

(الماوردي ١: ٤٠١)

قَتَادَةُ: هم بعض اليهود لبعض.

مثله السُّدِّي، والزَّبيح، وابن زَيْد. (الطُّوسِي ٢: ٥٠٠)

السُّدِّي: لا تؤمنوا إلا لمن تبع اليهودية.

(الطُّبري ٣: ٣١٤)

ابن زَيْد: لا تؤمنوا إلا لمن آمن بدينكم، لا من

خالفه، فلا تؤمنوا به. (الطُّبري ٣: ٣١٤)

الطُّبري: واللام التي في قوله: (لَنْ تَبْعَ دِينَكُمْ)

نظيرة اللام التي في قوله: «عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ»

الشم: ٧٢، بمعنى: ردفكم بعض الذي تستعملون.

(٣: ٣١٣)

الزَّجَّاج: قيل: المعنى لا تجعلوا تصديقكم النبي في

شيء مما جاءكم به إلا لليهود، فإنكم إن قلتم ذلك

للمشركين كان عوناً لهم على تصديقه. (١٣٠: ١١٣)

الماوردي: واختلف في سبب نهيم أن يؤمنوا إلا

لمن تبع دينهم على قولين:

أحدهما: [وهو قول الزَّجَّاج وقد تقدّم]

والثاني: أنهم نهوا عن ذلك لئلا يعترفوا به، فيلزمهم

العمل بدينه، لإقرارهم بصحته. (١: ٤٠١)

الْمَيْبُودِي: اليهودية، وقام بشرائعه، وصلّى إلى

قبلتهم. (٢: ١٦٧)

الْمُتَفَشِّرِي: ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر، وهو

إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم، إلا لمن كانوا تابعين

لدينكم ممن أسلموا منكم، لأن رجوعهم كان أرجس

عندهم من رجوع من سواهم، ولأن إسلامهم كان أغبط

لهم. (١: ٤٣٧)

نحوه الْيَضَاوِي (١: ١٦٦)، وَالْكَسِي (١: ١٦٤)،

وَالشَّرِيبِي (١: ٢٢٥)، وَأَبُو الشُّوَد (١: ٢٤٦).

الطُّبَّاطِبَائِي: والمعنى - والله أعلم - أن طائفة من

أهل الكتاب - وهم اليهود - قالت، أي قال بعضهم

لبعض: صدقوا النبي والمؤمنين في صلاتهم وجه النهار

إلى بيت المقدس، ولا تصدقوهم في صلاتهم إلى الكعبة

آخر النهار، ولا تستقوا في الحديث بغيركم فيخبروا

المؤمنين أن من شواهد نبوة النبي الموهود تحويل القبلة

إلى الكعبة، فإن في تصديقكم أمر الكعبة وإفنائكم

ما تعلمونه من كونها من أمارات صدق الدعوة، محذور

أن يؤق المؤمنون مثل ما أوتيتهم من القبلة، فيذهب به

سكودكم ويطل تقدمكم في أمر القبلة، ومحذور أن

يقتلوا عليكم المحجة عند دينكم أنكم كنتم عالمين بأمر

القبلة الموهودة، شاهدين على حقيقته ثم لم تؤمنوا.

(٣: ٢٥٨)

لاحظ: أم ن «لا تؤمنوا».

تَبَيْكَ

١- قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَلَكُومًا مَذْهُورًا لَمَنْ تَبَيْكَ مِنْهُمْ

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ. الأعراف: ١٨

الطُّبري: يعني من كفره بني آدم تُبَاع إبليس،

ومن إبليس وذريته. (٨: ١٢٩)

نحوه الواحدي (٢: ٣٥٦)، والموازن (٢: ١٧٨)،

والقاسمي (٧: ٢٦٢٨)، ورشيد رضا (٨: ٣٣٩)،

والمراغي (٨: ١١٦).

الزَّجَّاج: (لَمَنْ تَبَيْكَ مِنْهُمْ) هذه اللام لام القسم

تدخل توطئة للأمر. (لَأَمْلِكَنَّ) والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل: من تبعك أعذبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد، ولام (لَأَمْلِكَنَّ) لام القسم ولام (لَسَنَ تَبْعَكَ) توطئة لها، يجوز في الكلام: والله من جاءك لأضربه، ولا يجوز: والله لَسَنَ جاءك أضره، وأنت تريد: لأضره، ولكن يجوز: والله لمن جاءك أضره، تريد: لأضره. (٢: ٣٢٥)

الطوسي: (لَسَنَ تَبْعَكَ) جواب القسم، وحذف جواب الجزاء في (لَسَنَ تَبْعَكَ) لأن جواب القسم أولى بالذکر من حيث إنه في صدر الكلام، ولو كان في حشو الكلام، لكان الجزاء أحق منه، كقولك: إن تأتني والله أكرمك.

ولا يجوز أن تكون (مَنْ) هاهنا بمعنى «الذي» لأنها لاقلب الماضي إلى الاستقبال.

ويجوز أن تقول: والله لمن جاءك أضره، بمعنى لأضره، ولم يخبر بمعنى لأضره.

كما يجوز: والله أضره زيداً بمعنى لأضره، ولا يجوز بمعنى لأضره، لأن الإيجاب لابد فيه من لون التأكيد مع اللام، على قول الزجاج. (٤: ٣٩٤)

الزمخشري: واللام في (لَسَنَ تَبْعَكَ) موطنة للقسم و(لَأَمْلِكَنَّ) جوابه، وهو ساد مسد جواب القطر. (٢: ٧١)

نحوه أبو السعود (٢: ٤٨٤)، والبروسوي (٣: ١٤٣)، والطباطبائي (٨: ٣٤).

ابن عطية: وقرأت فرقة (لَسَنَ تَبْعَكَ) بفتح اللام، وهي على هذه لام القسم المخرجة الكلام من الشك إلى

القسم، وقرأ عاصم الجعدي والأعمش (لَمَنْ تَبْعَكَ) بكسر اللام، والمعنى لأجل من تبعك. (٢: ٣٨٢)

الطوسي: اللام الأولى لام الابتداء والثانية لام القسم، و(مَنْ) للشرط وهو في موضع رفع بالابتداء، ولا يجوز أن يكون هنا بمعنى «الذي» لأنها لاقلب الماضي إلى الاستقبال. [ثم ذكر نحو الطوسي إلى أن قال:] أي من بني آدم، معناه من أطاعك واقتدى بك من بني آدم. (٢: ٤٠٥)

أبو حيان: قرأ الجمهور (لَسَنَ) بفتح اللام، والظاهر أنها اللام الموطنة للقسم، و(مَنْ) شرطية في موضع رفع على الابتداء، وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطنة.

ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء و(مَنْ) موصولة، و(لَأَمْلِكَنَّ) جواب قسم محذوف بعد (مَنْ تَبْعَكَ) وذلك القسم المحذوف، وجوابه في موضع خبر (مَنْ) الموصولة، وقرأ الجعدي وعصمة عن أبي بكر عن عاصم (لَمَنْ تَبْعَكَ) بكسر اللام، واختلفوا في تخريجها، فقال ابن عطية: المعنى لأجل من تبعك منهم لأملأن انتهى.

فظاهر هذا التقدير أن اللام تتعلق بـ(لَأَمْلِكَنَّ) ويتمنع ذلك على قول الجمهور أن ما بعد لام القسم لا يصل فيها قبله.

وقال الزمخشري: بمعنى لمن تبعك منهم الوحيد، وهو قوله: (لَأَمْلِكَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَتَمِينَ) على أن (لَأَمْلِكَنَّ) في محل الابتداء و(لَسَنَ تَبْعَكَ) خبره، انتهى.

فإن أراد ظاهر كلامه، فهو خطأ على مذهب

ابن عَطِيَّة : (وَتَبَيْكَ) معناه في طريق الكفر الذي تدعو إليه، فالآية في الكفار وفي من يتخذ عليه الوعيد من العصاة. (٤٧٠ : ٣)

القُرَاعِي : فمن أطاعك من ذرية آدم وضلّ عن الحق، فإنّ جزاءك على دعائك إيتاهم، وجزاءهم على اتباعهم لك وخلافهم أمرى موفور لا ينقص لكم من شيء بما تستحقّون من سيّء الأعمال، ما دنستم به أنفسكم من قبيح الأفعال. (٧٠ : ١٥)

نحوه محمد جواد مغنّية (٥ : ٦٢)، وعبد الكريم الخطيب (٨ : ٥١٨).

تَبَيْتِي

١-...فَصَنَ تَبَيْتِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ

إبراهيم : ٣٦

الإمام الباقر عليه السلام : من أحبنا فهو منا أهل البيت (قلت [أبو عبيدة] جعلت فداك منكم؟ قال:) منّا والله، أما سمعت قول إبراهيم : ﴿فَصَنَ تَبَيْتِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾.

نحوه الإمام الصادق عليه السلام، (الغيثاني ٢ : ٤١٤)

الطُّبري : فمن تبعتني على ما أنا عليه من الإيمان بك، وإخلاص العبادة لك، وفراق عبادة الأوثان، فإنه مِنِّي، يقول: فإنه مستنّ بسنتي، وعامل بمثل عملي.

(٢٢٨ : ١٣)

نحوه المُرَاشِي (١٣ : ١٥٩)، والمُخَازِن (٤ : ٣٩)، وطه الدُّرّة (٧ : ٣٤٨).

الطُّوسِي : حكاية ما قال إبراهيم من أنّ من يتبعه في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، فإنه منه وعلى

البصريين، لأنّ قوله: (لَا تَمْلِكُنَّ) جملة هي جواب قسم محذوف، فمن حيث كونها جملة فقط لا يجوز أن تكون مبتدأة، ومن حيث كونها جواباً للقسم يتبع أيضاً، لأنها إذ ذاك من هذه الخبيثة لاموضع لها من الإعراب، ومن حيث كونها مبتدأة لها موضع من الإعراب ولا يجوز أن تكون المعلقة لها موضع ولا موضع لها بحال، لأنه يلزم أن تكون في موضع رفع لافي موضع رفع داخلاً عليها عامل غير داخل، وذلك لا يتصور.

وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي: اللام متعلقة من الذّام والدّحر، ومعناه أخرج بهاتين الصفتين لأجل أتباعك، ذكر ذلك في كتابه «اللوامح» في شواذ القراءات، ومعنى (مِنْكُمْ) مثله ومن تبعك، فغلب الخطاب على القضية، كما تقول: فلت وإخوتك أكرمكم.

نحوه الألويسي.

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿لَا تَمْلِكُنَّ لَهُمْ مِنْكُمْ﴾، ومَنْ تَبَيْكَ مِنْهُمْ أَجْبَعِينَ ﴿ ص : ٨٥

٢- قَالَ أَذْهَبَ فَصَنَ تَبَيْكَ مِنْهُمْ فَإِنْ جَهِتُمْ جَزَاؤُكُمْ مِنْ جَزَاءِ مُؤَفُّوْرًا.

الإسراء : ٦٣

الطُّبري : يعني من ذرية آدم عليه السلام فأطاعك، فإنّ جهنّم جزاؤك وجزاؤهم.

(١١٧ : ١٥)

نحوه الواحدي (٣ : ١١٥)، والمسيدي (٥ : ٥٧٨)، والقرطبي (١٠ : ٢٨٨).

الطُّوسِي : من ذرية آدم واقتنى أشرك وقيل منك.

(٤٩٧ : ٦)

دينه.

(٢٩٩: ٦)

نحوه الواحدي (٣: ٣٣)، وابن الجوزي (٤: ٣٦٥)،
والخازن (٤: ٣٩).

الشيئي: أي من أطاعني في ديني فإنه وليي
ونصيري. (٥: ٢٦٨)

الزمخشري: (قَنْ تَبَعِي) على ملتي وكان حنيفاً
مسلياً مثلي (فإنه يني)، أي هو بعضي لفرط اختصاصه
بي وملايسته لي، وكذلك قوله: «من غشنا فليس منا»
أي ليس بعض المؤمنين على أن القس ليس من أفعالهم
وأوصافهم. (٢: ٣٨٠)

نحوه الفخر الرازي (١٩: ١٣٣)، والبيضاوي (١:
٥٣٢)، والتسلي (٢: ٢٦٣)، وأبو حيان (٥: ٤٣١)،
وأبو السموذ (٣: ٤٩٢)، والقاسمي (١٠: ٤٧٣٣).

الطبرسي: يريد من تبعني من ذريتي النبي
أسكنهم هذا البلد على ديني، في عبادة الله وحده وترك
عبادة الأصنام، فإنه من جلني وحاله كعالي.

(٣: ٣١٨)

البروسوي: (قَنْ تَبَعِي) منهم فما أَدْعُو إليه من
التوحيد وملة الإسلام (فإنه يني). (من) تبعيته،
فالكلام على التشبيه، أي كبعضي في عدم الانفكاك
عني. (٤: ٤٢٥)

الآلوسي: [نحو البروسوي وأضاف:]

ويحتمل أن تكون اتصالية، كما في قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم لعلي كرم الله تعالى وجهه: «أنت مني
بمنزلة هارون من موسى» أي فإنه متصل بي لا ينفك عني
في أمر الدين.

وتسميتها اتصالية لأنه يفهم منها اتصال شيء
بمروورها وهي ابتدائية، إلا أن ابتدائية باعتبار
الاتصال، كذا في حواشي «شرح المفتاح» الشريفي،
يعني أن مروورها ليس مبدأ أو منشأ لنفس ما قبلها بل
لاتصاله.

فإنما أن يقدر متعلقها فضلاً خاصاً، كما قاله الجلال
السيوطي في بيان المنبر: من أن (من) فيه خبر المبتدأ،
(ومن) اتصالية، ومتعلق المنبر خاص، والهاء زائدة
بمعنى أنت متصل بي ونازل مني بمنزلة هارون من موسى.
وإنما أن يقدر فعل عام، كما ذهب إليه الشريف
هنا، أي منزلته بمنزلة كائنة وناسئة مني كمنزلة
هارون من موسى ﷺ، وتقديره خاصاً هنا كما فعلنا،
على تقدير جعلها اتصالية بما يستطيه الذوق السليم،
(١٢: ٢٣٥)

دون تقديره

الطباطبائي: تبرع على ما تقدم من كلامه، أي
إذا كان كثير من الناس أضلّتهم الأصنام بعبادتهم
واستطدّ بك وعرضت نفسي وبني عليك أن نجيبنا من
عبادتهم، افرقنا نحن والناس طائفتين: الضالون عن
طريق توحيدك، والعارضون لأنفسهم على حفظك
واجتنابك، (قَنْ تَبَعِي) إلخ.

وقد عبر ملا في تفريعه بقوله: (قَنْ تَبَعِي) والإتياع
إنما يكون في طريق - وقد نوح إلى الطريق أيضاً بقوله:
(أضللن) لأن الضلال إنما يكون عن الطريق - لمراده
بإتباعه القديين بدينه والسير بسيرته لا بمجرد الاعتقاد
بوحدايته تعالى، بل سلوك طريقته المبنية على توحيد
الله سبحانه، ليكون في ذلك عرض النفس على رحمته،

تعالى، وإجتنابه من عبادة الأصنام.

ومن الدليل على كون المراد بالاتباع هو سلوك سبيله، قوله في ما يعادله من كلامه: (وَمَنْ عَصَانِي) فإنه نسب العصيان إلى نفسه ولم يقل: ومن كفر بك أو عصاك أو فسق عن الحق ونحو ذلك، كما لم يقل: فمن آمن بك أو أطاعك أو اتقاك وما أشبهه.

فمراده بالاتباع: سلوك طريقته والتدين بجميع ما ألقى به من الاعتقاد والعمل، وبصيانته: ترك سيرته وما ألقى به من الشريعة اعتقاداً وعملاً، كآتة ﷺ يقول: من تبعني وعمل بشريعتي وسار بسيرتي فإنه ملحق بي ومن أهانني تغزيراً أسألك أن تجنّبني وإيأه أن تعبد الأصنام ومن عصاني بترك طريقي كلها أو بعضها سواء كان من بني أو غيرهم، فلا أحسبه بنفسه ولا أسأله لإجتنابه وإيساءه بل أخلى بينه وبين مغفرتك ورحمتك.

ومن هنا يظهر أولاً أن قوله ﷺ: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ» تفسير لقوله: «وَاجْتَنِبِي وَتَبَيَّنْ أَنْ تَقْبَلَ الْأَصْنَامَ» إبراهيم: ٣٥، بالتصريف في البنين تسمياً وتخصيصاً فهو كتصميم البنين لكل من تبعه من جهة وتخصيصه بالمصنوع له منهم من جهة أخرى، فليسوا منه ولا ملحقين به. وبالمجسلة هو ﷺ يلحق الذين اتبعوه من بعده بنفسه، وأما غير متبعيه فيخلّي بينهم وبين ربهم الغفور الرحيم، كما قال تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِزْهَاجٍ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوا وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا» آل عمران: ٦٨.

وهذه التوسعة والتضييق منه ﷺ نظير مجموع ما وقع منه ومن ربه في الفقرة الأخرى من دعائه، على

ما يحكيه آية البقرة: ١٢٦ ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ حيث سأل الرزق أولاً لأهل البلد، ثم نفسه لمن آمن منهم، فعسفه الله سبحانه بقوله: (وَمَنْ كَفَرَ) ثانياً.

وثانياً: أن من الممكن أن يستفاد من قوله ﷺ: «إِنَّهُ سَيِّءٌ» وسكوته فيمن عصاه بعد ما كان دعاؤه في نفسه وبنيه أن ذلك تبين منه لكل من تبعه وإلحاق له بنفسه، ونفي لكل من عصاه عن نفسه وإن كان من بنيه بالولادة، أو إلحاق لتابعيه بنفسه مع السكوت عن غيرهم بناء على عدم صراحة السكوت في الثاني.

ولابدشكال في ذلك بعد ظهور الدليل، فإن الولادة الطبيعية لا يجب أن تكون هي الملاك في النسب إنبائاً ونفياً، ولا تعبد واحدة من الأمم يقتصرزون في النسب إنبائاً ونفياً على مجرد الولادة الطبيعية بل لا يزالون يستصرفون بالتوسعة والتضييق. وللإسلام أيضاً تعريفات في ذلك كني الذمعي والمولود من الزنى، والكافر المرتد، وإلحاق الرضيع والمولود على الفراش إلى غير ذلك، وفي كلامه تعالى في ابن نوح: «وَإِنَّهُ لَكَيْسٌ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» هود: ٤٦.

وثالثاً: أنه ﷺ وإن لم يسأل المغفرة والرحمة صريحاً لمن عصاه، وإنما صرحهم للمغفرة والرحمة بقوله: «وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَافِرٌ رَحِيمٌ» لكنه لا يخلو عن إيحاء ما إلى الطلب لمن ترك طريقته وسيرته التي تعد الإنسان للرحمة الإلهية بحفظه من عبادة الأصنام، وهذا المقدار من المعصية لا يمنع عن شمول الرحمة وإن لم يكن مقتضياً

قَبْلَتُكَ وَعَاثَتْ بِتَابِعِ قَبْلَتِهِمْ وَمَاتَظُهُمْ بِتَابِعِ قَبْلَتِهِ
بفض... البقرة: ١٤٥

الحسن: لا يصير النصارى كلهم يهودا، ولا اليهود
كلهم يصيرون نصارى أبدا، كما لا يتبع جميعهم الإسلام.
مثله السدي، وابن زيد، والجلباني. (الطوسي ٢: ٢٠)
السدي: ما لليهود بتابعي قبلة النصارى، ولا
النصارى بتابعي قبلة اليهود.

مثله ابن زيد. (الطبري ٢: ٢٤)

الطبري: وإنما يعني جل ثناؤه بذلك أن اليهود
والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة مع إقامة كل حزب
بهم على ملتهم. (٢: ٢٤)

الزجاج: «عَاتَبُوا بِقَبْلَتِكَ» لأن أهل الكتاب
يظهرون على النبي ﷺ واليهود لا تتبع قبلة النصارى ولا
النصارى تتبع قبلة اليهود، وهم مع ذلك في التظاهر على
النبي متفقون. (١: ٢٢٤)

القفال: هذا يمكن حمله على الحال وعلى
الاستقبال، أما على الحال فن وجود:

الأول: أنهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى
يمكن إرضاؤهم باتباعها.

الثاني: أن اليهود والنصارى مع اتفاقهم على
تكذيبك متباينون في القبلة، فكيف يدعونك إلى ترك
قبلك مع أنهم فيا بينهم مختلفون.

الثالث: أن هذا إبطال لقولهم: إنه لا يجوز مخالفة أهل
الكتاب، لأنه إذا جاز أن تختلف قبلتاهما للمصلحة،
جاز أن تكون المصلحة في ثالث.

وأما حمل الآية على الاستقبال فغير إشكال، وهو

أيضا لذلك، وليس المراد به نفس القمرك بأفه حتى ينافي
سؤال المغفرة، كما قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» النساء: ١١٦.

هذا محصل ما يعطيه التدبر في الآيتين الكريميتين،
وهو في معزل عما استشكله المفترون في أطراف
الآيتين، ثم ذهبوا في التخلص عنه مذاهب شتى بعيدة
عن الذوق السليم. (١٢: ٧١)

يَتَّبِعُهَا

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. البقرة: ٢٦٣

الطبري: يعني يشكبه عليها، ويؤذيه بسببها.
(٣: ٦٤)

القيسي: «وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ» ابتداء وخبر، و«يَتَّبِعُهَا»
نعت «للصدقة» في موضع خفض.

البهقي: أي من تمييز للسائل، أو قول يؤذيه.

(١: ٣٦٠)

نحوه الخازن. (١: ٢٣٩)

تَتَّبِعُهَا

تَتَّبِعُهَا الرَّادُّونَ.

النازعات: ٧

راجع «رد ف»

تَبِعُوا - تَابِع

وَلَيْتَ اتَّبَعَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا

أَن قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا بِئَابَعِ قَبْلَهُ يَنْظُرُ﴾ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ قَدْ أَتَى قَبْلَهُ الْآخَرُ، لَكِنْ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ لِيُغْنِي عَنِ الْخَلْفِ.

وجوابه: أَمَّا إِنْ حَمَلْنَا أَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى عِلْمَانِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدَنَا أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ يَتَّبِعُ قَبْلَهُ الْآخَرُ، فَالْخَلْفُ غَيْرُ لَازِمٍ. وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْكُلِّ، فَلَنَا، إِنَّهُ عَامٌ دَخَلَهُ التَّخْصِيسُ.

(الفخر الرازي ٤: ١٤٢)

الطُّوسِي: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿...فَاتَّبَعُوا قِبْلَتَكَ﴾ وَقَدْ آمَنَ مِنْهُمْ خَلْقٌ؟
قلنا: عَنْ ذَلِكَ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: [قَوْلُ الْحَسَنِ الْمُسْتَدَمِّ]، وَالثَّانِي: [قَوْلُ الرَّجَّاحِ وَاخْتَارَهُ الْبَلْخَعِيُّ وَقَدْ تَقَدَّمَ]

وهذه الآية دالة على فساد قول من قال: لَا يَكُونُ الْوَعِيدُ بِشَرْطٍ، وَعَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: بِالْمُؤَاقَاةِ، وَإِنْ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يُؤْتَمَنُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ أَصْلًا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّقَ الْوَعِيدَ بِشَرْطٍ يُوْجِبُ أَنْ يَكُونَ مَنْ يَحْصُلُ الشَّرْطُ يَحْصُلُ اسْتِحْقَاقُ الْعِقَابِ. وَفِيهَا دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْوَعِيدَ لَا يَقَعُ لِمَنْ عِلْمُ أَنَّهُ لَا يَعْصِي، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مِنْ حَالِ الرَّسُولِ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ، وَمَعَ هَذَا تَوَعَّدَهُ إِنْ أَتَى أَهْوَاءَهُمْ.

وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ فِي الْمَقْدُورِ لَطْفًا، لَوْ فَعَلَ اللَّهُ بِالْكَافِرِ لَأَمَنَ لِمَحَالَةٍ، مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ قِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا الَّذِينَ...﴾ فَوَلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعَانِدَ لَا يَنْفَعُهُ الدَّلَالَةُ لِأَنَّهُ عَارِفٌ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ لَا لَطْفَ لَهُمْ فَتَلْتَمِسُهُ لِيُؤْمِنُوا.

وعلى القولين فيه دلالة على فساد قول أصحاب اللطف، لِأَنَّ مَخْرَجَهُ مَخْرَجُ التَّخْصِصِ مِنَ التَّخْلِيفِ عَنْهُمْ مَا يُؤْمِنُونَ عَنْهُ طَوْعًا، فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: وَمَا فِي أَنَّ الْآيَةَ لَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْإِيمَانِ لَطْفُ يَنْفَعُهُمْ فِيهِ لَكَانَ لَا يَسْقُطُ سَوْأُهُ، إِلَّا بِأَنْ يُقَالَ: لَا لَطْفَ لَهُمْ كَمَا لَا آيَةَ تَنْفَعُهُمْ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وقوله: ﴿وَمَا أَتَيْتُ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قِيلَ: فِي مَعْنَاهُ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَوَّلُهَا: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا الَّذِينَ...﴾ أَوْتُوا الْكِتَابَ... عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ، كَمَا تَقُولُ: مَا هُمْ بِتَارِكِي إِنْكَارِ الْحَقِّ وَمَأْنَتِ بِنَارِكَ الْاعْتِرَافِ بِهِ، فَيَكُونُ الْفَرْقُ جَزْءَ الْكَلَامِ التَّعَابُلِ لِلْكَلَامِ الْأَوَّلِ، وَذَلِكَ حَسَنٌ مِنْ كَلَامِ الْبَلْخَعِيِّ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَيْسَ يُمْكِنُ اسْتِصْلَاحُهُمْ بِاتِّبَاعِ قِبْلَتِهِمْ لِاخْتِلَافِ وَجْهَتِهِمْ، لِأَنَّ التَّصَارِيحَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَالْيَهُودُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَبِينُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ رِضَا الْفَرِيقَيْنِ مَحَالٌ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ حَسْمُ طَمَعِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ، إِذْ كَانُوا طَمَعُوا فِي ذَلِكَ وَظَنُّوا أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَاجُوا فِي ذِكْرِهِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ النُّسخُ بِمَجْرُورٍ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ لِيَرْتَفِعَ ذَلِكَ التَّجَعُّوزُ.

وقوله: ﴿وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا بِئَابَعِ قَبْلَهُ يَنْظُرُ﴾ قِيلَ: فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: [قَوْلُ الْحَسَنِ وَالشَّيْخِ وَقَدْ تَقَدَّمَ]

وَقَالَ غَيْرُهُمْ: مَعْنَاهُ إِسْقَاطُ الْاعْتِلَالِ بِأَنَّهُ مَحَالَةٌ

كعب الله بن سلام وغيره وأنهم لا يدينون بدينه، أي فلا تصح إليهم.

وقوله تعالى جلّت قدرته: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ لفظ خبر يتضمن الأمر، أي فلا تركن إلى شيء من ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْقُضُكُمْ...﴾ قال غيرهما [الثدي وابن زيد] سقى الآية: وما من أسلم معك منهم يتبع قبلة من لم يسلم، ولا من لم يسلم يتبع قبلة من أسلم.

والأول أظهر في الأعمام، وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود بيت المقدس. (٢٢٢: ١)

الطبرسي: [نحو الطوسي] إلا أنه قال في تأويل قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ [

ويعمل أيضًا أن يجري الكلام على الظاهر، لأنه لم يثبت أن يهوديًا تنصّر ولا أن نصرانيًا يهود، فلا ضرورة بنا إلى العدول من الظاهر إلى التأويل.

(٢٢٩: ١)

الفخر الرازي: في الآية مسائل:

المسألة الأولى: اختلفوا في قوله: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾ فقال الأصم: المراد علماءهم الذين أخبر الله تعالى عنهم في الآية المتقدمة بقوله: ﴿وَرَأَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيُقْلِمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ البقرة: ١٤٤.

واحش عليه بوجوه:

أحدها: قوله: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ البقرة: ١٢٠، فوصفهم بأنهم يتبعون الهوى، ومن اعتقد في الباطل أنه حق فإنه لا يكون متبعًا لهوى النفس، بل

لأهل الكتاب الذين ورثوا ذلك عن أنبياء الله بأمره إيساهم به، فكلمًا جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح، جاز أن يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح في بعض الأزمان. (١٨: ٢)

الرّمحسري: (مائثوا) جواب القسم المحذوف، ستة مسدّد جواب الشرط. (يكلّ آية): بكلّ برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق، ﴿مَاتِبِقُوا قِبَلَتَكُمْ﴾ لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة، إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق، ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ حسم لأطباعهم؛ إذ كانوا ماجوا في ذلك، وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننظره، وطعنوا في رجوعه إلى قبلتهم. وقرئ (بتابع قبلتهم) على الإضافة: ﴿وَمَا يَنْقُضُكُمْ قِبَلَةٌ بَعْضٌ﴾ يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة، لا يبرح اتفاقهم كما لا يبرح موافقتهم لك، وذلك أن اليهود نستقبل بيت المقدس والنصارى تطلع الشمس.

أخبر مزوجّل عن تصلب كلّ حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالهوى منهم لا يزل عن مذهبه تمسكه بالبرهان، والمبطل لا يقطع عن باطله لشدة شكيمته في عناده. (٣٢٠: ١)

نحوه البضاوي (١: ٨٨)، والنسفي (١: ٨٠)، والشريفي (١: ١٠٢)، والبرهوتوي (١: ٣٥٢).

ابن عطية: أعلم الله تعالى نبيه حين قالت له اليهود: راجع بيت المقدس ونؤمن بك، مخادعة منهم أنهم لا يتبعون له قبلة، يعني قبلتهم، لأن البعض قد أتبع

يكون في ظنه أنه متبع للهدى. فأتى الذين يعلمون بقلوبهم، ثم ينكرون بالسبب، لهم المتبعون للهدى.

وثانيها: أن ما قبل هذه الآية وهو قوله: ﴿وَلِئَلَّا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَقْلُتُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ لا يتناول عواتهم، بل هو مختص بالعلماء، وما بعدها وهو قوله: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كُنُسًا يَعْرِفُونَ ابْنَاءَهُمْ﴾ البقرة: ١٤٦، مختص بالعلماء أيضاً، إذ لو كان عاماً في الكل امتنع الكتاب، لأن الجمع العظيم لا يجوز عليهم الكتابان. وإذا كان ما قبلها وما بعدها خاصاً فكذا هذه الآية المتوسطة.

وثالثها: أن الله تعالى أخبر عنهم بأنهم مصرّون على قولهم، ومستمرّون على باطلهم، وأنهم لا يرجعون عن ذلك المذهب بسبب شيء من الدلائل والأهكام. وهذا شأن المعاند اللجوج، لا شأن المعاند المتحيز. ورابعها: أننا لو حملناه على العموم لصارت الآية كذباً، لأن كثيراً من أهل الكتاب آمن بمحمد ﷺ ونبع قبلته.

وقال آخرون: بل المراد جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى. واحتجوا عليه بأن قوله: ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ صيغة عموم فيتناول الكل. ثم أجابوا عن المجبة الأولى أن صاحب السبحة صاحب هوى في الحقيقة، لأنه ماعن النظر والاستدلال، فإنه لو أتى بنهم النظر والاستدلال لوصل إلى الحق، فحيث لم يصل، علمنا أنه ترك التأم بجرّد الهوى.

وأجابوا عن المجبة الثانية بأنه ليس يمتنع أن يراد في الآية الأولى بعضهم، وفي الآية الثانية كلهم.

وأجابوا عن المجبة الثالثة أن العلماء لما كانوا مصرّين على الشبهات، والعوام كانوا مصرّين على اتباع أولئك العلماء كان الإصرار حاصلًا في الكل.

وأجابوا عن المجبة الرابعة بأنه تعالى أخبر عنهم أنهم بكلّيتهم لا يؤمنون، وقولنا: كل اليهود لا يؤمنون، مغاير لقولنا: أن أحداً منهم لا يؤمن.

المسألة الثانية: احتج الكمي بهذه الآية على جواز أن لا يكون في المقدور لطف لبعضهم، فقال: لأنه لو حصل في المقدور هؤلاء لطف، لكان في جملة الآيات ما لو أتاهم به لكانوا يؤمنون، فكان لا يصح هذا الخبر على وجه القطع.

المسألة الثالثة: احتج أبو مسلم بهذه الآية على أن يعلم الله تعالى في عباده وما يغفلونه ليس بمجبة لهم فيما يتكبرون، فإنهم مستطيعون لأن يفعلوا الخير الذي أمروا به، ويتركوا خذه الذي نهوا عنه.

واحتج أصحابنا به على القول بتكليف ما لا يطاق، وهو أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يتبعون قبلته، فلو اتبعوا قبلته لزم انقلاب خبر الله الصادق كذباً، وحلوه جهلاً، وهو محال، ومستلزم المحال محال، فكان ذلك محالاً، وقد أمروا به، فقد أمروا بالمحال، وتام القول فيه مذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ٦.

المسألة الرابعة: إنما حكم الله تعالى عليهم بأنهم لا يرجعون عن أباطيلهم بسبب البرهان، وذلك لأن إعراضهم عن قبول هذا الدّين ليس عن شبهة يزيلها بإيراد المجبة، بل هو محض المكابرة والعناد والمسد.

وذلك لا يزول بإيراد الدلائل.

المسألة الخامسة: اختلفوا في قوله: ﴿مَاتِيَهُوا قِبَلَتَكَ﴾. قال الحسن والجُبَّائي: أراد جميعهم، كأنه قال: لا يهتممون على اتباع قبلك، على نحو قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ الأنعام: ٣٥.

وقال الأصم وغيره: بل المراد أن أحدا منهم لا يؤمن.

قال القاضي: إن أردت بأهل الكتاب كلهم العلماء منهم والعوام، فلا بد من تأويل الحسن، وإن أردت به العلماء، نظرنا فإن كان في علمائهم المخاطبين بهذه الآية من قد آمن، وجب أيضا ذلك التأويل، وإن لم يكن فيهم من قد آمن، صح إجراؤه على ظاهره في رجوع النبي إلى كل واحد منهم، لأن ذلك أليق باقظاها، إذ لا فرق بين قوله: ﴿مَاتِيَهُوا قِبَلَتَكَ﴾، وبين قوله: ماتت عليهم قبلك، [إلى أن قال:]

أما قوله تعالى: ﴿وَمَاتَتْ بِتَابِعِ قِبَلَتِهِمْ﴾ ففيه أقوال:

الأول: أنه دفع لتجويز التسع، ويان أن هذه القبلة لاتصير منسوخة.

والثاني: حسنا لأطباع أهل الكتاب فإنهم قالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننظره، وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم.

الثالث: المقابلة يعني ما هم بتاركها باطلهم وماتت بتارك محقق.

الرابع: أراد أنه لا يجب عليك استصلاحهم باتباع قبلتهم، لأن ذلك معصية.

الخامس: وماتت بتابع قبلة جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأن قبلة اليهود مخالفة لقبلة النصارى، فلهيود بيت المقدس، وللنصارى المشرق. فالزم قبلك ودع أقوالهم. (٤: ١٣٩ - ١٤١) نحوه أبو حنيفة. (١: ٤٣٠)

ابن كثير: إخبار عن شدة متابعة الرسول ﷺ لما أمره الله تعالى به، وأنه كما هم متمسكون بأرائهم وأهوائهم، فهو أيضا متمسك بأمر الله وطاعته واتباع مرضاته، وأنه لا يتبع أهواءهم في جميع أحواله ولا كونه متوجها إلى بيت المقدس لكونها قبلة اليهود، وإنما ذلك على أمر الله تعالى. (١: ٣٤١)

أبو السعود: [نحو الزمخشري وأضاف:] إخبار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها وأهميتها، وهو كقولهم: لا يزالون متمسكين بأمر الله تعالى، والبطان وعائلة الحق، ولولا يؤمنهم أن مدار النبي هو التمدد، وقرئ (بتابع قبلتهم) على الإضافة. (١: ٢١٦) الألوسي: ﴿مَاتِيَهُوا قِبَلَتَكَ﴾ جواب القسم ساد مسد جواب الشرط، لا جواب الشرط، لما تقرر أن الجواب إذا كان القسم مقدما للقسم لا للشرط إن لم يكن مانع، فكيف إذا كان كترك الفاء هاهنا فإنها لازمة في الماضي المنفي إذا وقع جزاء، وهذا تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قبولهم الحق، والمعنى أنهم ماتركوا (قبلك) لشبهة تدفعها بحجة وإنما خالفوك لخص العناد ومحت المكابرة.

وليس المراد من التعليق بالشرط الإخبار عن عدم متابعتهم على أبلغ وجه وأكد، بأن يكون المعنى

أَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَكَ أَصْلًا - وَإِنْ أَتَيْتَ بِكُلِّ حُجَّةٍ - فَمَا تَدْفَعُ
مَاقِيلَ: كيف حكم بأنهم لا يتبعون وقد آمن منهم
فريق. واستغنى عن القول بأن ذلك في قوم مخصوصين أو
حكم على الكل دون الألباض، فإنه تكلف مستغنى
عنه، وإضافة القبلة إلى ضمير **لَكَ** لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَعَبَّدَ
بِاسْتِقْبَالِهَا. ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ أي لا يكون ذلك
منك ومحال أن يكون، فالجملة خبرية لفظًا ومعنى سبقت
للتأكيد حقيقة أمر القبلة كل التأكيد. وقطع تنفي أهل
الكتاب، فإنهم قالوا: يا محمد عُدْ إِلَى قِبَلِنَا وَنُزِمَ بِكَ
وَنُتِمَّكَ، عَادَةً مِنْهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى
أَنَّ هَذِهِ الْقِبْلَةَ لَا تَصِيرُ مَنْوُوعَةً أَبَدًا.

وقيل: إنها خبرية لفظًا إنشائية معنى، ومنعناها
التي، أي لا تتبع قِبَلَتِهِمْ، أي داوم على عدم متابعتها.
[أَمَّ قَالَ نَحْوُ الزُّمَعَرِيِّ فِي ﴿وَمَا يَنْقُضُكُمْ قِبَلَتَهُ﴾
بِفَضْلٍ] (٢: ١١)

الطُّبَّاءُ طَبَائِي: ﴿وَلَكِنْ أَتَيْتُ...﴾، تنزيح لهم
بالعناد واللجاج، وإن إباءهم عن القبول ليس لحفاء
الحق عليهم، وعدم تبيينه لهم، فإنهم عالمون بأنه حق
علمًا لا يخالفه شك، بل الباعث لهم على بث الاعتراض
وإثارة الفتنة عنادهم في الدين وجحودهم للحق،
فلا ينفهم حجة، ولا يقطع إنكارهم آية، فلو أتيتهم بكل
آية ما تابعوا قبلك لعنادهم وجحودهم، ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ
قِبَلَتِهِمْ﴾، لأنك على بينة من ربك، ويمكن أن يكون
قوله: (وَمَا أَنتَ) نهيًا في صورة خبر، ﴿وَمَا يَنْقُضُكُمْ قِبَلَتَهُ﴾
قِبْلَةُ يَنْقُضُ، وهم اليهود يستقبلون صخرة بيت
المقدس أينما كانوا، والتصارى يستقبلون المشرق أينما

كانوا، فلهذا البعض يقبل قبلة ذاك البعض، ولا ذلك
يقبل قبلة هذا أتباعًا للهوى. (١: ٣٢٦)

التَّابِعِينَ

...أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْوَزِيَّةِ مِنَ الرِّجَالِ...

النور: ٣١

لاحظ «أ ر ب».

تَبِيعًا

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِيهِ نَارَةٌ أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
غَشًّا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا
الْإِسْرَاءَ: ٦٩.

ابن عباس: يقول: نصيرًا. (الطَّبْرِيُّ ١٥: ١٢٥)
تأثرًا ولا نصيرًا. (المبيدي ٥: ٥٨١)

مجاهد: تأثرًا. (الطَّبْرِيُّ ١٥: ١٢٥)
قتادة: أي لا تخاف أن تتبع بشيء من ذلك.

لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك. (الطَّبْرِيُّ ١٥: ١٢٥)
الفرّاء: يقال: تأثرًا وطالبًا، فتببع في معنى تابع.

(٢: ١٢٧)
أَبُو عُبَيْدَةَ: أي من يتبعنا لكم تبعة، ولا طالبًا لنا
بها. (١: ٣٨٥)

نحوه ابن قتيبة (٢٥٩)، والطَّبْرِيُّ (١٥: ١٢٥)،
وعبر (٤: ٣٨) ..

الطَّبْرِيُّ: ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا تَابِعًا يَتَّبِعُنَا بِمَا فَعَلْنَا
بَكُمْ، وَلَا تَأْتُرُنَا بِتَأْرُنَا بِإِهْلَاكِنَا إِنَّا كَمْ.

وقيل: (به) قيل: للإرسال، وقيل: للإغراق،
وقيل: لها باعتبار ما وقع ونحوه، كما أشير إليه. وكأنه
سبحانه لما جعل الفرق بين الإعادة إلى البحر استقامًا في
مقابلة الكفر عقبه تعالى بني وجدان التبع، فكأنه قيل:
نستقم من غير أن يقوم لنصركم، فهو وعيد على وعيد،
وجعل ما قبل من شقّ المذاب كمنس الضّر في البحر،
عقبه بني وجدان الوكيل، فكأنه قيل: لا تعبدون من
تتكلون عليه في دفعه غيره تعالى، لقوله سبحانه:
﴿ضَلُّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُ﴾ الإسراء: ٦٧، وهذا اختيار
صاحب «الكشف» فلا تغفل. (١١٧: ١٥)

تَبِعًا

وَيُزَوِّدُوا فِي جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا
إبراهيم: ٢١
الْفُزَاءُ: التبعية، تابع مثل خادم وخدام وياقر وبقّر
وحارس وحرمس وراصد ورصد.
(الفخر الرازي: ١٩: ١٠٨)

أَبُو حَبِيبَةَ: (التبعية) جميع تابع، خرج عخرج
«غائب» والجميع: غيب. (٣٣٩: ١)
الطَّبَرِيُّ: (تَبِعًا) في الدنيا، والتبع: جمع تابع، كما
الغيب جمع غائب. وَإِنَّمَا عَتَوْا يَقُولُهُمْ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعًا﴾ أَنَّهُمْ كَانُوا أَتَابِعَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يَأْمُرُونَ مَا يَأْمُرُونَهُمْ
بِهِ، مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِمَا نَهَوْهُمْ
عَنْهُ، مِنْ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ.
نحوه الرَّجَاج (١٥٨: ٣)، وَالزُّخْرِيُّ (٣٧٣: ٢)،
وَابْنُ عَسْطِيَّة (٣٣٢: ٣)، وَالْبُرُوسِيُّ (٤١١: ٤).

وقيل: (تَبِعًا) في موضع التابع، كما قيل: حليم في
موضع عالم. والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو
غيره: تبع. [ثم استشهد بشعر] (١٢٤: ١٥)
نحوه ابن عَطِيَّة (٤٧٢: ٣)، وَالطُّوسِيُّ (٥٠٢: ٦)،
وَالْبُتُّوِيُّ (١٣٨: ٤).

الرَّجَاج: أي لا تعبدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم،
ولامن يتبعنا بأن يصرفه عنكم. (٣٥٢: ٣)
نحوه المِثْبَدِيُّ (٥٨١: ٥)، وَالْيَابُورِيُّ (١٥: ٥٨)،
الْقُتَيْبِيُّ: يقول: وكيلاً، ويقال: كفيلاً، ويقال: تائراً.
(٢٢: ٢)

السُّجِسْتَانِيُّ: أي تابعًا طائفاً. (١٠٩)
الرُّمُحْشَرِيُّ: التبعية: المطالب من قوله: ﴿فَاتَّبَعُوا﴾
بِالْمَعْنَى: أَنَا نَعْمَلُ مَا نَعْمَلُ بِهِمْ، ثُمَّ لَا تَعْبُدُوا أَحَدًا سِوَاللَّهِ
بِمَا فَعَلْنَا انْتِصَارًا مَتَا وَدَرَكًا لِلنَّارِ مِنْ جَهَنَّمَ، وَهَذَا نَحْوُ
قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَتَهُمَا﴾ - السُّمَس: ١٥. (٤٥٨: ٢)
مثله النَّسَبِيُّ (٣٢٢: ٢)، وَالْحَارِزِيُّ (١٣٨: ٤)،
وَأَبُو السُّمُود (٢٢٦: ٣)، وَالطَّطَاوِيُّ (٧٧: ٩).

أَبُو الْفُتُوح: وحيث لا تعبدوا تابعًا وعرنا وناصرًا
لكم علينا، فينصركم علينا، و(تبع) فعيل بمعنى فاعل،
وقالوا: في معناه قولان: الأول: الجيش الذي يتبع
الزايعة، والثاني: القائد الذي يتبع القائد. (٢٤٩: ١٢)
الْبَيْهَقَاوِيُّ: أي مطالبًا يتبعنا بانتصار أو صرف.
(٥٩٢: ١)

نحوه الشَّرِيفِيُّ (٣٢١: ٢)، وَالْبُرُوسِيُّ (١٨٣: ٥)
الْأَلُوسِيُّ: [نحو الزُّخْرِيِّ] ثم قال:

والمرآغي (١٣: ١٤٤).

أتبع

الساوودي: يعني في الكفر بالإجابة لكم.

(١٢٩: ٣)

(٣١٠: ٣)

نحوه الطبرسي.

المفخر الرازي: واعلم أن هذه التبعية يحصل أن

يقال: المراد منها التبعية في الكفر، ويحصل أن يكون

المراد منها التبعية في أحوال الدنيا. (١٠٨: ١٩)

(١٢١: ١٣)

نحوه الثياهوري.

البيضاوي: في تكذيب الرسل والإعراض عن

نصائحهم، وهو جمع تابع كغائب وغيب، أو مصدر تمت

به للمبالغة، أو على إضمار مضاف. (٥٢٨: ١)

نحوه أبو حيان (٥: ٤١٦)، وأبو السعود (٣: ٤٤٨).

والشربيني (٢: ١٧٦).

الحازن: يعني في الدين والاعتقاد. (٣٤: ٤)

ابن كثير: أي مها أمرقونا انتعرتنا وعلنا.

(١١٨: ٤١)

(٣٧٢٣: ١٠)

نحوه القاسمي.

الآلوسي: [نحو الطبري والبيضاوي وأضاف:]

وقيل: المعنى إنا تبع لكم لأرائنا، ولذا سماهم الله

تعالى ضعفاء، ولا يلزم منه كون الرؤساء أقوياء الرأي

حيث ضلوا وأضلوا، ولو حمل الضعف على كونهم تحت

أيديهم وتابعين لهم كان أحسن، وليس بذلك. (٢٠٦: ١٣)

وجاء بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ

لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ

مُعْتَدُونَ...﴾

المؤمن: ٤٧.

الكهف: ٨٥

فَاتَّبَعَ سَبِيحًا.

الفراء: قرئت (فَاتَّبَعَ) و(اتَّبَعَ) وأتبع أحسن من

اتَّبَعَ، لأنَّ اتَّبع الرجل، إذا كان يسير وأنت تسير

وراءه، وإذا قلت: أتبعته - بقطع الألف - فكأنتك قفوته.

(١٥٨: ٢)

الطبري: [قال ما حاصله قراءة عامة قراء المدينة

والبصرة «فاتبع» بتشديد التاء بمعنى سلك وسار. وعامة

قراء الكوفة «أتبع» بالتخفيف بمعنى لحق، ورجح الأول،

لأنه أخبر عن سير ذي القرنين لاعتن لحاقه السبب]

(١٠: ١٦)

نحوه أبو زرعة (٤٢٨)، وابن عطية (٣: ٥٢٨)، وابن

المجوزي (٥: ١٨٥)، وأبو حيان (٦: ١٥٩).

الزجاج: ويقرأ (فَاتَّبَعَ) أي آتينا من كل شيء.

ما يبلغ به في القمطن أقطار الأرض، (سببًا) أي علمًا...

(٣٠٨: ٣)

البغوي: أي سلك وسار طريقًا. [ثم ذكر القراءتين

وقال:]

والصحيح الفرق بينهما، فمن قطع الألف فعناء أدرك

ولحق، ومن قرأ بالتشديد فعناء سار: يقال: مازلت أتبعه

حتى أتبعته، أي مازلت أسير خلفه حتى لحقته.

(٢١٢: ٣)

نحوه الميمني (٥: ٧٣٦)، والثياهوري (١٦: ٢٣).

وأبو السعود (٣: ٢٦٥)، والبروسوي (٥: ٢٩١).

القرطبي: [نقل القراءات وقول بعض اللغويين ثم

قال:]

يقول ابن قتيبة [(٢: ٢٨٠)

الطُّوسِي: معناه أَنَّ الشَّيْطَانَ أَتْبَعَهُ كُفَّارُ الْإِنْسِ
وَعُتَاتِهِمْ حَتَّى أَتْبَعُوهُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ
وَبِأَيَّانِهِ.

وقيل: أَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ بِالْتَّرْيِينِ وَالْإِغْوَاءِ حَتَّى تَمْسَكَ
بِعَبْلِهِ. (٥: ٣٧)

نحوه النَّخْرُ الرَّازِي. (١٥: ٥٥)

الْبَغْوِيُّ: أَي لِحْفَهُ وَأَدْرَكَهُ. (٢: ٢٥٩)

الْمَيْبُودِيُّ: اسْتَبْعَهُ. (٣: ٧٩٠)

الرَّامُحُشَرِيُّ: فَلَعَنَهُ الشَّيْطَانُ وَأَدْرَكَهُ وَصَارَ قَرِينًا

لَهُ أَوْ فَاتَبَعَهُ خَطَوَاتِهِ. وَفَرَّى (فَاتَبَعَهُ) بِمَعْنَى فَتَبَعَهُ.

(٢: ١٣٠)

نحوه الْبَيْضَاوِيُّ (١: ٣٧٧)، وَالْأَيْسَابُورِيُّ (٩: ١٨٥)

وَالنَّيْسَابُورِيُّ (٢: ٨٥)، وَالْكَاشَانِيُّ (٢: ٢٥٣)، وَشَبْر

(٢: ٤٢٦)، وَالْقَاسِمِيُّ (٧: ٢٩٠٤)، وَالطَّعْطَاوِيُّ (٤: ٢٦٧).

وَلَهُ الدَّرَّةُ (٥: ١٣٢).

أَبْنُ عَطِيَّةٍ: (أَتْبَعَهُ): صَبَّرَهُ تَابِعًا، كَذَا قَالَ الطَّبْرِيُّ

إِنَّمَا لَضَلَالَةٍ رَسَمَهَا لَهُ وَإِنَّمَا لِنَفْسِهِ.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ (فَاتَبَعَهُ) بِقَطْعِ الْأَلْفِ وَسُكُونِ التَّاءِ.

وَهِيَ رَاجِعَةٌ لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لِحْفَهُ وَصَارَ مَعَهُ، وَكَذَلِكَ

﴿فَاتَبَعَهُ شَيْطَانُ﴾ الْحَجَر: ١٨، وَ﴿فَاتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾

يُونُس: ٩٠.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ فِيَا رَوَى عَنْهُ هَارُونَ (فَاتَبَعَهُ) بِصَلَةِ

الْأَلْفِ وَشَدِّ التَّاءِ، وَكَذَلِكَ طَلَعَةُ بْنُ مَصْرُوفٍ بِخِلَافٍ،

وَكَذَلِكَ الْخِلَافُ عَنِ الْحَسَنِ عَلَى مَعْنَى لَازِمِهِ (أَتْبَعَهُ)

بِالْإِغْوَاءِ حَتَّى لُغِوَاهُ. (٢: ٤٧٧)

وَالْحَقُّ فِي هَذَا أَنَّ تَبَعَ وَاتَّبَعَ وَأَتَّبَعَ لُغَاتٌ بِمَعْنَى
وَاحِدٍ، وَهِيَ بِمَعْنَى التَّبَعِ، فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ لُحَاقٌ
وَأَلَّا يَكُونَ. (١١: ٤٩)

الْخَازَنُ: سَلَكَ طَرِيقًا. (٤: ١٨٦)

شُبْر: فَأَخَذَ طَرِيقًا نَحْوَ الْمَغْرِبِ. (٤: ٩٨)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: الْإِتْبَاعُ: اللَّحُوقُ، أَي لِحَقَّ سَبِيلًا
وَأَخَذَ وَصْلَةً وَمَسِيلَةً يَسِيرُ بِهَا نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

(١٣: ٣٦٠)

وَهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبِيلًا﴾

الْكَهْف: ٨٩، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبِيلًا﴾ الْكَهْف: ٩٢

أَتَّبَعَهُ

١- وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي أَتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاتَّبَعَ سَبِيلَهَا

فَاتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْقَاطِرِينَ. الْأَعْرَاف: ٢٧٥

ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَي أَدْرَكَهُ، يُقَالُ: أَتْبَعْتُ الْقَوْمَ، إِذَا

لَحَقْتَهُمْ وَتَبِعْتَهُمْ: سَرَتْ فِي إِتْرِهِمْ. (١٧٤)

نحوه الْبَغْوِيُّ (٢: ٢٥٩)، وَالنَّحَّاسُ (٣: ١٠٥).

الطَّبْرِيُّ: صَبَّرَهُ لِنَفْسِهِ تَابِعًا، يَنْتَهِي إِلَى أَمْرِهِ فِي

مَعْصِيَةِ اللهِ، وَيُخَالِفُ أَمْرَ رَبِّهِ فِي مَعْصِيَةِ الشَّيْطَانِ وَطَاعَةِ

الرَّحْمَنِ. (٩: ١٢٣)

الْمَاوُزِدِيُّ: فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجَدَ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الشَّيْطَانَ صَبَّرَهُ لِنَفْسِهِ تَابِعًا، بِإِجَابَتِهِ لَهُ
حِينَ أَغْوَاهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الشَّيْطَانَ مَتَّبِعٌ مِنَ الْإِنْسِ عَلَى ضَلَالَتِهِ
مِنَ الْكُفْرِ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الشَّيْطَانَ لِحْفَهُ فَأَغْوَاهُ. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ

- الطَّبْرَسِيِّ: أي تبعه وتبع وأتبع وأتبع بمعنى. وقيل: معناه لحقه الشيطان وأدركه حتى أضله.
- ﴿٢: ٤٩٩﴾ (فَاتَّبَعَهُ) مشدداً بمعنى تبعه.
- نحوه أبو الفُتُوح، القُرْطُبِيُّ: أي لحق به، يقال: أَتْبَعْتُ الْقَوْمَ، أي لحقتهم. وقيل: نزلت في اليهود والنصارى، انظروا خروج محمد ﷺ فكفروا به. (٧: ٣٢١)
- أبو الشعثود: [نحو الزُّنْشَرِيِّ وأضاف:] وفيه تلويح بأنه أشد من الشيطان غواية أو أتبعه خُطُواته. (٣: ٥٢)
- الخازن: يعني لحقه وأدركه وصيره الشيطان تابعاً لنفسه في معصية الله يخالف أمر ربه، ويطيع الشيطان وهواه. (٢: ٢٥٩)
- نحوه الشَّريفي: **أَبُو حَتِيَّانَ**، وقرأ الجمهور **﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾** الأعراف: ١٧٥ من أتبع رباعياً، أي لحقه وصار معه، وهي مبالغة في حقه؛ إذ جعل كأنه هو إمام للشيطان يتبعه، وكذلك **﴿فَاتَّبَعَهُ شَيْطَانٌ نَاقِبٌ﴾** الصافات: ١٠، أي هذا وراءه.
- قال القُتَيْبِيُّ: تبعه من خلفه، وأتبعه: أدركه ولحقه، كقوله: **﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾** الشعراء: ٦٠، أي أدركوهم، فعل هذا يكون متعدياً إلى واحد، وقد يكون «أَتْبَعُ» متعدياً إلى اثنين، كما قال تعالى: **﴿وَاتَّبَعْتُهُمْ دُونَهُمْ بِإِيمَانٍ﴾** الطور: ٢٦، فيقدر هذا: فأتبعه الشيطان خطواته، أي جعله الشيطان يتبع خطواته، فتكون الهمزة فيه للتعدّي؛ إذ أصله: تبع هو خطوات
- الشَّيْطَانِ. وقرأ طلحة بخلاف والحسن فيما روى عنه هارون (فَاتَّبَعَهُ) مشدداً بمعنى تبعه.
- قال صاحب كتاب «اللُّوْح»: بينها فرق، وهو أن تبعه إذا مضى في أثره، وأتبعه إذا وراه شيئاً، فأما فَاتَّبَعَهُ يقطع الهمزة فيما يتعدى إلى مفعولين، لأنه منقول من تبعه، وقد حذف في المائة أحد المفعولين.
- وقيل: (فَاتَّبَعَهُ) بمعنى استبعه، أي جعله له تابعاً، فصار له مطيعاً سامعاً.
- وقيل: معناه تبعه شياطين الإنس أهل الكفر والضلال. نحوه الألويسي.
- ابن كثير: أي استحوذ عليه وعلى أمره كلها أمره. **أَجْعَلْ لِي قُلُوبَهُمْ**، ولهذا قال: **﴿فَكَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾**.
- البُزْوَسي: أتبع وتبع بمعنى واحد كأردف وردف، والمعنى أن الشيطان كان وراءه طالباً لإضلاله وهو يسبقه بالإيمان والطاعة لا يدركه الشيطان، ثم لما انسلخ من الآيات لحقه وأدركه. (٣: ٢٧٧)
- رشيد رضا: أي فترتب على انسلخه منها باختباره، أن لحقه الشيطان فأدركه وتمكّن من الوسوسة له؛ إذ لم يبق لديه من نور العلم والبصيرة ما يحول دون قبول وسوسته. (٩: ٤٠٦)
- نحوه المِراغي.
- مكارم الشيرازي: إن التعبير القرآني (فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ) يستفاد منه أن الشيطان كان أول الأمر آتياً

منه تقريباً، لأنه كان يسلك سبيل الحق تماماً، وبعد أن انصرف لحقه الشيطان وترتب له وأخذ يوسوس له، حتى انتهى أمره إلى أن يكون من الضالين المتحرفين الأشقياء. (٢٦٩: ٥)

٢- إِنْ أَتَى اسْتَرْقَى السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ.

الحجر: ١٨

ابن عباس: فيرعى بالشهاب، فيصيب جبهته أو جنبه، أو حيث شاء الله منه، فيلتهب، فيأتي أصحابه وهو يلتهب، فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا.

(الطبري: ١٤: ١٤)

فيؤمنون بالكواكب فلا تخطئ أبداً، فمنهم من تقتله، ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله، ومنهم من تحبسه فيصير غولاً، يضل السمع في البوادي. (الحازن: ٤: ٤٩)

نحوه البغوي (٣: ٥٢)، والشريبي (٢: ١٩٦).

القراء: لا تخطئه، إما قتله وإما حبسه. (٢: ٨٢)

الطبرسي: أي لحقه. (٣: ٣٣٢)

مثله ابن الجوزي (٤: ٣٩٠)، والفخر الرازي (١٩: ١٦٩)، والكاشاني (٣: ١٠٣).

القرطبي: أدركه ولحقه. (١٠: ١٠)

مثله النيسابوري. (١٤: ١١٢)

البيضاوي: فتنه ولحقه. (١١: ٥٣٩)

مثله أبو السعود (٤: ١٢)، والقاسمي (١٠: ٣٧٥١)

البزرجي: أي جمه ولحقه، قال ابن الكمال: الفرى

قام بين تبعه وأتبعه، يقال: أتبعه إتباعاً، إذا طلب الثاني

اللتحقى بالأول، وتبعه تبعاً، إذا مر به ومضى معه. (٤: ٤٤٩)
الآلوسي: معنى (أتبعه): تبعه عند الأخفش، نحو ردفته وأردفته، فليت الهمة فيه للتعدية، وقيل: أتبعه أخص من تبعه لما قال الجوهري: تبع القوم تبعاً، وتباعاً بالفتح، إذا مشيت خلفهم أو مرؤوا بك لمضيت معهم، وأتبع القوم على «أفعلت» إذا كانوا قد سبقوك فلتحقهم، واستحسن الفرق بينهما الشهاب.

ولما كان الإتباع محتملاً للإهلاك وضيره اختلف العلماء في ذلك، فعكس القرطبي عن ابن عباس: أن الشهاب يجرح ويحرق ولا يقتل، وعن الحسن وطائفة: أنه يقتل، وأدعى أن الأول أصح. (١٤: ٢٣)

(الطبري: ١٤: ١٤)

الطباطبائي: أي يلحقه نجم مضى، حار متوقد.

(٨: ٧)

المصنف: كما في لکن من أراد اختطاف شيء من عالم الغيب مما يتحدث به الملائكة في الملأ الأعلى، تبعه كوكب مشتمل نارا ظاهراً للمبصرين فأحرقه ولم يصل إلى معرفة شيء مما يدبر في ملكوت السماوات.

(١٤: ١٣)

٣- إِنْ أَتَى خُطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثاقِبٌ.

الصافات: ١٠

راجع «ش ه ب»

أَتْبَعَهُمْ

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ

- وَجُنُودُهُ يُفَاتِحُهَا وَيَعْدُو...
يونس : ٩٠
- الِكِسَائِيَّ : إذا أريد أنه [فرعون] أتبعهم خيراً أو
شراً فالكلام (أتبعهم) بجزر الألف، وإذا أريد أتبع أثرهم
أو اقتدى بهم فإنه من «أتبع» مشددة التاء، غير مهموز
الألف. (الطبري : ١١ : ١٦٢)
- نحوه أبو عمرو الشيباني. (النجاشي : ٣ : ٣١٣)
- أبو عبيدة : مجازاً : تبعهم، مما سواء. (١١ : ٢٨١)
- الأصمعي : «أتبعه» بقطع الألف، إذا لحقه وأدركه،
و«أتبعه» بوصل الألف، إذا أتبع أثره، أدركه ولم يدركه.
مثله أبو زيد. (النجاشي : ٣ : ٣١٣)
- ومثله البكري (٢ : ٤٣٢)، والمجدي (٤ : ٣٣٦).
- ابن قتيبة : لحقهم، يقال : أتبع الفقوم، أي
لحقهم، وتبعهم : كنت في أثرهم. (١١ : ١٦٢)
- الطبري : فتبعهم فرعون (وَجُنُودُهُ) يقال :
أتبعته وتبعته بمعنى واحد. (١١ : ١٦٢)
- النجاشي : قرأ فتادة (فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ)
بوصل الألف. (٣ : ٣١٣)
- الزمخشري : فلحقهم، يقال : تبعته حتى أتبعته.
(٢ : ٢٥١)
- نحوه البياضي (١ : ٤٥٦)، والنسفي (٢ : ١٧٤)،
والشربيني (٢ : ٣٥)، وأبو الشعثود (٣ : ٢٧٠)، والبروسوي
(٤ : ٧٦)، والآوسي (١١ : ١٨١).
- ابن قتيبة : قرأ جمهور الناس (فَاتَّبَعَهُمْ) لأنه
يقال : تبع وأتبع بمعنى واحد، وقرأ فتادة والمسن
(فَاتَّبَعَهُمْ) بشدة التاء. قال أبو حاتم : القراءة (أتبع) بقطع
الألف، لأنها تتضمن الإدراك، و(أتبع) بشدة التاء هي
- طلب الأمر، سواء أدركه أو لم يدرك. (٣ : ١٤٠)
- وجاء بهذا المعنى قوله : «فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ»
فَتَّبِعَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَخِصِيمٌ» طه : ٧٨
- اتبعوهم
- فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ. الشعراء : ٦٠
- راجع «ت ر ق».
- اتَّبَعْنَا
- فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ
لَا يُؤْمِنُونَ. المؤمنون : ٤٤
- الطبري : فاتبعنا بعض تلك الأمم بعضاً بالهلاك.
فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. (١٨ : ٢٤)
- نحوه البكري (٣ : ٣٦٦)، والطبرسي (٤ : ١٠٨)،
والخازن (٥ : ٣١).
- الطوسي : يعني في الإهلاك، أي إهلاكنا قوماً بعد
قوم. (٧ : ٣٧٠)
- نحوه الزمخشري. (٣ : ٣٣)
- أبو حيان : أي بعض القرون أو بعض الأمم بعضاً في
الإهلاك الناشئ عن التكذيب. (٦ : ٤٠٧)
- نحوه الطائفي. (١٥ : ٣٤)
- أبو الشعثود : في الإهلاك حسياً تبع بعضهم بعضاً في
مباشرة أسبابه التي هي الكفر والتكذيب ومسائر
الحاصي. (٤ : ٤١٥)
- نحوه البروسوي (٦ : ٨٤)، والآوسي (١٨ : ٣٥).

أَتَيْتَنَاهُمْ

وَأَتَيْتَنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ
السَّافِرِينَ. القصص: ٤٢

أَبُو عُبَيْدَةَ: مجازة: الزمانهم. (١٠٦: ٢)
الطَّبْرِيُّ: وأزمننا لمرصون وقومه في هذه الدنيا
خزيًا وغضبًا. (٧٩: ٢٠)

نحوه المِزَابِيُّ. (٦٢: ٢٠)
الطَّبْرِيُّ: معناه الحقنا بهم في هذه الدنيا لعنة بأن
لَقْنَا وأبعدناهم من رحمتنا.

وقال أَبُو شَيْبَةَ: معناه الزمانهم. بأن أمرنا بلعنهم.
قوله بعد قوم. (١٥٥: ٨)

الطَّبْرِيُّ: أي أردفناهم لعنة بعد لعنة. (٢٥٥: ٤)
أَبُو السُّعُود: لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم الصلاة
والسلام والمؤمنون خلقًا عن سلف. (٢٢٤: ٥)

نحوه الأَكْوَسي. (٨٣: ٢٠)

الطَّبَّا طِبَائِي: بيان للازم ما وصفهم به في الآية
السابقة، فهم لكونهم أئمة يقتدى بهم من خلفهم في الكفر
والمعاصي، لا يزال يتبعهم ضلال الكفر والمعاصي من
مُسْتَقْدِيهِمْ وَمُتَّبِعِيهِمْ، وعملهم من الأوزار مثل
مال المتبعين، فيتبعهم لمن مستمر باستمرار الكفر
والمعاصي بعدهم. (٣٨: ١٦)

أَتَيْتُوهَا

وَأَتَيْتُوهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ...

هود: ٦٠

ابن قُتَيْبَةَ: أي ألقوها. (٢٠٥)

الطَّبْرِيُّ: وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضبًا
من الله وسخطًا يوم القيامة، مثلها لعنة إلى اللعنة التي
سلفت لهم من الله في الدنيا. (٦٢: ١٢)

نحوه الطُّوسِي (١٥: ٦)، والْقُرْطُبِيُّ (١٧١: ٣).
البَغَوِيُّ: أي أردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم.
(٤٥٤: ٢)

نحوه ابن الجَوْزِيِّ (٤: ١٢٢)، والْقُرْطُبِيُّ (١٨: ١٦)،
والمُحَازِن (٣: ١٩٥).

الرُّمَيْسِيُّ: ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل
جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تُكَبِّمُ عَلَى وجوههم
في عذاب الله. (٢٧٧: ٢)

نحوه الشَّيْخَانِيُّ (١: ١٧٢)، والنَّسَبِيُّ (٢: ١٩٥).
وطه الدُّرَّة (٣٢: ٣٢)

أَبُو حَتِيَّان: والظاهر أن قوله: (وَأَتَبِعُوا) عام في جميع
عاد. [ثم ذكر قول الرُّمَيْسِيِّ وأضاف:]

فظاهر كلامه يدل على أن اللعنة مختصة بالتابعين
للرؤساء، وبه على علة اتباع اللعنة لهم في الدارين
بأنهم كفروا ربهم، فالكفر هو الموجب للعنة، ثم كرر
التنبيه بقوله: (آلَا) في الدعاء عليهم، تهويلًا لأمرهم
وخطيئتهم، ومعنا على الاعتبار بهم، والحد من مثل
حالهم. (٢٣٥: ٥)

أَبُو السُّعُود: (لَعْنَةُ) إعادًا عن الرحمة وعن كل
خير، أي جعلت اللعنة لازمة لهم. وعبر عن ذلك
بالنجية للمبالغة، فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل
مذهب، بل تدور معهم حيثما داروا، ولو قوعه في صحبة

أتباعهم رؤساءهم، يعني أنهم لما اتبعوهم أتبعوا ذلك جزاء لضييعهم جزاءً وفاً.

نحوه عبد الكريم الخطيب، (١١٥٩: ٦)

البروسوي: (وَأَتَّبَعُوا) أي التابعون والرؤساء، [ثم]

ذكر نحو أبي السُّدود (١٥١: ٤)

نحوه الألويسي.

ورشيد رضا: إتباع الشيء الشيء: لحوقه به

وإدراكه إياه بحيث لا يفوته، أي لحقت بهم لعنة في هذه

الدنيا، فكان كل من علم بمخالهم من بعدهم ومن أدرك

آثارهم، وكل من بلغه الرسل من بعدهم خبرهم

يلعنونهم.

نحوه المراغي.

محمد جواد مغنيتي: أي أنهم فعلوا ما يستوجب

اللعن دنيًا وأخرى.

الطباطبائي: أي وأتبعهم الله في هذه الدنيا لعنة

وإيعادًا من الرحمة. [ثم قال نحو ما تقدم عن أبي السُّدود

ورشيد رضا وأدام:]

وأما اللعنة يوم القيامة فصداقه العذاب الخالد الذي

يلحق بهم يومئذ، فإن يوم القيامة يوم جزاء لا غير.

(٣٠٥: ١٠)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَّبِعُهُ الرُّفْدُ السَّرْفُودُ﴾ هود: ٩٩

تَتَّبِعُهُمْ

ثم تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ.

المرسلات: ١٧

الزُّجَّاج: على الاستئناف، ويقرأ (ثم تَتَّبِعُهُمْ) بالجرم

عطف على (تَهْلِكُ) ويكون المعنى ألم تهلك الأولين، أي

أولًا وآخرًا. ومن رفع فعله معنى ثم نتبع الأول الآخر

من كل جرم.

الواحد: يعني كفار مكة حين كذبوا بمحمد ﷺ.

(٤٠٨: ٤)

المسيدي: أي تلحق المتأخرين الذين أهلكوا من

بعدهم بهم، كقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين

وآل فرعون وثلاثة، ثم توعد المجرمين من أمّة محمد ﷺ.

(٣٣٨: ١٠)

الزمخشري: بالرفع على الاستئناف، وهو وعيد

لأهل مكة، يريد ثم فعل بأمتهم من الآخرين، مثل

ما فعلنا بالأولين، ونسلك بهم سبيلهم، لأنهم كذبوا مثل

كذبهم.

وقرى بالجرم للعطف على (تَهْلِكُ)، ومعناه: أنه

أهلك الأولين من قوم نوح وهاد ونمود ثم أتبعهم

الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى.

نحوه أبو السُّدود (٣٤٩: ٦)، وابن عطية (٤١٨: ٥).

والبروسوي (٢٨٤: ١٠).

الألويسي: بالرفع على الاستئناف، وهو وعيد لأهل

مكة وإخبار بما يقع بعد الهجرة كبدن، كأنه قيل: ثم نحن

فعل بأمتهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين ونسلك

بهم سبيلهم، لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم، ويقويه قراءة

عبد الله «ثم ستيهم» بسين الاستقبال، وجوز العطف

على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَهْلِكْ﴾ إلى آخره.

وقرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو (تتبعهم)

بإسكان السين، فعُمل على الجرّم والعطف على (تهلك)

فيكون المراد به (الأخسرين): المتأخرين هلاكاً من المذكورين، كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام دون كفار أهل مكة، لأنهم بعد ما كانوا قد أهلكوا، والحلف على **(تَهْلِك)** يقتضيه.

وجسوز أن يكون قد سَكَنَ تخفيفاً، كما في **(وَمَا يُشِيرُكُمْ)** الأنعام: ١٠٩، فهو مرغوع كما في قراءة الجمهور إلا أن الضمة مقدرة. (١٧٤: ٢٩)

اتَّبَعَ

١- أَتَى اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوِيَهُ جَهَنَّمُ وَيُشْرُ النَّصِيرُ. آل عمران: ١٦٢
راجع «ر ض ي»

٢- وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ جِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... النساء: ١٢٥
راجع «م ل ل»

٣- يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ... المائدة: ١٦
ابن عَطِيَّة: معناه بالتكسب والنية والإقبال عليه. (١٧١: ٢)

الفخر الرازي: من كان مطلوبه من طلب الدين اتباع الدين الذي يرتضيه الله تعالى، فأما من كان مطلوبه من دينه تقرير ما ألّفه ونشأ عليه، وأخذه من أسلافه مع ترك النظر والاستدلال، فن كان كذلك فهو ضير متبع رضوان الله تعالى. (١٩٠: ١١)

نحوه المُرَاغِي. (٨٠: ٦)
الألوسي: أي من علم الله تعالى أنه يريد اتباع رضا الله تعالى بالإيمان به، و(من) موصولة أو موصوفة. (٩٨: ٦)

نحوه طه الذِّرة. (٢٤٢: ٣)
محمّد جواد مغنّية: أي من رغب في مرضاة الله وحده وطلب الحق لوجه الحق، فإنه يجد في الإسلام بُغْيته ومرامه. (٣٤: ٣)

هناك أبحاث أخرى راجع «ر ض ي».

٤-... وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...

الأعراف: ١٧٦

عَطِيَّة: طلب الدنيا وأطاع الشيطان.

(أبو الفتح ٩: ١٨)
ابن زيد: كان هواء مع القوم. (الطبري ٩: ١٢٨)
ابن أبي اليمان: أي امرأته. (أبو الفتح ٩: ١٨)
الزجاج: أي لم يرفض بها لاتباعه هواء. (٣٩١: ٢)
البغوي: انتقاد لما دعاه إليه الهوى. (٢٥٩: ٢)
مثله ابن الجوزي. (٢٩٠: ٣)

المبيّدي: أي اتبع ماسفل الأمر وترك معاليه. واختار الدنيا عن الآخرة، وأطاع الشيطان. (٧٩١: ٣)
الطبرسي: أي وانتقاد لهواء في الزكون إلى الدنيا، واختيارها على الآخرة. (٥٠٠: ٢)

الفخر الرازي: معناه أنه أعرض عن التمسك بما آناه الله من الآيات واتبع الهوى، فلا جرم وقع في هاوية الردى. (٥٦: ١٥)

نحوه الخازن (٢: ٢٥٩)، وأبو الشعود (٣: ٥٣)،
والألوسي (٩: ١١٤).

الطَّرْطَبِيّ: قيل: اتبع رضا زوجته، وكانت رغبته
في أموال حتى حملته على الدُّعاء على موسى.

(٣٢٢: ٧)

نحوه أبو حنّان.

البَيْضَاوِيّ: في إيتار الدنيا واسترضاء فومعه،
وأعرض عن مقتضى الآيات.

(٣٧٧: ١١)

نحوه البرُّوسويّ.

(٣٧٨: ٣)

رشيد رضا: [له كلام سياقي في هـ وي]

(٤٠٦: ٩)

هـ... وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ بَلَاءٍ
مُجْرِبِينَ.

قَتَادَةُ: من دنياهم.
الفَرَّاء: يقول: اتبعوا في دنياهم ما عودوا من التعمير
وإيتار اللذات على أمر الآخرة.

ويقال: اتبعوا ذنوبهم وأصايمهم السيئة إلى التار.

(٣١: ٢)

نحوه ابن قُتَيْبَةَ (٢١١)، والزَّجَّاج (٣: ٨٣).

الطَّبِيرِيّ: [بعد نقل الأحوال قال:]

وأول الأحوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله
أخبر تعالى ذكره أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة
سلفت، فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات
الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتبعوا ما أنظروا فيه من
لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله وتجبّروا وصدّوا عن

سبيله؛ وذلك أن «المترَف» في كلام العرب: هو المتعمّر
الذي قد خُذِيَ باللذات. [ثم استشهد بشر] (١٢: ١٣٩)
الماورديّ: يحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم اتبعوا على ظلمهم ما أنظروا فيه من
استدامة نعمهم، استدراجًا لهم.

الثاني: أنهم أخذوا بظلمهم فيما أنظروا فيه من
نعمهم.

الطُّوسِيّ: معناه أنهم اتبعوا التلذذ والتّعمّر بالأموال
والنعم التي أعطاهم الله إيتاءها، وقضوا الشهوات وذلك
من الحرام. وبين أنهم كانوا بذلك مجرّمين عاصين لله
تعالى.

نحوه الزُّمَظَرِيّ (٢: ٢٩٨)، والبَيْضَاوِيّ (١):
... وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ بَلَاءٍ
مُجْرِبِينَ. وعبد الكريم الخطيب (٦: ١٢١٢).

ابن كثير: أي استمروا على ما هم عليه من المعاصي
والمنكرات، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك حتى فجأهم
الغضب.

نحوه القاسميّ.

طه الدُّرّة: أي أشركوا وعصوا الله. وقرئ: (اتَّبَعَ)
بالباء المعلوم، وبالباء للمجهول. والمعنى أنهم اتبعوا
ما عودوا به من النعم، وإيتار اللذات على الآخرة
وضيحها.

٦... وَلَا تَطْغَوْا مَنِ انْغَلَقْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ

هُوِيَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. الكهف: ٢٨

الطَّبِيرِيّ: واتَّبَعَ هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه،

وَأَثَرُ هَوَى نَفْسِهِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَهُمْ فِيهَا ذُكْرٌ: عَيْتَةُ بَيْنَ جِصْنٍ، وَالْأَثَرُ بَيْنَ حَابِسٍ وَذَوِّهِمْ. (١٥: ٢٣٦)

الْمَاوُزْدِيُّ: (وَأَتَّبَعَ هَوِيَّ) فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: فِي شَهْوَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الثَّانِي: فِي سِوَالِهِ وَطَلْبِهِ التَّسْبِيحَ مِنْ غَيْرِهِ. (٣: ٣٠٢)

الْبَغَوِيُّ: أَيُّ مَرَادِهِ فِي طَلْبِ الشَّهْوَاتِ. (٣: ١٨٩)
نَحْوُهُ الطَّبْرَسِيُّ (٣: ٤٦٥)، وَالْمُخَازِنُ (٤: ١٧٠).

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: (وَأَتَّبَعَ هَوِيَّ) بَدَلَ عَلَى أَنَّ شَرَّ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ خَالِيًا عَنْ ذِكْرِ الْحَقِّ، وَيَكُونُ مَمْلُوءًا مِنَ الْهَوَى الدَّاعِي إِلَى الْإِسْتِفْثَالِ بِالْخَلْقِ.

وَتَحْقِيقُ الْقَوْلِ: أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ نَوْرٌ وَذِكْرُ غَيْرِهِ ظُلْمَةٌ. لِأَنَّ الْوُجُودَ طَبِيعَةُ النُّورِ، وَالْعَدَمَ مَنَبِعُ الظُّلْمَةِ. وَالْحَقُّ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ لِدَاثِهِ، فَكَانَ النُّورُ الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ وَمَا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ مُمْكِنُ الْوُجُودِ لِدَاثِهِ.

وَالْإِمْكَانُ طَبِيعَةُ عَدَمِيَّةٍ فَكَانَ مَنَبِعُ الظُّلْمَةِ، فَالْقَلْبُ إِذَا أَشْرَقَ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ فَقَدْ حَصَلَ فِيهِ النُّورُ وَالضُّوءُ وَالْإِشْرَاقُ. وَإِذَا تَوَجَّهَ الْقَلْبُ إِلَى الْخَلْقِ فَقَدْ حَصَلَ فِيهِ الظُّلْمُ وَالظُّلْمَةُ بِلِ الظُّلُمَاتِ، فَلهَذَا السَّبَبُ إِذَا أَعْرَضَ الْقَلْبُ عَنِ الْحَقِّ وَأَقْبَلَ عَلَى الْخَلْقِ لِهَوَى الظُّلْمَةِ الْخَالِصَةِ الثَّابِتَةِ، فَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْحَقِّ هُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْخَلْقِ هُوَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: (وَأَتَّبَعَ هَوِيَّ). (٢١: ١١٧)

الْأَلَوْسِيُّ: فِي طَلْبِ الشَّهْوَاتِ حَيْثُ أَسْنَدَ اتِّبَاعَ الْهَوَى إِلَى الْعَبْدِ، فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَهُ لِأَفْعَلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - وَالْإِسْنَادُ مُجَازِي - لَقِيلَ: فَاتَّبَعَ بِالْغَاءِ الشَّيْبَةِ لِنَفَرَعِهِ عَلَيْهِ.

وَأَجِيبُ بِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ لِكُونِهِ بِكَسْبِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى يَجُوزُ إِسْنَادُهُ إِلَيْهِ بِالْإِعْتِبَارِ الْأَوَّلِ وَإِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالثَّانِي. وَالتَّكْنِيسُ عَلَى التَّكْرِيمِ لَيْسَ بِإِلَازِمٍ فَقَدْ يُتْرَكُ لِنَكْتَةٍ كَالْقَصْدِ إِلَى الْإِخْبَارِ = اسْتِقْلَالًا لِأَنَّهُ أَدْخَلَ فِي الذَّمِّ وَتَفْوِيقًا إِلَى السَّامِعِ فِي فَهْمِهِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَقْدِيرِ، فَقِيلَ: وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ. (١٥: ٢٦٥)

الطَّبَّاطِبَايْنِيُّ: وَاتَّبَاعُ الْهَوَى وَالْإِفْرَاطُ مِنْ أَسَارِ هَفْلَةِ الْقَلْبِ، وَلِذَلِكَ كَانَ عَطْفُ الْجُمْلَتَيْنِ عَلَى قَوْلِهِ: (أَغْفَلْنَا) بِمَنْزِلَةِ عَطْفِ التَّصْغِيرِ. (١٣: ٣٠٢)

مَكَارِمُ الشَّيرَازِيِّ: الطَّرِيفُ هُنَا أَنَّ الْقُرْآنَ وَضَعَ هَاتَيْنِ الْجُمُوعَتَيْنِ فِي مَقَابِلٍ بَعْضُهَا مِنْ حَيْثُ الصِّفَاتِ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَلِي:

يُحَقِّقُونَ حَقِيقَتَهُ إِلَّا أَنَّهُمْ فُقَرَاءٌ، وَلَهُمْ قُلُوبٌ مَمْلُوءَةٌ بِحَسْبِ اللَّهِ، بِذِكْرُونَهُ بِاسْتِمْرَارٍ وَيُسَمُّونَ إِلَيْهِ. بِعَكْسِ الْأَغْنَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الْفَاسِقِينَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ سِوَى هَوَاهُمْ، وَهُمْ خَارِجُونَ عَنْ حَدِّ الْإِعْتِدَالِ فِي كُلِّ أَمْرِهِمْ وَيُتْرَاطُونَ وَيُسْرِفُونَ.

(٩: ٢٣٠)
وَهَذَا الْمَعْنَى جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوِيَّ فَتَرْدِي﴾ طه: ١٦.
رَاجِعٌ «هَوَى».

٨... وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. طه: ٤٧
الْفَرَّاءُ: يَرِيدُ: وَالسَّلَامَةُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَلَمَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، سِوَاهُ. قَالَ: أَمْرٌ مُوسَى أَنْ يَقُولَ لِفِرْعَوْنَ: وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. (٢: ١٨٠)

نحوه الطَّبَرِيُّ (١٦: ١٧١)، وأبو الشَّوَد (٤: ٢٨٤)،
والقاسمي (١١: ٤١٨٣).

الطُّوسِيّ: (وعلى) بمعنى اللّام، وتقديره: السّلامة
لمن اتّبع، والمعنى أنّ من اتّبع طريق الهدى سلم من
عذاب الله. (٧: ١٧٧)

المُتَّبِعِيّ: والمعنى السّلامة من عذاب الله لمن اتّبع
الإسلام. وقيل: معناه من أسلم وتبع الهدى فله النّجاة
والسلام، ولم يكن موسى يُحمّي فرعون بالسلام، إنّما قرأ
السلام على من أجابه وصدّقه. (٦: ١٣٠)

الآلُوسِيّ: (وعلى) بمعنى اللّام كما ورد عكسه في
قوله تعالى: ﴿هَمْزُ اللَّفْظَةِ﴾ الرّعد: ٢٥، وحروف الجرّ
كثيراً ما تتقارض، وقد حسن ذلك هنا المشاكلة حيث
جيء بـ «على» في قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوجِزَ إِلَيْهَا﴾ من
جهة ربّها (أَنَّ الْعَذَابَ) الذّينوي والأخرونيّ (وعلى) من
كذب) بآياته (وَتَوَلَّى) طه: ٤٨. (١٦: ١٩٨)

المُتَرَاغِيّ: أي والسّلامة والأمن من العذاب في
الدّنيا والآخرة على من اتّبع رُسل ربّه، واهتدى بآياته
التي تُرشد إلى الحقّ وتُزيل البُغيّة، وتُبعد عن الضّلال
والضلال. (١٦: ١١٥)

راجع «س ل م».

٩.... فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْغَى.

طه: ١٢٣

ابن عبّاس: من قرأ القرآن واتّبع ما فيه، هداه الله
في الدّنيا من الضلاله، ووقاه الله يوم القيامة سوء
الحساب. [وقرأ هذه الآية] (البَقَوِيّ ٣: ٢٧٣)

الشَّعْبِيّ: أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن يضلّ
في الدّنيا ويشقى في الآخرة، وقرأ هذه الآية

(البَقَوِيّ ٣: ٢٧٣)

الطَّبَرِيُّ: فمن اتّبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزع
عنه (فَلَا يَضِلُّ). يقول: فلا يزول عن محبّة الحقّ، ولكنّه
يُرشّد في الدّنيا ويُهتدى. (١٦: ٢٢٤)

الطُّوسِيّ: فمن اتّبع أدلّتي وعمل بما أمره به، فإنّه
(لَا يَضِلُّ) في الدّنيا (وَلَا يَشْغَى) في الآخرة. (٧: ٢١٩)
البَقَوِيّ: يعني الكتاب والرّسول. (٣: ٢٧٨)
الطُّيَّاطِبَائِيّ: نسبة الاتّباع إلى الهدى على طريق
الاستعارة بالكناية، وأصله: من اتّبع الهدى الذي
يُهدي بهدي. (١٤: ٢٢٤)

١. ﴿مَنْ تَبِعَ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ الشَّهَوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا...﴾ المؤمنون: ٧١

الطَّبَرِيُّ: ولو عمل الرّبّ تعالى ذكره بما لا يهوى
هؤلاء المشركون، وأجرى التّدير مشيئتهم وإرادتهم،
وترك الحقّ الذي هم له كارهون ﴿لَفَسَدَتِ
الشَّهَوَاتُ...﴾ الآية. (١٨: ٤٢)

نحوه الطُّوسِيّ (٧: ٣٨٢)، والميّديّ (٦: ٤٥٤).

الماوُزِدِيّ: وفي اتّباع أهواءهم قولان: أحدهما:
لو اتّبع أهواءهم فيما يشتهونه، الثّاني: فيما يعبدونه.

(٤: ٦٢)

البَقَوِيّ: أي لو اتّبع الله مرادهم فيما يفعل، وقيل:
لو اتّبع مرادهم، فسوّى لنفسه شريكاً وولداً، كما
يقولون: ﴿لَفَسَدَتِ الشَّهَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾. (٣: ٣٧٠)

أَبَوَالشُّعُودَ ، ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التي ماكرها الحق إلا لعدم موافقتها إياها مقتضية للطامة ، أي لو كان ماكرهوه من الحق الذي من جملة ما جاء به ^{الكتاب} موافقا لأهوائهم الباطلة ﴿لَفَسَدَتِ﴾ الآية . (٤٢٦ : ٤)

الآلوسي : جعل الاتباع حقيقة والإساءة مجازية . وقيل : مآل المعنى لو اتبع النبي ﷺ أهواءهم فعباءهم بالشرك بدل ما أرسل به ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ أي لحرب الله تعالى العالم وقامت القيامة ، لفرط غضبه سبحانه . وهو فرض محال من تبديله عليه الصلاة والسلام ما أرسل به من عنده .

وجوز أن يكون المراد به (الحق) : الأمر المطابق للواقع في شأن الألوهية والاتباع مجازا عن الموافقة . أي لو وافق الأمر المطابق للواقع أهواءهم بأن كانت ^{الشمس} الشمس حقا للسدت السماوات والأرض حسبا فتر في قسوته تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء : ٢٢ .

ولعل الكلام عليه اعترض للإشارة إلى أنهم كرهوا عينا لا يمكن خلافه أصلا ، فلا فائدة لهم في هذه الكراهة . (١٨١ : ٥٢)

الطباطبائي : [له - وكذلك لغيره - كلام يأتي في «ح ق هـ»] (١٥ : ٤٦)

اتَّبَعْنِ

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ - آل عمران : ٢٠
القرآن : (وَمَنِ اتَّبَعَنِ) ، للعرب في اليايات التي في

أواخر الحروف - مثل اتبعن ، وأكرمني ، وأهانني ، ومثل قوله : ﴿دَعْوَةُ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ البقرة : ١٨٦ ، ﴿وَقَدْ هَدَيْنِ﴾ الأنعام : ٨ - أن يحذفوا الياء مرة ويثبتوها مرة . فن حذفها اكتنى بالكسرة التي قبلها دليلا عليها وذلك أنها كالصلة إذ سكنت وهي في آخر الحروف ، واستغلت فحذفت . ومن أثبتا فهو البناء والأصل .

وينملون ذلك في «الياء» وإن لم يكن قبلها نون ، فيقولون : هذا غلامي قد جاء ، وغلام قد جاء . قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَنَشَرُّ بِحَادِ آلَ الَّذِينَ﴾ الزمر : ١٧ ، ١٨ ، في غير نداء يحذف الياء ، وأكثر ما تحذف بالإضافة في النداء ، لأن النداء مستعمل كثير في الكلام فحذف في غير نداء . وقال إبراهيم : ﴿رَبَّنَا وَتَجَلَّ دُعَاؤُ﴾ إبراهيم : ١٨ ، وقال : ﴿كَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُ﴾ و ﴿تَهْدِيرُ﴾ الملوك : ١٧ ، ١٨ ، وذلك أنهم رؤوس الآيات ، لم يكن في الآيات قبلهن ياء ثانية ، فأجربن على ما قبلهن ، إذ كان ذلك من كلام العرب .

ويضلون ذلك في الياء الأصلية ، فيقولون : هذا قاض ورام وداع بغير ياء ، لا يثبتون الياء في شيء من فاعل . فإذا أدخلوا فيه الألف واللام قالوا بالوجهين ، فأثبتوا الياء وحذفوها ، وقال الله : ﴿مَنْ يَمْدِدْ اللَّهُ فَهُوَ الْمُتَّقِدُ﴾ الإسراء : ٩٧ ، في كل القرآن بغير ياء ، وقال : ﴿فَهُوَ الْمُتَّقِدُ﴾ الأعراف : ١٧٨ ، وكذلك قال : ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ق : ٤١ ، و ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ البقرة : ١٨٦

وأحب ذلك إلي أن أثبت الياء في الألف واللام ، لأن طرحها في قاضي ومفتي وما أشبه بما أتاها من مقارنة نون

الإعراب وهي ساكنة والياء ساكنة، فلم يستقم جمع بين ساكنين، فحذفت الياء لسكوتها، فإذا أدخلت الألف واللام لم يميز إدخال التون، فلذلك أحييت إنبات الياء ومن حذفها فهو يرى هذه العلة، قال: وجدت الحرف بنغير ياء قبل أن تكون فيه الألف واللام، فكرهت إذ دخلت أن أزيد فيه ما لم يكن، وكل صواب. (٢٠٠: ١)

نحوه الزجاجة (١: ٣٨٩)، والطوسي (٢: ٤٢١).
الطبري: يعني وأسلم من اتبعني أيضًا وجهه قد معي، (ومن) مطوف بها على التاء في أسلئت.

(٢١٤: ٣)
الواحدى: يريد المهاجرين والأنصار. (١: ٤٢٣)
الزمنشري: (ومن اتبعني) عطف على الجاء في (أسلمت) وحسن للفصل، ويموز أن تكون «كواو» بمعنى «مع» فيكون مفعولاً معه. (١: ٤١٩)
نحوه البروسوي. (٢: ١٥)

ابن عطية: [نحو الفراء وأضاف:]

في (اتبعني) حذف الياء وإنباتها، وحذفها أحسن اتباعًا لمنطق المصنف، وهذه التون إنما هي لتسلم فتحة لام الفعل، فهي مع الكسرة تُغني عن الياء لاسيما إذا كانت رأس آية، فإنها تشبه قوافي الشعر. [ثم استشهد بشعر]

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿رَبِّيَ أَحْكَمُ﴾ الفجر: ١٥.
فإذا لم تكن نون فإنبات الياء أحسن، لكنهم قد قالوا: هذا غلام قد جاء، فاكثفوا بالكسرة دلالة على الياء. (١: ٤١٤)

الطبرسي: [قال نحو ما تقدم عن الفراء وأضاف:]
(ومن اتبعني) في محل الرفع عطفاً على التاء، في قوله: (أسلمت) ولم يؤكد الضمير، فلم يقل: أسلمت أنا ومن اتبعني، ولو قلت: أسلمت وزيد، لم يحسن إلا أن تقول: أسلمت أنا وزيد. وإنما جاز هنا تطويل الكلام، فصار طوله عموماً من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل.

أي ومن اهتدى بي في الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضًا، كما أسلمت. (١: ٤٢٢)
أبوحيان: «ومن اتبعني» قيل: (من) في موضع رفع، وقيل: في موضع نصب، على أنه مفعول معه. وقيل: في موضع خفض عطفاً على اسم الله، ومعناه جعلت مقصدي بالإيمان به والعناية له ولمن اتبعني بالحق له والتحقى بتعلمه وصحته.

فإنما الرفع عطفاً على الفاعل في (أسلمت) قاله الزمنشري وبدأ به، قال: وحسن للفصل، يعني أنه عطف على الضمير المتصل. ولا يجوز العطف على الضمير المتصل المرفوع إلا في الشعر على رأي البصريين إلا أن فصل بين الضمير والمطوف فيحسن، وقاله ابن عطية أيضًا وبدأ به.

ولا يمكن حمله على ظاهره، لأنه إذا عطف على الضمير في نحو أكلت رغيفاً وزيد، لزم من ذلك أن يكونا شريكين في أكل الرغيف، وهنا لا يسوغ ذلك، لأن المعنى ليس على أنهم أسلموا هم وهو ﷺ وجهه الله، وإنما المعنى أنه ﷺ أسلم وجهه الله وهم أسلموا وجوههم الله. فالذي يقوى في الإعراب أنه مطوف على ضمير محذوف منه المفعول، لاشارك في مفعول (أسلمت).

التقدير: ومن أتبعني وجهه، أو أنه مبتدأ محذوف الخبر لدلالة المضي عليه ومن أتبعني كذلك، أي أسلموا وجوههم لله، كما تقول: قضى زيد نخبه وعشرو، أي وصرو كذلك، أي قضى نخبه.

ومن الجهة التي امتنع عطف (ومن) على الضمير إذا حمل الكلام على ظاهره دون تأويل يمتنع كون (ومن) منصوباً على أنه مفعول معه، لأنك إذا قلت: أكلت رغيفاً وعمراً، أي مع عمرو، دل ذلك على أنه مشارك لك في أكل الرغيف، وقد أجاز هذا الوجه الزمخشري، وهو لا يجوز لما ذكرنا على كل حال، لأنه لا يمكن تأويل حذف المفعول مع كون الواو واو المية.

وأثبت «ياء» أتبعني في الوصل أبو عمرو ونافع وحذفها الباقون، وحذفها أحسن، لموافقة خط المصحف، ولأنها رأس آية، كقوله: أكرم من وأهلك من فتشبه قواي الشر، نحوه الأكوبي.

اتَّبَعْنِي

قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...
ابن مسعود: من كان مستتاً قليتين بين قدماء، فإن المني لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأصمها عقلاً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وكنتموا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى

المستقيم،
ابن عباس: أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنوز الإيمان ويؤند الرحمان.
(البخاري ٢: ٥١٨)

الإمام الباقر ﷺ: ذاك رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأوصياء من بعدهما.
(البخاري ٢: ٢٧٤)
الكوفي: أي ومن آمن بي وصدقني أيضاً، يدعو إلى الله.
(البخاري ٢: ٥١٨)
نحوه الطبري.
(١٣: ٨٠)

الإمام الصادق ﷺ: يعني عليّ أول من أتبعه على الإيمان والتصديق له، وبما جاء به من عند الله عز وجل، من الآيات التي هي فيها ومنها وإليها قبل الخلق، ممن لم يشرط بها قط، ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشرك.

(البخاري ٣: ٢٧٥)
الإمام الجواد ﷺ: عن علي بن أسباط قال: قلت لأبي جعفر الثاني ﷺ: يا سيدي إن الناس ينكرون عليك حدائثك.
قال: وما ينكرون عليّ من ذلك، هو الله لقد قال الله نبيه ﷺ: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» لما أتبعه غير عليّ ﷺ وكان ابن سبع سنين وأنا ابن سبع سنين.
(الفتي ١: ٣٥٨)

ابن زيد: حق الله وعلى من أتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله.
(الطبري ١٣: ٨٠)

ابن الأنباري: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: (أدعو إلى الله) ثم ابتداء وقال: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ»

اتَّبِعْنِي ﴿ وهذا معنى قول ابن عباس أنه - يعني أصحاب محمد - كانوا على أحسن طريقة . (الطَّبْرَسِيُّ ٣ : ٢٦٨) **الطُّوسِي** : ومن تابعني على ذلك ، فهو يدعو الناس إلى مثل ما أدعوا إليه من التوحيد ، وصلاح الأئمة ، والعمل بشرع الإسلام . (٢٠٥ : ٦) **الرَّمَحْشَرِيُّ** : (أنا) تأكيد للمستتر في (أدعوا) ، (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) عطف عليه ، يريد أدعوا إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني .

ويجوز أن يكون (أنا) مبتدأ ، و(علني بصيرة) خبر مقدم ، (وَمَنِ اتَّبَعَنِي) عطفًا على (أنا) إخبارًا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى .

ويجوز أن يكون (علني بصيرة) حالًا من (أدعوا) عاملة الرفع في (أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (٣٤٦ : ٩)

نحوه أبو حيان (٥ : ٣٥٣) ، وأبو الشعر (٣ : ٤١٢) ، والاكوسي (١٣ : ٦٧) .

الطَّبْرَسِيُّ : أي أدعوكم أنا ويدعوكم أيضًا إليه من آمن بي ويُذكر بالقرآن والموعظة ، وينهى عن محاصي الله . (٣ : ٢٦٨)

الفخر الرازي : أدعو إلى الله على بصيرة وحجة وبرهان أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي إلى سیرتي وطريقتي وسيرة أتباعي الدعوة إلى الله ، لأن كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله ، وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ... (١٨ : ٢٢٥)

الطَّبْاطِبَائِيُّ : توسعة وتعميم لحمل الدعوة ، وأن السبيل - وإن كانت سبيل النبي ﷺ مختصة به - لكن حمل الدعوة والقيام به لا يختص به بل من اتبعه ﷺ

يقوم بها نفسه .

لكن التياق يدل على أن الإشراف ليس بذلك العموم الذي يتراءى من لفظ (مَنِ اتَّبَعَنِي) فَإِنَّ السَّبِيلَ الَّتِي تَرَفُّهَا الْآيَةُ ، هي الدعوة عن بصيرة ويقين ، إلى إيمان محض وتوحيد خالص . وإنما يشاركه ﷺ فيها من كان مخلصًا في دينه ، عالمًا بمقام ربه ذابصيرة ويقين . وليس كل من صدق عليه أنه اتبعه على هذا التمت ، ولا أن الاستواء على هذا المستوى مبدول لكل مؤمن ، حتى الذين عدّهم الله سبحانه في الآية السابقة من المشركين ، وذمهم بأنهم غافلون عن ربهم ، آمنون من مكروه ، معرضون عن آياته .

وكيف يدعو إلى الله من كان غافلًا عنه ، آمنًا من مكروه ، معرضًا عن آياته وذكره ؟ وقد وصف الله في آيات كثيرة أصحاب هذه الثموت بالظلال والعمى والمضمران ، ولا تجتمع هذه الخصال بالهداية والإرشاد أئمة . (١١ : ٢٧٧)

راجع «دع و»

اتَّبِعُوا

١- وَاتَّبِعُوا مَا تَشَاءُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ...

البقرة : ١٠٢

الربيع : قالوا : إن اليهود سألوا محمدًا ﷺ زمانًا من أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصهم ، فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل إلينا منّا ، وإتّهم سألوه عن السحر وخاصموه به ، فأمر الله جلّ وعزّ (وَاتَّبِعُوا...) (الطَّبْرَسِيُّ ١ : ٤٤٥)

ابن جريج : المراد به اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ . (الطوسي : ١ : ٣٧٠)

ابن زيد : اتبعوا السحر ، وهم أهل الكتاب .

(الطبري : ١ : ٤٤٥)

الجبثاني : المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمان . (الطوسي : ١ : ٣٧٠)

الطبري : [نقل أقوال المفسرين ثم قال :

والصواب من القول في تأويل قوله : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلْبَنَ﴾ أن ذلك توبيخ من الله لأخبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ فجمعوا نبوته وهم يعلمون أنه الله رسول مرسل ،

وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله ، وهجرهم العمل به وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله ،

واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلابهم ما تكله الشياطين في عهد سليمان . وقد بينا وجه جواز إضافة أفعال أسلافهم إليهم فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وأما اختارنا هذا التأويل ، لأن المستبعدة ما تكله الشياطين في عهد سليمان ويحده إلى أن بعث الله نبيه بالحق ، وأمر السحر لم يزل في اليهود ، ولادلالة في الآية أن الله تعالى أراد بقوله : واتبعوا بعضا منهم دون بعض ، إذ

كان جائزا فصيحاً في كلام العرب إضافة ما وصفنا من اتباع أسلاف الغير عنهم بقوله : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ إلى أخلافهم بعدهم ، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول ، ولا حجة تدل عليه .

فكان الواجب من القول في ذلك أن يقال : كل متبع ما تكله الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في

معنى الآية ، على النحو الذي قلناه . (١ : ٤٤٦)

الطوسي : واختلفوا في المعنى بقوله : (واتبعوا) على ثلاثة أقوال [وهي قول ابن جريج والجبثاني]

وقال قوم : المراد به الجميع ، وهو قول المتأخرين ، قال : لأن مبتغي السحر من اليهود لم يزلوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث محمد ﷺ . (١ : ٣٧٠)

نحوه الطبري . (١ : ١٧٣)

الفخر الرازي : قوله تعالى : (واتبعوا) حكاية عن تقدم ذكره وهم اليهود ، ثم فيه أقوال :

أحدها : أنهم اليهود الذين كانوا في زمان محمد عليه الصلاة والسلام .

وثانيها : أنهم الذين تقدموا من اليهود .

وثالثها : أنهم الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام .

والرابع : لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان عليه السلام ويعدونه من جملة الملوك في الدنيا ، فالذين منهم كانوا في زمانه لا يمتنع أن يعتقدوا فيه أنه إنما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر .

ورابعها : أنه يتناول الكل ، وهذا أولى لأنه ليس

مصرف اللفظ إلى البعض أولى من صرفه إلى غيره ، إذ لا دليل على التخصيص . (٣ : ٢٠٣)

نحوه النيسابوري . (١ : ٣٨٦)

القرطبي : هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضاً ، وهم اليهود . (٢ : ٤٦)

نحوه القاسمي . (٢ : ٢٠٧)

أبو حيان : معنى (اتبعوا) أي اقتدوا به إساءة ، أو

فضلوا لأن من اتبع شيئاً فضله أو قصدوا والضمير في (واتبعوا) لليهود. [إلى أن قال:]

والجملة من قوله: (واتبعوا) مطوفة على جميع الجملة السابقة، من قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ البقرة: ١٠١، إلى آخرها، وهو إخبار عن حالهم في اتباعهم ما لا ينبغي أن يتبع. وهذا هو الظاهر لأنها مطوفة على قوله: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ البقرة: ١٠٠، لأن الاتباع ليس مترتباً على مجيء الرسول، لأنهم كانوا متبعين ذلك قبل مجيء الرسول، بخلاف نبذ كتاب الله، فإنه مترتب على مجيء الرسول. (١: ٣٢٥)

أبوالشعور: عطف على جواب (لما) أي سلبوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت يقرأها الشياطين، وهم المنحدرون من اليمن، و(تثقلوا) تسكناً حال ماضيه. والمراد بالاتباع: التوغل والتعمق في حال الإقبال عليه بالكلفة، وإلا فأصل الاتباع كان حاصلًا قبل مجيء الرسول ﷺ، فلا يستحق عطفه على جواب (لما)، ولذلك قيل: هو مطوف على الجملة. وقيل: على (أشربوا). (١: ١٧١)

نحوه البروسوي.

الألوسي: عطف على (نبذ) والضمير لفريق من الذين أوتوا الكتاب - على ما تقدم عن السدي [في «نبذ»] وقيل: عطف على مجموع ما قبله عطف الفصّة على الفصّة، والضمير للذين تقدموا من اليهود، أو الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام، أو الذين كانوا في زمن نبيتنا ﷺ أو ما يتناول الكل، لأن ذلك غير ظاهر إذ يقتضي الدخول في حيز (لما) واتباعهم هذا ليس مترتباً

على مجيء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه أن ما علمت من قول السدي يفتح باب الظهور، اللهم إلا أن يكون المبني^(١) غيره.

وقيل: عطف على (أشربوا) وهو في نهاية البعد، بل لا يقدم عليه من جرّع جرعة من الإنصاف، والمراد به الاتباع التوغل والإقبال على الشيء بالكلفة، وقيل: الاقتداء. (١: ٣٣٧)

الطباطبائي: قد اختلف المفسرون في تفسير الآية اختلافاً عجيباً لا يكاد يوجد نظيره في آية من آيات القرآن الجيد، فاختلّفوا في مرجع ضمير قوله: (اتبعوا) أهم اليهود الذين كانوا في عهد سليمان، أو الذين

في عهد رسول الله ﷺ، أو الجميع؟ [إلى أن قال:] وهذا لعمري من عجائب نظم القرآن تردّد الآية بين مناهج واحتمالات تدهش العقول وتغيّر الألباب، والكلام بعد ذلك على أريكة حسنة متجمل في أجمل جماله منحلّ بجليّ بلاغته وفصاحته. وسيمرّ بك ظيرة هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿أَقْسَمُ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ هود: ١٧.

والذي ينبغي أن يقال: أن الآية بسياقها تشرّض لشأن آخر من شؤون اليهود وهو تداول السحر بينهم، وأنهم كانوا يستندون في أصله إلى قصّة معروفة أو قصتين معروفتين عندهم، فيها ذكر من أمر سليمان النبي والملكين بابل هاروت وماروت. فالكلام مطوف على ما عندهم من القصّة التي يزعمونها، إلا أن اليهود كما

عطاء : تبرأ رؤساؤهم وقادتهم وساداتهم من الذين اتبعوهم .

نحو : قتادة والريح . (الطبري ٢ : ٧٠)

الشَّيْ : فهم الشياطين ، تبرأوا من الإنس .

(١٣٧)

الطَّبْرِي : دخل في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال ، أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا ، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة .

وأما دلالة الآية فيمن عني بقوله : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ ، هي أنها إنما تدل على أن

«الأتداده» الذين أخذهم من دون الله من وصف تعالى ذكره صحت بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ البقرة : ١٦٥ . هم الذين يتبرؤون من أتباعهم ،

وإذا كانت الآية على ذلك دالة صحت التأويل الذي نأوله الشَّيْ في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ : أن «الأتداده» في هذا الموضع إنما أريد بها

الأتداده من الرجال الذين يطيعونهم فيما أمرهم به من أمر ، ويعصون الله في طاعتهم إيتاهم ، كما يطيع الله المؤمنون ويعصون غيره .

وفسد تأويل قول من قال : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ إتهم الشياطين ، تبرؤوا من أوليائهم من الإنس ، لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن

متخذي الأنداد . (الطبري ٢ : ٧٠)

الزَّجَّاج : يعني به السادة والأشراف ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ وهم الاتباع والسفلة . (٢٣٩ : ١)

الزَّمْخَشَرِي : أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من

يذكره عنهم القرآن أهل تحريف وتغيير في المعارف والحقائق ، فلا يؤمنون ولا يؤمن من أمرهم أن يأنوا بالقصص التاريخية محرقة مغيرة على ما هو دأبهم في المعارف ، يملون كل حين إلى ما يناسبه من متافعهم في القول والفعل ، وفيها يلوح من مطاوي جمل الآية كفاية .

(١ : ٢٣٣)

٢- إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ . البقرة : ١٦٦

الإمام الباقر عليه السلام : هم والله يا حابر أئمة الظلمة وأشياءهم . (القروسي ١ : ١٥١)

الإمام الصادق عليه السلام : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم داود عليه السلام ، فيأتي النداء من عند الله عز وجل : لست أراك

لردنا وإن كنت لله تعالى خليفة .

ثم ينادي ثانية أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فيأتي النداء من قبل الله عز وجل : يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب خليفة

الله في أرضه ، وحجته على عباده ، فمن تعلّق بحبله في دار الدنيا فليتملّق بحبله في هذا اليوم ، يستضيء بنوره ،

ويتبعه إلى الدرجات العلى من الجنان .

قال : فيقوم الناس الذين قد تعلّقوا بحبله في الدنيا فيتبعونه إلى الجنة . ثم يأتي النداء من عند الله جلّ جلاله :

ألا من انتم بإمام في دار الدنيا فليتبّع به إلى حيث يذهب به ، فحينئذ يتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا . [وهذا

تأويل] (القروسي ١ : ١٥٠)

الاتباع. وقرأ مجاهد الأول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول، أي تبرأ الاتباع من الرؤساء.

(١: ٣٢٦)

نحوه أبو السمر (١: ٢٨٨)، والبروتوسي (١:

٢٧٠)، والآلوسي (٢: ٣٠)، والقاسمي (٣: ٣٦٤).

ابن عطية: كل من عبد من دون الله، وقال قتادة:

هم الشياطين المضلون. وقال الزجاج وعطاء: هم

رؤساؤهم. ولفظ الآية يحتمل هذا كله، وإذا محتمل أن

تكون متعلقة بشديد العذاب) ويحتمل أن يكون العامل

فيها «اذكركم» (الذين أشكوا) بفتح الباء هم العبد لغير

الله، والضاؤون المفلدون لرؤسائهم أو للشياطين.

(١: ٢٣٦)

(٢: ٤٠٤)

نحوه المراغي.

الفخر الرازي، فبين أن الذين أشكوا يحترقون في

عبادتهم، واعتقدوا أنهم من أوكد أسباب نجاتهم، فإنهم

يتبرؤون منهم عند احتياجهم إليهم. ونظيره قوله

تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيُلْفَنُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾

المنكوت: ٢٥، وقال أيضاً: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا السَّابِقِينَ﴾ الزخرف: ٦٧، وقال: ﴿كُنَّا

دَخَلْتُ أُمَّةً لَقَنْتُ أَخْبَاءَ الْأَعْرَافِ: ٣٨، وحكي عن

إيليس أنه قال: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَمَرَ كُتُمُونِي مِنْ قَبْلُ﴾

إبراهيم: ٢٢، وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: في قوله: (إِذْ تَبَرَّأَ) قولان:

الأول: أنه بدل من (إِذْ يَبْرُؤُونَ الْعَذَابَ)، الثاني: أن

عامل الإعراب في (إِذْ) معنى شديد، كأنه قال: هو شديد

العذاب إذ تبرأ، يعني في وقت التبرؤ.

المسألة الثانية: معنى الآية أن المتبرعين يتبرؤون

من الاتباع في ذلك اليوم، فبين تعالى مالأجله يتبرؤون

منهم، وهو عجزهم عن تخليصهم من العذاب الذي

رأوه، لأن قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ يدخل في

معناه أنهم لم يجدوا إلى تخليص أنفسهم وأتباعهم شيئاً.

والآيس من كل وجه يرجو به الخلاص مما نزل به.

وبأوليائه من البلاء، يوصف بأنه تقطعت به الأسباب.

واختلفوا في المراد بهؤلاء المتبرعين على وجود:

أحدها: أنهم السادة والرؤساء من مشركي

الإنس، عن قتادة والزجاج وعطاء.

وثانيها: أنهم شياطين الجن الذين صاروا متبرعين

للكفار بالموسسة، عن الشاذلي.

وثالثها: أنهم شياطين الجن والإنس.

ورابعها: الأوثان الذين كانوا يستونها بالآلهة.

والأقرب هو الأول، لأن الأقرب في الذين اتبعوا

أنهم الذين يصح منهم الأمر والنهي، حتى يمكن أن

يتبعوا وذلك لا يليق بالأصنام. ويجب أيضاً حملهم على

السادة من الناس، لأنهم الذين يصح وصفهم - من

عظمتهم - بأنهم يحبونهم كحب الله دون الشياطين.

ويؤكد قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا

فَاضْلَلْنَا السَّبِيلَ﴾ الأحزاب: ٦٧.

وقرأ مجاهد الأول على البناء للفاعل، والثاني على

البناء للمفعول، أي تبرأ الاتباع من الرؤساء. (٤: ٢٣٧)

نحوه الخازن (١: ١١٧)، والشريفي (١: ١١١).

وأبو حيان (١: ٤٧٣).

مكارم الشيرازي: واضح أن المعبودين هنا

ليسوا الأصنام المعجزة أو الخشبية، بل الطاعة الجارية
الذين استعبدوا الناس، فقدّم لهم المشركون فروض
الولاء والطاعة، واستسلموا لهم دون قيد أو شرط.

(٤١٤: ١١)

البَغَوِيُّ: أي واثق السفلة والسقاط أهل التكبر
والمناد.

نحوه الطَّبْرَسِيُّ (٣: ١٧١)، والفَخْرُ الرَّازِيُّ (١٨:
١٥)، والقرطبي (٩: ٥٤).

الرَّمَحَشَرِيُّ: ومعنى اتباع أمرهم: طاعتهم.

(٢٧٧: ٢)

النَّيسَابُورِيُّ: أطاعوا رؤساءهم وكبراءهم المتمردة
والعائدة.

أَبُو حَتَّانٍ: أي اتبع سيقاطهم أمر رؤسائهم وكبرائهم،
والمعنى أنهم أطاعوهم فيما أمرهم به.

الشَّرِيبَتِيُّ: أي أن السفلة كانوا يقلّدون الرؤساء
في قولهم: «ما هذا إلا بشر مثلكم» فأطاعوا من دعاهم
إلى الكفر وما يردّهم، وعصوا من دعاهم إلى الإيمان
ولا يردّهم.

(٦٥: ٢)

٣...وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ.

آل عمران: ١٧٤

الطَّبْرَسِيُّ: يعني بذلك أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك،
واتّباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه، من اتباع أمر العدو
وطاعتهم.

البَغَوِيُّ: في طاعة الله وطاعة رسوله، وذلك أنهم
قالوا: هل يكون هذا غزوًا؟ فأعطاهم الله ثواب التزوّد
ورضى عنهم.

(١٨٢: ٤)

نحوه الخازن.

أَبُو الشَّعْوَدِ: في كلّ ما أتوا من قول وفعل (رضوان
الله).

نحوه البروسقي (٢: ١٢٨)، والآلوسي (٢: ١٢٩)،
والمراغي (٤: ١٣٦).

محمد حسين فضل الله: فيما يأمرهم به من
الوقوف مع رضوانه، في مواقع الجهاد.

(٣٩١: ٦)

٤...وَاتَّبِعُوا التَّوْرَ الَّتِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
السَّافِلُونَ.

الأعراف: ١٥٧

راجع «ن و ر»

٦...فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَأْمُورَ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ.

هود: ٩٧

الطَّبْرَسِيُّ: واتّبع ملاّ فرعون دون أمر الله، وأطاعوه
في تكذيب موسى، وردّ ما جاءهم به من عند الله عليه.

(١٠٩: ١٢)

الرَّجَّاج: أي استحبوا الشيء على الهدى. (٣: ٧٦)
الطَّبْرَسِيُّ: فالاتباع: طلب الثاني للتصرّف
بتصرّف الأوّل في أيّ جهة أخذ.

(٥٩: ٦)

الرَّمَحَشَرِيُّ: تجهيل المتبع حيث شايءه على
أمره، وهو ضلال مبين، لا ينفق على من فيه أدنى مسكة
من العقل، وذلك أنّه أدعى الإلّهيّة وهو بشر مثلهم،

٥...وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ غَبِيْرٍ.

هود: ٥٩

وجاهر بالعلم والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من
 شيطان مارد، ومثله يميز من الإلهية ذاتاً وأفعالاً،
 فاتبعوه وسلموا له دعواه، وتتابعوا على طاعته.

(٢: ٢٩١)

أبو الشعثود، أي أمره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام
 من الحق المبين، للإيدان بوضوح حاله، فكان كفره وأمر
 ملكه بذلك أمر محقق الوجود، غير محتاج إلى الذكر
 صريحاً، وإنما المحتاج إلى ذلك شأن ملكه المتردد بين
 هادٍ إلى الحق وداعٍ إلى الضلال، فمنى عليهم سوء
 اختيارهم.

وإيراد «الفاء» في اتباعهم المترتب على أمر فرعون
 المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة، للإشارة
 بمفاجأتهم في الاتباع ومسارة فرعون إلى المكفر
 وأمرهم به، فكان ذلك كله لم يتراخ حين الإرسال
 والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد، فوقع إثر
 ذلك اتباعهم.

ويجوز أن يراد بالأمر هزقون، شأنه المشهور
 وطريقته الزائفة، فيكون معنى (فاتبعوا) فاستمروا على
 الاتباع، و«الفاء» مثل ما في قولك: وعظته فلم يمتط،
 وصيحت به فلم ينزجر، فإن الإتيان بالشيء بعد ورود
 ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه لكنه
 بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث، فتأمل.

وترك الإضمار لدفع توهم الرجوع إلى موسى عليه السلام
 من أول الأمر، ولزيادة تنبيه حال المتبعين، فإن فرعون
 علم في الفساد والإفساد والضلال والإضلال، فاتباعه
 لقرط الجهالة، وعدم الاستبصار.

(٣: ٣٤٨)

نحوه الألويسي.

(١٢: ١٣٣)

٧- فخلّف من بعدهم خلّف أضاعوا الصلوة واتبعوا

الشّهوات فسوّف يلقون عقاباً، مريم: ٥٩

الإمام علي عليه السلام: من بنى الشديد وركب المنظور

ولبس المشهور، (جوامع الجامع ٢: ٤٠١)

ابن عباس: هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة

وشربوا الخمر، واستحلوا نكاح الأخ من الأب.

(الشريبي ٢: ٤٣٥)

مجاهد: هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان، ينزو

بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة.

(التهوي ٣: ٢٤٠)

وفى بن منبه: «فخلّف من بعدهم خلّف»

شعرايون للقهوات، تعابون بالكتبات ركابون للشهوات

متبعون للذات، تاركون للجماعات، مضيعون للصلوات.

(الطبرسي ٣: ٥١٩)

الطبرسي: أنفذوا الشهوات فيما حرم الله عليهم.

(٣: ٥١٩)

القاسمي: أي فاتوا بما يتنافى في البكاء والأمور

المرضية من الأخلاق والأعمال، من الانهالك في المعاصي

التي هي يريد الكفر، (١١: ٤١٥٣)

الألويسي: «والتبعوا الشهوات» وانهمكوا في

المعاصي المختلفة الأنواع، (١٦: ١٠٩)

نحوه الطباطبائي.

(١٤: ٧٨)

٨-... فأنفروا للذين تابوا واتبعوا سبيلك ولهم

عَذَابُ الْجَهَنَّمَ.

المؤمن : ٧

الباطل ، والسبب في ذلك انتساب الحق إليه تعالى دون
الباطل . (١٨ : ٢٢٤)

راجع «س ب ل».

٩- ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ... محمد : ٣

١٠- أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَى يَتْلُو مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ
عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ. محمد : ١٤

الزَّمَّخْشَرِيُّ : (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره ، أي ذلك
الأمر هو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات
الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ،
ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما
ذكر بهذا السبب ، فيكون محل الجازء والجرود منصوبًا على
هذا ومرطوفاً على الأول . (٣ : ٥٣٠)

الطَّبْرِيُّ : واتبعوا مادعتهم إليه أنفسهم من معصية
الله ، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون
من ذلك برهان وحجة . (٢٦ : ٤٨)

نحوه الألويسي . (٢٦ : ٣٨)

الساوَرْدِيُّ : فيه قولان : أحدهما : أنه نعت لمن زُيِّنَ
له سوء عمله ، الثاني : أنهم المنافقون ، قاله ابن زَيْد .

(٥ : ٢٩٧)

ابن كثير : أي اختاروا الباطل على الحق . (٦ : ٩-١٠)

الطَّبْرِيُّ : أي شهواتهم في ذلك ، وماتدعوهم إليه
طاعتهم . (٩ : ٢٩٦)

أبوالمسعود : أي ذلك كائن بسبب أن الأولين

عليه السلام الطَّاهِرِينَ . (٥ : ١٠٠)

اتبعوا الشيطان . كما قاله مجاهد . ففعلوا ما فعلوا من الكفر
والصد . فبيان سببية اتباعه للإضلال المذكور متضمن
لبیان سببيتها له ، لكونه أصلاً مستتباً لها قطعاً ، وبسبب
أن الآخرين اتبعوا الحق الذي لا يحيد عنه كائنًا من ربهم ،
ففعلوا ما فعلوا من الإيمان به وبكتابه ومن الأعمال
الصالحة .

البَقَوِيُّ : يعني عبادة الأوثان ، وهم أبو جهل
والمشركون . (٤ : ٢١٢)

فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والإصلاح
بعد الإشعار بسببية الإيمان والعمل الصالح له ، متضمن
لبیان سببيتها له ، لكونه مبدأ ومنشأً لها حقاً ...

ابن قُطَيْبَةَ : واتباع الأهواء : طاعتها ، كأنها تذهب
إلى ناحية ، والمرء يذهب معها . (٥ : ١١٤)

(٦ : ٨٣)

أبو حَبَّان : أي شهوات أنفسهم ممن لا يكون له
بيتة ، فميدوا غير خالقهم ، والضمير في (واتبعوا) عائد

على معنى (من) . (٨ : ٧٨)

الطَّبَّاطِبَانِيُّ : في الآية إشارة إلى أن الملاك كل
الملاك في سعادة الإنسان وشغائه اتباع الحق واتباع

أبوالمسعود : (واتبعوا) بسبب ذلك التزيين
(أهواءهم) الرزاقية ، وانهمكوا في فنون الضلالات من

غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه ، فضلاً
عن حجة تدل عليه . وجمع الضميرين الآخرين

باعتبار معنى (من) كما أن أفراد الأولين باعتبار لفظها .

- ١٢- قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنِّي
لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا. نوح: ٢١ (٤٨٧)
- ابن عباس: أطاعوا. (٤٨٧)
- الطبري: واتبعوا في معصيتهم إيتي من دعاهم إلى ذلك، بمن كثر ماله وولده. (٩٨: ٢٩)
- البغوي: يعني اتبع السفلة والفقراء القساة والرؤساء الذين هم لم يزددهم كثرة المال والولد إلا ضللاً في الدنيا، وحقبة في الآخرة. (١٥٧: ٥)
- منه الخازن. (١٢٩: ٧)
- الزمخشري: «واتبعوا» رؤوسهم المقدمين أصحاب الأموال والأولاد وارتسموا مارسوا لهم من القسوة بعبادة الأصنام. (١٦٣: ٤)
- الطبرسي: أي واتبعوا أغنياء قومهم اغتراراً بما آتاهم الله من المال والولد، فقالوا: لو كان هذا رسولاً لله لكان له ثروة وغنى. (٣٦٣: ٥)
- الفخر الرازي: ذكر في [صدر] الآية أنهم عصوه، وفي [ذيها] أنهم ضموا إلى عصيانه معصية أخرى، وهي طاعة رؤسائهم الذين يدعونهم إلى الكفر. (١٤٦: ٣٠)
- البيضاوي: واتبعوا رؤساءهم الباطنيين بأموالهم، المغترين بأولادهم، بحيث صار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة. وفيه: أنهم إنما تبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالأموال والأولاد أدت بهم إلى الخسار. (٥٠٨: ٢)
- منه الكاشاني (٥: ٢٣٢)، والطحاوي (٢٤: ٢٧٢)، ونحوه أبو السعود (٦: ٣١٠).
- أبو حيان: أي حالتهم وسفلتهم؛ إذ لا يصح عوده
- (٨٦: ٦)
- نحوه الأوسى. (٤٧: ٢٦)
- الطباطبائي: فهم إنما يتبعون الحجة الفاطمية على ما هو المحرر بالإنسان، الذي من شأنه أن يستعمل العقل، ويتبع الحق.
- وأما الذين كفروا فقد سفلهم أعمالهم السيئة التي زينها لهم الشيطان، وتعلقت بها أهواؤهم، وعملوا السيئات. (٢٣٢: ١٨)
- مكارم الشيرازي: وبملاحظة الجملة «واتبعوا أهواءهم» أن هذا الترين ناشئ عن اتباع الهوى، وقضية كون الهوى والشهوات تسلب الإنسان القدرة على الحس والتشخيص والإدراك الصحيح للتحقق من قضية يمكن إدراكها بوضوح. (٣٢٧: ٥١٦)
- محمد حسين فضل الله: لأن الإنسان الذي يغيب عنصر العقل في تفكيره ويفقد روحية الإيمان، لا بد أن يتحول إلى إنسان مزاجي تحكمه شهواته، وتديره أهواؤه وتلعب به، كما لو أنها رياح داخلية تحركها الفرائز والنوازع والمشاغرات الملهية التي تحرق كل عناصر العقل والاعتزان في الإنسان. (٦٥: ٢١)
- وبهذا المعنى جاء: «أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم» محمد: ١٦.
- وقوله تعالى: «وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّهُمْ فِي سَفَهٍ مُّسْتَقَرٌّ» القمر: ٣.
- ١١- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْهَوُا... محمد: ٢٨
- راجع «س خ ط»

على الجمع في عبادة الأصنام.

(٨: ٣٤١)

اتَّبِعُوهُ

١- إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَتَلَذُّونَ اتَّبِعُوهُ...

آل عمران: ٦٨

قَتَادَةَ: الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ عَلَى مِلَّةِ وَبَنِيهِ وَمِنْهَا جِهَةٌ وَفُطِرَتْهُ. (الطَّبْرِيُّ ٣: ٣٠٨)

الطَّبْرِيُّ: يَعْنِي الَّذِينَ سَلَكُوا طَرِيقَهُ وَمِنْهَا جِهَةٌ، فَوَحَّدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَسَبَّحُوا سُبْحَتَهُ، وَشَرَعُوا شَرَائِعَهُ، وَكَانُوا اللَّهُ حَقًّا مُسْلِمِينَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ.

(٣: ٣٠٧)

(٣: ١٨٢)

نَحْوَهُ الْمُرَافِقِي.

الطُّوسِي: أَيِ أَحَقَّتْهُمْ بِنَصْرَتِهِ بِالْمَعُونَةِ أَوْ الْحُجَّةِ. لِأَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي زَمَانِهِ تَوَلَّوْهُ بِالنَّصْرَةِ عَلَى عَدُوِّهِ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ، وَعَلَتْ كَلِمَتُهُ. وَسَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَوَلَّوْهُ بِالْحُجَّةِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَتَبَرُّتِهِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ.

(٢: ٤٩٣)

البَغَوِيُّ: أَيِ مَنْ اتَّبَعَهُ فِي زَمَانِهِ، وَمِلَّتُهُ بَعْدَهُ.

(١: ٤٥٣)

(١: ٣٠٥)

نَحْوَهُ الْخَنَازِنُ.

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ» فَرِيقَانِ

أَحَدُهُمَا: مَنْ اتَّبَعَهُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ، وَالْآخَرُ: النَّبِيُّ وَسَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ.

(٨: ٩٥)

الْقُرْطُبِيُّ: عَلَى مِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ.

(٤: ١٠٩)

النَّيْسَابُورِيُّ: عَلَى مِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ فِي زَمَانِهِ.

(٣: ٢١٩)

أَبُو حَتِيَّانَ: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ اتَّبَعَهُ فِي زَمَانِهِ وَغَيْرِ زَمَانِهِ فَيَدْخُلُ فِيهِ مَتَّبِعُوهُ فِي زَمَانِ الْفَتَرَاتِ.

وَعُنِيَ بِالْإِتِّبَاعِ اتِّبَاعُهُ فِي شَرِيعَتِهِ. (٢: ٤٨٨)

الْأَلُوسِيُّ: أَيِ كَانُوا عَلَى شَرِيعَتِهِ فِي زَمَانِهِ وَاتَّبَعُوهُ مُطْلَقًا. (٣: ١٩٧)

الطَّبَّاطِبَائِيُّ: فِي قَوْلِهِ: «لَتَلَذُّونَ اتَّبِعُوهُ» تَعْرِيفُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِسُحُو

الْكُنَايَةِ، أَيِ لَسَمَ أَوَّلَ إِبْرَاهِيمَ لِعَدَمِ اتِّبَاعِهِمْ لِتِلْكَ الْإِسْلَامَةِ هُ. (٣: ٢٥٤)

مَكَارِمُ الشَّيْخِ الرَّازِيُّ: لَوْضَحَ حَدَّ جَدَلِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَوْلَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيِّ اللَّهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي كَانَتْ كُلُّ جِهَةٍ تَدَّعِي

أَنَّهُ مِنْهُ، وَكَانُوا يَسْتَنْدُونَ غَالِبًا إِلَى قَرَابَتِهِمْ مِنْهُ، أَوْ لِمُتَابَعَتِهِمْ مَعَهُ فِي الْمَنْصَرِّ. أَهَادَ الْقُرْآنَ مَبْدَأً رُبُّنَا إِلَى

الَّذِينَ هُمْ فِيهِ يَتَّبِعُونَ أَنَّ الْإِتِّبَاعَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْوَلَاءَ لَهُمْ إِنَّمَا يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ وَاتِّبَاعِهِمْ فَقَطْ.

وَبَاءٌ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ لِإِبْرَاهِيمَ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَدْرَسَتَهُ وَيَلْتَزِمُونَ أَهْدَافَهُ، سَوَاءً بِالنِّسْبَةِ

لِلَّذِينَ هَامَعُوهُ «لَتَلَذُّونَ اتَّبِعُوهُ» أَوْ الَّذِينَ بَقُوا بَعْدَهُ أَوْفَاءً لِمَدْرَسَتِهِ وَأَهْدَافِهِ، مِثْلَ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ ﷺ

وَإِتِّبَاعِهِ. (٢: ٤١١)

وَهُنَاكَ أَيْضًا رَاجِعٌ «وَلْي» (أَوَّلَى)

٢- لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ انْفُسَرَتْ... التَّوْبَةُ: ١١٧

الطَّبْرِيُّ: لَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْإِنَابَةَ إِلَى أَمْرِهِ وَطَاعَتِهِ نَبِيَّ هَدًى ﷺ، وَالْمُهَاجِرِينَ دِيَارَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ إِلَى دَارِ

الإسلام وأنصار رسوله في الله، الذين اتبعوا رسول الله في ساعة الغسرة منهم، من الثقة والظهر والزاد والماء.

(١١: ٥٤)

ابن عطية: معناه: دخلوا في أمره وانجائه، ولم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه.

(٣: ٩٢)

الطبرسي: في الخروج معه إلى تبوك. (٢: ٨٠)

أبو حيان: أي اتبعوا أمره، فهو من مجاز الحذف.

ويجوز أن يكون هو ابتداء بالخروج وخروجوا بعده،

فيكون الاتباع حقيقة ساعة الغسرة أي في وقت

الغسرة، والتباعدة مستعارة للزمان المطلق، كما استعاروا

الغداة والعشي واليوم. [ثم استشهد بشر] (٥: ٨٠، ١)

٢. وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

مجاهد: ظن ظنًا فاتبعوا ظنه. (الطبري ٢٢: ٨٧)

الحسن: ما ضربهم بسوط ولا عصا وإنما ظن ظنًا

فكان كما ظن يوسفه.

الكلبي: إنه ظن إن أخوانه أجابوه وإن أضلهم

أطاعوه، فصدق ظنه.

(القرطبي ١٤: ٢٩٣)

السيدي: في الكفر والمعصية.

(٨: ١٢٠)

ابن عطية: وهو اتباع في كفر، لأنه في قصة قوم

كفار.

الطبرسي: والمعنى أن إبليس كان قال: لأغوينهم

ولأضلهم، وما كان ذلك عن علم وتحقيق، وإنما قاله

ظنًا: فلما تابعه أهل الزيف والشرك صدق ظنه وحقيقته

(فَاتَّبَعُوهُ) فيها دعاهم إليه. (٤: ٣٨٨)

أبو الشعثود: أي أهل سبأ أو الناس. (٥: ٢٥٧)

نحوه الآلوسي.

(٢٢: ١٣٤)

البروسوي: أي اتبع أهل سبأ الشيطان في الشرك

والمعصية.

(٧: ٢٨٧)

القراغي: أي ولقد ظن إبليس هؤلاء الذين

﴿بَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلٍ خَطْءٍ﴾ سبأ: ١٦.

عقوبة منا لهم، فلما غير يقين أنهم يتيمونه ويطيعونه في

معصية الله. وحين أغواهم وأطاعوه وعصوا ربهم تحقق

صدق ظنه فيهم.

(٢٢: ٧٥)

محمد جواد مغنيتي: أغواهم الشيطان بمعصية الله،

فسمع له وأطاع من كفر وبغى، وعصاه من آمن واتباع.

(٦: ٢٥٩)

الحديد: ٢٧

الطبري: يعني: الذين اتبعوا عيسى على مناجه

وشريعته.

(٢٧: ٢٣٨)

البروسوي: (اتَّبَعُوهُ) أي عيسى في دينه كالحواريين

وأتباعهم.

(٩: ٣٨١)

اتَّبَعُوهُمْ

وَالشَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...

القوة: ١٠٠

ابن عباس: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ على

دينهم إلى يوم القيامة. (الطبري ١٦: ١٧٢)

ابن كعب القرظي: مرَّ عمر برجلٍ وهو يقرأ هذه الآية ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: من أقرأك هذه الآية؟ قال: أقرأنيها أبي بن كعب. قال: لا تغارني حق أذهب بك إليه.

فأتاه فقال: أنت أقرأت هذا هذه الآية؟ قال: نعم. قال: وسمعتها من رسول الله ﷺ قال: لقد كنت أؤاسا رُلينا رُلعة لا يبلغها أحد بعدنا. قال: وتصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة، وأوسط المحرم، وآخر الأنفال.

أما أول الجمعة ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَسُنًا يَلْعَنُوا﴾ الجمعة: ٣. وأوسط المحرم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ المحرم: ١٠. وأما آخر الأنفال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ الأنفال: ٧٥.

(الطبري ١١: ٨) قتادة: هم الذين سلوا القبطين جميعا، وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان، فهم الذين أسلموا لله إسلامهم، وسلخوا منهاجهم، في الهجرة والنصرة، وأعمال الخير. (الطبري ١١: ٨)

نحو المراحلي. (١١: ١١) الطبري: والذين سلخوا سبلهم في الإيمان بالله ورسوله، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، طلب رضا الله رضي الله عنهم ورضوا عنه. (١١: ٦) الطوسي: والذين تبوءوا هؤلاء بأفعال الخير

والدخول في الإسلام بعدهم وسلوكهم منهاجهم.

(٥: ٣٣٢)

التيبدي: قيل: فيه قولان:

أحدهما: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ من المهاجرين والأنصار أيضا، فيكون سائر الصحابة.

ثانيها: ومن اتبعوهم بالإيمان والطاعة وسلخوا سبلهم في الهجرة والنصرة إلى يوم القيامة. وقالوا: إن كلمة «التابعين» قد أخذت من هذه الآية. (٤: ٢٠٥) ابن عطية: يريد سائر الصحابة. ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الأمة، لكن بشرطة الإحسان. وقد لزم هذا الاسم الطريقة التي رأت من رأى النبي ﷺ.

(٣: ٧٥)

الطبري: أي بأفعال الخير، والدخول في الإسلام بعدهم وسلوك منهاجهم. ويدخل في ذلك من يعصيهم بعدهم إلى يوم القيامة. (٣: ٦٤)

القرطبي: اختلف العلماء في التابعين ومراتبهم، فقال الخطيب الحافظ: التابعي من صحب الصحابي، ويقال للمواحد منهم: تابع وتابعي. وكلام الحاكم أبي عبد الله وغيره مُشعر بأنه يكفي فيه أن يسمع من الصحابي أو يلقاه وإن لم توجد الصُحبة العرفية.

وقد قيل: إن اسم التابعين يطلق على من أسلم بعد الحذبية. (٨: ٢٣٨)

القاسمي: أي سلخوا سبلهم بالإيمان والطاعة. (٨: ٣٢٤٢)

الطباطبائي: وإذا ذكر الله سبحانه ثلث الأصناف الثلاثة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ ولم يقتض

اتَّبَعُواكَ

١... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ

يَذُمُّ الْقِيَمَةَ... آل عمران: ٥٥

الشَّعْبِيُّ: هم أهل الإسلام الذين صدَّقوه واتَّبَعُوا دينه في التوحيد، من أمة محمد ﷺ.

ملكه الربيع والكَلْبِيُّ ومُقَاتِل (البَقَوِيُّ ١: ٤٤٨)

الصَّحَّاحُ: يعني الحواريين. (البَقَوِيُّ ١: ٤٤٨)

قَتَاةٌ: هم أهل الإسلام الذين اتَّبَعُوا على فطرته وملكه وسنته.

نحوه الربيع وابن جُرَيْج والحسن والطبري.

(الطَّبْرِيُّ ٣: ٢٩٢)

الْشَّدِيُّ: هم المؤمنون، ويقال بل هم الروم.

(١٧٨)

هم المؤمنون، وليس هم الروم. (الطَّبْرِيُّ ٣: ٢٩٢)

ابن زَيْد، الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وغيرهم. (الطَّبْرِيُّ ٣: ٢٩٣)

الرَّجَاجُ: ويكون «الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ» محمداً ﷺ ومن اتَّبعه. (١: ٤٢٠)

البَقَوِيُّ: وقيل: هم الروم، وقيل: أراد بهم النصارى، أي فهم فوق اليهود إلى يوم القيامة. فإن اليهود قد ذهب ملكهم، وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة؛ فلهذا يكون الاتِّباع بمعنى الإِدْعاء والمحبة لا اتِّباع الدين. (١: ٤٤٨)

الطَّبْرِيُّ: معناه وجاعل الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَيْكَ وكَذَّبُوكَ فِي الصِّرَ وَالْغَلْبَةِ وَالظُّلْمِ وَالنَّصْرَةِ. وقيل: في البرهان والحجَّة، و... وقيل: المعنى

بتابعي عصر دون عصر، ولا وصفهم بتقدم وأولوية ونحوها، وكان شاملاً لجميع من يتبع السابقين الأولين، كان لازم ذلك أن يُصَفَّ المؤمنون غير المنافقين - من يوم البعثة إلى يوم البعث - في الآية ثلاثة أصناف: السابقون الأولون من المهاجرين والسابقون الأولون من الأنصار، والَّذِينَ اتَّبَعُواهم بإحسان.

والصَّغَانِ الْأَوَّلَانِ فاقْدَانِ لوصف التَّجِيَّةِ وإنما هما إمامان متبوعان لغيرهما. والصَّنَفُ الثالث ليس متبوعاً إلا بالقياس. (٩: ٣٧٢)

محمد جواد مغنيتي: وهم كل من سار على طريق السابقين الفاضلين. (٤: ٩٥)

مكارم الشيرازي: اصطلح جماعة من المفسِّرين على أن كلمة «التَّابِعِينَ» تعني تلامذة الصحابة، وخلفاءها من محبِّتهم، أي أولئك الَّذِينَ لم يَسِرُوا النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ، فكُتِبَهم تصدَّوا لاكتساب العلوم الإسلامية ووسَّعوها، وبعبارة أخرى: إنَّهم اكتسبوا علومهم الإسلامية من صحابة النبي ﷺ.

ولكن مفهوم الآية - كما قلنا قبل قليل - من الناحية اللغوية لا ينحصر بهذه المجموعة ولا يختص بها، بل إنَّ تعبير «التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ» يشمل كل الفئات والمجموعات التي اتَّبعَتْ بَراجم وأهداف الطلائع الإسلامية. والسابقين إلى الإسلام في كلِّ عصر وزمان. (٦: ١٧١)

محمد حسين فضل الله: فساروا على الطريق نفسه المنطلق إلى الله، وأحسنوا الإيمان والعمل، من حيث أحسن الأولون. (١١: ١٩٨)

به أمة محمد ﷺ.

وإنما سماهم تبعاً وإن كانت لهم شريعة على حدة،
لأنه وجد لهم الشبهة صورة ومعنى.

أما صورة فإنه يقال: فلان يتبع فلاناً، إذا جاء بعده.
وأما معنى فلان تبعاً ﷺ كان مصداقاً بحسب
وبكتابه، ويقال: لمن يصدق غيره أنه يتبعه، على أن
شريعة نبينا وسائر الأنبياء متعددة في أبواب التوحيد؛
فعل هذا هو متبع له إذا كان معتقداً اعتقاده وقائلاً بقوله.
وهذا القول أوجه، لأن فيه ترغيباً في الإسلام،
ودلالة على أن أمة محمد ﷺ يكونون ظاهرين إلى يوم
القيامة، ولأن من دعاء إله لا يكون في الحقيقة تاهلاً له.

(١: ٤٥٠)

المغازين: يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد
وصدقوا قولك، وهم أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ
الذين كفروا، بالمرء والنصر والخلبة، بالمحنة الظاهرة.

وقيل: هم الخواريين الذين اتبعوا عيسى على دينه،
وقيل: هم النصارى. [ثم قال نحو ما تقدم من البخوي
وأضاف:]

لأن النصارى وإن أظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم
أشد مخالفة له؛ وذلك أن عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه
من الشرك. والقول الأول هو الأصح، لأن الذين اتبعوه
هم الذين شهدوا له بأنه عبد الله ورسوله وكلته، وهم
المسلمون ومملكتهم باقية إلى يوم القيامة. (١: ٣٠٠)

أبو حيان: الكاف ضمير عيسى كالکاف السابقة^(١)،
وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ وهو من تلوين الخطاب،
انتهى.

ومعنى (اتَّبَعُوا) أي في الدين والشريعة وهم
المسلمون، لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت
الشرائع. (٢: ٤٧٤)

نحو البر وسوي. (٢: ٤٢)
الشريعتي: أي صدقوا بنبوتك من النصارى ومن
المسلمين، لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت
الشرائع. (١: ٢٢١)

الطباطبائي: لما أخذ الكفر في تعريف مخالفه ظهر
منه أن المراد باتباعه هو الاتباع على الحق، أعني الاتباع
المرضي به سبحانه، فيكون: الذين اتبعوه، هم أتباعه
المتفهمون من النصارى قبل ظهور الإسلام ونسخه
دين عيسى، والمسلمون بعد ظهور الإسلام، فإنهم هم
أتباعه على الحق. (٣: ٢٠٨)

٢- لو كان عرضاً قريباً وسفرنا قاصداً لا تتبعونه...

التوبة: ٤٢

الإمام الباقر عليه السلام: إنهم يستطيعون، وقد كان في
علم الله أنه لو كان عرضاً قريباً وسفرنا قاصداً لفعلوا.

(العياشي ٢: ٨٩)

الطبري: لو كان ما تدعو إليه المستخلفين
عندك... (عرضاً قريباً) يقول: غنيمة حاضرة، (وسفرنا
قاصداً) يقول: وموضعاً قريباً سهلاً لا تتبعوك وتفرروا معك
إليها، ولكنك استفرغتهم إلى موضع بعيد. (١٠: ١٤٠)
الماوردي: يعني في الخروج معك. (٢: ٣٦٧)

(١) في «إِنِّي مُتَوَكِّفٌ وَرَافِعٌكَ إِلَى دَعَايَ»

بغير ألف، ورفع التاء. (الْحَقُّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) بالألف وكسر التاء. فجمع وأفرد، لأن كل واحد منها جائز. ألا ترى أن الذرية قد تكون جمعا، فإذا جمعت فلأن المجموع قد تجمع نحو: أقوام.

قرأ ابن عامر (وَاتَّبَعْتَهُمْ) بالتشديد. (ذُرِّيَّتَهُمْ) بالألف ورفع التاء. (الْحَقُّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) جماعة، وكسر التاء. وجمع في الموضعين، لأن المجموع تجمع نحو: الطرقات.

وقرأ أهل الكوفة وأهل مكة (وَاتَّبَعْتَهُمْ) بالتشديد. (ذُرِّيَّتَهُمْ) على واحدة، وارتفعت «الذرية» بفعلها، «الْحَقُّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد أيضا وهي مفعوله، لأن الله تعالى لما أحققها لحقت هي، كما تقول: أمات الله زيدًا فمات هو، وأدخلت زيدًا الدار فدخل هو، والذرية منسوب من الجمع. قوله: (وَاتَّبَعْتَهُمْ) (وَاتَّبَعْنَاهُمْ) يتداخلان تداخل «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» و«يُذْخَلُونَ الْجَنَّةَ» لأن الله تعالى إذا أتبعهم ذُرِّيَّتَهُم اتبعهم... (٦٨١) الطوسي: من قرأ بالتون معناه، والحقنا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ، أي ألحق الله بهم ذُرِّيَّتَهُمْ، يعني حكم لهم بذلك. ومن قرأ «وَاتَّبَعْتَهُمْ» نسب الاتباع إلى الذرية، والمعنى أنهم آمنوا كما آمنوا، [إلى أن قال:]

والاتباع: إلحاق الثاني بالأول في معنى عليه الأول، لأنه لو ألحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن اتباعًا، وكان إلحاقًا. وإذا قيل: أتبعه بصره فهو الإدراك، وإذا قيل: تبعه فهو يصرف البصر بتصرفه.

(٤٠٧: ٩)

الطبرسي: [نقل اختلاف القراء نحو أبي رزعة ثم

(٣٥٤: ٢)

نحوه البلوي. الطوسي: يعني خرجوا معك وبادروا إلى اتباعك.

(٢٦٢: ٥)

المبيدي: لو افقوك في الخروج.

(١٤٠: ٤)

نحوه ابن كثير. أبو الشعود: في التغير طمحا في الفوز بالنعمة.

وتعليق «الاتباع» بكلا الأمرين يدل على عدم تحققه عند توسط التفرع فقط.

مثله البروسوي (٤٤١: ٣)، ونحوه الآلوسي (١٠: ١٠٠).

(١٠٠: ١٠)

اتَّبَعْتَهُمْ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...

أبو رزعة: قرأ أبو عمرو (وَاتَّبَعْنَاهُمْ) بالتون والألف. (ذُرِّيَّتَهُمْ) جماعة. (الْحَقُّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) جماعة وكسر التاء. وإنما كسر التاء وهي موضع نصب، لأن التاء غير أصلية، كما تقول (ورأيت مسلمات). قوله: (وَاتَّبَعْنَاهُمْ) جعل الفعل لله سبحانه. وحجته قوله: (الْحَقُّنَا بِهِمْ) ولم يقل: (لحقت). فذهب أبو عمرو إلى أنه لما أتى حقيبه الفعل فعل بلفظ الجمع وفق بين اللفظين، لأنه في سياقه ليألف الكلام على نظام واحد. (وَجِئْتَ) يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا نقل بالهمزة تعدى إلى مفعولين، فالمفعول الأول الهاء والمسيح في قوله: (وَاتَّبَعْنَاهُمْ)، والمفعول الثاني (ذُرِّيَّتَهُمْ).

وقرأ نافع (وَاتَّبَعْتَهُمْ) بالتاء والتشديد. (ذُرِّيَّتَهُمْ)

[قال:

يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار، لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم، والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء، فالولد يُحكم له بالإسلام تبعاً لوالده، وأتبع بمعنى تبع.

ومن قرأ (وأَتبعناهم) فهو منقول من تبع، ويصعد إلى المفعولين، [ثم قال نحو الطوسي] (١٦٥: ٥)

الفخر الرازي، وفيه لطائف، [إلى أن قال:]

اللطيفة الزائدة قال في الدنيا: (أَتبعناهم) وقال في الآخرة (أَلتَقْنَا بِهِمْ) وذلك لأن في الدنيا لا يدرك الصغير تبع مساواة المتبع، وإنما يكون هو تبعاً والأب أصلاً بفضل السامي على غير السامي، وأما في الآخرة فإذا ألحق الله بفضله ولده به، جعل له من الدرجة مثل ماله.

أبو السعود: (وَأَتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) عطف على (أَتَّبَعُوا)، وقيل، اعتراض. وقوله تعالى: ﴿بِإِيمَانٍ﴾ متعلق بالاتباع، أي اتبعتهم ذُرِّيَّتَهُمْ بإيمان في الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء، واعتبار هذا القيد للإيدان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة للإحافاد.

وَقُرِئَ (ذُرِّيَّاتِهِمْ) للمبالغة في الكثرة (وَذُرِّيَّاتِهِمْ) بكسر الذال، وَقُرِئَ (وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتَهُمْ) أي جعلناهم تابعين لهم في الإيمان، وَقُرِئَ (أَتَّبَعْتُهُمْ). (١٤٦: ٦) القاسمي: أي اقتضت آثارهم في الإيمان والصلح الصالح.

الطباطبائي: قيل: الفرق بين الاتباع واللاحق مع اعتبار التقدم والتأخر فيها جميعاً، أنه يُعتبر في

الاتباع اشتراك بين التابع والمتبع في مورد الاتباع، بخلاف اللاحق فاللاحق لا يشارك الملحق في ملحق به فيه. [إلى أن قال:]

والمعنى اتبعوهم ينوع من الإيمان وإن قصر عن درجة إيمان آبائهم، إذ لا امتنان لو كان إيمانهم أكمل من إيمان آبائهم أو مساوياً له.

وإطلاق الاتباع في الإيمان منصرف إلى اتباع من يصح منه في نفسه الإيمان، ببلوغه حداً يُكَلِّفُ به.

(١٢: ١٩)

لاحظ «ل ح ق» (المقتنا بهم).

اتَّبَعْتُ

١-...وَلَمَّا اتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ تَعَذَّلْتُ الَّذِي جِئْتُكَ مِنْهُ الْعِلْمُ خَالِكٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا تَجِيرُ. البقرة: ١٢٠ ابن عباس: معناه إن صليت إلى قبلتهم.

(الطبرسي ١: ١٩٧)

الطبرسي: ﴿وَلَمَّا اتَّبَعْتُ﴾ يا محمد هوى هؤلاء اليهود والنصارى، فيما يُرضيهم عنك من تهوّد وتنصر، فصرت من ذلك إلى إرضائهم، ووافقت فيه محبتهم... مالك من الله من ولي.

(٥١٨: ١) الطبرسي: أي مراداتهم.

(١٩٧: ١) الفخر الرازي: قالوا: الآية تدل على أمور:

منها: أن الذي علم الله منه أنه لا يفعل الشيء يجوز منه أن يتوعد على فعله، فإن في هذه الصورة علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ومع ذلك فقد توعد عليه، وظهيره قوله: ﴿لَمَّا أَتَيْنَاكَ لَيُخَذَّ بِكَ عَصَاكَ﴾ الزمر: ٦٥، وإما

حسن هذا الوعيد لاحتمال أن الصَّارف له عن ذلك هو هذا الوعيد، أو هذا الوعيد أحد صوارفه.

وثانيها: أن قوله: ﴿يُنْفَذُ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يدل على أنه لا يجوز الوعيد إلا بعد نصب الأدلة، وإذا صح ذلك، لبأن لا يجوز الوعيد إلا بعد القدرة أولى، فيبطل به قول من تكليف ما لا يطاق.

وثالثها: فيها دلالة على أن اتباع الهوى لا يكون إلا باطلاً، فمن هذا الوجه يدل على بطلان التقليد.

ورابعها: فيها دلالة على أنه لا شفيع لمستحق العقاب، لأن غير الرسول إذا تبع هواه لو كان يجد شيئاً ونصيراً لكان الرسول أحق بذلك. وهذا ضعيف لأن اتباع أهوائهم كفر، وعندنا لا شفاعة في الكفر. (٣١: ٥) نحوه أبو حنيفة. (٣: ١١)

محمد حسين فضل الله: ﴿وَلَمَّا أَتَيْنَا أَهْوَاءَهُمْ﴾ فانجذبت إلى جو الإغراء الماطي الذي يثيرونه في نفسك، ويسرّتهم معهم في ما يريدونه. (٢: ١٩٦)

٢... وَلَمَّا أَتَيْنَا أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَقْدِ حَاجَاتِكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ. البقرة: ١٤٥

الحسن: إن المراد به غيره من أمته وإن كان الخطاب له، والمراد الدلالة على أن الوعيد يستحق باتباع أهوائهم وأن اتباعهم ردة.

مثله الزَّجَّاج. (الطبرسي ١: ٢٢٩)

الطبرسي: ولئن اتهمست يا محمد رضا هؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لك ولأصحابك: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ البقرة: ١٣٥، فأتيت قبلتهم، يعني

فرجعت إلى قبلتهم. (٢: ٢٥)

الجبائي: إن المراد إن اتبعت أهواءهم في المداورة لهم حرصاً على أن يؤمنوا، إنك إذا لم الظالمين نفسك، مع إعلامنا إياك أنهم لا يؤمنون. (الطبرسي ١: ٢٢٩) نحوه المراغي. (٢: ١٢)

عبد الجبار: إنه على سبيل الزجر عن الركون إليهم ومقاربتهم، تقوية لنفسه ومثبي شريعته، ليستمرّوا على عداوتهم. (الطبرسي ١: ٢٢٩)

الطوسي: قيل: في معناه ثلاثة أقوال: [أحدها: قول الحسن، وثانيها: قول الجبائي]

الثالث: أن معناه الدلالة على فساد مذاهيم وتكليفهم بها، كما تقول: لئن قيل عنك أنه لغاسر، تريد المظالمين على فساد رأيه والتباعد من قبوله. (٢: ١٩)

نحو الطبرسي. (١: ٢٢٩)

الزمخشري: بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المظومة عنده في قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ كلام وارد على سبيل الغرض، والتقدير بمعنى: ولئن اتبعتهم مثلاً بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر ﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ المرتكبين الظلم الفاحش.

وفي ذلك لطف للتأمين وزيادة تحذير، واستفطاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى، وتهيج وإلهاب للفتات على الحق. (١: ٣٢١)

الفخر الرازي: وأما قوله: ﴿وَلَمَّا أَتَيْنَا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ففيه مألان:

المسألة الأولى: الهوى المقصود، هو ما ميل إليه الطبع، والهوى الممدود: معروف.

المسألة الثانية: اختلفوا في مخاطب بهذا الخطاب، قال بعضهم: الرسول. وقال بعضهم: الرسول وغيره. وقال آخرون: بل غيره، لأنه تعالى عرّف أن الرسول لا يفعل ذلك، فلا يجوز أن يفتّحه بهذا الخطاب.

وهذا القول الثالث خطأ، لأن كلّ مآلو وقع من الرسول لقب، والإجماع عنه مرتفع، فهو منهي عنه، وإن كان المعلوم منه أنه لا يفعله، ويدلّ عليه وجوه: أحدها: أنه لو كان كلّ ما علم الله أنه لا يفعله وجب أن لا ينهيه عنه، لكان ما علم أنه يفعله وجب أن لا يأمره به، وذلك يقتضي أن لا يكون الشيء مأموراً بشيء ولا منهيّاً عن شيء، وأنه بالاتفاق باطل.

وثانيها: لو لا تقدّم النهي والتحذير، لما احتقر النبي ﷺ عنه، فلما كان ذلك الاحتراز مشروطاً بذلك النهي والتحذير، فكيف يجعل ذلك الاحتراز متعلقاً للنهي والتحذير.

وثالثها: أن يكون الغرض من النهي والوعيد أن يتأكّد قبح ذلك في العقل، فيكون الغرض منه التأكيد. ولما حسن من الله تعالى التنبيه على أنواع الدلائل الدالة على التوحيد بعد ما قرّرها في العقول، والغرض منه تأكيد العقل بالنقل، فأبى بعد في مثل هذا الغرض هاهنا.

ورابعها: قوله تعالى في حق الملائكة: ﴿وَمَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنْ إِيَّاهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِمْ جَهَنَّمَ﴾ الأنبياء: ٢٩، مع أنه تعالى أخبر عن عصمتهم في قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ النحل: ٥٠، وقال في حق محمد ﷺ: ﴿لَنْ أَسْأَلَكَ لِيْهِمْ عَمَلًا﴾ الزمر: ٦٥، وقد أجمعوا على أنه عليه الصلاة والسلام

ما أشرك وما مال إليه، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الأحزاب: ١، وقال تعالى: ﴿وَذُكُّوا لَوْ تُدْهِىَ فُجْدَاهُنَّ﴾ القلم: ٩، وقال: ﴿يَتْلُوعَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَّ يُلْقُنَّ نِسَاءً﴾ المائدة: ٦٧، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: ١٤.

فثبت بما ذكرنا أنه عليه الصلاة والسلام منهي عن ذلك، وأن غيره أيضاً منهي عنه، لأن النهي عن هذه الأشياء ليس من خواصّ الرسول عليه الصلاة والسلام. بقي أن يقال: هل لم يخفّه بالنهي غيره؟

فمنقول: فيه وجوه:

أحدها: أن كلّ من كان نعم الله عليه أكثر، كان حضور الذنب منه أقبح. ولا شك أن نعم الله تعالى على الرسول ﷺ عليه الصلاة والسلام أكثر، فكان حصول الذنب منه أقبح، فكان أولى بالتخصيص.

وثانيها: أن مزيد الحب يقتضي التخصيص بمزيد التحذير.

وثالثها: أن الرجل المأزوم إذا أقبل على أكبر أولاده وأصلحهم

فزجره عن أمر بمضرة جماعة أولاده، فإنه يكون منبهاً بذلك على عظم ذلك الفعل إن اختاروه وارتكبوه، وفي عادة الناس أن يوجهوا أمرهم ونهيهم إلى من هو أعظم درجة نسباً للغير أو توكيداً، فهذه قاعدة مقررة في أمثال هذه الآية.

القول الثاني: أن قوله: ﴿وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ليس المراد منه أنه اتبع أهواءهم في كلّ الأمور، فلهذا

عليه الصلاة والسلام كان في بعض الأسور يتبع أهواءهم، مثل ترك الحاشية في القول والخلفة في الكلام، طمأننا منه عليه الصلاة والسلام في استئذانهم، فنهأ الله تعالى عن ذلك القدر أيضًا، وآبى منهم بالكثبة صلى ما قال: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئْتَا أَنْ نَعُذَّ بِكَ لَكُنَّا لَكُنَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٧٤.

القول الثالث: أن ظاهر الخطاب وإن كان مع الرسول إلا أن المراد منه غيره، وهذا كما أنك إذا عاتبت إنسانًا أساء عبده إلى عبدك، فنقول له: لو فعلت مرة أخرى مثل هذا الفعل لعاقبتك عليه عقابًا شديدًا. فكان الغرض منه أن لا يميل إلى مخالفتهم ومتابعتهم أحد من الأمة.

أبو حنيفة: اللام أيضًا مؤذنة بقسم محذوف، ولذلك جاء الجواب بقوله: (أنك) وتعليق وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئْتَا أَنْ نَعُذَّ بِكَ لَكُنَّا لَكُنَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٧٤. شرط لا يقتضي إمكان ذلك الشرط، يقول الرجل لأمراته: إن صعدت إلى السماء فأنت طالق، ومعلوم امتناع صعودها إلى السماء. وقال تعالى في الملائكة الذين أخبر عنهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويسمعون ما يأمرون قال: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيَنْفِرْ خِفَافًا﴾ الإسراء: ٢٩.

إذا اتضح ذلك سهل ماورد من هذا النوع وفهم من ذلك الاستعالة، لأن المعلق على المستحيل مستحيل، ويصير معنى هذه الجملة التي ظاهرها الوقوع على تقدير امتناع الوقوع، ويصير المعنى لاتعد ظالمًا ولا تنكونه، لأنك لا تتبع أهواءهم، وكذلك لا يعبط عملك، لأن إصرارك بمنع، وكذلك لا يجزى أحد من الملائكة جهنم.

لأنه لا يدعي أنه إله.

وقالوا: ما خوطب به من هو معصوم كما لا يمكن وقوعه منه، فهو محمول على إرادة أمته، ومن يمكن وقوع ذلك منه. وإنما جاء الخطاب له على سبيل التظيم لذلك الأمر والتخفيف لشأنه، حتى يحصل التباعد منه، وظهر ذلك قوطهم: «إِنَّكَ أَعْيَى وَاسْمِي يَاجَارُ».

(٤٣٢: ١١)

الألوسي: أي على سبيل الفرض وإلا فلا معنى لاستعمال «إن» الموضوع للمعاني المحتملة بعد تحقق الاستغناء فيما سبق. والمقصود بهذا الفرض ذكر مثال لاتباع الهوى وذكر قبعة من خير نظر إلى خصوصية التبعية والمنفعة.

الطباطبائي: تهديد للنبي، والمعنى مستوجه إلى أتباعه وإشارة إلى أنهم في هذا التمرّد إنما يستبجون أهواءهم، وأتهم بذلك ظالمون.

مكارم الشيرازي: في القرآن مثل هذا اللون من الخطاب التهديدي للنبي بأسلوب القضية الشرطية والهدف من ذلك ثلاثة أشياء:

الأول: أن يعلم الجميع عدم وجود أي تمييز بين الناس في إطار القوانين الإلهية، وحق الأنبياء مشمولون بهذه القوانين، ومن هنا غلو صدر عن النبي - على الفرض الحال - اعتراف، فيشمله العقاب الإلهي، مع استعالة صدور ذلك عن النبي، بعبارة أخرى: القضية الشرطية لاتدل على تحقق الشرط.

الثاني: أن يتنبه الناس إلى واقعهم، فإذا كان ذلك شأن النبي، فن الأول أن يكونوا هم أيضًا واصلين

لأسؤولياتهم، وأن لا يستسلموا إطلاقاً لميول الأعداء
وضجّاتهم المغتيلة.

الثالث: أن يتضح عدم قدرة النبي على تعبير أحكام
الله، وعدم إمكان الطلب إليه أن يُغيّر حكماً من
الأحكام، فهو عبد أيضاً خاضع لأمر الله تعالى. (٣٦٧: ١)

٣... وَلَئِنْ أَتَيْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ يَقْدُ مَا جَاءَكَ مِنَ الْجُحْمِ
مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ. الزّهد: ٣٧

ابن عباس: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد أمته.

(الفخر الرازي ١٩: ٦٢)

خطاب ابن السائب: في صلاتك إلى بيت المقدس
﴿يَقْدُ مَا جَاءَكَ مِنَ الْجُحْمِ﴾ أن قبلتك الكعبة.

(ابن الجوزي ٤: ٢٣٦)

شعائل: في قبول ما دعوك إليه من ملّة آياتك

(ابن الجوزي ٤: ٢٣٦)

الطبري: ولئن أتيت بأهواءهم، أهواء
هؤلاء الأحزاب ورضاهم ومحبتهم، وانتقلت من دينك
إلى دينهم، مالك من يقبك عذاب الله إن عذّبك على
اتباعك أهواءهم، ومالك من ناصر ينصرك فيستغذلك
من الله إن هو عاقبك. يقول: فاحذر أن تتبع أهواءهم.

(١٦٥: ١٣)

نحو المرافي.

الطوسي: خطاب للنبي ﷺ، والمراد به الأمة.

يقول له: لئن وافقت وطلبت أهواء الذين كفروا بعد أن
جاء العلم. لأنّ ما آتيناك من الدلالات والمعجزات
للعلم، والاتباع: طلب اللحاق بالأول كيف تصرف.

(٢٦١: ١)

نحو الطبرسي.

(٢٩٧: ٣)

القشيري: أي ولئن وافقتهم، ولم تعصم بالله،
ووقعت على قلبك حشمة من غير الله، كمالك من وافي
من الله.

(٢٣٤: ٣)

المبيدي: والمعنى ولئن أثبت أهواءهم في دعائهم
إياك إلى ملّة آياتهم بعد ما جاءك من القرآن ﴿مَالَكَ مِنْ
اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ينصرك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يقبك. وهذا وعيد
حس به طمسهم.

وقيل: المراد بهذا الخطاب أصحاب محمد ﷺ

(٢٠٤: ٥)

الزمخشري: كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور
يؤاخذهم عليها، منها: أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوّل
الله ﷻ قبلة رسوله ﷺ، لأنّ تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء
وسخه. بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والمُجيب
القاطعة، خذلك الله فلا ينصرك ناصر، وأهلكك
فلا يقبك منه وافي.

وهذا من باب الإطباب والتّهيج، واليهت للسامعين
على القبات في الدّين والتّصلّب فيه، وأن لا يزول زال عند
الشبهة بعد استمساكه بالحجّة، وإلا فكان رسول الله ﷺ
من شدة الشكينة يمكان، كانوا يُعيّبونه بالزّواج والولاد
كما كانوا يقولون: ما هذا الرّسول يأكل الطّعام، وكانوا
يقترحون عليه الآيات وينكرون النّسخ.

(٣٦٣: ٢)

نحو الفخر الرازي.

(٦٢: ١٩)

البیضاوي: التي يدعونك إليها، كتقرير دينهم،
والصّلاة إلى قبلتهم بعد ما حوّل عنها.

(٥٢٢: ١)

الرَّمُوشِيَّ: يعني من شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح، إلا أنه غيبي عليك وجه صحته، فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تقامحي بالسؤال ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاعل عليك. وهذا من آداب المعلم مع العالم، والمتجوع مع التابع. (٤٩٣: ٢)

نحوه أبو حيان (١٤٨: ٦)، والمرآغي (١٧٨: ١٥). البقوي: فإن صحبتني، ولم يقل: اتبعني، ولكن جعل الاختيار إليه. إلا أنه شرط عليه شرطاً. فقال: (فَلَا تَسْتَلْنِي).

نحوه الخازن. (١٨١: ٤)

أبو السعود: أذن له في الاتباع بعد اللَّيَا والتي.

(٢٠٤: ٤)

(٣٢٥: ١٦)

راجع: «س» لـ «فَلَا تَسْتَلْنِي».

٢- وَقَالَ الْخَلَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَائِرُونَ. الأعراف: ٩٠

الطوسي: انقذتم له، ورجعتم إلى أمره ونهيه.

(٥٠١: ٤)

نحوه الطبرسي. (٤٥٠: ٢)

الشربيني: أي على دينه، وتركتم دينكم ومآتم عليه «إِنَّكُمْ إِذَا لَخَائِرُونَ».

نحوه أبو السعود (٧: ٣)، والكاشاني (٢: ٢٢٠).

والبروسوي (٣: ٢٠٣)، والآلوسي (٩: ٦).

الطباطبائي: هذا تهديد منهم لمن آمن بشعيب أو

نحوه أبو السعود (٣: ٤٦٣)، والآلوسي (١٣: ١٦٨).

البروسوي: التي يدعونك إليه لتقرير دينهم،

جعل ما يدعونه إليه من الدين الباطل والطريق الزائف.

(٢٨٣: ٤)

الطباطبائي: المراد به التهي عن اتباع أهواء أهل

الكتاب، وقد ذكر في القرآن من ذلك شيء كثير،

وعنده ذلك أنهم كانوا يقترحون على النبي ﷺ آية

غير القرآن كما كان المشركون يقترحونها، وكانوا

يطمعون أن يتبهم فيها عندهم من الأحكام لإحالتهم

النسخ في الأحكام. وهذان الأمران ولا سيما أولهما عمدة

ما تعرض له هذه الآيات.

والمعنى: وكما أنزلنا على الذين أوتوا الكتاب كتابهم

أنزلنا هذا القرآن عليك بلسانك، مستملاً على حكم أو

حاكم بين الناس. ولئن اتبعت أهواء أهل الكتاب

فتميت أن يهلك عليك آية غير القرآن كما يقترحون،

أو داهنتهم وميتت إلى اتباع بعض ما عندهم من الأحكام

المنسوخة أو المرفقة أخذناك بالعقوبة، وليس لك ولي

يلي أمره من دون الله، ولا وافي بطلبك منه. فالخطاب

للنبي ﷺ، وهو المراد به دون الأمة، كما ذكره بعضهم.

(٣٧٣: ١١)

اتَّبَعْتَنِي

قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْبِرَ

لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا. الكهف: ٧٠

الطوسي: واقتفيت أثرني.

(٧٢: ٧)

(٤٨٣: ٣)

نحوه الطبرسي.

أراد أن يؤمن به، ويكون من جملة الإيماد والصدّ اللذين كان شعيب ينهى عنهما، بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَكُلَّ صِرَاطِ تُوْعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الأعراف: ٨٦ ويكون إفراد هذا بالذكر هاهنا من بين سائر أقوالهم، ليكون كالتوطئة والتسميد لما سيأتي من قولهم، بعد ذكر هلاكهم: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٩٢.

ويحتمل أن يكون الاتباع بمعناه الظاهر العربي، وهو اقتفاء أثر الماشي على الطريق والتسالك السبل، بأن يكون الملأ المستكبرون لما اضطروه ومن سمه إلى أحد الأمرين: الخروج من أرضهم والعود في ملتهم، ثم سموه يردّ عليهم العود إلى ملتهم ردّاً قاطعاً، ثم يدعو بمثل قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الأعراف: ٨٩، لم يشكروا أنه خير بينهم وبينهم، ويقتبعه في هذه المهاجرة المؤمنون به من القوم، خاطبوا عند ذلك طائفة المؤمنين بقولهم: ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِذْكَ تَخَابِرُونَ﴾، فهددوهم وخوّفوهم بالخسران إن تبعوه في الخروج من أرضهم ليخرج شعيب وحده، فإنهم إنما كانوا يعادونه إيتاء بالأصالة، وأما المؤمنون فإنما كانوا يُقَضُّون من جهته ولاجله.

وعلى أي الوجهين كان غالية كالتوطئة والتسميد للآية الآتية: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ كما تقدّمت الإشارة إليه. (١٩٢: ٨)

اُنْتَبَهْتُ

وَأَنْتَبَهْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا

لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ... يوسف: ٣٨
الطُّوسِي: في هذه الآية إخبار عن يوسف أنه قال لها: إني في ترك اتباع مِلَّةِ الكفار وجعدهم البعث والنشور، وفي إيماني بالله وتوحيدي له، أثبت مِلَّةَ آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فالاتباع: اقتفاء الأثر، وهو طلب اللحاق بالأول، فاتباع الحق بالقصد إلى موافقته من أجل دعائه. (١٤٠: ٦)

ابن عَطِيَّة: نادى من يوسف ^{عليه السلام} في دعائها إلى المِلَّةِ الحنيفية، وزوال عن مواجهة ^(١) «مَجَلَّتْ» لما تقتضيه رؤياه. (٢٤٥: ٣)

نحوه أبو حنّان. (٣٠٩: ٥)
ابن كثير: هجرت طريق الكفر والشرك، وحللت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. (٢٧: ٤)

أبو السعود: قدّم ذكر تركه ملتهم على ذكر اتباعه مِلَّةَ آبائه، لأنّ التخليّة متقدّمة على التحلية. (٣٥٩: ٢)

الطُّوسِي: [نحو أبي السعود تمّ أضاف:]
وجوّز بعضهم أن لا يكون هناك تعليل، وأنّ الجملة الأولى مستأنفة، ذكرت تمهيداً للدعوة، والثانية إظهاراً، لأنّه من بيت النبوة، لتقوى الرّغبة فيه. وفي كلام أبي حنّان ما يقتضي أنّه الظاهر، وليس بذاك.

(٢٤٢: ١٢)
نحوه القاسمي. (٢٥٤٠: ٩)

وهناك أبحاث لاحظ: «ت ر ك».

(١) اسم أحد صحابي يوسف في السجن.

اَتَّبَعْنَا

رَبَّنَا أَمَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُفِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. آل عمران: ٥٣

الطَّبْرِي: يعني بذلك: صرنا أتباع عيسى، على دينك الذي ابتعته به، وأعوانه على الحق الذي أرسلته به إلى عبادك. (٢: ٢٨٨)

الطُّوسِي: فالاتباع: سلوك طريقة الداعي على الإجابة إلى مادعا إليه، وليس كل إجابة اتباعاً، لأن إجابة الدعاء يجوز على الله تعالى ولا يجوز عليه الاتباع. (٢: ٤٧٥)

الطَّبْرِي: أي اتبعناه. (١: ٤٤٨)

أبو السعود: أي في كل ما يأتي ويذكر من أمور الذين، فدخل فيه الاتباع في النصر: دخولاً أولاً.

(١: ٣٧٤)

نحوه البروسوي.

الآلوسي: أي امتثلنا ما أتى به منك إلينا. (٣: ١٧٧)

قالوا: دغلاً واستهزاء، [إلى أن قال:]

وفي جملهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال استجلهم من القتال، حيث لا ترضى نفوسهم بحمله تالياً لمقدم مستحيل الوقوع. (٢: ٦٠)

اَتَّبِعُوا

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ. راجع (اتَّبِعُوا) الآية (٢).

البقرة: ١٦٦

يَتَّبِعُ

وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْهَدْيِ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ... النساء: ١١٥ راجع: «س ب ل» (سبيل)

٢- وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. يونس: ٣٦

راجع «ظ ن ن»، وك ت ر»

٣-... وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ... يونس: ٦٦

الطَّبْرِي: أي شيء يتبع من يقول: لله شركاء في سلطانه ومملكه كاذباً والله المفرد بملك كل شيء، في سواء كان أو أرض. (١١: ١٣٩)

الطُّوسِي: تحتل (ما) في قوله: (وَمَا يَتَّبِعُ) وجهين:

اَتَّبَعْنَاكُمْ

... قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ... آل عمران: ١٦٧

مُجَاهِد: يمتنون لو نعلم أنكم تلقون حرباً لجتناكم، ولكن لا تلقون قتالاً. (ابن كثير ٢: ١٥٢)

نحوه الطَّبْرِي. (٤: ١٦٨)

أبو السعود: أي لو نحن قتالاً ونقدر عليه، وإنا

ويمكن قوله: (إِنْ يَتَّبِعُونَ مَكْرًا طُولَ الْكَلَامِ، وَتَقِفْ فِي هَذَا الْقَوْلِ عَلَى قَوْلِهِ: (وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) وَفِي ذَلِكَ الْقَوْلِ عَلَى قَوْلِهِ: (شُرَكَاءُ)). (١٢١: ٣)

نحوه التيساري (١١: ١٠٠)، وأبو حيان (٥: ١٧٦)، أبو الشعثه: برهان على بطلان ظنهم وأعمالهم المبنية عليها، و(ما) إنا نافية، و(شُرَكَاءُ) مفعول (يَتَّبِعُ) ومفعول (يَدْعُونَ) محذوف، فظهوره، أي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء، في الحقيقة، وإن سموها شركاء فاقصر على أحدها لظهور دلالة على الآخر.

ويجوز أن يكون المذكور مفعول (يَدْعُونَ) ويكون مفعول (يَتَّبِعُ) محذوفًا، لانفهامه من قوله تعالى: (وَإِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) أي ما يتبعونه يقينا إنما يتبعون ظنهم

(الباطل)

وإنما موصولة مطروقة على (مَنْ) كأنه قيل: والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي وله شركاؤهم، وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيا سبق عبارة أو دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم، وفساد ما يؤثرون عليه من ظنهم شركاء هم معبودين، مع كونهم عبدا له سبحانه.

وإنما استغماية، أي وأي شيء يستبعون، أي لا يتبعون إلا الظن والخيال الباطل، كقوله تعالى: (وَمَا تَقْهَدُونَ مِنْ دُونِ إِلَّا أَسْمَاءٍ مَقْهَتَوهَا) يوسف: ٤٠، وقرئ (تَدْعُونَ) بالثاء، فالاستغمام للتبكي والتويخ، كأنه قيل: وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبين، تقريرًا لكونهم متبعين لله

أحدهما: أن تكون بمعنى «أي» كأنه قال: وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، تبيينًا لظهور الثاني: أن تكون نافية، وتقديره: وما يتبعون شركاء في الحقيقة والمعرفة، (٥: ٤٦٤)

نحوه البهوي (٢: ٤٢٧)، والقشيري (١٧: ١٣١)، وأبو البقاء (٢: ٦٨)، والقشيري (٨: ٣٦٠)، والخازن (٣: ١٦٣).

الزعماء قري، ومعنى (مَا يَتَّبِعُونَ شُرَكَاءَ) أي، ما يتبعون حقيقة الشركاء، وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال، [إلى أن قال:]

ويجوز أن يكون «وَمَا يَتَّبِعُونَ» في معنى الاستغمام، يعني وأي شيء يتبعون؟ و(شُرَكَاءُ) على هذا نصب بـ(يَدْعُونَ)، وعلى الأول بـ(يَتَّبِعُونَ)، وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء، فاقصر على أحدها للدلالة.

ويجوز أن تكون (ما) موصولة مطروقة على (مَنْ) كأنه قيل: والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء، أي: وله شركاؤهم. (٢: ٢٤٤)

الطبرسي: [نحو الطوسي وأضاف:]

ويحتمل وجهًا ثالثًا وهو أن يكون (ما) بمعنى «الذي»، ويكون منصوبًا بالخطف على (مَنْ) ويكون التقدير: والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء، فحذف العائد من الصلة و(شُرَكَاءُ) حال من ذلك المحذوف.

وإن جعلت (ما) نفيًا، فقوله: (شُرَكَاءُ) يستحب بـ(يَدْعُونَ) والسائد إلى (الذين) الواو في (يَدْعُونَ)،

تعالى مطيعين له، وتوبيخاً لهم على اقتدائهم بهم في ذلك، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ الإسراء: ٥٧، ثم صُرف الكلام عن الخطاب إلى النبية، فقيل: إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن، ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق.

(٢٥٨: ٣)

نحوه الألويسي.

الصراغي، أي إن هؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى - بدعائهم في الشدائد واستغاثتهم في النوازل والتقرب إليهم بالقرابين والتذوق - لا يتبعون شركاء له في الحقيقة يدبرون أمور المباد ويكشفون الصغر عنهم: إذ لا شريك له.

ثم أكد ماسلف وزاده بياناً فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي ما يتبعون في الحقيقة إنما يقولون إلا الظن في دعواهم أنهم أولياء لله وشفعاء عنده، فهم يقيسونه على ملوكهم الظالمين المتكبرين الذين لا يصل إليهم أحد من رعاياهم إلا بوسائل حجباه ووزرائه ووسائطه.

(١٣٢: ١١)

٤ - ومن الثابت من مجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد.

الطباطبائي: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ بيان لمسلكه في الاعتقاد والعمل، بعد بيان مسلكه في القول، كأنه قيل: إنه يقول في الله بغير علم ويصر على جهله، ويعتقد بكل باطل ويعمل به. وإذا كان الشيطان هو الذي يهدي الإنسان إلى الباطل والإنسان إنما يميل إليه

بإغوائه، فهو يتبع في كل ما يعتقد ويعمل به الشيطان. فقد وضع اتباع الشيطان في الآية موضع الاعتقاد والعمل، للدلالة على الكيفية، وليبين في الآية التالية أنه ضال عن طريق الجنة، سالك إلى عذاب السعير.

(١٤: ٣٤٢)

محمد حسين فضل الله: وتلك مشكلة: من يتبعون القيادات المنحرفة التي تعمل على إثارة الفساد، وإبعاد الناس عن خط الخير، فيجندون عقول هؤلاء الناس ليتبعوا عقولهم دون وعي أو تفكير، ليتحركوا عندها لتحقيق مخططات الشر والظلم والفساد. إلى أن قال:

وعند قراءة كيفية تقديم القرآن الكريم لهذا النموذج المنحرف، نلاحظ أن هذا النموذج يتميز بصفتين الأولى: اقتضاه إلى العلم الذي يفتح أسامه أبواب الحق، والثانية: اتباعه الشيطان الخبيث الذي يريد للحياة أن تتحرك في طريق الشر، وأن تبعد عن طريق الخير.

وفي ضوء ذلك نفهم أن للعلم قيمة أساسية في شخصية الإنسان، وفي حركة الواقع الفكري والعملي، والتأكيد عليه يمكن أن يؤدي إلى إطلاق الخلاف العقيدي والسياسي والاجتماعي، من موقع التسرع في الاجتهاد القائم على الدليل الذي قد تختلف الأنظار في فهمه، وبذلك يمكن أن يؤدي الحوار إلى اللقاء على أكثر من قضية من قضايا الخلاف، وإلى الانفتاح على الحق من أقرب طريق.

من هنا، يجب التأكيد على ضرورة إطلاق القاعدة

من مواقع الافتتاح الفكري بالقيادة ، لامن مواقع التقليد
الأعمى لها . لاسيما في المسائل التي يمكن للقاعدة أن
تأخذ فيها بأسباب المعرفة ، أو من قاعدة الأساس
الشَّرهي الذي يُعطي الإنسان الحق في اتباع قيادة
مؤهلة ، تلك مواصفات معينة ، يأمن معها من الوقوع في
قبضة الضلال ، لما تملكه من الحصنة أو العلم أو التقوى أو
الإيمان ، مما يجعله - أي الإنسان - يأمن من الوقوع في
قبضة الضلال بحيث يتحول المجتمع إلى ساحة متحركة
بالعلم والوعي ، مع القيادات المؤهلة الواعية التي تفتح
على الله ، وعلى المسؤولية من خلاله . (١٥ : ١٦)

بالتخفيف من : تسع يتبع . وقرأ الباقون (يَتَّبِعُهُمْ)
بالتشديد من : اتبع يتبع . فتبعه : سار في أثره . وأتبعه :
لحقه . (٥٢٢)

نحوه ابن عطية . (٤ : ٢٤٦)
الرَّمَقَشَرِي : (والشَّراء) مبتدأ ، (يَتَّبِعُهُمُ الْقَاوُنُ)
خبره . ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم ،
ويفضل قولهم وسامع عليه من الهجاء وتمزيق
الأعراض ، والقدح في الأنساب ، والتبذير بالحرم
والفضول والابتهاج ، ومدح من لا يستحق المدح ،
ولا يستحق ذلك منهم . ولا يطرب على قولهم إلا
كفاؤون والسفهاء والشطار^(١) . (٣ : ١٣٣)

٥ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَمَأْزُجْ بَالْعِظَامِ
وَالْمُنْكَرِ ...
الطَّبْرِي : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،
لَا تَسْلُكُوا سَبِيلَ الشَّيْطَانِ وَطَرِيقَهُ . وَلَا تَقْرَأُوا آيَاتِهِ ،
بِإِذْنِكُمْ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا وَإِذَا عَتَاكُمْ فِيهِمْ ،
وَرَوَايَتُكُمْ ذَلِكَ عَتَى جَاءَ بِهِ . (١٨ : ١٠١)

أبو السعود : فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا .
(٤ : ٤٤٧)
محمد جواد مغنيتي : من أمكن الشيطان من نفسه
قاده إلى كل قبيحة ورذيلة . (٥ : ٤٠٨)

يَتَّبِعُونَ

١ - فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
بَيْنَهُ أَيْنَاءَ الْفِتْنَةِ ...
الطَّبْرِي : أي يحتجبون به على باطلهم . (٢ : ٣٩٩)
مثله الطَّبْرِي . (١ : ٤٠٩)
الرَّمَقَشَرِي : فيمقلدون بالمشابه الذي يحتمل
ما يذهب إليه المبتدع بما لا يطابق الحكم ، ويحتمل
ما يطابقه من قول أهل الحق . (١ : ٤١٣)

يَتَّبِعُهُمْ

وَالشَّوْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُنُ . الشَّوْرَاءُ : ٢٢٤
أَبُو ذُرَّةَ : قَرَأَ نَافِعَ (وَالشَّوْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوُنُ)

نحوه التيسابوري (٣: ١٢٨)، وابن كثير (٢: ٦)،
وأبو السجود (١: ٣٣٧).

الْبَيْضَاوِيُّ: فيعلقون بظاهره أو بتأويل باطل.

(١: ١٤٩)

منه الشريفي.

الْفَازِن: يعني يحيلون المحكم على المشابه
والمتشابه على المحكم.

الطَّبَائِي: إن المراد باتباع المشابه: اتباعه
عملاً لا إيماناً، وأن هذا الاتباع المذموم اتباع للمتشابه من
غير إرجاعه إلى المحكم؛ إذ على هذا التقدير يصير
الاتباع اتباعاً للمحكم، ولازم فيه.

راجع «ش ب هـ» (المتشابه).

٢- وَافَهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَوَبَّ عَنْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهَا عَظِيمًا.

مُجَاهِد: يعني به الزناة.

نحوه الضحاك.

السُّدِّي: هم اليهود والنصارى.

ابن زَيْد: كل متبع شهوة غير مباحة.

(الماوردي ١: ٤٧٤)

الطَّبِيرِيُّ: ويريد الذين يطلبون لذات الدنيا

وشهوات أنفسهم فيها.

التَّحَاس: أي يريدون أن تعدلوا عن القصد والحق.

(٢: ٦٩)

الطُّوسِي: قيل: فيه أربعة أقوال: [ونقل قول ابن

زَيْد ومجاهد والسُّدِّي ثم قال:]

الرابع: اليهود خاصة، لأنهم يحلون نكاح الأخت
من الأب. والأول [يعني قول ابن زيد] أقوى لأنه أعم
فائدة، وأوفق لظاهر اللفظ.

نحوه الطبرسي (٢: ٣٦)، وابن عطية (٢: ٤٠)،
والفرطبي (٥: ١٤٩).

الزَّمَخْشَرِيُّ: قيل: هم اليهود، وقيل: الجوس
كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ
وبنات الأخت، فلما حرمهن الله قالوا: فإنكم تحلون بنت
الحالة والعمة، والحالة والعمة عليكم حرام، فإنكحوا
بنات الأخ والأخت فزلت. يقول تعالى: يريدون أن
تكونوا زناة مثلهم.

نحوه رشيد رضا.

الْبَيْضَاوِيُّ: يعني الفجرة. فإن اتباع الشهوات

الاعتدال لها، وأما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون
غيره فهو متبع له في الحقيقة، لا لها. [ثم ذكر الأحوال نحو
الزَّمَخْشَرِيُّ]

نحوه أبو السجود (٢: ١٢٧)، والبروسوي (٢: ١٩٣).

ابن كثير: أي يريد اتباع الشياطين من اليهود
والنصارى والزناة، أن تملوا من الحق إلى الباطل ميلاً
عظيماً.

الآلُوسِي: يعني الفسقة، لأنهم يدورون مع
شهوات أنفسهم من غير تحاشٍ عنها، فكأنهم باتهاكهم
فيها أمرتهم الشهوات باتباعها، فامتثلوا أمرها
واتبعوها، فهو استعارة تمثيلية. وأما المتعاطي لما سوغه
الشرع منها دون غيره فهو متبع له لا لها.

(٥: ١٤)

نحوه المراهقي. (٥: ١٤)

محمد جواد مغنّية: الذين يتبعون الشهوات، هم دعاة التحرر من القيود الدينية والأخلاقية، والانطلاق مع غريزة الجنس التي توجهت، وهؤلاء موجودون في كل عصر من عهد مزدك إلى آخر يوم، وإن اختلفوا في شيء فإنما يختلفون في الأسلوب تبعاً لمصورهم. وقد تفتوا في القرن العشرين باسم الحرية والتطور، وتجاوزوا الحد في إثارة الجنس عن طريق الأفلام والروايات، والأعضاء العارية والحركات، وهذا هو الميل والانحراف العظيم الذي أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿أَنْ تَبْلُغُوا مَبْلَأًا عَظِيمًا﴾. (٢: ٣٠٢)

٣- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوتًا عِنْدَهُمْ فِي الشَّوْزَةِ وَالْأَنْجِيلِ الْأَعْرَافِ: ١٥٧

الطُّوسِي: فذكر أن من تمام صفاتهم اتباعهم للرَّسُولِ ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ...﴾ يعني محمداً ﷺ.

ابن قطيعة: معناه في شرحه ودينه. (٢: ٤٦٣)
نحوه القرطبي. (٧: ٢٩٧)

الطُّوسِي: أي يؤمنون به ويعتقدون بنبوته، يعني نبينا محمداً ﷺ. (٢: ٤٨٧)

الفخر الرازي: واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: المراد بذلك أن يتبعوه باعتقاد نبوته، من حيث وجدوا صفته في التوراة؛ إذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يُهَيَّتَ إلى الخلق.

وقال بعضهم: بل المراد من لحق من بني إسرائيل أيام الرسول. فين تعالي أن هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة إلا إذا اتبعوا الرسول النبي الأمي. والقول الثاني أقرب، لأن اتباعه قبل أن بُعث ووجد لا يمكن. (١٥: ٢٢)

الْبَيْضاوي: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ مبتدأ وخبره (يَأْتُرُهُمْ)، أو خبر مبتدأ، تقديره: هم الذين، أو بدل من (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ) الأعراف: ١٥٦، بدل البعض أو الكل. والمراد: من آمن منهم بمحمد ﷺ. (١: ٣٧٢)

أبو حيان: معنى الاتباع: الاقتداء فيما جاء به اعتقاداً وقولاً وفعلًا. (٤: ٣-٤)

أبو السعود: والموصول بدل من الموصول الأول بدل الكل، أو منصوب على المدح أو مرفوع عليه، أي أمي الذين، أو هم الذين. وأما جعله مبتدأ هل أن خبره (يَأْتُرُهُمْ) أو (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فغير سديد.

(٣: ٣٨)
الطُّبَّاطبائي: فقله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية، وإن كان بياناً لقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلا أنه ليس بياناً مساوياً في السعة والضيق لميته بل بيان مستخرج من مبيته انترج منه، ونخص بالذكر ليستفاد منه فيما هو الغرض من سوق الكلام، وهو بيان حقيقة الدعوة المحمدية، ولزوم إيجابهم لها وتبليغهم لداعيها.

ولذلك في القرآن الكريم ظانر من حيث التضييق والتوسعة في البيان، كما قال تعالى حاكياً عن إبليس:

﴿قَبِيْرُكَ لَا تُؤْمِنُ بِهِمْ أَجْمَعِيْنَ﴾ الآية، ثم قال في موضع آخر حاكياً عنه: ﴿لَا تُحِذْنُ مِنْ عِبَادِهِ نَبِيًّا مَّفْرُوضًا﴾ وَلَا ضِلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيَتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَسْتَكُنْ أَذَانُ الْإِنْقَامِ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيَقْبِرُنَّ خَلْقُ اللَّهِ﴾ النساء: ١١٨، ١١٩، فإن القول الثاني الحكيم عن إبليس مستخرج من عموم قوله الحكيم أولاً: ﴿لَا تُؤْمِنُ بِهِمْ أَجْمَعِيْنَ﴾.

وقال تعالى في أول السورة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ - إِنْ أَنْ قَالَ - يَأْتِيهِ أَذَمٌ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ الأعراف: ١١ - ٢٥، وقد تقدم أن ذلك من قبيل استخراج الخطاب من الخطاب لترض التعميم، إلى غير ذلك من النظائر.

فيؤول معنى بيانية قوله: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ) إلى استخراج بيان من بيان، للتطبيق على مورد الحاجة، كأنه قيل: فإذا كان المكتوب من رحمة الله لبي إسرائيل قد كتب للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، فصدقه اليوم - يوم بعث محمد ﷺ - هم الذين يتبعونه من بني إسرائيل، لأنهم الذين آمنوا وآتوا الزكاة، وهم الذين آمنوا بآياتنا، فإنهم آمنوا بموسى وعيسى ومحمد ﷺ وهم آياتنا، وآمنوا بمعجزات هؤلاء الرسل، وما نزل عليهم من الشرائع والأحكام وهي آياتنا، وآمنوا بما ذكرنا لهم في التوراة والإنجيل من أمارات نبوة محمد ﷺ وعلامات ظهوره ودعوته، وهي آياتنا.

ثم قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ الآية، أخذ فيه (يَتَّبِعُونَ) موضع يؤمنون، وهو من أحسن التعبير، لأن الإيمان بآيات الله سبحانه كإنياته

وشرائعهم إنما هو بالتسليم والطاعة، فاختير لفظ الاتباع للدلالة على أن الإيمان بمعنى الاعتقاد المجرد لا يعني شيئاً، فإن ترك التسليم والطاعة عملاً تكذيب بآيات الله وإن كان هناك اعتقاد بأنه حق. (٨: ٢٧٩) مكارم الشيرازي: هذه الآية في الحقيقة تُكمل الآية السابقة التي كانت حول صفات الذين تشملهم الرحمة الإلهية الواحدة، يعني بعد ذكر الصفات الثلاث: التقوى، وأداء الزكاة، والإيمان بآيات الله. وفي هذه الآية يذكر صفات أخرى لهم من باب التوضيح، وهي اتباع الرسول الأعظم ﷺ، لأن الإيمان بالله غير قابل للفصل عن الإيمان بالنبي ﷺ واتباع دينه، وهكذا التمسك والزكاة لا يمتكان ولا يمتكلان من دون اتباع الله ﷻ. (٥١: ٢٢٤)

١-... وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَفْرُصُونَ. يونس: ٦٦ راجع «ظ ن»، ولاحظ «يتبع» الآية (٣).

٥- يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ... طه: ١٠٨ راجع «ع و ج».

٦- فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِبُوا لَكَ فَاغْلَمْ أَمَّا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى... القصص: ٥٠ راجع «ه و ي».

٧- الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ...

الزمر: ١٨

راجع «ح س ن».

٨- ...إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَفْسَى ...

النجم: ٢٣

الطَّبِيرِي: ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموا بها آلهتهم إِلَّا الظَّنَّ، بأن ما يقولون حق، لا البتين.

الفخر الرازي: قرئ (إِنْ تَتَّبِعُونَ) بقاء، على الخطاب وهو ظاهر، مناسب لقوله تعالى: (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) وعلى المعاني، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الخطاب معهم لكنه يكون التفاتاً، كأنه قطع الكلام معهم، وقال لئلا يتبعوا (الظن) لا يتبعون (الآ الظن) فلا تلتفت إلى قوتهم.

ثانيهما: أن يكون المراد غيرهم، وفيه احتمالان:

أحدهما: أن يكون المراد آباءهم، وتقديره هو أنه لما قال: (سَيَتَّبِعُونَهَا أَنْتُمْ) كأنهم قالوا: هذه ليست أسماء وضعناها نحن، وإنما هي كسائر الأسماء تلقيناها من قبلنا من آبائنا، فقال: وسقها آباؤكم وما يتبعون إِلَّا الظن.

فإن قيل: كان ينبغي أن يكون بصيغة الماضي.

نقول: وبصيغة المستقبل أيضاً، كأنه يفرض الزمان بعد زمان الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلِّبُهُمْ بِمَا يَحِطُّ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الكهف: ١٨.

ثانيهما: أن يكون المراد عامة الكفار، كأنه قال: إن يتبع الكافرون إِلَّا الظن. (٢٨: ٣٠٠)

نحوه النيسابوري.

(٢٧: ٣٤)

أبو الشعثه: التفات إلى الغيبة للإيمان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جنائياتهم لغيرهم، أي ما يتبعون فيما ذكر من التسعية والعمل بموجبها (إِلَّا الظَّن).

(٢٧: ٥٨)

نحوه الألويسي.

الغراغي: أي ليس مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حفظ نفوسهم في رئاستهم وتنظيم آياتهم الأقدمين. (٢٧: ٥٢)

الطباطبائي: والمعنى إن يتبع هؤلاء المشركون في أمر آلهتهم إِلَّا الظن، وما يميل إليه أنفسهم شهوة يتبعون ذلك، والحال أنه قد جاءهم من الله - وهو ربهم - الهدى، وهي الدعوة الحق، أو القرآن الذي يهديهم إلى الحق.

والالتفات في الآية من الخطاب إلى الغيبة للإشارة بأنهم أحط فهماً من أن يخاطبوا بهذا الكلام، على أنهم غير مستعدين لأن يخاطبوا بكلام برهاني، وهم أتباع الظن والهوى. (١٩: ٣٩)

وهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا ظَنَّاؤُنَّ﴾ الأنعام: ١٤٨. ولاحظ «ظ ن و خ ر ص».

لَا يَتَّبِعُونَكُمْ

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ. الأعراف: ١٩٣

الجبائي: معناه أن الأصنام والأوثان التي كانوا يعبدها ويتخذونها آلهة إن دعوها إلى الهدى والرشد

لم يستمعوا ذلك، ولا تمكثوا من اتباعهم، لآلتها جمادات لا تفقه ولا تعقل. (الطوسي ٥: ٦٧)

نحوه الطبرسي (٢: ٥١٠)، والفخر الرازي (١٥: ٩٦)، ورشيد رضا (٩: ٥٢٦).

الْمُخْشَرِيُّ: والمعنى وإن طلبوا منهم كما يطلبون من الله الخير والهدى (لَا يَتَّبِعُوكُمْ) إلى مرادكم وطلبتكم، ولا يُجيبكم كما يُجيبكم الله. (٢: ١٣٦)

نحوه المراغي (٩: ١٤١)، وعبد الكريم الخطيب (٥: ٥٣٩).

ابن عطية: [قال نحو الجبائي وأضاف:]

وقرأ نافع وحده (لَا يَتَّبِعُوكُمْ) بسكون التاء، وفتح الباء، وقرأ الباقون (لَا يَتَّبِعُوكُمْ) بسند التاء المفتوحة وكسر الباء. والمعنى واحد. (٤: ٤٨٨)

طه الدرة: [قال نحو الجبائي وأضاف:]

ويجوز أن يكون الخطاب للرسول ﷺ والمؤمنين والمنسوب للكفار، أي وإن تدعوا الكفار إلى الإيمان لا يستجيبوا لكم. (٥: ١٥٩)

تَتَّبِعْ

١- وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ... البقرة: ١٢٠

الزجاج: (تَتَّبِعْ) نصب بلا حَتَّى، والتحليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقولون: إن الناصب للفعل بعد حَتَّى «أَنْ» إلا أنها لا تظهر مع حَتَّى، ودليلهم أن «حَتَّى» غير ناصبة هو أن «حَتَّى» بإجماع خافضة، قال الله عز وجل: ﴿وَسَلَامٌ مِّنْ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ القدر:

٥. فخفض (مَطْلَعِ) بلا حَتَّى.

ولا تعرف في العربية أن ما يعمل في اسم يعمل في فعل، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل، فقد بان أن «حَتَّى» لا تكون ناصبة، كما أنك إذا قلت: جاء زيد ليضربك، فالعنى جاء زيد لأن يضربك، لأن اللام خافضة للاسم، ولا تكون ناصبة لفعل.

وكذلك: ما كان زيد ليضربك، اللام خافضة، والناصب له يضربك أن المضرة، ولا يجوز إظهارها مع هذه اللام. وإنما لم يجز لآلتها جواب لما يكون مع الفعل وهو حرف واحد، يقول القائل: سيضربك، وسوف يضربك، فجعل الجواب في التثنية بحرف واحد، كما كان في الإيجاب بنى واحد. (١: ٢٠٢)

لاحظ «رضي»: لن ترضوا، وهم ل ل: ملتهم.

٢- فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ... المائدة: ٤٨

الطوسي: نهى له ﷺ عن اتباع أهوائهم في الحكم. ولا يدل ذلك على أنه كان اتبع أهواءهم، لأنه مثل قوله: ﴿لَنْ أَفْرَكْتَ لِيَخْبَطُنَّ عَنْكَ﴾ الزمر: ٦٥، ولا يدل ذلك على أن الشراك كان وقع منه. (٣: ٥٤٤) البقوي: أي لا تعرض عما جاءك من الحق، ولا تتبع أهواءهم. (٢: ٥٨)

نحوه الطباطبائي. الزمخشري: ضَمَّنْ (وَلَا تَتَّبِعْ) معنى ولا تنحرف، فلذلك عُدِّي بدعنه كأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم. (١: ٦١٨)

الطَّبْرَسِيّ: يجوز أن يكون (عن) من صلة معنى (لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) لأنّ معناه لا تنزع، فكأنّه قال: لا تنزع عما جاءك باتِّباع أهوائهم.

ومق قبل: كيف يجوز أن يتبع النّبيّ أهواءهم مع كونه معصوماً؟

فالجواب: أنّ النّبيّ يجوز أن يردّ عما يعلم أنّه لا يفعله، ويجوز أن يكون الخطاب له، والمراد: جميع الحكام. (٢: ٢٠٣)

الفخر الرازيّ: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: [نحو قول الزّمخشريّ المتقدّم]

المسألة الثانية: روي أنّ جماعة من اليهود قالوا: تعالوا نذهب إلى محمد ﷺ لعلنا نقتله عن دينه، ثم دخلوا عليه وقالوا: يا محمد قد عرفنا أنّنا أحبار اليهود وأشرافهم، وإنّا إن اتّبعناك اتّبعك كلّ اليهود، وإنّ ديننا وبين خصومتنا حكومة فنحاكمهم إليك، فافض لنا ونحن نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المسألة الثالثة: تمسك من طعن في عصمة الأنبياء بهذه الآية، وقال: لولا جواز المحصية عليهم وإلا لما قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

والجواب: أنّ ذلك مقدور له، ولكن لا يفعله لمكان النّهي. وقيل: الخطاب له، والمراد غيره. (١٢: ١١)

القرطبيّ: يعني لا تعمل بأهوائهم ومرادهم على ما جاءك من الحقّ، يعني لا تترك الحكم بما بين الله تعالى من القرآن، من بيان الحقّ وبيان الأحكام. (٦: ٢١٠)

البيضاويّ: بالاحتراف عنه إلى ما يشتهونه، فلا عن صلة (لَا تَتَّبِعْ) لتضمّنه معنى: لا تنعرف، أو حال من

فاعله، أي لا تتبع أهواءهم مانلاً عما جاءك. (١: ٢٧٧)

نحوه الثّيسابوريّ. (٦: ١٠٨)

النّسفيّ: نهى أن يحكم بما حرّفوه ويدكوه، اعتماداً على قولهم. [ثمّ قال مثل الزّمخشريّ وأضاف:]

أو التقدير: عادلاً عما جاءك. (١١: ٢٨٦)

أبو حنيفة: [نحو الزّمخشريّ وأضاف:]

وقال أبو البقاء: (عَمَّا جَاءَكَ) في موضع الحال، أي عادلاً عما جاءك، ولم يضمن (تَتَّبِعْ) معنى مائتدي بل عن).

وهذا ليس بجيد لأنّ (عن) حرف ناقص لا يصلح أن يكون حالاً من الجملة، كما لا يصلح أن يكون خبراً، وإذا كان ناقصاً فإنّه يمتدّى بكونه مقبّد لا بكونه مطلق، والكلمة المقبّدة لا يجوز حذفه. (٣: ٥٠٢)

نحوه أبو السعود. (٢: ٢٨٠)

أبن كثير: أي لا تنصرف عن الحقّ الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء الجبهة الأشقياء. (٢: ٥٨٧)

جلال الحنفيّ البغداديّ: فالنّهي هنا عن اتّباع أهواء القوم بعد حالة تفسير للحكم الذي أمر الله نبيه أن يحكم به، ملتزمًا بما أنزل الله، ومن ذلك الآية التي نحن في صدد الكلام عليها.

ونتهم من هذا أنّ النّبيّ كان قد ناطق الله به مهاجماً كثيرة، تتعدّى مهامّ الصوم والصّلاة والإمامة في الناس، إلى القضاء والحكم وإصدار القرار في أخطر الأمور والأحداث التي كانت تواجهه، وفيها ما يتعلّق بكيان الأمتة وسلامة المجتمع وحلّ المشاكل التي يثيرها خصوم الملة وأعداء الشريعة، وما كان أكثر ما يحدث منها في

عالم المدينة، بحيث يبيت الرسول لها ولأمتها في شغل شاغل وهم متفاعل، ولا يكون معه من يشاطره مثل هذا العناء، أو يتلي معه مثل هذا البلاء.

أجل، لقد كانت شخصية رسول الله شخصية قيادة ورياسة وإدارة، مضافاً هذا فيها إلى أنها شخصية نبي ورسول تهدف رسالته إلى إصلاح العالم كله وإنقاذ البشرية من عنتها، في أخلاقها وعقلها وحاضرها ومستقبلها وعللها ومشاكلها وسائر أحوالها، حيث ما كانت مواقعها من هذه الأرض، وذلك فوق ما كان على النبي من أمر توحيد الأمة العربية، وتطعيمها بالقوة، والخروج من قوقعتها إلى سائر آفاق الله الواسعة، لتضع من أجل الإنسانية مائطاً الله بها أن تضع.

حقاً أن مهمة الرسول كانت مهمة عظيمة ونقطة رصافة، وقد تكررت هذه التوسيات والتواصي في آية تالية، توكيداً لما جاء في الآية التي انتهينا من الكلام عليها، وذلك هو قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المائدة: ٤٩.

(شخصية الرسول الأعظم: ١١٠)

٣... وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...

الأنعام: ١٥٠

الطَّبْرِي: ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتزييله، في تحريم ما حرم، وتحليل ما أحل لهم.

الطُّوسِي: نهى من الله لبيته، والمراد به أمته أن يعتقدوا مذهب من اعتقد مذهب هوى.

مثله الطَّبْرِي: (٣٨١: ٢)

الرُّمَّحُشَرِي: من وضع الظاهر موضع المضمحل للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره، فهو متبع للهوى لا غير، لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله تعالى.

نحوه أبو السَّمُود (٢: ٤٥٧)، ورعيده رضا (٨: ١٨٢). ابن عَطِيَّة: يريد لا تنحط في شهوات الكفرة وتوافقهم على مجاهيلهم.

الاثْلُوسِي: [نحو الرُّمَّحُشَرِي وقال:]

والخطاب قيل لكل من يصلح له، وقيل: لسيد الفاطيين، والمراد أمته.

وهذا المعنى جاء ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأنعام: ١٤٢. ﴿...وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾ الشورى:

ولاحظ: «س ب ل» و«هوى»

تَتَّبِعِينَ

قَالَ يَاهُرُونَ عَامَّتُكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا هَلَّا تَتَّبِعِينَ أَفَضَيْتِ أُنْجَرِي.

ابن عباس: أي هلَّا تتبني بمن أقام على إيمانه.

(الطَّبْرِي: ٤: ٢٦)

ابن جُرَيْج: معناه ألا تتبني في شدة الزجر لهم عن الكفر.

مُقَابِل: ألا تتبع عاداتي في منعمهم والإتيان عليهم.

(المَوْزِدِي: ٣: ٤٢٠)

الطَّبْرِي: اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه، من تركه أتباعه، فقال بعضهم: عذله

(٢: ٥٥٠)

نحوه القُرطبي (١١: ٢٢٧)، والتبضاوي (٢: ٥٨)،
والكاشاني (٣: ٣١٧).

ابن عطية: قرأ الجمهور (تتبعني) بحذف الياء، وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو بإثباتها في الوصل، ويقف ابن كثير
بالياء وأبو عمرو بغير ياء.

ويحمل قوله: (أَلَا تَتَّبِعُنِي) أي بني إسرائيل نحو جبل
الطور، فيجيء اعتذار هارون، أي لو فعلت ذلك مَشَتْ
مع طائفة وأقامت طائفة على عبادة العجل فيتفرق
الجمع، فغنت لومك على التفرق.

ويحمل قوله: (أَلَا تَتَّبِعُنِي) أي لا تسير بسيري وعلى
طريقي في الإصلاح والتبديد، ويجيء اعتذار هارون
بمعنى أن الأمر كان متفاقا، فلو تقويت عليه وقع القتال
واختلاف الكليتين فكان تفرقا بين بني إسرائيل، وإنما
لا ينت جهدي.

وقوله تعالى: (أَلَا تَتَّبِعُنِي) بمعنى مامنك أن تتبعني؟

واختلف الناس في وجه دخول (لا) فقالت فرقة:
هي زائدة، وذهب حذاق النحاة إلى أنها مؤكدة، وأن في
الكلام فعلا مقدرا، كأنه قال: مامنك ذلك أو حطك أو
نحو هذا، على (أَنْ لَا تَتَّبِعُنِي) وما قبل وما بعد يدل على هذا
ويقتضيه. (٤: ٦٠)

الطبرسي: قيل: هَلَّا لُحِقَتْ بي حين رأيتهم ضلوا
بعبادة العجل قبل استحكام الأمر. والأصل أن (لا)
مزيدة، وتقديره: مامنك أن تتبعني؟ (٤: ٢٦)

أبو حيان: عتب موسى هارون على عدم اتباعه لما
رأهم قد ضلوا، و(لا) زائدة كهي في قوله: هَلَّا مَاتَ لَكَ أَلَا

على تركه السير بمن أطاعه في أمره، على ما كان عهد
إليه. وقال آخرون: بل عدله على تركه أن يصلح ما كان
من فساد القوم. (١٦: ٢٠٣)

الماوردي: (أَلَا تَتَّبِعُنِي) فيه وجهان:

أحدهما: أَلَا تَتَّبِعُنِي في الخروج، ولا تقم مع من ضل.
الثاني: [هو قول مقاتل المتقدم] (٣: ٤٢٠)

الزمخشري: دخلت (لا) هنا لأد المعنى مادعاك إلى
أن لا تتبعني؟ وما حملك على أن لا تتبعني بن منك من
المؤمنين؟ (أبو حيان ٦: ٢٧٣)

الطبرسي: مامنك أن تتبعني؟ و(لا) زائدة كما
«قَالَ مَامَنْتَكَ أَلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ» الأعراف: ١٢.

وقد يتأ القول في ذلك. وإنما جاز ذلك لأنه المفهوم أن
المراد: مامنك بدعائه لك إلى أن لا تتبعني؟ قد دخلت (لا)
لشيء عن هذا المعنى، وهو منع الداعي دون منع المجازي
(٧: ٢٠١)

البغوي: يعني أن تتبعني، و(لا) حلة، يعني تتبع
أمري ووصيتي، يعني هَلَّا قَاتَلْتَهُمْ وقد علمت أني لو
كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم.

وقيل: «أَنْ لَا تَتَّبِعُنِي» أي مامنك من اللصوص بي
وإخباري بضلالتهم، فتكون مفارقتك إياهم تفرقا
وزجرا لهم عما أتوه. (٣: ٢٧٢)

نحوه الحازن. (٤: ٢٢٥)

الزمخشري: (لا) مزيدة، والمعنى: مامنك أن
تتبعني في القضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي؟
هَلَّا قَاتَلْتَ من كفر بن آمن، وما لك لم تبأسر الأمر كما
كنت أبأسره أنا لو كنت شاهدا، أو مآلك تلحقني؟

تَشْبِهُدُ: الأعراف: ١٢. [إلى أن ذكر قول الزخشي ثم قال:]

وفي ذلك تحميل للفظ ما لا يحتمله وتكثير. ولما كان قوله: (تَشْبِهُدُ) لم يذكر متعلقه كان الظاهر: أن لا تشبهي إلى جبل الطور بيني إسرائيل. فيجزي اعتذار هارون بقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ طه: ٩٤، إذ كان لا يشبه إلا المؤمنون، ويبقى عباء المجل عاكفين عليه. كما قالوا: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ طه: ٩١. [ثم ذكر نحو ابن عطية]

أبو السعود: [بحر الزخشي والبحري وأضاف:]

وقيل: ما منعك أن تلحقني وتحبرني بضالهم، فتكون مفارقتك مزجرة لهم.

نحو البروسوي (٥: ٤١٨)، والقاسمي (١١: ٢٠٤-٢٠٥)، الألوسي: (الآ تشبهي) أي تشبهي، تخلي في الأ، سيف خطيب، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَلِكُ إِلَّا تَشْبِهُدُ﴾ وهو مفعول ثانٍ للمنع، وإذا متعلق بمنع، وقيل: به يتبني.

ورُدَّ بَأَن مَابِد (أَن) لا يعمل فيما قبلها.

وأجيب بَأَن الظرف يتوسع فيه عالم يتوسع في غيره، وبَأَن الفعل السابق لما طلبه على أنه مفعول ثانٍ له كان مقدما حكما، وهو كما ترى، أي أي شيء منعك حين رؤيتك لضالهم من أن تشبهي وتسير بسيري في النصب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به؟ وروى ذلك عن مقاتل. وقيل: في الإصلاح والتسديد، ولا يساعد ظاهر الاعتذار.

واستظهر أبو حيان أن يكون المعنى ما منعك من أن

تلحقني إلى جبل الطور بن آمن من بني إسرائيل، وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها.

وكان موسى عليه السلام رأى أن مفارقة هارون لهم وخروجه من بينهم بعد تلك النصائح القولية أضر لهم من الاقتصار على النصائح، لما أن ذلك أدل على الغضب وأشد في الإنكار، لاسيما وقد كان عليه السلام رئيسا عليهم. عبوتا لديهم وموسى يعلم ذلك، ومفارقة الرئيس المحبوب كراهة لأمر تشق جدا على القوم، وتستدعي ترك ذلك الأمر المكروه له الذي يوجب مفارقتهم، وهذا ظاهر لا غبار عليه عند من أنصف.

فالقول بَأَن نصائح هارون عليه السلام حيث لم ترجزهم بها كانوا عليه، فلأن لا ترجزهم مفارقتهم إياهم عند أول على ما فيه لا يرد على ما ذكرنا، ولا حاجة إلى الاعتذار بأنهم لما علموا أنه يلحقه ويحبره عليه السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزعجون عن ذلك ليقال: إنه بمنزل من القول. كيف لا وهم قد صرحوا بأنهم عاكفون عليه إلى حين رجوعه عليه السلام.

وقال علي بن عيسى: إن (لا) ليست مزيدة، والمعنى ما حملك على عدم الاتباع، فإن المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله.

الطباطبائي: رجع عليه السلام بعد تكليم القوم في أمر الميثل إلى تكليم أخيه هارون، إذ هو أحد المسؤولين الثلاثة في هذه الحنة، استخلفه عليهم وأوصاه حين كان يولده قاتلا، ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: ١٤٢.

وكان قوله: (فَمَا تَنْفَلِكُ) مضمّن معنى دعائك، أي

تَشْبِيحٌ

قَالَ قَدْ أَجِيتُ دَعْوَتَكُمْ فَاسْتَبِقُوا وَلَا تَتَّبِعَانِ
سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَفْلَحُونَ. يونس: ٨٩

الطَّبْرِيُّ: وَلَا تَسْلُكَا طَرِيقَ الَّذِينَ يَبْهَلُونَ حَقِيقَةً
وَعَدِي فَتَسْجَلَانِ قَضَائِي، فَإِنَّ وَعْدِي لَا خُلْفَ لَهُ.
وَإِنَّ وَعْدِي نَازِلٌ بِفِرْعَوْنَ، وَعَذَابِي وَاقِعٌ بِهِ وَبِقَوْمِهِ.
(١١١: ١٦١)

نَحْوُ النَّحْوِيِّ (٢: ٤٣٢)، وَالْحَازِنِ (٣: ١٦٨).

الرَّجَاجُ: مَوْضِعُ «تَشْبِيحٍ» جَزْمٌ إِلَّا أَنَّ التَّوْنَ
الشَّدِيدَةَ دَخَلَتْ لِلنَّهْيِ مُؤَكَّدَةً، وَكُثِّرَتْ لِسُكُونِهَا
وَسُكُونِ التَّوْنِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَاخْتِيارُهَا الْكُسْرَ لِأَنَّهَا بَعْدَ
الْأَلْفِ، هَتَّيْتُ بَنَوْنَ الْاَتَيْنِ. (٣: ٣١)

الطُّوسِيُّ: نَهَى مِنْ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ أَنْ يَتَّبِعَا
طَرِيقَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحْدَهُ (وَلَا تَتَّبِعَانِ) عَطْفَةً التَّوْنَ إِلَّا
الذَّاكِرِيُّ مِنْ هَتَامٍ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ بَيْنَ تَخْفِيفِهَا وَتَشْدِيدِهَا.
وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحْدَهُ (وَلَا تَتَّبِعَانِ) سَاكِنَةً التَّاءَ مَخْفُفَةً
مَشْدُودَةً التَّوْنَ. وَفِي قِرَاءَةِ الْأَخْفَشِ الدَّمَشَقِيِّ صَوْنُ ابْنِ
عَامِرٍ بِتَخْفِيفِ التَّاءِ وَالتَّوْنَ، الْبَاقُونَ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ
وَالتَّوْنَ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ النَّحْوِيُّ: مِنْ شَدَدِ التَّوْنَ، فَلِأَنَّ هَذِهِ
التَّوْنَ التَّخْفِيفُ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى «تَفْعَلُ» فَتُفْعَلُ لَامُ الْفِعْلِ،
لِدُخُولِهَا وَرُشِيِّ الْفِعْلِ مَعَهَا عَلَى الْفَتْحِ، نَحْوُ «لَتَفْعَلَنَّ»
وَحُذِفَتِ التَّوْنَ الَّتِي بَنِيَتْ فِي «تَفْعَلَنَّ» فِي حَالِ الرُّفْعِ مَعَ
التَّوْنَ الشَّدِيدَةِ، وَحُذِفَ الضَّمُّ فِي «لَتَفْعَلَنَّ»، وَلِأَنَّ
كُسْرَ الشَّدِيدَةِ بَعْدَ أَلْفٍ التَّشْبِيهِ لَوْقُوعِهَا بَعْدَ أَلْفٍ

حَادِعَاكَ إِلَى أَنْ لَا تَتَّبِعَنَّ مَانِعًا لَكَ عَنِ الْاِتِّبَاعِ؟ أَوْ مَانِعًا
دَاعِيًا لَكَ إِلَى عَدَمِ اِتِّبَاعِي؟ فَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ: «قَالَ
مَنْعَتُكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» الْأَعْرَافُ: ١٢.

وَالْمَعْنَى: قَالَ مُوسَى مُعَاتِبًا هَارُونَ: مَا مَنَعَكَ مِنْ
اِتِّبَاعِ طَرِيقَتِي وَهُوَ مِنْهُمْ عَنِ الضَّلَالِ وَالشَّدَّةِ فِي جَنْبِ
اللهِ، أَفَصَبْتَ أَمْرِي أَنْ تَتَّبِعَنِي وَلَا تَتَّبِعَ سَبِيلَ الْمُنْكَدِبِينَ؟
(١٦٤: ١٩٣)

مُحَمَّدُ جَوَادٌ مَقْبُولٌ: هَذَا فِي ظَاهِرِهِ، لَوْمْ أَوْ عِتَابِ
هَارُونَ، أَمَّا فِي وَاقِعِهِ فَهُوَ تَوْيِخٌ وَتَعْرِيعٌ لِلَّذِينَ عَبْدُوا
الْعِجْلَ، لِأَنَّ مُوسَى عَلَى عِلْمِ الْبَاقِينَ بِأَنَّ أَخَاهُ هَارُونَ
لَمْ يَلْنِ بِمُتَالِفِهِ فِي شَيْءٍ، وَأَنَّهُ قَامَ بِوَجِبِ الْإِشْرَافِ عَلَى
أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، لِأَنَّهُ شَرِيكَهُ فِي النَّبُوءَةِ وَالْعَصْمَةِ.

(٥: ٢٣٩)

مُكَارَمُ الشَّيرَازِيُّ: فَخَاطَبَ أَوَّلًا أَخَاهُ هَارُونَ
«قَالَ يَا هَارُونَ مَنْعَتُكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا» إِلَّا تَتَّبِعَنَّ
أَفْهَمَ أَقْلَ لَكَ: أَنْ «اخْلُقْنِي فِي قَوْمٍ وَأَخْلِجْ وَلَا تَشْغِ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» الْأَعْرَافُ: ١٤٢ فَلِمَاذَا لَمْ تَتَّبِعْ
لِحَاجَةِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ هَذِهِ؟

بَنَاءٌ عَلَى هَذَا، فَإِنَّ الْمُرَادَ مِنْ جُمْلَةِ «إِلَّا تَتَّبِعَنَّ» هُوَ:
لِمَاذَا لَمْ تَتَّبِعْ طَرِيقَةَ صَحْلِي فِي شِدَّةِ مُوَاجَهَةِ عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ؟ أَمَّا مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ:
لِمَاذَا لَمْ تَتَّبِعْ مَعِيَ عَلَى التَّوْحِيدِ مَعَ الَّذِينَ تَبَتُّوا، وَلَمْ تَأْتِ
مَعِيَ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ، فَيَدُو بَعِيدًا جَدًّا، وَلَا يَتَنَاسَبُ كَثِيرًا
وَالْجَوَابُ الَّذِي سَيَدِيهِ هَارُونَ فِي الْآيَاتِ التَّالِيَةِ.

(١٠: ٥٧)

التشبية، فأشبهت التي تلحق الألف في رجلان، لما كانت في هذه مثلها، وداخلة لمحق كدخولها، ولم يحتد - بالتون قبلها، لأنها ساكنة، ولأنها خفيفة، فصارت المكسورة كأنها وليت الألف.

ومن خفف التون يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة، كما خففوا «رب» و«إن» ونحوهما، وحذفوا الأولى من المثليين، كما أبدلوا الأولى من المثليين، في نحو «فيراظ وديناره» ولأن أصلها «فراظ وديناره» فأبدلوا من إحدى التونين ياء، ويحتمل أن يكون حالاً من قوله: (فأستيتا)، وتقديره: فاستفيا غير متعين. ويحتمل

أن يكون على لفظ المخبر، والمراد به الأمر. (٥: ٤٨٨)

نحو ابن عطية (٣: ١٤٠)، والطبرسي (٣: ٢٨٨، ١٣٠)

الزَّمَخْشَرِيُّ: أي لا تتبعها طريق الجهلة بما دأب الله في

تعليقه الأمور بالمصالح. ولا تتبعها فإن المتابعة ليست

بمصلحة، وهذا كما قال لنوح عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعْطُكُمُ

مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود: ٤٦. (٢: ٢٥١)

الْقَهْرُ الرَّازِي: المعنى لا تتبعان سبيل الجاهلين

الذين يظنون أنه متى كان الدعاء مجاباً كان المقصود

حاصلاً في الحال، فرجماً أجاب الله تعالى دعاء إنسان في

مطلوبه، إلا أنه إنما يوصله إليه في وقته المقدر،

والاستعجال لا يصدر إلا من الجهال، وهذا كما قال

لنوح عليه السلام: ﴿إِنِّي أَعْطُكُمُ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود: ٤٦.

واعلم أن هذا التهي لا يدل على أن ذلك قد صدر

من موسى عليه السلام، كما أن قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

عَمَلُكَ﴾ الزمر: ٦٥، لا يدل على صدور الشرك منه.

(١٧: ١٥٣)

نحو الشريفيني. (٢: ٣٥)

الْقُرْطُبِيُّ: [نحو الطوسي ملخصاً ثم أضاف:]

والمعنى لا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعدي

ووعيدي. (٨: ٣٧٦)

الْبَيْضَاوِيُّ: طريق الجهالة في الاستعجال، أو عدم

النون والاطمئنان بوعده الله. (١: ٤٥٦)

نحوه أبو الشموذ. (٣: ٢٧٠)

الْأَلُوسِيُّ: [بحث حول نون «لَا تَتَّبِعَانَّ» أنها خفيفة

أو ثقيلة بنحو مما سبق عن الأوسي] (١: ٤٧٤)

رشيد رضا: أي ولا تسلكا طريق الذين لا يعلمون

سني في خلي، وإعجاز وعدي لرسل، فتستعجلا الأمر

كل أوانه، وتتبعنا وقوعه في إتيانه. (١١: ٤٧٤)

نحو المرائي. (١١: ١٤٩)

تَتَّبِعُوا

١... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ. البقرة: ١٦٨

الطَّبْرِيُّ: ودعوا خطوات الشيطان الذي يوقعكم

فهللكم ويوردكم موارد العطب، ويعرِّم عليكم

أمرالكم فلا تتبعوها ولا تعملوا بها. (٢: ٧٦)

الزَّجَّاج: أي لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه

الشيطان. (١١: ٢٤١)

الزَّمَخْشَرِيُّ: يقال: اتبع خطواته ووطئ على

عقبه، إذا اقتدى به، واستن بسسته. (١: ٣٢٧)

الْقُرْطُبِيُّ: ولا تقفوا أثر الشيطان وعمله.

(٢: ٢٠٨)

أن تعدلوا. (١١: ٧٤)

مثله الخازن. (١: ٧-٥)

ابن كثير: أي فلا يحفظكم الهوى والعصية ويغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل أزموا العدل على أي حال كان. (٢: ٤١٣)

وهذا المعنى جاء: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾
المائدة: ٧٧

تَتَّبِعُونَا

سَيُؤَيِّدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَمُ
قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا... الفتح: ١٥
الطبري: قل هؤلاء المتكلمين عن المسير معك
يا محمد: لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا السير إليهم
لقناهم. (٢٦: ٨١)

الفخر الرازي: وقد وجدنا هنا بقوله: (لَنْ تَتَّبِعُونَا)
على صيغة النفي بدلًا عن قوله: لا تتبعونا، على صيغة
النهي معنى لطيف، وهو أن النبي ﷺ يني على إخبار الله
تعالى عنهم النبي لو توثقه وقطعه بصدقه، فجزم وقال:
(لَنْ تَتَّبِعُونَا) يعني لو أذنتكم ولو أمرتكم أو لو أردتم
واخترتم لا يتم لكم ذلك، لما أخبر الله تعالى. (٢٨: ٩١)
أبو حيان: وأتى بصيغة (لن) وهي للمبالغة في النفي،
أي لا يتم لكم ذلك؛ إذ قد وعد تعالى أن ذلك لا يحضرها
إلا أهل الحديث فقط. (٨: ٩٤)

نحوه أبو السعود (٦: ١٠١)، والقاسمي (١٥: ٥٤١٣).
البروسوي: أي لا تتبعونا، فإنه نفي في معنى النبي

البعضاوي: لا تقتدوا به في اتباع الهوى، فتحرزوا
الحلال وتحملوا المحرام. (١: ٩٥)

نحوه أبو السعود (١: ٢٢٩)، والآلوسي (٢: ٣٩)،
ومحمد جواد مغنيتة (١: ٢٥٨).

الخازن: أي لا تملكوا سيله. وقيل: معناه
لا تأتوا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته، والمعنى احذروا أن
تتعدوا ما أحل الله لكم إلى ما يدعركم إليه الشيطان.

قيل: هي الذنوب في المعاصي، وقيل: هي المحقرات
من الذنوب. (١: ١١٧)

وهذا المعنى جاء: ﴿...وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
البقرة: ٢٠٨

و ﴿...وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ﴾
الأعام: ٢٤٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾
التور: ٢١

٢... إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلُهُ أَوَّلَى بِحِمَا فَلَا
تَتَّبِعُوا الْهَوَى.

البعضاوي: أي ولا تجوروا وتميلوا إلى الباطل من
الحق، وقيل: معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا، أي لتكونوا
عادلين، كما يقال: لا تتبع الهوى لترضي ركب. (١: ٧١٢)
الفخر الرازي: والمعنى أتركوا متابعة الهوى حتى
تصيروا موصوفين بصفة العدل. وتحقيق الكلام أن
العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى، ومن ترك أحد
التقيضين فقد حصل له الآخر، فتعذر الآية: فلا تتبعوا
الهوى لأجل أن تعدلوا، يعني أتركوا متابعة الهوى لأجل

للمبالغة.

وقال مجدي المفتي: (لَنْ) ليس للتأييد سيما إذا أريد النهي، والمراد لن تنهونا في خير، أو ديمومتهم على مرض القلوب.

وقال أبو الليث: لن تنهونا في السير إلى خير إلا مطلوعين، من غير أن يكون لكم شركة في الفريسة.

(٢٩: ٩)

نحوه الألويسي: (١٠٢: ٢٦)

القاسمي: أي إلى خير إذا أردنا السير إليهم، وهو نفي في معنى النهي. قال الشهاب: فالخير مجاز عن النهي الإنشائي، وهو أبلغ.

التراهي: أي لاتأذن لهم في الخروج معكم معاقبة لهم من جنس ذنبهم، فإن استناعهم عن الخروج إلى المدينة ما حصل إلا لأنهم كانوا يتوقعون العزم، وهو جلاء العدو ومساولته، ولا يتوقعون المغمم، فلما انمكست الآية في خير طلبوا ذلك، فصاحبهم الله طردهم من المغام.

(٩٦: ٢٦)

أُبَيْعَ

...إِنْ أُبَيْعَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ قُلٍّ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالتَّبَصِيرُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. الأنعام: ٥٠

الطوسي: لأؤذي إلا ما يأمرني بأدائه. (١٥٢: ٤) البغوي: أي ما آتاكم به فن وحي الله تعالى، وذلك غير مستحيل في العقل، مع قيام الدليل والحجج البالغة.

(١٢٥: ٢)

الغفرانوازي: ظاهر، يدل على أنه لا يعمل إلا

بالوحي، وهو يدل على حُكْمين:

الحكم الأول: أن هذا النص يدل على أنه ﷺ لم يكن يحكم من تلقاء نفسه في شيء من الأحكام، وأنه ما كان يجتهد بل جميع أحكامه صادرة عن الوحي، ويتأكد هذا بقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣، ٤

الحكم الثاني: أن نفاة القياس قبالوا: ثبت بهذا النص: أنه ﷺ ما كان يعمل إلا بالوحي النازل عليه، فوجب أن لا يجوز لأحد من أمته أن يعملوا إلا بالوحي النازل عليه، لقوله تعالى: ﴿فَأَتَيْنَاهُ﴾ الأنعام: ١٥٣، وذلك بنفي جواز العمل بالقياس، ثم أكد هذا الكلام بنحو: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالتَّبَصِيرُ﴾ وذلك لأن العمل بنفي الوحي يجري مجرى عمل الأعمى، والعمل بتخصيصه بنفي الوحي يجري مجرى عمل البصير.

ثم قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ والمراد منه التنبيه على أنه يجب على العاقل أن يعرف الفرق بين هذين البابين، وأن لا يكون غافلاً عن معرفته، والله أعلم. (٢٣١: ١٢)

نحوه الخازن (١١١: ٢)، وأبو حيان (١٣٤: ٤).

النسفي: أي ما أخبركم إلا بما أنزل الله علي.

(١٢: ٢)

أبو الشعثه: لا على معنى تخصيص اتباعه ﷺ بما يوحى إليه دون غيره، بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر، كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى ما يتعلق بالفعل، باعتبار النبي في الأصل والإثبات في القيد، بل على معنى تخصيص حاله ﷺ باتباع ما يوحى إليه، بتوجيه القصر

وعاجزًا كأحدنا لم تكن لك مزية علينا، فإذا تريد مثلاً؟ فقال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أن أبتسرركم وأُنذركم فأدعوكم إلى دين التوحيد.

والدليل على هذا المعنى قوله بعد ذلك: ﴿قُلْ قَلِيلٌ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فإن مدلوله بحسب ما يُعطيه السياق: أني وإن ساويتكم في البصيرة والعجز لكن ذلك لا يمنعني عن دعوتكم إلى اتباصي، فإن ربي جعلني على بصيرة بما أوحى إليّ دونكم، فأنا وأنتم كالصير والأعمى ولا يستويان في الحكم وإن كانا متساويين في الإنسانيّة. فإن التّفكّر في أمرها يهدي الإنسان إلى القضاء، بأنّ البصير يجب أن يتبعه الأعمى، والعالم يجب أن يتبعه الجاهل. (١٧: ٧)

محمد حسين فضل الله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ وهكذا أراد أن يقف بينهم عبداً خاضعاً بين يديه، لا يملك أية مقومات ذاتية كبيرة، أو أية قدرات شخصية مطلقة، رسولاً أميناً على الدور الذي أوكله الله إليه، فهو ينتظر أمر الله ووحيه في كلّ صغيرة أو كبيرة ليستبّعه ويلتزم للناس، وربما كان الحديث عن الاتباع موحياً بالصفة المظلمة المتواضعة التي تجسدها شخصيته، ليكون في ذلك بعض الإيحاء لهم بالطاعة لله والاستغراق في دور العبد المطيع الذي يتمثل بحركة العبد - النبي، في شخصيّة العبد - المؤمن.

وإذا كان التوجيه الإلهي يفرض على الرسول أن يقدم نفسه إلى الناس بهذه الصفة، فقد نجد فيه الدرس الفكري الذي يريدنا أن لا نترق أنفسنا بالأسرار العميقة التي يحاول البعض أن يحيط بها شخصيّة النبي، للإيحاء

إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يفتره من الأفعال، لكن لا باعتبار التّقي والإتبات معاً في خصوصيّة، فإنّ ذلك غير ممكن قطعاً، بل باعتبار التّقي فيما يتضمّنه من مطلق الفعل، والإتبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص.

فإنّ كلّ فعل من الأفعال الخاصّة كالنصر) مثلاً يتعلّق عند التحقيق إلى معنى مطلق، هو مدلول لفظ الفعل، وإلى معنى خاصّ يقوم به، فإنّ معناه قتل النصر، يرشده إلى ذلك قولهم: فلان يَحْطِي ويمنع، بفعل الإعطاء والمنع، فورد النصر في الحقيقة ما يتعلّق بالفعل بتوجيه التّقي إلى الأصل والإتبات إلى القيد. كأنه قيل: ما أفضل إلا أتباع ما يوحى إليّ، من غير أن يكون لي مدخل ما لي الوحي أو لي الموحى، بطريق الاستدعاء، أو بوجه آخر من الوجوه أصلاً. (٢٨٦: ٢)

الألوحيّ: ﴿تَحْوَى السُّعُودَ وَأَضَافَ﴾ ولا ينبغي أن هذا أبلغ من أنّي أو رسول، ولذا عدل إليه. (١٥٦: ٧)

الطّباطباتي: قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ بيان لما يذّهبه حقيقة بعد ردّ ما اتهموه به من الدّعوى، من جهة دعواه الرّسالة من الله إليهم، أي ليس معنى قولي: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ الأعراف: ١٥٨، أن عندي خزانة الله ولا أنّي أعلم الغيب ولا أنّي ملك بل إنّ الله يوحى إليّ بما يوحى.

ولم يجتبه في صورة الدّعوى بل قال: (إن أتبع) إلخ، ليدلّ على كونه مأموراً بتبليغ ما يوحى إليه، ليس له إلاّ اتباع ذلك، فكأنّه لما قال: لأقول لكم كذا ولا كذا ولا كذا، قيل له: فإذا كان كذلك وكنت بشراً مثلنا

بأنه يرتفع فوق مستوى البشر في إمكاناته الذاتية وقدراته الكبيرة، بل بصفته الرسالية من حيث أخلاقه وخطواته ومشاريعه المتصلة برسائله.

وذلك هو السبيل للتعامل مع شخصية الأنبياء والأولياء، بالأسلوب القريب إلى الوصي الإنساني المادي، في ما يمكن للإنسان أن يعيشه ويتصوره ويتخلله في نفسه، لينسج بأن النبي قريب منه بصفاته البشرية المثل التي يمكن أن تكون أساساً للمثل والاتباع والافتداء. وفي ضوء ذلك، نجد في الأبحاث السائرة في هذا المجال، انحرافاً عن الخط القبراني الذي يرسم للناس في دراستهم لشخصية النبي ﷺ. (١: ١١٤)

وبهذا المعنى جاء: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحِي إِلَيَّ مِنْ رَبِّي...﴾ (الأعراف: ٣٠)

فلا. (١٤٨: ٢١)

أبو الشعود: استذناً منه في اتباعه له، على وجه التعلم. (٢٠٣: ٤)

نحوه الآلوسي. (٣٣١: ١٥)

اتَّبِعْ

١. اتَّبِعْ مَا يُوحِي إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... الأنعام: ١٠٦

الطوسي: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتبع ما أوحى إليه من ربه، والاتباع هو أن يتصرف الثاني بتصرف الأول، والنبي ﷺ كان يتصرف في الدين بتصرف الوحي، فذلك كان متبعاً، وكذلك كل مستدبر بتدبير غيره فهو متبع له. (٢٤٨: ٤)

القرطبي: أي لا تشغل قلبك وخاطرك بهم، بل اشتغل بعبادة الله. (٦٠: ٧)

ابن كثير: أي اقتد به واقتف أثره، واعمل به، فإن ما أوحى إليك من ربك هو الحق، الذي لا مزية فيه.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ بَلَدِي بَلَدًا...﴾ (يونس: ١٥)

ابن كثير: أي اقتد به واقتف أثره، واعمل به، فإن ما أوحى إليك من ربك هو الحق، الذي لا مزية فيه.

اتَّبِعْكَ

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُغَلِّمَ رِيًّا عَلَّمْتَ رُشْدًا. (الكهف: ٦٦)

المبيدي: أي هل أصحبك على شرط أن تعلمني هدى وصواباً. (٥: ٧١٩)

نحوه ابن كثير. (٤: ٤١٠)

الفخر الرازي: [قيل: إن موسى ﷺ قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُغَلِّمَ﴾ والنبي لا يتبع غير النبي في التعليم. وهذا ضعيف، لأن النبي لا يتبع غير النبي في العلوم التي باعتبارها صار نبياً، أما في غير تلك العلوم

أبو الشعود: أي دُم على مانت عليه من اتباع ما أوحى إليك من الشرائع والأحكام التي عمدتها التوحيد. (٢: ٤٢٦)

نحوه البروسوي (٣: ٨٢)، والآلوسي (٧: ٢٥٠).

الطباطبائي: أمر باتباع ما أوحى إليه من ربه من أمر التوحيد وأصول شرائع الدين، من غير أن يصدّه ما يشاهده من استكبار المشركين عن الخضوع لكلمة الحق، والإعراض عن دعوة الدين. (٧: ٣١٢)

نحوه محمّد حسين فضل الله. (٩: ٢٦١)

٢- فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْبَيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَمِعْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ. الحجر: ٦٥
 الطَّبْرِي: واتبع بالوط أدبار أهلِكَ الذين تَسْرِي بهم، كن من ورائهم وبسر خلفهم وهم أمامك، ولا يلتفت منكم وراءه أحد. (٤٢: ١٤)
 الطُّوسِي: أي اقتف آثارهم، يعني آثار الأهل، والاتباع: اقتفاء الأثر. والاتباع في المذهب، والاعتداء مثله، وخلافه الابتداع. (٣٤٦: ٦)
 نحوه الطَّبْرِي: أي كن خلفهم وفي سافتهم، حتى لا يبل منهم أحد ولا يتلو. (٣٦٨: ٣)
 نحوه الفخر الرازي (١٩: ١-٢)، والغُرطَبِي (١٠: ٣٨)، والسيافِي (١: ٥٤٤).
 أبو السعود: [نحو ابن عطية ثم أضاف:] ولعل إنبار الاتباع على الشوق مع أنه المقصود بالأمر للمبالغة في ذلك؛ إذ الشوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض، ويلزمه عادة النغلة عن حال المتأخر.
 نحوه الألويسي: [نحو ابن عطية ثم أضاف:]
 قال في «برهان القرآن»: لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم حلم بنجاتهم، ولا يمتنى عليه حالهم. (٤٧٦: ٤)
 الطَّبَّاطِبَائِي: والمراد باتباعه: أدبارهم، هو أن يصير ورائهم، فلا يترك أحداً يتخلف عن السير، ويحملهم على السير المحشيت، كما يُشعر به قوله: ﴿وَلَا يَلْتَمِعْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾. (١٨٣: ١٢)

٣- فَإِذَا قَرَأْتَ قَاتِلِيعَ قُرْآنَهُ. القيمة: ١٨
 ابن عباس: فاستمع قرآنه. (الطَّبْرِي ٢٩: ١٨٩)
 اتبع ما فيه.
 نحوه الضحاك.
 اعمل به. (الطَّبْرِي ٢٩: ١٩٠)
 معناه إذا قرأناه أي تلوناه، قَاتِلِيعَ قُرْآنَهُ بقراءتك.
 (الطُّوسِي ١٠: ١٩٦)
 نحوه الطُّوسِي (١٠: ١٩٦)، والميمني (١٠: ٣٠٤).
 قَتَادَةُ: اتبع حلاله، واجتنب حرامه.
 (الطَّبْرِي ٢٩: ١٩٠)
 الطَّبْرِي: [بعد نقل الأقوال قال:]
 وأول هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: فَإِذَا تَلَا عَلَيْكَ فاعمل به من الأمر والنهي، واتبع ما أمرت به.
 (٢٩: ١٩٠)
 الزَّمَخْشَرِي: فكأن مُتَقِيًا له فيه ولا ترأسه، وطأن^(١) نفسك أنه لا يبتغي غير محفوظ، فنحن في ضمان تحفيظه. (٤: ١٩١)
 الفخر الرازي: أي لا ينبغي أن تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبريل، لكن يجب أن تسكت حتى يستمر جبريل ﷺ القراءة، فإذا سكوت جبريل، فخذ أنت في القراءة.
 وهذا الوجه أول، لأنه ﷺ أمر أن يدع القراءة ويستمع من جبريل ﷺ، حتى إذا فرغ جبريل قراءه. وليس هذا موضع الأمر باتباع ما فيه من الحلال والحرام. (٣٠: ٢٢٥)

البروسوي: أي فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه بلاهجة. (١٠: ٢٤٨)

نحوه محمد جواد متقية. (٧: ٤٧١)

الآلوسي: لم يكن مقفيا له لامباريا، وقيل: أي فإذا قرأناه فاتبع بذهنك وفكرك قرآنه، أي فاستمع وانصت.

(٢٩: ١٤٢)

الطباطبائي: أي فإذا أقمنا قراءته عليك وحيا فاتبع قراءتنا له، وافرأ بعد تمامها.

وقيل: المراد باتباع قرآنه: اتباعه ذهنا بالإنصات والتوجه التام إليه، وهو معنى لا بأس به.

وقيل: المراد فاتبع في الأوامر والنواهي قرآنه

وقيل: المراد باتباع قراءته بالتكرار حتى يرسخ في الذهن، وهما معنيان بعيدان. (٢٠: ١٦٠)

اتَّبِعُوا - لَا تَتَّبِعُوا

١- اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ. الأعراف: ٢

الطبري: اتَّبِعُوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى، واصطَلُوا بما أمركم به ربكم. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ شيئا (من دُونِهِ) يعني شيئا غير ما أنزل إليكم ربكم. يقول: لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله، وعبادة الأوثان، فإنيهم يضلونكم ولا يهدونكم.

فإن قال قائل: وكيف قلت: معنى الكلام قل: اتَّبِعُوا وليس في الكلام موجودا ذكر القول؟

قيل: إنه وإن لم يكن مذكورا صريحا، فإن في الكلام

دلالة عليه، وذلك قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي ضَرْبٍ مِمَّنْ﴾ لَتَتَذَذَرْنَهُ ﴿الْأَعْرَافَ﴾: ٢، فني قوله: (لَتَتَذَذَرْنَهُ) الأمر بالإنذار، وفي الأمر بالإنذار الأمر بالقول، لأن الإنذار قول. فكان معنى الكلام: أُنذِر القوم، وقل لهم: اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ.

ولو قيل: معناه لتتذرع به وتذكر به المؤمنين، فتقول لهم: اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، كان غير مدفوع.

وقد كان بعض أهل العربية يقول: قوله: (اتَّبِعُوا) خطاب للنبي ﷺ، ومعناه: كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه. اتَّبِعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّ. [إلى أن قال:]

وذلك وإن كان وجهها غير مدفوع، فالقول الذي اخترناه أولى بمعنى الكلام، لدلالة الظاهر الذي وصفنا عليه. (٨: ١١٧)

الزجاج: أي اتَّبِعُوا القرآن، وما أتى به من النبي ﷺ، لأنه مما أنزل عليه، لقوله جل وعز: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الرَّسُولُ فُخِّدُوهُ وَخَانَيْكُمْ عَنْهُ فَاتَّبِعُوا﴾ المحشر: ٧.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي لا تتولوا من عدل من دين الحق مومن ارتضى مذهبا من المذاهب، فالؤمن ولي المؤمن.

نحوه الزعنفري (٢: ٦٦)، والقرطبي (٧: ١٦٢)، والحازن (٢: ١٧٣)، وأبو السعود (٢: ٤٧٣).

الطوسي: قوله: (اتَّبِعُوا) خطاب من الله للمكلفين، وأمر منه بأن يتبعوا ما أنزل عليهم من القرآن، ويحتمل أن يكون المراد: قل لهم يا محمد: اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ،

بالله وآياته والعمل الصالح للذين يأمرهم الله سبحانه في كتابه، وينهى عن خلافها.

والجملة، أعني قوله: ﴿إِذْ يَأْتِيهِمْ مَا نُزِّلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ موضوعة وضع الكناية، كقئ بها عن الدخول تحت ولاية الله سبحانه. والدليل عليه قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ حيث لم يقل في مقام المقابلة: ولا تتبعوا غير ما أنزل إليكم.

والمعنى: ولا تتبعوا غيره تعالى - وهم كثيرون - فيكونوا لكم أولياء من دون الله قليلاً ما تذكرون، ولو تذكرتم لدرىتم أن الله تعالى هو ربكم لا رب لكم سواء، وليس لكم من دونه أولياء. (٨: ٨)

نحوه مكارم الشيرازي (٤: ٥١٧)، ومحمد حسين فضل الله (١٠: ١٥).

٢- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ...

الطبري: قالوا: كونوا على مثل مانع عليه من الكذب بالبعث بعد المات، وجمود الثواب والعقاب على الأفعال. (٢٠: ١٣٤)

أبو السعود: أي أسلكوا طريقتنا التي نسلكتها في الدين، صبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المستفي خلف ما في آخر، تنزيلاً للممثلك منزلة السالك فيه، أو أتبعونا في طريقتنا. (٥: ١٤٤)

مثله البروسوي (٦: ٤٥٤)، والآلوسي (٢٠: ١٤٠)

لأنه قال قبل ذلك: (يُتَذَكَّرُ بِهِ) وكان الخطاب مترجماً إليه. [إلى أن قال:]

ووجوب الاتباع فيما أنزل الله يدخل فيه الواجب والتدب والمباح، لأنه يجب أن يعتقد في كل جنس ما أمر الله به، كما يجب أن يعتقد في المحرم وجوب اجتنابه.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ نهي من الله أن يتبعوا من دون الله ويتخذوا أولياء.

نحوه الطبرسي. (٢: ٣٩٥)

البنفوي: أي وقل لهم: اتبعوا ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي لا تتخذوا غير أولياء تطيعونهم في محبة الله تعالى. (٣: ١٨٠)

الفقر الرازي: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ قالوا: معناه ولا تتولوا من دونه أولياء من

شياطين الجن والإنس، فيحملوكم على عبادة الأصنام والأهواء والبدع، [ثم نقل استدلال القائلين لنيل القياس بهذه الآية وأجاب عنه] (١٤: ١٨)

ابن كثير: أي اقتفوا آثار النبي الأكرم الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه.

(٣: ١٤٤)

الطباطبائي: لما ذكر لنبينا ﷺ أنه كتاب أنزل إليه لنرض الإنذار، شرع في الإنذار، ورجع من خطابه ﷺ إلى خطابه.

فإن الإنذار من شأنه أن يكون بمخاطبة المستنيرين - اسم مفعول - وقد حصل الفرض من خطاب النبي ﷺ، ومخاطبتهم بالأمر باتباع ما أنزل إليهم من ربهم، وهو القرآن الأمر لهم بحق الاعتقاد وحق العمل، أعني الإيمان

اتَّبِعُوا

١- وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ...

الأنعام: ١٥٣

الطَّبَرِيُّ: فاعملوا به، واجملوه لأغلكم منهاجًا

تسلكونه، فاتبعوه. (٨٧: ٨)

نحوه الخازن. (١٦٥: ٢)

الماوردي: يعني في العمل به. (١٨٨: ٢)

الطُّوسِي: أمر من الله تعالى بإتباع صراطه

وما شرعه للخلق، وطريق إتباع الشرع - وفيه المحرم

والحلال والمباح - هو اعتقاد ذلك فيه، والعمل على

ما ورد الشرع به، فيفعل الواجب والتدب. ويحجب

القبیح، ويكون مخيرًا في المباح. ولا يجب فعل جميعه،

لأن ذلك خلاف الإتياع.

وإنما قيل لاعتقاد صحة الشرع: إتباع له، لأنه لا

تعال إذا حظر شيئًا أو حظر تركه كان حكمه، ووجب

إتباعه في أنه محرم وواجب، وكذلك التدب والمباح

(٣٤٦: ٤)

نحوه أبو حنبلان. (٢٥١: ٤)

الطَّبَرِيُّ: أي اقتدوا به واعملوا به، واعتقدوا

صحته، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه. (٣٨٤: ٢)

الآلُوسِي: أي اقتضوا أمره واعملوا به. (٥٧: ٨)

مكارم الشيرازي: إن طريق هذا هو طريق

التوحيد، طريق الحق والعدل، طريق الظهور والاعتقادي،

فامشوا فيه واتبعوه، واسلكوه ولا تسلكوا الطرق

المنحرفة والمنفرقة، فتؤدي بكم إلى الانحراف عن الله

وإلى الاختلاف والتشردم والتفرق، وتخرج فيكم بدور

الفرقة والتفريق.

(٤٧٢: ٤)

وبهذا المعنى جاء: ﴿وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا

فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأنعام: ١٥٥

٢-... فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْحَمِي الْأَبْيَ يُؤْمِنُ

بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. الأعراف: ١٥٨

الطَّبَرِيُّ: فاعتدوا به أيها الناس، واعملوا بما أمركم

أن تعملوا به من طاعة الله. (٨٧: ٩)

نحوه ابن كثير (٢٣٦: ٣)، والآلوسي (٨٣: ٩)،

والمراغي (٨٥: ٩).

الفخر الرازي: واعلم أن المتابعة تتناول المتابعة

في القول وفي الفعل. أما المتابعة في القول فهو أن يمثل

المكلف كل ما يقوله في طريق الأمر والنهي والترغيب

والترهيب. وأما المتابعة في الفعل فهي عبارة عن الإتيان

بمثل ما أتى المتبرع به، سواء كان في طرف الفعل أو في

طرف الترك، فثبت أن لفظ (وَاتَّبِعُوا) يتناول القسمين.

وثبت أن ظاهر الأمر للوجوب، فكان قوله تعالى:

(وَاتَّبِعُوا) دليلًا على أنه يجب الاقتياد له في كل أمر

ونهي، ويجب الاقتداء به في كل ما ضله إلا ما خصه

الدليل، وهو الأشياء التي ثبت بالدليل المنفصل أنها من

خواص الرسول ﷺ

فإن قيل: الشيء الذي أتى به الرسول يحتمل أنه

أتى به على سبيل أن ذلك كان واجبًا عليه، ويحتمل أيضًا

أنه أتى به على سبيل أن ذلك كان مندوبًا، فيستفاد أنه

أتى به على سبيل أن ذلك كان مندوبًا، فلو أتينا به على

سبيل أنه واجب علينا، كان ذلك تركًا لمتابعته، ونقضًا

بِهِ وَإِنْ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. طه: ٩

الطَّبِيعِيُّ: فاتَّبِعُونِي على ما أمركم به من عبادة ■

وترك عبادة العجل ... (٢٠٢: ١٦)

نحوه المراضِي. (١٤٣: ١٦)

البِقَوِيُّ: هل ديني في عبادة الله. (٢٧٢: ٣)

منه الخازن. (٢٢٥: ٤)

ابن صَطِيَّة: إلى الطُّور الذي واعدكم الله تعالى إليه. (٥٩: ٤)

الْقُرْطُبِيُّ: (فاتَّبِعُونِي) في عبادته (وأَطِيعُوا أَمْرِي)

لأمر الشاري. أو فاتَّبِعُونِي في مسيري إلى موسى

ودعوا العجل. فصوص. (٢٣٧: ١١)

النَّبِيبَابُورِيُّ: يَبَيِّنُ أَنَّ الْوَسِيلَةَ إِلَى مَعْرِفَةِ كَيْفِيَةِ

عِبَادَةِ اللَّهِ هِيَ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ وَطَاعَتُهُ. فقال: ﴿فَاتَّبِعُونِي

وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (١٥١: ١٦)

أَبُو الشُّعُودِ: والقَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾

لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملة، أي

إذا كان الأمر كذلك فاتَّبِعُونِي في التَّيَاتِ عَلَى الَّذِينَ

﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾. (٣٠٣: ٤)

الْأَلُوسِيُّ: [أَعْرَأَيْ الشُّعُودَ ثُمَّ أَضَافَ:]

وَقَالَ ابْنُ صَطِيَّةِ أَيَّ فَاتَّبِعُونِي إِلَى الطُّورِ الَّذِي

وَاوْعَدَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ. وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ بِصَدَدِ

الذَّهَابِ إِلَى الطُّورِ وَلَمْ يَكُنْ مَأْمُورًا بِهِ. وَمَا وَاعَدَ اللَّهُ

سَبْحَانَهُ أُولَئِكَ الْمَفْتُونِينَ بِذَهَابِهِمْ أَنْفُسَهُمْ إِلَيْهِ.

وقيل - ولا يخلو عن حُسن - : أَيَّ فَاتَّبِعُونِي فِي

التَّيَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَأَطِيعُوا أَمْرِي هَذَا. وَأَعْرَضُوا عَنِ

الْقَرَضِ لِعِبَادَةِ مَا عَرَفْتُمْ أَسْرَهُ. أَوْ كُنُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ

لِبَايَعَتِهِ. وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ مَتَابَعَتِهِ: فَتَبَيَّنَ أَنَّ إِقْدَامَ

الرَّسُولِ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ لَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِهِ عَلَيْنَا.

قلنا: المتابعة في الفعل عبارة عن الإتيان بمثل الفعل

الَّذِي أَقَى بِهِ الْمَتَّبِعُ، بِدَلِيلِ أَنَّ مَنْ أَقَى بِفِعْلِ نَمَّ إِنْ غَيْرَهُ

وَاقِفُهُ فِي ذَلِكَ الْفِعْلِ. قِيلَ: إِنَّهُ تَابَعَهُ عَلَيْهِ. وَلَوْ لَمْ يَأْتِ

بِهِ. قِيلَ: إِنَّهُ خَالَفَهُ فِيهِ. فَلَمَّا كَانَ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِ فِعْلِ

الْمَتَّبِعِ مَتَابَعَةً، وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى وَجُوبِ الْمَتَابَعَةِ، لَزِمَ

أَنْ يُجِيبَ عَلَى الْأَمْرِ مِثْلُ فِعْلِ الرَّسُولِ ■

بَقِيَ هَاهُنَا أَنَا لَا نَعْرِفُ أَنَّهُ ﷺ أَقَى بِذَلِكَ عَلَى قَصْدِ

الْوَجُوبِ أَوْ عَلَى قَصْدِ التَّنْبِيهِ.

فنقول: حال الدَّوَاعِي وَالْعَزَائِمِ غَيْرِ مَعْلُومٍ. وَحَالُ

الْإِتْيَانِ بِالْفِعْلِ الظَّاهِرِ وَالْعَمَلِ الْمَحْسُوسِ مَعْلُومٌ. فَوَجِبَ

أَنْ لَا يُنْتَفِثَ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ حَالِ الْعَزَائِمِ وَالْدَّوَاعِي

لِكَوْنِهَا أُمُورًا مَخْفِيَةً عَنَّا. وَأَنْ تَحْكُمَ بِوَجُوبِ الْمَتَابَعَةِ فِي

الْعَمَلِ الظَّاهِرِ، لِكَوْنِهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ رِعَايَتُهَا،

فَرَأَيْنَا هَذِهِ الشُّبُهَةَ، وَتَقَرَّرْنَا: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ

الْأَصْلَ فِي كُلِّ فِعْلٍ فَعْلُهُ الرَّسُولُ أَنْ يُجِيبَ عَلَيْنَا الْإِتْيَانُ

بِمِثْلِهِ إِلَّا إِذَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ. (٣٠: ١٥)

نحوه الخازن. (٢٤٦: ٢)

إِتَّبِعُونِي

١- قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.

آل عمران: ٣١

راجع «ح ب ب»

٢- وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنِّي بَايَعْتُكُمْ

اعتقاد ألوهيته وعبادته. (١٦: ٢٥٠)

محمد حسين فضل الله: ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي﴾ لأنني حجة الله عليكم، ولن أدعوكم إلا إلى
مادهاكم إليه موسى من خير وصلاح. (١٥: ١٤٧)

وهذا المعنى جاء: ﴿وَقَالَ الَّذِي أُخْرِجَ مِنْ
الْمُؤْمِنِ: ٢٨

﴿...وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ الزخرف: ٦١

مُتَّبِعُونَ

وَأَوْخِيتَنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ.

الشعراء: ٥٢

الطبري: إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من
بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم
أرض مصر. (١٩١: ٢٢٤)

نحوه السقوي (٣: ٤٦٧)، والخازن (٥: ٩٧)،
والطبرسي (٤: ١٩١).

الزمخشري: علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون
وجنده آثارهم، والمعنى: أتي بنيت تدبير أمرهم
وأمرهم على أن تنفذوا ويتبعوا، حتى يدخلوا مدخلكم
ويسلكوا مسلككم من طريق البحر، فأطبقه عليهم
فأهلكهم. (٣: ١١٣)

نحوه البياضي (٢: ١٥٨)، والنسفي (٣: ١٨٤)،
وأبو السعود (٥: ٤٢)، والأكوسي (١٩: ٨١).

الشرييني: أي لا تظن أنهم لكثرة مارأوا من
الآيات يكفون عن اتباعكم، فأسرع بالخروج لبعدها
صنهم إلى الموضع الذي قدرت في الأزل أن يظهر

بحري، والمراد توافقهم عند البحر، ولم يكتف اتباعهم عن
موسى لعدم تأثره به. [ثم ذكر نحو الزمخشري]

(٣: ١٣)

الطباطبائي: وقوله: ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ تعليل
للأمر، أي سر بهم ليلا ليجمعكم آل فرعون، وفيه دلالة
على أن فقه في اتباعهم أمرا وأن فيه فرج بني إسرائيل،
وقد صرح بذلك في قوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ﴾ وأثرك البغوي وهو أنهم جند مفرقون
الدخان: ٢٤، ٢٣. (١٥: ٢٧٦)

وهذا المعنى جاء: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ
مُتَّبِعُونَ﴾ الدخان: ٢٣

اتِّبَاعٌ

الجماع بالمعروف وأداء الله يا حسن....

البقرة: ١٧٨

ابن عباس: أن يطلب هذا المعروف، ويؤدي هذا
يا حسن. (الطبري ٢: ١٠٧)

والاتباع بالمعروف: أن لا ينف عليه ولا يطالبه إلا
مطالبة جميلة، ولا يستعجله إلى ثلاث سنين، يجعل انتهاء
الاستيفاء والأداء بالإحسان أن لا يطله ولا يبخسه شيئا.
(أبو حيان ٢: ١٤)

الحسن: على هذا الطالب أن يطلب بالمعروف،
وعلى هذا المطلوب أن يؤدي يا حسن.

نحوه قتادة. (الطبري ٢: ١٠٨)

الإمام الصادق عليه السلام: ينبغي للذي له الحق أن
لا يسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية، وينبغي للذي

[إلى أن قال:]

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالسَّمْعِ وَوَفٍ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ ولم يقل: فاتِّباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان، كما قال: ﴿قَادًا لِقَبِيحِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ محمد: ٤.

قيل: لو كان التَّنْزِيلُ جاء بالنَّصْب، وكان: فاتِّباعًا بالمعروف وأداءً إليه بإحسان، كان جائزًا في العربية، صحيحًا على وجه الأمر، كما يقال: ضربتُ ضربةً، وإذا لقيتُ فلانًا فتجيتُ وتطيتُ. غير أنه جاء رفعًا، وهو أفصح في كلام العرب من نصبه.

وكذلك ذلك في كل ما كان ظيْرًا له، مما يكون فرضًا عامًا فحين قد فعل، وحين لم يفعل، إذا فعل لانتدبًا ونحوه، ورفضه على معنى: فمن عني له من أخيه شيء، فالأمر فيه اتِّباعٌ بالمعروف، وأداءً إليه بإحسان، أو بالقضاء والحكم فيه اتِّباعٌ بالمعروف.

وقد قال بعض أهل العربية: رفع ذلك على معنى: فمن عني له من أخيه شيء، فعليه اتِّباعٌ بالمعروف، وهذا مذهبي، والأوّل الذي قلناه هو وجه الكلام.

وكذلك كل ما كان من ظواهر ذلك في القرآن فإن رفضه على الوجه الذي قلناه، وذلك مثل قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ يَنْكُفُّ عَنْكُمْ مَنَافِعًا فَجَزَاءٌ بِمَنْ قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المائدة: ٩٥، وقوله: ﴿فِيَا ضَاكُ بِمَنْ قَتَلَ أَوْ تَسْهِجُ﴾ يا أحسان: البقرة: ٢٢٩. (١٠٩: ٢)

الزَّجَاج: ومعنى ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالسَّمْعِ وَوَفٍ﴾ على ضربين:

جائز أن يكون: فعلٌ صاحب الدَّم اتِّباعٌ بالمعروف،

عليه الحق أن لا يظلم أخاه إذا قدر على ما يُعطيه ويؤدي إليه بإحسان. (البخاري: ٢: ٦٦)

الْفَرَاء: وأما قوله: ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالسَّمْعِ وَوَفٍ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ فإنه رفع، وهو بمنزلة الأمر في الظاهر، كما تقول: مَنْ لَقِيَ الْعَدُوَّ فَصَبِرًا وَاحْتِسَابًا، فهذا نصب، ورفعه جائز، وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالسَّمْعِ وَوَفٍ﴾ رفع، ونصبه جائز.

وإنما كان الرفع فيه وجه الكلام، لأنها عامة فيمن فعل، ويراد بها من لم يفعل، فكأنه قال: فالأمر فيها على هذا، غير رفع.

وينصب الفعل إذا كان أمرًا عند الشيء، يقع ليس بدائم، مثل قولك للرجل: إذا أخذت في عملك فجددْه، وسيرًا سيرًا. نصبت لأنك لم تنو به المموم، فيطير كالشيء الواجب على من أتاه وقطعه.

ومثله قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ يَنْكُفُّ عَنْكُمْ مَنَافِعًا فَجَزَاءٌ بِمَنْ قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ المائدة: ٩٥، ومثله: ﴿فِيَا ضَاكُ بِمَنْ قَتَلَ أَوْ تَسْهِجُ﴾ البقرة: ٢٢٩، ومثله في القرآن كثير، رفع كله، لأنها عامة، فكأنه قال: من فعل هذا فعليه هذا. (١٠٩: ١)

ابن قُتَيْبَةَ: أي مطالبة بالمعروف، يريد ليطالب أخذ الدية الجاني مطالبة جميلة، لا يرهقه فيها. (٧١) نحوه ابن الجوزي. (١٨٠: ١)

الطَّبْرِي: وأما معنى قوله: ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالسَّمْعِ وَوَفٍ﴾ فإنه يعني فاتِّباع على ما أوجبه الله من الحق قتل قتال وليه، من غير أن يزداد عليه ما ليس له عليه في أسنان الفرائض أو غير ذلك، أو يكلفه ما لم يوجبه الله له عليه.

أي المطالبة بالدية، وعلى القاتل أداء بإحسان.

وجائز أن يكون الاتباع بالمعروف والأداء بإحسان
جميعاً على القاتل، والله أعلم. (٢٤٨: ١)

البقي: أي على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف،
فلا يطالب بأكثر من حقه. (٢٠٩: ١)

نحوه المنازن. (١٢٥: ١)

الزَّمَحْشَرِي: فليكن اتباع أو فالأمر اتباع. وهذه
توصية للمنفوق عنه والعاي جميعاً، يعني فليتبع الولي
القاتل بالمعروف، بأن لا يتعسف به ولا يطالب إلا بمطالبة
جميلة، وليؤد إليه القاتل بدل الدّم. (٣٢٢: ١)

نحوه الطبرسي (٢٦٥: ١)، والبيضاوي (٩٩: ١)،
وأبو السعود (١٢٣٨: ١)، والنسفي (٩١: ١)، وهكاهم
الشيرازي (٤٣٩: ١).

ابن عطية: وقوله تعالى: (فَاتَّبَاع) رَفَعَهُ عَلَى عَهْدِهِ
ابتداءً مضمراً، تقديره: فالواجب والحكم اتباع. وهذا
سبيل الواجبات، كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَاعًا بِمَفْرُوفٍ﴾
البقرة: ٢٢٩، وأما المندوب إليه فيأتي منصوباً، كقوله
تعالى: ﴿فَضْرِبَ الرُّقَابِ﴾ محمد: ٤.

وهذه الآية حصّ من الله تعالى على حسن الاقتضاء
من الطالب، وحسن القضاء من المؤدي.

وقرأ ابن أبي عبيدة: (فاتباعاً) بالتعصب. (٢٤٦: ١)
الفخر الرازي: (أكتلى بنقل بعض أقوال السابقين
في الإصراب والمعنى) (٦٠: ٥)

نحوه النيسابوري. (٨٨: ٢)

أبوحيان: ارتفاع (اتباع) على أنه خبر مبتدأ
محذوف، أي فالحكم أو الواجب كذا، قدره ابن عطية.

وقدره الزَّمَحْشَرِي: فالأمر اتباع، وجوز أيضاً رفعه
بإظهار فعل، تقديره: فليكن اتباع. وجوزوا أيضاً أن
يكون مبتدأ محذوف الخبر، وتقديره: فعلى الولي اتباع
القاتل بالدية، وقدروه أيضاً متأخراً، تقديره: فاتباع
بالمعروف عليه.

قال ابن عطية - بعد تقديره فالحكم أو الواجب اتباع
- وهذا سبيل الواجبات، كقوله: ﴿فَاتَّبَاعًا بِمَفْرُوفٍ﴾،
وأما المندوب إليه فيأتي منصوباً، كقوله: ﴿فَضْرِبَ
الرُّقَابِ﴾ انتهى.

ولأدري هذه التفرقة بين الواجب والمندوب إلا
ما ذكرناه: من أن الجملة الابتدائية أثبت وأكد من الجملة
القطعية، في مثل قوله: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾
نحوه ٦٦٦، فيمكن أن يكون هذا الذي لحظه ابن عطية من

هذا
وأما إظهار الفعل الذي قدره الزَّمَحْشَرِي «فليكن»
فهو ضعيف: إذ «كان» لا تنضم خالفاً إلا بعد «إن»
الشرطية أو «لو» حيث يدل على إظهارها الدليل. [إلى
أن قال:]

وقيل: اتباع الولي بالمعروف أن لا يطلب من القاتل
زيادة على حقه، وقد روي في الحديث: من زاد بغيراً في
إيل الدية وغرائضها فن أمر الجاهلية.

وقيل: الاتباع والأداء معاً من القاتل، والاتباع
بالمعروف أن لا ينقصه، والأداء بالإحسان أن لا يؤخره.
(١٣: ٢)

رشيد رضا: أي من ناله شيء من هذا المفقود
فالواجب في شأنه أو قضيته تنفيذ المفقود وثبوت الدية.

(٢٩٣: ٣)

الواحدى: أي ضليه ذلك به بدلاً عن الرقبة.
والتابع واجب، حتى لو أفطر يوماً استأنف. (٩٥: ٢)
البغوي: فإن أفطر يوماً متممداً في خلال الشهرين
أو نسي النية ونوى صوماً آخر، وجب عليه استئناف
الشهرين.

وإن فصل يوماً بعد مرض أو سفر فهل ينقطع التتابع؟
اختلف أهل العلم فيه، فمنهم من قال: ينقطع وعليه
استئناف الشهرين، وهو قول الشعبي، وأظهر قول
الشافعي رضي الله عنه، لأنه أفطر مختاراً.

ومنهم من قال: لا ينقطع، وعليه أن يبني، وهو قول
سعيد بن المسيب، والحسن، والشمسي.
والمرأة الحائض المأزاة في خلال الشهرين أفطرت أيام
الحض ولا ينقطع التتابع، فإذا طهرت بنت على
ما صامت، لأنه أمر مكتوب على النساء، لا يمكن
الاحترار منه. (٦٧٩: ١)

ابن عطية: متابعين في الأيام، لا يتخللها فطر.

(٩٤: ٢)

ابن الجوزي: وأتفق العلماء على أنه إذا تحلل
صوم الشهرين إفاطار لغير عذر، فعليه الابتداء، فأما إذا
تحللها المرض، أو الحيض فعندنا لا ينقطع التتابع، وبه
قال مالك.

وقال أبو حنيفة: المرض يقطع، والحيض لا يقطع.
وفرق بينهما بأنه يمكن في العادة صوم شهرين بالمرض
ولا يمكن ذلك في الحيض.

وعندنا أنها معذورة في الموضمين. (١٦٦: ٢)

وعبر عن الأول بالتتابع العفو بالمعروف، وهو
واجب على الإمام الحاكم وعلى العافي وغيره من
الأولياء، وإن لم يفخوا عليهم أن لا يرهقوا القتاتل من
أمره مسراً، بل يطلبون منه الدية بالزحف والمعروف
الذي لا يستنكره الناس.

وعبر عن الثاني بالأداء إليه بإحسان، وهو واجب
على القتاتل بأن لا يعطل ولا ينقص ولا يسيء في صفة
الأداء، ويحوز العفو عن الدية. (١٢٩: ٢)

نحو المرائي. (٦٣: ٢)

الطباطبائي: قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا بِالسُّفْرِ وَبِ
وَأَذَاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ مبتدأ خبره محذوف، أي فعلية أن
يتبع القتاتل في مطالبة الدية بمصاحبة المعروف من
الاتباع، وعلى القتاتل أن يؤدي الدية إلى أخيه ولو بالدم
بالإحسان، من غير محاطة فيها إيدأوه. (٤٦٦: ١)

مُتَتَابِعِينَ

١... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فُصَيْتَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ تَوْبَةً
مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَلِيماً حَكِيماً. النساء: ٩٢

الإمام الصادق عليه السلام: إن كان على رجل صيام
شهرين متتابعين فأفطر أو مرض في الشهر الأول، فإن
عليه أن يعد الصيام. وإن صام الشهر الأول وصام من
الشهر الثاني شيئاً ثم عرض له ماله فيه عذر، فعليه أن
يقضي. (الكاشاني: ١: ٤٤٧)

الطوسي: وصفة التتابع في الصوم: أن يتابع
الشهرين، لا يفصل بينهما بإفاطار يوم، وقال أصحابنا:
إذا صام شهراً وزيادة ثم أفطر، أخطأ وجاز له البناء.

- نحوه ابن كثير. (٣٥٧: ٢) استأنف. (الطَّبْرِيُّ ٢٨: ١٠)
- الفَخْرُ الرَّازِيُّ: والتتابع واجب حتى لو أفطر يوماً وجب الاستئناف، إلا أن يكون الفطر بحض أو نفاس. (٢٣٦: ١٠)
- نحوه الثَّيْسَابُورِيُّ (٥: ١١٦)، وأبو السَّوْد (٢: ١٧٩)، والقاسمي (٥: ١٤٥).
- أَبُو حَيَّان: ومعنى التتابع، لا يتخللها فطر، فإن عرض حيض في أثناءه لم يعد قاطعاً بإجماع، وليس له أن يسافر فيفطر. والمرض كالحيض عند ابن المسيب وسليمان بن يسار والحسن والتميمي وعطاء ومجاهد وقَتَادَةُ وطاووس ومالك.
- وقال ابن جُبَيْر والتميمي والحكم بن عَتِيَّة وعطاء المراساني والحسن بن حي وأبو حنيفة وأصحابهم يستأنف إذا أفطر لمرض، وللشافعي القولان.
- وقال ابن شبرمة: يقضي ذلك اليوم وحده إن كان عذر غالب كصوم رمضان. (٣٢٥: ٣)
- ٢- فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصْيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّأ... المائدة: ٤
- ابن المسيب: في رجل صام من كفارة الظَّهَارِ، أو كفارة القتل، ومرض فأفطر، أو أفطر من عذر عليه أن يقضي يوماً مكان يوم، ولا يستقبل صومه.
- (الطَّبْرِيُّ ٢٨: ١٠)
- الشمسي: في رجل عليه صيام شهرين متتابعين، فصام فمرض فأفطر، يقضي ولا يستأنف. (الطَّبْرِيُّ ٢٨: ١٠)
- الحسن: إن أفطر من عذر أتم، وإن كان من غير عذر
- عَطَاء: إذا كان شيئاً ابتلى به، بنى على صومه، وإذا كان شيئاً هو فعله، استأنف. (الطَّبْرِيُّ ٢٨: ١٠)
- الطَّبْرِيُّ: والشهران المتتابعان هما اللذان لا فصل بينهما بإفطار في نهار شيء منها إلا من عذر، فإنه إذا كان الإفطار بالعدر، ففيه اختلاف بين أهل العلم، فقال بعضهم: إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر، بنى على ما مضى من الصوم.
- وقال آخرون: بل يستأنف، لأن من أفطر بعذر أو غير عذر لم يتابع صوم شهرين.
- وأول القولين عندنا بالصواب قول من قال: بني الفطر بعذر، ويستقبل المفطر بغير عذر، لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر، فنتله، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قبل الله، فكل عذر كان من قبل الله فنتله. (٢٨: ١٠)
- الطُّوسِيُّ: والتتابع عند أكثر العلماء أن يوالي بين أيام الشهرين المتتابعين، أو يصوم ستين يوماً.
- وعندنا أنه إذا صام شهراً ومن الآخر ولو يوماً فقد تابع، فإن فَرَّقَ فيما بعد جاز.
- وعند قوم: أن يصوم شهراً ونصف شهر لا يفطر فيما بينهما، فإن أفطر للعذر، استأنف.
- وإن أفطر لعذر من مرض اختلفوا، فمنهم من قال: يستأنف من عذر وغير عذر، وبه قال إبراهيم التيمي، ورواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام.
- وقال قوم: يني، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن

رجع فأخذ طريق الشام، فأسر بها أهبازًا، فأنطلق بهم نحو اليمن، حتى إذا دنا من ملكه طار في التارس أنه هادم الكعبة، فقال له الأهباز: ما هذا الذي تحدث به نفسك فإن هذا البيت لله وإليك لن تُسلط عليه، فقال: إن هذا لله وأنا أحق من حرمة، فأسلم من مكانه وأحرم، فدخلها محرمًا ففقدى نكهته، ثم انصرف نحو اليمن راجعًا.

حتى قدم على قومه، فدخل عليه أشرا فهم فقالوا: يا بُع أنت سيدنا وابن سيدنا، خرجت من عندنا على دين وجئت على غيره، فأخبرنا أحد أمرين: إما أن نعلنك وملكنا ونعبد ما نشت، وإما أن نذر دينك الذي أعديتم، وبينهم يومئذ نار تنزل من السماء، فقال الأهباز عند ذلك: اجعل بينك وبينهم النار.

فتواعد القوم عند ذلك جميعًا على أن يعملوا بينهم القتل عجيبي بالأهباز وكتبهم وجيء بالأصنام وعبارها، وقدموا جميعًا إلى النار، وقامت الرجال خلفهم بالسيوف، فهدرت النار هدير الرعد ورمت شعاعًا لها، فنكص أصحاب الأصنام، واقبلت النار فأحرقت الأصنام ومآلاتها، وسلم الآخرون، فأسلم قوم واستسلم قوم، فلبثوا بعد ذلك عُمَرُ ثَبع، حتى إذا نزل بئس الموت استخلف أخاه، وهلك، فمقتلوا أخاه، وكفروا صفقة واحدة. (الدُر المنتور ٦: ٣١)

الإمام علي عليه السلام، سئل لم سمي ثبع ثبعًا؟ قال: لأنه كان غلامًا كاتبًا، وكان يكتب للملك كان قبله، وكان إذا كتب، كتب: بسم الله الذي خلق صبيًا^(١) وربًا.

وعطاء والشمي. (٥٤٤: ٩)

نحوه الطبرسي. (٢٤٨: ٥)

ابن عطية: والتتابع في الشهرين: صيامها ولا بين أيامها، وجائز أن يصومها الرجل بالعدد، فيصوم ستين يومًا متتابعًا.

وجائز أن يصومها بالأهلة يبدأ مع الهلال وينظر مع الهلال وإن جاء أحد شهره ناقصًا، وذلك مجزئ عنه.

وجائز إن بدأ صومه في وسط الشهر أن يبتض الشهر الأول فيصوم إلى الهلال، ثم يصوم شهرًا بالهلال، ثم يتم الشهر الأول بالعدد. (٢٧٤: ٥)

نحوه أبو حيان. (٢٣٤: ٨)

الفخر الرازي: ذكر تعالى حكم العاجز عن الرقعة، فقال: (مَنْ لَمْ يَجِدْ) فدللت الآية على أن التتابع شرط.

(٢٩٩: ٢٩)

الكاشاني: بأن يصوم شهرًا ومن الآخر شيئًا متصلًا به، ثم يتم الآخر متواليًا أو متفرقًا. (١٤٢: ٥) لاحظ: «شهر» (شهرين).

النصوص التفسيرية والتاريخية

ثبع

١- أَهْمَ حَيْثُ أَمَ قَوْمٌ ثَبَعٌ... الدخان: ٢٧ النبي عليه السلام: «لَا تَبْعُوا ثَبَعًا فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ».

(الطبرسي ٥: ٦٦)

كُتِبَ الْأَهْبَازُ: إِنَّ ثَبَعًا كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، مَلِكًا مَنُصُورًا، فَارَ بِالْجِيُوشِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَمَرْقَنْدَ،

فقال الملك: اكتب وابدأ باسم ملك الزعد.
فقال: لا، لا أبدأ إلا باسم إلهي، ثم أعطف على حاجتك.
فشكر الله تعالى له ذلك، فأعطاه ملك ذلك الملك، فتابعه الناس على ذلك، فسمي نجماً.

(علل الشرائع ٢: ٥٢٠)

عائشة: لا تسبوا نجماً فإنه كان رجلاً صالحاً.

(الطبري ٢٥: ١٢٨)

ابن عباس: كان نجح الآخر وهو أبو كرب أسعد بن ملك يكر، حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة. فقدمها وهو يجمع على خراجها واستمال أهلها، فجمع له هذا الحمي من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره، فخرجوا لقتاله، وكان الأنصار يقاتلون بالسيوف ويقرونه بالليل، فأعجبه ذلك، وقال: إن هؤلاء لكرام، فبينما هو كذلك إذ جاءه حبران اسمها: كعب وأسد من أحبار بني قريظة، عالمان، وكانا ابني عم، حين سمعا ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل فإِنَّكَ إن آيت إلا ماتريد، حبل بينك وبينها و لم نأمن عليك عاجل العقوبة، فإنها مهاجر نبي يخرج من هذا الحمي من قريش اسمه محمد مولده مكة، وهذه دار هجرته، ومنزل الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه، وفي صدوهم.

قال نجح: من يقاتله وهو نبي؟ قالوا: يسير إليه قومه فيقتلون هاهنا. فتناهى لقولها حياً كان يريد بالمدينة، ثم إتبعها دعواه إلى دينها فأجابها وأتبعها على دينها،

وأكرمها وانصرف عن المدينة. وخرج بها ونهر من اليهود عامدين إلى اليمن، فأتاه في الطريق نهر من هذيل، وقالوا: إنا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وذبرجد وفضة، قال: أي بيت؟ قالوا: بيت بمكة، وإنما تريد هذيل حلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يرده أحد قط بسوء إلا هلك، فذكر ذلك للأخبار، فقالوا: مانعهم الله في الأرض بيت غير هذا البيت، فأتوه مجداً وانسك عنده وانحر واحلق رأسك، وما أراد القوم إلا هلاكك، لأنه مانعنا وأهم أحد قط إلا هلك، فأكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله.

فلما قالوا له ذلك أخذ النهر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم، فلما قدم مكة نزل الشعب بسحب البطائح، وكسا البيت الوصائل، وهو أول من كسا البيت، ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة، وأقام به ستة أيام، وطاق به وحلق وانصرف.

فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بين ذلك وبينه، قالوا: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه، وقال: إنه دين خير من دينكم، قالوا: فدعنا إلى النار.

وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتعاضدون إليها فيما يختلفون فيه، فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فقال تبع: أنصفتهم، فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أصنافها حتى قدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير.

وخرج الحبران بمصاحفهما في أصنافها، يستلوان

التوراة، تفرق جباهها لم تضربهما، ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصغقت عند ذلك حمير على دينها، فمن هنالك كان أصل اليهودية في اليمن.

كان [شبح] نبيًا، (الزخشي ٣: ٥٠٥)

لا يشتهن عليكم أمر شبح فإنه كان مسلمًا.

(كمال الدين: ١٧١)

لا تقولوا لشبح إلا خيرًا فإنه قد حج البيت وآمن بما

جاء به عيسى بن مريم. (الدر المختار ٦: ٣١)

سعيد بن جبش: إن شبحًا كالبيت.

(الطبري ٢٥: ١٢٩)

وهب بن منبه: أسلم شبح ولم يسلم قومه. فذلك

ذكر قومه ولم يذكر. (ابن الجوزي ٧-٣٤٨)

قنادة: ذكر لنا أن شبحًا كان رجلًا من حمير، سار

بالحيوس حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدمها. وذكر

لنا أنه كان إذا كتب كتب باسم الذي تسمى ومملك برأ

وبحرًا وصحًا وريحًا. (الطبري ٢٥: ١٢٨)

الإمام الصادق عليه السلام: إن شبحًا لما أن جاء من قبل

العراق وجاء معه العلماء وأبناء الأنبياء، فلما انتهى إلى

هذا الوادي لهذيل أتاه أناس من بعض القبائل، فقالوا:

إِنَّكَ تَأْتِي أَهْلَ بَلَدٍ قَدْ لَعَبُوا بِالنَّاسِ زَمَانًا طَوِيلًا حَتَّى

اتَّخَذُوا بِلَادَهُمْ حَرَمًا وَبَنِيَتِهِمْ رِيًّا أَوْ رِبَّةً.

فقال: إن كان كما تقولون فتلث مقاتليهم وسبيت

ذريتهم وهدمت بنيتهم. قال: فالت عينا حتى وقعتا

على خديهما.

قال: فدعا العلماء وأبناء الأنبياء، فقال: انظروني

وأخبروني لما أصابني هذا؟ قال: فأبوا أن يخبروه حتى عزم عليهم، قالوا: حدثنا بأي شيء حدثت نفسك؟ قال: حدثت نفسي أن أقتل مقاتليهم وأسبي ذريتهم وأهدم بنيتهم، فقالوا: إنا لا نرى الذي أصابك إلا لذلك.

قال: ولم هذا؟ قالوا: لأن البلد حرم الله والبيت

بيت الله وسكانه ذرية إبراهيم خليل الرحمن. فقال:

صدقتم فما مخرجي مما وقعت فيه؟ قالوا: تحدثت نفسك

بغير ذلك، فصى الله أن يرد عليك.

قال: فحدثت نفسي بخير، فرجعت حدثاه حتى نيتنا

مكانهما.

قال: فدعا بالقوم الذين أشاروا عليه بهدمها

فقتلهم، ثم أتى البيت وكساء، وأطعم الطعام ثلاثين يومًا

كل يوم مائة جزور حتى شملت الجفان إلى السباع في

روم من الجبال، ونثرت الأعلاف في الأودية للوحوش.

ثم انصرف من مكة إلى المدينة، فأنزل بها قومًا من

أهل اليمن من غسان، وهم الأنصار. (الكليفي ٤: ٢١٥)

إن شبحًا قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا حتى

يخرج هذا النبي، أما أنا فلو أدركته لخدمته ولخرجت معه.

[وفي حديث آخر] قد أخبر [شبح] أنه سيخرج من

هذه - يعني مكة - نبي يكون مهاجرة إلى يثرب، فأخذ

قومًا من اليمن فأنزلهم مع اليهود لينصروه إذا خرج، وفي

ذلك يقول:

شهدت على أحمد أنه

رسول من الله يارئ النسم

فلو لم عمري إلى عمره

لكنت وزيرًا له وابن صم

وكنت هذابًا صلى المشركين

أسقيهم كأس حصف وغم.

(كهاال الذين: ١٧٠)

مُقاتِل: إنما سمي مُقاتِلًا لكثرة أتباعه، واسمه
مُلْكِيكَرْب. وإنما ذكر قوم يُجج، لأنهم كانوا أقرب في
الهلاك إلى كفار مكة من غيرهم. (ابن الجوزي ٧: ٣٤٨)

ابن إسحاق: فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك
اليمين كله إلى حسان بن تيان أسد أبي كرب - ونيان
أسد هو مجع الآخر - ابن كليلي كرب بن زيد، وزيد هو
مجع الأول ابن عمرو ذي الأذعار ابن أبرة ذي المنار بن
الزبيش بن عدي بن صبي بن سبأ الأصغر ابن كُثب - كُثف
الظلم - ابن زَيْد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية
بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن القَوْز بن قُطْل بن
عريب بن زهير بن أَيْمَن بن الهَنْشَع بن اللَّيْث بن
والْقَرْظَع: جعير بن سبأ الأكبر بن يَرْبُ بن يَشْجَب بن
قُطْطَان.

وَيَان أسد أبو كَرْب الذي قدم المدينة، وساق
المخبرين من يهود المدينة إلى اليمين، وعصر البيت الحرام
وكساه، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر.

وكان قد جعل طريقه - حين أقبل من المشرق -
على المدينة، وكان قد مرَّ بها في بدأته فلم ينج أهلها،
وخلف بين أظهرهم ابتًا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو
يُجمع لإخرايها، واستمال أهلها، وقطع نخلاها؛ فجمع له
هذا الحَيَّ من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طَلَّة أخو بني
التَّجَار، ثم أحد بني عمرو بن مَيْدُول. واسم مَيْدُول:
هامر بن مالك بن التَّجَار، واسم التَّجَار: تيم الله بن نعلبة

ابن عمرو بن المخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن
عامر.

وقد كان رجل من بني عدي بن التَّجَار، يقال له
أحمر، عدا على رجل من أصحاب مجع حين نزل بهم
فقتله، وذلك أنه وجد في عَدْق له يَحْدَهُ، فضربه بِمَنْجَله
فقتله، وقال: إنما التَّسْر لمن أْبَرَهُ.

فزاد ذلك تُبْيًا حَسَنًا عليهم، فاقتتلوا، فترَّحم
الأنصار أنهم كانوا يقاتلون بالنيهار، ويثرونه بالليل،
فيعجبه ذلك منهم، ويقول: والله إن قومنا لكرام.

فينا مجع على ذلك من قتالهم إذ جاءه خبران من
أخبار اليهود، من بني قُرْظَة - وقُرْظَة والتَّضِير والتَّجَام
وعُثْمَر، وهو هَذَل، بنو المخزرج ابن الصَّرْج بن الثَّوَمَان
ابن الشَّط بن النَّسْع بن سعد بن لاوي بن خَيْر بن التَّجَام
ابن قُحْلُوم بن عازر بن عِزْدَى بن هارون بن عمران بن
يُضَهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب، وهو إسرائيل بن
إسحاق بن إبراهيم خليل الرَّحْمَان، صلى الله عليهم -
عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك
المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن
أبيت إلا ما تريد جيل بينك وبينها، ولم تأمن عليك
عاجل العقوبة.

فقال لهما: ولم ذلك؟ فقالا: هي مهاجرة نبي يخرج من
هذا الحَرَم من قريش في آخر الزَّمان، تكون داره
وقراره. فتأهَى عن ذلك، ورأى أنَّ لهما علمًا، وأعجبه
ما سمع منها، فانصرف عن المدينة، وأتبها على دينها.
[ثم استشهد بشعر]

وهذا الحَيَّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حَقُّ

يُجِيعُ عَلَى هَذَا الْحَقِّ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ،
وَأَمَّا أَرَادَ هَلَاكَهُمْ فَتَنَوَهُمْ مِنْهُ ، حَتَّى انْصَرَفَ عَنْهُمْ ،
وَلِذَلِكَ قَالَ فِي شِعْرِهِ :

حَقًّا حَلِي سَيُطَيِّنُ حَلًّا يَثْرِيَا

أَوَّلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُنْجِدٍ
وَكَانَ يُجِيعُ وَقَوْمَهُ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ يَجِدُونَهَا ، فَتَوَجَّهَ
إِلَى مَكَّةَ ، وَهُوَ طَرِيقُهُ إِلَى الْيَمَنِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ
حُصَيْنَانَ ، وَأَجْعَ أَتَاهُ نَفَرٌ مِنْ هُذَيْلَ بْنِ مُذْرِكَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
مِصْرَ بْنِ نَزَارَ بْنِ مَعَدٍّ ، فَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَلَا نَسُدُّكَ
عَلَى بَيْتِ مَالٍ دَائِرٍ أَغْلَقْتَهُ الْمُلُوكُ قَبْلَكَ ، فِيهِ التُّسُلُوزُ
وَالزَّبَرَجَدُ وَالْيَاقُوتُ وَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالُوا :
بَيْتٌ بِمَكَّةَ يَحْدُهُ أَهْلُهُ ، وَيَصَلُّونَ عِنْدَهُ ، وَأَمَّا أَرَادَ الْهَذَلِيُّونَ
هَلَاكَهُ بِذَلِكَ ، لَمَّا عَرَفُوا مِنْ هَلَاكِ مَنْ أَرَادَهُ مِنَ الْمُلُوكِ
وَبَقِيَ عِنْدَهُ .

لَمَّا أَجْمَعَ لَمَّا قَالُوا أَرْسَلْ إِلَى الْمُخَبِّرِينَ ، فَسَأَلَهَا عَنْ
ذَلِكَ ، فَقَالَا لَهُ : مَا أَرَادَ الْقَوْمُ إِلَّا هَلَاكَكَ وَهَلَاكَ جَنْدِكَ ،
مَا نَعْلَمُ بَيْتًا لَهُ اتَّخَذَهُ فِي الْأَرْضِ لِنَفْسِهِ غَيْرَهُ . وَلَمَّا فَصَلَتْ
مَادَّعَوْكَ إِلَيْهِ لَتَهْلِكَ وَلِيَهْلِكَ مَنْ مَعَكَ جَمِيعًا ، قَالَ :
فَإِذَا تَأَمَّرَانِي أَنْ أَصْنَعَ إِذَا أَنَا قَدِمْتُ عَلَيْهِ ؟ قَالَا : تَصْنَعُ
عِنْدَهُ مَا يَصْنَعُ أَهْلُهُ : تَطْلُوفُ بِهِ ، وَتَعْظُمُهُ وَتُكْرِمُهُ ، وَتَحْلِقُ
رَأْسَكَ عِنْدَهُ ، وَتَنْزِلُ لَهُ ، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ : لَمَّا
يَنْعَمُكَ أَنْتَا مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَا : أَمَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَبَيْتُ آيِنَا إِبْرَاهِيمَ ،
وَأَنَّهُ لَكَا أَخْبَرْنَاكَ ، وَلَكِنْ أَهْلُهُ حَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ
بِالْأَوْثَانِ الَّتِي نَصُبُهَا حَوْلَهُ ، وَبِالدَّمَاءِ الَّتِي يُسْرِيقُونَ
عِنْدَهُ ، وَهُمْ نَجَسُ أَهْلِ شَرْكَ - أَوْ كَمَا قَالَا لَهُ - فَعَرَفَ
نَصَحَتَهَا وَجِدَّتْ حُدُودَهَا .

فَقَرَّبَ النَّفَرَ مِنْ هُذَيْلَ ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، ثُمَّ
مَضَى حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، وَخَرَّ عِنْدَهُ ، وَحَلَقَ
رَأْسَهُ ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ سِتَّةَ أَيَّامٍ - فَمَا يَذْكُرُونَ - يَنْحَرُّ بِهَا
لِلنَّاسِ ، وَيُعْطِمُ أَهْلَهَا وَيَسْقِيهِمُ الْعَسَلَ ، وَأُورِي فِي الْمَنَامِ
أَنْ يَكْسُوَ الْبَيْتَ ، فَكَسَاهُ الْمُخَصَّفُ ، ثُمَّ أَرَى أَنْ يَكْسُوَهُ
أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَسَاهُ الْمُخَافِرُ ، ثُمَّ أَرَى أَنْ يَكْسُوَهُ
أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَسَاهُ الْمَلَاءُ وَالْوَصَائِلُ ، فَكَانَ يُجِيعُ - فَمَا
يَزْعَمُونَ - أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْبَيْتَ ، وَأَوْصَى بِهِ وَلَدَتُهُ مِنْ
جُرْهُمَ ، وَأَمَرَهُمْ بِتَعْظِيمِهِ ، وَالْأَ يَتَقَرَّبُونَ دَنَا وَلَا مَسِيَّةَ
وَلَا بِلَالَةَ ، وَهِيَ الْخَائِضُ ، وَجَعَلَ لَهُ بَابًا وَمِفْتَاحًا ، [ثُمَّ
اِسْتَشْهَدَ بِأَسْمَارِ]

وَحَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ بْنُ نَعْلَةَ بْنُ أَبِي مَالِكٍ الْقُرَظِيُّ ،
قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ

أَنْ سُبَّحًا لَمَّا دَنَا مِنَ الْيَمَنِ لِيَدْخُلَهَا حَالَتْ جَمِيرُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : لَا تَدْخُلَهَا عَلَيْنَا ، وَقَدْ فَارَقَتْ دِينَنَا .
فَدَعَاهُمْ إِلَى دِينِهِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِكُمْ ، فَقَالُوا :
فَعَايَشْنَا إِلَى النَّارِ ، قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ - فَمَا يَزْعَمُ أَهْلُ الْيَمَنِ - نَارُ تَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فَمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، تَأْكُلُ الظَّالِمَ وَلَا تَضُرُّ الْمَظْلُومَ ،
فَخَرَجَ قَوْمَهُ بِأَوْثَانِهِمْ وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ ، وَخَرَجَ
الْمُخَبَّرَانِ بِصَاحِبَيْهَا فِي أَصْنَاقِهَا مُتَقَلِّدَتَيْنِ ، حَتَّى قَعَدُوا
لِلنَّارِ عِنْدَ مَخْرَجِهَا الَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ ، فَخَرَجَتِ النَّارُ إِلَيْهِمْ ،
فَلَمَّا أَقْبَلَتْ نَحْوَهُمْ حَادُوا عَنْهَا وَهَابُوهَا ، فَذَمَّرَهُمْ مَنْ
حَضَرَهُمْ مِنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ لَهَا ، فَصَبَرُوا
حَتَّى غَشِيَتْهُمْ ، فَأَكَلَتِ الْأَوْثَانُ وَمَا قَرَّبُوا مَعَهَا ، وَمَنْ حَمَلَ

ذلك من رجال حمير، وخرج الخبران بمصاحفهما في أصنافهما تفرق جباههما لم تضربهما، فأصفت عند ذلك حمير على دينه، فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن.

وقد حدثني محدث: أن الخبرين، ومن خرج من حمير، إنما اتبعوا النار ليردوها، وقالوا: من ردّها فهو أولى بالحق. فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها، فحدث منهم لتأكلهم، فعادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها، ودنا منها الخبران بعد ذلك، وجعلوا يتلوان التوراة وتنكص عنها، حتى ردّاها إلى غرجها الذي خرجت منه، فأصفت عند ذلك حمير على دينها. والله أعلم بأيّ ذلك كان.

وكان رثام بيننا لهم يحظّمونه، ويسخروا له عنده، ويكلمون منه؛ إذ كانوا على شركهم، فقال الخبران ليجمع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك، فغلّ بيننا وبينه؛ قال: فشانكأ به، فاستخرجنا منه - فيها يزعم أهل اليمن - كلأ أسود فذبحاء فذبحاء، ثم هدّما ذلك البيت، فبقايا اليوم - كما ذكر لي - بها آثار الدماء التي كانت تُهراق عليه.

(ابن هشام ١: ٢٠ - ٢٨)

وكان ليح الأول: من الخمسة التي كانت لهم الدنيا بأسرها، فسار في الآفاق، وكان يختار من كل بلدة عشرة أنفس من حكمائهم، فلما وصل إلى مكة كان معه أربعة آلاف رجل من العلماء؛ فلم يحظّمه أهل مكة فغضب عليهم، وقال لوزيره (عمياريسا) في ذلك، فقال الوزير: إنهم جاهلون ويحجبون بهذا البيت، فعزم الملك في نفسه أن يخرّبها ويقتل أهلها، فأخذ الله بالصدام

وفتح من عينيه وأذنيه وأنفه ولفه ماءً مستنّاً عجرت الأطباء عنه، وقالوا: هذا أمر سيّئ، ونفّروا.

فلما أمسى جاء عالم إلى وزيره وأسرّ إليه، إن صدق الأمير بنيتة عاجلته، فاستأذن الوزير له، فلما خلا به قال له: هل أنت نويث في هذا البيت أمراً؟ قال: كذا وكذا، فقال العالم: تبّ من ذلك ولك خير الدنيا والآخرة، فقال: قد تبّت مما كنت نويث، فموني في الساعة، فأمن بالله وبإبراهيم الخليل، وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أول من كسا الكعبة.

وخرج إلى يثرب، ويثرب هي أرض فيها عين ماء، فاعتزل من بين أربعة آلاف رجل عالم أربعمئة رجل عالم على أنهم سيكونون فيها. وجاءوا إلى باب الملك، وقالوا: إنا خرجنا من بلداننا، وطفنا مع الملك زماناً، وجئنا إلى هذا المكان نريد المقام إلى أن نموت فيه.

فقال الوزير: ما الحكمة في ذلك؟ قالوا: اهدم أيها الوزير أن شرف هذا البيت بشرف محمد ﷺ صاحب القرآن والقبلة، واللواء والمنبر، مولده بمكة وهجرته إلى هاهنا، وإنّا على رجاء أن تُدركه أو يدركه أولادنا. فلما سمع الملك ذلك، تفكّر أن يقيم معهم سنة رجاء أن يدرك محمدًا، وأمر أن يبنوا أربعمئة دار، لكلّ واحد دار، وزوّج كلّ واحد منهم بجارية معتقة، وأعطى لكلّ واحد منهم مالاً جزيلاً. (مناقب آل أبي طالب ١: ٣٨)

وللهيب كلام طويل في شرح ما ذكره ابن إسحاق، فلاحظ (١: ٦٩ - ٧٣)

أبو عبيدة: ملوك اليمن كان كلّ واحد منهم يُسّى بُعًا لأنّه يتبع صاحبه، وكذلك الظلّ لأنّه يتبع الشمس،

وموضع كُبح في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام .
(٢٠٩ : ٢)

الزجاج : جاء في التفسير أن بُحًا كان مؤمنًا ، وأن قومه كانوا كافرين ، وجاء أنه نظر إلى كتاب على قبرين بناحية حمير ، على قبر أحدهما : هذا قبر رضى ، وعلى الآخر : هذا قبر حبي ابتي كُبح ، لا يشركان بالله شيئًا .

(٤٢٧ : ٤)

الصدوق : وكان كُبح الملك من عرف النبي ﷺ وانظر خروجه ، لأنه قد وقع إليه خبره ، فعرفه أنه سيخرج من مكة نبي يكون مهاجرته إلى يثرب .

(كمال الدين ١ : ١٦٩)

وروي أنه قال :

قالوا بكمة بيت مال دائر

وكسوزه من لؤلؤ وزبرجد

بادرت أمرًا حال ربي دونه

والله يدفع عن خراب المسجد

فتركت فيه من رجالي عصبة

تُحسب ذوي حب وزب محمد

وكتب كتابًا إلى النبي ﷺ يذكر فيه إيمانه وإسلامه ،

وأنه من أئمة فليجعلته تحت شفاعته ، وعنوان الكتاب :

إلى محمد بن عبدالله خاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ،

من كُبح الأول . ودفع الكتاب إلى العالم الذي نصح له ، ثم

خرج منه وسار حتى مات بظان - بلدة من بلاد الهند -

وكان بين موته ومولد النبي ﷺ ألف سنة ، ثم إن

النبي ﷺ لما بُعث وآمن به أكثر أهل المدينة أنفذوا

الكتاب إليه على يد أبي ليلى ، فوجد النبي ﷺ في قبيلة

بني سليم ، فعرفه رسول الله ﷺ ، فقال له : «أنت أبو ليلى؟» قال : نعم ، قال : «ومعك كتاب كُبح الأول» . فتعير الرجل ، فقال : «هات الكتاب» ، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ، فدفعه النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب ، فقرأه عليه . فلما سمع النبي ﷺ كلام كُبح قال : «مرحبًا بالأخ الصالح ثلاث مرّات ، وأمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة . (مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٩)

المازودي : في تسمية كُبحًا قولان :

أحدهما : لأنه كُبح من قبله من ملوك اليمن كما قيل :

خليفة لأنه خلف من قبله .

الثاني : لأنه اسم لملوك اليمن .

وذكر الله قومه ولم يذكرهم ، وضرب بهم مثلا لقريش

فخرجهم من دارهم وعظّمهم في نفوسهم . فلما أهلكهم الله

ومن قبلهم - لأنهم كانوا بجهنم - كان من أجرم مع

ضعف اليد وقلة العدد أخرى بالهلاك . (٢٥٦ : ٥)

الزمخشري : أي إن صدقتم فيها تقولون فاجعلوا لنا

أحياء من مات من آياتنا بسؤالكم ربكم ذلك ، حتى

يكون دليلًا على أن ماتتونه من قيام الساعة وبعث

الموتى حق .

وقيل : كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم

قضي بن كلاب ليشاوروه ، فإنه كان كبيرهم ومشاورهم

في التوازل ومعاظم الشؤون ، هو كُبح الحميري كان مؤمنًا

وقومه كافرين ، ولذلك ذم الله قومه ولم يذكرهم . [تم ذكر

أقوال المفسرين]

وقيل لملوك اليمن : التبابعة لأنهم يتبعون كما قيل

الأتبعال لأنهم يتبعون . (٥٠٥ : ٣)

الطُّرُسِيُّ: سُمِّيَ بُيُوتًا لكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ مِنَ النَّاسِ.
وقيل: سُمِّيَ بُيُوتًا لِأَنَّهُ تَبِعَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ.
والتَّبَاعَةُ: اسْمُ مُلُوكِ الْيَمَنِ فَتَبِعَ لِقَبِّ لَهُ، كَمَا يُقَالُ: خَافَقَانِ
لِلْمَلِكِ الْتَرَكِ، وَقَبِصَرِ لِلْمَلِكِ الرُّومِ. واسمه أسعد أبو كرب.

(٦٦: ٥)

الزَّوْزُدِيُّ: إِنَّ تَبِيعَ بَنَ حَسَّانَ صَارَ إِلَى يَثْرِبَ،
وَقَتْلَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةَ وَخَمْسِينَ رَجُلًا صَبْرًا، وَأَرَادَ
إِخْرَاجَهَا، فَفَاقَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لَهُ مَتَانِ وَخَمْسُونَ
سَنَةً. فَقَالَ: أَتَيْتُهَا الْمَلِكُ مِثْلَكَ لَا يَقْبَلُ قَوْلَ الزُّورِ، وَلَا يَقْتُلُ
عَلَى الْغَضَبِ، وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْرِبَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ.

قال ولم؟ قال: لِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ
نَبِيٍّ يَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْبَيْتَةِ - بِمَعْنَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ - فَكُنْتُ تَبِيعَ،
وَمَضَى يَرِيدَ مَكَّةَ وَمَعَهُ الْيَهُودُ، وَكَمَا الْبَيْتَ. وَأَطْعَمَ
النَّاسَ، وَهُوَ الْقَاتِلُ:

عَسَدَتِ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِئُ النَّسَمِ

فَلَوْ مَدَّ عَمْرِي إِلَى عَمْرِهِ

لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَأَبْنَى عَمِّ

وَيُقَالُ: هُوَ تَبِيعَ الْأَصْفَرِ، وَقِيلَ: الْأَوْسَطِ.

(الْمُتَرَانِجُ ١: ٨١)

الْقُرُطُبِيُّ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِتَبِيعَ رَجُلًا وَاحِدًا بَلِ الْمُرَادُ
بِهِ مُلُوكُ الْيَمَنِ، فَكَانُوا يُسَمُّونَ مُلُوكَهُمُ التَّبَاعَةَ، فَتَبِعَ لِقَبِّ
لِلْمَلِكِ مِنْهُمْ كَالْخَلِيفَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَسَرَى لِلْفُرسِ،
وَقَبِصَرِ لِلرُّومِ. [ثُمَّ ذَكَرَ أَقْوَالَ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ
وَالْمُؤَرِّخِينَ]

وَالظَّاهِرُ مِنَ الْآيَاتِ: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ إِنَّمَا أَرَادَ وَاحِدًا

مِنْ هَؤُلَاءِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعْرِفُهُ بِهَذَا الْاسْمِ أَشَدَّ مِنْ
مَعْرِفَةِ غَيْرِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي نَضْرَةَ: «لَا تَسْتَوُوا بُيُوتًا فَإِنَّهُ كَانَ
مُؤَمَّنًا». هَذَا يُدَلُّكَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ وَاحِدًا بَعِينَهُ.

(١٦: ١٤٥)

أَبُو حَتَّيَّانَ: الظَّاهِرُ أَنَّ تَبِيعًا هُوَ شَخْصٌ مَعْرُوفٌ،
وَقَعَ التَّفَاضُلُ بَيْنَ قَوْمِهِ وَقَوْمِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ. وَإِنْ كَانَ لَفْظُ «تَبِيعَ» يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ
الْعَرَبُ، كَمَا يُطْلَقُ كَسْرَى عَلَى مَنْ مَلَكَ الْفُرسَ، وَقَبِصَرِ
عَلَى مَنْ مَلَكَ الرُّومَ. [إِلَى أَنْ قَالَ:]

وَقَالَ قَوْمٌ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِتَبِيعَ رَجُلًا وَاحِدًا، إِنَّمَا الْمُرَادُ
بِمُلُوكِ الْيَمَنِ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّبَاعَةَ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ
أَرَادَهُ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ بِهَذَا الْاسْمِ أَكْثَرَ مِنْ
غَيْرِهِ. وَفِي الْمَحْدِثِ: «لَا تَسْتَوُوا بُيُوتًا فَإِنَّهُ كَانَ
مُؤَمَّنًا». هَذَا يُدَلُّكَ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ بَعِينَهُ.

ابْنُ الزُّوْزُدِيِّ: الْعَرَبُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: هَائِدَةٌ، وَهَارِيَّةٌ،
وَمُسْتَعْرِبَةٌ.

فَالْهَائِدَةُ: كَعَادَ وَنَمُودَ وَجُرْهُمَ، وَالْعَارِيَّةُ: عَرَبُ الْيَمَنِ
مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ، وَالْمُسْتَعْرِبَةُ: مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ.

وَمِنْ الْعَارِيَّةِ بَنُو سَبَأَ حَبْدَ شَمْسَ بْنِ يَشْحَبَ بْنِ يَحْرَبَ
ابْنِ قُحْطَانَ. وَلِسَبَأَ أَوْلَادُ، مِنْهُمْ جَنْيَرٌ وَكُهْلَانٌ وَعَمْرَانٌ
وَأَشْعَرٌ وَعَامِلَةٌ وَقَبَائِلُ عَرَبِ الْيَمَنِ، وَمَلَكَوْهَا التَّبَاعَةُ مِنْ
وَلَدِ سَبَأَ. وَجَمِيعُ تَبَاعَةِ الْيَمَنِ مِنْ وَلَدِ جَنْيَرِ بْنِ سَبَأَ، عَدَا
عَمْرَانَ وَأَخِيهِ. (الْمُصْطَفَوِيُّ ١: ٣٦٠)

الطُّرَيْحِيُّ: تُبِيعَ كَسْرًا: وَاحِدُ التَّبَاعَةِ مِنْ مُلُوكِ
جَنْيَرٍ. سُمِّيَ بُيُوتًا لكَثْرَةِ أَتْبَاعِهِ، وَقِيلَ: سُمُّوا تَبَاعَةً لِأَنَّ
الْأَخِيرَ يَتَّبِعُ الْأَوَّلَ فِي الْمُلْكِ، وَهُمْ سَبْعُونَ بُيُوتًا مَلَكَوْا

جميع الأرض ومن فيها من العرب والعجم.

وكان تبع الأوسط مؤمناً، وهو تبع الكامل بن ملكي أبوكرب ابن تبع ابن الأكبر بن تبع الأقرب، وهو ذو القرنين الذي قال الله فيه: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ الدخان: ٣٧.

وكان من أعظم التباينة وأفصح شعراء العرب، ويقال: إنه نبي مرسل إلى نفسه لما تمكن من ملك الأرض، والدليل على ذلك أن الله تعالى ذكره عند ذكر الأنبياء، فقال: ﴿وَقَوْمُ تَبَّعٍ كُلُّ كَذَّابٍ الْمُرْسَلِ فَحَقُّ وَبَعِيدٍ﴾ ق: ١٤، ولم يعلم أنه أرسل إلى قوم تبع رسول غير تبع، وهو الذي نهى النبي ﷺ عن سبه، لأنه آمن به قبل ظهوره بسبعمئة عام.

ولي بعض الأخبار تبع لم يكن مؤمناً ولا كافراً، ولكن يطلب الدين الخفيف. قيل: ولم يملك المخرجي إلا تبع وكسرى.

وتبع أول من كسا البيت الأنطاع بعد آدم، حيث كساه الشعر، وقيل: إبراهيم حيث كساه الخصف. وأول من كساه الثياب سليمان عليه السلام. (٤: ٣٠٥)

الجزوقوي: المراد بتبع هنا واحد من ملوك اليمن، معروف عند قريش، وخصه بالذكر لقرب الدار. [إلى أن قال:]

أعلم أولاً أن تبعاً كسراً، واحد التباينة ملوك اليمن، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضرموت، وحمير كثرهم: موضع غربي صنعاء اليمن، والحميرية لغة من اللغات الاثني عشرة، وواحد من الأقلام الاثني عشر، وهو في الأصل أبو قبيلة من اليمن - وهو حمير بن سبا بن

يشجب بن يعرب بن قحطان - وحضرموت، وهو بضم الحيم بلد وقبيلة كما في «القاموس»، وتبع في الجاهلية بمنزلة الخليفة في الإسلام... فهم الأصاظم من ملوك العرب، والقيل بالفتح والتخفيف: ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم، وأصله: قيل بالتشديد كـ«فيل» فخفض كميّت وميّت.

قال في «المفردات» القيل: الملك من ملوك حمير، سمّوه بذلك لكونه معتمداً على قوله ومقتضى به، ولكونه متقبلاً لأبيه، يقال: تقيل فلان أباه، إذا تبعه.

وعلى هذا التحو سمّوا الملك بعد الملك تبعاً، فتبع كانوا رؤساء سمّوا بذلك لاتباع بعضهم بعضاً في الرئاسة والسياسة.

وفي «إنسان الميونة» تبع بلنة اليمن: الملك المتبوع، وأصل القيل من الواو، لقولهم في جمعه: أقوال نحو ميّت وأموات، وإذا قيل: أقبال فذلك نحو أعياد في جمع عيد، أصله: عود.

وقال بعضهم: قيل لملوك اليمن: التباينة لأنهم يُتبعون، أي يتبعهم أهل الدنيا، كما يقال لهم: الأقبال، لأنهم يتقبّلون - والتقبيل بالفارسية: اقتداء كردن - أو لأن لهم قولاً نافذاً بين الناس.

يقول الفقير: والظاهر أن تبع الأول سمّي به لكثرة قومه وتبعه، ثم صار لقباً لمن بعده من الملوك سواء كانت لهم تلك الكثرة والاتباع أم لا.

فن التباينة: الحارث الرائي وهو ابن همال ذي سدد، وهو أول من غزا من ملوك حمير وأصاب الغنائم وأدخلها غرائس الناس بالأموال والتسبي. والريش

بالكسر: الخصب والمعاش، فلذلك سمي الزائش، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً. ودام ملك الحارث الزائش مئة وخمسة وعشرين سنة، وله شعر يذكر فيه من يملك بعده ويشر بنينا عليه السلام. (٤١٨: ٨)

الآلوسي: هو تبع الأكبر الحميري، واسمه أسعد بهمة. وفي بعض الكتب سعد بدونها، وكنيته أبو كرب، وكان رجلاً صالحاً. [إلى أن قال:]

في شرح قصيدة ابن عبدون: أن الزائش لقب الحارث بن بدر أحد الثبابة، وهو قبل أسعد المتقدم ذكره بزمان طويل جداً، وهو أيضاً ممن ذكر بنينا عليه السلام في شعره فقال:

وملك بعدهم رجل عظيم

سمي لا يرخص في الجرام
يسمى أحداً باليت أني

أصغر بعد عمره بعام
ثم إن ملكه الدنيا كلها غير مسلم، وبالجملية: الأخبار مضطربة في أمر الثبابة وأحوالهم وترتيب ملوكهم. بل قال صاحب «تواريخ الأمم»: ليس في التواريخ أسقم من تاريخ ملوك حمير لما يذكر من كثرة عدد سنيهم مع قلة عدد ملوكهم، فإن ملوكهم ستة وعشرون، ومدتهم ألفان وعشرون سنة.

وقال بعض: إن مدتهم ثلاثة آلاف واثنتان وثمانون سنة، ثم ملك من بعدهم اليمن الحبشة، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

والقدر الموقر عليه هاهنا أن تبعاً المذكور هو أسعد أبو كرب، وأنه كان مؤمناً بنينا عليه السلام الله تعالى عليه

وسلم، وكان على دين إبراهيم عليه السلام ولم يكن نبياً. وحكاية نبوته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها لاتصح، وأخباره ببعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقتضيها، لأنه علم ذلك من أخبار اليهود وهم عرفوه من الكتب النجاسة.

وماروي من أنه عليه الصلاة والسلام قال: «مأدري أكان تبع نبياً أو غير نبى لم يثبت، نعم روى أبو داود والحاكم أنه عليه الصلاة والسلام قال: مأدري أذا القرنين هو أم لا». وليس فيه ما يدل على التردد في نبوته وعدمها، فإن ذا القرنين ليس بنبي على الصحيح، ثم إن الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام درى بعد أنه ليس ذا القرنين.

وقال قوم: ليس المراد بتبع هاهنا رجلاً واحداً إنما المراد ملوك اليمن، وهو خلاف الظاهر، والأخبار تكذبه، ومعنى تبع: متبوع، فهو قتل بمعنى «مفعول» وقد يجيء هذا اللفظ بمعنى «فاعل» كما قيل للظفر: تبع، لأنه يتبع الشمس. ويقال لملوك اليمن: أقبال من: يقبل فلان أباه، إذا اقتدى به، لأنهم يقتدى بهم. وقيل: سمي ملوكهم قبلاً لفؤاد أقواله، وهو مخفف «قبيل» كقبت. (١٢٧: ٢٥)

الطباطبائي: تهديد للقوم بالإهلاك، كما أهلك قوم تبع والأذين من قبلهم من الأمم.

وتبع هذا ملك من ملوك الحميم باليمن، واسمه - على ما ذكرناه - أسعد أبو كرب، وقيل: سعد أبو كرب وفي الكلام نوع تلويح إلى سلامة تبع نفسه من الإهلاك.

(١٤٦: ١٨)

محمد إسماعيل إبراهيم: تبع أحد ملوك اليمن

الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

مُقَاتِل : تَقِير «الِاتِّبَاع» عَلَى وَجْهَيْنِ :

فَوَجْهٌ مِنْهَا : الِاتِّبَاعُ : الَّذِي يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ عَلَى دِينِهِ ،
فَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» عَلَى دِينِهِمْ
«مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» الْبَقَرَةُ : ١٦٦ . هُمْ عَلَى دِينِهِمْ ،
«وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» هُمْ عَلَى دِينِهِمْ «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ
فَلَنَتَّبِعُنَّ مِنْهُمُ الْبَقَرَةَ : ١٦٧ .

وَقَالَ : «فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
تَبَعًا» إِبْرَاهِيمَ : ٢١ ، عَلَى دِينِكُمْ ، مِثْلَهَا فِي الْمُؤْمِنِ : ٤٧ .
وَقَالَ : «لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شَفِيعًا» عَلَى دِينِهِ «إِنَّكُمْ إِذَا
تَحَايَرْتُمْ» الْأَعْرَافُ : ٩٠ ، وَقَالَ نُوحٌ : «وَأَتُومِنُ لَكَ
وَأَتَّبِعُكَ الْأَرْدَلُونَ» الشُّعْرَاءُ : ١١١ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي : الِاتِّبَاعُ : الَّذِي يَتَّبِعُ صَاحِبَهُ فَيَسِيرُ
فِي أَمْرِ ذَاهِمًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ لِقَوْمِ فِرْعَوْنَ : «فَأَتَّبِعُوهُمْ» يَعْنِي
أَتَّبِعُوا مُوسَى وَقَوْمَهُ (مُتَّبِعِينَ) الشُّعْرَاءُ : ٦٠ ، فَسَارُوا
عَلَى أَمْرِهِمْ حِينَ أَشْرَفَتِ الشَّمْسُ ، وَقَالَ : «فَأَتَّبِعْتَهُمْ
فِرْعَوْنُ يَهْنُودِيَهُ» فَسَارُوا فِي أَمْرِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ
«فَقَاتِلْتُمُ مِنَ الْيَمِّ مَآغِشَتَهُمْ» طه : ٧٨ . (٣٢٣)

نَحْوَهُ هَارُونَ الْأَعْوَرُ . (٣٦٨)
الذَّامِغَانِي : الِاتِّبَاعُ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ : الصَّحْبَةُ ،
الِاقْتِدَاءُ ، الِاسْتِقَامَةُ ، الِاخْتِيَارُ ، الْعَمَلُ ، الصَّلَاةُ ، الطَّاعَةُ .
فَوَجْهٌ مِنْهَا : الِاتِّبَاعُ يَعْنِي الصَّحْبَةَ ، قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ :
«قُلْ أَتُفَكِّكُمُ الْكَهْفَ : ٦٦ ، يَعْنِي هَلْ أَصْحَبَكُمْ ، مِثْلَهَا :
«قَالَ قَائِنٌ اتَّبَعْتَنِي» الْكَهْفَ : ٧٠ ، أَيُّ صَحْبَتِي ، كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : «وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ» الشُّعْرَاءُ : ١١١ ، أَيُّ
وَصَحْبِكَ الْأَرْدَلُونَ .

الْحَمِيرِيِّينَ ، ثُمَّ صَارَ لِقَبِ أَصَاظِمِ مَلُوكِهِمْ ، وَيَنْتَسِبُ
حُكْمُهُمْ إِلَى عَصَرِينَ :

العصر الأول ويُعرَفُ بِاسْمِ مَلُوكِ سَبَأَ وَرِمْدَانَ ،
وَكَانَتْ هُمَةُ الْمُلُوكِ فِيهِ مُنْصَرَفَةً إِلَى التَّجَارَةِ .

أَمَّا العصر الثاني ويُعرَفُ حُكْمُهُ بِاسْمِ مَلُوكِ
التَّبَابَةِ ، فَكَانُوا أَهْلَ حُرُوبٍ وَفَتْوحٍ ، وَامْتَدَّتْ دَوْلَتُهُمْ
إِلَى بِلَادِ الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ قِبَالِ الْعَرَبِ
الْعَدَنَانِيَّةِ . وَمِنْ أَشْهُرِ مَلُوكِهِمُ الصَّعْبُ ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي
نَسَبَ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْفَتْوحَاتِ الْعَظِيمَةِ فِي الشَّرْقِ
وَالْغَرْبِ ، وَيُقَالُ : إِنَّ عَرْشَهُ كَانَ مِنَ الذَّهَبِ الْمَرْصُوعِ بِالذُّرِّ
وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمَرْدِ وَالزُّبُرْجَدِ . (٨٧ : ١)

الْمُصْطَفَوِيُّ : الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنْ ١٠٥ - ١٠٠
رَاجَعَتْ أَخْبَارَ دَوْلَةِ حَمِيرٍ فِي سَائِرِ مَا كَتَبَهُ الْمُؤَرِّخُونَ
لَمَّا وَجَدَتْ أَمْتَيْنِ مُتَّفِقَيْنِ فِي عَدَدِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ وَتَعَالِيهِمْ
وَيَقُولُونَ : إِنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْحَارِثِ الرَّائِشِ ضَاطِرِينَ ،
يَحْكُمُ أَحَدُهُمَا فِي سَبَأَ ، وَالْآخَرُ فِي حَضْرَمَوْتِ ، فَلَمَّا ظَهَرَ
الْحَارِثُ الْمَذْكُورُ فَتَحَ الْبِلَادَيْنِ جَمِيعًا وَتَبَعُوهُ ، وَلِذَلِكَ سَمِيَ
بُتُّهَا ، وَهُوَ أَوَّلُ التَّبَابَةِ .

والتَّبَابَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ أَوْطَمُ الْحَارِثِ الرَّائِشِ وَآخِرُهُمْ
ذُو جَدْنِ ، وَبَيْنَهُمَا تَبَابَةُ اخْتَلَفُوا فِي أَسْمَائِهِمْ وَتَعَالِيهِمْ .
فَعَدَدُ التَّبَابَةِ (٢٦) تَبَعًا ، حَكَمُوا نَحْوَ ١٧٠٠ سَنَةً . وَيَلِي
التَّبَابَةَ فِي الْيَمَنِ الْأَحْبَاشُ ... وَأَقَامَ الْحَبَشَةُ فِي الْيَمَنِ
وَقَائِدُهُمْ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمُ ، وَأَرَادَ أَبْرَهَةَ هَدْمَ الْكَعْبَةِ ، فَسَارَ
إِلَيْهَا فِي عَامِ الْفِيلِ ، فَهَلَكَ جَيْشُهُ بِالطَّيْرِ الْأَبْيَاطِ .

(٣٥٨ : ١)

نحوه الفيروز آبادي. (بصائر ذوي التمييز ٢: ٩٩)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التَّبِعَ، أي التَّوَالَى، يقال: تَبِعْتُ القَوْمَ أَتَيْتُهُمْ تَبْعًا وَتَبَاعَةً، وَأَتْبَعْتُهُمْ إِتْبَاعًا، وَأَتَّبَعْتُهُمْ إِتْبَاعًا، وَتَتَّبَعْتُهُمْ تَتَّبَعًا، أي سَرْتُ فِي إِتْرَاهِمَ، وَمَارَلْتُ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى أَتْبَعْتُهُمْ، أي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، وفي المثل: «أَتَّبَعَ الفَرَسَ لِجَانِبَاهَا»، يُضْرَبُ مَثَلًا لِلرَّجُلِ يُؤْمَرُ بِرَدِّ الصَّنِيعَةِ وَإِقَامِ الْحَبِيعَةِ.

وَأَتَّبَعَ فُلَانٌ فُلَانًا: تَبِعَهُ يَرِيدُ بِهِ شَرًّا، وَتَابَعْتُهُ عَلَى كَذَا مَتَابَعَةً وَتَبَاعًا: وَافَقْتُهُ عَلَيْهِ، وَاسْتَتَبَعْتُهُ: طَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعَنِي، وَتَابَعْتُهُ عَلَى الْأَمْرِ: أَسَدَدْتُهُ وَنَصَرْتُهُ عَلَيْهِ، وَأَتَّبَعْتُهُ عَلَيْهِ: أَهْلَيْتُهُ، يُقَالُ: أَتَّبَعَ فُلَانٌ فُلَانًا، أَيْ أَهْلَى عَلَيْهِ، وَأَتَّبَعْتُهُ الشَّيْءَ فَتَبِعَهُ، وَتَتَّبَعْتُ الشَّيْءَ تَتَّبَعًا: تَطَلَّيْتُهُ مَتَّبَعًا، يُقَالُ: فُلَانٌ يَتَّبِعُ مَاوِيَّ فُلَانٍ وَأَتْرَهُ، وَفُلَانٌ يَتَّبِعُ مَدَائِقَ الْأُمُورِ.

وَتَتَّبَعْتُ عِلْمَهُ: أَتَّبَعْتُ آثَارَهُمْ، وَتَتَّبَعْتُ الشَّيْءَ تَتَّبَعًا: تَطَلَّيْتُهُ، وَتَابَعْتُ بَيْنَ الْأُمُورِ مَتَابَعَةً وَتَبَاعًا: وَاتَرْتُ، يُقَالُ: تَابَعَ فُلَانٌ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ، أَيْ وَالَ بَيْنَهُمَا، وَرَمِيَتْهُ فَأَصْبَحَتْ بِثَلَاثَةِ أَهْجٍ تَبَاعًا، أَيْ وَلاَةً، وَتَتَابَعَتِ الْأَشْيَاءُ: تَبِعَ بَعْضُهَا بَعْضًا، يُقَالُ: تَابَعَ الْمَرْتَعُ الْمَالَ فَتَتَابَعَتْ، أَيْ سَمِنَ خَلْقُهَا فَسَمِنَتْ وَحَسُنَتْ، وَغَصَنُ مَتَابِعٍ: مَسَوِيٌّ لَا عَقْدَ فِيهِ، وَفُلَانٌ مَتَابِعُ الْعِلْمِ، أَيْ عِلْمُهُ يُشَاكِلُ بَعْضَهُ بَعْضًا لَا تَفَاوُتَ فِيهِ، وَتَابَعَ عَمَلُهُ وَكَلَامُهُ: أَتَّقَنَهُ وَأَحْكَمَهُ، وَهُوَ تَبِيعُ لِلْكَلامِ، يُقَالُ: هُوَ يَتَابِعُ الْحَدِيثَ: يَسْرُدُهُ، وَأَتَّبَعْتُهُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ لَهُ تَابِعًا.

والوجه الثاني: الاتِّبَاعُ: الاقتداء، قوله: «وَاتَّبِعُوا مَنْ لَا يَشْكُلُكُمْ أَجْرًا» يس: ٢١، أَيْ اقْتَدُوا بِهِ.

والوجه الثالث: الاتِّبَاعُ: الاستقامة، قوله: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» النحل: ١٢٣، يعني استقم على ملته، كقوله: «وَأَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا» النساء: ١٢٥.

والوجه الرابع: الاتِّبَاعُ: الاختيار، قوله تعالى: «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ» النساء: ١١٥، أَيْ يَخْتَارْ غَيْرَ دِينِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَوْلُهُ فِيهَا: «فَيَتَّبِعُونَ مَا شَاءُوا مِنْهُ» آل عمران: ٧، أَيْ يَخْتَارُونَ.

والوجه الخامس: اتَّبَعُوا، عَمِلُوا، قوله: «وَاتَّبِعُوا» يعني عملوا اليهود «فَمَا تَسْأَلُوا الشَّيَاطِينَ» البقرة: ١٠٢، كقوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا» البقرة: ١٧٠.

والوجه السادس: اتَّبَعُوا: اتَّبَعُوا الصَّلَاةَ إِلَى الْقِبْلَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَمَّا أَتَيْنَا الَّذِينَ لَوْ تَوَّالُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ فَاتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ» أَيْ مَاصِلُوا إِلَى قِبْلَتِكَ «وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ» أَيْ بِمَصَلٍّ «وَمَا يَنْقُضُكُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةً بِغَضٍ» يعني بمَصَلٍّ قِبْلَةً بَعْضُ «وَلَمَّا أَتَيْنَا» البقرة: ١٤٥، يعني صَلَّيْتُ إِلَى قِبْلَتِهِمْ، كقوله: «وَلَمَّا تَرَضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ جِلَّتَهُمْ» البقرة: ١٢٠، أَيْ تَصَلِّيَ إِلَى قِبْلَتِهِمْ، وَنَحْوَهُ كَثِيرٌ.

والوجه السابع: الاتِّبَاعُ: الطَّاعَةُ، قوله تعالى: «لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» النساء: ٨٢، يعني لَا طَعْتُمُ الشَّيْطَانَ، كقوله تعالى: «فَاتَّبِعُوا إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» سبأ: ٢٠، يعني أَطَاعُوهُ، وَنَحْوَهُ كَثِيرٌ.

الأول . مثل : هو قَسِيمٌ وَسِيمٌ ، ولما أن تكون خالية من المعنى . مثل : حَسَنٌ بَسَنٌ .

٢- جاءت في السُّرِّيَّاتِ معاني من هذه المادة . وهي تضارع المريبة . مثل : «تَبِعَ» ، أي تَبِعَ وَتَطَلَّبَ الشَّيْءَ ، و«تَبَوَّعًا» ، أي مَطْلَبٌ وَمَحَاسِبٌ ، و«تَبَّعًا» و«تَبَّعًا» ، أي الجَنِيَّةُ تكون مع الإنسان تتبعه حيث ذهب . فلا يبعد أن يكون معنى التَطَلُّبِ قد دخل المريبة بواسطة السُّرِّيَّاتِ ، فغولهم مثلاً : فلان يتتبع مدائق الأمور . يعني يطلبها ممحاً فيها مرّة بعد أخرى . وهو ما جاء في السُّرِّيَّاتِ أيضاً .

الاستعمال القرآني

الكلام فيه في محاورين : تبع وما اشتق منه ، وتبع : المصروف الأول : جاء «تبع» مجزئاً فعلاً (١٠) مرّات . وصفة (١٤) مفعلاً . ومزيداً من باب الإفعال : فعلاً (١٥) مرّة . ومن باب الافتعال : فعلاً (١٣٦) مرّة . وصفة : مرّتين . ومصدرًا مرّتين . ومن باب التفاعل : صفة مرّتين . والمجمع (١٧١) مرّة :

١- تبع : (١٢) آية ، (١٤) لفظاً :

١- ﴿...فَمَنْ تَبِعَ هَذَانِ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة : ٣٨

٢- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ...﴾

آل عمران : ٧٢

٣- ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُورًا وَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْهُمْ لَا تَأْمَنُ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأعراف : ١٨

٤- ﴿قَالَ أَذْهَبَ قَوْمٌ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً تَوْحِيدًا﴾ الإسراء : ٦٣

ومنه : التابع ، أي التالي ، والمجمع : تُتَّبِعُ وتُتَّبَعُ وتَبِعَ . وهو الجَنِيَّةُ يتبع المرأة يُحِبُّهَا . والتابعة : الجَنِيَّةُ تتبع الرجل تُحِبُّهُ ، يقال : معه تابعة ، أي من الجن .

والتَّبِعَ : التابع ، تسمية بالمصدر ، وهو جمع تابع أيضاً . مثل : خادم وخَدَمَ ، والمجمع : أتباع . وتَبِعَ كُلُّ شَيْءٍ : ما كان على آخره . والتَّبِعَ : القوائم ، لأنه يتبع بعضها بعضاً . والتَّبَعَةُ : مائِيعٌ أثر شيء .

والتَّبِعَ : الفعل من ولد البقر ، لأنه يَتَّبِعُ أمه . والمجمع : أتبع وأتابع وأتابع . وهو أيضاً التابع والفرم والنصير . وتبع المرأة : صديقها . والمجمع : تبعاء . وهي تَبِيعَةٌ .

والتَّبِعَ بالفتح : التَّبِعَ ، والمجمع : أتباع . والتَّبِعَ بالكسر : تبع البقر وتبع النساء . يقال : هو يَتَّبِعُ نساءً أي يجدهن في طلبهن . وتَبِعَ خَيْلُهُ : تبع النساء . والمجمع : أتباع وتُتَّبِعُ ، وهو يَتَّبِعُها ، وهي تَبِيعَةٌ .

وبقرة مُتَّبِعٌ : ذات تُتَّبِعُ . وهي مُتَّبِعَةٌ أيضاً . وخادم مُتَّبِعٌ : يتبعها ولدها حيث أقبلت وأدبرت .

والتَّبِعَةُ والتَّبَاعَةُ : ما تَبِعَتْ به صاحبك من طَلامة ونحوها ، وما فيه إثم يُتَّبَعُ به . يقال : ما عليه من الله في هذا تَبِيعَةٌ ولا تَبِيعَةٌ .

والتَّبِيعُ : ضرب من الطير ، وضرب من اليعاسيب . وهو أظلمها وأحسنها . والمجمع : التَّبِيعُ .

والتَّبِيعُ والتَّبِيعُ : الظل ، لأنه يتبع الشمس . والدُّبُرَانُ ، لأنه يتبع الثرى .

والإتباع في الكلام : الإتيان بكلمتين على وزن واحد ، تؤكد أحدهما الأولى ، وهي إنا أن تكون في معنى

إبراهيم - وكان ذلك أمل النبي - كما جاء خلال هذه الآيات: ﴿قَدْ تَرَى تَكَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...﴾ البقرة: ١٤٤.

الخامسة: إن كانت الجملتان هنا ضد اليهود - إذ لوحظ فيها حالتهم حين ذلك - فلاتبيان إسلام بعضهم واعتدائهم إلى الحق فيما بعد، فنفكر في الإجابة على شبهة أنها كذب، حيث شغلت هذه الشبهة صفحات كثيرة من التفسير.

٢- جاءت «التابعين» في (١١) خلال من أجاز للنساء إبداء زبنتهن للرجال من هؤلاء. وقد اختلفوا كثيراً في المراد هؤلاء التابعين، وهذا ناشئ من الخلاف في «غير أولي الإزبة من الرجال». وقد تكلمنا حولها تفصيلاً. لاحظ «إربة» من (أرب). والفصواب أن «التابعين» كل من يعيش في البيت من غير أهله من العبيد وغيرهم، ومن لا يصح شهوته في النساء. ولا يشمل ذلك الصغار، لأن الآية حددتهم بالرجال، ثم عطف عليهم الأطفال: «أو الطفل الذين لم يظهروا على غزوات النساء». كما لا يفهم من الآية اشتراط كون التابع خصياً، أو عتيماً، أو عتقاً، أو أحمقاً، أو شيخاً هرمًا، أو طفلاً صغيراً، وغيرها مما جاء في النصوص، فإنها جميعاً تحمّل على القرآن تسلب منه سر بلاغته.

٣- جاء «تبع» رويًا في (١٢)، وهي مكينة، فقبله: وكيلًا، كفورًا، رحيمًا، وكيلًا، وبعده: تفصيلًا، قتيلاً، سبيلًا، خليلًا... وهذا الروي سار في السورة من أولها إلى آخرها. ويتبادر إلى الذهن أن هذا سرٌ مجيئه مرة واحدة ككثير من أمثاله. و«تبعًا» أي شاملاً، كعلم وعالم،

مَاعْبُدُ • وَلَا أَنَا عَابِدٌ مُّشَاعِبُهُمْ • وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَاعْبُدُ» الكافرون: ٢ - ٤، لاحظ (عابدون) من «عبد» الثالثة: يبدو أن الجملتين إنشاء وهتاف ضد اليهود رغم مجيئها بصيغة الخبر، فهي مثل سورة «الكافرون» تمامًا. وكسورة «ثبث» أيضًا. وقد سبق الكلام فيها. ولقد كانت «مكة» في بدء البعثة أو أن نزول أمثال هذه السور القصار، مهددة للعداء والهتاف، لسيطرة الجوى الطائفي المغمم بالتوتر بين المؤمنين والمشركون. ثم هيمن هذا الجوى في المدينة بعد الهجرة على العلاقات بين المؤمنين واليهود بنفس الشبائ والتلوك، فلا صعب أن كرر هذا الهتاف في أول سورة مدنية، وهي البقرة.

الزابعة: قيل: إن «وَعَاثَتْ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ» تدل على دوام القبلة، وعدم سرية النسخ إليها بعد نزول هذه الآيات، وليس كذلك، لما قلنا: إنها هتاف وتخييل خبرًا. ولأن عدم متابعتهم النبي في قبلتهم لا يفهم منه أن القبلة لا تُنسخ. نعم لا تُنسخ إل قبلة اليهود التي جعلت قبلة للمسلمين في بدء البعثة، اختصارًا للمؤمنين الأولين، وكانوا من قريش المصريين على الاستكبار والنفرة وعدم الرضى بدين أهل الكتاب وقبلتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ يَمَنَ يَتَّقِلْبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ...﴾ البقرة: ١٤٣.

وتسجيلًا على أهل الكتاب أن الإسلام لا يعرف الطائفية، ولا ينكر الأنبياء، ويحترم سمعهم، ويعترف بدين اليهود، تطميحًا واستمالة لهم نحو الإسلام. فلما تحققت هذه الأهداف حول المسلمون وجوههم إلى قبلة

وفسروه بوكيل وكفيل وتابع وطالب وثائر، أي من يطلب الثأر، قالوا: والعرب تقول لكل طالب يدم أودين أو غيره: تبع.

وهذا غير بعيد، فإن سياق الآية وما قبلها يقتضي ذلك: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَقْضُوا لَكُمْ ذِكْرًا﴾ أم أمنتم أن يُعيدكم فيه نازة أخرى فيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَقْضُوا لَكُمْ غَلِيظًا بِهِ سِيبًا؟ الإسراء: ٦٨، ٦٩، فالآيتان إنذار بالخسف جانب البر، والحصب، والخسف بالريح، والغرق في البحر، وتعذيبهم بألوان العذاب، ثم لا يجدون من يدافع عنهم.

وعليه، فاختيار «تبع» بدل «تابع»، وتقديم «عليك» بدل «عليه» وهما من متعلقاته - روعي فيها جانب اللغوي والمعنى معاً.

ب - أتبع: (١٥) مرة

١- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا فَأَتَيْنَهُ سَبِيلًا﴾ حتى إذا بلغ مغرب الشمس...

الكهف: ٨٤ - ٨٦

٢- ﴿ثُمَّ أَتَيْنَاهُ سَبِيلًا﴾ حتى إذا بلغ مطلع

الشمس...

٣- ﴿ثُمَّ أَتَيْنَاهُ سَبِيلًا﴾ حتى إذا بلغ بين السدين...

الكهف: ٩٢، ٩٣

٤- ﴿... فَأَتَيْنَاهُ بِغَضَبٍ نَفْثًا...﴾ المؤمنون: ١١١

٥- ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً...﴾

القصاص: ٤٢

٦- ﴿... فَأَتَيْنَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

الأعراف: ١٧٥

٧- ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَى الشَّمْعَ فَأَتَيْنَهُ سِبْطًا مَبِينًا﴾

الحجر: ١٨

٨- ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتَيْنَهُ سِبْطًا تَالِيًا﴾

الصافات: ١٠

٩- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ

وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَذَابًا...﴾ يونس: ٩٠

١٠- ﴿فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ بِمُتُودٍ فَقَشَّيَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ

مَاعِشَهُمْ﴾ طه: ٧٨

١١- ﴿كَذَلِكَ وَأَرْسَلْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فَأَتَيْنَهُمْ

مُشْرِفِينَ﴾ الشعراء: ٥٩، ٦٠

١٢- ﴿ثُمَّ نَسِيتُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ الرسائل: ١٧

١٣- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ

لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَعًا وَلَا ذُرًى...﴾ البقرة: ٢٦٢

١٤- ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً...﴾ هود: ٦٠

١٥- ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ فِي هَذِهِ لَعْنَةً...﴾ هود: ٩٩

يلاحظ أولاً: أن (أتبع) في غير (فأتبع سبيلاً) جاء في سياق إيصال الشر إلى الذي صار مُتَبِعًا. فيصح لنا أن ندعي أن (أتبع) في عرف القرآن - ولعله في اللغة أيضًا - خاص بالشر. أما (أتبع سبيلاً) في الموارد الثلاثة فلا يرى فيه شر، إلا أن يكون تمكن ذي القرنين من السبب، كأنه سيطر عليه كما يسيطر الظالم على المظلوم والغالب على المفلوب، فيحكي غاية تمكنه من الأسباب، وهو غير بعيد.

ثانياً: أن (أتبع) في الآيات (٤) و(٥) و(١٢) إلى

(١٥) جاء متصدياً إلى مفعولين، مثل: ﴿فَأَتَيْنَاهُ بِغَضَبٍ نَفْثًا﴾

تَفَضُّا» - والمفعول الأول في (١٤) و(١٥) نائب فاعل للفعل المجهول - فالفعل فيها حكاية بمعنى إتباع شخص لشيء أو لشخص.

وأما في ما جاء فيه مفعول واحد، فقد اختلفت كلماتهم في معناه، فتكلف بعضهم في بعض الآيات مفعولاً ثانياً، كما قيل في (٦): «فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ» فقال: «مسيره الشيطان لنفسه تابعا» أو «أن الشيطان أتبعه كفار الإنس حتى اتبعوه» أو «أتبعه الشيطان خطوته».

وقيل في «فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِمَنُونِهِ»: إذا أريد أن فرعون أتبعهم خيراً أو شراً، فيقرأ (اتَّبَعَ)، وإذا أريد أتبع أثرهم، فيقرأ (اتَّبَعَ).

وقليل منهم ساوى بين «تَبَعَ» و«اتَّبَعَ» و«اتَّبَعَ»، فقال في «فَاتَّبَعَهُ شَيْطَانُ مُبِينٍ»: أي تبعه. وأخبرهم فرقى بين «تَبَعَ» و«اتَّبَعَ» بأن الأول السير وراءه، سواء كان لحقه أم لا، ومعنى الثاني أدركه ولحقه.

وقالوا في «فَاتَّبَعَهُ شَيْطَانُ مُبِينٍ»: أي أدركه ومنعه من الاستماع إلى أحاديث الملا الأهل، يقال: مازالت أتبعه حتى أتبعته، أي سرت خلفه حتى لحقته. قال الطباطبائي في «فَاتَّبَعَ سَبَبًا»: «أي لحق سبباً، واتخذ وصلة ووسيلة يسري بها نحو الغرب».

وحسبنا أن (اتَّبَعَ) إذا جاء بمفعول واحد ففيه معنى التعقيب واللاحق بشيء أو بشخص لإصابته بالضرب، وإذا جاء بمفعولين فعناه إلحاق أحدهما بالآخر شراً، مثل: «فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا» في (٤)، و«ثُمَّ تُتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ» في (١٢)، و«ثُمَّ لَا يَشْعُرُونَ مَا أَتَوْا بِهَا

وَلَا أَدْرِي» في (١٣)، هذا يوافق اللغة أيضاً، قال المنكبي: «تَبَعَ فلانٌ فلاناً، إذا تبعه يريد شراً: «فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ»...».

ثالثاً: هذه الآيات كلها مكّية إلا البقرة، وهي أول سورة مدنية على المشهور، فهي قريبة العهد بمكة، فلو قيل: بأن «اتَّبَعَ» تعبير مكّي لما كان بعيداً عن الصواب، وهذا بخلاف «تَبَعَ» مجرداً، ففيه جاء كل من المكّي والمدني (٥) مرّات، فيها بيان.

ج - تفاعل: (٢) وصفاً:

١- «فَمَنْ لَمْ يُحِدْ فَيَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» النساء:

١٢٢ والمجادلة: ٤

يلاحظ أولاً: أن «التتابع» لغة هو التوالي بين شيئين أو أكثر، ولا يشترط فيه أن يكون أحدهما تبعاً للآخر. قال المنكبي: «التتابع ما بين الأشياء إذا فصل هذا على إثر هذا، لا مهلة بينهما، كتتابع الأمطار والأمور واحداً خلف الآخر...».

ثانياً: أن «التتابع» لم يأت في القرآن إلا وصفاً: (مُتَتَابِعَيْنِ) في سياق التشريع، في سورتين مدنيتين. ثالثاً: أن صيام شهرين متتابعين جاء في القرآن كفارة في موردين:

١- كفارة قتل الخطأ لمن لا يتمكن من تحرير رقبة مؤمنة.

٢- كفارة الظهار لمن لا يتمكن من تحرير رقبة.

والجامع بينهما أن صيام شهرين متتابعين فيها جاء بدلاً من تحرير رقبة مؤمنة في الأول ورقبة في الثاني، فحل هناك نكته في تبديل تحرير رقبة بالصيام شهرين

متتابعين؟ نعم، في الصَّيَّام إرهاب، وفي الصَّيَّام شهرين متتابعين إرهاب أكثر، وفي تحرير الرِّقَّة إرهاب مالي، فإذا كان لا يملك مالاً، عوّض عنه بإرهاب بدنيّ شديد.

رابعاً: لقد ألحقت في الشُّنَّة والفقه بهاتين الكفارتين كفارة من أخطر يومًا من شهر رمضان عمداً، فكفارته أحد الثلاثة تغييراً لترتيبها، كما كان في هاتين.

وقد جاء في مارواه الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا عليه السلام من حلل الأحكام: «فإن قال: فلم وجب عليه صوم شهرين متتابعين دون أن يجب عليه شهر واحد أو ثلاثة أشهر؟ قيل: لأنَّ الفرض الذي فرض الله على الخلق وهو شهر واحد، فزوعف في هذا الشهر في كفارته تركيذاً وتقليداً. فإن قال: فلم جعلت متتابعين؟ قيل: لتلايهون عليه الأداء فيستغفروا به، لا لتلايفهم منه متفرقاً هان عليه القضاء».

وقد فزعوا على هذا الحكم فروعاً،

منها: جاء في الظَّهَار رِقَّة، وفي قتل الخطأ رِقَّة مؤمنة، فمقاس بعضهم الأوَّل بالتَّاني، وقيدوا الرِّقَّة بالمؤمنة.

ومنها: لم يفرض في قتل الخطأ على من لا يستطيع الصَّيَّام إطفاء ستين مسكياً، كما فرضه في الظَّهَار، فمقاسه بعضهم على الظَّهَار، وبعضهم - كالشافعي - لم يقسه عليه.

ومنها: أنَّ الشهرين المتتابعين لمن لا عذر له أيتحقق بتتابع شهرين كاملين كما عليه علماء الشُّنَّة، أم يكفي صيام شهر كامل ويوم من الشهر التَّاني كما عليه الإمامية، استناداً إلى ما جاء عن أئمتهم؟

ومنها: أنَّ الشهرين قمرَّتان، فلو كان شهر منها تسعة وعشرين يوماً يكفي، ولا يجب إتمامه ثلاثين يوماً، ونحو ذلك من الفروع والأحكام في فقه المذاهب.

د - اتَّبَعَ: بصيغه المختلفة (١٤٢) مرّة.

يلاحظ أولاً: أنَّ «اتَّبَعَ» يشتقُّه الكثيرة جاء في القرآن أضعاف الصَّيَّغ الثلاث الأخرى متفرقة بين الحكيَّات - وهي الأكثر - وبين المحدثات. ومن ذلك يظهر أنَّها كانت الصَّيْغَة الدَّارجة في محاورات البلدين، وجرى القرآن على ما هو الغالب في البيئته، ولم يتخلَّف عنه إلا إذا اقتضى الحال إحدى الصَّيْغ الثلاث الأخرى، وقد تكلمنا حولها.

ثانياً: اختلفت الآراء في الفرق بين «تَبَعَ» و«اتَّبَعَ». كما اختلفوا في الفرق بينها وبين «اتَّبَعَ» وقد سبق؛ ففهم من سلكي بينها، قال الخليل: «تَبِعْتُ وَاتَّبَعْتُ سَوَاءً».

وقال أبو الفتح: «تَبَعَ وَاتَّبَعَ وَتَابَعَ وَاحِدٌ»، وقال الصَّاحب: «تَبِعْتُهُ تَبَاعاً وَاتَّبَعْتُهُ وَاتَّبَعْتُهُ سَوَاءً». وفرق بعضهم بينها، قال ابن فارس: «يقال: تَبِعْتُ فلاناً، إذا تلوَّته، وَاتَّبَعْتُهُ وَاتَّبَعْتُهُ، إذا لحقته، والأصل واحد غير أنَّهم فزَعُوا بين القَفْو واللَّحوق، فغيَّروا البناء أدنى تغيير». فقد ألحق «اتَّبَعَهُ» بـ«تَبِعَهُ»، وقيد فيه اللَّحوق.

والتحقيق أنَّ الفرق بينها - وإن جاء أحدهما مكان الآخر بكثرة مساعمة في التعبير كسائر الكلمات - بتتابع المعنى واللفظ كما هو الأصل فيه، وأنَّ زيادة اللفظ تدعي زيادة المعنى، ولا سيما إذا اجتمعت الصَّيْغَتان، مثل: كَسَبَ وَاكْتَسَبَ في «هَلَّا مَا كَسَبْتِ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبْتِ» البقرة: ٢٨٦. حيث إنَّهم أطالوا الكلام في

الفرق بينهما، لاحظ «ك س ب».

والمناسب في معاني باب «الافتعال» في «اتبع» معنيان: المطاوعة، مثل: جمعته فاجتمع، والمبالغة، مثل: كسب واكتسب، أي بالغ في الكسب. والمطاوعة حسن في ما كان هناك أمر أو طلب أو هوى أو شهوة تستدعي التابع فيفعل بها فيطاولها. وهذا هو اللائق بمن: «اتبع الهدى» و«اتبع الهوى» حيث إن الهدى مما يطله العقل والزحمان، والهوى مما تطلبه النفس والشيطان، وهذا المعنى هو الغالب في مواطن الأمر والنهي، والترغيب والترهيب.

وفي بعض الآيات ملاح من المبالغة، مثل: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَاءُونَ مِنْهُمْ» آل عمران: ٧، أي لهم اهتمام بالغ بالتابع ما تشاءه من القرآن، والإعراض عن المحكمات. ونحو: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» البقرة: ١٧٠، أي نبالغ في اتباع طريقة الآباء تعصياً، ومثلها كثير. ويبدو أن المبالغة فيها نشأت من مناسبة الحكم والموضوع ومن سياق الكلام، لامن لفظ «اتبع». وفي خلال الآيات ما جاء «اتبع» بمعنى القفو بدون اللحق، مثل: «قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا» الكهف: ٦٦، أي الأزمك وأقلوا أثرك، فلاحظ، ونحن نفضل القول: إن «اتبع» جاء في الآيات بمعنى واحد وهو المطاوعة، وأن غيرها من المعاني كاللحق والمبالغة - لو وُجد - فهو مفهوم من سياق الكلام، لامن صيغة «اتبع».

ثالثاً: الفرق بين الاتباع والطاعة: هو أن الطاعة

موقوفة على الأمر والنهي، وليس كذلك الاتباع؛ إذ يأتي كثيراً في غير مورد سبق الأمر والنهي، كما ستري في الجدول الآتي. وهناك آيات جاء الاتباع فيها مقابل العصيان، مثل: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ كَافِرٌ دَجِيمٌ» إبراهيم: ٢٦، ومثل: «وَعَصُوا رُسُلَهُ وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» هود: ٥٩. وقد أتت الطاعة عطفاً على الاتباع: «وَإِنْ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاسْتَبِيعُونِ وَأَطِيعُوا أَمْرِي» طه: ٩٠. وقد جاء الاتباع مقابل الكراهة: «اتَّبِعُوا مَا أَنْصَحْتَ اللَّهَ وَكُفِّرُوا بِرِضْوَانِهِ» محمد: ٢٨.

ومن خلالها تستشف العلاقة بين الاتباع وبين الطاعة والمصيان والكراهة ونحوها، كالانقياد والامتثال، فها تابعان للأمر والنهي كالطاعة تماماً، بخلاف الاتباع.

رابعاً: جاء في النصوص ذيل: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...» التوبة: ١٠٠، بحث طويل حول «التابعين» من هم؟ فخصهم بعض من أدرك صحابياً وأخذ عنه، وهذا هو الباحث عند علماء الحديث بإرداف «التابعين» للصحابة، فشاع بينهم التعبير بالصحابة والتابعين، فقسّموا «التابعين» إلى الصغار والكبار، كما فعلوا ذلك في الصحابة.

وحسبهم الآخرون إلى كل من لحق بالصحابة واتبعهم إلى يوم القيامة، وهذا هو الظاهر من سياق الآية. وما ذكر لهم من الأجر «وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...» التوبة: ١٠٠، فإنها لا تختص بهؤلاء

الذين أدرَكوا الصحابة، بل عثَمها القرآن إلى المؤمنين مرَّات وكُرَّات. وقد دلَّت الآية على أمور:

الأول: أنَّ السابقين من المهاجرين والأنصار كانت طريقتهم حسنة مرضية، فرضي الله عنهم ورضوا عنه، حتَّى استحقُّوا أن يتَّبعهم الآخرون، فتكون سيرتهم صيرة ونموذجاً ومثالاً لمن بعدهم، وفيهم أسوة للمؤمنين جميعاً، ويؤيِّده ﴿وَالَّذِينَ مِنْهُمْ لَسَاءَ يَلْعَنُوا بِهِمْ﴾ الجمعة: ٣، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الحشر: ١٠، وفيها تصريح بعدم إدراك التابعين للسابقين من المهاجرين والأنصار، إلَّا أنَّهم لحقوا بهم واعترفوا بسبقهم بالإيمان.

أمَّا قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ يَتَّخِذُ الْإِنْفَالُ ٧٥﴾ - فمعهم فمعهم آمن بعدهم وهاجر وجاهد معهم، فليس أولئك تابعين لهم فحسب، بل يعدُّون منهم.

الثاني: أنَّ هذه الآية خصَّت هذه الفضيلة بالسابقين من المهاجرين والأنصار، وخصَّت آيات أخرى جميع المهاجرين والأنصار، مثل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال: ٧٤، لاحظ «ن ص ر» و«س ب ق» و«ه ج ر» و«ج ه».

ومثلها آية التوبة: ٢٠ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ ذَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. وقد نزلت أخيراً بعد غزوة تبوك، ووصفوا به (الفَائِزُونَ)، والأولى نزلت

قديماً بعد غزوة بدر، وقد وصفوا به (الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)، كما وصفوا في آية الحجرات الآتية به (الصَّادِقُونَ)، وانتشر فيها جميعاً الهجرة والجهاد في سبيل الله، وذكر في الأولى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا﴾ دون الثانية.

الثالث: أنَّ أمثال هذه الفضائل لا تشمل كلَّ من أسلم وصحب النبي حتَّى يقال إطلاقاً: الصحابة عدول، كيف وقد ثبت في جماعة منهم ما يرفضه، وقد تلا هذه الآية بالذات قوله: ﴿وَمَنْ حَوَّلَكُمْ مِنَ الْغُرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ...﴾ وانتسكت آيات المهاجرين والأنصار مع آيات المنافقين - ميِّزاً بين الفريقين وأنَّ أحدهما لا يختلط بالآخر - في الممنيات، ولا سيما في التوبة، والمائدة، وهما من أغربيات القرآن نزولاً؛ حيث توحى إلينا أنَّ الإسلام كلُّها توسع، وزاد عدم المسلمين، وغرب انقطاع الوحي، ودنا أقول خمس التوبة، زاد التفريق بين العرب والمسلمين، فلاهجرة بمجرّد الصحبة إلَّا بمن ثبت إيمانه حقّاً، وليسوا هم كلَّ من رأى النبي وصحبه.

كيف وقد خلق الكتاب بالفرق بين من أسلم لساناً، وبين من آمن قلباً؛ حيث قال: ﴿قَالَتِ الْغُرَابُ أَعْتَابًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَسْنَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ... إِنَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات: ١٤، ١٥، لاحظ تفصيل هذا البحث في «ه ج ر» و«ج ه» و«ن ص ر»، هـ - يغلب على الصيغ الثلاث: تبع، وأتبع، والتبع جميعها في سياق الترغيب أو الترهيب وما يناسبها، فهي

صفحة:

١- الصراط : ١

الأول : سياق التَّعْزِيبِ:

﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾

١- الهدى : ٦

الأنعام : ١٥٣

٥- الكتاب : ١

١- ﴿...فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة : ٣٨

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ

تُزَكَّوْنَ﴾ الأنعام : ١٥٥

٢- ﴿...فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ

فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشُكُّ﴾ طه : ١٢٣

٦- القرآن : ١

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ قَائِلًا فَقُلِ لَهُ﴾

٣- ﴿...قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ

اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ طه : ٤٧

٧- آياتنا : ١

﴿...لَوْ لَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ رَسُولًا فَقَدْ عَلِمْتَ أَنِ

٤- ﴿وَقَالُوا إِنَّا تَتَّبِعُ الْهُدَى عَقْلًا نَّحْفَظُ مِن

أَرْضِنَا...﴾ القصص : ٥٧

﴿وَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾ القصص : ٤٧

٥- ما أنزل الله : ٣ آيات:

٥- ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْتَجِيبُواكُمْ سَوَاءٌ

عَلَيْكُمْ أَدْعَاهُمْ أَمْ أَنْتُمْ حَامِلُونَ﴾ الأعراف : ١٦٣

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ

نَسِيعَ مَا اتَّبَعْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ البقرة : ١٧٠

٦- ﴿...أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ

لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى قَسَالَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

٢- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ

نَاوَجِدُنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا...﴾ لقمان : ٢١

يونس : ٣٥

٢- الرضوان : ٣ آيات:

٣- ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن

دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف : ٣

١- ﴿أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ

وَمَا يُوَفَّى جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْقَصِيرُ﴾ آل عمران : ١٦٢

٩- التور : ١

﴿...قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا

التَّورَ الَّتِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

٢- ﴿...وَاتَّبِعُوا رِضْوَانُ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

آل عمران : ١٧٤

٣- ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ...﴾

الأعراف : ١٥٧

١٠- السبيل : ٢

المائدة : ١٦

١- ﴿...وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ

٣- الذكر : ١

فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان : ١٥

﴿إِنَّمَا تَنفِرُ فِي اتِّبَاعِ الذِّكْرِ وَخَشِيَ الرَّحْمَنُ

بِالْقَيْسِ...﴾ يس : ١١

٢- ﴿...فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ

عَذَابَ الْمُجْرِمِ ﴿

المؤمن : ٧

١١- الحق والباطل : ١

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ

اتَّبَعُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ... ﴾

محمد : ٣

١٢- أحسن القول : ١

﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر : ١٨

١٣- ما أوحى : ٦ آيات ، والمنشع فيها جميعاً النهي لما

أوحى إليه :

١- ﴿... إِنْ أَتَيْتَ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيْكَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ. الأنعام : ٥٠

٢- ﴿... قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَ مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي... ﴾

الأعراف : ٢٠٣

٣- ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَحْتِي بِنَفْسِي إِنْ

أَتَيْتُ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ... ﴾ يونس : ١٥

٤- ﴿... إِنْ أَتَيْتَ إِلَّا مَا يَوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ

مُبِينٌ ﴾ الأحقاف : ٩

٥- ﴿إِنِّي أُنْزِلُ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْوَحْيَ الْوَحْيَ الْوَحْيَ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام : ١٠٦

٦- ﴿وَأَنبِئْ مَا يَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ الأحزاب : ٢

١٤- ملة إبراهيم : ٤ آيات ، والمنشع في ٣ منها النهي ،

وفي واحدة المؤمنون :

١- ﴿... وَأَنبِئْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... ﴾ النساء : ١٢٥

٢- ﴿وَأَنبِئْتُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاسْمُكَ

وَيَقُولُ... ﴾ يوسف : ٢٨

٣- ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾

التحرل : ١٢٣

٤- ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران : ٩٥

١٥- الرسل : ١١

١- ﴿وَرَبَّنَا أَعِزَّنَا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبِعْنَا الرُّسُولَ فَمَا كُتِبْنَا

مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٥٣

٢- ﴿... وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَوْدَعْنَا نَادِي

الرَّأْيِ... ﴾ هود : ٢٧

٣- ﴿رَبِّ إِنِّي أُنْزِلُ كَذِبًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ يَتَّبِعِي

فَأَنَّهُ يَنْفِي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ إبراهيم : ٣٦

٤- ﴿... رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِذْ دَعْوَتَكَ

وَنُفِيعَ الرُّسُلِ... ﴾ إبراهيم : ٤٤

٥- ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تُسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَسْبِيَ

أَخِذْتُ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف : ٧٠

٦- ﴿... إِنْ رَأَيْتُمْ الرَّسُولَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا

أَمْرِي ﴾ طه : ٩٠

٧- ﴿... قَوْلًا أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا رَسُولًا فَفَتَنِي فَأَيَّاتِكَ

مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدَلَّ وَتُخْزَى ﴾ طه : ١٣٤

٨- ﴿وَتَجْعَلُ لَنَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيِّتِنَا

أَتَيْنَا وَمَنْ أَتَيْتُكَ الْفَالِغِينَ ﴾ القصص : ٣٥

٩- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ

يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ يس : ٢٠

١٠- ﴿وَقَالَ الْبَدِي أَمَنْ يَأْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ صَبِيلَ

الرَّشَادِ ﴾ المؤمن : ٣٨

١١- ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمُ لِسَانَهُ فَلَاقَ تَرَنُّمًا بِمَا وَاسِعُونَ

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٦﴾

١٦- نيتنا: ٦ آيات:

الزخرف: ٦١

١- ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ

مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيْنَا عَقْوبَتِهِ...﴾

البقرة: ١٤٣

٢- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ...﴾ آل عمران: ٣١

٣- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي الثَّوَابِ وَالْإِنجِيلِ...﴾

الأعراف: ١٥٧

٤- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ...﴾

التوبة: ٤٩

٥- ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ لَنَا

وَمَنْ اتَّبَعَنِي...﴾ يوسف: ١٠١

٦- ﴿وَاخْلُصْ جَنَّاخَدَكَ لِئِنْ أَتَيْتَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الشعراء: ٢١٥

١٧- المهاجرين والأنصار: ١

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...﴾ التوبة: ١٠٠

١٨- سبيل من أناب: آية واحدة:

﴿...وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ

فَأَنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان: ١٥

١٩- المؤمنين: ٢

١- ﴿...قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ

يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ...﴾ آل عمران: ١٦٧

٢- ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ

لِنَأْخُذُوا مَا دَرَوْنَا لَا تَفْهَمُكُمْ...﴾

التائي: سياق الترهيب:

الفتح: ١٥

١- الهوى والأهواء: ٨ آيات، ٣ منها تأنيف للثبي،

و ٥ لغيره:

١- ﴿...قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى وَلَئِنْ أَتَيْتَ

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة: ١٢٠

٢- ﴿...وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ

الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٤٥

٣- ﴿...وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ

الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ الرعد: ٢٧

٤- ﴿وَلَوْ يَشَاءُ لَوُفَّعَتْ بِهَا وَلِكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾ الأعراف: ١٧٦

٥- ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

فَتَرَدَّى﴾ طه: ١٦

٦- ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ لَا يُفْهَمُونَ

أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ القصص: ٥٠

٧- ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَفَرٌ زَيْنٌ لَهُ شَوْءٌ

عَتِيلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ عمق: ١٤

٨- ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّهُمْ مُسْتَقَرٌّ﴾

القمر: ٣

٢- اليهود: ١

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَا تَبِعَ دِينَكُمْ...﴾ آل عمران: ٧٣

٣- خطوات الشيطان: ٤ آيات:

١- إلى ٣- ﴿...وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ

حَدٌّ مُبِينٌ﴾ البقرة: ١٦٨ و ٢٠٨، والأنعام: ١٤٢

٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَبْغِزْ بِالْفُحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾
 في الشيطان: ٧
 الثور: ٢١

١- ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَذْحُورًا لَنْ تُبْعَثَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأعراف: ١٨
 ٢- ﴿قَالَ أَذْهَبَ لَنْ تُبْعَثَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ الإسراء: ٦٣
 ٣- ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ص: ٨٥

٤- ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 ٥- ﴿وَإِذْ عَلِمْنَا لَبَاسَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آيَاتِنَا هَدًى وَسَخَّرْنَا مِنْهَا قَائِقِبَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾
 الأعراف: ١٧٥

١- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ الحج: ٣
 ٧- ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِكَ مُبِينٌ...﴾ البقرة: ١٠٢
 ٥- الشعراء: ١

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٤
 ٦- سبيل الكافرين: ٤ آيات:
 ١- ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ النساء: ١١٥
 ٢- ﴿...وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ...﴾ الأنعام: ١٥٣

٣- ﴿قَالَ قَدْ أُجِيتَ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَجِبْنَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ﴾ يونس: ٨٩
 ٤- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ...﴾
 ٧- سبيل المفسدين: ١

﴿...وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: ١٤٢
 ٨- سبيل الذين لا يعلمون: ١
 ﴿قَالَ قَدْ أُجِيتَ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَجِبْنَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ﴾ يونس: ٨٩
 ٩- رفض القبله: ١

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا الْبَنِيَّ الْأَوَّلَ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبَيَّنَ لَكُنَّكَ وَفَاءٌ بِمَا كُنْتَ تَتَّبِعُ وَمَا كُنْتَ تَتَّبِعُ إِلَّا سُبُلَ الَّذِينَ نَكَرْتَهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾ البقرة: ١٤٥
 ١- الأذى: ٢

١- ﴿قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَغُفْرَةً خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ خَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٣
 ٢- ﴿الَّذِينَ يُتَفَقَهُنَّ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ يَتَّبِعُوا مَا أَنْفَقُوا قُلْنَا وَلَا أَذًى...﴾ البقرة: ٢٦٢
 ١١- ما أترفوا فيه: ١

﴿...وَاتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا بِهِمْ وَكَانُوا تَجَرِّعِينَ﴾
 ١٢- الشركاء: ٢

١- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ الأعراف: ٣
 ٢- ﴿أَلَا إِنَّهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ...﴾

الترغيب إلى اتباع جميع الأنبياء، وهذه النسبة عالية جداً، كما أن اتباع الرُّسل في صدر جدول المرغوب فيها.
٢- أن هذا العدد (٦) نفس عدد الترغيب إلى الهدى وإلى مأوحي إلى النبي، فكلاهما جاء ست مرّات، فساوى اتباع النبي اتباع الهدى ومأوحي إليه.

٣- أن الترغيب جاء في (١٧) عنواناً، وكلها ستى ومرغوب عنها، وأكثرها عدداً الشيطان: (٤)، وخطواته: (٧)، والهموع: (١١). فالشيطان وقع في صدر جدول المرغوب عنها، وهو رأس الكفر والشرك والتفاق والشُرور كلها، يازله الرُّسل، فهم رأس الهدى والتقى. والنسبة بين الترغيب في اتباع الرُّسل والترغيب من اتباع الشيطان هي ١١/١٧.

٤- يتلو الهوى، فجاء (٨) مرّات، ومعلوم أن الهوى يتابع الشيطان، كما أن الهدى ومأوحي يتابع الرّحمان. وكل ما جاء بعد الهوى من المناوين فهي من جنود الشيطان، كما أن ما جاء بعد الهدى فهو من جنود الرّحمان.

٥- ومن الأسف أن «الهوى» زاد «الهدى» بعددين، وهذا ظير ما قلنا في «الضلال المبين»: إنه زاد الهدى بضعف العدد. وهذا هو مصير الإنسان، فهو لا يزال في خسار، وحيد في فخاخ الشيطان، إلا من أدركته رحمة من الرّحمان.

المحور الثاني: «تَسْعِ»

الأصول اللغوية

١- أطلق هذا اللفظ على كل نيك من ملوك اليمن

يونس: ٦٦

١٣- المتشابه: ١

﴿... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ

بَيْنَهُ...﴾ آل عمران: ٧

١٤- رجلاً مسحوراً: ٢

١- ﴿... إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَسْبِقُونَ إِلَّا زَجَلًا

مَسْحُورًا﴾ الإسراء: ٤٧

٢- ﴿... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَسْبِقُونَ إِلَّا زَجَلًا

مَسْحُورًا﴾ الفرقان: ٨

١٥- الشجرة: ١

﴿وَلَعَلَّا تَسْبِغُ الشَّجَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾

الشمر: ٥

١٦- آباءنا: ٢

١- ﴿... بَلْ تَسْبِغُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَيْكُمْ كَمَالٌ

أَبَاهُمْ لَا يَقُولُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة: ١٧٠

٢- ﴿... قَالُوا بَلْ تَسْبِغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ

كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ الشَّعِيرِ﴾ لقمان: ٢١

١٧- الكافرين: ٢

١- ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَزَارُوا

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ البقرة: ١٦٦

٢- ﴿وَتَسْرُؤُوا لَّهُ بِحَيْثُ قَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا...﴾ إبراهيم: ٢١

ويلاحظ بالتسير في هذه المناوين وأرقامها أمور:

١- أن الترغيب جاء في (١٩) عنواناً، وكلها حسن

ومرغوب فيها. ومن أكثرها عدداً الرُّسل: (١٢) مرّة،

ولبيّنا: (٦) مرّات، فالترغيب إلى اتباع النبي نصف

الاستعمال القرآني

تُشِع: آيتان:

١- ﴿أَنَّهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُشِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَفْلَكُنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾
الدخان: ٢٧

٢- ﴿وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمُ تُشِيعَ كُلُّ كَذِّبٍ يُرْسَلُ لَعْنًا وَجِيدًا﴾
ق: ١٤

يلاحظ أولاً: أنه قد جاءت في شأن «تُشِيع» نصوص كثيرة في كتب السيرة والتفسير، وقد سبق بعضها، ولا اعتبار لكثير منها، فإنها اصطفت بالعصبة الإسرائيلية، فلاحظ. والذي ثبت في التاريخ هو أن التباينة حكوا بلاد اليمن حوالي القرن الخامس الميلادي، وأن لفظ «تُشِيع» كان لقباً لكل ملك من الملوك الذين تلوا دولة حمير، ولم يكن علماً لشخص منهم، فهو مثل: كسرى لقب ملك الفرس، وقيصر لقب ملك الروم.

ثانياً: استعمال القرآن لفظين آخرين سوى لفظ «تُشِيع» من ألقاب الرؤساء والحكام:

١- فرعون: ﴿وَتَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾
الزخرف: ٥١

٢- الملك: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾
البقرة: ٢٤٧

وظهرها الروم، وهم أمة من الناس: ﴿لِلَّهِ عِلْمُ يَوْمٍ﴾
الروم: ٢، ١

الذين تستموا المحكم فيها بعد الدولة المعينية والتبعية والحيثية على الترتيب، والجمع: التبعية، والماء في جمعه للنسب كما في المناذرة والفساسة، جمع مندر وغسان، وسموا بذلك الاتباع بعضهم بعضاً في الخلافة أو السياسة، كما يتبع «التُشِيع» - أي الظل - الشمس، فهو اسم منقول على وزن «فَعْل» وله نظائر محصورة في اللغة، عظمها ابن مالك في كتابه «عظم الفرائد»، وعدّها (٢٣) اسماً، ومنها «تُشِيع».

٢- قال آرثر جفري في «مفرداته»: اعتبر «فرانكل» هذا اللفظ ذا علاقة باللفظ الحبشي «تباع» أي القوي والفتي، وأيد «نولدكه» هذه الرابطة أيضاً، ثم استدرك «جفري»: إنه أخذ من اللغة العربية المجترية، وعثر عليه منقوشاً في الحفريات الأثرية. وأضاف بقوله يبدو أنه كان معروفاً على نطاق واسع في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، لأنه استعمل مراراً في الشعر العربي القديم.

٣- ويكاد يكون لفظ «تُشِيع» مستقماً من اللفظ الحبشي «تباع» - على قول «فرانكل» - لولا أن الأحباش استولوا على اليمن عقب التباينة، فأطاحوا بآخر ملوكهم في القرن السادس الميلادي، واستمر احتلالهم لها حتى ظهور الإسلام. ولو انعكس الأمر - أي أعقب التباينة الأحباش في الحكم - ل قيل: إن «تُشِيعاً» معرب لللفظ الحبشي «تباع»، لتأثير لغة أهل الحبشة في لغة أهل اليمن، كما هو الحال بين الغالب والمغلوب.

ت ج ر

٢ ألفاظ ، ٩ مرآت : ١ مكئية ، ٨ مدنية
في ٧ سور : ١ مكئية ، ٦ مدنية

[استشهد بشعر]

تجارتهم ١-١

تجارة ٧: ١-٦

وتنقل: ربيع فلان في تجارته ، إذا أفضل ، وأريع ، إذا

التجارة ١-١

(١١: ٣)

صاوب شوقاً لربيع .

الصاحب ، [نحو الخليل ، وأضاف:]

النصوص اللغوية

وناقة تاجرة ، إذا كانت نافقة ، وتوق تواجراً ، كأنها

الخليل : والتاجر والتجار : جماعة التاجر ، وقد تجر

(٧: ٥٨)

تبيع نفسها من حشها ويمنها .

(٦: ٩١)

تجارة . وأرض متجرة : يُتجر إليها .

الخطابي : في حديث أبي ذر ، قال : « كنا نتحدث :

أبوعبيدة : ناقة تاجر ، أي نافقة في التجارة

أن التاجر فاجر » ، التاجر عندهم : الخسار ، اسم

(الجهوري ٢ : ٦٠٠)

والشوق .

ينصونه من بين التجار . [ثم استشهد بشعر]

ابن الأعرابي : فلان تاجر بكذا ، أي حاذق به ،

فإن كان هو المراد ، فمن اليقين أنه محل للفجور

(الزاجب : ٧٣)

عارف الوجه المكتسب منه .

وموضع له ، وفيه وجه آخر ، وهو أشبه بمعنى الحديث ،

ابن دُرَيْد : تاجر وتجر : مثل صاحب وضغب ،

وهو أن يكون أراد بالتاجر : كل من تغير في مال ،

وناقة تاجر : تباع نفسها بحشها ويمنها . [ثم استشهد

(٢: ٣)

بشعر]

وإنما جعله فاجراً ، لأن البيع والشراء مظنة للفجور ،

الأزهري : والعرب تقول : ناقة تاجرة ، إذا كانت

لكثرة ما يجري في البيوع من الأيمان الكاذبة ، ولما يقع

تلفق إذا عرضت على البيع لنجاستها ، وتوق تواجراً . [ثم

فيها من الذُّبْن والتدليس، ولما يشوبها ويدخلها من الرِّبَا الذي لا يتحاشاه كثير من التجَّار، بل لا يشعرون به ولا يفتنون لموضعه، لدقَّة علمه ولطف مسلكه. [تم ذكر روايات أخرى في هذا المعنى.] (٢٧٧: ٢)

نحوه ملخصاً الزُّمخشري (الفائق ١: ١٤٨)، والمديني (٢١٨: ١).

البجوهري: تَجَرَّ يَتَجَرُّ وتجارة، وكذلك أَتَجَرَ يَتَجَرُّ، وهو «أفتعل» فهو تاجر. والجمع: تَجَرَّ، مثال صاحب وضرب، وتجار وتُجَّار.

والرب تسمي بائع الخمر: تاجرًا. [تم استشهد بشعر]

ويقال: ناقة تاجرة للناقة، وأخرى: كاسدة وأرض متَّجرة: يَتَجَرُّ فيها. (٦٠٠: ٤) نحوه ملخصاً الرازي. (٩٠)

ابن فارس: التَّاء والجيم والراء، التجارة: معروفة. ويقال: تاجر وتُجَّر، كما يقال: صاحب وضرب ولا تكاد تُرى تاء بعدها جيم [غير هذا]. (٣٤١: ١) نحوه الزَّاغبي (٧٣)، والفيومي (٧٣: ١)، والآلوسي (١٦٢: ١).

ابن سيدة: تَجَرَّ يَتَجَرُّ تجارة: باع وشري، وقد غلب على الحُكَّار. [تم استشهد بشعر]

ورجل تاجر، والجمع: تجار، وتُجَّار، وتُجَّر. [إلى أن قال:]

والتَّجَرُّ: اسم للجمع، وقيل: هو جمع. (٣٥٤: ٧) التاجر: الذي يبيع ويشترى. الجمع تُجَّار وتُجَّار وتُجَّر. وقد تَجَرَّ يَتَجَرُّ تجارةً وتُجَّرًا، وتُجَّر. والمُتَجَرُّ: مكان

التجارة. (الإفصاح ٢: ١٢٠٩)

الزُّمخشري: التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشترى للربح. وناقة تاجرة: كأتها من حسنها ويمتها يبيع نفسها. (١٩١: ١)

نحوه البَيْضاوي (١: ٢٧)، وأبوحيان (١: ٦٣)، والبروسوي (١: ٦٤).

فلان يَتَجَرُّ في البَزَّاء^(١) ويَتَجَرُّ، وقد تَجَرَّ تجارةً رابحة. وتاجرتُ فلانًا فكانت أربحَ مُتاجرة، وماتَتَجَرَّ فلانًا وتَجَرَّ العراق، وتجارة كثير.

وبلد مُتَجَرٍّ، وبلادُ متاجر: يُتَجَرُّ إليها. ومن الجاز: عليكم بتجارة الآخرة، وضففتُه في تَجَرُّرِ الحمد رابحة..

وناقة تاجرة: حنة نافقة، ونوق تواجر. [تم استشهد بشعر]

وكذلك كلَّ سلعة تُتَقَّق. تقول: عليك بالسَّلَع التَّواجر. (أساس البلاغة: ٣٧)

في الحديث في الأضاحي: «كلوا وادخروا وأتجروا»، أي اتخذوا الأجر لأنفسكم بالصدقة منها، وهو من باب الاشتواء والاتباع. واتجروا على الإدغام خطأ، لأنَّ الهمزة لا تدغم في التاء، وقد غلظ من قرأ: الذي اتَّجَمَن، وقولهم: اتَّزَرَ عامي، والفصحاء على اتَّزَّر.

وأما ما روي أن رجلاً دخل المسجد وقد قضى التَّجَرَّ صَلَّاه، فقال: من يتجر فيقوم فيصلي معه؟

فوجهه - إن صحَّت الرواية - أن يكون من التجارة؛

(١) البَزَّاء جمع بزوز، الثياب من الكتان أو القطن، السِّلَاح، ومنه البَزَّاز.

لأنه يشتري ببدله المثوبة، وهذا المعنى يعضده مواضع في التزويل والأثر، وكلام العرب. (القائى ١: ٢٥)

نحوه المديني (١: ٢٦٨)، وابن الأثير (١: ١٨١).

ابن الأثير: [في حديث] «إن التجار يُحنون يوم القيامة فجارًا إلا من أتى الله ورسوله صدق». [تم ذكر في معناه نحو ما نقلناه عن الخطابي وأضاف:]

وجمع التاجر: تجار بالضم والتشديد، وتجار بالكسر والتخفيف، وبالضم والتخفيف. (١: ١٨١)

الفخر الرازي: التجارة: عبارة عن التصرف في المال، سواء كان حاضرًا أو في الذمة، لطلب الربح.

يقال: تجر الرجل يتجر تجارة فهو تاجر. (٧: ١٢٦)

نحوه محمد حسين مخلوف. (٩٣)

الأصمعي: تجر، إذا حذى. وإنه تاجر بذلك الأمر.

أي حاذق. [تم استشهاد بشعر]

الفيروز أبادي: التاجر: الذي يبيع ويشتري، وبائع الخمر، جمعه: تجار وتجار وتجر وتجر، كرجال ومعال وضغب وكُتب. والمأذق بالأمر، والثاقة الثابتة في التجارة، وفي السوق كالتجارة.

وأرض متجرة: يتجر فيها وإليها، وقد تجر تجرًا وتجارة. وهو على أكرم تاجرة: على أكرم خليل عناق.

(١: ٣٩٣)

الطبري: التجارة بالكسر، هي انتقال شيء مملوك من شخص إلى آخر، بعوض مقدّر على جهة التراضي، أخذًا من تجر يتجر تجرًا من باب «قتل» فهو تاجر.

والتاجر: جمع متجر من التجارة، ومنه قول

الفقهاء: «كتاب المتاجر».

قيل: هو إما مصدر ميمي بمعنى التجارة كالمقتل

بمعنى القتل أو اسم موضع. وهي الأعيان يكتسب بها

قال بعض الأفاضل: والأول أليق بالمقصود. (٣: ٢٣٣)

مجمع اللغة: تجر يتجر من باب «نصر» تجرًا

وتجارة: باع واشترى طلبًا للربح.

والتجارة:

أهي المبادلة بالبيع والشراء لقصد الربح.

ب - وتطلق التجارة على المال المتجر فيه.

ج - وتطلق مجازًا على العمل يترتب عليه خير أو

(١: ١٥٢)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (١: ٨٨)

الأصمعي: تجر فلان في الأرز أو تجر فيه.

ويقولون: تاجر فلان بالأرز، والصواب: تجر فلان

في الأرز، أي مارس بيته وصرائه، أو تجر في الأرز.

«الصحاح»، الأساس، والمختار، واللسان، والتاج،

والمذ، ومحيط المحيط. وأقرب الموارد، والمتن،

والوسيط.

واكتفى بمعجم ألفاظ القرآن الكريم، ومفردات

الزواجب الأصمعي، والقاموس بذكر: تجر، ولم يذكروا

«تجر».

أما جملة «تاجر فلان فلانًا» فصحي: التجر معه.

«الأساس»، والمذ، والوسيط.

وقال «المتن»: تاجر: بارء في التجارة.

أما «محيط المحيط» فقد قال: إن تاجر بمعنى تجر،

وحذا «أقرب الموارد»: كمادته غالبًا - حذوه، فأخطأ

مثله.

النصوص التفسيرية

تجارة

وأنا لأستشهد برأي هذين المعجمين إلا إذا سبقهما واحد من معاجنا الخالدة: كالصاحح، والأساس، واللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج، ومن هم في متونها اللغوي، وقلها عثر «محيط المحيط» دون أن يمر وراء «أقرب الموارد».

ومثله هو: تَجَرَّ يَتَجَرَّ تَجَرًّا، وتجارة، ومُتَجَرًّا.

ويجمع التاجر على: تَجَرٍ، وتجارٍ، وتَجَارٍ، وتَجَرٍ. (تم استشهد بشعر) (٩٣)

المُضْطَفَوِي: والظاهر أن التجارة عبارة عن كلِّ معاملة يراد منها الربح، سواء كانت مبيعًا أو عَرِي، أو غيرها من المعاملات الزاجية. ولذا ترى ذكرها في مقابل البيع، في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْلِبِهِمْ بِجَارَةٍ وَلَا يُنَبِّئُ غَنِيٌّ وَكَفُورٌ﴾ التور: ٢٧. وذكرت في مقابل اللُّهُو في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا زَاوَا بِلِجَارَةٍ أَوْ نَفُوسًا إِلَيْهَا﴾ الجمعة: ١١. فإن التجارة تجلبهم من جهة ربحها، واللُّهُو يجلبهم من جهة ميل النفس وعشوتها.

وأما البيع فهو مطلق المبادلة والمعاملة، سواء كانت رابحة أم لا، فالبيع يُلْهِى عن الذكر وليس بجاذب؛ وعلى هذا ذكر في الآية الأولى دون الثانية.

وقد تُطْلَق على المعاملة المعنوية: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الصف: ١١. ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ طاهر: ٢٩. ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَكَارَبَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ البقرة: ١٦.

قع^(١) - تَجَرَّ = سَازَمَ، سَاجَرَ، قَايَضَ، تَعَامَلَ، اسْتَأْجَرَ. (٣٦١: ١)

١...إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِجَارَةٍ خَاصِرَةٍ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ...

البقرة: ٢٨٢

الضَّحَّاك: «بِجَارَةٍ خَاصِرَةٍ» ما كان يدا بيد.

(الطبري ٣: ١٣٢)

السُّدِّي: أي معكم بالبلد تدبرونها، فتأخذ وتُطَي، فليس على هؤلاء جناح ألا يكتبوها. (١٦٨) الفراء: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِجَارَةٍ خَاصِرَةٍ» ترفع وتُصَبِّ. فإن شئت جعلت «تُدِيرُونَهَا» في موضع نصب فيكون له كان «مرفوع ومنصوب».

وان شئت جعلت «تُدِيرُونَهَا» في موضع رفع، وذلك أنه جائز في التكررات أن تكون أفعالها تامة لأسانها، لأنك تقول: إن كان أحد صالح ففلان، ثم تُلْقي «أحدهم» فتقول: إن كان صالح ففلان، وهو غير موقت، فصلح نعمته مكان اسمه؛ إذ كانا جميعًا غير معلومين.

ولم يصلح ذلك في المعرفة، لأن المعرفة موقوفة معلومة، وفعلها غير موافق لفظها ولا لمعناها.

فإن قلت: فهل يجوز أن تقول: كان أخوك القاتل، فترفع، لأن الفصل معرفة والاسم معرفة فترفع^(٢) للاتفاق، إذا كانا معرفة، كما ارتفعا للاتفاق في التكررة؟ قلت: لا يجوز ذلك، من قيل أن نعمت المعرفة دليل

(١) قاموس عربي - عربي.

(٢) أي المرفوعة.

عليها إذا حُصِلت، ونعت النكرة متصل بها كصلة
«الذي». [ثم استشهد بشعر وقال:]

ومثله في الكلام: ما كنا بتي حين كنت، تريد حين
صرت وجئت، فشككتي «كان» بالاسم. (١: ١٨٥)

الأخفش: أي تقع تجارة حاضرة. وقد يكون فيها
النصب على ضمير الاسم (إلا أن تكون تلك تجارة).

(١: ٣٩٠)

الطبري: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته
عامة قراء الحجاز والمراق، وعامة القراء: (إلا أن تكون
تجارة حاضرة) بالرفع.

وانفرد بعض قراء الكوفيين، فنقرأ بالنصب، وذلك
وإن كان جائزا في العربية، إذ كانت العرب تنصب
النكرات والمنعوتات مع «كان»، وتضم معها في «كان»
بمجهول، فتقول: إن كان طعاما طيبا فأنتا به، وتقول
فتقول: إن كان طعاما طيبا فأنتا به، فتشيع النكرة خبرها
بنيل إعرابها، فإن الذي اختار من القراءة، ثم لاستجير
القراءة بغيره، الرفع في التجارة الحاضرة، لإجماع القراء
على ذلك، وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم، ولا يعترض
بالشاذ على المجتهدة. [ثم استشهد بشعرين]

وإنما تقل العرب ذلك في النكرات، لما وصفنا من
إتباع أخبار النكرات أسماءها، وكان من حكمها أن
يكون معها مرفوع ومنصوب، فإذا رفعوها جميعها
تذكروا إتباع النكرة خبرها، وإذا نصبوها تذكروا
صحبة «كان» منصوب ومرفوع، ووجدوا النكرة يتبعها
خبرها، وأضمروا في «كان» بمجهول لاحتياجها الضمير.
وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك «إلا أن تكون

تجارة حاضرة» إنما قرأه على معنى: إلا أن يكون تجارة
حاضرة، فزعم أنه كان يلزم قارئ ذلك أن يقرأ
«يكون» بالياء، وأغفل موضع صواب قراءته من جهة
الإعراب، وألزمه غير ما يلزمه.

وذلك أن العرب إذا جعلوا مع «كان» نكرة مؤنثة
بعتها أو خبرها، أثبتوا «كان» مرة، وذكروها أخرى،
فقالوا: إن كانت جارية صغيرة فاشتروها، وإن كان
جارية صغيرة فاشتروها، تذكر «كان» وإن نصبت
النكرة المنعوتة أو رفعت أحيانا، وتوثت أحيانا.

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله: (إلا أن
تكون تجارة حاضرة) مرفوعة فيه «التجارة الحاضرة»،
لأن (تكون) بمعنى التهام، ولا حاجة بها إلى الخبر، بمعنى:
إلا أن توجد أو تقع أو تحدث، فالزم نفسه ما لم يكن لها
لازم، لأن (تكون) لا تلزم نفسه ذلك، إذا لم يكن يجد له «كان»
منصوبا، ووجد «التجارة الحاضرة» مرفوعة، وأغفل
جواز قوله: «تدبرونها يتكلم» أن يكون خبرا
له «كان»، فيستغني بذلك عن إلزام نفسه ما ألزم.

والذي قال من حكمنا قوله من البصريين غير خطأ
في العربية، غير أن الذي قلنا بكلام العرب أشبه، وفي
المعنى أصح، وهو أن يكون في قوله: «تدبرونها
يتكلم» وجهان:

أحدهما: أنه في موضع نصب على أنه حل محل خبر
«كان»، «التجارة الحاضرة» اسمها.

والآخر: أنه في موضع رفع على إتباع التجارة
الحاضرة، لأن خبر النكرة يتبعها، فيكون تأويله: (إلا أن
تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم. (٣: ١٣٢)

نحوه ملخصاً البهوي (١: ٣٩٥)، وابن الأباري (١: ١٨٢)، والعكبري (١: ٢٣١).

الزَّجَّاج: أكثر القراء على الرفع (تجارة حاضرة) على معنى: إلا أن تقع تجارة حاضرة، ومن نصب (تجارة) وهي قراءة عاصم، فالمعنى إلا أن تكون المدابة تجارة حاضرة. والرفع أكثر، وهي قراءة الناس.

فرخص الله عز وجل في ترك كتابة ما يدبرونه بينهم، لكثرة مانع المعاملة فيه، وأنه أكثر مانع المتاجرة بالشئ القليل، وإن وقع فيه الدين. (١: ٣٦٥) نحوه أبو زرعة (١٥١)، وابن الجوزي (١: ٣٣٩).

الفارسي: [ذكر اختلاف القراءة وأنها استعمال «كان» ثم قال:]

فأما موضع (أن) في قوله: «إلا أن تكون» فقصص المعنى: ولا تساموا كتابته إلا أن تكون تجارة حاضرة تدبرونها بينهم.

أي بدأ بيد لأجل فيه، فلا يحتاج في تباع ذلك إلى التوثق باكتساب الكتاب، ولا ارتضاء الزهن، لوقوع التقاض في المجلس، ومثل موضع «أن» هذه في نصب موضع التي في قوله: «إلا أن تكون تجارة عن تراضي منكم» النساء: ٢٩، فالعامل في قوله: (أن تكون) من قوله: «إلا أن تكون تجارة عن تراضي منكم»، قوله عز وجل: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُاطِلِ» النساء: ٢٩، بتوسط (إلا)، وكلا الاستثناءين منقطع.

وزعم سيبويه أنه قد نصب في القراءة «تجارة عن تراضي منكم» النساء: ٢٩.

فأما حجة من رفع فإنه جعل «كان» بمعنى وقع

وحدث، كأنه قال: إلا أن تقع تجارة حاضرة، ومثل ذلك في الرفع قوله: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ» البقرة: ٢٨٠، المعنى فيه على الرفع، وذلك أنه لو نصب فقل: وإن كان ذا عسرة، لكان المعنى: وإن كان المسترقي ذا عسرة فطرة، فتكون «النظرة» مقصورة عليه، وليس الأمر كذلك، لأن المسترقي وغيره إذا كان ذا عسرة فله النظرة.

الأتري أن المسترقي والمشتري وسائر من لزمه حق إذا كان يُعسرًا فله النظرة إلى الميسرة؟ فكذلك المعنى في قوله: (إلا أن تكون تجارة حاضرة)، إلا أن تقع تجارة حاضرة في هذه الاتيئة التي اقتضت، وأمر فيها بالتوثق بالشهادة والارتضاء، فلا جناح في ترك ذلك فيه، لأن الجفاف في بيع النساء والتأجيل، يؤمن في البيع بدأ بيد. [ثم استشهد بأشعار]

وأما وجه قول من نصب فقال: «إلا أن تكون تجارة حاضرة»، فالذي في الكلام الذي تقدمه مما يظن أنه يكون اسم كان مادل عليه: (تدائنتم)، من قوله: «إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِذَيْنِ»، (والحق) من قوله: «وَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا»، فلا يجوز أن يكون «التدائين» اسم كان، لأن حكم الاسم أن يكون المنبر في المعنى، والتدائين حق في ذمة المستدين، للمدين المطالبة به، فإذا كان ذلك لم يكن اسم كان، لأن «التدائين» معنى، والمنتصب يُراد به العين.

ومن حيث لم يجر أن يكون «التدائين» اسم كان، لم يجر أن يكون (الحق) اسمها، لأن الحق يُراد به الدين في قوله: «وَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ»، فكما لم يجر أن

يكون «التدوين» اسمها، كذلك لا يجوز أن يكون هذا في (الحق)، فإذا لم يجر ذلك لم يحل اسم كان من أحد الشئيين:

أحدهما: أن هذه الأشياء التي انقضت من الإسهاد والارتحان قد علم في فعواها التبايع، فأضر التبايع لدلالة الحال عليه، كما أضر لدلالة الحال فيها حكماء من قوله: إذا كان غدا فأتني.

أو يكون أضر التجارة، كأنه: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة. [ثم استشهد بمسما]

فإنما التجارة، فهي تقلب الأموال وتصرفها لطلب الثناء بذلك، وهو اسم حدث. واشتق التاجر منه، إلا أن المراد به في الآية المين، ولا يخلو وقرع اسم الحدث على هذا المعنى الذي وصفناه من أحد ثلاثة أشياء: إما أن يكون المراد: إلا أن يقع ذو تجارة، أي يحتاج ذو تجارة.

والآخر: أن يراد بالتجارة المتجر فيه، الذي هو حين، فيكون كقوله: هذا الدرهم ضرب الأمير، وهذا التوب نسج الين، أي مضروبه ومنسوجه، وكذلك ﴿لَتَبْلُوَنَّهُمْ﴾ بلن من الضبيد المائدة: ٩٤، أي المصيد، ألا ترى أن الأيدي والزجاج إنما تبالان الأعيان، والثالث: أن يوصف بالمصدر، فيراد به المين، كما يقال: عدل ورضي، يراد به عادل ومرضي، وعلى هذا قالوا: عدلته، لما جعلوه الشيء بعينه.

وليس هذا كالوجه الذي قبله، لأن ذلك مصدر يراد به المفعول. وليس هذا مقصورا على المفعول، فالمراد بالمصدر الذي هو تجارة: المروض وطيرها مما يتقايش،

يُبين ذلك وصفها بالحضور وبالإدارة بيننا، وهذا من أوصاف الأعيان. والاسم المشتق من هذا الحدث يجري مجرى الصفات الغالبة، ولذلك كثر تكبيرها في قوهم: تاجر وتجار، كما قالوا: صاحب وصحاب، وراع ورياء. [ثم استشهد بمسما]

نحوه ابن عطية. (٢: ٤٣٦)

المأزدي: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن «الحاضرة» ماضية، ولم يدخله أجل في مبيع ولا نهن.

والثاني: أنها مأجوزة المشتري من المروض المنقولة.

(١: ٣٥٧)

نحو أبو حيان. (٢: ٣٥٢)

الطوسي: استثناء من جملة ما أمر الله بكتابه والإسهاد عليه عند التبايع، فاستثنى منه يدأ بيد، فإنه لا يحتاج إلى الكتابة ولا الإسهاد عليه، والأول يحتاج إليه، على خلاف في كونه ندبا أو وجوبا، كما ذكرناه.

(٢: ٣٧٨)

الزمخشري: فإن قلت: ما معنى «تجارة حاضرة»

وسواء كانت المجاعة بدية أو بين فالتجارة حاضرة، وما معنى إدارتها بينهم؟

قلت: أريد بالتجارة: ما يتجر فيه من الأبدال.

ومعنى إدارتها بينهم: تعاطيهم إياها يدأ بيد، والمعنى: إلا أن تبايعوا بيما تاجر يدأ بيد، فلا بأس أن لا تكتبوه، لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التدوين.

وقرى (تجارة حاضرة) بالرفع على «كان» القائمة.

وقيل: هي الناقصة على أن الاسم (تجارة حاضرة) والخبر (تُدِيرُونَهَا)، وبالتالي: «إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة». [تم استشهد بهمر] (١: ١٠٤) نحوه الميبدني (١: ٧٧٦)، وأبو الفتح (٤: ١٣٦)، والنسفي (١: ١٤١).

الطبرسي: [نحو أبي ذرعة، إلا أنه قال:]

وأما من نصب (تجارة حاضرة) فيكون على غير «كان»، ولم يخل اسم كان من أحد شيئين: أحدهما: أن يكون ما يقتضيه الكلام من الإشهاد والارتكان، فدل علم من فعواء التابع، فأضر التابع لدلالة الحال عليه كما

يقال: إذا كان غداً فأتني. والآخر: أن يكون أضمر التجارة، فكأنه قال: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة. [تم استشهد بهمر]

الفخر الرازي: فيه مسائل:

المسألة الأولى: (إلا) فيه وجهان: أحدهما: أنه

استثناء متصل، والثاني: أنه منقطع.

أما الأول ففيه وجهان:

الأول: أنه واجع إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِذَيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوا﴾ البقرة: ٢٨٢، وذلك لأن البيع بالتدين قد يكون إلى أجل قريب، وقد يكون إلى أجل بعيد، فلما أمر بالكتابة عند المداينة، استثنى عنها ما إذا كان الأجل قريباً، والتقدير: إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، (إلا أن يكون الأجل قريباً، وهو المراد من التجارة الحاضرة).

والثاني: أن هذا استثناء من قوله: ﴿وَلَا تَسْلُوا أَنْ

تَكْتُبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾.

وأما الاحتمال الثاني، وهو أن يكون هذا استثناء منقطعاً بالتقدير: لكنه إذا كانت التجارة حاضرة تدبرونها بينكم، فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها. فهذا يكون كلاً مستأنفاً، وإثماً رخص تعالى في تركه الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة. لكثرة ما يجري بين الناس، فلو تكلف فيها الكتابة والإشهاد لثقل الأمر على الخلق، ولأنه إذا أخذ كل واحد من المتعاملين حقه من صاحبه في ذلك المجلس، لم يكن هناك خوف التجاحد، فلم يكن هناك حاجة إلى الكتابة والإشهاد.

المسألة الثانية: قوله: (أَنْ تُكُونُ) فيه قولان:

أحدهما: أنه من «الكون» بمعنى الحدوث والوقوع، كما ذكرناه في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾.

والثاني: قال القراء: إن شئت جعلت (كان) هاهنا ناقصة على أن الاسم (تجارة حاضرة) والخبر (تُدِيرُونَهَا)، والتقدير: إلا أن تكون تجارة حاضرة دائمة بينكم. [تم قال نحو الفارسي في توجيه القراءة]

المسألة الرابعة: التجارة: عبارة عن التصرف في المال، سواء كان حاضراً أو في الذمة لطلب الربح، يقال: تاجر الرجل يتجر تجارة فهو تاجر. واعلم أنه سواء كانت المداينة بدين أو بعين، فالتجارة تجارة حاضرة، فتقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تُكُونُ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ البقرة: ٢٨٢، لا يمكن حمله على ظاهره، بل المراد من التجارة: ما يتجر فيه من الإبدال.

ومعنى إدارتها بينهم: معاملتهم فيها بدءاً بيد، ثم قال: ﴿فَلْيَسْ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ لَا تَكْتُبُوهَا﴾ معناه

وعود الضمير في مثل ذلك على متأخر لفظاً ورتبة جار
في فصيح الكلام.

وقال بعضهم: يعود إلى المدائنة والمعاملة المفهومة
من الكلام، وعليه فالتجارة مصدر ثلثاً يلزم الإخبار عن
المعنى بالعين، ورفعها الباقيون على أنها أسم (تَكُونُ)
والخبر جملة (تُدِيرُونَهَا)، ويجوز أن تكون تامة فجملة
(تُدِيرُونَهَا) صفة. (٦١: ٣)

مكارم الشيرازي: «التجارة الحاضرة» تعني
التعامل التقدي، و(تُدِيرُونَهَا) تعني الجارية في التداول،
لتوضيح معنى التجارة الحاضرة. (٢٥٦: ٢)

البرهان في الذين أمثروا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالتأويل إلا أن تكون بحارة عن تراخي منكم...

الهاء: ٢٩

ابن عثام: إلا أن يترك بعضكم على بعض في
الشراء والبيع والهاياة «عن تراخي». (٦٩)

فتادة: التجارة: رزق من رزق الله، وحلال من
حلال الله، لمن طلبها بصدقها وبرها. وقد كنا نحدث أن
التاجر الأمين الصدوق، مع السبعة في ظل العرش يوم
القيامة. (الطبري ٥: ٣٢)

سبيويه: إذا قلت: آتوني إلا أن يكون زيد،
فالرفع جند بالغ، وهو كثير في كلام العرب، لأن
«يكون» صلة لأن» وليس فيها معنى الاستثناء، و«أن
يكون» في موضع اسم مستثنى، كأنك قلت: يأتونك إلا
أن يأتيك زيد.

والدليل على أن (تَكُونُ) ليس فيها هنا معنى

لامضرة عليكم في ترك الكتابة، ولم يرد: الإثم عليكم،
لأنه لو أراد «الإثم» لكانت الكتابة المذكورة واجبة
عليهم، ويأثم صاحب الحق بتركها، وقد ثبت خلاف
ذلك. (١٢٥: ٧)

نحوه ملخصاً التيسابوري:
الشريعتي: وهي تعم المباينة بدين أو عين.

(١٨٨: ١)

أبو السعود: استثناء منقطع من الأمر بالكتابة، أي
لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة
بحضور البدين، تدبرونها بينكم بتعاطفها يداً بيد.

(٣٢١: ١)

مثله البروسوي (٤٤١: ١)، ونحوه الحائري (٤٤٦: ٢).

الألوسي: استثناء منقطع من الأمر بالكتابة. فقول

تعالى: ﴿فَلْيَتَكَلَّمْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْقَدْلِ﴾ البراءة: ٢٨٦
إلى هنا جملة معترضة بين المستثنى والمستثنى منه، أي
لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة
بحضور البدين، تدبرونها بينكم بتعاطفها يداً بيد، كذا
قيل.

وفي «الدر المصون» يجوز أن يكون استثناء متصلاً
من «الاستشهاد» فيكون قد أمر بالاستشهاد في كل
حال، إلا في حال حضور التجارة.

وقيل: إنه استثناء من هذا وذاك وهو منقطع أيضاً،
أي لكن التجارة الحاضرة يجوز فيها عدم الاستشهاد
والكتابة، وقيل: غير ذلك، ولعل الأول أولى.

ونصب عاصم (تجارة) على أنها خبر (تَكُونُ)،
واسمها مستتر فيها يعود إلى التجارة، كما قال الفراء.

الاستثناء أن ليس وعدا وخلا، لا يقين هاهنا.

ومثل الرفع قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ وبعضهم ينصب، على وجه النصب في لا يكون، والرفع أكثر. (٣٤٩: ٢)

ابن قتيبة: مثل المضاربة، والمقارضة في التجارة، فيأكل بضعكم مال بعض، عن تراض. (١٢٥)

الطبري: [حكى القرائين: قراءة الرفع عن أكثر أهل المجاز وأهل البصرة، وقراءة النصب عن عامة قراء الكوفة، ثم قال:]

وكلتا القراءتين عندنا صواب، جائز القراءة بهما، لاستفاضتهما في قراءة الأمصار، مع تقارب معانيهما، غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن قراءة ذلك بالنصب أعجب إلي من قراءته بالرفع، لقوة النصب من وجهين: أحدهما: أن في (تكون) ذكرا من الأموال، والآخر: أنه لو لم يجعل فيها ذكرا منها، ثم أفردت بالتجارة وهي نكرة، كان فصيحاً في كلام العرب النصب، إذ كانت مبنية على اسم وخبر، فإذا لم يظهر معها إلا نكرة واحدة، نصبوا ورفضوا. [ثم استشهد بشعر]

ففي هذه الآية إبانة من الله تعالى ذكره من تكذيب قول الجهمية من المستوفقة المنكرين طلب الأقوات بالتجارات والصناعات، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَالِغًا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾، اكتساباً أحل ذلك لهم. (٣١: ٥)

الزجاج: للمعنى: إلا أن تكون الأموال تجارة، ومن قرأ (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً) فعناء: إلا نفع تجارة.

(٤٤: ٢)

نحوه أبو زرعة. (١٩٩)

الخصاص: وأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً

عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ اقتضى إباحة التجارات الواقعة عن تراض.

والتجارة: اسم واقع على عقود المعاوضات المقصود بها طلب الأرباح.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فسمي «الإيمان» تجارة على وجه المجاز، تشبيهاً بالتجارات المقصود بها الأرباح، وقال تعالى: ﴿تَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾.

كما سمي بذل النفوس لجهاد أعداء الله تعالى «شرى» قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التوبة: ١١١، فسمي بذل النفوس شراة على وجه المجاز.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَائٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٠٢، فسمي ذلك بيعاً وشراة على وجه المجاز، تشبيهاً بعقود الأشرية والبياعات التي تحصل بها الأعراض.

كذلك سمي الإيمان بالله تعالى تجارة، لما استحق به من الثواب الجزيل والأبدال المسببة، فتدخل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ عقود البياعات والإيجارات والمضاربات المشروطة فيها الأعراض، لأن المتبني في جميع ذلك في حاديات الناس

تحصيل الأحوال لا غير.

ولا يسمى «التكاح» تجارة في المرفق والمادة، إذ ليس المبتني منه في الأكثر الأعمّ تحصيل عوض الذي هو مهر، وإنما المبتني فيه أحوال الزوج من الصلاح والعقل والدين والشرف والجاه ونحو ذلك، فلم يسمى تجارة هذا المعنى.

وكذلك الخلع والعق على مال، ليس يكاد يسمى شيء من ذلك تجارة، [ثم ذكر حكم المأذون له في التجارة أنه لا يزوّج أمته وعبد ولا يكتب ولا يمتق ونحوها فلاحظ]. (١٧٢: ٢)

القالبية: الاستثناء منقطع، المعنى: لكن إن كانت تجارتها فكلوها. (١٧٤: ١)

نحوه الخازن. (٤٤٨: ١)

القيسي: من رفع، جمل «كان» ثامة بمعنى «وقع» ومن نصب جعلها خبر «كان»، وأضر في «كان» اسمها، تقديره: إلا أن تكون الأموال أموال تجارة، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وقيل: تقديره: إلا أن تكون التجارة تجارة، والتقدير الأول أحسن. لتقدم ذكر الأموال.

و(أن) في قوله: (إلا أن) في موضع نصب على الاستثناء المنقطع، ومثل (تجارة) قوله: «وإن نفق حسنة» النساء: ٤٠، في الرفع والتصب. (١٨٨: ١) نحوه الميمني (٢: ٤٨٠)، والطبرسي (٢١: ٣٦)، والزائدي (٢: ٤١)، وابن الأنباري (١: ٢٥٦).

الطوسي: فيه دلالة على جلال قول من حرّم المكاسب، لأنه تعالى حرّم أكل الأموال بالباطل، وأحلّه

بالتجارة على طريق المكاسب، ومثل قوله: «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزُّبْنَ» البقرة: ٢٧٥.

وقيل في معنى التراضي بالتجارة قولان: أحدهما: إضاء البيع بالتراضي، أو بالتخاير بعد العقد، في قول شريح، وابن سيرين، والشمسي، لقوله ﷺ: «البَّيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَرَكَاهُ»، أو يكون بيع خيار، وربما قالوا: أو يقول أحدهما للآخر: اختر، وهو مذهبنا.

الثاني: إضاء البيع بالعقد - على قول مالك بن أنس وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد - بحلّة ردّه إلى عقد التكاح، ولا خلاف أنه لا خيار فيه بعد الاتفاق.

وقيل: معناه إذا تناوبا فيه مع التراضي فإنه جائز. (١٧٩: ٣)

نحوه الطبرسي. (٣٧: ٢)

الرّمخسري: [نحو القيسي ثم أضاف:] وخصّ التجارة بالذكر، لأن أسباب الرّزق أكثرها متعلّق بها. (٥٢٢: ١)

ابن عطية: هذا استثناء ليس من الأوّل، والمعنى: لكن إن كانت تجارة فكلوها، [ثم نقل القرائتين - بالرفع والتصب - وقال:]

وهما قولان قويان، إلا أن تمام «كان» يترجّح عند بعض، لأنها صلة لـ(أن)، فهي معطوفة عن درجتها إذا كانت سليمة من صلة وغيرها، وهذا ترجيح ليس بالقوي، ولكنه حسن. [ثم أدام نحو القيسي وأضاف:] والاستثناء منقطع في كل تقدير، وفي قراءة الرفع. (٤١: ٢)

ابن العربي: التجارة في اللغة: عبارة عن المعاوضة، ومنه: الأجر الذي يطيه البارئ عوضاً عن الأعمال الصالحة التي هي بعض من فضله، فكل معاوضة تجارة على أي وجه كان العرض، إلا أن قوله: ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ أخرج منها كل عوض لا يجوز شرعاً من ربا أو جهالة، أو تقدير عوض فاسد كالخمر والمخزير ووجوه الربا، حسباً تقدم بيانه.

فإذا ثبت هذا فكل معاوض إنما يطلب الربح، إما في وصف العوض أو في قدره، وهو أمر يقتضيه القصد من التاجر لالفظ التجارة. [إلى أن قال:]

المسألة الرابعة: لما شرط العوض في أكل المال وصارت تجارة، خرج منها كل عقد لا عوض فيه يخرج عن المال، كالهبة والصدقة، فلا يتناول مطلق اللفظ وجازت عقود البيوعات بأدلة أخر من القرآن والسنة على ما عرفت، ويأتي ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

المسألة الخامسة: [بحث فيها من الربح]

المسألة السادسة: قال عكرمة والحسن البصري وغيرهما: خرج عن هذه الآية التبرعات كلها، وإنما جواز الشرع التجارة، وبقي غيرها على مقتضى النهي حتى نسخها قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا...﴾ التور: ٦١، وهذا ضعيف جداً، فإن الآية لم تقتض تحريم التبرعات، وإنما اقتضت تحريم المعاوضة الفاسدة، وقد بينا ذلك في القسم الثاني من التاسخ والنسخ.

(٤٠٨: ١)

الفخر الرازي: قوله: (إلا فيه وجهان:

الأول: أنه استثناء منقطع، لأن التجارة من تراخ

ليس من جنس أكل المال بالباطل، فكان (إلا) هاهنا بمعنى «بل»، والمعنى: لكن يحل أكله بالتجارة عن تراخ. الثاني: إن من الناس من قال: الاستثناء متصل وأضر شيئاً، فقال: التقدير: لا تأكلوا أموالكم بهنكم بالباطل، وإن تراضيتهم كالزبا وغيره، إلا أن تكون تجارة عن تراخ.

واعلم أنه كما يحل المستفاد من التجارة، فقد يحل أيضاً المال المستفاد من الهبة والوصية والإرث وأخذ الصدقات والمهر وأروش الجنائيات، فإن أسباب الملك كثيرة سوى التجارة.

فإن قلنا: إن الاستثناء منقطع فلا إشكال، فإنه تعالى ذكر هاهنا شيئاً واحداً من أسباب الملك، ولم يذكر سائرها، لا بالتقي ولا بإتيان.

وإن قلنا: الاستثناء متصل كان ذلك حكماً بأن غير التجارة لا يفيد الحل، وعند هذا لا بد إما من التسخير أو التخصيص.

العكبري: الاستثناء منقطع ليس من جنس الأول. وقيل: هو متصل، والتقدير: لا تأكلوها بسبب إلا أن تكون تجارة. وهذا ضعيف، لأنه قال: (بالباطل)، والتجارة ليست من جنس الباطل. وفي الكلام حذف مضاف، أي إلا في حال كونها تجارة، أو في وقت كونها تجارة، [ثم ذكر نحو القيسي] (٣٥١: ١)

الرازي: فإن قيل: كيف خص التجارة بالذكر... مع أن الهبة والصدقة والوصية والضيافة وغيرها تقتضي الحل أيضاً كالتيجارة؟

قلنا: إنما خصها بالذكر، لأن معظم تصرف الخلق في

الأموال إنما هو بالتجارة، أو لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها. (٤٦)

القرطبي: هنا مسائل... [ذكر نحو القيسي ثم قال:] الثالثة: قوله تعالى: (تِجَارَةً) التجارة في اللغة: عبارة عن المعاوضة، ومنه الأجر الذي يُعطيه الباري سبحانه العبد عوضًا عن الأعمال الصالحة التي هي بعض من فعله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الصَّف: ١٠. وقال تعالى: ﴿يُزْجَوْنَ تِجَارَةً تَنْ تَبُورَ﴾ فاطر: ٢٩. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ التوبة: ١١١. فسُمي ذلك كله بيعًا وشراءً على وجه المجاز، تشبيهًا بعقود الأتربة والبياعات التي تحصل بها الأعراس، وهي نوحان:

تقلب في المضمر من غير نقلة ولا سفر، وهذا تركيبي واحتكار قد رغب عنه أولو الأقدار، وزهد فيه ذوو الأخطار.

والثاني: تقلب المال بالأسفار ونقله إلى الأمصار، فهذا أليق بأهل المروءة، وأهم جدوى ومنفعة، غير أنه أكثر خطرًا وأعظم ضررًا. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمَسَافِرَ وَمَالَهُ لَعَلٌّ فَلْتٌ إِلَّا مَا وَقَّعَ» يعني على خطر. وقيل: في التوراة يابن آدم، أحدث سفرًا أحدث لك رزقًا.

الرابعة: اعلم أن كل معاوضة تجارة على أي وجه كان العوض، إلا أن قوله: (بِالْبَاطِلِ) أخرج منها كل عوض لا يجوز شرعًا من ربا أو جهالة، أو تقدير عوض فاسد كالخمر والتخزير وغير ذلك، وخرج منها أيضًا كل

عقد جائز لا عوض فيه، كالقرض والصدقة والهبة لاكتساب. وجازت عقود التبرعات بأدلة أخرى مذكورة في مواضعها، فهذان طرفان متفق عليهما.

وخرج منها أيضًا: دهاء أخيك إتياله إلى طعامه، روى أبو داود عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٢٩ فكان الرجل يخرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما زلت هذه الآية، فنسخ ذلك بالآية الأخرى التي في «التور» فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ وَلَا عَلَى النَّفْسِ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْنِكُمْ﴾ إلى قوله: (أَشْتَاتًا) فكان الرجل الفني يدعو الرجل من أهله إلى طعامه، فيقول: «إِنِّي لَا جُنْحَ أَنْ أَكُلَ مِنْهُ» والتجنع: الحرج. ويقول: «لَيْسَ عَلَى الْمُسْكِينِ حَقٌّ بِهِ مِنِّي» فأحل في ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وأحل طعام أهل الكتاب.

الخامسة: لو اشتريت من السوق شيئًا، فقال لك صاحبه قبل الشراء: ذقه وأنت في حل، فلا تأكل منه، لأن إذنه بالأكل لأجل الشراء، فربما لا يقع بينكما شراء، فيكون ذلك الأكل شبهة، ولكن لو وصف لك صفة فاشتريته، فلم تجده على تلك الصفة، فأنت بالخيار.

السادسة: والجمهور على جواز الغبن في التجارة، مثل أن يبيع رجل ياقوتة بدرهم وهي تساوي مائة، فذلك جائز، وأن المالك الصحيح المالك جائز له أن يبيع ماله الكثير بالتافه اليسير. وهذا ما لا اختلاف فيه بين العلماء، إذا عرف قدر ذلك، كما تجوز الهبة لو وهب.

واختلفوا فيه إذا لم يعرف قدر ذلك، فقال قوم: عرف قدر ذلك أو لم يعرف فهو جائز، إذا كان رشيداً حراً بالغاً.

وقالت فرقة: التبن إذا تجاوز الثلث مردود، وإنما أصبح منه المستقارب المستعارف في التجارات، وأما المتفاضل الفادح فلا، وقاله ابن وهب من أصحاب مالك رحمه الله.

والأول: أصح، لقوله ﷺ في حديث الأمة الزانية: فليبها ولو بضعير، وقوله ﷺ لأمير: لا تبغ - يعني القرس - ولو أعطاك بدرهم واحد، وقوله ﷺ: «دعوا الناس يبرزق الله بعضهم من بعض»، وقوله ﷺ: «لا تبغ حاضر لباد»، وليس فيها تفصيل بين القليل والكثير من ثلث ولا غيره.

النسفي: [ذكر نحو الزمخشري وأضاف:] والآية تدل على جواز البيع بالتعاطي، وعلى جواز البيع الموقوف، إذا وجدت الإجازة لوجود الرضا، وعلى نفي خيار المجلس، لأن فيها إباحة الأكل بالتجارة عن تراض، من غير تقييد بالتفرق عن مكان المقد، والتقييد به زيادة على النص.

أبو حنيفة: هذا استثناء منقطع لوجهين. أحدهما: أن التجارة لم تندرج في الأموال المأكوفة بالباطل فتستثنى منها، سواء أفسدت قوله: (بالباطل) بغير عوض، كما قال ابن عباس، أم بغير طريق شرعي، كما قاله غيره.

والثاني: أن الاستثناء إنما وقع على الكون، والكون معنى من المعالي ليس مالاً من الأموال، ومن ذهب إلى

أنه استثناء متصل بغير مصيب لما ذكرناه، وهذا الاستثناء المنقطع لا يدل على المحصر في أنه لا يجوز أكل المال إلا بالتجارة فقط، بل ذكر نوع غالب من أكل المال به وهو التجارة، إذ أسباب الرزق أكثرها متعلق بها. [إلى أن قال:]

والتجارة اسم يقع على عقود المعاوضات المقصود منها طلب الأرباح، و(أن تكون) في موضع نصب، أي لكن كون تجارة من تراض غير منهى عنه، [ثم أدام نحو القيسي وأضاف:]

وقال سفي بن أبي طالب: الأكثر في كلام العرب أن قولهم: (إلا أن تكون) في الاستثناء بغير ضمير فيها على معنى يحدث أو يقع، وهذا يخالف لاختيار أبي حنيفة، [ثم نقل قول ابن عطية وأضاف:]

ويحتاج هذا الكلام إلى فكر، ولعلّه نقص من النسخة شيء يتضح به هذا المعنى الذي أراده، و(عن تراض) صفة لـ (التجارة) أي تجارة صادرة عن تراض.

نحوه ملخصاً أبو السعود (٢: ١٢٨)، والبروسوي (٢: ١٩٥).

ابن كثير: قرئ (تجارة) بالرفع وبالنصب، وهو استثناء منقطع، كأنه يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها، وتسيبوا بها في تحصيل الأموال، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وكقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ الدخان: ٥٦.

ومن هذه الآية الكريمة احتج القاضي حلي أنه لا يصح البيع إلا بالقبول، لأنه يدل على التراضي نفيًا، بخلاف المعاوضة، فإنها قد لاتدل على الرضا... [ثم ذكر مخالفة الجمهور في ذلك، ونقل أقوال الفقهاء في بعض شرائط البيع وأحكام المعاوضة، فراجع:] (٢: ٢٥٣) الألويسي: [نحو الرخصتري وأضاف:]

وجوز أن يراد بها انتقال المال من الغير بطريق شرعي، سواء كان تجارة أو إرفاقًا أو هبة، أو غير ذلك من استعمال الخاص وإرادة العام.

وقيل: المقصود بالثبي: المنع عن صرف المال فيها لإرضاء الله تعالى، وبالتجارة: صرفه فيها يرضاء، وهذا أبعد مما قبله.

محمد عبده: قالوا إن الآية دليل على تحريم ما عدا ربح التجارة من أموال الناس - أي كالهديّة ولطيفة... نسخ ذلك بآية التور المبيحة للإنسان أن يأكل من بيوت أقاربه وأصدقائه، وهو اقتراء على الذين لأصل له - أي لم تصح روايته عن عمن عزي إليه - إذ لا يعقل أن تكون «الهبة» محرمة في وقت من الأوقات ولا مافي معناها كإفراء الضيف، وإنما يكون التحريم فيها يمنع فيه صاحب المال، فيؤخذ بدون رضاه أو بدون علمه، مع العلم أو الظن بأنه لا يسمع به.

وإنما استثنى الله التجارة من عموم الأموال التي يجري فيها الأكل بالباطل، أي بدون مقابل، لأن معظم أنواعها يدخل فيها الأكل بالباطل، فإن تحديد فيحة الشيء وجعل عوضه أو ثمنه على قدره بقسطاس الحق المستقيم عزيز وعسير إن لم يكن محالًا.

فالمراد من الاستثناء: التسامح بما يكون فيه أحد الموضين أكبر من الآخر، وما يكون سبب التعاوض فيه براعة التاجر في تزيين سلعته وترويجها بزخرف القول، من غير غش ولا خداع ولا تفرير كما يقع كثيرًا، فإن الإنسان كثيرًا ما يشتري الشيء من غير حاجة شديدة إليه، وكثيرًا ما يشتريه بشئ يعلم أنه يمكن إتياعه بأقل منه من مكان آخر، ولا يكون سبب ذلك إلا خلاصة التاجر وزخرفته، وقد يكون ذلك من المحافظة على الصدق وإتقاء التفرير والفش، فيكون من باطل التجارة المحاصلة بالتراضي، وهو المستثنى.

والحكمة في إباحة ذلك الترخيب في التجارة، لشدة حاجة الناس إليها، وتنبه الناس إلى استعمال ما أوتوا من التفكير والحكمة في اختيار الأشياء، والتدقيق في المعاملة، حتى لا يؤولوا إلى جعلها الله لهم قياتًا أن يذهب شيء منها بالباطل، أي بدون منفعة تقابلها.

فصل هذا يكون الاستثناء متصلًا، خرج به الربح الكبير الذي يكون بغش وغل ولا تفرير، بل بتراض لم تنخدع فيه إرادة المخبون، ولو لم يبيع مثل هذا لما رغب في التجارة، ولا اشتغل بها أحد من أهل الذين على شدة حاجة العمران إليها وعدم الاستغناء عنها؛ إذ لا يمكن أن تبارى لهم فيها مع التضييق في مثل هذا.

وقد شعر الناس منذ العصور الخالية بما يلبس التجارة من الباطل، حتى إن اليونانيين جعلوا للتجارة والسرقة إلهًا أو ربًا واحدًا، فيما كان عندهم من الآلهة والأرباب، لأنواع الخلوقات وكماليات الأخلاق والأعمال.

وقد علمت أن الجمهور على أن الاستثناء منقطع، أي إن المقام مقام الاستدراك للاستثناء، والمعنى: لا تكونوا من ذوي الخُطَم الذين يأكلون أموال الناس بغير مقابل لها من عين أو منفعة، ولكن كلوها بالتجارة التي قوام الحِلِّ فيها التراضي، فذلك هو اللاتق بأهل الدين والمروءة، إذا أرادوا أن يكونوا من أهل الدُّور والثروة.

وقال البقاعي: إن الاستدراك لا يجيء في النظم البليغ بصورة الاستثناء، أي الذي يستقونه الاستثناء المنقطع إلا لنكتة. وقال: إن النكتة هنا هي الإشارة إلى أن جميع ما في الدنيا من التجارة وما في معناها من قبيل الباطل، لأنه لا ثبات له ولا بقاء، فينبغي أن لا يشتغل به العاقل عن الاستعداد للدَّار الآخرة التي هي خير وأبقى. وفي الآية من القوائد أن مدار حلِّ التجارة عن تراضي المتبايعين، والقَس والكذب من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، وكل ما يشترط في البيع عند الفقهاء فهو لأجل تحقيق التراضي من غير عَشٍّ، وما عدا ذلك فلا علاقة له بالدين. [ثم حكى عن البقاعي كلاماً في أن التَّهي عن إتلاف النفس كالتهي عن إتلاف المال، فلاحظ]. (٤٢: ٥)

التراضي: أي لا تكونوا من ذوي الأَطْباع الذين يأكلون أموال الناس بغير مقابل لها من عين أو منفعة، ولكن كلوها بالتجارة التي قوام الحِلِّ فيها التراضي؛ وذلك هو اللاتق بأهل المروءة والدين، إذا أرادوا أن يكونوا من أرباب الثراء.

وفي الآية إيماء إلى وجوه شتى من القوائد:

- ١- أن مدار حلِّ التجارة على تراضي المتبايعين، فالقَس والكذب والتدليس فيها من المحرمات.
- ٢- أن جميع ما في الدنيا من التجارة وما في معناها من قبيل الباطل الذي لا بقاء له ولا ثبات، فلا ينبغي أن يشتغل العاقل عن الاستعداد للآخرة التي هي خير وأبقى.
- ٣- الإشارة إلى أن معظم أنواع التجارة يدخل فيها الأكل بالباطل، فإن تحديد قبة الشيء، وجعل ثمنه على قدره بالقسط المستقيم يكاد يكون مستحيلاً، ومن ثم يجري التسامح فيها إذا كان أحد العوضين أكبر من الآخر. [ثم ذكر بقية الكلام نحو محمد عبده] (١٧: ٥) سبب قطب: وهو استثناء منقطع، تأويله: ولكن إذا كانت تجارة عن تراضي منكم فليست داخلية في النص السابق. ولكن يجبها هكذا في السياق القرآني، يوحى بخرج من الملازمة بينها وبين صور التعامل الأخرى، التي توصف بأنها أكل لأموال الناس بالباطل، وتذكر هذه الملازمة إذا استصعبنا ماورد في آيات التَّهي عن الرِّبا - في سورة البقرة - من قول المرابين في وجهه تحريم الرِّبا: ﴿إِنَّمَا التَّبِيعُ مِثْلُ الزُّنُوبِ﴾ البقرة: ٢٧٥. ورد الله عليهم في الآية نفسها: ﴿وَأَعْلَىٰ اللَّهُ التَّبِيعَ وَحَرَّمَ الزُّنُوبَ﴾ البقرة: ٢٧٥. فقد كان المرابون يغالطون، وهم يدافعون عن نظامهم الاقتصادي الملعون، فيقولون: إن البيع - وهو التجارة - تنشأ عنها زيادة في الأموال وديع، فهو - من ثم - مثل الرِّبا، فلامعنى لإحلال البيع وتحريم الرِّبا.

والفسق بعيد بين طبيعة العمليات التجارية والعمليات الربوية أولاً، وبين الخدمات التي تؤدّيها التجارة للصناعة وللجهايز، والبلاء الذي يصبه الرِّبا

على التجارة وعلى الجاهير.

فالتجارة وسيط نافع بين الصناعة والمستهلك ؛
تقوم بترويج البضاعة وتسويقها؛ ومن ثمّ تمّحّنها
وتيسير الحصول عليها معاً، وهي خدمة للطرفين،
وانتفاع عن طريق هذه الخدمة، انتفاع يعتمد كذلك على
المهارة والجهد، ويستعرض في الوقت ذاته للربح
والخسارة.

والرّبا على الضّد من هذا كلّهُ، يُثقل الصناعة
بالقوائد الرّبويّة التي تضاف إلى أصل التكاليف، ويُثقل
التجارة والمستهلك بأداء هذه القوائد التي يفرضها على
الصناعة. وهو في الوقت ذاته - كما تجلّى ذلك في النظام
الرّأسمالي عندما بلغ أوجه - يوجّه الصناعة والاستثمار
كلّهُ وجهة لامتزاج فيها لصالح الصناعة، وللصّانع
الجاهير المستهلك، وإيّا الهدف الأوّل فيها زيادة الربح
للفداء بقوائد القروض الصناعيّة، ولو استهلكت
الجاهير موادّ التّرف ولم تجد الضروريّات! ولو كان
الاستثمار في أحطّ المشروعات المثيرة للفراغ، المعطمة
للحيان الإنسانيّ.

وفوق كلّ شيء، هذا الرّبح الدائم لرأس المال،
وعدم مشاركته في نوبات الخسارة - كالتجارة - وقلة
اعتماده على الجهد البشريّ الذي يبذل حقيقة في
التجارة، إلى آخر قائمة الاتهام السوداء التي تعبط بعق
النظام الرّبوي، وتقتضي الحكم عليه بالإعدام؛ كما حكم
عليه الإسلام.

فهذه الملازمة بين الرّبا والتجارة، هي التي لمّاها
جعلت هذا الاستدراك، «إلا أنّ تكون تجارة عن تراخي

بينكم» يحمي عقيب النّهي عن أكل الأموال بالباطل،
وإن كان إثناء منقطعاً كما يقول التّحويّون.

(٢: ٦٣٩)

الطّبائبيّ: في الآية شبه اتصال بما سبقتها؛
حيث إنّها تتضمن النّهي عن أكل المال بالباطل، وكانت
الآيات السابقة متضمنة للنّهي عن أكل مهور النساء
بالمضل والتّمدي، ففي الآية انتقال من المخصوص إلى
العموم. [إلى أن قال:]

وفي تبييد قوله: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم» بقوله:
«بينكم» الدّالّ على نوع تجمّع منهم على المال،
وقرّعه في وسطهم إشعاراً أو دلالة بكون الأكل المنهي
عنه ينحو إدارته فيما بينهم، ونقله من واحد إلى آخر
بالشّورى والتّداول، فتبيد الجملة أعني قوله: «لَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم» بعد تبييدها بقوله: «بِالْبَاطِلِ» النّهي
عن المعاملات النّافلة التي لا تسوق المجتمع إلى سعادته
ونجاحه، بل تضرّها وتجزّأها إلى الفساد والهلاك، وهي
المعاملات الباطلة في نظر الدّين كالرّبا والقمار، والبيع
الفرّية كالبيع بالمحصاة والنّواة، وبما شبه ذلك.

وعلى هذا فالاستثناء الواقع في قوله: «إلا أنّ
تكون تجارة عن تراخي بينكم»، استثناء منقطع، جيء
به لدفع الدّخل، فإنّه لما نهى عن أكل المال بالباطل -
ونوع المعاملات الدّائرة في المجتمع الفاسد التي يتحقّق
بها الثّقل والانتقال الماليّ كالرّبويّات والفرديّات والقمار
وأضرارها باطلة بنظر الشّرع - كان من الجائز أن يتوهم
أنّ ذلك يوجب انهزام أركان المجتمع وتلاشي أجزائها،
وفيهِ هلاك النّاس.

فأجيب عن ذلك بذكر نوع معاملة في وسعها أن
تتظم شتات المجتمع، وتقيم صلبه، وتحفظه على
استقامته، وهي التجارة عن تراض، ومعاملة صحيحة
راضة لحاجة المجتمع، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ
لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿
الشراء: ٨٨، ٨٩. فإنه لما نفي النفع عن المال والبنين يوم
القيامة أمكن أن يتوهم أن لأعاج يومئذ ولا فلاح، فإن
معظم ما ينتفع به الإنسان إنما هو المال والبنون، فإذا سقطا
عن التأثير لم يبق إلا اليأس والحيلة، فأجيب أن هناك
أمرًا آخر نافعا كل النفع وإن لم يكن من جنس المال
والبنين وهو القلب السليم.

وهذا الذي ذكرناه من انقطاع الاستثناء هو الأوفق
بسياق الآية، وكون قوله: (بالباطل) قيدًا أصليًا في
الكلام، نظير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ
بِالْبَاطِلِ وَتُدْنُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ
الَّذِينَ﴾ البقرة: ١٨٨، وعلى هذا لا يخص الآية بسائر
المعاملات الصحيحة والأمر المشروعة غير التجارة،
بما يوجب التملك ويبيح التصرف في المال كالحبة والصلح
والجعالة وكالإمهار والإرث ونحوها.

وربما يقال: إن الاستثناء متصل، وقوله: (بالباطل)
قيد توضيحي جيء به لبيان حال المستثنى منه بعد
خروج المستثنى وتعلق النهي، والتقدير: لا تأكلوا
أموالكم بينكم إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم.
فإنكم إن أكلتموها من غير طريق التجارة كان أكلًا
بالباطل منها عنه، كقولك: لا تضرب البشير ظلمًا إلا
تأديًا. وهذا النحو من الاستعمال وإن كان جائزًا معروفًا

عند أهل اللسان، إلا أنك قد عرفت أن الأوفق لسياق
الآية هو انقطاع الاستثناء. [إلى أن قال:]

ومن غريب التفسير ما رام به بعضهم توجيه اتصال
الاستثناء مع أخذ قوله: (بالباطل) قيدًا احترازيًا، فقال
ما حاصله: «إن المراد (بالباطل) أكل المال بغير عوض
يعادله، فالجملة المستثنى منها تدل على تحريم أخذ المال
من الغير بالباطل ومن غير عوض، ثم استثنى من ذلك
التجارة مع كون غالب مصاديقها غير خالية عن
الباطل، فإن تقدير العوض بالتسطاس المستقيم بحيث
يعادل الموعوض عنه في القيمة حقيقة متمسك جدًا، لو لم
يكن منعذرًا.

فالمراد بالاستثناء التسامح بما يكون فيه أحد
الوجهين أكبر من الآخر، وما يكون سبب التعاوض فيه
بإرادة التاجر في تزوين سلعته وترويجها بزخرف القول،
من غير غش ولا خداع ولا تنوير كما يقع ذلك كثيرًا، إلى
غير ذلك من الأسباب.

وكل ذلك من باطل التجارة أباحته الشريعة
مساعدة وتسهيلًا لأهلها، ولو لم يجوز ذلك في الدين
بالاستثناء لما رغب أحد من أهلها في التجارة، واختل
نظام المجتمع الديني». انتهى ملخصًا.

وفساده ظاهر مما قدمناه، فإن «الباطل» على
ما عرفه أهل اللغة: ما لا يترتب عليه أثر المطلوب منه،
وأثر البيع والتجارة: تبدل المالكين، وتغيير محل المالكين،
لرفع حاجة كل واحد من البيعين إلى مال الآخر، بأن
يحصل كل منهما على ما يرغب فيه، وينال إربه بالمعادلة،
وذلك كما يحصل بالتبادل في القيمتين، كذلك يحصل

بمقابلة القليل الكثير، إذا انضم إلى القليل شيء من رغبة الطالب أو رغبته، أو مصلحة أخرى يعادل بانضمامها الكثير، والكاشف عن جميع ذلك وقوع الرضا من الطرفين، ومع وقوع التراضي لا تعد المبادلة باطلة البتة. على أن المستأنس بأسلوب القرآن الكريم في بياناته، لا يرناب في أن من الحال أن يعد القرآن أمراً من الأمور باطلاً ثم يأمر به ويهدي إليه. وقد قال تعالى في وصفه: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ الأحقاف: ٣٠. وكيف يهدي إلى الحق ما يهدي إلى الباطل؟

على أن لازم هذا التوجيه أن يهدي الإنسان اعتدائه حقاً فطرياً إلى حاجته إلى المبادلة في الأموال، ثم يهدي اعتدائه حقاً فطرياً إلى المبادلة بالموازنة، ثم لا يكون ما يهدي إليه وافيًا لرفع حاجته حقاً حتى ينضم إليه شيء من الباطل، وكيف يمكن أن تهدي الفطرة إلى أمر لا يكفي في رفع حاجتها، ولا يلي إلا يحض شأنها، وكيف يمكن أن تهدي الفطرة إلى باطل، وهل الفارق بين الحق والباطل في الأحوال إلا اعتدائه الفطرة وعدم اعتدائها؟ فلامر لمن يجعل الاستثناء متصلاً من أن يجعل قوله: (بالباطل) قيداً توضيحياً.

وأعجب من هذا التوجيه ما نقل عن بعضهم، أن النكته في هذا الاستثناء المنقطع هي الإشارة إلى أن جميع ما في الدنيا من التجارة، وما في معناها من قبيل الباطل، لأنه لا ثبات له ولا بقاء، فينبغي أن لا يشتغل به العاقل عن الاستعداد للدار الآخرة التي هي خير وأبقى، انتهى. وهو خطأ، فإنه على تقدير صحته نكته للاستثناء

المتصل بالاستثناء المنقطع، على أن هذه المعنويات من المعاني إنما يصح أن يذكر لمثل قوله تعالى: ﴿وَعَاظِيهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهيَ الْخَيْرُ إِنَّهُ لَظَنُّوا﴾ النكبات: ٦٤، وقوله تعالى: ﴿مَاعِزِدُكُمْ يُنْفَعُ وَمَاعِزِدُ الْفَاسِقِينَ يُفْسَدُ﴾ النحل: ٩٦، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِزْدُكُمْ إِلَّا خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَبِئْسَ مَا تَجَاوَزُ﴾ الجمعة: ١١. وأما ما نحن فيه فغير أن هذه النكته توجب تشريع الباطل، ويجعل القرآن عن الترخيص في الباطل بأي وجه كان.

مكارم الشيرازي: وهذه العبارة استثناء من القانون الكلي، وهو بحسب الاصطلاح استثناء منقطع، وهو يعني أن ما جاء في هذه العبارة لم يكن مشمولاً للحكم السابق من الأساس، بل قد ذكر تأكيداً وتذكيراً، وهو في حد ذاته قانون كلي، وضابطه عامة برأسها، لأنه يقول: إلا أن يكون التصرف في أموال الآخرين بسبب التجارة الحاصلة في ما بينكم، والتي تكون عن رضا الطرفين.

فتناء على هذا تكون جميع أنواع المعاملات المالية والتبادل التجاري الزائج بين الناس - في ما إذا تم برضا الطرفين، وكان له وجه معقول - أمراً جائزاً من وجهة نظر الإسلام، إلا الموارد التي ورد فيها نهي صريح لمصالح خاصة.

وفي ذيل الآية أحكام وفروع فقهية راجع: «رضي» (تراض).
٣- قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ

وَأَزْوَاجُكُمْ وَتَقْصِيرُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْهُ
وَرَسُولُهُ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. التوبة : ٢٤

ابن المبارك: ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ الإشارة
إلى البنات اللواتي لا يتزوجن، [ولا يوجد لهن خاطب.
(ابن عطية ٣ : ١٨)

الماوردي : فيها وجهان:

أحدهما : أنها أموال التجارات إذا نقص سعرها
وكسد سوقها.

والثاني : أنهن البنات الأيامى، إذا كسد عنهن
آبائهن، ولم يحطبن. (٢ : ٢٤٩)

الطوسي: يعني ما اشتريتموه طلباً للربح.

نحوه أبو السموذ (٢ : ٢٦٢)، والبروسوي (٣ :

٤٠٣)، والالوسي (١٠ : ٧١).

ابن عطية : بين في أنواع المال. [تم ذكر قول ابن
المبارك] (٣ : ١٨)

أبو حيان : والتجارة لا تنهت إلا بالأموال، وجعل
تعالى التجارة سبباً لزيادة الأموال وغناها، وتفسير ابن
المبارك تفسير غريب ينبو عنه اللفظ. [تم أنشد شعراً]

(٥ : ٢٢)

لـرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب
والأنفوس. النور : ٣٧

ابن عباس : (تجارة) في الجلب، (ولا يبيع) يدا بيد.

(٢٩٦)

البغوي : قيل : خص التجارة بالذكر، لأنها أعظم
ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات. وأراد
بالتجارة الشراء، وإن كان اسم التجارة يقع على البيع
والشراء جميعاً، لأنه ذكر البيع بعد هذا، كقوله : ﴿وَإِذَا
زَاوَا تِجَارَةً﴾ الجمعة : ١١، يعني الشراء. (٣ : ٤٢٠)
مثله الخازن. (٥ : ٦٦)

القيصري : [نحو البغوي وأضاف:]

لم يقل : لا يتجرون ولا يشترون ولا يبيعون، بل
قال : ﴿لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فإن أمكن
الجمع بينها فلا بأس، ولكنه كالمعتذر، إلا أهل الأكابر
الذين تجري عليهم الأمور، وهم عنها مأخوذون.

(٦ : ٥٤٧)

أبو الفتوح : فإن قيل : ليس التجارة اسماً واقعاً
على البيع والشراء، فلماذا قال بهذه : (ولا يبيع)؟

قلنا : قال الواحدي : التجارة عبارة عن الشراء فقط
دون البيع، بيانه قوله : ﴿وَإِذَا زَاوَا تِجَارَةً﴾ الجمعة :
١١، يعني الشراء، لأن أهل المدينة لا يكون لهم
ما يبيعون وقد خرجوا للشراء، كأنه قال : لا تلهيهم
شراء ولا بيع عن ذكر الله. (١٤ : ١٥٣)

نحوه القرطبي. (١٢ : ٢٧٩)

الفخر الرازي : اختلفوا في قوله تعالى : ﴿لَا تُلْهِيمُ
تِجَارَةً﴾ فقال بعضهم : نفى كونهم تجاراً وباعة أصلاً،
وقال بعضهم : بل أثبتهم تجاراً وباعة، وبين أنهم مع ذلك
لا يشغلهم عنها شاغل من ضرور منافع التجارات،

وهذا قول الأكثرين.

قال الحسن: أما والله إن كانوا ليتجروا، ولكن إذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شيء، فقاموا بالصلاة والزكاة.

وعن سالم: نظر إلى قوم من أهل السوق، تركوا بياعاتهم وذهبوا إلى الصلاة، فقال: هم الذين قال تعالى فيهم: ﴿لَا تَلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ﴾، وعن ابن مسعود مثله. واعلم أن هذا القول أولى من الأول، لأنه لا يقال: إن هاتين التلهمين التجارة من كيت وكيت إلا وهو تاجر، وإن احتمل الوجه الأول. [ثم قال ما تقدم عنه في «بيع» (راجع)] (٤: ٢٤٤)

نحوه الثياهوري (١٨: ١١٣)، وأبو حيان (٦: ٥٨)، البیهاضوي: [ذكر ما تقدم عنه في «بيع» وأضاف]: وقيل: المراد بالتجارة: الشراء، فإنما أصابها ومبدؤها. وقيل: الجلب، لأنه الغالب فيها، ومنه يقال: تهر في كذا، إذا جلبه، وفيه إيحاء بأنهم [رجال] تجار.

(٢: ١٢٩) التفسير: (تجارة) في السفر، (ولا تبیع) في المحضر. وقيل: التجارة: الشراء إطلاقاً لاسم الجنس على النوع، أو خص البيع بعد ماعم، لأنه أوغل في الإلهاء من الشراء، لأن الزبح في البيعة الزابحة متيقن، وفي الشراء مظنون. (٣: ١٤٦)

نحوه الشربيني: ٢: ٦٣٥، وشبر (٤: ٣٢١). أبو السعود: ﴿لَا تَلْهِمُهُمْ تِجَارَةٌ﴾ صفة للرجال، مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة، مفيدة لكحال تبطلهم إلى الله تعالى واستغراقهم، فيما حكى عنهم من التسبيح

من غير صارف يلوهم، ولا عاطف يشتمهم، كائناً ما كان، وتخصيص التجارة بالذكر، لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها، أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة. (٤: ٤٦٥)

نحوه البروسوي. (٦: ١٥٩) الآلوسي: [نحو أبي السعود، إلى أن قال:] وجوز أن يراد بالتجارة: المعاوضة الزابحة، وبالبيع: المعاوضة مطلقاً، فيكون ذكره بعدها من باب التعميم بعد التخصيص للمبالغة، ونقل عن الواقدي: أن المراد بالتجارة هو الشراء، لأنه أصلها ومبدؤها، فلا تخصيص ولا تميم. وقيل: المراد بالتجارة الجلب، لأنه الغالب فيها، لهم لازم لها عادة، ومنه يقال: تهر في كذا، أي جلبه. [ثم ذكر ما أخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال في هؤلاء الموصوفين بما ذكر: هم الذين يضربون في الأرض، يبتغون من فضل الله تعالى.]

وأخرج الديلمي، وغيره عن أبي سعيد الخدري مرهوعاً نحوه. وفي ذلك أيضاً ما يقتضي أنهم كانوا تجاراً، وهو الذي يدل عليه ظاهر الآية، لأنه لا يقال: لتلهم التجارة إلا إذا كان تاجراً، ودوي ذلك عن ابن عباس. أخرجه الطبراني، وابن مردويه عنه أنه قال: أما والله لقد كانوا تجاراً، فلم تكن تجارتهم ولا بيعهم يلهيهم عن ذكر الله تعالى، وبه قال الضحاك.

وقيل: إنهم لم يكونوا تجاراً، والثني راجع للقيد والمقيد، كما في قوله:

«على لاحب لا يشتدي بمناره»

كأنه قيل : لا تجارة لهم ولا بيع فيهم ، فإن الآية نزلت فيمن فرغ عن الدنيا كأهل الصفّة ، وأنت تعلم أن الآية على الأول المؤيد بما سمعت أمدح ، ولم نجد لغزوها فيمن فرغ عن الدنيا مندأ قوياً أو ضعيفاً ، ولا يكتفى في هذا الباب بمجرد الاحتمال . (١٨ : ١٧٧)

وهناك نصوص أخرى راجع «بيع» .

٥- **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَكَلُوا الطَّيِّبَاتِ**
وَاتَّقَوْا يَمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ
تَبُورَ . فاطر : ٢٩

ابن هبّاس : يعني الجنة . (٣٦٧)

منه فتادة (الآلوسي ٢٢ : ١٩٢) ، والمباور في (٤) : (٤٧٢) .

الْبُتُغْيُ : والمراد من التجارة : موطئ الله شيء
التواب . (٣ : ٦٩٤)

نحوه الرّمثشري (٣ : ٣٠٨) ، والببضاي (٢) : (٢٧٢) ، والنسلي (٣ : ٣٤٠) ، والحازن (٥ : ٢٤٨) ، وأبو السّعود (٥ : ٢٨٢) ، والبرّوسوي (٧ : ٣٤٥) .

الفخر الرازي : «يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ» إشارة
إلى الإخلاص ، أي يتفقون لاليفال إنه كريم ، ولالشيء
من الأشياء غير وجه الله ، فإن غير الله بائر ، والتاجر فيه
تجارته بائرة . (٢٦ : ٢٢)

الشّربيني : أي بما عملوا . (٣ : ٣٢٦)

الآلوسي : أي معاملة مع الله تعالى ، لنيل ربيع
التواب ، على أن التجارة مجاز عقاً ذكر ، والقرينة حالّة
كما قال بعض الأجلة . [إل أن قال :

وظاهر ماروي عن فتادة من تفسير التجارة بالجنة ،
أنها مجاز عن الربح . (٢٢ : ١٩٢)

القاسمي : التجارة : استعارة لتحصيل الثواب
بالطاعة . (١٤ : ٤٩٨٤)

عبد الكريم الخطيب : «يَرْجُونَ تِجَارَةً» رابحة ،
رابحة «لَّنْ تَبُورَ» بل إنها تجدد من يشترها منهم ،
ويضاعف لهم الثمن فيها ، وإنه الله سبحانه وتعالى هو
الذي يشتري منهم هذه البضاعة ، ويضاعف لهم الثمن
عليها . (١١ : ٨٨٤)

مكارم الشيرازي : شروط تلك التجارة المعجبة :
المكث للظن أن كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة
تشبه هذا العالم بالمشجر الذي تجاره الناس ، والمشتري
تجاره هو الله سبحانه وتعالى ، وبضاعته المحل الصالح .

والقبيصة في الأجر : الجنة والرحمة والرضا منه تعالى .

ولو تأملنا بشكل جيد فسوف نرى أن هذه التجارة
المعجبة مع الله الكريم ليس لها ظهير ، لأنها تتناز بالمزايا
التالية التي لا تحتوي أية تجارة أخرى :

١- **إن الله سبحانه وتعالى آمن للبائع تمام رأسماله ، ثم**
كان له مشترياً .

٢- **إن الله تعالى مشتري في حال أنه غير محتاج إلى**
شيء تاماً ، فلديه خزائن كل شيء .

٣- **إنه تعالى يشتري المتاع القليل بالشر**
«الباهض» ، «يامن يقبل اليسير ويعفو عن الكثير» ،
«يامن يعطي الكثير بالقليل» .

٤- **هو تعالى يشتري حتى البضاعة التافهة «لَّنْ**
يَفْقُلَ بِفَقَالِ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» الزلزال : ٧ .

لأنهم يرجعون فيها رضى الله ونيل جنّته، والنجاة من النار. ثم بين تلك التجارة فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ...﴾.

(٥: ٨٠)

منه الخازن. (٧: ٧٢)

الفخر الرازي: هي التجارة بين أهل الإيمان وحضرة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةُ﴾ التوبة: ١١١، دل عليه: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الصف: ١١، والتجارة عبارة عن معاوضة الشيء بالشيء، وكما أن التجارة تنجي التاجر من محنة الفقر، ورحمة الصبر على ما هو من لوازمه، فكذلك هذه التجارة، وهي التحديق بالجنان، والإقرار باللسان - كما قيل في تعريف الإحسان - فلهذا قال بلفظ «التجارة».

وكما لم ين في التجارة الربح والخسران، فكذلك في هذا، فإن من آمن وعمل صالحاً فله الأجر والربح الوافر واليسار المبين، ومن أعرض عن العمل الصالح فله الخسر والخسران المبين. (٢٩: ٣١٦)

البزوصوي: قال ابن الشيخ: جعل ذلك تجارة، تشبيهاً له في الاشتغال على معنى المبادلة والمعاوضة، طمعاً لنيل الفضل والزيادة، فإن التجارة هي معاوضة المال بالمال لطمع الربح، والإيمان والجهاد شُبها بها من حيث أن فيها بذل النفس والمال، طمعاً لنيل رضى الله تعالى والنجاة من عذابه. (٩: ٥٠٦)

اعلم أن الآية الكريمة أفادت أن التجارة دنيوية وأخروية، فالدنيا موسم التجارة، والعمر مدتها، والأعضاء والقوى رأس المال، والعبد هو المشتري من

٥ - أحياناً يُعطي قيمة تعادل سجنه ضعف أو أكثر. البقرة: ٢٦٦.

٦ - فضلاً عن دفع الثمن العظيم، فإنه أيضاً يضيف إليه من فضله ورحمته ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النساء: ١٧٣.

وياله من باعث على الأسف أن الإنسان السافل الحر، يغمض عينه عن تجارة كهذه، ويشرع بغيرها، وأسوأ من ذلك أن يبيع بضاعته مقابل الهباء وبلا شيء. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: «ألا حرّ يدع هذه اللسطة لأهلها، إذ ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها».

(١٤: ٧٧)

٦ - يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلِأَذْلُكُمَ عَلَى كَيْفِهِمْ تَتَجَافَى مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ. الطوسي: والتجارة: طلب الربح في شراء المتاع. وقيل لطلب الثواب بعمل الطاعة: تجارة، تشبيهاً بذلك، لما بينهما من المقاربة. (٩: ٥٩٦)

نحوه الطبرسي: التشميري: سمي الإيمان والجهاد تجارة، لما في التجارة من الربح والخسران، ونوع تكسب من التاجر. وكذلك في الإيمان والجهاد ربح الجنة، وفي ذلك يجتهد العبد، وخسرانها إذا كان الأمر بالعدو. (٦: ١٤٦)

نحوه الميسبيدي: البقوي: نزل هذا حين قالوا: لو تعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه، وجعل ذلك بمنزلة التجارة،

وجه، والبائع من وجه. فمن صرف رأس ماله إلى المنافع الدنيوية التي تنقطع عند الموت، فتجارته دنيوية كاسنة خاسرة وإن كان بتحصيل علم ديني، أو كسب عمل صالح فضلاً عن غيرها، فإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى. ومن صرفه إلى المقاصد الأخروية التي لا تنقطع أبداً، فتجارته رائجة رابحة، حرية بأن يقال: فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم.

ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس في سبيل الله، وذكر الإيمان لكونه أصلاً في الأعمال، ووسيلة في قبول الآمال. وتوصيف التجارة بالإنباء، لأن التجارة يتوقف عليها الانتفاع، فيكون قوله تعالى ﴿يَهْفُزْ لَكُمْ﴾ بيان سبب الإنباء.

وقوله: ﴿وَيُذْخِلُكُمْ﴾ بما يتعلق به بيان المنفعة المحاصلة من التجارة، مع أن التجارة الدنيوية تكون سبباً للنجاة من الفقر المنتطح، والتجارة الأخروية تكون سبباً للنجاة من الفقر النير المنتطح، قال عليه السلام: «نعمتان مغبون فيها كثير من الناس: الصفة والفراغ» يعني أن نعمتي الصفة والفراغ كمرأس المال للمكلف، فينبغي أن يعامل الله بالإيمان به وبرسوله، ويجاهد مع النفس لتلا يقين، ويربح في الدنيا والآخرة، ويجتنب معاملة الشيطان، لتلا يضحى رأس ماله مع الزبح. (٥٠٩: ٩)

العاملي: [أورد بعض الروايات التأويلية فلاحظ] (١٠٨)

أحمد بدوي: [وقال: (تجارة)] لأن النكرة لا تدل على شيء معين. [و] كان استخدامها في بعض المقام

متبراً للشوق والرغبة في المعرفة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجْنِبُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. (١٣٠)

الطباطبائي: [قال بعد تفسير التجارة عن الرأغب:]

فقد أخذ الإيمان والمجاهد في الآية تجارة رأس ماله النفس، وربحها النجاة من عذاب أليم، والآية في معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى... فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي يَبْتَئِمُّ بِهِ﴾ التوبة. ١١١.

وقد فُهم تعالى أمر هذه التجارة: حيث قال: ﴿عَلَى تِجَارَةٍ﴾ أي تجارة جليلة القدر عظيمة الشأن، وجعل الربح الحاصل منها النجاة من عذاب أليم، لا يقدر تلاوه.

وهذه هي هذه النجاة الموعودة: المغفرة والجنة، ولذا يدل ثاباً النجاة من العذاب من قوله: ﴿وَيَهْفُزْ لَكُمْ دُتُوبِكُمْ وَيُذْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ﴾ الصف: ١٢.

وأما النصر والفتح الموعودان: فهما خارجان عن النجاة الموعودة، ولذا فصلها عن المغفرة والجنة، فقال: ﴿وَأُخْرَى لِيُؤْتِيَنَا نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ الصف: ١٢. فلا تنعل. (٢٥٨: ١٩)

مكارم الشيرازي: الدنيا موضع تجارة أولياء الله. جاء في «نهج البلاغة» أن الإمام عليه السلام قال لرجل كثير الاقضاء والتسلق، كان يذم الدنيا كثيراً: «إِنَّكَ عَلَى خَطَا، إِنَّ الدُّنْيَا رَأْسُ مَالٍ كَبِيرٍ، لِأَوَّلِكَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى وَعْيٍ وَمَعْرِفَةٍ». ثم أعطى عليه السلام شرحاً لهذا المفهوم من جلسته: «الدنيا متجر أولياء الله» وعمل تجارة

أحباته.

المستأنف^(٢١) في الدنيا والقي. (٦: ١٥٤)

البَيْضَاوِي: وإفراد «التجارة» بـ «الكناية» لأنها المقصودة. فإن المراد من اللهو: الطبل الذي كانوا يستقبلون به العير. والترديد للدلالة على أن منهم من تنفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته. أو للدلالة على أن الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها، إذا كان مذمومًا كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك.

ولعل: تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، وإذا رأوا لهواً انفضوا إليه. (٢: ٤٧٧)

الشَّرِيبِي: أي حولاً، هي موضع للتجارة. (٤: ٢٩٠)
السيلاوي: الوجه السادس عشر، أي سبب تقديم «تجارة» في الأول وتأخيرها في الثاني، الدلالة على جسد طبعهم في الأول، كما تقول: زيد يكذب بدينار، بل طبعهم في كفاية بضرب عما تقدم. وعلى حسن ما عند الله في الثاني، كما تقول: هذا أحسن من الدرهم ومن الدينار، إذا أردت بيان رذالته في الأول، وحسنه في الثاني. (تفسير سورتي الجمعة والتفان: ٩٣)
راجع «ف ض ض» (انفضوا).

٨ - أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهذى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. البقرة: ١٦

(١) البراءة: ما يقبض قلبك من الغيب على سبيل الوهولة، وهي إما موجبات فرح أو موجبات نوح، ومصادات الوقت لا تغفرهم البراءة. لأنهم فوق ما ينجوهم حالاً وقوة. (الهامش)

(٢) هو العريد البستق الذي سأل ينكر في الثواب الأجل والثواب العاجل. (الهامش)

وإذا شبهت الدنيا بأمتها مزرعة الآخرة، فقد شبهت أيضاً هنا بأمتها عمل تجارية، حيث إن الإنسان يبيع البضاعة «رأس المال» التي أخذها من الله سبحانه، يبيعها منه - تعالى شأنه - بأعلى الأثمان، ويستلم منه سبحانه أعظم الأرباح المتمثلة بالنعم والهبات الإلهية المختلفة، مقابل متاع حقير.

إن جانب الإغراء في هذه الصفقات التجارية النافعة، كان من أجل تحريك وإثارة الحفريات الإنسانية في طريق الخير، وجلب النفع للإنسان ودفع الضرر. لأن هذه التجارة الإلهية ليست منحصرة أرباحها في جلب النفع فحسب، بل إنها تدفع العذاب الأليم أيضاً. قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ» التوبة: ١١١. إن المفهوم من الآية أعلاه منجم كلياً مع ما تحدثنا فيه قبل قليل، حول موضوع التجارة الإلهية المقترنة بالأرباح العظيمة. [لاحظ آية التوبة] (١٨: ٢٨٤)

٧ - وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوهَا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. الجمعة: ١١

ابن عباس: تجارة دحية بن خليفة الكلبي. (٤٧١)
نحوه الفراء (٣: ١٥٧)، والبروسوي (٩: ٥٢٦).

القشيري: وما عند الله للمعاد والزهاد - غذاء - خير مما نالوه في الدنيا نقداً، وما عند الله للعارفين نقداً من واردات القلوب وبيواده^(١) الحقيقية، خير مما يؤمل

ذكروا في معنى «التجارة» نحو ما تقدم في التورم،

فلاحظ: «رب ح» (رَبِّحْتَ).

لأربح عليكم.

وفي الحديث: «الرفق في المعيشة خير من بعض

التجارة». [ثم استشهد بشعر] (٢٩٥: ٢)

الوجوه والتظائر

الفيروز آبادي: وقد ذكرها الله تعالى في ستة

مواضع:

الأول: تجارة غزاة المجاهدين بالروح، والنفس،

والمال ﴿هَلْ أَذِلَّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ...﴾ الصف: ١٠.

الثاني: تجارة المتنافعين في بيع الهدى بالفضلة

﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَكَانَ زَيْحًا تِجَارَتُهُمْ﴾

البقرة: ١٦.

الثالث: تجارة قراءة القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ

الله... يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ فاطر: ٢٩.

الرابع: تجارة عبادة الدنيا بتضييع الأعمار، في

استزادة الدرهم والدينار ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا

انطَلَبُوا إِنِّهَا﴾.

الخامس: في معاملة الخلق بالبيع والشراء ﴿إِلَّا أَنْ

تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٢٩.

السادس: تجارة خواص العباد بالإعراض عن كل

تجارة دنيوية ﴿يَرْجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا تِجَارَةٌ عَنْ ذِكْرِ

الله﴾ النور: ٣٧. [إلى أن قال:]

ويقال: نصف البركة في التجارة، وقيل: نعم الشيء.

التجارة، ولو في المعجزة.

وسرى في الكلمات القديمة: «سُنْ تاجرتي

لم يخر». وأوحى إلى بعض الأنبياء: «قل لصيدي،

تاجروني فربحوا علي، فإني خلقتكم لفرحوا علي لا

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التجارة، أي البيع

والشراء، يقال: تَجَرَ يَتَجَرُّ تَجْرًا وَتِجَارَةً، وَتَجَّرَ: باع

وشرى، وهو تاجر وتَجَّرَ، (لَا أَنْ التاجر غلب قديمًا

على بائع الخمر والمجم: تَجَّارٌ وَتَجَّرٌ وَتَجَّارٌ.

وأرض متجرة: يتجر إليها، وناقته تاجر وتاجرة:

ناقته في التجارة والشوق لجابتها، وهي نوقى تواجِر،

وتجربها ناقه كاسدة. ويقال أيضًا: إنه لتاجر بذلك

الاجر، أي حاذق، وهو من الجار.

٢- وقد ابتدع المؤثرون المتأخرون، فوئدوا الفعل

«تاجر» على وزن «فاعل» في بعض المعاني، فن كلامهم:

تاجر فلان فلانًا، أي أجزه له، كما في «المعجم الوسيط»

وتاجر: باره في التجارة، كما في «متن اللغة» وتاجر:

تجر، كما في «محيط المحيط».

٣- وحاول بعض المستشرقين أن يشكك في عربية

«التجارة»، استنادًا إلى آراء أنداء، فخطب في ذلك خطب

عشواء، وأفضى به الأمر في النهاية إلى أن يقول: كان

لفظ «التجارة» مشهورًا قبل الإسلام في أرجاء الجزيرة

العربية، وكأنته تاب إلى رده، فذهبت محاولاته أدراج

الرياح.^(١)

(١) راجع لفظ «تجارة» من كتاب «المفردات الغريبة» في القرآن الكريم، ودائرة المعارف الإسلامية (٤: ٥٨١).

الاستعمال القرآني

لم يأت من هذه المادة إلا لفظة «تجارة» ٩ مرات، في ٨ آيات:

١- ﴿...وَلَا تَسْتَوُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ آبَائِهِ ذَلِكُمْ أَقْصَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَلْمِزُوا زَادُوا إِلَّا تَوَاتَبُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً...﴾

البقرة: ٢٨٢

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ...﴾

النساء: ٢٩

٣- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ...﴾

التوبة: ٢٤

٤- ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

التور: ٣٧

٥- ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوهَا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾

الجمعة: ١١

٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبْكَرَ﴾

فاطر: ٢٩

٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الصَّف: ١٠

٨- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ لَهَا

وَبِخْتٍ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُشْتَبِينَ﴾ البقرة: ١٦

يلاحظ أولاً: أنه جاءت ذيل: (١١) و(٢) بحوث

حول «تجارة حاضرة» و«تجارة عن تراض».

ونوكل دراستها إلى مادتي «ح ضر ر» و«ر ض ع». كما

أطالوا الكلام حول الاستثناء في (٢)، أمّصل هو أم

منقطع؟ والثاني هو المختار، فلاحظ. واختصت بإساحة

التجارة بالمال بهاتين الآيتين كما سيأتي.

ثانياً: جاءت «التجارة» نكرة دائماً، إلا مرة واحدة

في (٥)، والسر في تكرارها أن المراد بها في الآيات

الجنس ولو فرد منها.

ثالثاً: قد كُثرت في (٥) مرتين: نكرة أولاً ومعرفة

ثانياً مع «اللهو». وأريد بتجارة «اللهو» في الأولى شيء

من التجارة واللهو، وفي الثانية تعميم الجنس، وهو

الأقرب. أو اللام فيها للمهد، أي ماذكر من التجارة

واللهو.

رابعاً: قُدمت «تجارة» على «اللهو» في الأولى، لأنها

كانت الهدف الأول عند من انفضوا إليها، تاركين التهي

ثانياً يعطى، وأسُرت عن «اللهو» في الثانية، لأن سياقها

الترقي من المهم إلى الأهم، كأنه قال: ماعند الله من

الأجر خير من اللهو بل من التجارة.

وهذا الفرض لا يحصل إلا بتأخير «التجارة» وذلك

أن الآية تدّين الذين سمعوا قرع طبول القافلة التي قُدمت

من الشام وهي تحمل بضائع تجارية، فتركوا خطبة صلاة

الجمعة، وهرعوا إليها تهافتاً على البضاعة، وخفّ إليها

جماعة لسباع اللهو، فأبدي الله ما انتووه، وأظهر

مأخضوه.

وجاء في بعض التفاسير: أن النساء بالذات أسرع للنظر إلى «دحية الكلبي» صاحب القافلة، وكان رجلاً جميلاً، وهو ما أريد باللهو.

خامساً: جمع في «ل» بين البيع والتجارة، وقد سبق بيان الفرق بينهما في «ب ي ع»، فلاحظ.

سادساً: أريد بالتجارة في (١ - ٥) معناها الحقيقي، وهو التجارة بالأموال والأمتعة، وفي (٦ - ٨) معناها المجازي، وهو كسب ثواب الآخرة بالأعمال الصالحة في (٦) و(٧): حيث وصف التجارة فيها بـ «لَنْ تَبُورَ» و«تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ»، أو كسب عقاب الآخرة بالأعمال السيئة، كما قال في (٨): «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنُوا الصَّلَاةَ يَلْعَنُوهَا لَمَّا رَضَتْ بِعَاقِبَتِهِمْ»: حيث حذر عنها بالاعتراء والتجارة والربح.

وجاء مكه في أجور الشهداء «إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ تُكْفَرُوا بِهِمْ... فَاشْتَرَوْا بِتَبِعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ...» التوبة: ١١١، حيث عبر عن تضحياتهم بالنفس والمال في سبيل الله بالاشتراء والبيع، وأن المشتري هو الله، لاحظ «ش ر ي» و«ش ه د».

سابعاً: غلب سياق الذم على الآيات، إلا في (١)

و(٢) بلسان الاستثناء تجويزاً للتجارة المالية لا ترغيباً، وفي (٦) و(٧) ترغيباً في التجارة المعنوية بالأعمال الصالحة، وترغيباً بالتجارة المالية، كما يأتي.

ثامناً: في (٣) و(٤) و(٥) تصرع بالتقابل بين هاتين التجارتين، وأن الأولى تُلهي المسلم عن الثانية؛ حيث قال في (٣): «وَبِجَارَةٍ تُفْشُونَ كَسَادَهَا... أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ»، وفي (٤): «لَا تُلْهِيْهُمْ بِجَارَةٌ وَلَا تَبِيعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ»، وفي (٥): «وَمَاعِذَةُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ»، وشبه على ذلك إيماء في (٦): «بِجَارَةٍ لَنْ تَبُورَ»، وفي (٧): «بِجَارَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ»، إرموا إلى أن التجارة المالية ليست كذلك.

ثامناً: الآيات كلها مدنية سوى (١) فنيكية، وهذا إن دل على شيء يدل على شيوع التجارة لفظاً ومعنى بين المؤمنين في المدينة وقلتها في مكة.

حاشراً: وتلك عشرة كاملة - مجي (تجارة) فقط من بين مشتقات هذه المادة في القرآن يحكي إيماء عن عدم فصاحتها أو أصالتها، أو عدم شيوعها بين الناس في البلدان.

تحت

٦ الفاظ ، ٥١ مرة ، ٢٠ مَكَّة ، ٢١ مدنية
في ٣٠ سورة : ١٤ مَكَّة ، ١٦ مدنية

تَحْتُ ٧ : ٤ - ٣ تَحْتُمُ ٥ : ٥
تَحْتُ ١ : ١ تَحْتِي ١ : ١
تَحْتِهَا ٣٦ : ٨ - ٢٨ تَحْتِي ١ : ١

الصَّاحِبُ : في الحديث : «ولا تقوم الساعة حتى

تظهر التُّحُوت» أي من كانوا تحت أقدام الناس . وقيل :

تظهر التُّحُوت» أي من كانوا تحت أقدام الناس . وقيل :

تظهر التُّحُوت» أي من كانوا تحت أقدام الناس . وقيل :
الغَطَّاءُ : وفي حديث... «ما التُّحُوت؟ قال : بيوت
القائصة^(١) ، يُرضون فوق صالحهم» . (ثم نقل نحو
ما تقدم من الخليل) (٢ : ٤٣١)

ابن فارس : التَّاء والحاء والتَّاء كلمة واحدة ، تحت
الشيء ، والتُّحُوت : الدُّون من الناس . (١ : ٣٤٢)

ابن سيده : تحت : إحدى الجهات الست المحيطة
بالجزء ، تكون مرة ظرفاً ومرة اسماً . ويُنشئ في حال اسميته
على الضم ، فيقال : من تحت .

التَّحُوتُ واللُّغُوتُ

الخليل : وتَحْتُ : تقيض فوق . والتُّحُوت : الذين
كانوا تحت أقدام الناس ، لا يُشَرِّبهم ؛ وفي حديث :
«لا تقوم الساعة حتى يظهر التُّحُوت» . (٣ : ٢١)

أبو عبيد : في حديث النبي ﷺ أنه قال : لا تقوم
الساعة حتى يظهر الفُحش والبُخل ، ويخون الأُمِين
ويؤثَم الخائن ، وتهلك الوعول وتظهر التُّحُوت .

قالوا : يا رسول الله وما الوُعول ، وما التُّحُوت؟
قال : الوُعول : وجوه الناس وأشرافهم ، والتُّحُوت :

الذين كانوا تحت أقدام الناس ، لا يعلم بهم . (١ : ٤٣٣)
نحوه الهَرَوِيُّ (١ : ٢٤٨) ، والأزهرِيُّ (٣ : ٤٢٤) .

(١) القائصة : اللثام ، وجاء في الهامش نقلاً عن الهيثمي : أهل
البيوت الناصفة .

ونوم ثُخُوتٌ: أرذال سيفلة، [إلى أن قال:]

والثُّخُوتَةُ: الحركة.

وما تَتَخَوَّجُ من مكانه، أي ما تَحْرُكُ. (٥١١: ٢)

الزَّائِجِبُ: تحت: مقابل لِفوق، [ثم ذكر الآيات

وقال:]

وتحت يُستعمل في المنفصل، وأسفل في المتصل.

يقال: المال تحت، وأسفله أغلظ من أعلاه. [وذكر

حديث الثُّخُوتِ ثم قال:]

وقيل: بل ذلك إشارة إلى ما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا

الْأَرْضُ شُدَّتْ • وَالْأَقْصَى مَاجِيًا وَتَحَلَّتْ﴾ الانشقاق: ٣.

(٧٣١)

الزُّمَّشَقَرِيُّ: خطب في جيبته أو في عام الفتح.

فقال: «ألا إن كلَّ دم ومال ومأثرة كانت في المباحة

لهي تُحْتِ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ...».

قوله: تحت قدمي، عبارة عن الإهدار والإبطال.

يقول الموابغ لصاحبه: اجعل ماسلف تحت قدميك، يريد

طأ عليه وألقه. (الفائق ١: ٢٢)

[وذكر حديث النبي الذي أورده أبو عبيد ثم قال:]

شبه الأشراف بالوُحُول لارتفاع مساكنها، وجعل

«تحت» الذي هو ظرف نقيض «فوق» أمياً، فأدخل

عليه لام التعريف، ومثله قول الرب لمن يقول ابتداء:

عندي كذا، أو لك عند؟ [ثم قال نحو ما تقدم عن الخطابي

وأضاف:]

كانت ضرب بيوت القانصة، وهي قُفَر الصَّيَّادِينَ.

مثلاً للأرذال والأدنياء، لأنها أرذل البيوت.

(الفائق ١: ١٤٨)

في الحديث: «حَتَّى تَهْلِكَ الوُحُول، وتظهر

الثُّخُوت»، أي السَّفَلَة. (أساس البلاغة: ٣٧)

أَبُو حَيَّان: تحت: ظرف مكان لا يتصرف فيه بغير

«ين» نص على ذلك أبو الحسن، قال العرب: تقول:

تحتك رجلاك، لا يختلفون في نصب «التحت».

(١-٩: ١١)

الْقِيُومِيُّ: تحت نقيض فوق، وهو ظرف مسبهم.

لا يَبْقِي معناه إلا بإضافته، يقال: هذا تحت هذا (٧٣: ١١)

الْقِيُورُ إِبَادِيّ: تحت: نقيض فوق، يكون ظرفاً

ويكون اسماً، وَيُقِي في حال اسميته على الضم، فيقال:

ين تحت.

والثُّخُوت: الأرذال السَّفَلَة. (١٥٠: ١)

تَجَوَّعُ اللُّغَة: تحت: ظرف مكان، ضد قُوق.

واسمُ مع «ين» وبدونها. (١٥٢: ١١)

التَّحْنَانِي: التحناني

وينسبون إلى تحت، فيقولون: تحني، ظانين أن

النسب قياسية، والصواب: تحناني، وهي لغة غير

قياسية، كما قال ابن مالك في «القياسية» والمخفاجي في

«العناية»، والفاسي شيخ الزبيدي، والزبيدي صاحب

«التاج»، والمد، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن،

والنحو الوافي.

ويرى ابن مالك أننا يجب أن نقصر على ما سمعنا

من العرب من النسب الشاذ، وأن لا نلجأ فيه إلى المحاكاة

والقياس. [ثم استشهد بشعر]

ولأرى مَوْعَاً لهذا الشذوذ السماعي، وأقترح على

بجامعنا إجازة استعمال تحني، وسنجلي، وذهري وأمثاله،

مُجَارَةً لِلْقِيَاسِ، عَلَى أَنْ لَا تُعْطَى مِنْ يَلْبِغاً إِلَى اسْتِحْمالِ
الشَّاذِّ الْمَسْمُوعِ، عَنِ الْمَنْفُورِ لَهُمْ: أَجْدَادُنَا الْعَرَبُ. (٩٣)
الْمُضْطَفَّوِي: التَّحْتَ مِنَ الظُّلُوفِ الْمَكَائِيَّةِ، وَهُوَ
مُقَابِلُ الْفَوْقِ، بِخِلَافِ التَّغْلُ فَإِنَّهُ مَفْهُومٌ لِسِيٍّ فِي مُقَابِلِ:
الْمَلُوقِ. (١: ٣٦٢)

النصوص التفسيرية

تَحْتَ

١... وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَنِّ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْهُ قُوَّةٌ
وَمِنْ تَحْتِ أَرْضِهِمْ... المائدة: ٦٦

ابن عباس: تُخْرِجُ الْأَرْضُ بِرُكَّتِهَا.

(الطَّبْرِيُّ ٦: ٥٣٥)

(الطَّبْرِيُّ ٦: ٥٤١)

المطر والنبات.

(١: ١٧١)

نحوه القُتِي.

مُجَاهِدٌ: لَأَنْبَتِ مِنَ الْأَرْضِ مَا يَنْبِغُ.

(الطَّبْرِيُّ ٦: ٣٠٥)

الإمام الباقر عليه السلام: لَوْ سَمِعَ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَقْبَضَ

عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. (الكاشاني ٢: ٥١)

(١: ١٩٦)

مثله شَبَّرَ.

قَتَادَةُ: إِذَنْ لَأَعْطَتْهُمْ السَّمَاءُ بِرُكَّتِهَا، وَالْأَرْضُ

(الطَّبْرِيُّ ٦: ٣٠٥)

نباتها.

نحوه ابن جرير (الطَّبْرِيُّ ٦: ٣٠٥)، والباقون (١: ٦٨).

السُّدِّي: لَوْ عَمِلُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ

عَبْدُ اللَّهِ ﷺ لَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ، فَأَنْبَتِ الشَّعِيرُ.

(الطَّبْرِيُّ ٦: ٣٠٥)

الْفَرَاءُ: أَرَادَ بِهِ التَّوَسُّعَ فِي الرِّزْقِ، كَمَا يُقَالُ: فَلَانِ
فِي الْخَيْرِ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، ظَلَمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ
أَهْلَ الْقُرَى أَفْقَاهُ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ...﴾ الأعراف: ٩٦. (الباقون ٢: ٦٨)

نحوه الزَّجَّاجُ (٢: ١٩١)، والمأزدي (٢: ٥٢)

الطَّبْرِيُّ: لَأَكْلُوا مِنْ بَرَكَاتٍ مَاتَحَتْ أَقْدَامَهُمْ مِنْ

الْأَرْضِ، وَذَلِكَ مِمَّا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنْ حَبِّهَا وَنَبَاتِهَا

وَنَمَارِهَا، وَسَائِرُ مَا يُؤْكَلُ مِمَّا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ، [إِلَى أَنْ

قَالَ:]

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّمَا أُرِيدُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَأَكْلُوا مِنْ

قُوَّتِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْضِهِمْ﴾ التَّوَسُّعَ، كَمَا يَقُولُ الْغَائِلُ:

هَوِيَ الْخَيْرِ مِنْ طَرَفِهِ إِلَى قَدَمِهِ. وَتَأْوِيلُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ

يَخْتَلِفُ، فَادَّعَيْنَا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَكَفَى بِذَلِكَ شَهِيدًا عَلَى

(٦: ٣٠٥)

النَّقَاشِ، إِنَّ الْمَعْنَى: ﴿لَأَكْلُوا مِنْ قُوَّتِهِمْ﴾ أَيِ مِنْ

رِزْقِ الْجَنَّةِ، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْضِهِمْ﴾ مِنْ رِزْقِ الدُّنْيَا، إِذْ

هُوَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ. (ابن عطية ٢: ٢١٧)

الطُّوسِي: وَقَوْلُهُ: ﴿لَأَكْلُوا مِنْ قُوَّتِهِمْ﴾ بِإِسْمِ

السَّمَاءِ عَلَيْهِمْ مَدَارِئُهَا، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْضِهِمْ﴾

بِإِعْطَاءِ الْأَرْضِ خَيْرَهَا وَبَرَكَاتِهَا. وَقَالَ قَوْمٌ: ﴿مِنْ

قُوَّتِهِمْ﴾ ثَمَرُ النَّخْلِ وَالْأَشْجَارِ، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْضِهِمْ﴾

الزَّرْعِ.

وَالْمَعْنَى: لَوْ آمَنُوا لِأَقَامُوا فِي أَوْطَانِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

وَزُرُوعِهِمْ، وَلَمْ يَخْلَوْا عَنْ بِلَادِهِمْ، فَفِي ذَلِكَ التَّأْسِيفُ لَهُمْ

عَلَى مَا فَاتَهُمْ، وَالْإِعْتِدَادُ بِسَعَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ،

وَهُوَ جَوَابُ التَّهْنِيطِ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿يَذَا اللَّهُ مُقْلَوْنَهُ﴾ المائدة: ٦٤.

[قيل] إن المعنى فيه: التوسعة، كما يقال: هو في الخير من قرنه إلى قدمه، أي يأتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها. واختار الطبري الوجه الأول.

وقد جعل الله الثقل من أسباب الرزق فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَعْتَوْا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم مَّزَاجًا مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال: ﴿اسْتَظْفِرُوا ثُبُوكُمْ إِنَّهُ كَانَ عُقَارًا يُؤْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَذْذِكُم بِالْأَنْوَالِ وَيُبَيِّنَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٣]. وقال: ﴿وَأَنْ تَوَاسَّوْا عَلَى الطَّرِيقِ لَأَسْفِنَاكُمْ مَاءً عَذًّا﴾ [الجن: ١٦].

نحو: الطبرسي.

الرُّمَحَشَرِيُّ: وقوله: ﴿لَا تَكُلُوا...﴾ [الرَّحْمَةُ: ١٧]. وفيه ثلاثة أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض، وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة، وأن يرزقهم الجنان اليانعة القهار، يجتنون ما تهطل منها من رؤوس الشجر، ويستقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم، [١١] (٦٣٠).
نحو: البضاوي.

العُجْرُ الرَّازِي: في قوله: ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمِنْ ثَمَرِهِمْ﴾ وجوه:

الأول: أن المراد منه المبالغة في شرح السعة والمحب. لا أن هناك فوقًا وتحتًا... [ثم نقل الأفعال المتقدمة وأضاف:]

والخامس: يشبه أن يكون هذا إشارة إلى ما جرى

على اليهود من بني قريظة وبني نضير من قطع غنمهم وإفساد زروعهم، وإجلائهم عن أوطانهم. (١٢: ٤٧).
الْقُرْطُبِيُّ: قال ابن عباس وغيره: يعني المطر والنبات، وهذا يدل على أنهم كانوا في جدب. [ثم قال نحو ما تقدم في ذيل كلام الطوسي] (٦: ٢٤٦).
نحو: النسي.

أَبُو حَيَّان: [نقل الأقوال المتقدمة ثم قال:]
وقال تاج القراء: ﴿مِنْ قَوْلِهِمْ﴾: ما يأتيهم من كبرائهم وملوكهم. ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: من سفلتهم وعوانهم.

القُربِينِي: [نقل الأقوال المتقدمة وأضاف:]
بين سبحانه وتعالى بذلك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم، لا يفسد الفيض، ولو أنهم آمنوا ولقاهم المأمرون به لوسع عليهم، وجعل لهم خير الدارين. (١: ٣٨٦).

أَبُو الشَّعُود: [نحو الرُّمَحَشَرِيِّ وأضاف:]
ومفعول (أَكَلُوا) محذوف بقصد التعميم، أو للقصد إلى نفس الفعل، كما في قوله: فلان يحطي ويمنع. (وإن) في الموضعين لابتداء الفاية، وفي هاتين الشرطيتين: من حثهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى، والإقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين، وزجرهم عن الإخلال به بما ذكر، بيان إفضائه إلى الميرمان عنها وتنبههم على أن ما أصابهم من الضنك والضييق إنما هو من شؤم جنائياتهم، لا لقصور في فيض الفيض، ما لا يخفى. (٢: ٢٩٧).

الْبُزْرُوسِيُّ: [نحو الرُّمَحَشَرِيِّ وأبو الشعود وأضاف:]
واعلم أن قوله تعالى: ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمِنْ

تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمَ تُفْتَنُ الْأُصْبِحُ الَّذِينَ ظَلَمُوا يَكُونُ
خَاصَّةً﴾ الأنفال: ٢٥. أي أن الآثار السيئة لاجتماع سيء
تعم جميع أفراد الصالح والطالح. وليس من شك أن
الشعب الكسول الخانع الخاضع للعسف والجور، لابد أن
يمس بأفراد في الذل والهوان.

وعلى هذا يكون المراد بالإيمان الموجب للرزق، هو
الإيمان بالله، مع العمل بجميع أحكامه ومبادئه، لإقامة
الصلاة فقط، بل وأداء الزكاة، وجهاد المستغلين
والمشركين، وإقامة العدل في كل شيء، وليس من شك
أن العدل متى عمّ وساد صلحت الأوضاع، وذهب الفقر
والشقاء، وهذا ما يهدف إليه القرآن.

نقد كشف الإسلام عن الصلة الوثيقة بين فساد
الأوضاع، وبين التخلف وآلام الإنسانية بشق أنواعها،
وسقوطها من حيث هذه الحقيقة كل عالم من صلحاء
الاجتماع، وكل قائد من قادة الاشتراكية والديمقراطية
وغيرها، وإذا كان لدى هؤلاء شيء، يذكر فغن الإسلام
أخذوا، ومنه اقتبسوا. ولكن ما الحيلة فيمن ينفر من كل
ما يمت إلى الدين بسبب، لالشيء إلا لأن اسمه دين.

(٩٥: ٣)

الطباطبائي: والمراد ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ هو السماء.
﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ هو الأرض، فالجملة كناية عن
تقهم بنعم السماء، والأرض، وإحاطة بركاتها عليهم.
ظير ما وقع في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَعْتَوْا
وَأَعْتَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف: ٩٦.

تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ إشارة إلى ما يحصل بالوهب الرحمان،
وما يحصل بالكسب الإنساني. فمن عمل بما علم، واجتهد
في طريق الحق كل الاجتهاد، ينال مراتب الأذواق
والمشاهدات، فيحصل له جنتان، جنة العمل وجنة
الفضل، وهذا الرزق المعنوي هو المقبول. [ثم استشهد
بشعر]

محمد جواد مغنيتة: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِهِمْ﴾ كناية عن السعة في الرزق قاطبًا، كما تقول:
فلان غارق في التعم من قرنه إلى قدمه.

وفي معنى هذه الآية آيات كثيرة، منها: الآية ٩٦ من
الأعراف: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَعْتَوْا وَأَعْتَوْا لَفَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، والآية ٧٩
الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَنْفَعُهُمْ
شَيْئًا نَفْسُهُمْ﴾، والآية ٤١ الزوم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، والآية ٣٠ الشورى:
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

وترشدنا هذه الآيات إلى أمرين:

١- أن ظهور الفساد، ومنه الفقر والمرض والجهل،
إنما هو من حكم الأرض، لامن حكم السماء. ومن أيدي
الناس الذين أماتوا الحق، وأحيوا الباطل، لامن قضاء
الله وقدره، وأن آية جماعة عرفوا الحق وعملوا به،
عاشوا في سعادة وهناء.

٢- أن التعبير في الآيات الكريمة بقوم وبالناس، يدل
على أن الشقاء يستند إلى فساد الأوضاع، وأن مجرد
صلاح فرد من الأفراد، لا يجدي شيئًا مادام بين قوم
فاسدين، بل يجرّ صلاحه عليه البلاء والشقاء، قال

والآية من الدليل على أن لإيمان هذا النوع، أعني نوع الإنسان وأعماله الصالحة تأثيراً في صلاح النظام الكوني من حيث ارتباطه بالتنوع الإنساني، فلو صلح هذا النوع صلح نظام الدنيا، من حيث إسمائه باللائم لحياة الإنسان المتبعة، من اندفاع التعم ووفور التعم.

ويدل على ذلك آيات أخرى كثيرة في القرآن بإطلاق لفظها، كقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ الزوم: ٤١، ٤٢، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ

مُجِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ التورى: ٣٠، إل غير ذلك.

نحوه مكارم الشيرازي.

٢- قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ... الأنعام: ٦٥

ابن مسعود: ﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدًا، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ لو خسف بكم الأرض أهلككم، ولم يبق منكم أحدًا. (٧: ٢٢٠)

ابن عباس: أما العذاب من فوقكم فأثمّة السوء، وأما العذاب من تحت أرجلكم فخدم السوء.

(الطبري: ٧: ٢٢٠)

وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

الطبرسي: ٢: ٣١٥

﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني من أمرائكم، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ يعني سفلتكم. (الطبري: ٧: ٢٢٠) نحوه القمي (١: ٤٠٤)، والضحاك (الطبرسي: ٢: ٣١٥). سعيد بن جبير: إن ﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ عني به: الصيحة، والمجاعة والطوفان، والريح، كما فعل بعباد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ عني به الخسف، كما فعل بقارون. (الطبرسي: ٢: ٣١٥) نحوه مجاهد (الطبرسي: ٢: ٣١٥)، والحسن (الطوسي: ٤: ١٧٦)، والسدي (الطبري: ٧: ٢٢٠)، والقرطبي (١: ٣٢٨)، والزيجاج (٢: ٢٦٠)، والطوسي (٤: ١٧٦).

الطبري: [نقل بعض أقوال المفسرين ثم قال:] وأول التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من

قال عني بالذاب ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: الرجم أو الطوفان.

ومأشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم.

﴿مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾: الخسف ومأشبهه. وذلك أن

المعروف في كلام العرب من معنى: فوق وتحت الأرجل،

هو ذلك دون غيره، وإن كان لما روي عن ابن عباس في

ذلك وجه صحيح، غير أن الكلام إذا تنوع في تأويله،

فعمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من

غيره، ما لم يأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها.

(٧: ٢١٩)

الزمخشري: إن الذي من فوقهم: الطوفان، والذي من

تحت أرجلهم: الرجم. (الماوردي: ٢: ١٢٦)

الماوردي: [نقل الأقوال المتقدمة ثم قال:]

ويحتمل أن العذاب الذي من فوقهم: طوارق السماء

أبو حنيفة : هذا إخبار يتضمن الوعيد ، والأظهر من
نق الآيات أنه خطاب للكفار ، وهو مذهب الطبري .
وقال أبي وأبو العالية وجماعة : هي خطاب
للمؤمنين ، قال أبي : من أربع : خطاب قبل يوم القيامة ؛
مضت اثنتان قبل وفاة الرسول بتمس وعشرين سنة ؛
ليسوا شيئا ، وأدب بعضهم بأس بعض ، واثنتان واقعتان
لانحالة : الخسف ، والزجم .

وقال الحسن : بعضها للكفار ، بعض العذاب من فوق
ومن تحت ، وسارها للمؤمنين ، انتهى . وحين نزلت
استأذ الرسول ﷺ ، وقال في الثالثة : هذه أهون ، أو هذه
أبصر . واحتج بهذا من قال : هي للمؤمنين .

وقال الطبري : لا يمنع أن يكون ﷺ تعود لأمتهم بما
وعد به الكفار ، وأهون الثالثة لأنها في المعنى هي التي
خطبتهم لمفتح كما في حديث الموطأ وغيره .

والظاهر «مِنْ قَوْلِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ»
الحقيقة كالصواعق... والزلزال . [ثم قال نحو ما تقدم في
الوجه الأول عن كلام الفخر الرازي وأصاف :]

وقيل : «مِنْ قَوْلِكُمْ» خذلان السمع والبصر
والآذان واللسان ، «وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» خذلان
الفرج والزجل إلى المعاصي ، انتهى . وهذا - والذي قبله
[قول الشاذلي] - مجاز بعيد . (٤ : ١٥١)

البروتوني : «عَذَابًا مِنْ قَوْلِكُمْ» بأن يرخي
حجابا بينه وبينكم ، يطبكم به عزة وغيره «أَوْ مِنْ
تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» . أي عذابا من أوصاف بشرتكم ،
بإسبلاء الهوى عليكم . (٣ : ٤٨)

الألويسي : [نقل الأقوال المتقدمة ثم قال :]

التي ليست من أعمال العباد ، لأنها فوقهم ، والتي من تحت
أرجلهم : ما كان من أعمال العباد ، لأن الأرض تحت
أرجل جميعهم . (٢ : ١٢٦)

الزمخشري : «عَذَابًا مِنْ قَوْلِكُمْ» كما أطر على
قوم لوط وعلى أصحاب القيل المجارة ، وأرسل على
قوم نوح الطوفان ، «أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» كما أغرق
هرون وخسف بقارون .

وقيل : هو حبس المطر والنبات . (٢ : ٢٦)

نحوه الشاذلي (٢ : ١٧) ، وشجر (٢ : ٢٧٠) .

الفخر الرازي : اعلم أن هذا نوع آخر من دلائل
التوحيد ، وهو مزيج بنوع من التخويف ، لبيان كونه
تعالى قادرا على إيصال العذاب إليهم من هذه الطرق
المتنوعة وأما إرسال العذاب عليهم تارة من فوقهم ، وتارة
من تحت أرجلهم فلهذه قولان :

الأول : حمل اللفظ على حقيقته ، فنقول : العذاب
النازل عليهم من فوق مثل المطر النازل عليهم من فوق ،
كما في قصة نوح ، والصاعقة النازل عليهم من فوق ، وكذا
العصبة النازلة عليهم من فوق ، كما حصب قوم لوط ،
وكما رمى أصحاب القيل . وأما العذاب الذي ظهر من
تحت أرجلهم فمثل الزجفة ومثل خسف قارون ، وقيل :
حبس المطر والنبات .

وبالجملة فهذه الآية تتناول جميع أنواع العذاب التي
يمكن نزولها من فوق ، وظهورها من أسفل .

القول الثاني : أن يحمل هذا اللفظ على مجازة . [ثم

نقل قول ابن عباس]

نحوه القرطبي . (٧ : ٩)

والشمال وخلف وقُدَام؟

فنقول: لأنَّ المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا، ونار الدنيا تُحيط بالجوانب الأربع، فإنَّ من دخلها تكون الشعلة خلفه وقُدَامه وبمينه ويساره. وأمَّا النَّار من فوق فلا تنزل، وإنما تصعد من أسفل في العادة العاجلة، وتحت الأقدام لاتبقي الشعلة التي تحت القدم، ونار جهنم تنزل من فوق، ولا تنطفيء بالدُّوس موضع القدم.

المسألة الثانية: قال: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ولم يقل: من فوق رؤوسهم، ولا قال: من فوقهم ومن تحتهم، بل ذكر المضاف إليه عند ذكر (تَحْتِ)، ولم يذكر عند ذكر (فَوْقِ).

فنقول: لأنَّ نزول النار من فوق سواء كان من تحت الأرض أو من فوقها سواء كان من موضع آخر عجيب، فلهذا لم ينعته بالزُّأْس. وأمَّا بقاء النار تحت القدم فحسب عجيب. وإلا فن جوانب القدم في الدنيا يكون شغل وهي تَحْتِ. فذكر العجيب: وهو ما تحت الأرجل؛ حيث لم يطف بالدُّوس، وما فوقه على الإطلاق. (٨٢: ٢٥) البرُّوسوي: والمراد من جميع جهاتهم [إلى أن قال]: وفي «التأويلات السجدة»: ﴿يَوْمَ يَغْشِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ بإحاطة هذه الصفات، من (فَوْقِهِمْ) الكبير وال غضب والحسد والمقد، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: الحرس والنَّار، والشَّهوة، ولكنهم بنوم الفيلة نائمون، ليس لهم خبر عن ذوق العذاب، كالتَّائِم لاشعور له في النَّوم بما يجري على صورته، لأنَّه نائم الصُّورة، فإذا انتبه يجد ذوق ما يجري عليه من العذاب. (٤٨٥: ٦)

والجار والجرور متعلق بما يَتَحْتِ، ويجوز أن يكون متعلقاً بحذوف وقع صفة له عذابه (أو) لمنع الخلوة دون الجمع، فلا منع لما كان من الجهتين معاً، كما فعل بقوم نوح عليه الصَّلَاة والسلام. (١٨٠: ٧)

الطَّيَّاطِبَاتِي: [نقل الأقوال ثم قال:]

وقيل: المراد بما من فوق وبما من تحت: الأسلحة النارية الفتالة التي اخترعها البشر أخيراً؛ من الطَّيَّارات والمناطد التي تغذف القنابل المحرقة والحزبة وغيرها، ومراكب تحت البحر المفرقة للسفائن والباخرات، فإنَّ الإنذار إنما وقع في كلامه تعالى، وهو أعلم بما كان سيحدث في مملكته.

والحقُّ أن اللفظ مما يقبل الانطباق على كمال من المعاني المذكورة، وقد وقع بعد النزول ما ينطبق عليه اللفظ. والحمد الأصلي لهذه الوقائع الذي مهد لها الطريق هو اختلاف الكلمة، والتفرُّق الذي بدأت به الأمة، وجَبَّتْ به النبي ﷺ فيها كان يدعوهم إليه من الاتِّفَاق على كلمة الحقِّ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَأَتَّبُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١٥٣. (١٣٦: ٧)

٣- يَوْمَ يَغْشِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَكُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. العنكبوت: ٥٥ التَّيْبِيْدِي: أي من كل الجهات، لأنَّه محيط بهم. (٤٠٩: ٧)

الفَخْر الرَّاظِي: وفيه مسألتان:

الأولى: لِمَ خصَّ الجاهِلين بالذكر، ولم يذكر اليقين

الطوسي : أي من جميع جهاتهم . فما ذكر للتصميم
كما في القدوة والآصال . (٢٢ : ١٩)

٤- وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلُوا مِنَ
الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فَجَعَلْنَاهَا نَحْتًا أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنْ
الْآسَفِينَ . فصلت : ٢٩

مقاتيل : يكونان أسفل منا في النار .

(الفخر الرازي ٢٧ : ١٢٠)

الطبري : يقول : نجعل هذين اللذين أضلانا ﴿نَحْتًا﴾ تحت
أقدامنا ، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ،
وكل ما أسفل منها فهو أشدّ حل أهله ، وعذاب أهله
أغلظ . ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يُريهم اللذين
أضلّاهم ، ليجعلوهما أسفل منهم ، ليكونا في أشدّ
العذاب ، في الدرك الأسفل من النار . (٢٤ : ٢٩٤)

الطوسي : إتهم لشدة عداوتهم وبغضهم لهم بما
أضلّوهم وأغروهم . يتمنون أن يجعلوهما تحت أقدامهم
ويطؤوهم . (٩ : ١٢٣)

البغوي : في النار . (٤ : ١٣٢)

مثله الخازن . (٦ : ٩٢)

الطبرسي : [نحو الطوسي وأضاف:]

وقيل : إن المراد به : ندوسها ونطؤوها بأقدامنا
إذلاً لها ، ليكونا من الأضلّين الأذلين . (٥ : ١٢)

الفخر الرازي : كان بعض تلامذتي ممن يميل إلى
الحسكة ، يقول : المراد بالَّذِينَ يَضْلَان : الشهوة
والغضب ، وإليها الإشارة في قصّة الملائكة بقوله :
﴿أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَةِ بَرْزَخًا﴾ البقرة : ٣٠ .

ثم قال : والمراد بقوله : ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَحْتًا أَقْدَامِنَا﴾ .
يعني ياربنا أعنا حتى نجعل الشهوة والغضب تحت أقدام
جوهر النفس القدسيّة ، والمراد بكونها تحت أقدامه :
كونها مسخّرين للنفس القدسيّة مطيعين لها ، وأن
لا يكونا مسؤولين عليها قاهرين لها . (٢٧ : ١٢٠)
نحوه الطوسي . (٢٤ : ١٢٠)

٥- ثُمَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَمَا نَحْتُ الثَّرَى . طه : ٦

ابن عباس : أي تحت الأرض السابعة .

مثله ابن كعب القرظي . (أبو حيان ٦ : ٢٢٦)

هناك من عبد الله : إن النسيء سئل ما تحت
الأرض ؟ قال : الماء . قيل : فما تحت الماء ؟ قال : ظلمة .

قيل : فما تحت الظلمة ؟ قال : الهواء . قيل : فما تحت الهواء ؟

قال : الثرى . قيل : فما تحت الثرى ؟ قال : انقطع علم
الخلق عند الخالق . (الطوسي ١٦ : ١٦١)

الضحاك : ما واري الثرى من كل شيء .

(الطبرسي ٤ : ٢)

السدي : هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة .

وهي صخرة خضراء ، وهو سبعين الذي فيه كتاب
الكفار . (٣٤٤)

الزجاج : وما تحت الأرض ندّى . وجاء في التفسير

﴿وَمَا نَحْتُ الثَّرَى﴾ : ما تحت الأرض . (٣ : ٣٥٠)

الطوسي : المعنى أنه مالك لجميع الأشياء . [إلى أن

قال:]

فله تعالى : ﴿وَمَا نَحْتُ الثَّرَى﴾ إلى حيث انتهى .

لأنه مالكه وخالفه ومدبره، وكل شيء ملكه يصح،
واقه تعالى مالكه، يعني أن له التصرف فيه كيف شاء.

(١٦٦: ٧)

الطُّبْرَسِي: قيل: يعني مائي ضمن الأرض من
الكنوز والأموال. (٢: ٤)

الفَخْر الزَّازِي: بيان قيل: (الترى) هو السطح
الأخير من العالم فلا يكون تحته شيء، فكيف يكون الله
مالكًا له؟

قلنا: (الترى) في اللغة: التدى، فيحتمل أن يكون
تحته شيء، وهو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر
أو الهواء، على اختلاف الروايات. (٢٢: ٨)

النَّسْفِي: ماتحت سبع الأرضين، أو هو الصخرة
التي تحت الأرض السابعة. (٤٩: ٢)

أبو حَتَّان: قيل: «ماتحت الترى»: ما هو في باطن
الأرض، فيكون ذلك تأكيداً لقوله: «وما في الأرض»،
إلا إن كان المراد بـ(في الأرض): ما هو عليها، فلا يكون
توكيداً.

وقيل: المعنى إن علمه تعالى محيط بجميع ذلك، لأنه
منزه، فعلى هذا يكون التقدير: له علم ما في السماوات.
ولما ذكر تعالى أولاً إنشاء السماوات والأرض، وذكر أن
جميع ذلك وما فيها ملكه، ذكر تعالى صفة العلم، وأن
علمه لا يغيب عنه شيء. (٢٢٦: ٦)

أبو الشعود: أي ما وراء التراب، وذكره مع دخوله
تحت مائي الأرض لزيادة التقرير. (٢٦٩: ٤)

الْبُزْرُوسِيُّ: [حكى كلام الفخر الزازي وأضاف:]
وقال بعضهم: أراد الترى الذي تحت الصخرة، التي

عليها الثور، الذي تحت الأرض، ولا يعلم «ماتحت
الترى» إلا الله تعالى، كما لا يعلم أحد ما فوق السدة إلا
هو، أي الذي هو التراب الرطب، مقدار خمسة عام
تحت الأرض، ولولا ذلك لأحرقت النار الدنيا وما فيها،
كما في «إنسان العيون». (٢٦٦: ٥)

الطُّبَّاطِبَانِي: المراد بـ«ماتحت الترى»: مائي
جوف الأرض دون التراب. (١٢٢: ١٤)

٦- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ
وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ غُتَّيْنِ مِنْ عِجَابِنَا صَالِحَتَيْنِ
فَخَافَتَاهُمَا. التحريم: ١٠

الشريف الرضي: هذه استعارة، لأن وصف المرأة
بأنها تحت الرجل ليس يراد به حقيقة الفوق والتحت،
وإنما المراد أن منزلة المرأة متخفضة عن منزلة الرجل،
لقيامه عليها، وظلته على أمرها، كما قال سبحانه:
«الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْعَمُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» النساء: ٣٤، وكما
يقول القائل: فلان الجندى تحت يدي فلان الأمير، إذا
كان من منحة عمله، أو متصرفاً على أمره، وكما يقول
الآخر: لا آخذ رزقي من تحت يدي فلان، إذا كان هو
الذي يلي إطلاق رزقه، وتوفية مستحقة، وذلك مشهور
في كلامهم. (تلخيص البيان: ٣٣٨)

الشريريني: جملة مستأنفة كأنها مغشرة لضرب
المثل، ولم يأت بضميرها فيقال: تحتها، أي تحت نوح
ولوط، ولما قصد من تشریفها هذه الإضافة الشريفة،
[تم استشهد بشعر] (٣٣٤: ٤)

الْبُرُوسِيُّ: بيان لها لها الداعية لها إلى الخير والصلاة، والمراد بكونها تحتها: كونها في حكمها، وتصرفها بملاقة النكاح والزواج، و(صالحين) صفة (جنتين) أي كانتا تحت نكاح نبيين، وفي عصمة رسولين عظيمي الشأن، مستحبتين من تحصيل غير الدنيا والآخرة، وحياسة سعادتهما، وإظهار العبد المريد بها نوح ولوط، لتنظيمها بالإضافة التشريعية إلى ضمير التظيم والوصف بالصلاح، وإلا فيكي أن يقول: تحتها، وفيه بيان شرف العبودية والصلاح. (١٠: ٩٨) نحوه الألويسي. (٢٨: ١٦٢)

تَحْتِهَا

١. وَتَشْرِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... البقرة: ٢٥

مسروق: إن أنهار الجنة تجري في غير أخدود.

(أبو السعود: ١: ٩٤)

ابن عباس: من تحت شجرها ومساكنها. (٦) منه البصري (١: ٩٤)، والخازن (١: ٣٤)، والشريبي (١: ٣٧)، والكاشاني (١: ٨٩).

الساوودي: يعني من تحت الشجر. (١: ٨٦) ابن عطية: معناه من تحت الأشجار التي ينشقها ذكر الجنة.

وقيل: قوله: (مِنْ تَحْتِهَا) معناه بإزائها، كما تقول: داري تحت دار فلان، وهذا ضعيف. (١: ٨-١٠)

القرطبي: أي من تحت أشجارها، ولم يجر لها ذكر، لأن الجنات دالة عليها. (١: ٢٣٩)

نحو البضاوي (١: ٣٧)، وشبر (١: ٨١). التفسير: الجملة في موضع نصب صفة للجنات، والمراد من تحت أشجارها، كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية، وأنهار الجنة تجري في غير أخدود. (٢: ٣٣)

أبو حيان: قيل: المعنى في «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا» أي بأسر سكاكنها واختيارهم، فعبّر بها (تَحْتِهَا) عن قهرهم لها وجريانها على حكمهم، كما قيل: في قوله تعالى حكاية عن فرعون: «وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» أي بأمرى وقهرى.

وهذا المعنى لا يناسب إلا لو كانت التلاوة: «أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ» فيكون ظهير «من تحتي»، إذا جعل على حذف مضاف، أي من تحت أهلها، استقام المعنى الذي ذكر أنه لا يناسب: إذ ليس المعنى بأسر الجنات واختيارها.

وقيل: المعنى في (مِنْ تَحْتِهَا): من جهتها.

وقد روي عن مسروق: أن أنهار الجنة تجري في غير أخاديد، وأنها تجري على سطح أرض الجنة منبسطة، وإذا صعد هذا الثقل فهو أبلغ في الزهدة، وأهل في المظر، وأبهر للنفس، فإن الماء الجاري ينسبط على وجه الأرض جوهره، فيحسن اندفاعه وتكثره، وأحسن الباتين ما كانت أشجاره ملتفة وظلّه ضافياً وماؤه صافياً مناسباً على وجه أرضه، لاسيما الجنة حصاؤها الذر والياقوت واللؤلؤ، فتكثر تلك المياه على ذلك المعنى، ويجلو صفاء الماء بهجة تلك الجواهر، ونسمع لذلك الماء المتكثر على تلك اليواقيت والآلات

له خيرًا.

(١١٢: ١)

أبو السعود: في حيز التصب على أنه صفة جنات، فإن أريد بها الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر، وإن أريد بها الأرض المشتعلة عليها فلا بد من تقدير مضاف، أي من تحت أشجارها، وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية، بالنظر إلى الجزء الظاهر المصتح لإطلاق اسم الجنة على الكل.

(٩٤: ١)

الآلوسي: [نحو أبي السعد وأضاف:]

وقيل: إن «تحت» بمعنى جانب كداري تحت دار فلان، وضُف كالقول: من تحت أوامر أهلها. وقيل: منازلها. وإن أريد بمجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية، كما قيل - بالنظر إلى الجزء الظاهر المصتح لإطلاق الجنة على الكل -

[ومثلها ما جاء في سائر الآيات]

٢- فتأذيتها من تحتها ألا تحزني فذ جعل ذلك تحتك سرًّا.

الحسن: ناداها جبريل عليه السلام، وكان في بقعة من الأرض أخفض من البقعة التي كانت عليها، وأقسم على ذلك.

قناة: أي من تحت النخلة. (الطبري ١٦: ٦٨) **الكتبي:** من أسفل منها في الأرض، وهي فوقه على رأسه.

الطبري: اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته هاتمة قراء المجاز والمراق «فتأذيتها من تحتها» بمعنى:

فناداها جبرائيل من بين يديها، على اختلاف منهم في تأويله. فمن تأول منهم إذا قرأه (من تحتها) كذلك، ومن تأول منهم أنه عيسى، وأنه ناداها من تحتها بعد مولده.

وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة (فتأذها من تحتها) بفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها، على أن الذي تحتها عيسى، وأنه الذي نادى أمه. [لأن قال:]

فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بينا، فحين أن كلنا القراءتين، أعني (من تحتها) بالكسر، و(من تحتها) بالفتح صواب. وذلك أنه إذا قرئ بالكسر، كان في قوله: «فتأذيتها» ذكر من عيسى، وإذا قرئ (من تحتها) بالفتح، كان الفعل ل(من) وهو عيسى، فتأويل الكلام إذن: فناداها المولود من تحتها: أن لا تحزني بأمه...

نحو: أبورزعة (٤٤١)، والقيسي (٥٢: ٢).

الزجاج: وتقرأ (من تحتها) وهي أكثر بالكسر في القراءة، ومن قرأ (من تحتها) عن عيسى عليه السلام، ويكون المعنى في مناداة عيسى لها: أن يبين الله لها الآية في عيسى، وأنه أعلمها أن الله عز وجل سيجعل لها في النخلة آية. ومن قرأ (من تحتها) عن به الملك.

(٣٢٥: ٢)

الفارسي: ليس المراد بقوله: (من تحتها) الجهة السفلى، وإنما المراد: من دونها، بدلالة قوله: «قد جعل ربك تحتك سرًّا»، ولم يكن التهر محاذيًا لهذه الجهة، وإنما المعنى جعل دونك.

(الطوسي ٧: ١١٦)

وقال في «القصص»: من تحت النخلة. وفي «الأسئلة المتحمة» قرئ بفتح الميم، يعني به عيسى، لما خرج من البطن ناداه «أَلَا تَحْزَنِي؟» (٣٢٧: ٥)

الألوسي: وينبغي أن يكون المراد به جبريل عليه السلام، ليوافق ما روي عنه أولاً. ومعنى (بِرْ تَحْتَهَا): من مكان أسفل منها، واقفاً تحت الأكتة التي صعدتها مسرعه. [ثم نقل قول الحسن وقال:]

ولعله إنما كان موقفه عليه السلام هناك إجلالاً لها، وتحاشياً من حضوره بين يديها في تلك الحال. والقول بأنه عليه السلام كان تحتها يقبل الولد، مما لا ينبغي أن يقال، لما فيه من نسبة ما لا يليق بشأن أمين وحي الملك المتعال.

وقيل: ضمير (تَحْتَهَا) للنخلة، واستظهر أبوحيان كون المنادي عيسى عليه السلام، والضمير لمريم والفاء فصيحة، أي فولدت غلاماً فأطلقه الله تعالى حين الولادة، فناداها لمولود من تحتها.

وروي ذلك عن مجاهد وذهب وابن جبير وابن جرير وابن زيد والجسائي، ونقله الطبرسي عن الحسن أيضاً. [ثم نقل القراءات نحو ما تقدم عن الطبرسي]

(٨٢: ١٦)

الطَّبَاطِبَائِي: [له كلام سيأتي في «ن دي»]

(٤٣: ١٤)

تَحْتَهَا

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَغِيلُوا الصَّالِحَاتِ يُعْطِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ.

يونس: ٩

نحوه الطبرسي. (٥٩: ٣)
العاوِزِي: من بطنها، قاله بعض المتكلمين، بالقبطية. (٣٦٥: ٢)

الزَّمَخْشَرِي: قيل: (تَحْتَهَا) أسفل من مكانها، كقوله: «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» البقرة: ٢٥. وقيل: كان أسفل منها تحت الأكتة، فصاح بها: لا تحزني. (٥٠٧: ٢)

الفخر الرازي: أما قوله: (بِرْ تَحْتَهَا) فإن حملناه [المنادي] على الولد فلا سؤال، وإن حملناه على الملك ففيه وجهان:

الأول: أن يكونا معاً في مكان مستوي، ويكون هناك مبدأ معين لتلك النخلة هاهنا، فكل من كان أقرب منها كان فوق، وكل من كان أبعد منها كان تحت. وفيه خبر الكلبي قوله تعالى: «إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» الأحزاب: ١٠، بذلك، وعلى هذا الوجه قال بعضهم: إنه ناداها من أقصى الوادي.

والثاني: أن يكون موضع أحدهما أعلى من موضع الآخر، فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفلى؛ وعلى هذا الوجه روي عن عكرمة أنها كانت حين ولدت على مثل رابية.

وفيه وجه ثالث: يحكى عن عكرمة، وهو أن جبريل عليه السلام ناداها من تحت النخلة.

ثم على التقديرات الثلاثة يحتمل أن تكون مريم قد رآته وأنها مارأته، وليس في اللفظ ما يدل على شيء من ذلك. (٢٠٤: ٢١)

البيروسي: من مكان أسفل منها تحت الأكتة،

مسروق : أنهار الجنة تجري في غير أخدود .

(الماوردي ٢ : ٤٢٤)

أبو مالك : من تحت منازلهم . (الماوردي ٢ : ٤٢٤)

الطبري : يقول : تجري من تحت هؤلاء المؤمنين =

الذين وصف جل تناؤه صفتهم = أنهار الجنة .

فإن قال قائل : وكيف قيل : «تجري من تحتهم»

الأنهار؟ وإنما وصف جل تناؤه أنهار الجنة في سائر

القرآن أنها تجري تحت الجنات، وكيف يمكن الأنهار أن

تجري من تحتهم، إلا أن يكونوا فوق أرضها، والأنهار

تجري من تحت أرضها، وليس ذلك من صفة أنهار الجنة،

لأن صفتها أنها تجري على وجه الأرض، في غير أخاديد؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معنى

ذلك : تجري من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في

بساتين التيم، وذلك نظير قول الله : «قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ

تَحْتِكَ سَرِيًّا» مريم : ٢٤، ومعلوم أنه لم يجعل السري

تحتها، وهي عليه قاعدة، إذ كان السري هو الجدول،

وإنما عني به : جعل دونها، بين يديها، وكما قال جل تناؤه

عبراً عن قيل فرعون : «أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِثْلُ مَا يَصْنَعُ وَهَٰذَا

الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» الزخرف : ٥١ . (١١ : ٨٩)

نحوه الماوردي (٢ : ٤٢٤)، والطوسي (٥ : ٣٩٤).

الفارسي : من تحت بساتينهم وأسررتهم وقصورهم .

(الطوسي ٥ : ٣٩٥)

نحوه البروسوي (٤ : ١٩)، والمراغي (١١ : ٧١).

البغوي : أي بين أيديهم، كقوله عز وجل : «قَدْ

جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا» مريم : ٢٤، لم يرد به أنه تحتها

وهي قاعدة عليه، بل أراد بين يديها.

وقيل : تجري من تحتهم، أي بأمرهم . (٢ : ٤١١)

ابن عطية : يريد من تحت علياتهم وعرفهم،

وليس التحت الذي هو بالمهانة، بل يكون إلى ناحية من

الإنسان، كما قال تعالى : «قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا»

مريم : ٢٤، وكما قال حكاية عن فرعون : «وَهَٰذَا

الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» الزخرف : ٥١ . (٣ : ١٠٧)

نحوه أبو حيان . (٥ : ١٢٧)

القرطبي : قيل : في الكلام «واو» محذوفة، أي

وتجري من تحتهم، أي من تحت بساتينهم.

وقيل : من تحت أسررتهم، وهذا أحسن في الترجمة

والترجمة . (٨ : ٣١٢)

أبو السعود : أي بين أيديهم، كقوله سبحانه :

«وَهَٰذَا الْآنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» ، وهم صلي (سرر

مرفوعة وأرائك مصفوفة) . والجملة مستأنفة أو خبر ثان

لـ (إن)، أو حال من مفعول (تجديهم) على تقدير كون

المهدي إليه ما يريدونه في الجنة كما قيل.

وقيل : جديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك

السبيل المؤدي إلى الثواب والجنة، وقوله : «تجري من

تحتهم الأنهار» جار مجرى التفسير والبيان، فإن

التحريك بحبل السعادة في حكم الوصول إليها.

(٣ : ٢١٦)

وبهذا المعنى جاء كلمة (تحتهم) في سورة الكهف : ٣١

تحتي

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ

مِثْلُ مَا يَصْنَعُ وَهَٰذَا الْآنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ .

الزخرف : ٥١

الضحاك: أي القواد والجبارة يسرون تحت
لواني. (الماوردي ٥: ٢٣٠)

الحسن: بأمرى. (البغوي ٤: ١٦٤)

قتادة: كانت جنات وأنهار تجري من تحت قصره.

(الماوردي ٥: ٢٣٠)

بين يدي: في جناني وبساتيني. (البغوي ٤: ١٦٤)

نحوه ابن الجوزي (٧: ٣٢١)، والقصر الرازي (٢٧: ٢١٨).

الطبري: من بين يدي في الجنان. (٢٥: ٨٠)

الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: [قول قتادة وقد تقدم]

وقيل: من تحت سريره.

الثاني: أنه أراد النيل يجري من تحتي، أي أسفل مني.

الثالث: [قول الضحاك وقد تقدم]

ويحتمل رابثاً: أنه أراد بالأنهار: الأموال، وعبر

عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها، وقوله: «تجري من

تحتي» أي أفرقها على من يتبعني، لأن الرغيب والقدرة

في الأموال في الأنهار. (٥: ٢٣٠)

الطوسي: أي من تحت أمري. وقيل: إنها كانت

تجري تحت قصره وهو مشرف عليها. (٩: ٧-٢)

مثله الطبري. (٥: ٥١)

نحوه البغوي (٤: ١٦٤)، والحازن (٦: ١١٥).

والبروسوي (٨: ٣٧٧)، وشبر (٥: ٤٢٦).

الطبري: قيل: من تحت سريره. وقيل: (من

تحتي) أي تصرفي نافذ فيها من خير صانع. وقيل: كان

إذا أمسك عنائه أمسك النيل عن الجري. (١٦: ٩٨)

الطوسي: [نقل بعض الأقوال السابقة وأضاف:]

ومعنى كونهم يجرون من تحت أنهم يسرون تحت

لوائه ويأتمرون بأمره. وقد أبعد جداً. (٢٦: ٨٩)

الطباطبائي: أي من تحت قصري، أو من بستاني

الذي فيه قصري المرتفع العالي البناء. والمجمل - أعني

قوله: «وهذه الأنهار...» - حالية، أو «وهذه

الأنهار...» مطوف على «مملكه مصر». وقوله:

«تجري من تحتي» حال من (الأنهار)، و(الأنهار): أنهار

النيل. (١٨: ١١٠)

مكارم الشيرازي: والتعبير بـ«تجري من

تحتي» لا يعني أن نهر النيل يمر من تحت قصري، كما قال

ذلك جمع من المفسرين، لأن نهر النيل كان أعظم من أن

يمر من تحت قصر فرعون. وإن كان المراد أنه كان يمر

بحاذة قصره فإن كثيراً من قصور مصر كانت على

هذه الحال، وكان أغلب العمران على حافتي هذا الشط

الطيم، بل المراد أن هذا النهر تحت أمري، ونظام

تقسيمه على المزارع والمساكن حسب التعليلات التي

أريدها. (١٦: ٦٩)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة «التحت»، أي الشغل.

ويستعمل ظرفاً فيعرب حيثل، مثل: هذا تحت هذا،

واسماً مثل: هذا رجل تحت سافل، فيبني على الضم.

وجمع: تحوت؛ يقال: قوم تحوت، أي أرذل سفلة، وفي

الحديث: «لا تقوم الساعة حتى تظهر التحوت ويملك

الوعول»، والنسبة إليه «تحتاني» كما ينسب إلى «فوق».

فيقال: فوقاني.

٢- وليس لهذا اللفظ ضل، بخلاف ألفاظ الجهات الست الأخرى، وهي: الأسفل، والأعلى، والفوق، والأمام، والقدام، واليمين، واليسار، والشمال.

وأما «الوراء» فإنه إن كان من «ورء» - كما ذهب إليه البصريون - فهو مثل «تحت» لا فعل له، وإن كان من «وري» - كما قال به الكوفيون والجوهري - فعله: وريت الخبر تورية: سترته وأظهرت غيره.

ولو قدر اللفظ «تحت» فعل لكان قياسه: تحت يثت تحتًا، إلا أنه اقتصر على لفظه وجمعه واتصاله بهال،

واستعمال حرف الجر «من» معه اسماً وطرفاً، فيقال من الأول: جئتك من تحت الناس، أي من أراذلهم وسفلةهم، ومن الثاني قوله تعالى: «وحيث تحت أرجلهم» المائدة: ٦٦.

الاستعمال القرآني

جاء «تحت» ظرفاً مضافاً إلى ما بعده، بمروراً به من «غالباً»، ويدونها منصوباً، أو مبنياً على الفتح (٥١) مرة في (٥٠) آية:

١- «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِحْبَالَ وَمَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ» المائدة: ٦٦
٢- «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَتَخَفَتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجَلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» الأنعام: ٦٥

٣- «يَوْمَ يَنْفُخُ الْقَافُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» العنكبوت: ٥٥

٤- «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاجِبُونَ قَاتِلُونَ» الزمر: ١٦
٥- «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ فَجَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامَنَا لِيَكُونَا مِنْ الْأَسْفَلِينَ» فصلت: ٢٩

٦- «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» الفتح: ١٨

٧- «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى» طه: ٦

٨- «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا» الكهف: ٨٢

٩- «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيرًا» مريم: ٢٤

١٠- «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَتَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَتَيْنِ

١١- «وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ خَيْرٌ مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ» الزخرف: ٥١

١٢- «وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ خَيْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَاهْلِكَنَّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ» الأنعام: ٦

١٣- «أَيُّودُ أَخَذَكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ تَهْبِيلِ

١٤- «وَأَيُّودُ أَخَذَكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ تَهْبِيلِ

- ٢٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَقْوًى لَهُمْ﴾ محمد: ١٢
- ٢٣- ﴿يَوْمَ يَجْزِيهِمْ يَوْمَ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّفَافِينِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التَّافِين: ٩
- ٢٤- ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ الطَّلَق: ١١
- ٢٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾
- ٢٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَذْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الكهف: ٣٠، ٣١
- ٢٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَذْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ البَيِّنَة: ٨، ٧
- ٢٨- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الْأَعْرَاف: ٤٢، ٤٣
- ٢٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَتَذَكَّرُونَ وَأَغْتَابَ قَهْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ البقرة: ٢٦٦

- ٢٦٦- ﴿وَأَغْتَابَ قَهْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ البقرة: ٢٦٦
- ٢٦٧- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ البقرة: ٢٥
- ٢٦٨- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...﴾ التَّاء: ٥٧
- ٢٦٩- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...﴾ التَّاء: ١٢٢
- ٢٧٠- ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِي حَيْثُ هُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾
- ٢٧١- ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الثَّلَاثُ جَنَّاتٌ عَذْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ طه: ٧٥، ٧٦
- ٢٧٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ الحج: ١٤
- ٢٧٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الحج: ٢٣
- ٢٧٤- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَسُبُّوا ثَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرُفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِغَمٍّ أَجْرُ الْقَائِلِينَ﴾ العنكبوت: ٥٨

رَبِّهِمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿

يونس: ٩

ولمن آمن بالله واليوم الآخر:

٣٠ ﴿لَا تَحْزَنْ قَوْمًا يَكُونُونَ بِمَا هُمْ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ... أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا...﴾ المجادلة: ٢٢

وللمؤمنين والمؤمنات:

٣١ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةِ
بِيٍّ جَنَّاتٍ عَدْنٍ...﴾ الثوبة: ٢٢

٣٢ ﴿يُدْخِلُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا﴾ الفتح: ٥
٣٣ ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى
نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يُمْشِرُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾ الحديد: ١٢

وللذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة:

٣٤ ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ
الزَّكَاةَ... لَأَدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَنْ
كُفِّرَ عَنْكُمْ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَقَدْ خَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ١٢
وللصالحين:

٣٥ ﴿...وَتَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا صَعِ الْغُورِ
الصَّالِحِينَ﴾ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿

المائدة: ٨٤، ٨٥

وللمتقين:

٣٦ ﴿قُلْ أُوْنَسِبُكُمْ بِحَبْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا...﴾ آل عمران: ١٥
٣٧ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلْنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ﴾ آل عمران: ١٩٨

٣٨ ﴿مَنْ قُلُ الْمَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الزمرد: ٢٥

٣٩ ﴿...وَلَقَدْ آتَيْنَا الْآخِرَةَ خَيْرًا وَلَنِعْمَ ذَاكَ الثَّابِتِينَ﴾
فَلَمَّا كُنْتُمْ فِيهَا عَمَزَجًا أُدْخِلْنَا فِيهَا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ النحل: ٢٠، ٣١
٤٠ ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرُفٌ مِنْ غُرُفِهَا
غُرُفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ
الْمِيعَادَ﴾ الزمر: ٢٠

وللمجاهدين، والمهاجرين، والأنصار، والتابعين
لهم بإحسان:

٤١ ﴿...فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأُورِدُوا فِي سَبِيلِ وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَافْتَرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قَوْمًا مِنْ هُنْدٍ
اللَّهُ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْقَوَابِ﴾ آل عمران: ١٩٥
٤٢ ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

التوبة: ٨٨، ٨٩

٤٣- ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينُ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَذْنِ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ
الصف: ١١، ١٢

٤٤- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْأَحْزَابِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
التوبة: ١٠٠
وللشيء عظيم:

٤٥- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَك خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ تَصَوُّرًا﴾

الفرقان: ١- ٢

ولمن يطيع الله والرسول:
٤٦- ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَقُولُ مُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَبَدًا﴾

الفتح: ١٧

٤٧- ﴿وَلِلَّهِ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
الأنعام: ١٢

وللصادقين:
٤٨- ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَفْعَلُ الْفَاضِلِينَ صَدَقْتُمْ لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
المائدة: ١١٩

وللثقلين:

٤٩- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ... أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾
آل عمران: ١٣٥، ١٣٦

٥٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَلَىٰ رَبِّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
التحریم: ٨

يلاحظ أولاً: أن الآيات قسماً: قسم جاء فيه «تحت» بمعنى اللُخوي حقيقة، أي «السُّفول» مقابل «الفوق»، وقسم أريد به السعة والإحاطة ونحوهما تَجْرَى: وهو قليل. وكل ذلك في مواضع:

الأول: تحت الأرجل أو الأقدام، في أربع آيات: ١- ٢ و ٥ على اختلافها وعداً ووعداً:

فالأول: وعد لليهود والنصارى بأنهم لو أقاموا التوراة والإنجيل - أي عملوا بها - لأكلوا من فوقهم، أي لوشع الله عليهم الرزق، وبارك لهم في مآكلهم ومعاشهم.

والثانية: وعيد للناس بأن الله قادر على أن يعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم، أي يحيط بهم المذاب. وهاتان خاصتان بالدنيا وعداً ووعداً.

والثالثة: وعيد للكفار في الآخرة بإحاطة المذاب لهم، وقوله: (يُنَشِّئُهُمْ) صريح في ذلك.

كذلك الرابعة: وعيد للكفار في الآخرة بدون ذكر الأجل.

والخامسة: جاءت في الآخرة كذلك: حيث تسمى

الكفار ليجعلوا من أصلهم من الجن والإنس تحت أقدامهم انتقاماً منهم.

وفي هذه الآيات بحوث:

١- المتبادر من الأربع الأولى إحاطة النعمة أو العذاب لأهلها، وأن «الفوق» و«التحت» فيها كناية عن الأطراف الستة، لو أريد بها الإحاطة الجسدية، أو شمول النعمة والعذاب لهم من كل طريق لو أريد بها تعميم النعمة والعذاب بأي نحو كان، وهو الأقرب. واختاره الطبرسي في (٦) فقال (٣: ٤٤٦): «وقيل: إنَّ المعنى التوسعة، كما يقال: فلان في الخير من فرئه إلى قدمه، أي يأتيه الخير من كل جهة يلتصقه منها». ثم ذكر ظييراً لها من الآيات.

يَبْدَأُ أَنَّهُ قَالَ فِي صَدْر كَلَامِهِ: «لَاكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ» بإرسال التثنية عليهم مدراراً، ومن تحت أرجلهم بإعطاء الأرض خيرها وبركتها... وقيل: المراد لأكُلُوا ثمار التخييل والأشجار من فوقهم، والزَّرع من تحت أرجلهم.

وحكى في (٢) وجوهاً، فقال (٤: ٨٢): «مِنْ فَوْقِهِمْ»: الصيحة والحجارة والظوفان والريح، كما فعل بعاد... «وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ»: الحسف كما فعل بقارون، أو من قبل كباركم وشفلتكم، أو من قبل السلاطين الظلمة والعبيد السود، وهذه معاني حرقية يأبأها السياق.

وقال في (٣) أيضاً (٨: ٣٧): «يَتَشَبَّهُمُ الْعَذَابُ» أي «يحيط بهم»، لا أنه يصل إلى موضع منهم دون موضع، فلا يبقى جزء منهم، إلا وهو معذب في النار، كقوله: «وَلَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِثْقَ ذَرَّةٍ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ» الأعراف: ٤١.

وقال في (٤) (٤: ٤٩٣) «مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ» أي سرادقات وأطباق من النار ودخانها (وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) أي فرش [إلى أن قال:]... والمراد أن النار تحيط بهوانبيهم.

٢- جاء «فوق» و«تحت» معاً متقابلين في هذه الآيات الأربع، وأريد بها الإحاطة، أو المعنى اللغوي، وهو الأقرب. وكذلك في (٤-٥): «وَلَهُمْ غُرُوفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرُوفٌ مِثْلُ نَجْدٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» الزمر: ٢٠، وهي منمينة في المعنى اللغوي، إلا أنها ليسا متقابلين، بل فيها إيهام التقابل، لاحظ «ب ن ي»: (مبتدأ).

٣- والمتبادر من (٥) معناها اللغوي، فإن جعل الخصوم تحت الأقدام كانت عادة شائعة بين الملوك، وفي التاريخ فارس جعل «داريوس» - ثاني ملوك السلسلة الأخمينية - في جبل «بيستون» الواقع بين همدان وكرمانشاه - خصمه الذي خانه واغتصب عرشه تحت قدميه كما جاء في النقش هناك.

أو المراد بها إذلالها وتحقيرها، وهو مجاز شائع. وقد اختير في هذه لفظ «الأقدام» بدل «الأرجل»، لأنها أظهر بالإهانة والإذلال الخاص بها، دون الثلاث الأولى، حيث كان المراد بها الإحاطة دون الإذلال. وقد حكى الفخر الرازي عن بعض تلامذته تأويلاً لهذه الآية، فلاحظ.

الثاني: تحت شيء كالشجرة والجدار في (٦-٨)، وأريد بها المعنى اللغوي:

(وَتَحْتِ الشَّجَرَةِ) في (٦) تحكي لنا تلك المعاهدة المباركة التي انعقدت بحضور النبي ﷺ في الحديبية،

ثانيًا: هذه الآيات فسيان: قسم خاص بالدنيا في (١٢ - ١٤)، وفي (١٢): «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ». أي من تحت بيوتهم، والسرّ فيه أنّ الجنّات لم تذكر فيها، فجاء (تَحْتِهِمْ)، أي من تحت جنتهم في الدنيا، وهذه الثلاث خاصة بالدنيا. أمّا سائر الآيات فراجعة إلى جنّات الآخرة.

ثالثًا: المراد بـ «جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» ما في الجنّات من أشجارها ونهارها، والأنهار تجري من تحتها، لا من تحت أرضها؛ إذ لا حظّ فيها للعيون، وربما لا تُعَدُّ الأشجار أيضًا، فجريان الأنهار تحت الأشجار ضرب لها من جهة، وحظّ للعيون من جهة أخرى. فإذا جرت تحت الأشجار فقد جرت تحت القصور والبيوت الخسوف عليها، وكانت تلك عادة قديمة في بناء القصور والبيوت المشرفة على الأنهار والبحار تتّما برويتها. قال الشاعر:

ثلاثة يُذهبن عن قلبي الحزن

الماء والخضراء والوجه الحسن

وقد جمعها الله لأهل الجنة، فهذان مذكوران في هذه الآيات، والمور والفلان مذكوران خلالها. وجريان الأنهار فيها استمارة من جريان مائها مبالغة، أي يجري فيها الماء دائمًا وبشدّة، وكأنّ الأنهار هي التي تجري. لاحظ «ن» «ر» و«ج» «ي».

رابعًا: جاء فيها «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» مع (من)، وفي (٤٤): «تَجْرِي تَحْتَهَا» بدون (من)، فهل في هذا نكتة؟

قال الطبرسي (١٢: ٥): «قرأ ابن كثير وحده (من)

ووقعت هنالك بيعة الرضوان، وانتهت إلى الصلح الذي نزلت فيه سورة الفتح. وللشجرة ذكر حسن في قضايا الأنبياء كموسى وعيسى وأمه مريم وعبد الله، لاحظ «ش ج ر».

و(تَحْتُ الثُّرَى) في (٧) أي تحت الأرض، ذكرت بدلها رعاية لرويّ الآيات في سورة «طه».

الثالث: تحت شخص أو أشخاص في (٩ - ١١): (من تَحْتِهَا) في (٩) أي فرجها، كفي عنه أدبًا وحذرًا من ذكر القبيح، والمنادى إسمًا ولدها عيسى - وهو الأقرب - أو جبرئيل، وكلاهما مذكور قبلها. وأبنا كان فهو معجزة لعيسى، أزال الحزن عن أمّه.

والضمير في (تَحْتِهَا) لمريم، لا للنخلة - كما قيل - لتناسق الضميرين منها، ولما بعدها «تَحْتِكَ سَرِيًّا» والمراد به جريان النهر الذي لم يكن فيه ماسم وغيره معجزة أخرى من الله تسكينًا لنفسها، لأنها كانت خائفة من نُهمة الفحشاء، حيث قالت: «يَا لَيْتَنِي مِثَّ قَبْلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا» مريم: ٢٢.

وفي (١٠): (تَحْتِ عَيْنَيْنِ)، أي كانتا زوجين لها، وأريد به (تَحْتُ) هنا سيطرة الزوج على المرأة، كما هي تحت عند الجماع.

وفي (١١) حكاية عن فرعون: «وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي»، أي من تحت قصري، إعلانيًا بيسط قدرته عليها، وقيل: تحت أمري، وهو بعيد.

الرابع: جنّات تجري تحتها الأنهار، وهي باقي الآيات (١٢) إل (٥٠)، و«تحت» فيها جسيمًا بمعناها اللغوي، كما سيأتي بتفصيل.

تَحْتَهَا) بزيادة (بِنَ)، وكذلك هو في مصاحف مكة، وقرأ
الباقون (تَحْتَهَا) بغير (بِنَ)، وعليه سائر المصاحف،
والمعنى واحد، ونحوه الرَّحْمَنُ تَحْتَرِي (٢: ٢٦).

وقال الألويسي (٩: ١١): «قرأ ابن كثير (بِنَ تَحْتَهَا)،
وأكثر ما جاء في القرآن، موافق لهذه القراءة».

وعليه فهي قراءة لأتهدينا إلى ضالتنا المنشودة،
والذي يجدر بالبحث هنا معنى (بِنَ) فيها، أهى للابتداء؟
مثل: سرت من البصرة إلى الكوفة، أو بمعنى «في» أي
تجري في تحتها الأنهار، أو للتبيض؟ أي تجري الأنهار
تحت بعضها، وهو الأقرب، لأن الأنهار إذا جرت تحت
الجميع فهي بحار لا أنهار، وهو الذي نراه بالفعل من
جريان الأنهار تحت الأشجار في ناحية من الجنات دون
استيعابها.

خامساً: جاء في الآيات (بِنَ تَحْتَهَا) في (٢٩: ٢٩):
(بِنَ تَحْتَهَا)، مع أنها خيرها في وصف أهل الجنة،
والسّر فيها تقديم (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ)، والفصل بينها وبين
(تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا) بقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ونزعتنا
عالي قلوبهم مِنْ عِلٍّ، فأرجع الضمير إليهم، لأنهم
أقرب بها من (الجنة)، فالسؤال ينبغي أن يوجه إلى سر

تغيير سياق هذه الآية وانفرادها عن غيرها، لا إلى
تبدل (تَحْتَهَا) بـ (تَحْتِهَا).

والسر فيه - والله أعلم - أن الآية وصف لهم أولاً
بقوله: (لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، تنبيهاً على أن (الذين
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يُجْزَوْنَ بقدر ما كُتِفُوا، أي
حسب وسعهم لا أكثر، ثم تبه على خلودهم في الجنة
ونزع ما في صدورهم من غلٍّ، وأخر (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ) تقديم لما هو الأهم بالذكر وتأخيراً لغيره.

وهناك مزية أخرى خاصة بها وهي أنها عبرت
أنها عنهم بـ (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) جرياً على ما تكرر في هذه
السورة - الأعراف - من التفاضل بين أصحاب الجنة
وأصحاب النار، كسورة البقرة والمحضر وغيرها،
فلاحظ «ص ح ب»: (أصحاب الجنة).

سادتها: جاءت (جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)
جزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات - وهو الأكثر -
والمؤمنين والمؤمنات، والمتقين والجاهدين والمهاجرين،
والأنصار والتابعين، والصادقين، والمصلين، والمسوتين
للزكاة، والتائبين والمستغفرين، وللتقي ولن يقطع الله
ورسوله.

ترب

٧ ألفاظ ، ٢٢ مرة : ١٨ مكية ، ٤ مدنية
في ١٨ سورة : ١٤ مكية ، ٤ مدنية

أتراب ١:١	تُرَاب ٣-٤-٧
التَّراب ١:١	التُّراب ١:١
متربة ١:١	تُرَابًا ٩-٨-١
	أترابًا ٢:٢
والقُرْب: التُّراب.	
وقوله: وهذا الشيء عليك تُرْتَبُ، أي واجب.	
وقوله: إذا كفر ماله.	
وفي الحديث: «تُرِبْتُ يدالك» أي هو الفقر. وتُرِب،	
إذا خسر، وأُتْرِب: استغنى.	
والتُّرَباء: نفس التُّراب، قال: لأضربه حتى يتعض	
بالتُّرَباء.	
ورج تربة: حملت تُرَبًا.	
وفي الحديث: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق	
فيها الجبال يوم الأحد، والشجر يوم الإثنين».	
والقُرْب والقُرْب: اللدة، وهما يزبان، وقوله	
عز وجل: «عُرِبَا أترابًا» الواقعة: ٣٧، أي نشاطًا أمثالًا.	
والتريبة: ما فوق التندوتين إلى الترفوتين، وقيل:	
كل عظم منه تريبة، وتجمع: الترائب. (١١٦: ٨)	
التَّصَوُّص اللُّغَوِيَّة	
الخليل: التُّراب والتُّرب واحد، وإذا أنشأوا قالوا:	
تُرَبَّة.	
وأرض طيبة التربة، أي خلقة تُرَبًا، فإذا أزدت	
طاقة واحدة، قلت: تُرابة واحدة، ولا تُدْرَك بالبصر إلا	
بالنَّوْه.	
ولحم تُرِب، إذا قُلِّت بالتُّراب، ومنه حديث	
علي رضي الله عنه: «لئن وليتُ بني أمية لأنفضنهم نفص القصاب	
الوزام التربة».	
وتُرِبْتُ الكتاب تَترِبًا.	

أبو عمرو السيباني: التَّربُّب: التُّراب.

(الأزهري ١٤: ٢٧٣)

الفَرَّاء: التُّراب جنس، لا يشق ولا يجمع، وينسب إليه تُرابي.

أبو عبيدة: وهو [مُتَرَب] الكثير المال، مثل التُّراب كثرة.

الأصمعي: التُّرْبُ: الأمر التائب.

(الأزهري ١٤: ٢٧٣)

كلُّ ذلول من الأرض وغيرها: تَرَبُوت، وكلُّ هذا من التُّراب.

اللحياني: جمع التُّراب: أتربة وقربان.

(ابن سيده ٩: ٤٨٠)

تَكْرُ تَرَبُوت: مدلل، فخص به النكر. وكذلك طاعة

تَرَبُوت، وهي التي إذا أخذت بمشقتها أو بغيرها تَبْهَتُكَ.

أبو عبيدة: في حديث النبي ﷺ: «تُسَكِّحُ الْمَرْأَةُ لِحَيْسَهَا»^(١) ولما لها ولحسها^(٢)، عليك بذات الدين، تَرَبَّتْ يَدَاكَ.

قوله: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ» فإن أصله أنه يقال للرجل إذا قلَّ ماله: قد تَرَبَّ، أي افتقر حتى لصق بالتُّراب. وقال الله عز وجل: «أَوْ مُشْكِيئًا ذَا عَثَرَةٍ»^(٣) البلد: ١٦، فيرون - والله أعلم - أن النبي ﷺ لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر، ولكن هذه كلمة جارية على ألسنة العرب، يقولونها وهم لا يريدون وقوع الأمر، [إلى أن قال:]

وقال بعض الناس: بل أراد النبي ﷺ بقوله: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ» نزول^(٤) الأمر به عقوبة، لتعمديه ذوات الدين إلى

ذوات الجبال والمال. [إلى أن قال:]

وقال بعض الناس: إن قوله: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ» يريد استغنت يداك من الفتي، وهذا خطأ لا يجوز في الكلام، إنما ذهب إلى المترب وهو الفتي، فغلط. ولو أراد هذا التأويل لقال: أثربت يداك، لأنه يقال: أثربت الرجل، إذا كثر ماله، فهو مُتَرَب. وإذا أرادوا الفقر قالوا: تَرَبَّ يَتَرَب.

ابن الأعرابي: التُّرْبُ بضم التاء ين: العهد السوء والتُّرْبُ: التُّراب أيضاً.

يقبى^(١) التُّرْبُ والتُّرْبُ. ويقال: بغير تَرَبُوت، إذا كان ذلولاً وفاقه تَرَبُوت: كذلك. (الأزهري ١٤: ٢٧٣) رجل قَرِب: فقير، ورجل تَرِب: لازق بالتُّراب من الحاجة، ليس بينه وبين الأرض شيء.

(الأزهري ١٤: ٢٧٤)

ابن السكيت: يقال: ما له تَرَبَّتْ يداه، إذا دُعي عليه بالفقر. والمُتَرَبَةُ: الفقر، قال الله عز ذكره: «أَوْ مُشْكِيئًا ذَا عَثَرَةٍ»^(٢) البلد: ١٦.

وهذا رجل تَرَبُوت وفاقه تَرَبُوت وبغير قَيْد، إذا كان ذلولاً ينساق.

نقول: قد أثربت الرجل فهو مُتَرَب، وأثرى فهو مُتَرِب، إذا كثر ماله. وقد تَرِب، إذا افتقر. (إصلاح المنطق: ٢٢٩) تَرَبَةُ: واد من أودية اليمن. (الأزهري ١٤: ٢٧٥)

(١) الرواية.

(٢) في الهامش عن التفسيرين لعنسيها. وكذا هو في الأزهري.

(٣) وفي الأصل: يزول. وهو سهو.

(٤) وفي الأصل: يفتية!!

وفي قوله **تربت** : «تربت يمينك» لم يدع عليه بذهاب ماله ، ولكنه أراد المثل ، ليُعري المأمور بذلك الجِدَّة ، وأنه إن خالفه فقد أساء .
(المديني ١ : ٢٢٣)

الرياشي : التريستان : الضلعان اللتان تليان الترفوتين ، [ثم استشهد بشعر] (الأزهري ١٤ : ٢٧٥)

ابن أبي اليمان : الترب : الخدن . (١٤١)
الدينوري : التربة : حنطة حمراء ، وشبهها أيضا أحمر ناصع الحشرة ، وهي رقيقة تنتشر مع أدنى برد أو ربح .
(ابن منظور ١ : ٢٣٦)

المبرد : التريب : كثرة المال ، والتريب : قلة المال أيضا ، وأثرَب الرجل : إذا ملك عبداً ملك ثلاث مرّات .

(الأزهري ١٤ : ٢٧٦)

ابن كوتيد : والتربة : خرب من التبت ، والتربة : جمال^(١) القِلادة على الصدر ، والجمع : الترائب ، والترب : اللذة الذي ينشأ معك ، والجمع : أتراب .

وترب الرجل : إذا اختفر ، وأثرَب : إذا استغنى .
والتربة : الفقر ، وكذلك قُسر في التزويل . **وتترب** : موضع قريب من اليمامة ، [ثم استشهد بشعر]

وتربة الأرض : ظاهر ترابها . **وتربة الميت** : رُشُّه ، و**تجمع التربة** : تُربا .

والتراب والتيرب والتوزب : كله من أسماء التراب ، وقد قالوا : **الترباء والترباء** في وزن «فَعْلَاء وفَعْلَاء» ، **وتربان** : موضع معروف ، **وتربة** : وادٍ باليمن ، لا تدخله الألف واللام .
(١ : ١٩٤)

ناقة تربوت : أنسة لا تنضر . (٣ : ٤١٧)

يفطرقه : [روى الحديث الذي أورده أبو حنيفة] ثم

قال :

أراد بقوله : «تربت يدك» إن لم تعمل ما أمرتك به .

(الأزهري ١٤ : ٢٧٣)

ابن الأثيري : [ذكر الحديث الذي أورده أبو حنيفة

ثم قال :

معناه : قد دركك ، إذا استعملت ما أمرتك به ، وانقضت

بطلتي . (الأزهري ١٤ : ٢٧٣)

ابن بُزُج : قالوا : **تربت القرطاس** فأنا أثره تربا ،

وتربت فلان الإهاب لتصلحه ، **وتربت السقاء** ، وكل

ما يصلح ، فهو متروب . وكل ما يفسد ، فهو مترب مشدد .

(الأزهري ١٤ : ٢٧٥)

الباقين : الأتراب : الأقران . (٢ : ٦٩)

الأزهري : [ذكر الحديث الذي أورده أبو حنيفة ثم

قال :

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه دعاء على الحقيقة ،

وهو له في حديث خزيمة : «أنهم صباحا تربت يدك» يدل

على أنه ليس بدعاء عليه ، بل هو دعاء له ، وترغيب في

استعمال ما تقدمت الوصاة به ، ألا تراء قال : «أنهم

صباحا» ثم عقبه : «تربت يدك» والعرب تقول : لأأم لك

ولأنب لك ، يريدون قد دركك . [ثم استشهد بشعر]

قيل : **تترب** فلانا تتربا ، إذا تلوث في التراب ،

وترب الكتاب تربيا ، و**رب ترب** وتربة : قد حلت

تراثا .

وقال أهل اللغة أجمعون : **الترائب** : موضع القِلادة

(١) وفي الوسيط : النقلة قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من أثر العسل ، جمعها : بجال ونجل .

من الصدر، [ثم استشهد بشعر] (الأزهري ١٤: ٢٧٢)

السحاب: [قال نحو التحليل وأضاف:]

ورأى رجل آخر ينظر إلى إبله وهو يقول، فقال:

فوق بلحهم جرباء لا بلحهم ترباء.

وتربت يده، أي خسرت، فلم تظفر بشيء.

وترب: لصق بالتراب.

والتربة: بقلعة خضراء ثلاثي ثراثا، وشجرة شاة

ثمرتها كأنها بكرة.

وأثرب الرجل: استغنى، وهو مترب وتارب، وقوله

مزوجل: «أو مشكينا ذاتربة» البلد: ١٦، من ذلك.

وقيل: مضغفة ومذلة.

والتربة: الضغفة وشدة المال.

والترب: اللذة، وجمعه: أثراب. والمتاربة: صاحبه

الأثراب.

البحوري: التراب فيه لغات: ثراب، ونوراب،

وتوزب، وثيرب، وترب، وتربة، وترباء، وتيراب،

وتربب، وتريب، وجمع التراب: أثربة، وتريان.

والترباء: الأرض نفسها.

وترب الشيء بالكسر: أصابه التراب، ومنه ترب

الرجل: افتقر، كأنه لصق بالتراب. يقال: «تربت

يداك» وهو على الدعاء، أي لأصبت خيرا.

وتربت الشيء تريبا فترب، أي تلطخ بالتراب.

وأثربت الشيء: جعلت عليه التراب، وفي الحديث:

«أثربوا الكتاب، فإنه أنجح للحاجة».

وأثرب الرجل: استغنى، كأنه صار له من المال بقدر

التراب، والمثربة: المسكنة والفاقة، ومسكين ذو مثربة،

أي لاصق بالتراب.

والتربات: الأنامل، الواحدة: تربة.

ورج ترب أيضا، إذا جاءت بالتراب.

والتربة أيضا: ثبت.

وتربة، مثال هرة، اسم واد.

وجمل تربوت وناق تربوت، أي ذلول، وأصله من

التراب، الذكر والأنثى فيه سواء.

وقولهم: هذه ترب هذه، أي لذتها، ومن أثراب.

والترية: واحدة التراب، وهي عظام الصدر ما بين

الترقوة إلى التذوة [ثم استشهد بشعر]

وتترب، بفتح الزاء: موضع قريب من اليمامة.

(٩٠: ١)

ابن فارس: الثاء والزاء والباء أصلان: أحدهما:

التراب، وما يشق منه. والآخر: تساوي الشئين.

فالأول: التراب، وهو الثيرب والثوراب، ويقال:

ترب الرجل، إذا افتقر، كأنه لصق بالتراب. وأثرب، إذا

استغنى، كأنه صار له من المال بقدر التراب. والترباء:

الأرض نفسها، ويقال: رج ترب، إذا جاءت بالتراب.

[ثم استشهد بشعر]

وأما الآخر: فالترب: الحيدن، والجمع: أثراب،

ومنه: التريب، وهو الصدر عند تساوي رؤوس العظام.

[ثم استشهد بشعر]

ومنه: التريات، وهي الأنامل، الواحدة: تربة.

ومما شذ عن الباب: الترية، وهو ثبت. (٣٤٦: ١)

الشعالي: لا يقال: تری، إلا إذا كان ندبا، وإلا فهو

(٥١)

تراب.

المستعمل إظهاره في الدعاء، كأنه بدل من قولهم: تربت يناء وجندك.

ومن العرب من يرفع، وفيه مع ذلك معنى النصب، كما أن في قولهم: رحمه الله عليه، معنى رحمه الله. وقالوا: التراب لك، فرفضوه، وإن كان فيه معنى الدعاء، لأنه اسم وليس بمصدر.

وليس في كل شيء من الجواهر قبل هذا، وإذا امتنع هذا في بعض المصادر فلم يقولوا: السقي لك، ولا الرعي لك، كانت الأسماء أولى بهذا. وهذا النوع من الأسماء وإن ارتفع، فإن فيه معنى المنسوب. وحكى اللحياني: التراب للأبعد، بالنصب. قال: فتصيب كأنه دعاء.

ومحلى تربوت: ذكول، فإما أن يكون من التراب لأنه من الأرض، أو أن تكون التاء بدلاً من الدال في «دربوت» وهو من الأرض.

والترائب: مواضع القلادة من الصدر، وقيل: الترائب: عظام الصدر، وقيل: ما ولي الترقوتين منه، وقيل: ما بين الثديين والترقوتين، وقيل: الترائب: أربع أضلاع من يمين الصدر، وأربع من يسرته.

وقوله: عز وجل: «يخسوف من بين يدي السلب والترائب» الطارق: ٧، قيل: الترائب: ما تقدم، وقيل: الترائب: البدان والرجلان والفتيان، واحدها: تريبة. وتريبة البعير: منعه.

والتراب: أصل ذراع الشاة، أنثى. وبه فسر قول علي: «لئن وليت لأنفضنهم نفص القصاب التراب الويمة». وعن القصاب هنا السبع، حكاه الهروي في «التريبين».

أبوسهل الهروي، قد ترب الرجل بالكسر، إذا افتقر حتى كأنه ألصق بالتراب. وأترب بالألف، إذا استغنى، وصار ماله كالتراب كثرة. (٢٤)

ابن سيده: الترب، والتراب، والترباء، والترباء، والتيرب، والتيراب، والتوزب، والشوراب، والتريب، والتريب، الأخيرة عن كراع، وكله واحد.

وجمع التراب، أتربة، وتربان، عن اللحياني. ولم يسمع لسائر هذه اللغات بجمع، والطائفة من كل ذلك تربة وتربة.

وتربة الإنسان: رثته.

وتربة الأرض: ظاهرها.

وأثرب الشيء: وضع عليه التراب.

وتترب: لصق به التراب.

وأرض ترباء: ذات تراب وتري. ومكان تريب: كثير التراب.

وقد ترب ترباء، ورجع تربة، على النسب: تسوق التراب. وترب الرجل: صار لي يده التراب. وترب ترباء: لرق بالتراب، وقيل: لصق بالتراب من الفقر. وترب ترباء ومتربة: خسير واقتصر، فلحق بالتراب.

وأترب: كثر ماله فصار كالتراب، هذا الأعرف. وقيل: أترب: قل ماله. وقال اللحياني: قال بعضهم: التريب: المحتاج، وكله من التراب.

والترب: الغني، إما على السلب، وإما على أن ماله مثل التراب.

وفي الدعاء: ترباً له وجندلاً، وهو من الجواهر التي أجريت بمزى المصادر المنصوبة، على إظهار الفعل غير

والتُّرْبُ: اللُّدَّةُ والشَّنُّ، وقيل: يَرْبُ الرِّجْلُ: الذي وَلَدَ منه. وأكثر ما يكون ذلك في المَوْتِ، يقال: هي يَرْبُها، والمجمع: أتراب.

وتأزَّتْها: صارت يَرْبُها. [ثم استشهد بنمر]

وقوله تعالى: ﴿عُرِّبْنَا وَنُكِّلْنَا﴾ الواقعة: ٢٧، فسرهُ مُلَبَّ فقال: الأتراب هنا: الأمثال، وهو حسن، إذ لَبِثَ هناك ولادة.

والتُّرْبَةُ، والتُّرْبَةُ، والتُّرْبَاءُ: نَبْتُ سَهْلٍ مُفْرَضٍ الودْق. وقيل: هي شجرة شاكَّة، وقمرُها كأنها بُشْرَةُ مُعلَّقة، منبُتُها السَّهْلُ والحَزْنُ وبِها مَمة. وقال أبو حنيفة: التُّرْبَةُ: حُطْرَاءُ تُلْعَقُ عنها الإبل.

وتُرْبَةٌ، والتُّرْبَةُ، والتُّرْبَاءُ، وتُرْبَانٌ، والتُّرَابُ، وتُرْبَةٌ: مواضع.

وتُرْبَةٌ: موضع من بلاد بني عامر ابن مالك، ومن أمثالهم: «مَرَلْ بطني بطنُ تُرْبَةٍ» يضرب للرجل يصير إلى الأمر الجلي بعد الأمر الملتبس. والمثل لمالك بن عامر أبي البراء.

والتُّرْبَةُ: جَنْطَةُ حِمَاءٍ، وسُبُلُها أيضًا أَحْمَرُ ناصعُ الحُمْرَةِ، وهي رَقيقَةٌ تَتَنَمَّرُ من أدنى بَرْدٍ أو رِيحٍ، حكاه أبو حنيفة. (١٧٩: ٩)

الطُّوسِي: التُّرْبُ الذي ينشأ منك. وقيل فيه: أقوال: منها: يُلْعَبُهم بالتُّرَابِ؛ إذ هم صبيان أقران. ومنها: لأنهم خرجوا إلى حفر التُّرَابِ في وقت من الزَّمان. ومنها لأنهم على الاعتناء كالتُّرَابِ. وقوله: ﴿عُرِّبْنَا وَنُكِّلْنَا﴾ الواقعة: ٢٧، أي أشباه أمثال.

والتُّرَابُ: عظامُ الصُّدُرِ، واحدها: تربية. قيل:

لأنها متشابهة كالأتراب، أو كشابه التُّرَابِ، ومنه قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ الثُّلُبِ وَالتُّرَائِبِ﴾ الطَّارِق: ٧. (٢٣٦: ٢) نحوه الطُّبْرَسِي.

والتُّرَابُ: وتُرِبَ: افتقر، كأنه ليعق بالتُّرَابِ، قال: ﴿أَوْ يَشْكِيًا ذَا مَعْرَبَةٍ﴾ البلد: ١٦، أي ذا لُصُوقٍ بالتُّرَابِ لفقراء.

وَأُتْرِبَ: استغنى، كأنه صار له المال بقدر التُّرَابِ. والتُّرَابُ: الأرض كلها، والتُّرِبَ: واحد الثَّيَارِبِ، والتُّورِبِ، والتُّورَابِ.

ورَبِحُ تُرْبَةٍ: تَأْتِي بالتُّرَابِ، ومنه قوله طيلاً: «عليك بذات الدين تربت يداك»، تنبيهاً على أنه لا يَفُوتُكَ ذات الدين، فلا يحصل لك ما ترومه، فتفتقر من حيث لا تشمر.

والتُّرَابُ: ضُلُوعُ الصُّدُرِ، الواحدة: تربية. [ثم ذكر الآيات] (٧٤)

الرَّصْفُ شَرِي: «ت رَب» أرض طيبة التُّرْبَةُ، ووطئت كلُّ تُّرْبَةٍ في أرض العرب، فوجدت تُّرْبَةً أطيبَ التُّرْبِ، وهي وادٍ على مسيرة أربع ليالٍ من الطائف، ورأيت ناساً من أهلها، وكان حنونا بمكة التُّرْبِي: المؤق بعض مزامير آل داود.

وتُرِبَ الكتاب وأترته. ولحم تُرِبٍ: حَقَرُ بالتُّرَابِ، وبارحُ تُرِبٍ: يأتي بالساقياء، وبينها سابين الجسراء والتُّرْبَاءُ، وهما السماء والأرض. ولأضرته حتى ينعش بالتُّرْبَاءِ.

ورأى أعرابي عيوناً ينظر إلى إلهه، وهو يفوق كرواقاً

«تَرَبَّ جَبِيْهُ» وهذا أيضًا يُحتمل أن يُريد به التَّجود لله تعالى، دعاء له بكثرة العبادة.

وفي حديث عائشة: «كُنَّا بِتَرْبَانَ» قيل: هو موضع كان كثير المياه، بينه وبين المدينة نحو من خمسة فراسخ. وفي حديث علي رضي الله عنه: «لَأَنْفُضُنَّهُمْ نَفْضَ الْقَصَابِ التَّرَابِ الْوُذِمَةِ».

التَّرَابُ: جمع، تخفيف «تَرَبَّ» والوُذِمَةُ: المنقطعة الأودام، وهي المماليق، أي كما ينْفُضُ اللُّحومَ الَّتِي تَحْمَرَّتْ بِسُقُوطِهَا عَلَى الْأَرْضِ، لَانْقِطَاعِ مَعَالِيقِهَا. وَيُرْوَى: الْوُدَامُ التَّرِيَّةُ. (١: ٢٢٢)

ابن الأثير: «احْتُوَا فِي وُجُوهِ الْمَذَاحِينَ التَّرَابَ». قيل: أراد به الرَّدَّ والخَيْبَةُ، كما يقال لِلطَّالِبِ الْمَرْدُودِ وَالْمُنَابِ: لَمْ يَحْصُلْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ التَّرَابِ، وقريب منه قوله ﷺ: «وَالْبَاهِرُ الْمَجْرَى». وقيل: أراد به التَّرَابَ خَاصَّةً.

ومنه الحديث الآخر: «إِذَا جَاءَ مَنْ يَنْطَلِبُ ثَمَنَ الْكَلْبِ فَأَمْلَأْ كَفَّهُ تَرْبَانًا» يجوز جملة على الوجهين.

وفي حديث فاطمة بنت قيس: «وَأَمَّا مَعَاوِيَةُ فَرَجَلَ تَرْبًا لَا مَالَ لَهُ» أي فقير.

وفي حديث علي: «لَنْ وَلِيْتُ بَنِي أُمَيَّةٍ لِأَنْفُضُنَّهُمْ نَفْضَ الْقَصَابِ التَّرَابِ الْوُذِمَةِ». التَّرَابُ: جمع تَرَبَّ، تخفيف: تَرَبَّ، يريد اللُّحومَ الَّتِي تَحْمَرَّتْ بِسُقُوطِهَا فِي التَّرَابِ، وَالْوُذِمَةُ الْمَنْقُوعَةُ الْأَوْدَامِ، وَهِيَ السُّيُورُ الَّتِي يُشَدُّ بِهَا عُرَى الدُّلُوكِ.

قال الأصمعي: سألتني شعبة عن هذا الحرف، فقلت: ليس هو هكذا، إنما هو نَفْضُ الْقَصَابِ الْوُذَامِ

من شدة عجبه بها، فقال: فَنُقِيَ بِلَحْمِ جِرْبَاءَ، لَا بِلَحْمِ تَرْبَاءَ، أَي أَكَلْتُ لَحْمَ الْجِرْبَاءِ، وَلَا أَكَلْتُ لَحْمَ نَافَةِ تَفْطٍ، فَتَحْمَرَّتْ فَيَتَرَبَّ لَحْمُهَا.

وتَرَبَّ فلان بعد ما أَتَرَبَّ، أي افْتَقَرَ بَعْدَ الْفَنَى، وَهِيَ تَرْبَانٌ، وَهِيَ وَهْمٌ وَهْنٌ أَثْرَابٌ.

وتأريت الجاريةُ الجارية: خادَتْهَا. [ثم استشهد بشعر]

ومن الجار: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ» إِذَا دَعَوْتَ، كَأَنَّكَ تَقُولُ: جَبْتُ وَخَبَرْتُ. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: ٣٧)

التَّرَابُ: جمع تَرَبَّ، تخفيف تَرَبَّ. (الغاني: ١: ١٥٠)

ابن السَّجَرِيِّ: التَّرَابُ: واحدهما: تَرِيَّةٌ، وقيل: تَرِيْبٌ، وَهُوَ الصَّدْرُ. وَإِنَّمَا جُمِعَ اللَّبَّةُ وَالتَّرِيَّةُ بِمَا حَوْلَهَا، كَأَنَّهُ مَتْنِي مَا يَجَاوِرُ اللَّبَّةَ: لَبَّةٌ، وَمَا يَجَاوِرُ التَّرِيَّةَ: تَرِيَّةٌ.

كما قالوا: شَابَتْ مَفَارِقُهُ، وَبَعِيرُ ذُو عَتَانَيْنِ، وَمِثْلُ هَذَا فِي جُمِعِ اللَّبَّةِ وَالتَّرِيَّةِ. [ثم استشهد بشعر] (١: ٧٦)

الْحَدِيثَيْنِ: فِي الْحَدِيثِ: «احْتُوَا فِي وُجُوهِ الْمَذَاحِينَ التَّرَابَ». قيل: أراد به الرَّدَّ والخَيْبَةَ، وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ عِنْدَ مَا يُذَكَّرُ مِنْ خَيْبَةِ الرَّجُلِ وَخُسَارَةِ صَفْقَتِهِ: لَمْ يَحْصُلْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ التَّرَابِ. [إلى أن قال:]

وكذلك قوله عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَائِشَةَ: «تَرَبَّتْ يَمِينُكَ» أَي احتاجت، لِأَنَّهُ يَرَى الْحَاجَةَ خَيْرًا لَهَا مِنْ الْفَنَى. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «تَرَبَّ تَحْرُكُ» فَتُثَلَّ الرَّجُلُ شَهِيدًا، وَهَذَا أَيْضًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ. [إلى أن قال:]

وروي عن أنس بن مالك قال: لم يكن رسول الله ﷺ سَبَابًا وَلَا فِتْنَةً، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَاتَةِ:

التُّربة، وهي التي قد سقطت في التراب.

وقيل: الكروش كلها تسمى تربة؛ لأنها يحصل فيها التراب من المَزْنَع، والوذمة، التي أُخِلَ باطنها، والكروش وذمة، لأنها مُخَمَلَة. ويقال لحقلها: الرِّذَم. ومعنى الحديث: لئن وليتهم لأطهرتهم من الدُّنس، ولأطيبتهم بعد الحبث.

وقيل: أراد بالقصاب السَّيْع، والتراب: أصل ذراع الشاة، والسَّيْع إذا أخذ الشاة قبض على ذلك المكان، ثم نفصها.

وفيه: «خلق الله التربة يوم السبت» يعني الأرض، والتُّرْبُ والترابُ والتُّربة واحدٌ، إلا أنهم يطلقون التربة على التائب.

وفيه: «أثريوا الكتاب فإنه أُنْجِح للحاجة» يخالف: أثريْتُ الشيء، إذا جعلت عليه التراب. (١٨٤: ٦)

الصَّغَانِي: وريح تَرَبُّ بلاها، إذا جاءت بالتراب. مثل تربة بالهاء. [ثم استشهد بشعر]

وتُرْبِيَّةٌ مُصَنَّرَةٌ: موضع باليمن.

وتُرْبَانٌ بالصَّم: موضع بين الحفير والمدينة، وهي ما بين تَلِّي والصَّلَصل. [ثم استشهد بشعر]

التُّرْبَةُ: الضَّعْفَةُ، والمتَّارِيَّة: مصاحبة الأتراب.

(٧٣: ١)

المَقْيُومِي: التُّرْبُ: وذَانُ «قُفْل» لُحْدٌ في التراب، وتُرِبُ الرَّجُلِ يَتُرَّبُ من باب «تَعِب» افتقر، كأنه لصق بالتراب فهو تَرِبٌ، وأثَرَبَ بالألف: لُفَّ فيها، وقوله عليه الصلاة والسلام: «تَرِبَتْ يدَاكَ» هذه من الكلمات التي جاءت عن العرب صُورَتِهَا دُعَاءً، ولا يُراد بها

الدُّعَاءُ، بل المراد الحبث والتَّحْرِيطُ.

وأثَرَبَ بالألف: اشتغى.

وتَرَبَّتْ الكتاب بالتراب، أثَرَبَهُ من باب «ضَرَبَ»، وتَرَبَّتْ بالتشديد: مُبالغة.

والتُّربة: المثقبة، والجَمْع: تُرَبٌ، مثل غُرْفَةٍ وغُرَفٍ.

ووقع في كلام الغزالي في باب السُّرْفَةِ: «لا تَقْطَعْ على النَّبَاسِ في تُرْبَةٍ ضائِعة» والمراد ما إذا كانت منفصلة عن العبارة انفصالاً غير معتاد، لأنه ذكر في تفسيره لها إذا كانت منفصلة انفصالاً مُتَعَاداً وجهين.

وقال الزَّافِي: هذا اللفظ يحتمل أن يكون في تربة كل تقدم، ويحتمل أن يكون في تربة، أي المنسوبة إلى التربة وهذا بعيد، لأن أهل اللغة قالوا: التُّرْبَةُ: الصَّحراء نسبة إلى التَّيْر، وهذه لا تكون إلا ضائِعة. فالوجه أن تُقرأ «تربة» لأنها تنقسم كما قسمها الغزالي إلى ضائِعة وغير ضائِعة. (٧٣: ١)

الغَيْرُوزُ أَبَادِي: التُّرْبُ والترابُ والتُّربة والتُّرباءُ والتُّرباءُ والتُّيرْبُ والتُّيرابُ والتُّورْبُ والتُّورابُ والتُّرْبُ والتُّريب: معروف.

جمع التراب: أتربة ويزبان، ولم يُسمع لسائرهما بجمع.

والتُّرباء: الأرض.

وتُرِبَ كَفَرِح: كثر تُرابه، وصار في يده التراب، ولَزِقَ بالتراب، وخَسِرَ، وافتقر، تُرْبًا ومُتْرِبًا، ويداء: لأصاب خيراً.

وأثَرَبَ: قلَّ ماله، وكثر، ضدَّ، كَثُرَبَ لَيْسَ، ومَلَك

عبداً مِلك ثلاث مرّات.

وأثرَبه وتَرَبّه: جعل على التُّراب.

وجعل وناقَة تَرَبُوتَ محرّكة: ذكول.

والترّبة كَفَرِحة: الأُمَلَة، وتَبَّتْ وهي التُّربة.

والترّبة محرّكة والتُّراب: عظام الصدر، أو ما وُلِي

الترْقُوتَيْن منه، أو ما بين التَّدْيَيْن والترْقُوتَيْن، أو أربع

أضلاع من يَمَنَة الصدر وأربع من يَسْرته، أو اليَدان

والزَّجْلان والعَيْنان، أو موضع القِلادة.

والتُّرْبُ بالكسر: اللِّدَة والسَّن، ومن وُلِدَ مِلك،

وهي تَرَبِيَة.

وتأزَّبها: صارت تَرَبَّها.

والتُّرْبَة بالفتح: الضَّغْفَة، وكهْمَزَة: وادٍ يَنْصُبُ في

بستان ابن حامر.

والتُّراب بالكسر: أصل ذراع الشاة، ومنه التُّراب

الوُفْمَة، أو هي تَرَبٌ مخفف «تَرَبٌ» أو الصَّواب الوِذام

التُّرْبَة.

والمُتأزِّبَة: مصاحبة الأتْراب. (١: ٤٠)

الطُّرَيْحِيّ: في الحديث: «عليك بذات الدِّين تَرَبَّتْ

يداك»، قيل: معناه افتقرت، ولأصبحت خيراً، صل

الدَّماء. [إلى أن قال:]

ومن هذا الباب قوله ﷺ لزيّتب بنت جَحَش:

«تَرَبَّتْ يداك، إذا لم أعدلَ قَرَنَ يَحْدِلَ».

وفي حديث أفلح: «تَرَبُّبٌ وجَهْلٌ» أي اليَقَمَة في

التُّراب، فإنّه أقرب إلى التَّدَال. وكان أفلح يَنْفَع إذا

سجد ليزول التُّراب.

وأبو تراب من كَسَى حِلِيَّ ﷺ، كَسَى بذلك لأنّه

صاحب الأرض كلّها، وحجّة الله على أهلها، وبه

بفاؤها، وإليه مكوّنها. [إلى أن قال:]

وفي الحديث: «أثرَبُوا الكتاب، فإنه أنجح للحاجة»

من أثرَبته، إذا جعلت عليه التُّراب، ومثله في حديث

الرضا عليه السلام: «كان يَتَرَبُّبُ الكتاب». وتَرَبَّتْ الكتاب من

باب «ضرب» بالتشديد: مبالغة. (٢: ١٣)

مَجْمَعُ اللُّغَة: ١- التُّراب: ما تَفَقَّتْ ودقّت من جنس

الأرض.

٢- الأتْراب: جمع تَرَب وهو المساوي في السَّن، ولم

تستعمل في القرآن إلا في الإناث.

٣- التُّراب: عظام الصدر، جمع: تَرَبَة.

٤- يقال: تَرَبَ الرجل يَتَرَبُّبُ من باب «فرح» تَرَبَّها

ومَثَرَبَه مَثَرَبَةً، واشتدَّ فاقته. والمَثَرَبَة: الفقر الشديد.

(١: ١٥٣)

نحو: محمد إسماعيل إبراهيم. (١: ٨٩)

القُدْنانِيّ: هذا غني مُتَرَبٌّ، وفقيرٌ تَرَبٌ ومُتَرَبٌّ

ويقولون: هذا غنيٌ تَرَبٌ، والصَّواب: هذا غنيٌ مُتَرَبٌّ أو

فقيرٌ مُتَرَبٌّ: لأنَّ فعل «مُتَرَبٌّ» هو «أثرَبَ»، ومعناه:

كثر ماله أو قلَّ ماله، أمّا الفعل الَّذي لا يَغْنِي إلا «افتقر»

فهو: تَرَبٌ يَتَرَبُّ تَرَبًّا ومَثَرَبًا ومَثَرَبَةً، فهو تَرَبٌ، وهي

تَرَبٌ وتَرَبَة أيضًا.

جاء في الآية (١٦) من سورة البلد: «أَوَّحَ مَشْكِتًا ذَا

مَثَرَبَةٍ»، أي ذا فقر.

وجاء في «النهاية» وفي حديث فاطمة بنت قيس:

«وأما معاوية فرجل تَرَبٌ لا مال له» أي فقير. [ثمَّ

استشهد بشعر]

ويقول قُطْرِب في أصداده: تَرَبَّ الرجل، إذا افتقر،
وَأَثَرَب، إذا استغنى، وهذا ليس من الأضداد، لأنَّ تَرَبَّه
فعل ثلاثي مجزئ على وزن «قِيلَ»، وَأَثَرَب فعل ثلاثي
مزيد على وزن «أَفْعَلَ» وأنا أُرَجِّح أَنَّ قُطْرِبًا أراد أن
يقول: «أَثَرَب» من الأضداد، لا «تَرَبَّ وَأَثَرَب».

وقال اللحياني: المَثَرَب: الغني إما على السلب، وإما
على أنَّ ماله مثل التراب.

وسقال: تَرَبَّ الرجل، إذا افتقر، كأنه لصق
بالتراب، وَأَثَرَب، إذا استغنى، كأنه صار له من المال
بقدر التراب.

وجاء في «اللسان» أَثَرَب: استغنى وكثر ماله، فصار
كالتراب، هذا الأخرى. وقيل: أَثَرَب: قلَّ ماله.
وقال: «محيط المحيط»: تَرَبَّ فهو تَرِيب وتَرُوب،
والجمع: تَراب.

ويقول: «المكتن»: تَرَبَّ: افتقر، وصار في يده
التراب، وهي من الجاز. ويقول: أَثَرَب بمعنى: قلَّ ماله،
من الجاز أيضًا.

ويذكر الفيل «تَرَب» بمعنى افتقر، و«أَثَرَب» بمعنى
اغتنى كلٌّ من: ابن الأنباري، والصَّحاح، والحكم،
ومُفردات الرَّاغِب، والأساس، والمختار، واللسان،
والمصباح، والقاموس، والتاج، ومحيط المحيط، ومثل
اللغة، والوسيط.

ويذكر الفيل «أَثَرَب» بمعنى اغتنى وافتقر كلٌّ من:
اللسان، والمصباح، والقاموس، والتاج، ومحيط المحيط،
والمكتن. لذا قلَّ:

أهـ هذا غنيٌّ مُثَرَّب.

ب - هذا فقيرٌ تَرَب.

ج - هذا فقيرٌ مُثَرَّب. (٩٤)

المُصْطَفَوِي: والظاهر أنَّ الأصل الواحد في هذه
المادة: هو المسكنة والخضوع، ولما كان التراب مصداقًا
كاملاً لهذا المعنى، لغاية انخفاضه واستكانته بحيث إنَّه
واقِع تحت الأقدام، فأُطلق عليه التراب وسائر
مشتقاته. ومن هذا المعنى المَثَرَب بمعنى المسكنة والفاقة
وهكذا قولهم: تَرَب الرجل، إذا افتقر.

وأما الأثراب، فهو جمع «تَرَب» ككُثَيْب وهو من
نسب له الخضوع، واتَّصف بالانخفاض والانقياد
والتسليم. وبهذا المعنى يُطلق على المحور المين من جهة
إطاعتهم وخضوعهم غاية الخضوع ونهاية الطاعة. إلى
[أن قال:]

وأما قولهم: أَثَرَب بمعنى استغنى، فإنَّ جعل شخص
خاصًّا مسكينًا فرع القدرة والقوة، وهذا عبارة أخرى
عن الاستغناء.

وأما معنى التادى، فباعتبار نبي التفوق والتكبر
عن كلِّ واحد منها، وهذا المعنى يلزم الخضوع
والاستكانة ونبي الشخص.

«خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ» الكهف: ٢٧، «خَلَقْنَاكُمْ مِنْ
تُرَابٍ» الحج: ٥، «أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» الروم: ٢٠،
«خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» فاطر: ١١، وفيها
دلالة على أنَّ مبدأ تكون الإنسان كائناتيات هو التراب،
بواسطة أو بوسائط، مضافًا إلى كونه في غاية الفقر
والاستكانة، بحيث إنَّ النطفة والتلقئة من المراحل
المتأخرة. (١: ٣٦٣)

النصوص التفسيرية

تُرَاب

١- أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا. الكهف: ٣٧

الطُّوسِي: ومعنى «خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ» أَنْ أَسْلَكَ مِنْ تُرَابٍ؛ إِذْ خَلَقَ أَبَاكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تُرَابٍ، فَهُوَ مِنْ تُرَابٍ وَيَصِيرُ إِلَى التُّرَابِ.

وقيل: لَمَّا كَانَتِ النُّطْفَةُ يَخْلُقُهَا اللَّهُ بِمَجْرَى الْعَادَةِ مِنَ الْغِذَاءِ، وَالْغِذَاءُ نَبْتٌ مِنَ التُّرَابِ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: «خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ» لِأَنَّ أَسْلَهُ تُرَابٍ، كَمَا قَالَ: «مِنْ نُطْفَةٍ» وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ خَلْقٌ سَوِيٌّ حَيٌّ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَسْلَهُ كَذَلِكَ جَازَ أَنْ يُقَالَ كَذَلِكَ.

نحوه الطُّبْرَسِي (٣: ٤٧١)، وَأَبُو الْفُخْر (١٢: ٣٥٣)، وَابْنُ شَهْرٍ أَشُوب (١: ٧)، وَابْنُ قُيُومٍ (٣: ١٩٣)، الرَّمُثِيُّ: أَيُّ خَلْقٍ أَسْلَكَ، لِأَنَّ خَلْقَ أَسْلَهُ سَبَبٌ فِي خَلْقِهِ، فَكَانَ خَلْقُهُ خَلْقًا لَهُ. (٢: ٤٨٤)

نحوه التَّنَافُي (٣: ١٣)، وَالْحَازِن (٤: ١٧٣)، وَالتَّشْرِيْفِي (٢: ٣٧٧).

الْبَيْضَاوِيُّ: لِأَنَّهُ أَسْلَ مَادَّتَكَ، أَوْ مَادَّةَ أَسْلَكَ. (٢: ١٣)

النَّيْسَابُورِيُّ: أَيُّ خَلْقٍ أَسْلَكَ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَادَّتِهِ الْبَعِيدَةِ، وَقَوْلُهُ: «مِنْ نُطْفَةٍ» إِشَارَةٌ إِلَى مَادَّتِهِ الْقَرِيبَةِ. (١٥: ١٣٣)

نحوه الْكَاشَانِيُّ. (٣: ٢٤٣)

أَبُو حَتِيَّانَ: وَقَوْلُهُ: «خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ» إِنَّمَا أَنْ يَرَادَ

خَلَقَ أَسْلَكَ مِنْ تُرَابٍ، وَهُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَلَقَ أَسْلَهُ سَبَبٌ فِي خَلْقِهِ، فَكَانَ خَلْقُهُ خَلْقًا لَهُ، أَوْ أُرِيدَ أَنْ مَاءَ الرَّجُلِ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَغْذِيَةٍ رَاجِعَةٍ إِلَى التُّرَابِ، فَتَبَيَّنَ أَوَّلًا عَلَى مَا تَوَلَّدَ مِنْهُ مَاءُ أَبِيهِ، ثُمَّ ثَابَتَ عَلَى النُّطْفَةِ الَّتِي هِيَ مَاءُ أَبِيهِ، وَأَمَّا مَا نُقِلَ مِنْ أَنْ مَلَكًا وَكُلَّ بِالنُّطْفَةِ، يُلَيِّ فِيهَا فَلَيْلًا مِنْ تُرَابٍ قَبْلَ دُخُولِهَا فِي الرَّجَمِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى صَحَّةٍ نَقْلٍ. (٦: ١٢٧)

أَبُو الشَّعْوَدِ: أَيُّ ضَمِنَ خَلْقَ أَسْلَكَ مِنْ تُرَابٍ، فَإِنَّ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ مُتَضَمِّنٌ لَخَلْقِهِ مِنْهُ، لَمَّا أَنَّ خَلْقَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْبَشَرِ لَهُ حِفْظٌ مِنْ خَلْقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِطْرَتُهُ الشَّرِيفَةُ مَقْصُورَةً عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ كَانَتْ أُمُودُهَا مَقْطُوعًا عَلَى فِطْرَةِ سَائِرِ أَفْرَادِ الْجِنْسِ، انْطَوَاءً إِبْجَالِيًّا، مُسْتَشْبِهًا لِمَجْرَانِ آتَارِهَا عَلَى الْكَلِّ، فَكَانَ خَلْقُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ التُّرَابِ خَلْقًا لِلْكَلِّ مِنْهُ.

وقيل: خَلَقَكَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ أَسْلَ مَادَّتَكَ؛ إِذْ بِهِ يَحْمِلُ الْغِذَاءَ الَّذِي مِنْهُ تَحْمِلُ النُّطْفَةُ، فَتَنْدِيرُ.

«ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» هِيَ مَادَّتُكَ الْقَرِيبَةُ، فَالْمَخْلُوقُ وَاحِدٌ وَالْمَبْدَأُ مُتَعَدِّدٌ. (٤: ١٩٠)

نحوه الْبَرْقُوسِيُّ. (٥: ٢٤٧)

الْأَلُوسِيُّ: [نحو أبي الشعود وأضاف:]

وَكُنْ ذَلِكَ مَبْنِيًّا عَلَى صَحَّةِ قِيَاسِ الْمَسَاوَةِ خِيَالِ وَأَوْ، وَقِيلَ: خَلَقَكَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ مَادَّتَكَ؛ إِذْ مَاءُ الرَّجُلِ يَتَوَلَّدُ مِنْ أَغْذِيَةٍ رَاجِعَةٍ إِلَى التُّرَابِ، فَالْإِسْنَادُ بِجَازٍ مِنْ إِسْنَادٍ مَالِلِ السَّبَبِ إِلَى الْمَسَبِّ، فَتَدْبِيرُ. (١٥: ٢٧٦)

الْمُرَاغِي: أَيُّ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ، وَاعْظَمًا وَرَاجِحًا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ؛ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ

التُّراب؟ إذ غذاء والدريك من الثِّبات والحيوان، وغذاء الثِّبات من التُّراب والماء، وغذاء الحيوان من الثِّبات، ثمَّ يصير هذا الغذاء دُمًّا يتحوَّل بعضه إلى خُلفة، يكون منها خُلقك بشرًا سويًّا على أتمِّ حال وأحسكه، بحسب ما تقتضيه الحكمة، لهذا الذي خلقك على هذه الحال، قادر على أن يخلقك مرَّةً أخرى. (١٥٠: ١٥)

الطُّبَّابَانِي: وقد أبطل هذا المؤمن دعوى صاحبه الكافر، بقوله: «أَكْفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّلَكَ رَجُلًا» بِالْفَات ظُفْرُهُ إِلَى أَصْلِهِ. وهو التُّراب ثُمَّ النُّطْفَةُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَهْلُ الْإِنْسَانِ، فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ حَقٌّ بِصِيرِ الْإِنْسَانَ إِنْسَانًا سَوِيًّا، ذَا صِفَاتٍ وَأَنَارٍ مِنْ مَوْجِبَةِ اللَّهِ مُحَضًّا، لَا يَمْلِكُ أَصْلَهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الْكُونِيَّةِ، فَإِنَّهَا أَمْثَالُ الْإِنْسَانِ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِهَا وَأَنَارِ نَفْسِهَا وَلَا مَوْجِبَةٍ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

لَا عِنْدَ الْإِنْسَانِ وَهُوَ رَجُلٌ سَوِيٌّ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنَارُهَا مِنْ عِلْمٍ وَحَيَاةٍ وَقُدْرَةٍ وَتَدْبِيرٍ، يَسْخَرُ بِهَا الْأَسْبَابُ الْكُونِيَّةُ فِي سَبِيلِ الْمَوْصُولِ إِلَى مَقَاصِدِهِ وَمَآرِبِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مَمْلُوكَةٌ لِلَّهِ مُحَضًّا، أَنَا هَا الْإِنْسَانُ وَمَلِكُهُ إِيَّاهَا، وَلَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ مِلْكِ اللَّهِ، وَلَا انْقَطَعَ عَنْهُ، بَلْ تَلَبَّسَ الْإِنْسَانُ مِنْهَا بِمَا تَلَبَّسَ، فَاتَّسَبَّ إِلَيْهِ بِحِشَّتِهِ، وَلَوْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَمْلِكِ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَقِلَّ عَنْهُ تَعَالَى فِي شَيْءٍ مِنْ نَفْسِهِ وَأَنَارِ نَفْسِهِ، وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْكُونِيَّةِ ذَلِكَ.

يقول: إِنَّكَ ذَاكَ التُّرَابِ، ثُمَّ الْمَتَّى الَّذِي مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالزُّجُولِيَّةِ وَأَنَارِ ذَلِكَ شَيْئًا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ

هُوَ الَّذِي آتَاكَهَا بِحِشَّتِهِ، وَمَلَكَهَا إِيَّاكَ، وَهُوَ الْمَالِكُ لَهَا مَلِكُكَ، فَالْكَ تَكْفُرُ بِهِ وَتَسْتَرِ رِيسِيَّتَهُ؟ وَأَيُّنَ أَنْتَ وَالْإِسْتِقْلَالُ؟ (١٣: ٣١٣)

مكارم الشيرازي: الله الذي خلق الإنسان في البدء من تراب، ومن التُّراب امتصَّت جذور الأشجار العناصر الغذائية الموجودة فيه، وأضحت الأشجار بدورها غذاء للحيوان، ثمَّ أكل الإنسان من ذلك الثِّبات ولحم ذلك الحيوان، وتكوَّنت نطفته من هذا وذلك، وطلعت النطفة مراحل التكامل في رحم الأمِّ، ثمَّ تحوَّلت إلى إنسان كامل، إنسان يفوق مخلوقات الأرض قاطبة، يفهم ويفكر ويقرر، ويُسخَّر كلُّ شيءٍ لِنَفْعِهِ.

أجل: إِنَّ تَحْوِيلَ تُرَابٍ تَأْتِيهِ إِلَى مَخْلُوقٍ عَجِيبٍ - بِمَا فِي نَفْسِهِ وَرُوحِهِ مِنْ أَظْمَةِ مَعْقَدَةٍ - لِذَلِيلٍ مِنَ الْأَدَلَّةِ النَّاطِقَةِ لِلتَّوْحِيدِ. (١٢: ٤٣٦)

٢- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَشَرِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ غَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ... الحج: ٥

الحسن: المعنى خلقنا آدم من تراب الذي هو أصلكم، وأنتم نسله. (الطُّوسِي ٧: ٢٩٦)

نحوه البخوي (٣: ٣٢٤)، والحازن (٥: ٣٠)، والطبرسي (٤: ٧٦).

الطُّوسِي: قال قوم: أراد به جميع المخلوق، لأنَّه إذا أراد أنَّه خلقهم من غَلَقَةٍ، والنُّطْفَةُ يجعلها الله من الغذاء، والغذاء ينبت من التُّراب والماء، فكان أصلهم كلَّهم التُّراب. (٧: ٢٩٦)

الفَخْر الرّازي: قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما: [قول الحسن وقد تقدّم]

والثاني: أن خلقه الإنسان من المنيّ ودم الطمث، وهما إنما يتولّدان من الأغذية، والأغذية إمّا حيوان أو نبات، وغذاء الحيوان ينتهي قطعاً للسلسل إلى النبات، والنبات إمّا يتولّد من الأرض والماء، فصَحّ قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾. (٧: ٢٣)

نحوه أبو حنّان (٦: ٣٥٦)، والطَّنطاوي (١١: ٤)، ومحمد جواد مغنّية (٥: ٣١٠)، والكاشاني (٣: ٣٦٣)، والشَّريفي (٢: ٥٣٧)، ومحمد علي طه (٩: ١٥١).

القاسمي: أي خلقنا أوّل آبائكم، أو أوّل مرادكم، وهو المنيّ (من تُرابٍ): إذ خلق من أغذية متولّدة لفته، وغاية أمر البحث أنّه خلق من التراب. (١٢: ١٣٤) نحوه المراغي (١٧: ٨٨).

وجاءت بهذا المعنى: ﴿وَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ أَرْوَاجًا﴾ فاطر: ١١، وآيات أخرى.

٣- ومن آياته أن خلقكم من تُرابٍ ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون. فتادة: يعني أنّه خلق آدم الذي هو أبوكم وأصلكم. (الطوسي ٨: ٢٣٨)

نحوه البقوي (٣: ٥٧٥)، والطبرسي (٤: ٢٩٩)، وأبو الفتوح (١٥: ٢٥٠)، والقرطبي (١٤: ١٧)، والمغازي (٥: ١٧١).

الفَخْر الرّازي: ذكر ما هو حجة ظاهرة وأية باهرة على ذلك، ومن جعلتها: خلق الإنسان من تراب، وتقريره، هو أن التراب أبعد الأشياء عن درجة الأحياء، وذلك من حيث كيميّته، فإنّه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة، ومن حيث لونه فإنّه كدر والروح نير، ومن حيث قمله فإنّه ثقيل والأرواح التي بها الحياة خفيفة، ومن حيث السكون فإنّه بعيد عن الحركة، والحيوان يتحرك بين وبسرة، وإلى خلف وإلى قدام، وإلى فوق وإلى أسفل.

وفي الجملة فالتراب أبعد من قبول الحياة عن سائر الأجسام، لأنّ العناصر أبعد من المركّبات، لأنّ المركّب بالتركيّب أقرب درجةً من الحيوان، والعناصر أبعدّها، والتراب أبعدّها، لأنّ الماء فيه الصفاء والرطوبة والحركة، وكلّها على طبع الإنسان، والنار أقرب لأنّها كالحرارة النريزية منضجة جامعة مفرقة.

ثمّ المركّبات وأوّل مراتبها المعدن، فإنّه مخترج، وله مراتب أعلاها الذهب، وهو قريب من أدنى مراتب النبات، وهي مرتبة النبات الذي ينبت في الأرض، ولا يبرز ولا يرتفع.

ثمّ النباتات وأعلى مراتبها وهي مرتبة الأشجار التي تقبل التعظيم، ويكون لثمرها حبّ يؤخذ منه مثل تلك الشجرة، كالبیضة من الدجاجة والدجاجة من البيضة، قريبة من أدنى مراتب الحيوانات، وهي مرتبة الحشرات التي ليس لها دم سائل، ولا هي إلى المنافع الجليلة وسائل كالنباتات.

ثمّ الحيوان وأعلى مراتبها قريبة من مرتبة الإنسان،

فإن الأنعام ولاسيما الفرس تشبه العتال والمحسّال والساهي، ثم الإنسان.

وأعلى مراتب الإنسان قريبة من مرتبة الملائكة المستبشرين لله الحامدين له، فالفه الذي خلق من أبعد الأشياء عن مرتبة الأحياء حيًّا هو في أعلى المراتب، لا يكون إلا منزهاً عن العجز والجهل، ويكون له الحمد على إنعام الحياة، ويكون له كمال القدرة ونفوذ الإرادة، فيجوز منه الإبداء والإعادة.

وفي الآية لطيفتان:

إحداهما: قوله: (إِذَا) وهي للمفاجأة، يقال: خرجت فإذا أمد بالباب، وهو إشارة إلى أن الله تعالى خلقه من تراب به «كُن» فكان، لا أنه صار معدنًا ثم نباتًا ثم حيوانًا ثم إنسانًا. وهذا إشارة إلى مسألة حكيمة، وهي أن الله تعالى يخلق أولًا إنسانًا، فينبه الله على حقيقة حيوانًا وناميًّا وغير ذلك، لا أنه خلق أولًا حيوانًا، ثم يجعله إنسانًا، فخلق الأنواع هو المراد الأول، ثم تكون الأنواع فيها الأجناس بتلك الإرادة الأولى، فالفه تعالى جعل المرتبة الأخيرة في الشيء البعيد عنها غاية، من غير انتقال من مرتبة إلى مرتبة من المراتب التي ذكرناها. اللطيفة الثانية: قوله: (بَشَرٌ) إشارة إلى القوة المدركة، لأنّ البشر بشر لا يحركته، فإن غيره من الحيوانات أيضًا كذلك، وقوله: «تَنْشِيرُونَ» إلى القوة الحركية، وكلاهما من التراب عجيب. أما الإدراك فلكثافته وجموده، وأما الحركة فلتقله وخموده. وقوله: «تَنْشِيرُونَ» إشارة إلى أن العجبة غير مختصّ بخلق الإنسان من التراب، بل خلق الحيوان المستشر من

التراب الساكن عجيب، فضلًا عن خلق البشر، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: وهي أن الله خلق آدم من تراب وخلقنا منه، فكيف قال: «خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ»؟ نقول: الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: ما قيل: إن المراد من قوله: «خَلَقَكُمْ» أنه خلق أصلكم.

والثاني: أن نقول: إن كل بشر مخلوق من التراب، أنا آدم فظاهر، وأما نحن فلا نأخذ خلقنا من نقطة، والطفة من صالح الغذاء الذي هو بالقوة بعض من الأعضاء، والغذاء إما من لحوم الحيوانات وألبانها وأسنانها، وإما من النبات، والحيوان أيضًا له غذاء هو النبات، لكن النبات من التراب، فإن الحبة من الحنطة، والنواة من النخلة لا تخلق شجرة إلا بالتراب، وينضم إليها أجزاء مائة ليصير ذلك النبات بحيث ينفذ.

المسألة الثانية: قال تعالى في موضع آخر «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا» الفرقان: ٥٤، وقال: «مِنْ مَاءٍ عَذِيبٍ» السجدة: ٨، المرسلات: ٢٠، وهاهنا قال: من (تراب) فكيف الجمع؟

قلنا: أما على الجواب الأول فالتسؤال زائل، فإن المراد منه آدم.

وأما على الثاني: فنقول: هاهنا قال: ما هو أصل أول، وفي ذلك الموضع قال: ما هو أصل ثان، لأن ذلك التراب الذي صار غذاء يصير مائعا وهو المني، ثم يعتقد ويتكوّن بخلق الله منه إنسانًا.

أو نقول: الإنسان له أصلان ظاهران: الماء والتراب،

فإن التراب لا يثبت إلا بالماء ، ففي الثبات الذي هو أصل غذاء الإنسان تراب وماء . فإن جعل التراب أصلاً والماء لجمع أجزائه المتفتتة فالأمر كذلك ، وإن جعل الأصل هو الماء والتراب لتثبيت أجزائه الرطبة من التبلان فالأمر كذلك .

فإن قال قائل : الله تعالى يعلم كل شيء ، فهو يعلم أن الأصل ماذا هو منها ، وإنما الأمر عندنا مشتبه يجوز هذا وذلك . فإن كان الأصل هو التراب فكيف قال : ﴿ مِنْ السَّمَاءِ بَشَرًا ﴾ الفرقان : ٥٤ . وإن كان الماء فكيف قال : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ وإن كانا هما أصلين فليد لم يقل : « خلقكم منهما » ؟

فنقول : فيه لطيفة ، وهي أن كون التراب أصلاً والماء أصلاً والماء ليس لذاتيها ، وإنما هو يجعل الله تعالى ، فإن الله نظرًا إلى قدرته كان له أن يخلق أول ما يخلق الإنسان ، ثم ينفذه ويحصل منه التراب ، ثم يذويه ويحصل منه الماء . لكن الحكمة اقتضت أن يكون الناقص وسيلة إلى الكامل ، لا الكامل يكون وسيلة إلى الناقص ، فخلق التراب والماء أولًا ، وجعلها أصلين لمن هو أكمل منهما . بل للذي هو أكمل من كل كائن وهو الإنسان ، فإن كان كونها أصلين ليس أمرًا ذاتيًا لها بل يجعل جاعل ، فتارة جعل الأصل التراب وتارة الماء ، ليسلم أنه بإرادته واختياره ، فإن شاء جعل هذا أصلاً ، وإن شاء جعل ذلك أصلاً ، وإن شاء جعلها أصلين .

المسألة الثالثة : قال الحكماء : إن الإنسان مركب من العناصر الأربعة ، وهي : التراب والماء والهواء والنار ، وقالوا : التراب فيه ثباته ، والماء لاستحساكه ، فإن

التراب يثبت بسرعة ، والهواء لاستقلاله كالزق المنفوخ يقوم بالهواء ، ولولا لما كان فيه استقلال ولا انتصاب . والنار للتضيئ والالتئام بين هذه الأشياء ، فهل هذا صحيح أم لا ؟ فإن كان صحيحًا فكيف اعتبر الأمرين فحسب ، ولم يقل في موضع آخر : إنه خلقكم من نار ولان ربح ؟

فتقول : أنا قولهم : فلا مفسدة فيه من حيث الشرع ، فلاننازعهم فيه إلا إذا قالوا : بأنه بالطبيعة كذلك . وأما إن قالوا : بأن الله يحكمه خلق الإنسان من هذه الأنبياء فلاننازعهم فيه .

وأما الآيات فتقول : ما ذكرتم لا يخالف هذا ، لأن الهواء جليته للاستقلال والنار للتضيئ ، فيها يكونان بعد امتزاج الماء بالتراب ، فالأصل الموجود أولًا هو لا غير ، فخلقكم من طين ، ولأن الحسوس من العناصر الغالب هو التراب والماء ، ولا سيما كونها في الإنسان ظاهر لكل أحد ، فخص الظاهر الحسوس بالذكر .

(١٠٧ : ٢٥)

نحوه النيسابوري (٢٨ : ٢١) مخلصًا ، وأبو حيان (١٦٦ : ٧) . وهند علي طه (١١ : ٧٥) .

الشرعيني : « أَنْ خَلَقَكُمْ » أي أصلكم ، وهو آدم عليه السلام . « مِنْ تُرَابٍ » لم يكن له أصلًا انصاف ما بجملة ، أو أنه خلقكم من نقطة ، والطفة من الغذاء ، والغذاء إنما يتولد من الماء والتراب . (١٦٢ : ٣)

البروسوي : « أَنْ خَلَقَكُمْ » يابني آدم في ضمن خلق آدم ، لأنه خلقه منطويًا على خلق ذرياته اعطوا إجمالًا ، والخلق عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية

الأجسام. ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾، لم يشتم رائحة الحياة قط، ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم، وإنما خلق الله الإنسان من التراب، ليكون متواضعاً ذليلاً حولاً مثله، والأرض وحققها دائماً في الطسانية والإحسان بالوجود، ولذلك لا تزال ساكنة وساكنة لغورها بوجود مطلوبها، فكانت أعلى مرتبة، وتحققت في مرتبة العلو في عين الشغل، وقامت بالرضى. (١٨: ٧) نحوه الألويسي.

الطَّبَاطِبَائِي: المراد بالخلق من تراب انتهاء خلقه الإنسان إلى الأرض، فإن مراتب تكون الإنسان من مضعة أو علفة أو وظيفة أو غيرها مركبات أرضية، تنتهي إلى العناصر الأرضية. (١٦٥: ١٦٦) نحوه مكارم الشيرازي.

المَرَاغِي: أو من حجبها الدالة على آية القام على ما يشاء من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدام: أن خلقكم من تراب بتغذيتكم؛ إنما يلحوم الحيوان والنبات وأسمانها، ولما من النبات، والحيوان غذاؤه النبات، والنبات من التراب، فإن التواء لاتصير شجرة إلا بالتراب الذي ينضم إليه أجزاء مائية، تجعلها صالحاً للتغذية.

(٣٧: ٢١)

تُرَابًا

وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا. التَّاب: ٤٠ النَّبِيُّ ﷺ: يقضي الله بين خلقه الحسن والانس والبهائم، وإنه ليتقيد يومئذ الجاه من القرناء، حتى إذا لم يبق نعمة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا تراباً، فعند

ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

(الطَّبَرِي: ٣٠: ٢٦)

نحوه ابن عمر (الطَّبَرِي: ٣٠: ٢٦)، ومجاهد (المأزدي: ٦: ١٩١)، ومقاتيل (المسيدي: ١٠: ٣٥٩)، والزجاج (٥: ٢٧٥).

أبو هريرة: إن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم والطير: كونوا تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

(المسيدي: ١: ٣٥٩)

الثوري: إذا قيل للبهائم: كونوا تراباً، قال الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾. (الطَّبَرِي: ٣٠: ٢٦) نحوه الطبري.

عبد الله بن ذكوان: إذا قضي بين الناس، وأمر بأهل النار إلى النار، قيل للمؤمن الحسن ولسان الأمم سوى ولد آدم: عودوا تراباً، فإذا نظر الكفار إليهم قد عادوا تراباً، قال الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

(الطَّبَرِي: ٣٠: ٢٦)

نحوه البغوي. (٧: ١٦٩) القسبي: قال: (تُرَابًا) أي حلويًا، وقال: إن رسول الله ﷺ قال: المكثي أمير المؤمنين «أبو تراب». [وهذا تأويل]

الطوسي: أي يستعنى أن لو كان تراباً لا يعاد ولا يحاسب، ليتخلص من عقاب ذلك اليوم، لأنه ليس معه شيء يرجوه من الثواب.

(١٠: ٢٥٠)

نحوه الطبرسي. (٥: ٤٢٧) الزمخشري: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ في الدنيا لم

أَخْلَقَ وَلَمْ أَكَلِّفْ، أَوْ (لَبِثَ كُنْتَ تَرَابًا) فِي هَذَا الْيَوْمِ فَلَمْ أُبْعَثْ. (٤: ٢١١)

نَحْوَهُ الْبَيْضاوِيُّ (٢: ٥٣٥)، وَالتَّسَنُّي (٤: ٢٢٨).
ابْنُ حَطِيطَةَ: قِيلَ: إِنَّ هَذَا تَمَنَّ: أَنْ يَكُونَ شَيْئًا حَقِيرًا، لَا يُحَاسِبُ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ. (٥: ٤٢٩)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: خَفِيهِ وَجْهَهُ:

أَحَدُهَا: أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْظُرُ الْمَرءُ إِلَى نَفْسِهِ قَدَمَتْ يَدَاهُ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّهُ يَجِدُ الْإِيمَانَ وَالْعَفْوَ مِنْ سَائِرِ الْمَعَاصِي، عَلَى مَا قَالَ: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشَاءُ»، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلَا يَتَوَقَّعُ الْعَفْوَ، عَلَى مَا قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» النِّسَاءُ: ٤٨. فَمَنْ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا» أَيُّ لَمْ يَكُنْ حَيًّا مَكَلَّفًا: وَثَانِيًا: أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْبَعْثِ تَرَابًا، فَالْمَعْنَى عَلَى هَذِهِ:

يَا لَيْتَنِي لَمْ أُبْعَثْ لِلْحِسَابِ، وَبَقِيَتْ كَمَا كُنْتُ تَرَابًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةُ» الْحَاقَّةُ: ٢٧، وَقَوْلُهُ: «يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَغَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُشْرَى بِهِمُ الْأَرْضُ» النِّسَاءُ: ٤٢.

وَنَالَهَا: أَنَّ الْبَهائمَ تَحْشَرُ فَيَقْتَصِرُ لِلْجَنَّمَ مِنْ الْقُرْنَاءِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهَا بَعْدَ الْحَاسِبَةِ: «كُونِي تَرَابًا»، فَيَتَمَنَّى الْكَافِرُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ هُوَ مِثْلَ تِلْكَ الْبَهَائِمِ فِي أَنْ يَصِيرَ تَرَابًا، وَيَتَخَلَّصَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

وَأَنْكَرَ بَعْضُ الْمُعْتَزِّلَةِ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُ تَعَالَى إِذَا أَعَادَهَا فَهِيَ بَيْنَ مَوْضِعٍ وَبَيْنَ مَوْضِعٍ مَفْضَلٌ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَجِزْ أَنْ يَقْطَعَهَا عَنِ الْمَنَافِعِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كَالْإِضْطِرَارِ بِهَا، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ إِذَا انْتَهَتْ مَدَّةُ أَعْوَاضِهَا، جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ مَا كَانَ

مِنْهَا حَسَنَ الصُّورَةِ ثَرَابًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَا كَانَ قَبِيحَ الصُّورَةِ عَقَابًا لِأَهْلِ النَّارِ.

قَالَ الْقَاضِي: وَلَا يَتَمَنَّى أَيْضًا إِذَا وَقَّرَ اللَّهُ أَعْوَاضَهَا وَهِيَ غَيْرُ كَامِلَةِ الْعَقْلِ، أَنْ يُزِيلَ اللَّهُ حَيَاتَهَا عَلَى وَجْهِ لَا يَحْصِلُ لَهَا شَعُورٌ بِالْأَلَمِ، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ ضَرَرًا.

وَرَابِعًا: مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ فَقَالَ: قَوْلُهُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا» مَعْنَاهُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مُتَوَاضِعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَمْ أَكُنْ مُتَكَبِّرًا مُتَمَرِّدًا.

وَخَامِسًا: الْكَافِرُ إِبْلِيسَ، يَسْرِى آدَمَ وَوَلَدَهُ وَنَوَاجِسَهُ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الشَّيْءَ الَّذِي احْتَقَرَهُ، حِينَ قَالَ: «خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» الْأَمْصَرَفُ: ١٢. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ وَأَسْرَارِ كِتَابِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ. (٣١: ٢٦)

نَحْوَهُ الْبَيْضاوِيُّ (٣٠: ١١٣)، وَالْمُخَازِنُ (٧: ١٦٩)، وَأَبُو حَتِيَّانَ (٨: ٤١٦)، وَالْأَكْوَاسِيُّ (٣٠: ٢٢).

الْقَرُطُوبِيُّ: قِيلَ: أَيُّ يَقُولُ إِبْلِيسُ: يَا لَيْتَنِي خُلِقْتُ مِنَ التُّرَابِ، وَلَمْ أَقُلْ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ آدَمَ. (١٩: ١٨٩)

ابْنُ كَثِيرٍ: أَيُّ يَوْمَ الْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا تَرَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خُلِقَ وَلَا خُرِجَ إِلَى الْوُجُودِ، وَذَلِكَ حِينَ عَاشَرَ عَذَابَ اللَّهِ، وَظَهَرَ إِلَى أَعْيَالِهِ الْفَاسَادَةُ، قَدْ سَطَرَتْ عَلَيْهِ، بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ.

(٧: ٢٠٣)

الْبَرْزَوِيُّ: وَقِيلَ: هُوَ تَرَابٌ سَجْدَةُ الْمُؤْمِنِ، تَنْتَفِئُ بِهِ عَنْ النَّارِ. وَتَرَابٌ قَدَمُهُ عِنْدَ قِيَامِهِ فِي الصَّلَاةِ فَيَتَمَنَّى الْكَافِرُ أَنْ يَكُونَ تَرَابٌ قَدَمُهُ. (١٠: ٣١٢)
الطَّبَّاطِينِيُّ: أَيُّ يَتَمَنَّى مِنْ شِدَّةِ الْيَوْمِ أَنْ لَوْ كَانَ

أثرًا فاقداً للشعور والإرادة، فلم يعمل ولم يُجز.

(١٧٦: ٢٠)

مكارم الشيرازي: [راجع «ك ف هـ الكافر»]

(١٩٩: ٣٢٠)

أَثْرَانَا

١- عُزْرَانَا أَثْرَانَا. الواقعة: ٣٧

النبي ﷺ: هُنَّ اللَّوَاتِي قُبِضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ شَمَطَاءَ رَمَضَاءَ، جَعَلَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ الْكِبَرِ أَثْرَانًا، عَلَى مِيلَادِ وَاحِدٍ فِي الْأَسْوَاءِ، كُلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ أَبْكَارًا.

(التروسي: ٥: ٢١٩)

نحوه شَبَرٌ.

ابن عباس: الأثراب: المستويات.

(الطبري: ٢٧: ١١٨٩)

مثله الحسن (الدَّرُ الْمَتَوَر: ٦: ١٥٩)، وَمُجَاهِدُ (الطوسي: ٩: ٤٩٨).

مُجَاهِد: أَسْنَانًا.

يقال في النساء: أثراب، وفي الرجال: أقران وأَسْنَالٍ وَأَشْكَالٍ.

(الماوردي: ٥: ٤٥٦)

الغوفي: يعني أقران.

(الماوردي: ٥: ٤٥٦)

قَتَادَةُ: يعني سَنًا واحدة.

(الطبري: ٢٧: ١١٨٩)

السُّدِّي: أي في الأخلاق، المتأخيات يَنْهَنُ، لَيْسَ بَيْنَهُنَّ تَبَاهُضٌ وَلَا تَحَاسُدٌ، يَعْنِي لَا كَمَا كُنَّ ضَرَائِرَ مُتَعَادِيَاتٍ فِي الدُّنْيَا.

(٤٤٩)

الكلبي: على سنّ واحدة: ثلاث وثلاثين سنة.

(الماوردي: ٥: ٤٥٦)

ابن قُتَيْبَةَ: أي تَيْثًا واحدًا، وَسَنًا واحدًا.

(٤٤٩)

الطبري: يعني أَثْنَيْنِ مستويات على سنّ واحدة.

واحدتهن: يَرْبُ، كَمَا يُقَالُ: شَبَبَهُ وَأَشْبَاهُ. (٢٧: ١١٨٩)

القُصَي: يعني مستويات السّن.

(٢: ٣٤٨)

الطوسي: الأثراب: جمع يَرْبُ، وهو الوليدة التي

تَنَسَّأَ مَعَهَا فِي حَالِ الصَّبَا، وَهُوَ مَا خُوذَ مِنْ لَبِ

الصَّبَا بِالتَّرَابِ، أَيْ هُمُ كَالصَّبَايَا الَّذِينَ عَلَى سَنِّ

وَاحِدٍ. [تَمَّ اسْتَشْهَادُ بَشَر]

(٩: ٤٩٨)

نحوه الْبَقَوِي (٥: ١١)، وَالطُّبْرَسِي (٥: ٢١٩)

الْمَيْبُدي: «أَثْرَانَا»: جمع يَرْبُ، أي مستويات

على سنّ واحد، بنات ثلاث وثلاثين، وقيل: هنّ لِدَاتُ

فِي شَكْلِ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فِي قَدِّ صَاحِبِهَا. (٩: ٤٤٩)

الْمُحْتَقِقِي: مستويات في السّن: بنات ثلاث

وثلاثين، وَأَزْوَاجُهُنَّ أَيْضًا كَذَلِكَ. (٤: ٥٥)

نحوه الْحَارِثِي (٧: ١٦)، وَأَبُو السُّعُود (٧: ١٩٠)،

وَالطُّعَاوِي (٢٤: ٨٠).

ابن قُتَيْبَةَ: معناه فِي الشَّكْلِ وَالْقَدِّ، حَتَّى يَقُولَ

الرَّافِي: هُمُ أَثْرَابٌ، وَالتَّرَبُّ: هُوَ الَّذِي مَسَّ التَّرَابَ مَعَ

يَرْبِهِ فِي وَاقْتٍ وَاحِدٍ. وَيُرْوَى أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَلَى قَدِّ ابْنِ

أَرْبَعَةِ حُمْرٍ عَامًا فِي الشَّبَابِ وَالتَّضَرُّعِ، وَقِيلَ: عَلَى مِثَالِ

أَبْنَاءِ ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، مُزْدًا أَيْضًا مَكْتَلِينَ. (٥: ٢٤٥)

الْمُتَدِينِي: أي أَقْرَانًا وَأَسْنَانًا، وَاحِدُهُمْ: يَرْبُ،

قِيلَ: سَمَّوْا بِذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ دَبُّوا عَلَى التَّرَابِ مَعًا. (١: ٢٢٦)

الْفَخْرُ الرَّازِي: يَحْتَمِلُ وَجُوهًا:

أَحَدُهَا: مُسْتَوِيَاتُ فِي السَّنِّ، فَلَا تَفْضُلُ إِحْدَاهُنَّ

على الأخرى بصغر ولا كبير، كلهن خلقن في زمان واحد، ولا يلحقهن عجز ولا زمانة ولا تغير لون، وعلى هذا إن كن من بنات آدم فاللفظ فيهن حقيقة، وإن كن من غيرهن فعناء ما كبرن مقين به، لأن كلاً منهن تمس وقت مس الأخرى لكن نسي الأصل، وجعل عبارة عن ذلك كاللدة للمتساويين من العقلاء، فأطلق على حور الجنة أتراباً.

ثانيها: أتراباً: مماثلات في النظر إليهن كالأتراب، سواء وجدن في زمان أو في أزمنة، والظاهر أنه في أزمنة، لأن المؤمن إذا عمل عملاً صالحاً، خلق له منهن ما شاء الله.

ثالثها: «أتراباً» لأصحاب الجن: الواقعة: ٢٧، أي على سنهم، وفيه إشارة إلى الاتفاق، لأن أحد الزوجين إذا كان أكبر من الآخر فالشباب يسير.

الرابع: أتراباً: على ميلاد واحد في الاستواء، وسن واحدة ثلاث وثلاثين سنة، يقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران. وكانت العرب تميل إلى من جاوزت حد الضياء من النساء، وانحطت عن الكبير. (١٧: ٢١١) الشريين: جمع تراب، وهو المساوي لك في سنك، لأنه يمس جلدها التراب في وقت واحد، وهو أكد في الاستلاف، وهو من الأساء التي لا تستعرف بالإضافة، لأنه في معنى الصفة، إذ معناه مساويك.

(٤: ١٨٧) البرصوي: جمع تراب بالكسر، وهي اللدة والسن ومن ولد معك، وهي ترابي، أي مستويات في

سن بنت ثلاث وثلاثين سنة، وكذا أزواجهن والقامة ستون ذراعاً في سبعة أذرع، على قامة أبيهم آدم، شباب جرد مكحولون، أحسنهم كالقمر ليلة البدر، وآخرهم كالكوكب الذري في السماء، يبصر وجهه في وجهها، وتبصر وجهها في وجهه، لا يجزقون ولا يتمخضون، وما كان فوق ذلك من الأدنى فهو أبعد. (٩: ٢٢٦)

العاملين: والمراد ذوات لذات على سن واحد، أي كأنهن على ميلاد في الاستواء. (١٠٧) مكارم الشيرازي: أتراب: جمع تراب، على وزن «ذهن»، بمعنى المثل والتشبه. وقال البعض: إن هذا المعنى أخذ من التراب، وهي عظام قفص الصدر، لأنها تشابه الواحدة مع الأخرى.

إن هذا التشبه والتماثل يمكن أن يكون في أعمار الزوجات بالتشبه لأزواجهن، كي يدركن إحساسات ومشاعر أزواجهن كاملة، وبذلك تصبح الحياة أكثر سعادة وانسجاماً، بالرغم من أن السعادة تحصل مع اختلاف العمر أحياناً، إلا أن الغالب ليس كذلك. كما يمكن أن يكون المقصود بالتشابه والتساوي في الصفات الجمالية والنفسية وحسن الظاهر والباطن. وهكذا تكون نوعية الزوجات في الجنة من حيث الثناء والود المتبادل مع أزواجهن. وهذا المعنى يشبه المقولة الشائعة: الكل جيتون، وكل واحد منهم أفضل من الآخر. (١٧: ٤٣٠)

٢- وَكَوَاغِبَ أَتْرَابًا. التبا: ٣٣

ابن عباس: مستويات. (الطبري: ٣٠: ١٨)

الأقران. (المأزدي: ٦: ١٨٨)

- مُجَاهِدٌ : لِدَات . (الطَّبْرِي ٣٠ : ١٨)
 مثله الزَّمْعَشْرِي . (٤ : ٢٦٠)
 الأمثال . (الماوردي ٦ : ١٨٨)
 حِكْمَةٌ : المتصالحات . (الطَّبْرِي ٣٠ : ١٨)
 الإمام الباقر عليه السلام : أي الفتيات الناحيات .
 (شُبْر ٦ : ٣٥٢)
 قَتَادَةُ : لِسَنٌ واحدة . (الطَّبْرِي ٣٠ : ١٨)
 الشَّدِي : المتأخيات . (الماوردي ٦ : ١٨٨)
 ابن زَيْد : مستويات . فَلَائِمَةٌ يُزِيَةُ فَلَائِمَةُ الْأَنْرَابِ :
 اللِّدَات . (الطَّبْرِي ٣٠ : ١٨)
 ابن قُتَيْبَةَ : على سَنٍ واحد . (٥٠ : ٥٠)
 مثله ابن عَطِيَّة . (٥ : ٤٢٨)
 الجُبَّانِي : على مقدار أزواجهن في الحُسْنِ والصُّورَةِ
 والسن . (الطَّبْرِي ٣٠ : ١٨)
 الطَّبْرِي : ونواحد في سَنٍ واحدة . (٣٠ : ١٨)
 الطُّوسِي : هي التي تنشأ مع لِدَتِهَا على سَنٍ الصَّبِي
 الذي يلعب بالتراب . فكأنه قيل : هم على سَنٍ واحدة .
 (١٠ : ٢٤٧)
 نحوه التَّنْفِي . (٤ : ٣٢٧)
 البَغَوِي : مستويات في السَّن . (٥ : ٢٠٢)
 مثله الحَارِز . (٧ : ١٦٨)
 الصَّبْدِي : أي مستويات في السَّن . على سَنٍ ثلاث
 وثلاثين سنة . وقيل : أراد بذلك أزواجهن من آدميات .
 وقيل : هن الحور . وليس المراد بذلك صغر السن .
 لكن المراد رواء الشباب . أي ماء الشباب جارٍ فيهن لم
 يشبهن . ولم يتغير من حد الحُسن حسنهن . (١٠ : ٣٥٧)
- الطَّبْرِي : معناه استواء الخلقة والقامة والصُّورة
 والسن . حتى يَكُنَّ متشاكلات . (٥ : ٤٢٦)
 التَّنْفِي : لدات مستويات في السَّن . (٤ : ٣٢٧)
 نحوه الشَّرِيفِي (٤ : ٤٧٣) . والكاشاني (٥ : ٢٧٧) .
 وشُبْر (٦ : ٣٥٢) .
 البُرُوسَوِي : لِدَات . أي مستويات في السَّن . ولدة
 الرجل : تربية وقرينه في السَّن والميلاد . والهاء عوض عن
 الواو الذاهبة من أوله . لأنه من الولادة . وفي تفسير
 الزاهدي . نساء الجنة كلهن بنات ست عشرة سنة .
 ورجلهن أبناء ثلاث وتلاتين .
 وورد في أكثر التفاسير : أن أهل الجنة من الرجال
 والنساء تبلغ أعمارهم الثالثة والثلاثين . والظاهر مآل
 تفسير الزاهدي وهو كونهن بنات ست عشرة . لكونها
 منصف من الرجال . (١٠ : ٣٠٨)
 الألومسي : أي لدات بنشأن معاً . تشبيهاً في
 التساوي والتشابه بالترائب التي هي ضلوع الصدر . أو
 لوقوعهن معاً على التراب . أي الأرض . (٣٠ : ١٨)
 عبد الكريم الخطيب : أي متانلات في الخلقة
 حسناً وبهاء وشباباً . (١٥ : ١٤٢٤)
 مكارم الشَّيْبَازِي : «التراب» : جمع تراب .
 ويطلق على مجموعة الأفراد المتساويين في العمر .
 واستعماله في الإناث أكثر . وقيل : إنها من «الترائب»
 وهي ضلوع الصدر الواحدة . وذلك لما بينها من شبه من
 حيث التساوي والتماثل .
 ويحتمل المراد به «أتراب» التساوي بين نساء أهل
 الجنة في العمر . فيكونن شابات متساويات في القد

(المأوردي ٦: ٢٤٧)

هو الجيد. (القرطبي ٢٠: ٥)

مجاهد: الترائب: ما بين المنكبين والصدر.

(الطبري ٣٠: ١٤٤)

أسفل من التراقي. (الطبري ٣٠: ١٤٤)

الصدر. (القرطبي ٢٠: ٥)

منه القتي (٢: ٤٦٥). وابن كثير (٧: ٢٦٥).

مكرمة: مثل من (الترائب) فقال: هذه، ووضع

يده على صدره بين يديه. صلب الرجل، وترائب

المرأة. (الطبري ٣٠: ١٤٣)

فتادة: يخرج من بين صلب الرجل ونحوه.

(الطبري ٣٠: ١٤٤)

معنى ترائب المرأة: اليدين والرجلين والعينين.

(القرطبي ٢٠: ٥)

الضخالة: بين اليدين والرجلين والعينين.

(المأوردي ٦: ٢٤٧)

الترائب: اليدين والرجلان. (الطبري ٣٠: ١٤٤)

الضدي: صلب الرجل، وترائب المرأة أصفر

رفيق، لا يكون الولد إلا منها. (ابن كثير ٧: ٢٦٥)

الثوري: الصلب: للرجل، والترائب: للمرأة.

والترائب: فوق الثديين. (الطبري ٣٠: ١٤٤)

الترائب: ماء المرأة، وصلب الرجل.

(الطبري ٣٠: ١٤٤)

ابن وهب: قال ابن زيد: الترائب: الصدر. وهذه

الصلب، وأشار إلى ظهره. (الطبري ٣٠: ١٤٣)

الغراء: الصلب: صلب الرجل، والترائب:

والقائمة والجبال، أو قد يراد بتساوي العمر بينهما وبين

أزواجهن من المؤمنين، لأن للتساوي في العمر له الأثر

التنسي على إدراك مشاعر الطرف الآخر، إلا أن المعنى

الأول أكثر تناسبا. (١٩١: ٣١٠)

وبهذا المعنى جاءت كلمة (أترائب) في قوله تعالى:

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ أَتْرَابٌ﴾ ص: ٥٢

ترائب

فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ *
يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. الطارق: ٥-٧

ابن عباس: الترائب: موضع القلادة.

(الطبري ٣٠: ١٤٣)

نحوه الرخشي. (١: ٢٤١)

من بين ندي المرأة. (الطبري ٣٠: ١٤٣)

الترائب: أطراف الرجل، واليدان والرجلان

والعينان، فتلك الترائب. (الطبري ٣٠: ١٤٣)

الترائب: ما بين الجيد والتعر. (الدور المنثور ٦: ٣٣٦)

نحوه المييدي. (٤: ٤٥٢)

الترائب: أربع أضلاع من هذا الجانب.

(القرطبي ٢٠: ٥)

الترائب: أربعة أضلاع من كل جانب من أسفل

الأضلاع. (الدور المنثور ٦: ٣٣٦)

ابن جبير: الترائب: الصدر. (الطبري ٣٠: ١٤٣)

الترائب: الأضلاع التي أسفل الصلب.

(الطبري ٣٠: ١٤٣)

إنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل.

ما اكتنف لَبَاتِ المرأة، مما يقع عليه القلاتد. (٢٥٥٣)

أَبُو عُبَيْدَةَ: مُعَلِّقُ الْحَلِيِّ عَلَى الصَّدْرِ. (٢٩٣: ٢)

نَحْوُهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ (٥٢٣)، وَالسَّجِسْتَانِي (٢١٦).

مَعْمَرُ بْنُ أَبِي حَبِيبَةَ: هُوَ عَصَاةُ الْقَلْبِ، وَمِنْهُ يَكُونُ الْوَلَدُ. (الطَّبْرِيُّ ٣٠: ١٤٤)

الطَّبْرِيُّ: [بعد نقل أقوال المفسرين قال:]

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، قَوْلُ مَنْ قَالَ:

هُوَ مَوْضِعُ الْإِلَادَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ؛ حَيْثُ تَفْعُ عَلَيْهِ مِنْ صَدْرِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَهَـ

جَاءَتْ أَشْعَارُهُمْ. [ثم استشهد بشعر] (١٤٣: ٣٠)

نَحْوُهُ أَبُو الْقَتُوحِ (٢٢٨: ٢٠)، وَالْفَرَطِيُّ (٥: ٢٠).

الرَّجَجُاجُ، جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهَا أَرْبَعَةُ أَضْلَاحٍ مِنْ لُفَّةِ

الصَّدْرِ وَأَرْبَعُ أَضْلَاحٍ مِنْ بَسْمَةِ الصَّدْرِ، فَيَجَاءُ فِي

التَّفْسِيرِ أَنَّ التَّرَائِبَ: الْيَدَانِ وَالرَّجْلَانِ وَالْثَنَانِ، وَقَالَ

أَهْلُ اللَّغَةِ أَجْمَعُونَ: التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْإِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ.

(٣١٢: ٥)

ابْنُ خَالَوَيْهِ: (وَالتَّرَائِبُ) نَسَقٌ عَلَى الصُّلْبِ

بِالْوَاوِ. فَإِنْ قِيلَ: لَمْ يَمُتْ يَمُتْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

وَالثَّرِيَةِ، فَكَيْفَ جَمَعَ أَحَدُهُمَا وَوَحَدَ الْآخَرَ؟

فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ صَدْرَ الْمَرْأَةِ هُوَ ثَرِيَّتُهَا، فَيُقَالُ:

لِلْمَرْأَةِ تَرَائِبٌ، يَعْنِي بِهَا الثَّرِيَّةُ وَمَا حَوَّلَتْهَا وَأَحَاطَ بِهَا،

وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ يَقُولُ: رَأَيْتُ خِلَافَ الْمَرْأَةِ وَثَدَيْهَا، وَإِنَّمَا

هَـ ثَدْيَانِ وَخِلَافَانِ.

وفيه جواب آخر، وهو أن يكون أراد تعالى: يخرج

من بين الأضلاب والتَّرَائِبِ، فما كنتى بالواحد عن

الجماعة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَسْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ

السُّفُوفَاتِ وَالْأَزْوَاجِ كَانَتْ وَتَقَا﴾ الْأَنْبِيَاءُ: ٣٠، وَلَمْ يَقُلْ:

وَالْأَرْضِينَ. (٤٨)

الطُّوسِي: [نقل قول ابن عباس وقال:]

قِيلَ: إِنَّ لُفَّةَ الرَّجُلِ تَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَلُفَّةُ الْمَرْأَةِ

مِنْ صَدْرِهَا، فَإِذَا غَلَبَ مَاءُ الرَّجُلِ خَرَجَ الْوَلَدُ إِلَى شِبْهِ

أَهْلِ بَيْتِ أَبِيهِ، وَإِذَا غَلَبَ مَاءُ الْمَرْأَةِ خَرَجَ إِلَى شِبْهِ أَهْلِ

بَيْتِ أُمِّهِ. (١٠: ٣٢٥)

الْبَغَوِيُّ: وَالتَّرَائِبُ: جَمْعُ تَرِيَّةٍ، وَهِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ

وَالنَّحْرِ. (٥: ٢٣٩)

الصَّدِيقِيُّ: قِيلَ: إِنَّهَا عِظَامُ الصَّدْرِ. [ثم استشهد

بشعر]

وقيل: إِنَّمَا سَمِيَ بِذَلِكَ، لِأَنَّ عِظَامَ الصَّدْرِ مُسْتَوِيَةٌ

مَحْتَجَّةٌ، مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْأَتْرَابِ أَيْضًا. (١: ٢٢١)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: تَرَائِبُ الْمَرْأَةِ: عِظَامُ صَدْرِهَا حَيْثُ

تَكُونُ الْإِلَادَةُ، وَكُلُّ عِظَمٍ مِنْ ذَلِكَ: تَرِيَّةٌ، وَهَذَا قَوْلُ

جَمِيعِ أَهْلِ اللَّغَةِ.

وَأَصْلُهُ أَنَّ الْمَلْحَدِينَ طَمَنُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالُوا: إِنْ

كَانَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

أَنَّ الْمَيِّتَ إِنَّمَا يَخْضَلُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ، فَهَلِيسَ الْأَمْرُ

كَذَلِكَ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ مِنْ فَضْلَةِ الْهَضَمِ الرَّابِعِ، وَيَنْفَصِلُ

عَنْ جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ، حَتَّى يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ عَضْوٍ طَبِيعَتَهُ

وِخَاصَّتَهُ، فَيَصِيرُ مُسْتَعْدًّا لِأَنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ مِثْلُ تِلْكَ

الْأَعْضَاءِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْمَفْرُطَ فِي الْجِصَاعِ يَسْتَوِلِي الضَّعْفُ

عَلَى جَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنَّ مُعْظَمَ أَجْزَاءِ الْمَيِّتِ

يَتَوَلَّدُ هُنَاكَ فَهُوَ ضَعِيفٌ، بَلْ مُعْظَمُ أَجْزَائِهِ إِنَّمَا يَتَرَبَّنُ فِي

الدِّمَاغِ، وَالدِّمَاغُ عَلَيْهِ أَنَّهُ فِي صُورَتِهِ يَشْبَهُ الدِّمَاغَ، وَلِأَنَّ

كالثني الواحد، فكأن الصلب والترائب لشخص واحد، فلا تطل. ثم إن ما تقدم مبنياً إما على أن الترائب مخصصة بالمرأة، كما هو ظاهر كلام غير واحد، وإما على حمل تعريفها على العهد.

[ثم نقل بعض أقوال المفسرين والفخر الرازي وأضاف:]

وفي «الكشف»: أقول: الشجاع بين الصلب والترائب، ولا يحتاج إلى تخصيص الترية بالنساء، فقد يقع الشعب النازلة على أن تلك الشعب إن كانت فهي أصاب لآذات تجاويف، والوجه - والله تعالى أعلم - أن الشجاع والقوى الدماغية القلبية والكبدية كلها تتعاون في إبراز ذلك الفضل، على ما هو عليه قايلاً، لأن بصير مبدأ الشخص على ما بين في موضعه، وقوله سبحانه: ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ عبارة مختصرة جامعة لتأثير الأعضاء الثلاثة، فالترائب: يشمل القلب والكبد، وتحتوها للقلب أظهر. والصلب: الشجاع ويتوسطه الدماغ، ولعله لا يحتاج إلى التنبيه على مكان الكبد، فظهور ذلك لأنه دم نضيج، وإما احتيج إلى ما خفي وهو أمر الدماغ والقلب في تكون ذلك الماء، فبه على مكانها. وقيل: ابتداء الخروج منه كما أن انتهاءه بالإحليل، انتهى.

وقيل: لو جعل ما بين الصلب والترائب كناية عن البدن كله لم يمد، وكان تخصيصها بالذكر لما أتت كالتوءاء للقلب الذي هو المصفة العظمية فيه، وأمر هذه الكناية على ما حكى مكّي عن ابن عباس في (الترائب) أظهر، وزعم بعضهم جواز كون الصلب والترائب

المكثر منه يظهر الضعف أولاً في عهده. وإن كان المراد أن مستقر المني هناك فهو ضعيف، لأن مستقر المني هو أوعية المني، وهي عروق ملتفة بعضها ببعض عند البيضتين، وإن كان المراد أن يخرج المني هناك فهو ضعيف، لأن الحق يدل على أنه ليس كذلك.

والجواب: لا شك أن أعظم الأعضاء معونة في توليد المني هو الدماغ، للدماغ خليفة وهي الشجاع، وهو في الصلب، وله شعب كثيرة نازلة إلى مقدم البدن، وهو الترية، فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر، على أن كلامكم في كيفية تولد المني، وكيفية تولد الأعضاء من المني، محض الوهم والظن الضعيف، وكلام الله تعالى أولى بالقبول.

نحوه الكملبي (٤: ١٩١)، والتسبي (٤١: ٤٨)، والنيسابوري (٣٠: ٧٠)، والشريفي (٤: ٥١٧)، وأبو السعود (٦: ٤١٠)، والبروسوي (١٠: ٣٩٨).

الألوسي: أي ومن بين ترائب كل امرأة، أي عظام صدرها، جمع تربية، وفُترت أيضاً بوضع الفلادة من الصدر. وروى عن ابن عباس: وهو لكل امرأة واحد، إلا أنه يجمع. [ثم استشهد بشعر]

وحمل الآية على ما ذكر مروى عن سفيان وقتادة، إلا أنها قالوا: أي يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وظاهره كالأية أن أحد الطرفين للبيئة الصلب، والآخر الترائب، وهو غير ما قلناه، وعليه قيل: هو كقولك: يخرج من بين زيد وعمر وخير كثير، على معنى أنها سببان فيه.

وقيل: إن ذلك باعتبار أن الرجل والمرأة يصيران

للرجل، أي يخرج من بين صلب كل رجل وترائبه.

(١٨: ٣٠)

القاسمي: قال بعض علماء الطب: الترائب: جمع تريبة، وهي عظام الصدر في الذكر والأنثى، ويصلب استصحابها في موضع القلادة من الأنثى. (١٧: ١١٢٤)

الطنطاوي: وقوله: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ» أي يخرج من بين الرجل والمرأة، لأن هذا الماء منها ماء، وأحمد بعد ذلك.

واعلم أن الدماغ فيه مركز الإدراك، وخليفته في الجسم النخاع الشوكي الموزون في الصلب، وهذا النخاع له شعب كثيرة تصل إلى جميع أجزاء الجسم موصلة الحس، لتتدر أعضاء الحركة فتقوم بالعمل، ولأن تقوم حركة الجذع إلا بوجود هذه القوة، ومعلوم أن ترائب المرأة التي هي عظام الصدر محل القلادة، وأنواع التريبة التي تتصل بها المرأة، فأهم شيء في الرجل عند اجتماع الزوجين قوته المضطربة والعصبية التي تجري في النخاع في الصلب، وأهم ما في المرأة في تلك الحال وحدها حس زيتها، وأهمها ماعل الصدر، فإذا جعل الصدر وحس الحلي، فقد تم نظام الأحوال التي بها تكون الذرية، فصل هذا عبر بالصلب من الرجل، وبالترائب من المرأة وهذا من محاسن البلاغة.

فإن هذا مجاز في علم البيان، من إطلاق الجزء الذي له أهمية على الكل، كما تقول في العبد: رقة، وفي الكبيش: رأس، وأنت تقصد نفس العبد لارقبته، وتقصد نفس الكبيش لرأسه، لكن لما كانت المزية ظاهرة في هذين العضوين عبر بهما عنهما، هكذا هنا في مسألة

الأبوين فزينة كل منهما فيها ذكر معبراً عنه، حتى يتم الفعل المؤدي لحصول الذرية. (٢٥: ١١٤)

الطباطبائي: والترائب: جمع تريبة وهي عظم الصدر.

وقد اختلف كلماتهم في الآية وما قبلها اختلافاً عجيباً، والتظاهر أن المراد بقوله: «بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ» البعض المحصور من البدن، بين جداري عظام الظهر وعظام الصدر. (٢٠: ٢٦٠)

مكارم الشيرازي: نذكر بعض الآراء الكثيرة للمفسرين بخصوص المراد من «الصلب والترائب» الواردة في الآية المباركة:

١- الصلب: إشارة إلى الرجال، والترائب: إشارة إلى النساء، لأن في الرجال مظهر الصلابة، وفي النساء مظهر الرقة واللطافة.

وعليه، فالآية بصدد ذكر حقيقتي الرجل وتوحيده المرأة، ومنها تشكل لطفة خلق الإنسان.

٢- الصلب: إشارة إلى ظهر الرجل، والترائب: إشارة إلى صدره، فيكون مراد الآية لطفة الرجل التي تقع ما بين ظهره وصدره.

٣- إرادة خروج الجنين من رحم أمه، لأنه يكون بين ظهرها والجزء الأمامي لبدنها. [ثم تعرض لأبحاث أخرى ستأتي في دفع ق، م وهه] (٢٠: ١٠١)

مترتبة

أَوْ بِشَكْلٍ ذَا مَتَرَبَةٍ. البلد: ١٦

النبي ﷺ: الذي مأواه المزابيل. (الدر المنثور: ٦: ٣٥٥)

- ابن عباس، قال أبو صالح: إنه مر بمسكين لاصق
بالتراب حاجة، فقال: هذا الذي قال الله تبارك وتعالى:
﴿أَوْ مَشْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾. (الفراء ٣: ٢٦٦)
نحوه عكرمة. (الطبري ٣٠: ٢٠٥)
الذي ليس له مأوى إلا التراب.
(الطبري ٣٠: ٢٠٤)
الذي لا يواريه إلا التراب. (الطبري ٣٠: ٢٠٤)
الذي لا يقيه من التراب شيء. (الطبري ٣٠: ٢٠٤)
نحوه مجاهد. (الماوردي ٦: ٢٧٩)
هو اللازق بالتراب من شدة الفقر.
(الطبري ٣٠: ٢٠٤)
نحوه عكرمة (الطبري ٣٠: ٢٠٥)، وأبو عبيدة (٢)
٢٩٩، وابن قتيبة (٥٢٩)، والزجاج (٥: ٣٣٠)، ومطهر
التجستاني (٢١٩).
هو المسكين الملحق بالطريق بالتراب.
(الطبري ٣٠: ٢٠٥)
شديد الحاجة. (الطبري ٣٠: ٢٠٥)
مسكين ذو بنين وحيال، ليس بينك وبينه قرابة.
(الطبري ٣٠: ٢٠٦)
البعيد التربة: يعني الغريب البعيد عن وطنه.
(الماوردي ٦: ٢٧٩)
هو الذي يخرج من بيته، ثم يقلب وجهه إليه،
مستيقناً أنه ليس فيه إلا التراب. (أبو حيان ٨: ٤٧٦)
سعيد بن جبير: ذا حيال. (الطبري ٣٠: ٢٠٦)
إنه الذي ليس له أحد. (الماوردي ٦: ٢٧٩)
مجاهد: المطروح في الأرض، الذي لا يقيه شيء.
دون التراب. (الطبري ٣٠: ٢٠٥)
ساقط في التراب. (الطبري ٣٠: ٢٠٥)
عكرمة: هو الحارث الذي لا مال له.
(الطبري ٣٠: ٢٠٥)
هو الفقير المديون المحتاج. (ابن كثير ٧: ٢٩٨)
الضخالك: ذا عيال لاصقين بالأرض، من المسكنة
والجهد. (الطبري ٣٠: ٢٠٦)
قتادة: كنا نحدث: أن العريب هو ذو العيال الذي
لا شيء له. (الطبري ٣٠: ٢٠٦)
الثوري: هم المطروحون على ظهر الطريق فعوداً
على التراب، لا بيوت لهم. (ابن عطية ٣: ٤٨٦)
مثل أبو حيان. (٨: ٤٧٦)
الهمز: ذا حاجة، التراب، المحتاج.
(الطبري ٣٠: ٢٠٥)
الطبري: [نقل الأقوال ثم قال:]
وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: سفي
به ﴿أَوْ مَشْكِينًا﴾ قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة،
لأن ذلك هو الظاهر من معانيه. وأن قوله: (مَتْرَبَةٍ) إنما
هي «مَفْقَلَةٌ» من ترب الرجل، إذا أصابه التراب.
(٣٠: ٢٠٦)
نحوه أبو الفتح (٢٠: ٢٨٩)، والفخر الرازي (٣١)
١٨٧، والقرطبي (٢٠: ٧٠).
الشريف المرتضى: والمتربة: «مَفْقَلَةٌ» من
التراب، أي هو لاصق بالأرض من ضراء وحاجته.
يجري مجرى قولهم في الفقير: «مُدْقَع» وهو مأخوذ من
الدقواء، وهي الأرض التي لا شيء فيها. (٢: ٢٩١)

نحوه ابن كثير . (٢٩٨ : ٧)
 الخارزنجي : المتربة هنا : من التريب ، وهي شدة
 الحال . (القرطبي ٢٠ : ٧٠)
 ابن خالويه : (ذا) نصب ، نعت للمسكين ، و (متربة)
 جر بالإضافة ، ومعناه قد لصق بالتراب من شدة الفقر .

(٩٣)

نحوه الخطاطبائي :
 أبوسنان : أنه ذو زمانة . (الماوردي ٦ : ٢٧٩)
 الطوسي : معناه ذا حاجة شديدة . (١٠ : ٣٥٥)
 القشيري : لانيء له ، حتى كأنه قد التصق
 بالتراب من الجوع . (٢٩٨ : ٦)

البقوي : قد لصق بالتراب من فقره وضيقه .
 (٢٥٧ : ٥)

منه الميبدئي (١٠ : ٥٠٠) ، ونحوه الشافعي (١٠ : ٢٥٧) ، والطبرسي (٥ : ٤٩٥) ، والخازن (٧ : ٢٠٩) ،
 والشربيني (٤ : ٥٤٠) .

ابن عطيّة : معناه مدقاً قد لصق بالتراب ، وهذا
 مما ينحو إلى أن المسكين أشد فاقة من الفقير .

(٤٨٦ : ٥)

ابن العربي : والمتربة : الفقر البالغ الذي لا يجد
 صاحبه طعاماً إلا التراب ، ولا فراشاً سواه . (٤ : ١٩٤٠)
 نحوه القاسمي (٧ : ٦١٦٣) ، وعبد الكريم الخطيب
 (١٥ : ١٥٧٨) .

الشمسي : [بعد أن فسر الكلمات التي قبلها : مشبة
 ومتربة قال :]

والمتربة : الفقر ، مقولات من سقيب ، إذا جاع وقرب

في التسب ، يقال : فلان ذو قرابي وذو مقربي ، وتريب .
 إذا افتقر ، ومعناه التصق بالتراب ، فيكون مأواه المزابل .
 (٤ : ٣٥٩)
 نحوه أبو السعود (٦ : ٤٣٢) ، والاكوسي (٣٠ : ١٣٨) ،
 ومكارد الشيرازي (٢٧ : ٣٦) .

بنت الشاطئ : وكون المسكين ذا متربة ، بيان
 شير لمدى العوز والهوان ، يُلصق المسكين بالتراب ، أو
 يجعله من فرط العدم ، لا يجد سوى التراب . (١ : ١٩٤)

الوجوه والنظائر

الدامغاني : التراب على خمسة أوجه : الزمير ،
 الاثرب : الأشكال ، التراب : الضلوع ، البهيمة ،
 الصلابة .

فوجه منها : التراب يعني الزمير ، قوله : ﴿وَإِنْ
 تَعَجَّبْتَ فَاصْبِرْ فَإِنَّهُمْ مَاذَا كُنْتَ تُرَاثِي﴾ الزمير : هـ ، أي
 ربيما ، مثلها في ق : ٣ ، ونحوه كثير .

والوجه الثاني : الاثرب : الأشكال قوله : ﴿عُرِّيَتْ
 أَرْثَابِي﴾ الواقعة : ٣٧ ، يعني أشكالا ، [و] مثلها
 ﴿وَعِنْدَهُمْ فَاخِرَاتُ الْطَّوْلِ أَرْثَابٌ﴾ ص : ٥٢ ، ومثلها
 ﴿وَكُنَا عِبَ أَرْثَابِي﴾ التبا : ٣٣ .

والوجه الثالث : التراب يعني الضلوع من الصدر ،
 كقوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الطارق : ٧ ،
 يعني التراقي .

والوجه الرابع : التراب يعني البهائم ، قوله :
 ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا أَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاثِي﴾ التبا : ٤٠ ، يعني
 كنت بهيمة من البهائم ، فأصير تراباً مع البهائم ، وقيل :

تراها: ميتًا.

والوجه الخامس: التراب: الصعيد، قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ الروم: ٢٠، وكقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ المؤمن: ٦٧، ونحوه كثير، (١٨١)
الفيروز ابادي: قد جاء في القرآن على وجوه:
الأول: بمعنى العظام البالية، الرميعة ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ المؤمنون: ٨٢

الثاني: بمعنى البهائم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَوَّيْتُمْ مِنْهُ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ وَرَبِّكُمْ فَاسْتَجِبُوا﴾ البقرة: ١٨٠،
أي بهيمة من البهائم، وقيل: هو بمعنى آدم عليه السلام، وهذا مما يقوله إبليس.

الثالث: بمعنى حقيقة التربة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ المؤمن: ٦٧. (بصائر ذوي التمييز: ٢: ١٩٧)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التراب، وهو ما تم من أديم الأرض، وفيه لغات كثيرة، وهي: التُّرْب والتُّرْبَاء والتُّرْبَاء، يقال: أرضٌ تُرْبَاء، أي ذات تُرَاب. وكذا التُّرْب والتُّرْبَاء والتُّرْب والتُّرْب، يقال: فيه التُّرْب والتُّرْب، أي: وجع التُّرَاب: أثره وتربان.

والتربة: مؤنث التُّرْب، يقال: أرضٌ طيبة التُّرْب، أي خلقة ترابها، وتربة الإنسان: رُؤُسُه، وتربة الأرض: ظاهرها.

وترب الشيء تُرَبًا: أصابه التُّرَاب ولزق به فهو تُرِب، يقال: طعامٌ تُرِبٌ ولحمٌ تُرِبٌ، أي ملوث بالتراب، وترب الرجل: صار في يده التُّرَاب، ومكان

تُرب: كثير التُّرَاب، وقد تُرِبَ تُرَبًا، ورجع تُرِب وتُربة: تسوق التُّرَاب وتحمله.

وأترب الشيء: وضع عليه التُّرَاب، وتترب الشيء: تطلع بالتُّرَاب ولزق به، وتترب فلان تتريبًا: تلوث بالتُّرَاب، وتربى الكتاب والقرطاس تتريبًا فأنا أتربه.

ومن الجاز: تُرِبَ فلانٌ تُرَبًا وتُربة: خسرَ وافترقَ لَزِقَ بالتُّرَاب من الحاجة، فهو تُرِب. وأترب: قلَّ ماله، وأترب أيضًا: استغنى وكثر ماله فهو مُتَرِب، أي صار ماله مثل التُّرَاب، أو زال فقره، صلى السُّلْب، ومثله التُّرِب أيضًا. وقولهم: تربت يداي، دعاء عليه، أي لأصابع خيري.

وصة: التُّرِب، أي اللدة والسِّن، والجمع: أتراب، وأكثر ما يستعمل في المؤنث، يقال: هذه تُرِب هذه، وقد تاربتها، أي صارت تُرَبًا، وسمي الأتراب بذلك للجمع بالتراب: إذ هم صبيان أقران.

ومنه أيضًا: التُّرَاب: عظام الصدر، وهي أربع أضلاع من مئة الصدر وأربع من يسرته، والواحدة: تربة، وسميت بذلك لأنها متشابهة كالأتراب أو كتشابه التُّرَاب.

والتربتان: الضلعان اللتان تليان الترقوتين. والتربان: الأنامل، واحدها: تربة. والتُّرَاب: أصل ذراع الشاة، جمع تُرِب، عطف تُرِب. لعله لالتصاقه بالتُّرَاب.

٢- ويقال أيضًا: جملُ تُرَبوت، أي ذلول، وتكثر تُرَبوت: مدلل، وناقضُ تُرَبوت، وهي التي إذا أخذت

بشرفها أو يهدب عينها تبعثك. وكلّ ذلول من الأرض وغيرها: تَرَبُّوت.

وقد جاء على وزن «فَعْلُوت» ألفاظ ممدودة في اللغة، وهي: ملكوت، جبروت، رحمت، رهبت، وعظمت، سلبوت، وتربوت. ويقال: ناقة حلبوت وركبوت، أي تصلح للحلب والركوب، ورجل حلبوت: خداع مكار، وثلبوت: أرض.

بيد أن بعضنا يرى «تاء» تَرَبُّوت مبدلاً من «الدال»، وأصله: دَرَبُوت، من «الدَّربَة»، أي الممران والتسميد. وليس هذا بعيد، لأنّ إبدال التاء «دالاً» مستساغ في اللغة لقرب مخرجيهما، ونظيره: الدَّوَجُ والتَّوَجُّج: الكيناس وقولهم: حَرَمَتِ القَصَارُ التَّوْبَ وحَرَدَتْ، أي خرقت. ولكن هذا الزأى يقصر عن مطاوعة الزأى الأول في الاشتقاق، وما ذكر في توجيهه تمثل وتكلف، كما أنه لم يرد لفظ «دَرَبُوت» في عداد ما جاء على وزن «فَعْلُوت» في اللغة، بخلاف «تَرَبُّوت» كما رأيت.

الاستعمال القرآني

جاءت من هذه المادة أربعة ألفاظ: تراب (١٧) مرة، وأتراب (٣) مرات، والترائب ومترية كل منها مرة، في (٢٢) آية:

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ...﴾ الحج: ٥

٢- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ الروم: ٢٠

٣- ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ

أَزْوَاجًا...﴾ فاطر: ١١

٤- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

عَلَقَةٍ...﴾ المؤمن: ٦٧

٥- ﴿وَإِن مِّن مَّوَدَّةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَكَيْفَ أَخَذْتُ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آل عمران: ٥٩

٦- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي

خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا﴾

الكهف: ٣٧

٧- ﴿وَإِن تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَنَبِي

خَلْقٍ جَدِيدٍ...﴾ الزمر: ٥

٨- ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا

أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ المؤمنون: ٣٥

٩- ﴿قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا

لَنَبْنُو نُورُونَ﴾ المؤمنون: ٨٢

١٠- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَابْنُوتَا إِنَّا

لَنُخْرَجُونَ﴾ النمل: ٦٧

١١- ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَنَبْنُو نُورُونَ﴾

الصافات: ١٦

١٢- ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَنَبْنُو نُورُونَ﴾

الصافات: ٥٣

١٣- ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ ق: ٣

١٤- ﴿وَكُنَّا نُبْكُورُ أَيْدًا مِّثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا

وَإِنَّا لَنَبْنُو نُورُونَ﴾ الواقعة: ٤٧

١٥- ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ

مَاقَدَّمَتِ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

النبأ: ٤٠

من تراب أو خلق نفسه منه، لأنه من التطفة والدم، وكلاهما من الغذاء، وهو إما ما يبت من الأرض مباشرة، أو من الحيوان الذي يتغذى من نبات الأرض، لاحظ (خلق الإنسان) في «ع ل ق».

ثالثاً: جاء خلق الإنسان بدل (تراب) من طين في «خلقته من طين» الأعراف: ١٢، «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» المؤمنون: ١٢، و«خلقناهم من طين لازب» الصافات: ١١، وخلقهم من صلصال في «خلق الإنسان من صلصال كالفخار» الرحمن: ١٤، وذلك إشارة إلى مراحل خلقه، فأصله التراب ثم الطين ثم الصلصال.

رابعاً: هذه الآيات مكتبة سوى (١) من سورة الحج - وفي كل نزولها بحث تبينها عليه سراز - و(٥) فهي وصف لمسي بالذات ولآدم بالعرض، فتناسب أوائل سورة آل عمران المدنية، و(١٧) فجاءت في سياق آيات التشريع والمدنية دار التشريع.

خامساً: إحياء الإنسان من تراب بعد الموت، وفيه (٨) آيات: وكلها مكتبة إلا (٧) من سورة الزعد، حيث قالوا: إنها مدنية، وهي أشبه بالمكنية، لاحظ «المدخل»، فهي إدانة لرأي مشركي مكة وغيرها الذين أنكروا المعاد، بحجة أن إحياء التراب والعظام أمر محال. ونزيد هذه الآيات على آيات خلقه من تراب باثنتين، مع أن بعضاً من تلك الآيات تهدف إلى إثبات المعاد أيضاً، فيبدو أن مشكلة البحث عند المشركين كانت شاقة كمشكلة التوحيد، أو أشق منها وأصعب، لاسيما أن التوحيد أمر فطري دون المعاد.

١٦- «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى... فَكُنْتُمْ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ زَابُلٌ فَقَرَّكَهُ صَلْدًا...» البقرة: ٢٦٤

١٧- «يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» التحل: ٥٩

١٨- «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُقِ أَتْرَابٌ»

ص: ٥٢

١٩- «فَجَعَلْنَاهُمْ أَزْوَاجًا غُوبًا أَتْرَابًا»

الواقعة: ٣٦، ٣٧

٢٠- «إِنْ يَلْمِزْنِ سَفَاحًا خَدَائِقَ وَأَعْنَابًا»

النبا: ٣١-٣٢

وَكَوَاجِبَ أَتْرَابًا»

٢١- «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ طِينٍ

دَافِقٍ خُورَجَ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ الطَّارِق: ٥-٧

٢٢- «يَبْهَمًا ذَا عَفْرِتٍ أَوْ يَنْسُكِيًا ذَا مَعْرِتٍ»

البلد: ١٥، ١٦

يلاحظ أولاً: أن آيات «تراب» خمسة أصناف:

خلق الإنسان من التراب، (١-٦) وإحياءه من التراب، (٧-١٤) وأصناف ثلاثة أخرى، (١٥-١٧)

ثانياً: جاءت (٦) آيات في خلق الإنسان من ترابه وسياقها إثبات قدرة الله، بأن خلق أنصرف خلقه من تراب، وهو أزهى الأشياء وأهونها، أو تذكير الإنسان بحسنة أصله، ليتواضع ولا يستكبر، أو التدليل على قدرة الله على إحيائه من التراب مرة أخرى، وهذه الغايات مبثوثة في الآيات.

والمراد بخلق من تراب إما خلق أصله - وهو آدم -

سادسًا: أمّا الأوصاف الثلاثة الأخرى فهي:

١- في الآية (١٥): ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا أَلِيتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ يستحق الكافر يوم القيامة، حينما ينظر إلى ما قدمت يده من الشرك والإثم والفساد، أن لو كان ترابًا، أي أحسن الأشياء، ولم يكن إنسانًا مكلفًا مسؤولًا عن أفعاله فيمذب بها.

٢- وجاء في (١٦) تمثيل «بطلان الصدقات» بالمرء والأذى بهفوان عليه تراب، فأصابه وإيل، أي مطر شديد، فبتركه صليداً، أي أن الصدقات تذهب بذلك هباء كالتراب. فيبدو أن «التراب» في الآيات كلها جاء مثالا لأخس الأشياء وأخفها.

٣- وفي الآية (١٧): ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ تنبيه على أن العرب الجاهليين كانوا يعطون من الأشياء فكان الذي يبشر بولد أنثى يتوارى من القوم من نوح ما يبشر به، ويحدث نفسه أيمسكه على هون أم يدسه في التراب؟ فكانت الأنثى عندهم مخلوقاً منحط الرتبة، حتى أراد أن يدسه في التراب - وهو أدنى الأشياء - حتى لا ترى فيعاب بها.

سابقًا: جاء (تراب) نكرة في الآيات كلها رمزًا إلى حقارته ودنائه مساوقةً لسياق الآيات سوى في (١٧) فجاء معرفة وإن كان سياق التحقير أيضًا كسائر الآيات ولعلّه تنبيه على أن هذا الذي بشر بالأنثى يستحق أن يدسه فورًا فيما أسامه من التراب والأرض الماخضرة ولا يؤخره إلى مكان آخر فـ«اللام» للعهد المحضوري. والله أعلم بسر كتابه.

ثامنًا: جاء «تراب» - وهو جمع يرب كجنس - وصفًا

منكرًا دائمًا - إكبارًا وتظيمًا - لساء أهل الجنة من

المور العين، ثلاث مرّات روعي فيها روي الآيات:

ففي (١٨): ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطُّرُفِ أَتْرَابٌ﴾. أي عند المتقين، لأن قبلها ﴿وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ حَسَنَ ثَأْبٍ﴾ ص: ٤٩

وفي (١٩): ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً﴾ فجعلناهن أنكرًا ﴿فُرُجًا أَتْرَابًا﴾، وقبلها بآيات: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ فهذه أوصاف المور العين، وهن نفس القاصرات الطرف، لاحظ «ع ي ن» وهن ص ر. وهن للتباين والمقربين الذين جاء ذكرهم في صدر السورة، ولأنك أنهم من المتقين أيضًا.

وفي (٢٠): ﴿وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا﴾ خدائق وأغانيًا ﴿وَنَحْوَهَا أَتْرَابًا﴾، فالفتيات ذوات الأنداء الشاهدة وصفن لها بأنهن أتراب. ويبدو أن المتقين قد جزاهم ربهم بهذه النعم، لا تقالهم المحرمات وصبرهم عليها، ومن بينها المور العين الموصوفات بكونهن أتراب.

تاسمًا: قيل: في معنى «أتراب»: إثنان في سن واحدة مع بعضهن بعضًا، أو مع أزواجهن. وهو بعيد عن السياق. وجاء في التفاسير: سنهن ثلاث وثلاثون، أو ست عشرة، أو أقل أو أكثر من ذلك، ولا شاهد له في القرآن. والذي يتبادر إلى الذهن أنهن في سن المحدثات ورياح الشباب.

وهناك قول بأنهن مجاملات خلقًا وخلقًا، أي حسنًا وبهاء وشبابًا وسنًا وقامة، وهذا محتمل، إلا أن التباين في السن هو الوصف الشائع لهن.

وقيل: إنه من التراب، لأنهن عندما كن صبايا

لاست جلودهن التراب عند اللب، يعني في الدنيا دون الآخرة.

وكيف كان، هذا التماثل بينهما رمز إلى الائتلاف بينهما، وبراءتهن من التباغض والتحاسد، فيسعد الرجل بمعاشرتهن. ويقال في النساء: أتراب، وفي الرجال: أقران، وأمثال، وأنداد، وأشباه وغير ذلك.

عاشراً: جاء في (٢١): ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾. أي تخرج الطفلة من بينهما، ولها بحوث: ١- قيل: الترائب مأخوذة من الأتراب، لأن عظام الصدر مستوية غير متعجئة - أي غير منحنية - مثل الأتراب.

٢- قيل: إن الترائب تلتصق بالنساء، لأن الترائب موضع القلاد، تقع بين ثدي المرأة ونحرها.

واختاره الطبري، لأنه المعروف عند العرب، وجاء ذكرها في أشعارهم، وإليه يرجع تفسيرها بالجيد أو ما بين الجيد والنحر ونحوها. وكذا قولهم: إن الصُّلب للرجل والترائب للمرأة، فيقال: صلب الرجل وترائب المرأة.

وقيل: إنها جميعاً للرجل، أو للرجل والمرأة معاً، ففسروها بأطراف الرجل كاليد والرجلين والعينين، أو بأربع أضلاع من كل جانب من أسفل الأضلاع التي هي أسفل الصُّلب، أو أربع أضلاع من بنية الصدر، وأربع أضلاع من يسرة الصدر.

وقيل: إنها كناية عن جميع البدن، فأريد بالصُّلب: الظهر والعقب، وبالترائب: الصدر ومقاديم البدن. أي أن الماء الدافق يخرج من جميع البدن، وبذلك

يرتفع إشكال علماء الطب والملاحدة الذي طرحه الفخر الرازي.

وقيل: إنها كناية عن الرجل والمرأة، فالصُّلب مظهر صلب الرجل، والترائب مظهر رقة المرأة ولطافتها.

وفد جاء في تفسير «نوين» (١٢٢) بحث طريف ركز فيه قول الططاوي، واحتمل رجوع الضمير في «يخرج» إلى الإنسان، دون الماء الدافق.

وعندنا أن كل ذلك محتمل ولا يخلو من لطف، إلا أنه لا شاهد لواحد منها بعينه في اللغة، سوى ما مر عن الطبري، فلاحظ.

ثم أثار ابن خالوقه سؤالاً بقوله: لم يجمع الترائب وأفرد الصُّلب؟

وأجاب بأن صدر المرأة هو ثديتها، وأريد بالترائب: الصدر وما حوله، كما تقول العرب: رأيت خلاخيل المرأة وتديها، وإنما لها ثديان وخلخالان. وأراد بذلك أن الجمع للتكثير والتجليل.

وعندنا أن الكلمة جاءت مرة واحدة رعاية للزوي، كما أنها مما جاء مرة في القرآن، والزوي في هذه السورة: دافق، قادر، السرائر، ونحوها.

الحادي عشر: جاء في (٢٢): ﴿وَإِذَا مَشَىٰ ذَا ثَمَرَةٍ﴾، وذكروا لها وجوهاً ترجع إلى أنه كناية عن شدة الفقر، بحيث لا مأوى له إلا التراب، والمثربة - كما ذكر الطبري وغيره - من: ترب الرجل، إذا أصابه التراب ولصق به، أو من التريب، وهو شدة الحال، وهذا يتبع أن المسكين أشد حاجة من الفقير، وقال ابن

العربي: «المتَّزِّبَةُ: الفقر البالغ الذي لا يجد صاحبه طعامًا
إلا التَّراب». كالتَّراب وغيرها.



مجلس شورى اسلامی ایران

ت ر ف

٧ ألفاظ ، ٨ مرّات مكّية ، في ٧ سور مكّية

أَتَرَفْنَاهُمْ ١:١	مُتَرَفِّينَ ١:١	اللَّحْيَانِي ، أَتَرَفَ الرَّجُلَ : أعطاه شهوته .
أَكْرَهُوا ١:١	مُتَرَفِّبَهَا ١:١	(ابن سيده ٩ : ٤٧٦)
أَتَرَفْتُمْ ١:١	مُتَرَفِّبِهِمْ ١:١	أَبْنُ جُرَيْدٍ : رَجُلٌ مُتَرَفٌّ : مُنْعَمٌ . وَتَرَفَهُ أَهْلُهُ ، إِذَا
مُتَرَفُّوْهَا ٢:٢		تَمَوَّءَ . وَالتَّرْفَةُ : الطَّعَامُ الطَّيِّبُ ، أَوِ الشَّيْءُ الطَّرِيفُ بِخَصِّ
		بِهِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ . (١١ : ٢)

النُّصُوصُ اللُّغَوِيَّةُ

الْخَلِيلُ : التَّرَفُ تَعْمِيرُ النِّدَاءِ . وَصِيٌّ مُتَرَفٌّ .	يَنْفُتُوْنِيهِ : الْمُتَرَفُّ : الْمُتَرَوِّلُ ، يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ لَا يُجْنَعُ
وَالْمُتَرَفُّ : الْمَوْسِعُ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ، الْقَلِيلُ فِيهِ هِمَّةٌ ^(١) .	مِنْهُ . (الْأَزْهَرِيُّ ١٤ : ٢٧٦)
وَأَتَرَفَهُ اللَّهُ .	الْأَزْهَرِيُّ : التَّرْفَةُ : النُّعْمَةُ ، وَصِيٌّ مُتَرَفٌّ ، إِذَا كَانَ
وَالتَّرْفَةُ وَالطَّرْمَةُ فِي وَسْطِ الشَّفَةِ السُّفْلَى ، وَهِيَ هَتَّةٌ	مُنْعَمُ الْبَدَنِ مَدَلًّا . وَالْمُتَرَفُّ : الَّذِي أَبْطَرَّتْهُ النُّعْمَةُ ، وَسَعَةُ
نَائِبَةٌ خِلَقَةٍ ، وَالتَّعْتُ : أَتَرَفَ .	الْقَيْسُ .
وَالتَّرْفَةُ : كُلُّ مَا تَرَفَّتْ بِهِ نَفْسُكَ تَتَرَفًّا ، إِذَا خَفَّتْ	وَقِيلَ لِلْمُتَنَمِّعِ : مُتَرَفٌّ ، لِأَنَّهُ مُطْلَقٌ لَهُ ، لَا يُجْنَعُ مِنْ
عَنْهَا . (٨ : ١١٤)	تَنَعُّمٍ . (١٤ : ٢٧٦)
أَبُو مَالِكٍ : الطَّرْمَةُ : التَّبَرُّعُ فِي الشَّفَةِ الْعُلْيَا بِضَمِّ	نَحْوُهُ ابْنُ سَيِّدَةٍ . (الْإِلْفَصَاحِ ١ : ٨)
الطَّاءِ وَفَتْحِهَا ، وَالتَّرْفَةُ فِي السُّفْلَى ، فَإِذَا شَبَّوْا قَالُوا :	الْفَصَاحِيُّ : [قَالَ نَحْوُ الْخَلِيلِ وَأَخَافُ:]
طَرِمَتَانِ . (ابْنُ دُرَيْدٍ ٣ : ٤٥٣)	وَأَسْتَتَرَفَ الْقَوْمُ : طَفَقُوا ، وَهُوَ مِنَ الْأَوَّلِ . (٩ : ٤٢٦)

(١) كُنَّا . وَالظَّاهِرُ هَتَّةٌ ، أَوْ هَتَّةٌ .

الجهوهري: الترفه بالضم: هنة ناتئة في وسط الشفة العليا خلقة. وأترفته النعمة، أي أطقته. (١: ١٣٣٣)
ابن فارس: الثاء والراء والفاء كلمة واحدة، وهي الترفه.

يقال: رجل مترف: منم، وترفه أهله، إذا نسّموا بالطعام الطيب، والشئ يخص به. وفي كتاب الحكي: «الترفه: الهنة في الشفة العليا»، وهذا غلط، إنما هي الثفرة وقد ذكرت. (١: ٣٤٥)

ابن سيده: الترف: التتم. والتريف: حسن الغذاء، ورجل مترف ومترّف: موشع عليه.

وترف الرجل وأترفه: دله وملكه كرفقه.

والترفة: الطعام الطيب، وكل طرفة: ترفة، وأترفت الثبات: تروى.

والترفة: يسقاء يشرب بها. (٩: ٤٧٦)

الطوسي: الإتراف: التتم بضروب الملاذ، وذلك

أن التتميم قد يكون بنعيم العيش، وقد يكون بنعيم الملبس، فالإتراف بنعيم العيش. [تم استشهاد بشعر]

(٧: ٣٦٥)

الزاهب: الترفه: التوسع في النعمة، يقال: أترف

فلان فهو مترف. [تم ذكر الآيات] (٧٤)

الزمخشري: أترفته النعمة: أطرته. وأترف فلان

وهو مترف، وأصود بالله من الإسراف، والإسراف.

واستتركوا: تغفرتوا وطفخوا، ولم أزل معهم في ترفة، أي

في نعمة. (أساس البلاغة: ٣٨)

الطبرسي: الترفه بالنعيم واللذة، وذلك أن الترفه

عادة النعمة. [تم استشهاد بشعر] (٣: ٢٠٠)

ابن الأثير: فيه «أور» لفراخ محمد من خليفة يستخلف عتريفة مترف.

المترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها.

ومنه الحديث: «إن إبراهيم خليلاً قريباً من جبار

مترف»، وقد تكرّر ذكره في الحديث. (١: ١٨٧)

الفيروز آبادي: الترفه بالضم: التتم، والطعام

الطيب، والشئ الطريف تخص به صاحبه، وهنة ناتئة

وسط الشفة العليا خلقة، وهو أترف.

وترف حركة: جبل، أو موضع، وذو ترّف: موضع.

وكفرح: تنم.

وأترفته النعمة: أطقته أو نسّمته كترفته ترفيقاً.

وعلان: أصر على البني.

والمترّف كمكترم: المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع،

والمستتم لا يمنع من تشمه، والجبار.

وتعرف: تنم، واستعرف: تعرف وطني.

(٣: ١٢٤)

الطريحي: والمترّف: المتقلب في لين العيش.

[تم نقل بعض كلمات السابقين] (٥: ٣٠)

البروسوي: يقال: أترفته النعمة: أطقته، وأترف

فلان: أصر على البني، أي إلى ما أعطيتهم من العيش

الواسع والجمال الطيبة حتى يطرأ به فكفرتهم، وأعرضتم

عن المعطي وشكره. (٥: ٤٥٨)

محمد إسماعيل إبراهيم: عرف الثبات ترفاً:

كثر ماؤه ونصر، وتعرف الرجل: تنم، وأترقه الله: أذاقه

النعمة، وأترفته النعمة، إذا أطرته وأفسدته. وأترف

الرجل: أصر على البني، والمترّف: المتوسع في التتم

والملاذ.

(١: ٩٠)

المُصْطَفَوِيّ : والظاهر أَنَّ التَّرفَ هو التَّعَمُّ بالنعم
الدُّنيوية، وسعة العيش في الحياة الدُّنيا، والتَّمتُّع فيها
من أيّ جهة.

والإتراف هو التوسيع في العيش، والتَّنعيم في أيّ
جهة من التَّمتُّعات الدُّنيوية.

أما الإتراف بمعنى الإبطار والإطغاء، فممازاةة،
ومن لوازم التَّعة في العيش، [إلى أن قال:]

والفرق بين المُتَرَفِّ والمُنْعَمِ: إِنَّ المُنْعَمَ مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ،
مَادِّيَّةً أَوْ مَعْنَوِيَّةً، كَامِلَةً أَوْ نَاقِصَةً، غَافِلٌ عَنْ غَيْرِهَا أَوْ
مُتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ. وَهَذَا بِخِلَافِ المُتَرَفِّ، فَإِنَّهُ مَنْ تَوَعَّلَّ فِي النِّعَمِ
الْمَادِّيَّةِ غَافِلًا عَنِ الْمَعْنَوِيَّاتِ. (١: ٣٦٥)

النُّصُوصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

أَتَرَفْنَاهُمْ

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ
الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ضَالًّا إِلَّا بَشَرٌ مِمَّنْكُمْ
يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ.

المؤمنون: ٣٣

ابن قُتَيْبَةَ: وَسَعْنَا عَلَيْهِمْ حَتَّى أَتَرَفُوا، وَالتَّرَفَةُ مِنْهُ
وَنَعْمُهَا: التُّعَفُّةُ، كَأَنَّ الْمُتَرَفَّ هُوَ الَّذِي يُتَعَفُّ. (٢٩٧)
الطَّبْرِيُّ: يَقُولُ: وَنَعْمَانَهُمْ فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيَا، بِمَا
وَسَعْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ، وَبَسَطْنَا لَهُمُ مِنَ الرِّزْقِ حَتَّى
يَطْرُوا، وَعَتُوا عَلَى رِئَسِهِمْ، وَكَفَرُوا. [ثمَّ استشهد بشعر]

(١٨: ١٩)

نَحْوُ النَّبَوِيِّ (٣: ٣٦٥)، وَالْمَيْهَدِيِّ (٦: ٤٣٥)، وَابْنِ
عَطِيَّةَ (٤: ١٤٢)، وَالطَّبْرِيِّ (٤: ١٠٦)، وَالْفَخْرُ الرَّازِيَّ
(٢٣: ٩٧)، وَالْبَيْضَاوِيَّ (٢: ١٠٦)، وَالتَّنْسَلِيَّ (٢: ١١٩)،
وَالْحَازِنَ (٥: ٣٠)، وَأَبُو حَيَّانَ (٦: ٤٠٢)، وَأَبُو الشَّوَرِ
(٤: ٤١٣)، وَالْمَشْهَدِيَّ (٦: ٦٠٧)، وَالْبَرْزُوسِيَّ (٦:
٨٢)، وَشُعْبَةَ (٤: ٢٧٤)، وَالْقَاسِمِيَّ (١٢: ٤٣٩٩)،
وَالْمُرَاحِيَّ (١٨: ٢٢) ..

الطَّبْرِيُّ: أَيَّ وَسَعْنَا عَلَيْهِمْ نِعَمَ الدُّنْيَا حَتَّى يَطْرُوا،
وَسَارُوا يُؤْتُونَ بِالتَّرَفَةِ، وَهِيَ مِثْلُ التُّعَفَّةِ. (١٢: ١٢١)
نَحْوُ الثَّيَابُورِيِّ. (١٨: ٢٠)

الْأَلُوسِيّ: أَيَّ نَعْمَانَهُمْ وَوَسَعْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا عَلَى
الصَّلَةِ، فَهِيَ كَوْنُ صِلَةٍ مَعْنَى لِلْمَوْصُوفِ بِالْمَوْصُولِ،
وَالْمُتَعَرِّفَاتُ إِنَّمَا هِيَ وَصَفُ الْأَصْرَافِ بِالْمُتَرَفِّينَ، دُونَ

وَكَذَا الْحَالِ إِذَا لَمْ يَطْفُفْ، وَجَعَلَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ
(كَذَّبُوا)، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَسْلَمُ أَنَّ الْمُسْتَطَرِّفَ إِنَّمَا هُوَ
وَصَفُ الْأَصْرَافِ بِالْمُتَرَفِّينَ، وَلَنْ نَسْلَمْنَا فَوْضَهُمْ بِذَلِكَ
قَدْ بَيَّنَّ مَعَ الْمَوْصُولِ صِلَةَ لِقَوْمِهِ، بَأَن يَجْعَلَ جُمْلَةً
(أَتَرَفْنَاهُمْ) حَالٍ مِنَ (الْمَلَأُ) بِدُونِ تَقْدِيرِ «قَدْ» أَوْ
بِتَقْدِيرِهَا، أَيَّ قَالَ الْمَلَأُ فِي حَقِّ رَسُولِنَا: «ضَالًّا إِلَّا بَشَرٌ
مِمَّنْكُمْ» [الخ]، فِي حَالِ إِحْسَانِنَا عَلَيْهِمْ.

نعم الظاهر لفظاً عطف جملة (أَتَرَفْنَاهُمْ) على جملة
الصَّلَةِ، والأبلغ معنى جعلها حالاً من الضمير، لإفادته
الإساءة إلى من أسس، وهو أقوى في الذم. (١٨: ٢٩)
سَيِّدُ قُطَيْبٍ: فَالاعتراض المَكْرُورُ هُوَ الاعتراض
عَلَى بَشَرِيَّةِ الرَّسُولِ، وَهُوَ الاعتراض النَّاسِئُ مِنْ انْقِطَاعِ

الصلة بين قلوب هؤلاء الكبراء المترفين، وبين النخلة العلوية التي تصل الإنسان بخالفه الكريم.

والترف يفيد الفطرة ويغلب المشاعر ويسد المنافذ ويفقد القلوب تلك الحساسية المرحقة التي تتلظى وتتأثر وتستجيب. ومن هنا يحارب الإسلام الترف، ويُقيم قُضْمه الاجتماعية على أساس لا يسمح للمترفين بالوجود في الجماعة المسلمة، لأنهم كالتبن يفيد ماحوله حتى لينخر فيه السوس، ويسبح فيه الدود. (٢٤٦٧: ٤)

عبد الكريم الخطيب: وفي عطف «أترقناهم» على التكذيب والكفر في هذا إشارة إلى أن نعم الله - التي نعمهم بها وأترفهم بالثمن فيها - كانت عندهم عِدْلاً للكفر والتكذيب، وكان ذلك صفة من صفاتهم إلى جانب الكفر والتكذيب، أي كفروا وكذبوا بخلق الله الآخرة، وجحدوا بنعمنا التي أنعمناهم بها وكذبوا بالرسول الذي جاءهم، وأبوا أن يؤمنوا لبشر مثلهم، وعدوا هذا خسراناً وبلاء عليهم. (١١٣٥: ٩)

أترقوا

... وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِقُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ.

هود: ١١٦

ابن عباس: بما نعموا فيه في الدنيا من المال.

(١٩٢)

ما أنظروا فيه. (الطبري ١٢: ١٣٩)

مُجَاهِد: في مَلِكِهِمْ وَتَجَبَّرَ بِهِمْ، وَتَرَكُوا الْحَقَّ.

(الطبري ١٢: ١٤٠)

قَتَادَةَ: من دنياهم. (الطبري ١٢: ١٣٩)

الفرأء: يقول: اتبعوا في دنياهم ما عودوا من التعميم. وإيتار اللذات على أمر الآخرة. (٣١: ٢)

نحوه: القرطبي (٩: ١١٣)، والبيضاوي (١: ٤٨٥)، والشربيني (٢: ٨٥)، وزشيد رضا (١٢: ١٩١).

أبو عبيدة: أي ما تجبروا وتكبروا عن أمر الله، وصدوا عنه وكفروا. [ثم استشهد بشعر] (١: ٣٠٦) ابن قتيبة: ما أعطوا من الأموال، أي آثروا وأتبعوه ففتنوا به. (٢١١)

الطبري: [نقل قول ابن عباس وقَتَادَةَ ثُمَّ قَالَ:] وَكَانَ هَؤُلَاءِ وَجْهًا تَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَاتَّبَعُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا الشَّيْءَ الَّذِي أَظْهَرَهُمْ فِيهِ رَبُّهُمْ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَكَذَّابَهَا، إِشَارًا لَهُ عَلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ، وَمَا يُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. [إل أن قال:]

وَأَوَّلُ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالْعَوَابِ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ سَلَفَتْ، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ، اتَّبَعُوا مَا أَظْهَرُوا فِيهِ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا، فَاسْتَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَتَجَبَّرُوا، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ. ذَلِكَ أَنَّ الْمُتَرَفَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ الْمُتَنَمِّ الَّذِي قَدْ غَدِيَ بِاللَّذَاتِ. [ثم استشهد بشعر] (١٢: ١٣٩) الطوسي: أي عودوا للترفة بالتعميم واللذة، وذلك أَنَّ التَّرَفَّ عَادَةُ: النِّعْمَةُ. [ثم استشهد بشعر] (٦: ٨٢) نحوه المراهي. (١٢: ٩٧)

البغوي: نَمُّوا فِيهِ، وَالْمُتَرَفُّ: الْمُتَنَمِّ. (٢: ٤٧١) نحوه شبر. (٣: ٢٥٤)

المصنعي: أي اتبع ما نَمُّوا فيه من لذات الدنيا، وآثروا ونسوا الآخرة.

عبارة. (٣: ٣٥٨)
البؤوسوي: الإتراف: الإنعام، من الترف وهو
التعص، أي أنعموا فيه من الشهوات واللذات، وآثروها
على أمر الآخرة.

ويقال: أترفته التعص، أي أطففته. فالمعنى ما أطفوا
فيه على أن يكون (فيه) للتبعية. والمراد هو الأموال
والأملاك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ أَنْ رَأَى
اِسْتَفْزَى الملق: ٦، ٧. [ثم قال نحو ما تقدم عن أبي
الشموذ] (٤: ٢٠٠)

الآلوسي: [نحو التسي وأضاف:]

وقيل: (أترفوا) أي طنوا، من: أترفته التسم. إذا
أعطته نفقة، إما سببية أو ظرفية مجازية. وتعقب بأن
هذا المعنى خلاف المشهور، وإن صح هنا. ومعنى اتباع
فلهذا الاعتناء به غير، أي اعتنوا بذلك. (١٢: ١٦٢)

أترفتكم

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ غَاثِرَاتِكُمْ فِيهِ وَمَتَّاعِيكُمْ
فَلَكُمْ تُسْأَلُونَ. الأنبياء: ١٣
ابن عباس: أنعمتم. (٢٦٩)
نحوه ابن قتيبة (٢٨٤)، والماوردي (٣: ٤٣٩)،
والطوسي (٧: ٢٣٥)، والبقوي (٣: ٢٨٤)، وابن عطية
(٤: ٧٦)، والطبرسي (٤: ٤٠)، والخازن (٤: ٢٣٥)،
ونجاشي (٤: ١٨٨).

الزَّمَخْشَرِيُّ: من العيش الزرافه والحال التسامحة،
والإتراف: إبطار التعص، وهي الترفه. (٢: ٥٦٤)
نحوه الفخر الرازي (٢٢: ١٤٢)، والبعضاوي (١: ١)

ومعنى (أترفوا) مُكَّنُوا، من الترفه، وهي التمتع، أي
آثروا ذلك على طاعة الله فهلكوا، ﴿وَكَاثُوا مُجْرِمِينَ﴾.
(٤: ٤٥٥)

نحوه ابن عطية. (٣: ٢١٤)
الفخر الرازي: أي واتبعوا حراماً ما أترفوا فيه.

(١٨١: ٧٥)
نحوه الخازن. (٣: ٢١١)

التسفي: أي اتبعوا ما صرفوا فيه من التمتع والترفه
من حب الرئاسة والثروة. وطلب أسباب العيش
الهيء، ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
ونبهوه وراء ظهورهم. (٢: ٢٠٩)

نحوه أبوحيان (٥: ٢٧٢)، والكاشاني (٢: ٤٧٧)،
الئيسابوري: [نحو التسي وأضاف:]

فهذه الجملة معلقة على مدلول الجملة
التعصيفية، أي ما كان من القرون ناس كذا، واتبع
الظالمون كذا.

ويجوز أن يكون في الكلام إضمار، والواو للحال،
كأنه قيل: أعجبنا القليل، وقد اتبع الذين ظلموا جزاء
إترافهم.

والمتعرف: الذي أبهرته التعص، وصبي متعرف: متم
البدن. (١٢: ٧٢)

أبو الشعثه: أي أنعموا من الشهوات واحتقوا
بتحصيلها، وأما المباشرون فظاهر، وأما المساهلون فليما
لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة.

وقيل: المراد بهم تاركوا النهي. وأنت خبير بأنه
يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد الظلم والإجرام

٦٨)، والتسقي (٣: ٧٣)، والنيسابوري (١٧: ١٩)،
وأبو حنّان (٦: ٣٠٦)، وأبو الشّمود (٤: ٣٢٧)،
والكاشاني (٣: ٢٣٢)، والبرّوسوي (٥: ٤٥٨)،
والأكوسي (١٧: ١٦)، والفساسمي (١١: ٤٢٥٣)،
والمرّاعي (١٧: ١٣).

ابن الجوّزي: أي إلى نعمكم التي أترفكم، وهذا
توبيخ لهم. (٥: ٣٤٢)

القرطبي: أي إلى نعمكم التي كانت سبب طردكم،
والمتّرف: المتّعم، يقال: أترف على فلان، أي وسّع
عليه في معاشه، وإنما أترفهم الله عزّ وجلّ، كما قال:
﴿وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المؤمنون، ٣٣ (١١: ٢٧٥)

مُتَرْفُوها

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوها إِنَّا جَاءنا
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ. سبأ: ٢٤

ابن عباس: جابرتهما وأغنياؤهما. (٣٦٢)
نحوه يحيى بن سلام (الماورديّ ٤: ٤٥٢)، والبخويّ
(٣: ٦٨٢)، وابن الجوّزي (٦: ٤٥٩)، والحارثي (٥: ٢٤٠)،
والطبرسي (٤: ٢٩٢).

قَتَادَة: هم رؤوسهم وقادتهم في الشرّ.

(الطبري ٢٢: ٩٩)

نحوه الطبري (٢٢: ٩٩)، والزجاج (٤: ٢٥٥).

أبو هُبَيْرَة: كفّارها المتكبرون. (٢: ١٤٩)

نحوه ابن قُتَيْبَة. (٣٥٧)

الرّمانيّ: ذوو النعم والبطر. (الماورديّ ٤: ٤٥٢)

الطوسيّ: المترفون منهم: النعمون. (٨: ٣٩٨)

ابن عطية: والمتّرف: المتّعم البطال النقي، القليل
تعب النفس والجسم، فسادتهم المبادرة بالتكذيب.

(٤: ٤٢٢)

البيضاوي: تلبية لرسول الله ﷺ بما سئى به من
قومه، وتخصيص المتّعين بالتكذيب: لأنّ الداعى
المظلم إلى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا: الانهماك في
الشهوات، والاستهانة بمن لم يحظّ منها، ولذلك ضلّوا
الثبّم والمفاخرة إلى التكذيب. (٢: ٢٦٢)

مثله الكاشاني (٤: ٢٢٢)، ونحوه شبر. (٥: ١٨٦)
ابن كثير: وهم أولو النعمة والحشمة والثروة
والزّانة. (٥: ٥٥٦)

الشربيني: رؤساؤها الذين لاشغل لهم إلا التّعم
بالقّاني حتى أكسبهم البغي والطّغيان، ولذلك قالوا
﴿إِنَّا بِكُمْ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ﴾. (٣: ٣٠١)

البرّوسوي: المتّرف كسكّرم: المتّعم والموسع
الميش والنعمة، من: الرّفة بالضمّ وهو التّوسع في
النعمة. يقال: أترفه نعمة وأترفته النعمة: أطففته، أي قال
رؤساء تلك القرية المتكبرون المتّعمون بالدنيا لرسولهم.
(٧: ٢٩٨)

نحوه الأكوسي. (٢٢: ١٤٧)

المرّاعي: أي وما بعثنا إلى أهل قرية نذيراً،
يُنذِرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا، إلّا قال
كبراؤها وأولو النعمة والثروة فيها: إنّنا لا تؤمن بما بعثتم
به من التّوحيد والبراءة من الآلهة والأنداد.

وليس في ذلك من عجب، فإنّ المتّعمين في
الشهوات يحملهم التكبر والتفاخر بزيّنة الحياة الدّنيا

على الثفور من الكمال الروحي، ومن تنقيف النفوس
بالإيمان والحكمة، فالضدان لا يجتمعان: انشاس في
الشهوة، وعلم وحكمة، ثروة مادية وثروة روحية.

(٨٧: ٢٢)

الطباطبائي: المترفون اسم مفعول من الإتراف.
وهو الزيادة في التعميم، وفيه إشعار بأن الإتراف يفضي
إلى الاستكبار على الحق، كما تفيد الآية اللاحقة.

(٣٨٣: ١٦)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا...﴾
الزخرف: ٢٣.

ابن الجوزي: أي مستغنين في ترك أمر الله.
فشغلهم ترفهم عن الاعتبار والتعبد. (١٤٤: ٨)
الفخر الرازي: جعل السبب كونهم مترفين،
وليس كل من هو من أصحاب الشمال يكون مترفاً، فإن
فيهم من يكون فقيراً؟

نقول قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾
ليس بدم، فإن المترف هو الذي جعل ذاته، أي نعمة
ظاهر ذلك لا يوجب ذمًا، لكن ذلك يبين قبح ما ذكر
عنهم بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾، لأن
صدور الكفران من صلب غايه الإنعام أقبح القبايح،
فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُتْرَفِينَ﴾، ولم يشكروا نعم الله، بل
أصروا على الذنب.

وهو: هذا فنقول: التعم الذي تفتضي شكر الله
ومجاهدة في كل أحد كثيرة، فإن الخلق والرزق وما يحتاج
إليه، وتوقف مصالحه عليه حاصل للكل. غاية مالي
الباب أن حال الناس في الإتراف متقارب، فيقال في حق
البعض بالنسبة إلى بعض: إنه في ضراً، ولو حمل نفسه
على القناعة لكان أغنى الأغنياء.

وكيف لا والإنسان إذا نظر إلى حاله يجددها مفتقرة
إلى مسكن يأوي إليه، ولباس الحس والبرد، وما يستد
جوعه من المأكول والمشروب، وغير هذا من الفضلات
التي يحمل عليها شح النفس، ثم إن أحداً لا يطلب من
تحصيل مسكن باشتراء أو اكتراء، فإن لم يكن فليس هو
أعجز من الحضرات، لا تنقد مدخل أو مغارة.

وأما اللباس فلو اقتنع بما يدفع الضرورة كان يكفيه
في عمره لباس واحد، كلما تمزق منه موضع يرقعه من أي

مترفين

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾
ابن عباس: مستغنين. (الطبري: ٢٧: ١٩٣)
مثله الطبري (٢٧: ١٩٣)، والبغوي (٥: ١٦)،
والخازن (٧: ١٨).

السدي: مشركين. (الماوردي: ٥: ٤٥٧)
أبو عبيدة: متكبرين. (٢: ٢٥١)

الماوردي: يحتمل وصفهم بالترف بوجهين:
أحدهما: التهاؤهم عن الاعتبار، وشغلهم عن
الازدجار.

الثاني: لأن عذاب المترف أشد ألمًا. (٥: ٤٥٧)
نحوه الطبرسي (٥: ٢٢١)، والنسفي (٤: ٢١٧).
ابن عطية: المترف: المنعم في سرف وتخوض.
(٥: ٢٤٦)

شيء كان. بقي أمر المأكول والمشروب، فإذا نظر الناظر يجد كل أحد في جميع الأحوال غير مغلوب عن كسرة خبز وشربة ماء، غير أن طلب النقي يورث الفقر. فيريد الإنسان بيتاً مزخرفاً ولباساً فاخراً ومأكولاً طيباً، وغير ذلك من أنواع الدواب والطياب، فيفتقر إلى أن يحصل المشاق. وطلب النقي يورث فقره، وارتداد الارتفاع يحبط قدره.

وبالجمللة شهوة جنه وفرجه تكسر ظهره، على أننا نقول في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾: لاشك أن أهل القبور لما فقدوا الأيدي الباطنة والأعين الباصرة، وبأن لهم الحقائق، علموا ﴿وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، بالنسبة إلى تلك الحالة. (١٧٠: ٢٩) القرطبي: أي إنما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا متنعين بالمحرام.

نحوه الشريف: ﴿الْبَيْهَضَاوِي: مِنْهُمْ كَانُوا فِي الشَّهَوَاتِ﴾ (١٤٨: ٢) نحوه الكاشاني: (١٢٥: ٥) النيسابوري: متنعين، متكبرين عن التوحيد والطاعة والإخلاص. (٨٠: ٢٧) أبو حنيفة: أي في الدنيا مترفين فيه ذم الترف والتنعم في الدنيا، والترف طريق إلى البطالة، وترك التفكير في العاقبة. (٢٠٩: ٨)

ابن كثير: أي كانوا في الدار الدنيا متنعين، مقبلين على لذات أنفسهم، لا يملكون على ما جاءتهم به الرسل. (٥٣٠: ٦) نحوه المراغي: (١٤٠: ٢٧)

أبو السعود: تعليل لا يتلائم بما ذكر من العذاب، أي أنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا متنعين بأنواع النعم، من: المأكول والمشرب والساكن الطيبة والمقامات الكريمة، منعمين في الشهوات، فلا جرم عذبوا بتناقضها. (١٩٠: ٦)

نحوه البروسوي (٩: ٣٢٨)، والقاسمي (١٦: ٥٦٥٣) شبر: متنعين، لاهين عن الطاعة. (١٤٤: ٦) الألوسي: تعليل لا يتلائم بما ذكر من العذاب وسلك هذا المسلك في تعليل الابتداء بالعذاب، اهتماماً بدفع توهم الظلم في التعذيب، ولما كان إيصال الثواب مما ليس فيه توهم نقص أصلاً، لم يسلك فيه نحو هذا.

والمراد هنا بقربة المقام هو المتروك، يصنع ما يحيطه لا يمنع، والمعنى أنهم عذبوا، لأنهم كانوا قبل ما ذكر من العذاب في الدنيا متنعين هوى أنفسهم، وليس لهم رادع منها يردعهم عن مخالفة أوامره عز وجل، وارتكاب نواهي سبحانه، كذا قيل.

وقيل: المعنى المستكبر عن قبول الحق والإذعان له، والمعنى أنهم عذبوا، لأنهم كانوا في الدنيا متكبرين عن قبول ما جاءتهم به رسلهم من الإيمان بالله عز وجل، وما جاء منه سبحانه.

وقيل: هو الذي أترفه النعمة، أي أبطرته وأطغته. وقريب منه ما قيل: هو المنعم المنهك في الشهوات. ثم ذكر قول أبي السعود وأضاف:

وتعقب بأن كثيراً من أهل الشمال ليسوا مترفين بالمعنى الذي اعتبره، فكيف يصح تعليل عذاب الكل بذلك، ولا يرد هذا على ما قدمناه من القولين، كما لا يخفى.

عداء نبع له من القبط. (٤٦٠ : ٦)
 نحوه ابن خطبة. (٤٤٤ : ٣)
 البغوي : منعمها وأغنياءها. (١٢٤ : ٣)
 نحوه التيساوي (١ : ٥٨)، والشريبي (٢ : ٢٩٠)
 ابن الجوزي : فأما المترفون : فهم المتنعمون الذين
 قد أبطرهم النعمة وسعة العيش، والمفسرون يقولون :
 هم الجبارون والمسلطون والملوك، وإنما خص المترفين
 بالذكر لأنهم الرؤساء، ومن عداهم تبع لهم. (٥ : ١٩)
 نحوه القرطبي (١٠ : ٢٣٤)، وأبو الشعثود (٤ : ١١٨)،
 والكاناني (٣ : ١٨٢)، والبروسوي (٥ : ١٤٣)، وشبر
 (٤ : ١٣)، والاكوسي (١٥ : ٤٣)، والقاسمي (١٠ : ١٤٣)
 والمرآغي (١٥ : ٢٦٢).
 والمعنى جاء قوله : «حق إذا أخذنا مترفين»
 بالعداء إذا هم يمتدحون المؤمنين : ٦٤.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة : الترف، وهي إسقاء
 يشرب بها، يقال : ترف النبات، أي تروى، ثم استعير
 هذا المعنى لما يؤكل، فأطلق على الطعام الطيب، ثم هتم
 على النعمة والإسراف فيها، يقال : صبي مترف، أي
 منعم البدن مدلل، ورجل مترف ومترف : موشع عليه،
 وأترف الرجل وترفه : دله وملكه، وأترفه : أعطاه
 شهوته، وفي الحديث : «أؤو للفراخ محمد من خليفة
 يستخلف، عتريف مترف» أي منعم موشع في ملأه
 الدنيا وشهواتها.
 والمترف : الذي قد أبطرته النعمة وسعة العيش،

ومن الناس من فسّر المترف بما ذكر وتفص من
 الاعتراض : بأن تعليل عذاب الكل بما ذكر في حيز العلة
 لا يستدعي أن يكون كل من المذكورات موجوداً في كل
 من أصحاب الشمال، بل وجود المجموع في المجموع، وهذا
 لا يضّر فيه اختصاص البعض بالبعض، فتأمل.
 وقيل : المترف المجهول ذا ترف، أي نعمة واسعة.
 والكل مترفون بالنسبة إلى الحالة التي يكونون عليها يوم
 القيامة، وهو على ما فيه لا يظهر أمر التعليل عليه.
 (٢٧ : ١٤٤)
 نحوه الطباطبائي. (١٩ : ١٢٤)
 المصطفوي : أي متوغلين في التسلّيات
 الدنيوية، ومعرضين عن الحالات الروحانية، وغافلين
 عن الوظائف الإلهية. (١ : ٢١٥)

مترفيها

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَنَزَّلْنَا مَا تَدْمِيرًا. (الإسراء : ١٦)
 أبو العالية : مستكبرها. (الطبري ١٥ : ٥٥)
 مجاهد : فساقها. (الماوردي ٣ : ٢٣٦)
 الضحاك : أي كبراءها. (الطبري ١٥ : ٥٦)
 قتادة : أي جبابرتها فسقوا فيها، وعملوا بمعصية
 الله. (الطبري ١٥ : ٥٦)
 نحوه الحسن. (الماوردي ٣ : ٢٣٦)
 الثماني : رؤساءها. (الماوردي ٣ : ٢٣٦)
 الطوسي : إنما خص المترفون بذكر الأمر، لأنهم
 الرؤساء الذين من عداهم تبع لهم، كما أمر فرعون ومن

واستترف القوم: طغوا، وفي الحديث أن «إبراهيم قرَّب به من جبار مُتَرَفٍّ».

٢- قال ابن فارس: «في كتاب الخليل: التَّرَفَّة: الهنئة في الشَّفة العليا، وهذا غلط، إنما هي التَّيَرَّة». فإن كان كما يقول فهذه المادة أصل واحد، وإن كان بخلاف ذلك فلها أصلان، باعتبار التَّرَفَّة - أي الهنئة في الشَّفة العليا - أصل برأسه.

ولكن يؤخذ على ابن فارس أن «التَّيَرَّة» معنى مصروح به، وهو نقرة في وسط الشَّفة العليا، والتَّرَفَّة مكنتي عنه بلفظ هنئة نائمة عليها كما تقدم. فليس «التَّرَفَّة» تصحيف «التَّيَرَّة» كما ذهب إليه، إذ هما لغتان، مثل اللُّصص والرُّصص، أي شدة التماس الأسنان، وتجذب الشيء وجذبته: مدته.

ولعل وجه اشتقاق التَّرَفَّة - أي الهنئة - من التَّرَفَّة - أي المسقاة - هو تشبهها بها، بيد أن ابن فارس أراد أن يتفصى من توجيه هذه الصَّلَفة بين المحبين، فذهب إلى هذا الرأي ليستقيم له القياس في هذا الباب.

الاستعمال القرآني

جاءت من هذه المادة ثلاثة أفعال، وخمسة أوصاف في (٨) آيات:

١- ﴿وَقَالَ الصَّلَاةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآيَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا نَشْرٌ مِمَّا تَكُلُّكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ المؤمنون: ٣٣

٢- ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ

وَمَسَاكِينَكُمْ تُلْكَمُ تُمْسَلُونَ﴾ الأنبياء: ١٣

٣- ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾

هود: ١١٦

٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾

سبأ: ٣٤

٥- ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾

الزخرف: ٢٣

٦- ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾

الإسراء: ١٦٠

٧- ﴿عَلَىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾

المؤمنون: ٦٤

٨- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ الواقعة: ٤٥

يلاحظ أولاً: أن الفعل «أترفناهم» في (١) معلوم،

فاعله الله، وفي (٢) و(٣) مجهول، وكذلك الوصف في

الباقى، اسم مفعول، والفاعل فيها هو الله الذي يوسع

على عباده بالنعمة، ولا جناح عليه، فإن النعم مظاهر

رحمته الواسعة التي يفيدها وصف (الرحمن)، إلا أن

الناس هم الذين يُسَوون الانقطاع بها، فيبدلون النعمة

نقمة، والرحمة شرفاً، فيوصفون بالمترفين. وبعبارة

أخرى: النعمة من الله خير، والشر من قبل الناس، نعم،

قد تكون النعمة ابتلاء للناس، وغدلاً لهم، فيبند

الإتراف حيث إلى الله، لأنه مُنعم النعم التي تصير سبب

خذلانهم.

في (١): ﴿وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وفي (٦): ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾. نسب الإتراف - ومثله الأمر - إلى الله مجازاً باعتبار ما يؤول إليه، أي أن النعمة موهبة من الله، لكنّها تؤول إلى نعمة وإتراف.

ويشهد بذلك نسبة الظلم إليهم ونفيه عن الله في مثل: ﴿وَأَتَّبَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في (٣)، وبعدها: ﴿وَمَا كَانُوا رَبِّكَ يُبَيِّنُ الْقُرْآنَ يَظْلِمُونَ وَأَهْلُهَا مُضِلُّونَ﴾ هود: ١١٧، وفي (٦): ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾، وقبلها: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْلُغَ رَسُولُنَا﴾ الإسراء: ١٥، وفي (٢): ﴿وَأَزِجْكُمْ إِلَى مَا أَمَرْتُمْ فِيهِ﴾، وقبلها: ﴿وَكَمْ قَصَفْنَا مِنْ قَوْمٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ الأنبياء: ١١، وبعدها: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ الأنبياء: ١١، وفي (٧): ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾، وقبلها: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ... وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ المؤمنون: ٦٢، وهكذا سياق سائر الآيات.

وخلاصة المقال: أن الله لا يأمر بالقيبح ولا يعمل به، وإنما القبيح من قبل الناس، وهذا رأي الإمامية والعدلية جميعاً في أمثال هذه الآيات، إلا أن الأشاعرة والذين يقال لهم: «السلفيّة» يُقَوِّنُهَا - كآيات الصفات - على ظاهرها، ويوكلون معناها إلى الله تعالى، والمآل واحد، فإن المسلمين كلهم ينزّهون الله عن القبيح، وشذ من

يقول بصدور القبيح عنه، سبحانه وتعالى عما يصفون. ثانياً: جاء هذا الوصف ذمّاً للكفار، كأكبر سبب تكفيرهم؛ وذلك أن الترف ناشئ من حب الدنيا، وهو «رأس كل خطيئة»، فالتعبد موهبة من الله للناس، فإذا قبلت بالشكر - وهو صرفها في سبيل الخير - فهي خير، وإذا قبلت بالكفر والترف فتنقلب شراً.

ثالثاً: تُنبئ الآيات عن إديار المترفين عن دعوة الأنبياء، وأنه كان رذيلة مستمرة بين الأمم، ففي (١) يعبر القرآن عنهم بالملائة، ونحوه في (٤): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ﴾، وبإزاء المترفين الفقراء وأرباب الحوائج والمستضعفين، فإنهم مقبلون على دعوة الأنبياء غالباً، كما يلاحظ به الكتاب والتاريخ.

وهذا أمر طبيعي، لأنه ليس أمامهم ما يمنهم من الإقبال على الحق من الترف وحب الدنيا، فالعقر خير من النعى من هذه الناحية بالذات، وإن اعتوره الشر من نواح أخرى، لاحظ «ف ق ر» و«غ ن ي».

رابعاً: الآيات كلها مكّية فلم تأت هذه المادة في المدنيات، فهل كانت لغة أهل مكّة؟ أو الموصوفين بالإتراف كانوا من صناديد قريش ورؤساء مكّة الذين وقفوا أمام دعوة النبي ﷺ فكفّرت في الكتاب، تركيزاً على ما كان يمنهم من قبول الدعوة، كما جرت مجرى في الأمم الغابرة؟



ت ر ق

التراقي

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مكية

وَتَرْقُوهُ: وهي القُلْتُ بين العُنُق ورأس العنق.

(٤١٨: ٣)

النصوص اللغوية

الخليل: الترقوة: وهو وصل عظم بين ثَمَرَةِ النَاحِيَةِ [الترقوة] جمعها: التراقي، وقد ترقيتُ والعائق في الجاهيتين.

(٥٤: ٩)

الصاحب: [نحو الخليل وأصاف:]

والتراقي: لغة في الدرياق، وهو دواء. (١٢٦: ٥)

ويقال للتراقي: ترائق، على القلب. (٣٦٣: ٥)

الفرعاء: التراقي: جمع ترقوة، وهي «فعلولة» وليست «فعللة» إذ ليس في الكلام «رقو».

الجوهري: التراقي بكسر التاء: دواء السموم.

(السمين: ٦: ٤٣٢)

فارسي معرب، والعرب تسمي الخمر: يزيافًا ويبرافًا،

لأنها تذهب بالهَمِّ. [نم استشهد بشعر]

ابن السكيت: وتقول: هي الترقوة. والعرقوة:

والترقوة: العظم الذي بين ثَمَرَةِ النَاحِيَةِ والعائق، وهو

عرقوة الدلو. ولا تقل: ترقوة ولا عرقوة.

«فعلولة»، ولا تقل: ترقوة بالضم. (١٤٥٣: ٤)

وقد ترقيتُ الرجل، إذا أصبتُ ترقوته. وقد

نحو الرازي. (٩١)

عرقيتُ الدلو عرقاءً. (إصلاح المنطق: ١٦٥)

ابن فارس: التاء والزاء والقاف، ليس فيه شيء

ابن دُرَيْد: ودرِياق مثل التراقي سواء. قال الزجاج:

غير الترقوة، فإن الخليل زعم أنها «فعلولة» وهو عظم

* ربي ودرِياق شفاء السم *

وصل ما بين ثَمَرَةِ النَاحِيَةِ والعائق. (٣٤٥: ١)

ودعما سميت الخمر: درِيافًا. (٣٨٧: ٣)

ابن سيده: التَّرْقَى: شبيه بالدُّرَج. [تم استشهد
بشعر]

والتَّرْقُوتَان: العظمان المشرفان بين ثُفرة النحر
والعائِق، يكون للنَّاس وغيرهم. [تم استشهد بشعر]
وَتَرْقَاه: أصاب تَرْقُوتَه.

والتَّرْيَاق: معروف، معرَّب. (٣٣١: ٦)
التَّرْقُوتَةُ: العظم المشرف في أعلى الصدر من رأس
المنكب إلى طرف ثُفرة النحر، وهما تَرْقُوتَان، الجمع:
التَّرَاقِي، وقالوا: التَّرَاتِق، وهو مقلوب من التَّرَاقِي، قالوا
زائدة في تَرْقُوتَه، والقاف لام الكلمة لاعتينها.

وقيل: هي من رَقِيَ يَرَقِي، وتَرْقُبُه: أصبت تَرْقُوتَه.

(الإفصاح: ٨١)

التَّرْقَاءُ: تَرَقَّى فلاناً تَرْقَاءً: أصاب تَرْقُوتَه. يقال:
ضربه فترقأ. (الإفصاح: ٦٤٧)

الرَّاضِبُ: التَّرَاقِي: جمع تَرْقُوتَه، وهي عظم وصل
ما بين ثُفرة النحر والعائِق. (٧٤)

نحو الرَّمْخَشَرِيِّ (٤: ١٩٣)، وجمْعُ اللَّفَّة (١: ١٥٥).
الرَّمْخَشَرِيُّ: بلغت الروح التَّرَاقِي، إذا صار
الموت. وتقول: لو ملأه إلى عَرْقُوتَه، لفرقت روحه إلى
تَرْقُوتَه، وضرِبته فترْقَيْتُه، أي أصبت تَرْقُوتَه.

(أساس البلاغة: ٣٨)

الصَّدِينِي: في الحديث [في] صفة جماعة: «يعرؤون
القرآن لا يجاوز تراقيهم».

التَّرَاقِي: جمع تَرْقُوتَه، وهي عظم يصل بين ثُفرة
النحر والعائِق من الجانبين، ويُقلب جمعها فيقال: ترائق.
ويُحتمل أن يريد أنهم لا يعملون بالقرآن، فكان

القراءة لا تعدُّ ذلك، ولا يحصل لهم إلا القراءة فحشَب.

(٢٢٦: ١)

في حديث عبد الله بن عمر: «ما أبالي ما أتيت إن
نربت تَرْيَاقًا، أو تعلقت تيمَةً، أو قلتُ شعرًا من قبل
نفسي».

كرامة التَّرْيَاق، من أجل ما يقع فيه من لحوم
الأفاعي، وهي محرمة، والتَّرْيَاق أنواع، فإذا لم يكن فيه
ذلك فلا بأس به، قاله الخطابي.

والحديث مطلق، فالأولى اجتناب ذلك كله.

(٢٢٩: ١)

العُكْبَرِيُّ: [مثل القراء] إلا أنه قال:

إذ ليس في الكلام «ترقى».

ابن الأثير: [وفي الحديث]: «لن في عَجوة العالية

تَرْيَاقًا» التَّرْيَاق، ما يستعمل لدفع السم من الأدوية

والمعاجين، وهو معرَّب، ويقال: بالدَّال أيضًا. (١٨٧: ١)

الْفَيُومِي: التَّرْقُوتَةُ: وزنها «فَعْلُوتَة» يفتح الفاء وضمة

اللام، وهي العظم الذي بين ثُفرة النحر والعائِق من

الجانبين، والجمع: التَّرَاقِي. قال بعضهم: ولا تكون

التَّرْقُوتَةُ لشيء من الحيوانات إلا للإنسان خاصة.

والتَّرْيَاق: قيل: وزنه «فَيْيَال» بكسر الفاء، وهو

رومي معرَّب، ويجوز إبدال التاء دالاً وطاءً مُهملتين،

لتقارب الخارج.

وقيل: مأخوذ من الرِّيقِ والتَّاء زائدة، ووزنه

«فَيْيَال» بكسرها، لما فيه من ريق الحسيتات، وهذا

يقتضي أن يكون عربيًا.

نحو الطَّرِيحِي.

(١٤٢: ٥)

أَبُو حَيَّان: التَّرَاقِي: جمع تَرْقُوتَة، وهي عظام
الصدر، ولكل إنسان تَرْقُوتَان، وهو موضع الحشجة.

[تم استشهد بشر]

الفيروز آبادي: التَّرَاقِي بالكسر: دواء مركب،
اخترعه «سافيس» ولحمه «أندروماخوس» القديم
بزيادة لحوم الأفاعي فيه، وبها كسل المرض، وهو
مُسَمِّيه بهذا، لأنه نافع من لدغ الهوام السُمِّية.

وهي باليونانية: تَرْيَاء، نافع من الأدوية المشروبة
السُمِّية، وهي باليونانية: «غَاء» ممدودة ثم خُفَّفَ
وعُزِّب، وهو طفل إلى ستة أشهر، ثم شُرِّعِرْع إلى عشر
سنين في البلاد الحارة، وعشرين في غيرها، ثم يقف
عشرًا فيها، وعشرين في غيرها، ثم يموت ويصير
كبعض المعاجين.

وفرية بدهرات «وَقَرَسٌ للخزرج.

والخمر: كالتَرْيَاقَة.

والتَرْقُوتَة ولا تنضم تناؤه: الطَّيْم بين ثَغْرَة النحر
والعاتق. جمه: التَّرَاقِي والتَّرَاقِي «فَعْلُوتَة» لقولهم:
تَرْقُوتُهُ تَرْقَاةً، أي أصبَتْ تَرْقُوتُهُ.

محمد إسماعيل إبراهيم: التَرْقُوتَة: العظام المحيطة
بالنحر في أسفل العنق، والجمع: التَّرَاقِي.

وبلغت الروح التَّرَاقِي: وصلت إلى أعالي الصدر،
وذلك كناية عن مشاركة الموت.

وأصل الفعل «تَرَقَّى فَلَانًا»: أصاب تَرْقُوتُهُ. (١: ٩٠)

النصوص التفسيرية

كَلَّا إِذَا بَلَغْتَ التَّرَاقِي. القصة: ٢٦

ابن عباس: إذا بلغت نفس الجسد إلى التَّرَاقِي.

(٤٩٤)

نحوه الفراء (٣: ٢١٢)، والفمقي (٢: ٣٩٧).

ابن زيد: التَّرَاقِي: نفسه. (الطبري ٢٩: ١٩٤)

أبو حنيفة: صارت النفس من تراقية. (٢: ٢٧٨)

نحوه ابن قتيبة (٥٠٠)، والطبري (٢٩: ١٩٤).

الزجاج: ذكرهم الله بصحبة أول أيام الآخرة، عند

بلوغ النفس التَرْقُوتَة. (٥: ٢٥٤)

الماوردي: يعني بلوغ الروح عند موته إلى

التَّرَاقِي، وهي أعلى الصدر، واحدها: تَرْقُوتَة.

(٦: ١٥٧)

الطوسي: «إِذَا بَلَغْتَ» يعني النفس أو الروح.

ولم يذكروا دلالة الكلام عليه، كما قال: «فَاتَرَكَ غُلِّي

ظَهْرِي» فاهي ٤٥، يعني على ظهر الأرض. وإنما لم

يذكر لعلم المخاطب به.

والتَّرَاقِي: جمع تَرْقُوتَة: وهي مقدم الحلق من أعلى

الصدر، تترقى إليه النفس عند الموت، وإليها يترقى

البخار من الجوف، وهناك تقع الحشجة. (١٠: ٢٠٠)

نحوه البغوي (٥: ١٨٦)، والمسيدي (١٠: ٣٠٥)،

والخازن (٧: ١٥٥).

الزمخشري: والضمير في (بَلَغْتَ) للنفس، وإن لم

يجر لها ذكر، لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها. [تم

استشهد بشر]

وتقول العرب: أرسلت، يريدون جاء المطر،

ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء. (٤: ١٩٢)

نحوه أبو حيان (٨: ٣٨٩)، والشربيني (٤: ٤٤٤).

وأبو الشُّعْر (٦: ٣٣٧)، والآلُوسِي (٢٩: ١٤٦)،
والطُّبَّاطِبَانِي (٢٩: ١١٣).

ابن عَطِيَّة: (والتَّرَاقِي) [جمع] تَرْقُوءَة، وهي عظام
أعلى الصُّدر، ولكلُّ أحدِ تَرْقُوءَتَانِ، لكن من حيث هذا
الأمر في كثير من جمع، إذ النفس المرادة اسم جنس،
والتَّرَاقِي هي موازية للحلاقيم، فالأمر كله كناية عن
حال المشرجة ونزاع الموت. (٥: ٤٠٦)

الطُّبُّوسِي: [نحو الطُّوسِي ثم أضاف:]

وكنتي بذلك عن الإشفاء على الموت. (٥: ٤٠٠)
نحوه الحائري. (٢٩: ٨)

القُحْمُ الرَّاظِي: [نحو الطُّوسِي والبُحُوي ثم أضاف:]

قال بعض الطَّاعِنِينَ: إِنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَصِلُ إِلَى التَّرَاقِي
بعد مفارقتها عن القلب، ومتى فارقت النفس القلب
حصل الموت لا محالة.

والآية تدلُّ على أَنَّ حِنْدَ بُلُوغِهَا التَّرَاقِي، تَبْقَى الْحَيَاةُ
حَتَّى يُقَالَ فِيهِ: مَنْ رَاقٍ، وَحَقٌّ تَلْتَفَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ.
والجواب: المراد من قوله: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ
التَّرَاقِي﴾ أي إذا حصل القرب من تلك الحالة.

(٣٠: ٢٣٠)

الْقُرْطُبِيُّ: [نحو الطُّبُّوسِي والزَّجَّاج]

(٢٩: ١٠٩)

الْبَيْضَاوِيُّ: إذا بلغت النفس أصالي الصدر،
وإظهارها من غير ذكر، لدلالة الكلام عليها. (٢: ٥٢٣)

النَّيْسَابُورِيُّ: [نحو الرَّعْشَرِيِّ ثم قال:]

والمراد: زهوق الروح، لأنَّ متعلِّق النفس هو الروح
الحيواني الذي منحه القلب، فإذا فارق المنبع لم يبق من

آثاره في حواليه إلَّا قليل، كما لو غارت العين لم يبق في
نواحيها إلَّا أثر قليل من التداوة، فيزول عن قرب.

(٢٩: ١١١)

الشَّمْسِيُّ: (التَّرَاقِي) مفعول (بَلَغَتْ)، والفاعل
مضمَر على النفس وإن لم يجر لها ذكر، [ثم استشهد
بشعر]

والتَّرَاقِي: جمع تَرْقُوءَة، أصلها: تَرَاوَى، فقلبت وأوها
ياء، لانكسار ما قبلها. والتَّرْقُوءَة: إحدى عظام الصدر،
كما قال الشيخ، والمعروف غير ذلك.

قال الرَّعْشَرِيُّ: ولكلُّ إنسانِ تَرْقُوءَتَانِ، فملى هذا
يكون من باب «غليظ المواجه»، وعريض المناكب.

والتَّرَاقِي: موضع المشرجة. [إلى أن قال:]

«ووزنها «مَقْلُوءَة» فالتاء أصل، والواو زائدة، يدلُّ
عليه إدخال أهل اللُّغة ياءها في مادة «ترقى»...

وقرئ (التَّرَاقِي) بسكون الياء، وهي كقراءة زيد:
﴿تَطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ المائة: ٨٩. (٦: ٤٣٦)

ابن كثير: أي حقًّا إذا بلغت التَّرَاقِي، أي انتزعت
روحك من جسدك وبلغت تراقيك.

والتَّرَاقِي: جمع تَرْقُوءَة، وهي العظام التي بين
ثُغْرَةِ النُّحْرِ والعاتِقِ، كقوله تعالى: ﴿قَلْوَلاً إِذَا بَلَغَتِ

الْحُلُوفُ﴾ الواقعة: ٨٣، وهكذا قال هاهنا: ﴿كَلَّا إِذَا
بَلَغَتِ التَّرَاقِي﴾. (٧: ١٧٣)

نحوه الشُّوكَانِيُّ. (٦: ٤١٨)

البِقَاعِيُّ: [قال الرَّعْشَرِيُّ: ولكلُّ إنسانِ تَرْقُوءَتَانِ]
ولمَّه جمع المثني، إشارة إلى شدة انتشارها بغاية

الجهد، لما فيه من الكرب، لاجتماعها من أقاصي البدن

إلى هناك ...

(الشريفي ٤ : ٤٤٤)

البزوسوي : [نحو الزمخشري إلا أنه قال:]

أي إذا بلغت النفس الناطقة - وهي الروح الإنساني - أعالي الصدر، وهي العظام المكتنفة لشجرة النحر عن يمين وشمال، فإذا بلغت إليها يكون وقت الفراغ.

قال بعضهم: لكل أحد ترقوتان، ولكن جمع التراقي باعتبار الأفراد، وبلغ النفس التراقي كناية عن عدم الإشغاف، أي القرب. (١٠ : ٢٥٤)

الطنطاوي : أي إذا بلغت النفس أعالي الصدر، وهي جمع ترقوة؛ وهي العظام التي بين شجرة النحر والماتق، وهذا كناية عن إشراف النفس على الموت. [تم استشهد بنحو]

مكارم الشيرازي : التراقي : جمع شرقوة، وهي العظام المكتنفة للنحر من يمين وشمال. وبلغ الروح إلى الحلقوم : كناية عن اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان؛ وذلك عندما تخرج الروح من البدن، تتوقف الأعضاء البعيدة عن القلب - كاليدن والرجلين - قبل غيرها، كأن الروح تطوي نفسها في البدن تدريجياً حتى تصل إلى الحلقوم، وفي هذه الفترة يسعى أهله وأصدقائه مستجدين قلقين لإيجاد طريق لينقذوه. (١٩ : ٢٠٠)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الترقوة، أي العظم الواصل بين شجرة النحر والماتق، وهما ترقوتان من الجسائين، والجمع: التراقي، ومنه يقال: ترقبت الرجل ترقاءً، أي أصبت ترقوته، وفي حديث الخوارج: «يعرفون القرآن

لا يجاوز حناجرهم» أو «تراقبهم»، أي كأن قراءتهم للقرآن لا تجاوز حلقومهم، فلا يقبلها الله منهم.

٢- «تاء» الترقوة أصلية، كما ذهب إلى ذلك سيوريه وجمهور اللغويين، فهي على وزن «فعلولة»، أي واوها زائدة، ومنهم من جعلها أصلية والتاء فيها زائدة، فهي على هذا القول (ثقلته)، واحتجوا بأن الترقوة في أعلى البدن، فعربي بها أن تكون من مادة «رق ي» التي تفيد الارتفاع والصعود. وروى بأن «الواو» في الترقوة تحكم بأن يكون هذا اللفظ من مادة «رق وه»، وليس هذا في كلامهم.

٣- والتراقي : دواء السموم، ويطلق على الخمر أيضاً، فيقال لها: ترياق وترياقه، لأنها تذهب بها لهم سمومهم. وتبدل التاء بالذال لقرب مخارجهما، فيقال: الترياق، وقيل: هو لفظ عربي مشتق من الرقيق، وقاؤه زائدة، ووزنه «يفعال»، لما فيه من ريق الحيات، وقيل: وزنه ايضال) من «ت ر ق»، وليس كما قيل، إذ هو لفظ يوناني معرب.

ويسميه القرس «تريالده»، وهم يطلقونه أيضاً على المواد القادرة التي يمتصها المدمنون عليها بواسطة التدخين، ولعل سبب التسمية يرجع إلى أنها تذهب لهم، كما يطلق العرب الترياق على الخمر لهذا السبب.

الاستعمال القرآني

جاءت منها آية واحدة:

«كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» القيمة: ٢٦
يلاحظ أولاً: أنه لم يأت في اللغة من هذه المادة - على

قول ابن فارس - سوى «الترقوة»، فهي فريدة في مادتها، كما هي فريدة في القرآن أيضاً، إذ جاءت مرة واحدة هنا، إيفاء للزوي كأمثالها، ويدها: ﴿وَقِيلَ عَنْ رَاقٍ﴾ وظنَّ أنَّه الفِرَاقُ ﴿وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسْمُوقُ﴾ القيمة: ٢٧ - ٣٠

ثانياً: قالوا: لكل نفس شرفوتان، فليتم جمعت؟ وأجيب بأنها مجتمعة من أقاصي البدن إلى هنا، أو الجمع باعتبار الأفراد، مثل: «الأيدى» و«الرؤوس» في آية الوضوء، والحق ما تقدم من مساوقة الزوي.

ثالثاً: قد جاء «المخلوق» بدل «التراقى» في قوله: ﴿قُلُوبًا إِذَا بَلَغَتِ الْمَخْلُوقُ﴾ الواقعة: ٨٣، مساقاً لرويته، فإنه: مدهنون، تكذبون، تنظرون.

رابعاً: بلوغ النفس التراقي أو المخلوق - كما في قوله - الإشراف على الموت، وهو تعبير تميمي عند العرب، كما قال ابن دُرَيْد: «لقد بلغت نفوسهم التراقي»، فلا مجال

للبحث في وصف خروج الروح وحقيقة الموت عند علماء التشريع، وهذا رأينا في كثير من التفسير القرآنية، مثل: ﴿لَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ هَذَا﴾ الأعراف: ١٧٩، حيث خلقت الفقه بالقلب، وهو عمل المخ، لاحظ «ف ق هـ»، خامساً: أن المقارنة بين الآيتين: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ

الترَاقِي﴾ و﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الطارق: ٧، تومئ إلى نحو من المباشرة بين بدء حياة الإنسان وحالة موته، فلكل منها علاقة من وجهة نظر القرآن بأعالي الصدر، وهي من أشرف مقادير البدن، ويؤيدها موازنتها مع «الأعالي» والتفاوت بين لفظيها لمساوقة الزوي، كما سبق.

سادساً: يرجع ضمير الفاعل في «بَلَغَتِ» إلى النفس، وهو خروج، ولم يأت لها ذكر لوضوحها، مثل: ﴿مَاتُوا وَكَلَّمُوا﴾ فاطر: ٤٥، أي صلى ظهر الأرض.

ت ر ك

٢١ لفظًا، ٤٣ مرة: ٢٢ مكية، ٢١ مدنية

في ٢٠ سورة: ١٥ مكية، ٥ مدنية

تَرَكَ ١٢: ٢- ١٠	تَتْرُكُهُ ١: ١	والتَّرك: الجَمَل في بعض الكلام، تقول: تركت الحبل
فَتَرَكَهُ ١: ١	تَتْرُكُ ١: ١	مُتَدَبِّدًا، أَي جَعَلْتَهُ.
تَرَكَهُمْ ١: ١	يَتْرُكُ ١: ١	والتَّريكة: وهي بيض الثَّعام، وتُجمع على تَرَكَ وتَرَائِكَ.
تَرَكَوْا ٢: ١- ١	يَتْرَكُوا ١: ١	لأنَّ الظَّليم أَقيم عنها فتركها. [ثمَّ استشهد بشعر]
تَرَكَوكَ ١: ١	تُتْرَكُوا ١: ١	والتَّريكة: ماءٌ يمضي عنه السَّيل، ويتركه ناقصًا.
تَرَكَنِ ١: ١	أَتْرَكُونَ ١: ١	وسمي: الغدير، لأنَّ السَّيل غادره.
تَرَكَتُمْ ٣: ١- ٢	اتْرَكَ ١: ١	والتَّرك: جَيل من النَّاس. (٣٣٧: ٥)
تَرَكَتُمُوهَا ١: ١	تَارَكَ ١: ١	ابن شُمَيْل: التَّرك: جماعة البَيْض، وإنما هي سفينة
تَرَكَتُ ٢: ٢	تَارَكُوا ١: ١	واحدة وهي البصلة. (الأزهرى ١٠: ١٣٤)
تَرَكَنَا ٨: ٧- ١	يَتَارَكِي ١: ١	أَبُو زَيْد: تَرَكَنَا لِلضَّبَاعِ، أَي تَرَكَنَا مَقْتُولًا تَأْكُل
تَرَكَنَاهَا ١: ١		الضَّبَاع لَحْمَهُ. (٧)

النُّصوص اللُّغويَّة

الغَلِيل: التَّرك: وَدَعَكَ الشَّيْءَ تَتْرُكُهُ، وَالتَّارَكَ:

الافتعال.

امرأة تريكة، وهي التي تُتْرَك فلا تتزوج.

(الأزهرى ١٠: ١٣٤)

مثله ابن السكيت. (إصلاح المطلق: ٣٤٥)

أَبُو عَيْبَةَ : التَّرْكُ : التَّبِيضُ ، واحْدَثَهُ : تَرْكَهُ . [ثم
استشهد بشعر]

ابن الأعرابي : تَرَكَ الرَّجُلُ ، إِذَا نَزَّجَ بِالْقَرِيكَ ،
وهي العانس في بيت أُمِّهِهَا . (الأزهري ١٠ : ١٣٤)
تَارَكَ : أَبَقَ . (ابن سيده ٦ : ٧٦٧)

ابن السَّكَيْتِ : وَالْقَرِيكة مِنَ النِّسَاءِ : الَّتِي يَقْلُ
حُطَّاءُهَا . (٣٧٩)

منه ابن سيده . (الإفصاح ١ : ٣٤٠)
الذَّيْنُورِيُّ : وَالتَّرِيكُ ، بغير هاء : الْمُنْقُودُ إِذَا أُكِلَ
مَاعِلِيهِ .

الْقَرِيكة : الْكِيسَةُ بَعْدَ مَا يُنْقَضُ مَاعِلِيهَا وَتُتْرَكُ ،
وَالْجَمْعُ : تَرِيكٌ وَتَرَائِكُ .

التَّرِيكُ ، بغير هاء : الْعِذْقُ إِذَا نُقِضَ هَلُمَّ يَلْبِغُ خُشْبُهُ
شَيْءٌ . (ابن سيده ٦ : ٧٦٧)

كُرَاعُ النَّسَمِلِ : وَالتَّرُكُ : هُوَ الَّذِي يَقَالُ لَهُ : الدُّبْلَمُ .
(ابن سيده ٦ : ٧٦٧)

ابن دُرَيْدٍ : الْقَرْكََةُ : التَّبِيضَةُ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَسمَّيَتْ
تَرْكَهُ تَنْبِيْهَا بِتَرْكَهِ النَّعَامِ ، وَتَرْكَتُهَا تَبْيِضَتْهَا إِذَا خَرَجَ مِنْهَا
الْفَرْخُ ، وَهِيَ الْقَرِيكةُ أَيْضًا ، وَالْجَمْعُ : تَرَائِكُ .

وَالْقَرِيكةُ : دَوْضَةٌ يَخْفَلُهَا النَّاسُ فَلَا يَرَوْنَهَا ،
وَالْجَمْعُ : تَرَائِكُ .

وَالتَّرُكُ : الْجَمِيلُ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ .
وَتَقُولُ الْعَرَبُ : تَرَكَ يَاهَذَا ، مَعْدُولٌ عَنِ التَّرُكِ ، أَيْ
اِتْرَكَ . [ثم استشهد بشعر]

وَتَرْكَهُ الرَّجُلُ : تَرَائِهِ . (٢ : ١٢٣)
يَنْطَوِيهِ : التَّرُكُ عَلَى ضَرْبَيْنِ : مَفَارِقُهُ مَا يَكُونُ

الْإِنْسَانُ فِيهِ ، وَتَرَكَ الشَّيْءَ رَغْبَةً عَنْهُ مِنْ غَيْرِ دُخُولٍ
فِيهِ . (الهرودي ١ : ٢٥٣)

السَّجِسْتَانِيُّ : وَتَارَكَ : مُبْقِي . مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ الصَّالِحَاتُ : ٧٨ .
(الأضداد : ١٢٦)

الصَّاحِبُ : [نحو الخليل وأضاف]
وَالْقَرِيكةُ وَالتَّرُكَةُ : تَبْيِضُ النَّعَامِ الْمَفْرَدَةِ ، وَهِيَ مِنْ

النِّسَاءِ : الَّتِي تُتْرَكُ فَلَا تُتْرَجُ .
وَتَرْكَهُ الرَّجُلُ : مَا يُخْلَفُهُ .

وَالتَّرَائِكُ : بَقَايَا الشَّجَرِ ، وَقِيلَ : هِيَ الْمَرَائِعُ الَّتِي كَانَ
النَّاسُ رَعَوُهَا إِمَّا فِي قَلَاةٍ أَوْ فِي جَبَلٍ ، فَأَكَلَهَا الْمَالُ حَتَّى
أَبْقَاهَا مِنْهَا بَقَايَا لَا يَنَالُهَا الْمَالُ .

وَالْقَرْكََةُ : الْقَدَحُ الَّذِي يَحْمِلُهُ الرَّجُلُ بِيَدَيْهِ ، وَالْجَمْعُ :
التَّرَائِكُ . (٦ : ٢٢٠)

وَيَقَالُ لِلْمَرْأَةِ الرَّيْتَةِ : تَرْكَتُ ، وَجَمْعُهَا : تَرَكَاتٌ
خَفِيفَةٌ .

وَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ وَلَا تَارَكَ . [إلى أن قال]
وَيَقَالُ : تَرَكَ تَرَائِكُ ، أَيْ اِتْرَكَ اِتْرَكَ ، وَتَرَائِكُهَا تَرَائِكُهَا .
(٦ : ٢٢٠)

الْخَطَّابِيُّ : [وفي حديث قصة إسماعيل]
«ثُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ جَاءَ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ» ... أَيْ وَلَدَهُ الَّذِي
تَرَكَهُ بِالْمَكَانِ الْقَفْرِ ، وَأَصْلُ هَذَا فِي النَّعَامِ تَتْرَكَهُ بَيْضَهَا
بِالْقَرَاءِ لَا تَحْضُنُهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ لِلنَّعَامِ حُشٌّ كَأَعْيَاشِ
الطَّيْرِ ، إِنَّمَا تَبْيِضُ فِي الْأَدْحَى ، وَهُوَ مَكَانٌ تَدْحُوهُ
بِرَجْلِهَا ، ثُمَّ تَبْيِضُ فِيهِ ، فَرُبَّمَا تَرَكَتَهُ لَا تَسْتَجِبُهُ ، وَهِيَ
يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي هَذَا . [ثم استشهد بشعر]

المتكلمين: فعل أحد الضدين اللذين يقدر عليها المباشر.

وقال بعضهم: كل شيئين تضادا وقدر عليها بقدر واحدة مع كون وقت وجودهما وقتا واحدا، وكانا يملآن محل القدرة، وانصرف القادر بفعل أحدهما عن الآخر، متى الموجود منها: تركا، ومالم يوجد: متروكا.

والترك عند العرب تخليف الشيء في المكان الذي هو فيه والانصراف عنه، ولهذا يُستعمل بيضة النعامة إذا خرج فرخها: تركها، لأن النعامة تنصرف عنها. والترك: الروضة يُغفلها الناس ولا يرحونها.

الفرق بين الترك والتخلي: أن الترك هو ما ذكرنا، والتخلي للشيء: نقيض التوكيل به، يقال: خلاه، إذا أزال التوكيل عنه، كأنه جعله خاليا لأحد معه، ثم صار من «التخلي» عند المتكلمين: ترك الأمر بالشيء والرغبة فيه والنهي عن خلافه. ويقولون: القادر فعل بينه وبين مقدوره، أي لا مانع له منه، شيء بين ليس معه موكل ينم عنه تصرفاته.

الفرق بين قولك: تركت الشيء، وقولك: هبنت عنه: أنه يقال: هبنت عنه، إذا تركته سهوا أو تشاغلا، ولا يقال: لمن ترك الشيء صاعدا أنه هبنت عنه.

وقول صاحب «الفصيح»: هبنت عن الشيء إذا تركته، غلط، ألا ترى أنه لا يقال لمن ترك الأكل بعد شبع أو الشرب بعد الرقي: إنه هبنت عن ذلك، وأصله من «الهبو»: ميل الانفعال والمطاوعة. (٩١)

الفرق بين الضد والترك: أن كل ترك ضد وليس كل ضد تركا، لأن فعل غيري قد يضاد فعلي، ولا يكون

ويقال لتلك البيضة: التركة، وهي التريكة أيضا.

(٣: ٨١)

نحوه الزمخشري.

(الفائق ٤: ١٥) الجوهرية: تركت الشيء تركا: خليت، وتاركته اليح متاركة.

وتراو، بمعنى اترك، وهو اسم لفعل الأمر. [ثم استشهد بشعر]

وقال فيه: لما اترك، أي ما ترك شيئا، وهو «افعل». وتركه الميت: ثرائه المتروك.

والتركة من النساء: التي تُترك فلا يتزوجها أحد.

[ثم استشهد بشعر]

والتركة: بيضة النعام التي تتركها. [ثم استشهد

بشعر]

والتركة: روضة يُغفلها الناس فلا يرحونها.

والتركة: البيضة من الحديد، والجمع تركك. [ثم

استشهد بشعر]

ابن فارس: الثاء والراء والكاف: الترك: التخلي

عن الشيء، وهو قياس الباب، ولذلك نسمي البيضة

بالقراء تركية. [ثم استشهد بشعر]

وتركة السلاح، وهي البيضة، وهي محمول على هذا

ومشبهة به، والجمع: تركك. [ثم استشهد بشعر إلى أن

قال:]

وفي الكتاب المنسوب إلى الخليل: «يقال تركت

الحبل شديدا، أي جعلته شديدا» وما أحسب هذا من

كلام الخليل. (١: ٣٤٥)

أبو هلال: الفرق بين الكف والترك: أن الترك عند

- تَرَكَاهُ. (١٣٠)
- الهِرَوِيُّ: وفي حديث الحسن: «إِنَّ تَرَائِكَ فِي خَلْقِهِ» التَّرائِك: جمع تريك، يعني أموراً أبغها في العباد، من الأمل والغفلة، حتى يَبْسُطُوا بِهَا إِلَى الدُّنْيَا. (٢٥٣: ١)
- ابن سيدة: التَّرَك: وَدَعَكَ الشَّيْءَ، تَرَكَهَ يَسْرُكُهُ تَرْكًا، وَاتْرَكَه، وَتَارَكَ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ.
- وتَرَكَهَ الرَّجُلُ: مَا يَتْرَكُهُ مِنَ التَّارَاتِ.
- والتَّريكة: الَّتِي تُتْرَكُ لِمَا تَزُوجُ. قَالَ اللَّحْيَانِي: وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِلذَّكَرِ.
- والتَّريكة: الزَّوْجَةُ الَّتِي يُنْفِلُهَا النَّاسُ فَلَا يَزْعُمُونَهَا.
- وقيل: التَّريكة: الْمَرْتَعُ الَّذِي كَانَ النَّاسُ رَعَاهُ وَإِمَّا فِي فَلَاةٍ وَإِمَّا فِي جَبَلٍ، فَأَكَلَهُ الْمَالُ حَتَّى أَبْقَى مِنْهُ لِبَلْبَةٍ مِنْ عُودٍ.
- والتَّريكة من الماء: مَا تَرَكَ السَّيْلُ.
- والتَّريكة: الْبَيْضَةُ بَعْدَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا الْفَرْخُ. وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ بَيْضَ النَّعَامِ الَّتِي تَتْرَكُهَا بِالْفَلَاةِ بَعْدَ خُلُوقِهَا مِمَّا فِيهَا.
- وقيل: هِيَ بَيْضَةُ النَّعَامِ الْفُرْدَةِ. وَالْجَمْعُ: تَرَائِكُ، وَتُرُكُ. وَهِيَ: التَّرُكَةُ، وَالْجَمْعُ: تَرَكَ.
- والتَّريكة: بَيْضَةُ الْمَدِيدِ، وَأَرَاهَا عَلَى التَّسْبِيهِ بِالتَّريكةِ الَّتِي هِيَ الْبَيْضَةُ. وَالْجَمْعُ: تَرَائِكُ، وَتَرِيكُ.
- وهي: التَّرُكَةُ، وَجَمْعُهَا: تَرَكَ.
- وَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ وَلَا تَارَكَ وَلَا دَارَكَ، كُلُّ ذَلِكَ إِتْبَاعُ.
- والتَّرُكُ: الْجَمْعُ، فِي بَعْضِ اللَّغَاتِ، يُقَالُ: تَرَكَتِ الْحَبْلُ شَدِيدًا، أَيْ جَعَلَتْهُ شَدِيدًا. وَالتَّرُكُ: الْمَعْرُوفُ.
- وَالْجَمْعُ: أَتْرَاكُ.
- التَّريك والتَّريكة: الْبَيْضُ إِذَا تَقَضَّ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ شَيْءٌ، وَالْجَمْعُ: التَّرائِكُ. (الْإِفْصَاحُ ٢: ١١٣٨)
- الرَّاحِبُ: تَرَكَ الشَّيْءَ: رَفَضَهُ قَصْدًا وَاخْتِيَارًا أَوْ قَهْرًا وَاضْطِرَارًا، فَمِنْ الْأَوَّلِ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ فِي بَيْضِ الْكَهْفِ: ٩٩﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاتْرَكَ الْبَيْهَرَ زَهْرًا﴾ الدَّخَانُ: ٢٤.
- وَمِنْ الثَّانِي: ﴿كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاحٍ﴾ الدَّخَانُ: ٢٥.
- وَمِنْ تَرَكَهَ فَلَانٌ لَمَّا يُخَلِّقْهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدْ يُقَالُ: فِي كُلِّ فَعْلٍ يَنْتَهِي بِهِ إِلَى حَالِهِ: مَا تَرَكَتَهُ كَذَا، أَوْ يَجْرِي بِجَرَى كَذَا، جَعَلَتْهُ كَذَا، نَحْوُ تَرَكَتِ فَلَانًا وَحِيدًا.
- والتَّريكة أصله: الْبَيْضُ الْمَتْرُوكُ فِي مَفَازَتِهِ، وَبِئْسَ بَيْضَةُ الْمَدِيدِ بِهَا كَتَسْمِيَّتِهِمْ إِيَّاهَا بِالْبَيْضِ.
- الرَّمْعَشَرِيُّ: تَرَكَهَ تَرَكَ ظَنِّي ظَلَمَهُ. وَتَرَكَهَ فَلَانٌ مَالًا وَعِيَالًا. وَأَخْرَجُوا الْثَلَاثَ مِنْ تَرَكَتِهِ.
- وَتَارَكَهَ الْبَيْعُ وَغَيْرُهُ، وَتَتَارَكُوا الْأَمْرَ فَعِيَا بَيْنَهُمْ: وَقَالَ فِيهِ فَمَا أَتَرَكَ، وَمَنْ يَذَلْ نَفْسَهُ فَمَا أَتَرَكَ وَلَا مَتَرَكَ.
- وَقَتْلُ الْحَبْلِ حَتَّى تَرَكَهُ شَدِيدًا، وَتَرَكَتُهُ جِزْرُ الشَّبَاعِ.
- وَتَقُولُ: تَرَائِكَ تَرَائِكَ صُحْبَةُ الْأَتْرَاكِ.
- وَرَعَا الْكَلَاءُ وَتَرَكَوْا مِنْهُ تَرَائِكَ، أَيْ بَقَايَا. وَفَلَانَةُ تَرَيكَة: مَتْرُوكَةٌ لِاتِّزَاجٍ. وَلَا بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَا تَارَكَ وَلَا دَارَكَ.
- وَرَأَيْتُ عَلَى الْأَرِيكَةِ تَرْكِتَةً كَالْتَّريكةِ، وَهِيَ بَيْضَةُ النَّعَامِ.
- وَرَأَيْتُ نِسَاءً كَالشَّبَائِكِ وَالتَّرائِكِ، لَيْثَاتِ التَّرائِكِ.

مَكَانَاتٍ عَلَى الْأَرَاكَ. (أساس البلاغة: ٣٨)

[وفي حديث حُنين] «حتى تركوه في حَرَجَةٍ سَلَمَ، وهو على بَقْلَتِهِ» تركوه بمعنى جعلوه. (الفاثي ٢: ٣١٩)
المَدِينِيَّ، في الحديث: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، لَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».

بمعنى المتأخرين، لأنهم يُصَلُّونَ في الظَّاهِرِ رِيَاءً، فإذا غلوا لا يُصَلُّونَ، أي ما داموا يُصَلُّونَ في الظَّاهِرِ فلا نُزِّلنا معهم، ولا سبيل لنا عليهم، وإذا تركوها في الظَّاهِرِ كفروا، بحيث يُحِيلُ لنا دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.

«التُّرْكُ» على ثلاثة أحزاب:

أحدها: ما ترك إبقاء لقوله تعالى: «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ» الصَّافَات: ١٠٨، «وَتَرَكْنَا فِيهَا آتِيَةً» الذَّارِيَات: ٢٧، «وَلَكُمْ يَحْفَ صَانِرُكُمْ أَرْوَاجُكُمْ» النساء: ١٢.

الثاني: ترك رفض شيء لم يكن فيه قبل، كقوله تعالى: «إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ» يوسف: ٣٧.

الثالث: ترك مفارقة، كقوله تعالى: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» الدَّخَان: ٢٥، وهذا غريب من الأول. وقال قوم: هو لمن تركها جاحداً، وقيل: هو أن يتركها حتى يخرج وقتها، بدلالة قوله تعالى: «أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ» مريم: ٥٩.

وهذا لا يُحْتَمَلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَارِكًا لِلصَّلَاةِ، لِأَنَّهُ قَال: (الصَّلَاةُ) بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: «لَسَوْفَ يَنْتَقُونَ غِيَابًا» مريم: ٥٩، وَالَّتِي: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الْكَفَّارُ.

وقيل: لا يجوز أن يترك المؤمن الصَّلَاةَ عَلَى كُلِّ

حَالٍ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقِيمُ الصَّلَاةَ، فَقَالَ تَعَالَى: «يُفْقِبُونَ الصَّلَاةَ» البقرة: ٣، «وَالْمُشْبِكِي الصَّلَاةَ» المِج: ٢٥، وَفِي التَّنْكِرة: «وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» الأنعام: ٩٢.

أخبر أن من يؤمن بالآخرة يؤمن بها، وهو على صلاته مُحَافِظٌ، فَتَبَّ بِاسْمِ الْمَحْرِفَةِ وَالتَّنْكِرةِ فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُمْ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَكُنْ لِلتُّرْكِ مِنْهُمْ مَعْنَى.

ابن الأثير: في حديث الحَكِيلِ الْجَلِّي: «إِنَّهُ جَاءَ إِلَى مَكَّةَ يَطَالِعُ تَرْكُهُ»، التُّرْكَةُ بِكَوْنِ الرَّاءِ، فِي الْأَصْلِ: تَخْضُصُ التَّعَامِ، وَجَمْعُهَا: تُرْكٌ، يَرِيدُ بِهِ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ وَأُمُّهُ هَاجِرٌ كَمَا تَرَكَهَا بِمَكَّةَ.

ومنه حديث علي رضي الله عنه: «وَأَنْتُمْ تَسْرِبُكَ الْإِسْلَامَ وَبِقَتَّةِ النَّاسِ».

وحديث الحسن: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَرَاتِكُ فِي خَلْقِهِ»، أَرَادَ أُمُورًا أَبْقَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعِبَادِ مِنَ الْأَمَلِ وَالنَّفْطَةِ، حَتَّى يَبْسُطُوا بِهَا إِلَى الدُّنْيَا. (٨٨: ١)

الْقَبُومِيُّ: تَرَكْتُ الْمَنْزِلَ تَرْكًا: رَحَلْتُ عَنْهُ، وَتَرَكْتُ الرَّجُلَ: فَارَقْتَهُ، ثُمَّ اسْتَعْمِرَ الْإِسْقَاطُ فِي الْمَعَانِي، فَقِيلَ: تَرَكَ حَقَّهُ، إِذَا أَسْقَطَهُ، وَتَرَكَ زَكَاةَ مِنَ الصَّلَاةِ: لَمْ يَأْتِ بِهَا، فَإِنَّهُ إِسْقَاطٌ لَمَا تَبَيَّنَ شَرْعًا.

وَتَرَكْتُ الْبَحْرَ سَاكِنًا: لَمْ أَغَيِّرْهُ عَنْ حَالِهِ، وَتَرَكَ الْمَيْتَ مَالًا: خَلْفَهُ، وَالْإِسْمُ: التَّرْكَةُ، وَيُحْفَفُ بِكسر الأول وسكون الرَّاءِ مِثْلُ: كَلِمَةٍ وَكَلِمَةٍ، وَالْجَمْعُ: تَرِكَاتٌ.

وَالتُّرْكُ: جَمِيلٌ مِنَ النَّاسِ، وَالْجَمْعُ: أَتْرَاكٌ،

والواحد: تُركي، مثل روم ورومي. (١: ٧٤)

الفيروز ابادي: تركه تركًا وتركًا بالكسر.

وأتركه كـ«افتعله»: ودّعه، وتنازكوا الأمر بينهم.

وتركة الرجل كفرحة: ميراثه.

امرأة تُترك لا تزوج، وروضة يُفعل عن رعيها،

وما تركه السبل من الماء، والبيضة بعد أن يخرج منها

القرع، أو يُخص بالنعام، ويبيض الحديد كالتركة فيها،

جمعها: ثرائك وثرىك وترك، والكياسة بعد أن يُنفض

ما عليها.

وكأمر: المنقود أكل ما عليه، واليدق يُفص.

ولا يترك الله فيه، ولا تارك ولا دارك: إتباع.

والترك: الجهل، كآته ضد «وتوكلنا على الله في

الآخرين» أي أبقينا.

وبالضم: جيل من الناس، جمه: أنزال.

وكسمع: تزوج ثريكة.

والتركة: المرأة الزينة، وفي الحديث: «جاء الخليل

إلى مكة يُطالع تركته» أي هاجر وولدها إسماعيل، ولو

روي بكسر الزاء كان وجهاً بمعنى الشيء المتروك.

وزوضة الترك باليمن. (٣: ٣٠٦)

مجمع اللغة: ترك الشيء يتركه تركًا، من باب

«نصر»: خلاه وانصرف عند قصداً واختياراً أو قهراً

واضطراً، فهو تارك، وهم تاركون.

وتختلف التغلية والانصراف باختلاف المقامات:

فيقال: ترك فلاناً أو مذهب فلان: إذا صد عنه

وانصرف.

ويقال: ترك فلان مالا، أي مات عنه وخلفه من بعده.

ويقال: قطع الشجر وترك النخل مثلاً، أي خلاه

على حاله فأبقاه.

ويقال: أجهز على أعدائه فما ترك أحداً منهم، أي لما

أبقى على أحد منهم، وأصله: لما غلب أحداً عن الإجهاد

عليه.

ويقال: ترك في القوم أثراً، أي خلاه فيهم وأبقاه.

وقد يضمن «ترك» معنى جفقه على حاله ما، وأبقاه

عليها. (١: ١٥٥)

المُضْطَقَّوِي: هذه المادة تدل على: رفع اليد

والتغلية، سواء كان قهراً أو بالاختيار، في أمور مادية

أو معنوية، ويُطلق على ترك ما كان مقدوراً. [تم ذكر

الآيات وقال:]

إِنَّ «الترك» لما كان عبارة عن رفع اليد والتسلط

وقطع التهمذ، فهو أمر وجودي لا محالة، كسائر الأمور

والأفعال الوجودية. (١: ٣٦٦)

النصوص التفسيرية

ترك

وَلِكُلِّ جَفَلْنَا مَوْلَىٰ رِمًا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ

وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَبِيِّهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَهِيدًا. النساء: ٣٣

الطبري: مما تركه والداه وأقربائه من الميراث.

(٥: ٥١)

الرَّمَحْشَرِي: (بما ترك) تبين (لكل) أي ولكل

شيء مما ترك الوالدان والأقربون من المال. (١: ٥٢٣)

والأقربون، على أن «جعلنا موالِي» صفة (كل) والراجع إليه محذوف؛ على هذا فالجملة من مبتدأ وخبر. (٢١٧: ١)

أبو حيان: «بما ترك» في موضع الصفة لكل (والوالدان والأقربون) فاعل (ترك)، ويكونون موروثين. (ولكل) متعلق بـ«جعلنا» إلا أن في هذا التقدير الفصل بين الصفة والموصوف بالجملة المتعلقة بالفعل الذي فيها المهرور، وهو نظير قولك: بكل رجل مررت قيمي، وفي جواز ذلك نظر. (٢٢٧: ٣)

الفاضل المقداد: الموالِي هنا: الوراث، فالتقدير: جعلنا لكل إنسان موالِي يرثونه بما تركه. «ومن» للتبعية، والضمير في (ترك) للإنسان الميت، أي يرثونه بما تركه (والوالدان) خبر مستدأ محذوف، أي هم الوالدان والأقربون، ويرثون الأقرب فالأقرب، لقربة معنى القرب.

وقال الزمخشري: تقديره: ولكل شيء جعلنا مما ترك الوالدان والأقربون موالِي يرثونه ويحوزونه.

أو تقديره: ولكل قوم جعلناهم موالِي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وفيها نظر:

أما الأول فلا يفيهم منه حيث أن لكل صنف من أصناف التركة ورثاء، وهو فاسد؛ لأن الوراث مشتركون في كل جزء من كل صنف من التركة.

وأما الثاني فلأن الوالدين والأقربين هم الوراث لا المولى، بدليل أنه عطف عليهم «والذين عفا» «أبائكم» وهم الوراث، لأنه قال: «فأثوهم نصيبهم» (٣٢٣: ٢)

الطبرسي: قوله: (بما ترك الوالدان) الجاز والمهرور وقع موقع الصفة لقوله: (موالِي) أي موالِي كائنين مما ترك، أي خلف الوالدان والأقربون.

أي يورثون أو يحطون مما ترك الوالدان. (٤١: ٢) نحوه الطباطبائي. (٣٤٢: ٤)

الفخر الرازي: أي: لكل واحد جعلنا ورثة في تركته، ثم كآته قيل: ومن هؤلاء الورثة؟ فقيل: هم الوالدان والأقربون؛ وعلى هذا الوجه لا بد من الوقف عند قوله: (بما ترك).

نحوه رشيد رضا (٥: ٦٤)، والمراغي (٥: ٢٥)، وعبد المنعم الجبال (١: ٥٣٥)

أبو البقاء: (بما ترك) فيه وجهان: أحدهما: هو صفة «مال» تقديره: أي من مال تركه الوالدان.

والثاني: هو متعلق بفعل محذوف دل عليه «الموالِي» تقديره: يرثون مما ترك.

وقيل: (ما) بمعنى من، أي لكل أحد ممن ترك الوالدان. (١: ٣٥٢)

البيضاوي: أي ولكل تركه جعلنا ورثاء يلونها ويحوزونها. (وبما ترك) بيان (لكل) مع الفصل بالعامل.

أو لكل ميت جعلنا ورثاء (بما ترك)، على أن «من» صلة (موالِي) لأنه في معنى الوراث، وفي (ترك) ضمير (كل)، و«الوالدان والأقربون» استئناف مفسر للمولى، وفيه خروج الأولاد، فإن الأقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين.

أو ولكل قوم جعلناهم موالِي حظ مما تركه الوالدان

تَرَكَهُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِأَمْوَالِكُمُ الَّتِي كَفَرْتُمْ بِهَا...
 البقرة: ٢٦٤
 راجع «م ل د»

تَوَكَّلْهُمْ

سَأَلْتَهُمْ كَيْفَ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَهَسَتْ
 مَا حَوَّلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بَسْطُورَهُمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
 لَا يُبْصِرُونَ. البقرة: ١٧
 الإمام الرضا عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصِفُ بِالْتَّوَكُّلِ كَمَا
 يُوصِفُ خَلْقَهُ، وَلَكِنَّهُ مَعَى عِلْمِ أَتَمِّهِمْ لَا يَرْجِعُونَ عَنْ
 التَّوَكُّلِ وَالضَّلَاطَةِ فَتَنْهَى الْمَعَاوَنَةَ وَالْمُعَانَفَةَ، وَغَلَا بَيْنَهُمْ
 وَبَيْنَ اخْتِيَارِهِمْ. (التحرافي: ١: ٦٥)
 الطبري: وتركهم في ظلمات لا يبصرون بعد
 الضياء الذي كانوا فيه في الدنيا، بما كانوا يُظهرون
 بأنفسهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون، كما
 ذهب ضوء ناره هذا المستوقد باطفاء ناره وخبودها، فبقى
 في ظلمة لا يبصر. (١: ١٤٥)
 الطوسي: أي أذهب النور بالظلمات. (١: ٨٧)
 الزمخشري: ترك بمعنى طرح وخلق إذا خلق
 بواحد، كقولهم: تركهم ترك ظني ظله. فإذا خلق بشيئين
 كان مضطماً معنى «صير» فيجري مجرى أفعال القلوب.
 ومنه قوله: «وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ» أصله: هم في
 ظلمات، ثم دخل «ترك» فنصب الجزأين. والظلمة: عدم
 النور. (١: ٢٠١)

أَبَوَالشُّعُودِ، (بِمَا تَرَكَ) بَيَانٌ لِكُلِّ، قَدْ قُصِلَ
 بَيْنَهُمَا بِمَا عَمِلَ فِيهِ، كَمَا قُصِلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَقُلْ أَغْيَرُ
 اللَّهُ أَخِيذٌ وَرَيْثًا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» الأنعام: ١٤،
 بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيها أضيف إليه، أعني
 (غيره).

أَوْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَعَلْنَاهُمْ مَوَالِيًا أَوْ وَرَثَةً نَصِيبٌ مَعَهُ
 مَنَازِلُ لِنَصِيبِ قَوْمٍ آخَرِينَ بِمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ،
 عَلَى أَنَّ (جَعَلْنَا مَوَالِيًا) صِفَةٌ لِكُلِّ، وَالضَّمِيرُ الرَّاجِعُ
 إِلَيْهِ مَحذُوفٌ، وَالْكَلَامُ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِكَ:
 لِكُلِّ مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ إِنْسَانًا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، أَيْ حَقَّ مَنَهُ.
 وَأَمَّا مَا قِيلَ: مِنْ أَنَّ الْمَعْنَى لِكُلِّ أَحَدٍ جَعَلْنَا مَوَالِيًا بِمَا
 تَرَكَ، أَيْ وَرَثَةً مَنَهُ، عَلَى أَنَّ «مِنْ» صِلَةٌ (مَوَالِيًا) لِأَنَّهُ فِي
 مَعْنَى الْوَارِثِ، وَفِي (تَرَكَ) ضَمِيرٌ مُسْتَكْرَمٌ عَائِدٌ إِلَى
 (كُلِّ)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) اسْتِثْنَاءٌ
 مُفَرَّدٌ لِلْمَوَالِي، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ فَقِيلَ: الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ،
 فَفِيهِ تَفْكِيكٌ لِلنَّظْمِ الْكَرِيمِ، لِأَنَّ بَيَانَ «الموالي» بما ذَكَرَ
 يَفُوتُ الْإِبْهَامَ الْمَصْحُوحَ لاعتبار التفاوت بينهم، وَهوَ
 يَتَحَقَّقُ الْإِنْتِظَامَ، كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي تَقْرِيرِ الْوَجْهِينِ
 الْأَوَّلَيْنِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ خُرُوجِ الْأَوْلَادِ مِنَ الْمَوَالِي، إِذْ
 لَا يَتَنَاوَلُهُمُ الْأَقْرَبُونَ كَمَا لَا يَتَنَاوَلُ الْوَالِدَيْنِ. (١: ٣٢٨)
 طَهَ الدُّرَّةُ: وَجْهَةٌ (تَرَكَ) صِلَةٌ (تَا)، أَوْ صِفَتُهَا،
 وَالْعَائِدُ أَوْ الرَّابِطُ مَحذُوفٌ، وَهُوَ مَفْعُولُ الْفِعْلِ، وَهَذَا عَلَى
 اخْتِيَارِ الْفَاعِلِ عَائِدًا عَلَى (كُلِّ)، وَالْكَلَامُ بَعْدَ مُسْتَأْنَفٍ،
 وَهُوَ تَكْلُفٌ لِادَّاعِي لَهُ، فَإِنَّ الْأَصَحَّ أَنَّ (الْوَالِدَيْنِ) فَاعِلٌ
 (تَرَكَ) وَالْأَقْرَبُونَ مَحذُوفٌ عَلَيْهِ، وَالْكَلَامُ بَعْدَهُ
 مُسْتَأْنَفٌ. (٣: ١٨)

تَرَكُوا

١- وَلِتُخْشَ الَّذِينَ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا غَوْلًا مِثْلًا.

النساء: ٩

راجع «خ م ي».

٢- كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. ﴿الدَّخَانُ: ٢٥﴾

ابن عباس: خلفوا. (٤١٨)

الطبري: كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد

تهلكهم، وتريق الله إياهم من بساتين وأشجار.

(١٢٣: ٢٥)

ابن عطية: قبله محذوف، تقديره: فتركوا وقطع

الله ديارهم، ثم أخذ يعجب من كثرة ما تركوا من الأمور

التي هي في الدنيا. (كم). خبر للتكثير. (٧٢: ٥)

نحوه المراهي. (١٢٨: ٢٥)

أبو السعود: أي كثيرًا تركوا بمصر. (٥١: ٦)

مثله الآلومي (١٢٣: ٢٥)، ونحوه البروسوي (٨)

(٤١١)

تَرَكُوا

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا
قُلْ مَاعِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

الجمعة: ١١

جابر بن عبد الله: كنا مع رسول الله ﷺ في الجمعة،

فَرَزْتُ عِيرَ تَحْمِلُ الطَّعَامَ، فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَّا أَنِّي صَفَرْتُ

نحوه الفخر الرازي (٧٦: ٢)، والبيضاوي (٢٨: ١).

والنسي (١: ٢٤)، والتبسيابوري (١٨٣: ١).

وأبو السعود (١: ٤١)، والبروسوي (١: ٦٧).

المكبري: (تَرَكَهُمْ) هاهنا يتعدى إلى مفعولين،

لأن المعنى «صيرهم»، وليس المراد به الترك الذي هو

الإهمال، فعل هذا يجوز أن يكون المفعول الثاني (في

ظُلُمَاتٍ)، فلا يتعلق الجاز محذوف، ويكون

(لَا يُبْصِرُونَ) حالًا.

ويجوز أن يكون (لَا يُبْصِرُونَ) هو المفعول الثاني،

و(في ظُلُمَاتٍ) ظرف يتعلق بـ (تَرَكَهُمْ) أو بـ (يُبْصِرُونَ).

ويجوز أن يكون حالًا من الضمير في (يُبْصِرُونَ) أو

من المفعول الأول. (١: ٢٣)

أبو حيان: الترك: التخلي، أترك هذا، أي خَلَّطَهُ

ودَعَّاهُ. وفي تضمينه معنى «التصيير» وتعديته إلى تركهم

خلاف، الأصح جواز ذلك. (١: ٧٥)

الآلوسي: (وَتَرَكَهُمْ...) عطف على قوله تعالى:

«ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» وهو أولى بتأدية المراد، فيستفاد

منه التقرير لانقضاء النور بالكلية، تبعًا لما فيه من ذكر

الظلمة وجمعها وتنكيرها، وإيراد «لَا يُبْصِرُونَ»

وجعل الواو للحال بتقدير «قد» - مع ما فيه - يقتضي

ثبوت الظلمة قبل ذهاب النور معه، وليس المعنى عليه.

والترك في المشهور: طرح الشيء، كترك الصائم

يده أو تخليته، محسوسًا كان أو غيره وإن لم يكن في يده

كترك وطنه ودينه. [ثم نقل كلام الراغب والقبومي

والمكبري فراجع] (١: ١٦٧)

رجلاً، فنزلت آية الجمعة.

نحوه الحسن وقتادة وابن زيد. (الطبري ٢٨: ١٠٤)

ابن قتيبة: يقال: إن الناس خرجوا إلا ثمانية نفر.

(٤٦٦)

الطبري: وتركوك يا محمد قائماً على المنبر، وذلك

أن التجارة التي رأوها فانقضت القوم إليها، وتركوا

النبي ﷺ قائماً. (٢٨: ١٠٣)

الماوردي: يعني: في خطبته، وروي عن النبي ﷺ

أنه قال: والذي نفسي بيده لو ابتدرونها حتى لا يسبق

معي أحد لال الوادي بكم نازلاً. (٦: ١١)

ابن عطية: [أكنى بيان شأن النزول] (٥: ٣٠٩)

البروسوي: «وَتَرْكُوكُهُ» حال كونك قائماً أي

على المنبر. [إلى أن قال:]

اعلم أنه كان من فضل الأصحاب رضي الله عنهم

وشأنهم أن لا يفعلوا مثل ما ذكر من التفرق من مجلس

النبي ﷺ، وتركه قائماً.

فذكر بعضهم وهو مقاتل بن حيان: أن الخطبة يوم

الجمعة، كانت بعد الصلاة مثل العبد ين، فظنوا أنهم قد

قضوا ما كان عليهم، وليس في ترك الخطبة شيء،

فمؤلت الخطبة بعد ذلك فكانت قبل الصلاة، وكان

لا يخرج واحد لرعاف أو إحداث بعد النبي حتى يستأنن

النبي ﷺ، يشير إليه بأصبعه التي تلي الإبهام، فيأذن له

النبي ﷺ يشير إليه بيده.

قال الإمام السهيلي رحمه الله: وهذا الحديث الذي

من أجله ترخصوا لأنفسهم في ترك صباح الخطبة وإن لم

يُنقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب رسول

الله ﷺ موجب لأنه كان صحيحاً.

يقول الفقير: هب أنهم قد قضوا ما كان عليه من

فرض الصلاة، فكيف يليق بهم أن يتركوا مجلس

النبي ﷺ ومن شأنهم أن يسمعوا ولم يتحركوا كأن على

رؤوسهم الطير؟! ولعل ذلك من قبيل سائر الهفوات التي

نضت المصالح والمكرم الجليلة، ولو لم يكن إلا كونه

سبب لنزول هذه الآية التي هي خير من الدنيا وما فيها

لكي، وفيها من الإرشاد الإلهي لعباده ما لا يحصى.

(٩: ٥٢٨)

الطباطبائي: وقد اتفقت روايات الشيعة وأهل

السنة على أنه ورد المدينة حير معها تجارة وذلك يوم

الجمعة، والتي ﷺ قائم يخطب، فصرخوا بالطبل والدق

لإعلام الناس، فانقض أهل المسجد إليهم، وتركوا

النبي ﷺ قائماً يخطب، فنزلت الآية. (٦٩: ٢٧٤)

عبد المتعم الجبال: روي أن أهل المدينة نزلت

بهم جماعة واشتد الغلاء، فقدم أحد تجارهم... بتجارة له

من الشام، والتي ﷺ قائم في الناس يخطب الجمعة،

وانفلت المصلون على أثر سماعهم نبأ قدوم التجارة

فانصرفوا عن الصلاة وتركوا النبي ﷺ، فويلس معه

بالمسجد إلا ثمانية أو اثنا عشر رجلاً، ففتح الله فعلهم

وعاتبهم على ما فعلوا، وبين لهم خطأ ما ارتكبوا وسوء

ما فعلوا، وأن الله الذي يلبثون نداء، ويحييون دعاء،

ويغفون إلى عبادته في بيته، هو الذي يوسع الأرزاق

ويكفل الأقوات في الدنيا، وما عنده من ثواب الآخرة

خير وأبقى، فكيف تعرضون عن عبادته وهو الرزاق الحقيقي.

فالتقوا الأرزاق عنده وسلوه من فضله. (٤: ٣١١١)

تَرَكْتُمُوهَا

تَأَقُّطَعْتُمْ مِنْ لِبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا
فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَلِخَيْرِي الْقَاسِمِينَ. الحشر: ٥

ابن عباس: فلم تقطعوها، يعني العجوة. (٤٦٤)

الزَّمَخْشَرِيُّ: لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى اللَّيْنَةِ. (٨١: ٤١)

نحوه الفخر الرازي (٢٩: ٢٨٣)، والتبضاوي (٢)

(٤٦٤)، وأبو السعود (٦: ٢٢٥).

الآلوسي: أي أبقصموها كما كانت، ولم تتعرضوا لها

بشيء ما. (٤٣: ٢٨)

نحوه المراغي. (٣٦: ٢٨)

تَرَكْتُ

١- إِنْ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. يوسف: ٢٧

ابن عباس: لم أتبع دين قوم. (١٩٧)

الطَّبْرِيُّ: وجاء الخبر مبتدأ، أي تركت ملة قوم.

والمعنى: ماملت. وإنما ابتداء بذلك، لأنَّ في الابتداء الدليل

على معناه.

وقوله: ﴿إِنْ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

يقول: إِنْ بَرَأْتُ مِنْ مِلَّةٍ مِنْ لَا يَصْدَقُ بِاللهِ، وَفَرَّ

بوحدة الله. (١٢: ٢١٧)

الساوَرْدِيُّ: وإنما عدل عن تأويل ماسألاه عنه، لما

كان فيه من الكرامة، وأخبر بترك ملة قوم لا يؤمنون،

تنبيها لهم على ثبوته، وحثا لهم على طاعة الله.

(٣٨: ٣)

الزَّمَخْشَرِيُّ: يجوز أن يكون كلاً ما مبتدأ، وأن

يكون تعليلاً لما قبله، أي علمني ذلك، وأوحى إلي، لأنِّي

رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين، وهي

الملة الخبيثة. (٢: ٣٢٠)

نحوه السَّيِّ. (٢: ٢٢٢)

ابن عطية: وقوله: (تَرَكْتُ) مع أَنَّهُ لم يَتَشَبَّه بها،

جائز صحيح، وذلك أَنَّهُ أخبر عن تحببه من أول

بالتَّرك. وساق لفظة «التَّرك» استجلاً لما عسى أن

يتوَكَّل التَّرك الحقيقي الذي هو بعد أخذ في الشيء، والقوم

المتروكة ملتهم: الملك وأتباعه. (٣: ٢٤٤)

الطَّبْرِيُّ: معناه أَنَّهُ لا يستحق هذه الرتبة

المخيرة إلا المؤمنون القاصون، وإنِّي تركت طريقة قوم

لا يقيمون لذلك خطي الله بهذه الكرامة. (٣: ٢٣٣)

الفخر الرازي: لقائل أن يقول: في قوله: ﴿إِنْ

تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ توهم أَنَّهُ كَانَ في

هذه الملة.

فنقول جوابه من وجوه:

الأول: أَنَّ التَّرك عبارة عن عدم التعرُّض للشيء،

وليس من شرطه أن يكون قد كان خائضاً فيه.

والثاني: وهو الأصح، أن يقال: إِنَّهُ كَانَ عبداً

لهم بحسب زعمهم واعتقادهم الفاسد، ولمَّه قبل ذلك

كان لا يظهر التوحيد والإيمان خوفاً منهم على سبيل

التقية. ثم إِنَّهُ أظهره في هذا الوقت، فكان هذا جارياً

بجرى ترك ملة أولئك الكفرة بحسب الظاهر.

(١٨: ١٣٧)

أبو حَيَّان: استئناف إخبار بما هو عليه، إذ كانا قد

أحباء وكثيلاً بحبه وبحسن أخلاقه، ليثلمها ما هو عليه من مخالفة قومها فيتبعاه. وفي الحديث لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم. [ثم قال نحو ما تقدم عن ابن عطية والزقششري] (٣٠٩:٥)

أبو الشعثود: «إني تركت بركة قوم لا يؤمنون بالله» وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال نسا من قوله: ذلكما مما علمني ربّي، وتعليلاً له لالتعليم الواقع بركة للموصول، لتأديته إلى معنى أنه مما علمني ربّي لهذا السبب دون غيره، ولأنهم الجملّة الخسرية، لأن ما ذكر بعده التعليل ليس بركة، لكون التأويل المذكور بعضاً مما علمه ربّه، أو لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه، فكانت قيل: لماذا علمك ذلك تلك المعلوم البديهة؟

ف قيل: لأنّي تركت ملة الكفرة، أي ذنبهم الكفر، اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان. والمراد بتركها: الامتناع عنها رأساً، كما يفسح عنه قوله: «مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ» يوسف: ٣٨، لتركها بعد ملابتها.

ولما عبر عنه بذلك، لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائها به ^{لله}، والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الإيمان به للتصريح على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بإيمان به تعالى، كما هو زعمهم الباطل، على ما مرّ في قوله تعالى: «إِنَّهُ قَتَلَ خَيْرَ صَالِحٍ» هود: ٤٦، (٣٩٤:٣)

نحوه البروسوي (٤: ٢٦٠)، والأكوسي (١٢: ٢٤١)، والمرغمي (١٢: ١٤٦).

طه الذرة: وجلة «تركك...» في محل رفع خير «إن»، والجملة الاسمية «إني...» مستأنفة وهي في محل نصب مقول القول. (٤٨٤:٦)

٢- لعلّ أعمل صالحاً فيسا تركت كلاً إنيها كلمة هو قائلها ومن ذراتهم يزرع إني يؤم يبعثون.

المؤمنون: ١٠٠

ابن عباس: «فيما تركت» في الذي تركت في الدنيا وكذبت به. (٢٩٠)

نحوه النسي.

البغوي: يعني ضيقت أن أقول: لا إله إلا الله. وقيل: أعمل بطاعة الله. (٣٧٤:٣)

الزقششري: في الإيمان الذي تركته، والمعنى: لعلّ

أني بما تركته من الإيمان وأعمل فيه صالحاً، كما تقول: لعلّ أبنّي على أس، تريد أؤسس أساً وأبنّي عليه. وقيل:

فيما تركت من المال. (٤٢:٣)

نحوه البضاوي (٢: ١١٤)، وأبوحيان (٦: ٤٢٦)، والأكوسي (١٨: ٦٤).

الطبرسي: أي في تركتي، والمعنى أودّي عنها حق الله تعالى.

وقيل: معناه في دنياي فإنه ترك الدنيا وصار إلى الآخرة.

وقيل: معناه أصمل صالحاً فيها فرطت وضيقت، أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي. (١١٧:٤)

نحوه الثغري (٢٣: ١٢٠)، والقرطبي (١٢: ١٥٠)، والحازن (٥: ٣٦)، والطباطبائي (١٥: ١٧).

مكارم القميرازي: ويرى البعض في قوله تعالى: ﴿فِيمَا تَرَكْتُمْ﴾ إشارة إلى أموال تركوها، لاستعمال تعبير «تَرَكْتُ المَيْت» بصورة اعتيادية.

وروي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يؤكد هذا المعنى إذ يقول: «مَنْ مَنَعَ قِيْرَاطًا مِنَ الزَّكَاةِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُسْلِمٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّ أَزْجِفُونَ﴾ لَقَلِّ أَعْمَلُ ضَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُمْ» المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

بينما يرى آخرون أن لها معنى أوسع، هو إشارة إلى جميع الأعمال الصالحة التي خلفها الإنسان، فيكون المعنى: ربنا! أزعجني لأعوض ما تركته من عمل صالح.

ولا يناقض الحديث السابق مع هذا التفسير الشامل وهو مصداق واضح له، صلياً بأن هؤلاء الأشخاص يندمون على ما فاتهم من فرص، لهذا يرغبون في الرجوع إلى الحياة، ليستفيدوا منها في العمل الصالح.

ويبدو أن التفسير الثاني أقرب إلى الصواب. وأن (وَلَقَلِّ) الواردة في جملة ﴿لَقَلِّ أَعْمَلُ ضَالِحًا﴾ يمكن أن تكون علامة على عدم اطمئنان هؤلاء المنحرفين من مستقبلهم، وأن الندامة نتيجة ظروف خاصة، تظهر حين موتهم، ولو عادوا إلى الدنيا لواصلوا أعمالهم ذاتها، وهذا هو عين الحقيقة. (٤٤٩: ١٠)

تَرَكْنَا

١- وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَؤْتِيْهِمْ سَوْجٌ فِي بَغْضٍ وَنَفْخٌ فِي الصُّوْرِ فَيَجْمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. (الكهف: ٩٩)
الطوسي: والتَّرك في الحقيقة لا يجوز على الله إلا أنه يُوسَّع فيه فيعبر به عن الإخلال بالشيء بالتَّرك. (٩٥: ٧)

نحوه الطبرسي.

الزُّمَخْشَرِي: وجعلنا. (٤٩٩: ٢)

القرطبي: الضمير في ﴿تَرَكْنَا﴾ لله تعالى، أي

تركنا الجن والإنس يوم القيامة، يوج بعضهم في بعض،

وقيل: تركنا بأجوج ومأجوج. (١١: ٦٥)

الطوسي: والتَّرك: بمعنى الجمل وهو من الأضداد،

والعطف على قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُ ذِكَاةً﴾ وفيه تحقيق

لضمونه، ولا يضرب في ذلك كونه محكيًا من ذي القرنين،

أي جعلنا بعض الخلائق. (١٦: ٤٣)

الطباطبائي: وقد بان مما مرَّ أن التَّرك في الآية

معناه المتبادر منه، وهو خلاف الأخذ، ولا موجب لما

ذكره بعضهم: أن التَّرك بمعنى الجمل، وهو من الأضداد.

(١٣: ٣٦٦)

٢- وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَقُولُونَ.

العنكبوت: ٣٥

ابن عباس: تركناها، يعني قريات لوط. (٣٢٥)

الطبرسي: ولقد أبقينا من فعلنا التي فعلنا بهم.

(٢٠: ١٤٩)

مثله المراجعي.

الطوسي: يعني من القرية. (٨: ٢٠٦)

مثله الزمخشري.

ابن عطية: أي من خبرها وما بقي من أثرها،

فلمن) لا ابتداء للغاية، ويصح أن تكون للتبويض، على

أن يريد ما ترك من بقايا بناء القرية ومنظرها. (٤: ٢١٦)

الطباطبائي: والتَّرك: الإبقاء، أي أبقينا. (٢٠: ١٢٦)

نحوه عِزَّة ذُرْوَذَة (٤: ٢٥٦)، والقاسمي (١٤: ٥٠٤٤).

الآلوسي: والمراد: أبقينا له دعاء الناس وتسلمهم عليه أمة بعد أمة.

وقيل: هذا سلام منه عز وجل لامن الآخرين، ومضول (تَرَكْنَا) محذوف، أي تركنا عليه الثناء الحسن وأبقينا له فيمن بعده إلى آخر الدهر. ونُسب هذا إلى ابن عباس ومجاهد وقناة والسدي. (٢٣: ٩٩)

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ الصافات: ١٠٨.

تَرَكْنَاهَا

ولقد تَرَكْنَاهَا أَيَّةً تَقُولُ مِنْ مَدْكِرٍ. القمر: ١٥

سبأ: ١٨: إِنَّ اللَّهَ حِينَ غَرَقَ الْأَرْضَ، جَعَلَتِ الْجِبَالَ تَسْمَعُ، فتواضع الجودي، لرفعه الله على الجبال، وجعل قرار السفينة عليه. (الطبري: ٢٧: ٩٥)

قناة: أبقاها الله سبحانه من أرض الجزيرة، عبرة وآية، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة نظراً، وكم من سفينة كانت بعدها قد صارت رماداً.

(الطبري: ٢٧: ٩٥)

ألقى الله سفينة نوح على الجودي، حتى أدركها أوائل هذه الأمة. (الطبري: ٢٧: ٩٥)

الغزالي: يقول: أبقيناها من بعد نوح آية. (٣: ١٠٧)

الطبري: يقول تعالى ذكره: ولقد تركنا السفينة التي فيها نوحاً ومن كان معه آية. (٢٧: ٩٥)

الزمخشري: الضمير في (تَرَكْنَاهَا) للسفينة أو

٢- وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. الصافات: ٧٨

ابن عباس: يقول: يُذَكَّرُ بخير. (الطبري: ٢٣: ٦٨)

يعني: ذكرًا جميلًا، وأبقينا عليه في أمة محمد ﷺ.

مثله مجاهد وقناة. (الطوسي: ٨: ٥٠٦)

نحوه الغزالي. (٢: ٣٨٧)

الإمام الباقر عليه السلام: تركت على نوح دولة الجبارين.

ويعز الله محمدًا ﷺ بذلك. (الغزالي: ٤: ٤٠٥)

مجاهد: جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم.

(الطبري: ٢٣: ٦٨)

السدي: الثناء الحسن. (الطبري: ٢٣: ٦٨)

الطبري: وأبقينا عليه، يعني على نوح ذكرًا جميلًا وتناء حسنًا. (٢٣: ٦٨)

الزجاج: أي تركنا عليه الذكر الجميل الذي يوم القيامة. وذلك الذكر قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ نُسَخِ فِيهِ﴾

الغالبين: الصافات: ٧٩.

المعنى: تركنا عليه في الآخرين أن يصلي عليه إلى يوم القيامة. (٤: ٣٠٨)

الطوسي: معنى (تَرَكْنَا) أبقينا. (٨: ٥٠٦)

البغوي: أي أبقينا له ثناء حسنًا وذكرًا جميلًا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة. (٤: ٣٤)

القرطبي: أي تركنا عليه هذه الكلمة باقية، يعني يستلمون عليه تسليمًا ويدعون له، وهو من الكلام الحكيم. كقوله تعالى: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾ التور: ١.

والقول الآخر أن يكون المعنى: وأبقينا عليه، وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ نُسَخِ فِيهِ﴾ الصافات: ٧٩.

أي سلامته من أن يُذكر بسوء (في الآخرين). (١٥: ٩٠)

مثله، أي جعلته، لما يتأ أنه من فرغ من أمر تركه وجعله، فذكر أحد الفعلين بدلاً عن الآخر. [إلى أن قال:]

قال هاهنا: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ وقال في العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾.

قلنا: هـا وإن كانا في المعنى واحداً - على ما تقدم بيانه - لكن لفظ «الترك» يدل على الجعل والفراغ بالإنجام، فكأنها هنا مذكورة بالتفصيل حيث بين الإطمار من الشفاء وتفجير الأرض، وذكر السفينة بقوله: ﴿ذَاتِ الْوُجُحِ وَدُشُرٍ﴾ وذكر جريها فقال: ﴿تَرَكْنَاهَا﴾ إشارة إلى تمام الفعل المقدور، وقال هناك: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ إشارة إلى بعض ذلك.

المجوسى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ أي السفينة (أيّة) يعتبر بها من نجى على خيرها. [ثم بحث في بقاء السفينة وكونها آية فراجع]

الطباطبائي: ضمير «تَرَكْنَاهَا» للسفينة على ما يفيد السياق، واللام للقسم، والمعنى: أقسم لقد أبقينا تلك السفينة التي نجينا بها نوحاً والذين معه، وجعلناها آية يعتبر بها من اعتبر، فهل من متذكر يتذكر بها وحدانيته تعالى وأن دعوة أنبيائه حق، وأن أخذه أليم شديد؟

ولازم هذا المعنى بقاء السفينة إلى حين نزول هذه الآيات علامة دالة على واقعة الطوفان مذكورة لها.

وفد قال بعضهم في تفسير الآية على ما نقل: أبقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة، انتهى.

للغة، أي جعلناها آية يُعتبر بها. (٣٨: ٤)

نحوه التسي (٢٠٣: ٤)، وأبو السعود (١٦٧: ٦). ابن عطية: والضمير في (تَرَكْنَاهَا) قال مكّي بن أبي طالب: وهو عائد على هذه الفعلة والقصة. وقال قتادة والنقاش وغيره: هو عائد على هذه السفينة، قالوا: وإن الله تعالى أرسلها على الجودي حين تناولت الجبال وتواضع، وهو جبل بالجزيرة بموضع يقال له: باقردي وأبقى خشبها هنالك حتى رأت بعضه أوائل هذه الأمة. (١٢١٥: ٥)

نحوه الأوسي، الطبرسي: أي تركنا هذه الفعلة التي فعلناها (أيّة)، علامة يُعتبر بها. [ثم نقل بعض أقوال السابقين] (١٨٩: ٥)

نحوه البقوي (٣٢٣: ٤)، وابن الجوزي (٩٤: ٨)، والخازن (٢٢٨: ٦)، والشريبي (١٤٦: ٤). القمرازي: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ وفي الصائد

إليه الضمير وجهان:

أحدهما: عائد إلى مذكور وهو السفينة التي فيها ألواح، وعلى هذا فبقي وجهان:

أحدهما: ترك الله عينها مدة حتى رؤيت وحُلِمت، وكانت على الجودي بالجزيرة، وقيل: بأرض الهند.

وثانيهما: ترك مثلها في الناس يُذكر.

وثاني الوجهين الأولين: أنه عائد إلى معلوم، أي تركنا السفينة آية.

والأول أظهر، وعلى هذا الوجه، يحتمل أن يقال: ﴿تَرَكْنَاهَا﴾ أي جعلناها آية، لأنها بعد الفراغ منها صارت متروكة ومجمولة. يقول القائل: تركت فلاناً

وقد أوردنا في تفسير سورة «هود» - في آخر الأبحاث حول قصة نوح - خبراً أنهم عثروا في بعض قُلل جبل آراراط وهو الجودي قطعاً أخشاب من سفينة متلاشية وقعت هنالك، فراجع.

وقيل: ضمير «تَرْكُهَا» لما مر من القصة بما أنها فضلة.

نحوه مكارم الشيرازي.

تَرْكُهُ

...إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضِى الْقَضَىٰ لَهُمْ لَا يَتَفَكَّرُونَ.

الأعراف: ١٧٦

راجع «ل هـ»

أَنْ يُتْرَكُوا

أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آتَيْنَا بِهِمْ لَافِتُونَ.

العنكبوت: ٢

ابن عباس: أن يُهَلَّوْا بعد محمد ﷺ.

(٣٢٢)

الفراء: «يُتْرَكُوا» يقع فيها لام المنفص، فإذا زعمتها منها كانت منصوبة. وقلنا يقولون: تركتك أن تذهب، إنما يقولون: تركتك تذهب ولكنها جعلت مكثفة بوقوعها على الناس وحدهم. وإن جعلت (حَسِبَ) مكرورة عليها كان صواباً، كأنَّ المعنى: أحسب الناس أن يُتْرَكُوا، أحسبوا «أَنْ يَقُولُوا آتَيْنَا بِهِمْ لَافِتُونَ».

(٣١٤: ٢)

نحوه أبوالبقاء.

(١٠٢٩: ٢)

الطبري: أن تُتْرَكُوا بغير اختبار، ولا ابتلاء امتحان، بأن قالوا: آمنا بك يا محمد. [ثم قال نحو ما تقدم عن الفراء وأضاف:]

وأما على قول غيره فهي في موضع خفض بإضمار الخافض، ولا تكاد العرب تقول: تركت فلاناً أن يذهب، فتدخل (أَنْ) في الكلام، وإنما تقول: تركته يذهب.

وإنما أدخلت (أَنْ) هاهنا لاكتفاء الكلام بقوله: «أَنْ يُتْرَكُوا» إذ كان معناه: أحسب الناس أن يُتْرَكُوا وهم لا يفتنون، من أجل أن يقولوا آمنا، فكان قوله: «أَنْ يُتْرَكُوا» مكثفة بوقوعها على الناس، دون أخيارهم. وإن جعلت (أَنْ) في قوله: «أَنْ يَقُولُوا» منصوبة تكريراً (أَحْسِبَ) كان جائزاً، فيكون معنى الكلام: أحسب الناس أن يُتْرَكُوا، أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون.

(١٢٨: ٢٠)

نحوه الزجاج.

(١٥٩: ٤)

البيهقي: (أَنْ يُتْرَكُوا) بغير اختبار ولا ابتلاء.

(٥٤٩: ٣)

مثله الخازن.

(١٥٥: ٥)

الزمخشري: إن قلت: فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية؟ قلت: هو في قوله: «أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آتَيْنَا بِهِمْ لَافِتُونَ» وذلك أن تقديره: أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم (آمنا) فالترك أول مفعولي (حَسِبَ) ولقولهم: (آمنا) هو الخبر، وإنما غير مفتونين فتنة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله:

* فتركته جزر السباع يشنه *

ألا ترى أنك قبل الجيء بالحسبان تقدر أن تقول: تركهم غير مفتولين لقولهم: (أَمَّا) على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام. فإن قلت: (أَنْ يَقُولُوا) هو علة تركهم غير مفتولين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت: كما تقول خروجه لخافة الشر وضربه للتأديب، وقد كان التأديب والخافة في قولك: خرجت مخافة الشر وضربه تأديباً تعليلين، وتقول أيضاً: حبت خروجه لخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلها مفعولين كما جعلتها مبتدأ وخبر. (٣: ١٩٥)

ابن عطية: (أَنْ) نصب بلا حسيب) وهي والجملة التي بعدها نداء مفعولي (حسيب). و(أَنْ) الثانية في موضع نصب على تقدير إسقاط حرف المنفص، تقديره: (بأن يقولوا).

ويحتمل أن يقدر (لأن يقولوا)، والمعنى في الباء واللام مختلف، وذلك أنه في الباء كما تقول: تركت زيدا بحاله، وهي في اللام بمعنى من أجل أن حسيباً أن إيمانهم علة للترك. (٤: ٣٠٥)

الطبرسي: [ذكر قول الزجاج ثم أضاف:]

قال أبو علي: أما ما ذكره^(١) من أنه [أن يقولوا] نصب بلا يتركوا فإنه بين السقوط، لأن «ترك» فعل يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا بُني للمفعول لم يستد إلى آخر، فلأن يقولوا لا يعلّق به ولا يتعدى إليه حتى يقدر حرف، ثم يقدر المحذوف فيصل الفعل.

وأما ما ذكره من انتصابه بلا حسيب) فلا يخلو إذا قدر انتصابه به من أن يكون مفعولاً أولاً أو ثانياً أو صفة أو

بدلاً، فلا يكون مفعولاً أولاً لتعديده إلى المفعول الذي قبله وهو «الترك»، ولا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً من وجهين: أحدهما: أن باب «ظننت وأخواته» إذا تعدى إلى هذا الضرب من المفعول لم يتمد إلى مفعول ثانٍ ظاهر في اللفظ، والآخر: أن المفعول الثاني هو الأول في المعنى، وليس القول «الترك» ولا يكون أيضاً بدلاً، لأنه ليس الأول ولا يعضه ولا منتملاً عليه، ولا يكون أيضاً صفة لأن (أن) الثانية لا حسيب) وصله فيها لا يخلو بما ذكرناه، فإذا لم يستقم عمله على شيء مما ذكرناه تبين موضع إغفاله في المسألة.

وأقول وبالله التوفيق: إن «البدل» هنا صحيح، فإنه إذا قال: أحسبوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتشون، وقوله: «وهم لا يفتشون» جملة في موضع الحال، فكأنه قال: أحسبوا أنهم لا يفتشون الإيمان خير مختبرين محتجين بمشاق التكليف، فيكون التقدير في معنى الآية: أحسبوا أن يتركوا، أحسبوا أن يمتلوا، ولا شك أن الإجمال في معنى الترك، فيكون الثاني في معنى الأول بعينه.

وأما الوجه الأول فإنك لو قدرت «اللام» فقلت: لأن يقولوا: أو «الباء» فقلت: بأن يقولوا، فلا شك أن الحرف يمتلئ بلا يتركوا فإن الجار والجرور في موضع نصب. فساهل الزجاج في العبارة عن الجرور بأنه منصوب. (٤: ٢٧١)

الفخر الرازي: في التفسير، قوله: «أحسب الناس أن يتركوا» يعني أظنوا أنهم يتركون بمجرد قولهم: «أَمَّا وَهُمْ لَا يَفْتَشُونَ»: لا يبتلون بالفرائض البدنية

والمالئة.

واختلف أئمة النحو في قوله: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾. فقال بعضهم: أن يُتركوا بأن يقولوا، وقال بعضهم: أن يُتركوا يقولون آمناً.

ومقتضى ظاهر هذا أنهم يُؤمنون من قولهم: (آمناً) كما يُفهم من قول القائل: تظن أنك تُترك أن تضرب زيداً، أي تُنزع من ذلك.

وهذا بعيد فإن الله لا يمنع أحداً من أن يقول: آمنت، ولكن مراد هذا المفسر هو أنهم لا يُتركون يقولون: آمناً من غير ابتلاء، فيؤمنون من هذا الجموع بإيجاب الفرائض عليهم.

نحوه الشريبي (٣: ١٢٤)، والبروسوي (٦: ٤٤٤).

أبو حيان: [ذكر كلام الزحشري وأضاف:]

وهو كلام فيه اضطراب، ذكر أولاً أن تقديره: ﴿يُتْرَكُونَ﴾ مفتونين، تنمة، يعني أنه حال لأنه سبب ذلك من قوله: (وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) وهذه جملة حالية ثم ذكر (أَنْ يُتْرَكُوا) هنا من الترك الذي هو من التصيير. وهذا لا يصح، لأن مفعول «صير» الثاني لا يستقيم أن يكون لقولهم: إذ يصير التقدير:

أن يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون، وهذا كلام لا يصح.

وأما ما مثل به من البيت فإنه يصح وأن يكون «جزر السباع» مفعولاً ثانياً «له ترك» بمعنى صير، بخلاف ما قدر في الآية.

وأما تقديره: تركهم غير مفتونين لقولهم: (آمناً) على تقدير: حاصل ومستقر قبل اللام، فلا يصح، إذ كان

تركهم بمعنى تصييرهم، كان «غير مفتونين» حالاً، إذ لا يستقد من تركهم بمعنى تصييرهم، وتقولهم مبتدأ وخبر، لا يحتاج تركهم - بمعنى تصييرهم - إلى مفعول ثان، لأن «غير مفتونين» عنده حال لا مفعول ثان.

وأما قوله: «فإن قلت: (أَنْ يَقُولُوا) إلى آخره» فيحتاج إلى فضلة «فهم» وذلك أن قوله: (أَنْ يَقُولُوا) هو علة تركهم، فليس كذلك لأنه لو كان علة له لكان متعلقاً كما يتعلق بالفعل، ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن، والخبر غير المبتدأ. ولو كان لقولهم علة للترك لكان من تمامه، فكان يحتاج إلى خبر. وأما قوله: كما تقول: «خروجه لحافة الشر»

فلمخافة ليس علة للخروج بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن.

الآن في الاستفهام للإنكار، والمسبان مصدر كالغفران، مما يتعلق بمضامين الجمل، لأنه من الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر، وذلك للدلالة على وجه ثبوتها في الذهن أو في الخارج، من كونها مظلونة أو متيقنة، فتقتضي مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، أو ما يستدسدها، وقد استدسدها هنا على ما قاله الحوفي وابن خطبة وأبو البقاء، قوله تعالى: ﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾ وسد (أن) المصدرية الناصبة للفعل مع مدخولها مسد الجزأين مما قاله ابن مالك، ونقله عنه الدماميني في «شرح التسهيل». وزعم بعضهم أن ذلك إنما هو في أن المفتوحة مسددة ومثقلة مع مدخولها، و«الترك» هنا على ما ذكره الزحشري بمعنى «التصيير» المستعدي لمفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿تُرَكُّهُمْ فِي فُسْلَاتٍ

لَا يَتَّبِعُونَ».

ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الأنفس والأموال، ليمتد الخلق من المناق والمناق في الدين من المتزلزل فيه، فيعائل كل بما يقتضيه، ويحاربهم سبحانه بحسب مراتب أعمالهم، فإن مجرد الإيمان - وإن كان عن خلوص - لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار.

فضمير الجمع نائب مفعول أول، والمفعول الثاني متروك بدلالة الحال الآتية، أي كما هم أو على ما هم عليه، كما في قوله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَسَا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا التَّوْبَةَ: ١٦، على ما قدره الزمخشري فيه.

أَنْ تُتْرَكُوا

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَسَا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ: ١٦ التوبة: ١٦

وقوله سبحانه: «أَنْ يُتْرَكُوا» بمعنى لأن يقولوا، متعلق بـ (يُتْرَكُوا) على أنه غير مستقر، وقوله تعالى: «وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» في موضع الحال من ضمير (يُتْرَكُوا).

ويجوز أن لا يعتبر كون المفعول الثاني لا يُتْرَكُوا متروكاً بل تجعل هذه الجملة الحالية سادة مسددة، لا تترك أثرك لو قلت: علمت ضربي زيداً قائماً، صح، على قول «تركه» ليس كأفعال القلوب في جميع الأحكام، بل القياس أن يجوز الاكتفاء فيه بالحال من غير نظر إلى أنه قائم مقام الثاني، لأن قولك: «تركته وهو جازر الشباع» كلام صحيح، كما تقول: «أقيته على هذه الحالة» وهو ظير سمعته يتحدث، في أنه يتم بالحال بعده أو الوصف، وهاتنا زاد أنه يتم أيضاً بما يجري مجرى الخبر.

ابن عباس: أن شهتوا وأن لا تؤثروا بالجهاد. (١٥٤)

نحو البروسوي (٣: ٣٩٥)، والأكوسي (١٠: ٦٣). ابن زيد: أن يدعهم دون التمتع.

(الطبري: ١٠: ٩٢)

الطبري: أم حسبتم أنها المسلمون أن يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها، وبغير اختبار يفتنكم به، فيعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه. (١٠: ٩٢)

نحو القرطبي (٨: ٨٨)، وحيد المنعم الجبال (٢: ١٢٠)، وطه الدرة (٥: ٣٢٦).

وجوز أن تكون هذه الجملة هي المفعول الثاني لاسادة مسددة، وتوسط الواو بين المفعولين جائز. [أن قال:]

القيسي: قوله تعالى: «أَنْ تُتْرَكُوا»، (أَنْ) في موضع نصب بلاحيث، وتسد مسد المفعولين لـ (حسبت) عند سيويه. وقال المبرد: هي مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف.

(١: ٣٥٨)

الطوسي: معنى «تركه» هو ضد، ينافي الفعل

ولعل الأبعد عن التكلف ما ذكرناه أولاً، والمراد إنكار حسبانهم أن يُتركوا غير صفتين، بمجرد أن يقولوا: (أَمْ) واستبعاد له، وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والجاهدة ورفض الشهوات

المبتدأ في محل الفدرة عليه. ويُستعمل بمعنى ألا يفعل.
كقوله: ﴿وَتَرْكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة:
١٧. (٥: ٢١٨)

البغوي: قيل: هذا خطاب للمنافقين. وقيل:
للمؤمنين الذين شق عليهم القتال. فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ
أَنْ تُتْرَكُوا﴾ فلا تُؤمروا بالجهاد ولا تُمتحنوا. ليظهر
الصادق من الكاذب. (٣: ٥٤)

نحوه أبو السعود.
الطبرسي: من دون أن تكلفوا الجهاد في سبيل الله
مع الإخلاص. (٣: ١٢)

آمنين من حذاب يوم عظيم. فالاستفهام مثله في قوله
تعالى السابق: (أَتَيْتُونَ) وقوله تعالى اللاحق: (أَتَأْتُونَ).
وكان القوم اعتقدوا ذلك فأتكروا عليه.

وجوز أن يكون الاستفهام للتفريغ، تذكيراً للنعمة
في تخليته تعالى إياهم وأسباب نفعهم، آمنين من العدو
ونحوه، واستدعاء لشكر ذلك بالإيمان.

وفي «الكشف» أن هذا أوفق في هذا المقام. و(ما)
موصولة، و(ههنا) إشارة إلى المكان الحاضر القريب، أي
أتركون في الذي استقر في مكانكم هذا من النعمة.
(١٩: ١١٢)

الطباطبائي: والممنى: لا تتركون في هذه النعم التي
أعطيت بكم في أرضكم هذه وأنتم مطلقو العنان.
المتطاولون عما تعملون، آمنون من أي مواخذه إلهية.
(١٥: ٣٠٥)

تَارِكُ

فَلَقُلْكَ تَارِكُ بَعْضِ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَهُ مُلْكٌ...
هود: ١٢

الطبرسي: فقل لك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك
ربك أن تُبلغه من أمرك بتبليغه ذلك. (١٢: ٨)
نحوه البغوي. (٣: ١٨٠)

الطوسي: هذا خطاب من الله تعالى لبيده عليه السلام،
يحثه على أداء جميع ما بهت به وأوحى إليه، وينهاه عن
كتمان، ويشجعه على الأداء. ويقول له: لا يكون لعظم
ما يرد على قلبك ويضيق به صدرك من حفظهم يومنون

أَتَتْرَكُونَ

أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هُنَا أَمِينٌ.
الشرع: ٢٤٦
الزمخشري: يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا
مخلفين في نعيمهم لا يزالون عنه. وأن يكون تذكيراً
بالنعم في تخليته الله إياهم وما يتمتعون فيه من الجنات
وغير ذلك، مع الأمن والدعة. (٣: ١٢٢)

ابن عطية: تخويف لهم، بمعنى أطمعون أن نفرؤا
في النعم على معاصيكم. (٤: ٢٣٩)

الطبرسي: معناه أظنون أنكم تتركون فيما أعطاكم
الله من الخير في هذه الدنيا، آمنين من الموت والعذاب،
وهذا إخبار بأن ما هم فيه من النعم لا يبقى عليهم وإنما
ستزول عنهم، ثم عده نعمهم التي كانوا فيها. (٤: ١٩٩)

نحوه الفخر الرازي (٢٤: ١٥٩)، والقمرطبي (١٣: ١٢٧)،
والبروسوي (٦: ٢٩٧)، والمراغي (١٩: ٩١).
الطوسي: إنكار لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة.

عليك أنهم يزيلونك عن بعض ماأنت عليه من أمر ربك، وأنتك تترك بعض الوحي ويضيق به صدرك، عفاة أن يقولوا، أو ثلثا يقولوا. (٥: ٥٢٣)

الْمُشْكِرِينَ: أي لعنك تترك أن تلقى إليهم وتبلغهم إياهم، عفاة ردهم وتهاونهم به. (٢: ٢٦١)

الْفَخْرُ الرَّازِي: أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول عليه الصلاة والسلام أن يخون في الوحي والتزويل وأن يترك بعض ما يوحى إليه، لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف، وذلك يقدح في النبوة، وأيضا فالمقصود من «الرسالة» تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه، فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تعد فائدتها المطلوبة منها، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ شيئا آخر، سوى أنه ترك فعل ذلك.

وللتأس فيه وجوه:

الأول: لا يمتنع أن يكون في معلوم الله تعالى أنه إنما يترك التقصير في أداء الوحي والتزويل، لسبب يرد عليه من الله تعالى، أمثال هذه التهديدات^(١) البليغة.

الثاني: أنهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويستهاونون به، فكان يضيق صدر الرسول ﷺ أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فلهتجه الله تعالى لأداء الرسالة، وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات إلى استهزائهم. والفرض منه التنبيه على أنه إن أدى ذلك الوحي وقع في سخرتهم وسفاهتهم، وإن لم يؤد ذلك الوحي إليهم وقع في ترك وحي الله تعالى وفي

إيقاع الخيانة فيه.

فإذا لابد من تحمل أحد الضعفين، وتحمل سفاهتهم أسهل من تحمل إيقاع الخيانة في وحي الله تعالى. والفرض من ذكر هذا الكلام التنبيه على هذه الدققة، لأن الإنسان إذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك يشتمل على ضرر عظيم، ثم علم أن الضرر في جانب الترك أعظم وأقوى، سهل عليه ذلك الفعل وخف، فالمقصود من ذكر هذا الكلام ما ذكرناه.

فإن قيل: قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ كلمة شك فالفائدة فيها؟ قلنا: المراد منه الزجر، والعرب تقول للرجل إذا لم يعمل ما أمره: لعنك تقدر أن تفعل كذا، مع أنه لا شك فيه، ويقول لولده لو أمره: لعنك تقصر فيما أمرتك به، وتترك تركه. فعناء لا تترك. (١٧: ١٩٣) (١٢: ١٠)

الْقُرْطُبِيُّ: أي لعنك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تنوهم أنهم يزيلونك عن بعض ماأنت عليه. وقيل: إنهم لما قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكَ﴾ هم أن يدع سب آهتهم فزلت هذه الآية، فالكلام معناه الاستفهام، أي هل أنت تارك ما فيه سب آهتهم كما سألتك؟ وتأكد عليه الأمر في الإيلاج، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧.

وقيل: معنى الكلام الثاني مع استبعاد أي لا يكون منك ذلك، بل يبلغهم كل ما أنزل إليك؛ وذلك أن مشركي مكة قالوا للنبى ﷺ: لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آهتنا

لائبئناك، فهم النبي ﷺ أن يدع سب آلهتهم فنزلت.

(١٢: ٩)

البَيْضَاوِيُّ: ترك تليغ بعض ما يوحى إليك، وهو ما يخالف رأي المشركين، مخافة ردّهم واستهزائهم به، ولا يلزم من توقّع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه، لجواز أن يكون ما يصرف عنه، وهو عصمة الرّسل من الخيانة في الوحي، والثّقة في التليغ. (١: ٤٦٣)

البُرُوسَوِيُّ: (القل) إما للترجي، ومعناه توقّع أمر مرجو لا ونوق بمصولة، كقوله تعالى: ﴿لَقُلُوكُمْ تَقْلُحُونَ﴾ البقرة: ١٨٩، وإما للإشفاق وهو توقّع أمر مخوف، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَشَاقَ قَرِيبٌ﴾ الشورى: ١٧، والرجاء والإشفاق يتعلّقان بالمخاطبين دون الله سبحانه.

والمراد هنا: إما الأوّل فالمعنى اعظم ما يرد على قلبك من تخليطهم، تنوّههم أنهم يُزِيلُونَكَ عَنْ مَحْضِ سَائِلَتِكَ عليه من تليغ ما أوحى إليك، ولا يلزم من توقّع الشيء وجود ما يدعو إليه، ووقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرّسل من الخيانة في الوحي، والثّقة في التليغ هاهنا.

وإما الثاني فالمعنى اشيق على نفسك أن تترك تليغ ما يوحى إليك، وهو ما يخالف رأي المشركين، مخافة ردّهم له واستهزائهم، وهو أوجه من الأوّل، كما في «بحر العلوم» للشمس قندي.

الْأَلُوسِيُّ: أي ترك تليغ بعض ما يوحى إليك، وهو ما يخالف رأي المشركين، مخافة ردّهم واستهزائهم به.

فاسم الفاعل للمستقبل ولذا حمل، (والقل)

للتّرجي وهو يقتضي التّوقع، ولا يلزم من توقّع الشيء وقوعه، ولا ترجح وقوعه، لجواز أن يوجد ما يمنع منه، فلا يشكّل بأن توقّع ترك التليغ منه ﷺ مما لا يليق بمقام النبوة، والمانع من ذلك فيه عليه الصلاة والسلام حصته، كآثر الرّسل الكرام ﷺ - عن كتم الوحي المأمور بتليغه، والخيانة فيه وتركه تقيّة.

والمقصود من ذلك تحريضه ﷺ وتهيج داعيته لأداء الرّسالة، ويقال نحو ذلك في كل توقّع نظير هذا التّوقع. وقيل: إن التّوقع تارة يكون للمتكلّم وهو الأصل، لأنّ المعاني الإنشائية فاشقة به، وتارة للمخاطب، وأخرى لغيره ممن له تعلّق وملازمة به.

ويحتمل أن يراد هنا هذا الأخير، ويجعل التّوقع الإنكار، والمعنى أنك بلغ بك الجهد في تليغهم ما أوحى إليك أنهم يتوقعون منك ترك التليغ لبعثه.

وقيل: إن (القل) هنا ليست للترجي بل هي للتّجديد، وقد تُسمّع لذلك، كما تقول العرب: لعلّك تفعل كذا لمن لا يقدر عليه، فالمعنى لا تترك.

وقيل: إنها للاستهزاء الإنكاري كما في الحديث: «لعلنا أجهلناك»، واختار السمين وغيره كونها للترجي بالنسبة إلى المخاطب، على ما علمت آنفاً.

ولا يجوز أن يكون المعنى: كأني بك ستترك بعض ما أوحى إليك مما شئت عليك بإذني ووحى مقي، وهو أن يرخّص لك فيه كأمر الواحد بمقاومة عشرة، إذ أمروا بمقاومة الواحد لاثنتين وغير ذلك من التخفيفات، لأنّه وإن زال به الإشكال، إلا أن قوله تعالى بعد: (أَنْ يَقُولُوا) بأباه.

نعم، قيل: لو أريد ترك الجدل بالقرآن إلى الجدل والضرب والطعان - لأن هذه السورة مكية نازلة قبل الأمر بالقتال - صح، لكن في «الكشف» بعد كلام: اعلم لو أخذت التأمل لاستبان لك أن مبنى هذه السورة الكريمة على إرشاده - تعالى كبرياؤه - نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى كيفية الدعوة من مفتحتها إلى ختمها، وإلى ما يعترى لمن تصدى هذه الرتبة السنية من الشدائد واحتماله، لما يترتب عليه في الدارين من العوائد، لأعلى التسلي له عليه الصلاة والسلام، فبأنه لا يطابق المقام.

وانظر إلى الخاتمة الجامعة، أعني قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَزِجُ الْآمِرَ كُلَّهُ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ هود: ١٢٣، تقض العجب، وهو بعد هذه الإرادة إن قلنا إن ذلك من باب التخصيف المؤذن بالتسلي، فتأمل. (١٢: ١٨)

رشيد رضا: المتبادر إلى الفهم من جملة (تسلي) بحسب موقعها هنا الاستفهام الإنكاري، المراد به النبي أو النبي، أي أفنارك أنت أنها الرسول بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعه على المشركين، من الأمر بالترعيد والنهي عن الشرك والإبتدال والوعيد الشديد لهم والنهي عليهم، وضائق به صدرك أن تبلفهم إياه كله، كما أنزل كراهة ﴿أَنْ يَكُونُوا أُولَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَثْرًا﴾. (٢٩: ١٢) الطيبا طيباني: لما كانت رسالة النبي ﷺ بما أيدت به من القرآن الكريم والآيات البينات والمحجج والبراهين - مما لا يسع لذي عقل إنكارها ولا لإنسان صحيح المشاعر ردها والكفر بها - كان ماحكى من كفر

الكاافرين وإنكار المشركين أمرا مستبعدا بحسب الطبع. وإذا كان وقوع أمر على صفة من الصفات مستبعدا أخذ الإنسان في تقرير ذلك الأمر من غير مجرى الاستبعاد، طلبا للمخرج من نسبة الوقوع إلى ما يستبعد الطبع.

ولما كان المقام في الآية الكريمة هذا المقام، وكان ماحكاه الله سبحانه من كفر المنكرين وإنكار المشركين لما جاء به النبي ﷺ إليهم من الحق الصريح، وما أنزل إليه من كلام الله تعالى مع ما يثقله من البينات والمحجج، مما لا ينبغي أن يدعى به لبعده طبعيا، بين تعالى لذلك وجهها بعد وجه على سبيل الترجي، فقال: ﴿فَلَقُلْ لَهُمْ أَنْزَلَ مَا يُوحِي إِلَيْكَ﴾ الخ. هود: ١٢٣

فكأنه قيل: من المستبعد أن تهديهم إلى الحق الواضح ومهجروا منك كلامي، ثم لا يستجيبوا دعوتك، ويكفروا بالحق بعد وضوحه، فليملك تارك بعض ما يوحى إليك وغير داعيهم إليه، ولذلك جسيهوك بالإنكار، أم يقولون: إن القرآن ليس من كلام الله بل هو افتراء افتريته على الله، ولذلك لم يؤمنوا به. فإن كنت تركت بعض الوحي خوفا من اقتراحهم عليك الآيات، فإنما أنت نذير وليس لك إلا ما شاء الله، وأن يقولوا: افتراء، فقل لهم: يأتوا بعشر سور مثله مفتريات... الخ.

ومما تقدم يظهر أن إيراد الكلام مورد الترجي والاحتمال، رعاية ما يقتضيه المقام من طبع الاستبعاد، فالمقام مقام الاستبعاد، ومقتضاه ذكر كل سبب محتمل التأثير في الحادثة المستبعدة.

اعتبر ذلك في ملك ينتهي إليه تردد بعض ضعفاء

رعيته، فيبحث بعض علماء إلى دعوتهم إلى التسمع والطاعة، ويكتب في ذلك كتاباً يأمره أن يقرأه عليهم، ويلومهم على تمردهم واستكبارهم، على ما به من الضعف والذلة ولولاهم من القوة والسطوة والمرة، ثم يبلغ الملك أنهم زدوا على رسوله ما بهنهم من قبله، ويكتب إليه كتاباً ثانياً يأمره بقراءته عليهم وإذا فيه: لعلك لم تقرأ كتابي عليهم، مخافة أن يقترحوا عليك بما لا تقدر عليه، أو أنهم زعموا أن الكتاب ليس من قبلي وإنما افترسته عليّ افتراء. فإن كان الأول فإنك رسول ليس عليك إلا البلاغ، وإن كان الثاني فإن الكتاب بخطي كتبه يدي، وخشيت عليه بخاتي، ولا يقدر أحد غيري أن يقتلني في ذلك.

والتأمل في هذا المثال يعطي أن المقام فيما يتضمنه الكتاب الثاني من الخطاب مقام الاستبعاد، ولأن القصد من ذكر الاحتمالين ترك الإبلاغ. وزعم الافتراء ليس هو توبيخ الرسول جداً أو احتمال زعمهم الكذب والفسرية جداً، وإنما ذكر الوجهان لداعي أن يكونا كالمقدمة لذكر ما يزول به الشبهة، وهو أن الرسول ليس له من الأمر شيء حتى يقترح عليه بما يقترح، وأن الكتاب للملك ليس فيه ريب ولا شك.

ومن هنا يظهر أن قوله تعالى: ﴿فَلَقَدْ تَارَكُ﴾ ليس يفيد الترجي الجسدي ولا مسوقاً لتوبيخ النبي ﷺ، ولا مراداً به تسليته وتطيب نفسه، إثر ما كان يناله من الحزن والأسى بكفرهم وجحودهم، لما أتى به من الحق الصريح، بل الكلام مسوق ليتوصل به إلى ذكر قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ هود: ١٢.

لما ذكره بعض المفتريين أن الكلام سرود لنبي النبي ﷺ عن الحزن وضيق الصدر، وبما كانوا يواجهونه به من الكفر والجحود، والنبي نهى تسليته وتطيب للنفس، ظهير ما في قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ النحل: ١٢٧، وقوله: ﴿لَسْخَلَكَ بِأَجْعٍ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ إِنَّ شَأْنًا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ الشعراء: ٤، ٢، كلام ليس في محله.

ويظهر أيضاً أن قوله: ﴿فَلَقَدْ تَارَكُ﴾ إلخ، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيهَ﴾ هود: ١٣، إلخ، كشق الترييد، ويتصلان معاً بما قبلها من وجه واحد، كما ذكرناه.

وقوله: ﴿تَارَكُ بَعْضُ مَا يُوْخِي إِلَيْكَ﴾ إنما ذكر «البعض» لأن الآيات السابقة متضمنة لتبليغ الوحي في المحلة، أي لعلك تركت بعض ما أوحينا إليك من القرآن، لما تلوته عليهم فلم ينكشف لهم الحق كل الانكشاف، حتى لا يجبهوك بما جبهوك به من الرد والجحود؛ وذلك أن القرآن بعضه يوضح بعضاً، وشطر منه يقرب شطرًا منه من القبول، كآيات الاحتجاج توضح الآيات المشتملة على الدعاوي، وآيات الثواب والعقاب تقرب الحق من القبول بالتطمين والتخويف، وآيات القصص والعبر تستميل النفوس، وتلين القلوب.

وقوله: ﴿وَضَائِقُ بِهِ ضِدُّكَ أَنْ يَقُولُوا...﴾ إلخ، قال في «المجمع»: ضائق وضيق بمعنى واحد، إلا أن ضائق هاهنا أحسن لوجهين: أحدهما: أنه عارض، والآخر: أنه أشكل بقوله: ﴿تَارَكُ﴾، انتهى. (١٥٨: ١٠)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التَّرَكَّة: بيضة النعامة المفردة، والجمع: تَرَكَ، وشُبِّهت بها بيضة الحديد للرَّأس، وفي حديث الخليل أنه «جاء إلى مكة يطالع تَرَكَتَهُ»، يريد به ولده إسماعيل وأمه هاجر، تشبيهاً بتركة النعامة.

ثم توسع فيه واستعمل في كل ما يدعه الناس ويحلونه، وصفاً لفعل النعامة عند قيامها عن التركة، فالتركة: الضفد إذا أكل ما عليه، واليدى إذا نفض فلم يبق فيه شيء، وهو التريكة أيضاً، وجسمها: تريك وثرالك. والتريكة أيضاً: الزوضة التي ينفلها الناس فلا يبرهنها، وهي المرأة التي يفل خطابها، يقال: تريك الرجل، أي تزوج التريكة.

ومنه: تَرَكَ الشيء: يتركه تركاً، أي ودعه وتركه وأثره: خلا، يقال: ماترك، أي ماترك شيئاً، وتاركته البع متاركة: خلته، وثرالك: اسم لفعل الأمر.

٢- وليست مشتقة منها: «الترك»: وهي أنة قديمة تُنسب إلى يافث بن نوح، كما اتفق عليه أكثر المؤرخين، وكانت تقطن آسيا الوسطى، ثم تغرقت في إيران وغوردم وخناري وأفغانستان وروسيا والصين وملاذ الأناضول والعراق. وأقامت دول عديدة كدولتي الأتراك السلاجقة في إيران والأتراك العثمانيين في الأناضول. وكان اليونانيون يطلقون على الترك اسم «تيران»، ومعناه عندهم طاغية أو عاتٍ، والبيزنطيون يسمونهم الفرس خطأ، إذ لم يكن بين الترك والفرس قرابة أو شجيرة رحم.

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة الفعل الماضي (٢٩) مرة، والمضارع (٦) مرات، والأمر مرة، والوصف (٣) مرات، في (٣٧) آية في أربعة محاور:

ألف: ما يترك إرثاً:

١- ﴿وَقَالَ هُمْ نَسِيتُمْ إِن آيَةً مِنْكُمْ أَن بَسَّيْتُمْ التَّابُوتَ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ...﴾ البقرة: ٢٤٨

٢- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا ضَعِفَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ أَن تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالسُّخْرِي حَقًّا عَلَى الْمُسْتَمِينِ﴾ البقرة: ١٨٠

٣- ﴿لِلزَّوْجَيْنِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَحَبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء: ٧

٤- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثَىٰ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِلَّذِينَ هُنَّ لِأُولَئِكَ مِنْهُنَّ شُرُكٌ مِّمَّا تَرَكَ إِذَا ضَعِفَ أَحَدُهُنَّ وَلَهُنَّ النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَتْ نِسَاءً وَاحِدَةً وَلَهُنَّ النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَتْ نِسَاءً وَاحِدَةً وَلَهُنَّ النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَتْ نِسَاءً وَاحِدَةً وَلَهُنَّ النِّصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَتْ نِسَاءً وَاحِدَةً...﴾ النساء: ١١، ١٢

٥- ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْكُمْ فَاتُوهُمْ نَحَبًا مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾ النساء: ١١، ١٢

الله تَكَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿النساء: ٢٢﴾

٧- ﴿يَسْتَعْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّكْلَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ بِضْعُ خُمُسٍ لِاثْنَتَيْنِ...﴾

النساء: ١٧٦

ب: ما أبقي ولم يُعَدِّم:

٨- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾

النساء: ٩

٩- ﴿كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنَابٍ وَعِثْوٍ﴾ الدخان: ٢٥

١٠- ﴿وَلَوْ يَوَاحِدُكُمْ النَّاسُ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا

مِنْ دَابَّةٍ...﴾ النحل: ٦١

١١- ﴿وَلَوْ يَوَاحِدُكُمْ النَّاسُ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى

ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ طه: ٤٥

١٢- ﴿عَاقِلَةٌ مِّنْ بَيْنَةِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى

أُصُولِهَا لَبِاذْنِ اللَّهِ وَيَعِزُّنِي النَّاسِيقِينَ﴾ المنسر: ٥

١٣- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ

عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

صَادِقِينَ﴾ يوسف: ١٧

١٤- ﴿وَتَرَكَنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمُجٍ فِي بَعْضٍ وَنُفِغَ فِي

الصُّورِ فَجَعَلْنَاهُمْ جُنُودًا﴾ الكهف: ٩٩

١٥- ﴿وَلَقَدْ تَرَكَنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

العنكبوت: ٢٥

١٦، ١٧، ١٨- ﴿وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾

الصافات: ٧٨، ٨٠، ١٠١، ١٢٩

١٩- ﴿وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ الصافات: ١١٩

٢٠- ﴿وَتَرَكَنَا فِيهَا آيَةً يَسْتَأْذِنُ الْغُذَّاءُ

الأنبياء: ٣٧

٢١- ﴿وَلَقَدْ تَرَكَنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ﴾

القصص: ١٥

٢٢- ﴿فَسَأَلَهُ كَمَفْعٍ صَقُوفٍ عَلَيْهِ شُرَابٌ فَنَاصَبَهُ

وَأَهْلٌ فَفَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ يَمَّا كَسَبُوا

وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: ٢٦٤

٢٣- ﴿مَنْفَعُهُمْ كَمَقْلِ الذِّبْيِ اسْتَوَقَّذَ تَارًا مُّسَلِّحًا

أَسَدَاتٍ حَاوِيَةً ذَهَبَ اللهُ بَثُورَهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ

لَا يُبْصِرُونَ﴾ البقرة: ١٧

٢٤- ﴿وَإِذَا زَارَا فَجَارَةٌ أَوْ هَؤُلَاءِ انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْهُ

فَلَمَّا﴾ الحج: ١١

٢٥- ﴿فَسَأَلَهُ كَمَفْعٍ الْكَلْبِ إِنْ قَبِيلٌ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ

تَرْكُهُ يَلْهَثُ﴾ الأعراف: ١٧٦

٢٦- ﴿وَإِذَا زَكَّيْتُمْ زَكَّوْا إِنَّهُمْ يُجْنَدُ مَعْرُقُونَ﴾

الدخان: ٢٤

ج: عدم المواخلة:

٢٧- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ

جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ التوبة: ١٦

٢٨- ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْنَا أَمِينِينَ﴾ الشعراء: ١٤٦

٢٩- ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ مَذْيُ﴾

القيص: ٣٦

٣٠- ﴿أَحْسِبُ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ

لَا يَفْقَهُونَ﴾ العنكبوت: ٢

د: رفض عمل أو شخص أو شيء:

٣١- ﴿لَقَدْ أَعْمَلْ ضَالِحًا بَيْنَا تَرَكْتَ كَلًّا إِنَّهَا

كَلِمَةً هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

المؤمنون: ١٠٠

٣٢- ﴿...إِنِّي تَرَكْتُ بِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ

بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ يوسف: ٣٧

٣٣- ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ

شُفْعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ﴾ الأنعام: ٩٤

٣٤- ﴿قَالُوا يَا شُعْبَةُ احْنَثِي ثَمَرُكَ أَلَّا نَسْأَلَكَ

مَا تَبِعُوا آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا خَانُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ

الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾ هود: ٨٧

٣٥- ﴿فَلَقَدْ لَكِ ثَارٌ لَكَ يَفْضُ مَا يُوْخِي رَأْسُكَ﴾ هود: ١٢

٣٦- ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهًا لَنَا بَشِيرٌ

يُحْيِيهِمْ ثُمَّ نَبْنِيهِمْ﴾ الصافات: ٣٤

٣٧- ﴿قَالُوا يَا هَؤُلَاءِ مَا جِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي

الْحَيَاتِ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ٥٣

يلاحظ أولاً: أن هذه المادة رغم وحدة معناها - وهو

تخليع الشيء كما قال ابن فارس - فقد جاءت في الآيات

- كما رأيت - حل محاور أربعة:

١- تخليع الميت إرثاً: (١ - ٧).

٢- إبقاء شيء وجوداً، وهذا هو الغالب عليها: (٨ -

٢٦).

٣- عدم المواخضة: (٢٧ - ٣٠).

٤- رفض عمل أو شيء أو شخص: (٣١ - ٣٧).

وقد جمعها الزاغب في قوله: «ترك الشيء»: رفضه

قصداً واختياراً واضطراً، واستشهد لكل منها بمثال

من القرآن، ولكن ينقص كلامه الدقة، وستقف على

المحاور الأربعة خلال إيمانك في التصوص، فلاحظ.

ثانياً: في تفسير بعض الآيات دفع إيهام اعتورها.

أو شبهة حدثت حولها:

منها: في (٦): ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ يَمَّا تَرَكَ

الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، فقد اختلفوا في (يما ترك):

أهو صفة للموالي، أي موالى الكاتنين بما ترك

الوالدان والأقربون، والموالى هم الورثة لما تركوه؟

أو بيان لكل أي لكل مما تركه الوالدان

والأقربون.

أو جعلنا لكل واحد ورثة في تركه، وهم الوالدان

والأقربون.

أو صفة له مال محذوف، أي من مال تركه الوالدان

والأقربون.

أو جعلنا لكل مولى محذوف دل عليه «الموالى» وتقديره:

يرثون مما ترك.

أو (ما) بمعنى «من»، أي لكل أحد ممن تركهم

الوالدان والأقربون.

أو جعلنا لكل تركه وارثاً، و(يما ترك) بيان لـ (كل)

مع الفصل بالعامل وهو (جعلنا).

أو جعلنا لكل ميت وارثاً بما ترك، على أن «من»

صلة (موالي)، إلا أنه في معنى الوارث، وضعير الفاعل

في (ترك) راجع إلى (كل).

و(الوالدان) عند بعضهم خبر لمبتدأ محذوف، أي

هؤلاء الموالى الوارثين هم الوالدان والأقربون.

ويرجع بعض هذه الوجوه إلى بعض، فتؤول إلى

وجهين، وهما: هل الوالدان والأقربون وارثون، أو

مورثون؟ والأول بالتبقي هو الثاني. مع ملاحظة ما قبلها ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ... وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا﴾ النساء: ٣٢، ٣٣. أي جعلنا لكل من الرجال والنساء موالٍ. أي من هو أول بأن يرثهم بما تركه الوالدان والأقربون.

فهـ الموالى: تتضمن معنى «الوارث». فيتعلق بها (بما تركه)، و«مين» للتعدية، و(الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) فاعل (تركه)، والمعنى لكل من النساء والرجال ورث يرثونهم بما تركه (الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ).

وعليه فإن (الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) جاء مكان (الرجال والنساء) في الأول كأظهر المصاديق للمورثين. وقدم (لكل) على (جعلنا) تنجيها للربط بينها ومقتضاها من الرجال والنساء.

ويؤيد ما ذكرنا من أن (الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) هم الوارثون الآية (٣): ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾؛ إذ سياق الآيتين واحد.

ومنها: في (٢٣): ﴿وَتَرَكَهُنَّ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾. وقد استشكل عليه بأنه أولاً: لو أريد بتركهم إيهالهم مباشرة فهذا لا يليق بالله، وإن أريد به نصيرهم في الظلمات، فالفعل (تركه) يحتاج إلى مفعول ثانٍ، وهو إما (في ظلمات)، ويكون (لَا يُبْصِرُونَ) حالاً، وإما (لَا يُبْصِرُونَ)، و(في ظلمات) ظرف له أو له (تركهم)، أو حال من الضمير (يُبْصِرُونَ).

وعندنا أن (تركهم) هنا من المحور الثاني بمفعول واحد، أي (أبواقهم)، و(في ظلمات) ظرف له،

و(لَا يُبْصِرُونَ) حال من ضمير المفعول (تركهم). وتنكير (ظلمات) وجمعها وتقيده بكونهم (لَا يُبْصِرُونَ)، كلها تأكيد بعد تأكيد، لإذهاب نورهم بأسره، حتى لم يبق لهم نور أبداً، والجملة يمكن من البلاغة والمبالغة.

ثانياً: قال المعتزلة ومن ذهب مذهبهم في العدل، في مثل هذه الآية: كيف يعاونهم الله على الضلالة وهو قبيح منه؟ فأولوها بالتغذية بينهم وبين أعصابهم، من دون إعانة لهم على ذلك.

والحق في مثلها أن ذلك مجازاة للكفار والمنافقين في الدنيا، بسبب إعراضهم عن الحق بعد قدرتهم على معرفته وقبوله، فسلبها منهم، وخرق على قلوبهم. وهذا يلحق «الإضلال» في مثل «فَيَضِلُّ اللَّهُ عَنْ يَشَاءِ» إبراهيم: ٢٧. لاحظ «ض ل ل».

ومنها: في (٢٤): ﴿وَتَرَكَوْكَ قَائِماً﴾. استصحب جمهور أهل السنة الأمر، إذ كيف تركه الصحابة قائماً، وانفضوا إلى الله أو التجارة، وهم من الرعي الأول في الإيمان؟ فأولوها - تنزيهاً لهم - بأن الخطبة في يوم الجمعة كانت بعد الصلاة مثل العيدين، فظنوا أنهم قد قضوا ما وجب عليهم، وليس في ترك الخطبة خطيئة، فجعلت بعد ذلك قبل الصلاة، فكان لا يخرج بعد التهيأ أحد لرعايف أو حدث حتى يستأذن النبي ﷺ إشارة باليد فيأذن له بذلك.

ومن ناحية أخرى فقد راق للناس الخط من شأن الصحابة بذلك، وهذا يلائم ما نص عليه القرآن من جهادهم بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، إلا قليلاً من

ضعفة الإيمان دون معظمهم.

سألوكم؟

ويغضّ النزاع بأنّ ذلك كان قد حدث في أوائل الهجرة، وهم يومئذ لم يألفوا صلاة الجمعة، ولم يعتادوها، ويشهد به ما جاء قبلها: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلْعَلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ...﴾ الجمعة: ٩، فصائبهم الله بذلك وعذلم. وله نظائر في القرآن في مواضع أخرى، تسديداً وتأييداً لهم. لاحظ «هج ر، المهاجرين والأنصار». وقد جاءت أمثالها خطاباتاً للنبيّ بالذات، فأولها المفكرون قاطبة تأويلاً يتماشى مع كرامة النبيّ وعصمته، كما ترى أدناه.

ومنها: في (٣٥): ﴿لَقَدْ تَلَّكَ نَارِكُ بَغْضَ سَائِيخِي إِلَيْكَ﴾، قالوا: كيف يترك النبيّ - وهو مأمور بالتبليغ - وبعض ما يوحى إليه؟ ولا سيما عجزه يؤدي إلى الشك في النبوات؟ وأجابوا عنه بوجوه:

١- أنّه كان يضيق صدر النبيّ ﷺ بأنّ يُلقي إلى الناس ما لا يقبلونه ويستخفون به، فيرى أنّ تركه أول وأصلح، فخصّة الله لأداء الرسالة، وعدم المبالاة باستخفافهم وسفاهتهم، والإحراض عن سخريتهم واستهزائهم، وأنّه أول من تركهم رأساً، فإنّه يؤدي إلى الخيانة في الرسالة، وقد أتى بلفظ (لَقَدْ تَلَّكَ) - النَّالَ عَلَى الشَّكِّ - تخفيفاً للعتاب، ورعاية للأدب.

٢- أنّهم لما قالوا له: «لو أتينا بكتاب ليس فيه سبّ أهلكنا لا تبغناك»، فهم بأن يدع سبّ أهلكهم، والكلام معناه الاستغناء، أي هل أنت تارك ما فيه سبّ أهلكهم كما

٢- لحظ ما يرد على قلبك من تخليطهم تنوهم أنّهم ميّزلونك عن بعض ما أنت عليه من تبليغ ما أوحى إليك. (فالمل) هنا لتوقع شيء سيّئ، وليس معناه أنّه وقع، وهي ظير «طه» مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشَلَّ طه: ١، ٢، إلى غير ذلك من التأويلات، ولا سيما ما ذكره الطباطبائي من أنّه تهديد لقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ الزّهد: ٧، فلاحظ.

وهكذا أنّ قد مع رسوله موافق كلّها رحمة له، وحقّ العتاب منه تعالى يخفف آلامه، وهي أنس الحبيب بحبه. وليس عتابات القرآن له ما يقتضي عصيانه، بل هي إرشاد إلى ما هو أول مما فعله النبيّ، وقد عبّروا عنها بـ «ترك الأول».

ومن ناحية أخرى فإنّ هذه العتابات تحمل صبغة الصّراحة والصّدقة بين الله ورسوله، ووجودها في القرآن دليل على صدقه في رسالته، فكان لا يكتف شيئا من الوحي حتّى العتابات الإلهية، الموجهة إليه.

ومن جملة الحامل المعروفة في هذه العتابات أنّها من قبيل «إياك أصي واعمي يا جارة»، أي أنّها وجهت إليه وأريد بها الأمتة، ونقول: ولو لم تكن الأمتة مرادة بها، فإنّها تنبّه بها كأدنى تقدير، فيهنّ عليها ما نزلت من الآيات عتاباً وتوبيخاً لها، وتقلّب بها ما تمنّاه من النبيّ ﷺ في التسامح معها في أحكام الله تعالى.



مرکز تحقیقات کلامیه و فقهیه علوم اسلامی

تسع

٤ ألفاظ ، ٧ مرّات مكّية ، في ٥ سور مكّية

تسع ٣:٣	تسعة ٢:٢	تسعون ١:١
تسعون ١:١	تسعون ١:١	تسعون ١:١

تسعون ، يعنون يوم التاسع . ومن هاهنا قالوا : عشرين ، ولم يقولوا : عشرين ، لأنها عشرين . وبعض الثالث . (الأزهرى ٢: ٧٧)

التَّصَوُّصُ اللُّغَوِيُّ

أربعة ، إنما يقال : رابع أربعة على الإضافة ، ولكنك تقول : رابع ثلاثة . (الأزهرى ٢: ٧٧)

أبو زيد : التسير والتسيع ، بمعنى العُسر والتَّسْع . (الأزهرى ٢: ٧٧)

الخليل : يقال : تَسَعْتُ القومَ ، أي : صِرت تاسعهم . وتَسَعْتُ الشيءَ ، إذا كان ثمانية وأتمته تسعة . والتَّسْع والتَّسْعَةُ من العدد يجري على وجوه التذكير والتأنيث : تسعة رجال ، وتسع نسوة . (٣٢٥ : ١)

ابن السكيت : وتقول : تَلَسَّتُ القومَ فأنا أثلاثهم ، إذا كنت لهم ثالثاً ... وتَسَعْتُهُمُ أثْنَعْتُهُم . (٥٨٨)

الليث : رجل متَّسِعٌ ، وهو المنكسر ، الماضي في أمره . وفي نسخة من كتابه : مُتَّسِعٌ ، وهو المنكسر الماضي في أمره . ويقال : مُتَّسِعٌ ، لفة . ورجل مُتَّسِعٌ ، أي سريع .

شعر : [نقل قول أبي زيد وقال :] ولم أسمع تسيع إلا لأبي زيد . (الأزهرى ٢: ٧٧)

ابن دريد : تسع : عدد معروف ، والتَّسْع : ظمءٌ من أظياء الإبل ، والإبل نواسع ، وأصحابها متسعون . والتَّسْع : جزءٌ من تسعة أجزاء ، والتَّسْع : ثلاث ليالٍ من العشر الأول من الشهر ثلاث تسع . (١٦ : ٢)

وفي حديث ابن عباس : «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» يعني عاشوراء ، كأنه تأوّل فيه عشر الورد أنها تسعة أيام ، والمرب ثفل : «وردت الماء

الأزهرى: ويقال: تسعون في موضع الزرع، وتسعين في الجمر والنصب، واليوم التاسع واللييلة التاسعة، وتسع عشرة مفتوحتان على كل حال، لأنها اسمان جُمعا أسما واحدا، فأعطيا إعرابا واحدا، غير أنك تقول: «تسع عشرة امرأة، وتسعة عشر رجلا»، والعرب تقول في ليالي الشهر: ثلاث غُرر، وثلاث بعدها: ثلاث نُفل، وثلاث بعدها: ثلاث مُسح، مُسح: مُسحاً، لأن آخرتها اللييلة التاسعة، كما قيل ثلاث بعدها: ثلاث عُشر، لأن بادئها اللييلة العاشرة. ويقال: كان القوم ثمانية فُسُحْتهم، أي صيرتهم تسعة بنفسى، أو كنت تاسعهم.

ويقال: هو تاسع تسعة، وتاسع ثمانية، وتاسع ثمانية. ويقال: تسعتُ القوم، إذا أخذت تسع أموالهم أو كنت تاسعهم، أنسهم، بفتح السين لا غير في الوجوه. وقال الليث: رجل مشجع، وهو المنكش المأخى في أمره، قلت: لأعرف ما قال إلا أن يكون «مفتيلاً» من «التسعة» وإذا كان كذلك فليس من هذا الباب. (٢: ٧٧) الصاحب: يقال في التسع تسيع.

وتسعتهم: أخذت التسع من أموالهم، وجعلتهم تسعة أيضاً. (١: ٣٥٦)

البحروري: [نحو ابن دُرَيْد وأضاف:] والتسع، مثال الضَّرْد: ثلاث ليال من الشهر، وهي بعد النفل، لأن آخر ليلة منها هي التاسعة. والتاسوعاء: قبل يوم العاشوراء، وأظنه مولداً. وتسعتُ القوم أنسهم، إذا أخذت تسع أموالهم، أو كنت تاسعاً.

وأُتسِعَ القوم، إذا وردت إليهم تسعة. وأُتسِعُوا، أي صاروا تسعة. (٣: ١١٩١) ابن فارس: اتاء والتين والعين كلمة واحدة، وهي التسعة في العدد. [ثم قال نحو ما تقدم عن الأزهرى:] (١: ٣٤٧) الهزوي: [نحو الليث في حديث ابن عباس وأضاف:] ومن هذا قالوا: عشرين ولم يقولوا: عشرين، لأنهم جعلوا ثمانية عشر يوماً «عشرين»، واليوم التاسع عشر، والمكمل عشرين طائفة من الورد الثالث، فجمعوه بذلك.

ويحتمل أن يكون كره موافقة اليهود، لأنهم يحرمون اليوم العاشر، فأراد أن يخالفهم، ويصوم اليوم التاسع. (١: ٢٥٤) ابن سيدة: التسعة من العدد: معروف، وقول العرب: تسعة أكثر من ثمانية، فلا تُصَرَف، إذا أردت قدر العدد، لأنفس المعداد، وإنما ذلك تُصَيَّر هذا اللفظ على هذا المعنى كزوتير. [ثم استشهد بشمر]

والتسع في المؤنث: كالتسعة في المذكر. [إلى أن قال:] والتسع من أظلياء الإبل: أن ترد إلى تسعة أيام، والإبل: تواسع.

والقوم مُتسِعون، إذا وردت إليهم تسعة أيام وثمانى ليالي.

وحَبْلٌ مُتسِع: على تسع قوى. والثلاث: التسع: اللييلة السابعة، والثامنة والتاسعة من الشهر، وقيل: هي الليالي الثلاث من أول الشهر،

والأوّل أقيس.

والشّرع والتّسع: جزء من تسعة، يطرد ذلك في جميع الكسور عند بعضهم.

وتسّع المال يتسّع: أخذ تسعة. وتسّعهم: أخذ تسع أموالهم. (١: ٤٧٣)

ابن التّسعين: واحد الأزدلين. (الإفصاح ١: ١٥) التسعة: عدد يلي الثمانية للمعدود المذكّر، وتُحذف الهاء في المؤنث. تسّعهم يتسّعهم مئة السنين في المضارع تسنًا: كان تسعهم، فهو تاسع تسعة. وتسّعهم أيضًا: صيرهم تسعة بنفسه، فهو تاسع ثمانية. وأتسّعوا: صاروا تسعة. ويقال: هو تاسع تسعة الخ على نحو ما ذكر في ثلاثة سابقًا.

التسعون: القعد التاسع من العدد، وهو تسع عشرات. وتقول: كانوا تسعة وعشرين فتسّعهم بموتهم. مثلت السنين في المضارع، أي تسّعهم بنفسه تسعين.

(الإفصاح ٢: ١٢٥٤)

الزّافب: التسعة في العدد معروفة، وكذا التسعون. [إل أن قال:]

والشّرع: من أظهاء الإبل، والشّرع: جزء من تسع. والشّرع: ثلاث ليالٍ من الشهر، آخرها التاسعة.

وتسّع القوم: أخذت تسع أموالهم، أو كنت لهم تاسعًا. (٧٤)

ابن الأثير: فيه «لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ تاسوعاء» هو اليوم التاسع من المحرم، وإنّا قال ذلك كراهة لموافقة اليهود، فإنهم كانوا يصومون عاشوراء وهو العاشر، فأراد أن يخالفهم ويصوم التاسع.

قال الأزهري: أراد بتاسوعاء: عاشوراء، كأنه

تأوّل فيه عشر ورد الإبل. تقول العرب: وردت الإبل عشرا، إذا وردت اليوم التاسع.

وظاهر الحديث يدلّ على خلافه، لأنّه قد كان يصوم عاشوراء وهو اليوم العاشر، ثمّ قال: «لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ تاسوعاء» فكيف يبعد بصوم يوم قد كان يصومه. (١: ١٨٩)

الصّغاني: [بعد نقل كلام الأزهري ردًا على الليث قال:]

لم يقل الليث شيئًا من هذا، وإنّا ذكر في تركيب «س تسع» الميسّع، فانقلب على الأزهري. (٤: ٢٢٤)

القُيُومِي: الشّرع: جزء من تسعة أجزاء، والجمع: تسع. مثل قتل وأتال، وضمر السنين للإتباع لغة. والشّرع مثل يحرم: لغة فيه.

وتسعت القوم أنسعتهم - من باب «نفع» وفي لغة من بابي «قتل» و«ضرب» - إذا صيرت تاسعهم أو أخذت تسع أموالهم.

وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «لأصومنّ التاسع» مذهب ابن عباس، وأخذ به بعض العلماء أنّ المراد به التاسع: يوم عاشوراء، فعاشوراء عنده تاسع المحرم. والمشهور من أقاويل العلماء سلفهم وخلفهم: أنّ عاشوراء: عاشر المحرم. وتاسوعاء: تاسع المحرم. استدلالًا بالحديث الصحيح أنّه عليه الصّلاة والسّلام صام عاشوراء، فقيل له: إنّ اليهود والنّصارى تُعظّمه، فقال: فإذا كان العام المُقبل حُمتا التاسع. فإنّه يدلّ على أنّه كان يصوم غير التاسع، فلا يصحّ أن يبعد بصوم ما قد

صامه.

وقيل: أراد ترك العاشر وصوم التاسع وحده.

خلافاً لأهل الكتاب.

وليه نظر لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث:

«صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، صوموا قبله يوماً

وبعد يومًا ومناه، صوموا معه يوماً قبله أو بعده حتى

تخرجوا عن التشبه باليهود في أفراد العاشر.

واختلف هل كان واجباً ونسخ بصوم رمضان أو لم

يكن واجباً قطاً؟ وانفقوا على أن صومه سنة.

وأما «تاسوعاء» فقال الجوهري: أظنه مؤلداً، وقال

الصفاني: مؤلداً، فينبغي أن يقال: إذا استعمل مع

عاشوراء، فهو قياس السري لأجل الازدواج، وإذا

استعمل وحده فسلم، إن كان غير مسموع. (١٦: ٧٥)

الفيروز آبادي: تسعة رجال وتسع شهور وقوله

تعالى: (تسع آيات) الإسراء: ١٠١. [ثم استشهد بشعر]

والشع أيضاً ظمء من أعطاء الإبل، وبالنظم: جزء

من تسعة كالتسيع، وكصرد: الليلة السابعة والثامنة

والثاسعة من الشهور.

والتاسوعاء: قبل يوم عاشوراء مؤلداً.

وتسعمهم، كمنع وضرب: أخذ تسع أموالهم، أو كان

تاسعهم أو صيرهم تسعة بنفسه، فهو تاسع تسعة وتاسع

ثمانية، ولا يجوز تاسع تسعة.

وأنسموا: صاروا تسعة، ووردت إليهم تسعة (٣: ٩)

الطبري: في حديث الجارية المعصية: «ثم عقد

يده اليسرى تسعين، ثم تدخل قطنة، ثم تدعها

ملياً». قال بعض شراح الحديث أراد أنه لغة سبأية

اليسرى تحت العقد الأسفل من الإبهام اليسرى،

فحصل بذلك عقد تسعين، بحساب عدد اليد.

والمراد أنها تدخل قطنة بهذا الأصبع صوناً

للمسحة عن القذارة، كما صينت اليد اليمنى عن ذلك،

لبسيز الدم الخارج على القطنة، فتعمل على ما يقتضيه.

ويحتمل أن يكون هذا العقد كناية عن الأمر بحفظ

السر حفظاً محكماً، كإحكام القايض تسعين.

وكيف ما كان لم يوافق هذا الحساب حساب اليد

المشهور إذ العقد هل هذا الحمل إنما هو من عقود تسعة

لا عقد التسعين. فإن أهل الحساب وضعوا عقود اليد

اليمنى لأحادي الأعداد وعشراتها، واليد اليسرى لثلاث

الأعداد في ألوفها، فلمل الزاوي وهم في التعبير. أو أن

مأذكر اصطلاح آخر في العقود غير مشهور وقد وقع

منه في الخبر.

وفي الخبر: «أمرني ربي بتسع» يعني ببنكاح تسع

نساء في الدائم، وهو مما لا خلاف فيه من أنه لم يجتمع

عنده النكاح غير تسع، وما روي «أنهن إحدى عشر»

فيجمع جاريشتين: مارية وريحانة. (٤: ٣٠٩)

مَجْتَمَعُ اللُّغَةِ: التسعة: العدد المعروف، يذكر مع

المؤنث، ويؤنث مع المذكر، منفرداً ومركباً ومطوفاً.

والتسعون: العدد المعروف، يستوي فيه المذكر

والمؤنث. (١: ١٥٧)

النصوص التفسيرية

تِسْع

١- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...

الإسراء: ١٠١

راجع «أ ي ي».

٢- وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ

في تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ... النمل: ١٢

راجع «أ ي ي».

تِسْعًا

وَلْيُفَوِّا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا

الكهف: ٢٤

الإمام علي عليه السلام: عند أهل الكتاب أنهم لبثوا

ثلاثمائة شمسية، والله تعالى ذكر ثلاثمائة قرية. والتفاوت

بين الشمسية والقمرية في كل مئة سنة ثلاث سنين،

فيكون في ثلاثمائة تسع سنين، فلذلك قال: ﴿وَازْدَادُوا

تِسْعًا﴾. (البغوي ٣: ١٨٨)

نحوه ابن كثير. (٤: ٣٨٠)

ابن عباس: ﴿وَازْدَادُوا﴾ تسع سنين، وهذا قبل

أن يُنْقِظَهُمُ اللَّهُ. (٢٤٦)

مجاهد: عدد ما لبثوا. (الطبري ١٥: ٢٣٦)

الضحاك: نزلت هذه الآية ﴿وَلْيُفَوِّا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ

مِائَةٍ﴾ فقالوا: أيتما، أو أشهرًا، أو سنين؟ فأنزل الله

﴿سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. (الطبري ١٥: ٢٣٦)

الكَلْبِيِّ: قالت نصارى لجران: أما ثلاثة فقد

عرفنا، وأما التسع فلا علم لنا بها، ففزلت.

(البغوي ٣: ١٨٧)

الجُبَّائِي: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي ازدادوا لبث

تسع، فحذف. (القرطبي ١٠: ٣٨٧)

الطَّبْرِي: [قال مالم يخلصه: لبث أصحاب الكهف في

كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وقول من قال هذا مدة

لبثهم من لدن دخلوا الكهف إلى يوم نزول الآية، لا دليل

عليه] (١٥: ٢٣٢)

الزَّيْجَاج: فأما قوله: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ فلا يكون

على معنى: وازدادوا تسع ليالٍ. ولا تسع ساعات، لأنَّ

العدد مجهول بتفسيره^(١)، وإذا تقدم تفسيره استغنى بما

تقدم من إعادة ذكر التفسير. تقول: عندي مئة درهم

وخمسة، فيكون «الخمس» قد دلَّ عليها ذكر الدرهم.

(٣: ٢٧٩)

النَّفَّاس: إنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية بحساب

الأنبياء، فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع؛

إذ المفهوم عنده من السنين القمرية، وهذه الزيادة هي

ما بين الحسابين. (القرطبي ١٠: ٣٨٧)

الماوردي: هو ما بين السنين الشمسية والسنين

القمرية. (٣: ٣٠٠)

الطُّوسِي: وقرأ الحسن (تُسْعُ وَتُسْعُونَ) ص: ٢٣،

بفتح التاء، يقال: تسع بكسر التاء وفتحتها وهما لفتان،

والكسر أكثر وأصح.

﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ يعني تسع سنين فاستغنى

(١) وفي الأصل (يعرف تفسيره) واستقاط البابا

بالتفسير في الأول عن إعادته هاهنا. (٣٣: ٧)
 نحوه القُشَيْرِيُّ (الْقُرْطُبِيُّ ١٠: ٣٨٧)، وَالزَّعْتَرِيُّ
 (٤٨١: ٢)، وَالطَّبْرِسِيُّ (٤٦٣: ٣).

ابن عَطِيَّة: لم يدر الناس أمي ساعات، أم أيام،
 أم بُمُج، أو شهور، أم أعوام. واختلف بنو إسرائيل
 بحسب ذلك، فأمر الله برد العلم إليه، يريد في «التسع»
 فهي على هذا مبهم، وظاهر كلام العرب والمفهوم منه
 أنها أعوام، والظاهر من أمرهم أنهم قاموا ودخلوا
 الكهف بعد عيسى يسير، وقد بقيت من الحوارتين
 بقية. [إلى أن قال:]

وقرأ أبو عمرو بخلاف (تَشْعًا) بفتح التاء، وقرأ
 الجمهور (تَشْعًا) بكسر التاء. (٥١٠: ٣)
 نحوه الْقُرْطُبِيُّ (١٠: ٣٨٧)، وَأَبُو حَتَّانٍ (٦: ٦٠١٧).

الفَخْرُ الرَّازِيُّ: المعنى: وازدادوا تسع سنين. وما الفائدة
 فإن قالوا: لم يزل يفل: ثلاثئة وتسع سنين؟ وما الفائدة
 في قوله: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾؟

قلنا: قال بعضهم: كانت المدة ثلاثئة سنة من السنين
 الشمسية، وثلاثئة وتسع سنين من القمرية، وهذا
 مشكل، لأنه لا يصح بالحساب هذا القول، ويمكن أن
 يقال: لعلمهم لما استكملوا ثلاثئة سنة قرب أمرهم من
 الانتباه، ثم اتفق ما أوجب بقاؤهم في النوم بعد ذلك تسع
 سنين. (١١٢: ٢١)

نحوه الشَّرِيفِيُّ (٢: ٣٦٦)، وَالْبَرْصَوِيُّ (٥: ٢٣٦)،
 النَّسْفِيُّ: أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه.
 و(تَشْعًا) مفعول به، لأن «زاد» تفتضي مفعولين.
 هذا إذا زاد يقتضي مفعولاً واحداً. (١٠: ٣)

نحوه النُّيسَابُورِيُّ. (١٥: ١٢٢)
 شُبْر: تسع سنين، وهذا بيان ما أجمل قبل، من مدة
 نومهم. (٧١: ٤)

الْأَلُوسِيُّ: [نقل كلام ابن عَطِيَّة ثم قال:]
 وليس بشيء، فإنه إذا سبق عدة مفسرٌ وحُطِفَ
 عليه ما لم يُفسَّر، حُلَّ تفسيره على السابق؛ فعندي مئة
 درهم وعشرة، ظاهر في عشرة دراهم، وليس بمجمل،
 كما لا يخفى. (١٥: ٢٥٣)

القَاسِمِيُّ: حكاية لقول أهل الكتاب في
 عهدهم ﷺ: في مدة لبثهم نائمين في كهفهم الذي التجأوا
 إليه، ليتفرغوا لذكر الله وعبادته. وقد رد عليهم بقوله
 سبحانه: ﴿قُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. (٢٦: ٢٦)، وإليه
 ذهب قتادة ومطرف بن عبد الله وأبو قتادة بقرأة ابن
 مسعود رضي الله عنه ﴿وَقَالُوا وَلَبُّوا﴾.

وقيل: وعليه فيكون ضمير ﴿وَازْدَادُوا﴾ لأهل
 الكتاب، وأنه يظهر فيه وجه العدول عن المتبادر، وهو
 ثلاثئة وتسع سنين، مع أنه أخصر وأظهر، وذلك لأن
 بعضهم قال: ثلاثئة، وبعضهم قال: أزيد بثلاثة.

ولا يخفى ركابة ما ذكر، فإن الضمير للفتية، ووجه
 العدول موافقة رؤوس الآي المنطوعة بالحرف
 المنصوب، ودعوى الأخصرية تدقيق نحوي لا تنهض
 بمثله البلاغة. وأما الأظهرية فبأهاها ذوق المحملتين ذوقاً
 سليماً، فإن الوجدان العربي يجد بينهما في الطلاوة بعد
 المشرقين.

ودعوى أن فيها إشارة إلى أنها ثلاثئة بحساب أهل
 الكتاب بالأيام، واعتبار السنة الشمسية، وثلاثئة وتسع

ولاحتماسة والفلك من أين جاء له أن كل ثلاثمائة سنة
تزداد تسع سنين، وبعبارة أخرى من أين عرف أن كل
مئة سنين شمسية تزيد ثلاث سنين قمرية، وكل ثلاث
ونلتين سنة شمسية تزيد سنة قمرية، وكل سنة شمسية
تزيد نحو (١١) يوماً، من أين جاء له ذلك وهو لم يدرس
ذلك.

وكيف ينزل عليه لفظ ﴿وَأَزَادُوا﴾ ليفصل بين
الزيادة في القمرية والمزيد عليه في الشمسية، هل هذه
رمية من غير رام؟

وإذا وقفت أهل نجران وقالوا: لانصرف التسع
ونعرف الثلاثمائة، أفلا ينطق هذا القول ويعرفوا أن هناك
مساكن وأن أهل عصر النبوة هجروا عن فهم مثل هذه
الأمور؟

إذا كان خير عظيم من أكبر علماء الإسلام
كالعلامة الرازي رحمه الله يقول: وإن الحساب لا يوافق
هذا القول، فكيف بغيره من الذين لا علم لهم؟!

فإذا كان فلاسفة الإسلام وحكماؤهم يترددون في
هذا القول من حيث السنين الشمسية والقمرية،
ويقولون: ليس ذلك حقيقته، فكيف بغيرهم ممن لا علم
لهم بحساب ولا فلك؟!

ولقد رأيتك الحقيقة ناصعة كما أثبتا المحققون
وقرأنا، في الفلك، وأصبح معلوماً مشهوراً عند علمائه،
أفلا تعجب من حكمة عالية وآيات ظاهرة وهجائب
باهرة؟! (٩، ١٢٩)

محمد جواد مغنّيّة: بعد أن استورد سبحانه بذكر
الآيتين، عاد إلى أهل الكهف، وبين أنهم مكثوا في نومهم

بحساب العرب، واعتبار القمرية بياناً للتفاوت بينها، إذ
التفاوت بينها في كل مئة سنة ثلاث سنين، دعوى
يتوقف تصحيحها على ثبوت أن أهل الكتاب أرادوا
بالسنة الشمسية، وأنه قصص صليبا ما أرادوه بالسنة
الهلالية، فذلك قال: ﴿وَأَزَادُوا تِسْعًا﴾ لتقف على
تحديد ما عنوه.

ومن أين يثبت ذلك؟ وما الداعي لهذا التعمق
المؤشّر؟ والآية جليلة بنفسها في دعواهم مدة لبهم.

وقد يريدون السنة الشمسية أو الهلالية، وبأي
منها قالوا: فقد رد عليهم بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
لَبِثُوا﴾ الكهف: ٢٦، أي بمقدار لبهم. فلا تقفوا ما ليس
لكم به علم، وما هو غيب يرد إليه سبحانه، كما قال:
﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما غاب عنهما
وغيبي من أحوال أهلها، أي أنه هو وحده العالم به (١١: ٤٧-٤٨)

الطنطاوي: يقول الله إخباراً من عنده: ولبت أهل
الكهف إلى يوم النبوة المهدية ثلاثمائة سنة وتسع سنين.
ولما سمع أهل الكتاب وهم نصاري نجران ذلك
قالوا: أمّا الثلاثمائة فقد عرفناها وأمّا التسع فلا علم لنا
بها، فقال الله له: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ الكهف: ٢٦،
كما قلنا لك من قبل: ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾
الكهف: ٢٢، لأنّ المقام مقام اعتبار وجكم، والمشاعبة
والجدال يضيّع المقصود من الرسالة ومن العلم.

ثم أعلم أيها القارئ أن هذه معجزة أهم من ذكر قصة
أهل الكهف، لأن الله يقول: أمّا الناس هذا النبي الأمي
الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس علم الحساب

العميق (٣٠٩) سنوات.

راجع «ر» ط.

وتسأل: لماذا قال: ﴿وَارْزُقُوا تِسْعًا﴾ ولم يقل:

ثلاثة وتسعًا؟

وأجاب بعض المفسرين بأنه تعالى أشار بقوله:

﴿وَارْزُقُوا﴾ إلى أن أهل الكهف مكثوا (٣٠٠) سنة

بحسب السنين الشمسية و(٣٠٩) بحسب السنين القمرية. لأن التفاوت بينها في كل سنة ثلاث سنوات.

الطُّبَّاءُ بِأَنَّ: وإضافة تسع سنين إلى ثلاثة سنة

مدة اللَّيْث، تُعْطَى أَنَّهُمْ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ

سَنَةٍ. فَإِنَّ التَّفَاوُتَ فِي ثَلَاثَةِ سَنَةٍ إِذَا أُخِذَتْ تَارَةً

شُمُوعِيَّةً وَأُخْرَى قُرْبِيَّةً بِأَنَّ هَذَا الْمَقْدَارَ تَقْرِيبًا. وَلَا يَنْفِي

الْإِتِّبَاعُ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّنِينَ فِي آيَةِ - السَّنُونَ الْقُرْبِيَّةِ.

لأنَّ السَّنَةَ فِي عُرْفِ الْقُرْآنِ هِيَ الْقُرْبِيَّةُ الْمُتَوَلِّفَةُ مِنْ

الشُّهُورِ الْهِلَالِيَّةِ، وَهِيَ الْمَعْتَبَرَةُ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وفي «التفسير الكبير» شدّد التّكثير على ذلك لعدم

تطابق العددين تحقيقًا، وناقض في ما روي عن عليٍّ عليه

السلام في هذا المعنى، مع أن الفرق بين العددين: الثلاث سنة

شمسية والثلاث مئة وتسع سنين قريّة، أقل من ثلاثة

أشهر، والتّقريب في أمثال هذه النّسب ذائع في الكلام.

بلا كلام. (١٣: ٢٧٥)

[لاحظ «ل ب ث»]

تِسْعَةٌ

١- وَكَانَ فِي الْقَبْرِ تِسْعَةُ زَفَافٍ يُغَيِّدُونَ فِي

الْأَرْضِ وَلَا يُخْلِقُونَ. التمل: ٤٨

٢- عَلَيْنَا تِسْعَةُ عَشْرَ. المدثر: ٣٠

ابن عباس: (تِسْعَةُ عَشْرَ) مَلَكًا خِزَانِ النَّارِ.

(٤٩٢)

فلما سمع أبوجهل بذلك قال لقريش: تكلتكم

أُمّهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يُخبركم أَنَّ خِزْنَةَ النَّارِ تِسْعَةُ

عَشْرٍ وَأَنْتُمْ الدَّاهِيَةُ^(١)، أليحيز كلَّ عشرة منكم أن

يطشوا برجل من خِزْنَةِ جَهَنَّمَ؟

فأُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَن يَأْتِيَ أَبَاجَهْلَ، فَيَأْخُذَهُ

بِيَدِهِ فِي بَطْنِ مَكَّةَ. فيقول له: «أولى لك فأول، ثمّ أولى

للي فأول». فلما فعل ذلك به رسول الله ﷺ قال أبوجهل:

وَاللَّهِ لَا تَعْمَلُ أَنْتَ وَرَبِّكَ شَيْئًا، فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ.

نعم فتادة. (الطبري: ٢٩: ١٥٩)

ونحو الضحك. (البهوي: ٥: ١٧٨)

السُّدِّيُّ: وقال أبو الأسد ابن الجُمُحِيِّ: لا يهولتكم

التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من

الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة. ثمّ تمرّون إلى الجنة،

يقولها مستهزئًا. (الماوردي: ٦: ١٤٥)

ابن زيد: خِزْنَتُهَا (تِسْعَةُ عَشْرَ).

(الطبري: ٢٩: ١٦٠)

الفراء: وقد قال بعض كفّار أهل مَكَّةَ، وهو

أبوجهل: وما «تِسْعَةُ عَشْرَ»؟ الرَّجُلُ مَنَّا يُطْلِقُ الْوَاحِدَ

فيكفه عن الناس. وقال رجل من بني جُمُحٍ، كان يُكْفَى

أبوالأسدين: أنا أكفيكم سبعة عشر. واكفوني اثنين،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ المدثر:

(٢٠٣: ٣)

٣٦

الطُّوسِي: أي على سقر تسعة عشر من الملائكة. وإِنَّمَا خُصَّ بهذه العدة لتوافق صحة الخبر لما جاء به الأنبياء قبله ﷺ، ويكون في ذلك مصلحة للمكلفين.

(١٨١: ١٠)

البُغَوِّي: أي على النار تسعة عشر من الملائكة. هم خَزَنَتُهَا مَالِك ومعه ثمانية عشر.

وجاء في الأثر: أعيينهم كالبرق الخاطف وأنسابهم كالصياحي يخرج لب النار من أفواههم، ما بين منكي أحدهم مسيرة سنة فزعت منهم الرُّحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم.

قال عمرو بن دينار: إِنَّ واحداً منهم يدفع بالدُّفْعَةِ الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

نحوه الطُّبْرِسِيُّ (٥: ٣٨٨)، والحَازِن (٧: ١٤٧)، والشَّرِيبِيُّ (٤: ١٢٤).

الرُّمَّحُشَرِيُّ: أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكاً، وقيل: صنفاً من الملائكة، وقيل: صفاء، وقيل: نقياء.

وفرى تسعة عشر يسكون المين لتوالي الحركات فيها هو في حكم اسم واحد.

نحوه الفَخْرُ الرَّازِيُّ، (٢٠٣: ٣٠)

ابن عَطِيَّة: (رُسُحَةُ حَشَرٍ) ابتداء، وخبره مقدّم في المجرور. ولا خلاف بين العلماء أنهم خزنة جهنم المحيطون بأمرها، الَّذِينَ إِلَهُم جَمَاعُ أَمْرِ زِيَانِيَّتِهَا.

وقد قال بعض الناس: إنهم على عدد حروف

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لَأَنَّ بِهَا تَقْوَا، [ثم قال نحو

مانقذم عن ابن عباس والثدي] (٥: ٣٩٦)

البَيْضَاوِيُّ: مَلَكًا أو صِنْفًا من الملائكة يملون أمرها. والخصص لهذا العدد أَنَّ اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الانسي عشر والطبيعية السبع، أو أَنَّ لِحْجَتَهُم سبع دركات: ست منها لأصناف الكفار، وكلّ صنف يُعَذَّب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعًا من العذاب يناسبها، على كلّ نوع مَلَك أو صنف يتولّاه. وواحد لعصاة الأئمة يُعَذَّبون فيها بترك العمل نوعًا يناسبه، ويتولّاه مَلَك أو صنف.

أو أَنَّ السَّاعَات أربع وعشرون: خمسة منها مضمومة في الصلاة، فيبلى تسعة عشر قد تصرف فيها باختصاصه بأنواع من العذاب، يتولّاهم الزبانية.

(٥١٩: ٢)

النَّيْسَابُورِيُّ: [نحو قول البُغَوِّي وأضاف:] وذكر العلماء في تخصيص هذا العدد وجوهاً، فقال المنشَرَعُونَ: هذا بما لا يصل إليه عقول البشر كأعداد السماوات والأرضين والكواكب وأيام السنة والشهور، وكأعداد الزكاة والكفارات والصلوات.

وقيل: إِنَّ العدد على وجهين: قليل، وهو من الواحد إلى التسعة، وكثير، وهو من العشرة إلى ما لا نهاية؛ فجمع بين نهاية القليل وبداية الكثير. [إلى أن قال:]

وقيل: إِنَّ أبواب جهنم سبعة: واحد للفتاق وله زبانية، واحدة بسبب ترك العمل، ولكلّ من الأبواب الباقية ثلاثة أملاك. لَأَنَّ الكفار يُعَذَّبون لأجل أمور ثلاثة: ترك الاعتقاد، وترك الإقرار، وترك العمل.

قال الحكيم: إن فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو بسبب استعمال القوى الحيوانية والطبيعية لأعلى وجهها، والقوى الحيوانية: الشهوة والغضب، والحواس الخمس الظاهرة، والخمس الباطنة. وأما القوى الطبيعية: فالجاذبة والمماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والتامية والمولدة، فلما كان منبأ الإفادة هذه القوى التسع عشرة، لاجرم كان عدد الزبانية كذلك. (٢٩: ٩٥)

أبو حيان، «عليها تسعة عشر» التمييز محذوف، والمتبادر إلى الذهن أنه ملك، الأثرى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد ملك. حين سمعوا ذلك. [ونقل الأقوال الماضية ثم قال:]

وقرأ الجمهور (تسعة عشر) مبتئين على الفتح على مشهور اللغة في هذا العدد.

نحو الألويسي
البروسوي، [نحو ما تقدم عن البروي والتسابوري وغيرهما ثم أضاف:]

ومنها: أن المدبرات للعالم: النجوم السيارة وهي سبعة، والبروج اثنا عشر الموكلة بتدبير العالم السفلي المؤثرة فيه، تقع به بسياط التأثير وترديه في مهاوينا.

ومنها: ما قال السجائدي في «عين المعاني»: قد تكلموا في حكمة العدد على أنه لا تطلب للأعداد العلل فإن التسعة أكثر الأعداد والحشرة أقل العشرات، فقد جمع بين أكثر القليل وأقل الكثير، يعني أن التسعة عشر عدد جامع بينها، فلماذا كانت الزبانية على هذا العدد.

ومنها: ما قال في «كشف الأسرار»: إن قوله: «يستم

الله الرحمن الرحيم» تسعة عشر حرفاً، وعدد الزبانية تسعة عشر ملكاً، فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحداً منهم وقد سبقت رحمة غضبه.

ومنها: ما لاخ لهذا الفقير قبل الإطلاع على ما في «كشف الأسرار» وهو أن عدد حروف البسملة تسعة عشر، كما قال المولى الجامي: نوزده حرفت كه هزده هزار

عالم ازو يافته فيض عميم ولما كانت البسملة آية الرحمة، والكفار والفاسق لم يقبلوا هذه الآية، حيث سلكوا سبيل الكفر والمعاصي، خلق الله في مقابلة كل حرف منها ملكاً من الغضب والجهل، وجعله آية الغضب، كما جعل خازن الجنة آية الرحمة، دل على ما قلنا قوله عليه السلام: يسقط على الكافر في قبره تسعون وتسعون شيئاً، وهو أكبر الحيات، بالفارسية: «أردر»، في فم أنياب مثل أسنة الزمّاح، وهو طويل كالنخلة الصعوق، أحمر العينين مثل الدم، واسع الفم والجوف، يتلع الإنسان والحيوان.

وسره أنه كفر بالله وبأسمائه الحسنی التي هي تسعة وتسعون، فاستحق أن يسقط عليه تسعة وتسعون شيئاً بددها في قبره الذي هو حفرة من حفر التيران، فلا يلزم أن يسقط عليه ذلك العدد في النار. فالتسع عدد التهر والمصر والانقراض، لأنه ينقرض عن أهل آثار إمداد الرحمة الرحيمية.

ومنها ما في «التأويلات النجمية» من أن اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول في جهنم البعد والطرد واللعن والاحتجاب، مترتب على

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التسع، أي العدد الواقع بين التساني والعشر في الترتيب، يقال: تسع القوم يستمعهم تسعاً، أي صار تساعهم، فهو تساع تسع، ومنه: تسع القوم: كانوا ثمانية فصاروا تسعة. وتسع القوم: أخذ تسع أموالهم، وتسع المال: أخذ تسعته. والتسع: جزء من تسع، وهو التسيع أيضاً. والتاسوعاء: اليوم التاسع من المحرم.

والتسع: من أطباء الإبل، والظم: ما بين الشربين، فترد إلى تسعة أيام، فهي ثوابع، يقال: تسع القوم، أي وزدت إيلهم لتسعة أيام وثمان ليالٍ، فهم مشيحون.

والثلاث التسع: الليلة السابعة والثامنة والتاسعة من الشهر.

وقال في طيالي الشهر: ثلاث غرر، وبعدها ثلاث نل، وبعدها ثلاث تسع، وبعدها ثلاث عشر، وسين تسعاً لأن آخرتهن الليلة التاسعة.

٢- ويذكر العدد «تسع» ويؤث، خلافاً لتذكير المحدود وتأنيته. ويغرب في الإفراد ويثنى على الفتح في التركيب، يقال: تسع نساء وتسعة رجال، وتسع عشرة امرأة، وتسعة عشر رجلاً، ويقال: تسعون رجلاً وامرأة في الزرع، وتسعين رجلاً وامرأة في النصب والجرم. ويأتي معدود «التسع» في الإفراد مجروراً به مضارعاً إليه وجمعا، وفي التركيب والمقد مفرداً منصوباً على التمييز.

واشتق من «التسع» وزن (فاعل) للمذكر و(فاعلة) للمؤنث، موافقة للمعدود تذكيراً وتأنيثاً، يقال: اليوم التاسع واللييلة التاسعة.

موجباتها وهي تسعة، غير الخواص الخمس الظاهرة والجنس الباطنة، وهي الأعضاء والجوارح السبع التي ورد بها الحديث بقوله ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ وَأَرْابٍ، والطبيعة البشرية المستقلة على الكل المؤثرة في الكل، بحسب الظاهر والباطن، ويجوز أن تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر. (١٠: ٢٢٦)

مكارم الشيرازي: هذه الآية تشير بوضوح إلى عدد خزنة جهنم، بأنهم تسعة عشر نفراً أو تسع عشرة مجموعة، والآيات التي تليها تعتمد على هذا المعنى.

ولكن العجب من أن بعض الفرق المنحرفة تصغر على قدسية هذا العدد، وتسمى إلى أن تجعل من عدد شهور السنة وأيام الشهر نظاماً يدور حول محور هذا العدد، بخلاف جميع الموازين الطبيعية والفلكية المعروفة.

أحكامهم العملية مطابقاً لذلك النظام. والأعجب من ذلك أن كاتباً من الكتاب - يمكن أن تكون له علاقة بتنظيراتهم - يصدر إصراراً عجيباً ومضحكاً على أن يجعل كل ما في القرآن موجه على أساس هذا العدد، وفي الموارد الكثيرة التي لا تتفق الوقائع الموجودة في آيات القرآن مع هذا العدد المرغوب عنده يعمد إلى إضافة أو حذف ما يرغب فيه، ليتفق مع ذلك العدد أو مع مضاربه، وإيراد مطالبها والإجابة عليها يمكن أن تعتبر ابتلاعاً للوقت.

نعم مذهب جهنمي يجب أن يدور حول عدد جهنمي، وجماعة جهنميون يجب أن يتوافقوا مع عدد ملائكة العذاب. (١٩: ١٥٦)

الاستعمال القرآني

جاءت في (٦) آيات: (٣) مرّات مفردًا، و (٣) مرّات مركبًا:

١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّنُثَبِّتَ بِهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ الإسراء: ١٠١

٢- ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ القصص: ٢٥

٣- ﴿وَكَانَ فِي السَّبِيحَةِ تِسْعَةٌ رُحُبٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ النمل: ٤٨

٤- ﴿لَا تُحِبِّي وَلَا تَذَرِي لَوَاحِشٍ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشْرُ﴾ المدثر: ٢٤-٢٥

٥- ﴿إِنَّ هَذَا أَجْنَى لَّكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْوةً وَإِنَّ نَجْوةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْتَنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾

ص: ٢٣

٦- ﴿وَلَقَّبُوا فِي كُتُوبِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِتِينَ وَارْدًا ذَوَا تِسْعًا﴾ الكهف: ٢٥

يلاحظ أولاً: أن «تِسْعًا» جاءت في الإفراد مرّتين مضافًا إلى الآيات مفسّرة له، وهي معجزات موسى عليه السلام وهي بنفسها مدح، ومرّة مضافًا إلى ﴿وَقَطِئَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، وهي ذم. وقد جاءت الآيات الثلاث في شأن الأمم السالفة ذمًا لهم، فالآية (١) و (٢) في شأن قوم فرعون، و (٣) في شأن قوم ثمود.

فقد جاءت في ذيل (١): ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾، وفي ذيل (٢): ﴿إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، وفي (٣): ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾. وكذا (٤)، فجاءت في شأن خزنة النار كما استكلّم حولها، و (٥) توبيخ لداود عليه السلام ولأحد الخصمين، فجاء قبلها: ﴿خَضَّيْنِ بِغَى بَقِضُنَا عَمَلِي بَغِضٍ﴾ ص: ٢٢، وبعدها: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ ص: ٢٤، ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّ مَا فَتَنَاهُ فَاغْتَفَرَ رَبَّهُ﴾ ص: ٢٤.

أما الآية المتبقية - وهي (٦) - فإنها في نفسها مدح، إلا أن قبلها توبيخ للذين اختلفوا في عدد أصحاب الكهف، وفي ذيلها: ﴿قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا تَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْسَبِ فِيهِمْ إِلَّا أَمْرَأَةً ظَاهِرًا وَلَا تَحْسَبِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ٢٢، ونستنتج من ذلك أن العدد «تِسْعًا» جعل في القرآن في سياق الذم دائمًا.

نائب الرئيس الدكتور رشاد خليفة المصري في أطروحته: حول الإعجاز العددي للقرآن - وقد نوقشت من قبل العلماء مرّات: فلاحظ «إعجاز القرآن» من المدخل - أن العدد «تِسْعَةٌ عَشْرُ» محور الإعجاز العددي للقرآن، استشهدا بالآية (٤): ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشْرُ﴾، وقد انحلت الفارقة الجاهلية من ذلك دعماً لمذهبهم الذي يركّز هذا العدد والعدد «تِسْعَةٌ» في كثير من عقائدهم.

عل أن الآية (٤) بالذات وصف لخران السعير، فإن سورة المدثر غلبت على آياتها عمومًا صفة الذم والتعديد، ولا سيما الآيات (٢٤ - ٣٦): ﴿فَقَالَ إِنِّي هَذَا إِلَّا بَخْرٌ يَؤُودُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * مَا ضَلِيبُهُ سَفَرٌ * وَمَا أَذْرِيكَ مَا سَفَرٌ * لَا تُحِبِّي وَلَا تَذَرِي * لَوَاحِشٍ لِّلْبَشَرِ *

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً
وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾ صدق الله
العظيم، إذ صير هذا العدد فتنة للكفار في هذا العصر.

نالحا: في كلٍّ من الآيتين (٥) و(٦) بحوث، فلاحظ
الشعوس هنا، و«داود» و«ك ه ف».





مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

ت ع س

تَعَسَا

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مدنية

النُّصُوصُ اللُّغَوِيَّةُ

صَدَرَتْ لِي «فَقُلْتُ» قُلْتُ: تَعَسَى، بكسر العين، وقد
(الْمَزُونِي ١: ٢٥٦)

أَبُو هُرَيْرَةَ ابْنُ الْعَلَاءِ: التَّعَسَى: الْهَلَاكُ.

(الْأَزْهَرِيُّ ٢: ٧٨) أَبُو هُرَيْرَةَ: تَعَسَى اللَّهُ وَتَعَسَى، فِي بَابِ «فَعَلْتُ»

وَأَفْعَلْتُ» بِمَعْنَى وَاحِدٍ. (الْأَزْهَرِيُّ ٢: ٧٨)

(الْأَزْهَرِيُّ ٢: ٧٨)

نَحْوُهُ ابْنُ شُمَيْلٍ.

الْفَخْلِيلُ: التَّعَسَى: أَلَّا يَتَّعَسَ مِنْ حَزَنَتِهِ وَغُرْبَتِهِ.

أَبُو هُرَيْرَةَ: تَعَسَى اللَّهُ، هُوَ مَتَعَسَى، أَيِ أَهْلَكَهُ.

(الصَّخَاوِيُّ ٣: ٣٢٩)

وَأَنْ يُتَّعَسَ فِي الشَّعَالِ.

ابْنُ السَّكَيْتِ: وَيُقَالُ: تَعَسَتْ وَأَتَتَكَّتْ.

تَعَسَى الرَّجُلُ يَتَّعَسُ تَعَسًا، هُوَ تَعَسَى.

التَّعَسَى: أَنْ يَخْرُجَ عَلَى وَجْهِهِ، وَالتَّعَسَى أَيْضًا: الْهَلَاكُ.

أَتَعَسَهُ اللَّهُ هُوَ مُتَّعَسٌ، إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ.

(٥٧٨)

وَالْتَّعَسَى: أَنْ يَخْرُجَ عَلَى رَأْسِهِ.

(٣٢٥: ١)

شَمِيرٌ: لَا أَعْرِفُ تَعَسَى اللَّهِ، وَلَكِنْ يُقَالُ: تَعَسَى بِنَفْسِهِ

الْمَلِيَّةُ: وَيَدْعُو الرَّجُلُ عَلَى بَعِيرِهِ الْجَوَادَ إِذَا عَثَرَ،

وَأَتَعَسَهُ اللَّهُ، [ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ الْقُرَّاءِ وَأَضَافَ:]

فَيَقُولُ: تَعَسًا، فَإِذَا كَانَ غَيْرَ جَوَادٍ وَلَا مُجِيبَ ضَمَرٍ، قَالَ

وَهَكَذَا سَمِعْتُهُ فِي حَدِيثِ هَاشِمَةَ، حِينَ عَثَرَتْ

لَهُ: لَمَّا. [ثُمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَمِيرٍ] (الْأَزْهَرِيُّ ٢: ٧٩)

صَاحِبَتَهَا أُمُّ مِطْطَحٍ، فَقَالَتْ: تَعَسَى مِطْطَحٌ.

ابْنُ شُمَيْلٍ: تَعَسَتْ، كَأَنَّهُ يَدْعُو عَلَى صَاحِبِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْكَلَابِيِّينَ: تَعَسَى يَتَّعَسُ تَعَسًا، وَهُوَ أَنْ

(الْأَزْهَرِيُّ ٢: ٧٨)

بِالْهَلَاكِ.

يُخَطِّقُ حَبَّتَهُ إِنْ خَاصِمٌ، وَيُقِيَّتُهُ إِنْ طَلَبٌ، وَقَالَ: تَعَسَى

الْقُرَّاءُ: تَعَسَتْ، بِدَنَحِ الْعَيْنِ، إِذَا خَاطَبْتَ، لِذَا

الرُّمُوحُشَرِيّ : تَمَسَّ فلَانٌ بالفتح . والكسر غير فصيح ، وتَمَسَّ له ، وتَمَسَّه الله ، وأَتَمَّه . [ثم استشهد بشر]

وتقول : أَضَرَعَ الله خَدَّه ، وَأَتَمَّسَ جَدَّه ، وهو مَتَعُوسٌ مَتَمُوسٌ ، وهذا الأمر مَتَمَسَّةٌ مَتَمَسَّةٌ . ومن المجاز : جَدُّ تَائِيسٍ تَائِيسٌ .

(أساس البلاغة : ٣٨)
أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «تَمَسَّ عِبْدُ الدَّيْنَارِ والدَّرْهَمِ» تَمَسَّ تَمَسًّا فهو تَائِيسٌ ، إِذَا انْحَطَّ وَعَثَرَ . وقد روي تَمَسَّ فهو تَمَسٌّ ، وليس بذلك . (الفائق ١ : ١٥١)
الطُّبْرُوسِيُّ : التَّمَسُّ : الانحطاط والينار . والإتماس والإزلال والإدحاض بمعنى ، وهو اليثار الذي لا يستقل صاحبه .

أَبُو حَيَّانَ : تَمَسَّ الرَّجُلُ - بفتح العين - تَمَسًّا ضَعِيفًا . وتَمَسَّ تَمَسًّا ضَعِيفًا . [ثم استشهد بشعر] (٨ : ٧٠)
الفَيَّومِيُّ : تَمَسَّ تَمَسًّا من باب «نفع» : أَكَبَّ على وجهه ، فهو تَائِيسٌ . وتَمَسَّ تَمَسًّا من باب «تعب» لغةً ، فهو تَمَسٌّ مثل تَوَبَّ . وتتعدَّى هذه بالحركة وبالمهمزة فيقال : تَمَسَّه الله بالفتح ، وَأَتَمَّسَهُ . وفي الدَّعَاءِ : تَمَسَّ لَهُ ، وتَمَسَّ ، وانتَكَسَ .

فالتَّمَسُّ : أَنْ يَخْرُجَ لَوَجْهَهُ ، والتَّنَكُّسُ : أَنْ لَا يَسْتَقِلَّ بِعَدِّ سَقَطَتِهِ حَتَّى يَسْقُطَ ثَانِيَةً ، وهي أَشَدُّ مِنَ الْأَوَّلِ . (١ : ٧٥)

الْفَيْرُوزُ أَيْسَادِيّ : التَّمَسُّ : الْهَلَالُ ، وَالْيَثَارُ ، وَالسَّقُوطُ ، وَالشَّرُّ ، وَالتَّبَدُّ ، وَالْانْحِطَاطُ ، وَالْفَعْلُ كَمَنْعٍ وَسَمْعٍ ، أَوْ إِذَا خَاطَبْتَ قُلْتَ : تَمَسَّتْ كَمَنْعٍ ، وَإِذَا حَكَيْتَ

قُلْتَ : تَمَسَّ كَمَنْعٍ .

وتَمَسَّه الله ، وَأَتَمَّسَهُ . وَرَجُلٌ تَائِيسٌ ، وَتَمَسَّ .

(٢ : ٢١٠)

الْقَدَنَاتِيّ : هُوَ تَمَسٌّ ، وَهُمْ تَمَسُونَ وَتَائِيسُونَ ، ويقولون : هُمُ تَمَسَاءُ ، وَالصَّوَابُ : هُمُ تَمَسُّونَ أَوْ تَائِيسُونَ ، لِأَنَّ تَمَسَاءَ «فُعْلَاء» هِيَ جَمْعُ تَمَسٍّ «فَعِيل» . وفي المعاجم :

١- هُوَ تَمَسٌّ : اللِّسَانُ ، وَالْمَصْبَاحُ ، وَالْقَامُوسُ ، وَالتَّاجُ ، وَالْمَدَّةُ ، وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ ، وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ ، وَالْمَتْنُ ، وَهُمْ تَمَسُّونَ .

٢- هُوَ تَائِيسٌ : الْأَسَاسُ ، وَاللِّسَانُ ، وَالْمَصْبَاحُ ، وَالْقَامُوسُ ، وَالتَّاجُ ، وَالْمَدَّةُ ، وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ ، وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ فِي الذَّلِيلِ ، وَالْمَتْنُ ، وَهُمْ تَائِيسُونَ .

وتَمَسَّ تَمَسًّا ضَعِيفًا . وتَمَسَّ تَمَسًّا ضَعِيفًا . [ثم استشهد بشعر] هُوَ تَمَسٌّ ، فَنَقَلَهَا عَنْهُ أَقْرَبُ الْمَوَارِدِ كَالْعَادَةِ ، ثُمَّ عَثَرَ الْوَسِيطُ مِثْلَهَا . وَلَسْتُ أَدْرِي الْمَصْدَرُ الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْوَسِيطُ فِي وَضْعِ «تَمَسٍّ» بَدَلًا مِنْ «تَائِيسٍ» . وَتَجَمُّعُ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى إِدْخَالِ «تَمَسٍّ» إِلَى مَعَانِنَا بِقَرَارٍ مُجْمَعٍ ، وَالْمَعَاجِمُ لَا تَذْكُرُ كَلِمَةَ «تَمَسٍّ» ، وَلَوْ ذَكَرْتُهَا لَصَحَّ جَمْعُهَا عَلَى تَمَسَاءَ ؛ لِأَنَّ «فَعِيل» يُجْمَعُ عَلَى «فُعْلَاء» إِذَا كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، وَوَصْفًا لِمَذْكُورٍ عَاقِلٍ .

أَنَا جَمْعُ عَاقِلٍ عَلَى صُقْلَاءَ ، وَنَائِبُهُ عَلَى تَمَسَاءَ ، وَشَاوَرُ عَلَى شُعْرَاءَ ، فَلَانَّهُ وَصَفَ دَالَ عَلَى غَرِيرَةٍ ، وَسَجِيَّةٌ ، وَأَمْرٌ فَطَرِيٌّ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ - غَالِبًا - وَسَبَبُ جَمْعٍ : صَالِحٌ عَلَى صُلَحَاءَ ، هُوَ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَا يُشَبِّهُ الْغَرِيرَةَ وَالتَّجِيَّةَ فِي الدَّوَامِ وَطُولِ الْبَقَاءِ . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الشُّرُوطُ مُتَوَافِرَةً

في «تاعس».

أما فعله فهو إمّا:

أ- تَعَسَّ يَتَعَسَّ تَعَسًّا، فهو تاعس: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والصّحاح، وأبو عبيد البكري، واللّسان، والمصباح، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط.

أو: ب- تَعَسَّ يَتَعَسَّ تَعَسًّا، فهو تَعَسَّ: شجر من حمويه، وأبو الطّيم، ومفردات الرّاجب الأصفهاني، وابن الأثير في النهاية، واللّسان، والقاموس، والتّاج، والمدّ، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد.

أو: ج- تَعَسَّ يَتَعَسَّ تَعَسًّا: معجم ألفاظ القرآن الكريم، والمصباح، والمتن، والوسيط.

والنّفس في اللّغة: الانحطاط، والثّور، والفتلّة، والسّقوط على اليدين والقدم، وقال بعض الكتّاب: تَعَسَّ يَتَعَسَّ تَعَسًّا هو أن يُلْطَى حُبَّتُهُ إِنْ خَاصَمَ، وَيُنَيَّتُهُ إِنْ طَلَبَ.

وتَعَسَّ الله وأَتَعَسَّهُ بمعنى واحد: معجم مقاييس اللّغة، وأبو عبيد البكري، والصّاحاني، واللّسان، والتّاج، وأقرب الموارد، والمتن، والوسيط، وأنكر شيراز بن حمدويه: تَعَسَّ الله.

لذا قل:

أ- هو تَعَسَّ.

ب- هو تاعس.

ج- هم تَعَسُّون.

د- هم تاعسون.

ولا تنقل: هم تَعَسَّاء.

(٩٦)

مَجْمَعُ اللّغة: تَعَسَّ يَتَعَسَّ، من باي تَعَبَ وتَعَمَّ:

هلك، أو عَثَرَ فَأَكَبَ على وجهه، والنّفس مصدر يطلق على الهلاك والعتار.

المُضْطَفَوِيّ: [نقل قول المُضْطَفَوِيّ وآخرين ثم قال:]

والجمع بين هذه المعاني أن نقول: إِنَّ النّفس هو الثّور الشّديد حتّى يَفْزَ على وجهه، ويَقْرُب من الهلاك. ويؤيّد هذا المعنى استعماله في القرآن الكريم في هذا المورد. [وذكر الآية وما قبلها]

حيث إنّهُ وقع في قبال تثبيت الأقدام، فيدلّ على الثّور والانحطاط والهلاك.

(٣٦٨: ١)

النّصوص التفسيرية

تَعَسَّا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّا لَهُمْ وَاضِلٌ أَغْصَالُهُمْ.

محمّد: ٨

ابن عباس: فَتَعَسَّا لَهُمْ وَيُثَدِّ لَهُمْ.

نحوه ابن جرّيج. (المأزديّ ٥: ٢٩٥)

يريد في الدّنيا الفسرة، وفي الآخرة التّردّي في النّار.

(الطّبرسيّ ٥: ٩٩)

يريد في الدّنيا القتل وفي الآخرة التّردّي في النّار.

(الزمخشريّ ٣: ٥٣٢)

أبو العالية: سقوطاً لهم.

(البغويّ ٤: ٢١١)

ثيقة لهم.

(القرطبيّ ١٦: ٢٣٣)

مثله ابن زيد.

(الطّبرسيّ ٢٦: ٤٥)

الرَّحْمَانِي : التَّحْسُّن : الاعتقاط والينار.	(البُخَارِي ٤ : ٢٩٦)	الضَّحَاك : خبيثة لهم.
(الْمَاوَزْدِي ٥ : ٢٩٥)	(الْمَاوَزْدِي ٥ : ٢٩٥)	رغباً لهم.
التَّعَالِي : [قال في أقسام القاء:]	(الْمَاوَزْدِي ٥ : ٢٩٥)	الحَسَن : شَتَّنا لهم من الله.
ومنها : القاء تكون جواباً للشرط ، كما يقال : إن	(٤٤١)	السُّدِّي : أي خزيًا لهم.
تأتني فحسن جميل ، وإن لم تأتني فالعذر مقبول ، ومنه		خُزْنًا لهم.
قوله تعالى : ﴿ فَتَعَسَّا لَهُمْ ﴾ .	(أَبُو حَتَّان ٨ : ٧٦)	مثله ابن جُرَيْج .
(٣٤٨)		الْقَرَام : كَأَنَّهُ قَالَ : فَأَتَمَّتْهُمْ اللَّهُ وَأَضَلَّ أَصْلَاهُمْ .
الْقَيْسِي : [نحو الرَّجَّاجِ وَأَضَافَ:]		لأنَّ الدَّعَاءَ قَدْ يَجْرِي بِجَرَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، الْأَسْرَى أَنْ
ويجوز في الكلام الرِّفْعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، (وَلَهُمْ)		أَضَلَّ فِعْلًا ، وَأَنَّهَا مَرْدُودَةٌ عَلَى التَّحْسُّنِ ، وَهُوَ اسْمٌ لِأَنَّ
الْخَبَرَ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ عَنِ (الَّذِينَ) .		فِيهِ مَعْنَى أَتَمَّتْهُمْ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ حَقَّقْ إِذَا أَتَخَفْتُمُوهُمْ
الطُّوسِي : أي خزيًا لهم ووبلاً لهم . فالتَّحْسُّن :		فَقُتُّدُوا ... ﴾ مُحَمَّد : ٤ ، مَرْدُودَةٌ عَلَى أَمْرِ مُضَرٍّ نَاصِبٍ
(الْمَاوَزْدِي ٩ : ٢٩٣)		لضَرْبِ الرِّقَابِ .
الْمَاوَزْدِي (٢ : ٣٩٣) ، وَالْكَاشَانِي (٥ : ٢٢) .	(٥٨ : ٣)	نحوه الطُّبْرِي .
الْمَيْبُدي : ﴿ فَتَعَسَّا لَهُمْ ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْفَتْحِ وَلِي	(٤٥ : ٢٦)	ابْنُ قُسَيْبَةَ : مَنْ قَوْلِكَ : تَعَسَّ ، أَيْ تَحَرَّكَ .
الْفَتْحُ بِالْقَوَاعِدِ فِي النَّارِ ، أَيْ عَنَارًا لَهُمْ ضِدَّ الْإِنْتَعَاشِ		وَسَقَطَتْ .
وَتَبَيَّتِ الْأَقْدَامَ ... وَالْمَعْنَى : أَتَمَّتْهُمْ اللَّهُ فَتَعَسَّوْا تَعَسًّا .	(٤١٠)	الْمُبَرِّد : أَيْ مَكْرُوهًا لَهُمْ وَسَوْءًا .
(٩ : ١٨١)		(الطُّبْرِي ٥ : ٩٩)
الزُّمَخْشَرِي : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يَحْتَمِلُ الرِّفْعَ عَلَى		تَغْلَبَ : هَلَاكًا لَهُمْ .
الْإِبْتِدَاءِ ، وَالتَّصْبِيحُ بِمَا يَفْشَرُهُ . ﴿ فَتَعَسَّا لَهُمْ ﴾ كَأَنَّهُ قَالَ :	(الْمَاوَزْدِي ٥ : ٢٩٥)	شَرًّا لَهُمْ .
أَتَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا .	(الطُّبْرِي ١٦ : ٢٣٢)	الطُّبْرِي : فَخَزِيًّا لَهُمْ وَشَقَاءَ وَبِلَاءَ .
فإن قلت : علام عطف قوله : ﴿ وَأَضَلَّ أَعْصَالَهُمْ ﴾ ؟	(٤٥ : ٢٦)	الزَّجَّاج : (الَّذِينَ) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ،
قلت : عل الفعل الَّذِي نَصَبَ (تَعَسًّا) لِأَنَّ الْمَعْنَى :		وَيَكُونُ ﴿ فَتَعَسَّا لَهُمْ ﴾ الْخَبَرَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا
فَقَالَ : تَعَسَّا لَهُمْ ، أَوْ فَفَضِيَ تَعَسَّا لَهُمْ . وَتَعَسَّا لَهُ تَقْيِضٌ لِمَا		عَلَى مَعْنَى : أَتَمَّتْهُمْ اللَّهُ . وَالتَّحْسُّنُ فِي اللَّغَةِ : الْإِعْطَاطُ
لَهُ . [تَمَّ اسْتِشْهَادُ بَشَرٍ]	(٣ : ٥٣٢)	وَالْعُكُورُ .
ابْنُ عَطِيَّةَ : مَعْنَاهُ : عَنَارًا وَهَلَاكًا فِيهِ ، وَهِيَ لَفْظَةٌ		التَّحْجَسْتَانِي : أَيْ عَنَارًا لَهُمْ وَسَقُوطًا .
تَقَالُ لِلْعَائِرِ إِذَا أُريدَ بِهِ الشَّرُّ . [تَمَّ اسْتِشْهَادُ بَشَرٍ]	(١٧٢)	النَّقَاشُ : قَبْحًا لَهُمْ .
(وَتَعَسَّا) مَصْدَرُ نَصَبِهِ فِعْلٌ مُضَرٌّ .	(الْمَاوَزْدِي ٥ : ٢٩٥)	
(٥ : ١١٢)		

نحوه الثمالي: (١٨٦: ٣)
 الطَّبْرَسِي: أي اتَّعَسَمَ الله فَتَعَسَمُوا نَفْسًا. (٩٩: ٥)
 أبو الفُتُوح: فدعا على الكافرين، كأنه قال: وأما
 الذين كفروا، ولذلك جاء بالفاء في جوابه، فقال:
 (فَتَعَسَمُوا) أي اتَّعَسَمَ الله إِيحاشًا. ثم حذف الفعل ونصبه
 على المصدر محذوف الزيادة، وعطف ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾
 على الفعل المحذوف، من قوله: اتَّعَسَمَ الله ﴿وَأَضَلَّ
 أَعْمَالَهُمْ﴾. (٢٩٧: ١٧)

الفخر الرازي: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا
 لَهُمْ﴾. هذا زيادة في تقوية قلوبهم، لأنه تعالى لما قال:
 ﴿وَيَكُفَّتْ أَفْئَاتُكُمُ﴾ محمد: ٧، جاز أن يُتَوَهَّم أن الكافر
 أيضًا يصير وينت للقتال، فيدوم القتال والمُحَرَّبُ
 والطَّعَانُ والضَّرَابُ. وفيه المشقة العظيمة، فقال تعالى:
 لكم الثَّبات ولهم الزَّوال والتَّخَيُّرُ والهِلاَكُ فَلَا يَكُونُ
 الثَّبات.

وسببه ظاهر، لأنَّ أَلَهْتُمْ جمادات لا قُدرة لها
 ولا ثبات عند من له قدرة، فهي غير صالحة لدفع ما قدره
 الله تعالى عليهم من الدمار، وعند هذا لا بدَّ عن زوال
 القدم والبنار.

وقال في حقِّ المؤمنين: (وَيُكْشَبَت) بصيغة الرعد لأنَّ
 الله تعالى لا يجب عليه شيء، وقال في حقِّهم بصيغة
 الدِّعَاءِ، وهي أبلغ من صيغة الإخبار من الله، لأنَّ عثارة
 واجب، لأنَّ عدم النصرة من أَلَهْتُمْ واجب الوقوع؛ إذ
 لا قُدرة لها، والتَّشْيِيت من الله ليس بواجب الوقوع، لأنَّه
 قادر مختار يفعل ما يشاء. (٤٩: ٢٨)
 نحوه ملخصًا الحازن. (١٤٧: ٦)

النَّيسابوري: وهو من المصادر التي يجب حذف
 فعلها سماعًا، والتقدير: اتَّعَسَمَ الله فَتَعَسَمُوا نَفْسًا، ولهذا
 عطف عليه قوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. (٢٤: ٢٦)
 أبو حَيَّان: وفي قوله: ﴿فَتَعَسَمُوا لَهُمْ﴾، أي هلاكًا
 بأداة تقوية لقلوب المؤمنين؛ إذ جعل لهم التشييت،
 وللكافرين الهلاك والمثرة. (٧٦: ٨)
 ابن كثير: ﴿فَتَعَسَمُوا لَهُمْ﴾ عكس تثبيت الأقدام
 للمؤمنين الثَّابِتِينَ لله تعالى ورسوله ﷺ. (٣١٢: ٦)
 الشَّربيني: أي هلاكًا لهم وخيبة من الله تعالى.

منه المجازي. (٢٥: ٤)
 أبو السعود: النَّفْسُ: الهلاك والبنار والسقوط
 والنَّارُ والجمد والانحطاط، ورجل تاعس وتيسق.
 وانتصابه كفعله الواجب حذفه سماعًا، أي فقال: تَعَسَا
 لهم، أو ففَضَى نَفْسًا لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ عطف عليه،
 داخل معه في حيز الخبرية للموصول. (٨٥: ٦)
 البروسوي: ذُلًّا ونِزَرًا وهلاكًا وبأسًا لهم، ثم
 ذكر قول المُبْدِي وأبي السعود [٥٠١: ٨]
 الألوسي: وانتصابه على المصدر بفعل من لفظه
 يجب إضماره، لأنَّه للدِّعَاءِ كَسْفِيًّا وَرَغِيًّا، فيجري مجرى
 الأمثال إذا قصد به ذلك، والجاءَ والجورور بعده مستلحق
 بقدر للتبيين عند كثير، أي «أعني له» مثلاً فنحو «تَعَسَا
 لَهُ» جملتان.

وذهب الكوفيون إلى أنه كلام واحد، ولابن هشام
 كلام في هذا الجواز مذكور في بحث «لام التبيين» فيظهر

هناك . واختلفت العبارات في تفسير ما في الآية الكريمة... [ثم ذكر أقوال المفسرين وقال:]

وأكثر الأقوال ترجع إلى الدعاء عليهم بالهلاك . [ثم نقل قول الزمخشري وأضاف:]

والذي دعاه لذلك - على ما قيل - جعل (الذين) مبتدأ والجملة المقرونة بالفاء خبراً له وهي لإنشاء الدعاء ، والإنشاء لا يقع خبراً بدون تأويل ، فإما أن يُقدَّر معها قول ، أو تجعل خبراً بتقدير «فرض» ، وجعل قوله تعالى : ﴿وَأَضْلُ أَعْمَالَهُمْ﴾ عطفاً على ماقدَّر .

وفي «الكشف» المراد : مَنْ قال : نَعَسْنَا لَهُمْ : أهلكهم الله ، لا أنْ تمَّ دعاء وقولاً ، وذلك لأنه لا يدعى على شخص إلا وهو مستحق له ، فإذا أخبر تعالى أنه يهلكه عليه دل على تحقق الهلاك لاسيما وظاهر اللفظ أن الدعاء منه عز وجل . وهذا مجاز على مجاز ، أعني أن القول مجاز . وكذلك الدعاء بالتعس ، ولم يجعل العطف على (نَعَسْنَا) لأنه دعاء ، و(أَضْلُ) إخبار ، ولو جعل دعاءً أيضاً عطفاً على (نَعَسْنَا) على التجوُّز المذكور لكان له وجه انتهى .

وأنت تعلم أن اعتبار ما اعتبره الزمخشري ليس لأجل أمر العطف فقط بل لأجل أمر الخبرية أيضاً ، فإن قيل : بصحة الإخبار بالجملة الإنشائية من غير تأويل استغنى عما قاله بالكليّة ، ودخلت الفاء في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط .

وجوِّز أن يكون الموصول في محل نصب على المفعولية لفعل مقدَّر يفسره التائب (لنَعَسْنَا) أي أتعس الله الذين كفروا أو تعس الله الذين كفروا نَعَسًا ، لما سمعت من «القاموس» وقد حكى أيضاً عن أبي حبيبة ، والفاء

زائدة في الكلام ، كما في قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ فَكَبُرُ﴾ المدثر : ٣ ، ويزيدها العرب في مثل ذلك على توهّم الشرط .

وقيل : يُقدَّر الفعل مضارعاً مطلقاً على قوله تعالى : (يُنَبِّئُ) محمد : ٧ ، أي ويتعس الذين إلخ ، والفاء للعطف ، فالمراد إتعاس بعد إتعاس ، وظهيره قوله تعالى : ﴿وَأَيُّائِي فَازَهُبُونِ﴾ البقرة : ٤٠ ، أو لأنَّ حقَّ المفسر أن يُذكر عقب المفسر كالتفصيل بعد الإجمال ، وفيه مقال .

(٢٦ : ٤٤)
القاسمي : أي خزيًا ونقارًا ، وأصله من السقوط على الوجه ، كالكتب . (١٥ : ٥٣٧٨)

القططاوي : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأ ، (فَاتَعَسُوا) (نَعَسْنَا لَهُمْ) ، كما قيل للمجاهدين بنيت أقدامهم ، قيل للكافرين (نَعَسْنَا لَهُمْ) . يقال للمائر : نَعَسًا ، إذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه ، وضدّه : لَعًا ، إذا دعوا له وأرادوا قيامه ، فإذا تبث المجاهد في الحرب عثر الكافر وسقط ، ولم يقم من سقطته . (٢١ : ٢٢٣)

الطباطبائي : ذكر ما يُقتل بالكفار عقيب ذكر ما يُقتل بالمؤمنين الناصرين لله ، لقياس حالهم من حالهم ، والتعس هو سقوط الإنسان على وجهه وبقاؤه عليه ، ويقابله الانتعاش وهو القيام عن السقوط على الوجه ، فقوله : (نَعَسْنَا لَهُمْ) أي تعسوا نَعَسًا ، وهو وما يتلوه دعاء عليهم ، نظير قوله : ﴿قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكُون﴾ التوبة : ٣٠ ، ﴿قَاتِلِ الْإِنْسَانَ مَا اكْفَرَهُ﴾ عبس : ١٧ .

ويمكن أن يكون إخبارًا عن تعسهم وبطلان أثر

مأعينهم على نحو الكناية. فإن الإنسان أعجز ما يكون، إذا كان ساقطاً على وجهه. (١٨: ٢٢٩)

مكارم الشيرازي: التَّعَسُ بمعنى الانزلاق والهوي، وما غشيه البعض بأنه الهلاك والانحطاط، فهو لازمه في الواقع لامعناه.

وعلى كلِّ حال، فإنَّ المقارنة بين عذرين الفريقين عميقة المعنى جداً، فالقرآن يقول في شأن المؤمنين: ﴿وَيُفْضِلُ أَفْضَالَكُمْ﴾ محمد: ٧، وفي شأن الكافرين: ﴿وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾، وبصفة اللَّعْنَةِ. ليكون التعبير أبلغ وأكثر جاذبية وتأثيراً. (١٦: ٣٢٠)

٣- وتعقب القُدناني في «معجم الأخطاء القائمة» من استعمال «تعيس» بمعنى تاعيس وتيس، وخطأ بعض المعجمات التي وردت فيها هذه الكلمة، ومنها معجم بُتَّح اللغة العربية في القاهرة «المعجم الوسيط»، فقال: «ولست أدري المصدر الذي اعتمد عليه «الوسيط» في وضع «تعيس» بدلاً من «تاعيس».

ولكن غاب عنه أن ابن دُرَيْد قد ذكره في «جمهرة اللغة» كما مرَّ في النصوص، ويتهاوى بذلك ما بنى عليه كلامه ويتهافت.

الاستعمال القرآني

جاء منها لفظ واحد حتماً ودعاء:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾

محمد: ٨

يلاحظ أولاً: أن «تعس» لغة: المتور والخسر على الوجه، وليس يراد به ذلك هنا، بل هو كناية عما يلزم المتور من الهلاك والشرُّ والمكروه والخسري والشقاء والبلاء والحسبة والزلة والحزن والقبح والانحطاط والهبوط ونحوها مما جاء في التفسير، وكلَّ ذلك حسن، إذ هو متفرع على المثرة عن الحق، كما يأتي.

ثانياً: في سورة «محمد» مناظرة وتقابل بين حال المؤمنين والكافرين بضروب شتى، لميزاء كلِّ حاله ما يناسبها، لاحظ «ب و ل» لقال في الآية (١) في شأن الكافرين: ﴿وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾، وفي (٢) في شأن المؤمنين: ﴿كَفَرُوا عَنْهُمْ مَسَاجِدُهُمْ وَأَصْلُ بَالِهِمْ﴾، وهكذا حتى قال في (٧) في شأن المؤمنين: ﴿إِنْ تَصُورُوا اللَّهَ

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التعس، أي الكثرة

والإلقاء، يقال: تَعَسَ فلانٌ يَتَعَسُ تَعْساً، وَيَتَعَسَّى تَعَسِيّاً، وتَعَسَّى وتَعَسَّى، وتَعَسَّى الله أيضاً: انكَبَ فَعَثَر، فهو تَعَسَّى وتاعس وتَعَسَّى، وأَتَمَسَهُ الله: أَكَبَهُ وحَطَّهُ، فهو مُتَعَسَّى، وفي الحديث: «تَعَسَّ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدرهم».

ويقال في الدعاء: تَعَسَّتْ، عند الخطاب، وتَعَسَّى، عند الغيبة، وكلاهما يعني الهلاك، ويقال أيضاً: تَعَسَّا له، أي ألزمه الله هلاكاً، وأَتَمَسَ الله جدّه، ويدعو الرّجل على بصيره الجواد إذا عَثَرَ فيقول: تَعَسَّا، فإذا كان غير جواد ولا نجيب فَعَثَرَ، قال له: لَعْنَا.

٢- لقد استعملت هذه المادة غالباً في الدعاء بالهلاك، وكأنتها وضعت لذلك، فهي كظائرها في هذا الباب، مثل: قُبِحًا له وشَقِيحًا، وسُخِيقًا له، وتَعَسَّا له وتَعَسَّى، وتَعَسَّا له وغيرها.

وكانه أراد أن «الَّذِينَ كَفَرُوا» بمنزلة «إن كفروا». أو «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَقَسَّأْهُمْ» متناسقاً لما قبله: «إِنْ تَشْكُرُوا اللَّهُ يُضَاعِفْ لَكُمْ».

ومثلها الآية (٤) من هذه السورة: «وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ» ، والآية (٣٤) : «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ».

وعندنا أن «الفاء» في أمثال هذه الآيات تأكيد لشيء ما قبلها لما بعدها، ولعلها مراد من جعلها جواباً للشرط المقدّر.

خامساً: قالوا في «فَتَقَسَّأْهُمْ» : إنه دعاء عليهم، والحق أنه عتاب، كما سبق في «يُعَذِّبُ الْقَادِرُ» هود : ٦٠ ، ~~والمعنى أن الله يعذبهم~~ ، أو بلفظ آخر بمعنى : مثل : فَيُعَذِّبُ وَتَقَسَّأْ. والمراد بالهتاف إنشاء المعنى حالاً دون طلبه مستقبلاً، كما في الدعاء.

سادساً: ما للكتبة في انفراد هذه الكلمة في القرآن مع عدم وقوعها رؤياً كثيراً من الكلمات الوحيدة؟ والجواب - والله أعلم - أن هذه الكلمة بما لها من المعنى اللغوي وما يلازمها من الكتابات المشار إليها، لا تظهر لها في حط رتبة الكفار وخذلانهم، وهي أحسن التعبيرات للهتاف ضدهم.

يَنْصُرُكُمْ وَيُغِيْثُ أَقْدَامَكُمْ» ، وفي (٨) في شأن الكافرين: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَقَسَّأْهُمْ وَأَضَلْ أَعْيَالَهُمْ» . هاتان التأكيد في جانب المؤمنين لتثبيت أقدامهم، ويناسبه في جانب الكافرين عثرة أقدامهم، طاقى به «نفس».

إلا أنها - أي ثبات القدم وعثرته - هنا كإثبات عن ملازمة الحق وبجاوزته، فالمعنى أن للمؤمنين نيابة على الحق، وللكافرين زلة عنه وعثرة. ولهذا قال بعد «تَقَسَّأْهُمْ» : «وَأَضَلْ أَعْيَالَهُمْ» ، أي لما كانوا متصرفين عن الحق، فأعماهم في ضلال عن الحق، وكل من ضل عن الحق فسوف يعنوره المهالك والشر والمهزلة والبلاء، وغير ذلك مما ذكر.

ثالثاً: قالوا في إعرابها: «الَّذِينَ كَفَرُوا» مبتدأ، خبره «فَتَقَسَّأْهُمْ» ، باعتباره مصدرًا لفعل محذوف عنهم أي أنعمهم الله تعالى وأضل أعيالهم، وبعض قال: أنعمهم الله فتعسوا تعساً.

واحتمل بعضهم أن محل «الَّذِينَ كَفَرُوا» نصب به «أنعمهم» المقدّر، وهو بعيد عن سياق باقي آيات السورة، أو أن «تَقَسَّأْهُمْ» - على رفع «نفس» مبتدأ وخبر، والجملة خبر له «الَّذِينَ كَفَرُوا» ، وهو أضرب ما قبل، إذ لم يقرأ «نفس» بالرفع.

رابعاً: من الصالحين: أن «الفاء» من «فَتَقَسَّأْهُمْ» جواب الشرط، كما يقال: إن تأتني فحسن جميل.



مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

ت ف ث

تَفَثُهُمْ

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مدنية

النصوص اللغوية

قَفَثَ: لم يفتر أحد من اللغويين «التَفَثَ» كما فسرهُ

ابن شميل: جعل التَفَثَ التَفَثَ، وجعل قضاء إذهاب

التَفَثَ بالخلق والتفكير، وما أشبهه. (٢٦٦: ١٤)

الصاحب: التَفَثَ: أعيال الحج، وهي الأخذ من

الشارب وغير ذلك، عند الخروج من الإحرام.

(٤٢٢: ٩)

البحراني: [نحو ابن شميل وأضاف:]

التَفَثَ في المناسك: ما كان من نحو قص الأظفار

والشارب وحلق الرأس والعانة، ورسمي الجمار، ونحر

البدن، وأشياء ذلك. (٢٧٤: ١)

نحو: يَجْمَعُ اللُّغَةُ. (١٥٨: ١)

ابن فارس: التاء والتاء والتاء كلمة واحدة في

قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ الحج: ٢٩.

(٣٥٠: ١)

الثعلبي: وأصل التَفَثَ في اللغة: التوسّع، تقول

الخليل: التَفَثَ: هو الرمي والخلق والتفكير.

والذبح وقص الأظفار والشارب والإبط.

(القرطبي ١٢: ٥٠)

ابن شميل: التَفَثَ: التَّسَكُّ من مناسك الحج. رجل

تَفَثَ، أي مُعَبِّرٌ شَيْئًا، لم يَدَّهِنَ ولم يستعِدَّ.

(الأزهري ١٤: ٢٦٦)

التَفَثَ في كلام العرب: إذهاب التَفَثَ.

(الهرابي ١: ٢٥٧)

قَطْرِب: تَفَثَ الرجل، إذا كثر وسَّعَهُ. [تم استشهد

(القرطبي ١٢: ٥٠)

بشعر]

المبيد، أصل التَفَثَ في كلام العرب: كُلٌّ قاذورة

تلحق الإنسان، فيجب عليه تقضها.

(القعز الرازي ٢٣: ٣٠)

الأزهري: [ذكر قول ابن شميل وأضاف:]

العرب للرجل تستقذره: ما أتقته! أي ما أوسخه وأقذرك. [ثم استشهد بشر] (الطبري ١٢: ٥٠)
الواغيب: يقال: قضى الشيء، يقضي. إذا قطعه وأزاله. وأصل التث: وسخ الظفر وغير ذلك، مما شأنه أن يزال عن البدن، قال أعرابي ما أتقته وأقذرتك.

(٧٣)

الزَّمَحْشَرِي: رفضوا زقتهم، وقصّوا ثقتهم.

(أساس البلاغة: ٣٨)

الثقت: [في قول أبي ذر للأسود: أحلقت الثقت

وقضيت الثقت ...]

ما يفعل عند الخروج من الإحرام من تقليم الأظفار والأخذ من الشارب، وتنف الإبط، والاستحذاء
وقيل: الثقت: أعمال الحج. [ثم استشهد بشر]
(الفاخر ٣: ٢٨)
نحوه ابن الأثير. (١١: ١٩١)

الحدِيثِي: في الحديث: «فتقت الدماء مكانه» أي لطقت، مأخوذ من الثقت.

القيومي: ثقت ثقتاً فهو ثقت، مثل: ثوب ثعباً فهو ثوب، إذا ترك الأدهان والاستحذاء فغلاه الوسخ، وقوله تعالى: «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» الحج: ٢٩، قيل: هو استحاحة ما حرّم عليهم بالإحرام بعد التحلل.

قال أبو عبيدة: ولم يجئ فيه شعرٌ يحتاج به.

القيورون إبادي: الثقت محرّكة في المناسك: الثقت، وما كان من نحو قص الأظفار والشارب وحلق العانة وغير ذلك.

وككّيف: الثقت والمُفَبَّر.

(١١: ١٦٨)

الطَّوَيْمِي: الثقت: التظليل من الوسخ.

(غريب القرآن: ١٤٣)

محمد إسماعيل إبراهيم: ثقت ثقتاً: علاه الثقت وهو الوسخ، من طول الأظفار والشعر والسمت. وقضى ثقت: أزال أدرانته وأقذاره. [ثم أدام نحو ما تقدم عن الجوهري] (١١: ٩١)

النصوص التفسيرية

تَفَثُهُمْ

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَيُطَوُّوا بِأَلْبَتٍ
الحج: ٢٩
ابن عباس: لبسوا مناسك حجهم: حلق الرأس، ورمي الجمار، وتقليم الأظفار، وغير ذلك. (٢٧٩)
الثقت: حلق الرأس، وأخذ من الشاربين، وتنف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والموقف برفة والمزدلفة.
(الطبري ١٧: ١٤٩)
نحو مجاهد وابن كعب القرظي (الطبري ١٧: ١٤٩)، وعطاء وابن جريج (الطبري ١٧: ١٥٠)، والقرء (٢: ٢٢٤)، وأبو عبيدة (٢: ٥٠)، وابن قتيبة (غريب القرآن: ٢٩٢).

نسكهم. (الطبري ١٧: ١٥٠)

ابن عمر: ما هم عليه في الحج.

الثقت: المناسك كلها. (الطبري ١٧: ١٤٩)

جكرومة: الشعر والظفر. (الطبري ١٧: ١٤٩)

- الضَّحَالِدُ** : يعني حلق الرأس. (الطَّبْرِي ١٧ : ١٥٠)
 مثله قَنَادَةٌ. (الْمَاوُزِدِيُّ ٤ : ٢٠)
الحَسَنُ : إزالته قشف الإحرام، من تقليم ظفر، وأخذ
 شعر وغسل، واستعمال الطَّيِّب. (الْمَاوُزِدِيُّ ٤ : ٢١)
 نحوه، مالك. (ابن القُرَيْبِ ٣ : ١٢٨٢)
 ابن زَيْد : التَّثْت : حرمهم. (الطَّبْرِي ١٧ : ١٥٠)
 الإمام الباقر عليه السلام : قصَّ الشَّارِبَ والأظْفَارَ.
 (الْبَهْرَانِيُّ ٦ : ٥٥٠)
 نحوه الإمام الصادق. (الْبَهْرَانِيُّ ٦ : ٥٤٩)
التَّثْت : حذوف الرجل من الطَّيِّب، فإذا قضى نسكه
 حلَّ له الطَّيِّب. (الْبَهْرَانِيُّ ٦ : ٥٥١)
 الإمام الصادق عليه السلام : المحفوف والشَّعْث. وحين
 التَّثْت : أن يتكلَّم بكلام قبيح، فإذا دخلت مكة وطعت
 بالبيت وتكلَّمت بكلام طيب كان ذلك كفارة. (الْبَهْرَانِيُّ ٦ : ٥٥١)
 هو المحلَّق، وما في جلد الإنسان. (الْبَهْرَانِيُّ ٦ : ٥٥٢)
 الإمام الرضا عليه السلام : التَّثْت : تقليم الأظفار، وطرح
 الوسخ، وطرح الإحرام. (الْبَهْرَانِيُّ ٦ : ٥٤٧)
الرَّجَاجُ : «التَّثْت» في التفسير جاء - وأهل اللغة
 لا يعرفون إلا من التفسير - قالوا: التَّثْت : الأخذ من
 الشَّارِب، وتقليم الأظفار، وتثقب الإبط، وحلق العانة،
 والأخذ من الشعر، كأنه المخرج من الإحرام إلى
 الإحلال. (٣ : ٤٢٣)
يَنْطَوِيهِ : أي ليزيلوا عنهم أدرانهم.
 (الْقُرْطُبِيُّ ١٢ : ٤٩)
 سألت أهرابيا ضيحا ما معنى قوله : «ثُمَّ لِيُغْضُوا»
 ثَفَثَهُمْ فقال : ما أفسر القرآن ولكننا نقول للرجل :
 ما أنتك وما أدركك! (الفخر الرازي ٢٣ : ٣٠)
القَتِي : أي يخلقوا رؤوسهم، ويغتسلوا من الوسخ.
 (٢ : ٨٤)
القِفَالُ : [نقل قول الرَّجَاجِ ونَطَوِيهِ ثم قال :]
 وهذا أول من قول الرَّجَاجِ : لأنَّ القول قول المثبت،
 لا قول النافي. (الفخر الرازي ٢٣ : ٣٠)
الْمَاوُزِدِيُّ : قيل لبعض الصَّالحاء : ما المحنى في
 شعث الهرم؟ قال : يشهد الله تعالى منك الإعراض عن
 العناية بنفسك، فيعلم صدقك في بذلها لطاعته.
 وسئل الحسن عن التجرد في الحج، فقال : جرد
 قلبك من الشهوة، ونفك من اللهو، ولانك من اللغو.
 ثم يقول كيف شئت. [ثم استشهد بشعر] (٤ : ٢٠)
الطُّوسِي : التَّثْت : مناسك الحج، من الوقوف،
 والطواف، والتميم، ورمي الجمار، والمخلق بعد الإحرام،
 من الميقات. (٧ : ٣١١)
الرَّائِغِب : أي أزالوا وسخهم. (٧٣)
البَقْرِيُّ : التَّثْت : الوسخ والغذارة من طول الشعر
 والأظفار، والشَّعْث، تقول العرب لمن تستقذر: ما أنتك،
 أي ما أوسخك! والحاج أضعت أغير، أي لم يخلق شعره
 ولم يقلم ظفره.
 فقضاء التَّثْت : إزالة هذه الأشياء ليقضوا تنهيم أي
 ليزيلوا أدرانهم. والمراد منه : الخروج عن الإحرام
 بالمحلَّق وقص الشَّارِب، وتثقب الإبط والاستعداد، وقلم
 الأظفار، ولبس الثياب. (٣ : ٣٣٦)
 نحوه الميشتي (٦ : ٣٦٣)، والخازن (٥ : ١٢)،

والبرؤوسوي (٢٧: ٦).

الرؤسغشري: قضاء التثت: قص الشارب والأظفار، وتثت الإبط والامتداد، والتث: الوسخ، فالمراد: قضاء إزالة التثت. (٣٠: ١١)

نحوه الينصاوي (٢: ٩٠)، والشربيني (٢: ٥٥)، وأبوالشعود (٤: ٣٧٩)، والكاشاني (٣: ٣٧٧)، وشبر (٤: ٢٣٩).

ابن العربي: فيها أربع مسائل: المسألة الأولى في ذكر التثت، قال القاضي الإمام: هذه لفظة غريبة عربية، لم يجد أهل المعرفة فيها شعراً، ولا أحاطوا بها خبراً.

وتكلم السلف عليها على خمسة أقوال، [ثم نقلها وأضاف:] فأما قول ابن عباس وابن عمر فلو صح عنها لكان حجة، لشرف الصحبة والإحاطة باللغة.

وأما قول قتادة: إنه خلق الرأس، فمن قول مالك، وأما قول مجاهد: إنه رمي الجمار، فمن قول ابن عمر وابن عباس، ثم ثبتت التثت لغة فرأيت أبا حنيفة منفر ابن المثنى قد قال: إنه قص الأظفار، وأخذ الشارب، وكل ما يحرم على المحرم، إلا التكاح. ولم يحن فيه بشير يحنج به.

وقال صاحب العين: التثت هو الرمي، والمخلق، والتقصير، والذبح، وقص الأظفار والشارب، وتثت الإبط. وذكر الزجاج والقرآن نحوه، ولا أراه أخذه إلا من قول العلماء.

وقال قطرب: تثت الرجل، إذا كثر وسخه. [ثم استشهد بشعراً]

وما ذكره قطرب هو الذي قاله مالك، وهو الصحيح

في التثت، وهذه صورة قضاء التثت لغة.

وأما حقيقة الشرعية فإذا نحر الحاج أو المحتمر هذبه، وحلق رأسه، وأزال وسخه، وتطهر وتنقى، ولبس الثياب، فيقضي تثته. (٣: ١٢٨٢)

ابن عطية: والتثت: ما يصنع المحرم عند حله، من تقصير شعر وحلقه وإزالة شعث، ونحوه من إقامة الخمس من الفطرة حسب الحديث، وفي ضمن ذلك قضاء جميع مناسكه، إذ لا يقضى التثت إلا بعد ذلك.

(٤: ١١٩) مثله أبو حنيفة. (٦: ٣٦٥)

النيصاوري: أجمع أهل التفسير على أن المراد بها إزالة الأوساخ والزوائد، كقص الشارب والأظفار، وحلق الإبط وحلق العانة، فتقدير الآية: ثم ليقتضوا إزالة (١٧: ٩٥)

الأوساخ: هو في الأصل: الوسخ والقذر. قال أبو محمد البصري: التثت من «التث» وهو وسخ الأظفار، وقلت الفاء ثاء كما في «مغشور»، وفسره جمع هنا بالشعور والأظفار الزائدة ونحو ذلك. [إلى أن قال:] وقد يقال: إن المراد من إزالة التثت بالمعنى السابق: قضاء المناسك كلها، لأنها لا تكون إلا بعده، فكأنه أراد أن قضاء التثت هو قضاء التمسك كله، بضرب من التجوز، ويؤيده ما أخرجه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها أنه قال: قضاء التثت: قضاء التمسك كله.

(١٧: ١٤٦) الطبائبي: التثت: شعث البدن، وقضاء التثت: إزالة ما طرأ بالإحرام من الشعث، بتقليم الأظفار وأخذ

الشعر ونحو ذلك، وهو كناية عن الخروج من الإحرام. (١٤: ٣٧١)

محمد حسين فضل الله: هو ما أصابهم من الشعث والغبار ونحوهما، مما تفرضه قيود الإحرام ليظفروا أجسادهم ويقلموا أظفارهم ويأخذوا من شعورهم، ولا يخرجوا من الإحرام، لأن ذلك هو نهاية مدة الإحرام. (١٦: ٥٨)

المُصْطَفَوِيُّ: لا يعني ما في كلمات اللغويين من الوهن والخطأ، فالظاهر أنهم استندوا في تفسير اللفظ على الآية الكريمة وما في كتب التفسير، ثم جعلوا معنى الجملة ومضمونها المستفاد منها بالقرائن: معنى لكلمة «التَّثَّت»؛ حيث فسروا الكلمة - كما رأيت - بالهلق والتقصير وإذهاب الوسخ وأمثالها.

والتحقيق: أن هذه اللفظة مأخوذة من مادة عربية، وهي بمعنى القبض والإمساك. ومعلوم أن مناسك الحج يبدأ بالإمساك وهو الإحرام، وينتهي إلى التقصير وهو الإحلال والإطلاق.

وأما القضاء في «ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» فهو بمعنى الإتمام والختم... كما في قوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ» الجمعة: ١٠، «فَلَمَّا قُضِيَ مَوْسَى الْأَجَلَ» القصص: ٢٩، «فَإِذَا قُضِيَتْ مَتَابِعُكُمُ» البقرة: ٢٠٠، «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» يوسف: ٤١.

فيكون معنى «التَّثَّت» هو القبض والتعلق والإمساك، ويصدق هذا المفهوم على كل ما يلزم الاجتناب عنه بالإحرام من القصص والتثت والتكاح وأمثالها، فيكون مفهوم الآية: ثم ليتموا حدود الحج

وَحَلُّوا الإِمْسَاكَ والإِحْرَامَ.

«وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ... لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ... ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» الحج: ٢٧ - ٢٩، وانتخاب هذه الكلمة في هذا المورد أحسن انتخاب بلاغةً، وجامعيةً. (١: ٣٦٩)

مكارم الشيرازي: تنابع هذه الآيات البعث السابق عن مناسك الحج، مُشيرةً إلى جانب آخر من هذه المناسك، فتقول أولاً: «ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» أي ليطهروا أجسامهم من الأوساخ والتلوث، ثم ليوفوا ما عليهم من نذور، «وَلْيُطْلَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْقَبِيِّ» أي يطوفوا بذلك البيت الذي صانه الله عن المصائب والكوارث وحرره.

وكلمة «تَفَثَتْ» تعني - كما قال كبار اللغويين والمفسرين - القذارة وما يلتصق بالجسم، وزوائده كالأظفار والشعر. ويقول البعض: إن أصلها يعني القذارة التي تحت الأظفار وأمثالها.

ورغم إنكار بعض اللغويين لوجود مثل هذا الاشتقاق في اللغة العربية، إلا أن الراغب الأصفهاني نقل كلام بدوي قاله بحق أحد الأشخاص القادرين: ما أتفكك وأدرك! دليلاً على عريته هذه الكلمة، ووجود اشتقاق لها في اللغة العربية.

وقد فسرت «لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» في الأحاديث الإسلامية بتقليم الأظفار وتطهير البدن ونزع الإحرام. وبعبارة أخرى: تشير هذه العبارة إلى برنامج «التقصير» الذي يُفَعَّل من مناسك الحج، وجاء في أحاديث إسلامية أخرى بمعنى حلاقة الرأس التي تُعتبر أحد أساليب

«التقصير».

كما جاء في «كنز العرفان» حديث رواه ابن عباس في تفسير هذه الآية: «القصْدُ إيجازُ مشاعرِ الحجِّ كُلِّها» إلا أنه لا سند لدينا لحديث ابن عباس هذا.

والذي يُلفتُ النظر في حديث الإمام الصادق عليه السلام أنه فسر عبارة «لِيُبْخِضُوا نَفْسَهُمْ» بقاء الإمام، وعندما سأله الزاوي عبد الله بن سنان عن توضيح لهذه المسألة قال: «إنَّ للقرآن ظاهراً وباطناً».

وهذا الحديث يمكن أن يكون إشارة إلى ملاحظة تستحق الاهتمام، هي أن حجاج بيت الله الحرام يتظاهرون عقب مناسك الحجّ يُزيملوا الأوساخ عن أبدانهم فطليهم أن يطهروا أرواحهم، وذلك بالالتقاء مع الإمام عليه السلام، خاصة أن عصوراً سرت ولا يُحصى فيها الخلفاء الجبابرة لقاء المسلمين بإمامهم في الظروف العادية. لهذا تكون أيام الحجّ خير فرصة للقاء الإمام، وبهذا المعنى نقرأ حديثاً للإمام الباقر عليه السلام قال فيه: «تمام الحجّ لقاء الإمام».

وكلاهما في الحقيقة تطهير، أحدهما تطهير لظاهر البدن من القذارة والأوساخ، والآخر تطهير باطني من الجهل والمفاسد الأخلاقية. (٢٩٩: ١٠)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التَّثَنَّى، أي الوسخ، يقال: تَنَّثَ الرجلُ يَتَنَّثُ تَنَثًّا، أي كثرَ وسخُه، فهو تَنَثٌ. ويقال لمن يستقذر: ما أَتَنَّثَكَ! أي ما أوسخَكَ وأقذرَكَ! وفي الحديث: «فَتَنَّثَتِ الدَّمَاءُ مكانَه» أي لطخته.

وقد تجوز فيه بعضهم، فأطلقه على إذهاب الوسخ وإزالته، وهذا المعنى - كما يبدو - مستزاع من السياق القرآني، والمقصود في الآية ما يُعْتَل عند الخروج من الإحرام، مثل: تقليم الأظفار، والأخذ من اللحية والشارب، وحلق الرأس والعانة، وغير ذلك.

٢- لم تجتمع «التاء» و«الفاء» و«الثاء» إلا في هذه المادة، وهو الغالب على الحروف المهموسة العشرة، فهي قليلة الاستعمال مجتمعة في مظانها. أمّا سائر هذه الحروف فهي: الحاء والحاء والسين والشين والصاد والكاف والهاء، وكلها رخوة الهمس، إلا التاء والكاف، فإنها شديدا الهمس.

٣- وليس التَّثَنَّى متجهناً معقياً فحسب، بل هو متجهنّس لفظاً كذلك؛ إذ لا يكاد يستسيغ الفم أحرفه الثلاثة، فلم يضتها جوفه، لأنّ مخرجها جميعاً بين الثنايا العليا وطرف اللسان، كما في التاء والثاء، أو بينها وبين الشفة العليا، كما في الفاء.

كما أن جمعي التَّثَنَّى على وزن «فَعَلَ» يُنبئ عن هذا المعنى أيضاً، فقد وردت أغلب نظائره في اللغة بهذا الوزن، مثل: الوَسَخُ والتَّقْدَرُ والكَدَرُ والوَضَرُ والتَّجَسُّسُ والطُّفَسُ والدَّرَنُ والكَتَنُ والْقُلَحُ والْوَذَحُ والطَّبَعُ والقُشْفُ والقَضْفُ والقُدَى وغيرها.

الاستعمال القرآني

جاء منها لفظ واحد:

﴿ثُمَّ لِيُبْخِضُوا نَفْسَهُمْ وَلِيُؤْفُوا سُدُورَهُمْ وَلِيُطَوُّوْا

بِالْبَيْتِ الْقَتْبِيِّ﴾

الحج: ٢٩

وأدرجوها في كلامهم، فسُرت إلى القرآن، ولم يأخذها القرآن من غيرهم مباشرة، وإلا ما فهمت العرب، ولم يكن بالنسبة إليهم كلاماً عربياً.

ثانياً: مجيئها مرة واحدة دون الاضطرار إلى رعاية الزوي، دليل على أن عرب الجاهلية كانوا يعبرون بها عن خروجه من الإحرام، فصارت عندهم تعبيراً صادقاً عن التخلي عن قيود الإحرام. فأتى بها القرآن في موضعها، حفاظاً على عاداتهم، ولإجمال لها في غير هذا الموضع.

وهي إشارة أيضاً إلى صعوبة مناسك الحج بالإسباك من أشياء، حتى اكتفت الأوساخ الحاج، فبادر إلى إزالتها بعد المناسك، وسموها: تقفاً.

يلاحظ أولاً: أن في معنى «تفتت» اختلافاً كبيراً أهو الوسخ وإزائته أم المناسك كلها؟ ولشاهد لها من اللغة سوى ما حكاه نفطويه عن أصرايٍ فصيح: ما أتتك وأدركك! وقول التلميذ: تقول العرب للرجل تستقدرك، ما أتتك! أي ما أوسخك وأقدرك، مستشهداً بالشعر، وعليه فالكلمة عربية، ولا وجه لكونها مأخوذة من العبرية كما ادّعاء المصنفين، ولا ترجمتها بإزالة الوسخ، بل هي مفهومة من «قصوا». ولا تسمى المناسك كلها، نعم التقصير والحلق وتقليم الأنظافر، ونحوها من المناسك مصاديق لإزالة الوسخ.

ولادعوى أن القرآن أصل لها، فإن القرآن كتاب عربي، لا يستعمل إلا ما تكلم به العرب، ولو بعض قبائلهم، وحتى المعربات فقد أخذوها من غيرهم.



مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

ت ق ن

أَتَقَنَ

لفظ واحد، مرة واحدة، في سورة مكية

النصوص اللغوية

وَلَمَّا أَتَيْنَا شَيْءًا إِنْتَقَانًا فَأَنَا مُتَقِنٌ، وَالشَّيْءُ مُتَقِنٌ.

(٢٦: ٢)

الْقَلِيلُ : التَّقَنُ : رُسَابَةُ الْمَاءِ فِي الرِّيحِ، وَهُوَ الْقَدِي

يُمِيءُ بِهِ الْمَاءُ مِنَ الْخَثُورَةِ.

يُقَالُ: رَجُلٌ يَتَّقَنُ وَيَتَّقِنُ، أَيُّ مُتَقِنٍ لِلْأَشْيَاءِ.

(٤٦٦: ٣)

وَتَقَنُوا أَرْضَهُمْ، أَيُّ أَرْسَلُوا فِيهَا الْمَاءَ الْخَائِرَ لَتَجُودَ.

وَالْإِتْقَانُ: الْإِحْكَامُ. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشِعْرٍ] (١٢٩: ٥)

الْأَزْهَرِيُّ: [قَالَ بَعْدَ قَوْلِ ابْنِ السَّكَيْتِ:]

قُلْتُ: الْأَصْلُ فِي التَّقَنُ: ابْنُ يَتَّقِنُ هَذَا، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ

حَادِثٍ فِي عَمَلٍ يَحْتَلُهُ عَالَمٌ بِأَمْرِهِ: تَقَّنَ، وَمِنْهُ يُقَالُ: أَتَقَّنَ

فَلَانُ أَمْرَهُ، إِذَا أَحْكَمَهُ. [نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشِعْرٍ]

التَّقُونُ: مِنْ بَنَى يَتَّقِنُ بِنَ عَادَ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ يَتَّقِنَ،

وَكَمَبُ بْنُ يَتَّقِنَ، وَبِهِ ضَرْبُ الْمَثَلِ لِقِيلٍ: «أَرَمَى مِنْ ابْنِ

يَتَّقِنَ».

(٦٠: ٩)

الْقَرَامُ: رَجُلٌ يَتَّقِنُ: حَادِثٌ بِالْأَشْيَاءِ، وَيُقَالُ:

«الْفَصَاحَةُ مِنْ يَتَّقِنُ» أَيُّ مِنْ سُوَيْدٍ. (الْأَزْهَرِيُّ: ٩: ٦٠)

أَبُو حُبَيْدٍ: يُقَالُ: رَجُلٌ يَتَّقِنُ، وَهُوَ الْحَاضِرُ لِلْمَطْلُوقِ

(الْأَزْهَرِيُّ: ٩: ٦٠)

وَالْجَوَابِ.

ابْنُ السَّكَيْتِ: وَمَا يَبْقَى فِي أَسْفَلِ الْخَوْضِ مِنَ الْمَاءِ

الْكَثِيرِ: هُوَ التَّقَنُ. (٥٣٤)

ابْنُ يَتَّقِنَ: رَجُلٌ مِنْ عَادَ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْقُطُ لَهُ شَيْءٌ.

(الْأَزْهَرِيُّ: ٩: ٦٠)

[نَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشِعْرٍ]

النَّصَائِبُ: [اذْكُرْ نَحْوَ الْخَلِيلِ وَأَضَافَ:]

وَالْتَّقَنُ: الشُّومُ وَالطَّلُوعُ.

(٣٦٥: ٥)

وَرَجُلٌ يَتَّقِنُ: حَادِثٌ بِالْأَشْيَاءِ.

ابْنُ دُرَيْدٍ: التَّقَنُ: تَزْنُوقُ الْبَرِّ أَوْ الْمَسِيلِ، وَهُوَ

الْحَطِينُ الرَّقِيقُ تَخَاطَبُهُ حَمَاءُهُ.

الْبَهْرُورِيُّ: [إِتْقَانُ الْأَمْرِ: إِحْكَامُهُ، وَرَجُلٌ يَتَّقِنُ

بكسر التاء : حاذق.

ويُتَقَنُ أيضًا: اسم رجل كان جيد الرمي، يُضرب به المثل. [تم استشهد بشعر]

ويقال: «الفصاحة من يتقنه» أي من شؤبه وطبعه. (٢٠٨٦: ٥)

أبو هلال: الفرق بين الإحكام والإتقان: أن إتقان الشيء: إصلاحه، وأصله من التثنية، وهو الترتيق الذي يكون في المسيل أو البئر، وهو الطين المختلط بالحناءة. يؤخذ فيصلح به التأسيس وغيره، فيسد خلله ويصلحه، فيقال: أتقنه، إذا طلاه بالتثنية، ثم اسمل فيها يصح معرفته، فيقال: أتقت كذا، أي عرفته صحيحًا كأنه لم يدع فيه خللاً.

والإحكام: إجماد الصل محكمًا، وهذا قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُخْبِرَتْ آيَاتُهُ﴾ هود: ١، أي خلقته بحكمة، ولم يقل: أتقنت، لأنها لم تخلق وبها خلل، ثم سد خللها وحكى بعضهم: أتقت الباب، إذا أصلحته، ولا يقال: أحكمته، إلا إذا ابتدأته محكمًا. (١٧٥)

ابن فارس: التاء والقاف والتون أصلان: أحدهما: إحكام الشيء، والثاني: الطين والحناءة، فالقول الأول: أتقت الشيء: أحكمته.

وأما الحنأة والطين فيقال: ثقفوا أرضهم، إذا أصلحوها بذلك، وذلك هو التثنية. (٣٥٠: ١)

ابن سيدة: التثنية: ترتيق السر والدمن، وهو الطين الرقيق يخاط به حمار.

وقد تنقنت، واستعمله بعض الأوائل في تكدر الدم ومثكدره.

والتثنية: رُسابة الماء وخثارته، والتثنية: الطيرة.

وأتقن الشيء: أحكمه، وفي التنزيل: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الْبَرِّيَ أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨ وابن يقين: رجل. [تم استشهد بشعر] (٣٣٩: ٦)

الرَّمَقُشَرِيُّ: إذا عملت عملًا فأتقنته، ورجل متقن، وثيق، وفلان يتقن من الإتقان: موصوف بالإتقان، أي حاذق في عمله، وإنه لأرسي من ابن يقين، والفصاحة من يتقنه، أي من شؤبه. (أساس البلاغة: ٣٨) ابن منظور: والتثنية: الطين الذي يذهب عنه الماء فيشتق. والتثنية: بقية الماء الكدر في الحوض.

أبو حنيفة: الإتقان: الإتيان بالشيء على أحسن حاله من الكمال والإحكام في الخلق. وهو مشتق من قول الرمن: «ثقفوا أرضهم» إذا أرسلوا فيها الماء الخائر بالتراب فتجود.

والتثنية: مارى به الماء في الندير، وهو الذي يجيء به الماء من الحثورة. (٨١: ٧)

الفيروز أبادي: أتقن الأمر: أحكمه، والتثنية بالكسر: الطيرة، والترجل الحاذق، ورجل من الرماة يضرب بجودة رمية المثل، وترتوق البئر، ورُسابة الماء في الجدول أو المسيل.

وثقفوا أرضهم تنقيًا: أسقوها الماء الخائر لتجود. (٢٠٧: ٤)

الزبيدي: أتقن الأمر إتقانًا: أحكمه، وهو في الاصطلاح: معرفة الأدلة وضبط القواعد الكلية بجزئياتها.

التفنن بالكسر: ما يقوم به المعاش، ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض، وكل ما يقوم به صلاح شيء فهو تفننه. ذكره العلامة ابن ثابت في شرح حديث بدء الخلق وخلق التنن يوم الأربعاء. وذكره أيضًا المحافظ أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى في ترتيب رحلته. (١٥٣: ٩)

محمود شيت: أنفن القائد إبعاد الخطئة: أحكمها. خطة مثقلة: محكة. (١١٢: ١١)

المُصْطَفَوِيّ: لا يبعد أن نقول: إن بين هذه المادة ومادة «يقن» اشتقاق أكبر، فإن «اليقين» فيه إحكام وثبوت، وأما اللتين والمثناة فلعلها من جهة الوصول إلى آخر العمل، وهو نوع من الإتقان والتدقيق.

وفي كلمات رسول الله ﷺ: «طوبى لمن صنع شيئاً وأتقنه».

النصوص التفسيرية

...صَنَعَ اللهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ.

ابن عباس: أحكم كل شيء من الخلق. (٣٢٢) نحوه البغوي (٣: ٥٢٠)، وابن الجوزي (٦: ١٩٦)، والتسني (٣: ٢٢٤).

أحسن كل شيء خلقه وأتقنه. (الطبري ٢٠: ٢١) نحوه السدي (الماوردي ٤: ٢٣١)، وقتادة (الطبرسي ٤: ٢٣٧).

مجاهد: أوتق كل شيء وسوى. (الطبري ٢٠: ٢١) أحصى. (الماوردي ٤: ٢٣١)

أترص كل شيء، أي أحسن وأبرم.

(تفسير مجاهد ٢: ٤٧٦)

عبد الجبار: وقوله تعالى: «صَنَعَ اللهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ» أحد ما يدل على أن الكفر والفساد ليس من فعله، وإلا لكان يصح وصفه بأنه محكم متقن. (٣٠٤) الماوردي: فيه أربعة أوجه: [ذكر قول الأول لابن عباس والثاني لمجاهد والسدي ثم قال:]

الرابع: أوتق، واختلف فيها، فقال الضعالك: هي كلمة سريانية، وقال غيره: هي عربية مأخوذة من إتقان الشيء إذا أحكم وأوتق. وأصلها من التنن وهو ما نقل ابن الخوض من طيبة.

الطوسي: الإتقان: حسن إيتاق. (١٢٤: ٨)

الطبرسي: والمعنى: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» النحل ٨٧، وكان كيت وكيت، أناب الله الحسين

وحاقب المجرمين. ثم قال: «صَنَعَ اللهُ» يريد به الإتيان والمعاقبة، وجعل الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب، حيث قال: «صَنَعَ اللهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ» يعني أن مقابله المسنة بالقواب والسنة بالمعاقب، من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة، أنه عالم بما يفعل العباد وما يستوجبون عليه، فيكافئهم على حسب ذلك، ثم لخّص ذلك بقوله: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ» إلى آخر الآيتين، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضاده ورصانة تفسيره، وأخذ بعضه بحجة بعض، كأنما أفرغ إفراغاً واحداً، ولأمر ما أعجز القوي

وأخرس الشفائق^(١)، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان.

الآثرى إلى قوله: ﴿شَخَّ اللهُ﴾ و﴿صِنْفَةُ اللهِ﴾ البقرة: ١٣٨، و﴿وَعَدَ اللهُ﴾ الزمر: ٢٠، و﴿فَطَوَّاتُ اللهُ﴾ الزوم: ٣٠، بعدما وصفها بإضافتها إليه بسمعة التقظيم، كيف تلاها بقوله: ﴿الَّذِي آتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ و﴿عَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِنْفَةً﴾ البقرة: ١٣٨، ﴿لَا يُخْلِفُ اللهُ الْوَعْدَ﴾ الزمر: ٢٠، ﴿لَا تُبْدِلُ لِحَلْقِ اللهِ الزُّومَ﴾ ٣٠ (١٦٢: ٢).

ابن عطية: الإتيان: الإحسان في المعولات، وأن تكون حسناً وثيقة القوة. (٢٧٣: ١)

الطَّبْرَسِي: أي خلق كل شيء على وجه الإتيان والإحكام والانساق، وقيل: حسن في إيتاقه (٢٣٧: ٤) أبو الفتح: وقالوا: أحكم، أي خلق على وجه لا ترى فيه خللاً ولا أثماً، نظيره قوله تعالى: ﴿خَانِزِي فِي خَلْقِ الرُّوحَيْنِ مِنْ تَقَاوُتٍ﴾ الملك: ٣. (٨٤: ١٥)

الفخر الرازي: والمعنى أنه لما قدم ذكر هذه الأمور التي لا يقدر عليها سواء، جعل هذا الصنيع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها، على الحكمة والصواب.

قال القاضي عبد الجبار: فيه دلالة على أن القيانح ليست من خلقه وإلا وجب وصفها بأنها مُتَقَنَةٌ ولكن الإجماع مانع منه.

والجواب أن الإتيان لا يحصل إلا في المركبات فيستع وصف الأعراض بها، والله أعلم. (٢٢٠: ٢٤)

ابن عزي: أي صنع هذا النفع والإماتة، والإحياء

لجأزة العباد بالأعمال، صنفاً مُتَقَنّاً يليق به.

(٢١٢: ٢)

الْقَرطَبِيُّ: أي هذا من فعل الله، وما هو فعل منه فهو مُتَقَنٌ. (٢٤٣: ١٣)

الْبَيْضاوي: أحكم خلقه وسواء على ما ينبغي.

(١٨٥: ٢)

منه الكاشاني (٤: ٧٨)، والمشهدى (٧: ٣٨)، والبروسوي (٦: ٣٧٦)، وشجر (٤: ٤٤٤)، ونحوه ابن كثير (٥: ٢٦٠)، وأبو السمر (٥: ١٠٧)، والطنطاوي (١٢: ٢٥٠).

النيسابوري: إذكر قول عبد الجبار ورد الفخر الرازي عليه وأضاف:

قلت: ولو سلم وصف الأعراض بالإتيان، فوصف كل الأعراض به ممنوع لما من عام إلا وقد خص. ولو سلم، فالإجماع المذكور لعله ممنوع، يؤيده قوله: ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تُفَعِّلُونَ﴾، وإذا كان خيراً بكل أفعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه يمتنع أن يقع، فقد صحت معارضة الأشعري.

وعلى مذهب الحكيم، وقاعدته صدور الشر القليل من الحكيم، لأجل الخير الكثير، لا ينافي الإتيان، والله أعلم. (٢٠: ٢٠)

أبو حيان: [ذكر قول الزمخشري وأضاف:] وهذا الذي ذكره من شفاقه وتكثيره في الكلام واحتياله في إدارة ألفاظ القرآن، لما عليه من مذاهب المعتزلة. [ولل كلام بقیة راجع: «ص ن ع»] (٧: ١٠٦)

لأحوال الآخرة، وأن الإنسان يحسب الجبال يومئذ جامدة، وليست كذلك، بل تمر مر السحاب، وهي في صورة الجبال، لأن الله أنقش صنعها في الدنيا. وبشبه بذلك قوله: ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، فإنه راجع إلى جزاء الآخرة على الأعمال.

وقال الزمخشري في (صنع الله): «يعني به الإجابة والمعاقبة، وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أنقشها، وأتى به على الحكمة والصواب... يعني أن مقابلته الحسنة بالنواب، والسببية بالعقاب، من جملة إحكامه للأشياء...» إلى أن قال: «فاغظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن ظنه وثرثبه...».

ثانيًا: ومن ناحية أخرى فقد جاء في آيتين لها: ﴿وَأَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ يَتِيمَاتٍ يَتَوَكَّلْنَ عَلَيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْهِرٍ﴾. إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (النمل: ٨٢). وفي حالة الدنيا دون الآخرة، مع سبقها بآيات حول الآخرة من قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، إلى قوله: (لَا يَخْلِقُونَ) (النمل: ٨٢ - ٨٥). فوقع الآية المعنية بين آيات القيامة لا يمنع من وصف الدنيا بها لتقاس بها الآخرة، وهذا هو الذي يتراءى من كلام غير الزمخشري، فلاحظ.

وعلى هذه الرؤية فهي وصف للجبال في الدنيا، وتأيد لرأي صدر الدين الشيرازي بالحركة الجوهرية، إذ قد استدلل بها، أي أن الله أنقش كل شيء صنعًا، ومع ذلك فالجبال - وكذا العالم بأجمعه - تتحول دائمًا.

وبناء عليه، فذكر آيات الخلقة وصنعها خلال آيات الآخرة، من أجل التمدليل على علم الله وقدرته

وسيطرته على العباد في الآخرة كما في الدنيا، وأنه خبير بأحوال العباد، وقادر على الحساب والكتاب، وعلى الثواب والعقاب، بلا ظلم لهم ولا طغيان.

ثالثًا: لم خصص «الإتيان» في الآية بالمنطقة، وخصص «الإحكام» بالقرآن في الآيات التالية؟

١- ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتَ مِنْ لَدُنْكَ حَكِيمٌ خَبِيرٌ﴾
هود: ١

٢- ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ سَائِلِي الشَّيْطَانِ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾
الحج: ٥٢

٣- ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مَحْكَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْغَالُ وَآلَتِ الدِّهْنِ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾

محمد: ٢٠
١- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾
آل عمران: ٧

والجواب - على رأي أبي هلال في الفرق بين الإتيان والإحكام - «أن الإتيان: إصلاح الخلل، والإحكام: إجماع الشيء مُحْكَمًا بلا خلل. فالقرآن أوحى صهيبةً كاملاً، ولم يكن فيه خلل حتى يتقنه، أما العالم فخلق تدريجيًا وأتقن، مُسَدِّ خَلْلَهُ».

ومعنى هذا أن العالم لم يُخلق صهيبةً، وكان فيه خلل مُسَدِّ، والاعتراف به مشكل، كيف وقد قال تعالى: ﴿مَنْزُورٌ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورِهِ ثُمَّ اذْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِسًا وَهُوَ خَبِيرٌ﴾ المملك: ٣، ٤، وقال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ السجدة: ٧، لاحظ «خ ل ق».

والجواب على رأي الفلاسفة الإسلاميين واضح، فالعالم عندهم فعل الله بإرادة أزلية، كما قال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَنَفْخِ الْفَيْفِ﴾ القمر: ٥٠. وكذلك على رأي العرفاء، ولاسيما القائلون بوحدة الوجود، فالعالم - وهو كل شيء - عندهم هيضه المقدس ومظهره، ووجد مرةً بآتقان، أما القرآن فنزل تجوُّلاً بحكماً. لاحظ «ص ن ع».

ولعلَّ المفتر من ذلك أنَّ «الإحكام» من الحكمة، وهي خاصة بالكلام، أمَّا «الآتقان» فيختصُّ بالصنع وخلق الأشياء، فجاء كلٌّ منهما في موضعها من اللفظ، فقال في القرآن: ﴿أَخْرَجْتَ آيَاتَهُ﴾، وفي المخلقة: ﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

رابعاً: لم أفرِد (أمتن) في القرآن ولم يتكرَّر؟





مرکز تحقیقات کلام و فقه اسلامی

ت ل ك

٣ ألفاظ . ٤٣ مرة : ٢٥ مكية . ١٨ مدنية
في ٣٦ سورة : ١٩ مكية . ٧ مدنية

المهجمة. [إل أن قال:]

تِلْكَ ٤١: ٢٣- ١٨ تِلْكَ ١: ١

وتصغير «تلك»: تَيَّا وتَيَّاك. (٣٦: ١٥)

تِلْكُمْ ١: ١

الجزهري: «تا» اسم يشار به إلى المؤنث. مثل

«ذا» للمذكر. [تم استشهد بشعر]

النصوص اللغوية

و«ته» مثل «ذه» و«تان» للتثنية، وأولاء للجمع.
وتصغير «تا»: تَيَّا بالفتح والتشديد؛ لأنك قلبت الألف
ياء، وأدغمتها في ياء التصغير.

سببويه: أما الأسماء المهجمة فنحو: هذا وهذه.
وهذان وهاتان، وهؤلاء وذلك وتلك، وذانك وتنانك
وأولئك، وما أشبه ذلك.

ولك أن تدخل عليها «ها» للتثنية، فقول: هاتا
هند، وهاتان، وهؤلاء، وفي التصغير: هاتيا.

وإنما صارت معرفة، لأنها صارت أسماء إشارة إلى
الشيء دون سائر أمته. (٥: ٢)

فإن خاطبت جنث بالكاف، فقلت: تيك وتيلك
وتاك وتلك بفتح التاء، وهي لغة رديئة، [إل أن قال:]
ولا تدخل «ها» على «تلك» لأنهم جعلوا اللام
عوضاً من «ها» التثنية.

الجزهري: قالوا: تيك وتلك وتالك، مطلقاً. [تم
استشهد بشعر]

أهل الكوفة يسمون: ذا وتا وتلك وذلك وهذا
وهذه وهؤلاء والذي والذين والتي واللاتي، حروف
المثل.

وتالك: لغة في تلك. [تم استشهد بشعر]

وأهل البصرة: يسمونها حروف الإشارة، والأسماء

ابن بسري : إنما امتنعوا من دخول «ها» التنبيه على ذلك وتلك، من جهة أن «اللام» تدل على بُعد المشار إليه، و«ها» التنبيه تدل على قرب، فتنافيا وتضادا.

(ابن منظور ١٥ : ٤٤٧)

أبو حيان : «تلك» من أسماء الإشارة يُطلق على المؤنثة في حالة البعد. ويقال : تلك وتلك وتلك، بفتح القاء وسكون اللام، وكسرهما وياء بعدها، وكسر اللام وفتحها، وألف بعدها وكسر اللام، [ثم استشهد بشعر] (١١ : ٣٣٧)

المصطفوي : «تلك» من أسماء الإشارة للمفرد المؤنث، واللام تلحقها إذا أشير بها إلى البعيد، والكاف للخطاب.

والظاهر أن أصل هذه الكلمة هو «تي» حين «تاء» و«ته» والياء حذف لالتقاء الساكنين ولا يبعد أن نقول : إن الأصل في صيغ أسماء الإشارة المؤنثة هو هذه الكلمة، لمناسبة التاء والياء التأنيث.

ثم إن البعد قد يكون معنوياً، وقد يكون اعتبارياً للتخظيم والتجليل، كما أن حرف الخطاب المفردة قد تكون في مورد التنبيه والجمع، فظراً إلى جنس المخاطب أو إلى واحد لابعده، أو للدلالة على صرف الخطاب. [ثم ذكر آيات] (١١ : ٣٧١)

النصوص التفسيرية

تِلْكَ

١... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. البقرة : ١٨٧

الطبري : يعني تعالى ذكره بذلك هذه الأشياء التي يبيتها من الأكل والشرب والجماع في شهر رمضان نهائاً في غير عذر، وجماع النساء في الاعتكاف في المساجد. (٢ : ١٨٢)

نحوه البخوي (١ : ٣٣٢)، والزحسري (١ : ٣٤٠)، وابن عطية (١ : ٢٥٩)، والطبرسي (١ : ٢٨١)، والقرطبي (٢ : ٣٣٧)، والبيضاوي (١ : ١٠٣)، والنسفي (١ : ٩٦)، وأبو السعود (١ : ٢٤٤)، والبروسوي (١ : ٣٠١)، والقاسمي (٣ : ٤٦٤)، ورشيد رضا (٢ : ٧٨).

الفخر الرازي : قوله : (تِلْكَ) لا يجوز أن يكون إشارة إلى حكم الاعتكاف، لأن الحدود جمع، ولم يذكر في المال في الاعتكاف إلا حداً واحداً وهو تحريم المباشرة، بل هو إشارة إلى كل ما تقدم في أول آية الصوم إلى هاهنا، على ما سبق شرح مسائلها على التفصيل.

(٥ : ١٢٦)

نحوه أبو حيان. (٢ : ٥٤)

٢- تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. النساء : ١٣

الفخر الرازي : فيه بحثان :

الأول : أنه إشارة إلى أحوال المواريث.

القول الثاني : أنه إشارة إلى كل ما ذكره من أول السورة إلى هاهنا، من بيان أموال الأيتام وأحكام الأنكحة وأحوال المواريث، وهو قول الأصم.

حجة القول الأول أن الضمير يعود إلى أقرب

المذكورات، وحبّة القول الثاني أنّ عوده إلى الأقرب، إذا لم يتنع من عوده إلى الأبعد مانع يوجب عوده إلى الكلّ.

البحث الثاني: أنّ المراد بمحدود الله المقدرات التي ذكرها وبينها،

وهكذا جاء في أكثر التفاسير.

٣- تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا خَلْقٌ بِإِحْقَاقٍ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُتَّبِعِينَ. البقرة: ٢٥٢

الطبري: هذه الآيات التي اختص الله فيها أمر الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت.

(٢: ٢٥٢)

نحو الزجاج (١: ٢٣٣)، والكاشاني (١: ٢٥٧)، ورشيد رضا (٢: ٤٩٦).

الزجاجي: إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة، أو التي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ

نحو الطبرسي (١: ٢٥٨)، والبيضاوي (١: ١٣١)، والهازني (١: ٢٢٣)، والبروسوي (١: ٣٩١)، وشبر (١: ٢٥٦)، والقاسمي (٣: ٦٥٠).

الفخر الرازي: [نحو الزجاجي وأضاف:]

فإن قيل: فلم قال: (تِلْكَ) ولم يقل: «هذه» مع أنّ تلك يشار بها إلى غائب لا إلى حاضر؟

قلنا: قد بينّا في تفسير قوله: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» أنّ «تلك» وذلك» يرجع إلى معنى: هذه وهذا، وأيضاً لهذه القصص لما ذكرت صارت بعد ذكرها

كالشيء الذي انقضى ومضى، فكانت في حكم الغائب، فلهذا التأويل قال: (تِلْكَ).

أبو السعود: إشارة إلى ما سلف من حديث الألف، وخبر طالوت على التفصيل المرقوم، وما فيه من معنى التبع للإيدان بعلو شأن المشار إليه. (١: ٢٩٦) الألوسي: [نحو أبو السعود وأضاف:]

قيل: إشارة إلى ما مر من أول السورة إلى هنا، وفيه بُعد، والمعملة على التقديرين مستأنفة. (٢: ١٧٤)

٤- تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا خَلْقٌ بِإِحْقَاقٍ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلُمًا لِّلْعَالَمِينَ. آل عمران: ١٠٨

الطبرسي: والفرق بين تلك وهذه: أنّ «تلك» إشارة إلى ما هو بعيد، فجازت الإشارة بها إليه لانقضاء الآية، وصليح «هذه» لقربها في التلاوة. ولو كانت بعيدة لم يصلح أحدهما مكان الآخر.

الفخر الرازي: فقله: (تِلْكَ) فيه وجهان: الأول: المراد أنّ هذه الآيات التي ذكرناها هي دلائل الله، وأنما جاز إقامة «تِلْكَ» مقام «هذه» لأن هذه الآيات المذكورة قد انقضت بعد الذكر، فصار كأنها بعدت، فقل فيها: (تِلْكَ).

والثاني: إنّ الله تعالى وعده أن يُنزل عليه كتاباً مشتملاً على كلّ ما لابدّ منه في الدين، فلما أنزل هذه الآيات قال: تلك الآيات الموعودة هي التي نتلوها عليك بإحْقَاقٍ.

الطبرسي: «تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ» ابتداء وخبر، يعني القرآن.

وقيل: (تِلْكَ) بمعنى «هذه» ولكنها لما انقضت صارت كأنها بُعِدَتْ، فقيل: (تِلْكَ).

ومجوز أن تكون (آيَاتُ اللَّهِ) بدلاً من (تِلْكَ)، ولا تكون نعمًا، لأنَّ الْمُبَيَّنَّ لَا يَنْتَمِ بِالمُضَافِ. (١٦٩: ٤)

أبو حنيفة: الإشارة بـ (تِلْكَ) قيل: إلى القرآن كله.

وقيل: إلى ما أنزل من الآيات في أمر الأوس والخزرج

واليهود الذين مكروا بهم والتقدم إليهم بنجيب

الافتراق، وكشف تعالى للمؤمنين من حالهم وحال

أعدائهم بقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

آل عمران: ١٠٦. (٢٦: ٣)

أبو السموء: إشارة إلى الآيات المشتملة على تنعيم

الأبرار وتعذيب الكفار. ومعنى البعد للإيذان بعلو شأنها

وموَّ مكانها في الشرف، وهو مبتدأ. (١٦: ٤)

نحوه البروسوي. (٧٧: ٢٢)

٥- الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ. يونس: ١

ابن عباس: استعمل (تِلْكَ) بمعنى «هذه» والمشار

إليه حاضر قريب. (أبو حنيفة: ٥: ١٢٢)

مجاهيد: (تِلْكَ) إشارة إلى التوراة والإنجيل.

(الطوسي: ٥: ٣٨٢)

أبو عبيدة: مجازها: هذه آيات الكتاب الحكيم.

(٢٧٢: ١)

الزجاج: إشارة إلى آيات القرآن التي جرى

ذكرها. (أبو حنيفة: ٥: ١٢١)

الطوسي: قال قوم: إنما قال: (تِلْكَ) لتقدم الذكر في

(الر) كقولك: هند هي كريمة. [وبعد قول مجاهد قال:]

وهذا بعيد، لأنه لم يجر لها ذكر. (٣٨٢: ٥)

الزجاج: إشارة إلى ما تضمنته السورة من

الآيات و(الكتاب): السورة. (٢٢٤: ٢)

مثله التسي. (١٥٢: ٣)

ابن الجوزي: وفي قوله: (تِلْكَ) قولان: أحدهما:

[قول ابن عباس وقد تقدم]

والثاني: أنه على أصله، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها:

[قول مجاهد، وقد تقدم] والثاني: [قول الزجاج وقد

تقدم]

والثالث: أن (تِلْكَ) إشارة إلى (الر) وأخواتها من

حروف المعجم، أي تلك الحروف المفتحة بها السور هي

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ لأنَّ (الكتاب) بها يتلى، وألفاظه إليها

راجع. ذكره ابن الأثيري. (٤: ٤)

المصنف الزاوي: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

الْحَكِيمِ﴾ فيه مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: (تِلْكَ) يحتمل أن يكون إشارة

إلى ما في هذه السورة من الآيات ومحتمل أن يكون

إشارة إلى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن.

وأيضاً هذا الكتاب الحكيم) يحتمل أن يكون المراد

منه هو القرآن. ومحتمل أن يكون المراد منه غير القرآن،

وهو الكتاب العزيز المكنون عند الله تعالى الذي منه

نسخ كل كتاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في

كتاب مكنون» الواقعة: ٧٧، ٧٨، وقال تعالى: ﴿يَتْلُو

هُوَ قُرْآنٌ مجِيدٌ﴾ في لوح محفوظ» العروج: ٢١، ٢٢،

وقال: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّ حَكِيمٌ﴾

الزخرف: ٤، وقال: ﴿يَتَخَوَّاهُ اللَّهُ نَتِيشًا وَيُنِيبُ وَجَنَّةُ

أُمُّ الْكِتَابِ الرَّعْدُ: ٢٩.

وإذا عرفت ما ذكرنا من الاحتمالات تحصل هاهنا حيث وجوه أربعة من الاحتمالات:

الاحتمال الأول: أن يقال: المراد من لفظة (تِلْكَ) الإشارة إلى الآيات الموجودة في هذه السورة، فكان التقدير: تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم الذي هو القرآن؛ وذلك لأنه تعالى وعد رسوله عليه الصلاة والسلام أن ينزل عليه كتاباً لا يحوه الماء، ولا يغيره كرور الدهر، فالتقدير: أن تلك الآيات الحاصلة في سورة (الر) هي آيات ذلك الكتاب الحكيم الذي لا يحو الماء.

الاحتمال الثاني: أن يقال: المراد أن تلك الآيات الموجودة في هذه السورة هي آيات الكتاب المفسر المكنون عند الله.

واعلم أن على هذين القولين تكون الإشارة بقولنا: (تِلْكَ) إلى آيات هذه السورة. وفيه إشكال، وهو أن (تِلْكَ) يشار بها إلى الغائب، وآيات هذه السورة حاضرة، فكيف يحسن أن يشار إليه بلفظ (تِلْكَ).

واعلم أن هذا السؤال قد سبق مع جوابه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ البقرة: ١.

الاحتمال الثالث والرابع: أن يقال: لفظ (تِلْكَ) إشارة إلى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن، والمراد بها: هي آيات القرآن الحكيم، والمراد أنها هي آيات ذلك الكتاب المكنون المفسر عند الله تعالى.

وفي الآية قولان آخران:

أحدهما: أن يكون المراد من ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾

التوراة والإنجيل، والتقدير: أن الآيات المذكورة في هذه السورة هي الآيات المذكورة في التوراة والإنجيل، والمعنى: أن القصص المذكورة في هذه السورة موافقة للقصص المذكورة في التوراة والإنجيل، مع أن محمداً عليه الصلاة والسلام ما كان عالمًا بالتوراة والإنجيل، فحصول هذه الموافقة لا يمكن إلا إذا خص الله تعالى محمداً بإزالة الوحي عليه.

والثاني: وهو قول أبي مسلم: أن قوله: (الر) إشارة إلى حروف التهجي، فقوله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ يعني هذه الحروف، هي الأشياء التي جعلت وعلامات لهذا الكتاب الذي آيات به وقع التعدي فلولاً امتياز هذا الكتاب عن كلام الناس بالوصف المعجز، وإلا لكان اختصافه بهذا النظم، دون سائر الناس القادرين على التلطف بهذه الحروف عمالاً. (١٧: ٤)

الطباطبائي: الإشارة باللفظ الدال على السيد لذلك على ارتفاع مكانة القرآن وصلو مقامه، فإنه كلام الله النازل من عنده، وهو المكي الأعلى رفيع الدرجات ذو العرش. (١٠: ٧)

نحوه مكارم الشيرازي. لاحظ «ك ت ب»

٦- الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. يوسف: ١
الطوسي: قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ قال قوم: هو إشارة إلى ما تقدم من ذكر السورة في قول (الر) كأنه قال: سورة يوسف ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

الثاني: أنه إشارة إلى ما يأتي من ذكرها على وجه

التوقع لها.

وقال قوم: معناه هذه تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة، كما قال: ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ البقرة: ١، ٢.

(٩١: ٩)

نحوه الطبرسي.

الزمخشري: (تلك) إشارة إلى آيات التوراة، و﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: السورة، أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة. (٣٠٠: ٢)

نحوه الفخر الرازي (١٨: ٨٣)، والبيضاوي (١)، (٤٨٦)، والنسي (٢: ٢١٠)، والنيسابوري (١٢: ٧٩)، والشريفي (٢: ٨٧).

أبو عتيان، والإشارة بـ(تلك آيات) إلى (الر) وشارف حروف المعجم التي تركبت منها آيات القرآن، أو إلى التوراة والإنجيل، أو الآيات التي ذكرت في سورة هود، أو إلى آيات السورة و﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: السورة، أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة أقوال.

(٢٧٧: ٥)

البروسوي: (تلك) السورة، وأشير إليها بما يشير إلى البعيد، لأنه وصل من المرسل إلى المرسل فصار كالمتباعد، أو لأن الإشارة لما كانت إلى الموجود في الذهن أشير به إيماء إلى بعده عن حيز الإشارة لما أنها تكون بحسوس مشاهد، وهو مبتدأ أخيره قوله: ﴿آيَاتِ الْكِتَابِ﴾.

الآلوسي: والإشارة في قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ﴾ إليه [الر] في قول، وإلى (آيات) هذه السورة في آخر، وأشير إليها مع أنها لم تذكر بعد لتأنيدها.

لكونها مترتبة منزلة المتقدم، أو لجعل حضورها في الذهن بمنزلة الوجود الخارجي، والإشارة بما يشار به للبعد.

أما على الثاني، فلأن ما أشير إليه لما لم يكن محسوساً نزل منزلة البعيد بعده من حيز الإشارة، أو العظمة ويُعد مرتبته، وعلى غيره لذلك، أو لأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل صار كالمتباعد.

وزعم بعضهم أن الإشارة إلى ما في اللوح وهو بعيد، وأبعد من ذلك كون الإشارة إلى التوراة والإنجيل، أو الآيات التي ذكرت في سورة هود. (١٧٠: ١٢)

نحوه القاسمي. (٣٥٠: ٢: ٩)

الطباطبائي: الإشارة بلفظ البعيد للتخمين والتشهير. (٧٥: ١١)

٧- تلك آيات الكتاب المبين. الشعراء: ٢
الطوسي: إنما أشار بـ(تلك) إلى ما ليس ب حاضر، لأنه متوقع، فهو كالحاضر بحضور المعنى للنفوس، وتقديره: تلك الآيات آيات الكتاب.

وقيل: تلك الآيات التي وعدتم بها هي القرآن. وقيل: إن (تلك) بمعنى هذا. (٤: ٨)

نحوه الطبرسي (٤: ١٨٤)، المشهدي (٧: ٢٣٠). ابن عطية: (تلك) رفع بالابتداء، وهو وخبره ساذمة الخبر عن (طستم) في بعض التأويلات، والإشارة بـ(تلك) هي بحسب الخلاف في (طستم).

وعلى بعض الأقوال تكون (تلك) إشارة إلى حاضر، وذلك موجود في الكلام، كما أن «هذه» قد

تكون الإشارة بها إلى غائب معهود كأنه حاضر.

(٢٢٤: ٤)

أبو الشعثه: إشارة إلى السورة سواء كان (طسم) مسروداً على نمط التثديد أو اسماً للسورة، حسباً من تحقيقه هناك. وما في اسم الإشارة من معنى البعد للفتية على بُعد منزلة المشار إليه في الفخامة. ومحلّ الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده، وعلى تقدير كون (طسم) مبتدأ، فهو مبتدأ ثان أو بدل من الأول.

(٣٠: ٥)

نحوه الأكوسي. الطباطبائي: الإشارة بـ(تِلْكَ) إلى (آيَاتُ الْكِتَابِ) مما سينزل بهزول السورة وما نزل قبل، وتخصيصها بالإشارة البعيدة للدلالة على علوّ قدرها ورضة مكانتها.

جاء بهذا المعنى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ...﴾ التسهيل. ١، و﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ لقمان: ٢.

٨- تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ... البقرة: ٢٥٣ الطبري: الذين فصل الله قصصهم في هذه السورة.

نحوه الخازن (٢٢٣: ١)، والكاشاني (٢٥٧: ١). الرّمحشيري: إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصاً في السورة، أو التي ثبت علمها عند رسول الله ﷺ.

نحوه البضاوي (١٣٢: ١)، والنسفي (١٢٧: ١)، وشبر (٢٥٦: ١).

الزّجاج: (الرُّسُلُ) صفة لـ(تِلْكَ) كقولك: أولئك الرسل فضلنا بعضهم على بعض. إلا أنه قيل: (تِلْكَ) للجماعة، وخبر الابتداء ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ...﴾ (٢٢٣: ١) نحوه الطبرسي (٣٥٨: ١)، وابن عطية (٣٢٨: ١). الفخر الرازي: في الآية مسائل: المسألة الأولى (تِلْكَ) ابتداء. وإنما قال: (تِلْكَ) ولم يقل: «أولئك» الرسل، لأنه ذهب إلى الجماعة، كأنه قيل: تلك الجماعة. (الرُّسُلُ) بالرفع، لأنه صفة لـ(تِلْكَ)، وخبر الابتداء ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾.

نحوه القرطبي. أبو حيان: (تِلْكَ) مبتدأ، وخبره (الرُّسُلُ) صفة لاسم الإشارة، أو عطف بيان. وأشار بـ(تِلْكَ) التي للبعيد ما بينهم من الأزمان وبين النبي ﷺ. [إلى أن قال:] والأول لمن تكون إشارة إلى (المُرسلين) في قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ولا يلزم من ذلك علمه ﷺ بأعينهم بل أخبر من جملة المرسلين وأنّ (المُرسلين) فضل الله بعضهم على بعض.

وأق بـ(تِلْكَ) التي للواحدة المؤنثة وإن كان المشار إليه جمعا، لأنه جمع تكسير، وجمع التّكسير حكمه حكم الواحدة المؤنثة في الوصف، وفي عود الضمير، وفي غير ذلك.

وكان جمع التّكسير هنا لاختصار اللفظ ولإزالة قلق التكرار، لأنه لو جاء أولئك المرسلون فضلنا، كان اللفظ فيه طول وكن فيه التكرار.

(٢٧٢: ١)

٩- وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مَنِ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. الأنعام: ٨٣
الرَّمَحُشَرِيُّ: (تِلْكَ) إشارة إلى جميع ما احتج به
إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾
إلى قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ٧٦- ٨٢. (٢: ٢٣)
نحوه التَّبَاوُؤُ: (١: ٣١٦)، والْقَرُطُوبِيُّ (٧: ٣٠)،
والتَّنْسِي (٢: ٢١)، وأَبُو حَيَّان (٤: ١٧١)، والْبَرْوَسِيُّ
(٣: ٥٨)، وَشَيْبَر (٢: ٢٨٢).
ابن عَطِيَّة: إشارة إلى هذه الحجة المتقدمة، وهي
رفعُ بالابتداء. (٢: ٣١٦)
الفَخْرُ الرَّازِي: (تِلْكَ) إشارة إلى كلام تقدم، وفيه
وجوه:

الأول: أَنَّهُ إشارة إلى قوله: ﴿لَا أُجِبُ الْإِنجِلِينَ﴾
الأنعام: ٧٦.

والثاني: أَنَّهُ إشارة إلى أَنَّ القوم قالوا له: أَمَا خَافَ
أَنْ تَعْبُدَ آلَهُتَنَا لِأَجْلِ أَنَّكَ عَتَمْتَهُمْ؟ فقال لهم: أَفَلَا
تَخَافُونَ أَنْتُمْ حَيْثُ أَقْدَمْتُمْ عَلَى الشَّرِكِ بَافَهُ وَسَوِّمْتُمْ فِي
الْعِبَادَةِ بَيْنَ خَالِقِ الْعَالَمِ وَمُدَبِّرِهِ وَبَيْنَ الْخَشَبِ الْمُنْحَوْتِ
وَالصُّنَمِ الْمَحْمُولِ؟

والثالث: أَنَّ المراد هو الكل.

إذا عرفت هذا فنقول: قوله: (وَتِلْكَ) مبتدأ، وقوله:
(حُجَّتُنَا) خبره، وقوله: ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ صفة لذلك
الخبر. (١٣: ٦٦)

أَبُو الشَّوَد: [نحو الرَّمَحُشَرِيِّ وَأَضَافَ:]

وما في اسم الإشارة من معنى التَّعَدُّ لِتَفْخِيمِ شَأْنِ
الْمُشَارِ إِلَيْهِ، وَالْإِشْعَارُ بِعُلُوِّ طَبَقَتِهِ وَسَمُوِّ مَرْتَلِئِهِ فِي الْفَضْلِ.

وهو مبتدأ، وقوله تعالى: (حُجَّتُنَا) خبره. (٢: ٤٠٩)
نحوه الْإِكْوَسِيُّ.

القاسمي: أي: الدلائل المشار إليها في قوله:
﴿أَتَتَّخِذُ أَضْنَانًا آلِهَةً﴾ الأنعام: ٧٤. (٦: ٢٣٩٢)

١٠- تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَنَقَدُّ
جَاءَتْهُمْ رَسُولُهُمْ.

الرَّمَحُشَرِيُّ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ...﴾ كقوله:
﴿هَذَا يَقُولُ شَيْخًا﴾ هود: ٧٢. في أَنَّهُ مبتدأ وخبر
وحال، ويجوز أن يكون (الْقُرَى) صفة ل(تِلْكَ) و(نَقُصُّ)
خبراً، وأن يكون (الْقُرَى نَقُصُّ) خبراً بعد خبر.

فإن قلت: ما معنى (تِلْكَ الْقُرَى) حتى كون كلاماً
مفصلاً؟

قلت: هو مفيد ولكن بشرط التقيد بالمال، كما
يفيد بشرط التقيد بالصفة في قولك: هو الرجل الكريم.
(٢: ٩٩)

ابن عَطِيَّة: (تِلْكَ) ابتداء، و(الْقُرَى) قال قوم: هو
نمت، والخبر (نَقُصُّ) ويؤيد هذا أَنَّ القصد إنما الإخبار
بالنقص.

والظاهر عندي أَنَّ (الْقُرَى) هي خبر الابتداء، وفي
ذلك معنى التعظيم لها ولهلكها، وهذا كما قيل في ﴿ذَلِكَ
الْكِتَابُ﴾ البقرة: ٢، أَنَّهُ ابتداء وخبر، وكما قال عليه السلام:
«أُولَئِكَ الْخَلَاءُ» وكقول أبي العَصَلِ: «تِلْكَ الْمَكَارِمُ»، وهذا
كثير. وكأنَّ في اللَّفْظِ معنى التَّحَسُّرِ عَلَى الْقُرَى
المذكورة. (٢: ٤٣٣)

نحوه الفَخْرُ الرَّازِي.

مع من يعلم أنه زيد، وإلا جاء الإحالة، لأنه يكون زيد قائماً، كان أو لا.

وإذا جعل خبراً بعد خبر فـ ﴿تِلْكَ الْقَرْيُ﴾ على أسلوب ذلك الكتاب على أحد الوجوه، و﴿تَقْصُ﴾ خبر ثان تقييماً على تضييع، حيث به على أن لها قصصاً وأحوالاً أخرى مطوية. (١٤: ٩)

١١- تِلْكَ مِنْ أَنْتَاهِ الْفَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ فَاكُنْتُ تَقْصُهَا أَنْتَ وَلَا قَرْيُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا قَاصِرٌ إِنَّ الْقَاصِرَةَ لِلْمُسْتَبِينَ. هود: ٤٩

الطُّبْرِي: هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه. (٥٦: ١٢)

كذا جاء في أكثر التفاسير.

ابن الجوزي: في المشار إليه بـ ﴿تِلْكَ﴾ قولان: أحدهما قصة نوح، والثاني: آيات القرآن، والمعنى: تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك.

فان قيل: كيف قال هاهنا: ﴿تِلْكَ﴾ وفي مكان آخر ﴿ذَلِكَ﴾؟

فقد أجاب عنه ابن الأثيري، فقال: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات القرآن، و﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الخبر والحديث، وكلاهما معروف في اللغة الفصيحة، يقول الرجل: قد قدم فلان، فيقول سامع قوله: قد فرحت به وقد سررت بها. فإذا ذكر عنى القدوم، وإذا أتت، ذهب إلى القدمة. (١١٦: ٤)

الآلوسي: إشارة إلى قصة نوح عليه السلام وهي تفضيها ي حكم العبد، ويحتمل أنه أشير بأداة العهد إلى بُعد

أبو السعود: ﴿تِلْكَ الْقَرْيُ﴾ جملة مستأنفة جارية بمرى الفذلك لما قبلها من القصص، مبنية عن غاية غواية الأمم المذكورة، وتناديهم فيها بعد ما انتهم الرسل بالمعجزات الباهرة، و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قري الأمم المهلكة.

على أن اللام للعهد وهو مبتدأ، وقوله تعالى: ﴿تَقْصُ عَنْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ خبره، وصيغة المضارع للإيدان بدم انتضاء القصة بعد، و﴿مِنْ﴾ للتبويض، أي بعض أخبارها التي فيها عظة وتذكير. (١٠: ٣)

أبوحيان: جاءت الإشارة بـ ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى بُعد هلاكها وتقدمه، وحصل الربط بين هذه وبين قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقَرْيُ﴾ و﴿تَقْصُ﴾ يحتمل إيقاظه على حيلة من الاستقبال.

والمعنى قد قصصنا عليك من أنبائها، ونحوه وقصص عليك أيضاً منها مفرقاً في السور.

ويجوز أن يكون خبر بالمضارع عن الماضي، أي تلك القرى قصصنا، و﴿الأنباء﴾ هنا أخبارهم مع أنبائهم ومآل عصيانهم، و﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، و﴿الْقَرْيُ﴾ خبر، و﴿تَقْصُ﴾ جملة حالية، نحو قوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ...﴾ النمل: ٥٢. (٣٥٢: ٤)

الآلوسي: [نحو أبي السعود ثم نقل كلام الزمخشري وأضاف:]

وفيه أن حديث الاستغناء ممنوع، فإن المعنى كما في «الكشف» على التقديرين مختلف، لأنه إذا جعل حالاً يكون المقصود تقييده بالجمال، كما ذكره الزجاج في نحو: هذا زيد قائماً، إذا جعل قيداً للخبر أن الكلام إنما يكون

منزلتها.

وقيل: إن الإشارة إلى آيات القرآن، وليس بذلك:

وهي في محل الرفع على الابتداء. (١٢: ٧٥)

١٢- وَتِلْكَ عَادٌ جَعَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ

وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ غَنِيْدٍ. هود: ٥٩

الطَّبْرِيّ: يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين أحلّلنا

بهم نعمتنا وعذابنا عاد، جعدوا بأدلة الله وحججه.

(١٢: ٦١)

الطَّبْرِيّ: قوله: (وَتِلْكَ) إشارة إلى من تقدّم

ذكره، وتقديره: وتلك القبيلة عادٌ جعدوا آيات ربهم.

(١٤: ٦٦)

نحوه البَنَوِيُّ (٢: ٤٥٤)، والطَّبْرِيّ (٣: ١٢٦)،

وابن الجَوَزِيِّ (٤: ١٢٠)، وآبو الشَّوَد (٣: ٣٢٦)

الرَّمَحَشَرِيُّ: (تِلْكَ عَادٌ) إشارة إلى قبورهم

وأثارهم، كأنه قال: سيعوا في الأرض فاظفروا إليها

واعتبروا. (٢: ٢٧٧)

نحوه الفَخْرُ الرَّازِيُّ (١٨: ١٥)، والنَّسَبِيُّ (٢: ١٩٤)،

والخازن (٣: ١٩٥)، وأبو حَيَّان (٥: ٢٢٥)، والشَّيرَازِيُّ

(٢: ٦٥).

البَيْضَاوِيُّ: أنت اسم الإشارة باعتبار القبيلة، أو

لأن الإشارة إلى قبورهم وأثارهم. (١: ٤٧٢)

البُزْؤَسَوِيُّ: قال العلامة الطَّبْرِيُّ: كأنه تعالى أذن

بتصوير تلك القبيلة في الذهن، ثم أشار إليها وجعلها

خبراً للمبتدأ المزيد الإيهام، فيحسن التفسير بقوله:

﴿جَعَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كلّ الحسن، لمزيد الإجمال

والتفصيل، انتهى.

ويجوز أن تكون إشارة إلى قبورهم وأثارهم، كأنه

تعالى قال: سيروا في الأرض فاظفروا إليها واعتبروا.

ففي الكلام مجاز حذف إتما قبل المبتدأ، أي أصحاب

تلك، وإتما قبل الخبر، أي قبور عاد كفروا بآيات ربهم

بعد ما استيقنوها. (٤: ١٥٦)

الآلُوسِيُّ: أنت اسم الإشارة باعتبار القبيلة على

ساقيل، فالإشارة إلى مافي الذهن، وصيغة البعيد

للتحقيرهم، أو لتزليلهم منزلة البعيد لعدمهم، أو الإشارة

إلى قبورهم ومصارعهم، وحبط الإشارة للبعد

المحسوس والإسناد مجازي، أو من مجاز الحذف، أي تلك

قبور عاد.

ويجوز أن يكون بتقدير أصحاب تلك عاد، والجملة

خبرها وخبر. وكان المقصود المثل على الاعتبار بهم،

والإلتفات بأحوالهم. (١٢: ٨٦)

نحوه القاسمي. (٩: ٣٤٥٩)

١٣- وَمَا تِلْكَ بِبَيْمِينِكَ يَا مُوسَى. طه: ١٧

الرَّجَّاح: (تِلْكَ) اسم مبهم يجري مجرى «التي»،

ويوصل كما توصل «التي»، المعنى: مائتي بيمينك

يا موسى.

وهذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام، ومجره في الكلام

مجرى مائسأل عنه ويجيب مخاطب بالإقرار به، لتثبت

عليه الحقّة بعد ما قد اعترف مستغنى بإقراره عن أن

يجحد بعد وقوع الحقّة.

ومثله من الكلام أن تُري مخاطب ماء فتقول له:

ما هذا، فيقول: ماء، ثم تُحمله بشيء من الصُّبغ، فإن قال:

إِنْ لَمْ يَزَلْ هَكَذَا، قُلْتُ لَهُ: أَلَسْتُ قَدْ اعْتَرَفْتُ بِأَنَّهُ مَا.

(٣٥٣: ٢)

الرَّمَحَشَرِيُّ: «وَعَايِلُكَ يَبْمِينُكَ يَا مُوسَى»
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَهَذَا يَغْلِي شَيْخًا» هُود: ٧٢، فِي
انْتِصَابِ الْحَالِ بِمَعْنَى الْإِشَارَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (يَلُوكَ) اسْمًا مُوصُولًا صَلَتهُ
(يَبْمِينُكَ) إِنَّمَا سَأَلَهُ لِيُجِيبَهُ عِظَمَ مَا يَحْتَرِعه عِزَّ وَعِلَا فِي
الْمُشَبَّهِ الْيَابِسَةِ مِنْ قَلْبِهَا حَيْثُ نُفْثَانَةٌ، وَلِيَقَرَّرَ فِي نَفْسِهِ
الْمُبَايَنَةَ الْبَعِيدَةَ بَيْنَ الْمَقْلُوبِ عَنْهُ وَالْمَقْلُوبِ إِلَيْهِ، وَيُثَبِّتَهُ
عَلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ.

وَنَظِيرُهُ: أَنْ يُرِيكَ الزَّرَادُ زُبْرَةً مِنْ حَدِيدٍ، وَيَقُولُ
لَكَ مَا هِيَ؟ فَتَقُولُ زُبْرَةً حَدِيدٍ، ثُمَّ يُرِيكَ بَعْدَ أَيَّامٍ لَبُونًا
مُسَرَّدًا، فَيَقُولُ لَكَ: هِيَ تِلْكَ الزُّبْرَةُ صَيَّرْتَهَا إِلَى مَا نَرَى
مِنْ عَجِيبِ الصَّنْعَةِ وَأَتَقِ السَّرْدِ. (٥٦٣: ٢)

أَبْنُ عَطِيَّةٍ: تَفْرِيرُ مَضْمَنَةِ التَّشْبِيهِ وَجَمْعُ النَّفْسِ
لِتَلْقَى مَا يَبُورِدُ عَلَيْهَا وَإِلَّا فَقَدْ عِلِمَ أَنَّهُ مَا هِيَ فِي الْأَوَّلِ.
وَقَوْلُهُ: (يَبْمِينُكَ) مِنْ صَلَةِ (يَلُوكَ)، [نَمْ اسْتَمِعْ بِتَحَرُّ]
(٤٠: ٤)

أَبُو حَيَّانٍ: قَالَ الرَّمَحَشَرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (يَلُوكَ)
اسْمًا مُوصُولًا، صَلَتهُ (يَبْمِينُكَ)، وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ عَطِيَّةٍ
غَيْرَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَذْهَبًا لِلْبَصْرِيِّينَ.

وَأِنَّمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْكُوفِيُّونَ قَالُوا: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ
الْإِشَارَةِ مُوصُولًا، حَيْثُ يَتَخَفَّرُ بِالْمُصُولِ، كَأَنَّهُ قِيلَ:
وَمَا أَتَى بِبِمِينِكَ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْعَامِلُ فِي الْجُرُودِ
مَحْذُوفًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا أَتَى اسْتَقَرَّتْ بِبِمِينِكَ؟
وَلِي هَذَا السُّؤَالُ وَمَاقِبَلُهُ مِنْ خُطَابِهِ تَعَالَى

لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِثْنَاءٌ عَظِيمٌ، تَشْرِيفٌ كَرِيمٌ، (٢٣٤: ٦)
نَحْوُهُ أَبُو الشَّوَدِ. (٢٧٤: ٤)

الْبُرُوسِيُّ: السُّؤَالُ بِمَا (يَلُوكَ) عَنْ مَاحِيَةٍ
نَلْسَى، أَيْ حَقِيقَتِهِ الَّتِي هُوَ بِهَا، هُوَ كَقَوْلِكَ: مَا زِيدَ،
تَعْنِي مَا حَقِيقَةُ مَسْمُومٍ هَذَا الَّلَفْظِ، فَيُجَابُ بِأَنَّهُ إِنْسَانٌ
لَا غَيْرَ.

وَمَا (يَلُوكَ) أَيْ أَيْ شَيْءٍ هَذِهِ، حَالُ كَوْنِهَا مَا خُودَةٌ
(يَبْمِينُكَ يَا مُوسَى)، (لَقْنَا) اسْتِثْنَاءِيَّةٌ فِي حَيْزِ الرَّفْعِ
بِالْخَبَرِيَّةِ لِيَلُوكَ الْمَشَارَ إِلَيْهَا، أَيْ الصَّاحِبِ، وَهُوَ أَوْفَقُ
بِالْجَوَابِ مِنْ عَكْسِهِ، وَالْعَامِلُ فِي الْحَالِ بِمَعْنَى الْإِشَارَةِ.

(٢٧٢: ٥)

الْأَلُوسِيُّ: شُرُوعٌ فِي حِكَايَةِ مَا كَلَّفَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ
الْمُتَعَلِّقَةِ بِمُتَلَقِّهَا إِنْ حِكَايَةَ مَا أَمْرَهُ مِنَ الشُّؤُونِ الْخَاصَّةِ
بِمَعْنَى (لَقْنَا) اسْتِثْنَاءِيَّةٌ فِي مَعْلَى الرَّفْعِ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَ(يَلُوكَ)
خَبَرُهُ، أَوْ بِالْعَكْسِ وَهُوَ أَدْخُلَ بِحَسَبِ الْمَعْنَى وَأَوْفَقُ
بِالْجَوَابِ. وَ(يَبْمِينُكَ) مُتَعَلِّقٌ بِمَضْمَرٍ وَقَعَ حَالًا مِنْ (يَلُوكَ)،
أَيْ وَمَا تِلْكَ قَارَةُ أَوْ مَا خُودَةُ بِبِمِينِكَ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَا فِيهِ
مِنْ مَعْنَى الْإِشَارَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّوَعَلَا حِكَايَةُ: «وَهَذَا
يَغْلِي شَيْخًا» هُود: ٧٢، وَتَسْمِيَةُ النَّحَاةِ هَامِلًا مَعْنُويًا،
[نَمْ قَالَ نَحْوَمَا تَقْدَمُ مِنْ أَبِي حَيَّانٍ] (١٧٤: ١٦)
الْعَبَّاحِيُّ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ:
(يَلُوكَ) الْعُودَةُ أَوْ الْخَشَبَةُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنَّا مِنْ حَقِّ
الْكَلَامِ أَنْ يَقَالَ: وَمَا ذَلِكَ، بِجَعْلِ الْمَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ الشَّيْءُ،
لَمَكَانِ التَّجَاهِلِ بِكَوْنِهَا عَصًا، وَإِلَّا لَمْ يَسْتَقِمِ الِاسْتِثْنَاءُ،
كَمَا فِي قَوْلِهِ: «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ نَارَ غَمَّةٍ قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
أَكْبَرُ» الْأَنْعَامُ: ٧٨.

ويمكن أن تكون الإشارة بـ (تِلْكَ) إلى العصا، لكن لا بداعي الإطلاع على اسمها وحقيقتها حتى يُلغى الاستفهام، بل بداعي أن يذكر لها من الأوصاف والخواص.

١٤- تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. القصص: ٨٣ التَّبَيُّضَاوِي: إشارة تعظيم، كأنه قال: تلك التي سميت خبرها وبلغك وصفها.

نحوه: أَبُو حَتَّى (٧: ١٣٦)، وَالنَّسِي (٣: ٢٤٧)، وَالشُّرْبِي (٣: ١٢١)، وَأَبُو السُّرُود (٥: ١٨٣) وَالْبُرُوسَوِي (٦: ٤٣٨)، وَشَبْر (٥: ٤٣).

الأكوسي: مشيراً إشارة تعظيم وتفضيل إلى ما نزل لشهرته منزلة المحسوس المشاهد، كأنه قيل: تلك التي سميت خبرها وبلغك وصفها.

تِلْكَمَّا

...وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ. الأعراف: ٢٢ الطُّوسِي: إنما قال: (تِلْكَمَّا) لأنه خاطب اثنين وأشار إلى (الشَّجَرَةِ) فذلك قال: (تِلْكَمَّا). (٤: ٤٠٢) نحوه الطُّبْرُسِي (٢: ٤٠٧)، والاكوسي (٨: ٦٠٦). ابن عطية: يؤيد بحسب ظاهر اللفظ، أنه إنما أشار إلى شخص شجرة.

أبو حَتَّى: أشير إلى الشجرة باللفظ الدال على البعد، والإنذار بالخروج منها.

(٤: ٢٨٦)

نحوه أبو السُّرُود. (٢: ٤٨٥)

تِلْكُمْ

...لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُّوْا أَنْ يَتْلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رَسُوهُمَا يَكُنْتُمْ تُخَلَّوْنَ. الأعراف: ٤٣ الطُّبْرِي: واختلاف أهل العربية في (أَنْ) التي مع (تِلْكُمْ)، فقال بعض نحوي البصرة: هي «أَنْ» الثقيلة خَفُضَ وأُضْمِرَ فيها، ولا يستقيم أن نجعلها الخفيفة، لأن بعدها اسماً، والخفيفة لا تليها الأسماء. [تم استشهد بشعر] قال: ويكون كقوله: «أَنْ قَدْ وَجَدْنَا» الأعراف: ٤٤. في موضع أي. وقوله: «أَنْ أَقْبِيُوا» الأنعام، ولا تكون «أَنْ» التي تحمل في الأفعال، لأنك تقول: غاضبي أن قام وأن ذهب، فتقع على الأفعال وإن كانت لا تحمل عليها، وفي كتاب الله: «وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ أَنْشُوا» ص: ٦، أي امشوا.

وأكرر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة، فقال: غير جائز أن يكون مع «أَنْ» في هذا الموضع «ها» مضمة، لأن «أَنْ» دخلت في الكلام لتلي ما بعدها. قال: و«أَنْ» هذه التي مع (تِلْكُمْ) هي الدائرة التي يقع فيها ما ضارع الحكاية، وليس بلفظ الحكاية، نحو: ناديت أنك قائم، وأن زيد قائم، وأن قمت، فتلي كل الكلام، وجعلت «أَنْ» وقاية، لأن النداء يقع على ما بعده، وسلم ما بعد «أَنْ» كما سلم ما بعد القول.

الآتري أنك تقول: قلت: زيد قائم، وقلت: قام، فتليها ما نشت من الكلام. فلما كان النداء بمعنى الظن وما أشبهه من القول، سلم ما بعد «أَنْ»، ودخلت «أَنْ»

وقاية.

قال: وأما «أي» فإثنا لا تكون على «أن» لا يكون «أي» جواب الكلام، و«أن» تكفي من الاسم.

(١٨٥: ٨)

الزجاج: قوله جل وعز: ﴿وَسُودُوا أَنْ يُلَکُمْ الْجَنَّةُ﴾ في موضع نصب، وهاهنا إلغاء مضرة، وهي مخففة من الثقيلة، والمعنى نودوا بأنهم تلکم الجنة.

والأجود عندي أن تكون «أن» في موضع تفسير النداء، كأن المعنى: ونودوا أن تلکم الجنة، أي قبل لهم: تلکم الجنة، وإنما قال: (تَلْکُمْ) لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل: هذه تلکم التي وعدتم بها.

وجائز أن يكون عاينوها، فقيل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يرونه: (تَلْکُمْ الْجَنَّةُ) كما تقول لما تراه ذلك الرجل أخوك. ولو قلت: هذا الرجل لأنه يراه، جاز، لأن: هذا وهؤلاء لما قرب منك، وذلك وتلك لما بعد عنك، وأيته أولم تره.

نحوه الطوسي (٤: ٤٣٤)، والطبرسي (٢: ٤٢٠)، والقرطبي (٧: ٢٠٨).

ابن عطية: ﴿يَلْکُمْ الْجَنَّةُ﴾ ابتداء وصفة، و﴿أُورِثُوهَا﴾ الخبر، و(تَلْکُمْ) إشارة فيها غية فإثنا لأنهم كانوا وعدوا بها في الدنيا، فالإشارة إلى تلك، أي تلکم هذه الجنة، ومُحذفت «هذه». وإنما قيل أن يدخلوها، وإنما بعد الدخول وهم مجتمعون في موضع منها، فكل غائب عن منزله.

أبو حيان: في كتاب «التحرير»: و(تَلْکُمْ) إشارة إلى غائب. وإنما قال هنا: (تَلْکُمْ) لأنهم وعدوا بها في

الدنيا، فلأجل الوعد جرى الخطاب بكلمة العهد، قوله ﷺ للصدّيق في الاستخيار عن عائشة: كيف تیکم؟ للعهد السابق، انتهى.

و(الْجَنَّةُ) جَوَزُوا فيها أن تكون خبراً لـ (يَلْکُمْ) و(أُورِثُوهَا) حال، كقوله: ﴿فَتِلْكَ يَبِوتُهمْ غَسَاوَةً﴾ التمل: ٥٢.

قال أبو البقاء: حال من (الْجَنَّةُ) والعامل فيها ساقى (تَلْکُمْ) من معنى الإشارة. ولا يجوز أن تكون حالاً من (تَلْکُمْ) للفصل بينا بالخبر، ولكون المبتدأ لا يعمل في الحال، انتهى.

أبو السعود: (أن) مفسرة لما في النداء من معنى القول، أي مخففة من «أن»، وضمير الشأن محذوف.

ومعنى الند في اسم الإشارة إثنا لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها في مكان بعيد، وإثنا الرفع منزلتها ورتبتها، وإثنا للإعجاز بأنهم تلکم الجنة التي وعدوها في الدنيا.

نحوه البروسقي (٣: ١٦٣)، ورشيد رضا (٨: ١٤٢٢)، والطباطبائي (٨: ١١٦).

الآلوسي: أي، أي تلکم على أن (أن) مفسرة لما في النداء من معنى القول.

ويجوز أن تكون مخففة من «أن» وحرف الجر مقدّر، واسمها ضمير شأن محذوف، أي بأنهم أو بأنهم تلکم، وأوجب البعض الثاني بناء على أنه يجب أن يؤثّر جبر الشأن إذا كان المستند إليه في الجملة المفسرة مؤنثاً، والصحيح عدم الوجوب، على ما صرح به ابن الحاجب، وابن مالك.

ومعنى البعد في اسم الإشارة إنما لرفع منزلتها وبعدها مرتبتها، وإنا لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها من مكان بعيد، وإنا للإشعار بأنها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا، وإليه يشير كلام الزجاج.

والظاهر أَنَّ (يَذْكُرُ الْجَنَّةَ) مبتدأ وخبر، وقوله سبحانه: (أَوْ يَشْهَدُهَا) حال من الجنة، والعامل فيها معنى الإشارة.

ويجوز أن تكون (الجنة) نعتاً لـ(تِلْكُمْ) أو بدلاً
(وَأُورِثُوهَا) الخبر، ولا يجوز أن يكون حالاً من المبتدأ
ولامن «كم» كما قاله أبو البقاء، وهو ظاهر.

والترحم بعضهم في توجيه البعد أن (تِلْكَمُ) غير مستند
محذوف، أي هذه تلکم الجنة الموعودة لكم قبل، أو مستند
محذوف خبره، أي تلك الجنة التي أخبرتم عنها لو وعدتم
بها في الدنيا، هي هذه ولا حاجة إليه. (٨١-١٢٢)

الأصول اللغوية

١- تلك: اسم معرفة يشار به إلى المؤنثة البعيدة.
مثل: «ذلك» للمذكر البعيد. وهو يتكوّن من «تة» أو
«تة» بحذف «هاء» منها. و«اللام» للإشارة إلى البعيد.
و«الكاف» للخطاب. ولا تدخل «هاء» التنبيه على
«تلك» إلّا إذا حذلت «اللام» منها، فيقال عندئذٍ: هاتية
وهاتية في الإفراد، وهاتان في التثنية، وهؤلاء في الجمع.
وتصدير «تة» هو «تيا» أو «تيا لك»، مما يكشف
عن أنّ عينه «ياء». فأصله «تي»، وهي لغة أخرى له.
وقيل: حذفت منه «ياء» أخرى هي لامه، فأصله على
هذا «تيا».

٢- ومن لغات «تِه» أيضًا «تا»، فتدخل عليها
 لامٌ الهمزة «كاف» الخطاب، فيقال: تالك، ويقال في
 التثنية: تان وتين، وهاتانك وهاتيتك. ومن أخوات
 «تلك» هي «تيك» و«تيلك»، و«تلك» أيضًا، وهي لغة
 رومنة كما قبل.

الاستعمال القرآني

جاءت منها (٣٦) مرة في (٣٦) آية، في أربعة
محاور:

ألف: الأمم والرسل:

٢٠١- ﴿يُنْفِثُ الرِّيحَ فَأَنْفِثُ مِمَّا كَسَبَتْ﴾

البقرة: ١٣٤، ١٣٥

وَاتَّبِعُوا أَمْرَ كُلِّ جُنْدٍ مُنِيذٍ ﴿٥٩﴾

1- ﴿بَلِّغْ الْفَرْقَى تَقْصُصْ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِنَا وَلَقَدْ
جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْأَيَّاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ
قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾

الأعراف: ١٠٦

٥ - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطُورٍ مَعِيشَتًا فَبَلَكَ
مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ
الْوَارِثِينَ﴾ القصص: ٥٨

٦- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...﴾ البقرة: ٢٥٣

۷- ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَبِهِ إِنَّكَ وَلِيُّكَ عَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام: ٨٣

٨- ﴿الْكُفْرُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ يَتْلُكَ إِذَا قَسَمَةً

ضِيئِي ﴿

النجم: ٢١، ٢٢

٩- ﴿...وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وَيَتْلُكَ نِعْمَةً تَمَسُّهَا

عَلَى أَنَّهُ هَدَيْتَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴿ الشعراء: ٢١-٢٢

١٠- ﴿وَمَاتِلَكَ يَتَجَمِّعُكَ يَا مُوسَى﴾ طه: ١٧

١١- ﴿فَمَا زَالَتْ يَتْلُكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ

خَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ الأنبياء: ١٥

١٢- ﴿إِنْ يَتَسَكَّمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَرْحُ قَرْحًا بِقَلْبِهِ

وَيَتْلُكَ الْأَيَّامُ تَدَاوُلًا بَيْنَ النَّاسِ...﴾ آل عمران: ١٤٠

١٣- ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ

نَصَارَى تِلْكَ آصَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١٩١

ب: آيات الله:

١٤- ﴿يَتْلُكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَالْقَدَرِ

الْمُرْسَلِينَ﴾ البقرة: ٢٥٢

١٥- ﴿يَتْلُكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَهَاتِ

يُريدُ ظِلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ١٠٨

١٦- ﴿يَتْلُكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ

خَبِيرٍ يَهْدِي اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الجاثية: ٦

١٧- ﴿يَتْلُكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوجِبُهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ

تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ هود: ٤٩

١٨- ﴿الَّذِي يَتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس: ١

١٩- ﴿الَّذِي يَتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يوسف: ١٠

٢٠- ﴿الَّذِي يَتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الرعد: ١

٢١- ﴿الَّذِي يَتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ الحجر: ١

٢٢- ٢٣- ﴿طُتِمَ﴾ يَتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿

الشعراء: ١، ٢ والقصاص: ١، ٢

٢٤- ﴿طُسَ يَتْلُكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾

التكوير: ١

٢٥- ﴿الْمِ﴾ يَتْلُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿

لقمان: ١، ٢

ج - حُدُودُ اللَّهِ وَأَحْكَامُهُ:

٢٦- ﴿...يَتْلُكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

لِلنَّاسِ آيَاتِهِ لِلَّذِينَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٧

٢٧- ﴿...يَتْلُكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْعُدُواوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ

حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ البقرة: ٢٢٩

٢٨- ﴿...يَتْلُكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

البقرة: ٢٣٠

٢٩- ﴿...يَتْلُكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

الْبَئِيسُ﴾ المائدة: ٤

٣٠- ﴿...يَتْلُكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ

ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعْلُ اللَّهِ يُحْدِثُ بِهِ ذَلِكَ أَمْرًا﴾

الطلاق: ١

٣١- ﴿...فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قِسْمًا فَلْيَذِ ابْتِغَاءَ فِي الْحَجِّ

وَسَبْقَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ يَتْلُكَ عَشْرَةً كَامِلَةً ذَلِكَ لِمَنْ يَكُنْ أَهْلُهُ

خَاضِعِينَ الْمُشْرِكِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾ البقرة: ١١٦

د - الذِّكْرُ الْآخِرَةُ:

٣٢- ﴿يَتْلُكَ الذِّكْرُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ

عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

القصاص: ٨٣

٣٣- ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الزخرف: ٧٢

٣٤- ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ كَرِيمًا﴾ مريم: ٦٣

٣٥- ﴿... فَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ بِالحَقِّ وَتُودُوا أَنْ يَتْلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ٤٣

٣٦- ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا تَحْتَةَ﴾ قالوا تِلْكَ إِذَا كَرُوءَ خَافِرَةً التازعات: ١٢

يلاحظ أولاً: أن «تلك» في المحور الأول إشارة إلى الأمم والرسل، أو إلى ما حدث في أيامهم كفضلك لما قبلها

في كثير منها، عدا (١١): ﴿وَعَاتِلْكَ يَبِيَّتِكَ﴾. و(٩١): ﴿تِلْكَ إِذَا قُشِقَتْ﴾، فليست فضلك.

ثانياً: «تلك» إشارة إلى البعد زماناً أو مكاناً في (١١) و(١٢)، أو إلى البعد المعنوي إنما تحطيت بها في (٢)

﴿وَتِلْكَ حُبَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِذْ هَمِمَّ﴾، أو تحقيراً في غيرها، ولا سيما (١٢): ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

ثالثاً: «تلك» فيها قسمان: قسم ما بعدها بدل منها - وليس صفة لها كما قاله بعضهم - وهو المشار إليه، مثل:

(٤): ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾، و(٦): ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾، و(٣): ﴿تِلْكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾. و«تلك» ويدها في هذا القسم مبتدأ وما بعدها خبر.

وقسم جاءت فيه «تلك» مبتدأ وما بعدها خبر لها كسائر الآيات، مثل: (١): ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾، و(٢): ﴿تِلْكَ غَادَةٌ﴾، و(٥): ﴿فَتِلْكَ مِمَّا كُتِبَ﴾، و(٧): ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾... والمشار إليه ما قبلها من القصة وغيرها.

ويستثنى من القسمين (١٠): ﴿وَعَاتِلْكَ يَبِيَّتِكَ﴾،

فإنها جملة استنهاية مبتدأ وخبر، و(يَبِيَّتِكَ) صلة لمعول مقدر، بدل من (تِلْكَ)، وهو المشار إليه أي

«ما تلك التي يبيتك؟» وقد اضطربت كلمات القوم في إعراب الآيات، وفي المشار إليه ب(تلك)، سوء في هذا

المورد أم في غيره، فلاحظ.

رابعاً: أن ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ في المحور الثاني مبتدأ وخبر «وجهاً واحداً»، أما المشار إليه فيها فهو قسمان:

الأول: (١٤ - ١٧)، إشارة إلى ما سبقه من الآيات، والثاني: (١٨ - ٢٤)، وهي المبتدأة بالحروف المقطعة، فتحتمل وجوهاً:

١- إشارة إلى ما بعدها من آيات السورة، أي هذه الآيات آيات الكتاب، وجاءت «تلك» بدلاً من «هذه»

تسبباً على أنها وإن كانت حاضرة بألفاظها، إلا أنها بعيدة المعنى صفياً وفقهاً وشرافاً وكرامة وعلو منزلة.

٢- إشارة إلى ما وعد الله نبيه من إنزال الكتاب، أي تلك التي وعدناك آيات هذا الكتاب.

٣- إشارة إلى ما تقدمها من الحروف المقطعة، أي تلك الحروف آيات الكتاب، لأن ألفاظه تتألف منها،

وهي أعلام له. وهي نوع من التحدّي في سبيل إعجاز القرآن، لأن هذه الحروف والكلمات تحت أيدي الناس،

فليأتوا منها بكتاب مثل القرآن. وهذا أحد الوجوه التي ذكروها في الحروف المقطعة، لاحظ كتاب «الإعجاز

البياني للقرآن الكريم» تأليف الدكتور صائفة بنت الساطي، ولاحظ المدخل «بحث الإعجاز».

٤- إشارة إلى ما تقدم نزوله من الآيات والسور في القرآن، أو ما نزل في التوراة والإنجيل.

٥- إشارة إلى ما في اللوح المنفوظ ، وهو أم الكتاب ، وأقربها إلى الشياق عندنا الأول ، واختاره جماعة من القدماء والمتأخرين ، ومنهم الطباطبائي ، فلاحظ .
خامساً: أن ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ في المصور الثالث مبتدأ وخبر ، وإشارة إلى ما سبق في التورة من الأحكام قولاً واحداً ، وسر الإشارة إليها بالبعد مع قربها هو تعددها وتفرقها في التورة ، أو للتعظيم بملو المنزلة ، واعتبارها على الحكمة والمصلحة .
وقد أُلحق بها الآية (٣١) لاشتغالها على حكم من

أحكام الحج ، وهو الصيام لمن لم يجد هدياً ، وهو من حدود الله ، ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ منها فذلك لما قبلها ، كجملة من آيات المصور الأول تماماً .
سادساً: أن ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ في (٣٢) في المصور الرابع مبتدأ مع بدله الذي هو المشار إليه ، و﴿تَجْعَلُهَا﴾ خبره . و﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ في (٣٣ - ٣٥) مبتدأ وخبر ، إشارة إلى ما سبقها من نصيب الجنة ، وما بعدها صفة للجنة ، وكذلك ﴿تِلْكَ إِذْ أَوْحَىٰ خَاصِرَةٌ﴾ في (٣٦) مبتدأ وخبر ، وإشارة إلى إحياء الموق عند البعث ، و﴿إِذَا﴾ ظرف له .





مرکز تحقیقات کلامیه و علوم اسلامی

ت ل ل

ثَلَّة

لفظ واحد، موزة واحدة، في سورة مكية

النصوص اللغوية

الكسائي: هو ضالٌّ نالٌ آلٌ، وجاء بالضلالة.

(الأزهرى ١٤: ٢٥٢)

والثلاثة والأللة

ابن شميل: الثَّل: من أصغر الآكام، والثَّل طوله

في السماء مثل البيت، وقرض ظهره نحو حشرة أذرع.

وهو أصغر من الأكمة، وأقل حجارة من الأكمة،

ولا يثبت الثَّل خيراً، وحجارة الثَّل عاضٌ بعضها ببعض،

مثل حجارة الأكمة سواء. (الأزهرى ١٤: ٢٥١)

الفراء: ثَل، إذا صبَّ، والثَّلَّة: الضبة، والثَّلَّة:

الضجفة والكسل، والثَّلَّة: بقية الدين.

(الأزهرى ١٤: ٢٥١)

رجل يثَل، إذا كان غليظاً شديداً، المِثَل: الذي يثَل

به، ورُفح يثَل: غليظ شديد، وهو العُرَّة أيضاً.

(الأزهرى ١٤: ٢٥٢)

الأخفش: يقال: إن جبينه ليثَلٌ أشد الثَّل. وما هذه

الثَّلَّة بفبك، أي اليئة، وسألت عن ذلك أبا السميدع،

الخليل: الثَّل: الزاوية من القراب، مكبوس ليل

خلفه.

والثَّليل: الغنق. [ثم استشهد بشعر]

والثَّليل: الصريع، وجمعه: ثَلَى.

والثَّلَّة: شيء من وصف الإبل.

والمِثَل: القوي الشديد، أسد، وريح يثَل.

وثلثته في يديه: دفعته إليه سِلماً.

والثَّلَّة: الإقلاق والحركة.

والثَّلَّة: المشربة تتخذ من قيقاء الطَّلح.

ورجل يثَل: مُتَّصِب في الصلاة. [ثم استشهد بشعر]

وثل فلان فلاناً، أي صرَّعه، وما أسوء ثَلته، أي

صرَّعته.

وثلوه في قبره مثلاً، أي أوردوه.

والثَّلَّة: مثل العُرَّة في التحريك. (٨: ١٠٦)

فقال: التَّلُّ والتَّلُّ والتَّلُّ والتَّلُّ، شيء واحد.

(الأزهري ١٤: ٢٥٣)

الأصمعي: التَّلُّ: التَّلُّ: النُّظَرُ. (ابن دُرَيْد ١: ٤٢)

الفتال: الشدائد، مثل الزلازل. [ثم استشهد بشر]

(الجهوري ٤: ١٦٤٥)

اللُّحْيَانِي: وتَلَّ جبينه يَتَلُّ تَلًّا: رَشَحَ بالقرى،

وكذلك الخوض.

ما هذه التَّلَّةُ بفك؟ أي التَّلَّةُ. (ابن سيده ٩: ٤٦٤)

أبو حُبَيْد: في حديث عبد الله رحمه الله: «أته أتى

بسكران أو شارب خمر فقال: تَلَّتْ لَوَهْ وَمَزْمَزُوهُ».

قال أبو عمرو: وهو أن يَحْرُكَ وَيَزْعَزِعَ وَيُسْتَكَّ

حتى يوجد منه الزيج لِيَطْلَمَ حاشرب، وهي التَّلَّةُ

والعُرْزَةُ والمَزْمَزَةُ، بمعنى واحد. وجمع التَّلَّة: تَلَلٌ،

وهي الحركات. [ثم استشهد بشر]

وهذا الحديث بعض أهل الحديث [ينكره]. [ثم بين

(١٩٨: ٢)

ابن الأعرابي: تَلَّ يَتَلُّ، إذا صَبَّ، وتَلَّ يَتَلُّ، إذا

سَقَطَ.

التَّلُّ: الصَّرِيع، وهو المُشْفَرَّب. [ثم استشهد

بشعر]

التَّلُّ والمَتَلُّ: الصَّرِيع.

التَّلَّة: قِشْرُ الطَّلْمَةِ يُشْرَبُ بِهِ التَّبِيدُ.

وتَلَّ، إذا صَرَعَ. (الأزهري ١٤: ٢٥١، ٢٥٢)

والتَّلُّ: حَبُّ الحَبْلِ باليد في البئر عند الاستقاء. [ثم

استشهد بشعر]

ابن السكيت: التَّلُّ: الشديد.

(تهذيب الألفاظ: ١٣٩)

شعر: تَلَّ فلان حالته المكتوبة بالخطوع، أي أُنِجَ.

[ثم استشهد بشعر] (الأزهري ١٤: ٢٥٢)

تَغَلَّبَ: وتَلَّ بتَلَّةٍ سَوُو، أي رماه بأمر قبيح.

(ابن سيده ٩: ٤٦٤)

ابن دُرَيْد: تَلَّ يَتَلُّ تَلًّا، إذا صَرَعَهُ، وكذلك فسر

في التنزيل: «وَتَلَّ لِلنَّجَّيْنِ» الصَّافَات: ١٠٣، والله

أعلم بكتابه.

وزعم بعض أهل العلم أن قولهم: «رُجِحَ يَتَلُّ» إنما هو

«يَفْتَلُّ» من الصَّرَع، يُتَلَّ بِهِ، أي يُصَرَعُ بِهِ. [ثم

استشهد بشعر]

وكل شيء ألقته على الأرض بما له جَنَّةٌ فقد تَلَّتْهُ،

ويجوز التَّلُّ من التَّرَابِ.

ويقال: هو يَتَلُّ سَوُو، أي يَحَالُ سَوُو. (١: ٤٢)

ويقال: هو الضلال ابن الألال والتلال، والضلال

ابن قَهْلِيلٍ، وقَهْلِيلٍ، أي إنه ضالٌّ، ويقال: رأيت فلانًا

يَتَلُّ، أي يَجُولُ في غير ضيعة. (٣: ٤٧٣)

القائي: ويقولون: ضالٌّ تالٌّ، فالتال الذي يَتَلُّ

صاحبه، أي يَصْرَعُهُ، كأنه يُغْرِيه فَيَلْقِيهِ في هَلَكَةٍ

لا ينجو منها. (٢: ٢١٨)

الأزهري: [في حديث عن النبي ﷺ]

«نَصِرْتُ بِالرُّحْبِ وَأَوْتَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلَمِ، وَبَيْنَا أَنَا

نَائِمٌ أَتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَتَلَّتْ فِي يَدِي».

قلت: معناه: فَصُبَّتْ فِي يَدَيَّ وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ ﷺ

مَافَتَحَهُ اللَّهُ جَلَّ تَأْوَهُ لِأَمَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ مِنْ خَزَائِنِ مَلُوكِ

الْفَرَسِ، وَمَلُوكِ الشَّامِ، وَمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ

البلاد. حقق الله تعالى رؤياه التي رآها بعد وفاته، من
لنْ خِلافة عمر بن الخطاب إلى يومنا هذا.

وقال اللَّيْث: والثَّلْ: الزاوية من التَّراب، مَكْبُومًا
ليس خِلْفَةً.

قلت: هذا غلط، الثَّلَال عند العرب: الزوايا المخلوقة.

قال الفراء: رجل يَتَلَّ، أي مُتَّصِبٌ في الصلاة. [ثم]

استشهد بشر]

قلت: هذا خطأ، وإنما هو رجالٌ يَتَلُّون الصلاة قيام.

من تَلَّى يَتَلَّى، إذا أتبع الصلاة الصلاة. [وقال بعد ذكر

قول الأخفش:]

قلت: وهذا عندي من قولهم: تَلَّى، أي حَبَّ، ومنه

قبل للمِشْرَبَةِ: تَلْتَلَةٌ، لأنه يُصَبُّ ما فيها في المِثْقَلِ.

(١٤: ٢٥١ - ٢٥٢)

الخطابي: [في حديث الصدقة]

«... فجاء بناقة كَوْنَاء يَتَلَّها، حتى انتهى بها إلى

رسول الله، فتَلَّها إليه، فدحا له فيه وفي إبله بالبركة».

[إلى أن قال:]

وقوله: فتَلَّها إليه، معناه أناخها إليه، من قولك:

تَلَلْتُ الرَّجُلَ، إذا صَرَعْتَهُ، قال الله تعالى: ﴿وَتَلَّهْ

لِلْجَبِينِ﴾ الصَّافَات: ١٠٣.

وكل شيء ألقىته على الأرض مما له جنة فقد تَلَّته،

ومنه سمي الثَّل من التَّراب، [ثم استشهد بشر]

ومن حديث سهل بن سعد الساعدي: «... غنَّه

(١: ٢٨٧)

رسول الله في يده».

[وفي حديث القبر:] «وتركوك لِمَتَّكَ»، أي

لَمَصَرَعِكَ، يقال: تَلَلْتُ الرَّجُلَ، إذا صَرَعْتَهُ.

وروى حجاج عن شعبة أنه كان يرويه مُصَحِّحًا،

يقول: تركوك لِمَتَّكَ.

(٢: ٢٣٥)

الجوهري: الثَّل: واحد الثَّلَال.

ورجلٌ ضالٌّ تالٌّ، وجاءنا بالثَّلالة والثَّلالة، وهو

الثَّلَال بن الثَّلَال، وكلُّ ذلك [تباغ]. [إلى أن قال:]

وقولهم: ذهب يَتالٌّ، أي يطلب لقرسه قَحْلًا، وهو

يُتاجِل.

والثَّلْطَلْ: مشربة تشغل من قيامة الطَّلح.

وتَلَّته، أي رَمَرَعَه وأفلَّته وزلَّته.

وتَلَّه للجبين، أي صَرَعَه، كما تقول: كَبَّه لوجهه،

وقولهم: هو يَتَلَّه سَوْءٌ، إنما هو كقولهم: بيعة سَوْءٌ،

(٤: ١٦٤٤)

أي بحالة سَوْءٍ.

أبو سيدة: تَلَّه يَتَلَّه تَلًّا، فهو تَلَّالٌ، وتَلَّلِيل:

صَرَعٌ، وقيل: ألقاه على عنقه، وخَذَّه.

والأوَّلُ أهْلِي، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهْ

لِلْجَبِينِ﴾ الصَّافَات: ١٠٣.

ومن قول الأعرابي: ماله تَلٌّ وَغُلٌّ، هكذا رواه

أبو عبيد، ورواه يعقوب: أَلٌ وَغُلٌّ.

وقوم تَلَّى: صَرَصَى، [ثم استشهد بشر]

وتَلَّى هو: يَتَلَّى: تَصَرَّعَ وَشَقَطَ.

والتَّلُّ: ما تَلَّه به.

ورُخَّ يَتَلَّى: يَتَلَّى به، وقيل: طوي مُتَّصِبٌ غليظ، [ثم]

استشهد بشر]

وكل شيء ألقىته على الأرض مما له جنة فقد تَلَّته،

والتَّل من التَّراب: معروف، وهو من ذلك. ولم

يخسر ابن دُرَيْد التَّل من التَّراب.

والثَّل من الرَّمْل: كَوْمَةٌ منه. وكلاهما من الثَّل: الذي هو إلقاء كُلِّ ذي جُنَّة، والجمع: أَثْلَالٌ. [تم استشهد بشعر]

والثَّل: الرَّايبَة.

والثَّلِيل: العُتَى، والجمع: أَثْلَةٌ، وَثَلُّ، وَثَلَّامِل.

والمَثَل: الشَّدِيد من النَّاس، والإِبِل والأسود.

وَرَجُلٌ يَثَلُّ: مُتَنَصِّبٌ في الصَّلَاة. [تم استشهد بشعر]

وبات بَثْلَةً سَوْءٌ: أي بحالة سَوْء.

والتَّثَلَّة: التحريك والإهلاق. ثَلَّ الرجل: عَثَّ

بِسَوْقِهِ، والتَّثَلَّة: الشَّدَّة. [تم استشهد بشعر]

والتَّلَّة والتَّثَلَّة: من وَحَف الإِبِل.

وَتَلَّه في يَدَيْهِ: دفعه إليه سِلْمًا.

والتَّلَامِل: الشَّدَائِد.

وهو ضَالٌّ تَالٌ، وقد ضَلَّيْتُ وَتَلَّيْتُ ضَلَالَةً وَتَلَالَةً

وَتَلَّ: موضع. [تم استشهد بشعر]

وَتَثَلَّ يَهْرَاء، كَسَرُهم تَاءً قَفَلُون، يقولون:

يَقْلَمُونَ وَيَشْهَدُونَ، ونحوه. (٤٦٢: ٩)

الثَّل: ما ارتفع من الأرض عما حوله، وهو دون

الجبل، والكَوْمَة من الرَّمْل، والرَّايبَة المُشْرِفَة، الجمع:

ثَلَال وثُلُول وأَثَال. (الإفصاح ٢: ١٠٢٤)

الرَّاغِب: أصل الثَّل: المكان المرتفع. والتَّلِيل:

العتيق.

و«تَلَّ لِلْعَجَبِيْن»: أسقطه على الثَّل، كقولك: تَرَّبه:

أسقطه على التَّرَاب، وقيل: أسقطه على تَلِيلِهِ. (٧٥)

الرَّمْعَشَرِي: تَلَّه للعَجَبِيْن. وتَلَّ الشَّيْء في يَدِهِ:

وضع فيها. وله تَلِيلٌ كَجَذْعِ السَّحْوَى، أي عُتْق.

وَتَثَلَّه: أَرْعَجَهُ. وهو يَثَلُّ الأَقْرَان. وَلَقُوا منه

التَّلَامِل. (أساس البلاغة: ٣٩)

ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «أَتَى بِسَكْرَانٍ

فَقَالَ: تَلْتَلُوهُ وَمَزِيْرُوهُ».

والتَّثَلَّة من فوْهْم: مَرَّ هَلَان يَثَلُّ هَلَانًا، إِذَا صَنَّفَ

بِسَوْقِهِ. وقيل: هي التَّخْيِيس والتَّذْلِيل.

والمَرْمَزَة: التَّحْرِيك، وهذا كقوله: يُهَيِّزُ بِالْأَيْدِي.

وقيل: معناه مَرَّكَوه حَقًّا يَوجد منه رَجٌّ ماذا

شَرِب... (الفائق ١: ١٥٣)

أَبُو حَيَّان: ثَلَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ: حَرَّعَهُ عَلَى شَقَّة.

وقيل: وضعه بِقُوَّة. [تم استشهد بشعر] (٣٦٨: ٧)

ابن منظور: وَجَلَّ ثَلَّامِلٌ: قَصِير. (٧٨: ١١)

الْفَيْوَمِي: الثَّل: معروف، والجمع: ثَلَال، مثل

سَنَمٍ وَمِجْمَاعٍ، وَتَلَّه تَلًّا من بَابٍ «قَتَلَ»: حَرَّعَهُ، وَمِنْهُ

ثَلِيلٌ لِلرَّمْعِ: يَثَلُّ، بِكَسْرِ الميم. (٧٦: ١١)

الغُبَيْرِيُّ أَبَادِي: تَلَّه، فهو مَثَلُولٌ وَثَلِيلٌ، حَرَّعَهُ،

أَوْ أَلْقَاهُ عَلَى عُنُقِهِ وَخَذَّه.

وَهَلَانًا بِثَلَّةٍ سَوْءٍ - بِالْكَسْرِ - رَمَاهُ بِأَمْرٍ قَبِيحٍ،

وَالشَّيْءُ فِي يَدِهِ: دفعه إليه أَوْ أَلْقَاهُ.

وَقَوْمٌ ثَلَّ كَحَقِّي: حَرَّعَنِي.

وَتَلَّ يَثَلُّ وَيَثَلُّ: تُصَرِّعُ وَتَقْطَعُ وَتَصَبُّ، وَجَسِيئُهُ:

رَشَحَ بِالْفَرْقِ، وَأَرْغَى المَجْلَى فِي البئر.

والمَثَلُ كِمَقْصَصٍ: مَائِلُهُ بِهِ، والقَوِيُّ، والمُنْتَصِبُ من

الرِّمَاح، والشَّدِيد من النَّاس والإِبِل، والرَّجُلُ المُنْتَصِبُ

فِي الصَّلَاة.

والتَّلُّ من التَّرَابِ معروف، والكَوْمَة من الرَّمْلِ،

فوقع جبينه على الأرض. (١٥٩: ١)

نحوه محمد إسماعيل إبراهيم. (٩١: ١)

محمود شيت: الثلول: الذي لا يتقاد إلا بطيئًا.

يقال: فرس ثلول، وحصان ثلول، وجمل ثلول، وثفل ثلول.

المثفل: المستحب من الزمناج. وللمثيب من

المذللج. (١١٢: ١)

المُضْطَفَوِي: [راجع النصوص التفسيرية]

النصوص التفسيرية

فَلَمَّا آسَفْنَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ. الصافات: ١٠-٣

ابن عباس: آسفه على جبينه. (الطبري: ٢٣: ٨٠)

إن إبراهيم لما أمر بالمناسك، عرض له الشيطان عند

المسعى فبالبس، فسبغ إبراهيم. ثم ذهب به جبريل إلى

جفرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات

حتى ذهب. ثم عرض له عند الجمرة الوشطي، فرماه

بسبع حصيات حتى ذهب. ثم تلّه للجبين، وعلى

إسماعيل قميص أبيض، فقال له: يا أبتِ إنه ليس لي ثوب

تكفني فيه خير هذا، فاخلفه حتى تكفني فيه، فالتفت

إبراهيم فإذا هو بكبش أعين أبيض، فذبحه.

(الطبري: ٢٣: ٨٠)

أضجه على جنبه على الأرض... (١) (البغوي: ٣٧: ١)

صرعه على جبينه. (الماوردي: ٥: ٦١)

والزائبة، جمعه: ثلال، والوسادة، جمعه: أنلال نادر، أو

هي ضروب من الثياب، وعمر بن محمد بن الثعل الكوفي

... محدث ...

وكأثير: الثقل، جمعه: أثلة وثلل وثلايل.

والثلالة: التحريك والإقلاق والزغزعة والزلة،

والشير الشديد، والشوى العنيف، والشدة، ومشرية من

قيقاء الطلع، كالثلة.

وتثلة بهراء: كثرهم ثاء يثعلون.

وخال نال، والضلالة والثلالة، والضلال بن الثلال:

إتباع.

وتلى كحقى، ويكسر: موضع، وكثرى: الشاة

المذبوحة.

وذهب يئال مثالة: يطلب لفرسه فحلًا.

والثلة: الضمة والطجمة. وبالكسر: الضجعة

... بالكسر ... والبئل، والحالة، والكسل.

وأئل المانع: أظفء، والثلل عزة: البئل، وكصبور:

الذي لا يتقاد إلا بطيئًا.

وأثله: ارتبطه واقتاده. والثلايل كغلايط: التار

الغليظ، والثور المثلول: المذبح الخلق. (٣٥١: ٣)

الطريحي: الثل: الذفع، ومنه الحديث: والقائل

يئل برمته إلى أولياء المقتول أي يدفع برمته إليهم.

والثال: ما يقطع من الأتھات، أو يقطع من الأرض

فيمرس. (٣٢٨: ٥)

مبضع اللغة: ثله يثله ... من باب قتل - ثلا: ألقاء

على عتقه وخذله.

ويقال: ثله للجبين، كما يقال: كبه لوجهه، أي ألقاه

(١) وهناك خبر طويل عنه رضي الله عنه، وهكذا في

التفسير في هذه القصة أخبار ما كتبها حذرًا من الإطالة

إن شئت فراجع التفسير.

وضع جبينه على الأرض لتلا يرى وجهه فتلقته
رقة الآباء. (الطبرسي ٤: ٤٥٣)

مجاهد: وضع وجهه للأرض، قال: لا تدعني
وأنت تنظر إلى وجهي، عسى أن ترحمني، ولا تجهز علي،
اربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي للأرض.

(الطبري ٢٣: ٨٠)

أكتبه لوجهه. (الماوردي ٥: ٦١)

مثله المراهقي. (٢٣: ٧٣)

الحسن: معنى (وَتَلَّهُ) أَضَجَّتْهُ لِلجَبِينِ.

(الطوسي ٨: ٥١٧)

قتادة: أي وكبته لفيه، وأخذ الشفرة.

(الطبري ٢٣: ٨٠)

كتبه، وحول وجهه إلى القبلة. (القرطبي ١٥: ١٠٤)

الإمام الصادق عليه السلام: [في حديث] وَأَضَجَّتْهُ

بجبينه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه. (الترمذي ١١: ٤٢٢)

قطر ب: وضع جبينه على قل. (الماوردي ٥: ٦١)

أبو عبيدة: أي صرعه. وللوجه جبينان والجهة

بينها. [ثم استشهد بشعر]

ابن زيد: أخذ جبينه ليذبحه. (الطبري ٢٣: ٨٠)

الأخفش: «وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ» كما تقول: أكتبه

لوجهه، وأكتبته لوجهه، لأنه في المعنى شبه «أَضَجَّتْهُ».

(٢: ٦٦٩)

ابن قتيبة: أي صرعه على جبينه، فصار أحد

جبينيه على الأرض. وهما جبينان، والجهة بينهما.

وهي ما أصاب الأرض في السجود. (غريب القرآن: ٣٧٣)

نحوه الطبري (٢٣: ٨٠)، والطوسي (٨: ٥١٧)،

والمبدي (٨: ٢٩١).

الزمخشري: صرعه على شقه، فوقع أحد جبينه

على الأرض، تواضعا على مباشرة الأمر بصبر وجلد،

ليرضي الرحمن ويخزي الشيطان. ودوي أن ذلك كان

عند الصخرة التي بيني، ومن الحسن: في الموضع المشرف

على مسجد مني، وعن الضحاك: في المنحر الذي ينحدر

فيه اليوم. (٣: ٢٤٨)

نحوه البضاوي (٢: ٢٩٧)، وأبو حيان (٧: ٣٧٠)،

وأبو الشود (٥: ٣٣٥).

ابن عطية: وضعه بقوة. [إلى أن قال:]

والتل للجبين ليس يقتضي أن الوجه نحو الأرض،

بل هي هيئة من ذبح للقبلة على جنبه. (٤: ٤٨١)

الغفر الرازي: أي صرعه على شقه، فوقع أحد

جبينه على الأرض. وللوجه جبينان، والجهة بينهما.

فالمنى أنه صرعه على جبينه.

وقال مقاتل: كتب على جبينه، وهذا خطأ، لأن

الجبين غير الجهة. (٢٦: ١٥٧)

نحوه الشريبي (٣: ٣٨٦)، والكاشاني (٤: ٢٧٥)،

والقاسمي (١٤: ٥٠٥).

النيسابوري: أي صرعه، وقيل: كتبه لوجهه،

لأن الولد قال له: اذبحني وأنا ساجد. (٢٣: ٦٤)

نحوه شبر. (٥: ٢٦١)

ابن كثير: أي صرعه على وجهه ليذبحه من قناه،

ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه. (٦: ٢٥)

الطوسي: صرعه على شقه فوقع جبينه على

الأرض. [إلى أن قال:]

والليل: المراد كنهه على وجهه، وكان ذلك بإشارة منه.

أخرج غير واحد عن مجاهد أنه قال لأبيه: لا تدبني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني، فلا تجهز عليّ، اربط يديّ إلى رقبتي، ثم ضع وجهي للأرض، ففعل فكان ما كان. ولا يخفى أن إرادة ذلك من الآية بعيد، نعم لا يبعد أن يكون الذبيح قال هذا، [إلى أن قال في تعيين الموضع]

وقيل: كان بيت المقدس، وحكي ذلك عن كعب، وحكى الإمام - مع هذا القول - أنه كان بالشام.

(١٣٠: ٢٣)

هزة فزوزة: سحبه وطرحه على الأرض، وجعل جبينه نحوها تهيناً للجمعة.

عهد الكريم الخطيب: أي طرحه على التلّ، والثّل: المكان المرتفع، كهضبة أو نحوها، والجبين: الجبهة.

المضطّغوي: ولا يخفى أن الإسقاط والإلقاء والصّرع والكّب والصبّ والثّل، كلّ منها قريب مفهومًا من الآخر. ويُعتبر في الإسقاط: الإلقاء من العلوّ والتّخلية، والإلقاء أعمّ من أن يكون من محلّ عال أو مساوٍ في المادّيات أو في المخلوقات.

ويُعتبر في الصّبّ: الانحدار بالتدرّج في المانع وما يُشبهه، ويُعتبر في الكّب: الصّرع على الوجه، فكّب الإناء: القلب على الرّأس. وأما «الصّرع» فهو أعمّ من أن يكون على الوجه أو على التّقا.

وأما «الثّل» فهو الصّرع الضّعيف الناقص، ولا يلزم

أن يكون المتلول مصروعاً بتمام بدنه وأعضائه، فلي مفهومه شيء من الارتقاع والانتصاب، وهذا المعنى هو الموجب لانتخاب هذه الكلمة.

وبهذا يظهر ما في تعبير «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» من اللطف والدقّة.

وأما عدم التّمييز بحرف «على» فللإشارة إلى أن «الثّل» يظنّ تلّ الجبين، لحصول استتال الأمر بهذه المقدّمة وبهذا المقدار، وليس الصّرع الكلّي مطلوباً حتّى يُعبّر بجملة: وتلّه على الجبين. (١: ٣٧٢)

مكارم الشيرازي: القرآن الكريم يوضح هذا الأمر في جملة قصيرة، ولكنها مليئة بالمعاني، لقوله تعالى: «فَلَمَّا أَثَلَمُوا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ». [أي استسلامها للأمر الإلهي]

هزة أخرى تطلق القرآن هنا باختصار، كي يسمح لنا به متابعة هذه القصة بانشداد كبير.

قال البعض: إن المراد من عبارة «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» هو أنه وضع جبين ولده - طبقاً لاقتراحه - على الأرض، حتّى لا تقع عيناه على وجه ابنه فتتهيج عنده عاطفة الأبوة، وتحمّنه من تنفيذ الأمر الإلهي.

على أية حال كبّ إبراهيم عليه السلام ابنه على جبينه، ومزّ السكّين بسرعة وقوّة على رقبة ابنه، وروحه تعيش حالة الهيجان، وحبّ الله كان الشيء الوحيد الذي يدفعه إلى تنفيذ الأمر، ومن دون أيّ تردد، إلا أن السكّين المهادّة لم تترك أدنى أثر على رقبة إسماعيل الطّيفة.

وهنا غرق إبراهيم في حيرته، ومزّ السكّين مرّة

أخرى على رقة ولده، ولكنها لم تؤثر بشيء كالمرة السابقة.

نعم، إبراهيم الخليل يقول للسكّين: اذبحي، لكن الله الجليل يعطي أوامره للسكّين أن لاتذبحي، والسكّين لاتستجيب سوى لأوامر البارئ عز وجل.

وهنا ينهي القرآن كل حالات الانتظار، وسبابة قصيرة مليئة بالمعاني العميقة ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ الصافات: ١٠٤.

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: الثَّلَ، وهو الزاوية، والجمع: ثَلال وأتلال، يقال: ثَلَّه يَثْلُهُ ثَلًّا، أي ألقاه على عنقه وخده، فهو مثلول ومثليل، وكأن الأصل فيه الإلقاء على الثَّل خاصة، ثم توسع فيه، فأطلق على كل إلقاء على الوجه ثَلًّا وإن لم يكن على الثَّل، كما عُمم في إيراد الإبل أيضًا، ففي الحديث: «فجاء بسلامة كوماه فتَلَّها»، أي أناخها وأبركها.

ونظير الثَّل: الثَّلح، يقال: ثَلَحَه، أي ألقاه على وجهه، وهو إلقاء على الأبطح لاجمالة، كما يقال: شدَّه وكَبَّه ونكَّته، أي ألقاه على وجهه أو رأسه.

والمثَّل: ما يَثَل به، أي ما يصرع به، يقال: رَمَحَ مَثَلًا، وهو القوي الغليظ، والشديد من الناس والإبل.

والتثليل: التثني، والجمع: أثْلَّة وثُلل وثلاثل، وهو «قَمِيل» بمعنى «مفعول»، من قولهم: ثَلَّه، أي ألقاه على عنقه وخده.

والتثَّل: والتثْلَّة: السقوط والصَّب، يقال: ثَلَّ فلانٌ

يَثَل وَيَثَل، أي تصرع وسقط، وتثْلته في يديه: دفنته إليه ميلًا، وتثْلوه في قبره: أوردوه، وفي الحديث: «أُتيت بفاتح خزائن الأرض فتثلت في يدي»، أي صبت في يدي، والتثَّل: صبَّ الحبل في البئر عند الاستسقاء.

والتثْلَّة: الحالة، يقال: باتَ بِثْلَةٍ سُوءٍ، أي بحالة سوء، ونظله بِثْلَةٍ سُوءٍ: رماء بأمر قبيح.

٢- أما قولهم: إِنَّ جبينه لَيَثَل أشدَّ الثَّل، يشرح بالعرق، فهو من «الطَّل»، أي الندى والتثَل، يقال: نُطِرنا بوابل طَلٍّ، أي نُطِرنا بمطر خفيف قليل الأثر على الأرض.

وقولهم: قوم ثَلَّ: صرعى، من «ت ل و»، يقال: ثَلَّم الرجل، أي قضى نحبه، فبينما اشتقاق كبير، كما هو من «ت ل ل» و«ت ل ت ل»؛ إذ التثْلَّة: ومشرية تتخذ من قيقاية الطلع، قال الأزهري: لأنه يُصب ما فيها في الحلق.

٣- جاء «الثَّل» في العبرية والسريانية بمعنى التمليق، وهو يضارع صبَّ الحبل في البئر عند الاستسقاء في العربية، وكأنه تمليق أيضًا، وفعله في العبرية «تالاه»، وفي السريانية «تلا» و«تلا».

الاستعمال القرآني

جاء من هذه المادة لفظ واحد، مرة واحدة: ﴿فَلَمَّا أَشْلَسْنَا وَقُلْنَا لَلْجَبِينِ﴾ الصافات: ١٠٣. يلاحظ أولًا: أنهم فسروا «ثْلَّة» بالفاط، نظير: أضجعه وكبَّه وصرعه وألقاه وأسقطه ونحوها، وكأنها مترادفات له. وقد فرَّق بينهما المصنفون بأن الإسقاط:

الإلقاء من العلو، والإلقاء أعم منه ومن السفل،
والصَّب: انحدار السائل تدريجاً، والكَب: الدفع على
القفا، والصَّب أعم منه ومن الوجه، والتَّل: الاضطجاع
الحليط للبدن.

وقد اختير هنا دون سواء، لأنه يلائم عطف الرائد
على ولده، فلم يسقطه على الأرض بدفعه وصعره
وكبه، كما أنه يلائم لفظ (لَجِبِينَ) دون «على الجبين»،
لأنه يفيد الاستعلاء الذي يلائم الكب، ولهذا ذكر الجبين
بدل الجبهة، لأنها ما بين الجبينين، وتناسب الكب دون
التَّل، أي أضجعه بتؤدة، ووضع جبينه على الأرض
بمرفق.

ثانياً: جاء «التَّل» بما له من معنى العطف مرة واحدة
في قصة غريزة من نوعها في القرآن، وهي حكاية ذئب
إبراهيم ولده الفريد امتثالاً لأمر الله، وكان ابتلاءً عظيمًا
لها، وعندما تلاحظ القصة بنهايتها ترى فيها بوضوح أمثل
معاني العطف والتسليم والصبر والفداء والطاعة
والإحسان، وكذلك صدق الفداء والتضحية والإخلاص
فد.

ثالثاً: لم يذكر جواب ﴿قُلْنَا أَسْلَمْنَا﴾، بل عطف
عليه ما بعده: ﴿قُلْنَا أَسْلَمْنَا وَتَلَّ لِلْجَبِينَ﴾ وناديتاه أن
بن إبراهيم ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّبَّ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ فنجري
المُخْبِرِينَ ﴿الصَّافَات: ١٠٣، ١٠٥.

قيل: الجواب (ناديتاه)، والولو زائدة، والصواب
أنها ليست زائدة، بل هي رمز إلى أن الجواب واضح، إذ
كان نداء الله بصدق إبراهيم، كأنه أمر طبيعي لتسليمها،
فهذا من قبيل: ﴿وَسَبِّحْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا رَبُّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُحُرًا
حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَقَفْتُمْ عَلَى أَبْوَابِهَا...﴾ الزمر: ٧٣، لاحظ
«الأبواب» من «ب و ب».

رابعاً: جاءت هذه القصة مرة واحدة في سورة
الصَّافَات المكية، ولم تتكرر في القرآن، كما تكررت
في بعض أخرى في شأن الأنبياء وفي شأن إبراهيم بالذات،
ولعلنا نذكر من المائدة إخلاص هذا النبي وابنه إسماعيل
فليس لها نظير، فجاءت مرة واحدة في سورة مكية -
وقد حدثت في هذا البلد وعند البيت العتيق - لتكون
سلياً وحيداً للإخلاص والفداء.



ت ل و

٢٠ لفظًا ، ٦٣ مرة : ٣٢ مكية ، ٣١ مدنية
في ٣٣ سورة : ٢٢ مكية ، ١١ مدنية

تلاها ١:١	أَتْلُ ١:١	تَلَّ
تَلَّوْهُ ١:١	تَتْلُو ١:١	تَلَّوْهُ
تَلَّيْتُ ١:١	تَتْلُو ١:١	تَلَّوْهُ
يَتْلُو ٦:١:٧	تَتْلُوها ٢:١:٣	والتلَّيْتُ : الحاجة . وأتَلَيْتُ هَلَاثًا عَلَى خِلَانٍ ، أَيِ
يَتْلُوهُ ١:١	يَتْلُ ٢:٢:٧	أَحْلَنَهُ .
يَتْلُونَ ٣:٢:٥	تَتْلُ ٣:١٣:١٦	الْجَسَائِي : هِيَ [البَقِيَّةُ] التَّلَاوَةُ أَيضًا ، وَقَدْ تَتْلَيْتُ
يَتْلُونَهُ ١:١	أَتْلُ ١:٥:٦	حَقِّي هُنْدَ ، أَيِ تَرَكْتُ مِنْهُ بَقِيَّةً ، وَتَتْلَيْتُ حَقِّي تَتَجَمُّعُهُ
تَتْلُوهُ ٢:٣:٥	أَتْلُوها ١:١	حَقِّي بِمُتَوَفِّيهِ . (الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٣١٧)
تَتْلُونَ ١:١	التَّلَايَاتِ ١:١	أَبْنُ شَمَيْلٍ : التَّلَاوَةُ : مِنْ أَوْلَادِ الْمُغَزَى وَالضَّأْنِ الَّتِي
أَتْلُو ١:١:٢	تَلَاوَتِهِ ١:١	قَدْ اسْتَكْرَسَتْ وَشَدَّتَتْ ، وَالذَّكْرُ : يَتْلُو .

(الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٣١٨)

أَبُو هَمْرٍو الشُّبَّانِيُّ : التَّلَاءُ : اللَّذْمَةُ وَقَدْ أَتْلَيْتُهُ ،

أَيِ أَطْلَيْتُهُ لِلذَّمِّ ، [تَمَّ اسْتَشْهَدَ بِشَرِّ]

(الْأَزْهَرِيُّ ١٤: ٣١٨)

أَبُو زَيْدٍ : التَّلَاوَةُ : بَقِيَّةُ الشَّيْءِ ، وَقَدْ تَلَّى الرَّجُلُ ،

النُّصُوصُ اللَّغَوِيَّةُ

الْمُخَلِّيلُ : تَلَا فَلَانَ الْقُرْآنَ يَتْلُو تِلَاوَةً . وَتَلَا

الشَّيْءَ : تَبَّعَهُ تَلًّا .

وَالْأَكْثَرُ هُنَا الْمَثَالِيُّ ، تَلَاهُنَّ أَوْلَادُهُنَّ ، الْوَاحِدُ :

إذا كان بأخر زمق. (الأزهرى ١٤: ٣١٧)

تلا عني تلوًا، إذا تركك وتخلّف عنك، من وكذلك
خَذَلَ يَخْذُلُ خَذُولًا. (الأزهرى ١٤: ٣١٨)

الأَصَمِيُّ: هي [البقيّة] التليّة أيضًا، وقد تليت لي
عنده تليّة، بقيّة، وأتليت أنا عنده: أبقيتها.

تلا: تأخر، يقال: مازلت أتلوه حتى أنليت، أي
أخترته. (الأزهرى ١٤: ٣١٧)

التلا: الحوالة، وقد أتليت فلانًا على فلان، أي
أحلته عليه. (الأزهرى ١٤: ٣١٨)

والمُتَلِيّة: أن يُتَجَّ صدرٌ من اليسار فتأخر هي.

(الكسر النعوي: ١٧٩)

فإذا تُتِج أولهنّ [الآبال] وبني آخرهنّ، فهنا يواقي
متال. وإن لم يُتَجَّ كملهنّ ومابقي لحقه. فدخل في

المتالي، والواحدة: مُتَلِيّة. (الكسر النعوي: ١٤٦)

وناقة مُتَلِيّة، وهي التي بقي معها إبلٌ تُتَجَّ وقد تُتِج
أول اليسار، وإن لم تكن تُتِجَت هي.

(الكسر النعوي: ١٤٦)

أبو عُبَيْدَةَ: يقال: تَلَوْتُهُ، إذا خَذَلْتُهُ وتركتهُ.

(الجزهري ٦: ٢٢٩٠)

ابن الأعرابي: تلا: اتبع، وتلا: إذا تَخَلَّف. وتلا،
إذا استقرى تلوًا، وهو ولد البتل.

وتتلى: بقي بقيّة من دينه، وتتل، إذا جمع مالا
كثيرًا. (الأزهرى ١٤: ٣١٧)

استليت عليه فلانًا، أي انتظرتُه، واستليتته:
جعلته يتلوني. (الأزهرى ١٤: ٣١٩)

العرب يسمي المراسل في البناء والعمل: المتالي.

والتلي: الكثير الأيمان، والتلي: الكثير المال.

(الأزهرى ١٤: ٣٢٠)

رجل تلوّ على مثال عدوّ، لا يزال متبعًا.

(ابن سيده ٩: ٥٣٤)

تلى: قضى تحبه أي نذره. (ابن سيده ٩: ٥٣٧)

الباهلي: المتالي: الإبل التي تُتِج بعضها ولم يُتَجَّ

بعض. [تم استشهد بشعر] (الأزهرى ١٤: ٣١٦)

ابن الشكيت، والتلاوة: بقيّة المساجة، يقال:

بقيت لي حاجة فأنا أتتلاها، أي أتبعها. (٥٦٧)

ويقال: تلوّ القرآن فأنا أتلوه تلاوةً. وتلوّث

الرجل فأنا أتلوه تلوًا، إذا اتبعته، ويروى إذا تبعته.

ويقال: مازلت أتلوه حتى أنليت، أي حتى تقدّمته.

وتلوّث خلقي.

ويقال: تليت لي من حقّ تلاوة وتليّة أتلّاها، أي

بقيت. (إصلاح المطلق: ٢٠٢)

وتلا، إذا تأخر، والتوالي: ماتا آخر.

(الأزهرى ١٤: ٣١٧)

شجر: يقال: تلى فلان حلاته المكتوبة بالطّور،

أي أتبعها، ويكون تلى وتلى، بمعنى تبع.

(الأزهرى ١٤: ٣١٨)

المُبَرَّد: التوالي: اللواحق، يقال: تلاه يستلوه، إذا

تبعه. وتلوّث القرآن، أي أتبعته بعضه بعضًا، والمُتَلِيّة:

التي معها أولادها. (٣٥٩: ١)

الرّجّاج: ومعنى «يتلون» في اللغة: يُتَبَعُونَ بعض

الشيء بعضًا، وقد استلاك الشيء، إذا جعلك تتبعته.

[تم استشهد بشعر] (٤٥٩: ١)

ابن قُرَيْدٍ: تَلَوْتُ الشَّيْءَ أَتْلُوهُ تَلَوْا، إِذَا اتَّبَعْتَهُ.
وَتَلَوْتُ الْقُرْآنَ، إِذَا قَرَأْتَهُ كَأَنَّكَ أَتْبَعْتَ آيَةً فِي إِتْرَ آيَةٍ،
وَالْمَصْدَرُ: التَّلَاوَةُ.

والتَّلَوُ: الجعش الذي يتلو أمه. (٢: ٢٩)
ابن الأنباري: والتَّلَا: المَوَالِد، يقال: أَتَلَيْتُ
فُلَانًا عَلَ فُلَانٍ، إِذَا أَحَلَّكَ عَلَيْهِ، وَالاسْمُ: التَّلَاءُ.

(٨٤)
التَّلَاءُ: الضَّهَانُ، يقال: أَتَلَيْتُ فُلَانًا، إِذَا أَهْطَيْتَهُ شَيْئًا
يَأْمَنُ بِهِ، مِثْلُ سَهْمٍ أَوْ نَقْلِ^(١). (الأزهري: ١٤: ٣١٨)
الأزهري: العُرب تقول: لَيْسَ خُوَادِي الْخَيْلِ
كَالتَّوَالِي، فَخُوَادِيهَا: أَعْنَاقُهَا، وَتَوَالِيهَا: مَآخِرُهَا، رَجُلَاهَا
وَذَنَبُهَا، وَتَوَالِي الْإِبِلِ: مَآخِرُهَا، وَتَوَالِي كُلِّ شَيْءٍ
آخِرُهُ، وَتَوَالِيَاتُ النُّجُومِ: أَوَاخِرُهَا.

وفي الحديث: «إِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ سُلِيَ نَحْوُ
مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَسَاجِدَ بِهِ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيَقَالُ لَهُ:
لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَلَا اهْتَدَيْتَ».

وأخبرني المنذري عن أبي طائب في تفسيره: قال
بعضهم: معنى «وَلَا تَلَيْتَ»: وَلَا سَلَوْتُ، أَيِ لَا حُرَرْتُ
وَلَا دَرَسْتُ، مِنْ تَلَا يَتْلُوهُ فَقَالَ: «تَلَيْتَ» بِالتَّاءِ لِيَعَاقِبَ
بِهَا الْيَاءَ فِي «دَرَيْتَ»، كَمَا قَالُوا: إِنِّي لَا تَسِيَهُ بِالْعَدَايَا
وَالْعَشَايَا، وَتَجْمَعُ الْعَدَاةُ: غَدَوَاتٌ، وَقِيلَ: عَدَايَا مِنْ
أَجْلِ الْعَشَايَا، لِيَزْدَوِجَ الْكَلَامُ.

قال: وكان يونس يقول: إِنَّمَا هُوَ: وَلَا أَتَلَيْتُ، فِي
كَلَامِ الْعَرَبِ، مَعْنَاهُ أَلَّا يَتَلَى إِلَهُهُ، أَيِ لَا يَكُونُ كُلُّهَا أَوْلَادَ
تَتْلُوَهَا.

وقال غيره: إِنَّمَا هُوَ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، عَلَ

«افْتَعَلْتُ» مِنَ التَّلَوْتِ، أَيِ أَطَعْتُ وَاسْتَعَطَمْتُ، كَأَنَّهُ قَالَ:
لَا دَرَيْتَ وَلَا اسْتَطَعْتُ. (١٤: ٣١٧-٣١٩)

الفارسي: وتَلَوَى: ضَرَبَ مِنَ الشُّغْنِ، «فَعُولٌ»
مِنْ التَّلَوِ، لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ السَّيْفَةَ الْعَظِيمَةَ.

(ابن سيده: ٩: ٥٣٧)
الصَّاحِبُ: تَلَا يَتْلُو تِلَاوَةً، أَيِ قَرَأَ، وَالتَّلَى: الْمُرْدَّةُ
لِلتَّلَاوَةِ.

وتَّلَا: أَيِ رَوَى.
ونَهْجٌ مُتَلَبَّةٌ: تُشَجُّ فِي آخِرِ النَّجَاجِ.
وَأَتَلَى الْقَوْمَ فَهُمْ مُتَلَوْنٌ: صَارَتْ لَهُمْ إِيْلٌ مُتَالٍ.
ويقولون: «لَا دَرَيْتَ وَلَا أَتَلَيْتَ»، أَيِ لَا اسْتَطَعْتُ.
والتَّلَى: الْأَعْجَازُ، وَاحِدُهَا: تِلْوَةٌ.
وهذه تَلِيَّةٌ مَا تَقْدَمُ، أَيِ تَالِيَةٌ.

والتَّلَاةُ الْمَلَكَةُ وَالْجَوَارُ، وَهُوَ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى سَهْمٍ:
فُلَانٌ جَارِي، يُقَالُ: أَتَلَى سَهْمًا، وَاسْتَلَيْتُهُ فَأَتَلَانِي.
وَتَلَوْتُ الْقَوْمَ: طَرَدْتُهُمْ وَسَقَيْتُهُمْ، وَتَلَوْتُهُ: صَرَعْتُهُ.
وَتَلَا سَهْمًا: أَمَرَهَا عَلَى يَدِهِ.

وتَلَى مِنَ الشَّهْرِ كَذَا، أَيِ بَقِيَ، يَتَلَى تَلًى.
وَتَلَيْتُ حَقِّي، أَيِ تَبِعْتُهُ.
وَأَتَلَيْتُ حَقِّي، تَأَيِ افْتَضَيْتُ.
وَذَهَبَتْ تَلِيَّةُ السَّيَابِ، أَيِ بَقِيَّتُهُ.
والتَّلِيَّةُ: قَضَاءُ بَعْضِ الصَّلَاةِ، وَالرَّجُلُ مُتَلًى،
وَهُوَ الْكَذُّ مِنْ تَالِي النُّجُومِ: يَحْنُو الدُّبُرَانُ،
وَالتَّلْوَةُ: الْفِرَّةُ.

والتَّلَى: الْقَدَحُ الصَّغِيرُ، وَالْعُسُ الصَّخْمُ.

والتَّائِيَانِ : ماءان لبني الأَضْبَطِ ، واحدهما : تَلَّى ، وهما من الأَبَارِ التي يُسْقَى منها بالدَّلَاءِ والأَرْشِيَّةِ .

وما زِلْتُ أَتْلُو زَيْدًا حَتَّى أَتْلِيَهُ ، أي سَبَقْتُهُ ، فجعَلْتُهُ خَلْفِي يَتْلُونِي .

الخطَّابِيُّ : في حديث ابن عباس : «عندنا القطيعة والتَّوَلَّةُ والجَدَّةُ ...» .

والتَّوَلَّةُ ، وهو غُلَطٌ ، وإنما هو التَّلَوَّةُ . يقال للجهنمي إذا ارتفع وعُظِمَ وَتَّحَّ أُمُّهُ : تَلَّوْا ، والأُنْقَى : تَلَوَّةٌ . ويقال للأنبياء إذا تلاها أولادهم : التَّالِي ، وصاحبها : مُتَلٍ . وقد أُتِلَ مَالُهُ . ومنه الحديث في سؤال صاحب القبر : «لَا دَرَيْتَ وَلَا أَتْلَيْتَ» .

ابن جني : المُتَلِيَّةُ : التي انْقَلَبَتْ هَانِئَةً وَأَسْ جَنِينًا إِلَى نَاحِيَةِ الذَّنْبِ والحَيَاءِ . (ابن سيده ٥٣٥)

الجوهري : تَلَّوْا الشَّيْءَ : الذي يَتْلُوهُ ، وتَلَّوْا النَّاقَةَ : ولدها الذي يتلوها .

والتَّلَوَّةُ من النِّعَمِ : التي تُتَّجَّ قَبْلَ الصَّغَرَةِ . والتَّلَاةُ : الذِّمَّةُ . [ثم استشهد بشعر]

والتَّلِيَّةُ : بقية الذَّيْنِ ، وكذلك التَّلَاوةُ بِالضَّمِّ . وتَلَّوْتُ الْقُرْآنَ تَلَاوَةً ، وتَلَّوْتُ الرَّجُلَ أَتْلُوهُ تُلَّوًّا ، إذا تَبِعْتُهُ . يقال : ما زِلْتُ أَتْلُوهُ حَتَّى أَتْلِبَهُ . أي حَتَّى تَقْدَمْتُهُ وَصَارَ خَلْفِي .

والتَّالِي : الذي يرسل المخفي بصوت رفيع . [ثم استشهد بشعر]

وَأَتْلَيْتُ حَتَّى عِنْدَهُ ، أي أَبْغَيْتُ مِنْهُ بَقِيَّةَ «لَا دَرَيْتَ وَلَا أَتْلَيْتَ» .

وَأَتْلَيْتُ حَتَّى عِنْدَهُ ، أي أَبْغَيْتُ مِنْهُ بَقِيَّةَ .

وَأَتْلَاهُ اللَّهُ أَطْفَالًا ، أي أَبْنَاهُ أَوْلَادًا .

وَأَتْلَيْتُهُ ، أي سَبَقْتُهُ . وَأَتْلَيْتُهُ ، أي أَحَلَّكَ مِنْ الْحَوَالَةِ .

وَأَتْلَيْتُهُ ذِمَّةً ، أي أَعْطَيْتُهُ إِتَاهَا .

وَتَتْلَيْتُ حَتَّى ، إذا تَبِعْتُهُ حَتَّى اسْتَرْفَيْتَهُ .

وجاءت الخليل ثَالِيًا ، أي مُتَابِعًا . (٢٢٨٩ : ٦)

ابن فارس : التَّاءُ وَاللَّامُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْإِتْبَاعُ . يقال : تَلَّوْتُهُ ، إذا تَبِعْتَهُ . ومنه تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ ،

لأنَّهُ مُصَاحِبُهُ وَمَعَهُ ، فَإِذَا انْطَلَعَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ فَقَدْ صَارَ خَلْفَهُ بِمَنْزِلَةِ التَّالِي .

ومن الباب : التَّلِيَّةُ والتَّلَاوةُ وهي البَقِيَّةُ ، لأنها تَتَلَوُ

مَاتَقْدَمَ مِنْهَا . [ثم استشهد بشعر]

ومما يصح في هذا ما حكاه الأصمعي : بَقِيَّتِي لِي

مُطْلَعَةٌ فَأَنَا أَتْلَاهَا .

والتَّلَاةُ : الذِّمَّةُ ، لأنها تُتَّجَّ وَتُطْلَبُ . يقال : أَتْلَيْتُهُ

ذِمَّةً .

والتَّالِي الَّذِي صَاحِبُهُ الْفَنَاءُ ، سَمِيًّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَلَّمَ

وَاحِدًا مِنْهَا يَتْلُو صَاحِبَهُ . [ثم استشهد بشعر] (٣٥٦ : ١)

أَبُو هِلَالٍ : الفرق بين القراء والتَّلَاوة : أَنَّ التَّلَاوةَ

لَا تَكُونُ إِلَّا لِكَلِمَتَيْنِ فَصَاعِدًا ، والقراءة تَكُونُ لِلْكَلِمَةِ

الوَاحِدَةِ ، يقال : قرأ فلان اسمه ولا يقال : تلا اسمه ، وذلك

أَنَّ أَصْلَ التَّلَاوةِ : إِتْبَاعُ الشَّيْءِ ، الشَّيْءُ ، يقال : تلاه ، إذا

تَبِعَهُ . فتكون «التَّلَاوةُ» في الكلمات يتبع بعضها بعضًا ،

ولا تكون في الكلمة الواحدة ، إذ لا يصح فيه التَّلَوُّ .

(٤٨)

الفرق بين التَّالِي والتَّالِي : أَنَّ التَّالِي - فيما قال علي بن

عيسى - ثَانٍ ، وإن لم يكن يَتَدَبَّرُ بِتَدَبُّرِ الْأَوَّلِ ، والتَّالِي إنما

هو المتدبر بتدبر الأول، وقد يكون «التابع» قبل المتبوع في المكان، كتقدم المدلول وتأخر الدليل، وهو مع ذلك يأمر بالعدول تارة إلى الشمال وتارة إلى اليمين كذا قال. (٢٥٥)

ابن سبده: تَلَوْتُهُ، وَتَلَوْتُ عَنْهُ، تُلَوُّا، كَلَاهَا: خَذَلْتُهُ وَتَرَكْتُهُ.

وَتَلَوْتُهُ تُلَوُّوا: تَبِعْتُهُ.

وتنالت الأمور: تلا بعضها بعضها.

وَأَتْلَيْتُهُ إِتَاءً: أَتَبَعْتُهُ.

واستتلاك الشيء: دعاك إلى تُلُوِّهِ. [ثم استشهد

بشعر]

وهذا يُلُوْهُ هَذَا، أَيِ يَتَّبِعُهُ.

ووقع كذا تَلَيْتُهُ كذا، أَيِ عَقِبَهُ.

ونافقة مُتَلٍ، وَمُتَلِيَّةٌ: يَتَلَوُّهَا وَلَدُهَا، أَيِ يَتَّبِعُهَا.

والمُتَلِيَّةُ: الْمُتَلِي: الَّتِي تُتَّبَعُ فِي آخِرِ النَّجَاحِ، لِأَنَّهَا تَبِعُ

لِلْمُبَكَّرَةِ.

وقيل: الْمُتَلِيَّةُ: الْمُؤَخَّرَةُ الْإِنْتِاجِ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْمُتَلِي: الَّتِي يَتَلَوُّهَا وَلَدُهَا، وَقَدْ يَسْتَعَارُ الْإِتْلَاءُ فِي

الْوَحْشِ. [ثم استشهد بشعر]

وَاتَلَوُ: وَلَدَ الشَّاةُ حِينَ يَعْطَمُ مِنْ أُمِّهِ وَيَتَلَوُّهَا،

وَالْجَمْعُ: أَتْلَاءُ، وَالْأُنْثَى: تَلَوَةٌ. وَقِيلَ: إِذَا خَرَجْتَ الْعِتَاقَ

مِنْ حِدِّ الْإِجْفَارِ فِيهِ تَلَوَةٌ، حَقٌّ تَتِمُّ لَهَا سَنَةٌ فَتُجَذَّعُ،

وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَتَّبِعُ أُمَّهَا.

وَاتَلَوُ: وَلَدَ الشَّاةُ حِينَ يَعْطَمُ مِنْ أُمِّهِ وَيَتَلَوُّهَا،

وَالْجَمْعُ: أَتْلَاءُ، وَالْأُنْثَى: تَلَوَةٌ. وَقِيلَ: إِذَا خَرَجْتَ الْعِتَاقَ

مِنْ حِدِّ الْإِجْفَارِ فِيهِ تَلَوَةٌ، حَقٌّ تَتِمُّ لَهَا سَنَةٌ فَتُجَذَّعُ؛

وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَتَّبِعُ أُمَّهَا.

وَاتَلَوُ: وَلَدَ الْحِمَارَ، لِاتِّبَاعِهِ أُمَّهُ.

وَتَلَّى الرَّجُلُ صَلَاتَهُ: أَتَبَعَ الْمَكْتُوبَةَ الْقَطْرَ.

وَالْتَوَالَى: الْأَعْجَازُ لِاتِّبَاعِهَا الصَّدُورَ، وَتَوَالَى الْخَيْلُ:

عَآخِرُهَا مِنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ: تَوَالَى الْفَرَسُ: ذَنَبُهُ وَرِجْلَاهُ،

يُقَالُ: إِنَّهُ لَحَنِيتُ التَّوَالِي، وَسَرَّيْتُ التَّوَالِي، وَكَلَّهَ مِنْ

ذَلِكَ.

وتوالي الظعن: أواخرها، وتوالي الإبل كذلك.

وتوالي النجوم: أواخرها.

وتَلَّى الشَّيْءَ: تَتَّبَعَهُ.

وَالْتَلَاوَةُ: وَالتَّلِيَّةُ: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ عَاقِبَةُ، كَأَنَّهُ يُتَّبَعُ

حَقٌّ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَقْلُهُ، وَخَمْسٌ بِحُضْمٍ بِهِ بَقِيَّةُ الدِّينِ

وَالْحَاجَةُ.

وَتَلَيْتُ عَلَيْهِ تَلَاوَةً، وَتَلَى مَقْصُورٌ: بَقِيَّةٌ.

وَأَتْلَيْتُهَا حَنْدَةً: أَبْقَيْتُهَا.

وَتَلَى مِنَ الشَّهْرِ كَذَا تَلَى: بَقِيَ.

وَتَلَّى الرَّجُلُ، إِذَا كَانَ بِأَخْرِ رَمَقٍ.

وَتَلَوْتُ الْقُرْآنَ تَلَاوَةً: قَرَأْتَهُ، وَعَمَّ بِهِ بِحُضْمٍ كُلِّ

كَلَامٍ. [ثم استشهد بشعر]

وَالْتَلَاءُ: الذَّمُّ، وَأَتْلَيْتُهُ: أَعْطَيْتُهُ التَّلَاءَ، وَالتَّلَاءُ:

الْجَوَار.

وَالْتَلَاءُ: السَّهْمُ يَكْتَبُ عَلَيْهِ الْمُتَلِي اسْمُهُ وَيُعْطِيهِ

الرَّجُلُ، فَإِذَا صَارَ إِلَى قَبِيلَةِ أَرَاهِمَ ذَلِكَ السَّهْمِ، وَجَازَ

فَلَمْ يُوْذَ.

وَأَتْلَيْتُهُ سَهْمًا: أَعْطَيْتُهُ إِتَاءً لِيَسْتَجِيرَ بِهِ. [ثم

استشهد بشعر]

وإنه تَلَوَ المقدار: أي رقبه. (٥٣٥: ٩)
 الطُّوسِي: التلاوة: ذكر الكلمة بعد الكلمة، على نظام متسق في الرتبة. (٣٠: ٢)
 نحوه الطُّوسِي.
 التلاوة: جعل الثاني يلي الأول بعده بلا فصل، والتلاوة والقراءة واحد. (٢٥٢: ٦)
 التلاوة: الإتيان بالثاني بعد الأول في القراءة بما يتلوه تلاوة، فهو تالي لمقدم، والمقدم والتالي مثل الأول والثاني. (١٢٨: ٨)
 التلاوة: الإتيان بالثاني في إثر الأول في القراءة، فتلاوة الحروف بعضها بعضاً يكون في الكتابة والقراءة. وفلان يتلو فلاناً، أي يأتي بعده، وفلان يتلو القرآن، أي يقرؤه. (٢٤٩: ٩)
 الرَّاغِب: تلاه: تبعه متعابرة ليس بينهم ما ليس منها، وذلك يكون تارة بالمجسم وتارة بالافتداء في الحكم، ومصدره تَلَوْ وتَلَو. وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى، ومصدره تلاوة. [إلى أن قال:]
 والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام، لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك. وهو أخص من القراءة. فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة. ولا يقال: تَلَوْتُ بِفَعْلِكَ، وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتباعه. [ثم ذكر آيات وقال:]
 والتلاوة والتلبية: بقية مما يتلى، أي يُتَّبَع. وأُتْلِيَتْ، أي أُبْقِيَتْ منه تلاوة، أي تركته قادراً على أن يتلوه. وأُتْلِيَتْ فلاناً على فلان بحق، أي أحلته عليه،

ويقال: فلان يتلو على فلان، ويقول عليه، أي يكذب عليه. قال: ﴿وَيَسْقُوتُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ آل عمران: ٧٥.
 ويقال: لأدري ولا أدلي، ولا أدريته ولا أدليت. وأصله: ولا تَلَوْتُ، فقليل للمزاوجة كما قيل: «ما زورات غير مأجورات» وإنما هو مؤزورات. (٧٥)
 الرُّمَحْصَرِي: ما زلت أتلوه حتى أتيت، أي سبقته وجعلته يتلوني.
 ونافعة مُتْلِيَةٌ: يتلوها ولدها، وتُوقى مُتْلِيَاتٌ، ومتالٍ، وغرَّبتُ توالي التجوم. ونقول: توالى عليّ الأوالي، والتوالي عليّ توالي.
 وهو يتلو فلان، أي تاليه.
 وفلان يُصَلِّي ويُنْجِي، إذا أتبع المكتوبة التأفلة. [ثم استشهد بشعر]
 وتَلَوْتُ القرآن، والقرآن خير متلٍ، وهذه تلاوة، ما عليها جلاوة^(١). وتلا زيدا، وصمرو يتاليه، أي يراسله، وهو رسيله ومتاليه.
 ومن الجار: ذهبت تليّة الشباب، أي بقيته، لأنها آخره الذي يتلو ما تقدم منه. وعليك تليّة من الدُّنْيَا. [ثم استشهد بشعر]
 وفلان بقيّة الكرام، وتليّة الأحرار.
 وأتلى فلان على فلان: أتبع عليه، أي أحيل.
 والقلاء: المحوالة، [ثم استشهد بشعر]
 وأتليت فلاناً سهماً، إذا أعطيته سهم الجوار، ومعناه جعلته يتلوه وصاحبه. واستتلى فلان: طلب سهم الجوار.

وفي حديث أبي حذرد: «ما أصبحت أثليها ولا أقدر عليها».

يقال: أثليت حقّي عنده، أبقيت بقية، وأثليت: أخلته. وثليت له تليته من حقه وثلاوة، أي بقيت له بقية. (١: ١٩٥)

القيومي: تلوّث الرجل أثلوه ثلّوا على «فعل»: ثبثته، فأثله تالٍ وثلّوا أيضا، وذلّ يذلّ. وثلّوت القرآن تلاوة. (١: ٧٦)

الفيروزآبادي: ثلّوته كدعوته ورميته، ثلّوا كسّوا: تبعه، كتبت ثلّية، وتركته ضدّ، وخذّله، ثلّوت عنه في الكلّ، والقرآن أو كلّ كلام تلاوة ككتابه: مزائه.

وواصلت الأمور: تلا بعض بعضا، وأثليت إياه: أثمت واستلّمت الشيء: دعاه إلى ثلّوه، ورجل ثلّو كعدوّ لا يزال متبعا.

والثلو بالكسر: ما يثلو الشيء، والرفع، وولد الناقة يثلم فيثلوها: جمعه: أثلاء، وولد الحمار، وبالهاء للأثني، والثنائي خرجت من حدّ الإجماع، والفهم تنتج قبل الصغرى. (١)

وثلّ صلاته ثلّية: أتبع المكتوبة تطوعا، وقضى نذره، وصار بآخر رمق من عمره.

وأثليت: أخلته حوالة، وذمة: أعطيته إياها، وحقّي عنده: أبقيت منه بقية، وسبها أعطيته ليستجير به، وأثلت الناقة: تلاها ولدها، وتلا: اشترى ثلّوا لولد البعل.

ومن الكناية: ثلّوت الإبل: طردتها، لأنّ الطارد يتبع المطرود.

ويقال للهادي: التالي، كما يقال له: التالي.

(أساس البلاغة: ٣٩)

[وفي حديث عذاب القبر: «لا ذرّيت ولا ثلّيت»، أي ولا أتيت الناس بأن تقول شيئا يقولونه.

ويجوز أن يكون من قولهم: تلا فلان ثلّوا غير عاقل، إذا عمِل عمل الجهال، أي لاعلمت ولا جهلت، بمعنى هلكت فخرجت من القبيلتين.

وقيل: لاقرأت، وقلب الواو ياء للازدواج، وقيل: الصواب: أثليت. يدعوه عليه بالآ يثلي إيلده، وإثلاؤها: أن يكون لها أولاد تثلّوها.

وقيل: هو أثليت «افتملت» من لاألو كذا، إنلم شغلته. (الفاثق: ١٨٥٩)

الطبرسي: التلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة، لأنّ التالي للشيء يليه من غير فصل بغيره، وأصل الثلو: إيقاع الشيء بعد الشيء الذي يليه.

(١: ٣٥٨)

التلاوة مثل القراءة، والمتلّو مثل المقروء، والتلاوة غير المتلّو، كما أنّ الحكاية غير الحكّي، فالمتلّو والحكّي هو الكلام الأول، والتلاوة والحكاية هي الثاني منه، على طريق الإعادة. (٢: ٣٨٢)

ابن الأثير: في حديث عذاب القبر: «فيقال له: لا ذرّيت ولا ثلّيت» هكذا يرويه المحدثون، والصواب: «ولا أثليت». وقيل: معناه لاقرأت، أي لا ثلّوت، فقلّوا الواو ياء ليزدوج الكلام مع «درت».

والتَّليّ كغني: الكثير الأيمان، والكثير المال، وبها وبقيّة الذين وغيره، كالتلاوة.

وأَتْلَا: أعطاه التّلا - كسحاب - للذّمة والجسور، ولسهم عليه اسم المُتلي.

وتلي من الشهر كذا كرضي: بقي.

وتتلاه: تَتَبَّعَهُ.

والتّوالي: الأعجاز، ومن الخسيل: ماخيرها، أو الذّئب، والرّجلان. ومن الظّمن: أواخرها.

وتلّوى كفعول: ضَرَبَ من السّفن صغير.

والتّليان، بالتّضمّ وفتح اللّام المشدّدة: ماء.

ويهلّم مُتَالٍ، أي لم تُنتج حق صاغت. (٤: ٨٠٣)

الطّبري يمي: والتّالي في قولهم: [أَتْلُوهُ]

«ويلمق بنا التّالي» هو المرتاد الذي يريد الخيل ليطير عليه.

وتلّوت الرّجل أتلّوه تلّوا، على «هول»: تبعته، فأنا

تالي، وتلّو أيضًا، وزان جمل. (١: ٧٦)

الهُزّوسوي: التّلاوة: القراءة على سبيل التّوالي.

(٦: ٤٧٣)

الفرق بين التّلاوة والقراءة: أنّ التّلاوة قراءة القرآن

متتابعة، كالدراسة والأوراد المنظّمة، والقراءة أعمّ،

لأنّها جمع الحروف باللفظ لا إتباعها. (٩: ٥١٤)

محمود شيت: تلا الأوامر: قرأها، والرّسالة:

قرأها. يقال: ساعة تلاوة الأوامر اليوميّة: السّاعة التي

يجتمع فيها المراتب لسبّاح الأوامر اليوميّة. (١: ١١٣)

المُضطَفّوي: والتّحقيق أنّ الأصل الواحد في هذه

المادّة: هو الوقوع بعد الشّيء، بأن يجعله أمامه ويكون

هو خلفه. وهذا المعنى ناظر إلى جهة الظّاهر، وهو غير

منهوم الاتّباع المعبر فيه جهة المعنى والحكم.

وهذا يظهر حقيقة معنى «التّلاوة» فإنّ التّالي يجعل

القرآن أو الآيات أو كلمات الله المتعال أو ماأوحى منه،

أمامه في مقام الإظهار والإعلان، أو في مقام الإبلاغ، أو

في مقام التّكريم والتّشريف والتّظيم، أو في مقام الاتّباع

والإطاعة، أو غيرها.

فالنّظر في هذه المادّة إلى هذه الجهة، سواء كانت

بطريق القراءة أو بطريق الاتّباع أو بطريق آخر.

وعلى هذا لا يُلطّق «التّلوّه» في قراءة الكتب المتداولة

وأهلها، إلا إذا أُريد تشريقًا خاصًّا وتخليصًا له.

وأما التّلاوة نظرًا إلى اتّباع آية بعد آية، فليس

بوجه، فإنّه بمعنى الإِتلاء متعديًا لا التّلاوة، والتّلاوة من

صفه التّالي القارئ.

وأما معنى: التّرك والإعراض، فمن لوازم ذلك

المفهوم، فإنّ التّبعيّة لشيء يلازم الإعراض عن الآخر.

[تمّ فسر بعض الآيات إلى أن قال:]

وأما القراءة الصّرفة فليست تدلّ على أزيد من

الطلق والتّلفظ والتّوجّه إلى المعنى، كما في آية الحاقة:

١٩، والمزمل: ٢٠، والأعراف: ٤-٢، والإسراء:

١٤ و٧٦.

فظهر الخصوصيّات المنظورة في التّعبير بالقراءة أو

بالتّلاوة في مواردّها. [تمّ ذكر آيات فراجع] (١: ٣٧٤)

التَّصَوُّصُ التَّفْسِيرِيَّةُ

تَلِيهَا

وَالْقَمَرِ إِذَا تَلِيَهَا. الشمس: ٢.
ابن عباس: يَتْلُو النَّهَارَ. (الطَّبْرِيُّ ٣٠: ٢٠٨)
إِذَا تَلِيَهَا. (الْمَاوُزِدِيُّ ٦: ٢٨١)
نَحْوَهُ مُجَاهِدٌ (الطَّبْرِيُّ ٣٠: ٢٠٨)، وَابْنُ قُسَيْبٍ
(٥٢٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٥٨: ٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٩٠: ٧).
مُجَاهِدٌ: إِذَا سَاوَاهَا. (الْمَاوُزِدِيُّ ٦: ٢٨١)
الْحَسَنُ: بِعَنِي لَيْلَةُ الْمَلَالِ. (الطُّوسِيُّ ١٠: ٣٥٧)
نَحْوَهُ قِسَادَةُ (الطَّبْرِيُّ ٣٠: ٢٠٨)، وَالْكَلْبِيُّ
(الْقَمَرُ الزَّائِي ٣١: ١٩٠).

تَلِيَهَا دَائِبًا فِي كُلِّ وَقْتٍ لِأَنَّهُ يَسْتَعِيزُ مِنْهَا بِهَرَمٍ
يَتْلُوهَا لِذَلِكَ.

نَحْوَهُ الْقَرَاءُ. (أَبُو حَتَّىان ٨: ٤٧٨)
قِسَادَةُ: يَتْلُوهَا صَبِيحَةَ الْمَلَالِ، فَإِذَا سَقَطَتْ
الْشَّمْسُ رُؤْيَا الْمَلَالِ. (الطَّبْرِيُّ ٣٠: ٢٠٨)
زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ: إِذَا تَلَاهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ.

(ابن كثير ٧: ٢٩٩)
الإمام الصادق عليه السلام: [في حديث] ذَلِكَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام تَلَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَنَفَثَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
بِالْعِلْمِ نَفْثًا. [وهذا تأويل] (الْمَرْوُومِيُّ ٥: ٥٨٥)
ابن زيد: «وَالشَّمْسُ وَصُحُفُهَا» وَالْقَمَرُ إِذَا
تَلِيَهَا هَذَا قِسْمٌ، وَالْقَمَرُ يَتْلُو الشَّمْسَ نِصْفَ الشَّهْرِ
الْأَوَّلِ، وَتَتْلُوهُ التَّصَفُّ الْآخِرُ.

فَأَمَّا التَّصَفُّ الْأَوَّلُ فَهُوَ يَتْلُوهَا، وَتَكُونُ أَمَامَهُ وَهُوَ

وَرَاءَهَا، فَإِذَا كَانَ التَّصَفُّ الْآخِرَ كَانَ هُوَ أَمَامَهَا يَقْدُمُهَا،
وَتَلِيَهُ هِيَ. (الطَّبْرِيُّ ٣٠: ٢٠٨)

الْقَرَاءُ: بِعَنِي أَتَبَعَ الشَّمْسَ، وَيُقَالُ: إِذَا تَلَاهَا فَأَخَذَ
مِنْ صُفُوفِهَا، وَأَنْتَ قَائِلٌ فِي الْكَلَامِ: انْتَبَهْتُ قَوْلَ أَبِي
حَنِيفَةَ، وَأَخَذْتُ بِقَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ وَالْإِتْبَاعَ وَالْتُلُوَّ سَوَاءً.
(٣: ٢٦٦)

الطَّبْرِيُّ: وَالْقَمَرُ إِذَا تَبَعَ الشَّمْسَ، وَذَلِكَ فِي التَّصَفِّ
الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، إِذَا هَرَبَتِ الشَّمْسُ تَلَاهَا الْقَمَرُ طَالِعًا.
(٣٠: ٢٠٨)
نَحْوَهُ الْقُسَيْرِيُّ (٦: ٣٠٠)، وَالزَّمَنْشَرِيُّ (٤):
(٢٥٨)، وَابْنُ قُسَيْبٍ (٤: ٣٦٠).

الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ حِينَ تَلَاهَا، وَقِيلَ: حِينَ اسْتَدَارَ
فَكَانَ يَتْلُو الشَّمْسَ فِي الصِّيَاءِ وَالنُّورِ. (٥: ٣٣١)
ابن خالويه: (وَالْقَمَرُ) تَقَى عَلَى «الصُّفُوفِ»، (إِذَا)
حَرَكَ وَقْتَ غَيْرِ وَاجِبٍ. (تَلِيَهَا)، تَلَا فَعَلَ مَاضٍ.
و«ه» مَفْعُولٌ بِهَا، وَ«تَلَا» لَا يَكْتُبُ إِلَّا بِالْأَلِفِ، لِأَنَّهُ مِنْ
ذَوَاتِ الْوَاوِ. وَيُقَالُ: تَلَا يَتْلُو تُلُوًّا فَهُوَ تَالٍ، إِذَا تَبَعَ
النَّيَّ. وَيُقَالُ: هَذَا الرَّجُلُ يَتْلُو عَذَا، أَيَّ تَابِعَهُ.

هَذَا قَالَ قَائِلٌ: لَمْ زَعَمْتُ أَنَّ «تَلَا» مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ
وَقَدْ أَمَّاها الْكِسَانِيُّ ٢

فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ أَنَّ السُّورَةَ إِذَا كَانَتْ رُؤُوسَ آيَاتِهَا
يَاءَاتٍ نَحْوَ شُحَاهَا وَجَلَّاهَا وَتَلَاهَا، تَلِيَهَا كَمَا كَانَ مِنْ
ذَوَاتِ الْوَاوِ.

وَكَانَ حِمْرَةٌ لَا يَمُرُّ هَذَا الْجَزَاءُ فَقَرَأَ «وَالشَّمْسُ»
وَصُحُفُهَا بِالْكَسْرِ، «وَالْقَمَرُ إِذَا تَلِيَهَا» بِالْفَتْحِ، فَفَرَّقَ
بَيْنَ ذَوَاتِ الْيَاءِ وَذَوَاتِ الْوَاوِ، وَهُوَ حَسَنٌ أَيْضًا.

فَأَمَّا أَبُو عَمْرٍو وَنَافِعٌ فَكَانَتَا قِرَاءَتَيْهَا بَيْنَ بَيْنٍ، وَأَمَّا عَاصِمٌ وَابْنُ كَثِيرٍ فَكَانَا يُفَضِّلَانِ كُلَّ ذَلِكَ، وَهُوَ الْأَصْلُ، (٩٦)

الْمَاوُزِدِيُّ: «وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّيَا» فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: إِذَا سَاوَاهَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. الثَّانِي: إِذَا تَبَعَهَا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَفِي اتِّبَاعِهِ لَهَا ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ. [ثُمَّ نَقَلَ قَوْلَ قَتَادَةَ وَالطَّبْرِيِّ وَابْنِ زَيْدٍ وَأَضَافَ:]

وَيَحْتَمِلُ رَابِعًا: أَنَّهُ خَلْفُهَا فِي اللَّيْلِ، فَكَانَ لَهُ مِثْلُ مَا لَهَا فِي النَّهَارِ، لِأَنَّهُ تَأْتِيهِ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فِي زَمَانِهِ، فَلِلشَّمْسِ النَّهَارُ وَلِلْقَمَرِ اللَّيْلُ. (٢٨١: ٦)

الطُّوسِيُّ: وَقَوْلُهُ: «وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّيَا» قَسَمَ آخَرَ بِالْقَمَرِ، وَتَلَوَهُ الشَّمْسُ، وَوَجْهٌ الدَّلَالَةُ مِنْ جِهَةِ تَلَوِّ الْقَمَرِ لِلشَّمْسِ مِنْ جِهَةِ الْمَعَاقِبَةِ عَلَى أُمُورٍ مَرْتَبَةٍ فِي التَّقْصِصِ وَالزِّيَادَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ ضَوْءُ الشَّمْسِ يَنْقُصُ إِذَا غَابَ حَرَمُهَا، وَيَقْوَى ضَوْءُ الْقَمَرِ حَتَّى يَتَكَامَلَ كَذَلِكَ دَاتَيْنِ، تَسْخِيرًا مِنْ اللَّهِ لِلْعِبَادِ، بِمَا لَيْسَ فِي وَسْعِهِمْ أَنْ يَجْرَوْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْهَاجِ. [وَنَقَلَ قَوْلَ ابْنِ زَيْدٍ وَالْحَسَنِ قَالَ:]

وَقِيلَ: تَلَاهَا فِي الضُّوءِ. (٣٥٧: ١٠٠)
الْمَيْيُتِيُّ: أَيُّ تَبَعَهَا، وَالْقَمَرُ يَتْلُو الشَّمْسَ لَيْلَةَ الْهَلَالِ، تَقَرُّبُ الشَّمْسِ وَيَقَرُّبُ الْقَمَرُ بِعَقِبِهَا. بِقَالَ: هَذَا تَلَوْهُ هَذَا، أَيُّ تَابِعَهُ وَظَلَمَهُ. (٥٠٥: ١٠٠)

ابْنُ عَطِيَّةٍ: [نَحْوُ ابْنِ زَيْدٍ ثُمَّ قَالَ:]
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ: (تَلَّيَا) مَعْنَاهُ تَبَعَهَا دَائِبًا فِي كُلِّ وَقْتٍ، لِأَنَّهُ يَسْتَضِيءُ مِنْهَا، فَهُوَ يَتْلُوها لِذَلِكَ. فَهَذَا اتِّبَاعٌ لَا يَخْتَصُّ بِنِصْفِ أَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ

وَلَا بَآخِرَهُ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ أَيْضًا.

وَقَالَ الرَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ: مَعْنَاهُ امْتِلَاءٌ وَاسْتِدَارٌ، فَكَانَ لَهَا تَابِعًا فِي الْمُنْزَلَةِ وَالضَّيَاءِ وَالْقَدَرِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَوَاكِبِ شَيْءٌ يَتْلُو الشَّمْسَ فِي هَذَا الْمَعْنَى غَيْرَ الْقَمَرِ. [ثُمَّ نَقَلَ قَوْلَ قَتَادَةَ] (٤٨٧: ٥١)

الطَّبْرِيُّ: أَيُّ إِذَا تَبَعَهَا فَأَخَذَ مِنْ ضَوْئِهَا وَسَارَ خَلْفَهَا. قَالُوا: وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ تَلَاهَا الْقَمَرُ فِي الْإِضَاءِ وَخَلْفَهَا فِي النُّورِ. وَقِيلَ: تَلَاهَا لَيْلَةُ الْهَلَالِ وَهِيَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ، إِذَا سَقَطَتِ الشَّمْسُ رُؤْيِ الْقَمَرِ عِنْدَ غَيْبِهَا، عَنْ الْحَسَنِ.

وَقِيلَ: فِي الْخَامِسِ عَشَرَ يَطْلُعُ الْقَمَرُ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

وَقِيلَ: فِي الشَّهْرِ كُلِّهِ فَهُوَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ يَتْلُوها، وَتَكُونُ أَمَامَهُ وَهُوَ وَرَآهَا، وَفِي النِّصْفِ الْآخِرِ يَسْتَلُو غُرُوبُهَا بِالطَّلُوعِ. (٤٩٨: ٥١)

الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: فِي كَوْنِ الْقَمَرِ تَالِيًا وَجْهَهُ... [نَذَرَ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَالْفَرَّاءَ وَالرَّجَّاجَ ثُمَّ قَالَ:]

وَخَامِسًا: أَنَّهُ يَتْلُوها فِي كِبَرِ الْمَجْرَمِ بِحَسَبِ الْحَسَنِ، وَفِي ارْتِبَاطِ مَصَالِحِ هَذَا الْعَالَمِ بِمَحْرَكَتِهِ، وَلَقَدْ ظَهَرَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ أَنَّ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُنَاسَبَةِ مَا لَيْسَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ غَيْرِهَا. (١٩٠: ٣٦١)

ابْنُ هَرَبٍ: (وَالشَّمْسُ)، أَقْسَمَ بِشَمْسِ الرُّوحِ وَضَوْئِهَا الْمُنْتَشِرِ فِي الْبَدَنِ السَّاطِعِ عَلَى النَّفْسِ، (وَالْقَمَرُ) أَيُّ قَرِ الْقَلْبِ، إِذَا تَلَا الرُّوحُ فِي التَّنَوُّرِ تَبَعًا وَإِقْبَالَهُ نَحْوَهَا، وَاسْتِضَاءَتَهُ بِنُورِهَا، وَلَمْ يَقَعِ النَّفْسُ فَيُخَفِّفْ بِظِلْمَتِهَا.

(وَالْتَهَارِ) وَنَهَارِ اسْتِبْلَاءِ نَوْرِ الرُّوحِ وَقِيَامِ سُلْطَانِهَا.
وَلِاسْتَوَاءِ نَوْرِهَا (إِذَا جَلَّتْهَا) وَأَبْرَزَهَا فِي غَايَةِ الظُّهُورِ.
كَالنَّهَارِ عِنْدَ الْإِسْتَوَاءِ فِي تَجَلِّيَةِ الشَّمْسِ... [وَهَذَا كُلُّهُ
تَأْوِيلُ]

الْقُرْطُبيّ: أَي تَجَمُّعِهَا، وَذَلِكَ إِذَا سَقَطَتْ رُؤْيُ الْهَلَالِ.
يُقَالُ: تَلَوْتُ فَلَانًا، إِذَا تَبِعْتَهُ. [ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ قَتَادَةَ وَابْنِ
زَيْدٍ وَالْفَرَّاءِ وَالزَّجَّاجِ] (٧٣: ٢٠)
نَحْوُ الشَّرِيفِيّ: (٥٤١: ٤)

الْبَيْهَقِيُّ: تَلَا طُلُوعَهُ طُلُوعَ الشَّمْسِ أَوَّلَ
الشَّهْرِ، أَوْ غُرُوبَهَا لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَوْ فِي الْإِسْتِدَارَةِ وَكَهَالِ
النُّورِ. (٥٦١: ٢)

الْأَيْسَابُورِيُّ: قَالَ التَّحَوِيّونَ: إِنَّ فِي نَاصِبِهَا إِذَا
تَلَّيْنَاهَا وَمَا يَبْدُو إِشْكَالًا، لِأَنَّ مَا سَوَى الْوَاوِ الْأَوَّلِ إِنَّ كُنَّ
لِلْقِسْمِ لَزِمَ اجْتِمَاعُ أَقْسَامٍ كَثِيرَةٍ عَلَى مَقْسَمٍ بَعْدَ وَاحِدٍ.
وَهُوَ مُسْتَنَكِرٌ عِنْدَ الْخَلِيلِ وَسَيَوِيهِ، لِأَنَّ اسْتِنَافَ قِسْمٍ
آخَرَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ قَدْ اسْتَوَى حَقُّهُ مِنْ
الْجَوَابِ، فَيَلْزِمُ التَّنْفِيزَ، وَإِنْ كُنَّ عَاطِفَةٌ لَزِمَ الْعُطْفُ عَلَى
عَامِلَيْنِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ الْعُطْفِ نَابٍ عَنِ
وَإِوَاءِ الْقِسْمِ الْمُقْتَضِي لِلْجَزْءِ، وَهِيَ الْفِعْلُ الَّذِي يَقْتَضِي
إِنْتِصَابَ الْقُطْرَفِ.

وَالْجَوَابُ أَنَا نَخْتَارُ الثَّانِي، وَلِزُومِ الْعُطْفِ عَلَى عَامِلَيْنِ
مَنْعٌ، لِأَنَّ حَرْفَ الْعُطْفِ نَابٍ عَنِ وَإِوَاءِ الْقِسْمِ الثَّانِي عَنِ
الْفِعْلِ الْمُعْتَدِي بِالْبَاءِ، وَكَمَا أَنَّ وَإِوَاءَ الْقِسْمِ تَعْمَلُ الْجَزْءَ فِي
الْقِسْمِ وَالتَّنْصِبُ فِي الْقُطْرَفِ إِذَا قُلْتَ مَثَلًا ابْتَدَأَ: ﴿وَالْأَيْلِ
إِذَا يَغْشَى﴾ لِقِيَامِهِ مَقَامَ قَوْلِكَ: أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى
فَكَذَا حَرْفُ الْعُطْفِ الثَّانِي مَنَاهُ، غَلِيظُهُ قَوْلُكَ: ضَرْبُ

زَيْدٌ عَمْرًا وَبَكْرٌ خَالِدًا، فَتَرَفَعَ بِالْوَاوِ وَتَنَصَّبَ، لِقِيَامِهِ
مَقَامَ ضَرْبٍ. (١٠٤: ٣٠)
أَبُو حَتِيَّانَ: [ذَكَرَ قَوْلَ الْحَسَنِ وَالْفَرَّاءِ وَابْنِ زَيْدٍ،
وَأَضَافَ:]

وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ: [تَلَّيْنَاهَا] فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ
الشَّهْرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مَوْضِعَهَا وَيَسِيرُ خَلْفَهَا، إِذَا
غَابَتْ يَتْبَعُهَا الْقَمَرُ طَالِقًا. [ثُمَّ نَقَلَ قَوْلَ قَتَادَةَ وَالزَّجَّاجِ،
وَقَالَ:]

وَقِيلَ: مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى نِصْفِهِ فِي الْغُرُوبِ تَقَرُّبٌ
هِيَ، ثُمَّ يَنْفَرُ هُوَ، وَفِي النِّصْفِ يَتَحَاوِرَانِ، وَهُوَ أَنْ
تَقْرُبَ هِيَ فَيَطْلُعَ هُوَ. (٤٧٨: ٨)

أَبُو الشَّوَّحِدِ: بَأَن طَلَعَ بَعْدَ غُرُوبِهَا. (٤٣٣: ٦)
الْبُكَاشَانِيُّ: طَلَعَ عِنْدَ غُرُوبِهَا أَخَذَ مِنْ نَوْرِهَا.

(٣٢٣: ٥)
شَهْرٌ: تَبَعَهَا طَالِقًا عِنْدَ غُرُوبِهَا لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَوْ غَارَتَا
بَعْدَهَا أَوَّلَ الشَّهْرِ. (٤١٥: ٦)

الْأَلُومَسِيُّ: أَي تَجَمُّعِهَا: فَقِيلَ بِإِعْتِبَارِ طُلُوعِهِ
وَطُلُوعِهَا، أَي إِذَا تَلَا طُلُوعَهُ طُلُوعَهَا، وَذَلِكَ أَوَّلَ الشَّهْرِ
لِإِنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ مِنَ الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ أَوَّلَ النَّهَارِ
يَطْلُعُ بَعْدَهَا الْقَمَرُ، لَكِنْ لَا سُلْطَانَ لَهُ فَيَرَى بَعْدَ غُرُوبِهَا
هَذَا، وَمُنَاسِبَةٌ ذَلِكَ لِلْقِسْمِ بِهِ، لِأَنَّهُ وَصَفَ لَهُ بِإِبْتِدَاءِ
أَمْرِهِ، فَكَمَا أَنَّ الضَّحَى كَشَبَابُ النَّهَارِ فَكَذَا غُرَّةُ الشَّهْرِ
كَوَلَادَتِهِ.

وَقِيلَ بِإِعْتِبَارِ طُلُوعِهِ وَغُرُوبِهَا، أَي إِذَا تَلَا طُلُوعَهُ
غُرُوبَهَا، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْبَدْرِ رَابِعَ عَشَرَ الشَّهْرِ، فَإِنَّهُ
حَبِطَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ، وَابْتَدَأَ بَيْنَهُمَا نِصْفَ دَوْرٍ

الفلك . فإذا كانت في النصف الفوقاني منه . أعني مايلي رؤوسنا كان القمر في التحتاني منه . أعني مايلي أقدامنا . فإذا غربت طلع من الأفق الشرقي . وهو المروي عن قتادة .

وقولهم : سمي بدراً . لأنه يسبق طلوعه غروب سلطانه . فيناسب تطهير شأنه .

وقال ابن زيد : تبعها في الشهر كله . ففي النصف الأول تبعها بالظنوع وفي الآخر بالغروب . ومراده ما ذكر في الثولين .

وقيل : المراد تبعها في الإضاءة . بأن طلع وظهر مضيئاً عند غروبها . أخذاً من نورها . وذلك في النصف الأول من الشهر . فإنه فيه يأخذ كل ليلة منه قدرًا من النور بخلافه في النصف الثاني . وهو مروي عن أبي سلام وختاره الزمخشري .

وقال الحسن والفراء . كما في «البحر» : أي تبعها في كل وقت . لأنه يستضيء منها فهو يتلوها لذلك .

وأنكر بعض الناس ذهاب أحد من السلف إلى أن نور القمر مستفاد من ضوء الشمس . وزعم أنه رأي المنجمين لا غير . وما ذكر حجة عليه والحجة عن أصل المسألة أظهر من الشمس . وهي اختلاف تشكلاته التورية قرباً وبعثاً منها مع ذهاب نوره عند حيلولة الأرض بينه وبينها . وكون الاختلاف لاحتمال أن يكون أحد نصفيه مضيئاً والنصف الآخر غير مضيء . وأنه يتحرك على محوره حركه وضعية حتى يرى كل نصف منها تدريجاً . وكون ذهاب النور عند الحيلولة لاحتمال حيلولة جسم كثيف بيننا وبينه لانزواء أضف من حبال

القمر . كما لا يخفى .

وقال الزجاج وغيره : (تليتها) معناه امتلاً واستدار . فكان تابعاً لها في الاستدارة . وكهال النور . (١٤٠: ٣٠)
القاسمي : أي تبع الشمس . قال الإمام [عبد] : وذلك في الليالي البيض . من الليلة الثالثة عشرة من الشهر إلى السادسة عشرة . وهو قسم بالقمر عند امتلائه أو قربه مع الامتلاء . إذ يضيء الليل كله مع غروب الشمس إلى الفجر . وهم قسم في الحقيقة بالضيء في طور آخر من أطواره . وهو ظهوره . وانتشار الليل كله . (١٧: ١٦٦٧)

نحوه المراغي .
الطنطاوي : تبعها في الضياء والنور . أي لأن نوره من نورها . فهو تابع لها في النور . إن قرب منها قل النور . وإن بعد عنها اتسع عند المقابلة في أضاف الشهور .

(٢٥: ١٧٣)
عبد الكريم الخطيب : هو الإنسان الذي خيئت عليه موروثان الآباء والأجداد في بينة الكفر والضلال . فلعبت بقله . وحجبت شمس فكره . ثم بقي معه بعد ذلك شيء من شعاع العقل . يهده مندساً في ضميئه . عثرثاً في فطرته . فيقف في مفترق الطريق بين الهدى والضلال . بين أن يرجع إلى عقله . ومحتكم إلى رأيه . أو يساق مع هواه . ويتبع ما كان عليه أباه . [وهذا أيضاً تأويل]

(١٥: ٢: ١٥٨٤)
الطباطبائي : قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَيْتَهَا﴾ عطف على (الشئسي) والضمير لها . وإقسام بالقمر حال كونه تابعاً للشمس . والمراد بتلوها هنا إن كان كسبه النور

منها فالحال حال دائمة ، وإن كان طلوعه بعد غروبها
فالإقسام به من حال كونه هلالاً إلى حال تبدّره .

(٢٩٦ : ٢٠)

تَلَوْتُهُ

قُلْ نَزَّلَهُ اللَّهُ تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ...

يونس : ١٦

ابن عباس : ما قرأت القرآن عليكم . (١٧١)

الطبري : أي ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها
الناس . بأن كان لا ينزله علي . فيأمرني بتلاوته عليكم .

(٩٥ : ١١)

نحوه البقوي (٢ : ٤١٤) ، وأبو الفتح (١٠ : ١١٢) ،

والطبرسي (٣ : ٩٧) ، وابن الجوزي (٤ : ١٥) ، والقرطبي

(٨ : ٣٢٠) ، والمذاين (٣ : ١٤٦) ، والشريفي (٢ : ٢١١) ،

الزمخشري : يعني أن تلاوته ليست إلا بمنية الله .

واحداثه أمراً عجيّباً عن المادات ، وهو أن يخرج رجل

أُمّي لم يتعلّم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من

عمره ، ولانشأ في بلد فيه علماء فقرأ عليكم كتاباً

فصيحاً يهر كلّ كلام فصيح ، ويعلمو كلّ منثور

ومنظوم ، مشحوناً بعلوم من علوم الأصول والفروع ،

وأخبار بما كان وما يكون ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا

الله . وقد بلغ بين ظهرائكم أربعين سنة تطلقون على

أحواله . ولا يخفى عليكم شيء من أسرارهم ، وما سمعتم

منه حرفاً من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه

(٢٢٩ : ٢)

(١٣٢ : ٥)

مثله أبو حيان .

نحوه السقي (٢ : ١٥٦) ، والبيضاوي (١ : ٤٤٢) ،
والكاشاني (٢ : ٣٩٧) .

ابن عطية : هذه من كمال المجتة ، أي هذا الكلام

ليس من قبلي ولا من عندي ، وإنما هو من عند الله ، ولو

شاء الله ما بعني به ولا تلوته ، ولا أعلمتكم به . (٣ : ١١٠)

البرزوسوي : « قُلْ نَزَّلَهُ اللَّهُ » أن لا تلوه عليكم

ما أوحى إلي من القرآن « تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ » لأنّي أُمّي

وليس التلاوة والقراءة من شأني ، كما كان حالي مع

جبريل أول ما نزل ، فقال : « اقرأ » قلت : لست بقارئ .

فخطني جبريل ، ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذي

خلق » فقرأته لما جعلني قارئاً ، ولو شاء الله أن لا أقرأه

ما كنت قادراً على قراءته عليكم . (٤ : ٢٢)

جلال الحنفي البغداديّ : وفي هذا النصّ تأكيد

على أن القرآن ليس من عند النبي ، ولا هو من كلامه

وصاحته ، واستشهدهم وهم أهل بلده في أنّه لبت فيهم

عُمرًا من قبله ولم يكن قد صدر منه كلام مثل ذلك ،

ليطالبوه بتصير تلقائيّ ، أو تبديل ليحد إلى استرضائهم

بالموافقة على طلباتهم . وإنما هو مرسل من ربه بالقرآن

الذي لا يملك أحد أن يتصرّف فيه أو يقترح فيه ، من

تغيير وتبديل .

إنّ الرسول في الجواب الذي لمر أن يجيب به القوم

لجأ إلى ما هو قاعدة أصوليّة ثابتة ، هي أنّه لا حوار في أمر

القرآن ألبتّه من جهة تغيير أو تبديل ، أو جري وراء

أهواء قوم لا يرعون ولا يريدون أن يرضوا .

إنّ مثل هذه المنازلات الكلاميّة بين صاحب الرسالة

وبين قومه ليحتاج هضمها إلى أصابع حديدية بل إلى

أعصاب هي أقوى من الحديد، وقد كان النبي جديراً أن يمتلك مثل الأعصاب. (شخصية الرسول الأعظم: ٢٦٧)

يَتْلُوا

١- رَبَّنَا وَابْقِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ. البقرة: ١٢٩

الطبري: يقرأ عليهم كتابك الذي توحى به إليه.

(٥٥٧: ١)

نحو: أكثر المفتقرين.

الماوردي: فيه تأويلان: أحدهما: يقرأ عليهم حديثك، والثاني: يبين لهم دينك. (١١٢: ١)

الزمخشري: يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك. (١١٢: ١)

نحو: البضاوي (١: ٨٢)، والتشي (١: ٧٥)، والبروسوي (١: ٢٣٤)، والأتوسي (١: ٣٨٧).

ابن عطية: «يَتْلُوا» في موضع نصب نعت للرسول أي تالياً عليهم، ويصح أن يكون في موضع الحال. (١١٢: ١)

نحو: الطبرسي. (١: ٢١٠)

أبو حيان: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ» جملة في موضع الصفة للرسول.

وقيل: في موضع الحال منه، لأنه قد وُصف بقوله: (يَنْهَاهُمْ) ووصف إبراهيم الرسول بأنه يكون يتلوا عليهم آيات الله، أي يقرؤها، فكان كذلك، وأوتي رسول الله ﷺ القرآن وهو أعظم المعجزات، وقبل الله دعاء

إبراهيم فأتي بالمدعوة على أكمل الأوصاف التي طلبها إبراهيم، وهـ الآيات «هنا القرآن».

وقيل: خبر من مضى وخبر من يأتي إلى يوم القيامة، وقال الفضل: معناه يبين لهم دينهم. (١: ٣٩٢)

٢- كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ... البقرة: ١٥٦

ابن عطية: «يَتْلُوا» في موضع نصب على الصفة.

(١: ٢٢٦)

الفخر الرازي: أما قوله تعالى: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ

آيَاتِنَا» فاعلم أنه من أعظم النعم، لأنه معجزة باقية، ولأنه يسل فيتأدى به العبادات، ولأنه يمتلئ فيستفاد منه جميع العلوم، ولأنه يمتلئ فيستفاد منه جميع الأخلاق الحميدة، فكأنه يحصل من تلاوته كل خيرات الدنيا والآخرة. (٤: ١٦٠)

أبو حيان: وصفه [رسولاً] بأوصاف... وأقن ثانياً بصفة تلاوة الآيات إليه تعالى، لأنها المعجزة الدالة على صدقه، الباقية إلى الأبد. وأضاف «الآيات» إليه تعالى، لأنها كلامه... سبحانه وتعالى، ومن تلاوته تستفاد العبادات وجميع الأخلاق الشريفة، وتنفع العلوم. [إلى أن قال:]

وأقن هذه الصفات فعلاً مضارعاً ليدل بذلك على التجدد، لأن التلاوة والتربية والتعليم تتجدد دائماً...

(١: ٤٤٥)

الأتوسي: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا» صفة (رسولاً) وفيه إشارة إلى طريق إثبات نبوته عليه الصلاة

وورد عقيب الجهل والذهاب عن الدين، كان أعظم،
وخطير، قوله: ﴿وَوَعَدَكَ خَالًا فَهَذَى﴾ الصّحفي: ٧.

(٨٠: ٩)

القُرطبي: (يُتْلُو) في موضع نصب نعتٌ لـ (رسول)،
ومصاء، يقرأ، والتلاوة: القراءة. (٢٦٤: ٤)

الألوسي: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ إما صفة أو حال
أو ستاعة، وفيه بعد، أي يتلو عليهم ما يوحى إليه من
القرآن، بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماهم شيء
من الوحي، أو بعد ما كان بعضهم كذلك وبعضهم متشوقًا
متشوقًا إليه، حيث أخبر كتابه الذي بيده ينزوله ويشر
متشوقًا إليه. (١١٤: ٤)

محمّد عبده: «الآيات» هي الآيات الكونية
نشارة على قدرته وحكمته ووحدانيته. وتلاوتها: عبارة
عن تلاوة ما فيه بيانها، وتوجيه النفوس إلى الاستفادة
منها، والاعتبار بها، وهو القرآن، كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ١٩٠، وقوله: ﴿إِنَّ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بِغَدَاةٍ مُّوَدَّعَةٍ وَبَشْرٍ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَضَرْفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٤،
ومنها ما لم يذكر فيه كلمة «الآيات» كقوله تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّيَهَا﴾ الشمس: ١،
(رشيد رضا: ٤: ٢٢٢).

والسلام، لأنّ تلاوة الأُمِّي الآيات الخارجة عن طريق
البشر باعتبار بلاغتها، واشتمالها على الإخبار بالمفاهيم،
والمصالح التي ينتظم بها أمر المعاد والمعاش أقوى دليل
على نبوته. (١٨: ٢)

٣. لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ... آل عمران: ١٦٤
الرَّمَحُشَرِي: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ بعد ما كانوا
أهل جاهلية لم يطرق أسماهم شيء من الوحي.

(٤٧٧: ١)

نحوه الخازن.
القنبر الرازي، واعلم أن كمال حال الإنسان في
أمرين: في أن يعرف الحق لذاته، والمخير لأجل العمل به.
وبعبارة أخرى: للنفس الإنسانية قوتان: نظرية
وعملية، والله تعالى أنزل الكتاب على محمد ﷺ ليكون
سببًا لتكميل الخلق في هاتين القوتين.

فقوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ إشارة إلى كونه مبلغًا
لذلك الوحي من عند الله إلى الخلق، وقوله:
﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ إشارة إلى تكميل القوة النظرية بمصوّل
المعارف الإلهية، و(الكتاب) إشارة إلى معرفة التأويل،
وبعبارة أخرى (الكتاب) إشارة إلى ظواهر الشريعة،
و(المحنة) إشارة إلى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها
ومنافعها.

ثم بين تعالى ما تتكامل به هذه التعمّة، وهو أنهم كانوا
من قبل ضلال مبين، لأنّ التعمّة إذا وردت بعد الحقّة كان
تنوّعها أعظم، فإذا كان وجه التعمّة السلم والإعلام.

٤- وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبَيِّنَ فِي أَهْلِهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ... القصص: ٥٩

ابن عباس: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا» بالأسر والنهي، (تنوير المقياس: ٣٢٩)

مقاتل: يُخبرهم الرسول أَنَّ العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا. (البقرى ٣: ٥٤٠)

الطوسي: أي يقرأ عليهم حجج الله وبياناته.

(١٦٦: ٨)

نحوه الطبرسي.

البيضاوي: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا» لإلزام الحجة

وقطع المذرة. (١٩٨: ٢)

نحوه المشهدي.

القرطبي: (يَتْلُوا) في موضع الصفة، أي تالوا. [تم]

قال نحو مقاتل]

الحازن، يعني أنه يؤدي إليهم ويبلغهم. (١٤٨: ٥)

أبو السعود: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا» التاطقة

بالحق، ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب، وذلك

لإلزام الحجة وقطع المذرة، بأن يقولوا: لولا أرسلت

إلينا رسولا فنتبع آياتك. (١٣١: ٥)

مثله البروسوي (٤١٨: ٦)، ونحوه الألوسي (٢٠: ٢٠)

٩٨، والمرافي (٧٧: ٢٠).

٥- هُوَ الَّذِي يَتْلُو فِي الْأَمِينِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ... الجمعة: ٢

الطبرسي: يقرأ على هؤلاء الأئمة آيات الله التي

أنزلها عليه. (٩٤: ٢٨)

الرَّمَحُشَرِيُّ: يقرؤها عليهم مع كونه أميًا مثلهم، لم

يُحَدِّثْ مِنْ قِرَاءَةٍ وَلَمْ يَعْرِفْ بِتَعَلُّمٍ. وقراءة أمي بغير تعلّم

آية بيته. (١٠٢: ٤)

نحوه أبو السعود (٢٤٦: ٦)، والألوسي (٩٢: ٢٨).

والمرافي (٩٥: ٢٨)، والطباطبائي (٢٦٥: ١٩).

الشوبيني: (يَتْلُوا) أي يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضًا

على وجه الكثرة والعلو والرفعة (عَلَيْهِمْ) مع كونه أميًا

مثلهم، (آيَاتِهِ) أي يأتيهم بها على سبيل التجدد

والمواصلة، وهي القرآن الذي أعجز الجن والإنس أن

يأتوا بسورة من مثله. (٢٨١: ٤)

البروسوي: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا» أي القرآن مع

كونه أميًا مثلهم، لم يُحَدِّثْ مِنْ قِرَاءَةٍ وَلَا تَعَلُّمٍ. والفرق بين

التلاوة والقراءة: أن التلاوة: قراءة القرآن متتابعة

كالدراسة، والأورد المنظمة والقراءة أعم، لأنها جمع

الحروف باللفظ لا اتباعها. (٥١٤: ٩)

الميلاني: الظاهر أن «الآيات» هي التي من شأن

الرسول أن توحى إليه، فكان ﷺ يتلوها عليهم.

ويمكن أن يراد بتلاوة الآيات إرائتهم علامات الله

الدالة على وجوده سبحانه، واستجابه للمصنفات

الجلالية والجلالية، لأن الأشياء كما تقدّم كلها مداليل

على الله، تدلّ على مالكياته وتنزهه وعزته وحكمته.

(تفسير سوزني الجمعة والتغابن: ٣٢)

٦- رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ ...

الطلاق: ١١

الطوسي: أي يقرأ والتلاوة من قولهم: جاء فلان

ثم تلاه فلان، أي جاء بعده، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ هود: ١٧، أي يأتي بعده.

قالتلاوة: جعل كلمة بعد كلمة على ما وضعت عليه من المرتبة في اللفظ، والقراءة: جمع كلمة إلى كلمة بما يُسمع من الحروف المنفصلة، وهو قولهم: قرأت النجوم، إذا اجتمعت وظهرت. ويقولون: ما قرأت الناقة سلاط، أي ما جمعت رحمها على ولد.

التسفي: أي الرسول، أو الله عز وجل. (٤: ٢٦٨) البروسوي: يقرأ ويعرض.

الآلوسي: وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ...﴾ نعت لـ (رَسُولًا) وهو الظاهر. وقيل: حال من اسم (الله) تعالى، ونسبة التلاوة إليه سبحانه مجازية كقبي الأثير المدينة. (٢٨: ١٤٢)

لاحظ «ر س ل»: (رَسُولًا)

٧- رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً. البينة: ٢ ابن عباس: يقرأ.

مثله التسي (٤: ٣٧١)، والغازن (٧: ٢٣١)، فتادة: يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويُنشئ عليه بأحسن الثناء. (الطبري: ٣٠: ٢٦٣)

الوازي: فإن قيل: المراد بالرسول هنا محمد ﷺ بلا خلاف، فكيف قال تعالى: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا﴾ وظاهره يدل على قراءة المكتوب من الكتاب، وهو متلف في حقه ﷺ، لأنه كان أميًا؟

قلنا: المراد يتلو ما في الصحف من ظهر قلبه، لأنه هو المنقول عنه بالتواتر. (مسائل الوازي: ٣٧٩)

القسططبي: أي يقرأ ما تنطقن الصحف من المكتوب؛ ويدل عليه أنه كان يتلو عن ظهر قلبه، لأن كتاب، لأنه كان أميًا، لا يكتب ولا يقرأ. (٢٠: ١٤٢) الشربيني: وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا﴾ صفة «الرسول» أو غيره، والرسول ﷺ وإن كان أميًا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها. وقيل: المراد جبريل عليه السلام وهو التالي للصحف المنتسخة من اللوح الذي ذكرت في سورة «عبس»، ولأية من مضاف محذوف، وهو الوحي. (٤: ٥٧٠)

أبو الشعود: قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا﴾ صفة أخرى أو

حال من الضمير في متعلق الجاز. (٦: ٤٥٥) نحوه البروسوي. (٣٠: ٢٠١)

القرطبي: ونسبة التلاوة إلى الصحف وهي القرطبي مجازية أو هي مجاز عما فيها من سلامة الحلو، والمراد أنه لما كان ما يتلوه الذي هو القرآن مصدقًا لـ الصحف الأولين مطابقًا لها في أصولي الشرائع والأحكام، صار متلوّه كأنه صحف الأولين وكستهم، صبر عنه باسم «الصحف» مجازًا. (١٠: ٤٨٧)

الطباطبائي: قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا...﴾ بيان لـ (البينة)، والمراد به محمد رسول الله ﷺ قطعًا، على ما يبيحه السياق. (٢٠: ٢٣٧)

يَتْلُوهُ

اَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ

ابن عباس: يقرأ عليه القرآن. (١٨٣)
 الزمخشري: ويتبع ذلك البرهان. (٢٦٢: ٢)
 الفخر الرازي: والضمير في (يَتْلُوهُ) يرجع إلى
 معنى «البينة» وهو البيان والبرهان. (٢٠١: ١٧)
 البرهان الذي هو دليل العقل، فتذكر الضمير الزاجع
 إلى «البينة» إنما هو بتأويل. (١١٠: ٤)

يَتْلُونَ

١- وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَنَسْبُ النُّصَارَى عَلَى سَرٍّ.
 وَقَالَتِ النُّصَارَى لَنَسْبُ الْيَهُودَ عَلَى سَرٍّ. وَهُمْ يَتْلُونَ
 الْكِتَابَ ...

ابن عباس: أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر
 به. (الطبري: ٩٦: ٩٦)

نحو: فتادة، والسدي. (ابن الجوزي: ١: ١٣٣)
 الطبري: [ذكر قول ابن عباس وأضاف:]

أي يكفر اليهود بعيسى، وعندهم التوراة، فيها
 ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق
 بعيسى عليه السلام، وفي الإنجيل مما جاء به عيسى تصديق
 موسى، وما جاء به من التوراة من عند الله، وكل يكفر بما
 في يد صاحبه. (٤٩٦: ١)

الطوسي: [ذكر الاختلاف في النزول ثم قال:]
 ومعنى الآية أحد شبلين:

أحدهما: حل الشبهة بأنه ليس في تلاوة الكتاب
 [شيء] معتبر في الإنكار، لما لم يؤت على إنكاره
 برهان، فلا ينبغي أن تدخل الشبهة بإنكار أهل الكتاب

لملة أهل الإسلام؛ إذ كل فريق من أهل الكتاب قد أنكر
 ما عليه الآخر. ثم بين أن سيئهم كسبيل من لا يعلم
 الكتاب في الإنكار لدين الإسلام، من مشركي العرب
 وغيرهم من الكتاب له فيهم، وجعدهم لذلك سواء، إذ
 لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم. لأن جهة سمع ولا عقل.
 والوجه الآخر: الذم لمن أنكر ذلك من أهل الكتاب
 على جهة العناد؛ إذ قد ساءوا المعاند منهم للحق الجاهل
 به في الدفع له، فلم ينفعه علمه، بل حصل على مضرة
 الجهل، كما حصل عليه من لا يعلم له به. (٤١٤: ١)
 مثله الطبرسي. (١٨٨: ١)

البغوي: وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، وقيل:
 معكول ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدلّ تلاوتهم
 الكتاب ومخالفتهم ما فيه حل كونهم على الباطل. (٨٣: ١)
 مثله المنار. (٨٣: ١)

الزمخشري: «الواو» للحال، والكتاب
 للجنس، أي قالوا ذلك، وحالهم أنهم من أهل العلم
 والتلاوة للكتب. وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو
 غيرها من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي. لأن كل
 واحد من الكتابيين مصدق للثنائي شاهد بصحته،
 وكذلك كتب الله جميعاً متواردة على تصديق بعضها
 بعضاً. (٣٠٥: ١)

نحو الفخر الرازي (٨: ٤)، والبغوي (٧٧: ١)،
 والنسفي (٦٩: ١)، والشريفي (٨٧: ١)، وأبو السمود
 (١٨٥: ١)، والبروسوي (٢٠٧: ١)، والطحاوي (١: ١١٣).

ابن عطية: في قوله تعالى: «وَهُمْ يَتْلُونَ» تنبيه

لأئمة محمد ﷺ على ملازمة القرآن، والوقوف عند حدوده. (١: ١٩٨)

أبو حنيفة: [نحو الزمخشري وأضاف:]

وفي هذا تنبيه لأئمة محمد ﷺ في أن من كان صالحاً بالقرآن يكون وافقاً عند، صاملاً بما فيه، فائلاً بما تضمنته، لا أن يخالف قوله ما هو شاهد على مخالفته منه، فيكون في ذلك كاليهود والنصارى. (١: ٣٥٣)

الآلوسي: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ...﴾ حال من الفريقين يجعلها فاعل فعل واحد، لتلا يلزم إعمال عاملين في معمول واحد. [ثم أدام نحو أبي حنيفة] (١: ٣٦١)

الطباطبائي: أي وهم يعملون بما أوتوا من كتاب الله، لا ينبغي لهم أن يقولوا ذلك، والكتاب مبين لهم الحق، والدليل على ذلك قوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ بَنِي قَوْمِهِمْ﴾ فالمراد به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ غير أهل الكتاب من الكفار ومشركي العرب قالوا: إن المسلمين ليسوا على شيء أو أن أهل الكتاب ليسوا على شيء. (١: ٢٥٨)

٢- تيسوا سواء من أهل الكتاب أئمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يشعبدون. (آل عمران: ١١٣)
ابن مسعود: صلاة العشاء. (الماوردي: ١: ٤١٧)
مجاهد: يتبعون. (البغوي: ١: ٤٩٦)
الثوري: صلاة المغرب والعشاء. (الماوردي: ١: ٤١٧)
الزمخشري: عبر عن تبحدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع الشجود، لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم. [إلى أن قال:]

وقوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ في محل الرفع صفتان للأئمة، أي أئمة قائمة تالون مؤمنون. وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله، لأن إيمانهم به كلاً إيمان لإسراكتهم به ضميراً، وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض، ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصغونه بخلاف صفته، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مدهنين، ومن المسارعة في الخيرات لأنهم متباطين عنها غير راغبين فيها. (١: ٤٥٦)

الفخر الرازي: فيه مسائل:

المسألة الأولى: [هو كلام الزمخشري]

المسألة الثانية: التلاوة: القراءة، وأصل الكلمة من التلحاح فكان التلاوة هي اتباع اللفظ. (٨: ٢٠٦)
ابن كثير: أي يتبعون الليل فيكثرون التبحر، ويتلون القرآن في صلواتهم. (٢: ١٠٠)

الآلوسي: (يتلون) صفة للأئمة بعد وصفها بـ «قائمة»، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في «قائمة» أو من «الأئمة» لأنها قد وصفت، أو من الضمير في الجار الواقع خبراً عنها، والمراد يقرؤون القرآن. (٤: ٣٣)
الفاصمي: عبر عن تبحدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ الفرقان: ٦٤، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْلَقُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ المزمل: ٢٠، وقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ المزمل: ٢، وقوله: ﴿وَقُومُوا فَرِيقَيْنِ﴾ البقرة: ٢٣٨. (٤: ٩٤٠)

رشيد رضا: أما قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ

من أنصف بأوصاف الآية. (٢٣: ٣)

منه ابن عطية. (٤٣٨: ٤)

الطوسي: يعني يقرؤون القرآن ويعملون بما فيه.

(٤٢٧: ٨)

نحوه الخازن. (٢٤٨: ٥)

المبيدي: يعني القراء يقرؤون القرآن، «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» المفروضة، وغاير بين المستقبل والماضي، لأن أوقات التلاوة أعم من أوقات الصلاة.

وفي الخير: «قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة». وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الصدقة، والصدقة أفضل من الصوم، والصوم جنة من النار.

(١٧٧: ٨)

الزنجشيري: يداومون على تلاوته، وهي شأنهم ودينتهم. (٣٠٨: ٣)

نحوه النسفي (٣: ٣٤٠)، وأبو حنبل (٧: ٣١٢)، والشريفي (٣: ٣٢٦).

الطبري: أي يقرؤون القرآن في الصلاة وغيرها، أنى سبحانه عليه بقراءة القرآن. (٤٠٧: ٤) نحوه الطباطبائي. (٤٣: ١٧)

ابن الجوزي: يعني قراء القرآن. وفي قوله: «يَتْلُونَ» قولان: أحدهما: يقرؤون، والثاني: يتبعون. (٤٨٦: ٦)

القرطبي: هذه آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق.

(٣٤٥: ١٤)

أَنَاوِ الثَّلَاثِ وَهُمْ يَسْتَجِدُّونَ» فناء على القول بأن المراد بهم [أُمَّة قَائِمَةٌ] من دخل في الإسلام ظاهر، وعلى القول الآخر المختار إنهم يَتْلُونَ ما عندهم من مناجاة الله ودعائه له والقائه عليه عز وجل، وهي كثيرة في كتبهم. [تم ذكر بعضها فلاحظ] (٧٢: ٤)

المراغي: لما كان كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته، والخير للعمل به، وكان أفضل الأعمال الصلاة، وأفضل الأذكار ذكر الله، وأفضل العلوم معرفة المبدأ والمعاد، وصفهم الله بقوله: «يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ» للدلالة على أنهم يعملون صالح الأعمال، ويقولون: «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» للإشارة إلى فضل المعارف الحاصلة في قلوبهم.

(٣٦٧: ٤)

لاحظ «ي و م» أُمَّة قَائِمَةٌ و «س ج د هـ»: بسجدة واحدة.

٣- إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُولَ. فاطر: ٢٩

مطرف: هذه آية القراء. (الطبري ٢٢: ١٢٢)

نحوه قتادة. (الطبري ٢٢: ١٣٢)

عطاء: هم المؤمنون. (الزنجشيري ٣: ٣٠٨)

السدي: هم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم.

(الزنجشيري ٣: ٣٠٨)

الكلبي: يأخذوه بما فيه. (الزنجشيري ٣: ٣٠٨)

الشمالي: [يأخذون مطرف وأضاف]

وهذا على أن «يَتْلُونَ» بمعنى يقرؤون، وإن جعلناه

بمعنى يتبعون صح معنى الآية، وكانت في القراء وغيرهم

الْبَيْضَاوِيُّ، يداومون على قراءته أو متاجمة ما فيه،
حتى صارت سمعة لهم وعنوانًا. والمراد بـ (كِتَابُ اللَّهِ)
القرآن أو جنس كتب الله، فيكون تناءً على المصدقين
من الأمم، بعد اقتصاص حال المكذبين. (٢٧٢: ٢)

أبو الشعثود: [مثل البَيْضَاوِيِّ وأضاف:]

وليس بذلك فإن صيغة المضارع منادية باستمرار
مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستباعتها. لما سألني
من توفية الأجور وزيادة الفضل.

وحملها على حكاية الحال الماضية - مع كونه تمتعًا
ظاهرًا - مما لا سبيل إليه، كيف لا، والمقصود الترهيب في
دين الإسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يدين من
الكتب، فالتعرض لبيان حقيقتها قبل انتساخها والإشباع
في ذكر استباعتها، لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث
الرضا في تلاوتها، والإقبال على العمل بها.
وتخصيص «التلاوة» بما لم يُنسخ منها باطل قطعًا، لما
أن الباقي مشروطًا ليس (لَا حَكْمَهَا). لكن لامن حيث إنه
حكما بل من حيث إنه حكم القرآن. وأما تلاوتها،
فمعمول من المشروعية، واستباعت الأجر بالمرة، فتدبر.
(٢٨١: ٥)

الْبَرْصَوِيُّ: أي يداومون على تلاوة القرآن
ويعملون بما فيه؛ إذ لا تنفع التلاوة بدون العمل،
والتلاوة: القراءة أهم متابعة كالدراصة، والأوراد
المؤلفة والقراءة منها. لكن التهجي وتعليم الصبيان
لا يعد قراءة، ولذا قالوا: لا يكره التهجي للجنب
والمجانس والنفساء بالقرآن، لأنه لا يعد قارئًا، وكذا
لا يكره لهم التعليم للصبيان وغيرهم حرفًا حرفًا وكلمة

كلمة مع القطع بين كل كلمتين. (٣٤٤: ٧)

الْأَلُوسِيُّ: أي يداومون على قراءته حتى صارت
سمعة لهم وعنوانًا، كما يُشعر به صيغة المضارع ووروده
صلة واختلاف الفعلين، والمراد بـ (كِتَابُ اللَّهِ): القرآن،
فقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: هذه آية القراء،
وأخرج عبد النبي بن سعيد الثقف في تفسيره، عن
ابن عباس: أنها نزلت في حصين بن الحرث بن عبد
المطلب القرشي، ثم لَن العبرة بصوم اللفظ، فلذا قال
السدي في التالين: هم أصحاب رسول الله ﷺ، وقال
عطاء: هم المؤمنون، أي عامة، وهو الأرجح، ويدخل
الأصحاب دخولًا أوليًا.

وفيل: معنى (يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) يتبعونه، فيعملون بما
فيه، وكأنه جعل يتلو من تلاه، إذا تبعه. أو حمل التلاوة
المعروفة على العمل، لأنها ليس فيها كثير نفع دونه،
لأنه ورد «رَبِّ قَارِئٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَهْدِيهِ» ويشعر
كلام بعضهم باختيار المعنى المتبادر، حيث قال: إنه تعالى
لما ذكر الخشية وهي عمل القلب، ذكر بعدها عمل
اللسان والحوارج والعبادة المألية.

وجوز أن يراد بـ (كِتَابُ اللَّهِ) تعالى جنس كتبه
عز وجل الصادق على التوراة والإنجيل وغيرها،
فيكون تناءً على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال
المكذبين، بقوله تعالى: «وَأَن يُكَذِّبُوكَ» فاطر: ٢٥،
لخ، والمضارع لحكاية الحال الماضية، والمقصود من
التناء عليهم وبيان ما لهم: حث هذه الأمة على اتباعهم
أن يفعلوا نحو ما فعلوا. والوجه الأول أوجه كما لا يخفى،
وعليه الجمهور. (١٩٢: ٢٢)

القراضي : أي يتبعون ، من قولهم : تلاه ، إذا تبعه ،
لأنَّ التلاوة بلا عمل لا تقع فيها ، وقد ورد : «رُبَّ قَارِءٍ
لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنِ يَعْلَمُهُ» . (١٢٧ : ٢٢)

الطَّنطاوي : يداومون على قرائته مع التفكير
المقصود منه ، ويدرسون هذه العوالم المذكورة قبل هذه
الآية دراسة تشمل العالم كله ، من سموات وأرضين
وجبال وزروع . (١٧ : ١٧)

مكارم الشيرازي : وبديهي أن «التلاوة» هنا
لا تعني مجرد القراءة التحطية الخالية من التفكير والتأمل ،
بل قراءة تكون سبباً وباعثاً على التفكير ، الذي يكون
بدوره باعثاً على العمل الصالح ، الذي يربط الإنسان بالله
من جهة ومظهر ذلك الصلاة ، وربطه بخلق الله من جهة
ثانية ومظهر ذلك الإنفاق ، من كل ما تنفصل به الله تعالى
على الإنسان ، من علمه ، من ماله وثروته ونفوذه ، من
فكره الخلاق ، من أخلاقه وتجارته ، من جميع ما وهبه الله .
(٧٤ : ٧٤)

يَتْلُونَهُ - تِلَاوَتِهِ

الَّذِينَ أُتِنَّا لَهُمُ الْكِتَابُ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ .

البقرة : ١٢١

ابن مسعود : يتبعونه حق اتباعه .

نحوه ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبو زر .

(الطَّبْرِي ١ : ٥١٩ - ٥٢٠)

والذي نفسي بيده إنَّ حقَّ تلاوته أن يحلَّ حلاله
ويحرم حرامه ، ويقرأ كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن

مواضعه ، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله .

نحوه ابن عباس ، وقتادة . (الطَّبْرِي ١ : ٥٢٠ - ٥٢١)

ونحوه عكرمة (الْقُرْطُبِيُّ ٢ : ٩٥) ، والمثنيدي (١ : ٣٤٠) .

قيس بن سعد : يتبعونه حقَّ اتباعه . ألم تر إلى

قوله : ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّيَهَا﴾ الشمس : ٢ ، يعني الشمس

إذا تبعها القمر . (الطَّبْرِي ١ : ٥٢٠)

مُجاهد : يعملون به حقَّ عمله .

نحوه عطاء . (الطَّبْرِي ١ : ٥٢٠)

عكرمة : يتبعون أحكامه . (أَبُو حَتَّانٍ ١ : ٣٦٩)

الحسن : يعملون بحكمه ويؤمنون بمشايبه ،

ويكونون ما أنشك عليهم إلى عالمه . (الطَّبْرِي ١ : ٥٢٠)

السدي : هم الذين لا يحرفونه عن مواضعه . (١٣٠)

الكلبي : يصفونه حقَّ صفته في كتبهم لمن يسألهم

من الناس . (الْبُخَارِيُّ ١ : ١٦٦)

الإمام الصادق عليه السلام : حقَّ التلاوة : الوقوف عند

ذكر الجنة والنار ، يسأل في الأولى ويستجير من

الأخرى . (الطُّوسِي ١ : ٤٤٢)

هم الأئمة عليهم السلام . [وهذا تأويل] (الْبُخَارِيُّ ١ : ٥٣١)

يرتلون آياته ، ويتفقهون به ، ويعملون بأحكامه ،

ويرجون وعده ، ويخافون وعيده ، ويعتبرون بقصصه ،

ويأتمرون بأوامره ، وينتهون بنواهيه .

ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سورة

ودرس أحشائه وأحاسسه ، حفظوا حروفه وأصاها

حدوده ، وإنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه . قال الله

تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ حق :

(الْبُخَارِيُّ ١ : ٥٣١) . ٢٩

الطَّبْرِيّ: [نقل أقوال المفسرين ثم قال:]

والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى يتبعونه حقّ اتّباعه. من قول القائل: مازلت أتلو أثره، إذا اتبع تأثره، لإجماع المجته من أهل التأويل على أنّ ذلك تأويله. وإذا كان ذلك تأويله، فعنى الكلام: الذين آتيناهم الكتاب يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك، وبما جئتهم به من الحقّ من عندي، يتبعون كتابي الذي أنزلته على رسولي موسى صلوات الله عليه، فيؤمنون به، ويقرون بما فيه من نعتك وصفتك، وأنتك رسولي فرض عليهم طاعتي في الإيمان بك والتصديق بما جئتهم به من عندي، ويعملون بما أحملت لهم، ويحشون ما حرمت عليهم فيه، ولا يغيرونه عن مواضعه ولا يبدّلونه ولا يغيرونه، كما أنزلته عليه يتأويل ولاغيره.

أما قوله: ﴿حَقٌّ يَلَاوِيهِ﴾ فبالغة في صفة اتّباعهم الكتاب، ولزومهم العمل به، كما يقال: إنّ فلاناً لعالم حقّ عالم، وكما يقال: إنّ فلاناً لفاضل كلّ فاضل.

وقد اختلف أهل العربية في إضافة «حقّ» إلى المعرفة، فقال بعض نحويّ الكوفة: غير جائزة إضافته إلى معرفة، لأنّه بمعنى أيّ، وبمعنى قولك: أفضل رجل فلان، و«أفضل» لا يضاف إلى واحد معرفة، لأنّه مبّعض، ولا يكون الواحد المبّعض معرفة، فأحالوا أن يقال: مررت بالرجل حقّ الرجل، ومررت بالرجل جدّ الرجل، كما أحوالوا مررت بالرجل أيّ الرجل، وأجازوا ذلك في كلّ الرجل وغير الرجل ونفس الرجل.

وقالوا: إنّما أجزنا ذلك، لأنّ هذه الحروف كانت في

الأصل توكيداً، فلما صرح مدوّحاً تركن مدوّحاً على أصولهنّ في المعرفة، لأنّ العرب تعتدّ بالهاء إذا عادت إلى نكرة بالنكرة، فيقولون: مررت برجل واحد أمه، ونسج وخدي، وسيّد قومه: قالوا: فكذلك قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقٌّ يَلَاوِيهِ﴾ إنّما جازت إضافته إلى التلاوة، وهي مضافة إلى معرفة، لأنّ العرب تعتدّ بالهاء إذا عادت إلى نكرة بالنكرة، فيقولون: مررت برجل واحد أمه، ونسج وخدي، وسيّد قومه، قالوا: فكذلك قوله: ﴿حَقٌّ يَلَاوِيهِ﴾ إنّما جازت إضافة (حقّ) إلى التلاوة، وهي مضافة إلى الهاء لاعتداد العرب بالهاء التي في ظانرها في عداد التكرات.

الطّالوا: ولو كان ذلك حقّ التلاوة لوجب أن يكون جائزاً. مررت بالرجل حقّ الرجل، فعل هذا القول تأويل الكلام: الذي آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته.

وقال بعض نحويّ البصرة: جائزة إضافة (حقّ) إلى التكرات مع التكرات، ومع المعارف إلى المعارف، وإنّما ذلك ظير قول القائل: مررت بالرجل غلام الرجل، ويرجل غلام رجل. فتأويل الآية صلّ قول هؤلاء: الذي آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته.

وأولى ذلك بالصواب عندنا القول الأوّل، لأنّ معنى قوله: ﴿حَقٌّ يَلَاوِيهِ﴾ أي مع التكرات، ومع المعارف إلى المعارف، مدح التلاوة التي تلوها وتفضّلها، و«أيّ» غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة عند جميعهم، وكذلك «حقّ» غير جائزة إضافتها إلى واحد معرفة، وإنّما أضيف في (حقّ تلاوته) إلى ما فيه الهاء لما وصفت

من العلة التي تقدم بيانها. (٥٢١: ١)
 الزيجاج: يعني أن الذي تُلوا التوراة على حقيقتها، أولئك يؤمنون بالنبي ﷺ. وفي هذا الدليل [على] أن غيرهم جاحد لما يعلم حقيقته، لأن هؤلاء كانوا من علماء اليهود، وكذلك من آمن من علماء النصارى ممن تلاكتهم.

واللذين يُسرفح بالابتداء، وغير الابتداء «يَتْلُوهُ» وإن شئت كان خبراً لابتداء «يَتْلُوهُ» جميعاً، فيكون للابتداء خبران، كما تقول: هذا حلو حامض. (٢٠٣: ١)

عبد الجبار: وسألو فقالوا: كيف قال: «الذين أُنْتَهَاهُم الْكِتَابُ يَتْلُوهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ» مع قوله في غير موضع أنهم خيروا الكتاب وحرّفوه؟
 فجوابنا أنه تعالى أراد القرآن وأراد من أهل الكتاب من آمن، ولذلك قال: «يَتْلُوهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ»، والكتب المستقدمة لا يجب فيها هذه التلاوة.

وقد قيل: إن المراد يتلون التوراة على حقيقتها من غير تحريف، لأن من آمن بالرسول كان هذا حالهم، فهذا أيضاً يحتمله الكلام.
 القيسسي: (الذين) مبتدأ، وخبره «أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» و«يَتْلُوهُ» حال من (الكتاب)، أو من الضمير المنصوب في «أُنْتَهَاهُم».

ولا يجوز أن يكون الخبر «يَتْلُوهُ»، لأنك لو ضلت لوجب لكل من أوتي الكتاب يتلوه حق تلاوته، وليس هم كذلك كلهم. و(حق) مصدر أو نعت لمصدر محذوف،

وهو أحسن. (٧٠: ١)
 الماوردني: فيه تأويلان: أحدهما: يقرؤونه حق قراءة، الثاني: يتبعونه حق اتباعه، فيحلقون حلاله ويمحرمون حرامه، وهذا قول الجمهور. (١٨٢: ١)
 الطوسي: والتلاوة في اللغة على وجهين: أحدهما: القراءة، والثاني: الاتباع، والأول أقوى، وعليه أكثر المفتريين.

ولا يجوز أن يقال: يتلونه حق التلاوة، على مذهب الكوفيين، كما لا يجوز يتلونه أي التلاوة، لأن «أَيُّهَا» إذا كانت مدحاً وقع على التكرة، ولم يقع على المعرفة، فلا يجوز مررت بالرجل حق الرجل كما لا يجوز مررت بالرجل أي الرجل، وكما لا يجوز مررت بأبي عبد الله أي زيداً وإنما جاز تلاوته. كما يجوز رب رجل وأخيه.

وقال بعض البصريين: يجوز مررت بالرجل حق الرجل. ولا يجوز مع أي، لأن «أَيُّهَا» تدل على البعض، وليس كذلك «حق».

فأما مررت بالرجل كل الرجل فجائز عند الجميع، لأن أصله التوكيد، فترك على حاله. (٤٤٢: ١)

البغوي: [نقل قول الكلبي ثم قال:]
 «والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى (الكتاب)، واختلفوا في معناه. [ثم ذكر قول ابن مسعود والحسن ومجاهد] (١٦١: ١)

الزمخشري: لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ. (٣٠٨: ١)

نحوه الشريبي.
 ابن عطية: «يَتْلُوهُ» معناه يتبعونه حق اتباعه

بامتثال الأمر والنهي.

وقيل: ﴿يَتْلُونَهُ﴾ يقرؤونه حقّ قراءته، وهذا أيضًا

يتضمن الاتباع والامتثال.

و﴿يَتْلُونَهُ﴾ إذا أريد به (الذين) الخصوص فيمن

اهتدى، يصح أن يكون خبر الابتداء، ويصح أن يكون

﴿يَتْلُونَهُ﴾ في موضع الحال والخبر (أولئك)، وإذا أريد

به (الذين) المسموم، لم يكن الخبر إلا (أولئك)،

و﴿يَتْلُونَهُ﴾ حال لا يستغنى عنها وفيها الفائدة، لأنه لو

كان الخبر ﴿يَتْلُونَهُ﴾ لوجب أن يكون كل مؤمن يتلو

الكتاب ﴿حَقٌّ تِلَاوَتُهُ﴾.

و(حقّ) مصدر، والعامل فيه فعل مضمر، وهو بمعنى

«أفضل»، ولا يجوز إضافته إلى واحد معرف، وإنما جازت

هنا لأنّ تعرف التلاوة بإضافتها إلى الضمير ليس بتعرف

محض، وإنما هو بمنزلة قولهم: رجل واحد أمة - وتبين

وحده. (١: ٦-٧)

الطبرسي: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ﴾ أي أعطيتهم

الكتاب: ﴿يَتْلُونَهُ حَقٌّ تِلَاوَتُهُ﴾.

اختلف في معنى على وجوه:

أحدها: أنه يتبعونه، يعني الشورى حقّ اتباعه

ولا يحرّفونه، ثم يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه،

ومنه قوله: ﴿وَأَقْبِرَ إِذَا تَلَيْسَ﴾ أي تبعها، وبه قال ابن

مسعود ومجاهد وقناة، إلا أن المراد به القرآن عندهم.

وثانيها: أن المراد به يصفونه حقّ صفته في كتبهم لمن

يسألهم من الناس، عن الكلبي، وعلى هذا تكون الهاء

راجعة إلى محمد ﷺ.

وثالثها: ما روي عن أبي عبد الله ﷺ أن (حقّ

تِلَاوَتِهِ) هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في

الأولى ويستعيد من الأخرى.

ورابعها: أن المراد يقرأونه حقّ قراءته يترتلون

الفاظه ويهيمون بمعانيه.

وخامسها: أن المراد يعملون حقّ العمل به،

فيعملون بحكمه ويؤمنون بمتشابهه، ويكَلُون ما أشكل

عليهم إلى عالمه، عن الحسن. (١: ١٩٨)

أبو البقاء: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ﴾:

(الذين) مبتدأ، و﴿اتَّبَعَتْهُمْ﴾ صلة، و﴿يَتْلُونَهُ﴾ حال

مقدّرة من (هم) أو من (الكتاب)، لأنهم لم يكونوا

وقت إتيانهم نالين له.

و(حقّ) منصوب على المصدر، لأنها صفة

للمصدر «تلاوة» في الأصل، لأنّ التقدير: تلاوة حقّ، وإذا

قُسم وصف المصدر وأضيف إليه، انتصب نصب المصدر.

ويجوز أن يكون وصفًا لمصدر محذوف.

(أولئك) مبتدأ، و﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ خبره، والجملة

خبر (الذين).

ولا يجوز أن يكون ﴿يَتْلُونَهُ﴾ خبر (الذين)، لأنه

ليس كل من أوتي الكتاب تلاه حقّ تلاوته، لأنّ معنى

حقّ تلاوته العمل به. وقيل: يتلونه الخبر.

(الذين اتَّبَعَتْهُمْ) لفظه عام، والمراد به الخصوص.

وهو كل من آمن بالنبي ﷺ من أهل الكتاب، أو يراود

به (الكتاب): القرآن. (١: ١١١)

الفخر الرازي: أمّا قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقٌّ

تِلَاوَتِهِ﴾ فالتلاوة لها معنيان: أحدهما: القراءة،

والثاني: الاتباع لحلاً، لأنّ من اتبع غيره يقال: تلاه

فعلاً، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُ إِذَا ثَلَاثًا﴾.

فالظاهر أنه يقع عليها جميعاً، ويصح فيها جميعاً المبالغة، لأن التابع لغيره قد يستوفي حق الاتباع، فلا يخل بشيء منه، وكذلك التالي يستوفي حق قراءته، فلا يخل بما يلزم فيه. والذين تأولوه على القراءه هم الذين اختلفوا على وجوه:

فأولها: أنهم تدبروه فعملوا بموجبه حتى تكسروا بأحكامه من حلال وحرام وغيرهما.

وثانيها: أنهم خضعوا عند تلاوته، وخشعوا إذا قرؤوا القرآن في صلاتهم وخلواتهم.

وثالثها: أنهم عملوا بحكمه، وآمنوا بمشايه، وتوقفوا فيها أشكل عليهم منه، وفوضوه إلى الله سبحانه.

ورابعها: يقرؤونه كما أنزل الله، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يتأولونه على غير الحق.

وخامسها: أن تحمل الآية على كل هذه الوجوه، لأنها مشتركة في مفهوم واحد، وهو تعظيمها، والاعتقاد لها لفظاً ومعنى، فوجب حمل اللفظ على هذا الفسر المشترك، فكثيراً لقوائد كلام الله تعالى، والله أعلم.

(٤: ٣٥)

الْقُرْطُبِيُّ: [ذكر الأقوال نحو ما في الطبري

وأضاف:]

وقيل: يقرؤونه حق قراءته.

قلت: وهذا فيه بعد، إلا أن يكون المعنى يرتلون ألقاظه، ويضمون معانيه، فإن بفهم المعاني يكون الاتباع لمن وُقي.

الْبَيْهَقِيُّ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ بمراعاة اللفظ

عن التعريف، والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه، وهو حال مقدرة والخبر ما بعده، أو خبر على أن المراد به الموصول «مؤمنو أهل الكتاب».

نحوه أبو السعود (١: ١٩٠)، والبروسوي (١: ٢١٩)، الثيبايري: لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعمت رسول الله ﷺ، أو يتبعون مقتضاه من غير تكامل ومنع، متمكين بأحكامه من حلال وحرام وغيرهما، أو يخضعون عند تلاوته ويخشعون، أو يعملون بحكمه ويؤمنون بمشايه.

الغازن: [نحو الثيبايري وأضاف:]

وقيل: معناه تدبروه حتى تدبره وتفكروا في معانيه وتحققوه وأسراره.

أبو حنيفة: أي يقرؤونه ويرتلونه بإعرابه. [ثم ذكر قول عكرمة، والحسن، وعمر، والزمخشري وأضاف:]

(الذين) مبتدأ، فإن أريد به المخصوص في «من اهتدى» صح أن يكون «يَتْلُونَهُ» خبراً عنه، وصح أن يكون حالاً مقدرة إما من ضمير المفعول وإما من (الكتاب)، لأنهم وقت الإيتاء لم يكونوا تالين له ولا كان هو متلوأ لهم، ويكون الخبر إذ ذاك في الجملة من قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

وجوز الحوفي أن يكون «يَتْلُونَهُ» خبراً، و(أُولَئِكَ) وما بعده خبر بعد خبر، قال مثل قولهم: «هذا حلو حامض». وهذا معنى على أنه هل يقتضي المبتدأ الواحد خبرين أم لا يقتضي؟ إلا إذا كان في معنى خبر واحد، كقولهم: هذا حلو حامض، أي مر، وفي ذلك خلاف، وإن أريد به «الذين أتيناهم الكتاب» المسموم، كان

الخبر ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

قالوا، منهم ابن عطية: ﴿يَتْلُونَهُ﴾ حال لا يستغنى عنها وفيها الفائدة، ولا يجوز أن يكون خبراً، لأنه كأن يكون كل مؤمن يتلو الكتاب، وليس كذلك بأي تفسير فسرت «التلاوة».

ونقول: ما لزم في الامتناع من جعلها خبراً يلزم في الحال، لأنه ليس كل مؤمن يكون على حالة التلاوة، بأي تفسير فسرتها.

وانتصب ﴿حَقُّ تِلَاوَتِهِ﴾ على المصدر، كما تقول: ضربت زيداً حقّ ضربه. وأصله: تلاوة حقاً، ثم قُدم الوصف وأضيف إلى المصدر، وصار نظير: ضربت شديد الطّرب، إذ أصله ضرباً شديداً.

وجوزوا أن يكون حرفاً لمصدر محذوف، وأن يكون منصوباً على الحال من الفاعل، أي يتلونه محققين [ثم ذكر قول ابن عطية: (١: ٣٦٩)]

ابن كثير: [نقل الأقوال كما في الطبري والقرطبي ثم قال:]

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ خبر عن (الذين...) أي من أقام كتابه من أهل الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين حقّ إقامته، آمن بما أرسلتك به يا محمد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَجِئْنَا نَعْتًا أَرْجُلَهُمْ﴾ المائدة: ٦٦، [ثم أتت بآيات: المائدة: ٦٨، الإسراء: ١٠٧، القصص: ٥٤، آل عمران: ٢٠، هود: ١٧، فراجع]

الآلوسي: أي يفروونه حقّ قراءته، وهي قراءة

تأخذ بهجامع القلب فيراعى فيها ضبط اللفظ والتأمل في المعنى، وحق الأمر والنهي. [ثم أدام نحو أبي البقاء]

(١: ٣٧٢)

محمد عبده: خبر من التدبير والفهم بالتلاوة حقّ التلاوة ليرشدنا إلى أن ذلك هو المقصود من التلاوة التي يشترك فيها أهل الأهواء والبدع مع أهل العلم والفهم. والتعبير يشعر بأن أولئك الذين حكمهم بنقي رضاهم من النبي ﷺ نفيًا مؤكدًا لاحظهم من الكتاب إلا مجرد التلاوة وتحريك اللسان بالألفاظ، لأنهم لا يعقلون عقائده، ولا يتدبرون حكمه ومواعظه، ولا يفقهون أحكامه وشرائعه، لأنهم استغنوا عنه بتقليد بعض الرؤساء والاكتماء بما يقولون، فلا عجب إذا أمر نبياً ما جاء به النبي ولا ضرر في إعراضهم. وأما الآخرون فإنهم لتدبيرهم وفهمهم أسرار الدين، وعلمهم بوجوب مطابقتها لمصالح المكلفين، يعقلون أن ما جاء به هو الحق الذي يستحق مع مصلحة البشر في ترقية أرواحهم، وفي نظام معاشهم، فيؤمنون به وإنما يستنفع بإيمان أمثالهم.

وجملة القول أن هذا التعبير أفاد حكماً جديداً وإرشاداً عظيماً وهو أن الذي يتلو الكتاب مجرد التلاوة مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا فلا حظ له من الإيمان بالكتاب لأنه لا يفهم أسرار ولا يعرف هداية الله فيه، وقراءة الألفاظ لا تقيد الهداية وإن كان القارئ يفهم مدلولاتها كما يقول المفسر والمعلم لها، لأن هذا الفهم من قبيل التصور، وما التصور إلا خيال يلوح ويترأى، ثم يغيب ويتأى، وإنما الفهم فهم التصديق والإذعان بمن

يتدبر الكتاب مستهدياً مسترشداً ملاحظاً أنه مخاطب به من الله تعالى ليأخذ به فحسدي ويرشد، والمقلدون محرومون من هذا فلا يخطر لهم بهال إنهم مطالبون بالاهتداء بكتاب الله تعالى، وإنما الهداية عندهم محصورة في كلام رؤسائهم الذينيين، ولا سيما إذا كانوا ميتين.

وإذا كنا نعتبر بما قصص الله تعالى علينا من خبر أهل الكتاب، كما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف: ١١١، فلنأثر عرف حكم أهل القرآن عنده تعالى مما ذكره من أهل التوراة والإنجيل كما عرفه من مثل قوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤، وقوله: ﴿يَقَابِ قَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مِيزَانًا لِنَبْلُوهُمْ أَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ حِكْمٌ وَلَا يَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، فكل هذه الآيات والعبر لما تحمل دون اتباع هذه الأئمة سنن من قبلها شيراً بشيراً وذليلاً بذراع، كما أثبت للتعذير، والقرآن حجة عليها كما ورد في الحديث «القرآن حجة لك أو عليك» ولا شك أن من يتلو ألفاظ القرآن وهو معرض عن هدايته غير معتبر بوعده ووعيده فهو كالمستهزئ بربه.

سأل سائل من المقلدين حاضري الدرس بأن العلماء قالوا: إن القرآن يعتمد بتلاوته؟ فقال الأستاذ الإمام: نعم ولكنهم لم يقولوا إنه أنزل لذلك، وكيف يقولون ذلك والله الذي أنزله يقول إنه أنزل ﴿يَذَكِّرُوا أَلْيَاتِهِ وَيَتَذَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، فالقرآن وكذلك السنة يصرحان في مواضع كثيرة بخلاف هذا القول إذا أخذ على إطلاقه وجعل معناه أو من معناه أن الله تعالى يطالب عباده بقراءة القرآن بحسن تدبر

ولا تذکر. وقد جاء من الأحاديث ما يصف حال قوم يأتون بعد «يقروون القرآن لا يحاوز ثراقتهم» وقد سماهم شرار الخلق، فهؤلاء الأشرار قد اتخذوا القرآن من الأغاني والمطربات وإذا طالبت أحدهم بالفهم والتدبر أخذته المرة بالإثم واحتج عليك بكلمة قالها فلان أو حلم رآه فلان، وهكذا انقلب على المسلمين وضع الذين، ثم هم يتعجبون مع ذلك كيف حرموا من وعد الله في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَمْ لَمْ يَقْرَأُوا رَسُولَهُمْ فَنُهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ المؤمنون ٦٨، ٦٩، وضرب الأستاذ مثلاً رجلاً يرسل كتاباً إلى آخر فيقرأ المرسل إليه هزيمة أو يترحم به ولا يلتفت إلى معناه ولا يكلف نفسه إجابة ما يطلب فيه ثم يسأل الرسول أو غيره: ماذا قال صاحب الكتاب فبم وماذا يريد منه؟ أيرضى المرسل إليه بهذا أم يراه استهزاء به؟ فالمثل ظاهر وإن كان الحق لا يقاس على الخلق، فإن الكتاب لا يرسل لأجل ورقه ولا لأجل نقوشه ولا لأجل أن تكيف الأصوات حروفه وكلمه ولكن ليعلم مراد المرسل منه ويعمل به.

(ارشيد رضا ١: ٤٤٧)

رشيد رضا: [بدأ بذكر الربط بين هذه الآية

وبعدها لما قبلها ثم قال:]

وهذه الآية تنطق بأن منهم من يرجي إيمانه وهم الذين وصفهم بما هو صفة الرجاء ومناط الأمل وهو تلاوة كتابهم حق تلاوته، وعدم الجمود على الظواهر والتقاليد، والاكتفاء بالأمانى والظنون. [إلى أن قال:]

فاعلم أن هؤلاء قد ألحقوا بدينهم من التقاليد

وَيَدَقُّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ ، وَلَكِنْ لَا يَعْمَلُ بِمَا فِيهِمْ .
 وَقَسَمَ ثَالِثٌ : وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ
 بِاحْتِبَارِهِ كِتَابَ عَمَلٍ ، وَمِنْهُجًا كَامِلًا لِلْحَيَاةِ ، وَيَعْتَبِرُونَ
 قِرَاءَةَ الْأَنْفَاسِ وَالتَّفَكُّيرِ فِي الْمَعْنَى ، وَإِدْرَاكِ مَعْنَاهِمِ
 الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مَقْدَمًا لِلْعَمَلِ ، وَلِذَلِكَ تَصْعَقُ فِي نَفْسِهِمْ
 رُوحٌ جَدِيدَةٌ كُلَّمَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَتَتَصَاعَدُ فِي دَاخِلِهِمْ
 عَزِيمَةٌ وَإِرَادَةٌ جَدِيدَتَانِ وَاسْتِعْدَادٌ جَدِيدٌ لِلْأَعْمَالِ
 الصَّالِحَةِ ، وَهَذِهِ هِيَ التَّلَاوَةُ الْحَقُّقَةُ . (٣١٦ : ٦)

تَتْلُوْا

١- وَأَتْلُوْا مَا تَلَّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِهِ

الفترة : ١٠٢

ابن عباس : تنسخ .

(الطَّبْرِيّ ١ : ٤٤٧)

اُطْلُقَتِ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي ابْتُلِيَ فِيهَا سُلَيْمَانُ ،
 فَكُتِبَتْ فِيهَا كِتَابًا فِيهَا سِحْرٌ وَكُفْرٌ ، ثُمَّ دُفِنُوا تَحْتَ كُرْسِيِّ
 سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ أُخْرِجُوا فَمَرُّوْهَا عَلَى النَّاسِ .

(الطَّبْرِيّ ١ : ٤٤٧)

لَمَّا خَرَجَ سُلَيْمَانُ عَنْ مُلْكِهِ ، كُتِبَتِ الشَّيَاطِينُ السَّحَرُ ،
 وَدُفِنَتْ فِي مَصَلٍّ . فَلَمَّا تَوَلَّى اسْتِخْرَاجَهُ ، وَقَالُوا : يَهَذَا
 كَانَ يَمْلِكُ الْمُلُوكَ .

(ابن الجوزي ١ : ١٢١)

إِنَّ أَصْفَ كَانَ يَكْتُبُ مَا يَأْمُرُ بِهِ سُلَيْمَانُ ، وَيُدْفِنُهُ تَحْتَ
 كُرْسِيِّهِ ، فَلَمَّا مَاتَ سُلَيْمَانُ ، اسْتَخْرَجَتْهُ الشَّيَاطِينُ ، فَكُتِبُوا
 بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ سِحْرًا وَكُذْبًا ، وَأُضَافُوا إِلَى سُلَيْمَانَ .

(ابن الجوزي ١ : ١٢١)

وَالْفَتْرَعَاتِ ، وَأَلْصَقُوا بِهِ مِنَ الْبَدْعِ وَالْمَادَاتِ ، مَا خَرَّعَهُمْ
 فِي دِينِهِمْ بِغَيْرِ فَهْمٍ ، وَجَعَلَهُمْ يَتَمَتَّعُونَ لَهُ بِخَيْرِ عَقْلِ ،
 فَكَانُوا بِذَلِكَ أَبْعَدَ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ
 يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الدِّينَ جَنْبِيَّةً
 فَلَيْسَ مِنْهُ إِلَّا الْجُمُودُ عَلَى عَادَاتٍ صَارَتْ مُمَيَّزَةً
 لِلْمُتَسَبِّبِينَ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ لَا يَزَالُ فِيهِمْ تَرَجُّعٌ مِنْهُمْ تَبَيَّرَ
 الشَّيْءُ ، وَالتَّشْيِيزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَهُمْ ﴿ يَتْلُوْنَهُ حَقًّا
 يَلَاوِيْهِ ﴾ أَيُّ يَطْلُبُونَ أَسْرَارَهُ وَيَفْتَحُونَ حِكْمَةَ تَشْرِيعِهِ ،
 وَفَائِدَةَ نَوْطِ التَّكْلِيفِ بِهِ ، لَا يَتَفَتِّحُونَ فِي ذَلِكَ بِأَرَاءٍ مِنْ
 سَبْقِهِمْ فِيهِ ، وَلَا يَتَحَرِّفُهُمْ كَلِمَةٌ عَنْ مَوَاضِعِهِ . (٤٤٧ : ١)

النَّهْأَوْنَدِيُّ : ﴿ يَتْلُوْنَهُ ﴾ مُتَدَبِّرًا فِيهِ ، وَيَقْرَأُونَهُ
 مُسْتَفْكِرًا فِي مَعْنَاهِ وَحَقَائِقِهِ ، وَذَلِكَ يَكُونُ ﴿ حَقًّا
 يَلَاوِيْهِ ﴾ عَلِمُوا بِدَلَالَتِهِ أَنَّ دِينَ مُوسَى وَكِتَابَهُ
 مَسْخُوحَانِ ، وَعَرَفُوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيٌّ وَكِتَابُهُ حَقٌّ ،
 فَالْإِيمَانُ بِالتَّوْرَةِ مُلَازِمٌ لِلْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ . (١٠٥١)

مَكَارِمُ الْقُمَيْرَازِيِّ : عَبَّرَ الْقُرْآنُ مِنَ الْفَتْنَةِ الْمُهْتَدِيَّةِ
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنَّهُمْ ﴿ يَتْلُوْنَهُ حَقًّا يَلَاوِيْهِ ﴾ ، وَهُوَ
 تَعْبِيرٌ عَمِيقٌ يَضَعُ لَنَا خَطَأً وَاضِحًا تَجَاءُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ
 وَالْكِتَابُ السَّامِيَّةُ ، فَالْأَنَسُ أَمَامَ الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى
 أَقْسَامٍ :

قَسَمَ يَكْرُسُونَ اِهْتِمَامَهُمْ عَلَى آدَاءِ الْأَنْفَاسِ بِشَكْلِ
 صَحِيحٍ وَعَلَى قَوَاعِدِ التَّجْوِيدِ ، وَيَشْغَلُ ذُهُنَهُمْ دَوْمًا
 الْوَقْفُ وَالْوَصْلُ وَالْإِدْغَامُ وَالْفَتْحُ فِي التَّلَاوَةِ ، وَلَا يَهْتَمُّونَ
 إِطْلَاقًا بِمَعْنَى الْقُرْآنِ ، فَيَايَاكَ بِالسَّمَلِ بِهِ ! وَهَؤُلَاءِ
 بِالتَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ ﴿ كَمَثَلِ الْفِيَارِ يَحْتَبِلُ أَشْقَارًا ﴾ الْجُمُعَةُ ٥ .
 وَقَسَمَ يَتَجَاوَزُ إِطَارَ الْأَنْفَاسِ وَيَتَعَمَّقُ فِي الْمَعْنَى

مائشع، وتعمل به. (البُخاري ١: ٧٢)
 مُجَاهِد: كانت الشياطين تسمع الوحي، لما سمعوا
 من كلمة زادوا فيها متين مثلها، فأرسل سليمان إلى
 ماكتبوا من ذلك فجمعه، فلما ثوي سليمان وجدته
 الشياطين فعلمته الناس، وهو السحر.

(الطبري ١: ٤٤٧)
 عِكْرَمَة: إن الشياطين كتبت السحر بعد موت
 سليمان، ثم أضافته إليه. (ابن الجوزي ١: ١٢١)
 عطاء: معناه تقرأ، من تلوت كتاب الله، أي قرأته.
 مثله قتادة. (الطوسي ١: ٣٧١)

قتادة: من الكهانة والسحر، وذكر لنا - والله أعلم -
 أن الشياطين ابتدعت كتاباً فيه سحر وأمر عظيم، ثم
 أنشروه في الناس، وعلموهم إياه. (الطبري ١: ٤٤٧)

السدي: كانت الشياطين على عهد سليمان تصعد
 إلى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام
 الملائكة فيما يكون في الأرض من موت أو غيب أو أمر،
 فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس،
 فيجدونه كما قالوا حتى إذا أنهم الكهنة كذبوا لهم،
 فادخلوا فيه غيره، فزادوا مع كل كلمة سمين كلمة،
 فكتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني
 إسرائيل أن الجن يعلمون الغيب.

فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب،
 فجعلها في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه، ولم يكن أحد
 من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق،
 وقال سليمان: لأسمم أحداً يذكر أن الشياطين تعلم
 الغيب إلا ضربت عنقه.

فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون
 أمره، وخلف بعد ذلك خلف، تمثّل الشيطان في صورة
 إنسان، ثم أتى نفرًا من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم
 على كنز لا تأكلونه أبدًا؟ قالوا نعم. قال: فاحفروا تحت
 الركني، وذهب معهم، فأراهم المكان، وقام ناحية،
 فقالوا له: ادن، قال: لا، ولكنني هاهنا في يديكم، فإن لم
 تجدوه فاقتلوني، فحفروا فوجدوا تلك الكتب.

فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان
 يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار،
 وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرًا، واتخذت بنو
 إسرائيل تلك الكتب، فلما جاءهم محمد ﷺ خاصموه
 بها، لذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ...﴾.
 وأما قوله تعالى: ﴿تَتْلُوا﴾ أي تتبع. (١٢٦)

نحوه الزبيح. (الطبري ١: ٤٤٥)
 ابن إسحاق: والذي تلووه هو السحر.

(الطوسي ١: ٣٧١)
 أبو عبيدة: أي تتبع، وتتلو: تحكي وتكلم به، كما
 تقول: تلو كتاب الله، أي يقرؤه. (٤٨: ١)

ابن أبي اليمان: تروي. (أبو حيان ١: ٣٢٦)
 الطبري: واختلف في تأويل قوله: ﴿تَتْلُوا﴾ فقال
 بعضهم: يعني بقوله: ﴿تَتْلُوا﴾ تحدث وتروي وتكلم
 به وتخير، نحو تلاوة الرجل للقرآن وهي قراءته. ووجه
 قائلو هذا القول تأويلهم ذلك إلى أن الشياطين هي التي
 علمت الناس السحر وروته لهم.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿هَاتِلُوا﴾ ما تتبعه
 وترويه وتعمل به.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم ﴿وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ على عهد سليمان بإتباعهم ما تكلّمه الشياطين، ولقول القائل: هو يتلو كذا، في كلام العرب معنيان:

أحدهما: الاتّباع، كما يقال: تلتوت فلاناً، إذا مشيت خلفه وتبّعت أثره، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿هَذَا لِكَيْ تَتْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَشْلَقَتْ﴾ يونس: ٣٠، يعني بذلك تشييع.

والآخر القراءة والدراسة، كما نقول: فلان يتلو القرآن، بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه، [ثمّ استشهد بـ]

ولم يدبرنا الله جلّ ثناؤه بأيّ معنى التلاوة كانت تلاوة الشياطين، الذين تلو ما تلووه من الشعر على عهد سليمان، بخبر يقطع العذر، وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وحملاً، فتكون كانت فـ [ثمّ استشهد بـ] بالعمل، ودرسته بالرواية، فأتت اليهود منهاجها في ذلك، وعملت به وروته. (٤٤٧: ١)

الزّجاج: ما كانت تكلّمه، والذي كانت الشياطين تكلّمه في ملك سليمان كتاب من الشعر، فليبتدئ اليهود وكذّيبهم ادّعوا أن هذا الشعر أخذوه من سليمان، وأنه اسم الله الأعظم، يتكسبون بذلك، فأعلم الله عز وجل أنهم رفضوا كتابه واتّبعوا الشعر. (١٨٣: ١)

العماليق: قال عزّ من قائل في ذكر الماضي بلفظ المستقبل: ﴿وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي ما تكلّم.

نحوه أبو البركات (١: ١١٣)، والقرطبي (٢: ٤٢)، والشرعبي (١: ٨١)

الطوسي: ومعنى ﴿تَتْلُوا﴾ قال ابن عباس: تشييع، لأنّ التّالي تابع. وقال بعضهم: يدعي، وليس بمعروف. وقال تعالى: ﴿هَذَا لِكَيْ تَتْلُوا^(١) كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَشْلَقَتْ﴾ يونس: ٣٠، أي تشييع.

والذي تكلّمه هو الشعر - على قول ابن اسحاق، وغيره من أهل العلم - وقال بعضهم: الكذب.

وقال قوم: إمّا قال: ﴿تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُسْئِكٍ﴾ لأنهم كذبوا عليه بعد وفاته، كما قال: ﴿وَيَتَّبِعُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ آل عمران: ٧٥، ٧٨. وقال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٢٨.

ويونس: ٦٨، [ثمّ استشهد بـ]

فلذا صدق، قيل: تلاّمه. وإذا كذب، قيل: تلا عليه. وإذا أهدم، جاز فيه الأثران. (٣٧١: ١)

العماليق: أي تقرأ وتحدّث وتقصّ، [ثمّ قال نحو] التّمايلي: (١: ١٨٢)

الزّمخشري: يعني واتّبعوا كتب السّحر والشعوذة التي كانت تقرأها. (١: ٣٠١)

منه النّسبي (١: ٦٥)، وأبو السّعود (١: ١٧١)، والبروسقي (١: ١٩٠)، والطّناوي (١: ١٠٠).

الطّبرسي: [نحو الطّوسي وأضاف:]

وقيل: معناه تكذب، عن أبي مسلم. (١: ١٧٣)

ابن الجوزي: و﴿تَتْلُوا﴾ بمعنى تلت. وفي كيفية ما تكلّم الشياطين على ملك سليمان ستة أقوال: [أربعة منها وهي قول ابن عباس وقول جكرمة وقتادة، ثمّ قال:]

(١) والقراءة للمشهود: (تَتْلُوا).

والخامس: أن سليمان أخذ عهد الدواب، فكانت الدابة إذا أصابت إنساناً طلب إليها بذلك العهد، فغضى عنه، فزاد السحرة السجع والسحر، قاله أبو جعفر.

والسادس: [وهو قول السديّ وقد نقلناه من تفسيره] (١: ١٢٠)

الفخر الرازي: ذكروا في تفسير «تتلوا» وجوهاً أحدها: أن المراد منه: التلاوة والإخبار.

وثانيها: قال أبو مسلم: «تتلوا» أي تكذب «علني مثلك سليمان». يقال: تلا عليه، إذا كذب، وتلاعته: إذا صدق، وإذا أبهم، جاز الأمران.

والأقرب هو الأول، لأن «التلاوة» حقيقة في الخبر إلا أن الخبر يقال في غيره إذا كان كذباً، إنه تلا فلان، وإنه قد تلا على فلان، ليميز بينه وبين الصدق الذي لا يقال فيه: روى على فلان، بل يقال: روى عن فلان، وأخبر عن فلان وتلا عن فلان، وذلك لا يليق إلا بالإخبار والتلاوة.

ولا يمتنع أن يكون الذي كانوا يخبرون به عن سليمان مما يتلى ويقرأ، فيجتمع فيه كل الأوصاف. (٢: ٢٠٣) التبتضاوي: وأتبعوا كتب السحر التي نقرها أو تتبعها الشياطين، من الجن أو الإنس أو منها. (٧٣: ١) الخازن: تقرأ، من التلاوة. وقيل: معناه تفكري، وتكذب. (٧٢: ١)

أبو حيان: «تتلوا» تنبح، قاله ابن عباس، أو تدعي، أو تقرأ، أو تحدث قاله عطاء، أو تروي قاله بيان، أو تعمل، أو تكذب قاله أبو مسلم. وهي أقوال متقاربة، و(ما) موصولة صلتها (تتلوا) وهو مضارع في

معنى الماضي، أي ماتلت.

وقال الكوفيون: المعنى ما كانت تتلوا، لا يريدون أن صلة (ما) محذوفة وهي «كانت» و«تتلوا» في موضع الخبر، وإنما يريدون أن المضارع وقع موقع الماضي، كما أنك إذا قلت: كان زيد يقوم، هو إخبار بقيام زيد، وهو ماضٍ لدلالة «كان» عليه. (١: ٣٢٦)

نحوه الأوسي.

سيد قطب: لقد تركوا ما أنزل الله مصداقاً لما معهم، وراحوا يتبعون ما يقصده الشياطين عن عهد سليمان، وما يضللون به الناس من دعاوي مكذوبة عن سليمان، إذ يقولون: إنه كان ساحراً، وإنه سحر ما سحر عن طريق السحر الذي كان يعلمه ويستخدمه. (١: ٩٥)

«الطباطبائي» قد اختلف المفسرون في تفسير الآية، لا يكاد يوجد ظهير في آية من آيات القرآن الجيد، فاختلوا في مرجع ضمير قوله: «اتلوا»، أهم اليهود الذين كانوا في عهد سليمان، أو الذين في عهد رسول الله ﷺ أو الجميع؟ واختلوا في قوله: «تتلوا» هل هو بمعنى تتبع الشياطين وتعمل به أو بمعنى تقرأ، أو بمعنى تكذب؟ [إل أن قال:]

«تتلوا» أي تضع وتكذب «الشياطين» من الجن «علني مثلك سليمان». والذليل على أن «تتلوا» بمعنى تكذب، تعذيبه، بدعني، [إل أن قال في بحث روائي:]

عن الباقر عليه السلام في حديث: فلما هلك سليمان وضع إيليس السحر وكتبه في كتاب، ثم طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن

داود من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا، ثم دُفنه تحت سريره، ثم استتاره لهم فقرأه، فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبد لله ونبيّه، فقال الله جلّ ذكره: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَنِ اتَّقُوا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ كُلِّ مَلَأَةٍ﴾.

أقول: إسناده الوضع والكتابة والقراءة إلى إبليس لا ينافي استنادها إلى سائر الشياطين من الجن والإنس، لانتهاء الشر كله إليه وانتشاره عنه لعنه الله، إلى أوليائه بالمحيي والمميت، وذلك شائع في لسان الأخبار، وظاهر الحديث أن كلمة تَتْلُوهُ من التلاوة بمعنى القراءة، وهذا لا ينافي ما استظهرناه في البيان السابق: أَنِ (تَتْلُوا) بمعنى تكذب، لأن إفادة معنى الكذب من جهة التوضيح أو ما يشبهه، وتقدير قوله: ﴿تَتْلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَىٰ كُلِّ مَلَأَةٍ﴾ يقرؤونه كاذبين على سلك سليمان والأصملي في معنى تَلَا يَتْلُو: رجوعه إلى معنى ول يَلِي ولاية، وهو أن يملك الشيء من حيث الترتيب، ووقوع جزء منه عقيب جزء آخر.

محمد حسين فضل الله: أمّا كلمة (تَتْلُوا) فالظاهر بقرينة المقام أنها كناية عن التسمية الكاذبة، إذ لا معنى للقراءة الجردة في هذا المجال. (٢: ١٤٤)

٢- وَمَاتَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَاتَ تَلَّوْا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعِثُونَ فِيهِ ...

ابن عباس: ﴿وَمَاتَ تَلَّوْا﴾ عليهم ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ سورة أو آية. (١٢٦)

الطَّبْرِيُّ: وماتقرأ من كتاب الله. (١١: ١٢٩)
مثله الكاشاني (٢: ٨-٤)، ومحمد جواد مشيتي (٤: ٤١٥)

ابن الأنباري: «الهاء» في (منه) تعود على (الشأن) على تقدير حذف المضاف، وتقديره: وماتتلو من أجل الشأن من قرآن، أو يحدث لك شأن فتلوا القرآن من أجله. (١١: ٤١٥)

الطُّوسِي: أي ليس تتلو من القرآن، فتكون «الهاء» كناية عن القرآن قبل الذكر، لتفخيم ذكر القرآن، كما قال: ﴿وَإِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ النمل: ٩. ويحتمل أن تكون «الهاء» عائدة على الشأن، وتقديره: وما يكون من الشأن. (٥: ٤٥٩)

الطُّوسِي: (منه) من الله (مِنْ قُرْآنٍ) نازل، وقيل: (منه) أي من الشأن (مِنْ قُرْآنٍ) نزل فيه. (٣: ١٦٠)
الزَّمَخْشَرِيُّ: والضمير في (منه) للشأن، لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله ﷺ، بل هو معظم شأنه، أو للتخزيل أو للتخزيل كأنه قيل: وماتتلو من التخزيل (مِنْ قُرْآنٍ) كل جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عز وجل. (٢: ٢٤٢)

مثله الشَّيْبِيُّ: (٢: ٣٦)

نعمه النَّسَبِيُّ: (٢: ١٦٨)
الطَّبْرِيُّ: أي وماتقرأ من الله من قرآن، وقيل: من الكتاب من قرآن، والقرآن يقع على القليل والكثير منه. وقيل: إن «الهاء» تعود إلى الشأن، أي وماتتلو من الشأن من قرآن. (٣: ١١٩)

ابن عطية: (منه) الضمير عائد على (شأن) أي فيه

وسببه (مِنْ قُرْآنٍ). ويحتمل أن يعود الضمير على جميع القرآن، ثم عم بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾.

(١٢٧: ٣)

ابن الجوزي: في هاء الكتابة قولان:

أحدهما: [وهو قول الزجاج]

والثاني: أنها تعود إلى الله تعالى، فالمعنى وماتلوت من الله، أي من نازل منه (مِنْ قُرْآنٍ)، ذكره جماعة من العلماء.

والخطاب للنبي ﷺ وأئمة داخلون فيه، بدليل قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، قال ابن الأنباري: جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين.

(٤٢: ٤)

الفخر الرازي: واختلفوا في أن الضمير في قوله:

(مِنْ) إلى ماذا يعود؟ وذكروا فيه ثلاثة أوجه:

الأول: أنه راجع إلى الشأن، لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله ﷺ بل هو معظم شأنه، وعلى هذا التقدير، فكان هذا داخلا على علو تحت قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ إلا أنه خصه بالذكر تنبيها على علو مرتبته، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَلِكِيَّةٍ وَرُسُلِيهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ البقرة: ٩٨، وكما في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ الأحزاب: ٧.

الثاني: أن هذا الضمير عائد إلى القرآن، والتقدير: وماتلوا من القرآن من قرآن؛ وذلك لأنه كما أن القرآن اسم للمجموع، فكذلك هو اسم لكل جزء من أجزاء القرآن، والإظهار قبل الذكر يدل على التعظيم.

الثالث: أن يكون التقدير: وماتلوا من قرآن من الله أي نازل من عند الله.

وأقول: قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أمران مخصوصان بالرسول ﷺ وأما قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ فهذا خطاب مع النبي ومع جميع الأمة.

والسبب في أن خص الرسول بالخطاب أولا، ثم عثم الخطاب مع الكل، هو أن قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ... وَمَا تَتْلُوا...﴾ وإن كان بحسب الظاهر خطابا مختصا بالرسول، إلا أن الأمة داخلون فيه ومرادون منه، لأنه من المعلوم أنه إذا خاطب رئيس القوم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الطلاق: ١، ثم أتم تعالى بعد أن خص الرسول بدينك الخطابين عثم الكل بالخطاب الثالث، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ فدل ذلك على كونهم داخلين في الخطابين الأولين.

نحوه النيسابوري (١١: ٩٧)، والمغازي (٣: ١٦٠)، البسيضاوي: والضمير في (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ) له [الشأن] لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول، أو لأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله، ومفعول (تَتْلُوا) (مِنْ قُرْآنٍ) على أن «من» تبعية أو مزيعة لتأكيد النبي، أو للقرآن وإظهاره قبل الذكر، ثم بيانه تخميم له أو لله.

نحوه أبو السعود (٣: ٢٥٢)، والبروسوي (٤: ٥٧)، ورشيد رضا (١١: ٤١٣).

متعلقاً بما عنده، والتزام تعلقه بمحذوف وقع صفة لمصدر
كذلك في جميع الاحتمالات مما لا حاجة إليه. نعم اللازم
بناء على المشهور أن لا يتعلق حرفان بمعنى بتعلق واحد،
وذهب أسواق البقاء إلى أن الضمير الأول للشأن،
(وَمِنْ) الأول للأجل، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهَا
خَلَقْنَاهُمْ نَفْرًا﴾ نوح: ٢٥، (وَمِنْ) الثانية مزيعة،
وبابها مفعول به (لَتَكُونُوا) وله وجه.

ومما يقضي منه العجب ما قاله بعضهم: إنه يحتمل أن
يكون ضمير (مِنْ) للشأن: إما على تقدير (مَاتُوا) حال
كون القراءة بعض شؤنك، وإما أن يحمل الكلام على
حذف المضاف، أي وماتوا من أجل الشأن، بأن يحدث
الله شأن فتتلو القرآن من أجله.

والله تعالى مما لا تكاد تخطر ببال من له أدنى ذوق في
العربية، ولم نر القول بتقدير مضاف في الكلام إذا كان فيه
(مِنْ) الآجلة أو نحوها، ومالي كلام غير واحد من
الأفاضل في أمثال ذلك تقدير معنى لا تقدير إعراب،
ويعد حمل هذا البعض على ذلك، كما لا يخفى هذا.

ثم إن القرآن عام للمقروء كلاً وبعضاً، وهو حقيقة
في كل كما حقق في موضعه، والقول بأنه مجاز في البعض
بإطلاق الكل وإرادة الجزء مما لا يلتفت إليه (وَلَا تَكْفُرُونَ
مِنْ عَمَلٍ) أي أي عمل كان، والخطاب الأول خاص
برأس التورع الإنساني وسيد الخاطبين ﷺ وهذا عام،
ويشمل مائر العباد برهم وفاجرهم لا الآخرين فقط.

وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به، فغير في
مقام الخصوص في الأول بالشأن، لأن عمل العظيم
عظيم، وفي الثاني بالعمل العام للجليل والحقير، وقيل:

أبوحيان: والخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا﴾ في
شأنٍ وَمَاتُوا... للرسول ﷺ وهو عام بجميع
شؤونه ﷺ، و﴿وَمَاتُوا﴾ مدرج تحت عموم (شأنٍ)
واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذي شأن، وإما
في الجملتين نافية، والضمير في (منه) عائد على (شأنٍ)،
(وَمِنْ قُرْآنٍ) تفسير للضمير، وخَصَّ من العموم لأن
القرآن هو أعظم شؤنه ﷺ.

شُبه (مِنْ) من الله، (مِنْ قُرْآنٍ) مفعول (تَكُونُوا)،
(وَمِنْ) للتبويض، أو مزيعة للتوكيد، أو من الشأن، لأن
تلاوة القرآن من معظم شأن الرسول.

الأولسي: الضمير المهرور للشأن، والتلاوة أعظم
شؤنه ﷺ ولذا خصت بالذكر، أو للتفزيل، والإشهر
قبل الذكر لتضمين شأنه، أو لله عز وجل. و«مِنْ» قبل
تبعية على الاحتمالين الأولين، وابتدائية على الثالث،
والتي في قوله سبحانه: «مِنْ قُرْآنٍ» زائدة لتأكيد النفي
على جميع التقادير، وإلى ذلك ذهب الفطرب.

وقال الطيبي: إن (مِنْ) الأولى على الاحتمال الأخير
ابتدائية والثانية مزيعة، وعلى الاحتمال الأول الأولى
للتبويض والثانية للبيان، وعلى الثاني الأولى ابتدائية
والثانية للبيان.

وفي «إرشاد العقل السليم»: أن الضمير الأول
لشأن، والظرف صفة لمصدر محذوف، أي تلاوة كائنه
من الشأن، أو للتفزيل، (وَمِنْ) ابتدائية أو تبويضية، أو لله
تعالى شأنه و«مِنْ» ابتدائية (وَمِنْ) الثانية مزيعة
وابتدائية على الوجه الأول، وبيانية أو تبويضية على
الوجه الثاني والثالث، وأنت تعلم أنه قد يكون الظرف

المخاطب الأول عام للأمة أيضاً، كما في قوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾. (١١١: ١٤٣)

العراقي: أي وماتلوا من أجل ذلك الشأن من
قرآن أنزل عليك تعبدًا به أو تبليغًا له. (١١١: ١٢٧)
الطباطبائي: الظاهر أن الضمير إلى الله سبحانه
(ومن) الأولى للابتداء والنشوء، والثانية للبيان، والمعنى:
ولا تلو شيئاً هو القرآن ناشئاً ونازلاً من قبلة تعالى.

(٨٧: ١٠)

٣- كذلك أرسلنا في أمّة قد خلت من قبلها أمم تتلّوا
عليهم الذي أوحينا إليك... الزهد: ٣٠

الطبري: لتبليغهم ما أرسلتك به إليهم. (١٣: ١٥٠)
وجاء في أكثر التفاسير بمعنى لتقرأ.

٤-...وَمَا كُنْتَ قَابِلًا فِي مَذِينٍ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ إِنَّمَا أَنْتَا
وَلِكِنَّا كُنَّا مُزِيلِينَ. القصص: ٤٥

قال أكثر المفسرين: تقرأ (عليهم) نعتاً منهم.
وبعضهم قالوا في إعرابه: وهو حال من المستكن في
(قَابِلًا)، أو خبر ثانٍ للـ (كُنْتَ) راجع: البروسري (٦)
٤٠٩، والألويسي (٢٠: ٨٧)، وغيرهما، وقال القرطبي:
أي تذكّرهم بالوعد والوعيد. (١٣: ٢٩١).

٥-...وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ
بِيَمِينِكَ إِذَا أَنْتَابَ السُّبُطُونَ. المنكوت: ٤٧

ابن عباس: كان نبي الله ﷺ أُمِّيًّا، لا يقرأ شيئاً
ولا يكتب.

نحوه فتادة. الطبري (٢١: ٤)

الطوسي: يعني لم تكن تحسن القراءة قبل أن
يوحى إليك بالقرآن، ﴿وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ﴾ معناه
وما كنت أيضاً تخطّ بيمينك، وفيه اختصار، وتقديره: ولو
كنت تتلو الكتاب وتخطّ بيمينك ﴿إِذَا أَنْتَابَ
السُّبُطُونَ﴾. (٨: ٢١٥)

نحوه الطبرسي. (٤: ٢٨٧)

ابن شهر آشوب: قال المفسرون: إنه لم يكن
النبي ﷺ يحسن الكتابة والقراءة. والآية لا تدلّ على
ذلك بل فيها إتهام لم يكن يكتب الكتاب، وقد لا يكتب من
لا يحسنه، كما لا يكتب من لا يحسنه. ولو أفاد إتهام لم يكن
يحسن الكتابة قبل الإحياء إليه، لوجب إتهامه كان يحسنها
سواء بالإحياء إليه، ليكون فرقاً بين الحالين، لأن التطبيق في
الكلام من النصيحة.

ثم إن ظاهر الآية يقتضي نفي القراءة والكتابة بما قبل
النبوّة، لأنهم إنما يرتابون في كتابته لو كان يحسنها قبل
النبوّة، فأما بعدها فلا تعلق له بالنبوّة، ويجوز أن يتعلّقها
من جبريل بعد النبوّة، ويجوز أن لا يتعلّم.

وقد شهر يوم المدينة إتهامه كان لا يعرفها، لأنّ شهيل
بن عمر قال: أبح، هذا عاقاضى عليه محمد رسول الله ﷺ
فقال لعل: أبحها يا أحملي، ثم قال: قضع يدي عليها، وقد
شهر أيضاً في الصحاح والتميم والتواريخ: «أبصرني
بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده» ومنع عمر.

(٢٢: ٢٢)

القرطبي: الضمير في (قبليه) عائد إلى الكتاب، وهو
القرآن المنزل على محمد ﷺ أي وما كنت يا محمد تقرأ

قبله، ولا تختلف إلى أهل أهل الكتاب، بل أنزلناه إليك في غاية الإعجاز والتضمن للغيوب وغير ذلك، فلو كنت ممن يقرأ كتاباً، ويخط حروفاً «لَا تَرْتَابُ الْمُطْلُونُ» أي من أهل الكتاب، وكان لهم في ارتياحهم متعلق، وقالوا الذي نجده في كتبنا أنه أمّي لا يكتب ولا يقرأ وليس به.

(١٣: ٣٥١)

نحوه: اليساوي (٢: ٢١٢)، وأبو حيان (٧: ١٥٥).

وغيرهما.

أبو الشعيرة: أي ما كنت قبل إنزالنا إليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيئاً أو ما كانت عادتك أن تتلو، ولأن تخطه.

(٥: ١٥٧)

مثله الألويسي.

البزوسوي: أي وما كانت عادتك بما محمد قبل إنزالنا إليك القرآن أن تتلو شيئاً.

الطباطبائي: التلاوة هي القراءة سواء كانت عن حفظ أو عن كتاب مخطوط، والمراد به في الآية الثاني، بقرينة المقام.

وظاهر التعبير في قوله: «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو» إلخ، نبي العادة، أي لم يكن من عادتك أن تتلو وتخط، كما يدل عليه قوله في موضع آخر: «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ» يونس: ١٦.

وقيل: المراد به نبي القدرة، أي ما كنت تقدر أن تتلو وتخط من قبله.

والوجه الأول أنسب بالنسبة إلى سياق الحجّة، وقد أقامها لتثبيت حقيقة القرآن ونزوله من عنده.

والمعنى: وما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن

تقرأ كتاباً، ولا كان من عادتك أن تخط كتاباً وتكتبه - أي ما كنت تحسن القراءة والكتابة، لكونه أمّيًا - ولو كان كذلك لارتاب هؤلاء المطلون الذين يُبطلون الحق بدعوى أنه باطل، لكن لما لم تحسن القراءة والكتابة واستمرت على ذلك، وعرفوك على هذه الحال لمخالفتك لهم ومعاشرتكم معهم، لم يبق محلّ ريب لهم في أمر القرآن النازل إليك، أنه كلام الله تعالى وليس تلفيقاً لفقته من كتب السابقين، ونقلته من أقاصيصهم وغيرهم، حتى يرتاب المطلون ويحتذروا به. (١٦: ١٣٨)

جلال الحنفي البغدادى: أمّي النبي الأمّي^(١).

كان للكتابة في الجاهلية وجود لاجمال لإنكاره، ولكنه كان من كماليات الأشياء ومدونات الصفات، ولم يكن تعلم القراءة والكتابة بالأمر الهين، إذ كان يتطلب

(١) وكان العرب أمّيين «هُوَ الَّذِي بَشَّرَ فِي الْأَمْيَيْنِ رَسُولًا مِنْهُمْ» البقرة: ١٢، الأميون بالسنن اللوني هم الذين لا يقرؤون ولا يكتبون «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَفْقَهُونَ الْكِتَابَ» البقرة: ٧٨، بل إن العالم كله أو معظمه كان أمّيًا، لا سيما عامة الناس ومسائر أفراد الشعوب، إلا الكهنة، ومن مثلهم من الحكماء. وذلك أن الأميّة أمر طبيعي حين لا يكون قسمة ما يكتب ويقرأ، لا سيما إذ كانت الحضارات أيام بسطة^(٢) قد انتهارت وانقرضت، بفعل انصراف الأمم والشعوب القديمة إلى الحروب الطاحنة والفتن والتمزقات المدمرة.

إن الأميّة لم تكن في تلك العهود شيئاً أو منقصة أو كلمة تلج لأحد، بل كانت إذا ذكرت يراه بها ذكر واقع الناس والأمم، بل إن من لم يكن أمّيًا وكان يقرأ ويكتب لا يجد في ذلك ما يحمله على السبابة والمفاخرة.

على أن وجود الذكاء والنباهة لدى أولئك الأمييين كان يتجسّد في بعض الشرائع في حياتهم اليومية، من حاجتهم إلى القراءة والكتابة.

نفقات كبيرة وتقرُّغاً ومتابعة مستديين، كما أنَّ مستعلم القراءة والكتابة إذا لم يجد مجالاً لممارستها فإنه سينسى الكثير مما تعلَّم منها، ولم تكن البيئة العربية يومذاك بيئة تأليف وتدوين ومكائيات ومراسلات، لذلك كان معظم رجال العرب غير عابئين بتعلُّم القراءة والكتابة، كما أنَّ الاعتماد على الذكاء والنظنة وقوة الحفظ لديهم كان يصرفهم عن التفكير في الكتابة وسبب المعلومات التي لو كتبوها لم يجدوا من يقرأها، وكانت تتجلى مزية الرجل فيهم لاسيما الزواة والخطباء والشعراء بالذهنية التي تستوعب الكثير من أخبار التاريخ والقصائد وما إلى ذلك.

بل بلغ الأمر بهم أن اتهموا من يكتب بفساد المعلومات التي يكتبها، ومن هنا جاءت كلمة «التحريف» التي هي تغيير اللفاظ عن مواضعها وتشويه مقاصدها، وإنما جاء اللفظ من استعمال الحرف في الكتابة، ومثل ذلك كلمة «التصعيف» التي جاءت من استعمال الصَّحف. وما يزال الناس عندنا يستخفون بمن يكتب الأشياء البسيطة في ورقة أو كتاب.

ولم يكن النبي ﷺ وقد مات كافله الذي هو جده عبد المطلب في سنٍّ من الصغر مبكِّرة بالقادر على أن يجد فرصة للتعلُّم، على أنَّ فكرة تعليم الصبيان لم تكن معروفة يومذاك، ولا كان النبي ﷺ متيسراً له أن يتعلَّم الكتابة أيام كفالته عنده أبي طالب إياه، لاسيما بعد اضطراب الأحوال المعاشية على عمه، وقد استغل النبي ﷺ برعي الأغنام ولم يكن مثل ذلك مما يسمح بالقراءة أو الكتابة أو يتطلَّبها.

وعندما اختير للأعمال التجارية التي كانت لحديجة كان الأوان قد فات على حكاية القراءة والكتابة، على أنه يبدو أنَّ التجار يومذاك لم يكونوا يتخذون السجلات لضبط أمورهم التجارية، إذ لا يكون العمل التجاري عندهم ذا طبيعة سرِّية يتكتمون فيها.

وكانت عادة الأمانة والثقة تنهم من كتابة الديون وتحديد مواعيد تسليمها، لولا أنَّ القرآن الكريم كان أول من أمر بذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْقَدْلِ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ...﴾ البقرة: ٢٨٢.

والنقطة الثابتة أنَّ التجارة يومئذ لم تكن خاضعة لموافقات جهات رسمية، بحيث تتطلب الإجازات واتخاذ الأختام وكتابة أسماء المنشأ التجاري، كما أنَّ الصلات لم تكن يومذاك تمرَّ بطرُوف الصيرفة المعروفة ليصار أمرها إلى التسجيل والتثبت، ومعظم مانتأ في ظل الحضارة الإسلامية فيما بعد من أعراف تجارية ومما شبه ذلك لم يكن معهوداً عند العرب أيام جاهليتهم.

وخلاصة ما قلناه هو أنَّ النبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولو كان قد تعرف بالدراسة والقراءة والكتابة مع ادعاء الأمية بعد النبوة لو وجَّه بذلك، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْأَلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ لَا رَأْيَ الْمُبْتَطِلُونَ﴾، وكلمة المبطلين كانت تشمل جميع من دعاهم النبي ﷺ أول الأمر.

وقد نقل القرآن أقوالهم في النبي ﷺ وكان ظاهراً فيها

التعسف والافتراء والكذب، فهم حين ذكروا النبي بأنه كان يقرأ ويكتب، ولكثرت نسبوا إلى رجل أعجمي أنه كان هو الذي يعلم النبي، وقال القرآن في ذلك: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّإِنْسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْصَىٰ وَهَذَا إِنْسَانٌ عَرَبِيٌّ مِّمَّنْ لِّلِ الْفِتْرِ

١٠٣

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَوْ كَانَ يَقْرَأ وَيَكْتُب لَجَازَمَهُ بِذَلِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ يَقْرَأ وَيَكْتُب، بل لصرح من علمه القراءة والكتابة بأنه هو الذي علمه القراءة والكتابة.

وقد اتخذ النبي ﷺ كتاباً للوحي والرسائل، كما أنه حث نقرأ من الصحابة على تعلم بعض اللغات الشائعة في ذلك الزمان. أما دعوته للأمة إلى تعلم القراءة والكتابة فأمر ثابت.

ورغم أن الاعتماد على تلاوة القرآن كان من طريقتي استظهاره فإن النبي حرص على كتابته، وكان هذا معروفاً في سياسة القرآنية ﷺ بحيث تولي عثمان بن عفان تحقيق هذه المهمة؛ إذ ألف لجنة من كتبة الصحابة كتبوا القرآن كله، وانحذفوا منه عدة نسخ وزعت على الأقاليم الإسلامية المعروفة، وقد استغرق ذلك بضع سنين، ومن المعلومات البديهة في موضوع القرآن الكريم أنه مؤلف من سور عدتها مئة مئة وأربع عشرة سورة، غالبها مكِّي. وكل سورة تتضمن عدداً من الآيات غير محدد، فبعضها تكون آياتها كثيرة عدداً من الآيات غير محدد، فبعضها تكون آياتها كثيرة تجاوز المئتين وبعضها تكون آياتها قليلة في نحو ثلاث آيات، وكان ذلك معروفاً منذ العهد المكِّي. وفي صلب القرآن ما يشير إلى

هذه التثنيات، أي الآية والثورة.

والكلام على القرآن الكريم في نظمه وبلاغته وتنسيقه لا يستوعبه بحث موجز، وإنما هو مما تؤلف فيه الكتب والمطولات. إن أمية الرسول ﷺ مسألة ثابتة انعقد عليها إجماع الأمة في جميع أزمنة التاريخ، ولم يكن مثل ذلك ليخفى على من عايش النبي قبل النبوة وبعدها، ولا على من كان يراقبه ﷺ مراقبة دقيقة، من مثل أحبار اليهود وغيرهم.

والذين يدعون أن النبي كان يقرأ ويكتب يحسون أن ذلك مما يستدح في صدق نبوته، في حين أن النبوة لا يمكن أن يحققها الإلمام بالقراءة والكتابة، فأكبر الذين يقرؤون ويكتبون، ولا سهم لهم من نبوة أو رسالة. فإن الذين يحسنون القراءة والكتابة كثيرون، ولكنهم لم يظهر فيهم من يملك ماملكة النبي من الاقتدار على الإتيان بشريعة حكيمة رشيدة، عالجت مشاكل العالم ورسمت لحياة الأمم منهجاً سليماً وسديداً.

وفي القرآن الكريم أحكام لم تُعرف في شرائع أخرى، كأحكام الموارث والزواج والطلاق، وكذلك ما يتعلق بالعبادات، من صوم وحلّة، وما إلى ذلك من محتوى حين قورن بالديانات القديمة، كان أضزر منها عطاء وأكثر رشاداً وأسدّ منغى، في إصلاح الأمم والشعوب.

على أن في القرآن الكريم غيبيات يُعدّ الكلام فيها من قبل كائن بشريّ مجازفة، لم يقدم عليها أحد من بني البشر. وفي تضاعيف هذا الكتاب ما يوضح كثيراً من هذه النواحي لمن يقبل على مطالعته بإيمان نظر واهتمام.

إِنَّ كَثَافَةَ التَّعَالِيمِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا أَمْرُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِحَيْثُ كَانَ ذَلِكَ سِنْدَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْكُبْرَى فِي سَائِرِ مُعَامَلَاتِهَا.

أَجْسَلُ إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُوجُودًا فِي دِينِ سَلَفٍ وَلَا شَرِيعَةٍ سَبَقَتْ وَلَا كِتَابٍ مَكْتُوبٍ. لِيَقَالَ: إِنَّ كَانَ قَدْ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَرَأَ، بَلْ إِنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْهُمَا مَعْرُوفًا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ يَوْمَ ذَلِكَ، إِذْ عُرِّبَتِ التَّوْرَةُ فِي نَهَائِهِ الْقَرْنِ الْمَجْرِيِّ الْأَوَّلِ. لِذَلِكَ لَا أَمِيَّةٌ لِأَدْعَاءِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ.

لَقَدْ وَجَدْنَا فِي آيَاتِ الْمُوَاجَهَةِ أَنَّ خُصُومَ النَّبِيِّ كَانُوا يَتَّهَمُونَهُ بِمَا يَظُنُّونَهُ مُسْتَطَاعًا لِنُبُوَّتِهِ، فَلَمْ نَجِدْهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ. مِمَّا نَسْتَخْلَصُ مِنْهُ أَنَّ أُمِّيَّةَ النَّبِيِّ كَانَ حَقِيقَةً، لَا يَجِيعُ عَلَى مِثْلِهَا نِزَاعٌ أَوْ جِدَالٌ أَوْ خِلَافٌ (تَخْصِيصُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ: ٥٨١)

وراجع أيضًا: «لَا تَب» ذيل الآية: ٢٧: العنكبوت، ولاحظ «أُم م» (أُمِّي)

تَتْلُونَ

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. البقرة: ٤٤

ابن عباس: تدرسون الكتاب بذلك، وبمعنى به (الكتاب): التوراة. (الطبري: ١: ٢٥٩)

وَأَنْتُمْ تَقْرَوْنَ التَّوْرَةَ، وَفِيهَا صَفَتُهُ وَنَعَمَتُهُ.

(الطبري: ١: ٩٨)

مثله البقرة: (١: ١١٠)، ونحوه البرؤوسوي: (١)

(١٢٢)

الطبري: تدرسون وتقرؤون. (١: ٢٥٩)

نحوه الخازن، (١: ٤٦)

الزمخشري: «وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ» تَهْكِيثٌ،

مثل قوله: «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» البقرة: ٤٢، يعني تتلون

التوراة. وفيها نعت محمد ﷺ، أو فيها التوحيد على

الحياة. وترك البر، ومخالفة القول والعمل. (١: ٢٧٧)

مثله السبي: (١: ٤٦)، والقاسمي: (٢: ١١٨)، ونحوه

البضاوي: (١: ٥٤)، والشريفي: (١: ٥٥)، وأبو السعود

(١: ١٢٩).

ابن عطية: معناه تدرسون وتقرؤون. ويحتمل أن

يكون المعنى تسمعون، أي في الاقتداء به. (١: ١٣٧)

الفخر الرازي: تقرأون التوراة وتدرسونها،

وتعملون بما فيها من الحث على أفعال البر، والإعراض

عن أفعال الإثم. (٢: ٤٦)

نحوه الشيبوري. (١: ٣٠٠)

القرطبي: «وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ» توبيخ عظيم

لم فهم. (تتْلُونَ): تقرأون، (الكتاب): التوراة. وكذا

من فعل ففهم كان مثلهم.

وأصل التلاوة: الاتباع، ولذلك استعمل في القراءة،

لأنه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى يأتي على

نَسَقِهِ، [ثم أدام نحو ما نقلناه في النصوص اللغوية]

(١: ٣٦٩)

أبو حيان: التلاوة: القراءة، وسميت بها لأن

الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضًا في

الذكر. (١: ١٨٢)

سَأَلُوا

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ

الکھف: ٨٢

ذِكْرًا.

الفخر الرازي: معناه إني سأفعل هذا إن وقفني الله

تعالى عليه، وأنزل فيه وحياً وأخبرني عن كيفية تلك

الحال.

(١٦٥: ٢١)

البيضاوي: خطاب للسائلين والمساء [في منه]

(٢٣: ٢)

لذئ القرنين)، وقيل: لله.

النيسابوري: [نحو الفخر الرازي ثم قال:]

والخطاب في (عَلَيْكُمْ) للسائلين وهم اليهود، أو

(٢٣: ١٦)

من كان جاهلاً وأضرابه.

الشربيني: أي أقسم قطعاً متتابعاً في مستقبل

الزمن، أعلمني الله تعالى به.

(٤٠٢: ٢)

أبو طاهر: أي سأذكر لكم (منه) أي من ذي

القرنين (ذِكْرًا) أي بآ مذكوراً. وحيث كان ذلك بطريق

الوحي المتلو حكاية عن الله عز وجل قيل: (سَأَلُوا)،

أي سأتلو في شأنه من جهته تعالى (ذِكْرًا) أي قرآنًا.

والسبب للتأكيد والدلالة على التحقيق المناسب

لمقام تأييده عليه الصلاة والسلام وتصديقه بما يحجاز

وعده، أي لأترك التلاوة البتة، [ثم استشهد بشعر]

للدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل،

لأن هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بنها القصة

بل موصولة بما بعدها، ريثما سألوه عليه الصلاة والسلام

عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف، فقال لهم عليه

الصلاة والسلام: ائتوني غداً أخبركم؛ فأجأ عليه الوحي

(٢١٣: ٤)

خمسة عشر يوماً أو أربعين.

أي إنكم مباشرو الكتاب وقارئوه، وعالمون بما

انطوى عليه، فكيف استلتموه بالنسبة إلى غيركم،

وعالفتموه بالنسبة إلى أنفسكم، كقوله تعالى:

﴿وَتَكْفُمُوا الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَكْفُمُونَ﴾ البقرة: ٤٢، والجملة

حالية.

ولا يخفى ما في تصديرها بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ من

التبكيك لهم والتفريع والتوبيخ لأجل المخاطبة، بخلافها

لو كانت اسماً مفرداً.

والكتاب هنا التوراة والإنجيل. (١٨٣: ١١)

ابن كثير: أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم

من النبوة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم، أي

وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديقي

رسولي، وتنقضون ميثاقى، وتبعدون ما تعلمون من

كتابى. (١٤٨: ٢)

صدر السائلين: [مثل الفخر الرازي وأضاف:]

أو أنتم من أهل التلاوة والدراسة والمذاكرة للكتب

العلمية، ولستم من العوام والجهال. (٢٥٧: ٣)

الآلوسي: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْكُرُونَ الْكِتَابَ﴾ أي التوراة،

والجملة حال من فاعل ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ والمراد التبكيك

وزيادة التوبيخ. (٢٤٨: ١١)

الطنطاوي: كان أحبار اليهود ينصحون سراً

بإتباع محمد ﷺ، ولا يتصدقون خيفة الفقر، والتوراة بين

أيديهم وفيها الوعيد الشديد على من ترك البر وخالف

قوله فعله. فهلاً منعهم حقوقهم وصانهم ألباسهم عما

يسلمون من مخالفة الأقوال للأفعال! (٦٠: ١)

نحوه ملخصاً البروسوي (٥ : ٢٩٠)، والاكوسني (١٦ : ٣٠).

مكارم الشيرازي : إن «التين» في «تأثّلوا» تستخدم عادة للمستقبل القريب، والرسول هنا يتحدث مباشرة إليهم عن ذي القرنين. فمن المحتمل أن يكون ذلك منه عليه السلام احتراماً ومراعاة للأدب، الأدب المزوج بالهدوء والقرّوي، الأدب الذي يعني استلهاقه للعلم من الله تبارك وتعالى، ونقله إلى الناس.

إن بداية الآية تبين لنا أن قصة (ذِي الْقَرْنَيْنِ) كانت متداولة ومعروفة بين الناس، ولكنها كانت محاطة بالغموض والابهام، لهذا السبب طالبوا الرسول الأكرم عليه السلام الإدلاء حولها بالتوضيحات اللازمة.

(٣١٣ هـ)

أَتَلُّوا

وَأَنْ أَتَلُّوا الْقُرْآنَ. النمل : ٩٢
الواحدي : «وَأَنْ أَتَلُّوا الْقُرْآنَ» عليكم يا أهل مكة، يريد تلاوة الدعوة إلى الإيمان. (٣ : ٣٨٨)
الزمخشري : وقرئ (وَأَتَلُّوا الْقُرْآنَ) عن أبي، (وَأَنْ أَتَلُّوا)، عن ابن مسعود. (٣ : ١٦٣)
القرطبي : أي أقرأ. (١٣ : ٢٤٦)
البيضاوي : «وَأَنْ أَتَلُّوا الْقُرْآنَ» عليكم تلاوة الدعوى إلى الإيمان، وأن أواظب على تلاوة القرآن لينكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً، أو أتباعه.

(١٨٥ : ٢)

مثله الشربيني (٣ : ٧٨)، ونحوه الكاشاني (٤ : ٧٥).

أبو هيثم : إمّا من «التلاوة» أي وأن أتلّو عليكم القرآن. وهذا الظاهر؛ إذ بعده التقسيم المناسب للتلاوة. وإمّا من الملتو، أي وأن أتبع القرآن، كقوله : «وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ» يونس : ١٠٩.

وقرأ الجمهور (وَأَنْ أَتَلُّوا)، وقرأ عبد الله (وَأَنْ أَتَلُّوا) بغير واو، أمراً من «تلا». فجاز أن تكون (أَنْ) مصدرية وصلت بالامر، وجاز أن تكون مفسرة على إظهار؛ وأمرت أن أتَلُّ، أي أتَلُّ.

وقرأ أبي (وَأَتَلُّوا هَذَا الْقُرْآنَ) جعله أمراً دون «أن».

(٧ : ١٠٢)

أبو السعود : أي أواظب على تلاوته، لتكشف لي خفايقه الرائعة الممزوجة في تضاعفه شيئاً فشيئاً، أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتنبيه الارشاد، فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة إلى إظهار معجزة أخرى.

لمعنى قوله تعالى : «فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَبِمَا كَفَىٰ نَفْسُهُ يَنْفُسَ» يونس : ١٠٨ حيث : فمن اهتدى بالإيمان به والعمل بما فيه من الشرائع والأحكام، وعلى الأول : فمن اهتدى باتباعه إتاي فيما ذكر من العبادات والإسلام وتلاوة القرآن فبما منافع اهتدائه حائدة إليه لاإلّا، (وَمَنْ ضَلَّ) بالكفر به والإعراض عن العمل بما فيه أو بخالفني فيما ذكر (هتَلَّ) في حقه : «إِنْسَا أَنَا مِنْ الْمُتَذَكِّرِينَ».

(٥ : ١٠٩)

البروسوي : التلاوة : قراءة القرآن مستتابة كالدراسة والأوراد الموظفة. والقراءة أعم، يقال : تلاه : تبعه متابعة ليس بينها مالمس منها، أي وأمرت بأن

أَوْاطِب على تلاوته لتُكشَف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً، فإنه كلما تفكر التالي العالم تجلّت له معاني جديدة كانت في حُجب عَفْيَةٍ. ولذا لا يشبع العلماء من تلاوة القرآن، وهو السّرّ في أنّه كان آخر وردهم، لأنّ المستكشف أولاً للمعارفين حقائق الآفاق ثم حقائق الأنفس ثم حقائق القرآن.

فعليك بتلاوة القرآن كلّ يوم، ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المصوّفة، زاعمين بأنهم قد استغلوا بما هو أهمّ من ذلك وهو كذب، فإنّ القرآن مادة كلّ علم في الدنيا، ويستحبّ لقارئ القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته، ويضع يده على الآية ينسجها، فيأخذ اللسان حفظه من الزّرع ويأخذ البصر حفظه من التّلفز واليد حفظها من المسّ.

وسماع القرآن أشرف أرزاق الملائكة السّاجدين وأهلها، ومن لم تيسر له تلاوة القرآن فليجلس ليتّ العلم لأجل الأرواح الّذين غذاؤهم العلم، لكن لا يتعدّى علوم القرآن.

والطّهارة الباطنة للأذنين تكون باستماع القول الحسن، فإنّه ثمّ حسن وأحسن، فأعلاه حسناً: ذكر الله القرآن، فيجمع بين الحسنين، فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن، مثل كلّ آية لا يكون مدلولها إلّا ذكر الله، فإنّه ما كلّ آية تتضمن ذكر الله فإنّ فيه حكاية الأحكام المشروعة، وفيه قصص الفراعنة، وحكايات أقوالهم وكفرهم، وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث هو قرآن بالإصغاء إلى القارئ إذا قرأ من هسه أو غيره، فعلم أنّ «ذكر الله» إذا سُمع في القرآن أتمّ من سماع قول

الكافرين في الله ما لا ينبغي، كذا في «الفتوحات».

واعلم أنّ خُلُق النّبي ﷺ كان القرآن، فاعظري في تلاوتك إلى كلّ صفة مدّح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها، وكلّ صفة ذمّ الله بها عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها، فإنّ الله تعالى ما ذكر لك ذلك وأنزله في كتابه إلّا لتعمل به، فإذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة، فأنت الرّجل الكامل. [إلى أن قال:]

وهذه الآية منسوخة بآية السّيف.

وفي «التأويلات النّجمية»: فيه إشارة إلى أنّ نور القرآن يربّي جوهر الهداية والضّلالة في معدن قلب الإنسان السّعيد والسّقي، كما يربّي ضوء الشّمس الذهب والفضة في المعادن، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦، وقال ﷺ: «النّاس كعادن الذهب والفضة». (٣٧٨: ٦) ثمّ: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ﴾ عليكم أدصوكم إلى ما فيه أو اتّبِعْه. (٤٤٥: ٤)

الألوسي: أي أواطب على قراءته على النّاس بطريق تكرير الدّعوة وتشيته الإرشاد، لكفايته في الهداية إلى طريق الرّشاد.

وقيل: أي أواطب على قراءته لينكشف لي حقائقه الرّزاقية المخرّوجة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً، فإنّ المواظبة على قراءته من أسباب فتح باب الفيوضات الإلهية والأسرار القدسية، وقد حكى أنّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، قام ليلة يصلي فقرأ قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ يُعَادِلُكَ﴾ المائدة: ١١٨، فما زال يكرّرها ويظهر له

المقدس، والمواجهة لكل أنواع الشرك والإحصاف والضلال ومكافحتها. (١٤٦: ١٢)

محمد حسين فضل الله: «وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ» على الناس كلهم، لأفتح عيونهم وعقولهم وحياتهم على مواضع الهدى، ليفكروا بحرية، ليختاروا الموقف الذي يناسبهم من خلال وعيهم للنتائج الخيرة التي تنرب عليه في جانب الخير، وليتعرفوا الموقف الآخر الذي يحتوي النتائج السلبية المترتبة عليه. (١٧: ٢٥٤)

أَتْلُ

قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ... الأسماء: ١٥١
كعب الأحبار: هذه الآية هي مفتاح التوراة:
«يُحْكِمُ اللَّهُ الْأَخْصِينَ الرَّجِيمِ» قُلْ تَعَالَوْا... إلى آخر
(التعاليم ١: ٥٢١)
ابن عباس: في الكتاب الذي أنزل علي. (١٢٢)
هذه الآيات هي المحكمات المذكورة في آل عمران،
اجتمعت عليها شرائع الخلق، ولم تُسَخَّطْ قط في ملّة.

(التعاليم ٢: ٥٢١)
الطبري: تعالوا أيها القوم اقرأوا عليكم ما حرّم ربكم
حقاً يقيناً، لا الباطل، تخزّصاً كخرصكم على الله الكذب
والفرية ظناً، ولكن وحيّاً من الله أوحاه إليّ. وتنزيلاً
أنزله عليّ: ألا تُشركوا بالله شيئاً من خلقه، ولا تعدلوا به
الأوثان والأصنام... (٨: ٨١)

نحوه البغوي (٢: ١٧٠)، والحازن (٢: ١٦٢)،
والقرطبي (٧: ١٣٠)، وابن كثير (٣: ١٢٠).
الزجاج: «قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ»

من أسرارها ما يظهر حق طلع الفجر.
وقيل: (أَتْلُو) من تلاء، إذا تبعه، أي وأن أتبع
القرآن، وهو خلاف الظاهر.

ويؤيد ما ذكرناه أولاً من المعنى ما في حرف أبي، كما
أخرجه أبو عبيد، وابن المنذر عن هارون (وَأَتْلُ عَلَيْهِمُ
الْقُرْآنَ) وحكى عنه في «البحر» أنه قرأ (وَأَتْلُ هَذَا
الْقُرْآنَ)، ولاتأيد فيه ما ذكرناه.

وقرأ عبد الله (وَأَبِ ائْتَلُ) بغير واو وأمرًا من «تلاء»،
فجاز أن تكون (أن) مصدرية وصلت بالأمر، وجاز أن
تكون مفسرة على إضمار «أمرت»، (ثم أدام نحو أبي
السود)

نحوه ملخصاً المراهقي. (٢٠: ٢٧)
محمد جواد مغنّيّة: المراد بتلاوة القرآن هنا:
الدعوة إلى الإيمان به، والسير على منهجه... (٦: ٤٤)
الطباطبائي: «وَأَنْ أَتْلُو...» مطوف على
قوله: «أَنْ أَهْبُدْ» أي أمرت أن أقرأ القرآن، والمراد:
تلاوته عليهم بدليل تفريع قوله: «فَمَنْ أَهْتَدَى» إلخ،
عليه. (١٥: ٤٠٤)

مكارم الشيرازي: إن الآية [«إِنَّمَا أُمِرْتُ...»]
الآمل: ٩١] بينت وظيفتين أساسيتين على النبي،
وهما: عبادة الواحد الأحد، والتسليم المطلق لأمره.
والآية التالية تُبين أسباب الوصول إلى هذين
الهدفين، فنقول: «وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ»، أتلوه فاستضيء
بنوره، وأنتهل من عذب معينه الذي يهب الحياة، وأن
أعول في جميعت متاهجي على هديه.

أجل فالقرآن وسيلتي للوصول إلى هذين الهدفين

تَتْلُوا

تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَحْنِ مُوسَى وَفِرْعَوْنُ بِأَلْحَقٍ بِقَوْمٍ يُزَيَّمُونَ. القصص: ٣

الطبري: نقرأ عليك ونقص. (٢٠: ٢٦)

القرطبي: أي يقرأ عليك جبريل بأمرنا.

(١٣: ٢٤٨)

نحوه النسي: (٣: ٢٢٥)

البيضاوي: نقرأه بقراءة جبريل. ويجوز أن يكون

بمعنى نزله، مجازاً. (٢: ١٨٦)

نحوه أبو السعود. (٥: ١١٢)

الشرييني: أي نقص قصصاً متتابعة متواليات بعضها في

آخر بعضها (عليك) بواسطة جبريل عليه السلام. (٣: ٧٩)

نحوه البروسوي. (٦: ٣٨)

الأوسسي: أي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام.

فالإسناد مجازي كما في: «بني الأمير المدينة». والتلاوة في

كلامهم - على ما قال الراغب - تختص باتباع كتب الله

تعالى المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام، لما فيه

من أمر ونهي وترغيب وترهيب، أو ما يؤتوهم فيه ذلك؛

وهو أخص من القراءة.

ويجوز أن تكون «التلاوة» هنا مجازاً مرسلًا عن

التنزيل، بعلاقة أن التنزيل لازم لها أو سببها في الجملة.

وأن تكون استعارة له لما بينهما من المشابهة، فإن كلا

منها طريق للتبليغ، فالمعنى نزل عليك. (٢٠: ٤٢)

القاسمي: أي نقرأ عليك، بواسطة الروح الأمين.

تلاوة ملتبسة بالحق، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ نَقَضَ عَلَيْهِ

أَحْسَنَ الْفَضْلِ﴾ يوسف: ٣، ثم استأنف ما يجري مجرى

التفسير للمجمل الموعود بقوله: ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي

الْأَرْضِ﴾. (١٣: ٤٦٩٥)

عبد الكريم الخطيب: «تَتْلُوا عَلَيْكَ» بإسناد

الفعل إلى الله سبحانه وتعالى، مع أن الذي يتلو هذه

الآيات على النبي هو جبريل، في هذا تكريم للنبي.

وإدناء له من ربه، الذي يتلو عليه هذه الآيات.

(١٠: ٣٠٨)

تَتْلُوهُ

ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

آل عمران: ٥٨

ابن عباس: نزل عليك جبريل به. (٤٨)

الطبري: نقرأها عليك يا محمد، على لسان

جبريل عليه السلام. (٣: ٢٩٤)

نحوه البغوي (١: ٤٤٩)، والمرافعي (٣: ١٧١).

الزجاج: (ذلك) أي القصص الذي جرى نتلوه

عليك، «مِنَ الْآيَاتِ» أي من العلامات البينة الدلالات

على تثبيت رسالتك؛ إذ كانت أخباراً لا يعلمها إلا قارئ

كتاب أو معلم، من أوحيت إليه.

وقد علم أن النبي ﷺ كان أُمِّيًّا لا يكتب ولا يقرأ

الكتب، على جهلة النظر فيها والفائدة منها، فإنه ﷺ لم

يُعلِّمه أحدٌ من الناس، فلم يبق إلا الوحي، والإخبار

بهذه الأخبار التي يجمع أهل الكتاب على الموافقة

بالإخبار بها. (١: ٤٢١)

نحوه للواحدي (١: ٤٤٢)، وابن الجوزي (١)

(٣٩٨)، ومحمد جواد مغنّية (٢: ٧٢).

الطوسي: (ذلك) إشارة إلى الإخبار عن عيسى، وذكرنا، وعيسى، عن الحواريين، واليهود من بني إسرائيل، وهو في موضع نصب بما تقدم، ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ لما فيه من الآية لمن تذكر في ذلك واعتبر به. وموضع ﴿تَتْلُوهُ﴾ من الإعراب يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون رفعا بأنه خبر (ذلك). والثاني: ألا يكون له موضع، لآتية صلة (ذلك)، وتقديره: الذي تتلوه عليك من الآيات، ويكون موضع (من الآيات) رفعا بأنه خبر (ذلك) ذكره الزجاج، [ثم استشهد بشمر]

وقيل في معنى قوله: ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: نكلمك به، ويكون وضع (تَتْلُوهُ) موضع «نكلم» كما يقول القائل: أنشأ زيد الكتاب، وتلاوة عمرو، فالتلاوة تكون إظهار الكلام على جهة الحكاية. الثاني: ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ بأمرنا جبريل أن يتلوه عليك، على قول الجبائي. (٢-٤٨١) نحوه الطبرسي. (١-٤٥٠)

ابن عطية: (ذلك) رفع بالابتداء، والإشارة به إلى ما تقدم من الأنباء، و﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ خبر ابتداء، وقوله: ﴿مِنْ الْآيَاتِ﴾ لبيان الجنس، ويجوز أن يكون للتبيض، ويصح أن يكون ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ حالا، ويكون الخبر في قوله: ﴿مِنْ الْآيَاتِ﴾.

وعلى قول الكوفيين، يكون قوله: ﴿تَتْلُوهُ﴾ حالا، صلة له ﴿ذَلِكَ﴾ على حد قولهم في بيت ابن مفرغ الحميري: *... وهذا تحملين طليق * ويكون الخبر في قوله: ﴿مِنْ الْآيَاتِ﴾، وقول البصريين في البيت «أن

تحملين» حال التقدير، وهذا محمولا، و﴿تَتْلُوهُ﴾ معناه تسرده، و﴿مِنْ الْآيَاتِ﴾ ظاهره آيات القرآن. ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿مِنْ الْآيَاتِ﴾ من المعجزات والمستغربات أن تأتسجهم بهذه الصيوب من قبلنا، وبسب ثلاثتنا وأنت أُمِّي لا تقرأ، ولست ممن أصعب أهل الكتاب، فالمعنى أنها آيات لنبوتك، وهذا الاحتمال إنما يتمكن مع كون ﴿تَتْلُوهُ﴾ حالا. (٤٤٥) الفخر الرازي: التلاوة والقصص واحد في المعنى، فإن كلاً منها يرجع معناه إلى شيء يذكر بضمه على إثر بعض.

ثم إنه تعالى أضاف «التلاوة» إلى نفسه في هذه الآية، وفي قوله: ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ مَوْسَى﴾ وأضاف «القصص» إلى نفسه، فقال: ﴿وَعَنْ نَقْصِ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يوسف: ٣، وكل ذلك يدل على أنه تعالى جعل تلاوة الملك جارية بمرى تلاوته سبحانه وتعالى، وهذا تشریف عظيم للملك، وإنا نحن ذلك، لأن تلاوة جبريل عليه السلام لما كان بأمره من غير تفاوت أصلاً، أضيف ذلك إليه سبحانه وتعالى. (٨: ٧٨)

نحوه البروسوي. (٢: ٤٢) الخازن: أن تُخبرك به يا محمد على لسان جبريل. وإنا أضاف ما يتلوه جبريل عليه السلام إلى نفسه سبحانه وتعالى، لأنه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلاً، فأضافه إليه. (١: ٣٠١)

أبو حيان: (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من خبر عيسى وذكرنا وغيرها، و﴿تَتْلُوهُ﴾ تسرده، ونذكره شيئاً بعد شيء، وأضاف التلاوة إلى نفسه وإن كان الملك هو

(١٨٥ : ٣)

سَيِّد قُطْب : ذلك القُصص ، وذلك التوجيه القرآني
كله ، فهو وحي من الله ، يتلوه الله على نبيه ﷺ ، وفي
التعبير معنى التكريم والقرب والود.

فإذا بعد أن يتولى الله تعالى التلاوة على محمد نبيه
تلاوة الآيات والذكر الحكيم ، وإنه لحكيم يتولى تقرير
الحقائق الكبرى في النفس والحياة ، بمنهج وأسلوب
وطريقة تخاطب الفطرة وتسلط في الدخول عليها
واللصوق بها بشكل غير مهود فيما يصدر عن غير هذا
المصدر الفريد . (٤٠٤ : ١)

نَتْلُوها

١- بَلَّكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ
الْبَاقِينَ البقرة : ٢٥٢

الواحد ي : نَرَفَكَ إِيَّاهَا وَنَبَّيْها . (٤٧٦ : ١)
الآلوسي : أي بواسطة جبريل عليه السلام ، إما حال من
«الآيات» والعامل معنى الإشارة ، وإما جملة مستأخفة
لا حمل لها من الإعراب . (١٧٤ : ٢)

محمد جواد مغنّيّة : لقد تلا الله آياته على نبيه
الكريم ، وتلاها النبي علينا لتتدبر حقيقتها ، ونستخذها
دستوراً في مقاصدنا وجميع أفعالنا ، لنحيا حياة طيبة
هادئة «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ
إِذَا هُم مُّسْتَضَرُّونَ» الأنبياء : ٤٥ . (٣٨٣ : ١)

٢- بَلَّكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَعَالِهُ يُرِيدُ
ظَلَمَ لِلْعَالَمِينَ . آل عمران : ١٠٨
الطوسي : وإنما قال : «آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوها عَلَيْكَ

الثاني ، تشریفاً له ، جعل تلاوة المأمور تلاوة الأمر .

وفي (تَتْلُوها) الضات ، لأن قبلة ضمير غائب في قوله :
«وَلَا يَجُوبُ» ، و(تَتْلُوها) معناه تلونا ، كقوله : «وَاتَّبَعُوا
فَاتَّبَعُوا الشَّيَاطِينَ» .

ويجوز أن يراد به ظاهره من الحال ، لأن قصة
عيسى لم يفرغ منها ، ويكون (ذلك) بمعنى هذا .

(٤٧٦ : ٢)

أبر السعود : [نحو ابن عطية ملخصاً وأضاف :]
وصيغة الاستقبال إنما لاستحضار الصورة أو على
معناها ، إذ التلاوة لم تتم بعد . (٣٧٧ : ١)

الآلوسي : أي نرده ونذكره شيئاً بعد شيء ،
والمراد تلونا ، إلا أنه عبر بالمضارع استحضاراً للصورة
الحاصلة اعتناءً بها .

وقيل : يمكن الحمل على الظاهر لأن قصة
عيسى ﷺ لم يفرغ منها بعد . [إلى أن قال :]
وجوز في الآية أوجه من الإعراب :

الأول : أَنْ (ذلك) مبتدأ ، و(تَتْلُوها) خبره ، و(عَلَيْكَ)
متعلق بالخبر . و(وَمِنَ الْآيَاتِ) حال من الضمير المنصوب
أو خبر بعد خبر ، أو هو الخبر وما بينهما حال من اسم
الإشارة ، على أن العامل فيه معنى الإشارة لا الجواز
والجور . قيل : لأن الحال لا يتقدم العامل المعنوي .

الثاني : أن يكون (ذلك) خبراً محذوف ، أي الأمر
(ذلك) ، و(تَتْلُوها) في موضع الحال من (ذلك) ، و(مِنَ
الآيَاتِ) حال من الهاء ..

الثالث : أن يكون (ذلك) في موضع نصب بفعل دل
عليه (تَتْلُوها) فيكون (مِنَ الْآيَاتِ) حالاً من الهاء أيضاً .

بالحق» فتيده (الحق)، لأنه لما حقق الوعيد بأنه واقع لاحتماله، نفى عنه حال الظلم كعادة أهل الخير، ليكون الإنسان على بصيرة في سلوك الصلاة مع الهلاك، أو الهدى مع النجاة، ومعنى «تَسْلُوَهَا عَلَيْكَ بِالحق» أي معاملتي حق، ويحتمل أن يكون المراد نسلوها المعنى الحق، لأن معنى التلاوة حق من حيث يتعلق معتقدها بالشيء، على ما هو به.

والفرق بين تَلَوْتُ عليه، وتَلَوْتُ لديه: أن عليه يدل على إقرار التلاوة، لأن معنى «عليه» استعمال الشيء، فهي تُنبئ من استعماله بالظهور للنفس، كما يظهر لها بملو الصوت، وليس كذلك لديه، لأن معناه عنده.

ابن عطية: وقرأ أبونيك: (تَسْلُوَهَا) بالياء.

(٢٨٨: ١)

الطبرسي: قرأها عليك بالحق يا محمد ﷺ وعلى أمتك، ونذكرها لك ونعرفك إياها ونقصها عليك.

(٤٨٥: ١)

أبوحيان: وقرأ الجمهور «تَسْلُوَهَا» بالون، على سبيل الالتفات لما في إستاذ التلاوة للمعظم ذاته من الغرامة والشفرة.

وقرأ أبونيك بالياء، والأحسن أن يكون الضمير المرفوع في «تَسْلُوَهَا» في هذه القراءة عائد على الله ليتعد الضمير، وليس فيه التلغات، لأنه ضمير غائب صاد على اسم غائب.

ومعنى التلاوة: القراءة شيئاً بعد شيء، وإستاذ ذلك إلى (الله) على سبيل الجواز، إذ التالي هو جبريل لما أمره

بالتلاوة كان كأنه هو التالي تعالى

وقيل: يجوز أن يكون معنى «تَسْلُوَهَا» يُنزلها متوالية شيئاً بعد شيء، وجوزوا في قراءة أبي نبيك أن يكون ضمير الفاعل عائداً على جبريل، وإن لم يجز له ذكر للعلم به.

أبو السعود: قوله تعالى: «تَسْلُوَهَا» جملة حالية من «الآيات» والعامل فيها معنى الإشارة، أو هي الخبر (أَيَّاتُ اللهِ) بدل من اسم الإشارة، والالتفات إلى التكلم بنون العظمة، مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام، لإبراز كمال العناية بالتلاوة.

وقرئ (تَسْلُوَهَا) على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى، وقوله تعالى: (عَلَيْكَ) متعلق بـ(تَسْلُوَهَا)، وقوله تعالى: (بالحق) حال مؤكدة من فاعل (تَسْلُوَهَا) أو من مفعوله، أي ملتصق أو ملتبس بالحق والعدل.

(١٦: ٢)

نحو البروسوي: (٧٧: ٢) الأوسي: أي نقرؤها شيئاً فشيئاً، وإسناد ذلك إليه تعالى مجاز، إذ التالي جبريل عليه السلام بأمره سبحانه وتعالى. [ثم أدام نحو أبي السعود] (٢٦: ٤) محمد جواد مغنيتة: (تَلَكَّ) إشارة إلى الآيات المشتملة على تنعيم الأبرار، وتعذيب الكفار، والمخاطب موجه لـمحمد ﷺ.

وقد يسأل سائل: وأيئة فائدة من هذا الإخبار، مادام محمد يعلم علم اليقين أن هذه الآيات حق وصديق؟

الجواب: لقد دأب القرآن على تكرار ذلك في العديد من الآيات وليس المقصود منها محمداً بالذات، بل

يرتاب ووطن بأن هذه الآيات وما إليها هي من محمد،
لا من الله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُوهُ
بِتَبْعِيْنِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابُ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٨.

(١٢٩: ٢)

٢- تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ... المجاثبة: ٦
الآلوسي: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله
تعالى: ﴿تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ﴾ حال، عاملها معنى الإشارة نحو
﴿هَذَا يَقُولُ شَيْخًا﴾ هود: ٧٢ على المشهور.

وقيل: هو الخبر و﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾ بدل أو عطف بيان،
وقوله سبحانه: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من فاعل (تَنْتَلُوهَا) أو
من مفعوله، أي تتلوها بحقين، أو ملتبسة بالحق، قاله
للملابسة، ويجوز أن تكون للتبعية الثابتة

والمراد به «الآيات» المشار إليها إما آيات القرآن أو
السورة، أو ما ذكر قبل من السماوات والأرض وغيرها،
فتلاوتها بتلاوة ما يدل عليها، وفترت بالتردد، أي
نسردها عليك.

وقال ابن عطية: الكلام بتقدير مضاف، أي نتلو
شأنها وشأن العبرة بها، وقرئ (تَنْتَلُوهَا) بالياء صل أن
الفاعل ضمير تعالى، والمراد على القراءتين: تلاوتها
عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم الملك العزيم.

(١٤١: ٢٥)

يُثَلَّى

١- وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِمْ
وَعَائِلٌ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي بَيِّنَاتٍ لِيُنْزِلَ

لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ.

النساء: ١٢٧
عائشة: هذا في اليتيمة تكون عند الرجل، لعلها أن
تكون شريكة في ماله، وهو أول بها من غيره، فيرغب
منها أن ينكحها، ويضللها لما لها، ولا ينكحها غيره،
كراهية أن يشركه أحد في مالها. (الطبري: ٥: ٢٩٩)

هي اليتيمة تكون في حجر وليها، تشاركه في ماله،
فيعجب مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها، بغير أن
يقسط في صداقتها، فيعطيه مثل ما يعطيها غيره، فلهذا أن
ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويلتفوا بين أعلى ستهن
من الصداق، وأمرنا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء،
سواهن.

ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ سواهن.

ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية
فحين، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ...﴾ الآية. والذي ذكر
الله أنه يتلى في الكتاب، الآية الأولى، التي قال فيها:
﴿وَإِنْ يَغْتَزِ الْأَنْفُسُ فِي الْبَيِّنَاتِ فَانْكِحُوا مَا طَابَ
لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ النساء: ٣، (الطبري: ٥: ٣٠١)

نحوه ابن عباس: (الطبري: ٥: ٣٠٠)

ابن عباس: كان أهل الجاهلية لا يؤزنون المولود
حتى يكبر، ولا يؤزنون المرأة فلما كان الإسلام، قال:
﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ...﴾ في أول السورة في الغرائض الثلاثي
تؤتونهن ما كتب الله لهن.

نحوه سعيد بن جبير: (الطبري: ٥: ٢٩٩)

سعيد بن جبير: كان لا يرث إلا الرجل الذي قد
بلغ. لا يرث الرجل الصغير، ولا المرأة، فلما نزلت آية
الموارث في سورة النساء، شق على الناس، وقالوا:

مثل ذلك، فجعل جابر يسأل النبي ﷺ: أترث الجارية إذا كانت قبيحة عمياء؟ فجعل النبي ﷺ يقول: نعم، فأنزل الله فيهن هذا. (الطبري ٥: ١-٣)

القراء: موضع (ما) رفع، كأنه قال: يفتيكم فيهن ما ينل عليكم. وإن شئت جعلت (ما) في موضع خفض: يفتيكم الله فيهن وما ينل عليكم غيرهن. (١: ٢٩٠) محمد بن أبي موسى، استفتوا نبي الله ﷺ في النساء، وسكوا عن شيء كانوا يفعلونه، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ...﴾ ويفتيكم فيما لم تسألوا عنه.

[و] كانوا لا يقرؤون البيعة إذا كان بها دسامة، ولا يدفعون إليها ما لها فتفق، فنزلت: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنَالُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يُتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْمِنُنَّ بِمَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ قال: ﴿وَالْمُحْضَضَاتِ مِنَ الْأَوْلَادِ...﴾، قال: كانوا يورثون الأكابر، ولا يورثون الأصغر، ثم أفتاهم فيما سكتوا عنه، فسقال: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ حَاغَتْ مِنْ إِخْلَاقِ نَفْسِهَا أَنْ يَغَارًا...﴾ النساء: ١٢٨. (الطبري ٥: ٣٠٢)

الطبري: [نقل ثلاثة من الأحوال المتقدمة ثم قال:] فعل هذه الأحوال الثلاثة التي ذكرناها (ما) التي في قوله: ﴿وَمَا يُنَالُ عَلَيْكُمْ﴾ في موضع خفض، بمعنى اللطف على الهاء والثون، التي في قوله: ﴿يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ فكأنهم وجهوا تأويل الآية: قل الله يفتيكم أيها الناس في النساء، وفيما ينال عليكم في الكتاب. [ثم نقل قول محمد بن أبي موسى وقال:]

فعل هذا القول، الذي ينال علينا في الكتاب الذي قال الله جل ثناؤه: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنَالُ

يرث الصغير الذي لا يعمل في المال ولا يقوم فيه، والمرأة هي كذلك، فيرثان كما يرث الرجل الذي يعمل في المال. فرجوا أن يأتي في ذلك حدث من السماء، فانتظروا، فلما رأوا أنه لا يأتي حدث، قالوا: لكن تم هذا إنه لواجب، مامنه بئذ.

ثم قالوا: سلوا، فألوا النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنَالُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ في أول السورة ﴿فِي يُتَامَى النِّسَاءِ...﴾، وكان الولي إذا كانت المرأة ذات جمال ومال، رغب فيها، ونكحها، واستأثر بها، وإذا لم تكن ذات جمال ومال، أنكحها، ولم ينكحها. (الطبري ٥: ٢٩٩) نحوه مجاهد (الطبري ٥: ٣٠٠)، وروي في هذا المعنى رواية عن الإمام الباقر عليه السلام. (القمي ١: ٢٤٤)

كان أهل الجاهلية لا يورثون الولدان حتى يحلوا، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ اللَّهُ كَانَ بِهَ غَلِيمًا﴾، ونزلت هذه الآية: ﴿إِنْ امْرَأَةٌ هَلَكَتْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ...﴾ النساء: ١٧٦. (الطبري ٥: ٣٠١) فتادة: كانت اليتيمة تكون في حجر الرجل فيها دسامة، فيرغب عنها أن ينكحها، ولا ينكحها، رغبة في ما لها.

نحوه إبراهيم، وأبو مالك... (الطبري ٥: ٣٠٠) الشدّي: كان جابر بن عبد الله الأنصاري ثم السلمي، له ابنة عم عمياء، وكانت دميعة، وكانت قد ورثت عن أبيها مالاً، فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها، رهبة أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ من ذلك، وكان ناس في حجورهم جوار أيضاً

عَلَيْكُمْ... وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَغْيِهَا نُفُسًا أَوْ
إِعْرَاضًا... النساء: ١٢٧، ١٢٨. والذي سأل القوم،
فأجيبوا عنه: في يتامى النساء اللاتي كانوا لا يؤتونهن
ما كتب الله لهن من الميراث عمن ورثته عنه.

وأولى هذه الأقوال - التي ذكرنا عمن ذكرناها عنه
بالصواب، وأشبهها بظاهر التزيل - قول من قال: معنى
قوله: ﴿وَمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: وما يتل عليكم
من آيات الفرائض في أول هذه السورة وآخرها.

وإنما قلنا ذلك أول بالصواب، لأن الصداق ليس مما
كتب النساء إلا بالنكاح، لما لم شكك فلامداق لما قيل
أحد.

نحوه الطوسي.

الزجاج: موضع (ما) رفع. المعنى الله يفتيكم
فيهن. وما يتل عليكم في الكتاب، أيضا يفتيكم فيهن.
ومحذور أن يكون (ما) في موضع جر، وهو بعيد جداً، لأن
الظاهر لا يُعطف على المضمَر، فلذلك اختير الرفع، ولأن
معنى الرفع أيضا أبين، لأن ما يتل في الكتاب هو الذي
بين ما سألوا. فالمعنى ﴿قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾. وكتابه
يُفتيكم فيهن.

نحوه القيسي.

الواحدى: موضع (ما) رفع، لأن المعنى الله
يفتيكم، يعني آية الموارث في أول هذه السورة.

(١٢٣: ٢)

البغوي: قيل: معناه وفتيكم في ما يتل عليكم.
وقيل: يريد الله أن يفتيكم فيهن، وكتابه يفتيكم فيهن.
وهو قوله عز وجل: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَشْرَاهُمْ﴾ النساء: ٢.

(٧٠٧: ١)

الرَّمَحُفَرِيُّ: (مَا يَتْلَى) في محل الرفع، أي الله
يفتيكم، والمتلو (في الكتاب) في معنى اليتامى، يعني
قوله: ﴿وَإِنْ يَخَفْتُمْ إِلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ النساء: ٣،
وهو من قولك: أعجبني زيد وكرمه.

ومحذور أن يكون ﴿مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ مبتدأ، وفي
الكتاب خبره على أنها جملة معترضة. والمراد
بـ (الكتاب) اللوح المحفوظ تطبيعا للمتلو عليهم، وأن
العدل والتعفة في حقوق اليتامى من عظام الأمور
المرفوعة الدرجات عند الله، التي تجب مراعاتها
والحفاظ عليها، والنقل بها ظالم متهاون بما عظّمه الله،
ونحوه في تنظيم القرآن ﴿وَرَأَيْتُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَقْلٍ﴾
حكيم.

ومحذور أن يكون محذورا على القسم، كأنه قبله
﴿قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ وأقسم بما يتل عليكم في
الكتاب. والقسم أيضا لمعنى التظيم، وليس بسديد أن
يُحذف على الضرور في (فيهن) لاختلاله من حيث اللفظ
والمعنى.

فإن قلت: يمتثل قوله: ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾؟
قلت: في الوجه الأول هو صلة (يُتْلَى) أي يُتلى
عليكم في معناه. ومحذور أن يكون (في يَتَامَى النِّسَاءِ)
بدلاً من (فيهن). وإنما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير.
(٥٦٧: ١)

نحوه الفخر الرازي (١١: ٦٢)، ونحوه ملخصاً
البيضاوي (١: ٢٤٧)، والنسفي (١: ٢٥٣)، وشبر (٢: ١٠٦)،
ومحمد جواد مغنّية (٢: ٤٤٩).

ابن عطية : قوله تعالى : ﴿ مَا يُثَلِّ عَلَيْكُمْ ﴾ يحتمل (ما) أن تكون في موضع خفض عطفاً على الضمير في قوله : ﴿ بَيْنَ ﴾ أي ويفتيكم فيما يثَلِّ عليكم ، قاله محمد بن أبي موسى ، وقال : أفتاهم الله فيما سألوا عنه وفيما لم يسألوا عنه ، ويضئف هذا التأويل ما فيه من العطف على الضمير المنفوض بغير إعادة الخفض .

ويحتمل أن تكون (ما) في موضع رفع عطفاً على اسم الله عز وجل ، أي ويفتيكم ما يثَلِّ عليكم في الكتاب ، يعني القرآن . والإشارة بهذا إلى ما تقدم من الآيات في أمر النساء ، وهو قوله تعالى في صدر التورة : ﴿ وَإِنْ جُفَّتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْأَنْفُسِ ... ﴾ النساء : ٣ .

(١١٨ : ٢)

الطبرسي : أي ويفتيكم أيضاً ما يقرأ عليكم في الكتاب ، أي القرآن . وتقديره : وكتابه يفتيكم ، أي بين لكم القرائن المذكورة .

(١١٨ : ٢)

ابن الجوزي : الذي ثلَّ عليهم في الترويح قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جُفَّتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا ... ﴾ النساء : ٣ . (٢١٥ : ٢)

العكبري : قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُثَلِّ ﴾ في (ما) وجوه : أحدها : موضعها جر عطفاً على الضمير المبرور بـ (في) . وهذا على قول الكوفيين ؛ لأنهم يجيرون العطف على الضمير المبرور من غير إعادة الجار .

والثاني : أن يكون في موضع نصب على معنى وبين لكم ما يثَلِّ ، لأن معنى (يفتيكم) بين لكم .

والثالث : هو في موضع رفع ، وهو المختار . وفي ذلك ثلاثة أوجه :

أحدها : هو معطوف على ضمير الفاعل في (يفتيكم) وجرى الجار والمجرور بجرى التوكيد .

والثاني : هو معطوف على اسم الله ، وهو : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ .

والثالث : أنه مبتدأ والخبر محذوف ، تقديره : وما يثَلِّ عليكم في الكتاب بين لكم .

والرابع : يتعلق بـ (يثَلِّ) ويجوز أن يكون حالاً من

الضمير في (يثَلِّ) . (٣٩٣ : ١)

أبو حيان : ذكروا في موضع (ما) من الإعراب : الرفع ، والنصب ، والجر ، فالرفع ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون معطوفاً على اسم الله ، أي الله يفتيكم ، والمثو (في الكتاب) في معنى اليتامى . قال

الزقزقي : يعني قوله : ﴿ وَإِنْ جُفَّتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْأَنْفُسِ ... ﴾ وهو قوله : أصعيني زيد وكرمه ، انتهى .

والثاني : أن يكون معطوفاً على الضمير المستكن في (يفتيكم) وحسن الفصل بينهما بالمفعول والجار والمجرور .

الثالث : أن يكون (ما يثَلِّ) مبتدأ ، و (في الكتاب) خبره ، على أنها جملة معترضة .

وقيل : في هذا الوجه الخبر محذوف ، والتقدير وما يثَلِّ عليكم في الكتاب في يتامى النساء لكم أو يفتيكم . وحذف لدلالة ما قبله عليه . وعلى هذا التقدير

يتعلق (في الكتاب) بقوله : ﴿ يثَلِّ عَلَيْكُمْ ﴾ . أو تكون في موضع الحال من الضمير في (يثَلِّ) بدل من (في الكتاب) .

وقال أبو البقاء : (في) الثانية تتعلق بما تعلقت به الأولى ، لأن معانيها يختلف ، فالأولى ظرف ، والثانية

بمعنى الباء ، أي بسبب اليتامى ، كما تقول : جئتك في يوم الجمعة ، في أمر زيد ، ويجوز أن تتعلق الثانية بـ (الكتاب)

الجمعة ، في أمر زيد ، ويجوز أن تتعلق الثانية بـ (الكتاب)

أي فيما كُتِبَ بحكم اليتامى، يجوز أن تكون الثانية حالاً فتصلق بمحذوف.

وأما النصب فعلى التقدير: ويبيّن لكم ما يتلى، لأنّ (يُفْتِيكُمْ) معناها يُبَيِّن، فدلّت عليها.
وأما الجرّ فن وجهين:

أحدهما: أن تكون الواو للقسم، كأنه قال: وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، والقسم بمعنى التعظيم، قاله الزّحّاشيّ.

والثاني أن يكون مطلقاً على الضمير المجرور في (فهيّن) قاله محمد بن أبي موسى، وقال: أفاتهم الله فيما سألو عنه وفي ما لم يسألوا عنه.

قال ابن عطية ويضعف هذا التأويل ما فيه من اللطف على الضمير المنفوض بغير إعادة حرف المنفوض.
قال الزّحّاشيّ ليس بسديد أن يطف على المجرور في (فهيّن) لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى، انتهى.

والذي أختار هذا الوجه وإن كان مشهور جمهور البصريين أنّ ذلك لا يجوز إلا في الشعر، لكن قد ذكرت دلائل جواز ذلك في الكلام، وأمنت في ذكر الدلائل على ذلك في تفسير قوله: ﴿وَكُفِّرْ بِهِ وَالْمُسْتَجِدَّ الْحَرَامَ﴾ البقرة ٢١٧، وليس مختلفاً من حيث اللفظ، لأنّنا قد استدللنا على جواز ذلك، ولأنّ من حيث المعنى كما زعم الزّحّاشيّ بل المعنى عليه، ويكون على تقدير حذف أي تكون لأدنى ملابس لما كان متلوّاً فهيّن صحّت الإضافة إليها. ومن ذلك قول الشاعر:

* إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة *

وأما قول الزّحّاشيّ: لاختلاله في اللفظ والمعنى،

فهو قول الزّجاج بعينه، قال الزّجاج: وهذا بعيد، لأنّه بالنسبة إلى اللفظ وإلى المعنى، أمّا اللفظ فهيّته يقتضي عطف المظهر على المضمّر وذلك غير جائز، كما لم يجوز قوله: (نساء لون به والأرحام) وأمّا المعنى، فإنّه تعالى أفنى في تلك المسائل، وتقدير العطف على الضمير يقتضي أنّه أفنى فيما يتلى عليكم في الكتاب، ومعلوم أنّه ليس المراد ذلك. وأمّا المراد أنّه تعالى يفتي فيما سألو من المسائل، انتهى كلامه.

وقد بيّنا صحة المعنى على تقدير ذلك المحذوف، والرفع على اللطف على الله أو على ضمير يخرج عن التأنيس، وعلى الجملة تخرج الجملة بأسرها عن التأنيس، وكذلك الجرّ على القسم، فالتصّب بإضمار فعل اللطف على الضمير يجعله تأسيساً. وإذا أراد الأمرين بالتأسيس، وتقدّم الكلام في تعلّق قوله: (في يتامى النساء).

وقال الزّحّاشيّ فإن قلت: يتمّ تعلّق بقوله: (في يتامى النساء)؟

قلت: في الوجه الأوّل هو صلة (يُتَلَى) أي يُتلى عليكم في معناه، ويجوز أن يكون (في يتامى النساء) بدلاً من (فهيّن)، وأمّا في الوجهين الأخيرين فبدل لاغير، انتهى كلامه.

وعني بقوله: في الوجه الأوّل أن يكون (وَمَا يُتَلَى) في موضع رفع، فأما ما أجاز في هذا الوجه من أنّه يكون صلة (يُتَلَى) فلا يحصّر إلا أن كان (في يتامى) بدلاً من (في الكتاب) أو تكون (في) للسبب لئلا يعلّق حرفاً جرّ بمعنى واحد بفعل واحد، فهو لا يجوز إلا إن كان على

طريقة البدل أو بالعطف.

وأما ما أجازته في هذا الوجه أيضاً في أن (في يتامى) بدل من (فيهن) فالظاهر أنه لا يجوز، للفصل بين البدل والمبدل منه بالعطف، وظاهر هذا التركيب: زيد يقيم في الدار وعمره في كسر منها، لفصلت بين «في الدار» وبين «في كسر منها» بالعطف، والتركيب المعهود: زيد يقيم في الدار في كسر منها وعمره، واتفق من وقفنا على كلامه في التفسير على أن هذه الآية إشارة إلى ماضى في صدر: هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وقوله: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ أَمْوَالَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي النِّسَاءِ فَابْكُوهَا فَاطَافَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ النساء: ٣، قالت عائشة رضي الله عنها: نزلت هذه الآية يعني ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي النِّسَاءِ...﴾ أولاً ثم سأل ناس بعد هذا رسول الله ﷺ عن أمر النساء، فنزلت ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ﴾ فعل ما قاله المفسرون وما نقل عن عائشة يكون (يُفْتِيكُمْ وَيُنْزِلُ) فيه وضع المضارع موضع الماضي، لأن الإفتاء والتلاوة قد سهقت.

الشَّارِبِي: وَيُفْتِيكُمْ أَيْضًا فِي ﴿وَمَا يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي القرآن من آية الميراث. (١: ٣٣٥)

أبو السعود: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنْزِلُ...﴾ بإسناد الإفتاء الذي هو بيان المبهمة وتوضيح المشكل إليه تعالى وإلى ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبارين، على طريقة قولك: «أغناني زيد وعطاؤه»، بطف (ما) على المبتدأ أو ضميره في الخبر، لمكان الفصل بالمفعول والجار

والجرور، وإيثار صيغة المضارع للإيذان باستمرار التلاوة ودوامها.

(في الكتاب) إتاء مصلق بـ (يتلى) أو محذوف وقع حالاً من المستكن فيه، أي يتلى كائناً فيه. [ثم أدام نحو الرُّخْضَرِيِّ] (٢: ٢٠٢)

نحوه المشهدي. (٢: ٦٣٩)

الهُوسِي: ﴿وَمَا يُنْزِلُ...﴾ عطف على اسم الله، أي يفتيكم الله وكلامه، فيكون الإفتاء مستنداً إلى الله وإلى ما في القرآن من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ النساء: ١١، في أوائل هذه السورة ونحوه، والفعل الواحد يُنسب إلى فاعلين بالاعتبارين، كما يقال: «أغناني زيد وعطاؤه» فإن المستند إليه في الحقيقة شيء واحد، وهو المحطوف عليه، إلا أنه عطف عليه شيء من أحواله، للدلالة على أن الفعل إنما قام بذلك التفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحال (في) شأن (يتامى النساء)...

وما ينزل في حقهن قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ أَمْوَالَهُنَّ﴾ النساء: ٢، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا...﴾ النساء: ٦، ونحوها من النصوص الدالة على عدم التمرس لأموالهن.

الألوسي: في (ما) ثلاثة احتمالات: الرفع، والنصب، والجر؛ وعلى الأول: إما أن تكون مبتدأ والخبر محذوف، وما ينزل عليكم في القرآن يفتيكم ويبين لكم، وإيثار صيغة المضارع للإيذان بدوام التلاوة واستمرارها، (وفي الكتاب) مصلق بـ (يتلى) أو محذوف وقع حالاً من المستكن فيه، أي يتلى كائناً في الكتاب.

وإما أن تكون مبتدأ، وفي الكتاب خبره، والمراد بالكتاب حيثند: اللوح المحفوظ، إذ لو أريد به معناه المتبادر لم يكن فيه فائدة إلا أن يتكلف له، والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المثلث، وما يثقل تناول لما ثلثي وما سيثقل.

وإما أن تكون معلقة على الضمير المستقر في (يُفْتِيكُمْ) وصح ذلك للفصل، والجمع بين الحقيقة والجاز في الجاز العقلي سائع شائع، فلا يرد أن الله تعالى فاعل حقيقي للفعل، والمثلث فاعل مجازي له، والإسناد إليه من قبيل الإسناد إلى السبب فلا يصح المطف، ونظير ذلك «أغواني زيد وعطاؤه».

وإما أن تكون معلقة على الاسم الجليل، والإيراد أيضا غير وارد، نعم المتبادر أن هذا اللفظ من عطف المفرد على المفرد، ويحذف إلهام الضمير، كما لا يخفى وعلى الثاني: تكون مفعولا لفعل محذوف، أي ويبين لكم ما يثقل، والجملة إما معلقة على جملة (يُفْتِيكُمْ) وإما معترضة.

وعلى الثالث: إما أن تكون في محل الجزر على القسم المنهي عن تعظيم المقسم به وتفخيمه، كآته قيل: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِ﴾، وأقسم «بما يُثْقَلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ».

وإما أن تكون معلقة على الضمير المجرور، كما نقل عن محمد بن أبي موسى، وماعند البصريين ليس برحي فيجب أتباعه، نعم فيه اختلال معنوي لا يكاد يتدفع.

وإما أن تكون معلقة على (النساء) كما نقله الطبرسي من بعضهم، ولا يعني ما فيه. (٥: ١٥٩)

رشيد رضاء: أي ويغنيكم في شأنهم ما يثقل عليكم في الكتاب مما نزل قبل هذا الاستفتاء، في أحكام معاملة يتامى النساء. [إلى أن قال:]

والمراد بهذا الذي يثقل عليهم في الضعفين - المرأة واليتيم - هو ما تقدم من الآيات في أول السورة من الآية الأولى، أو ما بعدها في آخر آيات الفرائض، يذكرهم الله تعالى بتلك الآيات المفصلة أن يتدبروها ويتأملوها معانيها ويعملوا بها. وذلك أن من طابع البشر أن يظلموا أو يتغافلوا عن دقائق الأحكام والعظات التي يراد بها إرجاعهم عن أهوائهم، وإذا توهوا أن شيئا منها غير قطعي وأنهم بالاستفتاء عنه ربما يفتون بما عليه التخفيف عنهم وموافقة رغبتهم، لجأوا إلى ذلك واستفتوا.

(٥: ١٤٤)

(٥: ١٧٠)

نحو المراعي.

الطباطبائي: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَثْقُلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ إلى قوله: «وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ» تقدم أن ظاهر السياق أن حكم يتامى النساء والمستضعفين من الولدان إنما تعرض له لاتصاله بحكم النساء، كما وقع في آيات صدر السورة، لا لكونه داخلها استفتوا عنه، وأنهم إنما استفتوا في النساء فحسب.

ولازمه أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَثْقُلُ عَلَيْكُمْ﴾ مطلقا على الضمير المجرور في قوله: (فبين) على ما يجوز القراء وإن منع عنه جمهور النحاة. وعلى هذا يكون المراد من قوله: ﴿وَمَا يَثْقُلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ إلخ، الأحكام والمعاني التي تتضمنها

الآيات النازلة في يناسى النساء والولدان، المودعة في أول السورة. والتلاوة كما يُطْلَق على اللفظ يُطْلَق على المعنى إذا كان تحت اللفظ، والمعنى: قل: الله يفتيكم في الأحكام التي تُبلى عليكم في الكتاب في يناسى النساء. وربما يظهر من بعضهم أنه يُطْفِئ قوله: ﴿وَمَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾، على موضع قوله: (فيين) بحتاية أن المراد بالإفتاء هو التبيين، والمعنى: قل الله يبين لكم ما يبلى عليكم في الكتاب.

وربما ذكروا الكلام تراكب آخر لا تخلو عن تمثف لا يتركب في كلامه تعالى مثله. كقول بعضهم: إن قوله: ﴿وَمَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾، مطوف على موضع اسم الجملة. في قوله: (قل الله)، أو على ضمير المستكن في قوله: (يُنَبِّئُكُمْ).

وقول بعضهم: إنه مطوف على (الناس) في قوله: (في النساء).

وقول بعضهم: إن الواو في قوله: ﴿وَمَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾، للاستيناف، والجملة مستأنفة، و﴿وَمَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾ مبتدأ، خبره قوله: (في الكتاب) والكلام مسوق للتظيم.

وقول بعضهم: إن الواو في قوله: ﴿وَمَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾، للقسم، ويكون قوله: ﴿في يناسى النساء﴾ بدلاً من قوله: (فيين) والمعنى: قل الله يفتيكم - أقسم بما يبلى عليكم في الكتاب - في يناسى النساء إلخ. ولا يخفى ما في جميع هذه الوجوه من التمثف الظاهر. (٥: ٩٩) محمد حسين فضل الله: ﴿وَمَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾ في الكتاب، ربما كانت هذه الفقرة مطوفاً على الضمير في

كلمة (فيين) باعتبار أن الفتيا شاملة لما سألوا عنه ولما لم يسألوا عنه، في ما يتعلق بالقضات التي قد يحتاج الناس إلى معرفة حكمها، من جهة حالة الضعف التي تُفري الناس بالاعتداء، وبمنهم من حقوقهم المفروضة لبعض تالاعتبارات غير الإنسانية.

وعلى هذا، فإن المراد بما جاء في قوله: ﴿وَمَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾ هو ما تقدم الحديث عنه في أول هذه السورة، في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ يَخْلَعُوا...﴾ النساء: ٣، وفي الآيات الأخرى المعرضة لبعض ذلك. (٧: ٤٨٤)

٢- بآياتها الذين آمنوا أو فوا بالقود أجلت لكم نعمة الأنعام إلا ما يبلى عليكم غير هبل الشيد وأنتم المائدة: ١

ابن عباس: إلا ما حرم عليكم في هذه السورة.

(٨٧)

هي الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به. نحوه مجاهد والسدي. (الطبري ٦: ٥١)

الخنزير

نحو الضحاك. (الطبري ٦: ٥٢)

فتادة: أي من الميتة التي نهى الله عنها، وقدم فيها.

(الطبري ٦: ٥١)

إلا الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه. (الطبري ٦: ٥١)

الفرأه: وقوله: ﴿إِلَّا مَا يُبَلِّغُكُمْ عَنْ رَبِّكُمْ﴾ في موضع

نصب بالاستثناء، ويجوز الرفع، كما يجوز قام القوم إلا

زيداً وإلا زيد. والمعنى فيه: إلا ما نهى الله لكم من تحريم

ما يحرم وأنتم محرمون، أو في الحرم. (١: ٢٩٨)

ابن قتيبة: مما حُرِّم. (١٣٨)
 الطَّبْرِي: اختلف أهل التأويل في الذي عناء الله
 بقوله: ﴿إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾ فقال بعضهم: عنى الله
 بذلك: أحلت لكم أولاد الإبل والبقر والغنم، إلا ما بين
 الله لكم، فيما يتلى عليكم، بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ
 وَالدَّمُ﴾ المائدة: ٣.

وقال آخرون: بل الذي استثنى الله بقوله: ﴿إِلَّا
 مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾ التحريم.
 وأول التأولين في ذلك بالصواب، تأويل من قال:
 عنى بذلك: إلا ما يتلى عليكم من تحريم الله ما حُرِّم
 عليكم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ المائدة: ٣.
 لأن الله عز وجل استثنى مما أباح لعباده من بهيمة الأنعام،
 ما حُرِّم عليهم منها، والذي حُرِّم عليهم منها ما يتلى في
 قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ وإن
 كان حُرِّم الله علينا، فليس من بهيمة الأنعام، فيستثنى
 منها، فاستثناء ما حُرِّم علينا مما دخل في جملة ما قبل
 الاستثناء، أشبه من استثناء ما حُرِّم، مما لم يدخل في
 جملة ما قبل الاستثناء. (٥١: ٦)

الزَّجَّاج: موضع (ما) نصب بدل (إلا)، وتأويله أحلت
 لكم بهيمة الأنعام ﴿إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾ من الميتة والدَّم
 والموقودة والمتردية والتطليعة، [إلى أن قال:]

وقال بعضهم: يجوز أن تكون (ما) في موضع رفع
 على أنه يذهب إلى أنه يجوز: جاء إخوانك إلا زيد، وهذا
 عند البصريين باطل، لأن المعنى عند هذا القائل جاء
 إخوانك و[ط: لا] زيد، كأنه يعطف بها كما يعطف
 بـ«لا»، ويجوز عند البصريين جاء الرجال إلا زيد على

معنى جاء الرجال غير زيد، على أن تكون للنكرة، أو
 ما قارب النكرة من الأجناس. (١٤١: ٢)
 نحوه ابن عطية. (١٤٥: ٢)
 الطُّوسِي: إذكر التأولين كما ذكرها الطَّبْرِي ثم
 قال:

والأول: أقوى: لأن قوله: ﴿إِلَّا مَا يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾
 يجب حمله على عمومه في جميع ما حُرِّم الله تعالى في
 كتابه، والذي حُرِّمه هو ما ذكره في قوله: ﴿حُرِّمَتْ
 عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لِقَافِ اللَّهِ
 بِهِ...﴾ المائدة: ٣. والتحريم وإن كان محرمًا، فليس من
 بهيمة الأنعام. فحق حملناه عليه كان الاستثناء منقطعًا،
 وهو من جنسنا بالميتة والدَّم، كان الاستثناء متصلًا. وإن
 حملناه على الكل نكون غلبنا حكم الميتة وما ذكر بعده،
 فيكون الاستثناء أيضًا حقيقة ومتصلًا. واختار الطَّبْرِي
 تلخيصه بالميتة والدَّم، وما أهل لتغير الله به. قال الحسين
 ابن علي المغربي (إلا ما يتلى) معناه من البعيرة والسائبة
 والوصيلة فلا تكون الحُرِّم، واستثنى هاهنا ما حُرِّم تعالى
 فلا يليق بذلك. (١٦٦: ٣)

الواحدِي: أي إلا ما يقرأ عليكم في القرآن مما حُرِّم
 عليكم، وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ...﴾ المائدة: ٣.
 (١٤٨: ٢)

نحوه البَغَوِي (٦: ٢)، والحَازَن (٣: ٢)، ورشيد رضا
 (٦: ١٢٤)، والمَراغِي (٦: ٤٣)، والطَّبَّاطِبَائِي (٥: ١٦٦)،
 الصَّبَّادِي: يعني غير ما نهى الله عز وجل عن أكله
 مما حُرِّم عليكم في القرآن يقرأ عليكم، وذلك في قوله:
 ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ إلى قوله:

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ المائدة: ٣، وكذلك في قوله تعالى وتقدس: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْثَالَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شُرَكَاءَ فِي مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ الأنعام: ١٢١.

الْمُفْخَرِيُّ: إِلَّا مَحْرَمٌ مَا يُبَلِّغُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ، من نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثِلُهُ...﴾، أو إِلَّا مَا يُبَلِّغُ عَلَيْكُمْ آيَةَ تَحْرِيمِهِ.

مثله البَيْضَاوِيُّ (١: ٢٦٠)، ونحوه النُّسَافِيُّ (١: ٢٦٨)، وأبو الشَّوَرِد (٢: ٢٣٣)، والمُشْهَدِيُّ (٣: ٦).

ابن الأنباري: (مَا) في موضعه وجهان: أحدهما: أن يكون منصوبًا على الاستثناء من (بهيمة)، والثاني: أن يكون مرفوعًا، لأنه صفة (بهيمة الأنعام) كما تقول: أُلْحِثَ لَكُمْ بهيمة الأنعام غير ما يبل، فإذا أُقْبِضَ «إِلَّا» وما بعدها مقام «غير» رفعت ما بعد «إِلَّا» والوجه الأول أوجه الوجهين.

الفخر الرازي: وأعلم أن ظاهر هذا الاستثناء بجمل، واستثناء الكلام الجمل من الكلام المفضل يجعل ما بقي بعد الاستثناء مجملًا أيضًا، إلا أن المفسرين أجمعوا على أن المراد من هذا الاستثناء هو المذكور بعد هذه الآية، وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثِلُهُ...﴾.

هذا أن قوله: ﴿أُلْحِثَ لَكُمْ بهيمة الأنعام﴾ يقتضي إحلالها لهم على جميع الوجوه، فبين الله تعالى أنها إن كانت ميتة، أو موقوفة أو متردية أو مطيعة أو افترسها السبع أو ذُبِحت على غير اسم الله تعالى، فهي محرمة.

الْقُرْطُبِيُّ: أَي يقرأ عليكم في القرآن والسنة من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثِلُهُ...﴾، وقوله عليه

الصلوة والسلام: «وكل ذي ناب من السباع حرام».

فإن قيل: الذي يُبَلِّغُ علينا الكتاب ليس السنة؟

قلنا: كل سنة لرسول الله ﷺ فهي من كتاب الله، والذليل عليه أمران:

أحدهما: حديث العسيف «لأقضي بينكما بكتاب الله» والرجم ليس منصوبًا في كتاب الله.

الثاني: حديث ابن مسعود: ومالي لألغن من لئن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله..

ويجمل: ﴿إِلَّا مَا يُبَلِّغُ عَلَيْكُمْ﴾ الآن، أو «مَا يُبَلِّغُ عَلَيْكُمْ» فيها بعد من مستقبل الزمان، على لسان رسول الله ﷺ، فيكون فيه دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الاحتراق إلى تعجيل الحاجة.

أبو القتيان: هذا استثناء من «بهيمة الأنعام» والمعنى: إِلَّا مَا يُبَلِّغُ عَلَيْكُمْ تَحْرِيمَهُ، من نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثِلُهُ...﴾.

وقال القرطبي: ومعنى (يُبَلِّغُ عَلَيْكُمْ) يقرأ في القرآن والسنة، ومنه: «كل ذي ناب من السباع حرام»، [ثم نقل كلام الفخر الرازي وأضاف:]

وموضع ما نصب على الاستثناء، ويجوز الرفع على الصفة (للبهيمة).

قال ابن عطية: وأما بعض الكوفيين أن يكون في موضع رفع على البدل، وعلى أن تكون (إِلَّا) عاطفة، وذلك لا يجوز عند البصريين إلا من نكرة أو ما قاربها من أسماء الأجناس، نحو قولك: جاء الرجل إلا زيد، كأنك قلت: غير زيد انتهى.

وهذا الذي حكاه عن بعض الكوفيين من أنه في

موضع رفع على البدل لا يصح ألبة، لأن الذي قبله موجب، فكما لا يجوز: قام القوم إلا زيد على البدل، كذلك لا يجوز البدل في «إلا ما يئسلى عليكم».

وأما كون (إلا) عاطفة فهو شيء ذهب إليه بعض الكوفيين كما ذكر ابن عطية، وقوله: وذلك لا يجوز عند البصريين، ظاهره الإشارة إلى وجهي الرفع البدل والطف، وقوله: إلا من ذكره، هذا استثناء مبهم لا يدري من أي شيء هو، وكلا وجهي الرفع لا يصلح أن يكون استثناء منه، لأن البدل من الموجب لا يميزه أحد علمناه لا بصري ولا كوفي.

وأما الطف فلا يميز بصري ألبة، وإنما الذي يميزه البصريون أن يكون نعتاً لما قبله، في مثل هذا التركيب، وشرط فيه بعضهم ما ذكر من أنه يكون من المنعوت نكرة أو مقار بها من أسماء الأجناس، قبل عمل ابن عطية اختلط عليه البدل والنعت، ولم يفرق بينهما في الحكم.

ولو فرضنا تبعية ما بعد (إلا) لما قبلها في الإعراب على طريقة البدل حتى يسوغ ذلك، لم يشترط تنكير ما قبل (إلا) ولا كونه مقارباً للنكرة من أسماء الأجناس، لأن البسول والمبدل منه يجوز اختلافاً بالشك والتعريف.

ابن كثير: [نقل قول ابن عباس وقتادة ثم قال:] والظاهر - والله أعلم - أن المراد بذلك قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْسِنَتُهُ...» فإن هذه وإن كانت من الأسماء إلا أنها تحرم هذه العوارض، ولهذا قال: «إلا ما ذكركم وما ذبح على النصب» يعني منها، فإنه حرام

لا يمكن استدراكه وتلاحقه، ولهذا قال تعالى: «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُسَلَّى عَلَيْكُمْ» أي إلا ما سئل عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال. (٢: ٤٧٢) الشرييني: أي تحريمه، في قوله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْسِنَتُهُ...» استثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم عرض من الموت ونحوه. (١: ٣٥٠) الألوسي: ذكر ابن الشبكي وغيره أن قوله تعالى: «إلا ما يئسلى عليكم» يحمل للمجهول بمعنى قبل نزول بيته، ويسري الإجمال إلى ما تقدم، ولكن ليس محل النزاع.

والاستثناء متصل من (بهيمة) بتقدير مضاف محذوف من (ما يئسلى) أي إلا محرم «ما يئسلى عليكم»، ومعنى بالمحرم الميتة، و«وما أهل لغير الله به...» إلى آخر ما ذكر في الآية الثالثة من السورة، أو من فاعل (يئسلى)، «إلا ما يئسلى عليكم» آية تحريمه، لتكون (ما) عبارة عن البهيمة المحرمة لا اللفظ المتلوة، ويجوز اعتبار التجوز في الإسناد من غير تقدير، وليس بالبعد.

وأما جعله مفرغاً من الموجب في موضع الحال، أي لإكائه على الحالات المتلوة، فبعد - كما قال الشهاب - جداً. وذهب بعضهم إلى أنه منقطع بناءً على الظاهر، لأن المتلوة لفظ، والمستثنى منه ليس من جنسه.

والأكثر على الأول، وحمل المستثنى النصب، وجوز الرفع على ما حقق في النحو. (٦: ٥٠) سيد قطب: وهو الذي سيرد ذكره محرمًا، إما حرمة وقتية أو مكانية، أو حرمة مطلقة في أي مكان، وفي أي زمان. (٢: ٨٣٧)

والمنخلفة، والموقوفة، والمتردة، والتطية، وما أكل
الشبع، وما ذبح على النصب، فإن ذلك كله رجس.

(١٧: ١٥٣)

مثله المرائغي. (١٧: ١١٠)

نحوه الزجاج (٣: ٤٢٤)، والزنجشري (٣: ١٢).

والبقوي (٣: ٣٢٨)، والطبرسي (٤: ٧٢)، والخازن (٥:

١٣)، والسنيني (٣: ١٠١)، وأبو حيان (٦: ٣٦٦).

الطوسي: [مثل الطبري ثم أضاف:]

وقيل: وأحلّت لكم الأنعام من الإبل، والبقر،

والغنم، في حال إحرامكم ﴿إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من

الصيد، فإنه يحرم على المحرم. (٧: ٣١١)

ابن خزيمة: ﴿إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ﴾ عليهم في كتاب الله

تعلق في غير موضع. (٤: ١٢٠)

الفخر الرازي: ﴿مَا يُبْتَلَىٰ﴾ في كتاب الله من

الحرمات من النعم، وهو المذكور في سورة المائدة، قوله:

﴿غَيْرَ مَبْنِيٍّ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ

عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ١، ٣، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ

أَمْرُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الأنعام: ١٢١.

نحوه الثيسابوري. (١٧: ٩٥)

أبو البقاء: يجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، لأنَّ

جميع الأنعام ليس فيها حرّم، ويجوز أن يكون متصلاً

ويُصَرَّف إلى ما حرّم منها بسبب عارض، كالموت ونحوه.

(٢: ٩٤١)

ابن عربي: ﴿إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في سورة

المائدة من الرذائل المشبهة بالفضائل، وهي التي

محمد جواد صفينية: (ما) في محل النصب على

الاستثناء المتصل من (بهيئة). وقد تلا علينا جلّ تلوّه

صفيين من الأنعام: الأول ما أشار إليه بقوله: ﴿غَيْرَ مَبْنِيٍّ

الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، والثاني ما أشار إليه في الآية الثالثة:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ السَّيِّئَةُ وَالذَّمُّ﴾. (٣: ٦، ٧)

طه الذّرة: (إلّا) أداة استثناء، (ما) محتمل

الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على التكون في نصب

على الاستثناء من (بهيئة). (يُبتلى) مضارع مبني

للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدّرة على الألف

للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى (ما)، وهو العائد أو

الزائد.

وأصل الكلام: ﴿إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه أو آية

تحريمه، فحذف المضاف الذي هو «آية»، وأقيم المضاف

إليه مقامه، ثم حذف المضاف ثانياً، وأقيم الضمير المجرور

مقامه، فانقلب الضمير المجرور مرفوعاً، واستتر في

(يُبتلى)، وعاد على (ما).

وقدّره الزنجشري في «الكشاف»: إلّا حرّم ما يبتلى

عليكم.

والأوّل أقوى، والجملة الفعلية: ﴿يُبتلى عَلَيْكُمْ﴾

صلة (ما)، أو صفتها، (عَلَيْكُمْ): متعلقان^(١) بالفعل

قبلها. (٣: ٢٠٨)

٣... وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنْعَامُ إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ...

الحج: ٣٠

الطبري: إلّا ما يبتلى عليكم في كتاب الله، وذلك:

الميتة، والدم، ونحم الخنزير، وما أهل لغير الله به،

صدرت من النفس، لاعلى وجهها، ولاهلى ما ينهى من أمرها بالزنازل المفضة، فإنها محرمة، في سبيل الله على السالكين. (١٠٤: ٢)

أبو الشعود: أي «إِلَّا مَا يُشْتَلَى عَلَيْكُمْ» آية تحريمه، استثناء متصل منها على أن (مَا) عبارة عما حُرِّم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى.

والجملة اعتراض جوي به تقريراً لما قبله من الأمر بالأكل والإطعام، ودفعاً لما عسى يُشَوِّه أن الإحرام يحرمه كما يحرم الصيد. وعدم الاكتفاء ببيان، عدم كونها من ذلك القبيل، يحمل الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المهدودة، خاصة لتلا يحتاج إلى الاستثناء المذكور؛ إذ ليس فيها ما حُرِّم لعارض قطعاً لمراماة جنس التخلص إلى ما بعده من قوله تعالى: «فَاخْتَبِرُوا الرِّغْيَى مِنَ الْاَوْثَانِ» فإنه مترتب على ما يفيد قوله تعالى: «وَمَنْ يُظَلِّمْ حُرُوبَاتِ اللَّهِ» المحسج: ٣٢ من وجوب مراعاتها، والاجتناب عنه من الحرّمات عن حتكها.

(٣٧٩: ٤)

نحوه البر وسوي.

الأكوسي: أي «إِلَّا مَا يُشْتَلَى عَلَيْكُمْ» آية تحريمه، استثناء متصل، كما اختاره الأكثرون، منها على أن (مَا) عبارة عما حُرِّم، منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى.

وجوّز أن يكون الاستثناء منقطعاً، بناء على أن (مَا) عبارة عما حُرِّم في قوله سبحانه: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْحَيْثَةُ...»، وفيه مالمس من جنس الأنعام. والفعل على الوجهين لم يُرد منه الاستقبال، لسبق تلاوة آية

التحريم، وكان التعبير بالمضارع استحضاراً للمصورن الماضية لمزيد الاعتناء.

وقيل: التعبير بالمضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي المناسب للمقام، والجملة معترضة مقررة لما قبلها من الأمر بالأكل والإطعام، ودفعاً لما عسى يُشَوِّه أن الإحرام يحرم ذلك كما يحرم الصيد. (١٤٧: ١٧)

الطباطبائي: والمراد بقوله: «مَا يُشْتَلَى عَلَيْكُمْ» استمرار التلاوة، فإنّ حرّمات الأكل نزلت في سورة الأنعام وهي مكتبة. وفي سورة التحل، وهي نازلة في آخر عهد ﷺ وأوّل عهد بالمدينة، وفي سورة البقرة، وقد نزلت في أوائل الهجرة بعد مضي ستة أشهر منها - على ما روي - ولا موجب لجعل (يُشْتَلَى) للاستقبال، ولأخذ إشارة إلى آية سورة المائدة، كما فعلوه.

(٣٧٢: ١٤)

مكارم الشيرازي: عبارة «إِلَّا مَا يُشْتَلَى عَلَيْكُمْ» يمكن أن تكون إشارة إلى تحريم الصيد على الحرم الذي شرع في سورة المائدة: ٩٥، حيث تقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ».

كما يمكن أن تكون إشارة إلى عبارة جاءت في نهاية الآية - موضع البحث - التي تخصّ تحريم الأضحية التي تُذبح للأصنام التي كانت متداولة زمن الجاهلية، لأننا نعلم أن تذكية الحيوان تستوجب ذكر اسم الله عليه عند الذبح، ولا يجوز ذكر اسم الصنم أو أي اسم آخر عليه. (٣٠٢: ١٠)

لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُخَالِ

عَلَيْهِمْ...

العنكبوت: ٥١

دينك .

(١٥٦: ٧)

الطوسي: بين أن في القرآن دلالة واضحة وحجة بالغة، يتزاح معه العلم وتقوم به الحجة، لا يحتاج معه إلى غيره في الوصول إلى العلم بصحة نبوته، وأنه مبعوث من عند الله، مع أن إظهار المعجزات مع كونها لإزاحة الالفة يراعى فيها المصلحة.

نحو، ملخصاً أبو السعود. (١٥٧: ٥)

البروسوي: «يُشْتَلَى عَلَيْكُمْ» بلغت في كل زمان ومكان. [ثم قال نحو الخازن وأضاف:]

وفيه إشارة إلى صمى بصر قلوبهم: حيث لم يروا الآية الواضحة التي هي القرآن حتى طلبوا الآيات، وإلى تيسير قراءة مثل هذا القرآن في غير كاتب وقارئ، وإنزاله عليه وحفظه لديه وإحاطة بيانه إلهه، آية واضحة. (٤٨٣: ٦)

فإذا كانت المصلحة في إظهار نوع منها لم يجر إظهار غيرها، ولو أظهر الله الأعلام التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا، لاقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت في الأمم الماضية، وقد وعد الله أن هذه الأمة لا تعذب بعذاب الاستئصال، كما قال: «وَعَسَاءَ أَنْ تَزِيدَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» الإسراء: ٥٩.

الطوسي: [نحو أبو حيان ملخصاً وأضاف:]

وله وجه، إن كان ضمير (قَالُوا) فيها تقدم لأهل الكتاب، وأما إذا كان لكفار قريش، فلا يلحق ما فيه.

(١٨: ٨)

(٦: ٢١١)

الخازن: معناه أن القرآن معجزة آتم من معجزات غيره، أي أما كفاهم دليلاً على صدقك إنزالنا تقدم من الأنبياء، لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تتصلح كما تزول كل آية بعد كونها. (١٦٣: ٥)

أبو حيان: أي أو لم يكفهم آية مضية عن مائر الآيات إن كانوا طالبين للحق، غير متمنعين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا تزالهم آية ثابتة لا تزول ولا تتصلح كما تزول كل آية بعد وجودها، ويكون في مكان دون مكان، إن في هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان (لَرْحْمَةً) لنعمة عظيمة لا تنكر.

نحو، مكارم الشيرازي. (٣٩٢: ١٢)

عبد الكريم الخطيب: إنها آيات لا تغرب شمسه، ولا يخبو ضوءها أبد الدهر. (٤٥٢: ١١)

أبو حيان: أي أو لم يكفهم آية مضية عن مائر الآيات إن كانوا طالبين للحق، غير متمنعين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا تزالهم آية ثابتة لا تزول ولا تتصلح كما تزول كل آية بعد وجودها، ويكون في مكان دون مكان، إن في هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان (لَرْحْمَةً) لنعمة عظيمة لا تنكر.

هـ - وَلَذِكْرُنَا يُشَلَّى فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا. الأحزاب: ٣٤

أبو حيان: قرأ زيد بن علي (ماتشلى) بقاء التأنيت،

وقيل: أو لم يكفهم، يعني اليهود أننا أنزلنا عليك الكتاب يملأ عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعمك ونعت

والجمهور بالياء. (٢٣٢: ٧)

أبو السُّعُود: والتَّعَرُّضُ للتلاوة في البيوت - وإن كان التَّوَلُّوْل فيها مع أنه الأنسب، لكونها مهبط الوحي - لعمومها لجميع الآيات، ووقوعها في كل البيوت، وتكررها الموجب لتمكُّنهنَّ من الذكر والتذكير، بخلاف التَّوَلُّوْل.

وعدم تعيين التَّالِي لتعمُّ تلاوة جبريل، وتلاوة النبي عليها الصَّلَاة والسلام، وتلاوتهنَّ وتلاوة غيرهنَّ تعليمًا وتعلُّمًا. (٢٢٦: ٥)

مثله البرُّوسِيّ.

الْأَلُوسِيّ: أي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير. وقيل: أي تذكرن ولا تنسين من كل بيوتكن. [إلى أن قال:]

أي اذكرن ما يُتلى من الكتاب الجامع لجميع كونه آيات الله تعالى البيّنة الدالة على صدق النبوة بأوجه شتى، وكونه حكمة مطلوبة على فنون العلوم والشرائع. وهذا تذكير بما أنتم عليهنَّ، حيث جعلهنَّ أهل بيت النبوة. [إلى أن ذكر مثل أبي السُّعُود ثم أضاف:]

وقيل: إن ذلك [التَّعَرُّضُ للتلاوة دون التَّوَلُّوْل] لرعاية الحكمة، بناء على أن المراد بها الشِّعْر، فإنها لم تنزل نزول القرآن، ونسب بأنها لم تُتلى أيضًا تلاوته.

(٢٢: ٢٠)

تُتلى

١- وَكَتَبْتَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتلى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَبَيْنَكُمْ رَسُولٌ...
آل عمران: ١٠١

الْقَيْسِيّ: «وَأَنْتُمْ تُتلى عَلَيْكُمْ» ابتداء وخبر، في موضع الحال من المضمَر في (تَكْفُرُونَ)، ومثله: «وَبَيْنَكُمْ رَسُولٌ».

الرَّمَضَانِيّ: «تُتلى عَلَيْكُمْ» على لسان الرسول غصّة طرية، وبين أظهركم رسول الله ﷺ ينهيككم وينظكم ويُرِج شبيكم.

نحوه النَّسِّي (١: ١٧٣)، والنَّسْرِيّ (١: ٢٣٦)، والثَّابُورِيّ (٤: ٢٦).

ابن عَطِيَّة: قرأ جمهور الناس (تُتلى) بالقاء من فوق، وقرأ الحسن: (يُتلى) بالياء؛ إذ الآيات هي القرآن.

أبو حَتَّان: وقرأ الجمهور (تُتلى) بالقاء، وقرأ الحسن والأعمش (يُتلى) بالياء، لأجل الفصل، ولأنَّ التَّائِيثَ غير حقيقي، ولأنَّ الآيات هي القرآن. (٣: ١٥)

الْأَلُوسِيّ: ولم يستند سبحانه التلاوة إلى رسوله عليه الصَّلَاة والسلام إشارة إلى استقلال كلٍّ من الأمرين في الباء، وإيداناً بأنَّ التلاوة كافية في الغرض من أيِّ حال كانت.

الطَّبَّاطِبَائِيّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» إلى قوله: «وَبَيْنَكُمْ رَسُولٌ» آل عمران: ١٠٠، ١٠١.

المراد بالتفريق كما تقدّم هم اليهود أو فريق منهم، وقوله تعالى: «وَأَنْتُمْ تُتلى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَبَيْنَكُمْ رَسُولٌ» أي يمكنكم أن تعتصموا بالحق الذي يظهر لكم بالإشارات إلى آيات الله والتدبر فيها، ثم الرجوع فيها خفي عليكم منها لقلة التدبر، أو الرجوع ابتداءً إلى رسوله الذي هو فيكم غير محتجب عنكم ولا يغيب

عنكم، واستظهار الحق بالرجوع إليه، ثم إبطال شبه ألفتها اليهود إليكم، وأنتك يا آيات الله ورسوله والاعتصام بهما اعتصام بالله ﴿وَمَنْ يَتَصَبَّرْ بِمَا هُوَ فَفَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: ١٠١.

(٣: ٣٦٥)

٢- وَإِذَا تُنْثَلِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَنُفْلِكَنَّ بِهَذَا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْطَابُ الْأَوَّلِينَ. الأنفال: ٣١
ابن عباس: على التضرع من الحارث وأصحابه.

(١٤٧)

نحوه ابن جرير، والشدي، وسعيد بن جبيرة.

(الطبري ٩: ٢٣١)

الطبري: حل هؤلاء الذين كفروا.

(الطبري ٢٣٢: ٢٣٢)

نحوه ابن عطية.

(٢: ٥٢٠)

٣- وَإِذَا تُنْثَلِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَابِ قَالِ الَّذِينَ لَا يَزُجُونَ لِقَاءَنَا أَنتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ...

يونس: ١٥

ابن عباس: [إذا] تُقرأ على المستهزئين الوليد بن المغيرة وأصحابه.

قَتَادَةَ، (عَلَيْهِمْ) يعني مشركي مكة.

(البقوي ٢: ٤١٣)

نحوه الطبري (١١: ٩٤)، والواحدي (٢: ٥٤١).

ابن عطية: هذه الآية نزلت في قريش، لأن بعض كفارهم قال هذه المقالة^(١).

(٣: ١١٠)

أبوحيان: وإذا تسرد عليهم آيات القرآن.

(٥: ١٣١)

أبو السعود: التفات من خطابهم إلى النبية، إعراضاً عنهم، وتوجيهاً للخطاب إلى رسول الله ﷺ بتعدد جنائياتهم المضادة، لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول، والكفر بالآيات البينات وغير ذلك، كدأب من قبلهم من القرون المهلكة. وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي، حسب تجدد التلاوة. [إلى أن قال:]

وإيراد فعل التلاوة مبنيًا للمفعول مستندًا إلى الآيات

فإن رسول الله ﷺ بينائه للفاعل، للإشعار بعدم الحاجة لتعين القائل، وللايدان بأن كلامهم في نفس المثلوث دون

(٣: ٢٢٠)

نحوه الألبسي.

رشيد رضا: في الآية التفات من خطاب هؤلاء الموهوبين إلى النبية عنهم، وتوجيه له إلى الرسول ﷺ. وأسلوب الالتفات في القرآن كثير جداً، وفائدته العامة تلوين الكلام بما يجدد الانتباه له والتأمل فيه.

ويظهر في هذه الآية أن نكتة حكاية هذا الافتراح التخفيف بأسلوب الإخبار عن قوم غائبين إفادة أمرين: أحدهما: إظهار الإعراض عنهم كأنتهم غير حاضرين، لأنهم لا يستحقون الخطاب به من الله تعالى. ثانيها: تلفيته ﷺ الجواب عنه بما ترمى من العبارة البليغة التأثير.

والمعنى وإذا تُنْثَلِ على أولئك القوم آياتنا المنزلة

(١) أي: [أنت بقُرْآنٍ غير هذا...].

حالة كونها بارزة في أصلي معارض البيان، وأظهر مقدمات الوحي والبرهان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ...﴾ الخ.

(٣١٨: ١١)

الطَّبَاطِبَائِي: هؤلاء المذكورون في الآية كانوا قوماً وثنيين يقدسون الأصنام ويعبدونها، ومن سنهم التوفل في المظالم والآثام واقتراف المعاصي، والقرآن ينهى عن ذلك كله، [إلى أن قال:]

وفي قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ...﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة، والظاهر أن النكته فيه أن يكون توطئة إلى إلقاء الأمر إلى النبي ﷺ بقوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ الخ، فإن ذلك لا يتم إلا بصرف الخطاب عنهم، وتوجيهه إليه.

(٣١٨: ١٠)

وإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ... الخج: ٧٦

الطَّبَرِيُّ: حل مشركي قريش العابدين من دون الله، عالم ينزل به سلطاناً.

(٢٠١: ٧١)

نحوه ابن عطية.

أَبُو الشُّعُود: ﴿وَإِذَا تُتْلَى...﴾ صطف على ﴿يَغْضُدُونَ﴾ الخج: ٧٠، وماينها اعتراض، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي. (٣٩٧: ٤)

منه الأوسي.

هـ - وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَمْ يُسْتَخِيرْ كَانَتْ لَمْ يَسْتَفْهَمُوا... لقمان: ٧

الطَّبَرِيُّ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى...﴾ على هذا الذي اشترى

هو الحديث للإضلال عن سبيل الله. (٢١: ٦٤)

التَّبِيدِي: هذا دليل على أن الآية السابقة نزلت في الثفرين الحارث.

(٤٨٧: ٧)

أَبُو حَيَّان: بدأ أولاً بالحمل على اللفظ فأفرد في قوله: ﴿مَنْ يَشْتَرِ﴾ و(الْحِلُّ) و(يُخَذُّهَا) لقمان: ٦، ثم جمع على الضمير في قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ﴾ ثم حمل على اللفظ فأفرد في قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى﴾ إلى آخره. و(مَنْ) في ﴿مَنْ يَشْتَرِ﴾ موصولة. ونظيره في «من» الشرطية، قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ فابعد أفرد، ثم قال: ﴿عَالِدِينَ﴾ تجمع، ثم قال: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكَ رِزْقًا﴾ الطلاق: ١١، فأفرد.

ولا نعلم جاء في القرآن ما حمل على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ غير هاتين الآيتين والشحوتون

يذكرون ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ الآية فقط. ويستدلون بها على أن هذا المعجم جارٍ في «من» الموصولة ونظيرها مما لم يثن ولم يجمع من الموصولات.

(١٨٤: ٧)

نحوه الأوسي.

الشَّرْبِينِي: أي تتجدد عليه تلاوتها، أي تلاوة القرآن من كل تالٍ كان.

(١٨٢: ٣)

أَبُو الشُّعُود: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ﴾ أي على المشتري، أفرد الضمير فيه وفيما بعده، كالضائر الثلاثة الأول، باعتبار لفظة (من) بعد ما جمع فيها بينها باعتبار معناها.

(١٨٦: ٥)

نحوه البروسوي.

(٦٦: ٧)

الطَّبَاطِبَائِي: [نحو أبي الشعود ثم أضاف:] ومن الممكن أن يكون ضمير (هَمْ) في الآية السابقة

اتل

١- **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ ...** المائدة: ٢٧
الطَّبَرِيُّ : واتل على هؤلاء اليهود، الذين هموا أن
يسطوا أيديهم إليكم، عليك وعلى أصحابك معك،
وعزفهم مكروه عاقبة القتل والمكر. (١٨٦: ٦)
ابن قعطية : معناه أسرد وأسمهم إياه، وهذه من
علوم الكتب الأول التي لا تعلق لهتمد بها إلا من
طريق الوحي، فهو من دلائل نبوته،
والضمير في (عليهم) ظاهر أمره أنه يراد به بنو
إسرائيل، لوجهين:

أحدهما: أن المأورة فيها تقدم إنما هي في شأنهم
والأما المخرج عليهم، بسبب هتمهم بيط اليد إلى
هتمد

وَالْحَقُّ لَدُنَّ عِلْمِ رَبِّكَ ابْنِ آدَمَ، إنما هو عندهم وفي
خامس كتبهم، وعليهم تقوم المحجة في إيراد، (١٧٨: ٢)
الْفَخْرُ الرَّازِي : **«وَاتْلُ عَلَيْهِمْ»** فيه قولان:
أحدهما: واتل على الناس، والثاني: واتل على أهل
الكتاب. (٢٠٣: ١١)

الْقُرْطُبِيُّ : وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التنبيه
من الله تعالى على أن ظلم اليهود، ونقضهم المواثيق
والعهد كظلم ابن آدم لأخيه.

المعنى: إن هم هؤلاء اليهود بالفتك بك يا محمد فقد
قتلوا قتل الأبياء، وقتل قابيل هابيل، والشتر قديم.
أي ذكرهم هذه القصة فهي قصة صديق، لا كالأحاديث
الموضوعة: وفي ذلك تبيكت لمن خالف الإسلام، وتسلية
لنبي ﷺ. (١٣٣: ٦)

راجعاً إلى مجموع المطل والضاكين المدلول عليهم
بالسياق، فتكون الضمائر الزاجعة إلى (من) مفردة جميعاً.
(١٦٠: ٢١٠)

٦- **يَسْتَعِزُّ بآيَاتِ اللَّهِ تُثَلِّ عَلَيْهِ ثُمَّ يُغِرُّ مُشْتَكِرًا**
كَأَن لَّمْ يَسْتَفْهَمْ قَبْضُهُ بِعَذَابِ اللَّهِ. الجاثية: ٨
الشَّارِبِينِي : **«تُثَلِّ عَلَيْهِ»** جميع ما فيها [آيات
الله] وهي القرآن، من سهولة فهمها وعذوبة ألفاظها
وظهور معانيها وجلالة مقاصدها مع الإعجاز، وهي
القرآن العظيم، فكيف إذا كان التالي أشرف المثلث.

وقرأ حمزة واليكسائي بإمالة محضة، وورش بالفتح
وبين اللظين، والباقر بالفتح. (٥٩٤: ٣)
أَبُو السُّعُود : **«تُثَلِّ عَلَيْهِ»** حال من **«الآيَاتِ**
اللَّهِ»، ولا سماع لمصلحة مفعولاً ثانياً لا يستلزم لأن
شرطه أن يكون ما بعده مما لا يسمع، كقولك: سمعت
زيداً يقرأ. (٥٧: ٦)

٧- **وَإِذَا تُثَلِّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ...** الجاثية: ٢٥
الشَّارِبِينِي : أي تنابع بالقراءة من أي تالٍ كان.
(٦٠٠: ٣)
راجع «ك و ن» (ما كان).

٨- **أَلَمْ تَكُنْ أَتَاهِ تُثَلِّ عَلَيْهِمْ ...** الجاثية: ٣١
الشَّارِبِينِي : أي تواصل قراءتها من أي تالٍ كان،
فكيف إذا كانت بواسطة الرسل تلاوة مستعجلة. (٦٠١: ٣)

- الحازن: يعني اذكر لقومك وأخبرهم. (٣١: ٢) بعض آخر. (٢٩٨: ٥)
- أبو الشعود: «وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ» عطف على مفعول، تعلق به قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى...» المائدة: ١٩ الخ، وتعلق به من حيث إنه تمهيد لما سيأتي من جنيات بني إسرائيل بعد ما كتب عليهم وما كتب، وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات. (٢٥٩: ٢)
- البروسوي: أي على أهل الكتاب. (٣٧٩: ٢) الألوسي: [قال نحو أبو الشعود ثم أضاف:] وقيل: من حيث إن في الأول الجهن عن القتل، وفي هذا الإقدام عليه، مع كون كل منها معصية.
- وضمير (عليهم) يعود على بني إسرائيل كما هو الظاهر، إذ هم المحدث عنهم أولاً. وأمر صلى الله عليه وسلم بتلاوة ذلك عليهم إعلالاً لهم بما هو في غمض كتبهم الأول، الذي لا تعلق للرسول بكتبهم الصلاة والسلام بها إلا من جهة الوحي، لتقوم المحجة بذلك عليهم.
- وقيل: الضمير عائد على هذه الأمة أي اتل ما محمد على قومك. (١١٠: ٦)
- رشيد رضا: [ذكر معنى التلاوة كما تقدم في النصوص اللغوية ثم قال:] والثبأ: الخبر الصحيح الذي له شأن من الفائدة والجدارة بالاهتمام.
- ومعنى الجملة: واتل أيها الرسول على أهل الكتاب وسائر الناس ذلك النبأ العظيم. (٣٤١: ٦)
- الطباطبائي: التلاوة من التلو وهي القراءة، سميت بها لأن القارئ للنبأ يأتي ببعض أجزائه في تلو
- ٢- وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا... الأعراف: ١٧٥ الواحدي: أي اقرأ وقص على قومك. (٤٢٦: ٢) نحوه الحازن. (٢٥٦: ٢) الزمخشري: (عليهم) أي على اليهود. (١٣٠: ٢) ابن عطية: معناه قص واسرّد، والضمير في (عليهم) عائد على حاضري محمد ﷺ من الكفار وغيرهم. (٤٧٦: ٢)
- أبو الشعود: «وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ» عطف على المضمر العاطل في «إِذْ أَخَذَ» وارد على فطحة في الإنشاء عن المصور. (٥٢: ٣)
- نحوه الألوسي. (١١١: ٩) رشيد رضا: التلاوة: القراءة، وإلقاء الكلام الذي يعاد ويكرر للاعتبار به. والضمير في (عليهم) للناس المخاطبين بالدعوة، وأولهم كفار مكة. والسورة مكتبة. وقيل: لليهود، لأن المثل تابع لقصة موسى في التورة. (٤٠٥: ٩)
- الطباطبائي: (عليهم) أي على بني إسرائيل، أو على الناس خيراً عن أمر عظيم. (٣٣٢: ٨)
- ٣- وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ... يونس: ٧١ الطبري: واتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً من قومك. (١٤١: ١١)

الفخر الرازي: اعلم أنه سبحانه لما بالغ في تقرير الدلائل والبيّنات، وفي الجواب عن الشبه والسّؤالات، شرع بعد ذلك في بيان قصص الأنبياء ﷺ لوجوه أحدها: أن الكلام إذا أطال في تقرير نوع من أنواع العلوم، فربما حصل نوع من أنواع الملالة، فإذا انتقل الإنسان من ذلك الثقل من العلم إلى غنٍ آخر، انشرح صدره وطاب قلبه، ووجد في نفسه رغبة جديدة، وقوة حادثة. وميلًا قويًا.

وثانيها: ليكون للرّسول عليه الصّلاة والسّلام ولأصحابه أسوة بمن سلف من الأنبياء، فإن الرّسول إذا سمع أن معاملته هؤلاء الكفار مع كلّ الرّسل ما كانت إلا على هذا الوجه، خفّ ذلك على قلبه، كما يقال: المصيبة إذا عمّت خفّت.

وثالثها: أن الكفار إذا سمعوا هذه القصص وحملوا أن الجهال وإن بالغوا في إيذاء الأنبياء المتقدّمين إلا أن الله تعالى أعانهم بالآخرة، ونصرهم وأبدهم وفهر أعداءهم، كان سماع هؤلاء الكفار لأمثال هذه القصص سببًا لانكسار قلوبهم، ووقوع الخوف والرجل في صدورهم، وحينئذ يقلّون من أنواع الإيذاء والسّفاهة. ورابعها: أنا قد دلّلنا على أن محمّدًا عليه الصّلاة والسّلام لما لم يتعلّم علمًا، ولم يطالع كتابًا، ثم ذكر هذه الأقاصيص من غير تفاوت، ومن غير زيادة ومن غير نقصان، دلّ ذلك على أنه ﷺ إنما عرّفها بالوحي والتّزويل.

أبو الشّعود: أي على المشركين من أهل مكّة وغيرهم لتحقيق ما سبق من أنهم لا يفلحون، وأنّ

ما يمتنعون به على جناح الفوات، وأنهم مشرفون على العذاب الخالد (تبتأ نوح) ليخرجوا بذلك عما هم عليه من الكفر، أو تنكسر شدة شكيتهم، أو يعترف بعضهم بصحة نبوتك، بأن عرفوا أن ما تناولوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما أصلًا. مع علمهم بأنك لم تسمع ذلك من أحد ليس إلا بطريق الوحي.

وفيه من تقرير ما سبق من كون الكلّ لله سبحانه، واختصاص المرّة به تعالى، وانتفاء الخوف والحزن عن أوليائه عزّ وعلا قاطبة، وتشجيع النبي ﷺ، وحمله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم، ما لا يخفى. (٢٦٣)

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ...﴾

الكهف: ٢٧

ابن عطية: أي اتبع في أعمالك، وقيل اسرّد بتلاوتك ما وحي إليك من كتاب ربك، لا تنقص في قوله: ﴿لَا تُبَدِّلْ لِكِتَابِيهِ﴾. وليس لك سواء جانب قيل إليه، وتستند.

الفخر الرازي: يتناول القراءة ويتناول الاتّباع أيضًا، فيكون المعنى: الزم قراءة الكتاب الذي وحي إليك، والزم ما عمل به.

نحوه الثيسابوري (١٥: ١٢٨)، والاكوسي (١٥: ٢٥٧). وفيه مطالب راجع: «روح ي»، (ما أوحى).

البرّوسوي: أي القرآن للتقرّب إلى الله تعالى بتلاوته والعمل بموجبه والاطّلاع على أسراره، ولا تسمع لقولهم: «أنت بقُرآن غير هذا أو بدّله». والفرق بين التلاوة والقراءة: أن التلاوة قراءة القرآن

متابعة كالدَّواسة والأوراد الموقوفة، والقراءة أعم، لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها. (٢٣٧: ٥)

مكارم الشيرازي: أي لا تُعبر أية أهمية إلى أقوال الآخرين المخلوطة بالكذب والخرافة والوضع، يجب أن يكون اعتداله في هذه الأمور على الوحي الإلهي فقط، لأنه لا يوجد شيء يستطيع أن يُغيّر كلامه تعالى.

(٢١٢: ٩)

٥- وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَا إِبْرَاهِيمَ. الشعراء: ٦٩
أبو السعود: عطف على المضمحل المقدّر عاملاً للإدخال (نادى) إلخ، أي وأنت على المشركين. (٤٥: ٥)
نحوه الألويسي.

البرزوسوي: من «التلاوة» وهي القراءة، عطف
سبيل التباع، والقراءة أعم، أي اقرأ على مشركي
العرب، وأخبر أهل مكة. (٢٨١: ٦)

الطُّبَّاءِبَائِي: غير السياق عما كان عليه أول
القصة: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ إلخ فكان قوله:
﴿عَلَيْهِمْ﴾ فإن المطلوب تلاوته على مشركي العرب
وعندتهم قريش، وإبراهيم هذا أبوه. (٢٨٠: ١٥)

٦- وَأَنْتَ مَأْجُورٌ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ... العنكبوت: ٤٥

الفخر الرازي: [لاحظ الثيسابوري] (٧١: ٢٥)

ابن عربي: أي فصل ما أجمل فيك من كتاب العقل
القرآني بسبب الوحي، ونزول كتاب العلم الفرقاني.

(٢٤٨: ٧)

التسفي: ﴿وَأَنْتَ مَأْجُورٌ...﴾ تقرّباً إلى الله تعالى
بقراءة كلامه، ولتقف على ما أمر به ونهى عنه.

(٢٥٩: ٣)

الثيسابوري: وحيث قرئ قلب المؤمنين
بالشخص المذكور، رسول الله ﷺ بقوله: ﴿وَأَنْتَ
مَأْجُورٌ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ لتعلم أن نوحاً ولو طأ
وغيرهما بلغوا الرسالة وبلغوا في إقامة الدلالة،
لم ينقدوا قومهم من الضلالة والجهالة، ولهذا قال (أنت)
ولم يقل: إني عليهم، لأن التلاوة بعد اليأس منهم
ما كانت إلا تسليّة قلب النبي ﷺ.

أو نقول: إن الكتاب الإلهي قانون كلي، فيه شفاء
للصدور، فيجب تلاوته مرة بعد أخرى، ليلتحق إلى حد
التواتر، وينقله قرن إلى قرن، ويأخذه قوم من قوم إلى
يوم التشهد. وأيضاً فيه من العبر والمواعظ ما حشّ لها
الآسماع وتطمئن إليها القلوب، كالمسك يفوح لحظة
فلحظة، وكالزّوض يستلذه النظر ساعة فساعة.

وفي الجمع بين الأمرين: التلاوة، وإقامة الصلاة
معينان:

أحدهما: زيادة تسليّة النبي ﷺ، كأنه قيل له: إذا
تلوت ولم يقبل منك فأقبل على الصلاة، لأنك واسطة
بين المخلوقين، فإن لم يتصل الطرف الأول وهو من
المخالق إلى المخلوق، فليصل الطرف الآخر وهو من
المخلوق إلى المخالق.

والثاني: أن العبادات إما اعتقادية وهي لا تتكرّر بل
تبقى مستمرة عليها، وإما لسانية وإما بدنية خارجية،
وأفضلها الصلاة، فأمر بتكرار الذكر والصلاة حياة

للفصيلتين .

(٧ : ٢١)

أبو الشعود : ﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ...﴾ تنقِياً إلى الله بقراءته ، وتذكُّراً لما في تضاعيفه من المعاني ، وتذكيراً للنَّاس ، وحملًا لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق . (١٥٤ : ٥)

نحوه الألويسي (١٦٣ : ٢٠) ، والمزاحي (١٤٥ : ٢٠) .

البروسوي : التلاوة : القراءة ، على سبيل التواهي .

[ثم أدام نحو أبي الشعود] (٤٧٣ : ٦)

عبد الكريم الخطيب ، وفي أمر النبي بتلاوة ما أوحى إليه من الكتاب إلفات للمقول إلى هذه الآيات القرآنية ، بمد إلفات الأبحار إلى الآيات الكونية ، فيكون من هذه وتلك لقاء بين المحسوس والمقول ، وهذا تكتمل المعرفة ، وتثبت قضايا العلم ، فيقع للإنسان من ذلك علم يقيني . يقوم عليه إيمانه بالله ربِّ المَآلِينِ (٤٣٦ : ١٠)

المكارم الشيرازي : أي اقرأ هذه الآيات ، فانت واجد فيها ما تنبئ به وتطلبه من العلم والحكمة والتصح ، ومعيار معرفة الحق من الباطل ، وصيبل تنوير القلب والزَّوْج ، ومسير حركة كل طائفة ، أو مجموعة واتجاهها .. اقرأ وامض على نهجها في حياتك ، اقرأها واستلهم منها ، اقرأها ونور قلبك بتلاوتها . (٣٦٤ : ١٢)

اَتْلُوْهَا

... قُلْ قَاتِلُوا بِالْثَّوْرِ يَا قَاتِلُوْهَا اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ .

آل عمران : ٩٣

الطبرسي : ﴿قَاتِلُوْهَا﴾ حتى يبين أنه كما قلت لا

كما قلت ، ﴿اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ في دعواكم .

فاحتج عليهم بالثورة ، وأمرهم بالإتيان بها وإن لم يقرأوا ما فيها ، فإن كان في الثورة إنها كانت حلالاً للأنبياء وأما حرمة إسرائيل ، فلم يجسروا على إتيان الثورة ، لعلمهم بصدق النبي ﷺ وبكذبهم ، وكان ذلك دليلاً ظاهراً على صحة نبوة نبيتنا محمد ، إذ علم بأن في الثورة ما يدل على كذبهم ، من غير تعلم الثورة وقراءتها . (٤٧٥ : ١)

البيضاوي : أمر بمحاجتهم بكتابتهم وتبكيهم بما فيه ، من أنه قد حرّم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرماً .

روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قاله لهم ، بهتوا وخرجوا أن يخرجوا الثورة ، وفيه دليل على نبوته .

(١٧٢ : ١)

(٣ : ٤)

نحوه الألويسي ،

أبو الشعود : [نحو البيضاوي] إلا أنه قال :

وفي ذلك من المحجة الثبوتية على صدق النبي ﷺ ، وجواز التسخ الذي يحددونه مالا يخفى ، والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها . (٤ : ٢)

(٦٥ : ٢)

نحوه البروسوي .

الطباطبائي : وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ قَاتِلُوا بِالْثَّوْرِ يَا قَاتِلُوْهَا اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ﴾ دلالة على أنهم كانوا ينكرون ذلك ، أعني حليته كل الطعام عليهم قبل الثورة ، ويدل عليه أنهم كانوا ينكرون التسخ في الشرائع ، ويحيلون ذلك .. كما مر ذكره . في ذيل قوله تعالى : ﴿مَنْ تَسَخَّ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيَهَا...﴾ البقرة : ١٠٦ .

فهم كانوا ينكرون بالطبع قوله تعالى: ﴿فَيُظْلَمُونَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَضًا عَلَيْهِمْ طَبِيبَاتٌ أُحِلَّت لَهُمْ﴾ النساء: ١٦٠.

(٣٤٥: ٣)

الثَّالِثَات

قَالَ ثَالِثَاتٍ ذِكْرًا.

ابن هبّاس: أقسم بالملائكة قرأة الكتاب.

(٣٧٤)

نحوه ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جبّير.

والشَّاذِي (المأزدي ٥: ٣٧)، ومجاهد (الطبري ٢٣:

٣٤)، وقشيري (٥: ٢٢٧)، والمسيدي (٨: ٢٥٨).

فتادة: ما يتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والأُمم قبلكم.

أراد بني آدم الذين يتلون كتبه المنزلة وتفسيره.

وتكثيره، ونحو ذلك.

الفَرَاء: قوله: تخفض النّاء من (الصّافات) ومن

(الثّالِثَات) لأنّه قسم. وكان ابن مسعود يُدغم

﴿وَالصّافات صَفًّا﴾ وكذلك (وَالثّالِثَات).

(وَالزّاجرات) يدغم النّاء منهنّ والتّبيان أجود، لأنّ

القراءة بنيت على التّفصيل والبيان. وهذه الأحرف - فيما

ذكروا - الملائكة.

الطّبري: فالتّارات كتابًا.

واختلف أهل التّأويل في المعنى بذلك، فقال

بعضهم: هم الملائكة، وقال آخرون: هو ما يتلى في

القرآن من أخبار الأُمم قبلنا.

نحوه البقوي (٥: ٢٥)، وأبو الفتح (١٦: ١٥).

والخازن (٦: ١٥).

الرّجّاج: قيل: الملائكة، وجائز أن يكون الملائكة

وغيرهم أيضًا، ممّن يتلون ذكر الله.

الرّثاني: الأنبياء يتلون الذّكر على قومهم.

(المأزدي ٥: ٣٧)

القُسمي: (الذين يقرؤون الكتاب من الناس) فهو

قسم، وجوابه ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ...﴾ إلخ. (٢: ٢١٨)

الطّوسي: أدغم أبو عمرو - إذ أدرج - النّاء في

الصّاد، والنّاء في الرّاي، والنّاء في الذّال. في قوله:

﴿وَالصّافات...﴾، لقرب مخارجهما إذا كانا من كلمتين،

وافقه حمزة في جميع ذلك. الباقون بالإظهار، لأنّ قبل

النّاء حرفًا ساكنًا، وهو الالف. لأنّ مخارجهما متغايرة.

ثمّ نزل قول مجاهد وفتادة وقال:

وقال قوم: يجوز أن يكون جماعة الذين يتلون

القرآن، وإنما قال: ﴿قَالَ ثَالِثَاتٍ ذِكْرًا﴾ ولم يقل: «تلوّاه»

كما قال: ﴿قَالَ زَاجِرَاتٍ زَجْرًا﴾ لأنّ الثّالي قد يكون بمعنى

التّابع، تقول: تلوت فلانًا، إذا تبعته، بمعنى جئت بعده،

ومنّه قوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّيْنَاهُ﴾ الشمس: ٢، فلا كان

مشتركًا، بيّنه بما ينزل لإيهام.

(٨: ٤٨٠، ٤٨٢)

الرّثمخسري: أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة،

أو بنفوسهم الصّافات أقدامها في الصّلاة، من قوله تعالى:

﴿وَأَنَا لَخَلْقُ السّٰفٰتِوْنَ﴾، أو أجنحتها في الهواء، وافتة

مستظرة لأمره، (فَالزّاجرات) السّحاب سوقًا،

(قَالَ ثَالِثَاتٍ) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها.

وقيل: (الصّافات): الطّير، من قوله تعالى: ﴿وَالطّٰيْرُ

للتلاوة، وإتقا على العكس، وكذلك إن أردت العلماء وفوائد الغزلة.

وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف واثنائية والثالثة على آخر فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل، أعني أن الطوائف ذوات فضل والزاجرات أفضل والثالثات أهر فضلًا، أو على العكس، وكذلك إذا أردت بالعصافات الخير، وبزاجرات كل ما يزرع عن مصعية، وبالثالثات كل نفس تنلو الذكر، فإن الموصوفات مختلفة.

وقرئ بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال.

(٣: ٢٢٣)

نحو: أبو السعود (٥: ٣١٩)، والبرسوي (٧: ٤٤٥).
لبن عطية: [ذكر الأحوال في إدغام التاء نحو]

الطوسي يهتات

الطوسي: ذكر إدغام التاء نحو الطوسي وأضاف:
قال أبو علي: إدغام التاء في الصاد لمقاربة اللغتين،
الآتري من طرف اللسان وأصول الثنايا، ويهتمان في
الحقن. والمدغم فيه يزيد على المدغم بخطين، مما
الإطباق والصغير. ويحسن إدغام الأنقص في الأزبد،
ولا يجوز أن يذغم الأزبد صوتًا في الأنقص صوتًا، فلهذا
يحسن إدغام التاء في الزاي من قوله: «قالزاجرات
زجرا» لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة
صغير، كما كان في الصاد. وكذلك حسن إدغام التاء في
الذال في قوله: «قالثالثات ذكرا». «والذاريات
ذروا» الذاريات: لا تتفاهما في أنهما من طرف اللسان
وأصول الثنايا.

صافات)، و(الزاجرات): كل ما يزرع عن معاصي الله،
و(الثالثات): كل من تلا كتاب الله.

ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء السال الصافات
أقدامها في التهجّد وسائر الصلوات وصغوف الجماعات،
فالزاجرات بالمواظظ والتصائح، والثالثات آيات الله،
والذاريات شرائعه، أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله
التي تصف الصغوف وتزرع للجهاد، وتنلو الذكر، مع
ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل، كما يحكى عن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه.

فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في

الصفات؟

قلت: إما أن تدلّ على ترتيب معانيها في الوجود [ثم]

استشهد بشرح

وإما على ترتيبها في التفاوت من بعض النحويين

كقولك: حلّ الأفضل، فالأكمل، وأفضل الأحسن
فالأجمل.

وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك، كقوله: رحم
الله الملتقين فالمقتصرين. فملى هذه القوانين الثلاثة
ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات.

فإن قلت: فملى أي القوانين هي فيما أنت بحدده؟

قلت: إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على
ترتيب الصفات في التفاصيل، وإن ثلثته فهي للدلالة على
ترتيب الموصوفات فيه.

بيان ذلك أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على
الملائكة وجعلتهم جامعين لها، فطعها بالفاء يفيد ترتيبًا
لها في الفضل، إما أن يكون الفضل للصفّ ثم للزجر ثم

فأما إدغام التاء في الصاد من قوله تعالى: ﴿وَالْقَادِيَاتِ ذُنُوبًا﴾ العاديات: ١، فإن التاء أقرب إلى الذال وإلى الزاي منها في الصاد، لأنّ الذال والزاي والصاد من حروف طرف اللسان، وأصول التنايا وطرفها، والصاد أبعد منهنّ، لأنّها من وسط اللسان، وكذلك حسن إدغام التاء فيها لأنّ الصاد تُعْشِي الصوت بها، واتّسع واستطال حتّى اتصل صهرتها بأصول التنايا وطرف اللسان، فأدغم التاء فيها.

وسائر حروف طرف اللسان وأصول التنايا إلّا حروف الصغير فإنّها لم تُدغم في الصاد ولم تدغم الصاد في شيء من هذه الحروف، لما فيها من زيادة الصوت. فأما الإدغام في ﴿وَالشَّاهِدَاتِ شُهَدَاءَ﴾ والشاهيات: ٣، ٤، فحسن لمقاربة الحروف.

فأما من قرأ بالإظهار في هذه الحروف فله اختلاف الخارج.. (٤: ٤٣٦)

الفصحى الرازي، [ذكر الأحوال في إدغام التاء بنحو بما ذكره الطوسي وأضاف:]
في الآية مسائل:

المسألة الثانية: في هذه الأشياء المذكورة، المقسم بها يحتمل أن تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد، ويحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباينة، أمّا على التقدير الأوّل ففيه وجوه:

الأوّل: أنّها صفات الملائكة، وتقديره أنّ الملائكة يقفون صفوفاً، إنا في السماوات لأداء العبادات، كما أخبر الله عنهم أنّهم قالوا: ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّوْنَ﴾. وقيل: إنّهم يصفون أجنحتهم في الهواء، يقفون متظرين وصول

أمر الله إليهم، ويحتمل أيضاً أن يقال: معنى كونهم صفوفاً: أنّ لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة في الشرف والفضيلة.

أو في الذات والعلية، وتلك الدرجة المرتبة باقية غير متغيرة، وذلك يُشبه الصغوف.

وأما قوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ فقال الليث: يقال زجرت البعير فأنا أزجره زجراً، إذا حسته ليضي، وزجرت فلاناً عن سوء فأنزجر، أي نهيته فأنتهى، فعلى هذا الزجر للبعير كالحث، وللإنسان كالتهي. إذا عرفت هذا فنقول: في وصف الملائكة بالزجر وجود:

الأوّل: قال ابن عباس: يريد الملائكة الذين وُكِّلُوا بالشَّعَابِ يزجرونها، يعني أنّهم يأتون بها من موضع إلى موضع.

الثاني: المراد منه أنّ الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الإلهامات، فهم يزجرونهم عن المعاصي زجراً.

الثالث: لعلّ الملائكة أيضاً يزجرون الشياطين عن التمرّض لبني آدم بالشرّ والإيذاء.

وأقول: قد ثبت في العلوم العقلية أنّ الموجودات على ثلاثة أقسام: مؤثّر لا يقبل الأثر وهو الله سبحانه وتعالى وهو أشرف الموجودات، ومتأثّر لا يؤثّر وهم عالم الأجسام وهو أخس الموجودات، وموجود يؤثّر في شيء ويتأثّر عن شيء آخر وهو عالم الأرواح، وذلك لأنّها تقبل الأثر عن عالم كبرياء الله، ثمّ إنّها تؤثر في عالم الأجسام.

واعلم أنّ الجهة التي باعتبارها تقبل الأثر من عالم

كبرياء الله، غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الأجسام، وتقدر على التصرف فيها، وقوله: ﴿فَالثَّانِيَاتِ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى الأسرف من الجهة التي باعتبارها تقوى على التأثير في عالم الأجسام.

إذا عرفت هذا فقول: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إشارة إلى قولها صفاً صفاً في مقام العبودية والطاعة بالخضوع والخضوع، وهي الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية أصناف الأنوار الإلهية والكمالات الصمدية. وقوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الأرواح البشرية، وإخراجها من القوة إلى الفعل، وذلك لما ثبت أن هذه الأرواح النطقية البشرية بالنسبة إلى أرواح الملائكة كالنظرة بالنسبة إلى البحر، وكالشعلة إلى الشمس.

وأن هذه الأرواح البشرية إنما تستغل من القوة إلى الفعل في المعارف الإلهية والكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة، وظهيره قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَاقَ مِنْ عِبَادِهِ﴾، وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَبْلِكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَاللَّيْلِ ذِكْرًا﴾.

إذا عرفت هذا فنقول: في هذه الآية دقيقة أخرى وهي أن الكمال المطلق للشيء إنما يحصل إذا كان تاماً وفاق التمام. والمراد بكونه تاماً: أن تحصل جميع الكمالات الالافقة به حصولاً بالفعل، والمراد بكونه فوق التام: أن تفيض منه أصناد الكمالات والسعادات على غيره، ومن المعلوم أن كونه كاملاً في ذاته مقدم على كونه مكلاً لغيره.

إذا عرفت هذا فقول: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إشارة إلى استكمال جواهر الملائكة في ذاتها وقت وقوعها في مواقف العبودية وصفوف الخدمة والطاعة، وقوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إفاضة الجلاليات القدسية والأنوار الإلهية على الأرواح الناطقة البشرية، فهذه مناسبات عقلية واعتبارات حقيقية تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة.

قال أبو مسلم الأصفهاني: لا يجوز حمل هذه الألفاظ على الملائكة، لأنها مشعرة بالثانيات والملائكة مبرؤون من هذه الصفات؛ والجواب من وجهين: الأول: أن (الصَّافَّاتِ) جمع الجمع، فإنه يقال: جماعة صافّة، ثم يجمع على صافّات. والثاني: أنهم مبرؤون من الثاني المنوي، أما الثاني في اللفظ فلا، وكيف وهم يستون الملائكة مع أن علامة الثاني حاصلة في هذا الوجه.

الثاني: أن تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الأرض، ويانه من وجهين: الأول أن قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ المراد: الصفوف الحاصلة عند أداء الصلوات بالجماعة، وقوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى قراءة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزجرون الشياطين عن إلقاء الوساوس في قلوبهم في أثناء الصلاة، وقوله: ﴿فَالثَّانِيَاتِ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة، وقيل: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى رفع الصوت بالقراءة، كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت.

رؤي آتة طاف على بيوت أصحابه في الليالي،

تشبه أشخاصاً واقفين في صفوف معينة.

وقوله: ﴿وَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ المراد منه: الآيات الزاجرة عن الأفعال المنكرة، وقوله: ﴿فَالثَّالِثَاتِ ذِكْرًا﴾ المراد منه: الآيات الدالة على وجوب الإقدام على أفعال البر والخير، وصف الآيات بكونها تالية على قانون ما يقال: شعر شاعر وكلام قائل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَنذَرُ لِمَنْ أَهْلَكَ الْقُرْآنُ﴾ يس: ١، ٢، قيل: الحكيم بمعنى الحاكم، فهذه جملة الوجوه المحتملة على تقدير أن تجعل هذه الألفاظ الثلاثة صفات لشيء واحد.

وأما الاحتمال الثاني: وهو أن يكون المراد بهذه الثلاثة أشياء متخيرة، فقيل: المراد بقوله: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾ الطير، من قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرِ صَفًا﴾ التمهيد: ١٤١ (وَالزَّاجِرَاتِ): كل ما زجر عن ماصي الله، (وَالثَّالِثَاتِ): كل ما ينزل من كتاب الله.

وأقول: فيه وجد آخر، وهو أن مخلوقات الله إما جسمانية وإما روحانية:

أما الجسمانية فإنها مرتبة على طبقات ودرجات لاتتغير أبداً، فالأرض وسط العالم وهي محفوفة بكرة الماء، والماء محفوف بالهواء، والهواء محفوف بالنار، ثم هذه الأربعة محفوفة بكرات الأفلاك إلى آخر العالم الجسماني، فهذه الأجسام كأنها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى.

وأما الجواهر الروحانية فهي على اختلاف درجاتها وتباين صفاتها مشتركة في صفتين:

أحدهما: التأثير في عالم الأجسام بالتأثير

فسمع أبابكر يقرأ بصوت منخفض وسمع عمر يقرأ بصوت رفيع، فسأل أبابكر يقرأ بصوت منخفض وسمع عمر يقرأ بصوت رفيع، فسأل أبابكر لم تقرأ هكذا؟ فقال: المعبود سمع عليم، وسأل عمر لم تقرأ هكذا؟ فقال: أوقفه الوسنان وأطرد الشيطان.

الوجه الثاني: أن المراد من قوله: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾ الصفوف الحاصلة من العلماء المحققين الذين يدعون إلى دين الله تعالى، والمراد منه قوله: (وَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) انتظامهم بالزجر عن الشبهات والشهوات والمراد من قوله تعالى: ﴿فَالثَّالِثَاتِ ذِكْرًا﴾ انتظامهم بالدعوة إلى دين الله والترغيب في العمل بشرائع الله.

الوجه الثالث: أن نجعلها على أحوال القراءة والمجاهدين في سبيل الله، فقوله: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾ المراد منه صفوف القتال، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ الصف: ٤، وأما (الزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) فالزجرة والصيحة سواء، والمراد منه رفع الصوت بزجر الخيل، وأما ﴿فَالثَّالِثَاتِ ذِكْرًا﴾ فالمراد منه اشتغال القراءة وقت شروعه في محاربة العدو بقراءة القرآن، وذكر الله تعالى بالتهليل والتفديس.

الوجه الرابع: أن نجعلها صفات لآيات القرآن، فقوله: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾ المراد: آيات القرآن، فإنها أنواع مختلفة، بعضها في دلائل التوحيد، وبعضها في دلائل العلم والقُدرة والحكمة، وبعضها في دلائل النبوة، وبعضها في دلائل المعاد، وبعضها في بيان التكاليف والأحكام، وبعضها في تعليم الأخلاق الفاضلة. وهذه الآيات مرتبة ترتيباً لا يتغير ولا يتبدل، فهذه الآيات

والقول الثاني: قول من يقول: إنَّ القسم واقع بأعيان هذه الأشياء، واحتجوا عليه بوجوه:
الأول: أنَّ القسم وقع بهذه الأشياء بحسب ظاهر اللفظ، فالمعقول عنه خلاف الدليل.

والثاني: أنَّه تعالى قال: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فُلِّقَ لفظ القسم بـ (السَّمَاءِ) ثم عطف عليه القسم بالـ (بِالنَّارِ) للسماء، فلو كان المراد من القسم بـ (السَّمَاءِ) القسم بمن هو السماء، لزم التكرار في موضع واحد، وأنَّه لا يجوز.
والثالث: أنَّه لا يبعد أن تكون الحكمة في قسم من الله تعالى بهذه الأشياء، التنبيه على شرف ذواتها وكمال حقيقتها، لا سيما إذا حملنا هذه الألفاظ على «الملائكة» فإنه تكون الحكمة في القسم بها التنبيه على جلالة ذواتها وكمال مراتبها، والله أعلم.

الأول: أنَّ المقصود من هذا القسم إثبات هذا المطلوب عند المؤمن أو عند الكافر؛ والأول باطل، لأنَّ المؤمن مبرِّر به سواء حصل الحلف أو لم يحصل، فهذا الحلف عديم الفائدة على كلِّ التقديرات.

الثاني: أنَّه تعالى حلف في أوَّل هذه السورة على أنَّ الإله واحد، وحلف في أوَّل سورة (الذَّارِيَاتِ) على أنَّ القيامة حق، فقال: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ وَإِنَّ الْبَازِينَ لَوَاقِعٌ ﴿١-٦﴾ وإثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف واليمين لا يليق بالعلاء، والجواب من وجوه:

والثصريف، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَالْأَجْرَاتِ زُجُورًا﴾. فأنَّنا قد بينَّا أنَّ المراد من هذا الزجر: التسوق والتحريك.

والثاني: الإدراك والمعرفة والاستغراق في معرفة الله تعالى والثناء عليه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْيَتَامَىٰ ذُكُورًا﴾. ولما كان الجسم أدنى منزلة من الأرواح المستقلة فالتصرُّف في الجسديات أدون منزلة من الأرواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقبلة على تسبيح الله، كما قال: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَشْكُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ الأنبياء: ١٩. لاجرم بدأ في المرتبة الأول بذكر الأجسام، فقال: ﴿وَالصَّالِحَاتِ صَفًا﴾، ثم ذكر في المرتبة الثانية الأرواح المقدسة المستوجبة بكلِّيتها إلى معرفة جلال الله والاستغراق في الثناء عليه. فهذه احتمالات غطرت بالبال، والعالم بأسرار كلام الله تعالى ليس إلا.

المسألة الثالثة: للناس في هذا الموضع قولان:
الأول: قول من يقول: المقسم به هاهنا خالق هذه الأشياء لأعيان هذه الأشياء، واحتجوا عليه بوجوه:
الأول: أنَّه ﷻ نهى عن الحلف بغير الله، فكيف يليق بحكمة الله أن يحلف بغير الله.

والثاني: أنَّ الحلف بالشَّيء في مثل هذا الموضع تعظيم عظيم للمحلوف به، ومثل هذا التعظيم لا يليق إلا بالله.

والثالث: أنَّ هذا الذي ذكرناه تأكد بما أنَّه تعالى صرَّح به في بعض السور، وهو قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَيْنَهَا﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَغَاها ﴿وَتَنْفُسٍ وَمَا يَشُوعها﴾ الشمس: ٥-٧.

الأول: أنه تعالى قرّر التوحيد وصحة البعث والقيامة في سائر السور بالدلائل اليقينية، فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها، فذكر القسم تأكيداً لما تقدم، لاسيما والقرآن إنما أنزل بلغة العرب، وإنشأت المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب.

والوجه الثاني: في الجواب: أنه تعالى لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ الصافات: ٣، ذكر عقيبه ما هو كالدليل اليقيني في كون الإله واحداً، وهو قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ الصافات: ٥، وذلك لأنه تعالى بين في قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء: ٢٢، أن انتظام أحوال السموات والأرض يدل على أن الإله واحد، فها هنا لما قال: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ أردفه بقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ كأنه قيل: قد بينّا أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على كون الإله واحداً، فتأملوا في ذلك الدليل، ليحصل لكم العلم بالتوحيد.

الوجه الثالث: في الجواب: أن المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الأصنام في قوهم: بأنها آلهة، فكأنه قيل: هذا المذهب قد بلغ في السقوط والزكاسة إلى حيث يكفي في إبطاله مثل هذه الحجّة، والله أعلم.

(٢٦: ١١٤)

ابن عربيّ: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾ أقسم بغوس السالكين في سبيله طريق التوحيد، (الصافات) في مقامهم ومراتب تجلياتهم، ومواقف مشاهداتهم، (صفاً) واحداً في التوجّه إليه، (فما زلّا جهراتاً) في دواعي

الشياطين، وفوارخ التحنّيات النفسانية في الأحياء (زجرًا) بالأنوار، والأذكار، والبراهين، (فكالتاليات) نوعاً من أنواع الأذكار بحسب أحوالهم، باللسان، والقلب، والسرّ أو الروح، كما ذكر غير مرّة وحدانيّة معبودهم، لتثبيتهم في التوجّه عن الرّيب، والانصراف بالالتفات إلى الغير، (رَبِّ) سماءات الغيوب السّبعة، التي هم سائرون فيها، وأرض البدن (وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ) مشارق تجليات الأنوار الصّفاتية، وصفه بالوحدانية الذاتية في أطوار الزبونية، الكاشفة عن وجوه التحولات، بتعدد الأسماء، ليتحفّظوا عند تعدّد تجليات الصفات، وترتب المقامات من الاحتجاب بالكثرة.

(٢: ٣٣٥)

القرطبي: قيل: المراد جبريل وحده، فذكر بلفظ الجمع، لأنه كبير الملائكة، فلا يخلو من جنود وأتباع. وقيل: هي آيات القرآن، وصفها بالثلاوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُذُ عَنِّي بِهَيِّ إِسْرَافِلَ﴾ التعل: ٧٦، ويجوز أن يقال لآيات القرآن: تاليات، لأنّ بعض الحروف يتبع بعضاً، ذكره القشيري.

(١٥: ٩٢)

أبو حيان: التاليات: القارئات. [ثم ذكر الأحوال ومنها قول الزّخشيّ ثم قال:]

ومعنى المكس في المكانين أنك ترتقي من أفضل إلى فاضل إلى مفضول، أو تبدأ بالأدنى ثم بالفاضل ثم بالأفضل...

(٧: ٣٥١)

الألوسي: الملائكة عليهم السلام، (وذكرنا) نصب على أنه مفعول، وتوينه للتفخيم، وهو بمعنى المذكور المطلوب.

في مقام العبودية وهم الكروبيون المقربون أو ملائكة آخرون يقال لهم كما ذكر الشيخ الأكبر قدس الله سره المهيمون مستغرقون بحبه تعالى لا يدري أحدهم أن الله عز وجل خلق غيره وذكر أنهم لم يؤمروا بالسجود لأدم عليه السلام لعدم شعورهم باستغراقهم به تعالى وأنهم المعنيون بالعالمين في قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ وبالزاجرات جماعات أخسر أمرت بتسخير العلويات والسفليات وتديرها لما خلقت له وهي في الفضل على ما لها من النفع للعباد دون الصافات. وبالتاليات ذكراً جماعات أخر أمرت بتلاوة المعارف على خواص المخلوق، وهي لخصوص نفسها دون الزاجرات، أو المراد بالزاجرات الزاجرات الناس عن القبيح بإلهام جهة قبحه وما ينفر عن ارتكابه، وبالتاليات ذكراً المهيات للخير والمهيات المرفقة فيه، والذين دفعوا الضّرّ أولى من جلب الخير، ودفعوا المفاسد أهم من جلب المصالح. ولذا قيل: التخليّة بالخفاء مقدّمة على التحليّة كانت التاليات دون الزاجرات. وحال الفاء على سائر الأقوال السابقة في الصفات لا يغنى على من له أدنى تأمل، وبموزع هدي - والله تعالى أعلم - أن يراد بالصافات المصطفون للعبادة، من صلاة وعبادة كفرة مثلاً ملائكة كانوا أم أناسي أم غيرهما، وبالزاجرات الزاجرون عن ارتكاب المعاصي بأقوالهم أو أفعالهم كائنين من كانوا، وبالتاليات ذكراً التاليون لآيات الله تعالى على الغير للتعليم أو نحوه كذلك، ولا عناد بين هذه الصفات فتجتمع في بعض الأشخاص، ولعلّ الترغيب على سبيل الترقّي باعتبار نفس الصفات، فلا مصطفاف

للعادة كمال، والزجر عن ارتكاب المعاصي أكمل، والتلاوة لآيات الله تعالى للتعليم، لتضمنه الأمر بالطاعات والنهي عن المعاصي، والتخلي عن الرذائل والتعلي بالمعارف إلى أمور أخر أكمل وأكمل، وجعل الصفات المذكورة لموصوف واحد من الملائكة على ما مرّ بأن تكون جماعات منهم صافات بمعنى صافات أنفسها في سلك الصغوف بالقيام في مقاماتها المعلومة أو القامات صفوفاً للعبادة وتاليات ذكراً بمعنى تاليات الآيات طريق الوحي على الأنبياء عليهم السلام لا يغنى عن بعد فيما أرى، على أن تعدد الملائكة التاليين للوحي سواء كان صفواً مستقلاً أم لا، بما يشكل عليه ما ذكره غير واحد أن الأئمة على الوحي التالي للذكر على الأنبياء هو عيسى عليه السلام لا غير، نعم من الآيات ما يزل مشيئاً بجمع الصفات الملائكة عليهم السلام ونطق الكتاب الكريم بالرصد عند إيلاخ الوحي، وهذا أمر والتلاوة على الأنبياء عليهم السلام أمر آخر فتأمل جميع ذلك، وفي المراد بالصفات المتناسقة احتمالات غير ما ذكر فلا تغفل.

وأياً ما كان فالقسم بتلك الجماعات أنفسها ولا حرج على الله عز وجل فله سبحانه أن يقسم بما شاء فلا حاجة إلى القول بأن الكلام على حذف مضاف أي ورب الصفات مثلاً، والآية ظاهرة الدلالة على مذهب سيئويه، والتحليل في مثل: ﴿وَالْقِيلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ من أن الواو الثانية وما بعدها للسطف خلافاً لمذهب غيرها من أنها للقسم، لوقوع الفاء فيها موضع الواو إلا أنها تفيد الترتيب، وأدغم ابن مسعود، وسروق، والأعمش وأبو عمرو، وحسرة الثقات

الثلاث فيما يليها للتقارب فإتفا من طرف اللسان وأصول
التنابا. (٢٣: ٦٥)

محمد جواد مغنّية: وغير بعيد أن يكون المراد
بالأنواع الثلاثة الذين ذكرهم الإمام علي عليه السلام في الخطبة
الأولى من نهج البلاغة، قال في وصف الملائكة: «فمنهم
سجود لا يركعون، وراكعون لا يستصبون، وصافون
لا يتزايلون» أي ثابتون في أماكنهم، عجائز أن يكون
قوله: «وصافون لا يتزايلون» إشارة إلى «والصافات
صفاه».

ثم قال: «ومنهم أمناء وجيه وألسنة إلى رسله» أي
يتزلون بالوحي على أنبيائه كجبريل عليه السلام. ويجوز أن
يكون قوله هذا إشارة إلى (الثالثات ذكرنا) لأنهم يتلون
كتاب الله حين يلقونه إلى الأنبياء. ثم قال: «ومنهم
الحفظة لعباده».

وقال الشيخ محمد عبده في بيان هؤلاء: «كانهم
قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم، يحفظ الله
الموصولين بها من المهالك والمخاطب، ولولا ذلك لكان
الخطب ألقى بالإنسان من السلامة».

ويريد الشيخ عبده بهذا التصوير أن يقرب للأفهام
كيفية حفظ الملائكة للعباد، كما يشعر بذلك قوله:
(وكأنهم)، وعليه يجوز أن يكون قول الإمام: «ومنهم
الحفظة لعباده» إشارة إلى (الزاجرات زجرناه إذا قلنا: إن
الزجر معناه دفع الأذى عن العباد. (٦: ٣٢٩)

الطباطبائي: (والتاليات) من التلاوة بمعنى القراءة.
[ونقل اختلاف كلماتهم في الطوائف الثلاث ثم قال:]
ويحتمل - والله العالم - أن يكون المراد بالطوائف

الثلاث المذكورة في الآيات، طوائف الملائكة الشاذلين
بالوحي، المأمورين بتأمين الطريق ودفع الشياطين عن
المدخلة فيه، وإيصاله إلى النبي مطلقاً، أو خصوص
محمد ﷺ، كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ
فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ عَتِيهَ أَعْدَاةُ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ
فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ
أَتَاهَا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَخَاطِبَ مَا يُذَكِّرُمْ وَأَخْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ
عَدُوًّا﴾ الجن: ٢٦-٢٨.

وعليه فالمعنى أقسم بالملائكة الذين يصفون في
طريق الوحي صفواً، فهالذين يزرعون الشياطين
ويمنعونهم عن المدخلة في الوحي، فهالذين يتلون على
النبي المذكر، وهو مطلق الوحي أو خصوص القرآن، كما
يؤيد ما ذكرنا عنه بتلاوة الذكر.

ويؤيد ما ذكرنا وقوع حديث رمي الشياطين
بالشهب بعد هذه الآيات، وكذا قوله بعد: ﴿فَاسْتَظْنِمُ
أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ الصافات: ١١ الآية، كما
سنشير إليه.

ولا ينافي ذلك إسناد القول بالقرآن إلى جبريل
وحده، في قوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ
عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ البقرة: ٩٧، وقوله: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ﴾ غلى قلبك﴾ الشعراء: ١٩٤، لأن الملائكة
المذكورين أعوان جبريل، فغزواهم به نزوله به، وقد
قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾
بأيدي سفرة: كرام بررة: عيسى: ١٣، ١٦، وقال
حكاية عنهم: ﴿وَمَا نَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ مريم: ٦٤،
وقال: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ الصافات: ١٦٦، وهذا

الْوُجُوهُ وَالنَّظَائِرُ

الحيرى : التلاوة على أوجه:

أحدها : القراءة ، كقوله : ﴿وَأَنْتُمْ تَشْلُونُ الْكِتَابَ﴾

البقرة : ٤٤ ، وقوله : ﴿إِذَا تُشْلِ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ يونس :

١٥ ، نظيرها في الأنفال (الآية : ٢) : ﴿وَإِذَا تُلِيتْ عَلَيْهِمْ

آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ، وفي الجنانية (الآية : ٢٥) : ومريم

(الآية : ٧٣) ، والقصاص (الآية : ٥٣) : «تُشْلَى» ، وقوله :

﴿قُلْ فَأْتُوا بِثُورٍ فَأَنصُرُكُمْ﴾ آل عمران : ٩٣ .

والثاني : الإقرار كقوله : ﴿أَلَّذِينَ أَنْتَبَهُمُ الْكِتَابَ

يَسْأَلُونَكَ عَنْ تِلَاوَتِهِ﴾ البقرة : ١٢١ .

والثالث : الإنزال : كقوله في البقرة (الآية : ٢٥٢) :

﴿بَلَّغْ آيَاتِ اللَّهِ تَشْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ ، نظيرها في

الطه (الآية : ١٠٨) :

﴿وَالْقُرْآنَ إِذَا تَلَّيْنَاهُ﴾

(الشمس : ٢) . (١٥٤)

الذامخاني : التلاوة على أربعة أوجه : الإنزال ،

الاجتماع الكتابية ، القراءة ،

فوجه منها : (يُنْزَلُ) أي يُنْزَل ، قوله : ﴿تَشْلُوهَا عَلَيْكَ

مِنْ نَبِيٍّ مُؤْتَى﴾ القصص : ٣ ، يعني نُزِّلَ عليك ، كقوله :

﴿ذَلِكَ تَشْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ آل عمران : ٥٨ ، أي نُزِّلَ عليك

من الآيات ، كقوله : ﴿بَلَّغْ آيَاتِ اللَّهِ تَشْلُوهَا عَلَيْكَ﴾

آل عمران : ١٠٨ ، أي نُزِّلَهَا عليك .

والوجه الثاني : (تَشْلُوهَا) أي تَسْبِغ ، فهذا قوله :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ تِلَاوَتِهِ﴾ البقرة : ١٢١ ، يعني يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ

اتِّبَاعِهِ ، كقوله : ﴿وَالْقُرْآنَ إِذَا تَلَّيْنَاهُ﴾ الشمس : ٢ ، أي تَبِعْهَا .

والوجه الثالث : (يَسْأَلُونَ) أي يَكْشِب ، قوله :

كنسبه التوقي إلى الرُّسُل من الملائكة ، في قوله : ﴿حَقِّ إِذَا

جَاءَ أَخَذَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ الأنعام : ٦١ ، وإليه

ملك الموت وهو ريسهم ، في قوله : ﴿قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكَ

الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ السجدة : ١١ .

ولاحِظ في التعبير عن «الملائكة» بلفظ الإنس :

الصَّافَّاتِ وَالزَّاجِرَاتِ وَالنَّالِيَاتِ ، لأنَّ موصوفها

الجماعة ، والثاني لفظي . (١٧ : ١٢٢)

مكارم الشيرازي : [ذكر الأحوال ثم قال :

و(الثَّالِيَاتِ) من التلاوة ، وهي جمع كلمة «تال»

وتعني طوائف مهتمة بتلاوة شيء ما ، إلى أن قال :

و(الثَّالِيَاتِ) إشارة إلى كلِّ الملائكة والجماعات

المؤمنة التي تتلو آيات الله ، وتلهج بذكره تبارك وتعالى

على الدوام . (٤٤ : ٢٥٢)

محمد حسين فضل الله : هي التي تَتْلُو ذكر الله أو

ذكر ما أنزله من الآيات . وقد اختلف المفسرون في

مصادقها ، فقيل : هم الملائكة يتلون الوحي على النبي

الموحى إليه . وقيل : جماعة قراء القرآن يستلونه في

الصلاة .

والظاهر أنَّ هذا التفسير لا ترجع إلى أثر شرعي

ثابت ؛ بحيث يكون حجة في مصدره ، بل هي من نوع

الاجتهادات والاحتمالات الذاتية حلى سبيل

الاستحسان ، [تم نقل قول الطباطبائي وقال :

وفي هذا الاحتمال نوع خفاء ، لأنَّ ما استشده به من

الآية لا يتعلق بالرسالة ، بل بالغيب الذي قد يطلع رُسُلُه

عليه . وربما كان المراد به الرسول البشري الذي يراد له

أن يبلغ رسالاته كما يجب ، والله العالم . (١٩ : ١٧٥)

والنجوم: أو آخرها.

ومنه: المثلية والمثلي من التوق: التي تُنتج في آخر
التاج، لأنها تبع للمبكرة، أو هي المؤخرة للإنتاج،
والجمع: المثالي.

والتلاوة: قراءة القرآن خاصة، لأن تاليه يُتبع آية
بعد آية، ثم سميت بها كل قراءة، يقال: تلا فلان القرآن
يتلوا تلاوةً، وتلى الرجل الفريضة: أتبعها التلغ.
والمثالي: الذي يرأس المضي - أي يتبعه - بصوت رفيع،
وتكون المراسلة في الفناء وفي العمل.

٢- والتلاوة: بقية الشيء عائدة، وهي من قولهم:
تَلَيْتُ تَتْلِي عليه تلاوةً وتَلِيَّةً وتَلَى، أي بقيت، وأتليت
عنده تلاوةً وتَلِيَّةً وتَلَى: أبقيتها.

وحدوا أن «التلاوة» مما انقلب ساؤه واؤه، مثل:
الغشاة: الغشاء، من قولهم: غشي الأمر فلاناً يغشاء،
أي حواه وغطاه، والحيوان: الحياة، من: حَيَّيَ يحيى حياةً
وحيواناً: كان ذاغماً، فهو من «ت ل ي»، ومنها أيضاً كل
ما يعني الإحالة والجوار، يقال: أتليت: أعطيته السلاء،
وهو الذئمة والجوار والحوالة.

وقد عد ابن فارس التلِيَّة والتلاوة من هذا الباب،
لأنها - كما قال - تتلو ما تقدم منها، فإن كان ماذهب إليه
صواباً فهو من تداخل اللغات، مثل: قَلَا يَقْلُو، وَقَلَى يَقْلِي
الشيء: أنضجه، فبين «ت ل ي» و«ت ل و» - على هذا
القول - اشتقاق كبير.

الاستعمال القرآني

جاءت ماضياً (٣) مَرَات، ومضارعاً (٤٧) مَرَّة

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ البقرة: ١٠٢، يعني
تكتب الشياطين ﴿عَلَىٰ مِثْلِكَ سَأْلِفْنَ﴾.

والوجه الرابع: (يَتْلُوا) أي يقرأ، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ طاهر: ٢٩، كقولهم: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ
اللَّهِ﴾ آل عمران: ١١٣، يعني يقرؤون، ونحوه كثير.

(١٨٠)

الأصول اللغوية

١- الأصل في هذه المادة: التَّلَو، وهو ولد التَّاق، كما
أُطلق على ولد الحمار والبغل والشاة والماعز أيضاً،
والجمع: أتلاء، والأُنثى: تِلْوة، يقال: تاقَ مِثْلٌ ومُتْلِيَةٌ،
أي يتبعها ولدها، والجمع: المثالي، وأتلت التاق: تبعها
ولدها، وتلا الرجل: اشترى يتلوا.

ثم قيل لك ما يتلو شيئاً: يتلوا، يقال: هَلَا يَتْلُو هَذَا
أَيُّ شَيْءٍ، ويقال عند الدعاء على الرجل: لَا تَرْتِ
وَلَا أَتْلَيْتَ، أي لَا تُتْلِ إليه، أي لَا يكون لها أولاد.

وأتلاء الله أطفالاً: أتبعه أولاداً، ورجلٌ تَلَوٌ: لا يزال
متبعاً، وتَلَوْتُ فلاناً تَلَوًا: تبعته، وأتليت إياه: أتبعته،
يقال: مازلتُ أَتْلُوهُ حتى أتليت، أي تقدمته وسبقته
فصار خلفي.

واستليت: جعلته يتلوني، واستلاني: دعاني إلى
تَلَوِّهِ، وتَلَى الشيء: تشبعه، وجاءت الخيل تالياً:
متتابعة، وتتالت الأمور: تلا بعضها بعضاً.

وتوالي كل شيء: آخره، فالتوالي: الأصجار،
لأتباعها الصدور، وتوالي الفرس: ذكبه ورجلاه، يقال:
إنه لم يبيت التوالي وسريع التوالي، وتوالي الظعن والإبل

وأمرًا (٧) مرات. واسم فاعل مرة في (٥٨) آية، لها معنياء: التلاوة (٥٧) مرة والتلو مرة واحدة وآيات التلاوة أربعة أصناف:

ألف: تلاوة الله:

١- ﴿بَلَدًا آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَحْنُ مُوسَى وَيَزْعُمُونَ بِالْحَقِّ يَقُولُ يُؤْمِنُونَ ﴿ القصص: ٢٠، ٢١
٢- ﴿ذَلِكَ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾

آل عمران: ٥٨

٣- ﴿بَلَدًا آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَرَأَيْكَ لَيْلِ السُّرُوسِ﴾ البقرة: ٢٥٢

٤- ﴿بَلَدًا آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ٨٠، ٨١

٥- ﴿بَلَدًا آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَمْرِ حَدِيثٍ بِفَضْلِ اللَّهِ وَأَيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

ب: تلاوة النبي والرسل:

٦- ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

يونس: ١٦

٧- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ لَحْنٌ تَرْزُقُكُمْ وَإِنَّكُمْ وَإِنَّاكُمْ...﴾ الأنعام: ١٥١

٨- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف: ٨٣

٩- ﴿...وَأَمِيزْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَذَى فَاِتْمَا يَهْتَدِ يَنْتَبِهُ...﴾

النمل: ٩١، ٩٢

١٠- ﴿...إِنَّ اللَّهَ تَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ...﴾ يونس: ٦٠، ٦١

١١- ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَّةٌ لَعَنُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ...﴾ الرعد: ٢٠

١٢- ﴿...وَمَا كُنْتَ نَاقِيًا فِي مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُزِيلِينَ﴾ القصص: ٤٥

١٣- ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبِطِلُونَ﴾ العنكبوت: ٤٧

١٤- ﴿وَرَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة: ١٢٩

١٥- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُهُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ١٥١

١٦- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنْ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

آل عمران: ١٦٤

١٧- ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنْ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة: ٢

١٨- ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ الطلاق: ١١

١٩- ﴿وَسُئِلَ مِنَ اللَّهِ سِتْرًا مَطَهَّرَةً﴾

البيتة: ٢

٢٠- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ فَخًى يَشْعَثُ فِي

أَمْنِهَا رَسُولًا يَشْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا...﴾ القصص: ٥٩

٢١- ﴿...وَقَالَ لَهُمْ خُذْنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَتَيْنَاكُمْ مِنْكُمْ يَشْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ...﴾ الزمر: ٧١

٢٢- ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تِبَاعًا تَوَاتُرًا إِذْ قُرْبَا قُرْبَانًا

فَتَقَبَّلَ مِنْ أَعْدِيهِمْ وَلَمْ يَسْتَقْبَلْ مِنَ الْآخِرَةِ الْمائدة: ٢٧

٢٣- ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تِبَاعًا تَوَاتُرًا فَاسْتَلِمَ

مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

الأعراف: ١٧٥

٢٤- ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تِبَاعًا تَوَاتُرًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ

مَا كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ فَكَلِمَتِي وَأَتَاتِي أَلَهُ فَعَلَى اللَّهِ

تَوَكَّلْتُ...﴾ يونس: ٧١

٢٥- ﴿وَأَنزَلَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبُّكَ لَا مُعَدِّلَ

لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ الكهف: ٢٧

٢٦- ﴿وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تِبَاعًا تَوَاتُرًا﴾ الشعراء: ٦٩

٢٧- ﴿أَنزَلَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ وَأَقَامَ

الصلوة...﴾ العنكبوت: ٤٥

ج: مالم يُسَمَّ فاعله:

٢٨- ﴿وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢

٢٩- ﴿...إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرِّجَالِ خَرُّوا سُجَّدًا

وَبُكْبًا﴾ مريم: ٥٨

٣٠- ﴿وَأَذْكُرُونَ مَا يُنْذِرُ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾

الأعراب: ٢٤

٣١- ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا عَلَى الْكِتَابِ يَشْكُرُ

عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

العنكبوت: ٥١

٣٢- ﴿...وَعَائِلٌ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَتَابِ

النِّسَاءِ الَّتِي لَا تَوَدُّنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ النساء: ١٢٧

٣٣- ﴿أَجَلْتُ لَكُمْ بَيْعَةَ الْإِثْمِ إِلَّا مَا يُشَلُّ عَلَيْكُمْ

غَيْرَ مُجِلِّ السَّيِّئِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

المائدة: ١

٣٤- ﴿قُلْ آمِنُوا أَوْ لَا تَوَدُّوا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُشَلُّ عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلْآذِقَانِ سَجْدًا﴾

الأنفال: ١٠٧

٣٥- ﴿...وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْإِثْمَ إِلَّا مَا يُشَلُّ عَلَيْكُمْ

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

الحج: ٣٠

٣٦- ﴿وَإِذَا يُشَلُّ عَلَيْهِمْ قَالَ أَيْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ

رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ القصص: ٥٢

٣٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ

نُفِئْنَا لَفَتْنَا إِسْفَلَ هَذَا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

الْأَوَّلِينَ﴾

الأنفال: ٣١

٣٨- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

لَا يَزِيدُونَ بَيِّنَاتِنَا إِلَّا اثْبَاتًا بِقُرْآنٍ﴾ يونس: ١٥

٣٩- ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُشَلُّونَ آيَاتِ اللَّهِ...﴾

آل عمران: ١٠١

٤٠- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَلَيْسَ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مِمَّا وَاعْتَمَسُوا

تدريثاً

مریم: ٧٣

٤١- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَشْطُونَ بِالَّذِينَ يَسْتَلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا...﴾

الحج: ٧٢

٤٢- ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُشْكِكُونُ﴾

المؤمنون: ٦٦

٤٣- ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَايَ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾

المؤمنون: ١٠٥

٤٤- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا وَهُمْ مُّصْتَكَرُونَ لَمْ يَسْمَعُوهَا كَأَن فِي أذُنِهِمْ وَقَرَأُوا فَتَنَةً بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

النمل: ٧

٤٥- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا نَاهِنَا عَنْ إِلَهِ رَبِّنَا لَنُبَدِّلَ لَكُم مَّا نَكْتُم...﴾

سبأ: ٤٣

٤٦- ﴿يَتَّبِعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يُصِرُّ مُّصْتَكِرِينَ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

الجمانية: ٨

٤٧- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اسْتُوا بِآيَاتِنَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

الجمانية: ٢٥

٤٨- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ أَتَايَ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَانْتَكَبْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾

الجمانية: ٣٦

٤٩- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

الأحقاف: ٧

٥٠- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

القلم: ١٥ والمطففين: ١٣

٥ - تلاوة غير الله والرسول:

٥٢- ﴿فَاتَّخَذُوا لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُم مُّلاقاؤُهُمْ يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ فِي الْأَنْعَامِ مَنَازِلَ﴾

٥٣- ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

البقرة: ٤٤

٥٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾

فاطر: ٢٩

٥٥- ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَسْتَلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

آل عمران: ١١٣

٥٦- ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

آل عمران: ٩٣

٥٧- ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا لَكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ مِن بَيْنِ أَيْدِيكُمْ فَتَتَّبِعُوا مَا يَكْفُرُ بِآيَاتِنَا وَلَكُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

البقرة: ١٠٢

٥٨- ﴿وَالسُّنَنِ وَضَعِيهَا وَالْفَقْرَ إِذَا قُلِيَا﴾

الشمس: ٢، ١

٥٩- ﴿وَالسُّنَنِ وَضَعِيهَا وَالْفَقْرَ إِذَا قُلِيَا﴾

الشمس: ٢، ١

٦٠- ﴿وَالسُّنَنِ وَضَعِيهَا وَالْفَقْرَ إِذَا قُلِيَا﴾

الشمس: ٢، ١

٦١- ﴿وَالسُّنَنِ وَضَعِيهَا وَالْفَقْرَ إِذَا قُلِيَا﴾

الشمس: ٢، ١

٦٢- ﴿وَالسُّنَنِ وَضَعِيهَا وَالْفَقْرَ إِذَا قُلِيَا﴾

الشمس: ٢، ١

٦٣- ﴿وَالسُّنَنِ وَضَعِيهَا وَالْفَقْرَ إِذَا قُلِيَا﴾

الشمس: ٢، ١

(٢٣) نَبَأُ الَّذِي آمَنَاهُ آيَاتُنَا، وفي (٢٤) نَبَأُ نُوحٍ، وفي (٢٦) نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ، وفي (٥٦) التَّوْرَةَ، وفي (٥٧) مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ.

ثانيًا: جاءت «التلاوة» في القرآن حول النصوص المقدسة دائمًا، كالأيات والقرآن والتوراة، كما أُطلقت التلاوة في الآية (٥٧): (تَاتَتُوا الشَّيَاطِينُ) على ما كان يتلو الكهنة في قلوبهم وعزائهم، فلم تكن محدودة بها في اللغة، فهي خاصة بذلك في عرف القرآن.

ثالثًا: أشكل عليهم في الصنف الأول إسناد التلاوة إلى الله، لاستلزامها أن يكون له هم، فأولوها إلى أنها مجاز في الإسناد، والمراد بها: تلاوة جبرئيل، أو أريد بها: الإنزال. وقد جمع الإنزال والتلاوة في (٣١): ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾. فأسند الإنزال إلى الله دون التلاوة، فتكاد تكون الآية شاهدًا لهذا الوجه.

وهناك احتمال ثالث، وهو إرادة الله بها، وهو عندنا إيجاد الصوت من الله، فجاز إسناده إليه، إلا أنه بعيد، إذ لم يهدف التكلم في خصوص القرآن، وإنما جاء في شأنه الوحي والإنزال والتخزيل والإتيان ونحوها، ثم أُطلق على ما يعم الجميع ﴿وَمَا كُنَّا يُنْشِرُ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا يَذِّبُهُ إِنَّمَا عَلَيْنَا جُحُومٌ﴾ الشورى: ٥١، لاحظ «روح ي».

رابعًا: جاءت في الصنف الثاني (٢١) آية، من ٦- ٢٧، وقد أسندت التلاوة فيها إلى النبي ﷺ خاصة، سوى الآيتين (٢٠) و(٢١)، فأسندت فيها إلى الرسل عامة، كبيان للنبوة العامة تمهيدًا لنبوته ﷺ، فأبان في

أولاهما - (٢٠) - أن حجة الله على أهل القرى لا تتم إلا بعث رسول في أمتها يتلو عليهم آياته. وفي ثانيتهما - (٢١) - تمنع خزنة جهنم من الملائكة على أهلها بمجيء الرسل، منهم يتلون آيات ربهم.

فالحجة على العباد - استنادًا إلى هاتين الآيتين - إنما تتم بأمرين:

١- إرسال الرسل إليهم بحيث يتصلون بهم ويمرّونهم بأنفسهم، فإذا أرسلوا في أم القرى يكمل أهلها جميعًا.

٢- تلاوة آيات ربهم المنزل عليهم، وإبلاغهم رسالة الله تعالى.

ويبدو من غيرها أيضًا أن تلاوة الآيات شرط كلف به الرسول، مثل (٩): ﴿وَأَمْسُوتُ... وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾، و(١١): ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا... لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ...﴾. وقد أمره الله بالتلاوة في ست منها:

(٢٢ - ٢٧)، وفي اثنتين منها: (٢٥) و(٢٧) تلاوة مألوحى إليه من الكتاب، وفي الباقي تلاوة قصص بعض الأنبياء عليهم السلام، كإبراهيم وغيرهم.

خامسًا: أن سياق الآيات الأربع - (١٤ - ١٧) - من هذا الصنف واحد، وهو تظيم برامج الرسول، وهي ثلاثة أمور:

١- تلاوة آيات الله على الناس، وقد وقعت فيها جميعًا صدرًا كطليعة لوظائف الرسول.

٢- تركية تعوسهم، وقد وقعت بعد التلاوة وقبل تعليم الكتاب والحكمة في ثلاث منها، وأخرت عنه في واحدة، وهي (١٤)، وقد تقدم سر ذلك في «ب ع ث».

٣- تعليم الكتاب والحكمة، وللمبحث في هذه الآيات موضع آخر، لاحظ «ب ع ت» و«ح ك م» و«ذ ث ب». سادساً: جاءت في الصنف الثالث (٣٢) آية من (٢٨ - ٥١)، ولم يذكر فيها «الفاعل»، أي الثاني، لأن سياقها التركيز لبيان كيفية تأثير في من تمثل عليهم من الناس أيما كان الثاني، والثالي فيه طبعاً هو النبي ﷺ أو المؤمنون.

وهي قسمان: القسم الأول: المستلوق عليهم هم المؤمنون، والثاني: هم الكافرون، وتأثير التلاوة في «المؤمنين» في القسم الأول على أنحاء:

١- إذا تليت عليهم زادته إيماناً، (٢٨)، قالوا آمناً به إنه الحق من ربنا: (٣٦).

٢- إذا تليت عليه خروا سجداً وبكياً: (٢٩) يعجزون للأذقان سجداً: (٣٤).

٣- إن فيها عليهم لرحمة وذكر المؤمنين: (٣١)، أو فيها حكمة وأنه لطيف خبير: (٣١).

٤- فيها حكم من أحكام الله أمراً ونهيًا يعملون بها: (٣٢) و (٣٣) و (٣٥).

٥- يرجون تجارة لن تبور: (٥٤). كما جاء تأثير التلاوة في القسم الثاني في «الكافرين» على أنحاء أيضاً:

- ١- الكفر بها: (٣٩).
- ٢- التكذيب بها: (٤٣).
- ٣- قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا: (٣٧).
- ٤- قالوا انت بقرآن غير هذا: (٣٨).
- ٥- قالوا إنها من أساطير الأولين: (٣٧) و (٥٠).

و (٥١).

٦- قال الكافرون للمؤمنين: وأي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا: (٤٠).

٧- يظهر في وجوههم المنكر: (٤١).

٨- كانوا ينكصون على أعقابهم: (٤٢).

٩- ولوا مستكبرين كأن لم يسموها: (٤٤) و (٤٦) و (٤٨).

١٠- قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم: (٤٥).

١١- قالوا انتوا بآبائنا إن كنتم صادقين: (٤٧).

١٢- قالوا هذا سحر مبين: (٤٩).

١٣- يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم: (٥٣).

إسابعاً: إذا قيس آتار التلاوة على الفريقين المؤمنين والكافرين يظهر أن آتارها في المؤمنين متناسقة، تلتخص في الإيمان والعمل، وجزاؤها الرحمة في الدنيا والنجاة في النار الآخرة.

أما آتارها في الكافرين فتشتتة متلوثة، ذات أضرار واهية متباينة، ناشئة من الكفر والاستكبار. وهذا شأن الإيمان والكفر، فالإيمان يبحث على الثبات والتسكينة والزجاء دائماً، والكفر على التلوث والاضطراب واليأس. ثامناً: جاءت في الصنف الرابع (٧) آيات حول تلاوة غير الله والرسول:

١- التاليات ذكراً: (٥٢)، وهي من جملة أقسام القرآن، وللمبحث فيها عموماً محل آخر، وهو «المدخل» من هذا المعجم. أما البحث في هذه الآية فيحتي على تفسير الأقسام الثلاثة التي صُدّرت بها سورة الصافات:

﴿وَالصَّالَاتِ صَمًا﴾ قال الزجرات زجراً • فثالثيات
ذكرها.

قد اختلفوا في تفسيرها اختلافاً فاحشاً، وذكروا
حولها أقوالاً تستند - كما قال فضل الله - إلى حجة
شرعية، بل هي اجتهادات تفسيرية.

وقد أسهب الفخر الرازي في الكلام حولها، فقسم
جملة الأقوال إلى وجهين: وجه جعل الموصوف بهذه
الأوصاف من جنس واحد، فذكر له وجوهاً خمسة:

١- لـ أصناف الملائكة.

٢- أصناف القالين للقرآن من الناس.

٣- أصناف الفزاة، وهو المروي عن علي عليه السلام.

٤- أصناف آيات القرآن، بتأويل الثاليات إلى
المتلوات، وقد نقل هذه الوجوه الأربعة عن المفسرين.

٥- وأصناف هو نسباً خامساً، وهو أصناف الملائكة
الله، كما أضاف ابن عربي نسباً سادساً، وهو أصناف
العارفين، ولكل من هذه الأصناف توجيه، لاحظ كلام
الفخر الرازي.

ووجه جعل الموصوفات بها مختلفة، وهو بعيد جداً،
والمتعين عندنا وحدة الموصوفات، وأقربها الوجه
الأول، وهو صفوف الملائكة.

ثم أطال الكلام في وجه عطفها بالفاء، ولزجراتي
كلام رافع في توجيه هذه الفاء في مواقعها الثلاثة،
وأضاف الفخر الرازي بحثاً في المتلوات، فلاحظ.

وينبغي أن يطرح بحث ثالث في الربط بين الأقسام
المذكورة في هذه السورة - وهي مبعة - وبين جوابها:
﴿فَذَاقُوا ثَمًّا رَكُوبًا﴾، لاحظ «ف ل ح» و«ز ك و».

٢- الآيتان (٥٢) و (٥٤) خطاب للمؤمنين الذين

يتلون كتاب الله، وهم صفان:

أ - صف لا يستطع بتلاوة الآيات، وهم الذين
يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، فهذا خلاف
ما يتلونه من آيات، فويتخهم بأنهم من آيات الله، فويتخهم
بأنهم لم لا يحقلون؟

ب - وصف يستطع بها بأحسن وجه، وهم الذين
يقيمون الصلاة، ويخفون عما رزقهم الله سرّاً وعلانية،
ويرجعون تجارة لن تبور، لاحظ «ت ج ر» و«ب و ر».

٣- ثلاث آيات (٥٥ - ٥٧) خطاب لأهل الكتاب
يهوداً ونصارى، واليهود خصوصاً الذين يتلون التوراة، وهم
صفان أيضاً، طيحين وعاصون:

أ - أصناف المؤمنين الذين يستمعون بها، وهم أئمة قائمة
في الليل، يتلون آيات الله وهم يسجدون (٥٥).

ب - وصف العاصين الذين حرّفوا أحكام الله،
فحرّفوا أشياء كانت حلالاً في التوراة (٥٦)، أو نهّوا
كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تبلى الشياطين على
ملك سليمان (٥٧)، لاحظ التصوص.

تاسعاً: هذه ملاحظات راجعة إلى المعنى الأول، أي
«التلاوة» وأما المعنى الثاني، وهو «التلو» ففيه آية
واحدة، وهي (٥٨) ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا
تَلَّيَهَا. وقد اختلفوا في تفسيرها (تليها) على وجوه،
والذي يفهمه الناس منها مارأوه بأنهم أمّ أميين في السماء أن
القمر تلا الشمس عادة حينما تغيّب في الليل. وقد ذكر
الله الشمس والقمر في القرآن مرّات، والشمس مقدّمة
على القمر فيها، مثل: ﴿وَتَخْرُجُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ

يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿ لقمان : ٢٩ ، فلا مجال لما وجهوا به الآية من وجهة نظر علماء النجوم ، فلاحظ .

عاشراً : آيات التلاوة - وهي (٥٧) آية - موزعة بين المَكِّيَّ والمدنيّ بنسبة $\frac{٢٥}{٣٢}$ على الترتيب إذا ما ضمنت آيتا الحجّ إلى المدنيّات . فكانت التلاوة في مكّة على المشركين أكثر من المدينة - وهي كانت دار الإسلام -

لأنّ المشركين كانوا لا يحتاجون إلى تلاوة الآيات عليهم طمئناً في إيمانهم أكثر من المؤمنين الذين كانوا يحتاجون إليه تفوية لإيمانهم ، أو لمرض الأحكام إليهم . وكيف كان فلفظ «التلاوة» كانت شائعة في البلدين ، وحتى بين أهل الكتاب في المدينة بمفهوم واحد .



فهرس الأعلام المنقول عنهم بلا واسطة و أسماء كتبهم

<p>ابن الشجري: عبد الله (٥٤٢) الأمالي، ط: دار المعرفة، بيروت.</p>	<p>زاد المسكين، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.</p>	<p>الألوسي: محمود (١٢٧٠)^(١) روح المعاني، ط: دار إحياء التراث، بيروت.</p>
<p>ابن شهر آشوب: محمد (٥٨٨) مشابه القرآن، ط: طهران.</p>	<p>ابن خالويه: حسن (٣٧٠) إعصار ثلاثين مسورة، ط: محمد رزاق دكن، ط: دار الفكر، بيروت.</p>	<p>ابن أبي الحديد: عبد الحميد (٦٦٥) شرح نهج البلاغة، ط: إحياء الكتب، بيروت.</p>
<p>ابن العريفي: عبد الله (٥٤٣) أحكام القرآن، ط: دار المعرفة، بيروت.</p>	<p>ابن حطّون: عبد الرحمن (٨٠٨) المقدمة، ط: دار القلم، بيروت.</p>	<p>ابن أبي اليمان: يمان (٢٨٤) التفنية، ط: بغداد.</p>
<p>ابن هريث: يحيى الدين (٦٢٨) تفسير القرآن، ط: دار الميقات، بيروت.</p>	<p>ابن قزوين: محمد (٣٢٦) الجمهرة، ط: حيدرآباد دكن.</p>	<p>ابن الأثير: مبارك (٦٠٦) النهاية، ط: إسماعيليان، قم.</p>
<p>ابن عطية: عبد الحق (٥٤٦) المحرر الوجيز، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.</p>	<p>ابن الشكيت: يعقوب (٢٤٤) نهج البلاغة، ط: الأمانة الرضوية، مشهد.</p>	<p>ابن الأثير: علي (٦٣٠) الكامل، ط: دار صادر، بيروت.</p>
<p>ابن غارس: أحمد (٣٩٥) المقاييس، ط: طهران.</p>	<p>٢- إصلاح المنطق، ط: دار المعارف بمصر.</p>	<p>ابن الأنباري: محمد (٣٢٨) غريب اللغة، ط: دار الفردوس، بيروت.</p>
<p>(١) هذه الأقسام تاريخ الوفيات بالهجري.</p>	<p>٣- الإمداد، ط: القاهرة.</p>	<p>ابن باديس: عبد الحميد (١٣٥٩) تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.</p>
	<p>٤- الأضداد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.</p>	<p>ابن الجوزي: عبد الرحمن (٥٩٧)</p>

(٤٥٨)

ابن سيده: علي

المحكم، ط: مصر.

٢- الضاحبي، ط: مكتبة الثغرة، بيروت.	أبو رزق... (معاصر)	من بلاغة القرآن، ط: دار النهضة، مصر.
ابن قتيبة: عبدالله (٢٧٦)	معجم القرآن، ط: الحجازي، القاهرة.	الأخفش: سعيد (٢١٥)
١- غريب القرآن، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.	أبو زرعة: عبدالرحمان (٤٠٣)	معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
٢- تأويل مشكل القرآن، ط: المكتبة العلمية، القاهرة.	حجة الفرائد، ط: الرسالة، بيروت.	الأزهري: محمد (٣٧٠)
ابن قيم: محمد (٧٥٦)	أبو زهرة: محمد (١٣٩٥)	تهذيب اللغة، ط: دار المصنوع، بيروت.
التفسير الفهم، ط: لجنة التراث العربي، لبنان.	المعجزة الكبرى، ط: دار الفكر، بيروت.	الإسكافي: محمد (٤٢٠)
ابن كثير: إسماعيل (٧٧٤)	أبو زيد: سعيد (٢١٥)	مؤنة التنزيل، ط: دار الأفاق، بيروت.
١- تفسير القرآن، ط: دار الفكر، بيروت.	الترادف، ط: الكائنات، بيروت.	الأصمعي: عبدالملك (٢١٦)
٢- البداية والنهاية، ط: المعارف، بيروت.	أبو التعمود: محمد (٩٨٢)	الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.
ابن منظور: محمد (٧١١)	إرشاد العقل، ط: مصر.	أيزوتسو: نوسيهيكو (١٣٧١)
لسان العرب، ط: دار صادر، بيروت.	أبو سهل الهروي: محمد (١٣٣)	خدا و انسان در قرآن، ط: انتشار، طهران.
ابن فاقية: عبدالله (٤٨٥)	التأويل، ط: كنوز، مصر.	البحراني: عائش (١١٠٧)
الجهيمان، ط: المعارف، الاسكندرية.	أبو شهيد: فاسم (٢٤٤)	البرهان، ط: آفتاب، طهران.
ابن هشام: عبدالله	حربا القديس، ط: دار الكتب، بيروت.	البرزنجي: إسماعيل (١١٢٧)
سفيان الثوري، ط: المدني، القاهرة.	أبو عبيدة: منعم (٣٠٩)	روح البيان، ط: جعفري، طهران.
أبو البركات: عبدالرحمان (٥٧٧)	مجاز القرآن، ط: دار الفكر، مصر.	البستاني: بطرس (١٣٠٠)
البيان، ط: الهجرة، قم.	أبو الفتح: حسين (٥٥٤)	دائرة المعارف، ط: دار المعرفة، بيروت.
أبو حاتم: سهل (٢٤٨)	روض الجنان، ط: الأمانة، الرصيفة، مشهد.	البفوي: حسين (٥١٦)
الأضداد، ط: دار الكتب، بيروت.	أبو الفداء: إسماعيل (٧٣٢)	معالم التنزيل، ط: التجارية، مصر.
أبو حيان: محمد (٧٤٥)	المختصر، ط: دار المعرفة، بيروت.	بنت الشاطي: عائشة (١٣٧٨)
البحر المحيط، ط: دار الفكر، بيروت.	أبو هلال: حسن (٣٩٥)	١- التفسير البياني، ط: دار المعارف، مصر.
	الفروق الثغرة، ط: بصري، قم.	٢- الإعجاز البياني، ط: دار المعارف، مصر.
	أحمد بدوي (معاصر)	بهاء الدين العاملي: محمد (١٠٣١)

دمشق.	صحاح اللغة، ط: دار العلم، بيروت.	العروة الوثقى، ط: مهر، قم.
(١٧٥) الخليل: بن أحمد		بيان الحق: محمود (نحو ٥٥٥)
المين، ط: دار الهجرة، قم.		وقصص البرهان، ط: دار العلم، بيروت.
خليل ياسين (معاصر)	مقتنيات الذرير، ط: الحيدرية، طهران.	البيضاوي: عبدالله (٦٨٥)
الأضواء، ط: الأدب الجديد، بيروت.	الحجازي: محمد محمود (معاصر)	أنوار التنزيل، ط: مصر.
(٤٧٨) الذاماني: حسين	التفسير الواضح، ط: دار الكتاب، مصر.	القسري: محمد تقي (١١٦٥)
الوجوه والتظافر، ط: جامعة تبريز.	الخزني: إبراهيم (٢٨٥)	نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ط: اميركبير، طهران.
(٦٦٦) الزاوي: محمد	غريب الحديث، ط: دار المدني، جدة.	التفازاني: مسعود (٧٩٣)
مختار الصحاح، ط: دار الكتاب، بيروت.	الحريزي: غاسم (٥١٦)	المطول، ط: مكتبة الداوي، قم.
(٥٠٢) الزاهد: حين	درة الفرائص، ط: المشي، بغداد.	الشعالي: عبدالملك (٤٢٩)
المسفرات، ط: دار المعرفة، بيروت.	حسني مخلوف (معاصر)	فقه اللغة، ط: مصر.
	صفوة البيان، ط: دار الكتاب، مصر.	ثعلب: أحمد (٢٩١)
(٥٧٢) الزاوي: سعيد	جفني: محمد شرف (معاصر)	المصباح، ط: التوحيد، مصر.
فقه القرآن، ط: الخيام، قم.	إعجاز القرآن الباني، ط: الأهرام، مصر.	البرجاني: علي (٨١٦)
(١٣٥٤) رشيد رضا: محقق		التحريفات، ط: ناصر خسرو، طهران.
المنار، ط: دار المعرفة، بيروت.	(٦٢٦) الخفوي: باقر	الجزائري: نور الدين (١١٥٨)
(١٢٠٥) الزبيدي: محمد	معجم البلدان، ط: دار صادر، بيروت.	سروق اللغات، ط: فرهنگ اسلامي، طهران.
ناج العروس، ط: الخيرية، مصر.	(٤٣١) الحيري: اسماعيل	البصافي: أحمد (٣٧٠)
(٣١١) الرجاج: ابراهيم	وجوه القرآن، ط: مؤسسة الطبع والنشر، ط: دار صادر، بيروت.	أحكام القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.
١- معاني القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.	للأمانة الزبوية المقدمة، مشهد.	جمال الدين قتيبة (معاصر)
٢- فصول وأفعلت، ط: التوحيد، مصر.	الخازن: علي (٧٤١)	بحوث في تفسير القرآن، ط: المعرفة، القاهرة.
٣- إعراب القرآن، ط: دار الكتاب، بيروت.	لياب التأويل، ط: التجارية، مصر.	الجواليقي: توفيق (٥٤٠)
(٧٩٤) الزركشي: محمد	(٣٨٨) الخطابي: أحمد	المعرب، ط: دار الكتب، مصر.
البرهان، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.	غريب الحديث، ط: دار الفكر، بيروت.	اليخوي: اسماعيل (٣٩٣)

- الزركلي: خير الدين (معاصر)
الأعلام، ط: بيروت.
- الزحطاني: محمود (٥٣٨)
١. الكشاف، ط: دار المعرفة، بيروت.
٢. الفائق، ط: دار المعرفة، بيروت.
٣. أساس البلاغة، ط: دار صادر، بيروت.
- الشجستاني: محمد (٣٣٠)
غريب القرآن، ط: المكتبة المتحدة، مصر.
- الشكافي: يوسف (٦٦٦)
مفتاح المعلوم، ط: دار الكتب، بيروت.
- سليمان حليم (معاصر)
فرهنگ عبري، فارسي، ط: إسرائيل.
- الشهيلي: عبدالرحمن (٥٨١)
روض الأئسف، ط: الكليات، القاهرة.
- سيبويه: عمرو
الكتاب، ط: عالم الكتب، بيروت.
- الشبوطي: عبدالرحمن (٩١١)
١. الإتقان، ط: رضى، طهران.
٢. الدر المستثور، ط: بيروت.
٣. تفسير الجلالين، ط: مصطفى البالي، مصر (مع أنوار التنزيل).
- سيد قطب (١٢٨٧)
- في ظلال القرآن، ط: دار الفشوق، بيروت.
- الشبرا: عبدالله (١٣٤٢)
الجرهر الثمين، ط: الأقبس، الكويت.
- الشريني: محمد (٩٧٧)
الشرح المنير، ط: دار المعرفة، بيروت.
- الشريف الرضي: محمد (٤٠٦)
١. تلخيص البيان، ط: بصري، قم.
٢. حقائق الثاريل، ط: البسة، طهران.
- الشريف العاملي: محمد (١١٣٨)
مرآة الأنوار، ط: آفتاب، طهران.
- الشريف المرتضى: علي (٤٣٦)
الإمامي، ط: دار الكتب، بيروت.
- شريعتي: محمد نفي (١٤٠٧)
تفسير نسرين، ط: فرهنگ اسلامي، طهران.
- شوقي ضيف (معاصر)
تفسير سورة الزحمان، ط: دار المعارف بمصر.
- الصابوني: محمد علي (معاصر)
روائع البيان، ط: الفراتي، دمشق.
- الصاحب: إسماعيل (٣٨٥)
المحيط في اللغة، ط: عالم الكتب، بيروت.
- الصفاني: حسن (٦٥٠)
١. التكملة، ط: دار الكتب، القاهرة.
٢. الأعداد، ط: دار الكتب، بيروت.
- صدر المتألهين: محمد (١٠٥٩)
تفسير القرآن، ط: بيدار، قم.
- الصدوق: محمد (٣٨١)
الشوحيد، ط: للنشر الإسلامي، قم.
- طه الدرة: محمد علي
تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، ط: دار الحكمة، دمشق.
- الطباطبائي: محمد حسين (١٤٠٢)
الميزان، ط: إسماعيليان، قم.
- الطبرسي: فضل (٥٤٨)
مجمع البيان، ط: الإسلامية، طهران.
- الطبري: محمد (٣١٠)
١. جامع البيان، ط: المصطفى البالي، مصر.
٢. أخبار الأمم والملوك، ط: الاسفامة، القاهرة.
- الطبري: فخر الدين (١٠٨٥)
١. مجمع البحرين، ط: المرتضوية، طهران.
٢. غريب القرآن، ط: التجف.
- الطنطاوي: جوهري (١٣٥٨)
الجواهر، ط: مصطفى البالي، مصر.
- الطوسي: محمد (٤٦٠)
التيان، ط: النعمان، التجف.
- عبدالجبار أحمد (٤١٥)
١. تنزيه القرآن، ط: دار النهضة،

<p>(١٣٣٢) القاسمي: جمال الدين محاسن التأويل، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.</p>	<p>علي اصغر حكمت (معاصر) نه گفتار در تاريخ آديان، ط: ادبيات، شيوا.</p>	<p>بيروت. ٢- مستشابه القرآن، ط: دار الثراث، القاهرة.</p>
<p>(٣٥٦) الغالي: إسماعيل الأمال، ط: دار الكتب، بيروت. (٦٧١) القرطبي: محمد الجامع لأحكام القرآن، ط: دار إحياء التراث، بيروت.</p>	<p>الفتايشي: محمد (نحو ٣٢٠) التفسير، ط: الإسلامية، طهران. (٣٧٧) الفارسي: حسن الحجة، ط: دار المأمون، بيروت.</p>	<p>عبدالرحمان الهمداني (٣٢٩) الألفاظ الكتابية، ط: دار الكتب، بيروت.</p>
<p>(٤٦٥) القشيري: عبدالكريم لطائف الإنارات، ط: دار الكتاب، القاهرة.</p>	<p>الفاضل المقداد: عبدالله (٨٢٦) كنز العرفان، ط: الميرتضوية، طهران.</p>	<p>عبدالرزاق نوفل (معاصر) الإعجاز العددي، ط: دار الشعب، القاهرة.</p>
<p>(٣٢٨) الفقي: علي تفسير القرآن، ط: دار الكتاب، قم.</p>	<p>الفخر الرازي: محمد (٦٠٦) التفسير الكبير، ط: عبدالرحمان، القاهرة.</p>	<p>عبدالفتاح طيارة (معاصر) مسح الأنبياء، ط: دار العلم، بيروت.</p>
<p>(٤٣٧) القيسي: مكّي مشكل إعراب القرآن، ط: مجمع اللغة، دمشق.</p>	<p>فراش الكوفي: ابن إبراهيم تفسير فراش الكوفي، ط: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.</p>	<p>عبدالكريم الخطيب (معاصر) التفسير القرآني، ط: دار الفكر، بيروت.</p>
<p>(١٠٩١) الكاشاني: شحسن الضافي، ط: الأعلمي، بيروت.</p>	<p>الفراء: يحيى (٢٠٧) معاني القرآن، ط: ناصر خسرو، طهران.</p>	<p>عبداللطيف بغداديّ (٦٢٩) ذيل الفصح، ط: التوحيد، القاهرة.</p>
<p>(٥٠٥) الكرماني: محمود أسرار التكرار، ط: المحمدية، القاهرة.</p>	<p>فريد وجدي: محمد (١٣٧٣) المصحف المفسر، ط: دار مطابع الشعب، بيروت.</p>	<p>عبدالمتمم الجبال: محمد (معاصر) التفسير الفريد، ط: بيان مجمع البحوث الإسلامي، الأزهر.</p>
<p>(٣٢٩) الكليني: محمد الكليني، ط: دار الكتب الإسلامية، طهران.</p>	<p>الفيروزآبادي: محمد (٨١٧) ١- الفاموس المحيط، ط: دار الجيل، بيروت.</p>	<p>القذافي: محمد (١٣٦٠) معجم الأغلاط، ط: مكتبة لبنان، بيروت.</p>
<p>(معاصر) لويس كوستاز فاموس سرياني - عربي، ط: الكاثوليكية، بيروت.</p>	<p>الفيومي: أحمد (٧٧٠) ٢- بصائر ذوي التمييز، ط: دار التحرير، القاهرة.</p>	<p>العروسي: عبدعلي (١١١٢) نور الثقلين، ط: إسماعيليان، قم. هزة قزوذة: محمد (١٤٠٠) تفسير الحديث، ط: دار إحياء الكتب، القاهرة.</p>
<p>(١٣٦٦) لويس معلوف المنجد في اللغة، ط: دار المشرق، بيروت.</p>	<p>مصباح المنير، ط: المكتبة العلمية، بيروت.</p>	<p>المكثري: عبدالله (٦٦٦) القيان، ط: دار الجيل، بيروت.</p>

- الحاوردني: علي (٤٥٠)
الثكت والعيون، ط: دار الكتب، بيروت.
- المبرود: محمد (٢٨٦)
الكامل، ط: مكتبة المعارف، بيروت.
- المجملسي: محمد باقر (١١١١)
بحار الأنوار، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
- مجمع اللغة: جماعة (معاصرون)
مجمع الألفاظ، ط: آرمات، طهران.
- محمد إسماعيل (معاصر)
معجم الألفاظ والأعلام، ط: دار الفكر، القاهرة.
- محمد جواد مخنية
التفسير الكاشف، ط: دار العلم للملايين، بيروت.
- محمود شيت خطاب
المصطلحات العسكرية، ط: دار النتج، بيروت.
- القذافي: علي (١١٢٠)
أنوار الزبيح، ط: النعمان، نجف.
- القديني: محمد (٥٨١)
المسجموع المفيث، ط: دار المدني، جدة.
- الغراهي: محمد مصطفى (١٣٦٤)
١- تفسير سورة الحجرات، ط: الأزهر، مصر.
٢- تفسير سورة الحديد، ط: الأزهر، مصر.
- المراغي: أحمد مصطفى (١٣٧١)
تفسير القرآن، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
- مشكور: محمد جواد (معاصر)
طرننگ تطيبي، ط: كايوان، طهران.
- المصطفوي: حسن (معاصر)
الشيخ، ط: دار الترجمة، طهران.
- معرفة: محمد هادي (معاصر)
التفسير والمفسرون، ط: الجامعة الزوية، مشهد.
- مقاريل ابن سليمان (١٥٠٠)
الأنبياء والتطائر، ط: المكتبة العربية، مصر.
- المخدومي: شاهر (٢٥٥)
النبذة والتعاريف، ط: مكتبة المنشي، بغداد.
- المقديني: أحمد (٥٢٠)
كشف الأسرار، ط: أمير كبير، طهران.
- الميلاني: محمد هادي (١٣٨٤)
تفسير سورتي الجمعة والتفابن، ط: مشهد.
- النحاس: أحمد (١٣٢٨)
معاني القرآن، ط: مكة المكرمة.
- النسفي: أحمد (٧١٠)
مدارك التنزيل، ط: دار الكتاب، بيروت.
- التهارندي: محمد (١٣٧٠)
نفحات الرحمان، ط: منكي،
- علمي [طهران].
التيمايوري: حسن (٧٢٨)
غرائب القرآن، ط: مصطفى البابي، مصر.
- هارون الأهور: ابن موسى (٢١١)
الوجوه والتطائر، ط: دار الحرية، بغداد.
- هانسي: الإمبريكي (معاصر)
ساموس كتاب مقدس، ط: مطبعة الإمبريكي، بيروت.
- الهزوي: أحمد (٤٠١)
الغريبين، ط: دار إحياء التراث.
- هوتشما: مارين يوثر (١٣٦٢)
دائرة المعارف الإسلامية، ط: جهان، طهران.
- اليزيدي: يحيى (٢٠٢)
غريب القرآن، ط: عالم الكتب، بيروت.
- اليحوي: أحمد (٢٩٢)
التاريخ، ط: دار صادر، بيروت.
- يوسف خياط (٢)
الملحق بلسان العرب، ط: أدب الحوزة، قم.

فهرس الأعلام المنقول عنهم بالواسطة

(٢٠٠)	أبان بن عثمان.	(٨٥٢)	ابن حجر: أحمد بن علي.	(٢)	ابن حادل.
(٢)	إبراهيم التميمي.	(٩٧٤)	ابن حجر: أحمد بن محمد.	(١١٨)	ابن عامر: عبدالله.
(١٢٩)	ابن أبي إسحاق: عبدالله.	(١٥٦)	ابن حزم: علي.	(٦٨)	ابن عباس: عبدالله.
(١٥٣)	ابن أبي حيلة: إبراهيم.	(٢)	ابن حنبل: علي.	(٢٤٤)	ابن عبدالملك: محمد.
(١٣١)	ابن أبي نعيم: يسار.	(٦٠٩)	ابن خزوف: علي.	(٢)	ابن صاكر.
(١٥١)	ابن إسحاق: محمد.	(٢٠٣)	ابن ذكوان: عبدالرحمان.	(١٩٦)	ابن صفور: علي.
(٢٣١)	ابن الأهرابي: محمد.	(٧٩٥)	ابن رجب: عبدالرحمان.	(١٣١)	ابن عطاء: واصل.
(١٧٩)	ابن أنس: مالك.	(٧٣)	ابن الزبير: عبدالله.	(٧٦٦)	ابن حنبل: عبدالله.
(٥٨٢)	ابن بزيع: عبدالله.	(١٨٢)	ابن زيد: عبدالرحمان.	(٧٣)	ابن حمزة: عبدالله.
(٢)	ابن بزرج: عبدالرحمان.	(٢)	ابن شقيق: محمد.	(١٩٣)	ابن حياض: محمد.
(٧٠٤)	ابن بنت العراقي.	(١١٠)	ابن سيرين: محمد.	(١٩٨)	ابن حنبل: شفيان.
(٧٢٨)	ابن تيمية: أحمد.	(٤٢٨)	ابن سينا: علي.	(٤٠٦)	ابن غورك: محمد.
(١٥٠)	ابن جريح: عبدالملك.	(٥٤٣)	ابن الشخير: شطراف.	(١٢٠)	ابن كثير: عبدالله.
(٣٩٢)	ابن جني: عثمان.	(٢)	ابن شريح: ...	(١١٧)	ابن كعب القرظي: محمد.
(٦٤٦)	ابن الحاجب: عثمان.	(٢٠٣)	ابن شميل: نصر.	(٢٠٤)	ابن الكلبي: هشام.
(٢٤٥)	ابن حبيب: محمد.	(٢)	ابن الشيخ: ...	(١٤٠)	ابن كمال باشا: أحمد.

ابن كمونة: سعد. (٦٨٣)	أبو خيثومة: شريح. (٢٠٣)	أبو عمرو الشيباني: إسحاق. (٢٠٦)
ابن كيسان: محمد. (٢٩٩)	أبو داره: سليمان. (٢٧٥)	أبو الفضل الرازي. (٤)
ابن ماجه: محمد. (٢٧٣)	أبو الذرداء: عزير. (٣٢)	أبو قلابة:.... (١٠٤)
ابن مالك: محمد. (٦٧٢)	أبو دقيش:.... (٦)	أبو مالك: عمرو. (٤)
ابن مجاهد: أحمد. (٣٢٤)	أبو ذر: جندب. (٣٢)	أبو المشوك: علي. (٤)
ابن شخيص: محمد. (١٢٣)	أبو روق: عطية. (٩)	أبو ميثل: لاجين. (٤)
ابن مسعود: عبدالله. (٣٢)	أبو زياد: عبدالله. (٩)	أبو مخلم: محمد. (٢٤٥)
ابن الصديق: سعيد. (٦٤)	أبو سعيد الخدري: سعد. (٧١)	أبو مسلم الأصفهاني: محمد. (٣٢٢)
ابن ملك: عبد اللطيف. (٨٠١)	أبو سعيد البغدادي: أحمد. (٢٨٥)	أبو قنبر: السلام:.... (٤)
ابن المنير: عبد الواحد. (٧٣٣)	أبو سعيد الخزاز: أحمد. (٢٨٥)	أبو موسى الأشعري: عبدالله. (٤٤)
ابن فحاص: محمد. (٦٩٨)	أبو سليمان الدمشقي: عبدالرحمان. (٢١٥)	أبو نصر الباهلي: أحمد. (٢٣١)
ابن هاني:.... (٤)	أبو الشمالي: قتيب. (٤)	أبو هريرة: عبدالرحمان. (٥٩)
ابن طرطر: عبدالرحمان. (١١٧)	أبو هريج: الخزازي. (٤)	أبو الهيثم:.... (٢٧٦)
ابن الهيثم: داود. (٣١٦)	أبو صالح. (٤)	أبو يزيد المدني:.... (٤)
ابن الوردي: حمير. (٧٤٩)	أبو الطيب: القفري. (٢)	أبو يحيى: أحمد. (٣٠٧)
ابن زهير: عبدالله. (١٩٧)	أبو العالية: رفيع. (٩٠)	أبو يوسف: يعقوب. (١٨٢)
ابن يسعون: يوسف. (٥٤٢)	أبو عبدالرحمان: عبدالله. (٧٤)	أنس بن كعب. (٢١)
ابن يعيش: علي. (٦٤٣)	أبو عبدالله: محمد. (٤)	أحمد بن حنبل. (٢٤)
أبو يعقوب: عبدالله. (٨٠)	أبو عثمان الجبري: سعيد. (٢٨٩)	الأحمر: علي. (١٩٤)
أبو بكر الإخشيد: أحمد. (٣٦٦)	أبو العلاء: العمري: أحمد. (٤٤٩)	الأخفش الأكبر: عبدالحميد. (١٧٧)
أبو بكر الأصم:.... (٢٠١)	أبو علي الأهوازي: حسن. (٤٤٦)	إسحاق بن بشير. (٢٠٦)
أبو الجوزي: الأهرابي. (٤)	أبو علي مشكويه: أحمد. (٤٢١)	الأسدي. (٢)
أبو جعفر القارئ: يزيد. (١٣٢)	أبو عمران الجوني: عبدالملك. (٤)	إسماعيل بن قاضي. (٤)
أبو الحسن الصائغ. (٤)	أبو عمرو ابن العلاء: زيان. (١٥٤)	الأصم: محمد. (٣٤٦)
أبو حمزة الثمالي: ثابت. (١٥٠)	أبو عمرو البغزني: صالح. (٢٢٥)	الأعشى: ميرون. (١٤٨)

(١٤٨)	الأعشى: سليمان.	(٩)	الخدادي:	(١)	الزناقي:
(٩)	إلياس:	(٥٦٠)	الخرزني: محمد.	(٢٥٦)	الزبيدي: بن بكار.
(٩٣)	أنس بن مالك.	(١١٠)	الحسن بن يسار.	(٣٣٧)	الزجاجي: عبدالرحمان.
(٢٠٠)	الأموي: سعيد.	(١)	حسن بن حري.	(٤٢٢)	الزهرائي: خلف.
(١٥٧)	الأوزاعي: عبدالرحمن.	(٢٠٤)	حسن بن زياد.	(١٢٨)	الزهرقي: محمد.
(٤٤٦)	الأهوازي: حسن.	(٥٤٨)	حسين بن فضل.	(١٣٦)	زيد بن أسلم.
(٤٠٣)	الباقلاني: محمد.	(٢٤٦)	حفص: بن عمر.	(٤٥)	زيد بن ثابت.
(٢٥٦)	البهاري: محمد.	(١٦٧)	حاتم بن سلمة.	(١٢٢)	زيد بن علي.
(٧١)	براء بن عازب.	(١٥٦)	حمزة القارئ.	(١٢٨)	الثدي: إسماعيل.
(٩)	البرجي: علي.	(٩)	حبيب: ابن قيس.	(٥٥)	سعد بن أبي وقاص.
(٩)	البرجمي: ضايف.	(٤٣٠)	الحولقي: علي.	(٩)	سعد المقتري.
(٩)	البجلي.	(٩)	حبيب:	(٩٥)	سعيد بن جبير.
(٣١٩)	البلخي: عبدالله.	(٥٠٢)	الخطيب الشيرازي: يحيى.	(١٦٧)	سعيد بن عبدالعزيز.
(٣٥٥)	البوطي: منذر.	(٤٦٦)	الحجاجي: عبدالله.	(٧٤)	السلمي القارئ: عبدالله.
(١٣٢٧)	بوست: جورج إدوارد.	(٢٩٩)	خلف القارئ.	(٤١٢)	السلمي: محمد.
(٢٧٩)	الترمذي: محمد.	(١٩٣)	الحقوقي: محمد.	(١٧٠)	سليمان بن جبار المدني.
(١٢٧)	ثابت البناني.	(٨٦٢)	الخيالي: أحمد.	(١١٩)	سليمان بن موسى.
(٤٢٧)	الثعلبي: أحمد.	(٩)	الدقاق.	(٩)	سليمان التيمي.
(١٦٦)	الثوري: سفيان.	(٨٢٧)	الذماميني: محمد.	(٧٥٦)	الشمين: أحمد.
(٩٣)	جابر بن زيد.	(٩١٨)	الدواني.	(٢٨٤)	سهل الشكري.
(٣٠٣)	الجبائي: محمد.	(٢٨٢)	الدينوري: أحمد.	(٣٦٨)	الشيرازي: حسن.
(٢٣١)	الجندري: كامل.	(١٣٩)	الزبيد بن أنس.	(٩)	الشاذلي.
(١٣٦٥)	جمال الدين الأفغاني.	(٩)	ربيعة بن سعيد.	(٩)	الشاطبي.
(٢٩٧)	الجعيد البغدادي: ابن محمد.	(١٨٦)	الرضي الأسترابادي.	(٢٠٤)	الشافعي: محمد.
(١٢٨)	جهوم بن صفوان.	(٣٨٤)	الزمان: علي.	(٣٣٤)	الشيلي: ذلف.
(٢٢٢)	الحارث بن ظالم.	(٢٣٨)	رؤيس: محمد.	(١٠٣)	الشعبي: عامر.

(٥)	القاسي	(٦١٢)	عبد العزيز: ...	(٥)	شعيب الجبني.
(٢٠٠)	الفضل الزقاشي.	(٥)	عبد الله بن أبي ليلى.	(١٩٤)	الثقيف بن إبراهيم.
(١١٨)	قتادة بن دعامة.	(٨٦)	عبد الله بن الحارث.	(٦٤٥)	الشلوبيني: عمر.
(٧٣٩)	القزويني: محمد.	(٥)	عبد الله الهبطي.	(٢٥٥)	شمر بن حمدويه.
(٢٠٦)	قطرب: محمد.	(١٣٦٠)	عبد الوهاب النجار.	(٨٧٢)	الشُّنُتِي: أحمد.
(٣٢٨)	القفال: محمد.	(٥)	قبيد بن حمير.	(١٠٦٩)	الشهاب: أحمد.
(٥٢٦)	القلاسي: محمد.	(١٨١)	الغنكي: عباد.	(٦٨٤)	شهاب الدين القراني.
(٣٠٩)	كراع التمل: علي.	(٥)	القذوي: ...	(١٠٠)	شهر بن حوشب.
(١٨٩)	الكبائي: علي.	(١١٩٣)	حسام الدين: عثمان.	(٥)	شيبان بن عبد الرحمن.
(٢٢)	كعب الأحبار: ابن مافع.	(٥)	عصمة بن عروة.	(٥)	شيبة الشُّنُتِي.
(٣١٩)	الكبيسي: عبد الله.	(١١٤)	المطاء بن أسلم.	(٤٩٤)	الشيلة: غزيري.
(٩٠٥)	الكلمعي: إبراهيم.	(١٣٦)	عطاء بن سائب.	(٥)	الشيشيني.
(١٤٦)	الكلبي: محمد.	(١٣٥)	عطاء الخراساني: ابن عبد الله.	(٥)	صالح المري.
(٥)	كلثومي.	(١٠٥)	عكرمة بن عبد الله.	(٥٦٥)	الضيقلي: محمد.
(٥)	الكي الطبري.	(٥)	علاء بن صيابة.	(١٨٢)	الضبي: بروس.
(٢٠٤)	اللولؤي: حسن.	(١٤٣)	علي بن أبي طلحة.	(١٠٥)	الضحاك بن مزاحم.
(٢٢٠)	اللقحاني: علي.	(٥)	عمارة بن حائد.	(١٠٦)	طاووس بن كيسان.
(١٨٥)	الليث بن مظفر.	(١٥٣)	قمر بن قز.	(١٢١٣)	الطَّبَّاحِي: أحمد.
(٣٢٣)	الماتريدي: محمد.	(١٤٤)	عمرو بن حبيد.	(١١٢)	طلحة بن مضروب.
(٢٤٩)	المازني: بكر.	(٥)	عمرو بن ميمون.	(٧٤٣)	الطبيبي: حسين.
(١٧٩)	مالك بن أنس.	(١٤٩)	عيسى بن عمرو.	(٥٨)	عائشة: بنت أبي بكر.
(١٣١)	مالك بن دينار.	(١١١)	القوفي: عطية.	(١٢٨)	عاصم البغدادي.
(٥)	المالكبي.	(٨٥٥)	العيشي: محمود.	(١٢٧)	عاصم القارئ.
(٥)	الملوي.	(٥٠٥)	الغزالي: محمد.	(٥٥)	عامر بن عبد الله.
(١٠٤)	مجاهد: جبر.	(٥٨٢)	الغزنوي: ...	(١٨٦)	عباس بن الفضل.
(٢٤٣)	المحاسبي: حارث.	(٣٣٩)	الفارابي: محمد.	(٩٦)	عبد الرحمن بن أبي بكر.

(٥)	هشام بن حارث.	(١٨٢)	المفضل القتيبي: ابن محمد.	(٥)	محبوب: ...
(٤٦٨)	الواحدي: علي.	(١١٢)	مكحول بن شهراب.	(٥)	محمد أبي موسى.
(١٩٧)	وُش: عثمان.	(٣٢٩)	المنذري: محمد.	(٢٤٥)	محمد بن حبيب.
(٣٠٧)	وُهب بن جوير.	(٤٤٠)	المهدوي: أحمد.	(١٨٩)	محمد بن الحسن.
(١١٤)	وُهب بن شُبّه.	(١٩٥)	مؤرج الشدوسي: ابن عمر.	(٥)	محمد بن شريح الأصفهاني.
(٥)	يحيى بن جملة.	(٦٠٤)	موسى بن عمران.		محمد عبده: ابن حسن خيرا.
(٥)	يحيى بن سعيد.	(١١٧)	ميمون بن مهران.	(١٣٢٣)	
(٢٠٠)	يحيى بن سلام.	(٩٦)	الثغفي: إبراهيم.	(٥)	محمد القيشي.
(١٠٣)	يحيى بن وقاب.	(٥)	تصر بن علي.	(٦٥)	مروان بن حكم.
(١٢٩)	يحيى بن يقطر.	(١٣٤٠)	نقوم بك: بن بشار.	(٥)	المشهر بن عبد الملك.
(١٢٨)	يزيد بن أبي حبيب.	(٣٢٣)	يفطويه: إبراهيم.	(٩٧٩)	مصلح الدين اللاري: محمد.
(١٣٠)	يزيد بن رومان.	(٣٥١)	النقاش: محمد.	(٨٧)	مُطَرّف بن الشقيير.
(١٣٢)	يزيد بن قعقاع.	(٦٧٦)	التوري: محمد.	(١٨)	مُعاذ بن جبل.
(٢٠٢)	يعقوب بن إسحاق.	(٧٢٨)	هارون بن حاتم.	(١٨٧)	مُعتمر بن سليمان.
(٥)	اليعاني: عُمر.	(١٧٥)	الهدلي: قاسم.	(٤١٨)	المفري: حنين.



مرکز تحقیقات کلام و علوم اسلامی